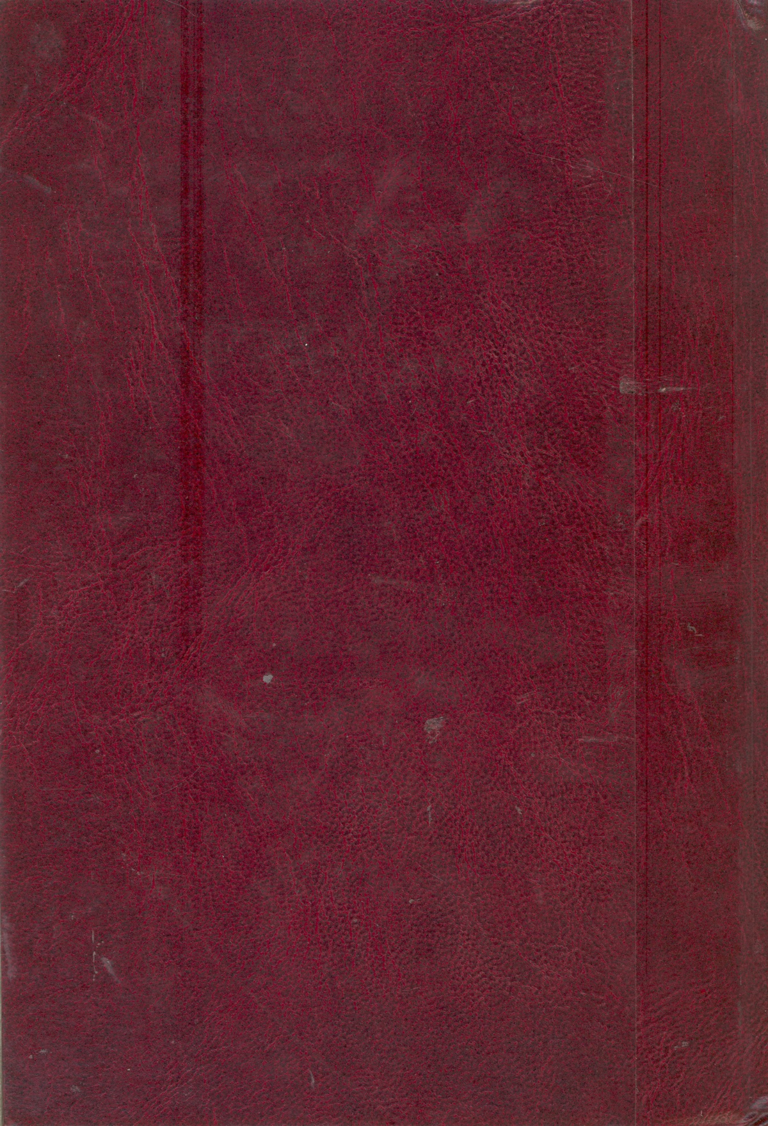




المحرم ١٤٠٦هـ/ سبتمبر واكتوبر

٤ـ السنة ٥٢ـ المجلد ٤٧

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم الوطني ... اصالة و دلالة



مجلة هادفة

نحمد الله مستحق الحمد والثناء ونصلى ونسلم على رسوله خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الجزاء .

اما بعد فهذه مجلة «المنهل» تدخل بفضل الله ثم بحسن توفيقه ومعونته عامها الثالث والعشرين تصديرا . . (فقد صدر أول جزء منها (عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) . . وتدخل فى عامها التاسع عشر صدورا . . فقد توقف صدورها فى سنوات الحرب العالمية الثانية اضطراراً وائتمارا . . اضطراراً لشح الورق مادة وجودة . . وائتماراً لصدور الأوامر إذ ذاك بتوقف الصحف الوطنية عن الصدور حتى تنجلى الغمة . . ثم ما كادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى كان «االمنهل» السباق الى استئناف الصدور قبل غيره .

إننا نعتقد أن قراءنا يلمسون تطور منهلهم المستمر الصاعد ، فهو فى كل عام خير منه فى العام السابق . . اخراجاً وموضوعات وأهدافاً وشمولا . .

نعم ان التطـور فيه ليس من باب القفز والطفرة . . فمن طبيعة صاحبه العزوف عن القفز والطفرة والوثبات التى كثيرا ما تؤدى الى النكسات . . والعياذ بالله . .

وقد يتساءل بعض القراء الأعزاء . . الذين لم يحظ المنهل بمسايرتهم له فى شتى مراحله عن ماهية الحقل الذى يعمل فيه المنهل .

فلهؤلاء المتسائلين اقول : ان «المنهل» من نوع المجلات الهادفة ، انها لم تنشأ للكسب المادى ولا للشهرة الأدبية .

وانما كان انشاؤها لإحياء الثقافة العربية الاسلامية التى كانت وقت صدور المنهل تعمل فيها معاول الهدم والتغرب والاستشراق . . لتقلع جذورها ولتطوح بها فى الهواء .

وانما كان انشاؤها ـ كذلك ـ يوم أنشئت لإنهاض الثقافة العربية الأصيلة فى هذه البلاد مهد تلك الثقافة الجليلة ، مقاومة للتيارات المعاكسة التى كانت اعاصيرها تهب علينا من الخارج فتتلقفها عقول صغيرة فى الداخل من غير رويّة ولا تعمق .

وانما كان انشاؤها يوم أنشئت لإحياء روح النهضة الصناعية والاقتصادية فى البلاد .

وانما كان انشاؤها جملة وتفصيلاً للبناء والهدم . . بناء صروح النهضة العربية الحقة وهدم تيارات الأفكار الغربية الهدامة .

عبد القدوس الأنصاري
المحرم ١٣٧٨هـ

بطاقة تقديم

عزيزى القارئ وعجلتك المنهل
تخطو حثيثا الى الإمام .. تحاول أن تقدم
لك المادة الثقافية الدسمة محافظةً على
توازن منهاجها طوال فترات صدورها السابقة
والقادمة إن شاء الله .. تلاحظ معنا - قارئنا -
أن المنهل عمدت إلى زيادة أسعار مبيعها فى بعض الدول
العربية فى محاولة لتقليص حجم الخسارة المادية
التى تتكبدها المجلة فى سبيل استمرار صدورها مطلع
كل شهر عربى والواقع أنك قارئنا العزيز مردد
خطوتنا فى زيادة اسعار مبيعنا فى بعض الدول
العربية وذلك بسبب اقتناعنا انك ستؤازر
هذه الخطوة وستستمر فى اقتناء أعداد مجلتك
مقتنعًا معنا ان من القطر تسيل الأودية .. أعزائنا ..
«منهلكم» منكم واليكم .. نحرص فيه على تقديم المفيد والجديد
وعلى الاستمرارية .. وإلى الأمام على الدوام .
والله من وراء القصد

المنهل


جولة بين ر
بمناسبة العام الثاني والخمسين
هبَّ النسيمُ مُؤرَّجًا من "جُدة"
"ومرَّ تلا" الحانـةُ "في المنهل"
يُهدي اليك قلائداً مِنْ لؤلؤٍ
مِن فيضِ يَعْرُبَ معتزاً بالمُنْزَلِ
فترى البراعةَ في بيانٍ رائعٍ
متكاملاً ببديعِهِ المتدللِ
في كلِّ روضٍ باقةٌ من فكرةٍ
مزهوّة ببراعةِ المتأصّلِ
فكأنها معصورةٌ من بابل
خُتمت بمساكِ الرائدِ المتوغّلِ
فَلَكَمْ عجبتُ للُطْفِها وسلاسِها
فكأنها رِهَمُ السحابِ المثْمِلِ
فمن القصائدِ ما يُثيرُ مشاعري
ويحيلُ أشعاري لفوزٍ مهولِ
فأرى الشعورَ محلقًا في ثورةٍ
نحو الطباقِ مجنحًا كالبلبلِ
واذا الجوانحُ أُتْرِعَتْ من فيضِهِ
واذا القصيدُ مفجَّرًا كالسلسلِ
ومن الجوامعِ "ما يتضدُّ تبرُها"
في حُنكةٍ تحكي نبوغَ المحوّلِ
فتلوحُ آراءُ البراعةِ طُرفةً
في عمقِها وأصالةِ المتبتلِ
فتثيرُ آراءً لديَّ دفينةً
فأروحُ انضدها بفكرٍ مُقبلِ



ياض المنهل

قدور الورطاسي

وكذا التأصل فى المعارف ملزم
يضع الأديب على السبيل الأمثل

رعيا «لمنهلنا» المضيء دروبنا
من كل فن رائق متأصل

وأنا لنا من طعم فكر صائب
يزرى بكل مغفل متقول

فتشع آفاق المعارف بالنهى
مثل الزواهر فى الدجى المتغزل

وتضوع أزهار المشاعر فى الدنى
مثل العبير مروقا بتمهل

ورضى «المخلد» فى النعيم بمنه
بين الصحابة والنبى الأفضل

وأطال عمر «نبيهه ونبيهنا»
حتى يدوم على السوى الأكمل

فنرى الفرزدق فى متانة شعره
وجريرا أروع فى فصوص الأخطل

و«ابن العميد» ممثلا فى فكرنا
وبيان «سحبان» الأديب الفيصل

حتى نعيد لفكرنا أمجاده
فيتيه فى العز المنيع المشمل

ما ضر لو تئد المناهل فكرها
والفكر أكمل فى رياض «المنهل»

فصدوره وروده من دوحة
فرعاء تشرق بالبيان المنجلى

المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
خمسون عاماً في خدمة الفكر والمعرفة
أسسها سنة ١٣٥٥هـ
عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري
ت: ٦٤٢٧٨٣١

مدير الادارة والتحرير
زهير الأنصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا في الخارج
• القاهرة : د. أحمد الحفناوي أديب وباحث
• عمان : روكس بن زائد العزيزي محقق وباحث موسوعي
• الرباط : عبد الرحيم بن عبد السلام أديب وباحث
• تونس :

• المخرج الفني
فريد أبو سعدة

معلومات ادارية

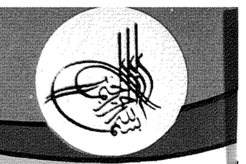
المجلة : ٢ ش رأس تنورة . عرفات سابقاً الشرقية برقيا : المنهل ص.ب ٢٩٢٥ جدة (٢١٤٦١) الاعلانات تخاطب بشأنها الإدارة تليفون ٦٤٣٢١٢٤/٦٤٧٧٩٤	قيمة الاشتراك السنوي في المملكة العربية السعودية ٢٠٠ ريالاً وللأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً أو ما يعادلها .. ومقرها الإدارة	سعر النسخة السعودية ٨ ريالات المغرب ٦ دراهم تونس ٦٠٠ مليم مصر ٥٠ قرشاً البحرين ٨٠٠ فلس قطر ٨ ريالات السودان ٥٠ قرشاً الأردن ٨٠٠ فلس الإمارات ٨ دراهم

المجلة السعودية الأم





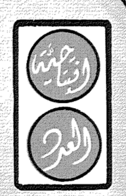
المحرم ١٤٠٦هـ - سبتمبر/اكتوبر ١٩٨٥م



من كتّاب هذا العدد

● أ. غالب أبو الفرج
● د. طه عبد البر المطلب
● محمد أبو صوفه يحى
● د. بهاء حسين عزى

مجلاتنا الداخلية





● وضوح اتجاه الحركة الثقافية فى أى أمة من الامم يحدد معالم توجهها الحضارى مما يُستقرأ منه خطوط مستقبلها القريب والبعيد ان لم يطرأ على (اتجاه الحركة) الثابت تغيّر جوهرى يؤدى بطبيعته الى صياغة جديدة تتجه فى حركتها نحو الاتجاه المعاكس لسابقتها.

وهذا الوضوح الذى نعنيه فى اتجاه الحركة الثقافية يمثل الركائز الأساسية لمنهجية التخطيط الأساسى المتجه نحو قمة هرم الأمة الحضارى.. ولا شك ان هذا يراعى فيه خطوط الثابت والمتغيّر فى ملامح التفاصيل الجزئية الدقيقة بين أى أمة وأخرى.. مما يجعل فهمها لبعض الأشياء يختلف عنه فى فهم الآخرين له.. ومرد هذا الاختلاف يرجع الى انعكاسات فكرية أو مذهبية أو عقدية قد ترسخت فى كل منها..

● من هذا المنطلق نستطيع القول ان الثقافة القائمة أسسها على الفكر الاسلامى والمذهبية الاسلامية تختلف ـ ولا ريب ـ عن غيرها من الثقافات المنطلقة من اتجاهات أخرى تحكمها ـ عموماً ـ فى خط سيرها حركة الحياة اليومية بكل تقلباتها ومنعرجاتها..

ففى الحالة الأولى نلمس الثبات فى الفكر الثقافى مرتكز قوائم الحضارة وحوله وفى فلكه تدور الجزئيات والتفاصيل ملتمسة ما يستجد من امور الحياة فى تلاق تام وتواؤم مقنن مع مرتكز خط السير الاول.

اما فى الحالة الثانية (الحضارة التى تقوم باتجاه حركة الحياة اليومية) فإنا لا نجد فيها ذلك المرتكز الفكرى الثابت.. وانما هو التغيّر والتلون.

وبهذا المفهوم فهما يسيران فى خطين متوازيين لا يلتقيان.. أحدهما يمثل المنهجية السلوكية فى **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** وبالطبع لهذه المنهجية تنظيرها الذى يجعل حضارتها هى حضارة الانسانية جمعاء وثقافتها هى ثقافتها.. أما الأخرى فتفتقد ـ فى غالبها الأعم ـ هذه المنهجية السلوكية لأنها تقوم وتُؤسّس على منظور مادى تنسحب عليه كل مناهج الماديات حتى فى أدق جزئياته وتفاصيله.. وحضارة هذا نهجها لا يُنتظر منها الخير.. وهذا واقع ما تعيشه تلك الأمم اليوم فعلا.

● ومن هنا نخلص الى ان الثقافة ـ والثقافة نقصد إليها فى معناها الحقيقى الهادف الى التقويم الراشد الى الخير.. وفى عموميتها وشموليتها لمدارج معطيات الفطرة الانسانية ـ تكون بمثابة خطوط

الحضاري



الرسم البيانى الصاعد الى قمة الهرم الحضارى . . ومن هنـا يكون الحرص عليها وتنميتها . . ومن هنا ايضـا يكـون الـدفـاع المستميت عنهـا والذبّ عن حياضها حتى لا تدمر وتذهب ادراج الرياح . .

فان كان الانسان قيمة فى هذه الحياة فـ «قيمته» تتبلور فيما يحمل من ثقافة التى هى خلاصة منهجه فى الحياة تجاه نفسه وتجاه الكون والانسان . . تجاه نفسه فى وظيفتـه ومهمتـه . . وتجـاه الكـون فى استعـماره واستخـدامـه لخيره وخـير أمتـه والانسـانية . . وتجاه الانسان فى تحديد مدى وكيفية علاقته به . . فالانسان فى الفكر الاسلامى كان ولا يزال واقعاً ولم يكن تجريدا نظريا .

● لـم تكن الثقافة الاسلامية مستهدفة من قبل مثلما عليـه الحال الآن . . فقد تكتلت ضدها الحضارات الغـربية (شرقيها وغربيها) فى محاولة جادة ومستميتة لهدمها ووأدها أو على اقل تقدير تعتيم الرؤية حولها والتشكيـك فى صلاحيتهـا بحجـة عدم معـاصرتها وتحديثها . . وهذا ما عرفته مجتمعاتنا الآن بالاحتواء الثقافى والحضارى . . وفى كل مرة تمتد مساحة (حزام الاحتواء) هذا وفى المقابل يتسع الخرق فلا نقدر على رقعه .

ونلاحظ هذا الاحتواء فى السلوك وفى اللغة وحتى فى الـدين . . إذ يحاولون من طريق خفى مستور أو ظاهر مكشوف ادخال اعراف سلوكية تناقض الدين ولكن باستمرارية تعاملنا بها تصبح واقعا فنظنها بعد حين دينا .

● أدخـل الغـرب فى قامـوس تعـاملنا مصطلحات ومفاهيم أيقن بعضنا أنها الحضارة كل الحضارة ولا شىء سواهـا ومن لم يتعـاطـاهـا وينهـج نهجها فهو المتخلف الـرجعى المتقـوقـع . . فعـرفنـا من القـوم (اليمـين ـ اليسـار ـ الديمقراطية ـ الشيوعية ـ العلمانية ـ رجـال الـدين ـ الصـراع والثورة ـ الـرأسـمالية والاشتراكية) ولا يغيب عنا ان هذه المصطلحات وأمثالها ليست مجرد ألفاظ لغوية وانما هى

المصطلحات تكمن وراءها منظومة حضارية تختلف فى مقدماتها ونتائجها عن منظومتنا الحضارية ونمطنا الاجتماعى ولكى نواجه هذا الاحتواء حتى لا يستشرى فى دمائنا ينبغى لمؤسساتنا الاعلامية من مقروءة ومشاهدة ومسموعة أن يكون لها دورها الفعال فى مجالها . .

فالكتاب يخدم فى ميدانه بنصاعة فكره ووضوح بيانه . . والمجلة بمالها من انتشار يقوم عليها العبء الاكبر فى منهجية التوجه الثقافى لأبناء الأمة تأصيلا وترسيخاً لثوابت قامت عليها حضارتنا فى قديمها ممتدة بكل عنفوانها وعطائها فى جديدنا . . ملتمسين فى كل ذلك الجديد ذا الفائدة الذى يضيف ويثرى . . فالمد الثقافى فى ميادينه وساحاته قوام صرح حياتنا . . والمحافظة عليه هى المحافظة على الحياة من التحلل والذوبان فى حياة الآخرين وحين يحدث هذا ـ لا سمح الله ـ نفقد هويتنا ولا نعرف من نحن . . فلا نحن من أهل (الحضارة الوافدة) ولا نحن ننتمى لأصلنا . . بل نصبح ـ وبكل أسف ـ مسخة مشوهة وهذا مالا نرضاه ولا نتبعه . . فان كان (القوم) قد أخذوا منا فى سابقهم وبنوا مجدهم على انقاط سالفنا فلا أقل من ان ننفض الغبار عنا ونسترجع شموخنا ومكانتنا فى العالمين . . لا استرجاع سيرة وتاريخ بحكاية (كان) وانما باظهار واقع عرف طريقه للذاتية والشخصية الواضحة لا التبعية الماثلة .

وهذا (الواقع الجديد) المؤمّل المرجو تخدمه ـ كما أسلفنا ـ مؤسسات عدة إذا ما انتظم عقدها فى بوتقة المنهجية المدروسة والتى تكون حجر الزاوية فى إعادة تشكيل العقل العربى والمسلم . . واعادة التشكيل قد تأخذ حيزا كبيرا من الزمن لكنا على كل حال لا نضجر ولا نعجل فى أمرنا ما دمنا قد سلكنا الصحيح من الدروب الواصل إلى الهدف المنشود .

وفى هذا الاطار ـ اطار تأصيل ثقافتنا ومد جذورها فى العمق الحضارى لأمتنا ينبغى توحيد الجهود فى محيط أسرتنا الاسلامية والعربية . . وهذا يمثل الخطوة الأولى .

والشعوب التى تغزونا حضارتها الآن ما كانت لتصل الى هذه الدرجة من الهيمنة الحضارية والثقافية على الآخرين لولا تلك الجهود المتواصلة التى بذلها المتخصصون المخلصون وساندتها الدول والمنظمات والهيئات فوفرت لها من الامكانات والضمانات ما يدخل فى عداد الارقام الفلكية .

● وتوحيد الجهود ـ الذى نعنيه ـ يفيدنا فى وضع المنهج المتكامل لخط السير فى طريقه الصحيح والسوى وتوجيه طاقات العطاء نحو الهدف المنشود . . هذا على مستوى الوطن العربى والاسلامى الكبير . أما على مستوى الدول فرادى **(كروافد وحدات ثقافية وحضارية)** فعليها يقع جزء من العبء غير قليل فى اطار التوجه المشترك . . وهنا تمتزج الأنماط الثقافية كلها لتمثل خلية حية فى هذا التحرك المقنّن الممنهج بدلا من هذا التحرك الفردى . . وهذا وان كان له فوائده وعائده الثقافى لكنه فى احيان كثيرة يؤدى الى الخلط مما تكون له نتائجه العكسية من حيث لا ندرى .

● **ولعل الأندية الثقافية عندنا تمثل جزءا كبيرا من واجهة الثقافة وهذا بدوره يلف عليها ظلالا اكثر من المسؤولية والمسؤولية المشتركة فيما بينها .**

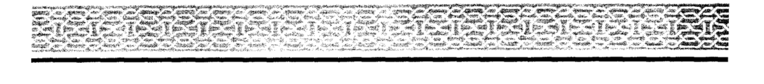
● **أما عن مؤسساتنا الصحفية فى شتى قطاعاتها فهى**

أصبحت الحاجة ملحّة لإنشاء وزارة للثقافة ترعى وتوحّد وترشّد جهود الهيئات الثقافية

شريحة دائبة الحركة فى هذا العطاء وهى الوسيلة الوسيطة والناقلة لناتج الحركة الثقافية وهو دور كبير يحتاج إلى ما هم أدرى به من وسائل تحسين الأداء . . ولعله يكون أدعى للإتقان ومضاعفة العطاء والأداء إذا ما انضووا تحت لواء هيئة تمثل خلية عمل تشدهم برباطها وتقرب ما بينهم من فكر وعطاء . . تباركها الدولة . . تخدم الهيئة اعمالهم وترعى شئونهم سعياً لتجويد الأداء وترسيخ مفاهيمه القائمة على ارساء قواعد العمل البناء . . وهنا تظهر الحاجة الملحة لانشاء (**وزارة للثقافة**) لترعى هذه الجهود المبذولة من الهيئات الثقافية فى إطار توحيد الجهود لاداء أفضل . . وكل هذا يقوم على وضع الخطوط العريضة للعمل المطلوب أما التفاصيل الدقيقة والجزئيات والوسائل المساعدة فهذه من إبداع الهيئات المعنية ذاتها .

● وضمن هذه الوحدة المتكاملة للعطاء يبرز دور مؤسسات النشر حيث يمتد أداؤها فى تخير المطبوعة الجيدة الهادفة لانها تقوم على طباعة ونشر ثقافتنا وتراثنا وهى من اهم مكونات العقل الانسانى وتتضاعف مسؤوليتها بناءاً على هذا الأداء . . وان كنا نلقى على كاهلها هذه المسؤوليات الضخام فلا نغمض الطرف عن كثير مما تعانيه هذه الدور لأداء دورها وهى متعددة الجوانب لانسجلها هنا وانما نشير لأهميتها والاسراع فى حلها . . وان كنا بسبيل اقتراح محدد فلا أقل من ان نسعى لايجاد تجمع للناشرين يضع الصيغة المعقولة والمناسبة لاداء دوره . . وحسبنا لزيادة التوضيح أن نشير إلى أن (**المنهل**) قد استقطب آراء عدد من الناشرين والمشتغلين بامر (الكتاب) بعامة فى استفتائه عن (العطاء الثقافى) والذى نُشر على صفحاته لاكثر من (ستة أشهر) ولعل بعض تلك الآراء تُشير الى ما أشرنا اليه هنا . . والدولة حاملة العبء الاكبر فان دورها فى توجيه الحركة الثقافية قد انتشر فى عدة اتجاهات منها الجوائز التقديرية كجائزة الدولة التقديرية للأدب وجمعية الثقافة والفنون ومجهودها المقدر فى محاولة انشاء مجمع لغوى، وانشاء المكتبات العامة وغيرها من أوجه العطاء الحضارى فى شتى مجالاته . . ونسجل هنا دعمها المستمر والدائم لمعطيات الثقافة فى بلادنا ومؤسساتها الصحفية . . وان كنا نرى بضرورة النظرة الموضوعية فى توجيه هذا الدعم لاجهزة حركة النشر بعامة والصحافة بصفة خاصة فهى الواجهة واللسان الناطق بمدخرات الامة العلمية والثقافية .

ولعل ما طرحناه هنا لا يشكل الا الخطوط العامة لهذه القضية الشائكة بصفة عامة . . وقضية الثقافة ومرتكزاتها كما هى شاغلنا وهاجسنا فهى الشغل الشاغل ايضا لكل المهتمين والعاملين فى ميادينها المتعددة . . وان كان تجديد طرحنا لهذا الموضوع قد تزامن ـ عفواً ـ مع مطلع هذا العام الجديد فانه يمثل فى خاطرنا بشارة خير نتوق الى تمثلها فى واقع حياتنا . . وهذا أملنا ورجاؤنا . . وبكل تباشير الأمل الحى الذى يعيش فى اعماقنا نستشرف مطلع هذا العام الهجرى المبارك جعله الله عام خير وبركة على الامة الاسلامية وعلى الانسانية جمعاء .



دستور التسامح

مبادئه النظرية

مما لاشك فيه أن ممارسة «التسامح» فى العلاقات الانسانية الخاصة والعامة أمر جميل وجليل، لكن هذه الممارسة تعترضها كثير من العقبات، ويعتريها كثير من التقلبات وليست من السهولة واليسر بالقدر الذى يتخيله رجل الأخلاق والاجتماع المثالى، إذ أن «التسامح» بمعناه الكامل وتطبيقه الشامل لا يسير فى نفس الاتجاه العادى لغرائز الإنسان إذا كانت تلك الغرائز بدائية لم تصقلها التربية ولم يعالجها التهذيب والتقويم وليصبح «التسامح» عملة يتعامل بها الناس فى حياتهم اليومية بسهولة ويسر لابد فيه من تربية سابقة، وتوجيه مبكر وإعداد نفسى وخلقى دقيق، وقبول جملة من المبادىء والمسلمات للانطلاق منها فى مختلف التصرفات ومراعاتها فى جميع العلاقات وبذلك يصبح «التسامح» جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان العادية نفسيا وعاطفيا وفكريا.

ونظرا لأهمية «التسامح» والآثار الطيبة التى تنشأ عنه وخطورة «التعصبة» والآثار البغيضة التى تترتب عليه فرديا وجماعيا فقد اهتم الإسلام بأمره اهتماما بالغاً ونصت تعاليمه على عدة مبادىء نظرية يقوم «التسامح» على أساسها وينطلق منها، كما نصت تعاليمه على جملة من الوسائل العملية، لممارسة التسامح فى الحياة اليومية. . ولعل من المفيد فى هذا الموضوع اطلاع القراء على الطريقة التى عالج بها الإسلام موضوع «التسامح» والتعريف بما قدمه من مبادىء نظرية واقترحه من وسائل عملية، ليصبح التسامح أمراً سائداً بين البشر بصورة عفوية وتلقائية.

أما المبادىء النظرية العامة التى ينطلق منها «التسامح» حسبما حددته التعاليم الإسلامية فهى ستة مبادىء.

المبدأ الأول:

تعريف الإنسان بوحدة النوع الإنسانى وأن اختلاف البشر فى ألوانهم ولغاتهم لا دخل له فى إعلاء مكانة أى فرد أو تحقير آخر، ولا فى تقدم أى شعب أو انحطاط آخر وأنه ليس دليلا على اختلاف الإنسان فى طبيعته، وإنما هو مظهر من مظاهر قدرة الله

...مح فى الاسلام

...وسائله العملية

وعظمته، وذلك ما تنطق عليه الآية الثانية والعشرون فى السورة الثلاثين (سورة الروم) من القرآن الكريم: ﴿ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم وألوانكم، ان فى ذلك لآيات للعالمين﴾.

والتسليم بهذا المبدأ الأول يؤدى إلى رفض كل تمييز عنصرى أو لغوى.

المبدأ الثانى:

تعريف الانسان بأن اختلاف البشر فى معتقداتهم أمر طبيعى فى حياة الانسان لا سبيل لتفاديه فقد شاء قضاء الله وقدره أن يخلق الانسان حرا مختارا على خلاف بقية الأحياء ولم يخلقه بهيمة عجماء، ولا آلة صماء ولذلك كان له رأيه الخاص وإرادته الخاصة بحيث يتصرف بهما كيف يشاء وقد نطق القرآن الكريم بالقول الفصل فى هذه القضية واعتبرها قضية منتهية حيث قال فى الآية التاسعة والتسعين من السورة العاشرة (سورة يونس): ﴿**ولو شاء ربُّك لآمنَ مَنْ فى الأرض كلُّهم جميعا**﴾ كما قال فى الآية الثامنة عشرة بعد المائة من السورة الحادية عشرة (سورة هود): ﴿**ولو شاء ربُّك لجعلَ الناسَ أمةً واحدة، ولا يزالونَ مختلفينَ إلا مَنْ رَحِمَ ربُّك ولذلك خلقهم**﴾، والتسليم بهذا المبدأ الثانى يؤدى إلى استحالة جمع الناس أجمعين، حول عقيدة



المبدأ الثالث:

تعريف الانسان بأن كل محاولة من طرفه للقضاء على الاختلافات الدينية بوسائله الخاصة محاولة فاشلة وأن كل جهد ووقت يصرفه فى هذا



السبيل جهد ضائع ووقت ضائع فقد شاء قضاء الله وقدره أن يستمر الاختلاف فى الآراء والمعتقدات إلى نهاية المطاف، مصداقا للآية السابقة ﴿ولا يزالون مختلفين﴾، وقد تعهد خالق الخلق وحده بالفصل بينهم فى اختلافاتهم عندما يقفون بين يديه «يوم الفصل» «ويوم الحساب»، وذلك ما تنطق عليه الآية الرابعة والعشرون بعد المائة من السورة السادسة عشرة فى القرآن الكريم (سورة النحل) حيث تقول: ﴿وإنَّ ربَّكَ ليحكم بينهم يومَ القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ والتسليم بهذا المبدأ الثالث يؤدى إلى تفادى الدخول فى الصراعات الدينية، لأنها لا جدوى من ورائها.

المبدأ الرابع:

تعريف الانسان بأن الإيمان بأى دين لا يكون إيمانا حقيقيا وصحيحا إلا إذا كان صادرا عن اقتناع تام، ولا دخل فيه لأى ضغط أو إكراه بحيث إذا اكره أحد على اعتناق دين ثم أراد العودة إلى دينه الأول كان مسموحا له بالعودة إليه دون مؤاخذة ولا عقاب، ولتقرير هذا المبدأ بشكل قاطع لا رجعة فيه جاءت الآية السادسة والخمسون بعد المئتين الواردة فى السورة الثانية من القرآن الكريم (سورة البقرة): ﴿لا إكراه فى الدينِ قد تبيَّنَ الرُّشدُ من الغَيِّ﴾، والآية التاسعة والتسعون الواردة فى السورة العاشرة (سورة يونس) التى تقول: ﴿أفأنتَ تُكره الناسَ حتى يكونوا مؤمنين﴾ والآية السادسة والخمسون من السورة الثامنة والعشرين (سورة القصص) التى تقول: ﴿إنك لا تهدى مَنْ أحببت ولكنَّ الله يهدى مَن يشاء﴾ والتسليم بهذا المبدأ الرابع يؤدى إلى الترفع عن إجبار الآخرين على الدخول فى دين غير دينهم ويمهد الطريق لاحترام إرادة الآخرين وقبول التعايش معهم على ما هم عليه.

المبدأ الخامس:

تعريف الإنسان بأن البشر وإن اختلفت معتقداتهم وأديانهم واختلفت ألسنتهم وألوانهم، وتعددت قبائلهم وشعوبهم فهم يكونون فى طبيعتهم نوعا واحدا وينتمون فى نشأتهم إلى أصل واحد، ويطمحون بفطرتهم إلى تحقيق هدف واحد وهذه الوحدة الأصلية والفطرية الجامعة بينهم يجب أن تكون أقوى عامل فى تعارفهم وتعاونهم وأهم عامل فى توحيد جهودهم للنهوض بأعباء المصالح العليا للبشرية التى تتطلع إل يها الانسانية جمعاء. وبديهى أن هذا العمل الوحدوى لا يتعارض مع بقاء الحرية لكل أمة فى اعتقاد ما تريده من المعتقدات، بل انه سيكون من أقوى العوامل للتقريب والتفاهم بين مختلف الأمم، وقد لفت القرآن الكريم أنظار كافة البشر إلى هذا المبدأ عندما قال فى الآية الثالثة عشرة من السورة التاسعة والأربعين (سورة الحجرات):

﴿يا أيها الناسُ إنَّا خلقناكُمْ من ذكر وأنثى وجعلناكُم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إنَّ أكرمَكُم عندَ الله أتقاكُمْ، إنَّ الله عليم خبير﴾، *والتسليم بهذا المبدأ الخامس يوجه الإنسان إلى أن يأخذ بعين الاعتبار قبل كل شىء ما يجمع بينه وبين أخيه الإنسان بدلا من أن ينطوى على نفسه ويعتزل الآخرين بحجة الفوارق التى توجد بينه وبينهم، فيحجم عن التعاون معهم.*

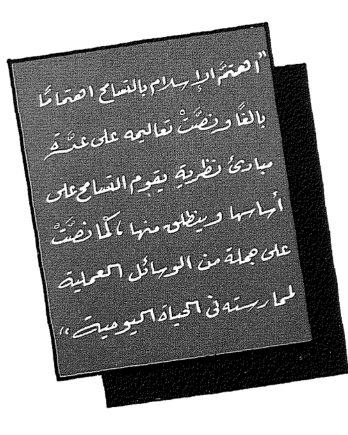
المبدأ السادس:

تعريف الإنسان بأن التعاون المثمر بين البشر على تحقيق الأهداف الكبرى للانسانية لا يمكن ضمانه واستمراره بفاعلية ونجاح إلا فى جو من الأمن والسلام المتبادل ولا يزدهر الازدهار الكامل إلا عندما تكون العلاقات الإنسانية مطبوعة بطابع المودة والبرور والتقدير، فعن الشق الأول وهو السلام المتبادل جاءت الآية الواحدة والستون من السورة الثامنة فى القرآن الكريم (سورة الأنفال) التى تقول:

﴿وإنْ جَنَحُوا للسلم فاجْنَحْ لها وتوكلْ على الله إنه هو السميعُ العليم﴾، وعن الشق الثانى وهو التقدير المتبادل جاءت الآية الثامنة من السورة الستين (سورة الممتحنة) التى تقول: ***﴿لا ينهاكُمُ الله عن الـذينَ لم يقاتلوكم فى الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبُّ المقسطين﴾*** ويلاحظ أن هذه الآية لم تكتف «بالعدل» الذى هو حق للجميع بل أضافت إليه الإحسان و«البر» الذى هو قدر زائد على العدل..

والتسليم بهذا المبدأ السادس يؤدى إلى إعداد المناخ السليم الذى يشجع على التعاون مع الآخرين فى جو من الثقة المتبادلة والطمأنينة والانسجام من أجل خدمة الصالح العام.

هذه هى المبادىء الأساسية التى يؤدى تلقينها للناس وتسليمهم بها إلى الاستعداد التام لممارسة «التسامح» فى جميع مجالات الحياة دون تكلف أو مشقة، وبصورة مستمرة لا انقطاع فيها باعتباره واجبا دينيا وخلقيا لا يتم الإيمان إلا به.



وأما الوسائل العملية التى شرعها الإسلام لنشر «التسامح» بين الناس على أوسع نطاق، وتعميق جذوره فى النفوس وطبع الحياة اليومية بطابعه السمح الجميل فهى وسائل متعددة ومتنوعة.

● *منها السماح للمسلمين بمجاورة غيرهم فى السكن.. ومجالستهم فى المجامع ومؤاكلتهم واستضافتهم فى المآدب.. وزيارتهم فى حال الصحة وعيادتهم عند المرض.. ومشاطرتهم فى أفراحهم ومواساتهم فى اتراحهم، وفى شأن مؤاكلتهم واستضافتهم وردت الآية الخامسة فى السورة الخامسة*

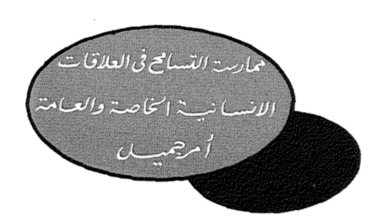
(سـورة المائـدة) التى تقـول: ﴿**اليوم أحِل لكم الطيبـات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلٌّ لهم**﴾ بينما أكدت السنة النبوية وسيرة السلف الصالح بقية الأحوال.

● ومنها السماح للمسلمين بمصاهرة غيرهم والزواج من «الكتـابيـات» دون أن يكـون دينهم عائقـا عن الزواج بهن بحيث لا يعارض الإسلام فى أن يكون الزوج مسلما وزوجته غير مسلمة ما دام كل منهما يحترم دين الآخـر ولا يحول دون ممارسته ولا يستغرب أن تكون الأم غير مسلمة وأولادها مسلمين، وفى شأن السـماح لهذا الـزواج المختلط القـائم على أسـاس «التسـامـح» وعـدم «التعصب» جاءت بقيـة الآيـة الخامسـة من نفس السورة الخامسة (سورة المائدة) التى تقـول: ﴿**والمُحصنـات من الـذين أوتـوا الكتـاب من قبلكم إذا آتيتمـوهن أجـورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان**﴾.

● ومنها السماح للمسلمين بتخصيص وصية تنفذ بعد موتهم لأقاربهم غير المسلمين: كما إذا كانت الزوجة «كتابية» لا ترث زوجها أو كانت الأم «كتابية» لا ترث أولادهـا فيـوصى لها زوجها المسلم أو ولدها المسلم بوصية خاصة وهذه إحدى الحالات التى تطبق عليها الآيـة الثمـانـون بعـد المائة الواردة فى السورة الثانية (سـورة البقـرة) التى تقـول: ﴿**الوصيةُ للوالدين والأقـربينَ بالمعروفِ، حقاً على المتقين**﴾ وهى تصدق على جميع الأقارب الذين ليسوا بورثة إذ (لا وصية لوارث).

● ومنهـا السـماح للمسلمـين بتخصيص قسط من زكواتهم للانفاق على الفقراء من غير المسلمين، نظير الانفـاق على فقـراء المسلمين أنفسهم والسماح لهم بإدراج «المؤلفة قلوبهم» ضمن مصارف الزكاة والمراد هنا من يتعاطفون مع الإسلام أو يدافعون عن حقوق المسلمين، وإلى ذلك تشير الآية الستون، الواردة فى السـورة التـاسعة (سورة التوبة) التى تقول: ﴿**إنما الصـدقـاتُ للفقراء والمساكين والعاملينَ عليها والمؤلفة قلوبُهُم**﴾ إلى آخر الآية.

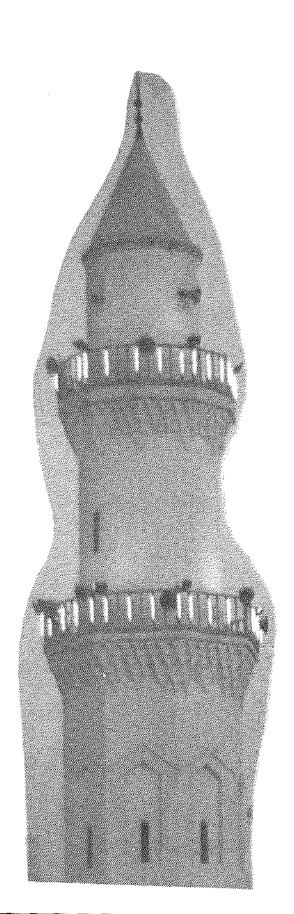
● ومنها السماح للمسلمين بالمتاجرة مع غيرهم فى كل ما يبيح الإسلام التجارة فيه.. لا فرق فى ذلك بين التجـارة الداخلية والتجارة الخارجية. وقد استمرت العلاقات التجارية قائمة بين العالم الاسلامى والعالم المسيحى دون انقطـاع طيلة القـرون الـوسطى.. فنفعت المسلمـين واليهـود والنصـارى على السـواء داخل «دار الاسلام» وخارجها ولم يكن للاختلاف فى الدين أى أثر سلبى على تلك العلاقات إذ أنها كانت قائمة على أساس المنفعة المتبادلة للجميع وفى صالح الجميع طبقا للآية العشرين من السورة السابعة عشرة (سـورة الإسراء) التى تقول: ﴿**كُلّا نمدُّ، هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّكَ وما كان عطاء ربِّكَ محظورا**﴾.



● ومنها إلزام المسلمين بحسن معاملة غيرهم فى الأقوال والأفعال والوفاء بالعقود والعهود واعتبار غيرهم على قدم المساواة معهم فى الحقوق والواجبات فالحق حق بالنسبة للمسلم وغيره والواجب واجب بالنسبة للمسلم وغيره وكل اعتداء يحرم ارتكابه بالنسبة للمسلم يحرم ارتكابه بالنسبة لغيره ويعاقب عليه المعتدى ولو كان مسلما . . وسند المسلمين ى التمسك بالحق والتزام العدل مع غيرهم والإحسان فى معاملتهم القاعدة الشرعية المسلمة التى تقول : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) .

هذه جملة من الوسائل العملية التى يطبق الاسلام عن طريقها مبدأ «التسامح» فى عدة مجالات حيوية وما من واحدة منها الا وهى اختبار يومى تنعكس آثاره الحميدة على الفرد والمجتمع وجهاد متواصل ضد «التعصب» و«الحقد» و«البغضاء» وتربية مستمرة من الشخص لنفسه بنفسه كل مطلع شمس ، سعيا فى أن يرتفع إلى مستوى «الانسان المهذب النبيل» الذى يؤمن «بالتسامح» حق الايمان ويبث روح الوئام والوفاق بين الجميع . . حب فى خير الجميع .

وبانضمام هذه الوسائل العملية إلى المبادىء النظرية التى نادى بها الاسلام يكون الاسلام قد ساهم مساهمة ثمينة فى إرساء «التسامح» بين الأفراد والجماعات على قواعد متينة منذ عهد قديم وقدم للمجتمع البشرى فى هذا المجال صيغة متكاملة ومتوازنة يمكن أن يهتدى بها الباحثون ويستنير بها المفكرون فيقتبسون منها ما يرونه جديرا بالاقتباس ويضيفون إليها ما يرونه مكملا لها وتوسعا فيها وبالله التوفيق .



هل تعتقد ياشيخنا عارف أن أمتنا الآن على حافة الهاوية واننا نحتاج الى اقامة جسر سريع لنمر عليه الى الشاطىء الآخر؟ .

وسكت الشيخ عارف قليلا وتأمل فى السماء كعادته ثم ابتدر صاحبه عالم قائلا:

- وماذا يفيد اعتقادى يا صاحبى . . ان كل الآمال الحلوة تتبخر ما دامت أفكارا غير مرغوب فى تنفيذها.

- ولماذا لا يطبق المسئولون فى أمتنا ما يصل العلماء والمفكرون اليه من توصيات ونتائج . . أليسوا هم أهل الحل والعقد وأنهم أفقه الناس فى حل قضايا الأمة ومشكلاتها . . ؟

- إن ما نقوله يا صاحبى هو الحق . . لكن أتعتقد أن العقول الرشيدة هى التى تُسَيِّر دفة الأمور فى هذا العصر المادى، أم أن السعى وراء المنافع الذاتية والمصالح الشخصية وطلب الجاه والمال والسلطان هو الذى يحرك أفئدة الناس . .

- نعم. أكاد أجزم يا شيخنا أن الشهوات والأهواء هى التى تحرك المجتمعات وليس للحق نصيب فى السلوك العام.

- وهكذا أصبح من الصعب رؤية الشاطىء يا صاحبى فالضباب كثيف . . والمجداف مكسور . وسفينة الأمة قد خرقها بعض ركابها ليغرق أهلها.

- تقصد ما يحدث بين الاشقّاء من تقاتل وسعى وراء المناصب، وما ينتج عن ذلك من ذبح الأبرياء، وبقر بطون االنساء، ومهاجمة العزل من الشيوخ والاطفال، وبث الألغام وتفجيرها فى بعض البلدان.

- لقد حدث ذلك فى لبنان ويحدث بين الأخوة المسلمين، فيتركون قضيتهم الكبرى ويتحاربون من أجل لاشىء . . فيفنى بعضهم بعضا . . وهذا ما يفرح العدو فرحا شديدا . فقد تخلص من عدوه بدون مجهود أو تعب وبدون أن يفقد من جنده نقطة دم ودون أن يفقد قطعة سلاح . . أليس ذلك صحيحا يا صاحبى . .

- نعم يا شيخنا لقد ترك عدونا الاسرائيلى المعركة بين الفلسطينيين دائرة لتشغل الرأى العام وتوهمه أن العرب قوم فرقة وتخلف وأوقدت بجوار هذه النار نارا ليسهل انتشارها ثم اخيرا دفعت بالبقية الباقية من حطام المقاتلين فيها وراء البحار.

- لو وعينا دروس الماضى القريب والبعيد . . لأدركنا كيف يوقعنا الاستعمار المرة بعد الأخرى فى حروب جانبية تشغلنا عن هدفنا الاسمى وتحول بيننا وبين الوصول الى غايتنا النبيلة . . لكننا لا نتعلم أبدا من الدروس المستفادة والخبرات السابقة . .

- لماذا يا شيخنا لا يتعلم أبناء الأمة من الدروس المستفادة من الماضى القريب والبعيد؟ .

- يرجع السبب يا صاحبى الى ازدواجية

جسر الى الشا



المثقف العربى أو بمعنى أكثر تحديدا الى الفصام الفكرى الذى أصيب به المثقف العربى . .

ـ كيف يكون مثقفا ولا يدرك الفرق بين الحق والباطل والصحة والخطأ اليس ذلك عجيبا؟ . .

ـ إن الثقافة الغربية لها منهجها ومقوماتها ومفاهيمها فى الحياة وعندما تستقطب الثقافة الغربية دارسا عربيا فانها غالبا ما تجعله يقارن بين الحضارة الغربية المادية وبين الواقع الذى ترزخ تحته الأمة العربية . . والثقافة الغربية تبين له بطريق مباشر أو غير مباشر ان سبب الواقع السيىء فى الأمة العربية ـ فى زعمهم ـ نتيجة للتمسك بالدين، وتعطى له أمثلة عن قلة من الأدعياء المتجمدين، وبذلك تجعل المثقف ثقافة غربية، ينحاز ضد المتدينين وبالتالى ضد الشريعة بدون أن يفرق بين هؤلاء المستغربين وبين الدين القيم وبعض الذين ينتسبون اليه ظلما.

ـ أعتقد الآن أنها حرب صليبية جديدة رأس حربتها الصهيونية العالمية وجسمها الدول الاستعمارية . . اليس ذلك صحيحا يا شيخنا . . ؟

ـ اذا نظرت يا صاحبى الى الشرق الأوسط تعلم أن مشاكله تزداد استفحالا وتتراكم على الأمة القضايا التى لا حل لها، وذلك بسبب الدول الكبرى التى تستفيد حاليا من هذا الوضع . . فالشرق الأوسط أفضل مكان لاقامة مباراة نهائية بين الأسلحة الغربية والسوفيتية . . وأفضل مكان ايضا لتدريب الجيوش، وبالاضافة الى ذلك كسر شوكة الأمة وهو الهدف البعيد.

وما الحل يا شيخنا وحال الأمة على هذا النحو؟ .

ـ اقامة جسور أمان بين الدول العربية وربط هذه الجسور بعضها ببعض . . بحيث تتماسك شعوب وحكومات الأمة فلا يستطيع العدو أن ينفث سمومه الى أى دولة من الدول.

ـ كيف نبدأ يا شيخنا؟

ـ ليس من المهم أن نبدأ باقامة كل الجسور مرة واحدة وانما نبدأ بجسر ثم يليه جسر ثم يليه جسر وهكذا حتى تكتمل الجسور الى شواطىء الأمة.

ـ من أين نبدأ الآن؟ .

ـ نبدأ بجسر الى الشاطىء الآخر . .

اطئ الآخر

واجب ... للنهوض با...



يجتاز المسلمون فى عصرهم الحاضر فترة تاريخية دقيقة تتطلب من قادتهم ومفكريهم كثيرا من محاسبة النفس والتفكير حتى يدركوا عن وعى وتبصر أحوالهم الحقيقية وما عليه مجتمعهم من الضعف والانقسام والانحراف والابتعاد عن جادة الصواب وحتى يتعرفوا الى مسؤولياتهم التاريخية أمام الله والعباد.

لقد أصبح المسلمون يعيشون فى مناخ فكرى مزيف بعيد كل البعد عن حقيقة الاسلام، مصادم كل المصادمة للتعاليم التى اتى بها محمد عليه السلام، والتى وضعت اسسها فى دستور المسلمين الصحيح: القرآن الكريم.. فالحياة التى يحياها المسلمون اليوم تختلف كل الاختلاف عن الحياة التى قدمتها التعاليم الاسلامية والتى نزل بها القرآن الكريم ووضحتها سنة الرسول عليه السلام.

لقد امتدت رقعة البلاد الاسلامية فأصبحت رقعة فسيحة متماسكة تقع فى ملتقى القارات الثلاث: آسيا وافريقيا وأوروبا، وفيها من الامكانيات والثروات مالا يوجد له نظير الا فى البلدان القليلة.

ولقد تزايد عدد المسلمين فأصبحوا يمثلون نحوا من ربع سكان المعمور، ولكن هذا الامتداد فى الرقعة، وهذا التزايد فى السكان، وهذه الثروات المتكاثرة، كل ذلك لم يفد الامة الاسلامية فى شىء.

لقد تواطأت قوى البغى والعدوان ضد المسلمين وضد ديار الاسلام، فاحتقر المسلمون فى صلب ديارهم، واصبحوا مضطهدين بين شعوب العالم الذى يسمى نفسه بالعالم المتمدن.

وهم مع ذلك وبالرغم عن ذلك لا زالوا يتيهون فى متاهات منحرفة، لم يهتدوا بعد للطريق الصحيح الذى يرجع لهم كرامتهم، ولم يسيروا فى النهج الذى من شأنه ان ينقذهم ويعيد لهم مكانتهم.

لقد مرت على المسلمين فترة ركود وجمود تعرضوا فيها للغزو الاوروبى والمد الاستعمارى اللذين عملا





عملها فى تغيير المعالم الاسلامية، وتحريف المفاهيم المحمدية، وطمس الروح النضالية فى المسلمين.

ولئن قامت بعض الحركات الاسلامية تنشد الاصلاح، واستبسل زمرة من المصلحين المناضلين ليفيق الشعب الاسلامى من غفوته ويرمى عنه داء كسله ويسير فى طريق التحرر والانعتاق يؤدى الرسالة التى طوق بأدائها ويعمل على استعادة امجاد الاسلام وقيمه المثلى وتعاليمه الالهية، فان الاغلبية الساحقة من المسلمين بقيت تتيه فى طرق منحرفة تصطدم كل الاصطدام مع حقائق الاسلام وتبتعد كل الابتعاد عن النظرة التى ينظر بها الاسلام الى الحياة وما تتطلبه المجتمعات الانسانية من اصلاح.

لقد انبهرت اكثرية مثقفى المسلمين الآخذة بزمام الامور فى البلاد الاسلامية انبهرت بثقافة الغرب وحياة الغرب وتقاليد الغرب فسارت فى حياتها تساير حياة الغربيين، وأرادت أن تكيف المجتمع الاسلامى طبق التقاليد الغربية جاهلة أو متجاهلة ان نظرة الاسلام الى الكون والحياة تختلف كل الاختلاف عن نظرات الغربيين، وأن لثقافة الاسلام من الخصائص ما تتميز به عن مختلف الثقافات.

ومن أجل ذلك فان تطور المجتمع الاسلامي على أسس غربية محضة ليس من شأنه ان يصون الشخصية الاسلامية ولا أن يحفظ للمسلمين ثقافتهم التى تعتبر الثقافة الغربية فى عمقها، مصادمة لها، محطمة لأسسها وخطرا على وجودها.



ان اتجاه كثير من مثقفى البلاد الاسلامية يعطى الدليل على صدق ما نقول، فلقد تكونت جماعات هنا وهناك تشربت بأفكار غربية مادية صرفة ولما اتيح لها اخذ زمام الامور بيدها حاولت تطوير بناء كيان أمتها على تلك الاسس، مستميتة فى النضال على الافكار التى تمذهبت بها باذلة أقصى ما

تستطيع لاقرارها، الأمر الذى ادى الى تصدع فى البنيان الاسلامى ونشأت عنه هزات ارتج لها المسلمون فى كل انحاء المعمور.

لقد رأت تلك الجماعات ما وصل اليه المجتمع الاسلامى من انحدار فى الاخلاق، وتخبط فى الجهل، وتخلف فى الاقتصاد، وانحراف فى الحكم، فأرادت أن تغير اوضاع بلادها ناشدة فيها تدعى القفز بها من سيىء الى حسن، ومن تخلف الى تقدم، ومن فقر الى غنى، ولكنها غفلت عن الطريق الصحيح الذى عليها ان تسلكه، والشروط الضرورية التى تضمن تحقيق الاهداف.

ان المتتبع لاحوال المسلمين والدارس لتطورات المجتمع الاسلامى يلاحظ تحولا خطيرا يعم جيله الصاعد، فلقد اصبح هذا الجيل يبتعد شيئا فشيئا عن الاهتمامات الدينية، بل أصبح ينظر الى الدين وكأنه خاصة لا يجب الاهتمام لها ولا التشبث بها كما يلاحظ ان كثيرا من المسؤولين فى الحكومات الاسلامية لا يعطون الاهمية الكبيرة للمفاهيم والمقاييس التى اتى بها الاسلام والتى يجب أن تكون متحكمة فى جميع قضايا المسلمين.

ومن جهة اخرى لقد اصبحنا نلاحظ ان تلك الروابط الدينية التى ربطت المسلمين فى شتى العصور والازمان والتى تجعل المسلم فى اقصى المشرق يتألم لما يصيب أخاه فى اقصى المغرب: صار كثير من المسؤولين يتجاهلونها ان لم نقل يعملون على قطعها والقضاء عليها وان الاحداث التى حدثت خلال هذه العقود الاخيرة من السنين والتى تعرض فيها المسلمون لكثير من المكروه فى كل من كشمير والهند وقبرص وارتيريا والحبشة والفلبين وغيرها من الاقطار، لم يعطها المسؤولون فى أغلبية البلاد الاسلامية ما تستحقه من عناية واهتمام، وكأنها أحداث بعيدة عنهم، وكأن اولئك الذين يقاسون جميع أنواع البلاء لا تربطنا بهم روابط الاخوة والدين زيادة على الروابط الانسانية المحضة.

وهكذا ابتعد المسؤولون فى البلاد الاسلامية عن تحقيق ما أراد الاسلام أن يحققه من وجود أمة اسلامية متعاونة قوية، وهكذا هجروا ما دعاهم اليه رسولهم حينما قال: «**مَثَلُ المؤمنينَ فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمَثَلِ الجسد الواحد اذا اشتكى منه عُضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى**» وهكذا أفهمنا الاجانب عنا أن قضايا المسلمين لا تثير من اهتماماتنا الا الشيء القليل، فتشجع المعتدون والباغون على المضى فى عتوهم والاستمرار فى ظلمهم واعتدائهم على اخواننا المنكوبين فأبطلنا مفهوم الأخوة التى اتى بها الاسلام، وفصمنا العُرَى الوثيقة التى ربطنا بها الاسلام.

ان المجتمع الاسلامى بالاضافة الى انحرافه عن الطريق الاقوم والسبيل التى دعا اليها وسار عليها المسلمون الاولون يعانى محنتين أساسيتين: فمن جهة هو يعانى نتائج جمود فكرى وتخلف اقتصادى وثقافى عاشه عشرات ان لم نقل مئات الاعوام.. وهو من جهة ثانية يعانى من رواسب فكرية ثقافية وسيطرة اقتصادية ترك سمومها الاستعمار الذى كان يسيطر عليه.

وان التحرر من تلك الرواسب والتخلص من ذلك التخلف يتطلبان مجهودا جبارا من مخلصى هذه الامة المتحملين امانة الرسالة، الذين طوقهم الله بمهام يريد منهم ان يؤدوها احسن اداء حتى يبيضوا وجوههم يوم تُجزى كل نفس بما كسبت ويسأل الجميع عما قدمت يداه.

لقد ألف بعض قادة المسلمين ومفكريهم أن يعقدوا اجتماعات يدرسون فيها الاوضاع التى أصبحت تتردى فيها البلاد الاسلامية والاخطار الآتية التى أصبحت تهدد مصير الاسلام فى ديار المسلمين كما يتدارسون ما يعانيه المسلمون فى بعض الاقطار القريبة والنائية ويصدرون قرارات تعبر بصدق عما يختلج بين جوانحهم من ألم لما أصاب الاسلام وما حل بالمسلمين من اذى ومكروه، ولكن ألمهم واحتجاجاتهم لايقدم ولا يؤخر شيئا فى واقع الاحوال. فما رأينا والاجتماعات تعقد منذ سنوات وسنوات نتائج ايجابية لقراراتهم . . وما رأينا خصوم الاسلام تأثروا لتلك القرارات أو تخوفوا منها بل ما زادتهم الا عنادا فى عتوهم ومكرهم وحنقهم على المسلمين الذين يبذلون جهدهم وفوق ما يستطيعون للكيد لهم والقضاء على وجودهم.

كما أن المسؤولين لا زالوا لم يقوموا بأعمال ايجابية عملية تحررهم من تخلفهم الاقتصادى والثقافى والعلمى وتعطيهم المركز الذى لا بد لهم ان يتبوأوه. ان المخلصين للفكر الاسلامى المهتمين بالقضية الاسلامية الكبرى يلاحظون ان المجتمع الاسلامى والعقيدة الاسلامية معرضان لهزات ربما تكون أشد عنفا من سابقاتها، فالانظار الخبيثة متجهة الى المسلمين والاجيال الجديدة من ابنائنا معرضة للتضليل والتخريب المنظمين، وديار المسلمين معرضة للغزو والسيطرة والاستيلاء، والمسلمون فى كثير من البلاد يعانون الشدائد والمحن والتصفية، والمجتمع الاسلامى سائر فى انحلال وانخذال وابتعاد عن الدين.

ان عجلة التاريخ تسير وان المسلمين لابد لهم من القيام بأداء رسالتهم فى الحياة، فما كان الاسلام مطلقاً عرقلة فى طريق التقدم والنهوض وما قدر الله على المسلمين ان يبقوا دائما فى مؤخرة القافلة.

نظرة الاسلام الى الكون والحياة تختلف كل الاختلاف عن نظرات الغربيين، ولثقافة الاسلام من الخصائص ما نتميز به عن مختلف الثقافات.

لقد مرت أمم كثيرة فى الادوار التى مررنا بها وقاست من المحن وانواع التخلف اضعاف ما قاسيناه ولكن ذلك لم يمنعها عندما وطدت العزم على اللحاق بالامم المتقدمة أن تصل الى مبتغاها وتحقق مرادها فدولتا اليابان والصين لم يمر عليهما سنوات طويلة عندما كانا يتخبطان فيما نتخبط فيه ويعانيان أكثر مما نعانى : ولكن صدق العزيمة وقوة الارادة والتغلب على الصعوبات، كل ذلك جعلهما يحتلان مكانة أصبحت الان محط الانظار.

إننا نعتز بأن ديننا الاسلامى يمدنا بقوة ايمانية جبارة ويبعث فى نفوسنا آمالا جساما لنستعيد العزة والكرامة ونسير فى طريق المجد والخلود اذا نحن سرنا فى طريق البناء والانشاء وصممنا على التحرر من التخلف وعزمنا العزم الاكيد على الرجوع الى الصراط المستقيم.

ولكن النجاح يتطلب شروطا أهمها: التصميم على العمل، والبناء على أساس العقيدة، والقضاء على الخلافات، ووضع الاسس الصحيحة للبناء.

لم يكن الاسلام فى يوم من الايام يعتمد على الاقوال، وانما هو دين عملى يريد منا ان نأتى البيوت من أبوابها، ونتبع السنن التى سنها الله للعباد فنحسن النية ونتعرف الى الاهداف، ونضع التخطيط، وندخل فى مرحلة البناء.

يواجه المسلمون عدة مشاكل فى هذا العصر ومن اللازم دراسة هذه المشاكل والاجابة عنها بلغة العلم والعصر الحديث حتى يستطيع المسلمون وفى طليعتهم الشباب المسلم أن يقاوموا هذه الحملات المسعورة الموجهة ضد الأديان عموما وضد الدين الاسلامى على الخصوص وأؤكد ان الاجابة يجب ان تكون باللغة والطريقة والاسلوب المعمول به فى العصر الجديد والذى يعتمد المصطلحات العصرية عقلية وعلمية التى يعتمدها المهاجمون والمعترضون، وهكذا يكون فى امكاننا ان نواجه الادعاء بالحجة والالحاد بصدق اليقين.

ان جميع المسلمين يحنون الى نهضة اسلامية قويمة وبعث اسلامى جديد، ويتمنون من أعماقهم أن يأتى ذلك اليوم الذى تستجيب فيه البشرية لداعى السماء فتحيا قلوبها وتنتعش ارواحها وتتهذب عقولها وتسير فى منهج الاسلام السليم وطريقه المستقيم.

ولكن الأمانى شىء والعمل على تحقيقها شىء آخر فما تحققت دعوة بمجرد الامانى وما نجح دعاة دون ان يشمروا عن سواعد الجد للعمل البناء ذى المعالم الواضحة. والاساس السليم.

إنَّ أمتنا الاسلامية لا تفقد والحمد لله بعض الجهابذة الذين فى استطاعتهم اذا ما تهيأت لهم الاسباب ان يتعمقوا فى دراسة العلل التى اصابت الكيان الاسلامى والامراض التى نخرت مجتمعه ويقدمون للامة الاسلامية برنامجا واضحا من شأنه اذا ما طبق وضمنت له الشروط اللازمة أن يحيى الامل ويوقد الجذوة ويبعث فى كيان المسلمين دوافع الحيوية والنشاط والاهتداء.

لقد ألف بعض المهتمين بقضايا تطور الشعوب أن يركزوا على التحرر من حالة التخلف بجميع انواعه: الاقتصادى والثقافى والعلمى والفنى ونحن معهم فى هذا التركيز فنرى أن الشعوب الاسلامية لا يمكنها ان تقوم بدورها الحضارى فى المستقبل ولا ان تفرض وجودها كشعوب حرة، مسموعة كلمتها، محترم جانبها، الا اذا سارت فى طريق التصنيع والسيطرة على منابع ثرواتها الطبيعية والا اذا نمت وطورت موارد ثرواتها الزراعية واذا تحررت من سيطرة الدول الكبرى على موارد ثرواتها، فاستغلت ثرواتها لنفسها وبنفسها واستفادت من هذه الثروات لتطوير شعوبها، كما اننا نرى ان الامم والشعوب الاسلامية لابد لها من تنظيم عمل مشترك فيما بينها ووضع خطة منسجمة تمحو الفوارق الثقافية التى نتجت عن سيطرة استعمارية ذهبت الى غير رجعة، والعمل على بعث ثقافة اسلامية موحدة تزيد فى ربط الشعوب الاسلامية بعضها بعضا، وتقوى التعاون فيما بينها وتجعلها تعيش حياة الوحدة الاسلامية المنشودة.

ولكن ذلك لا يمنعنا من الاهتمام كذلك بجوانب اخرى فى حياتنا قد تكون داخلة فى بعض الفروع السابقة ولكننا نريد ان نعطى لها مكانة كبرى واهمية قوية.

ان اللَّبنة الاولى فى الاصلاح هى العمل على ايجاد جيل جديد يتربى تربية اسلامية صحيحة ويتعمق فى ادراك حقيقة الاسلام، جيل يكون على اساس اعداده لرسالة سامية فى الحياة هى رسالة الاسلام الخالدة، ويكون مسلحا بجميع انواع المعرفة حتى يستطيع ان يصارع جميع الافكار ويخوض جميع المعارك التى تتطلبها نصرة العقيدة فى عصر اتسم بطابع الالحاد.

وهذا الجيل العقائدى الذى سينشأ تنشئة خاصة ويوضع لتكوينه برنامج مدقق يجب ان يضاف لتكوينه الثقافى والعلمى تكوين روحى متين حيث يربى على الاخلاق الفاضلة وتراقب سيرته وسلوكه مراقبة صارمة من طرف أساتذة مختصين متوفرين هم بدورهم على الشروط الضرورية للاستاذ المربى.

فبجهود هذا الجيل المشار اليه نستطيع ان نقوم بحركة تحول فى المجتمع الاسلامى ونتغلب على النوازع والشرور التى أصبحت تسيطر على مجتمعنا وتعوقنا عن أداء رسالتنا فى الحياة.

ان المشاكل التى يعانيها المسلمون أساسا هى إفراغ محتوى لفظة «مسلم» من معناها الحقيقى، والذى نهدف اليه من تكوين جيل مؤمن هو ارجاع مدلول هذه اللفظة لمعناها الحقيقى.

ولكى يتكون هذا الجيل المذكور نقترح تأسيس كليات داخلية ببعض البلاد الاسلامية يوضع لها منهاج دراسى محكم يرمى لتحقيق الاهداف التى نود تحقيقها، ولا يقبل فيها الا من اجتاز مرحلة التعليم الثانوى وهيأ نفسه للمساهمة فى اداء الرسالة الاسلامية والتزم الشروط الضرورية التى تشترطها عليه للانخراط فى سلك أفرادها. وستسير هذه الكلية بواسطة نخبة مختارة من علماء الاسلام الذين يشعرون بدورهم بضرورة القيام بهذا العمل، ويلتزمون ان يساهموا فى انجاحه بكل ما لديهم من امكانيات وقوة وايمان.

ومن جهة أخرى فاننا نقترح ان يعمل على تنظيم مجمع لقادة الفكر الاسلامى لا يتعدى عددهم العشرين، وتتوفر فيهم زيادة على المقدرة العلمية والتمكن من الثقافة الاسلامية والاطلاع التام على سر تقدم الامم وغيرة اسلامية قوية واهتمام صحيح بمستقبل العالم الاسلامى، ويجب ان يدرس هذا المجمع فى هدوء ومن دون ضجة ولا دعاية وسائل النهوض بالمجتمع الاسلامى. فيدرس من جملة ما يدرس:

أولا: وسائل مقاومة الغزو الفكرى لعقول الشباب الاسلامى.

ثانيا: وسائل وضع برامج تعليمية متفتحة تخدم الفكر الاسلامى وتستجيب للتطورات العصرية.

ثالثا: وسائل اصدار مجلة اسلامية كبرى تعالج امهات القضايا الفكرية التى تهم الاسلام فى العصر الحاضر.

رابعا: وسائل مكافحة أضاليل المبشرين وكل اعداء الفكر الاسلامى.

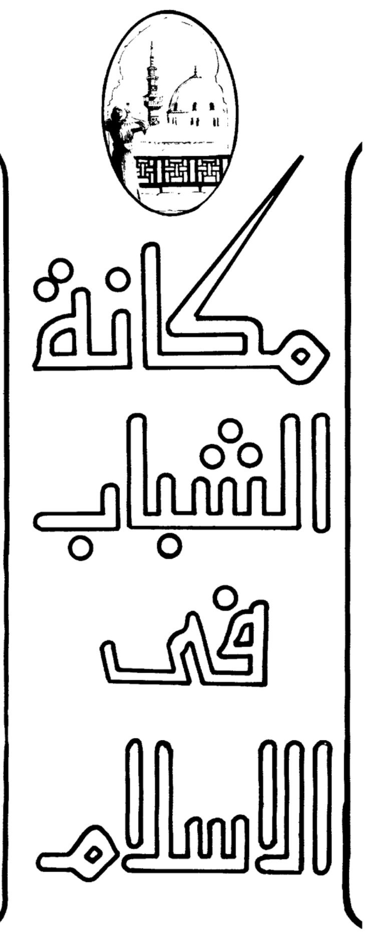
خامسا: وسائل القيام بدراسات اقتصادية تبرز منهج الاسلام فى الاصلاح الاقتصادى.

سادسا: بعض الاصلاحات التى تساعد على النهوض بالمجتمع الاسلامى كتأسيس معاهد لاخراج دعاة ومرشدين حسب متطلبات العصر.

سابعا: دراسة تطوير وسائل الاعلام وجعلها اداة لخدمة الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية.

إن العمل على تطبيق هذه الاقتراحات من شأنه أن يجعل قطارنا فى سكته واتجاهنا للبناء فى طريقه وخدمتنا لعقيدتنا خدمة حقيقية حتى يتعاون الجميع على ما فيه خير الاسلام وصلاح مستقبل المسلمين.

«إن أريد الا الاصلاح ما استطعت، وما توفيقى الا بالله، عليه توكلت واليه انيب».



● فى الاسلام الحل
● على الشباب أن يفهم فهما عميقاً

عندما يتحدث المتحدث عن الشباب يجول به الفكر فى متاهات بعيدة يتخذ الموضوع من خلالها وجهة لا اقول صعبة، ولكن اقول عميقة من حيث الدلالات والتشعب ذلك لان الحديث عن الشباب يكتسى اكثر من مغزى وابعد من ابعاد فكرية وحضارية، وبالتالى فهو يعالج حالة دقيقة تحتاج الى الالمام بادق مشكلات الشباب ومعاناته وظروفه وانطلاقا من هذه الرؤى ينبغى ربط حاضر الشباب بماضيه ثم تحديد التوجيهات المستقبلية على ضوء ذلك. ولعل هذه هى بواعث التناقض التى كثيرا ما تلاحظ فى عالم الشباب، وكلما حاول محاول طرح قضايا الشباب طرحا موضوعيا الا واختلط عليه الامر واستعصى الحل والعلاج رغم توفر عملية العرض على كل العناصر المتداخلة فى القضية سلبا او ايجاباً. .
وبذلك يتضح أن القضية ذات اختصاص مناقض لما قد يذهب اليه المعالج الذى ينتمى لتخصيص او فهم معاكس لواقع وطموحات الشباب، فالذى يقول إن الشباب هو الطاقة المحركة لعجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية قد ينسى أو يتناسى أن هذه الطاقة تكون معطلة احيانا نتيجة سبب من الاسباب او مرض من الامراض او ظاهرة من الظواهر وما اكثرها فى هذا العصر خصوصا وان مجتمع الشباب تجتاحه فى هذه الحقبة من التاريخ موجات عاتية وتيارات جارفة موجهة بدرجة كبيرة للشباب المسلم بغية اقحامه فى دوامة من الحيرة والتشكيك فلا هو متمسك بالاصالة ولا هو مرتاح للمعاصرة التى جلبت له الهوس والصداع وهذا منظور حديث ونظرة ادارية للمشكل كما هو فى واقعه.

لكل إشكاليات الشباب
أنّ الضمائر الحيّة تُبدع ولا تقلّد

بقلم



أما النظر الى المسألة من زاوية المعطيات التى افرزتها تطورات العصر فحدّث ولا حرج عن ذلك فالشباب اصبح يشكل سلاحا قويا فى عصر العلوم والتكنولوجيا عصر الآلة التى تديرها سواعد الشباب بالموهبة والتكوين والاعداد ووفق التوجيه والبرمجة والتخطيط ولم يكن ذلك بالامر الغريب مادام الشباب بمفهوم آخر يعتبر القلب النابض للامم والشعوب وهذه المفاهيم جميعها استقطبها الفكر الاسلامى وحددها القرآن الكريم باعتباره دستور الامة الاسلامية.

وتلافياً للتطويل الممل نتأمل وضع الشباب على ضوء ما جاء فى القرآن الكريم وهذا يغنينا عن كل ما سواه ويلهمنا الاستزادة من النهل والغوص فى نصوص الشريعة الاسلامية الخالدة.

الشباب فى ضوء القرآن

عالج القرآن مسألة تربية واعداد الشباب بما يلزم من التوجيهات والمواعظ وحث الاباء والاولياء على مضاعفة الاهتمام والاعتناء بالابناء منذ مراحل حياتهم الاولى «النشأة والطفولة والشباب» وذلك على اساس تماسك الاسرة وحمايتها من كل انحراف وترشيد التربية بالتى هى احسن وبالقدوة والاخلاق استرشادا بالاية الكريمة ﴿لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة﴾ «سورة الاحزاب» ثم الاعداد وهو ما تتطلبه مرحلة الشباب من وعظ وارشاد وتوجيه ونستمد ذلك من خلال وصايا لقمان لابنه:

﴿واذ قال لقمانُ لابنه وهو يعظه يا بُنيّ لا تشرك بالله إنّ الشركَ لظلمٌ عظيم﴾
﴿يا بُنيّ إنها إنْ تكُ مثقال حبة من خَرْدَلٍ فتكن فى صخرة او فى السماوات او فى الارض يأتِ بها اللهُ إنّ اللهَ لطيفٌ خبير﴾
﴿يا بُنيّ أقِمِ الصلاةَ وأْمُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور﴾.
﴿ولا تُصَعِّر خدّك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور﴾.
﴿واقصد فى مشيك واغضض من صوتك، ان انكر الاصوات لصوت الحمير﴾.

هذه الوصايا الخالدة الجامعة تؤكد عناية الآباء بالأبناء ورعاية الشيوخ للشباب خاصة وقد جاءت فى القرآن الكريم وعلى لسان لقمان الحكيم ولذلك فهى نموذج للاهتمام الفعلى بالشباب ينبغى اعتماده فى

برامج التعليم والتكوين ذلك لان رعاية الشباب والاهتمام به تعتبر أمراً واجباً على الآباء وأولياء امورهم وتتجسد هذه الرعاية فى التوجيه والاعداد والارشاد.

إذن فمن مسؤولية الاباء والاولياء تنبيه الغافلين من الشباب الى ضرورة التمسك بالعقيدة وتقوية الايمان والقيام بالصلاة والسير فى الصراط السوى ونهج الطريق المستقيم واشعار الشباب بواجباته الدينية ومسؤولياته المدرسية والوظيفية والمهنية والاجتماعية والوطنية وهذه التوجيهات نص عليها القرآن وعالجها بكيفية لا تدع مجالا للشك، وان اى انحراف تسرب للشباب انما جاء نتيجة تسلل الافكار الاباحية والنشاط الالحادى الهدام الذى يتجسد بعضه فى التصادم الحضارى والتحجر الفكرى والإعلام غير الملتزم.. ولم تكن هذه إلّا لمحة جد مختصرة عن مكانة الشباب فى القرآن، فى حين ان ما تضمنه كتاب الله الكريم بهذا الخصوص كفيل بعلاج قضايا الشباب التى تطرح نتيجة التطور المواكب للحياة الانسانية، وحتى تكون الفائدة اعم واشمل ينبغى تأمل وضع الشباب على ضوء اهتمامات الاسلام التى برزت من خلال:

عناية الرسول بالشباب

وما جاء على لسان المعلم الاول للانسانية رسول الرحمة والهداية والنور قوله ﴿ﷺ﴾ «أوصيكم بالشباب خيرا فانهم ارق افئدة ان الله بعثنى بالحنيفية السمحة.. حالفنى الشباب وحالفنى الشيوخ.. وعندما قال ﴿ﷺ﴾ هذه القولة قرأ قوله تعالى:

﴿فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾.

وكم هى كثيرة المواعظ والتوجيهات التى جاءت فى الادب النبوى والعبر والدروس البليغة التى خلدتها السيرة المحمدية ومن نبعها الفياض نقتطف هذه الاحاديث التى نجعلها افكارا اساسية للموضوع.

اغتنم خمسا قبل خمس: **(شبابك قبل هرمك.. وصحتك قبل سقمك.. وغناك قبل فقرك.. وفراغك قبل شغلك.. وحياتك قبل موتك)**.. وتلك هى حقيقة الحقائق اذا اقتنع الانسان عن ايمان بان تواجده فى هذا العالم الفانى مجرد سياحة.

واكد ﴿ﷺ﴾ أن العبد يُسأل يوم القيامة عن شبابه فيما ابلاه، وتأكيدا لذلك جاء ايضا ان الشباب الذى ينشأ فى طاعة ربه وعبادته يعتبر واحداً من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله، وتيسيرا للشباب ومساعدة له على النشأة فى طاعة الله حث الرسول ﴿ﷺ﴾ الشباب على الزواج المبكر باعتباره اغض للبصر واحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم.

وفى مجال التوجيه والاعداد التربوى للشباب جاء فى الاثر: ان الشباب ارق افئدة.. فلم يدعوا لتراكم على قلوبهم غشاوات العادات والاخلاق الفاسدة التى كانت تطغى على طبائع وسلوك الشيوخ فى الانطلاقة الاولى للدعوة الاسلامية التى قام بها سيد المرسلين ﴿ﷺ﴾ ذلك لان الشباب كان اسرع الى الاستجابة لدعوة الاسلام ومؤازرة الرسول عليه افضل الصلاة والسلام.

وهذه الصفات والمميزات ينبغى اعتبارها فى بناء شخصية الشباب من طرف الاسرة والآباء وكانت بالفعل

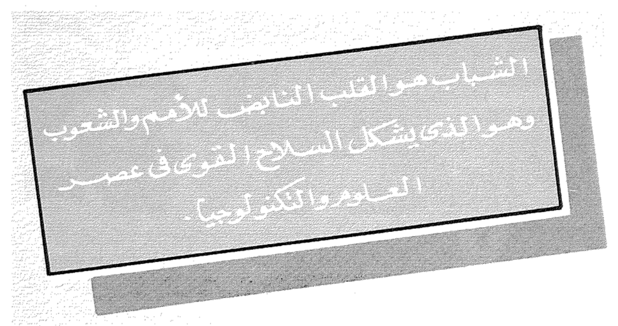
تشغل بال السلف وتاج اهتماماتهم لانهم كانوا يقتدون بما جاء فى الكتاب والسنة .

ويهتدون فى تربية واعداد ابنائهم بهدى القرآن الذى أنزله الله رحمة للعالمين : فكانت الاسرة تقوم برسالتها التربوية على اكمل وجه وحسب التعاليم التى شرعها الاسلام من اجل حماية الشباب من الانحراف وحفزهم على الجد والمثابرة فى الدراسة وتحصيل العلوم والتطلع فى دنيا المعرفة .

الشباب كما يراه علماء الإسلام

اخذت مرحلة الشباب من اهتمامات السلف ما تستحق من العناية والاعتبار ونستخلص بعض الصور من اهتمامات الاوائل كتلك التى رسمها ابن شهاب الزهرى عندما قال :

«لا تحتقروا انفسكم لحداثة اسنانكم فان عمر بن الخطاب كان اذا نزل به الامر واستعصى عليه الحل دعا الشباب واستشارهم يبتغى حدة عقولهم» ولعل هذا القول جاء فى مخاطبة معشر الشباب فى احد المواقف التى لها تاريخ .



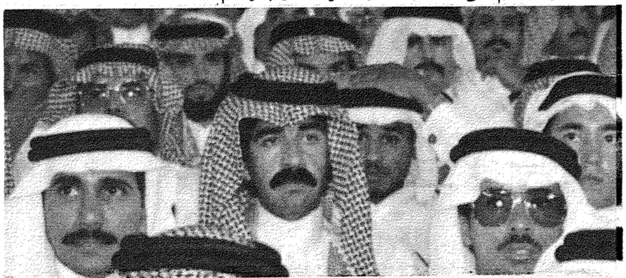
وثمة اقوال عديدة تشيد باهمية مرحلة الشباب واذكر بعضها فى هذا السياق على حد ما تسعفنى به الذاكرة .

قال ابن الجوزى : ان الشباب امانة عند آبائهم ، وان قلوبهم كجوهرة قابلة لكل نقش فان عود هم آباؤهم الخير نشأوا عليه ، وان عودوهم الشر نشأوا عليه ولذلك وجبت رعاية الشباب رعاية شموليةفالحكمة تقول التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر، وما ينبغى أن ينقش على صفحات قلوب الاجيال الصاعدة هو مكارم الاخلاق لان فى الاخلاق بقاء الامم واستمرارية امجادها كما قال شوقى قولته الشعرية الشهيرة :

إنما الأمم الاخلاق ما بقيت
فان هُمُ ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وعلى اساس الاخلاق عنى الرسول ﴿ﷺ﴾ عناية كبيرة بالشباب، وتبين لنا السيرة النبوية ذلك بوضوح من خلال الاستجابة الشبابية للدعوة المحمدية والاقبال على اعتناق الاسلام فى اول عهده. ويذكر التاريخ الاسلامى كذلك أن من اصغر الشباب الذين اقبلوا على الاسلام واعلنوا اسلامهم:

«على بن ابى طالب.. الزبير بن العوام.. الارقم بن أبى الارقم.. سعد بن ابى وقاص.. جعفر بن ابى طالب.. صهيب الرومي.. زيد بن حارثة.. مصعب بن عمير.. عثمان بن عفان.. عمر بن الخطاب.. ابو عبيدة بن الجراح» ومن بين الشباب الذين ناهز سنهم الثلاثين فما فوق «بلال بن رباح.. عبد الرحمن بن عوف.. ابو بكر الصديق» صاحب رسول الله ورفيق وحدته فى غار حراء. وغير هؤلاء كثير من شباب الاسلام الذى عزز الحركة الاسلامية ابان انبثاق فجرهم المنير الذى اضاء الدنيا بعد ان كان الظلام يخيم على الاصقاع والانسانية تعيش فى جهالة جهلاء الى ان جاء النور وجاءت دعوة الاسلام على لسان محمد الامين دعوة عدل ومحبة وسلام.



● صورة لشباب سعودى فى صفوف الدراسة

وبعد هذه التلميحات الى مكانة الشباب فى الاسلام فان الموضوع يقتضى فى تصورى المتواضع القاء نظرة مقتضبة على وضع الشباب المعاصر ومحاولة مقارنة سلوكه تجاه تحديات العصر من جهة وما ينبغى ان يكون عليه من الاستقامة والتحلى بالاخلاق الحميدة والسير على اثر السلف الصالح وباختصار وضع قضايا الشباب فى اطار من العرض والعلاج فاقتران العرض بالعلاج شىء يؤدى الى انتقاء الحلول الملائمة للاشكاليات المطروحة بحدة وفى الاسلام وحده توجد هذه الحلول.

١ الشباب فى حاجة الى عملية انقاذ

ان الشباب.. الطاقة الخلاقة والسلاح الذى تستعمله الامم فى معاركها ضد كل غزو مادى او معنوى او فكرى، انما هو بمثابة الجهاز الدقيق الصنع الذى يتهدده الخلل كلما وقع سوء فهم فى استعماله.. انه كالهيدروجين اذا لم يوجه لاغراض السلم والمصالح العليا للانسانية انقلب الى عامل تخريب ودمار. والشعوب التى لم تعتن بشبابها انما تتجه بنفسها نحو الشيخوخة يصيبها انحطاط واسفاف ثم خراب وافلاس.

فالشباب يحتاج الى التوجيه الصحيح والى التخطيط المحكم والى المناخ المعتدل سياسيا واجتماعيا وفكريا قدر حاجته الى الانفتاح على التكوين والتعليم، فترك الثغرات فى طريقه وفسح المجال للتيارات تتجاذبه

وتعصف به فذلك شيء من الخطورة بمكان بالنسبة للشباب فى كل جهة من جهات الدنيا فالوضوح هو ما ينبغى ان يواكب الشباب فى مسيرته حديثا مثلما كان ذلك قبلته قديما اما ان تستعمل هذه الطاقة الجبارة فيما لا طائل تحته أو أن تستعمل وسيلة للضغط فى ايدى الوصوليين لتحقيق اغراضهم واحلامهم على حساب الشباب باستغلال مكشوف للفطرة والسذاجة اللتين تتحلى بهما مرحلة الشباب للتغرير بهذه الفئة او التأثير بها على ولاة الامر وهى حالة اصبحت مشاعة بكثرة فى العصر الحاضر بل اصبحت شعلتها تتوقد من حين لآخر هنا وتخبو هناك، وليست عاصفة الشباب الهوجاء التى اجتاحت فرنسا فى الستينات الا نوعا من العوارض البشرية التى تجتاح الامم والشعوب ويحركها الشباب فى العمق والاساس.

٢ ازمة الشباب المزدوجة

ان الشباب له مزاج ميال الى التغيير، ولكن ليس التغيير فيما لا يستحق التغيير كالاصالة مثلا فهذه هى القيم التى تقتضى التمسك بها والمحافظة عليها خلفاً عن سلف. . الا اننا ومع شديد الاسف بدأنا نلاحظ أن الشباب اصبح ينفر من اصالته وهذا النفور يقحم الشباب فى ازمة قيم وضمير، ناهيك بما يجره عليه ذلك من ملاحقات تحط من مكانته فى المجتمع وما يمكن ان ينعت به من نعوت ويوصف به من اوصاف الانحلال والاستهتار، وغير ذلك من المساوىء والرذائل التى تتكالب عليه فتبعده عن الفضائل التى كان يمتاز بها سلفه الشباب المسلم فى العهد النبوى وفى مراحل عديدة من تاريخ الامة الاسلامية، وامام ذلك فان الضرورة تقتضى انقاذ الشباب من هذه الوضعية الشاذة التى يتردى فيها وانتشاله من هذه الوحدة التى انزلق اليها وبالتالى انقاذه من هذه الازمة المزدوجة التى يعانى منها.

٣ الشباب وحاجته الى غسل دماغه

بقدر ما تزداد حاجة الشباب مساسا الى عملية انقاذ مستعجلة بقدر ما تزداد حاجته الى عملية غسل دماغه، ذلك ان الشباب ينبغى له ان يعرف وهذا بالضرورة الملحة أن من مصلحته ان يغتنم صحته قبل سقمه وشغله قبل فراغه، وشبابه قبل هرمه ولذلك فان عليه ان يعرف أن الوقت من ذهب «والوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك» كما قال الحكماء وعليه كذلك ان يغتنم ما يتاح له من الفرص ويفسح له من المجالات تحسبا لاحتمالات المستقبل والا اغتنمها الاخرون على حسابه، كما على الشباب ان يتحرى الصدق والاخلاص والاجتهاد فى حياته الخاصة والعامة فان من شأن ذلك ان يجمله بالفضائل ويقربه الى قلوب الناس ونوال رضاهم، والحظوة بعطفهم عليه وتقديرهم له بالتالى، عليه من قبل ومن بعد أن يتحلى بالخلق الحسن وبالتمسك بالدين فان احب الشباب الى الله الذى نشأ فى عبادته سبحانه وتعالى، ولا يمكنه ان يسمو الى هذه المكانة الا اذا تجنب رفقة السوء مسترشدا بالحكمة التى تقول: اياك ورفيق السوء فانك به تُعْرف.

وبدون ذلك يعيش الشباب غريبا عن اهله ومجتمعه بل يعيش حياة هامشية، لان عدم استقامته وطاعته لربه تؤدى به الى موت الضمير وبذلك يحكم على نفسه بالدخول فى مجتمع المنحرفين وفى هذه الحال ينحط قدره ويحيا حياة التهور والتيه بلا هدف وبلا عقيدة وبلا ايمان، وهذه القيم المعنوية والروحية تجعل الانسان المتجرد منها جسدا بدون روح وقلباً فارغاً من الايمان فليتعظ الشباب وليستقم وليتق الله فان خير الزاد التقوى.





الوطنيـة

الوطنية ليست هى التشدق باللسان أو الاعتماد على الثرثرة وانما هى ثبات على المبدأ وحب للوطن وتفان فيه ولعل فى هذه القصة دليل فاليك القصة :

■■ «دخل قائد بجنوده بلاد عدوه فلم يعثر على احد من جندها فظن ان فى الامر حيلة وبينما كان هو ورجاله يسيرون على حذر اذ وجدوا امامهم شيخا وغلاما.

فقال القائد للشيخ : دلنا على قومك وانت وغلامك فى امان.

فقال الشيخ : اخاف ان دللتك عليهم ان يسعى بى ابنى هذا الى اهل بلادى فيقتلونى. اقتله اولا حتى ادلك عليهم.

■■ فضرب القائد عنق الغلام وعندها قال الشيخ : انما كرهت ان لم اخبرك انا ان يخبرك ابنى لانه صغير غر، والان قد امنت انك لن تعرف اين هم مختبئون.. والله لو كانوا تحت قدمىّ ما رفعتهما.. فضرب الفاتح عنقه هو الاخر ولكن القوم فاجأوهم بعد حين وابادوهم.

■ وبالتالى ضحى بنفسه ولكنه حفظ وطنه من عدو غادر يريد البطش بالبلاد وانتهاك حرماتها..

كان الامام مالك لا يركب دابة فى المدينة المنورة وانما كان يمشى فى طرقاتها مترجلا تكريما للارض التى ضمت الجسد الطاهر للنبى صلى الله عليه وسلم.

وكان اذا اراد ان يبدأ درس الحديث توضأ وارتدى افخر ثيابه وتطيب ثم يجلس على كرسيه فى وقار وهيبة.. ولما سئل فى ذلك قال: احب ان اعظم حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾.

وكان يبدأ الحديث بقوله حدثنى نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر. ثم يذكر الحديث وهو يشير بيده الى الروضة النبوية الشريفة، فتعمر قلوب السامعين بالخشية والروعة والجلال.

وهذه السلسلة: مالك عن نافع عن ابن عمر يسميها علماء الحديث: «سلسلة الذهب» وذلك للثقة الكبيرة فى افرادها.

● اذا تمكنت محبة الله جل جلاله فى القلوب هجرت فى محبته كل شىء.. وهذا بعض ما اشارت اليه هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ وهجرة اصحابه رضى الله عنهم الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله الكريم: ﴿ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾.

● قال على بن ابى طالب رضى الله عنه: من أُعطى أربعا لم يُحرم اربعا.. من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة.. ومن اعطى التوبة لم يحرم القبول.. ومن أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة.. ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة.



ثم قال: وتصديق ذلك كتاب الله.. قال الله في الدعاء: «ادعوني استجب لكم».. وقال في الاستغفار «ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه.. ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما».. وقال في الشكر: «لئن شكرتم لازيدنكم». وقال في التوبة: «انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم».

●● كلما تقدم بي العمر تعلمت ان اقبل انصاف الحلول وانصاف الاصدقاء.

كنت اظن ان الصداقة الخالصة تدوم طول العمر. فعلمتني الحياة في المدينة ان الصداقة المثلى تدوم بعض الوقت لان الناس في معركة الحياة يستطيعون فقط ان يكونوا انصاف اصدقاء.

●● وتعلمت ان ابحث عن الاعذار اعلل بها نفسي كلما خاب ظني في بعض احبائي واصدقائي فبعض الناس يعيشون كاعواد من القمح سيقانها طيبة خضراء وسنابلها فارغة جرداء.

●● ليس في مقدور احد ان يرى صورة الانسان مهشمة على شظايا المرايا..

ومع ذلك فما اكثر ما تنكسر الصورة التي احببتها ذات مرة وما اكثر ما تتفرق وتطير شعاعا. •

كلمات مختارة

● الغضب ليس شجاعة والتؤدة وضبط النفس ليس ضعفا.. اذ ان المريض اسرع غضبا من المعافى والطفل اسرع غضبا من الرجل الرشيد لهذا كان من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأل بعض اصحابه رضي الله عنهم «ما تعدون الشديد فيكم» فقالوا: الذي لا تصرعه الرجال.. فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه (ليس ذلك، ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب».

●●●

● لما كان تفاضل الناس امام ربها جل جلاله ليس باعمالها وانما بنياتها كما جاء في هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم «انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى» فان اخلاص القلوب هو طوق نجاة الحياة مهما اكتنفت الحياة ظلمات الاحداث لذلك كان من قول الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه: «من اصلح سريرته اصلح الله علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر دنياه ومن احسن فيما بينه وبين الله احسن الله ما بينه وبين الناس».

●●●

● كما يأتي الانسان الى الدنيا وحده ويخرج منها - حين يخرج منها - وحده كذلك يحاسب - حين يحاسب بين يدي ربه الجليل - وحده كما جاء في قول الحق جل جلاله ﴿ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾.. فان من اهم ما يسأل عنه الانسان نفسه - عند كل قول وعمل (ماذا تقول لربك غدا).

النشاط التعليمي من

إن النشاط مظهر الحيوية، وحياة الانسان سلسلة من النشاط تسعى لتحقيق أهداف ذات قيمة له ولبنى جنسه، وهو فى سبيل ذلك ينمو ويتفاعل باستمرار إلا فى حالة السكون والموت.

إن الاسلام دين القوة والنشاط والعمل، فهو يدعو إليها ويحبِّب فيها ويأمر بها. يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملَكم ورسولُه والمؤمنون﴾**. ويقول الرسول ﴿ﷺ﴾: «**إنَّ الله يُحبُّ إذا عمل أحدُكم عملاً أن يتقنه**».

كما ينهانا الدين الحنيف عن الكسل والتخاذل والضعف فكثيراً ما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يردد دعاءه: «اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل» كما كانت نصيحته لأصحابه: «إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم»(١) وعندما استخلف الله تعالى الانسانَ فى الأرض وكرمه تكريماً لم يخلقه ليحيا فى هذه الدنيا وحيداً وإنما ليعيش وسط جماعة انسانية يعمل وينشط ويوجه وينقد ويصحح حتى يتحقق التوازن الدقيق بين مستويات المسئولية، فالفرد هنا ذات حرة قادرة نامية ناشطة متحركة فى إطار اجتماعى قوى متماسك ينشط للوصول الى تحقيق أهدافه(٢).

إن المنهج السماوى يدعونا لأن نوازن(٣) بين نشاطنا من أجل هذه الدنيا الفانية وبين نشاطنا من أجل الآخرة، يقول تعالى: **﴿وابتغ فيما اتاك الله الدارَ الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾**.

ويقول صلى الله عليه وسلم: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» ولكن الله سبحانه وتعالى يطالبنا فى نفس الوقت بتنمية النظرة الحقيقية إلى الحياة، ووضع الحياة الدنيا حيث يجب أن تكون بكل ما فيها من زينة ومتعة وعمل وكدح ونشاط(٤) ذلك أن العمل والنشاط من أجل الآخرة فيه خير كبير وجزاء من الله ومثوبة يقول الله تعالى: **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا﴾**.

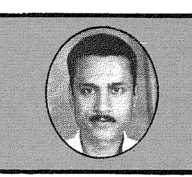
فعلينا أن ندرب أنفسنا وأن نأخذ أبناءنا بالايمانَ والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾(٥).

هل النشاط غاية أم وسيلة؟

فى بعض الأحيان يبدو النشاط كأنه غاية فى حد ذاته مثال ذلك: عندما يلعب الطفل ويندمج مع عرائسه وعندما يطارد الفراشات، أو عندما يندمج فى محاكاة من حوله وتقليدهم.

من منظور إسلامي

وفي أحيـان أخرى يعتبر النشاط كأنه وسيلة لتحقيق هدف معين يسعى الفرد لتحقيقه . . مثال ذلك : النشاط التعليمي في المدارس يعتبر وسيلة للتربية والتعليم والتهذيب وتنمية شخصية الطالب ودعم سلوكه القويم . فلم يعد النشاط في المدارس لمجرد الترفيه عن الطالب أو لقضاء وقت فراغه ، إنما أصبح مفهوم هذا النشاط مساعدة الطالب على اكتشاف مواهبه وقدراته وصقلها ، أو هو الوسيلة التي يجب أن تستخدم لتحقيق ذلك . . أي أنه كان غاية وأصبح وسيلة(٦) فشخصية الطالب وأخلاقه تتكون في أثناء الدروس كما تتكون في أثناء نشاطه الاجتماعي في المدرسة وخارجها(٧) والتعلم لا يكون ناجحاً مساعداً على النمو النفسي الا اذا كان هو نفسه مظهراً من مظاهر نشاط الفرد الذي ينبعث من دوافعه ويشبع ميوله ويحقق حاجاته النفسية .



دكتور/ أحمد عزت صالح

- يعمل حالياً بقسم التربية وعلم النفس بالكلية المتوسطة لإعداد المعلمين بالمدينة المنورة .
- له عدة دراسات وأبحاث نشرت « بصحيفة التربية بمصر وبصحف "الجزيرة" "" واليوم" وعكاظ" بالمملكة العربية السعودية
- عضو في الجمعية الفلسفية المصرية ورابطة خريجي معاهد التربية بمصر .

النشاط المتنوع ضروري

إن نشـاط الطالب ينبغي أن يكون محور الحياة والعمـل لاكتسـاب الخبرات والمعـارف والمعلومات والمهارات والاتجاهات المرغوب فيها التي تقدمها له مناهج المدرسة . ومن هنا كان لابد من تنويع مجالات الأنشطة للطالب . فالنشاط الآلي الذي يسير على وتيرة واحدة قد يدعو إلى الملل ، ولا يقصد بالنشاط ما هو جسمي أو حركي فقط ، وانما يمتد إلى الجانب العقلي ، فالتفكير نوع من النشاط الذهني لذلك فقد ضم الفكـر الـتربوي الاسلامي كثيراً من اتجاهات المفكرين نحو الاهتمام بالنشاط بعامة ، والتعليمي منه بخاصة .

فابن مسكويه (المتوفى عام ٤٢١ هـ) ينصح في كتابه «تهـذيب الأخـلاق وتطهـير الأعـراق»(٨) بألا يكثـر الصبي من النـوم وبخـاصـة في النهـار، وأن يتعود

النشاط والحركة والمشى والرياضة حتى يعتاد على الخشونة والصلابة فيقوى بدنه. وكان على الطالب، فى العصور الاسلامية الزاهرة، أن يسعى بنفسه إلى المعلم سعياً وأن ينشط لطلب العلم ولو فى أقصى الأرض حتى ان لقب (الرُّحلة) كان يطلق على أكابر العلماء والمحدثين(٩) الذين بلغوا درجة عالية من العلم والشهرة بحيث تخطوا المستوى الاقليمى وذاع صيتهم على المستوى العالمى الاسلامى حتى رحل إليهم طلاب العلم من مختلف الأقطار للأخذ عنهم والتتلمذ على أيديهم. كما اهتم المسلمون بتقديم العلوم المتنوعة إلى الطلاب ويتضح ذلك مما كتبه (ابن سحنون) «المتوفى عام ٢٢٦هـ» فى كتابه «آداب المعلمين»(١٠) وهو أقدم كتب التربية العربية فيما نعلم - ومما كتبه (القابسى) «المتوفى عام ٤٠٣هـ» فى كتابه «المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين» حيث اتفقا فى الرأى على تقسيم المنهج الى قسمين: أحدهما إجبارى.. ويشمل علوماً دينية وعلمية واكاديمية.. أما القسم الثانى فهو اختيارى: ويشمل فيما يشمل النشاط اللغوى كتمرين الطلاب على الخطابة وتدريبهم على الكتابة بالخط الحسن.

ونلمس فى اكثر كتب (ابن سينا) «المتوفى عام ٤٣٨هـ» الباقية، بعض آرائه المتعلقة بتنشيط الطلاب أثناء تعليمهم(١١) فهو ينادى بضرورة خلق جو من التنافس الشريف بين الطلاب فى المدرسة، لأن هذا يدفع كلاً منهم إلى أن ينشط فى تحصيل علومه ويثير بينهم روح «المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة، وفى ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم».

واشترك (الغزالى) المتوفى عام ٥٠٥هـ فى كتابه «إحياء علوم الدين» مع غيره من المفكرين المسلمين فى تقدير حاجة الصبى إلى اللعب الترويحى والنشاط اللاصفى واعتبره مهماً من الناحيتين العقلية والجسمية فنصح الغزالى بأن «يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب، فإن منع الصبى من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأساً»(١٢).

وفى موضع آخر ينادى الغزالى بألا نهتم فقط بحشو أذهان الطلاب بالمعلومات بل لابد من أن يأخذ طالب العلم حظاً وافراً من الرياضة البدنية والتربية الرياضية، فإن ذلك يقوى جسمه ويملؤه نشاطاً، وفى ذلك يقول: «ويعود فى بعض النهار للمشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل».

ويذهب ابن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨هـ) فى «مقدمته» إلى ضرورة استخدام الوسائل التعليمية والأمثلة الحسية فى الحصة حتى يستثير المدرس نشاط طلابه وشوقهم إلى الدرس، فيقول: «إن (الطالب) المبتدىء فى أول أمره ضعيف الفهم، قليل الادراك، ولا يعينه على فهم ما يلقى عليه مثل الأمثلة الحسية». ونادى ابن خلدون بالعلاقات الانسانية الطيبة والمعاملة الحسنة بين المعلم وتلميذه والبعد عن الشدة والغلظة، لأن فيهما ضياع نشاط التلميذ. وفى ذلك يقول: «ومن كان مرباه (تربيته) بالعسف والقهر من المتعلمين سطا به القهر، وضيق على النفس فى انبساطها، وذهب بنشاطها ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدى بالقهر عليه»(١٣).

مراحل العمل بالنشاط التعليمى

على المسئولين عن النشاط التعليمى بالمدارس مراعاة أن يمر العمل فى هذا النشاط بمراحل متعددة متصلة متفاعلة فيما بينها، وهى :

أ- **تحديد الهدف :** وذلك لحصر الامكانيات وتنظيم خطوات العمل، واعداد الوسائل اللازمة للتنفيذ. وتحديد الهدف يساعد الأفراد على مراجعة كل خطوة من خطوات العمل بطريقة توجه الجميع نحو أهداف مرسومة وتحميهم من الانحراف أو الخطأ.

ب - **إعداد الخطة :** يبدأ وضع الخطة التعليمية للنشاط بجمع المعلومات وذلك عن طريق الدراسة الواعية والتحليل الدقيق، وجمع الاحصاءات عن القوى البشرية والمادية وطرق التمويل. فالاحصاء الصحيح والسليم مطلوب ولازم للتخطيط فى رسم الخطة والتنفيذ والمتابعة والتقويم. وأى نقص فى الاحصاء أو عدم دقته يضعف من فاعلية التخطيط ويؤدى إلى فشله.

إن إعداد الخطة يتضمن وضع مواصفات التنفيذ، وتحديد اختصاصات ومسئوليات كل فرد فى ضوء استعداداته وقدراته وكفايته، مع تحديد الوقت الكافى لكل خطوة من خطوات التنفيذ. . إن التخطيط يكون سليماً بقدر اشتراك جميع العاملين فيه ما أمكن فالقاعدة التربوية السليمة فى فن الادارة تقول ان كل من يشارك فى التنفيذ لابد أن يشارك فى التخطيط. . إن رسم الخطة عملية ليست سهلة ولا يصل الأفراد إلى إحكامها إلا بمهارة عقلية وتدريب كثير.

فلسفة التخطيط التعاونى للنشاط التعليمى

يهبط الوحى الاسلامى بأول قواعد التخطيط على لسان يوسف عليه السلام فى قول الله سبحانه قال ﴿**تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلاً مما تأكلون**﴾. وقد تم تحريم الخمر فى الاسلام طبقاً لتخطيط مرحلى سليم. وكان تخطيط الرسول ﴿ﷺ﴾ مع سلمان الفارسى للدفاع عن المدينة فى موقعة الخندق تعبيراً عملياً صادقاً عن إيمانه عليه الصلاة والسلام بضرورة التخطيط وأهميته. وكان الخلفاء الراشدون يخططون لولاة الأقاليم وللقواد أساليب العمل الناجحة.

إن ما نفكر فيه عند سماع كلمة (التخطيط) هو مستقبل الظاهرة التى نخطط لها. وتخطيطنا للنشاط يعنى فى أبسط معانيه رسم صورة لما ينبغى أن يكون عليه هذا النشاط فى المستقبل، فالتخطيط هنا بمثابة محاولة للتحكم فى سير هذا النشاط لتحقيق هدف منشود والتخطيط أسلوب يهدف إلى حصر الامكانيات، ويعتمد على تحديد الأهداف والاحتياجات لتوجيه هذه الامكانيات لما يحقق الأهداف المرجوة.

إن تحديد المسئولية فى ضوء التنظيم المتكامل لقطاعات العمل معناه التزام كل قطاع بنشاط معين، وفق خطة مدروسة كى يسير العمل دون تعارض، أى حتى نحقق التوازن بين نشاط القطاعات المختلفة وربطها بالأهداف العامة عن طريق تنسيق القوى البشرية وتنظيم القوى المادية ووسائل الانتاج(١٤).

والتخطيط كسائر العمليات الانسانية يختلف باختلاف المجتمعات فلكل مجتمع أسلوب تخطيطى نابع من

فلسفة يتبعه فى تحقيق أهدافه . . لذلك فإن التخطيط للأنشطة فى مجتمعنا الاسلامى يقوم على مبدأ الشورى والتعاون . . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ و﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ و﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ .

إن التخطيط الشامل للأنشطة على كل المستويات مطلوب . وهو يتطلب تصوراً فكرياً واضحاً لملامح العمل بما يكفل النمو والتقدم . . إن التخطيط الشامل يأخذ بمبدأ عدم جعل المسئولية فى يد فرد أو أفراد معينين ، بل يجعلها مسئولية مشتركة لتحقيق الأهداف المرسومة . لقد أصبح التخطيط أسلوباً علمياً ومنهاجاً وفناً يسعى الى تنظيم الجماعة وحمايتها من تكرار الأعمال وتضارب الجهود وضياع الوقت والمال ، مما يقى العاملين من الفوضى والارتجال فيتحقق اكبر انتاج ممكن فى أقصر وقت وبأيسر الجهود .

ويبنى تخطيط النشاط على عدة مقومات يرتكز عليها من أهمها :

أولا : الدراسة : لتوضيح أهداف النشاط العلمى المطلوب الوصول اليها والاسلام يؤمن بالدراسة والعلم ويحث عليها . . فكلمة (اقرأ) كانت أول ما هبط به الوحى من السماء على رسول الله ﴿ﷺ﴾ . . ويقول تعالى : ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ . ومن وسائل العلم والدراسة : الشورى . . قال الرسول عليه الصلاة والسلام «ما استغنى مستبد برأيه ، وما هلك أحد عن مشورة» .

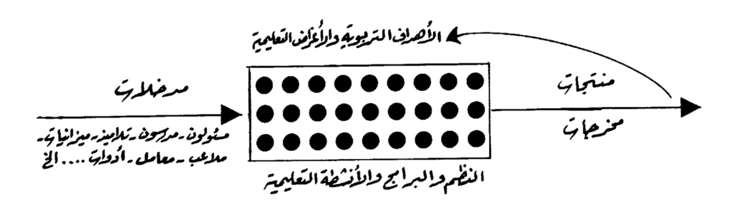
ثانيا : الروية والتدبير : أى التعقل وعدم التهور فى اتخاذ القرارات والصبر فى العمل وبذل أقصى الجهد لتحسين أداء هذا النشاط . . قال صلى الله عليه وسلم : «إن الله كتب الإحسان على كل شىء . . » الحديث(١٥) .

ثالثا : الخبرة : لا تأتى اعتباطاً بل تحتاج الى تدريب وتعليم ومواجهة للمواقف . فلابد لنشاط الشباب وحماسته من حنكة المجربين وخبرة المتخصصين . ولا شك فى أن الاسلام يؤمن بالتخصص ويحث عليه ، لأن عدم الأخذ به يؤدى إلى فساد الأعمال فقد ورد فى القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام طلب من الملك ـ بعد أن خرج من السجن وثبتت براءته ـ أن يوليه الشئون المالية فى قوله تعالى : ﴿قال اجعلنى على خزائن الأرض ، إنى حفيظ عليم﴾ . وطلبت فتاتا مدين من أبيهما أن يختص موسى عليه السلام بمساعدته فى أعمال الزراعة والرى فى قوله تعالى : ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين﴾ . . ولعل فى القول الكريم ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾ دعوة إلى التخصص . ويقول الرسول ﴿ﷺ﴾ «اذا أسند الأمر الى غير أهله فانتظروا الساعة» . . كما يقول فى موضع آخر : «استعينوا على كل صنعة بصالحى أهلها» .

رابعا : التفكير : وهو نشاط تجرى عملياته فى المخ والجهاز العصبى المركزى . ويحتاج الى ذاكرة وذكاء ليتمكن الفرد من الوصول إلى الحل السليم والطريق القويم . وقد دعانا القرآن الكريم فى اكثر من موضع أن

ننظر ونعقل ونتفكر فى أنفسنا وفى خلق السموات والأرض. . قال تعالى: ﴿فلينظر الانسان مم خلق﴾ وقال سبحانه: ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾. . وقال جل من قائل: ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾. . وقال تعالى: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾. وسواء أكان التفكير استنباطاً أو استقراءاً أو تمثيلاً أو غير ذلك فإنه ينبغى على مشرف النشاط التعليمى أن يدرب طلابه على خطوات التفكير المنطقى المنظم التى حددها «ديوى» بخمس خطوات هى: إدراك المشكلة والشعور بها، وتحديدها، وفرض الفروض واختبار صحة كل فرض من هذه الفروض، ليصلوا إلى حل المشكلات التى تعترض سبيل نشاطها.

ان التخطيط التربوى والتعليمى السليم نوع من التحكم العلمى فى تحديد نوع التعليم والتعلم وكذا نوع العمل والنشاط المبذول، ولتحقيق هذا لابد من التعرف على أهداف سياستنا التعليمية حتى نوظف على هديها كل المدخلات إلى نظامنا التعليمى ونشاطنا التربوى من قوى بشرية (مسئولين. . مدرسين. . تلاميذ.) وامكانيات مالية ومادية (ميزانيات. . ملاعب. . معامل. . أدوات. .) لتتحول هذه المدخلات فى النهاية إلى انتاج يحقق عائداً تربوياً نحكم عليه فى ضوء ما استهدفناه من أهداف. ونوضح هذا بالرسم التالى:



كما أنه ينبغى التعرف على المستويات المختلفة التى تربط بين ما تنفذه مدارسنا من أنشطة وبرامج ومشروعات وبين ما تقرره الدولة من سياسة تعليمية وفلسفة تربوية تنبثق فى المملكة العربية السعودية من الاسلام الذى تدين به الأمة عقيدة وعبادة وشريعة ودستور حياة(١٦).

ويمكن صياغة هذه المستويات على النحو التالى:

فلسفة التربية

رؤية شاملة واضحة تنبثق فى المملكة من الاسلام

السياسة التعليمية

توجيهية وليست تفصيلية مكتوبة ومسجلة ثابتة ومتطورة موضوعية.

الاستراتيجية التربوية

طرق - بدائل: (اثاث. كتب. مناهج. معلم، تلميذ...)

التخطيط التربوى

علمى. شامل.

الأنشطة والبرامج والمشروعات

على المستوى الاجرائى التنفيذى بالمدرسة.

ج ـ التنفيذ: مرحلة تحديد خطوات العمل بطريقة واضحة والتنفيذ لايمكن فصل نشاطه عن المراحل الأخرى وعلى الأفراد أن يعملوا عند التنفيذ بروح الفريق: فكر مشترك وفاعلية وايجابية فى العمل، ومسئوليات موزعة بعدالة ووضوح. أو هم يعملون كفريق الموسيقى.. هدف واحد.. ونغم منسجم رغم اختلاف شخصية كل فرد.

والتنفيذ فى الاسلام أمانة يقول صلى الله عليه وسلم: «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلاَّ مَنْ أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها» وأمانة التنفيذ تقتضى من المسئول الصدق والعدل والاجتهاد.

وأثناء تنفيذ أى نشاط مدرسى على المشرف عليه مراعاة أساليب متنوعة بحسب مناسبتها لتحقيق الغرض المطلوب منها. على أن هذه الاساليب تتكامل فيما بينها لتناسب كل المواقف وتتكيف حسب الأغراض ومن اهم هذه الأساليب:

أولا: أسلوب القدوة الصالحة: إن مشرف النشاط بفضل خبرته وبحكم موقعه ينبغى أن يكون قدوة صالحة ومثلاً أعلى يحتذى من العاملين معه، ويجب أن يشعرهم بأنه مهتم بأمرهم فللقدوة الصالحة أهمية كبرى فى تعديل سلوك الآخرين، وفى تحبيبهم للأنشطة التى يمارسونها(١٧). وتؤكد التربية الاسلامية أهمية أسلوب القدوة الصالحة فقد وضع القرآن الكريم قاعدتها فى قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾. وقوله سبحانه ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ وقد ضرب الرسول ﴿ﷺ﴾ بنفسه المثل فى العمل قبل أن يطلب من رجاله أن يعملوا، فهو يشاركهم فى جمع الحطب لطهو الشاه، وهو يشاركهم فى حفر الخندق حول المدينة، وهو المثل الأعلى فى الصدق والتواضع وفى كل صفة عليا وخلق حميد.

وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ يبين منزلة القدوة الصالحة التى احتلها الصحابه رضوان الله عليهم وأثرهم فى هداية الناس: (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فنجد أبا بكر الصديق مثلاً أعلى فى الايمان والتصديق والكرم والشجاعة وحياة عمر بن الخطاب قدوة طيبة لخصها على بن أبى طالب فى عبارة بليغة وجيزة وجهها إليه قائلاً: «إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت».



ثانيا: أسلوب الثواب: الثواب يعزز السلوك الطيب المرغوب فيه ويدعمه ويثبته، فعلى مشرف النشاط أن يقوم عمل من يمارس النشاط بالمدرسة، فيكافىء من يتقن عمله أو يحسنه ليزداد اتقاناً وحسناً. ويوجه من يهمل فى عمله أو يقصر فى أدائه. ويؤكد الاسلام على هذا المبدأ فلا يستطيع أحد أن يجادل فيه يقول تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

وأسلوب القرآن الكريم فى تصوير الجنة ونعيمها فيه ثواب كما أن تصوير النار وجحيمها فيه زجر يتمشى مع طبيعة الانسان. وتؤكد دراسات علم النفس على أن أسلوب الثواب أفضل من أسلوب العقاب، لأن الأول إيجابى وأثره باق لأنه يعتمد على استثارة الرغبة الداخلية للانسان، فى حين أن الأسلوب الثانى سلبى وأثره مؤقت لأنه يعتمد على الخوف. وعلينا أن نأخذ العبرة من أن الله سبحانه وتعالى يضاعف الحسنات لأصحابها، بينما يتجاوز عن السيئات فى الحدود التى بينها لنا. ويوضح الله سبحانه وتعالى سبيل الدعوة إلى الله بالأسلوب الحسن بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ ويأمرنا الله سبحانه وتعالى بالتسامح فقد يكون فيه صلاح أمر المخطىء أو المسيىء يقول تعالى: ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً﴾.

ثالثا: أسلوب التوجيه بالموعظة والنصح: إن أسلوب العظة والنصح له تأثيره الطيب فى النفوس لأنه ينفذ إلى النفس البشرية من مداخلها الحقيقية.. وإذا كان النصح صادراً من القلب وصل الى القلب وأتى بنتائج طيبة. والقرآن الكريم كله موعظة ونصح وهدى (ان الله نِعِمّا يعظكم به) وتنص سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية على ضرورة وجود (النصح المتبادل بين الراعى والرعية بما يكفل الحقوق والواجبات وينمى الولاء والاخلاص)(١٨). فعلى مشرف النشاط أن يستخدم فى نصحه وعظته أسلوباً ذكياً لبقاً بعيداً عن صيغة الأمر والنهى حتى لا يبدو الناصح جاف الأسلوب فظ الوسيلة فينفر منه الآخرون ولا تتحقق الأهداف المنشودة.. يقول تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾.

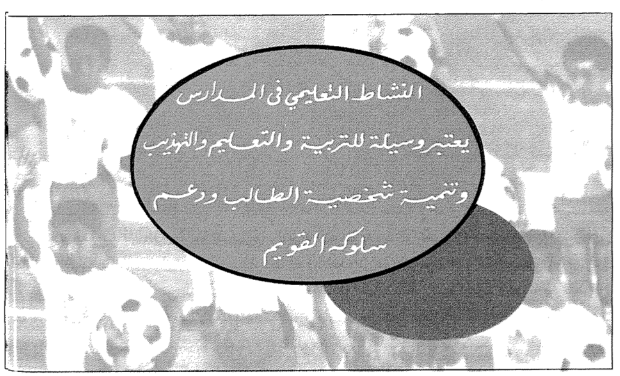
رابعا: أسلوب الاقناع والاقتناع: إن أسلوب الاقناع والاقتناع يخاطب العقل، ويستخدم المنطق، ويستثير التفكير.. والقرآن الكريم يؤكد أهمية العقل والمنطق والتفكير للانسان، ويدعوه إلى استخدام ذلك فى تدبير الأمور وفى التمييز بين الحق والباطل والخير والشر. ومنهج الدعوة الاسلامية يدعو الى أسلوب الاقناع والاقتناع والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأنه لا اكراه فى الدين فقد تبين الرشد من الغىّ.

وتنص السياسة التعليمية فى المملكة العربية السعودية على ضرورة (تكوين الفكر الاسلامى المنهجى لدى الأفراد) و(تشجيع وتنمية روح البحث والتفكير العلميين وتقوية القدرة على المشاهدة والتأمل)(١٩).

خامسا: أسلوب التدريب على الممارسة العملية المبنية على المعرفة النظريه: إن العلم لا قيمة له بدون تطبيق عملى. وان المعرفة النظرية ضرورية للممارسة العملية. أى أن التطبيق العملى لا يتم بنجاح الا إذا سبقته معرفة نظرية.. فالميكانيكى مثلاً لا يستطيع اجراء اصلاحات عملية لإحدى الآلات إلا إذا كانت لديه فكرة نظرية مسبقة عن أجزائها وطريقة تشغيلها. والمعرفة النظرية وحدها لا تكفى فى التعلم وتعديل السلوك.
واذا تأملنا فى مبادىء الاسلام الرئيسية من شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج، فضلاً عن التكاليف الاسلامية لوجدناها كلها لا يكفى فيها المعرفة النظرية بل لابد من ممارسة الانسان لها ممارسة فعلية وأدائها سلوكاً عملياً. إن الايمان لا يكفى فيه مجرد المعرفة النظرية التى تقر فى القلب وانما لابد من تأكيدها وتصديقها بالعمل. ويقول الغزالى ان العمل بلا نظر لا يكون، والنظر بلا عمل

ضرب من الجنون وتنص سياسة التعليم للمملكة العربية السعودية على أهمية: (التناسق المنسجم بين العلم والمنهجية التطبيقية (التقنية) باعتبارهما من اهم وسائل التنمية) وتنص أيضاً على: (دراسة الأسس العلمية التى تقوم عليها الأعمال المختلفة) كما تطالبنا بضرورة تكوين المهارات العلمية والعناية بالنواحى التطبيقية فى المدرسة(٢٠) فعلى مشرف النشاط أن يزود القائمين عليه بالمناسب من المعلومات والخبرات التى تساعدهم على التقدم والنجاح.

سادسا: أسلوب الصدق مع النفس والغير والاعتراف بالخطأ: قد يقع بعض القائمين على النشاط المدرسى فى خطأ نسبته إلى غير أهله. فاللوحات قد تصنع بيد رسام أو خطاط خارج المدرسة ويكتب عليها اسم التلميذ ومعلمه ومدير مدرسته فيضربون بذلك مثالاً واقعياً للكذب أمام الجميع. إن الصدق يشمل ملازمة القول للفعل. والانسان الصادق مع نفسه صادق مع غيره فهو أمين فى قوله وفعله بعيد عن النفاق والرياء.. لقد جاء القرآن الكريم بذم الكذاب: ﴿ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾ ويقول سبحانه ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ ويقول تعالى ﴿انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ ويستنكر القرآن العظيم عدم الصدق فى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون﴾.. وقد أدان الرسول ﴿ﷺ﴾ الكذب بشدة فى قوله «ما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذبَ حتى يُكْتَبَ عند الله كذاباً» وأولى آيات المنافق أنه (اذا حدث كذب) واعتبر الرسول الكريم (الرياء) ـ وهو من أنواع الكذب ـ نوعاً من الشرك، إذ يقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال (الرياء). وكان أبو بكر اذا مدحه أحد يقول: «اللهم أنت أعلم بى من نفسى، وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيراً مما يحسبون، واغفر لى ما لايعلمون. ولا تؤاخذنى بما يقولون».. وتأتى القدرة على الاعتراف بالخطأ نتيجة الصدق مع النفس ومع الغير والاخلاص فى العمل وقد وضع الرسول ﴿ﷺ﴾ قاعدة جميلة للتشجيع على ممارسة هذه الصفة بقوله: «من اجتهد وأصاب فله أجران، فإن أخطأ فله أجر» ويقول عن نفسه عليه الصلاة والسلام: «انما أنا بشر أصيب وأخطىء» وكتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى يقول: «لا يمنعك



قضاء قضيته بالأمس، فراجعت فيه نفسك، وهديت إلى رشدك أن ترجع الى الحق فإن مراجعة الحق خير لك من التمادى فى الباطل».

لهذا كله فإنه على مشرف النشاط المدرسى أن يكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين وأن تكون لديه القدرة والشجاعة الأدبية على الاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الصواب (فكل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون) وعليه أيضاً أن يدرب الطلاب على أن يكونوا صادقين مع أنفسهم ومع غيرهم فلا نفاق ولا رياء ولا مجاملة على حساب العمل، وألا يتمادوا فى الخطأ والباطل إن اهتدوا إلى الصواب والحق.

د ـ المتابعة والتقويم:

هى مرحلة للتأكد من سلامة الوسائل ومدى تحقيق الأهداف والتعرف على نواحى القوة فنستزيد منها ونواحى الضعف لنعد لها ونعالجها.. وينبغى أن يكون تقويمنا للأنشطة مستمراً بدءاً من التخطيط وحتى بعد انتهاء العمل فى المشروع أو البرنامج وأن ينصب على الأهداف والنقد هنا حق مباح يبنى عليه التقويم.. والنقد الذاتى يعنى الثقة بالنفس والاخلاص فى تحمل المسئولية.. والاسلام عامر بالأمثلة المضيئة على توافر هذه المقدرة. فقد شجع الخلفاء الراشدون المسلمين على ممارسة النقد تقويماً واصلاحاً.. قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى بدء خلافته: «اذا أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى» وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يجيب على حذيفة وقد وجده مهموماً: (إنى أخاف أن أقع فى منكر، فلا ينهانى أحد منكم تعظيماً لى) ويقبل رجل آخر على عمر ويكرر له كلمة (اتق الله ياعمر» فلما حاول أحد الجالسين اسكاته قال له عمر: (دعه لا خير فيهم إن لم يقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها).

(١) مراد محمد على: «الأساليب الادارية فى الاسلام» القاهرة ـ دار الاعتصام ١٩٨٠م، ص٩٨.

(٢) سيد احمد عثمان: «المسئولية الاجتماعية فى الاسلام ـ دراسة نفسية» «الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس» القاهرة ـ عالم الكتب ١٩٧٣م، ص٦.

(٣) محمد منير مرسى: «أصول التربية الثقافية والفلسفية» القاهرة ـ عالم الكتب ١٩٧٧م، ص٣٠

(٤) عبد الغنى عبود: «فى التربية الاسلامية» القاهرة ـ دار الفكر العربى، ط١، ١٩٧٧م، ص٦٩.

(٥) احمد عزت عثمان صالح: «الكتاتيب ـ دعوة للاستفادة من مزاياها فى تعليمنا الحديث» حـ١، جريدة «الجزيرة» السعودية، الجمعة ١٩ جمادى الاولى ١٤٠٣هـ، ص١٦.

وحـ٢، جريدة الجزيرة السعودية، الخميس ٢٦ جمادى الاولى ١٤٠٣هـ، ص١٧.

(٦) حسين عبد الله محضر: «الجديد فى الادارة المدرسية» جدة ـ دار الشروق، ط٢، ١٣٩٨هـ، ص١٨٤.

(٧) اسماعيل محمود القبانى: «التربية عن طريق النشاط» القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٨م، ص٣٦.

(٨) ابن مسكويه: «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق» القاهرة ـ دار التقدم، ١٩١١م.

(٩) القلقشندى: «صبح الاعشى» حـ٧، القاهرة ـ المطبعة الأميرية، ١٩١٥م، ص٨٧.

(١٠) محمد بن سحنون: «كتاب آداب المعلمين» تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، تونس ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص٤٤.

(١١) محمد خير حسن عرقسوس، حسن ملا عثمان: «ابن سينا والنفس الانسانية» بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

(١٢) الغزالى: «احياء علوم الدين» حـ٣، القاهرة ـ المطبعة التجارية الكبرى، بدون تاريخ الطبع، ص٧٣.

(١٣) ابن خلدون: «المقدمة.. تاريخ العلامة ابن خلدون»، م١، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٦٧م، ص١٠٤٢.

(١٤) أحمد كمال احمد: «قراءات فى علم الاجتماع»، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٧٧م، ص١٧٤.

(١٥) عبد الله بن صالح المحسن: «الأحاديث الأربعين النووية مع مازادها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد» المدينة المنورة، مطابع الجامعة الاسلامية، ١٤٠٤هـ، ص٣٤.

(١٦) المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف: «سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية» ط٢، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص١٠.

(١٧) سيد حسن حسين: «دراسات فى الاشراف الفنى»، القاهرة ١٩٦٩م، ص١٠٧ـ١٠٨.

(١٨، ١٩، ٢٠) المملكة العربية السعودية: «سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية» البند٢٢، ٣٩و٤١، ١٤و٥٩.





(٢٧) نبى الله سليمان وأبو الحصين:

تحكى احدى الأساطير إن نبى الله سليمان أصيب بواكدة وما أدراك ما الواكدة: إنها خراج يخرج تحت اللحى ثم يأخذ فى الانتفاخ مع ألم شديد، فيعمد البدو إلى رشه بكبات صغيرة فى جميع جوانبه، ويتركون مكان الفم بلا كى فينبعج فيسلم.

واشتد الألم على سليمان ـ عليه السلام ـ فارسل إلى الوحوش والطير لتسهر لسهره فلاحظ غياب أبى الحصين (الثعلب) وفى الصباح طلبه وسأله عن أسباب غيابه رغم اجتماع جميع افراد فصيلته.

فقال ابو الحصين: لا تعجل على يا نبى الله فقد سهرت أتفكر.

فقال سليمان: فيم تتفكر؟ قال: فى الحصى الذى لا يكبر صغاره ولا يشيب كباره.

فعذره سليمان وطلب منه الا يغيب مرة ثانية.

ولكنه أوى إلى مرقده فى الليلة الثانية ولم يعبأ بكلام ملكه.

وجاء فى اليوم الثانى وسليمان يتميز غيظاً، فسأله ـ بغضب ـ أين كنت البارحة؟.

فقال أبو الحصين لا تعجل يا مولاى، لقد سهرت أتفكر.

فقال سليمان: ـ بغضب أيضاً ـ فيم تتفكر؟.

فقال: فى السبخاء التى لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها.

فقال له سليمان: اذهب وإياك والعودة إلى مثل هذا التفكر فاننى أسهر هنا من شدة الألم وكل الوحوش والطير تسهر معى الا أنت.

ولكن صاحبنا أبا الحصين ذهب فنام قرير العين إلى الصباح.

وفى الصباح كان سليمان فى ثورة ما بعدها ثورة وهو يحلف: ليسكتن لسان أبى الحصين إلى الأبد.

ولكن أبا الحصين جاء مبكراً هذا اليوم وكأنه علم بما سيحدث فبادر سيدنا سليمان قائلاً: لا تعجل يا مولاى فقد سهرت أتفكر.

فازداد غضب سليمان وارتعشت يداه وهو يقول: فيم تتفكر يا أبا الحصين؟.

فيقول أبو الحصين ـ فى هدوء ـ فى عيال الحرام الذين لا ينامون ولا يدعون الناس ينامون.

فضحك سليمان حتى انفقأت الواكدة.

فكان هذا العمل يمناً لابى الحصين ومدعاة لتقريبه واستوزاره.

(٢٨) نجاب ينقل رسالة بريدية من مكة إلى جدة فى ليلة واحدة:

عرض تلفزيون المملكة العربية السعودية فى حلقة من حلقاته ظرفاً ظهر عليه ما يدل على أنه ـ فى أيام



النجا جيب ـ وصل من مكة إلى جدة فى ليلة واحدة، وكان الذى يعرضه يقدمه على أنه من النوادر.

والحقيقة أن مثل هذا كان حدثاً عادياً فى تلك الأيام فالجمال حاملات الأثقال كانت تصل بين مكة وجدة فى ليلتين بسيروئيد والمسافة بين المدينتين قريبة من ٧٣ كيلا فاذا عرفت أن الذلول الأصيل يسير بمعدل عشرة أكيال فى الساعة.

فلا غرابة بأن ينقل ذلك النجاب الرسالة فى ليلة واحدة إنما الغريب ما نذكره بعده والشيء بالشيء يذكر.

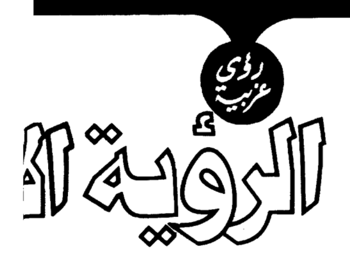
(٢٩) يقطع المسافة بين مكة والطائف ذهاباً وإياباً فى ليلة واحدة:

قيل: أهدى للشريف عون الرفيق فنجانا قهوة من مقر الخلافة باسلامبول وكانا من الندرة بحيث اختص بهما لنفسه، فدفعهما إلى جارية له مسؤولة عن قهوته فحفظت أحدهما فى مكان أمين وجعلت تقهوى عون فى الفنجان الآخر ثم صيّف الشريف عون فى الطائف وذات ليلة وبعد أن كف القوم قامت تلك الجارية تغسل أوانى القهوة فوقع المحذور فقد انكسر فنجان عون الرفيق.. وماذا تفعل هذه الجارية المسكينة؟ وكيف تجرؤ على زف الخبر إلى الشريف؟ ولو جرؤت على ذلك ماذا يحدث يا ترى؟ إن البديل المنقذ هو الفنجان الآخر أى النسخة الأخرى والتى لن يفطن إليها عون الرفيق ولكن هذه النسخة هى الآن فى مكة والمسافة شاسعة والليل أظلم.

ولكن هذه الجارية كان لها مَنْ تفزع إليه وهو أحد عبيد عون فاسرعت إليه تستغيث ونستأنس برأيه فيما يمكن فعله، فما هالها الا قوله: هاتى مفتاح الدولاب فسألت الجارية بدهشة ـ أى دولاب يا ترى فاذا العبد يجيبها: الدولاب الذى فيه الفنجان الأخر الذى فى مكة فتقول له: ولكن فيم أقهوى الشريف قهوة الصباح؟. فيقول لها.. فيه فى ذلك الفنجان الذى بمكة..

وشمر العبد عن ساقيه واطلقهما للريح وصعد النقب الأحمر ثم انحط مع جبل كر الذى يسير الناس فيه يوماً كاملاً، ثم أخذ الفنجان وكر عائدا، وجاء الصباح وجاء وقت تقديم القهوة للشريف عون واسقط فى يد تلك المسكينة ماذا تعمل؟ إن تأخير موعد القهوة أمر غير وارد عند أمثال عون وتقديمها فى غير فنجانه أمر أمرّ من سابقه.. وصارت تقتلى على أحر من الجمر، وقلبها يرتفع ويهبط ودماغها يكاد ينفجر من التفكير فى خطب لا حل له. وجاء الله بالفرج فاذا العبد يدخل عليها المقهى يلهث فيقع على الأرض ماداً الفنجان بيده ولكن الجارية لا تكاد تراه واسرعت تصب لسيدها القهوة وكأن شيئا لم يحدث.

ونرى اليوم أن المسافة بين الطائف ومكة تبلغ نيفاً وتسعين كيلا على ذلك الطريق الذى سلكه سعيد.. أى أنه قطع مسافة تزيد على (١٨٠) كيلا فى أقل من ليلة كاملة فيكون بهذا ضرب رقماً قياسياً لا أعتقد أن أحداً يستطيع تحطيمه.



يقول بول كلى فى سياق تلك الملاحظات التى ذكرها فى محاضرة بمناسبة افتتاح معرض له سنة ١٩٢٤ والتى تعبر عن وجهة نظره وخلاصة تأمله فى موضوع العملية الابداعية بأن الفنان يعطى قيمة كبيرة للقوى التى تقوم بالتشكيل فى الطبيعة أكثر من اهتمامه بالاشكال النهائية ذاتها. . ان هذا العالم فى شكله الحالى ليس هو العالم الوحيد الممكن، ولذلك فهو يفحص بعينه النافذة الاشكال التى تضعها الطبيعة، وكلما كانت نظرته أعمق، كانت قدرته على الامتداد برؤيته من الحاضر الى الماضى أكثر سرعة وانطلاقا، كما أن الابداع ينطلق أيضا من الحاضر الى المستقبل. . وهذه الحرية الحركية للافكار الابداعية هى أمر مميز للابداع الفنى فى رأى بول كلى.

على أن الأمر الذى يعنينا أكثر هنا هو ذلك التصور الشامل الذى قدمه بول كلى والذى اعتبره هربرت ريد فى تقديمه للكتيب الذى يضم ملاحظات «كلى» أعمق التعبيرات وأكثرها اضاءة عن الاساس الجمالى للحركة المعاصرة فى الفن. . وذلك أنه من خلال عملية تحليل ذاتى يخبرنا بما يحدث داخل عقل الفنان أثناء نشاط التكوين وما هى الاغراض التى يستخدم من أجلها مواده. . كما أنه يميز بطريقة واضحة بين الدرجات المختلفة (أى عمليات أو نظم الواقع) ثم يدافع عن حق الفنان فى أن يشكل النطاق الخاص للواقع وفقا لقواعد معينة.

والآن ما هى الأسس التى أقام عليها «كلى» تصوره؟. . يقول «كلى»: ان ابداع العمل الفنى يجب أن يتم بالضرورة كنتيجة للتعامل مع الابعاد النوعية للفن البصرى، ولابد أن يصاحبه تحريف مناسب للشكل الطبيعى.

ولكن ما هى هذه الابعاد النوعية التى ذكرها «كلى»؟

«بول كلى مصور وحفار سويسرى، ولد فى ١٨/١٢/١٨٧٩ بجوار برن، وتوفى فى ٢٩/٦/١٩٤٠م بلوكارنو. ودرس فى ميونيخ على يد الفنان «شتول» وعمل استاذا باكاديمية دسلدروف عام ١٩٣١ وعاد إلى سويسرا عام ١٩٣٣. وقد كون من الالوان والاشكال عالما خياليا وكان مغرما برسم أشياء تذكرنا برسوم الاطفال، عبارة عن خطوط رفيعة متشابكة وذات ألوان رقيقة، وهو أحد أعضاء جماعة الفرسان الزرق وأهم أعماله موجودة بمتحف برن».

(١) هناك العوامل الشكلية الاكثر أو الاقل تحديدا مثل الخط وقيمة النغمة واللون.

أولا: من هذه العوامل نجد أن الخط هو أكثرها تحديدا وهو يمثل مادة للقياس البسيط وخصائصه كالطول (الطويل أو القصير) والزوايا (المنفرجة أو الحادة) ونصف القطر وغير ذلك من الخصائص هى كميات خاضعة للقياس.

ثانيا: أما قيمة النغمة فتعتبر ذات طبيعة مختلفة،

إبداعية لدى بول كلي

د. شاكر عبد الحميد سليمان

فالدرجات المختلفة للتظليل بين الاسود والابيض يمكن تحديدها أكثر من خلال خاصية الوزن أو التحصيل، فمرحلة معينة من العمل يمكن أن تكون أكثر خصوبة من خلال استخدام طاقة الابيض ومرحلة أخرى قد يحسن تحميلها (أو جعلها موزونة) فى اتجاه الاسود والمراحل المختلفة يمكن تحميلها فى مقابل بعضها البعض.. كما أن النغمات البيضاء والسوداء يمكن أن تحدث عمليات تفاعل كبير بينها.

الثا : اللون له خصائص مميزة مختلفة لانه يمكن ألا يوزن أو يقاس، ويمكن اكتشاف الفرق بين

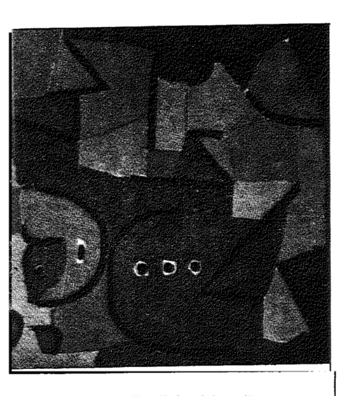
سطحين خاصين به أحدهما أصفر نقى والاخر أحمر نقى ليس من خلال القياس (كالخط) أو الوزن (كقيمة النغمة) ولكن من خلال خاصية كيفية هى ما نسميها بالكلمات: الاصفر والاحمر.. الخ.

والآن - يقول «كلى» - فإن لدينا ثلاث وسائل شكلية فى متناولنا هى: القياس، الوزن، النوعية أو الكيفية وهذه الوسائل رغم الفروق الجوهرية بينها فانها تشتمل على علاقات متفاعلة محددة ويمكن توضيح شكل للتفاعل بايجاز كما يلى: فاللون هو خاصية أساسية لكنه يمكن أن يكون وزنا لانه لا يشتمل فقط على قيمة اللون ولكن أيضا على نصوعه. فانه يمكن أن يعد وسيلة للقياس لانه بالاضافة الى النوعية والوزن فان له حدوده أى المنطقة والمدى اللذين يوجد فيهما وكلاهما يمكن قياسه. وقيمة النغمة هى أساسا وزن ولكن فى مداها وحدودها يمكن أن تصبح مقياسا أما الخط فهو مقياس فقط.

وهكذا فإننا نجد أمامنا ثلاث كميات تتداخل كلها فى منطقة اللون وتتداخل اثنتان منها فى منطقة التضاد النقى (النغمة القيمية الخاصة بالابيض والاسود) ويمتد

واحد منها الى منطقة الخط النقى . . وهذه الكميات الثلاث تمنح العمل الطابع المميز له، كل منها وفقا لاسهامه الخاص، ثلاثة مكونات متفاعلة، المكون الاكبر (اللون) يشتمل على الكميات الثلاث والاوسط (قيمة النغمة) على كميتين والاصغر (الخط) يشتمل على كمية واحدة. ثم يستطرد «بول كلى» بعد ذلك فى تفصيلات كثيرة لتوضيح الجوانب المختلفة لعناصر هذا البعد الخاص بمكونات الشكل فيتحدث عن دائرة الالوان والتقابلات المختلفة بين الالوان والالوان الاولية والالوان الثانوية والدرجات المختلفة للتظليل والامكانيات الابداعية للخط ولقيمة النغمة وللالوان المختلفة ويؤكد أهمية وعى الفنان بهذه المكونات والخصائص الشكلية لانه قد يفقد اتجاهه ببساطة على سطح الشكل اذا لم يكن على وعى بامكانيات وحدود هذا الشكل وطاقاته. ويقول «كلى». اذا هذا يعتمد على مزاج الفنان فى الوقت الذى يكون فيه عليه أن ينتزع عناصر كثيرة من نظامها العام وانتظامها المحدد لكى يجمعها معا ويحقق من خلالها نظاما جديدا ويقوم بتكوين صورة تسمى عادة بالموضوع.

(٢) والموضوع هو البعد الثانى فى العمل الفنى فى رأى «كلى» وهو يتكون من خلال اختيار الفنان للعناصر الشكلية ولطبيعة العلاقات بينها، وهو - فى أضيق الحدود - مماثل لفكرة الموتيفة والموضوع المتكرر فى التفكير الموسيقى. ومع النمو التدريجى للصورة أمام العينين فان تداعيات من الافكار تتسلل بالتدريج الى عقل الفنان ومن ثم الى عمله مما قد يغريه على محاولة تفسير المادة، لان أى صورة ذات تركيب معقد يمكن أن تقارن مع بعض الجهد للخيال مع صور مألوفة فى الطبيعة، وهذه التداعيات التى يقوم بها الفنان لا تتفق تماما مع الارادة المباشرة للفنان وقد كانت دائما مصدرا لسوء الفهم بين الفنان

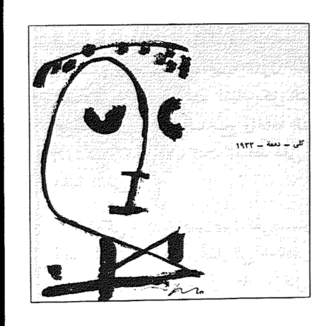


كلى ـ شخص فى الحديقة ـ ١٩٣٧



كلى ـ شخص غير ذى اهمية ـ ١٩٢٧

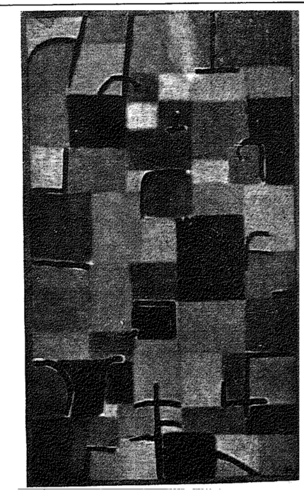
الـذى يحاول أن يبذل أقصى جهده لجعل العناصر الشكلية تتجمع بطريقة نقية ومنطقية بحيث يكون كل منها فى موضعه الصحيح الذى لا يتصادم فيه مع المكونات الاخرى، وبين رجل الشارع الذى يبحث عن تشابهات سطحية بين ما يراه فى اللوحة وما يراه فى حياته اليومية.



كلى ـ دمعة ـ ١٩٣٢

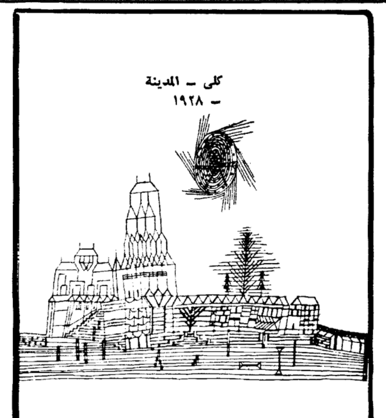
(٣) بعـد حديث بول «كلى» عن بعـد الخصائص الشكليـة وبعد الموضوع يتحدث عن البعد الثالث وهو بعد التعبير، فيقول: ان بعض خصائص الخط وعمليـات الدمج بين بعض قيم النغمات (الابيض والاسود) وبعض التناسقات فى اللون تحمل معها فى نفس الـوقت أشكـالا متـمايزة بارزة من التعبير، ان النسب الخطية يمكن ـ على سبيل المثال ـ أن تشير الى الزوايا والحركات التى يمكن أن تكون حادة أو متعـرجـة فى مقابل الحركات البسيطة والافقية وكل ذلك يعد هاما فى التعبير عن أفكار الفنان، انه يؤدى الى تعبيرات متقابلة لكنها هامة. وبنفس الطريقة فان فهم أو تصور الفنان للتضاد يمكن أن يعطى أو يتم تمثيله من خلال شكلين من اشكـال الـتركيبـات أو الابنية الخطية.

وقد اكد «كلى» هنا أن العمل الابداعى ينبثق من المصادر الكامنة هناك فى اعماق النفس الانسانية سواء سميناها بالاحلام أو الافكار أو الخيال.. وأيا كانت التسمية فاننا يجب أن ننظر الى ذلك بجدية فقط اذا قمنـا بتوحيدها مع الوسائل المناسبة لتشكيل العمل الفنى، والفنان المبدع ـ فى رأى «كلى» ـ لا يمنح فقط الروح للمرئى ولكنه أيضا يجعل الرؤى الخفية مرئية.



كلى ـ نقوش على أرضية صفراء ـ ١٩٣٧

(٤) يؤكـد بول كلى بعـد ذلـك أهمية البعد الرابع للعمل الفنى وهو الاسلوب الذى يجب أن يتميـز به الفنـان كما تتميز شخصيته عن غيرهـا من الشخصيـات وقد دافع كلى عن


كلى ـ المدينة ـ ١٩٢٨ ـ

أعماله ضد محاولة تفسيرها من خلال مشابهتها لاعمال ورسومات الاطفال فقال: بأن ذلك لابد وأنه قد نجم عن تلك التكوينات التى قمت بها وحاولت فيها دمج صورة محسوسة (لرجل مثلا) مع التمثيل النقى لعنصر الخط، وحيث اننى أريد أن أقدم الرجل (أو الانسان) كما هو ثم انه يجب علىَّ بعد ذلك أن استخدم ذلك الارتباك المذهل للخط بحيث ان التمثيل الاولىِّ النقى قد يصبح خارج الموضوع، فان النتيجة قد تكون هى الغموض خلف التعرف (أى التعرف المقترن بالغموض) وعلى كل حال فاننى لا أرغب فى تمثيل الانسان كما هو ولكن فقط كما يجب أن يكون، وهكذا استطيع أن أصل الى ارتباط مبهج بين رؤيتى للحياة وبين الحرفية أو المهارة الفنية النقية، لقد حاولت عمل بعض الرسومات النقية، وحاولت التصوير بنغمات قيمة نقية، وباللون حاولت كل المناهج الممكنة ومن خلالها اهتديت الى احساسى الخاص بالتوجه فى دائرة اللون، لقد عملت من خلال اساليب قيم النغمة الملونة والالوان المتنامة والالوان الكثيرة وأيضا أساليب اللون الكلى فى التصوير. لقد حاولت القيام بكل التركيبات الممكنة من خلال الدمج واعادة الدمج أو التركيب ولكنى دائما كنت أحافظ على تهذيب الخط النقى.

هذه هى خلاصة تصور «بول كلى».. ولا يفوتنا أيضا أن نذكر أنه قد أشار الى العناصر الخاصة بالعملية الابداعية تحدث فى منطقة ما قبل الشعور أثناء نمو العمل الفنى وليس فى منطقة اللاشعور كما أشار «هربرت ريد» حين أكد أن «كلى» كان متفقا مع السرياليين فى تأكيد اهمية اللاشعور ولكنه لم يقبل وجهة النظر القائلة لديهم بأن العمل الفنى يمكن أن يكون عبارة عن عملية اسقاط تلقائى من اللاشعور، فالعملية الفنية تشتمل على الملاحظة والتأمل والتمكن الاسلوبى من العناصر البصرية، ان هذا التأكيد ـ فى آن واحد ومعا ـ على المصادر الذاتية والوسائل الموضوعية للفن، هو ما جعل «كلى» ـ كما يقول «هربرت ريد» ـ اكثر الفنانين أهمية فى عصرنا.

لقد كان تصور «كلى» ـ ومازال، تصورا محكما متماسكا أقامه على أساس خلاصة خبرته كفنان متميز وعلى أساس المهارة والخبرة التى استفادها حين قام بالتدريس فى الباهاوس بعد أن دعاه وولتر جروبيوس W. Gropius للقيام بهذه المهمة هو «وكاندنسكى» وغيرهما مما ترتب عليه ظهور مدرسة معروفة فى التصميم والابداع الفنى.



تغرّب عن الأوطان فى طلب العلا
وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلمٌ وآدابٌ وصحبةَ ماجد



الاسلام في بلد ا

ملاحظات شخصية

بقلم الدكتور
احسان هندي

سياحتنا - في هذا العدد - اسلامية بحتة، نبحر في الجزء الأول منها مع مسلمي دول أوروبا الشرقية.. فنقف على ما يعانونه في هذه الدول من اضطهاد بسبب التضاد التام القائم بين الاسلام والشيوعية نصطحبك - عزيزنا القارئ - لنفرز معاً ما يعانيه أحد مسلمي يوغوسلافيا من اضطهاد.. ونحاول - بإيجاز - أن نقدم شريحة واضحة لحال جميع مسلمي دول أوروبا الشرقية.. وفي جزئنا الثاني من مجلتكم السائح نعود الى عظمة الإسلام في العهد السابق حيث نقدم عرضا موسعا لفتح القسطنطينية على يد القائد المسلم "الفاتح"، عزيزي.. لنطالع معاً المقالين ولنحاول ان نقارن بين عظمة الاسلام من السابق وبين ما يعانيه الاسلام حاليا.. والحكم لك.

"السائح"



الاسلام والشيوعية ضدان لا يجتمعان وهذا أمر أصبح معروفاً منذ بداية تطبيق الشيوعية فى أوائل هذا القرن حتى اليوم . . **وبالرغم من الحملة الصليبية** الشرقية ضد الاسلام فإن دول أوروبة **الغربية تجد نفسها ملزمة تحت ضغط** المسلمين الموجودين فى أراضيها على **القبول بانشاء مساجد جديدة لهؤلاء** بعكس دول أوروبا الشرقية التى لا تكتفى بتجميد عمل المساجد القائمة حالياً بل تعمل لازالتها الواحد تلو الآخر.

وهذه جملة ملاحظات شخصية عن الإسلام والمسلمين فى بلدان أوروبا الشرقية وخاصة فى دولتى يوغوسلافيا وبلغاريا وقد التقطت هذه الملاحظات خلال زياراتى السياحية المتكررة لهذين البلدين.

(١) *فى يوغوسلافيا*:

يعانى المسلمون الأمرّين فى يوغوسلافيا وخاصة المسلمين ذوى الأصل الألبانى بسبب وجود ثارات قديمة بين العرب والألبانيين منذ العهد العثمانى.

وإذا كان الألبانيون **(الأرناؤوط)** يلقبون أنفسهم (النسور) فإن اليوغوسلافيين يلقبونهم بأقبح النعوت. **ولا يقتصر أذى اليوغوسلافيين على** المسلمين ذوى الأصل الألبانى بل يمتد أذاهم **ليشمل المسلمين اليوغوسلاف أيضا من سكان** مقاطعة (البوستاهير زوكوفينا) المعروفه فى المصادر العربية باسم **(البوسنا والهيرسك)** والتى تعتبر عاصمتها **(سيرا جيفو)** أكبر مدينة إسلامية فى أوربة.

ومن الطبيعى أن يحاول المسلمون اليوغسلاف فى حلِّ هذه الأحوال الهجرة إلى بلد إسلامى يشعرون فيه بالأمان وبإمكانية ممارسة شعائر دينهم دون خوف من حسيب أو رقيب. . ومن الأمور التى يجب أن نقدرها أكمل التقدير للحكومة التركية أنها تساعد مثل هؤلاء المهاجرين أو المهجرين إليها وتحاول استيعابهم وتأمين متطلبات المعيشة اللائقة لهم.

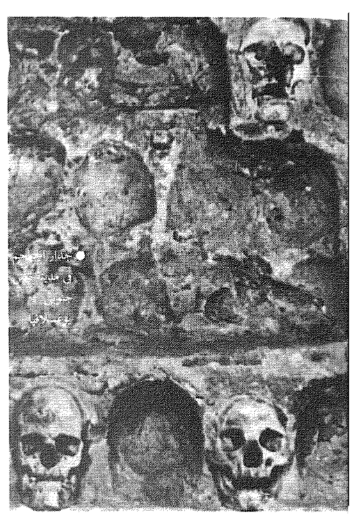
وقد دفعتنى الظروف فى احدى رحلاتى إلى يوغوسلافيا للتعرف بواحد من هؤلاء المهجرين المسلمين اليوغوسلاف ومساعدته. . كان يقف فى محطة قطار بلغراد بهيأة يبدو عليها القلق، مرتدياً الطاقية البيضاء التى هى غطاء الرأس المميزلمسلمى يوغوسلافيا. وقد شجعه تطلعى به للاقتراب منى وإلقاء التحية الاسلامية: «السلام عليكم» ولما رددت له التحية الاسلامية كاملة سألنى إذا كنت مسلماً ولما أجبته بالايجاب سألنى فيما إذا كنت مسافراً بالقطار إلى اسطنبول ولما أجبته بالايجاب أيضاً بدأ يشرح لى بعربية مكسرة ومطعمة ببعض العبارات الانكليزية والتركية مشكلته: إنه «خوجا» أى رجل دين يوغوسلافى مسلم ويريد الهجرة إلى تركيا وهو مسافر إليها بقطار ذلك اليوم ولكن الحكومة اليوغوسلافية لا تسمح له بأن يخرج أى عملة ذهبية أو نقد أجنبى إلا بقيمة عشرة دولارات لكل فرد مما يجعله لا يستحق أكثر من خمسين دولاراً له ولأفراد عائلته المكونة من أربعة أشخاص. . وقد رجانى بلهجة مفعمة بالأمل أن أحمل له معى خاتماً ذهبيا فهمت أنه تذكار عائلى يخص زوجته وورقة بمائة دولار هى كل ما تمكن من تحصيله نتيجة لبيع أغراض بيته بكاملها وقال لى إنه لا يقصد من ذلك سوى تأمين معيشته ومعيشة عائلته لمدة شهر واحد فى تركيا بانتظار إيجاد عمل ملائم له وأكد لى أن الخمسين دولاراً التى تسمح له بها الحكومة اليوغوسلافية لا تكفيه أكثر من أسبوع واحد.

ولما قبلت أداء هذه الخدمة له قال لى إن له رجاء أخيراً عندى: إذا حدث وأوقفه البوليس اليوغوسلافى عن السفر ـ لأنه يقوم بذلك عادة لأتفه



الأسباب فإنه يأمل منى أن أتم جميلى وأضع له المبلغ والخاتم أمانة لدى عائلة يوغوسلافية مهاجرة تقطن فى بلدة (بورصة) التركية قرب اسطنبول.

وقد صعد هذا الأخ اليوغوسلافى المسلم مع عائلته فى ذات المقصورة التى صعدت فيها ضمن القطار المتوجه إلى أسطنبول ولما وصل القطار إلى الحدود البلغارية صعد رجال البوليس والجمرك اليوغوسلافى إلى المقصورة وقاموا بأعمال لا يمكن أن يتصور المرء صدورها من موظفى دولة تعتبر نفسها متمدنة: لقد فتشوا هذا الشيخ اليوغوسلافى وزوجته وابنته وولديه أمام أعين جميع الركاب، وجعلوه يخلع عنه طاقيته وجبته بلهجة هازئة ساخرة ومستهزئة، كما



أن معاملتهم لزوجته وابنته كان فيها الكثير من العبث والاستهتار والمجون . . ثم أمروا الشيخ المسافر بالنزول لوحده من القطار من دون عائلته ونزل الشيخ وهو يحتج ولكنهم سمحوا له بالصعود من جديد إلى القطار ـ وهم يضحكون هازئين ـ لما صفر القطار إيذاناً بالرحيل .

وفي يوغوسلافيا أيضاً توجد مدينة اسمها نيش Nis . . ونيش هذه مشهورة بوجود جدار مبنى من الجماجم فيها وتقول النشرات السياحية أن هذه الجماجم هى لأبطال المقاومة الصربيين ضد الاستعمار التركى لصربيا الذى دام بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر.

ولقد شاهدت الجدار المذكور كسائح ثم خرجت منه للتجول فى المدينة التى يدين أغلب سكانها بالإسلام ، وقد قادتنى خطاى إلى حلوانى اسمه «حسن» سألنى عن بلدى ودينى ولما قلت له إننى مسلم أجابنى : «وأنا مسلم والحمد لله» وسألنى حسن هذا عما رأيت فى المدينة ولما أجبته بأننى رأيت «جدار الجماجم» ابتسم ابتسامة ذات مغزى وقال : «هل صدقت أن الأتراك المسلمين هم من فعلوا ذلك؟ إنهم أبناء المدينة النصارى الذين اغتنموا فرصة تقدم القوات النمساوية والصربية فى المنطقة وثاروا على سكانها المسلمين وقتلوهم وبنوا الجدار من جماجمهم بعد انتصار القوات النمسوية وإنشاء دولة صربيا .

(٢) فى بلغاريا

أما فى بلغاريا فإن وضع المسلمين هو أكثر سوءاً . . ففى العاصمة صوفيا لم يبق إلا مسجد واحد لا يفتح أبوابه إلا يوم الجمعة عند صلاة الظهر . وإمام هذا المسجد موظف لدى الحكومة البلغارية وهو يقدم أسبوعياً تقريرا بعدد المصلين فى المسجد يوم الجمعة وكم كانت نسبة المواطنين البلغار ونسبة الأجانب فيما بينهم .

وقد أغلقت جميع المساجد الأخرى فى صوفيا ، كما تم تحويل بعض هذه المساجد إلى دوائر حكومية عادية وبوسع زائر الطابق الثانى من متحف صوفيا أن يشاهد إلى جانب بناء المتحف بناء لمسجد قديم تم تحويله إلى دائرة حكومية عادية بالرغم من أنه تابع للوقف الاسلامى أساساً .

وفي بلغاريا توجد مدينة جميلة تسمى

(بلوفديف) كانت أغلبية سكانها من المسلمين حتى عام ١٩١٢، ويسميها الأتراك باسم (فيلبه) اختصاراً لتسمية (فيليب) الذى بناها فى العصور القديمة.

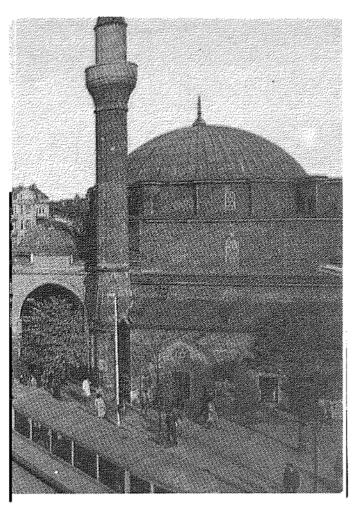
والزائر لمتحف بلوفديف تطالعه لوحة جدارية ضخمة تصور المدينة فى نهاية القرن التاسع عشر وقد عددت فى هذه اللوحة (٧٦) مئذنة وهذا يعنى أن عدد المساجد كان فيها أكثر من خمسين مسجداً فى نهاية القرن الماضى.

أما هذه الأيام فلا يوجد فيها سوى مسجدين احدهما يستخدم للصلاة يوم الجمعة فقط والثانى مهجور خرب توجد فى باحته الداخلية العربة الخاصة بنقل موتى المسلمين كما فهمت من العبارات التى تحملها.

وضمن فناء المسجد يوجد بيت يظهر أنه لخادم المسجد أو للموظف المشرف على العناية به وهو يأخذ قسماً كبيرا من الفناء ويسد الممر المؤدى إلى مدخل المصلى.

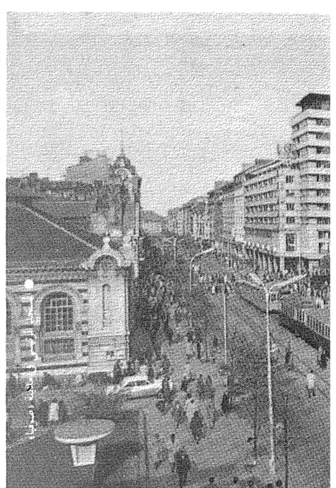
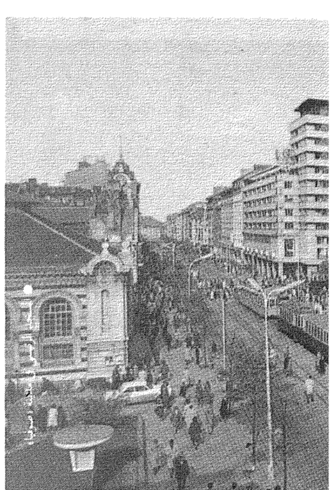
ولما زرت هذا المسجد لآخر مرة ـ وكان ذلك عام ١٩٧٩م ـ درت حول بناء المسجد عدة مرات ودلفت الى داخل المصلى فى إحداها ولما خرجت منه وجدت فتاة تقترب منى وتكلمنى بالبلغارية ولما أجبتها بالفرنسية إننى أجنبى سألتنى باللغة نفسها من أى بلد أنا ولما قلت لها إننى عربى قالت: موسليمان (أى مسلم) فأجبت بالايجاب وعندها بانت عليها فرحة طاغية وكأنها وجدت كنزاً وقالت: وأنا مسلمة والحمد لله.

وجرتنى من يدى بسرور عارم إلى البيت الملاصق للجامع، وعرفتنى بأمها ثم أيقظت أباها من نومه لتعرفنى به قائلة فقط: «موسليمان» وشد الأب على



يدى وكرر نفس الكلمة السحرية «موسليمان» بلهجة السؤال وعندما هززت رأسى بالايجاب أشار لى بيده أن أنتظر قليلا وغاب الأب بضع لحظات ثم عاد بصندوق بدأ يخرج منه من الأعلى مجلات وجرائد بلغارية مختلفة حتى وصل إلى مجلد قبله ووضعه على رأسه وهو يصيح: «قرآن، قرآن» وفتح القرآن الكريم وبدأ يقرأ بصعوبة بعض السور القصيرة فأخذت منه «الكتاب» عندئذ وبدأت أقرأ لأفراد العائلة جميعاً ولم يطل الأمر بى حتى وجدت أعينهم جميعاً تمتلىء بالدموع.

وبعد أن انتهيت من قراءتى أخذ الأب يتكلم بالبلغارية والبنت تشرح لى بالفرنسية عن الضغط الذى يتعرض له المسلمون فى بلغاريا وجميع ما قالته

يحمل دلالة واضحة على سوء نيَّة الحكومة البلغارية تجاه المسلمين.

وها هى وكـالات الأنبـاء تحمـل لنـا أخبـار الحملات التى تقوم بها أجهزة البوليس البلغارية ضد المسلمين هناك لإجبارهم على ترك دينهم وأسمائهم الاسلامية والتسمى بأسماء بلغارية إلى درجة أن شخصاً كان اسمه «محمداً» قد تسمى باسم «خريستو» وهناك ٨٠٠٠٠ تركى مسلم فى بلغاريا يتعرضون لحملة القمع هذه.

وفى الاجتماع الأخير حول «حقوق الانسان» والذى عقده (مؤتمر الأمن والتعاون الأوربى) فى أوتاوا أثار رئيس الوفد التركى موضوع حملة القمع البلغارية ضد المسلمين وقال بالحرف الواحد «إن جنوداً بلغار قتلوا أفراداً من الأقلية التركية المسلمة الموجودة فى بلغاريا منذ مئات السنين وذلك خلال حملة حكومية استهدفت إجبار أفرادها على أن يخلعوا على أنفسهم أسماء سلافية وأن يتخلوا عن الدين الاسلامى».

وكان أن أجاب المندوب البلغارى بكل صفاقة بما معناه «إن عملية تغيير أسماء المسلمين إلى أسماء بلغارية سلافية تتم وفقاً لإرادتهم الذاتية طوعاً وبشكل تلقائى لا دخل للسلطة الحكومية فيه» وهذا غير صحيح طبعاً.

وسواء كان المسلمون البلغار يتعرضون لحملة قمع فعلاً لتغيير أسمائهم الاسلامية إلى أسماء بلغارية كما تقول الأطروحة التركية أو كان هؤلاء المسلمون يغيرون أسماءهم هذه طوعاً واختياراً حسب الأطروحة البلغارية فإن الحالتين تدلان على أن المسلمين البلغار فى خطر يجب محاولة إنقاذهم منه.

وكل غايتنا من كتابة ونشر هذا المقال هى دق ناقوس الخطر لمد يد المعونة لهؤلاء ولاخوتهم المسلمين فى بقية بلدان أوروبا الشرقية.

فى أوروبا الشرقية تعددت صور الاضطهاد والقمع على المسلمين من سكان تلك الدول مما يضطرهم للهجرة وطنهم حفاظاً على دينهم.



محمد الفاتح

استطاع المسلمون فى القرن الأول مواجهة الفرس والروم وتمكنوا من الحرب على جبهتين واسعتين - فارس والروم - وهم يحملون عقيدة وأمانة لابد من تبليغها الى العالم ويرحم الله **اقبال** الذى يقول:

كنا جبالاً فى الجبال وطالما
سرنا على موج البحار بحارا
ندعو جهاراً لا إله سوى الذى
خلق الوجود وقدّر الأقدارا

ولم يكن حب التوسع والسيطرة هو دافع الفتح بل كان الجهاد الاسلامى بغايته الناصعة فى تحرير الأنسان من العبودية للأحجار والأشجار ونشر الاسلام الحنيف على كل أرض تطؤها أقدام المسلمين.

لم تنسَ أفريقيا ولا صحراؤها
سجداتِنا والأرض تقذفُ نارا
فكأن ظِلَّ السيفِ ظِلُّ حديقةٍ
خضراء تُنبتُ حولها الأزهارا

وكان سقوط المدائن بسرعة سبباً فى اختصار المدة القتالية على جبهة فارس بينما طالت المعارك على جبهة الروم لبعد عاصمتها - القسطنطينية - ومناعتها فقد استعصت قبل الفتح الاسلامى على كل المحاولات التى استهدفت فتح هذه المدينة(١).

القسطنطينية

بقيت روما عاصمة للرومان حتى جاء قسطنطين الأكبر امبراطوراً لدولة الروم (٣٠٦-٣٣٧م) ورعى مؤتمر نيقية الأول ٣٢٦م الذى عصف بعقيدة التوحيد المسيحية وأقر التثليث والصليب الى حد أن قال بعضهم (لم يتنصر الرومان ولكن النصرانية تروّمت) فقد دخل قسطنطين فى النصرانية التى أقرها المجمع المذكور ولكنه لم يعمد - المعمودية - إلا على فراش الموت(٢).

أختار قسطنطين عام ٣٣٠ مدينة - بوزنطة - الواقعة على خليج البوسفور عاصمة الملكة واطلق اسمه عليها فعرفت بالقسطنطينية.

وفى عام ٣٩٥م انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين غربى وعاصمته روما وشرقى عاصمته القسطنطينية.

أما روما الغربية فقد سقطت على يد البرابرة والقوط عام ٤٧٦م وظلت القسطنطينية بعدها بألف عام حتى فتحها المسلمون.. بعد محاولات متعددة.

القسطنطينية فى أخبار الفتن والملاحم:

تضمنت احاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة

القسطنطينية

نصوصاً كثيرة عن فتح هذه المدينة من اهمها (حديث عبد الله بن بشر الخثعمى) عن أبيه رضى الله عنه أنه سمع النبى ﴿ﷺ﴾ يقول: «**لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش**» قال فدعانى (مسلمة بن عبد الملك) فسألنى فحدثته فغزا القسطنطينية ـ (رواه احمد وابنه عبد الله والبزار وابن خزيمة والطبرانى). قال الهيثمى ورجاله ثقات ورواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه.

وفى حديث آخر (عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما) قال: (انكم ستغزون القسطنطينية ثلاث غزوات: الأولى يصيبكم فيها بلاء والثانية يكون بينكم وبينهم صلح حتى تبنوا فى مدينتهم مسجدا وتغزون أنتم وهم عدوا وراء القسطنطينية ثم ترجعون إلى القسطنطينية وأما الثالثة فيفتحها الله عليكم بالتكبيرات فيخرب ثلثها ويحرق الله ثلثها وتقتسمون الثلث الباقى كيلا).. رواه (نعيم بن حماد) فى الفتن(٣).



وتعددت النصوص على أن فتحها احدى خصال ست بين يدى الساعة وان هذا الفتح قريب من خروج الدجال.. ولهذا يرى صاحب اتحاف الجماعة أن فتحها على يد السلطان محمد الفاتح ليس هو المقصود من الاحاديث بل لابد من فتحها على يد بنى اسماعيل ـ العرب ـ ولا يترتب على هذا الخلاف مشكلة بل هى وجهة نظر.. ولكن الحديث الأول بقوة سنده يدل على أن فاتحها جيش وقائد أثنى عليه الرسول ﴿ﷺ﴾. وقد فتحت ودخلها الاسلام والحمد لله على كل حال.

محاولات فتح القسطنطينية:

يعتبر معاوية رضى الله عنه من أغزى قادة المسلمين للقسطنطينية ونسرد هنا بعض محاولات فتحها حسب الترتيب التاريخى.

(١) اواخر عام ٣٢هـ/٦٥٣ فى خلافة (عثمان رضى الله عنه) قصدها معاوية رضى الله عنه بجيش برى عبر آسيا الصغرى حتى ضفاف البسفور وتحرك لدعمه اسطول بحرى اسلامى من طرابلس الغرب بقيادة بسر بن أرطاة ولم تنجح المحاولة(٤).

(٢) ٤٤هـ/ ٦٦٩ ـ انطلقت حملة أخرى فى عهد معاوية رضى الله عنه ولم تنجح ايضا.

(٣) ٤٩هـ/٦٦٩ ـ ارسل معاوية رضى الله عنه حملة اخرى بقيادة «سفيان بن عوف» ومعه يزيد بن

معاوية وعدد من الصحابة كابن عباس وابن عمر وابى أيوب الانصارى رضى الله عنهم واستخدمت الحملة اسطولاً من غنائم ـ ذات الصوارى ـ عبر الدردنيل بلا مقاومة وحوصرت المدينة براً وبحراً عدة اعوام فانسحب المسلمون عام ٥٨ دون جدوى.

ولكنهم فى هذه الحملة تركوا «أبا ايوب الانصارى» دفين اسوار القسطنطينية فعندما أحس رضى الله عنه بدنو أجله أراد أن يسهم فى بث حماس المسلمين لاعادة الكَرّة فقال ليزيد ـ (اذا مت فاركب بى فى ارض العدو ما وجدت سبيلاً فان لم تجد فادفنى ثم ارجع) توفى ابو ايوب رضى الله عنه عام ٥٢ والحصار مستمر وفشلت الحملة وبقى هتاف ابى ايوب بالمسلمين جميعا أن يعودوا لفتح القسطنطينية.

(٤) ٩٦هـ/ ٧١٥م انتدب «سليمان بن عبد الملك» أخاه «مسلمة» وأمره ألا يبرح مكانه حتى يفتحها او يأتيه أمر العاصمة دمشق وسار «مسلمة بن عبد الملك» عام ٩٨هـ فاخترق الاناضول وفتح عدة حصون ومدن وحاصر القسطنطينية حتى توفى سليمان وجاءه امر الخليفة عمر بن عبد العزيز بفك الحصار(٥) الذى استغرق كل خلافة سليمان.

كما قامت محاولات اخرى لفتحها يطول البحث فى استقصائها علماً بأن القسطنطينية شهدت (٢٩) تسعاً وعشرين حصاراً وكانت محاولة الفاتح سابع محاولة عثمانية وهو سابع السلاطين العثمانيين.

موقع القسطنطينية:

تحتل هذه المدينة موقعا استراتيجيا فريداً ففى شرقها مياه البوسفور ومن الغرب والجنوب بحر مرمرة ويقسمها القرن الذهبى الى قسمين عظيمين هما (بيدا) وهو القسم الشمالى الشرقى و(استانبول) وهو بيزنطة الحقيقية. كما تحتل مثلثاً صخريا تشرف قاعدته على ـ مرمرة ـ وضلعه الأيمن على القرن الذهبى والميناء وكان كل من هذين الجانبين يحرسهما سور واحد.. اما الضلع الثالث فهو أرض متصلة بأوروبا يحميه خط مزدوج من الابراج والحصون المنيعة وفندق عميق مزدوج له اثنا عشر باباً وفى كل زاوية من المثلث قلعة منيعة وكان القرن الذهبى الذى يحمى ضلع المدينة الشرقى يغلق بسلسلة حديدية ضخمة يمتد طرفاها عند مدخله بين سور غلطة وسور استانبول(٦)

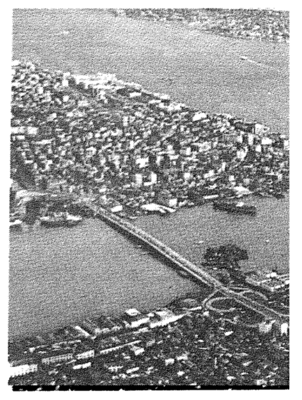


وهذا يقول «نابوليون» لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها وقد كان لهذا الموقع دور كبير فى اطالة عمر ـ الرجل المريض ـ كما يقول الغربيون لاختلاف الدول على من يأخذ هذه المدينة من الدول الكبرى.

التمهيد للفتح:

شرع الفاتح ببناء قلعة على الشاطىء الاوروبى من البوسفور ليتحكم بواسطتها فى السيطرة على أية مساعدة تأتى من اتجاه البحر الاسود وذعر قسطنطين لهذه العملية فأرسل يفاوض الفاتح فى الكف عن بناء القلعة فلم يستجب ورد سفراء قسطنطين وأتم بناء

القلعة فى ثلاثة أشهر بشكل مثلث سمك جدارها عشرون قدما وفى كل زاوية برج مغطى بالرصاص سمكه ٣٢ قدماً ونصب عليها المجانيق والمدافع الضخمة المصوَّبة على القناة تمنع السفن من المرور وسميت (بوغازكن) أى قاطع البوغاز وعرفت



(بروملى حصار) مواجهة لقلعة بايزيد فى الجانب الاسيوى (أناظولى حصار) وقد تم بناء قلعة ـ الروملى فى اواخر آب ١٤٥٢م.

وتولى (فيروز آغا) قيادة القلعة ومعه ٤٠٠ جندى من الانكشارية وامره الفاتح بمنع السفن الاجنبية من المرور بالبوسفور الا بعد تفتيش ودفع ضريبة تحت طائلة اغراقها. ثم قام «الفاتح» على رأس جمع من قواته باستطلاع اسوار وابراج القسطنطينية ومحتوياتها واصبح الفتح حديثه اليومى همه الوحيد حتى أحكم الطوق على المدينة مما اوقع الذعر فى قلب قسطنطين وسكان المدينة.

وبدأ قسطنطين فى اصلاح اسوار المدينة وتكديس المواد التموينية والذخائر والأسلحة والعتاد وأرسل الى الغرب يستنجدهم وطلب من البابا اعادة النظر فى قضية توحيد الكنيستين فوصل مبعوث للبابا الكاردينال أزيدور ـ ومعه مائتا مقاتل لنجدة المدينة وتوحيد الكنيستين وتبعته ثمانى سفن من جزيرة كريت تحمل النبيذ للمحاصرين.

كما وصل المغامر الجنوى «جستنيان» على سفينة محملة بالمؤن والذخائر مع ٧٠٠ مقاتل واستقبله الامبراطور استقبالاً رائعاً وعينه قائداً عاما لقوات الدفاع عن المدينة.

وقاد جستنيان عملية الدفاع عن النقاط الخطيرة وبدأ بتدريب الرهبان والمدنيين وقسّم المدافعين حسب شعوبهم واجناسهم. وقرر قسطنطين اغلاق القرن الذهبى بسلسلة الحديد الضخمة لمنع السفن المعادية من الدخول.

صناعة المدافع:

يزعم الأوربيون أن ـ أوربان ـ المجرى مهندس المدافع المشهور هو صاحب فكرة المدافع. نعم.. جاء اوربان الى محمد الفاتح بعد ما رفض قسطنطين وملوك اوروبا تزويده بالمال وعندما وصل الى الفاتح رحب به واكرمه واستفاد منه والتقت خبرته الفنية بخبرة المهندسين المسلمين الأتراك وعلى رأسهم (مصلح الدين افندى ـ صاروجة افندى ـ سكبان)(٧) وتم صنع المدافع الضخمة وهى اكبر مدافع عرفها التاريخ حيث امكن بواسطتها دفع القذائف الحجرية التى تزن ١٢ قنطاراً الى مسافة ميل تقريبا، وهذا المدفع يجره مائة ثور ويساعدها مائة من الرجال الاشداء يزحفون به كالسلحفاة.. وعندما جرب المدفع لأول مرة فى أدرنة سمع دويه على مسافة ١٣ميلا وسقطت قذيفته على بعد ميل وغاصت فى الارض ستة اقدام وقطع هذا المدفع

الطريق من أدرنة الى اسوار القسطنطينية فى شهرين وهى المسافة التى تقطع بيومين فقط.

سمى هذا المدفع بالمدفع السلطانى - سلطان المدافع كما صنعت مدافع اخرى من عيارات مختلفة وبذلك تفوقت المدفعية العثمانية على كل قوى المدفعية فى العالم وقد ظل سلاح المدفعية العثمانى أقوى سلاح فى مجاله حتى آخر ايام الدولة.

الزحف الى منطقة الحصار

يتجاهل بعض المؤرخين أن «الفاتح» نشأ فى ظلال المساجد وأشرف كبار شيوخ عصره على تربيته فقد كان الشيخ العالم - آق شمس الدين والمولى أحمد الكورانى والمولى خسرو من علماء الفقه الذين رعوا تنشئته وكانوا فى طليعة جيشه الى الحصار. وعندما زحف الفاتح بجيشه قدم هؤلاء الشيوخ ومعهم علماء دولته والأشراف من آل البيت وكلهم يسألون الله سبحانه أن يفتح عليهم هذه المدينة.

وهناك خطب «الفاتح» خطبة بليغة حثهم فيها على الجهاد وتلا عليهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية المبشرة بفتح المدينة - وفى يوم الخميس ٢٦ ربيع الاول ٨٥٧هـ/ ٥/٤/١٤٥٣م - وصل الجيش الى الاسوار - وامتزج التكبير بالموسيقى العسكرية ولمعت عمائم الشيوخ بين الجموع - وصلى القائد صلاة الظهر جماعة بجيشه اللجب ثم عبأ جنده ووزعه بشكل منسق يدل على براعته العسكرية وبدأ الحصار.

خطة الحصار:

تتلخص خطة الحصار بتقسيم قواته الى ثلاثة أقسام:

أ - الميمنة وتتألف من جنود الأناضول بقيادة «اسحق باشا ومحمود بك» وتمتد من بحر مرمرة الى باب المدفع (طوبقابى).

ب - الميسرة وتتألف من جنود أوروبا والمجاهدين والجنود غير النظاميين بقيادة (قرة جه باشا) وتمتد من ميناء القرن الذهبى فى الشمال الى باب أدرنة بمواجهة السور.

ج - القلب - ويتألف من جند الانكشارية والقوات الخاصة بقيادة «الفاتح» نفسه ويواجه القلب الجزء الاوسط من السور - الممتد من طوب قابى الى باب أدرنة وهذا الجزء من السور هو اضعف اجزائه الواقع على وادى ليكوس(٨).

ويتضح من هذه الخطة أن القلب هو الذى سيقوم بالهجوم لأنه يواجه نقطة ضعيفة فى السور وسيبقى الجناح الأيمن والأيسر فى حالة دفاع عند بدء الهجوم.

وهذا التقسيم يخص القوات البرية.

اما فى البحر فقد انتشرت السفن العثمانية فى بحر مرمرة لمنع ما قد يأتى من السفن لنجدة الروم ومراقبة السور الواقع على البحر كما امر الفاتح قائد بَحَرِيَّتِه (بالطة أوغلى) بتطهير بحر مرمرة من الاعداء والاستيلاء على جزر الامراء التى استخدمها الروم كمنفى لأباطرتهم وامرائهم واخرج المساجين من الدهاليز المظلمة ووضع فى الجزر حامية عثمانية.

وتمركز الاسطول العثمانى فى (بشكطاش) على البسفور ومهمته الاولى محاولة العبور الى القرن الذهبى المغلق بسلسلة حديدية مثبتة على سور استانبول وسور غلطة مدينة الجنوبيين المحايدين ولكن قلوبهم مع الروم.

وقدر الغربيون عدد الجيش العثمانى بـ (٣٠٠) الف مقاتل وهو رقم مبالغ فيه يهدف للتقليل من شأن الفتح وتهوين هزيمة الروم بينما يقدر فريق آخر بنصف الرقم السابق تقريبا بل قدّره مؤرخ معاصر - هو الدكتور محمد حرب عبد الحميد - بـ (٢٠) ألف مقاتل عن بعض المصادر التركية. أما عدد المدافعين عن القسطنطينية فيقدر بـ ٦٠ الف مقاتل وقدر



قسطنطين الثالث عشر

اللواء محمود خطاب بـ (٥٠) الف مقاتل على اساس نسبة عشر عدد سكان المدينة البالغ نصف مليون نسمة تقريباً. ومهما كانت الأعداد فإن الفتح يعد نصراً عسكرياً كبيراً إذا عرفنا أن نسبة المهاجمين لا تزيد على ١/٦ من المدافعين.

وعندما بدأت المناوشات ألحقت بعض السفن الاوربية هزيمة بالبحرية العثمانية مما جعل الفاتح يفكر بسرعة فى احتلال القرن الذهبى وادخال الأسطول العثمانى إليه عن غير طريق السلسلة الحديدية.

السفن البرية:

إن دخول السفن العثمانية الى القرن الذهبى يعد خطوة هامة فى احراز النصر لأنه اذا سيطر على هذا الميناء سيقلل من الدفاع الرومانى عن السور البرى المحاصر كما سيشدد المراقبة على الجنوبيين فى غلطة لأنهم يعملون بوجهين احدهما معه والآخر مع اعدائه وتسهل المواصلات مع قاعدته فى (روملى حصار).

ولكن هذه السلسلة تقف عائقاً قوياً فى وجه هذه الخطة - واخذ القائد يفكر ما العمل؟ وقدح زناد فكره عن خطة بارعة لا تخطر ببال الجن، وملخص الخطة أن تجر هذه السفن على الطريق البرى الواقع بين بشكطاش والقرن الذهبى بشرط الابتعاد عن حى غلطة ومفاجأتهم بالعملية.

انها مسافة ثلاثة أميال تتضمن بعض التلول. وبدأ التنفيذ، مهدت الارض ورصفت جيداً وجاء الفاتح بألواح خشبية دهنت بالقار والشحم لتسهيل انزلاق السفن عليها وساعد فى نجاح الخطة خفة السفن وصغر حجمها وعندما نشرت أشرعتها سحبها الجنود وكأنها فى البحر.

واستطاع الجيش نقل السفن فى ليلة واحدة (٢١-٢٣ نيسان ١٤٥٣) وتم نقل سبعين سفينة فى هزيع من الليل وللتمويه على العملية اخذت المدفعية تقصف القرن الذهبى لصرف انظار الروم والجنوبيين عما يجرى خلف خطوطهم وشاركت المدفعية فى قصف السور البرى بقذائف ضخمة واصيب نتيجة القصف سفينة للروم فغرقت واحتمت السفن الأخرى فى أسوار غلطة بينما كانت السفن العثمانية الضخمة تحاول اقتحام السلسلة ولكن دون جدوى.

لقد فوجىء الروم بالمباغتة الكاملة عندما رأوا السفن العثمانية تتهاوج فى القرن الذهبى. فانهارت معنوياتهم عندما سمعوا التكبير يشق عنان السماء من جنود البحرية ممتزجاً بالموسيقا العسكرية (يذكر اللواء - محمود شيت خطاب أن العثمانيين اول من عرف الموسيقى العسكرية فى العالم وعنهم أخذت أوروبا ذلك (كتاب بين العقيدة والقيادة ص٣٧٣).

وتقدمت السفن السبعون الى أعلى الميناء حيث يكون العمق قليلاً واستراحت هانئة بجوار القوات البرية العثمانية المشرفة على الضفتين فلم يجرؤ أحد

على المساس بها ثم بدأ الفاتح ببناء جسر عائم من الأخشاب والصفيح ونصب عليه المدافع لقصف السور المواجه للميناء. ونقلت المعركة البحرية من مرمرة والبسفور الى داخل القرن الذهبى.

حاول (**قسطنطين**) تدمير السفن العثمانية فى القرن الذهبى بعد مؤتمر عقده فى كنيسة (سانت مارى) فانطلقت حملتان بحريتان لتنفيذ المهمة ولكن المدفعية العثمانية كانت لهما بالمرصاد وفشلت بحرية قسطنطين فى المهمة. وبدأت المؤن والذخائر بالتناقص وساءت الحالة المعنوية للمدافعين بعد أن سئموا سماع المدفعية العثمانية التى تقصف المدينة ليل نهار. وباءت محاولات قسطنطين فى استنجاد اوروبا بالفشل بينما أرهق الفاتح اعصاب المحاصرين بهجماته المتكررة ومدفعيته التى لا تسكت.

ولما زاد الطين بلة أن المدافعين عن القسطنطينية سمعوا ضربات عنيفة تحت الارض وعندما بحثوا عنها تبين لهم أن العثمانيين يحفرون نفقاً تحت الارض ليدخلوا المدينة من تحت الاسوار حتى صار الروم يبحثون فى موطىء اقدامهم فزعاً من خروج العثمانيين من تحت الأرض لابتلاع المدينة.

وقد أمر «قسطنطين» بحفر نفق مقابل للخروج الى العثمانيين الذين فوجئوا عند التقاء النفقين بالغاز والنفط يصبه الروم عليهم فتراجعوا وأعادوا الحفر مرة ثانية.. وبينما كان قسطنطين يفكر فى أمر النفق باغته الفاتح باختراع جديد تفتقت عنه عبقريته العسكرية.

ففى صباح ١٤٥٣/٥/٢١م استيقظ الرومان فوجدوا امامهم قلعة خشبية مرتفعة اكثر من الاسوار ذات ثلاث طبقات فى كل طبقة عدد من الجنود يحملون القذائف والنبال وفى اعلاها سلالم من الحبال تنتهى بكلاليب تنشب بأعلى السور فيمر عليها الجنود كالجسور مما اضطر المدافعين الى الاختفاء فى الخنادق.

ووضعت القلعة أمام باب القديس رومانوس (طوب قابى) الذى يدافع عنه جستنيان وعطلت القلعة محاولات الرومان فى اصلاح ما يتهدم من السور.

وبدأت القذائف الحجرية تدك السور حتى احدثت فيه ثغرة تسلل الجنود خلالها واشتد الخطر على المدينة وبدأت الكارثة تتراقص فى ذهن قسطنطين فعزز دفاعه عن هذه النقطة واستطاع احراق القلعة بمواد سريعة الالتهاب ووقف الفاتح ينظر ضاحكاً الى قلعته الخشبية قائلاً (غداً نصنع أربعة منها).

ولكن اليأس دب فى نفوس المدافعين حتى نصح بعضهم قسطنطين بالخروج من المدينة ولكنه رفض ذلك وآثر الموت فى المدينة على الخروج منها.

وخرج سكان المدينة يستغيثون بتمثال العذراء ولكن المطر الغزير اعادهم الى بيوتهم فى حالة من اليأس والقنوط بعد ان تهدمت أجزاء كبيرة من السور ولم يعد بوسع المدافعين رفع الانقاض واصلاحها وبدا للعالم كله أن المدينة بانتظار الهجوم العام للفاتح ودخول المدينة بعد سبعة اسابيع من الحصار.



وقبل بداية الهجوم أرسل الفاتح الى القسطنطينية فى ١٥ جمادى الاولى ٨٥٧هـ ٢٤/٥/١٤٥٣م مبعوثاً يطلب من قسطنطين تسليم المدينة وتجنيب الابرياء ويلات الحرب وعرض عليه أن يرجع حاكماً على المورة وأن يدخل من سكان المدينة من أراد مع امواله ـ وكان جواب قسطنطين أنه يشكر الله سبحانه اذ جنح السلطان للسلم وأنه يرضى بدفع الجزية اما القسطنطينية فقد أقسم على الدفاع عنها حتى آخر رمق فى حياته ـ وعندما بلغ الفاتح الجواب قال حسنا ـ عما قريب سيكون لى فى القسطنطينية عرش أو يكون لى فيها قبر.

وزاد الفاتح من قصف الاسوار ثم طور مدفعاً بحيث يطلق قذائفه بشكل منحن على مبدأ (الهاونات) فأصبحت القذائف تتساقط فى قلب المدينة.

ثم عقد الفاتح مؤتمراً حربياً ضم كبار قادته واركانه ومستشاريه لاتخاذ قرار بالهجوم على المدينة.

حاول الوزير العجوز اقناع السلطان بقبول الجزية ولكن زغنوس باشا رفض ذلك قائلاً ـ اننا لم نأت الى هنا الا لنموت لا لنرجع واذا استطاع الاسكندر اكتساح نصف الكرة الارضية أليس بوسع جيشنا أن يتخطى هذه الكومة من الاحجار المتراكمة ـ وهب أن اوربا هبت لمحاربتنا هل نقف امامها بلا حراك ـ ياصاحب السلطنة لقد بدأنا امراً لابد من اتمامه ولابد من متابعة دك الأسوار وزيادة هجماتنا قوة وشدة.

وكان رأى زغنوس هو المنتصر بعد أن ايده طرخان والشيخ الكورانى وآق شمس الدين وسائر القادة والعلماء.

وارسل الفاتح قائده زغنوس لاستطلاع رأى الجند وعرف رأيهم من خلال التكبير الذى انطلق مزمجراً من حناجرهم عندما سمعوا باقتراب ساعة الهجوم.

التمهيد للهجوم:

امر «الفاتح» بصيام يوم الأحد (١٨ جمادى الاولى/ ٢٧مايو) تقوية لعزيمة الجنود وتزكية لنفوسهم وفى ذلك اليوم استطلع سور القسطنطينية من بحر مرمرة الى القرن الذهبى مع استمرار القصف المدفعى للسور ثم استطلع السور ثانية يوم الاثنين وقصد مرسى أسطوله فى بشكطاش واعطى اوامر لقائده البحرى حمزة باشا لتنفيذ خطة الهجوم ثم عاد الفاتح الى مقر قيادته ودعا قادة جيشه وخطبهم قائلاً (اذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾ ومعجزة من معجزاته وسيكون حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير فأبلغوا ابناءنا العساكر فرداً فرداً أن الظفر العظيم الذى سنحرزه سيزيد الاسلام قدراً وشرفا ويجب على كل جندى أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه فلا يصدر من أحد منهم ما يجافى هذه التعاليم وليتجنبوا الكنائس والمعابد فلا يمسوها بأذى وليتركوا القسس والعجزة الذين لا يقاتلون) ثم اخلد الجنود الى الراحة والنوم مما جعل المحاصرين يوقنون بالعاصفة بعد سكون.

وأرهقت اعصاب المحاصرين حتى هرب بعضهم الى معسكر المسلمين ومن بينهم الراهب (بترو) الذى هرب مع ثلاثمائة من اصحابه فأكرمهم المسلمون وأحسنوا معاملتهم فشرح الله صدر كبيرهم للاسلام واسلم (بترو) وعرف فيما بعد ـ محمد بترو ـ ونشط الجواسيس من الجانبين الذين يكتبون المعلومات فى قرطاس ويثبتونه فى السهم ويقذفونه الى الجهة التى يريدون ابلاغها واخذ أثرياء الروم يدفنون اموالهم وخرج قسطنطين مع رجال الكنيسة للدعاء.

بداية الهجوم

الثلاثاء ٢٠ جمادى الاولى ٨٥٧ ـ ٢٩ مايو ـ ايار ـ ١٤٥٣ دق طبل ضخم فى ساعات الصباح الاولى

اعقبه ثلاث دقات اختلطت بالتكبير المدوى فى البر والبحر وهاجم الجيش العثمانى اسوار القسطنطينية.

كان محور الجهد الرئيسى يتركز على وادى ليكوس بين طوب قابى جنوبا وباب ادرنة فى الشمال حيث كان السور متهدماً فى غالب اجزائه وهنا ركز قسطنطين متراساً تحصن به.

● قسم الفاتح قواته المهاجمة فى هذه الناحية الى ثلاثة اقسام:

الأول: جنود الرومللى والمتطوعون من الرديف الذين تقدموا الى السور يمطرونه بالقذائف والسهام ويتلقون سهام المدافعين ـ واستطاع المهاجمون نصب السلالم والتسلق ولكن الروم قلبوا السلالم عدة مرات بمن عليها وتعاد الكرة ثانية وثالثة حتى تمكن المهاجمون من ايجاد موطىء قدم على السور فدارت المعركة بالسلاح الابيض مع رجال جستنيان الذى استمات فى الدفاع عن السور.

الثانى: امر «الفاتح» القسم الاول بالانسحاب ليتقدم جنود الاناضول وهم احسن تدريباً ومراسا وظن الروم أنه الهجوم الأولى وفوجئوا بجنود الاناضول المدربين يهجمون من جديد بعد انسحاب القسم الاول الذى امتص كثيرا من طاقات المدافعين خلال سويعات الفجر وعندما انبلج الصباح وأسفر النهار بدأ الهجوم النهارى الساحق تحت قصف عنيف للسور جلب قسطنطين خلاله المزيد من قواته ونشط جستنيان وجنوده فى الدفاع بالسلاح الابيض ووقعت خسائر فى الارواح كبيرة فى صفوف المهاجمين من جنود الاناضول. وبينما كانت المعركة على اشدها عند السور كان حمزة باشا يقود قصف المدفعية البحرية فى مرمرة والقرن الذهبى ولئن كان الهجوم البحرى صعباً فقد نجح فى امتصاص كثير من طاقات الروم يمكن حشدها دفاعاً ضد الهجوم البرى من وادى ليكوس.

وامر الفاتح جنود الاناضول بالانسحاب ليرمى القسطنطينية بأمضى ما فى كنانته من الاسلحة وهو القسم الثالث.

الثالث: فرح جستنيان بانسحاب جنود الاناضول ولم يدر أن الفاتح قد ادخر لهم داهية دهياء من جنود الانكشارية وهم قواته الخاصة من المغاوير وكان افضل جنده تدريبا وتنظيماً وضبطا وبسالة وقاد الفاتح هذه القوات بنفسه واعطى امره بالهجوم الصاعق فاندفع الانكشارية كالأسود تحت وابل من نيران المدفعية والسهام وفى مثل لمح البصر احتل الانكشارية اعلى السور فى خفة مدهشة طارت بما بقى من ألباب الرومان.

وحمى وطيس القتال وجرح جستينان فطلب اخلاءه ومداواته ورجاه قسطنطين أن يبقى حفظاً لمعنويات الجنود ولكنه أصر على الانسحاب بعد أن يئس من استمرار الدفاع ونقل الى سفينته التى اقلته الى جزيرة ـ خيوس ـ حيث قضى نحبه وباشر قسطنطين القيادة بنفسه وحاول رفع معنويات جنوده ولكن دون جدوى.

وازدادت ضراوة هجوم الانكشارية وسيطروا على السور واقتحم الفاتح الخندق وقاد المعركة على السور بنفسه ولم يمض وقت طويل على انسحاب جستينان حتى تعالت الاصوات ـ دخل العثمانيون المدينة ـ ونظر «قسطنطين» الى الشمال فرأى الاعلام العثمانية ترفرف على الابراج القريبة من باب أدرنة حيث كان القائد ـ قره جه بك ـ قد شن هجوماً صاعقا زحزح المدافعين وتمكن جنده من قتل قائد حامية الرومان ودخلت جموع العثمانيين الى المدينة.

واتجه «قسطنطين» شمالا الى باب أدرنة فرأى سيول العثمانيين تتدفق الى المدينة فنزل عن حصانه وخلع ثياب الامبراطورية واستل سيفه وصار يضرب يمينا وشمالاً حتى اصابه جندى عثمانى بضربه سيف

قاتلة فسقط صريعاً مضرجاً بالدماء وفزع سكان المدينة لمقتل ملكهم . وفر المدافعون وتوقفوا عن مقاتلة جنود البحر ودخل الجيش العثماني وفتحت القسطنطينية لتحتضن عرش «محمد الفاتح» الذى طلب الموت فوهبت له الحياة .

معاملة اهل القسطنطينية :

دخل «الفاتح» على صهوة جواده ترفرف على رأسه اعلام النصر وجنوده تمر به مهنئة بوجوه طافحة بالبشر فكان يجيبهم (ليرحم الله الشهداء ويمنح المجاهدين النصر والشرف والمجد الحمد لله على نعمه) .

وظن سكان المدينة أن الفاتحين وحوش كاسرة ومر فى أذهانهم ذكريات الصيليبيين حينما عاثوا بالمدينة فساداً قبل قرنين ونصف فارتكبوا افظع جرائم القتل والحرق والدمار ولجأ السكان الى الكنائس وامتلأت اياصوفيا باللاجئين وغلقوا على انفسهم الابواب .

وتجول الفاتح فى المدينة ثم خطب رجاله وذكرهم بحديث فتح المدينة ونهى جنده عن القتل والسلب ثم ترجّل فسجد لله شكراً على توفيقه ونصره .

وذهب الى كنيسة أياصوفيا وتناهت الى اسماعه آهات المصلين الحزينة وفتح له الراهب بابها على مصراعيه وذعر الناس لمقدمه فأمر الراهب بمتابعة الصلاة بهدوء وامان ثم طلب من الراهب أن يأمر المصلين بالعودة الى منازلهم واعمالهم آمنين .

وخلال تجوله سمع نقراً من خلفه فاذا جندى يضرب احدى الصور على عمود مرمر فسأله ماذا تفعل قال : ألست مسلماً . . اريد ازالة آثار الكفار فنهاه عن تخريب المعبد وخطف الفأس من يده ورماه بها غاضبا ثم أمر بتحويل الكنيسة الى مسجد وخرج رجال الكهنوت من سراديبهم بعد أن شعروا بالأمان .

ثم زار قصر قسطنطين الذى بدت عليه الوحشة والكآبة وسأل عن القادة الرومان ـ قسطنطين وجستنيان . . لقد كان الفاتح بطلاً يحترم البطولة فقد أرسل رجاله للبحث عن قسطنطين وامر باحضار الاطباء لمعالجته وكم كان حزنه شديداً عندما احضر له جندى رأس قسطنطين فغضب وثار وعز على الفاتح أن يزدرى قسطنطين البطل ويمثل به بهذه الوحشية فما كان منه الا أن قطع رأس الجندى واحتفل بدفن قسطنطين بالمراسم الملكية اللائقة بمنزلته ثم اصدر بيانا الى الفارين بالعودة الى منازلهم واموالهم وكان يعلم رحمه الله أن لا شيىء يدخل الطمأنينة الى السكان كالعناية بالناحية الدينية ولهذا نجده يهتم بالنصارى وكنائسهم ومعاملتهم معاملة حسنة .

ثم قام «الفاتح» باستعراض عسكرى وأقام مأدبة عامرة لجيشه البطل وشهد معهم مسابقات الرماية والعاب السلاح ضمن مهرجانات وافراح الجيش الفاتح بالنصر .

وخطب الشيخ آق شمس الدين الذى اشار الى قبر ابى ايوب الانصارى والتقى التاريخ كله فى لحظة واحدة ليشهد روعة الانتصار .

ثم اصدر الأمان لأهل (غلطة) الجنوبيين بعد استسلامهم وتسليم مفاتيح مدينتهم الى السلطان وسجل التاريخ فتحا رحيماً ونصراً عسكريا خالداً لخامس حصار عثمانى للمدينة مما أجج فى صدور الاوروبيين لهيب الثأر وبدء حرب صليبية مستعرة طيلة حياة العثمانيين ولكنها كانت تضم نصراً الى نصر للدولة العثمانية .

معاملة نصارى القسطنطينية :

خلال الحصار كان الموقف فى داخل القسطنطينية مضطرباً وقد طلب قسطنطين من البابا ـ نيقولا الخامس ـ أن يرسل له من يفاوضه لتوحيد الكنيستين

فوصل ـ الكردينال ـ أزيدور ـ موفداً من بابا روما وعند وصوله قاد قداسا كاثوليكيا مما أغضب أرثوذكس القسطنطينية وعارض رجال الكنيسة الشرقية فكرة توحيد الكنيسة وممن عارض ايضا (لوتاس نوتراس) رئيس وزراء قسطنطين وأيده (جورج اسكولاريوس) الذى انتخبه رجال الدين بطريركا بعد الفتح فقلده الفاتح الخاتم والصولجان والتاج ووكل اليه امر القضاء المدنى والدينى لرعاياه لتطبيق احكام النصرانية على أتباعها[٩] وزوده بحرس من الانكشارية . . ويصف فولتير ـ الفرنسي ـ موقف المسلم المنتصر من المسيحى المهزوم قائلاً (ان الاتراك لم يسيئوا معاملة المسيحيين كما نعتقد نحن والذى يجب ملاحظته أن أمة من الامم المسيحية لا تسمح أن يكون للمسلمين مسجد فى بلادها بخلاف الاتراك فقد سمحوا لليونان المقهورين أن تكون لهم كنائسهم . . وقد قال البطريرك المنتخب (انى خجل مما لاقيته من التبجيل والحفاوة الأمر الذى يعمله ملوك النصارى مع أسلافى)[١٠] .

وهذه المعاملة الرائعة لنصارى القسطنطينية اعادت للتاريخ عهدة عمر رضى الله عنه لنصارى القدس ومعاملة «صلاح الدين الأيوبى» لأسراه ويؤكد قول القائل «ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب» ولهذا فلا تعجب اذا سمعت (نوتراسى) وزير قسطنطين يقول (أن أرى عمامة التركى فى القسطنطينية أفضل عندى من رؤية غطاء الرأس اللاتينى لأن الروم لم ينسوا ظلم اللاتين عندما استولوا على استانبول عام ١٢٠٤م) .

ويسجل احد الآباء اليسوعيين أن الفاتح احتفى بالبطريرك الجديد حفاوة بالغة فقد بالغ فى تكريمه وتناول معه الطعام على مائدته وقلده الصولجان وعندما هم بالانصراف نهض الفاتح وسار معه مودعاً الى باب القصر واعانه على ركوب الجواد المطهم الذى أعد له وامر وزراءه وقادته بالسير معه الى مقره الرسمى وهو ما حمل البطرك على ثنائه العطر على حسن معاملة الفاتح له واسند للبطريركية مهام ادارة شؤون النصارى الدينية والمدنية .

وهكذا تم فتح القسطنطينية واصبحت عاصمة العثمانيين حتى آخر عهدهم ومازالت الى اليوم تنطق بمساجدها وسورها ومعالمها بسرورها الشديد لدخولها



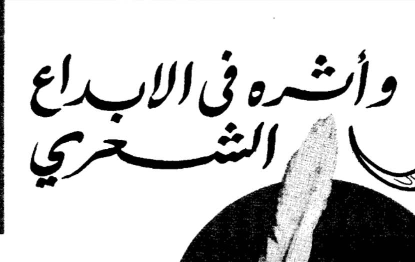
لم يُول النقاد القدامى الخيال عناية كبيرة . . فقد كان الحديث عنه من اهتمام الفلاسفة فاعتقد «سقراط» أن خيال الشاعر نوع من الجنون العلوى ورأى «أفلاطون» أن الشعراء ممسوسون وأن الأرواح التى مستهم قد تكون خيرة وقد تكون شريرة . أما «أرسطو» فقد اعترف لصاحب الملكة المتخيلة بالمكانة اللائقة به[١] .

وقد لعب الخيال دورا رئيسيا فى فنون الشعوب البدائية وبخاصة فى الأساطير واتهم الشعر العربى القديم بانعدام الخيال فيه عند مقارنته بالأدب الاغريقى الذى يزخر بالأساطير والآلهة . . ونستطيع أن ندفع هذا الاتهام إذا عرفنا أن أدب كل أمة إنما هو انعكاس لظروفها وحياتها الاجتماعية ومدى ما وصلت اليه من حضارة وتقدم .

حظيرة الاسلام والمسلمين.

(١) موسوعة التاريخ الاسلامى د. احمد شلبى ٦٧٥/٥
(٢) محاضرات فى النصرانية - محمد ابو زهرة ص٣٥
(٣) اتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم واشراط الساعة - حمود التويجرى ص٣٣٠
(٤) ابن الأثير ٥٠/٣
(٥) موسوعة التاريخ الاسلامى ج٢ د. احمد شلبى.
(٦، ٨) بين العقيدة والقيادة - محمود شيث خطاب ص٣٥٦، ص٣٧٦.
(٧، ٩) مقال للدكتور - محمد حرب عبد الحميد - بمجلة الجامعة الاسلامية - استاذ زائر. العدد ٥٨
(١٠) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية ٤٢/٢٠





الخيال وأثره فى الابداع الشعري

والقدرة على التخيل ميزة انسانية فبينما يعيش الحيوان فى دائرة مجال إدراكى محدود بالزمان والمكان.. نرى الانسان يملك قدرة ذهنية فائقة على تخيل عوالم تتجاوز آفاقها الواسعة حدود الواقع المحصور فى دائرة إدراكه.. فبمقدوره أن يتخيل صورا من الماضى البعيد.. أو ينشىء صورا جديدة لم تكن موجودة من قبل وهذا هو التخيل وهو نوعان :

أ - استرجاعى : يقوم على استعادة صورة ماضية تمثل مدركات سبقت معرفتها.

ب - ابداعى : يقوم على إنشاء صور جديدة تنطوى على قيم فنية تجعل الانسان يتجاوز ذاته وعالمه.

ومع أن هذا الابداع ليس إيجاداً من عدم وانما يعتمد على عناصر سابقة وأنه ليس اطلاعا على شىء كان موجوداً فحسب وانما هو نظرة جديدة الى

وبما أن الشعر العربى قد نشأ فى المرحلة الرعوية من تطور العرب التاريخى بين وضوح الصحراء.. وصفاء السماء فقد اتسم تبعا لذلك بالواقعية والحسية وعنى بتصوير الجزئيات الدقيقة مبتعدا عن الخيال الأسطورى.. بينما نشأ الأدب الاغريقى فى قلب الغابات المتشابكة والجبال الشامخة فأتاحت مثل هذه البيئة لخيال الشعراء أن ينشط فتصور أن خلف كل شجرة وحشا.. وأن على قمة كل جبل إلها وفى كل واد أرواحا.. وهكذا.

الأشياء فإن المبدع يفكك المعلومات السابقة لينتزع بعض عناصرها ويركب منها تركيبات جديدة فى تنظيم جديد لعمله الابداعى ويختزن اللاشعور الذكريات والتجارب والخبرات السابقة.. وتأتى القصيدة لا تسجيلا لما أدركه الشاعر فحسب ولكن الوعى واللاوعى يشتركان معا فى بناء القصيدة، والخيال فيها ليس حلية وإنما له دور أساسى فى البناء الشعرى.. إذ به يستكمل التعبير ازاء نقص أدوات التعبير.

وقد عرف النقاد للخيال قيمته فى الايضاح والتفسير. وأثره فى الابداع الشعرى والموازنات والشروح بالرغم من اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم النقدية.

فالخيال فى نظر الكلاسيكيين الغربيين موهبة عظمى لا يستغنى عنها الشاعر وهو عند الرومانسيين قوة حيوية مبدعة لا يكون الشعر شعراً إلا بها كما أنه وسيلة أساسية لادراك الحقائق.

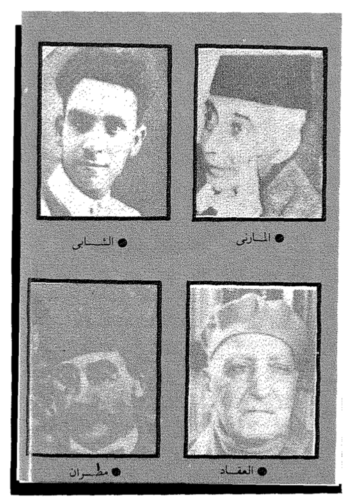
وإذا كان النقاد الكلاسيكيون قد آمنوا بالعقل وجعلوه وسيلتهم فى الوصول الى الحقيقة. فقد أحل الرومانسيون الخيال محل العقل. واحتكموا إليه.. وجعلوه المنفذ الوحيد للحقيقة.

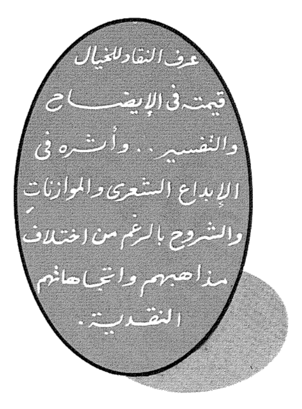
وإذا كان الخيال قد لقى اهتماما خاصا عند شعراء الرومانتيكية بصفة عامة فقد حظى الخيال عند «كوليردج» باهتمام بالغ وهو عنده أساس فى عمليات المعرفة.

ويرى كوليردج أن تلك القوة السحرية التركيبية التى نطلق عليها اسم الخيال إنما تظهر فى التوفيق بين الخصائص المتنافرة أو المتناقضة وفى إظهار الجدة فيما هو مألوف وإن أروع ما يحققه الخيال هو خلق الملائمة بين الدوافع التى تبدو غير مترابطة وسبكها فى نظام واحد يخلق التوازن والاعتدال(٢).

أما «وردزورث» فلم يهتم بالبحث فى الخيال من حيث هو بقدر ما عنى بأثره فى الصورة الفنية الشعرية. والخيال عنده هو تلك القدرة الكيمائية التى تمتزج بها العناصر المتباعدة فى أصلها كى تصير مجموعا متآلفا منسجما. وهو أهم هبة أنعم الله بها على الشاعر.

والشعر عنده نتاج الخيال والعاطفة. وهكذا كان شعراء الرومانسية الانجليز من أشد الناس اعترافا بقوة الخيال المبدعة. وكذلك كان شعراء الرومانسية الألمان. والرعيل الأخير من شعراء الرومانسية الفرنسية. وشعراء الرمزية فى أواخر القرن التاسع عشر فى فرنسا.





وللمازنى رأى خاص فى الخيال.. فهو يعتبر الشعر ابن الخيال.. واذا لم يكن للخيال فيه مجال فهو غث لا خير فيه لكنه يعتبر الشطط فيه ومخالفة الواقع ليس آية النبوغ والبراعة ولكن آيتهما فى صدقه وعدم تجافيه للحقائق(٣).

هذا ويبدو أثر الخيال فى الشعر العربى فى ناحيتين:

١ ـ فى العناصر البنيوية للشعر من مجاز وتشبيه وصور شعرية وقد كان نصيب الشعر العربى من هذا النوع كثيرا خاصة بعد ازدهار مدرسة البديع.

٢ ـ فى المضمون القصصى والأسطورى وهو قليل عند العرب الأقدمين لأن الشعر العربى التقليدى شعر غنائى وجدانى وهو أكثر اهتماما بالواقع.

ولما تقدم يتضح لنا أن الخيال عند النقاد على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم النقدية يعتبر عنصرا أساسيا من عناصر الأدب ومقوماته. كما أن له دوره الرئيسى وأثره الملموس فى الابداع الشعرى وقد عرف بعضهم الشعر بأنه تعبير عن الخيال. وهم من أجل ذلك يعتبرون الكلام المشتمل على الخيال أشد تأثيرا فى النفس من الكلام الذى يكون حقيقة كله. ومن هنا دار على ألسنتهم كثيرا قولهم «المجاز أبلغ من الحقيقة» لأنهم رأوه أحسن موقعا فى القلوب والأسماع. ولأن الكلام المشتمل على الخيال يجعل النفس شديدة الأنس به سريعة الى التأثر بصوره والانفعال به.

أما الرومانسية العربية فقد بدأت بمطران الذى يعتبر جسرا بين الكلاسيكية والرومانسية ثم تدعمت أركانها بمدرسة «الديوان» وجماعة «أبولو» ممثلة فى شعرائها من أمثال ابراهيم ناجى. وعلى محمود طه والشابى والهمشرى وغيرهم.

ولقد لاحظ شكرى أحد أعلام مدرسة الديوان أن الخيال والوهم ملتبسان فى آراء النقاد ولذلك فرق بين الخيال والوهم. حين قرر أن الخيال وسيلة لادراك الحقائق التى يعجز الحس المباشر أو المنطق العقلى عن إدراكها. بينما الوهم هروب من الواقع والحقائق وتلفيق لصور تضلل عن الحقيقة بدل أن تهدى إليها ويشمل الخيال كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة وعواطف النفس وحالات الفكر.

وفى الحق ان هذه التفرقة بين الخيال والوهم تدل على رهافة حس.. ورقة ذوق وحسن تفهم للشعر.

---

(١) انظر ص١٣ وما بعدها من كتاب أرسطو: فن الشعر ترجمة د. عبد الرحمن بدوى مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة١٩٥٣.

(٢) أنظر: Richards: Coleridge on imagination P.115. London 1955.

(٣) راجع ابراهيم عبد القادر المازنى ـ حصاد الهشيم ص٢٢٩ المطبعة العصرية بمصر ١٩٢٥.



ظواهر أدبية

المتتبع للحركة الأدبية والفكرية فى المملكة العربية السعودية والراصد للظواهر الأدبية فى جنوب المملكة تكشف له الدراسات الأدبية المتأنية عن اتجاهات مختلفة ذات طابع متميز فى الشعر والنثر.

ففى مجال النثر الفنى تنشط القصة والأقصوصة التى تصور المجتمع والحياة الاجتماعية والتاريخية وتبرز ملامح البيئة بأصالتها وطموحها بما يعلى من قيمة هذا القصص ويقفز به إلى الريادة فى النثر الفنى السعودى ومن ذلك (أمير الحب) و(ليلة فى الظلام) و(وبين جيلين) لمحمد زارع عقيل.. و(الصندوق المدفون) و(فلتشرق من جديد) و(قبو الأفاعى) لطاهر عوض سلام.. و(القشور) وعشرات القصص المنشورة فى الصحف لعمر طاهر زيلع.. و(وجوه من الريف) لحجاب يحيى الحازمى.. و(قصص من الجنوب) التى نشرها نادى جازان لمجموعة من الشبان وغير ذلك.

وفى مجال الشعر تجذبنا ظواهر ملحة فى مقدمتها الحب والهيام.. والعشق والوله.. والغزل والحنين.. عند كل الشعراء فى جنوبهم الخصيب.. وتلك ظاهرة تلفت النظر وقلما نجد لها مثيلا فى الأدب العربى بهذه الروح الجماعية اللهم إلا عند شعراء المهجر. وهؤلاء لهم ما يبرر ذلك كالاغتراب والبعد عن وطنهم الأصلى وحرمانهم من روح وسماحة الشرق.. فيقول ايليا أبو ماضى:

الأرض سوريا أحب ربوعها
عندى ولبنان أعز جبالها
والناس اكرمهم على عشيرها
روحى الفدا لرهطها ولآلها
تشتاق عينى قبل يغمضها الردى
لو أنها اكتحلت ولو برمالها

● *ويقول فى قصيدة أخرى:*

اثنان أعيا الدهر أن يبليهما
لبنان والأمل الذى لبنيه

● ويقول جورج صيدح:

عهد الشباب وعهد الشام إن مُضيا
فكل ما أبقت الأيام حرمان

أما فى جنوب المملكة فتلك الظواهر تحتاج إلى دراسة وتأمل.

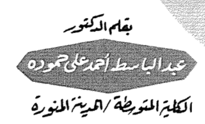
والأدب فى الجنوب جزء لا يتجزأ من الأدب السعودى ولكنه يعطى صورة تعكس الواقع وتبرهن على قوته وأصالته ومصداقيته وجودته فى العطاء للبيئة التى يحيا فيها دون تكلف أو عناء.. وفى تصورى أن ذلك راجع إلى طبيعة الجنوب وسماحته التى فرضت نفسها على الأدباء فعبروا عن احساسهم وشعورهم دون

بقلم الدكتور

عبد الباسط أحمد على حموده

الكلية المتوسطة / المدينة المنورة

..ة في الجنوب



مواربة أو ابهام فجسدوا الطبيعة بروابيها وأوديتها وسهولها وجبالها وشمستها وسحابها وغير ذلك مما يؤثر فى أصحاب المواهب فيتفاعلون معها ويميلون إليها وتتعلق نفوسهم بها لما حباها الله من خصوبة واخضرار وجودة المحاصيل واغراق فى العطاء وتحقيق للأمل والرجاء وهى مع ذلك ترتدى حللا جميلة بفضل جبالها التى تكسوها الأشجار حتى تعانق بها السحاب. . ومثل تلك البيئة تدفع إلى الحب والوفاء الذى يخالج نفوس الأدباء والشعراء فيعبرون عنه بسحر البيان. ويعجبنى ما قاله محمد حسن عواد عن مفهوم الأدب «بأنه عطاء وانتاج . . وارسال وتأثير. . وخلق وإبداع . . إنه بالاختصار عملية تصوير وتغيير وتوعية وهدم وبناء. . وتجديد وتطوير وإثراء لا عملية احتواء وامتصاص للمعلومات».

ونكتفى فى هذا البحث بدراسة بعض المظاهر فى شعر الجنوب وفى مقدمة هذه المظاهر حب الأرض والتعلق بترابها والتغزل فى أوديتها الخصيبة التى شهد لها خبراء الزراعة. . حيث تكثر المساحات المسطحة. . وتكثر المياه الجوفية والينابيع والأمطار. . ومن هنا يبدو الحب الجارف فى تسميات بعض الدواوين التى نظمها شعراء المنطقة مثل (نفحات الجنوب) و(الأرض والحب) و(الأرض والعشق) و(حبيبتى والبحر) و(أزهار) و(عتاب إلى البحر) وغير ذلك من عشرات القصائد التى جاءت فى دواوين أخرى بغير هذه التسميات.

■■ وهذه خفقات حب وعشق عبر بها بعض الشعراء عن صدق عواطفهم وشعورهم تجاه البيئة التى يعيشون فوق أرضها وتحت سمائها. . والتى يصفها الشاعر محمد على السنوسى فى قصيدته (قطوف وأصداء) وفيها يتحدث عن المشروع الزراعى فى جازان:

تتهادى به الأمانى على أنغا

م ناى من لحن عصر سعيد

باسمات الثغور نشوى عليها
نضرة الزهر وائتلاق العقود
في فمي من رضابها .رشفات
ثملات بها ترانيم عودي

■ وفي قصيدته (الجنوب الخصيب) التي أهداها للمغفور له الشاعر الكبير أحمد ابراهيم الغزاوي يقول:

عصارة مهجة وجنى يراع
خصيب (كالجنوب) زكاوطابا
ويا وطني وأنت ولا أغالي
نجي الشعر شطآنا وغابا
تنام على جوانبه الروابي
معطرة مخدرة كعابا
تضم صدورها أغلى الأماني
وأحلاها وأكرمها رغابا
عذارى لم يفضّ لهن ختم
ولا كشف (النقاب) لها نقابا
فهل لي أن أراك وقد تجلت
بك الأحلام رائعة عجابا
إذا لمع البريق على سماها
جرى الوادي وسال بها شعابا
وإن رعد السحاب على ذراها
سرى الحادي يهز به الركابا
(حقول) سمحة وثرى غنى
يغل (الفصل) أربعة نصابا

●● وتتجلى في الأبيات السابقة حرارة العاطفة وصدقها.. وارتباط الشاعر بموطنه وإخلاصه وغيرته على تقدمه ورقيه.. وخبرته وإحاطته بما يجرى من فوقه من مشروعات تعمل على توفير الأمن والأمان.. فالجنوب أرض بكر عريق في الخصوبة (تنام على جوانبه الروابي) وكأنها (عذارى) تضم صدورها أغلى الأماني في توفير الأمن الغذائي.. وتدر حقوله السمحة (أربعة نصابا) في الفصل الواحد.. وتلك نعمة الله التي مَنَّ بها على هذا الوطن الذي يغني له الشاعر وينشد:

جازان يا درة الجنوب
الباسم الناعم الخصيب
لكل قلب إليك شوق
مضمخ من هوى وطيب

■ ولم لا تعشق جازان التي يطلق عليها علماء التربة بأنها سلة الخبز:

إن جازان سلة الخبز
مازالت تعاني عوائقا وصوارف
وهي أم الحقول والزرع والضرع
وبنت السيول طام وجارف
وهي مرسى الجنوب تكتظ بالتفريغ
والشحن من تليد وطارف

■ ويتميز الجنوب بميزات أخرى تحفز الشعراء على الالهام والتعلق به حيث مواكب السحاب التي تجدد شبابه ونماءه فيتحول إلى تبر مذاب ومروج من عسجد:

وجرى في الشعاب تبرا مذابا
وسجى عسجدا وفاض رخامه
ومروج تهدلت تملأ الوا
دي وتستوقف النسيم سلامه
سطعت في ظلالها لمع الشمـ
ـس ورقت بها دموع الغمامه

■■ ويعبر الشاعر محمد بن أحمد العقيلي عن حبه وهيامه بالجنوب ويخصه بالدراسات والبحوث التي تتحدث عن تاريخه العريق.. ويصوغ فيه بيانه وفي حاضرته جازان فيقول:

ولقد نظرت إليك نظرة شاعر
سامي الخيال مدله بهواك
يرعى شواطئك الجميلة هاتفا
ومغردا بجمالها ورؤاك


أحمد ابراهيم الغزاوي

● محمد على السنوسى

■ ثم يقول:

وهفا النسيم على تلالك رانيا
متعثرا يدنو للثم ثراك
وكأنما الأمواج حين تدافعت
قُبَلٌ طُبِعْنَ على أغر لماك

■■ وللشاعر على أحمد النعمى نفس طويل فى الترنم بالجنوب وملحمته الزراعية عندما تتحول الحقول إلى مهرجان يملأ الكثبان والوديان بعد مجىء السيول إثر الأمطار بحلو الأمانى:

وإذا ما أتى الخريف بالطرة الخضْـ
ـراء تعيش الحقول فى مهرجان
تتباهى بثوبها الأخضر الزا
هى بكل الكثبان والوديان
وتجى السيول فى إثر الأمـ
ـطار دفاقة بحلو الأمانى

■ ويرسم لنا صورة الفلاح عندما كان يعشق الأرض لا يكف عن الانكباب والدأب فى استخراج كنوزها ويتحمل لفحة الشمس ونصب العمل:

إن وجه الفلاح إن لفحته الشمـ
ـس يوما لطافح بالحنان
يعشق الأرض لا يحب سواها
وهوى الأرض زاخر بالمعانى

■ ولكن الشاعر يتأسف للفتور الذى ساد الإقبال على الزراعة واتجاه الناس إلى الأعمال الأخرى التى تدر الربح الوفير بجهد قليل:

فالأجير الذى يكد ويشقى
فيك ولىَّ لعالم البنيان
وجد الأجر وافرا كيفما شاء
وكل يلقاه بالاحتضان
والفلوس الفلوس بين يديه
يتباهى بها لدى الأخوان

●● ويلفت النظر فى نهضة الأدب السعودى عامة وفى أدب الجنوب خاصة تغنى الشعراء بالموطن الذى ولدوا فيه وشهد نشأتهم وصباهم فيتولد فيهم حبه الذى هو ولاء وحب لوطنهم الأكبر.

■■ وها هو الشاعر الشاب إبراهيم عمر صعابى يناجى جازان ويرى فى سماها وثراها وسهولها وروابيها خواطر عشق تملأ نفسه هوى وغراما فيهتف:

سأناجى سماءها وثراها
وأناجى سهولها والروابى
عشت (جازان) ياخواطر عشقى
ملء نفسى هوى وملء وطابى
أى حرف يذوب فيك غراما
أى حسن مضمخ الأطياب

●● ويكثر ذكر (جازان) فى شعر الجنوب لأنها كلمة جامعة تمثل جنوب المملكة بحدوده المعروفة ومع ذلك يعزفون الألحان العذبة الجميلة فى أماكن أخرى تتميز بمواقعها وطبيعتها الساحرة وذكرياتها الأثيرة مثل

صبياء.. وفيفاء.. وبيش.. وفرسان والشواطيء وغيرها.

■■ ففى صبياء حيث ولد الشاعر محمد العقيلى.. وهى مدينة تشتهر بكثرة أشجار السدر وطيب الهواء وصفاء الجو وامتداد الأودية الخضراء وتنوع الزراعة فتبدو المدينة فى حلة سندسية خضراء يقول شاعرنا:

فى شط (صبيا) وتحت السدر والطنب
مرأى تتوق إليه النفس فى رغب
زمردى الحواشى حيث ما نظرت
عيناك منه بدا فى منظر عجب
حيث الطبيعة لم تعبث بفطرتها
يد المشذب فى شكل من اللعب
بين المزارع حيث الأرض قد لبست
من سندس حلة فينانة الهدب
بين المروج غداة الطل باكرها
مكللا هامة الأغصان والعذب

■■ *وفى الجنوب (فيفاء) ذات الجبال الشاهقة التى تعانق السحاب وتنبت بها النباتات المختلفة ويرسم لنا الشاعر محمد بن على السنوسى صورا جميلة.. ويعرض علينا بعض المشاهد التى تحفزنا على السير إليها والوقوف أمام إبداع الخالق تبارك وتعالى وخاصة عند الصعود على الجبل:*

(جبل) تعشق النجوم مجا
ليه وتصبو إلى ذراه العوالى
يزحم النيران منكبه الضخم
ويحتك بالسهى والهلال
مشرئب إلى السماء برأس
صلف فى شموخه متعال
أخضر السفح أزهر السطح مصقو
ل الحواشى زاهى الربى والتلال

■ وفى تجسيم بديع وتصوير فنى بارع يجمع بين الموهبة وحسن البيان وكمال الوصف تتوالى المناظر التى يمزجها الشاعر بالحقيقة فيقول:

ولذاك السحاب والماء يجرى
من خلال الصخور جرى الصلال
والوجوه الصباح والمقل النشـ
ـوى بسكر الصبا وسحر الدلال
والرياض المنسقات صفوفا
فى علال كأنهن لآل

■ وتهتم الدولة بالجنوب وتقيم المشروعات العملاقة.. كمياه التحلية.. ومد شبكات الطرق.. وتوصيل الكهرباء.. وإقامة السدود.. وغير ذلك.. فينفعل الشعراء بهذه الأحداث وتعم الفرحة والبهجة فى نفوس المواطنين.. ويترجمها الشاعر محمد بن أحمد العقيلى نظما عندما تفتتح (العين السعودية) فيقول:

(عين) من الخلد تسقى جوف بطحاء
جرت إلى (ربوة) فى السفح فيحاء

ثم يقول:

وها هنا (النيل) أم (جازان) ناهضة
فى مواكب المجد، من بعث وإحياء
أم نفحة من (مليك) قد تخللها
سر (البقاء) فأضفت كل نعماء



● على أحمد النعمى

● محمد أحمد العقيلى

●● وللكهرباء أثر فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى جازان ولا يدرك قيمتها الا الذين عاشوا أو يعيشون فى هذه المنطقة. . فقد عم خيرها على المدن والقرى وبدت ملامح التقدم بتغيير وجه الجنوب. . واتجه الناس بالشكر والعرفان لعاهلهم الذى رعى الدين والدنيا والاستقرار والطمأنينة فى ربوع البلاد.

ويعبر شاعر الجنوب محمد بن على السنوسى عن **هذه الروح الجياشة ويسجل الحدث فى قصيدة طويلة** بعنوان (مولد النور) فيقول:

ولد (النور) فاستهل الوجود
وعلى ثغره ضياء جديد
لاح غَضًّا كما يلوح سنا الفجر
وبَضاً كما تلوح الورود

● *وفى نهاية القصيدة يقول:*

واكلأ العاهل الذى عزز الدين
فغزت به القوى والجنود
وجزى العاملين خيرا ولقاهم
سرورا ونضرة لا تبيد

■■ ويبدو حب وعشق الشاعر إبراهيم مفتاح فى قصيدته (جيزان المنطقة البكر) التى يستهلها بقوله: (١)

فتنة للعيون والأحداق
ربة الحسن والمعانى الدقاق
أنت يا جارة البحار ومأوى
كل قلب مدله خفاق
تستمد الآهات منك شجاها
وتناجيك لوعة الأشواق
فى روابيك للصبا خطرات
ملؤها الشوق للهوى والعناق

●● ومن الهيام والحب عند شعراء الجنوب صورة فنية ينتزعها الشاعر من هذه البيئة حين تدنو الشمس من المغيب لتتوارى فى مياه البحر ويراها الناظر فى هذا المشهد دون حجاب وكأنها إنسان يحتضر فيعلو جبينه الشحوب من هول الموت والفراق فالغروب يضنى الشمس ويطبق عليها حتى تصير كالقرص فى كف المساء ليضعها فى فم المغيب. . يقول إبراهيم مفتاح: (٢)

أوتذكرين لقاءنا
والشمس يضنيها الغروب
كالقرص فى كف المساء
يعيرها ثغر المغيب
لما توارت فى حجاب
خلف وادينا الخصيب

■■ *ويصور الشاعر حسن القاضى جيزان فيقول:*

هذه جيزان فاقرئها السلاما
واملأ الدنيا انشراحا وابتساما
وتهادى فى روابيها التى
ولد الالهام فيها وأقاما
وانشد التاريخ عن أبنائها
إذ سروا والناس قد أضحوا نياما
(والسندس الذى طوقها)
(بأزاهير) ورد وخزامى
عاش فى الشطآن روحا حالما
يملأ الدنيا صفاء ووئاما
منظر الشمس وقد أهوت على
مبسم البحر ارتشافا والتهاما
فعدا الموج طروبا راقصا
فرحة المشتاق إذا ما(٣)

■■ والشاعر حسن فرح الفيفى يرى فى (فيفا) روض عدن فيها الفتنة التى يهيم القلب بها فلا تضارعها الشام ولا مصر ولا اليمن الخصيب، لأنها لبست ثوب الحسن قشيبا فبدت فيه عروس جزيرة العرب، يقول: (٤)

وما فيفا إلا روض عدن
مفاتنه تهيم بها القلوب

فأيــن الشــام منهــا أيـن مصــر
ومنهــا أيـنِ اليـمـن الخصـيـب
عروس جزيـرتـى فعــلا تنــاهى
إليـهــا الحـسـن فهــو لها قشيب

■■ ومن قصيدة بعنوان (ذرى فيفا) للشاعر على بن قاسم الفيفى يقول: (٥).

وذرى جبــال قد زهـت وتبخــرت
بغــرائـب الأشجــار والأعشــاب
ومــنــاظــر خلابــة ومــزارع
محفــوفــة بحــدائــق الأعنــاب
وهــوى عليــل فى ظلال وارف
مع عذب ماء دافــق منســاب
وخمــائــل مكــتظــة فواحـــة
بعــبــير عرف صنعــة الــوهــاب
أزهــارهــا قد ضاحكت برق السما
وتــعــانـقت أغصـانـهــا بدعــاب

●● وكما قلت فى المقدمة: قلما نجد شاعراً يصوغ القصائد حبا مضنيا ووصفا مترنما وغزلا وهياما كما نجد عند شعراء الجنوب. فقد يبتعد بعض الشعراء عن مسقط رأسه فى الجنوب ويجد فى مكان ما من المملكة طيب العيش وترف الحياة ولكنه يحن إلى العودة إلى منازل صباه.

■■ وهـذا شاعر آخر هو أحمد بهكلى ينأى عن مسقط رأسه أبى عريش ويقيم عشر سنوات فى الرياض ولكنه يعود إلى موطنه الأول ليبثه نجواه فى قصيدة (عودة) ويقول: (٦)

يا سائـلى عن حبـى الأغـنـى
عن لهفـتـى.. عما به أضـنـى
جازان تاريـخ الهــوى وأنــا
تاريـخ بحـث عن هوى أحـنـى

جازان.. والقـلب الغـريب أتى
يمـتــاح منــك هدوءه الأهـنـى
فلأنــت قيـثــارة الأمــان إذا
ما راح يعــزف خوفـه لحنـا
ولأنــت أنــت معـاده ولــذا
لم ينس منــك النبــع والمغـنـى

■ ولـه أيضــا من قصيـدة طويلة بعنـوان (الأرض والحب) اخترت منها هذه الأبيات(٧)

أسـائل عنك الليل والأنجم الزهرا
لعــل لديهــا عنــك يا فتنتى خبرا
وأنـتـجـع الأحــلام ظنــا بأننــى
سألقـاك حلما يحتوى لهفتى الكبرى
ألست ترين الراحل الصب قد ثوى
يقبـل تربـا فيـك قد أرخص التبرا

● ثم يطوف بالحديث حول جنان فيفاء وإعجابه بها وما توحيه فى نفسه من تفجير عاطفة الشعر، ويمتد به الوصف إلى كل من (بيش) ومنازلها الفيحاء ومغانيها ومـزارعهـا النضـرة، ويطول به النفس حتى يعطينا صورة وردية تعبر عن حبه لصبياء وأبى عريش وضمد وسامطة وسُعّيد وغيرها.

■■ ومن الشعـر الذى يمثل ظاهرة الحب الجارف للجنوب بحيث يرتفع به حتى ليراه منارة الدنيا وجنتها فالسحـاب مظلل لجبالها والهواء يمر بأجوائها يشدو بسحر جمالها وكمالها فيهز النفس ويأجج العواطف عند رؤية غيدها.

من هذا الشعـر ما كتبه الشـاعـر على حسين الفيفى فى قصيدة (فيفا): (٨)

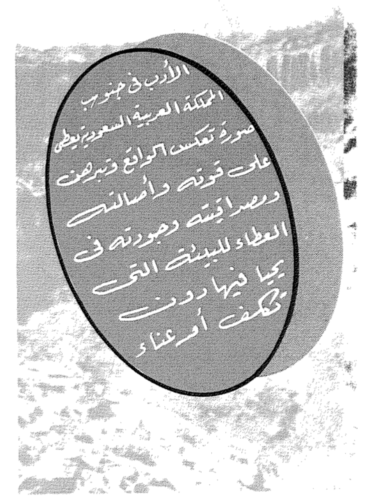
هذا الســحــاب مظلل لجبــالهــا
كالعــاشق المضنى بسحــر جمالها

هى الدين والآداب والعدل والندى
عقيـدتـه التـوحيـد والله واحـد
ووطـد فيـه الأمـن حتـى سما به
إلـى رتـب من دونهـن الـفـراقـد

■ ثم يتغنى بالجنوب ويصف أرضه وتربته التى كالمسك بل هى العسجد . . فالسماد فيها طبعى مما يجعلها رصيداً وكنزاً للاقتصاد :

(وجيـزاننـا) للشعب سلة خبـزه
إذا اسْتُعْمِلَتْ أيـدٍ بها وسـواعـدُ
زراعيـة فيـهـا السـماد طبيعـة
كنـوز لها فى الاقتصـاد رصـائـد
فتربتهـا كالمسـك بل هى عسجـد
فيـا حبـذا للشعب تلك المـوارد

● هذه نسمات قليلة . . ولمسات خفيفة . . وهمسات خافتة من أدب الجنوب الذى هو جزء من الأدب السعودى . عرضتها فى إيجاز لندلل على ظاهرة الحب والعشق والوفاء لكل حبة رمل فوقه . . ومعانقتهم وغزلهم فى كل نبتة من نباته وشجرة من أشجاره . . وتعاطفهم واحتضانهم لجباله ووديانه وترنمهم بسمائه وسحابه . . كل ذلك فى صدق عاطفة حفزتهم إلى صدق فنى وتجويد أدبى يشكل ظاهرة تستحق دراسة شاملة متأنية لكل فن من الفنون الأدبية فى جنوب المملكة العربية السعودية .



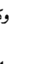
ويكـاد حين يمـر من أجـوائها
يشـدو بسحـر جمالهـا وكـمالهـا
أمنـارة الـدنيـا وحبتهـا التى
تزهـو بخضـرتهـا وفىء ظلالهـا
تهز نفسـك عنـد رؤيـة غيـدهـا
وتظـل مهـما عشت فى أغـلالهـا
من كل حسنـاء كالهـلال جبينهـا
بيضـاء لن تستطيـع وصف كمالهـا

■■ وللشاعـر أحمد بابقى قصيدة فازت بجائزة النادى الأدبى تتحدث عن أمجاد الشعب السعودى وريادته فى الدين والدنيا كنموذج حى للاسلام يتمثل فيه المسلمون سالف عهدهم ويدفع بهم إلى التقدم فى حاضرهم : (٩)

---

(١) مسابقة الشعر لعام ١٣٩٧هـ وعتاب الى البحر ص٣٩
(٢) عتاب إلى البحر ص١٠٣
(٣) البلاد (العدد ٧٥٠٨) ١٤٠٤/٣/٣هـ
(٤، ٥) الطيف العابر ص٥٣، ص٨٧
(٦، ٧) الأرض الطيبة
(٨) ديوان أزهار للشاعر
(٩) مسابقة الشعر لعام ١٣٩٧هـ





زوجة وابنتان

الوفاء

●● فاضت المآقى بالدموع، وبكى القلب دماً وذهبت النفس حسرات واسودت المرئيات فى العين وتغلغل اليأس فى خلايا الفؤاد.. أجل ولكن الحياة مع ذلك كله جديرة بأن تعاش.

●● وإذا لم يكن هناك ما يعفى على آثار خطا الموت الثقيلة فإن ثمة ما يخفف من وقعها الرهيب يقينا ليس ذلك مرهوناً بالزمن وبما يخلفه من نعمة النسيان، بل هو مرهون بالوفاء، الفضيلة التى تتحلى بها الزوجات المحبات والبنات البارات والشقيقات الحنونات والأمهات الرؤومات.. إلا أن سيداتنا الفضليات كن يملكن - إلى هذه الفضيلة - الوسيلة المرهفة للتعبير عن وفائهن: الكتابة والكتاب.

الزوجة مهاة فرح تكتب المقالة الصحفية وتترجم عن الفرنسية كتبا فى الأدب والفن والاجتماع.

الابنة سلمى الحفار روائية وباحثة قدمت للمكتبة العربية خلال العقود الثلاثة الأخيرة بضعة عشر كتابا ترجم بعضها إلى عدد من اللغات.

الابنة سعاد سلوم عملت فى التدريس وفى وكالات الأنباء وفى وزارة الاعلام.

الكتابة، والكتاب:

بعض سيداتنا عمدن إلى ما قاله الحبيب الراحل فى حياته أو إلى ما قيل فيه أو عنه فى حياته أو بعد رحيله فجمعن ذلك وقدمنه فى كتاب وقدمن للكتاب بباقة من أزهار برهن ووفائهن وبعضهن تحدثن عن الحبيب الراحل أو أنشدن فيه شعرا، فجاء النثر والشعر ذكريات تستعاد وحبا مرجّعا وشوقاً وحنيا هى جميعا أجمل تعبير وأصدقه عما يخفق فى قلب المرأة من العواطف النبيلة التى بها انصهرت الأحزان فى بوتقة الفن فتحررت النفس وتطهرت وتخلصت من أدرانها وتسامت على الأوجاع والآلام ووقفت هناك تستشرف أفقاً جديدا كما لابد للانسان أن يفعل بعد كل محنة تعصف به.. فالحياة جديرة بأن تعاش وأن تظل تعاش.

ثلاثة كتب نادرة ينتظمها فى عقد واحد أنها صدرت جميعاً عن قلب المرأة، زوجة وابنة وشقيقة وأما. هذا القلب الذى يمور بالعواطف السامية ويفيض منها على الأهل حباً وحناناً ووفاء مثلما أفاض على البشرية منذ الأزل ومثلما إلى الأبد سيظل يفيض.

عند المحبين

بقلم فاضل السباعي

وديـع الخـورى
رحيل مفاجىء ولوعة.. ومقطوعات

أول الأحبة الراحلين هو «وديع نعمة الخورى» الذى رحل فجأة فى ساعة ضحى مشؤومة وترك زوجته «مهاة» فى ربيع العمر وثلاثة أطفال ولوعة تكوى الفؤاد.

لم تكن «مهـاة فرح» قبـل مصابها هذا أديبة وإن كانت تكتب المقالة الصحفية وتترجم عن اللغة الفرنسية وكما رحل عنها زوجها فجأة وجدت نفسها فجأة تعبر عن أحزانها بالوسيلة التى بين يديها: الكتابة فأخذت تكتب نصـوصـاً فيـاضـة بالحـزن والحنـين إلى رفيق العمـر، مقطوعات ليست شعراً مقفى ولا موزوناً ولكن تعبق فى أرجائه أنفاس الشعر. العاتب الشاكى..



● وديع نعمة الخورى

«كنت لا تذهب حتى تودعنا إلى لقاء قريب
فلماذا غادرتنا دون وداع وإلى لا لقاء؟.

وتعترف وهى تذهب الى قبره:

«إننى اذهب إليك لا لأوفر لك أسباب الراحة
بل لأبثك نجواى وشكواى.
إن نفسك فى راحـة.
ولكن نفسى القلقة المضطربة هى التى تتعذب.

فـى «الرسالة» التى خاطبت بها ابنها البكر بعد وفاة أبيه بشهر واحد ولم يكن قد أتم الثانية عشرة من عمـره تقـول معـرفـةً ابنها «إياس» بأبيه: نشأته.. أسـرته.. دراسته التى كان فيها متفوقا وهى تكتب لطفلهـا هذه الـرسـالة فى مساء اليوم الذى رأت فى صباحـه وهى ترتب سريـره مجموعة من صور أبيه محتفظاً بها تحت وسادته.

بعـد أشهر تدخل ابنتها «نور» المدرسة لتبدأ رحلة التعلم. فكـان أول ما قرأت من الكلمات: «بابا» تقول الأم: إنهم يرددون هذا النداء لا لأنه أسهل نداء فقط.. بل لأنـه أعـذب وأحلى.. ثم «تعتب» على من وضع الكتـاب: لماذا لم يفكـروا فى وضـع ما يحل محلها (تعنى كلمة: بابا) لأطفال حرموا النداء بهذا الاسم والاحساس بوجوده؟ يعيـدون كتابه «بابا» فى صفحة ثانية وثالثة.. وفى كل صفحة.. فلماذا هذا الترداد؟.

وفي عيد الميلاد الرابع لأصغر أطفالها «نعمة» يساور الأم إحساس بأنها قد ظلمت هذا الطفل الثالث الذى أنجبته ولم يفصل بينه وبين شقيقته سوى عام وبعض العام:

«ظلمتك يا بنى دون إرادة منى
ولكنى سأبذل جهدى لمحو الظلم
سأمزق الظلام ليغمرك وأخويك النور
سأمحو الآلام حتى تنعموا بالفرح والحبور
سأطوى الماضى الباكر لاقدم لكم المستقبل الضاحك.

●● وفى غمرة يأسها وأساها نرى مهاة فرح وهى تلوى على أبيها المحب الشفوق معاتبة تحمله تبعة ما تنوء به من الأحزان:

- هل تذكر يا أبى أنك لم تلفظ امامى كلمة «الموت»؟
- أردت أن تمحو هذه الكلمة من صفحة نفسى حتى لا أعرف إلا زهو الحياة.
- وإذا بى وجهاً لوجه أمام الظلام
- وإذا بهوة الليل تبتلع الصباح
- ويقف على حافة الهوة الردى الرهيب

●● وتعود إلى رفيق العمر المرتحل تقول له غير مصدقة:

- « أنا أنت
- فكيف انساك وأنت معى؟
- أنت معى حين أتناول قهوة الصباح.. هنا جالس على كرسيك فى الشرفة
- انت معى حين أقرأ وحين أكتب
- كيف انسى وكل ما فى بيتى يذكرنى بك؟
- كيف انسى وفى قلبى عالم من ذكرياتك؟
- أهكذا يغيب كل هذا فى لحظة ويبقى الألم؟
- أهكذا ينطفىء النور فجأة ويعم الظلام؟

رحل وديع نعمة الخورى مدرس العلوم الطبيعية فى الثانويات الرسمية بدمشق والمحاضر فى الجامعة ضحى يوم ٧ شباط (فبراير) ١٩٦٢ فاعتزلت «مهاة فرح» الفرح - ولو إلى حين - وأخذت تستخلص أحزانها فى مقطوعات كانت تريدها أن تظل طى الكتمان: «ما كتبت لأنشر بل لأكتب.. فحاجتى إلى الكتابة كحاجتى إلى التنفس وتقول: ما كتبت لأعلن للناس ما يخالج قلبى، بل لأكتم عنهم مشاعر وأحاسيس قد تضايقهم».. إلا أن الأوراق لم تشأ أن تبقى بين طياتها أعمق المشاعر بل شاءت الظروف أن ينشر قسم منها فى المجلات.

ثم أخذ الأصدقاء يحضونها على جمع أوراقها المتناثرة فكان كتاب «وكان مساء» الذى ضم ما كتبته «مهاة فرح الخورى» فى العامين التاليين على تلقيها ضربة القدر ونشر سنة ١٩٦٤ (كما أعلمتنى المؤلفة فإن الكتاب جاء خلواً من التاريخ).

●● وأديبتنا مهاة معنية أيضا بأبيها «ميشيل فرح» مدرس اللغة والأدب العربيين فى الثانويات الرسمية بدمشق والذى توفى سنة ١٩٦٩: إنها تجمع ما كتب من دراسات فى اللغة والادب وما نظم من شعر لتصدره فى كتاب فليس للوفاء الأصيل النابع من القلب اتجاه واحد يمضى إليه ولكنه ينتشر فى كل اتجاه كالنبع المتدفق الذى يفيض على ما حوله.

ولمهاة فرح الخورى التى عملت فى التدريس وموظفة فى بعض المؤسسات الخاصة والأجنبية ثم فى وزارة الاعلام بضعة عشر كتابا فى الادب والفن والاجتماع قد نقلتها عن الفرنسية ولها كتاب مؤلف آخر: «العصفور البشارة. مقالات مما نشرت فى الصحف صدر سنة ١٩٧٩. وهى اليوم تدير «دار مكتبة العائلة» التى تقع فى ساحة النجمة بدمشق.



لطفى الحفار

مهاة فرح الخورى

لطفى الحفار
الأب الرحيم والرجل المستقيم

ثانى الأحبة الراحلين هو «لطفى الحفار» (١٨٨٣-١٩٦٧). وقد أفردت ابنته الأديبة سلمى الحفار فى كتابها «عنبر ورماد» فصولاً ضافية عنه وقد زين لها لطفها أن تعتذر فى مقدمته لإسرافها فى حديثها عن أبيها «الذى ربانى وعلمنى وطوق عنقى بأفضاله ومآثره، فقد كان رجلا كبيرا ونبيلا أحببته حباً جما وربما يشفع لى أنى وجدت من واجب برّى به أن أوفيه بعض حقه فى هذا الكتاب».

تحدثت سلمى الحفار فى كتابها هذا (الذى **يشكل المرحلة الأولى من سيرتها الذاتية من سنة ١٩٢٢-١٩٥٥)** عن طفولتها وتعلقها بالأسرة والأدب **وعن زواجها الأول الذى انتهى سريعا بضربة من** ضربات القدر حين وافت المنية الزوج الشاب وزواجها الثانى الموفق من الدكتور نادر الكزبرى. وكان لابد من أن تتحدث مرة ومرة ومرات لا حصر لها عن أبيها لطفى الحفار الذى كان واحداً من أعلام **العاملين فى السياسة والحكم فى سورية ابان الانتداب** الفرنسى وكذلك فى بضعة عشر عاماً الأولى من عهد **الاستقلال.**

بجرأة نادرة بين النساء تستهل سلمى الفصل **الأول من كتابها بهذه العبارة: «ولدت فجر الاثنين فى** غرة آيار سنة ١٩٢٢ وفق الرابع من رمضان سنة **١٣٤٠هـ» هذه الصراحة والوضوح قد أخذتها ولا** شك عن أبيها الذى كان قد سماها سلمى تيمنا بالسلامة وتفاؤلاً بطول العمر ذلك أنه كان قد ولد لأبويها طفلتان قبلها ولم تكتب لهما الحياة.

فى حديثها عن ذكريات طفولتها تقص علينا حكاية استقالة أبيها من منصبه وزيراً سنة ١٩٢٦، مع من استقال من زملائه الوزراء (فارس الخورى وحسنى البرازى) معارضة منهم لسلطات الانتداب **الفرنسى فكان ردها عليهم أن اعتقلتهم وأبعدتهم** عن العاصمة دمشق إلى قرية فى ريف طرابلس ولم **يكن لبنان عامئذ قد اقتطع من جسد سورية) ولما طال** الإبعاد صدرت الأوامر العليا بالسماح لأسرهم **بالالتحاق بهم. . وهكذا انضمت الطفلة سلمى إلى** «المنفيين» فأصبحت ـ كما تقول ـ شغلهم «الشاغل **وسلواهم الكبرى، لكونى الطفلة الوحيدة معهم.** فعلمونى القراءة والكتابة والأناشيد الأولى ثم **القصائد الوطنية على صغر سنى ومما لقنها أبوها** وصديقه الزعيم فارس الخورى قصيدة أحمد شوقى **التى كان نظمها عن دمشق تلك الآونة(والتى غناها** محمد عبد الوهاب فيما بعد) ومنها:

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

●● *وتسترسل الأديبة الكبيرة سلمى الحفار فى ذكرياتها فتذكر كيف اشترك أبوها فى قيادة مظاهرة كبرى نظمتها «الكتلة الوطنية» احتجاجاً على سلطات المحتلين سنة ١٩٣٦ وكيف تصدت لهم قوات الأمن فى ساحة محطة الحجاز وفرقتها بعنف فكان أن تلقى الأب وهو فى الصف الأول من المظاهرة الذى كان يسير فيه القادة الوطنيون ضربات من عصا غليظة انهال بها «مفوض الشرطة» عليه فارتمى أرضا وأغمى عليه . . فلما دارت الأيام وأمسى لطفى الحفار وزيراً للداخلية وجد مفوض الشرطة ذاك فى عداد رجال الأمن عنده وبدلاً من أن يصرفه من الخدمة أو يعاقبه عمد إلى ترفيعه على نحو ما يستحق فاحتار المسكين كيف يعتذر عما فعل وكيف يشكر ولكن أبى أجابه بأن لا داعى للاعتذار لأنه كان مأمورا ينفذ ما يطلب إليه كما أنه لا داعى للشكر على ترفيعه لأنه يؤدى عمله بأمانه» .*

●● كان هذا الأب جديرا بأن يحظى بتقدير من ابنته لا حد له . . تقول : «شببت على الاعجاب العميق بأبى والاعتزاز به ، بوطنيته المتجردة عن كل غاية وبخلقه الرفيع فى البيت وفى المجتمع وبعلمه وإنسانيته إذ كان رجلا شجاعا كما ينبغى أن يكون الرجال فى عمله ومواقفه الوطنية وكان أباً رقيق القلب يهيم ببيته وذويه ويخلص لأصدقائه ويغار عليهم .

وكان لابد لصاحب هذا القلب الرقيق من أن يذوب حزناً وأسى على ابنته الشابة التى تزوجت وأنجبت ثم ما لبثت يد المنون أن اختطفت الزوج الشاب ولما يمض على تمتعه بأبوته للطفل سوى شهرين . فيروح الأب الحانى يسرى عن ابنته ويمسح بيده الرحيمة حزنها الكبير باذلا جهده فى سبيل إسعادها .

●● ومن ناحية أخرى كان لابد لاعتزاز الابنة بقدرات الأب ومواهبه ومواقفه ، من أن يغمرها الفرح وهى ترى الصحافة السورية تتحدث فى صيف **١٩٥٥** عن ترشيح أبيها لمنصب رئيس الجمهورية . . تقول : إن أكثرية الآراء كانت متفقة على أنه الرجل الحازم الذى تحتاجه سورية وهو الذى اشتهر فى حياته السياسية بالصلابة والاستقامة وبالزهد فى المناصب الحكومية . وكان الرئيس السابق شكرى القوتلى معتصما بالصمت فى الأيام السابقة على انتخاب رئيس جديد للجمهورية إلا أنه سرعان ما اتصل بأبيها «فاختليا بعد الغداء للبحث فى الموقف الراهن ، واتفقا على أن ينسحب والدى من المعركة لصالح الرئيس القوتلى» . . وتضيف الابنة بحسرة مكتومة : «كان بوسعه رحمه الله (تعنى الرئيس القوتلى) أن يساند ترشيح أبى ويظل محتفظا بمركز الزعامة والتوجيه ولكن معالجة الأمر عاطفياً دفعت أبى إلى التنازل عن هذا الترشيح والانسحاب علناً من معركة الرئاسة لصالح زميله فى الجهاد فى اجتماع وطنى كبير عقد فى دمشق قبيل الانتخاب بأيام» .

●● وسلمى الحفار الكزبرى التى تحدثت حديث الاعجاب الطلى عن أبيها فى كتابها «عنبر ورماد» سنة ١٩٧٠ سبق لها أن تحدثت عن أبيها بالاعجاب ذاته فى أول مؤلفاتها : «يوميات هالة» الذى صدر عن دار العلم للملايين ببيروت سنة **١٩٥٠** وسلمى قصصية وروائية وباحثة أدبية وكذلك شاعرة باللغة الفرنسية ولها بضعة عشر عملا أدبيا منشورا .

توفيق سلوم
الطبيب والمحب لأعمال الخير

ثالث الأحبة الراحلين : هو «الدكتور توفيق سلوم» ولد سنة ١٨٧٢ وفقد أباه وهو فى السابعة من عمره ثم فقد أمه قبل أن يكمل التاسعة فأسهم فى رعايته شقيقه الأكبر «أنيس» الذى حرص على أن

يلحقه بـ «الكلية الأمريكية» ببيروت حيث درس الطب وتخرج سنة ١٨٩٦ .

■ ولم يكن طبيبنا المتخرج شاعرا . ولكنه كان يقرض الشعر ولعله في هذا كان متأثرا بالجو الأدبي الذي يشيعه في البيت أخوه الأكبر أنيس سلوم (الذي غدا فيما بعد عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق) وفي حفل توزيع الشهادات الطبية الذي أقامته الكلية يوم ٨ تموز ١٨٩٦ وقف توفيق يلقي قصيدة سماها «الأرجوزة الصحية» يحيي في مطلعها المحتفلين :

هل ما أراه ذا المسا أقمار؟
في وصفها قد حارت الأفكار؟
أم ذي شموس أنسكم قد أشرقت
وظلمات الغمِّ عنّا مُزِّقت؟

● *إلى أن يقول عن الصحة والأصحاء :*
وبعد فالصحة خير بركة
وفقدها لا شك شر تهلكه
جوهرة في حفظها السلامه
كذاك في إهمالها الندامه
أما الأصحاء فجاهلونا
قيمتها وفضلها ناسونا
لا يعرفون قدرها إلا إذا
أصابهم سقم وأضناهم أذى

مارس الطبيب الشاب مهنته بادىء الأمر في مدينة آبائه : «حمص» ثم ما لبث أن انتقل إلى المدينة المجاورة لها : «حماة» فافتتح بها عيادة ظهرت فيها مواهبه وذاع صيته ونال تقدير الناس .

لدى إعلان دستور السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ الذي وسع الحرية للناس أتاح هذا الدستور الفرصة للطوائف المسيحية الصغرى في بلاد الشام أن تنتخب كل طائفة منها وبالتناوب عضوا من أبنائها يمثلها في «مجلس إدارة اللواء» فانتخب الدكتور توفيق سلوم عضوا في مجلس إدارة لواء حماة بصفته مسيحيا ينتمي إلى الطائفة البروتستنتية وبعد أن انتهت مدة ولايته وهي سنتان أصبح لأبناء الطائفة الكاثوليكية أن ينتخبوا واحداً منهم لشغل

هذا المنصب إلا أنهم رضوا بأن يظل الدكتور سلوم - البروتستنتى - ممثلاً لهم أيضا وما ذلك إلا لما يتمتع به الرجل من الأخلاق السامية التى تتجاوز التعصب الذميم.

وفى الحرب العالمية الأولى تجند الطبيب سلوم فى الجيش العثمانى وخدم فى بعض قرى جبل لبنان ثم توجه مع فرقته إلى يافا وإلى بئر السبع ووقع أسيراً فى يد البريطانيين فلما عاد إلى وطنه عينته حكومة الملك فيصل سنة ١٩١٩ (وكانت سورية قد استقلت عن السلطة العثمانية) طبيبا فى مستشفى حماة ثم مديراً لصحة لواء حماة. ثم شاء بعد تقاعده من وظائفه الحكومية أن يقيم بدمشق منذ سنة ١٩٣٤ فافتتح لنفسه عيادة فى منزله قريبا من «مكتب عنبر» وحدد يوما فى الاسبوع لمعالجة الفقراء بالمجان ثم مالبث أن وقف وقته كله على خدمة الفقراء والجمعيات الخيرية.

■ لم يعرف عن الدكتور توفيق سلوم الذى توفى سنة ١٩٥٦ أنه كاتب أو أديب ولكنه كان يكتب أحيانا موضوعات يلقيها فى المؤتمرات الطبية ومنها ذاك الخطاب الذى ألقاه فى مؤتمر طبى عقد سنة ١٩١٣ (لم يتبين لنا أين أقيم)، وكان الخطاب يدور حول «حالة الطب فى حماة» مدى إقبال الناس على المعالجة الطبية؟ وما يتقاضاه الطبيب من «أتعاب» من مرضاه؟ فكان أن صنف طبيبنا الناس فى موطنه حماة ثلاث فئات:

الأولى يعرف أصحابها فضل التطبّب فيسرعون إلى الطبيب كلما ألمَّ بهم مرض وهؤلاء لا تتجاوز نسبتهم ١٪ من السكان.

الفئة الثانية: يعيش أصحابها ويموتون دون أن يستشيروا طبيبا ونسبتهم ٧٠٪.

وأما بقية الناس (٢٩٪) فإنهم يراجعون لدى مرضهم العطارين والكحالين والدجالين هؤلاء الذين يسميهم طبيبنا «رسل عزرائيل» على أنهم فى حالة الخطر فقط يستشيرون الطبيب وهم يتوقعون منه الاسراع فى الحضور إلى بيت المريض المدنف، فإن تأخر فى التلبية - يقول الدكتور سلوم فى خطابه - «يستغنون عنه، إما لأن المريض قد مات أو لأن حالته تحسنت نوعا ما وفى كلا الحالين لا يبقى لزوم للطبيب».

■ أنجب توفيق سلوم ستة من البنين والبنات. وبدا أن «سعاد» (من مواليد ١٩١٥) كانت أسعدهم حظاً فى مرافقتها لأبيها. إنها لتذكر بسعادة جلساتها الطويلة مع هذا الأب المحب الشفوق الشغوف: «كنت أنهل ما طاب لى أن أنهل من بحره العميق مشوقة إلى ما يقصه على من قصصه وذكرياته مذهلة لوفرة اطلاعه وذاكرته الفريدة فما أن ألح له بذلك حتى يبتسم لى قائلا: كل فتاة بأبيها معجبة».

ولقد عز على الابنة المتزوجة سعاد سلوم نصير أن تدع الآثار الكتابية التى خلفها الأب عرضة للضياع فقامت بجمع وإعداد كتاب أسمته «مختارات من شعر ونثر الدكتور توفيق سلوم» ضم فى صفحاته البالغة ١٧٠ والمطبوع بدمشق سنة ١٩٧١، قصائد له إخوانية وخطباً طبية ومواعظ دينية وشيئاً مما رثاه به الأحبة.. ومنه كلمة لابنته البارة سعاد تخاطبه فيها:

يا والدى الحبيب لم تركتنا؟
كنت لنا أباً مثاله قليل
كنت لنا معلما لأمد طويل
زرنا ولو مرة فى الحلم، فى الرقاد تخفف
الأطياف من لوعة البعاد.

فلسطيننا

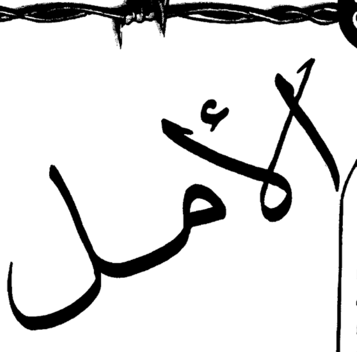
الأمل الحي
مشاريع الاستيطان اليهودي
اعلام من فلسطين
كنوز القدس
الزواج والعرس في فلسطين

حسن منصور
م. محمد محمود المرسي
م. محمد محمد حسن شراب
م. روضة الفرخ الهدهد

العدد الثامن
المحرم ١٤٠٦هـ

المشرف
شكيب الأموي

وقفة وموقف



الأمل

ان المملكة العربية السعودية على اقتناع تام بأن السلام الشامل العادل الذى تنشده جميع الدول العربية وتؤيده جميع الدول المحبة للسلام فى العالم لا يمكن تحقيقه ما لم يؤخذ فيه بعين الاعتبار الانسحاب الاسرائيلى من كافة الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل بالقوة وفى مقدمتها القدس العربية . . وما لم يتمتع الشعب الفلسطينى بحقه فى تقرير مصيره وحقه فى الاستقلال والسيادة. **فهد بن عبد العزيز**

رحلتُ نعم يا رفاقي رحلتُ
أجر خطايَ أجوبُ البراري
رحلتُ بعيداً بقلب جريح
كنسر أبيٍّ نجا من إسار
حملتُ جراحَ فؤاديَ ذكرى
تؤرقني في ليالي ادِّكاري
جراحٌ به راعفاتٌ ونُجْلٌ
تزيد اتساعاً بطول انتظاري
يقولون إنَّ الزمانَ يُنْسي
ويُشْفي الجراحَ ويطفىء ناري
كأنَّ الزمانَ الطبيبُ الأكيد
لمحو أسايَ وجبر انكساري
كأنَّ الزمانَ حجابٌ كثيف
ويزداد سُمْكاً بكل نهار
يُباعد بيني وبينَ حياتي
يباعد بيني وبين دياري

...

ألا يا صحابي تلاشى الزمانُ
كأنَّ الكواكبَ دون مدار
ولم يَبْقَ منه سوى صورة
ليوم النحوس وليل الضرار
وفي كلِّ صدرٍ وفي كل عينٍ
لظاها سيبقى عنيفَ الأوار
ألا يسمعون صدى صوتنا
ألا يُبصرون الأسودَ الضواري
نُعِدُّ ليوم يهزُّ الجبال
فيشرق حقي بيوم انتصاري
بيومٍ كيوم «الكرامة» يأتي
وللحق جند كموجِ البحار
وما كان يومُ الكرامة سراً
ولا طارئا جاء دون اختيار
ولكنْ إرادة شعبٍ يقول:
بحدِّ السيوف فرضتُ قراري
ومازال فينا بقيَّةُ عزمٍ
برغم الحواجز رغم الحصار
ورغم الحدود وكل القيود
وشوك الطريق وبُعْد المزار
سنبقى نسير فهذا الطَّريق
طريقُ الكبار ودربُ الصغار



حسن منصور

المدرسة الخالدية - خميس مشيط

الحنين

وأشبالنا لا تنى أو تكل
وتسلك للحق نفس المسار
ونحفظ قصة شعب أبىٍّ
روتها دماء شهيد الفخار
فلسطين فى الروح تسرى نشيداً
وتبقى بقاء النجوم الدرارى
وفى اسمك ذكرى وتاريخ دنيا
اطلتْ من الخلد دون انحدار
أطلّت وفيها من العدل نور
وفى (عُمَر) كل معنى الوقار
أطلتْ وفيها ملامحُ (عمرو)
وفيها (ضِرارٌ) وأخت ضرار
ومازال فيها (لسيف الإله)
بريق وقد سُل يوم النَّفار
وصورة جدى بوجه رزين
وصورة أهلى وصورة جارى

وأبصرتُ نفسى وصورة أمسى
كأنّى مازلت فى عُقْر دارى
وأبصرتُ حقلى وآثارَ حرثى
وذا عَرَقى فى مذاق الثمار
وظلِّىَ باقٍ على كل دربٍ
وصورة وجهى بكل جِدار
وما زال صوتى يرن هناك
صداه يسافر عبر القفار

●●●

فيا أملاً كالبراعم ينمو
وفى كل يوم زها فى اخضرار
ستبقى وتنمو بكلِّ القلوب
إلى أن تُدَق الطبولُ لثأرى
وإنْ ماتَ جيلٌ فجيلٌ يجىء
وإن ماتَ صفٌّ فصفٌّ يُبارى
ليرويك بالدم من قلب حرٍّ
وقلبِ شهيدٍ إلى المجد سارى
فتصبح غصنا جَنىَّ الثمارِ
لشعب رعاك بكلِّ اصْطِبَار
لشعب تجرَّع صابا وعبّ
من الكأس حتى قرار القرار
وما هان يوما وأقسم يمضى
على الدرب رغم الشقا والبوار
ومن عاش يدأب نحو العلاء
مضى وتجاوز كل عثار



مشاريع الاست

منذ قيام الثورة الفرنس

● مقدمــة:

هذه الدراسة محاولة القصد منها ربط اليوم العربى وطاميه العميقة بأصوله وجذوره الممتدة فى أعماق الأمس الراحل.. فالوجود الصهيونى اليوم فى فلسطين والاقطار العربية المجاورة لم يأت دون سابق اعداد وتخطيط.

وتأتى أهميـة هذه الدراسة من أنها تكشف الكثير من المخططات الصهيونية التى لا يزال العديد من الناس يجهل عمقها وأبعادها.

وتتناول الدراسة أيضا التهيئة العملية لإنشاء «دولة اسرائيل» ضمن إطار زمنى تعود بنا بدايته إلى أواخر القرن الثامن عشر وتستمر بنا حتى نهاية الحرب العالمية الاولى.

ومؤلف هذا الكتاب هو «د. أمين عبد الله محمود» من مواليد عام ١٩٤٠م فى مدينة بيت لحم.. حصل على الدكتوراه من جامعة جورجتاون بواشنطن.. وله عدة دراسات وأبحاث بالانجليزية والعربية منها: «فكرة الدولة اليهودية والتوسع الاستعمارى الغربى»، «المسألة اليهودية فى كتابات ليو - بنسكر».

وقد قسم المؤلف هذه الدراسة التى تتناولها بالعرض والتعليق - إلى ستة فصول.

الاستيطان اليهودى فى ظل التوسع الامبريالى الغربى

هذا هو موضـوع الفصل الاول حيث يستعرض فيه المؤلف تاريخ الاطماع الاوروبية فى فلسطين خلال العصور الحديثة، وتعود هذه الاطماع إلى منتصف القرن السابع عشر حين نظم عدد من البيوريتانيين حركة بهدف مساعدة اليهود على الاستيطان فى فلسطين، وقاموا عام ١٦٤٩ بتقديم عريضة بهذا الشأن للحكومة الانجليزية.

أيضا فان فرنسا كانت أول من طرح بشكل جدى فكرة لوطن اليهود فى فلسطين، فقد أعدت الحكومة الفرنسية عام ١٧٩٨ خطة سرية لاقامة كومنولث يهودى فى فلسطين.



يطان اليهودي

ية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى

ويلاحظ ان تبنى فرنسا لفكرة توطين اليهود فى فلسطين قد بدأت حدتها تفتر فى أعقاب الفترة النابليونية وذلك لانشغال فرنسا عن الشرق بمشاكلها الداخلية واتجاه توسعها نحو مناطق أخرى غير ان فكرة توطين اليهود فى فلسطين بدأت تجد اهتماما واسعا لدى الدوائر البريطانية الحاكمة آنذاك فقد أدركت بريطانيا ان وجود طائفة تعتمد عليها فى بلاد الشام يعتبر أمرا غاية فى الأهمية بالنسبة لمصالحها فى تلك البلاد.

ويعتبر اللورد بالمرستون من أشد المتحمسين لفكرة توطين اليهود فى فلسطين منذ توليه رئاسة الوزراء البريطانية وحتى قبل ذلك منذ ان كان وزيرا للخارجية البريطانية آنذاك كما يعتبر شارل هنرى تشرشل من أشد المتحمسين لانشاء دولة يهودية فى فلسطين فى تلك الفترة أيضا.

ويشير المؤلف إلى ان اشتداد التنافس الامبريالى فى منطقة الشرق بين بريطانيا وفرنسا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر جعل فكرة قيام الدولة اليهودية ضرورة ملحة لهذه الدول.. وعلى الرغم من ان السياسة البريطانية عملت جاهدة حتى نهاية عهد بالمرستون عام ١٨٦٥م من أجل توطين اليهود فى فلسطين، إلا ان هذه السياسة لم تنجح فى إثارة حماس اليهود للدولة اليهودية المقترحة وبالتالى هجرتهم لفلسطين خاصة ان الدولة العثمانية رفضت الاستسلام للضغوط البريطانية من أجل الموافقة على منح فلسطين لليهود



وفكرة تبنى المشاريع الاستيطانية اليهودية فى فلسطين لم يتوقف على بريطانيا وفرنسا، وانما شاركتها فى ذلك غالبية الدول الاستعمارية وان كان بدرجة أقل نسبيا مثل بروسيا والولايات المتحدة الامريكية حيث كانا مصدر حماية لأعداد كبيرة من اليهود دخلوا فلسطين بطرق غير شرعية، أيضا قام العديد من المبشرين الامريكيين بتقديم المساعدة إلى المهاجرين اليهود.

وهكذا يتضح ان عملية الاستيطان اليهودى فى فلسطين تم اعدادها وتهيئتها فى محافل الدول الاستعمارية الغربية وخاصة بريطانيا حيث وجدت الطبقات الرأسمالية الحاكمة فى هذه الدول ان توطين اليهود فى فلسطين يحقق لها فوائد جمه ويخدم مصالحها الاستعمارية.

وللوصول إلى هذا الهدف كان لابد للمشاريع الاستيطانية ان تلقى الدعم والتأييد من الاوساط اليهودية فجاء تحرك البرجوازية اليهودية بمصالحها المتداخلة مع الرأسمالية الاوروبية، وكان ان تم عن طريقها تحرك بسطاء اليهود نحو قبول فكرة الاستيطان فى فلسطين.

النزعة الاستيطانية فى الفكر اليهودى الغربى

يعرض المؤلف فى الفصل الثانى من دراسته للكوادر الفكرية اليهودية التى تبنت فكرة استعمار فلسطين والاستيطان فيها. حيث لم يقتصر دور البرجوازية اليهودية على المساهمة المادية فى إنشاء المؤسسات والجمعيات وتمويل بعض المستوطنات الزراعية فى فلسطين، وانما لجأت إلى سلاح فعال وهو تبنى كوادر فكرية يهودية تعمل فى خدمتها وتعبر عن مصالحها من خلال استثمار قوة الكلمة بين أوساط يهودية فقيرة.. ومن هذه الكوادر:

● **الحاخام يهودا القلعى**: وهو من أوائل المفكرين الذين عملوا ضمن إطار البرجوازية اليهودية واليه يرجع تبنى فكرة «الخلاص الذاتى التدريجى» والمقصود بها بناء كيان يهودى فى فلسطين بشكل منظم وتدريجى وركز القلعى اهتماماته فى أواخر أيامه على إحياء اللغة العبرية لانه على حد تعبيره.. لن يكتب البقاء لأمة دون وجود لغة مشتركة لديها.

● **كاليشر**. وهو من أكثر المفكرين اليهود الذين تركت آراؤهم آثارا عميقة وواضحة فى الفكر الصهيونى.. ان خلاص اليهود فى رأى كاليشر لا يمكن ان يتم إلا بعودة اليهود إلى فلسطين.. وفى عام ١٨٦٢ نشر كاليشر كتابه «البحث عن صهيون» حيث أفرد الجزء الأكبر منه للحديث عن فلسفة العمل اليدوى وأهمية الاستيطان الزراعى فى فلسطين.

● **موزس هس**: وهو مفكر يهودى ترك أيضا انطباعا عميقا فى الفكر الصهيونى حيث أصدر فى عام ١٨٦٢ كتابه المشهور «بعث اسرائيل» الذى عرف فيما بعد باسم «روما والقدس» والذى توصل فى نهايته إلى ان لب المشكلة اليهودية هو «اللامأوى» أى عدم وجود وطن لليهود مثل باقى الشعوب.

أما الحل الذي اقترحه هس للمسألة اليهودية فكان العمل على تهجير هذه الفئات خارج أوروبا صوب فلسطين. وعن تأسيس الدولة اليهودية فقد نادى هس بتحقيق ذلك من خلال تحالف صهيوني فرنسي واختياره لفرنسا آنذاك يرجع إلى نفوذها القوي في ذلك الوقت في منطقة المشرق العربي وقد دعا هس إلى انشاء جمعية استيطان يهودية وحدد مهمتها في جمع الأموال الكافية لشراء المناطق اللازمة لبناء المستوطنات عليها، وتنظيم عملية جلب المستوطنين اليهود من كافة الأنحاء وخاصة أوروبا الشرقية.

النزعة الاستيطانية في الفكر اليهودي الروسي

وهذا هو موضوع الفصل الثالث من الدراسة ويشير فيه المؤلف إلى ان روسيا القيصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت تضم اكبر نسبة من يهود العالم، حيث بلغ عددهم عام ١٨٨٠ حوالي أربعة ملايين ومائتين وخمسين الف نسمة من أصل سبعة ملايين ونصف مليون يهودي منتشرين في شتى أرجاء المعمورة وقد كان اليهود في غالبية مناطق سكناهم في روسيا يقيمون في تجمعات خاصة بهم أشبه بمستوطناتهم الحالية في فلسطين. ولكن أوضاع اليهود الاقتصادية والاجتماعية سرعان ما بدأت تتعرض لهزات كبيرة في أعقاب التطورات الجديدة التي شهدتها روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع ظهور الطبقة الوسطى بها.

وقد أدى بهم ذلك إلى البدء بالهجرة صوب الدول الغربية وهذه كانت بداية ما عرف باسم المسألة اليهودية وفكرة ايجاد حل لها عن طريق طرح مشاريع خاصة بتوطين اليهود في فلسطين أو غيرها. ولتحقيق هذا الهدف أيضا اعتمد على دعم وتشجيع المزيد من المفكرين اليهود الروس وأهمهم:

■ **ليو بنسكر**: وقد كانت اراؤه تهدف في النهاية إلى تحرر البرجوازية اليهودية الغربية من عبء هجرات عامة اليهود الشرقيين إلى دول غرب أوروبا، والحيلولة دون استقطاب الحركات الثورية لهم وذلك عن طريق ايجاد وطن يلجأون اليه خارج القارة الأوروبية وما ان تمكنت بريطانيا من إثبات وجودها العسكري في المشرق العربي حتى أصبحت فلسطين مطلبا يتسابق بنسكر وغيره للمطالبة باتخاذها وطنا قوميا لليهود.

■ **سمولينسكين**: وقد نادى ببعث القومية اليهودية الروحية في أرض الشتات وذلك عن طريق توسيع الثقافة اليهودية وإقامة منظمة يهودية عالمية وقد انضم إلى حركة احياء صهيون وكان من أشد المتحمسين لدعوتها إلى تهجير اليهود إلى فلسطين.

■ **ليلينبلوم**: أخذ يدعو إلى توجيه المهاجرين اليهود الروس صوب فلسطين، ومن أجل تأمين الحصول على فلسطين دعا ليلينبلوم زعماء اليهود في أوروبا الغربية التوسط لدى حكوماتهم للضغط على الدولة العثمانية كي تسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين. وقد انضم إلى حركة احياء صهيون وعمل بنشاط في سبيل دعم وتطوير المستوطنات التي أقامتها الحركة في فلسطين.





بن يهودا: اعتبر بن يهودا أن التشتت نتيجه طبيعيه لعدم توفر لغة موحدة، وقد تمكن بن يهودا من المساهمة بشكل رئيسى فى احياء اللغة العبرية وتحديثها بشكل أصبحت معه اللغة المنطوقة لغالبية المهاجرين اليهود الذين وفدوا لاستيطان فلسطين.

ويشير المؤلف الى ان نظريات هؤلاء المفكرين وضعت الاسس الفكرية والعقائدية للحركة الصهيونية وكانت مسئولة إلى حد كبير عن دفع موجات الهجرة اليهودية الاولى من روسيا إلى فلسطين.

هرتزل والصهيونية السياسية بين النظرية والتطبيق

يتناول المؤلف فى الفصل الرابع الجهود التى بذلها تيودور هرتزل الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للصهيونية السياسية واليه يعود الفضل فى إنشاء المنظمه الصهيونيه العالميه حيث يعرض المؤلف لاتصالاته مع كل من المانيا، والدولة العثمانية، وبريطانيا، وروسيا.

وقد كانت المانيا اول دولة يتجه اليها هرتزل طالبا مساعدتها في إقامة كيان يهودي سياسى فى فلسطين تحت الحماية الألمانية. وبذل مساع كبيرة للقاء قيصر المانيا حتى أقنعه بالفكرة، ولكن بعد ذلك عدل القيصر عن رغبته وفتر حماسه تجاه المشروعات الصهيونية نظرا للموقف العثمانى المعارض للمشروع وتحفظات وزير الخارجية الالمانى أيضا معارضة بريطانيا وفرنسا وروسيا لأى تدخل المانى فى فلسطين أو سوريا.

بعد فشل مساعى هرتزل مع ألمانيا اتجه الى التباحث المباشر مع الدولة العثمانية وبذل مساع كبيرة لمقابلة السلطان العثمانى حتى تم له ذلك عام ١٩٠١ وكل ما طلبه هرتزل خلال المقابلة صدور بيان ودى من السلطان يعد بتقديم الدعم لهرتزل وأصدقائه حينما تدعو الحاجة لذلك فى المستقبل كما عرض على السلطان امكانية الدعم اليهودى لانقاذ الاقتصاد العثمانى من خطر الافلاس.

وقد كان موقف السلطان العثمانى معروفا تجاه الحركة الصهيونية وتطلعاتها حيث ابلغ هرتزل اكثر من مرة أنه لا يستطيع التخلى عن شبر واحد من فلسطين حتى مقابل الملايين ففلسطين وبيت المقدس بالذات لها مكانتها الخاصة فى العالم الاسلامى. وفى عام ١٩٠٢ ذهب هرتزل لزيارة الأستانه للمرة الاخيرة بهدف التوصل إلى نتيجه ايجابيه ولكنه لم يتوصل لذلك فاضطر عند هذا الحد إلى وقف اتصالاته بالعثمانيين والبحث عن حليف جديد.

بعد هذا الفشل لجأ هرتزل الى التركيز على بريطانيا حيث كان من الطبيعى ان يحدث التقاء بين الحركة الصهيونية والامبريالية البريطانية أيضا كانت بريطانيا مهتمة بشكل واضح بايجاد حل للمهاجرين الروس المتجهين اليها.

بعد ذلك يعرض المؤلف لاتصالات هرتزل مع روسيا القيصرية والتى بدأت عام ١٩٠٣ وكان من نتائجها موافقة روسيا على بذل مساعيها للضغط على الباب العالى لتسهيل عملية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقد أبدت روسيا أيضا استعدادها لمساعدة الصهيونية.



وتختم المؤلف هذا الفصل مؤكدا ان المساعي الرامية لتحقيق استيطان يهودي في فلسطين في عهد هرتزل لم تكلل بالنجاح إلا ان نشاطه الدبلوماسي انتزع للمنظمة الصهيونية اعترافا ضمنيا من كثير من حكومات العالم بالاضافة إلى أنه خلق من المسألة اليهودية قضية عالمية أصبحت مثار اهتمام كثير من الحكومات والدول.

مشاريع الاستيطان اليهودي: بدائل فلسطين

هذا هو موضوع الفصل الخامس من هذه الدراسة حيث يستعرض فيه المؤلف المحاولات الصهيونية لانشاء دولة يهودية في مناطق كثيرة من العالم ومن هذه المحاولات:



«مبنى الوكالة اليهودية في القدس»
تمول الوكالة اليهودية الاستيطان الصهيوني





احدى المستوطنات الزراعية في عين هارود وقد أنشئت في العشرينات في وادي مرج بني عامر

صورة لأسرة يهودية من بولندا في القرن التاسع عشر



● مشروع فريدمان «يهودي ألماني» ويهدف هذا المشروع الى اقامة دولة يهودية فى «مدين» عام ١٨٩١ ومدين هى المنطقة الساحلية الواقعة شمال غرب الجزيرة العربية. وقد كان فريدمان يهدف إلى إقامة مستوطنات بها ولكنه فشل وانسحب منها.

تأتى بعد ذلك محاولة البارون دى هيرش لتوطيد يهود اوروبا الشرقية فى الأرجنتين، حيث اشترى ٧٥٠ ألف هكتار من الارض هناك وجلب حوالى ٣٥٠٠ أسرة يهوديه للاستيطان فيها ولكن خطته انهارت بموته عام ١٨٩٦ ولم يتحقق حلمه بانشاء دولة يهودية على جزء من الارجنتين.

● مشروع الاستيطان اليهودى فى العريش وسيناء: وقد وافقت بريطانيا على هذا المشروع فى بادىء الأمر وأيده كرومر، ولكنه لم ينجح نتيجة معارضه الدوله العثمانية والوطنيين فى مصر بالاضافة الى احتياج المشروع لكميات هائلة من المياه.

● مشروع المستعمرة اليهوديه فى يوغنده وهي منطقة مرتفعة ضمن المرتفعات الغربية لكينيا وليست فى يوغنده كما هو معروف خطأ وهى ضمن الممتلكات البريطانيه آنذاك وقد فشل هذا المشروع نتيجة معارضة جماعة أحباء صهيون التى كانت لا تريد لفلسطين بديلا، وأيضا لمعارضة المستوطنين البريطانيين فى هذه المناطق.

● مشروع الاستيطان اليهودى فى ليبيا: وقد بدأت الأنظار تتجه اليها مع مطلع القرن الحالى، وقد وافقت الحكومة العثمانية على توطين اليهود فى ولايه برقه ولكن هذا المشروع لم ينجح نتيجة احتلال ايطاليا لليبيا عام ١٩١١.

● مشروع الدولة اليهودية فى الخليج العربى: تبنى هذا المشروع طبيب يهودى روسى اسمه رونشين وقد كان يقيم فى باريس، حيث اقترح هذا المشروع على بريطانيا فى سبتمبر عام ١٩١٧، ولكن سرعان ما تهاوى المشروع بعد صدور وعد بلفور المشهور فى نوفمبر ١٩١٧ لبناء وطن قومى لليهود فى فلسطين وليس فى غيرها.

■ هناك أيضا العديد من المشاريع والمحاولات لانشاء الدولة اليهودية فى مناطق أخرى من العالم مثل «قبرص. موزمبيق. الكونغو. رودس. أنجولا. جنوب العراق. سهل البقاع. منطقة حوران. منطقة شرق الاردن» ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل.

فلسطين بين الحركة الصهيونية والامبريالية الغربية خلال الحرب العالمية الاولى

وهذا هو موضوع الفصل السادس والاخير من هذه الدراسة، حيث تناول المؤلف فى بدايته موجات الهجرة الرئيسية لليهود قبل الحرب العالمية الاولى، والتى تمثلت فى موجتين: الاولى بين أعوام ١٨٨٢ـ١٩٠٣ وتراوح عددها بين ٢٥ـ٣٠ ألف مهاجر، والثانيه بين أعوام ١٩٠٤ـ١٩١٤ وتراوح عددها بين ٣٥ـ٤٠ ألف مهاجر معظمهم تقريبا من اليهود الروس ثم كانت الحرب العالمية الاولى ويتناول المؤلف العلاقات الالمانيه الصهيونيه والعلاقات البريطانية الصهيونية خلال هذه الحرب.

● العلاقات الالمانية الصهيونيه خلال الحرب: بقيت الاتصالات مستمرة طيلة الحرب بين الصهاينة والحكومة الالمانية إلى ان صدر وعد بلفور ١٩١٧ حيث تحولت الدولة العثمانية والمانيا الى تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين ومنحهم حكما ذاتيا الا ان انهيار الدولة العثمانية وهزائم المانيا جعل مركز الثقل يتجه الى بريطانيا.



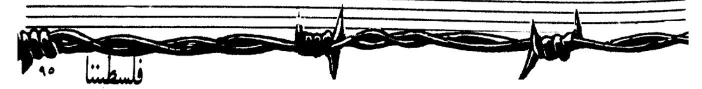
● العلاقات البريطانية الصهيونية خلال الحرب: يستعرض المؤلف في هذا الجزء اتجاه نية بريطانيا لبسط حمايتها على فلسطين واستمالتها للصهيونية لتنفيذ هذا المخطط. وذلك من خلال الضغط على فرنسا والمانيا والولايات المتحدة للتخلي عن أطماعهم في فلسطين وكانت بريطانيا ترى ان انشاء كيان يهودي سياسي في فلسطين من شأنه ان يوطد مصالحها في الشرق العربي لمواجهة حركات التحرر القومي العربي التي أخذت تنمو في العراق وسوريا، وذلك لتمزيق هذه الحركات وفصلها عن مصر وباقي العالم العربي في افريقيا. ولذلك كان التقاء المصالح القوي بين الصهيونية وبريطانيا إلى ان صدر وعد بلفور عام ١٩١٧ والذي يقضي بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

■ وهكذا يتضح مما سبق ان فكرة الاستيطان اليهودي كانت بمثابة امتداد لسياسة التوسع الامبريالي الغربي لتصبح فيما بعد أداة من أدواته في الشرق العربي تؤمن مصالحه وتحرس مواقعه وبقيت محافظة على هذه الأداة حتى قيام الدولة عام ١٩٤٨ فاحتفظت بها ومازالت الولايات المتحدة الامريكية تساندها.

> النزعة الاستيطانية عند اليهود كان من ضمن ما قامت عليه الإفادة التامة من سلاح الكوادر الفكرية لاستثمار قوة الكلمة في اظهار قضيتهم فنادوا بالقومية اليهودية الروحية وإحياء اللغة العبرية.. والإرتباط بالأرض المقدسة.

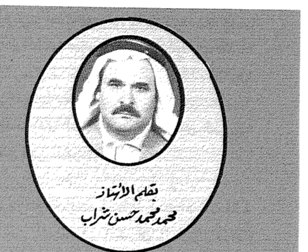
●● وبعد هذا الاستعراض الموجز لأهم ما احتوته هذه الدراسة القيمة لمشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين منذ قيام الثورة الفرنسية وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ينبغي ان نؤكد اننا كنا بحاجة لمثل هذه الدراسة وذلك حتى نكون على وعي كامل بتاريخ قيام هذا الكيان، وحتى نكون على وعي بأهم أساليبه ومخططاته على طريق (اعرف عدوك).

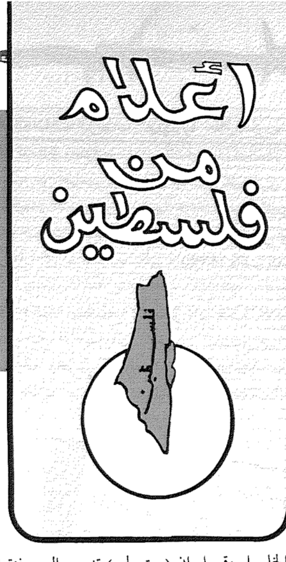
■ وفي النهاية لابد ان نذكر ان هذه الدراسة في حاجة إلى ان تليها دراسة أخرى تتناول فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى وحتى وقتنا الحالي ونرجو ان يتسع وقت المؤلف أو غيره من الاساتذة الأفاضل والمتخصصين أيضا للقيام بمثل هذه الدراسة حتى يتم ويكتمل العمل وتتحقق الفائدة المرجوة من مثل هذه الدراسات الجادة.





أعلام من فلسطين





تميم بن أوس الدارى اللخمى صاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾ من «فلسطيننا» له مناقب حسنة وأوليات سابقة ولقبيلته «لخم» صيت ذائع فى فلسطين قبل الاسلام وبعده . . وقارىء تاريخ الحضارة الاسلامية يلتقى به فى كثير من حقولها المخصبة فأردت أن أذكر القارىء العربى أن تميما ابن فلسطين المنجبة ومن أهل القبلة الأولى الارض العربية منذ كان الانسان عليها.

● وقبيلة «لخم» سكنت بلاد الشام ومنها فلسطين، منذ الزمن القديم وكانت تنتشر قبل الاسلام فى الشام والعراق وباديتها، وفى مواقع متعددة من فلسطين. . وقيل إن الذى استخرج يوسف عليه السلام من الجب هى القافلة اللخمية التجارية بقيادة مالك بن ذعر ـ بالذال المعجمة ـ اللخمى . . ولخم ذو شعوب وقبائل منها ملوك الحيرة بالعراق وهم آل المنذر الذين تولوا الملك على العرب ودانت لخم بالنصرانية وقيل إن أصحاب الكهف منهم. . وفى اواخر القرن الثانى للميلاد نزلت فرقة من بنى لخم جنوبى فلسطين وامتدوا فى غربى البحر الميت. وفى القرن الثالث الميلادى نرى لخماً تحارب مع جيوش زنبوبيا ضد امبراطور الرومان وينتصرون عليه. . ومنازلهم فى فلسطين حول الرملة ودير البلح ورفح إلى العريش، ومنطقة بيت المقدس ومنها الخليل وقيل إن (بيت لحم) تنسب إليهم فنقل صاحب «معجم قبائل العرب» أنه نزل قوم من لخم بمنطقة بيت المقدس فدعيت باسمهم وتسميها العامة اليوم بيت لحم. . وأثر القبيلة ظاهر فى تاريخ فلسطين على مر العصور حيث نسب إليها عدد من الأعلام أذكر من الصحابة الفاكه بن عمرو الدارى وزياد بن جهور اللخمى. . ومن مشاهير الرجال موسى بن نصير، ومن العلماء الامام الحافظ سليمان بن أحمد اللخمى، الطبرانى ، نسبة إلى «طبرية» ومن الأدباء عبد الرحيم بن على بن السعيد اللخمى المعروف بالقاضى الفاضل. . ومن الشعراء ادريس بن عبد الله اللخمى ويعرف باسم الشاعر النابلسى الضرير متوفى حوالى سنة ٢٨٠هـ. . ولعل قرية «بُرَيْر» المعروفة فى جنوب فلسطين سميت بذلك لأن أبا هند، أخا تميم الدارى قد دفن بها واسمه «برير».

● أما تميم الدارى فهو تميم بن أوس بن خارجة الدارى نسبة إلى الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة



تميم بن أوس الداري
صاحب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

بن لخم. . كان يقيم ـ قبل الاسلام ـ فى منطقة الخليل من فلسطين وقدم على الرسول سنة تسع من الهجرة فى رهط من قومه وأسلموا وأهدى هانىء بن حبيب لرسول الله أفراسا وقباء وأقام تميم بعد اسلامه فى المدينة وغزا مع رسول الله وروى عنه وأثبت له البخارى ومسلم تسعة عشر حديثا ونقل ابن حجر فى الاصابة أن تميما كان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين وهو أول من أسرج السراج فى المسجد. . وبقى فى المدينة حتى مقتل عثمان ثم رحل الى فلسطين فسكنها ومات فى قرية «بيت جبرين» على بعد ستة وعشرين كيلا فى الشمال الغربى من الخليل.

ومما يذكر عنه أن معاوية بن حرمل ـ صهر مسيلمة الكذاب ـ وكان معه فى الردة ـ قدم على عمر بن الخطاب تائبا فلما دخل عليه قال له عمر: من أنت فقال: معاوية بن حرمل ختن مسيلمة، أتيتك تائبا فقال له: اذهب فانزل على خير أهل المدينة فنزل على تميم الدارى (الاصابة) وكان تميم أول من قص على الناس فى المسجد بأمر من عمر بن الخطاب، وكان يقرأ عليهم القرآن ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر، وكان يفعل ذلك مرة فى الاسبوع فلما كان زمن عثمان أذن له أن يذكّر الناس يومين فى الجمعة.

■ وفى سيرة تميم الدارى ـ موضوعان جديران بالعناية والدراسة، لما لهما من الصلة الوثيقة بالعقيده الاسلامية أولا وحياة تميم ثانيا وتاريخ فلسطين ثالثا.

● اما الموضوع الاول: فقد عد العلماء من مناقبه التى انفرد بها أنه عندما قدم المدينة وأسلم حدث النبى ﴿ﷺ﴾ بقصة الدجال والجسّاسة فحدث النبى عنه بذلك على المنبر فقال ابن حزم فى الجمهرة: ولا نعلم أحدا روى عنه رسول الله حديثا حدث به الناس إلا تميماً الدارى هذا وحده. . فقد روى الامام مسلم فى صحيحه فى «كتاب الفتن وأشراط الساعة عن الشعبىّ عن فاطمة بن قيس قالت: سمعت منادى رسول الله ينادى الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله. . فلما قضى رسول الله ﴿ﷺ﴾ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال:

أتدرون لم جمعتكم، قالوا: الله ورسوله أعلم. . قال: والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال. . حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً فى البحر، ثم أرفؤا إلى جزيرة فى البحر. . فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة. . فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت أنا الجسّاسة. . قالوا: وما الجساسة؟

قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشـواق. . فانطلق الرجال الى الدير ووجـدوا الرجل. . فقال لهم: «أخبرونى عن نخل بَيْسان. . هل يثمر؟ فقالوا له نعم. . فقال: أما أنها يوشك أن لا تثمر. . قال: أخبرونى عن بحيرة طبرية قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء. . قالوا: هى كثيرة الماء. . قال: أما ان ماءها يوشك أن يذهب. . قال: أخبرونى عن عين زُغَر. . هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين، قالوا له: نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها. . ثم سألهم عن النبى ﴿ﷺ﴾ فأخبروه أنه خرج من مكة ونزل يثرب وأنه ظهر على مَنْ يليه من العرب وأطاعوه. . ثم أخبرهم عن نفسه أنه المسيح الدجال، وأنه يوشك أن يخرج فيـدخـل فى كل قريه غير مكة وطيبة فهما محرمتـان عليـه. . ثم قال ﴿ﷺ﴾: ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم، فقال الرسول: فإنــه أعجبنى حديث تميم أنــه وافق الـذى كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة. . » وفى هذا الحديث دليل على أن تميماً وقومه كانوا يسكنون فلسطين لأن المسيح الـدجـال سألهم عن ثلاثة مواضع فأجابوه جواب العـارف بها: أولهـا: بيسـان: ـ بالفتـح ثم السكون ـ قال ياقوت: مدينة بالغور الشامى. . جاء ذكرها فى حديث الجساسة وتوصف بكثرة النخل قال ياقـوت: وقـد رأيتهـا مراراً فلم أر فيها غير نخلتين حائلتـين وهـو من علامـات خروج الـدجال وثانى المواضع: بحيرة طبرية وهى بحيرة فى فلسطين تصب فيها مياه السيول والأنهار وينفصل منها نهر يصب فى البحر الميت.

قال ياقـوت: وغـور مائها علامة لخروج الدجال، واياها يعنى المتنبى فى قوله:

ورد إذا ورد الـبـحـيرة شاربـا

ورد الـفـرات زئـيره والـنـيـلا

والموضع الثالث: زُغَر بوزن زُفر. . قيل: سميت باسم ابنة لوط عليه السلام. . قال ياقوت: حدثنى الثقـة أن زغـر ـ بالغين المعجمة ـ فى طرف البحـيرة المنتنة ـ البحر الميت ـ ولهم هناك زروع. . وقـال: وهى فى واد وخم ردىء فى أشأم بقعـة إنـما يسكنه أهله لأجل الوطن.

والموضوع الثانى فى سيرة تميم الدارى أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقطع تميماً قرى فى منطقة الخليل قال مهذب «تاريخ ابن عساكر» هذا ما رواه الحافظ بأسانيده من طرق متعددة وفيها اختلاف كثير غير أن جملة الأخبـار تثبت القضيـة. . وقد أورد المؤرخون صورة الكتاب الذى كتبه رسول الله مع اختلاف يسير فى نصه، وأثبت هنا نص الكتاب الذى نقله، أحمد بن يحيى العمرى فى كتابه «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» وقد رآه بعينه عند رئيس الدارسين فى الخليل وجاء فيه:

«بسـم الله الـرحمن الـرحيم: هـذا ما أنطى محمــد رسـول الله لتميم الـدارى واخوته حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن نطية بتّ بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم لعنه الله شهد عتيق بن أبى قحـافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكتب على بن أبى طالـب وشهد».

وفى هذا النص أمور:

الأول: أنــه قال: أنطــى ـ وجــاء فى بعض الروايات «أعطى» وأنطى: هى بمعنى أعطى، بل هى نفسهـا، بلغة أهل اليمن حيث يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء. ومن القراءات الشاذة «إنـا أنطينـاك الكوثر» ولازالت هذه اللغة دارجة فى بعض قرى فلسطين.

والثانى: ذكر الأماكن التى اعطاها رسول الله لتميم واخـوتـه: وهى (حـبرون ـ والمرطوم ـ وبيت عينون ـ وبيت ابراهيم).

أما حبرون: ويقال لها أيضاً: حبرى فهو الاسم

القديم لمدينة الخليل ولم يكن عمران «حبرون» وصل الى قبر سيدنا ابراهيم ولذلك نجد بعض الروايات تنص على أن «بيت ابراهيم» مما أقطعه الرسول لتميم ولو كان قبر ابراهيم يدخل فى «حبرون» لما خص بالذكر، حين الاقطاع ثم امتد العمران حتى وصل الى قبور الأنبياء - بل ان الخليل القديمة (حبرى) كانت قائمة على التل شمال غربى البلدة الحالية. وقد ذكرها الرحالة المسلمون باسم «مسجد ابراهيم» و«حبرى» و«حبرونة ثم غلب اسم الخليل عليها فى العهد الاسلامى من باب اطلاق الجزء (وهو مشهد سيدنا ابراهيم) على الكل وهو مدينة (حبرون) ولم يكن لحبرون ذكر فى الفتوحات الاسلامية لأنها كانت خربة منذ الغزو الفارسى على فلسطين عام ٦١٤م وبقيت كذلك إلى أن دخلها العرب المسلمون.

وأما المرطوم: فيرى المؤرخون أنها كانت تقوم على البقعة المعروفة اليوم باسم «رامة الخليل» الواقعة فى شمال الخليل على بعد ميل ونصف الميل وجاء فى **«الأنس الجليل»** وكان الخليل عليه السلام مقيماً بـ: **(ممرى)** فى مخيمه وهى بالقرب من بلدة الخليل من جهة الشمال وهى أرض بها عين ماء وكروم.. والمرجح أنها المرطوم.

وأما بيت عينون: فتقع على بعد خمسة أكيال الى الشمال الشرقى من الخليل وكان بها سنة ١٩٦١م حوالى مائتى شخص وهى معروفة بكرومها وزبيبها منذ القدم.. وينسب اليها المحدث المقرىء عبد الصمد بن محمد العينونى، توفى سنة ٢٩٤هـ.. وهذا الاقطاع من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، حيث كتبه سنة تسع ولم يكن الاسلام تعدى حدود الجزيرة العربية وقال العلماء: وليس لرسول الله قطيعة بالشام غيرها مما يدل على تنبُّئه صلى الله عليه وسلم، بفتح القدس وتطلعه الى القبلة الأولى حيث كان إليها مسراه ومنها معراجه.

وعندما بويع أبو بكر رضى الله عنه وأرسل الجيوش لفتح الشام كتب إلى أبى عبيدة أمير الجيوش أن يسلم الاقطاع إلى الدايين.. قال صاحب «الأنس الجليل» الذى انتهى من تأليفه سنة ٩٠١هـ: وقد استمر هذا الاقطاع بيد ذرية تميم، يأكلونه إلى يومنا وهم مقيمون ببلد سيدنا الخليل عليه السلام وهم طائفة كبيرة يقال لهم «الدارية».. ولعل آل التميمى فى الخليل أيامنا هم الدرية.. وقد اعترض بعض الولاة على آل تميم وأراد انتزاع الأرض منهم، ورفع أمرهم للقاضى أبى حامد الهروى قاضى القدس فاحتج الداريون بالكتاب، وقال القاضى: هذا الكتاب ليس بلازم لأن النبى أقطع تميماً ما لم يملك فاستفتى الوالى الفقهاء وكان الامام أبو حامد الغزالى حينئذ بالقدس قبل استيلاء الفرنج عليه فقال الغزالى هذا القاضى كافر فإن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يقطع فى الجنة فيقول: قصر كذا لفلان، فوعده صدق، وعطاؤه حق.. وبقى آل تميم على ما بأيديهم.

ويدل خبر هذا الاقطاع على أن وفد الداريين كانوا يقيمون فى فلسطين وليس فى اليمن كما يرى بعض المؤرخين.. نعم إن أصل قبيلة لخم من اليمن ولكن القبيلة هاجرت إلى بلاد الشام والعراق قبل الاسلام بقرون طويلة.. ومما يدل على ذلك أنهم عينوا القرى التى طلبوا من الرسول إقطاعهم إياها، مما يدل على معرفتهم الوثيقة بهذه القرى وبما يمكن أن تدر عليهم من الخير. ومما يدل على سكناهم فلسطين وأنهم قدموا على رسول الله منها، ما رواه ابن سعد فى الطبقات أن تميماً قال لرسول الله «لنا جيرة من الروم، لهم قريتان يقال لأحداهما (حبرى) والأخرى (بيت عينون) فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لى.. فقال عليه السلام: فهما لك» فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك وكتب له به كتاباً وأقام وفد الداريين بالمدينة حتى توفى رسول الله وأوصى لهم رسول الله بجاد مائق وسق من خيبر.

وقول تميم «لنا جيرة من الروم» دليل على سكناهم تلك الديار.

البيمارستان الصلاحى

أقامه السلطان صلاح الدين الأيوبى فى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م عقب تحرير القدس من الاحتلال الصليبى وكان الفاطميون قد أنشأوا أول بيمارستان فى القدس، ثم وسعه الصليبيون وهو البيمارستان الذى وقفه صلاح الدين وعين له كبار الأطباء ووقف عليه أوقافاً كثيرة وأصبح ذلك البيمارستان من أشهر البيمارستانات فى تلك الفترة وكان علم الطب يدرس فيه إلى جانب ممارسته عملياً.

● ويتكون هذا البيمارستان من مجموعة دعامات حجرية تعلوها عقود وقد قسمت مساحته إلى عدد من القاعات المغطاة بسقوف ذات أقبية متقاطعة أو سقوف برميلية وكانت كل قاعة من تلك القاعات مخصصة لأمراض مختلفة.

● تعرض هذا البيمارستان لزلزال وقع فى سنة ١٤٥٨م وأدى إلى هدم أجزاء كبيرة منه ولم يبق من البناء الأصلى إلا جزء بسيط وهو البازار اليوم.



المدرسة الصلاحيـة

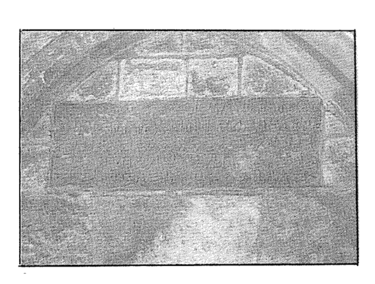
أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبى بعد تحرير القدس فى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ووقفها فى سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ونسبت إليه.

● وذكر أنها أقيمت فى مكان الكنيسة المعروفة بصندحنة عند باب أسباط وذكر أنها أقيمت فى مكان دير للراهبات أقيم فى بيت القديسين يواكيم وحنة وكان الصليبيون قد أنشأوه عندما احتلوا القدس.

● وذكر أن صلاح الدين عين لها مكاناً وفوض وكيل بيت المال بشراء كنيسة صندحنة.

وذكر ابن واصل وأبو الفداء وابن فضل الله العمرى والقلقشندى أنها كانت تعرف قبل الاسلام بصندحنة ثم صارت فى الاسلام دار علم قبل أن يملك الفرنج القدس. ولما ملك الفرنج القدس أعادوها كنيسة فلما فتح صلاح الدين القدس أعادها مدرسة وفوض تدريسها ووقفها إلى القاضى بهاء الدين بن شداد.

● كانت المدرسة الصلاحية ذات مكانة علمية كبيرة



● لوح حجرى يوجد على مدخل المدرسة الصلاحية

كانت فى مقدمة المعاهد العلمية فى بيت المقدس. وقد قامت بدور فكرى كبير، وتولى مشيختها والتدريس فيها عدد من العلماء الأجلاء.

● وقد قاموا بدور سياسى واجتماعى إلى جانب الدور الفكرى الذى قاموا به ومن أشهر شيوخها: ابن شداد وفخر الدين بن عساكر وابن واصل الحموى وابو عمرو بن الصلاح وعز الدين بن عبد السلام المقدسى وشهاب الدين بن الهائم وكمال الدين بن أبى شريف وغيرهم.

● واستمرت هذه المدرسة منارة إشعاع علمى فى العصر الأيوبى والعصر المملوكى والعصر العثمانى.

وفى القرن التاسع عشر الميلادى كانت هذه المدرسة قد آلت إلى الخراب إثر زلزال وقع فى سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م.

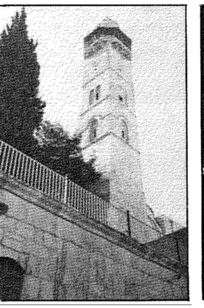
● ثم سعت الحكومة اليونانية إلى استرجاعها وإعادتها كنيسة. ولكن تلك المساعى لم تنجح.

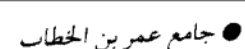
● وفى سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م أعطاها العثمانيون للفرنسيين وذلك لوقوفهم إلى جانب العثمانيين فى حرب القرم فأعادوها مدرسة وكنيسة وفى سنة ١٩١٥م استرجعها العثمانيون وحولها جمال باشا إلى كلية علمية دينية عرفت باسم كلية صلاح الدين الأيوبى ووضع لها نظاماً حدد موضوعات الدراسة فيها وبرنامجها ومنهاجها وفيه تفصيل لأهداف الدراسة ومدتها ولغة التدريس وعدد الطلاب وتعيين مديرها ومدرسيها وغير ذلك من الوظائف.

● واستمر الأمر كذلك إلى أن احتل الانكليز القدس فى سنة ١٩١٧م فأعادوها إلى الآباء البيض وأعادها هؤلاء مدرسة وفيها متحف ومكتبة وكنيسة ومازالت كذلك حتى الآن.



● البيمارستان





● جامع عمر بن الخطاب

جامع عمر بن الخطاب

أقيم هذا الجامع فى المكان الذى صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب فى القدس بعد الفتح الاسلامى وكان خليفة المسلمين قد رفض الصلاة فى كنيسة القيامة حتى لا يقيم المسلمون مسجداً فى المكان الذى يصلى فيه خليفتهم.

● لقد عنى المسلمون بهذا الجامع منذ انشائه فقد جددوا بناءه فى سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م فى العصر الأيوبى. وأعادوا بناء مئذنته فى سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م فى العصر المملوكى وهى مئذنة مربعة الشكل جميلة التكوين.

● ويتوصل إلى هذا الجامع عبر مدخل تذكارى معقود يرجح أنه يعود إلى العصر العثمانى ويؤدى هذا المدخل الغربى إلى ساحة شمالية مكشوفة ويقع بيت الصلاة فى الجهة الجنوبية من الساحة المكشوفة ويتكون من بناء بسيط مستطيل الشكل مغطى بأقبية متقاطعة وله محراب يتكون من حنية يعلوها نقش تذكارى حجرى. ويرجح أنه يعود للبناء الذى يعلو المسجد وذلك حسب ما يفهم من قراءة نص النقش.

ويقع مبنى المئذنة المربعة فى الناحية الشرقية من الساحة المكشوفة.



الزواج والعر

المقدمة

الباحث او الدارس للعرس الفلسطينى يلاحظ مدى ارتباطه بتاريخ فلسطين وسيدهش القارىء عندما يعلم ان العرس الفلسطينى كان يمثل وبلا قصد أو نيه ارتباطاً بالقضية الفلسطينية خاصة وبالعالم العربى عامة . . وهنا علينا ان نقسم تاريخ فلسطين الى ثلاث مراحل . . وكذلك سيتم تقسيم العرس الى هذه المراحل قبل الخوض فى العرس الفلسطينى من البداية وحتى النهاية لارتباط الاغانى ومعانيها بالوضع السياسى للانسان الفلسطينى . . وذلك يظهر واضحاً فى الاغانى والاهازيج الشعبية التى ترافق ايام السحجة او السهرة . . ونبدأ من البداية .

قبل عام ١٩٤٨ نلاحظ هنا ان الاغانى التى كانت تردد كانت تتغنى بالبطولة والشجاعة والاقدام ففى الزفة مثلا كانوا يقولون .

طاحت خيلنا على باب الوادى
طاحت خيلنا تحمى البلادى
طاحت خيلنا على باب الخله
طاحت خيلنا تترد العدو

اما ما بعد عام ١٩٤٨م وكان العالم العربى لا يزال يعانى من آلام الاستعمار وبعد ذلك الخلافات والتفرقة التى سادت العالم العربى فيما بعد الاستقلال نلاحظ ان الاغانى الفلسطينية كانت برغم العفوية والتلقائية التى كانت تصدر عنهم فهم يتطلعون الى مصر التى كانت كبرى الدول العربية والقوة العربية الضاربة فى ذلك الوقت وآمال العرب جميعهم كانت تتطلع الى مصر لتجمع الصف العربى وبحكم حياتهم وارتباطهم بالمملكة الاردنية الهاشمية كانوا يناشدون الرؤساء والملوك العرب لجمع الصف العربى ليقف امام المحتل الغاصب فكانوا يقولون :

يا جمال عبد الناصر فرشوله حرير
حط ايدك فى ايد حسين والعشا فى الخليل .
يا جمال عبد الناصر فرشوله ذهب
حط ايدك فى ايد حسين والعشا فى حلب



س فى فلسطين

اما الفترة الثالثة وهى ما بعد حرب ١٩٦٧ وظهور المقاومة الفلسطينية الى ارض الواقع واعتراف العالم بها كممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى بدأت الامال تتعلق برجال المقاومة وتحمل الاغانى الشعبية التى تردد الامال والاحلام بجمع كلمة العرب، والعودة الى الوطن المسلوب.. وهنا علينا ان نقول واستكمالاً للبحث بان العرس ينقسم الى قسمين:

فالعرس الفلسطينى الذى يقام فى الوطن الغالى الذى يرزح تحت نير الاحتلال يكون عبارة عن تظاهرة وطنية تجمع كل الاهل والاقارب والاصدقاء فتحتفل المدينة او القرية باكملها مرددة الاغانى الوطنية والاهازيج والاغاريد التى يُحمِّلها شعب باسره امانيه بجمع الشمل بعد تشتت الاهل والاقارب فى ارجاء المعمورة واملهم الكبير بتحرير وطنهم وكسر قيود الاحتلال..

اما فى الاردن (حيث اكبر تجمع للفلسطينيين فى ارض الشتات) فتحلم الاهل بالعودة والانتظار والدعوة لرأب الصدع العربى فيرددون:

زرعنا المراميه على الجسرين
فلسطين بتنادى يا ملك حسين
زرعنا المراميه فى القنيه
فلسطين بتنادى على الفدائيه
زرعنا المراميه وسط البقعة
فلسطين بتنادى هى يا شكعه

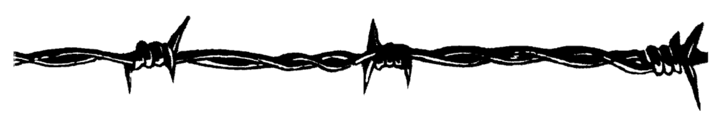
أو:

يا اما اعطينى الفدائى لو انه بلاش
نازل الارض المحتلة وبيده رشاش

من تصوير

روضة الفرخ الهدهد





يا امـا اعطينى الفـدائى لو أنـه بقـرشـين
نازل الأرض المحتـلة وبيـده المـارتـين

هـذا بالنسبـة لتسلسـل الاحداث فى فلسطين المحتلة وارتبـاط العـرس الفلسطينى ارتبـاطـاً وثيقاً بواقعه الذى يعيشه وهنا نعود الى العرس الفلسطينى ككل:

العرس الفلسطينى يكاد يكون متشابهاً فى جميع انحاء فلسطين عدا بعض الاختلافات البسيطة التى تكـاد لا تلاحـظ وعلينا هنا ان نلاحظ ان المجتمع الفلسطينى يقسم الى قسمـين: سكان المدن . . سكان القرى . وسنكتب عن كل منهم على حده.

ففى البـدايـة وفى اغلب مناطق فلسطين تتم الخطبة والتعارف بواسطة اقارب العروسين ومعارفهم حيث يذهب والـدا العـريس وشقيقـاتـه الى بيت العـروس حيث يستقبلهم اهلهـا بالـترحـاب وتقوم العـروس بتقـديم القهـوة حتى يتعـرف عليها اهل العريس ويتم التعارف بهذه الطريقة . . اما فى نابلس فالامر يختلف اختلافاً بسيطاً حيث تقوم الخاطبة بدور الوسيط وهى وبحكم عملها تعرف البنات اللواتى فى سن الزواج وكذلك الامر بالنسبة للشبان فتدل اهل العريس على بيت العروس حيث تقوم امه وشقيقاته بالتعـرف اليهـا وزيـارتها ومعرفة اهلها، وفى بعض الحالات تقوم الدلالة بدعوة العروس للذهاب الى الحـمام البلدى (ومن المعـروف ان نابلس تشتهـر بالحـمامات البلدية حيث يوجد بها ١٦ حماماً بلدياً) وتكـون قد اخبرت اهل العريس بذلك فيجتمعون هناك لمعاينة العروس على الطبيعة لان المتعارف عليه قديماً ان العريس لا يرى العروس الا فى ليلة الدخلة) وبعد ذلك يطلب اهل العروس مهلة من الوقت حتى يستفسـروا عن العريس واهله واحواله، من معارفه واقاربه بالتفصيل، وبعد الموافقة المبدئية وتكون عن طريق السيدات تبدأ الاجراءات تتخذ طابعاً رسمياً فيتفق الطرفان على يوم محدد لحضور الجاهة (او كدة الـرجـال) (حسب رأى اهـل نابلس) لطلب يد العروس رسمياً وتكون مؤلفة من افراد عائلة العريس ومعـارفـه من الـرجال الكبار سناً ومركزا «الوجهاء» ويكـون اهـل العروس قد استشاروا ابناء عمومتها وخؤولتها فى الامر حتى لا يكون هناك اعتراض من احدهم فالمثل يقول «ابن العم ينزل عن الفرس» فهم يفضلون ان تكون الزيجه من الاهل والاقارب .

وبعـد حضور «الجاهة» يجتمع الطرفان ويتفقون على المهـر المقدم والمؤجل ويقسم حسب الاعراف الى قسمين:

يأخذ اهل العروس مهراً رمزياً وقدره ديناراً او اقل مقابل ان يقوم العريس بشراء الجهاز اللازم (ذهب - مصاغ) - ملابس - مكياج كامل . . وملحقاته - اثاث البيت .



Various Palestinian women's caps
انواع من اغطية الرأس النسائي في فلسطين

يأخذ اهل العروس المهر المتفق عليه ويقومون هم بعملية تجهيز العروس بما يلزم وبعد ذلك يتفقون على اثاث البيت اللازم شراؤه وكذلك ثمنه ونوعه.. وكل ما يلزم البيت الجديد) اذا كان العريس يريد السكن وحده.. اما اذا اراد السكن مع اهله فعليه ان يشترى غرفة النوم وتوابعها.. ثم بعد ذلك يحدد موعد كتب الكتاب ويوم الخطبة وما يوزع فى الخطبة من تلبيسة للعروس - علب الملبس - المشروب فى الوقت الحاضر اما فى السابق فكانوا يوزعون الفستق غير المقشر، القضامه التى تلف بمناديل خاصة لتوزع على الحضور.. وبعد ذلك تقرأ الفاتحة وتشرب القهوة العربية على نية الاتفاق.

الخطبة وعقد القران

ثم يتبع ذلك الخطبة وكتب الكتاب وتكون على نوعين:

١ - رمزية حيث يقدم العريس فيها دبلة (محبس) الخطبة فقط وتقدم فيها المشروبات العادية وتكون الحفلة الرسمية يوم كتب الكتاب فيحضر المأذون ويعقد القران بمصاحبة الاهازيج والزغاريد ويقوم العريس بتقديم الشبكة او التلبيسة للعروس وتكون ثمينة مثل (اسورة - قلادة - قرط - خاتم - ساعة) وتكون جميعها من الذهب.

٢ - اما النوع الثانى وتكون فيه حفلة الخطبة هى نوع من الاعلان الرسمى فتسبق عقد القران فيقدم العريس التلبيسة او الشبكة ويتم فيها توزيع علب الافراح والمشروبات... الخ. ويبقى عقد القران فى اى وقت ما بين يوم الخطبة والزواج ولا يكون هنالك اى نوع من الرقص والغناء سوى الاهازيج والزغاريد للدلالة على ذلك ولكن تردد نفس الاغانى والاهازيج وسنذكر بعضاً منها:

زغرودة عند عقد القران

اه اى.. عريس عريس لا تندم على المالى
اه اى.. بيعوض الله بدل المال صبيانى

زغرودة أخرى..

اه اى يا بى محمد يا كبيرنا
اه اى يا ململم عشيرنا
اه اى يا ربى يطول عمرك وتجوز كبيرنا وصغيرنا

أما الأغانى التى تردد بالخطبة فمنها:

ساعة واسوارة لبس يا محمد.. ساعة واسوارة
نجمة الفرارة على خدك يا محمد.. نجمة الفرارة.

اغنية من نابلس لعقد القران:

يوم ملاكك يا محمد
بات القمر بالحضران
وصبح العزّام يعزم
من نابلس لعمان

قبل عام ١٩٤٨:

ويكون يوم عقد القران مماثلا ليوم العرس فيما يقدم فيه من الأغانى والزغاريد المماثلة. اما فى القرى فيكون يوماً مشهوداً فيجتمع الاهالى جميعاً للمشاركة بالاحتفال (كما كانوا يشاركون بعضهم البعض فى البناء، والزراعة وقطف الثمار).

ويغنون:

واحنا مشينا من وادى لوادى
واحنا خطبنا من بنات الجوادى
واحنا مشينا من الصبح للعصر
واحنا خطبنا طيبات الاصل
واحنا خطبنا فداء من بيِّها
يا بَيِّها يسوى قليعة حلب



وفى السابق كانت تحضر صديقات العروس وقريباتها لتلبيسها وتزيينها فى يوم الخطبة وكتب الكتاب اما فى وقتنا الحاضر فتذهب العروس مع قريباتها الى الكوافير ويقوم العريس بدفع كافة المصاريف اللازمة ويكون الاحتفال مقتصراً على السيدات فيحضر العريس بصحبة ابيه واخيه او عمه ويجلس بجانب العروس على اللوح (الكوشة) ويقدم لها التلبيسة ومن المتعارف عليه بان التلبيسة يتم اختيارها حسب رغبة العريس واهله. ولكن هنالك بعض العائلات تشترط ما تود ان يقدم لابنتهم.. وتكون الاغانى مخصصة لذكر مكارم اهل العروس ووصف محاسنها واخلاقها فيقولون مثلا:

يا فداء يا جوهرة يا تربات ابوها
يا ريتك مباركة على اللى خطبوها
يا فداء يا جوهرة يا تربات اخوتها
يا ريتك مباركة على اللى خطبتها

■ اما الزغرودة فكانوا يقولون:

اه اى يا ريته مبارك
اه اى يا سبع بركات
اه اى كما بارك محمد على جبل عرفات

وفى الخليل: ومن المعروف بان سكانها اكثر سكان فلسطين تمسكاً بالاسلام ونستطيع ملاحظة ذلك فى اغانيهم وهى عبارة عن تراتيل دينية.. فبعد الموافقة على الخطبة يذهب اهل العروس (يحملون معهم هدية للعريس) الى بيت العريس لزيارة اهله والمباركة لهم بالخطوبة (وتكون الهدية بدلة او قميصا - او كرافته (ربطة عنق) او علبة شوكولاته).

اما حفلة عقد القران عندهم فيكون لها احتفال خاص فيقوم اهل العريس بطبخ كل انواع المحاشى.. وتشكيلة من الخضروات المطبوخة.. الخ وصينية معمول ويضعون عليها معمولا كبيراً وصغيراً وفى وسط الصينية تكون المعمول على شكل يد وتسمى كفة العروس.. ويذهبون الى بيت العروس ويتعشى الجميع هناك.

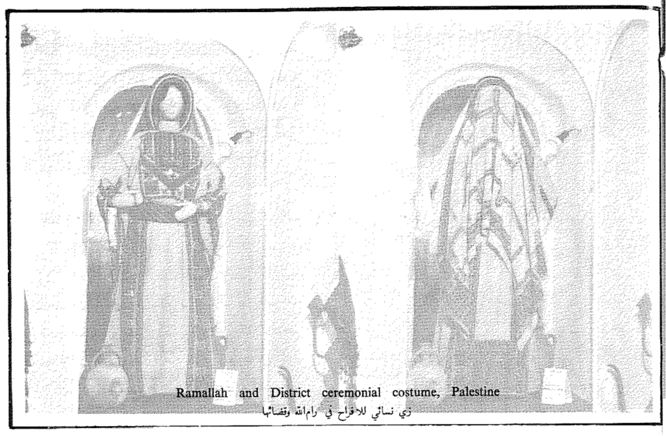
جهاز العروس.. واثاث البيت

لو القينا نظرة شاملة لوجدنا ان جهاز العروس يكون متشابهاً فى جميع المناطق قديما وفى الوقت الحاضر سوى اختلاف بسيط فى الملابس قديماً..

فتشترى العروس او اهلها المصاغ والذى يخصص الجزء الاكبر من المهر لشرائه ويكون من الذهب عيار ٢١ لانه يحافظ على قيمته ويكون بمثابة سند امان بالنسبة للعروس لاوقات الشدة فقديماً كان مقتصرا فى

أغانى وأهازيج العرس فى فلسطين تتصل اتصالا وثيقاً بالحياة الاجتماعية والحركة الفدائية فى فلسطين





Ramallah and District ceremonial costume, Palestine
زي نسائي للافراح في رام‌الله وقضائها

الريف على الليرة العسملية ـ العثمانية ـ فتشترى العروس ٢٠ او اكثر من الليرات العسملية التى تخاط على قطعة من الحرير تكون على شكل القلادة والدبوس (البروش) ذوا الشكل الجميل ويكون مرتباً بطريقة عفوية فمثلاً فى البداية (اربع) ليرات ذهبية ثم (ثلاث) ثم (اثنين) ثم (واحدة) وتتدلى من اطرافه حبات صغيرة من الذهب وكذلك القرط او الحلق اما الاساور فكانت فيما مضى الليرات العسملية المرصوصة مع بعضها البعض او على شكل حية او انجاصة والتى عادت للظهور كموضة هذه الايام.

وكان من ضمن الجهاز الذى يحرص عليه الاهل ماكنة الخياطة التى تدار باليد لتساعد العروس مستقبلا لتخيط كل ما يلزم لها ولبيتها وكذلك ايضاً صندوق خشبى من النوع الممتاز لتضع به العروس كل حاجياتها.

وكانوا قديما فى المدن تُشترى او تخاط الفساتين اما فى القرى فكانت العروس وقريباتها يقمن بتطريز مجموعة من الثياب لها وبعض ادوات الزينة التى كانت تستعمل فى ذلك الوقت اما فى الوقت الحاضر فاصبح شراء المكياج من الاشياء الرئيسية التى تشتريها العروس.. وفى القرى كانت العروس تخيط ثوب العرس الذى يكون على نوعين.

فى القرى الساحلية كانت العروس تلبس فى يوم العرس ثوباً ازرقا مطرزاً بالقصب الفضى اما غطاء الرأس فكانت العروس تلبس (الوقاية) وهى عبارة عن طاقية ارضيتها مطرزة بالحرير الخمرى محاطة بقطع فضية (انصاص، ارباع، فطاير) على داير ما يدورها دورتين او ثلاث او اكثر والفطيرة ايضا وهى من الذهب الخالص والتى تلبس على الرقبة



اما القرى الداخلية فكانت العروس تخيط ثوباً من المخمل ويسمى (بالملكة) ويكون لونه الاساسى احمر من المخمل الثمين ويخيط عليه القصب عدة الوان مع ادخال بعض الوان المخمل الاخرى التى تكون على الجانبين وعلى اليدين.

اما فى الوقت الحاضر فقد حل ثوب الزفاف الابيض مكان هذا المدعو (الملكة) اما العريس فيكون ملزماً بشراء اثاث البيت ونظرا لترابط العائلات قديما نجد ان العريس غالبا ما يقيم مع اهله فكان عليه ان يشترى ما يوازى فى وقتنا الحاضر غرفة نوم والتى كانت عبارة عن سرير وتوابعه فى المدن اما فى القرى فكانت فراش الارض لعدم وجود الاسرة فى متناول يد الجميع. . ويشترى صندوقاً لوضع الملابس فيه اما فى الوقت الحاضر اذا اراد العريس ان يقيم مع اهله فعليه بشراء غرفة النوم وتوابعها اما اذا اراد السكن لوحده فعليه شراء اثاث بيت كامل بكل متطلباته العصرية ومن ضمن الجهاز الذى كان على العريس شراؤه وعاد للظهور مرة اخرى فى هذه الايام شراء كسوة لسيدات العائلتين (اهل العروس واهل العريس)، فعليه بشراء قماش فساتين وثياب مع تفضيل (ام العروس واخواتها وزوجات اخوانها ووالدة العريس، اخواته - زوجات اخوانه) فيكون من النوعية الممتازة وتخصص والدة العروس والعريس بالمخمل الممتاز او قطعة من الذهب وترسل قطع القماش مع بطاقات الدعوة.

السهرات والسحجات

وتبدأ قبل العرس بعدة ايام عدا بعض المدن مثل الخليل والتى تبدأ من يوم

السبت او الاحد واول ايام الاسبوع الذى يقام فيه العرس.

وتكون عادة فى بيت العريس، فيحضر اصدقاؤه واقرباؤه ومعارفه وتبدأ الحفلات من السادسة او السابعة مساء وتستمر الى ساعات الصباح الباكر وتقدم فيها المأكولات والمشروبات كالشاي والقهوة والعصير وهنا ايضا علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ان الرجال تكون لهم السهرة وحدهم والسيدات وحدهن.. اما بالنسبة للرجال فتكون السهرة فى ساحة الدار او على السطح واما السيدات فيكن فى الداخل اما فى بعض القرى فتكون مختلطة، اما بالنسبة للاغانى والاهازيج والزغاريد فتكون متشابهة فى كل ارجاء فلسطين وتكون الدبكة والرقص بالسيف او الرقص الفردى وتكون الاغانى تدل على توديع حياة العزوبية وكانت الاغانى فى السابق عن زريف الطول والعتابا والميجانا وكانوا يستعينون ايضا (بالحداية) وهما اثنان او اكثر ممن يعرف عنهم السليقة الشعرية فيبدأ احدهم بقول ابياتاً من الشعر مفاخراً بها صديقه الآخر الذى يرد عليه بنفس النغمة واللحن (مباراة شعرية) مع مرافقة الناى والطبلة والعود والدف، ويكون الشعر تلقائياً ووليد الساعة واللحظة وايضاً الرقص على الحصان ويقوم به ابرع الخيالة ويتعالى صوت الرجال بالغناء فيقولون (قبل عام ١٩٤٨):

يا ام العريس مبارك ما عملتيله
جوخة جديده وبنت اكرام خطبطيله

ودار العريس عليه الشمع مضويه
والسمن كب القرب والعيشه يا ابنيه

ودار العريس عليه الشمع وقادى
والسمن كب القرب والعيشه يا منادى

● اما النساء فتكون اغانيهن لتلهب حماسة الرجال وتفخر بالقرية او العائلة وامجادها وأبنائها فيرددون.

لمين هالدار الكبيره اللى حايطها كرم موز
وهذى دار ابو محمد يا عطشان اشرب كازوز
لمين هالدار الكبيرة اللى حايطها زيتون
وهذى دار ابو محمد يا عطشان اشرب ليمون

شو غنت وشو قالت ام العريس
ابو كرافة مكوية فوق القميص
شو غنت وشو قالت ام العرسان
ابو كرافة مكوية فوق القمصان

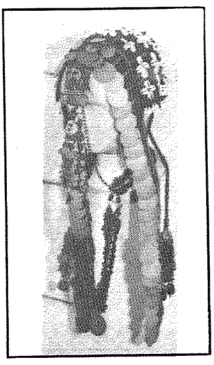
● واذا مر صديق العريس او اخوه بالقرب منهن فيرددن قائلات:

لا تزعل يا احمد ولا تأخذ على بالك
هذى السنة لمحمد والسنة الجاى عقبالك

من أغانى الرجال ايضاً:

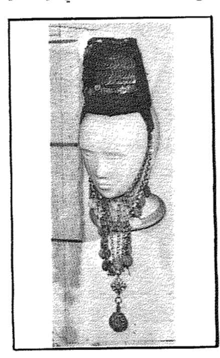
يا زريف الطول وين رايح تروح
بقلب بلادنا تعمقت الجروح
وغيرك يا زريف ما يرد لها الروح
برصاص وبارود نحرر ارضنا
يا زريف الطول ملفلف بالاوراق
والله يهدك يا شهر الفراق
فرقت ما بينى وبين احبابينا

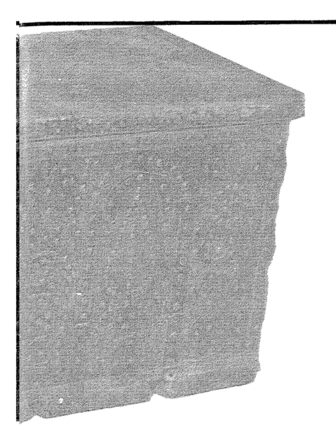




Various Palestinian women's caps

انواع من اغطية الرأس النسائي في فلسطين





[B]ridal chest made of cypress wood (Late 19th Century)

صندوق عروس من خشب السرو (اواخر القرن التاسع عشر)



أما في الوقت الحاضر فاصبح الامر يختلف فقد تشتت شمل كثير من العائلات وأبتعدت المسافة ما بينهم فاصبحت السهرات تعتمد الى حد كبير على الفرق الشعبية خصيصاً لاحياء هذه الليالى وتكون الاغـانى وطنيـة تنـادى بوجوب تحرير فلسطين ورد الاعادى وتطالب العرب بالاتحاد ولمّ الشمل، وتحمل



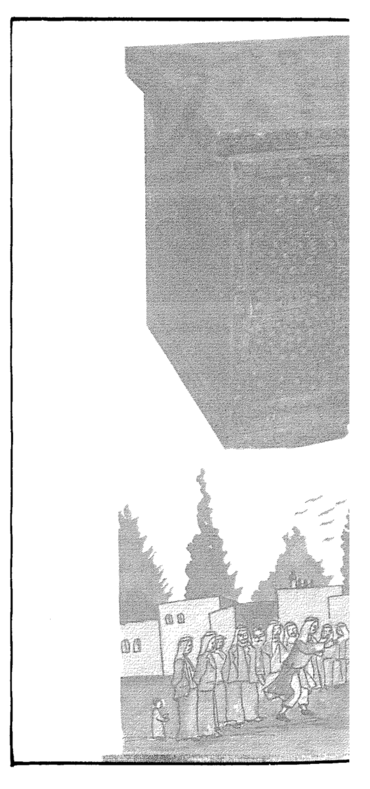
هدى يا بحر هدى
طولنا فى غيبتنا
ودى سلامى ودى
للارض اللى ربتنا
سلم لى عالزيتونه
وعلى اهلى اللى ربونى
وبعدو امى الحنونة
بتشمشم فى مخدتنا

يا اخويانى الزنزانه
سمعت صوتك حيانى
لا ترمى البندقية
اذا الوطن دعانى

باسم الحرية نضحى بالارواح
فلسطين عربية هى ارض الكفاح
فلسطين بلدى لابوى وولدى
واللى يتحدى روحه بايديا
احنا مش ناسيين ارضك يا فلسطين
حنفنى المغتصبين بنار الفدائية

هبت النار والبارود غنى
اطلب شباب يا وطن واتمنى
هبت النار من عكا للطير لها
كمشة صغار ربيوه عالحصيره
وهى صاروا كبار ومانسيوش الديره
ومين اللى ينسى فلسطين الجنة

«للموضوع بقية»



كل الحنين والشوق الى الوطن السليب والى الاحبة الواقعين تحت الاسر . . والاحبة الذين شتتهم الغربة فنجدهم يقولون :



فترة حكم

نافذة.. على الماضى

لقد ظلت الاحساء ومنطقة الخليج العربى خلال فترة الحكم العباسى مجرد اقليم تابع للدولة تجبى منه الضرائب لتزويد الخزينة العامة بالأموال دون اهتمام بحالة الشعب الذى كان يعانى من الظلم والارهاب على أيدى الولاة..

كما لم تكن للدولة فى الاحساء قاعدة قوية.. اذ أنها أصبحت تابعة لحكام الولايات.. فتارة تضاف الى ولاية البصرة وتارة أخرى تضاف الى ولاية اليمامة.. وهذا ما شجع دعاة القرامطة وأتاح لهم فرصة التسلل الى المجتمع فى البحرين عامة (القطيف وهجر وأوال) للتبشير بقيام دولة تخلص الناس من هؤلاء الولاة الذين كان جل همهم جباية الأموال.

وقد استطاع أبو سعيد الجنابى بماله من نفوذ ومن علاقات اجتماعية وادارية ـ حيث كان جابيا للمكوس ـ كما جاء فى بعض الكتب ـ أن يتخذ من الدعوة الاسماعيلية التى كانت منتشرة آنذاك فى جميع انحاء الدولة الاسلامية شعارا للوصول الى ما يرمى اليه وهو الانفصال عن جسم الدولة العباسية وتأسيس حكومة مستقلة تتوفر لها جميع الامكانات الاقتصادية والمواقع الاستراتيجية.. خاصة وان الظروف السياسية كانت مهيأة لقيام هذه الدولة.

لذلك لم يتوان منذ ان احس باستجابة الغالبية للدعوة الاسماعيلية من الحضور الى الاحساء واتخاذ مدينة هجر قاعدة له بعد ان رتب اموره بمساعدة القبائل المحيطة بالبلاد.. واتخذ من زعماء تلك القبائل أعوانا له ـ كآل سنبر ـ الذين أصبحوا وزراء له ولأبنائه من بعده.. ووجه همته فى البداية لبناء قاعدته الشعبية فى الداخل لأنه يعلم ان الحكومة المركزية فى بغداد فى حالة لا تسمح لها بالوصول اليه قبل فترة طويلة استغلها فى تكوين كيان قوى.. فحصن البلاد وبنى الأسوار وجلب السلاح من فارس والهند.. عند ذلك أعلن قيام دولته بمهاجمة البصرة سنة ٢٨٦هـ فلما لم يجد المقاومة التى كان يخشاها عاد الى مقر دولته وانصرف الى تقوية مركزه واستمر فى الحكم الى ان اغتيل سنة ٣٠١هـ.

وقد تعاقب على ولاية أمر القرامطة كل من:

(أ) سعيد بن الحسن بن بهرام القرمطى

تولى أمر القرامطة واظهر دعوتهم وأسس دولتهم منذ عام ٢٨٦هـ فى القطيف.. وقد غزا البصرة

القرامطة

بقلم الاستاذ
عبدالله احمد الشباط

وبهها . . فلما تيقن الخليفة العباسي من صحة ما ورد اليه من الأخبار . . ورأى أن قيام أبي سعيد بغزو أطراف الدولة اصبح واقعا كان لابد من منازلته . . فولى البحرين واليمامة أحد قواده (العباس بن عمرو الغنوى) الذى سار على رأس جيش قوامه (٢٠٠٠) من المتطوعين . . فلما التقى بجيش ابى سعيد انسحب المتطوعون وهم من بنى ضبة واهل البصرة . . فلما التقوا انهزم الجيش العباسى وأسر قائده (العباس بن عمرو الغنوى) . . فلما انتهت المعركة جهز ابو سعيد أسيره العباسى وبعثه الى البصرة وقال له : «اخبر الخليفة بما رأيت» .

وكانت هذه الواقعة وما حققه ابو سعيد خلالها من مكاسب مادية ومعنوية حافزا له على الاستيلاء على هجر . . فسار اليها سنة ٣٨٧هـ . . فلما وصل الى هجر أرسل على جميع الرؤساء والأعيان والعلماء للتشاور معهم فى أمر اصلاح البلاد . . فلما اجتمعوا لديه أحرق المكان الذى اجتمعوا فيه وأمر خدامه بأن يقفوا بالسيوف لتلقف كل من يحاول الهروب من الحرق وقد أشار الى ذلك ابن مقرب بقوله :

حرقوا عبد قيس فى منازلهم
وغادروا القرن ساداتها حمما

وبذلك استتبّ له الأمر فاستولى على جميع انحاء القطيف وهجر حتى قتل سنة ٣٠١هـ .

(٢) سعيد بن الحسين ٣٠١ - ٣٠٨هـ

كان ابو سعيد قد عهد بالأمر قبل اغتياله لابنه سعيد الذى آل اليه الأمر سنة ٣٠١هـ وكان حصيفا . . وقد استمر فى الحكم الى سنة ٣٠٨هـ فثار به أخوه .

(٣) سليمان بن الحسين (ابو طاهر) ٣٠٨هـ

قفز الى سدة الحكم وكان اول عمل له ان احتل البصرة واستباح الكوفة وسارت عساكره الى الشام وعمان . . وعندما قوى أمره ورأى عجز الدولة العباسية عن تحديه وايقافه عند حده سار الى الحجاز فقتل الحجاج وقلع الحجر الأسود ونقله الى القطيف سنة ٣١٧هـ وقد استمر فى الحكم الى ان مات سنة ٣٣٢هـ .

(٤) احمد بن الحسين ٣٣٢هـ

اختلف القرامطة بعد وفاة ابى طاهر . . فمنهم

من مال الى تولية احمد بن الحسين ومنهم من رأى تولية سابور بن سليمان. . فلما رأى العقدانية انقسام الرأى كتبوا الى القائم بأمر الله الفاطمى فى ذلك فجاء الجواب بتولية احمد بن الحسين وان يكون سابور وليا للعهد. . فتولى احمد ويُكَنّى بأبى منصور. . واستمر فى قيادة الدولة. . ورد الحجر الأسود الى موضعه سنة ٣٣٩هـ. . وقد طالت مدته حتى سئم سابور الانتظار فثار بعمه وقبض عليه واودعه السجن سنة ٣٥٨هـ الا ان انصار ابى منصور واخوته ثاروا على سابور وقتلوه واطلقوا سراح عمه ابى منصور الذى استمر فى الحكم الى ان مات سنة ٣٥٩هـ.

(٥) الحسن بن احمد (الأعصم) ٣٥٩هـ

تولى بعد وفاة والده. . فصرف جزءاً من وقته لترتيب الشئون الداخلية والتخلص من ابناء عمه أبى طاهر. . ثم لما صفا له الجو قرر غزو الشام سنة ٣٦٢هـ واستولى على دمشق بعد ان قتل حاكمها جعفر بن فلاح ثم قرر غزو مصر فغزاها سنة ٣٦٣هـ. . ونزل بمشتول الطواحين وحاصر القاهرة شهورا جرت بينه وبين جيش المعز عدة وقائع وفى اثناء حصاره علم ان الأمور انعكست عليه اذ قرر العقدانية طرد ابناء ابى طاهر واخراج الأمر من ايديهم فعاد وعندما وصل الى الرملة بفلسطين مات سنة ٣٦٦هـ.

(٦) اسحق وجعفر ويوسف وسعيد

كان العقدانية خلال غياب الأعصم قد اختاروا أربعة من ابناء ابى سعيد هم اسحاق وجعفر ويوسف وسعيد. . فكانت قيادة الجيوش لاسحاق وجعفر والرياسة لسعيد ويوسف نائبه. . وقد مات سعيد سنة ٣٦٦هـ فخلفه يوسف الى سنة ٣٩٦هـ. . فاجتمع العقدانية ـ وهم مجلس يتكون من تسعة اشخاص وقرروا تولى الأمر مجتمعين واطلقوا على انفسهم اسم (السادة) فاختل امرهم. . واضطربت احوالهم فغزاهم (الأجفر) من بنى المنتفق وسبى اموالهم وكسر شوكتهم فى الاحساء ثم القطيف سنة ٣٧٨هـ واستبدّ ابو الهلول ـ العوام بن محمد بن يوسف بن الزجاج ـ

بأمر جزيرة اوال (البحرين) . . ومن بعده . . واستبد يحيى بن العياش الذى طرد عمال القرامطة . . وقد خلفه ابنه زكريا بن يحيى بن العياش الذى سار الى اوال وقاتل ابا الهلول حتى قتله واستولى عليها وضمها الى ملكه . . وبقى امر القرامطة (السادة) محصورا فى الاحساء حتى ثار بها عبد الله بن على العيونى سنة ٤٦٦هـ وبذلك زالت دولة القرامطة .

وبمناسبة مرور ألف عام على وفاة العلامة الكبير



النيسابوري

« تراثنا الخالد مرتكز جديدنا . . فهو النبع الصافى الذى نستقى منه لنستشرف آفاق الجديد عن بصيرة وحكمة . . ولذا جاءت هذه الصفحات . . فهى علم واستئناس » . «المنهل»

على الرغم من اضطراب الأحوال السياسية فى القرن الرابع الهجرى وكثرة الممالك والدويلات الجديدة فيه فإنه كان عصراً حياً حافلاً بالحركات العلمية فى شتى نواحى المعرفة .

مروان العطية
يشتغل بدراسة التراث تحقيقاً ونشراً
له ما يقرب من عشر مؤلفات ومخطوطة فى
مجال التراث منها :-
المقصور والممدود لابن درستويه [illegible]
(تحقيق وتصحيح) المبهج فى تفسير أسماء شعراء الحماسة
لابن جنى (تحقيق) . مقالات من تراثنا -
الإعلام بما ليس فى الأعلام .

ولقد امتاز هذا العصر بأنه احتشد فيه طائفة من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ورجال اللغة والبيان قل أن يحتشدوا فى عصر واحد . . ولا شك أن كثرة السلاطين والأمراء فى أنحاء المملكة الاسلامية كانت من أهم العوامل فى إبراز هذه النهضة . . فإن نصراء العلم والأدب فى هذا العصر لم يكونوا الخليفة العباسى وحده أو واحداً من وزرائه وبعض عماله، ولكنهم كانوا مجموعة من الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء فى أشهر مدائن العالم الاسلامى . . ومن حسن حظ العلم والأدب فى هذا العصر أن الملوك دائماً يحبون أن يتنافسوا فى الاكثار والاستكثار من الأدباء والشعراء والعلماء حولهم، وتقريبهم من بلاطاتهم، وكان هذا التنافس فى حد ذاته من مصلحة العلم والأدب وحسبك أن يجتمع فى عصر واحد أمثال هذه الدول العربية الإسلامية وهى السامانية بنهادى والزيادية بجرجان والبويهية بالعراق وفارس، والحمدانية بحلب وما بين النهرين والغزنوية بأفغانستان والهند والفاطمية بمصر ودولة الأمويين بالأندلس . . واتسع الانتاج العقلى

فدخلت فيه ثمار القرائح الاسلامية غير العربية من ترك وديلم وفرس وروم وغيرهم.

ولم يكتف سلاطين هذه الدويلات وامراؤها بتشجيع العلم والأدب وحماية العلماء والأدباء وإيوائهم إلى أكنافهم الرحيبة بل كان عدد من هؤلاء الأمراء أدباء أو علماء أو شعراء.. كعضد الدولة بن بويه وعز الدولة بن بويه والأمير نوح بن منصور الساماني وقابوس بن وشمكير وسيف الدولة الحمداني.. وهنا نبغ كثير من العلماء والأدباء والفلاسفة والفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصحاب المذاهب والمتصوفة واصبحت مدن كثيرة في العراق وفارس مراكز للحركات العلمية كبغداد والكوفة والبصرة في العراق، والرى وأصبهان وشيراز وسيران في فارس على أن بغداد ـ على ما انتابها من ضعف وتضاؤل مركزها السياسي ـ ظلت العاصمة بمعنى الكلمة الحقيقي، وآية ذلك:

«أن جميع الحركات الروحية في مملكة الاسلام كانت تتلاطم أمواجها في بغداد وكان فيها لجميع المذاهب أنصار»(١).

على أن أكثر هؤلاء الملوك قربوا إليهم العلماء والأدباء واستوزروهم، وزادوا في إنشاء المكتبات وجلبوا لها نفائس الكتب ولم يضنوا في سبيلها بمخزون التلاد. وكان طلاب العلم يفدون على هذه المكتبات الكبرى للاغتراف من مناهلها فما سدت أبوابها أمام طالب ولا أوصدت دون راغب ومن هذه المكتبات ـ مكتبة الأمير نوح بن منصور الساماني في بخارى ومكتبة الحكم بن الناصر في الاندلس ودار الحكمة أو دار العلم التي أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي في مصر.

في هذا القرن (الرابع الهجري) الذي حفل بنتاج خصب للعقلية الاسلامية في أوج نضجها ورقيها عاش العلامة الكبير: «محمد بن عبد الله بن محمد بن حَمْدُوَيْه بن نُعم بن الحَكَم الضَّبي الطَّهمانيّ النيسابوريّ الحافظ أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البَيِّع الشافعي».

من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه وهو الامام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين ومن أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه من سقيمه صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة التي لم يسبق إلى مثلها.

ولد صبيحة الثالث من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة بنيسابور.. وطلب العلم من الصغر باعتناء أبيه وأول سماعه منه سنة ثلاثين وثلاث مائة واستملى على أبي حاتم بن حبان سنة أربع وثلاثين، فكان أول سماعه وهو ابن تسع سنين.

ورحل من بلده نيسابور إلى العراق سنة إحدى وأربعين وطلب الحديث وغلب عليه فاشتهر به وسمعه من جماعة لا يحصون كثرة فإن معجم شيوخه يقرب من ألفي رجل حتى روى عمن عاش بعده لسعة روايته وكثرة شيوخه.. ونجد أن معظم شيوخه في نيسابور وحدها نحو ألف شيخ وسمع بغيرها من نحو ألف شيخ فكان سماعه من نحو ألفي شيخ ينقصون أو يزيدون وكانت رحلته الأولى إلى العراق وهو ابن عشرين سنة وحج ثم سافر إلى بلاد خراسان وما وراء النهر.

وله إلى العراق والحجاز رحلتان وكانت الرحلة الثانية سنة ستين وثلاث مائة، وناظر الحفاظ وذاكر الشيوخ وباحث الدار قطني فرضيه. وأملى بما وراء النهر سنة خمس وخمسين وبالعراق سنة سبع وستين ولازمه الدارقطني وسمع منه أبو بكر القطان الشاشي وأنظارهما.

وتقلد القضاء بنيسابور سنة تسع وخمسين وثلاث مائة في أيام الدولة السامانية ووزارة أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي وقلد بعد ذلك قضاء جرجان فتمنع ورفض رفضاً نهائياً. وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين.

وحدث عن أبيه وكان أبوه قد رأى مسلم بن الحجاج صاحب «الصحيح» وعن محمد بن علي المذكر وعن الأصم وابن الأخرم والجلاب والرازي

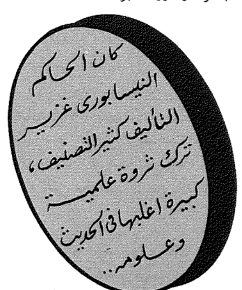
والصغار وأبى على النيسابورى وقد انتفع بصحبته ومازال يسمع حتى سمع من أصحابه وغيرهم خلق كثير.

وروى عنه أبو الحسن الدارقطنى وهو من شيوخه وأبو الفتح بن أبى الفوارس وأبو ذر الهروى وأبو بكر البيهقى والقسيرى والخليلى والشيرازى وغيرهم خلق كثير.

وقد سمع منه من شيوخه أحمد الحدى وأبو اسحاق المزكى ومن أعجب ما يحكى أن أبا عمر الطلمنكى قد كتب علوم الحديث للحاكم عن شيخ له بسماعه من صاحب الحاكم عن الحاكم.

وأخلاق الحاكم النيسابورى أخلاق المسلم الذى صقله الاسلام وتعاليمه الحنيفة.. لقد بلغ من حياته ما اشتهى. فإليه زعامة العلماء وبيده لواء المحدثين. وهى مكانة عزت فما اجتمعت من قبل لفرد. إنه نسيج وحده بين هؤلاء وهؤلاء.. لقد انتخب على خلق كثير وجُرِّح وعُدِّل وقُبل قوله فى ذلك لسعة علمه ومعرفته بالعلل والصحيح والسقيم ورحل إليه من البلاد لعظمه وأهمية شأنه.

وقد تفرد الحاكم أبو عبد الله فى عصره من غير أن يقابله أحد ممن اشتهر بحفظ الحديث وعلله بالحجاز والشام والعراقين والجبال والرِّى وطبرستان وقومس وخراسان بأسرها وما وراء النهر.



وقيل: إن أربعة من الحفاظ تعاصروا - الدار قطنى فى بغداد، وعبد الغنى فى مصر، وأبو عبد الله بن منده فى أصبهان وأبو عبد الله الحاكم فى نيسابور.

أما الدار قطنى فاعلمهم بالعلل.
وأما عبد الغنى فأعلمهم بالأنساب.
وأما ابن منده فأكثرهم حديثاً.
وأما الحاكم فأحسنهم تصنيفاً(٢)

فابو عبد الله الحاكم إمام جليل، حافظ عارف ثقة واسع العلم اتفق الناس على إمامته وجلالته وعظمة قدره ورحل إليه من البلاد لسعة علمه ودرايته واتفق العلماء على أنه من أعلم الأئمة الذين حفظ الله بهم هذا الدين.

وعلى الرغم من ثناء العلماء عليه فقد رمى هذا الامام العالم الجليل بالتشيع(٣).

ونحن إذا تتبعنا القضية من أولها.. وجدنا الطاعنين يذكرون أن محمد بن طاهر المقدسى الشيبانى المعروف بأبن القيسرانى - ٥٠٧هـ، ذكر أنه سأل أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الهروى الأنصارى شيخ خراسان فى عصره ٤٨١هـ عن الحاكم أبى عبد الله فقال:

«ثقة فى الحديث، رافضى خبيث».

وزاد ابن طاهر هذا فقال: «كان شديد التعصب للشيعة فى الباطن، وكان يظهر التسنن فى التقديم والخلافة، وكان منحرفاً غالباً عن معاوية - رضى الله عنه - وعن أهل بيته - يتظاهر بذلك ولا يعتذر منه»(٤).

● **وقال الذهبى** مدافعاً عن أبى عبد الله الحاكم:

«كلا ليس هو رافضياً، بلى يتشيع»(٥)

وأقول: **أما قول أبى إسماعيل وابن طاهر فلا يعبأ** به إذ كانا يرميان بالتجسيم وكونهما من المجسمة أشهر مما يرمى به الحاكم من الرفض.

وانظر شهادة الخطيب البغدادى فى الحاكم النيسابورى - علماً بأن أول وأقدم من ترجم له هو الخطيب البغدادى فى كتابه الحافل العظيم «تاريخ بغداد» - حيث يقول: «أبو عبد الله بن البيِّع الحاكم كان ثقة.. وكان يميل إلى التشيع. فحدثنى أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد الأرموى بنيسابور - وكان شيخاً صالحاً فاضلاً عالماً - قال: جمع الحاكم أبو عبد

الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخارى ومسلم يلزمهما اخراجها فى صحيحهما منها الحديث الطائر «ومن كنت مولاه فعلى مولاه» فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا فيه إلى قوله ولا صوبوه فى فعله».

وخير من وجدته وقف مدافعاً عن الحاكم النيسابورى من القدامى :

- الذهبى فى كتبه الكثيرة(٦)..
- والسبكى فى كتابه طبقات الشافعية الكبرى(٧)..

فقد تمسك كل منهما برأى الخطيب البغدادى إذ هو ثقة ضابط لكن لا يدل ذلك قطعاً على ميله إلى التشيع وتقديمه عليا - رضى الله عنه - على الشيخين بل يستبعد تفضيله لعلى على عثمان رضى الله عنهما إذله معارض أقوى لا يقدر على دفعه فإنه عقد باباً فى كتاب الأربعين لتفضيل أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم واختصهم من بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

وقد خرَّج فى «المستدرك» أحاديث تكاد تكون نصاً فى خلافة الثلاثة وتفضيلهم وافضليته عثمان رضى الله عنه.. فمن يخرِّج مثل الأحاديث هل يظن به التشيع والرفض؟.

● وقال السبكى :

إذا نظرنا فى هذا الرجل وجدنا أنه محدث ثقة لا يختلف فى ذلك وهذه العقيدة تبعد عن المحدثين فان التشيع فيهم نادر.. ثم إذا نظرنا فى مشايخه الذين أخذ عنهم العلم وكانت له صحبة معهم وجدناهم من كبار أهل السنة ومتصلين فى عقيدة أبى الحسن الأشعرى(٨).. ثم إذا نظرنا تراجم أهل السنة فى تاريخه وجدناه يعطيهم حقهم من الاعظام والثناء(٩).. ولا يظهر شيئاً من الفخر على عقائدهم وإن استقرىء فلا يوجد مؤرخ ينتحل عقيدة يخلو كتابه عن الفخر على من يحيد عنها(١٠)، ثم نرى أن الحافظ الثبت أبا القاسم بن عساكر أثبته فى عداد الأشعريين الذين يستبعدون عن أهل التشيع ويبرؤون إلى الله منهم(١١).

وأما كتابه المستدرك : فإن فيه أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة بل فيه أحاديث موضوعة مستنكرة.. واعتذر عن ذلك أن الحاكم صنفه فى أواخر عمره وقد اعترته غفلة ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة فى كتاب الضعفاء له وقطع بدك الرواية عنهم ومنع الاجتماع بهم ولكنه أخرج فى المستدرك أحاديث بعضهم وصححها.

ويظهر من كلام الحاكم أيضاً أنه حصل له تغير وغفلة فى آخر عمره لأنه قال :

«إذا ذاكرت فى باب لابد من المطالعة لكبر سنّى»(١٢).

● وقال الحافظ ابن حجر :

«إنما وقع للحاكم تساهل لأنه سود الكتاب لينقحه فعاجلته المنية ولم يتيسر له تنقيحه»(١٣).

على أن الحافظ أجل قدراً وأعظم خطراً وأكبر ذكراً من أن يذكر فى الضعفاء وهو من هو.

مؤلفاته وآثاره العلمية :

قال أبو حازم عمر بن أحمد العبدوى الحافظ : سمعت الحاكم أبا عبد الله إمام أهل الحديث فى عصره يقول :

«شربت ماء زمزم، وسألت الله أن يرزقنى حسن التصنيف»(١٤).

وكأن الله - جل شأنه - استجاب له هذه الدعوة.

فهذا ابن خلكان يقول عنه وعن مؤلفاته :

«إمام أهل الحديث فى عصره والمؤلف فيه الكتب التى لم يسبق إلى مثلها(١٥) وصنف فى علومه ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء (أى علوم الحديث)(١٦).

● وقال عنه الصفدى :

صاحب التصانيف فى علوم الحديث(١٧).

وقال السمعانى وبلغنى أنه شرب ماء زمزم بنية التصنيف والجمع فرزق حسن التصنيف(١٨).

وقال عنه الذهبى : صاحب التصانيف(١٩)

وقال أيضا : صنف التصانيف الكثيرة وانتهت إليه رياسة الفن بخراسان لا بل بالدنيا(٢٠).. وهو ثقة حجة(٢١).

والحاكم النيسابورى كان غزير التأليف كثير التصنيف وقد ترك ثروة علمية كبيرة أغلبها فى الحديث

وعلومه حيث صنف فى علوم الحديث ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء كما قدرها ابن خلكان(٢٢).

● ولم تذكر لنا المصادر كل أسماء هذه المصنفات وإنما ذكرت عناوين حوالى خمسة وثلاثين كتاباً سلم من عوادى الزمن منها:

« الأبواب - أجوبة الحاكم النيسابورى على منصرفه من بغداد عن أسئلة أهل الحديث عن جماعة من الخراسانيين لم يقفوا على محلهم من الجرح والتعديل (مخطوط) - الإكليل فى الحديث - الإكليل فى دلائل النبوة - الأمالى - أمالى العشبات - تاريخ علماء نيسابور «تاريخ النيسابوريين» (مخطوط) - تخريج الصحيحين - تراجم الشيوخ - تراجم المسند على شرط الصحيحين - تسمية من أخرجهم البخارى ومسلم (مخطوط) - التلخيص - رحلتان إلى الحجاز والعراق - سؤالات أبى عبيد الله النيسابورى للدارقطنى وأجوبته فى أسامى مشايخ من أهل العراق (مخطوط) - السياق فى ذيل تاريخ نيسابور - شعار أصحاب الحديث (مخطوط) - الصحيح - الصحيحان - العلل (علل الحديث) - فضائل الإمام الشافعى (مناقب الإمام الشافعى) - فضائل فاطمة الزهراء - الفوائد (مخطوط) - فوائد الخراسانيين - فوائد الشيوخ - فوائد النسخ - كتاب الأربعين فى الحديث - ما تفرد به كل من الإمامين (وما تفرد بإخراجه كل واحد من الإمامين) - المبتدا من اللآلى الكبرى - المدخل الى علم الصحيح (مطبوع) - المدخل إلى معرفة الصحيح والسقيم من الأخبار المروية أو المدخل إلى معرفة الإكليل) طبع باسم (المدخل فى أصول الحديث) - طبع فى حلب ١٣٥٢هـ، ١٩٣٢م وفى لندن ١٩٥٣م - مزكّى الأخبار - المستدرك على الصحيحين (مطبوع) - معرفة علوم الحديث (مطبوع) - مناقب الصديق.

وفاته:

● قال عبد الغافر بن اسماعيل الفارسى:

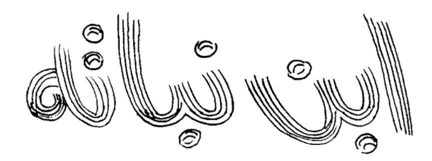
مضى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلف بعده مثله، فى ثامن صفر سنة خمس وأربع مائة(٢٣).

وروى أبو موسى المدينى أن الحاكم دخل الحمام فاغتسل وخرج وقال آه.. وقبضت روحه وهو مُتَّزر لم يلبس قميصه بعد وذلك فى ثامن صفر سنة خمس وأربع مائة يوم الأربعاء، ودفن بعد العصر وصلى عليه القاضى أبو بكر الحيرى(٢٤).

رحم الله أبا عبد الله وطيب مثواه فقد كان المشايخ يذكرون أيامه ويحكون أن مقدمى عصره مثل الصعلوكى والإمام ابن فورك وسائر الأئمة يقدمونه على انفسهم ويراعون حق فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة - ثم أطنب فى تعظيمه وقال: هذه جمل يسيرة وهو غبض من فيض سيره وأحواله، ومن تأمل كلامه فى تصانيفه وتصرفه فى أماليه ونظره فى طرق الحديث أذعن بفضله واعترف له بالمزية على من تقدمه وإتعابه من بعده وتعجيزه اللاحقين عن بلوغ شأوه.. عاش حميدا ولم يخلف فى وقته مثله(٢٥).

(١) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ١/١١٠
(٢) سير أعلام النبلاء ١٧/١٧٤ وطبقات الحفاظ ٣/١٠٤٤
(٣) تاريخ بغداد ٥/٤٧٣و٤٧٤
(٤) الوافى بالوفيات ٣/٣٢٠و٣٢١ وطبقات السبكى ٤/١٦٢و١٦٣ وتذكرة الحفاظ ٣/١٤٠٥
(٥، ٦، ٧) سير أعلام النبلاء ١٧/١٦٢ والعبر ٣/٩١ وتذكرة الحفاظ ٣/١٤٠٥ وميزان الاعتدال ٣/٦٠٨ وانظر دفاع السبكى عنه فى طبقاته الكبرى ٤/١٦١-١٧١ ودفاع ابن حجر فى لسان الميزان ٥/٢٣٣ وانظر الحاشية السابقة وانظر الحاشيةس رقم ٦
(٨، ٩، ١٠) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٤/١٦١-١٧١
(١١) تبيين كذب المفترى ٢٢٧-٢٣١
(١٢) طبقات الحفاظ ٣/١٠٤١
(١٣) لسان الميزان ٥/٢٢٣
(١٤) سير أعلام النبلاء ١٧/١٧١ وتبيين كذب المفترى ٢٢٨ وتذ الحفاظ ٣/١٠٤٤ وطبقات السبكى ٤/١٠٥٩ والأنساب ٢/٣٧١
(١٥، ١٦) وفيات الأعيان ٤/٢٨٠
(١٧) الوافى بالوفيات ٣/٣٢٠
(١٨) الأنساب ٢/٣٧١
(١٩) سير أعلام النبلاء ١٧/١٦٣ وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٣٩
(٢٠، ٢١) العبر ٣/٩١
(٢٢) وفيات الأعيان ٤/٢٨٠
(٢٣) طبقات الشافعية للأسنوى ١/٤٠٦و٤٠٧
(٢٤) سير أعلام النبلاء ١٧/١٧٣ تذكر الحفاظ ٣/١٤٠٥ وطبقات الشافعية للأسنوى ١/٤٠٧
(٢٥) تذكرة الحفاظ ٣/١٠٤٣و١٠٤٤

بمناسبة العام الهجرى الجديد ١٤٠٦هـ



■ أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة بن حميد بن نباته بن الحجاج بن مطر بن خالد بن عمرو بن رزاح بن رياح بن سعد بن ثجير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمى السعدى(١). . كان مولده فى بغداد سنة ٣٢٧هـ(٢) (٩٣٩م) وطاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء وله فى سيف الدولة بن حمدان غر القصائد ونخب المدائح(٣).

■ ولقد عاش الشاعر فى كنف الأمير الحمدانى ومدحه بنخب القصائد وغرر الشعر وكان نجماً لامعاً فى بلاط سيف الدولة سجل بشعره مآثره وبطولاته فى المعارك التى خاضها وأشاد بكرمه وصلاته وعطائه الذى فاق كل حد فقال:

قد جدتَ لى باللُّهى حتى ضجرت بها
وكدتُ من ضجر أُثْنى على البَخَلِ
إن كنت ترغب فى بذل النوال لنا
فاخلق لنا رغبةٍ أوْلا فلا تَنَلِ
لم يُبْقِ جودُك لى شيئاً أؤمِّله
تركتنى أصحب الدنيا بلا أملِ

■ وكان ابن نباتة معتداً بنفسه صلفاً متكبراً مغروراً كثير الفخر والاعتزاز بقوته وجودة شعره وإنه ليقول:

إذا ما هززتَ الصارمَ ابنِ نُباتَةٍ
فصمم به إنَّ الحُسام عتيق

ابن نباته السعدى
٣٢٧ - ٤٠٥هـ

● من فحول شعراء العصر وآحادهم، وصدور مجيديهم وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافى وملكوا أزمة المعانى.
«الثعالبي».

● شاعر الوقت حسن الحذو على مثال سكان البادية لطيف الائتمام بهم خفى المغاص فى واديهم.
«أبو حيان التوحيدى».

● معظم شعره جيد.
«ابن خلكان»

فلو شئتُ علَّمتُ المكارمَ شيمتى
ولكننى بالمكرُمات رفيقُ
أخافُ عليها أن تجودَ بنفسها
إذا ما أتاها فى الزمان مضيق(٥)

● وقال:

إنَّ الليالى والأيامَ لو عَقَلَتْ
جَرَيْنَ فى الخلق عن رُمحى وعن قلمى
لو تعرف الناسُ قدرى فى زمانهم
صلوا لوجهى أو باسوا ثرى قدمى(٦)

وبمناسبة مرور ألف عام على وفاة العلامة الكبير



■ وشاعر هذه أبياته وصفاته وتلك كلماته وعباراته لابد أن يكثر حساده والناقمون عليه خاصة إذا كانت هناك منافسة على مكانة وصدارة ـ كما هو الحال بين الشعراء فى بلاط الأمير الحمداني الذين كثرت بينهم المشاحنات والخصومات بحثاً عن الجاه والمركز والشهرة الأدبية ـ فلذا كثر حساد الشاعر والوشاة به هؤلاء الذين نقموا عليه صلفه وتكبره كما ساءتهم مكانته وتقريب الأمير له فسعوا بالفتنة وساروا بالنميمة وأفلحوا فى الايقاع به.

■ وهذا ما يذكرنا بالشاعر المتنبى الذى لاقى الويلات من الحساد حتى اضطر فى النهاية إلى أن يغادر حلب بلا رجعة ولم يجد مناصاً من الانطلاق وفى قلبه تموج لواعج الحيرة والألم والحب العظيم.

■ وقد غادر ابن نباتة البلاط الحمدانى إلى المشرق ورجع الى بغداد ومدح أمراءها واتصل بعضد الدولة البويهى ومدحه بعدة قصائد ثم ورد على ابن العميد المشهور وهو بالرى وامتدحه بقصيدته التي أولها: (٧)



بَرْحُ اشتياقٍ وادِّكار
وهَيِبُ أنفاس حِرار
ومدامعٌ عَبَراتِها
تَرفض عن نوم مُطَار
لله قلبى ما يجنّ
من الهموم وما يوارى
لقد انقضى سكر الشبا
ب وما انقضى وصب الخُمار
وكبرتُ عن وصل الصِّغا
ر وما سلوتُ عن الصغار
سقياً لتغليسى إلى
باب الرصافة وابتكارى
أيام أخطر فى الصِّبا
نشوان مسحوب الإزار
حجِّى إلى حُجْر الصَّرا
ة وفى حدائقها اعتمارى
ومواطن اللَّذات أوْ
طانى ودار اللهو دارى(٨)

■ فمطله ابن العميد.. ثم إن ابن نباتة عتب على ابن العميد ولم يفده هو شيئا(٩).. وتوفى ابن نباتة السعدى يوم الأحد بعد طلوع الشمس ثالث شوال سنة خمس وأربعمائة ببغداد(١٠) وهو فى عشر الثمانين(١١).

وابن نباتة السعدى ناثر، صاحب رسائل ومقامات وشاعر مكثر، ومعظم شعره جيد يجمع حسن السبك إلى جودة المعنى مع السلاسة والرقة . . وله أبيات سائرة منها:

ومن لم يمتْ بالسيف مات بغيره
تنوَّعت الأسباب والموتُ واحد(١٢)

ولقد طرق ابن نباتة مختلف الأغراض الشعرية من مدح وفخر وحكمة ووصف وغزل ورثاء ولكنه أكثر من المدح والفخر والوصف وأجاد فوصف كماة الحرب وأسرى الروم والفرس والمغنى والسكين وطيب الهواء وخوالج النفس.

■ أما منهجه فى شعره فقد سلك مسلك شعراء مدرسة الشام فأحسن احتذاءها والسير على نمطها ولقد تنبه إلى ذلك أبو حيان التوحيدى فقال: إن ابن نباتة شاعر الوقت لا يدفع ما أقول إلا حاسد أو جاهل أو معاند، قد لحق عصابة سيف الدولة وعدا معهم وراءهم حسن الحذو على مثال سكان البادية لطيف الائتام بهم خفى المغاص فى واديهم ظاهر الاطلال على ناديهم.

■ وقال البغدادى: أبو نصر أحد الشعراء المحسنين المجودين كان جزل الكلام فصيح القول. (١٣)

وقال ابن خلكان، كان شاعراً مجيداً، جمع بين حسن السبك وجودة المعنى. (١٤)

■ وقال أيضاً: ومعظم شعره جيد(١٥) وله ديوان كبير. (١٦)

■ وقال الذهبى: شاعر العراق.. له نظم عذب. (١٧)

وخير من أجاد فى وصف شاعريته الثعالبى فى يتيمته حيث يقول: (١٨)

■ من فحول شعراء العصر وآحادهم وصدور مجيديهم وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافى وملكوا ارق المعانى وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام، مستمر النظام يشتمل على غرر من حر الكلام كقطع الروض غب القطر، وفقر كالغنى، بعد الفقر، وبدائع أحسن من مطالع الانوار وعهد الشباب وأرق من نسيم الاسحار وشكوى الاحباب.

مختارات من شعره

- قال ابن نباتة السعدى فى الدنيا ولذاتها:

ودار يُغَرُّ بها أهلُها
غرور المحبِّ بطيف الحلم
تأمُّلُها يقظة من كرى
ولذَّاتها راحة من ألم
عناء الحياة وروح الوفا
ة تقارب وُجْدانها والعدم

■ وقال فى دلالة المظاهر على الحقائق:

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم
إذا كانت الأعراض غير حسان
فلا تجعل الحُسْنَ الدليل على الفتى
فما كل مصقول الحديد يمان

- وقال يَنْسِبُ بسُعْدَى ويذكر نواحى الشام ثم يعطف على وصف الخمر:

أشتاق غُوْطَةَ داريًا ويُعْجبنى
على افتقارى أن تغنى مغانيها(١٩)

وقهـوة كشعـاع الشمس طالعـة
أفنيت بالمـزج فيهـا ريق ساقيهـا
لو كنت أخضـع فِي الـدنيـا لنـائبة
خضعتُ من هجرها أو من تجنيها
تستعـذبُ الـدمـعَ عيني فى محبّتها
كأن ما تمتريـه العـينُ مِنْ فيهـا

■■ وابن نباتة نموذج حى للشاعر العربى المبدع فى العصر الذى انفرط فيه عقد الخلافة العباسية وتقسمت إلى دويلات سواء فى حميته القومية ومنازعه العربية أو فى الفخر وفى قدرته على تصوير مشاعره المختلفة فى شعر وجدانى يتسم بالحرارة والصدق والاصالة.

■ ويبقى ابن نباتة السعدى واحداً من أبرز شعراء العرب فى القرن الرابع الهجرى ومطلع القرن الخامس الهجرى.

(١، ٢، ٣) تاريخ بغداد ١٠/٤٦٦ وابن خلكان ٣/١٩٠، ٣/١٩٢، ٣/١٩٠

(٤) ابن خلكان ٣/١٩١ وانظر اليتيمة ٢/٣٨٧ ـ ٣٩١

(٥، ٦) ديوان ابن نباتة ص٥٣، ص٢٦ (مخطوط) ٢/٣٨٣، ٢/٣٨٥ـ٣٨٦

(٧، ٨، ٩) ابن خلكان ٥/١٠٥، ٥/١٠٥ـ١٠٦، ٥/١٠٦

(١٠) تاريخ بغداد ١٠/٤٦٧، وابن خلكان ٣/١٩٢ والعبر للذهبى ٣/٩١، وشذرات الذهب ٣/١٧٥ـ١٧٦

(١١) سير أعلام النبلاء ١٧/١٣٥

(١٢) ابن خلكان ٣/١٩٣ وسير النبلاء ١٧/١٣٥ وانظر سيرورة هذا البيت فى قصة طريفة فى ابن خلكان ٣/١٩٣

(١٣) تاريخ بغداد ١٠/٤٦٦

(١٤، ١٥، ١٦) ابن خلكان ٣/١٩٠، ٣/١٩٢

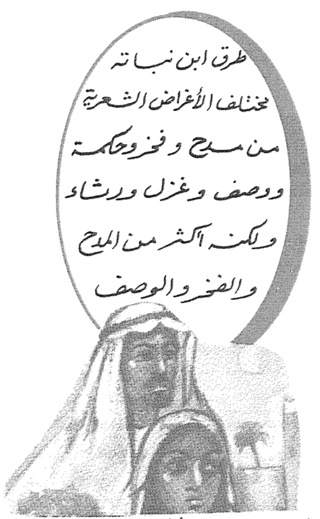
(١٧) سير أعلام النبلاء ١٧/٢٣٤

(١٨) يتيمة الدهر ٢/٣٧٩

(١٩) داريا = بلدة ذات أعناب وفاكهة وتقع فى جنوب دمشق

(١٩) جوسية = قرية من قرى حمص ـ الجولان = منطقة فى حوران.

● «مروان العطية»



لهفى على شربـة من ماء جُوْسِيَـة
ونظـرة يدرك الجـولان رائيهـا[٢٠]
ونفحـة من صبـا لبنـان خالصـة
تميـت غلة نفس أو تداويهـا
يا دهـر لا غفـلاتُ العيش عائـدةٌ
ولا الشبـاب الـذى أبليُتـه فيهـا
عسى السيُوف تقاضى ما مطلت بها
فقـد رضيتُ بما تقضى قواضيهـا
إن كنتَ تمنَـع سُعْـدَى من مطالبها
فلستَ تمنـع سُعْـدى من تمنيهـا
لله نَغْـمَـةُ أوتـار و مُسْـمِعـة
باتـت تدل على شوقى أغـانيهـا

من ملفات الأدب



■ لا بد لنا اذا أردنا أن نفتح ملف الأدب الأردنى قبل نصف قرن . . من ان نعود الى «مجلة الحكمة» . . وهى مجلة اصدرها الشيخ نديم الملاح فى عمان وذلك عام **١٩٣٢**م وصدر منها عشرة اعداد فقط وهى ذات صيغة أدبية وعلمية واجتماعية . . وعلى الرغم من عمرها القصير الا انها استطاعت ان تبرز وجه الأدب فى شرقى الأردن بعد أقل من أحد عشر عاماً على تأسيس الامارة على يدى الملك عبد الله بن الحسين .

● ففى العدد الأول نجد نقداً لرواية أمير الشعراء احمد شوقى (مجنون ليلى) بقلم صاحب المجلة نفسه ومن مآخذه على شوقى عدم تنوينه للاسماء المنونة كما هو الحال فى البيت الثانى من الرواية (والكلام عن ليلى العامرية) :

وإن رضيت وردَ بعلاًلها
وقيسُ الأحب لها الأقرب

● فرأى الناقد ان يقول شوقي بما هو افضل :

وإن ترض ورداً خليلاً لها
وقيسٌ احب لها أقربُ
وذلك بتنوين (ورد وقيس) .

● وابتداء من العدد الأول وحتى العدد العاشر نطالع دراسة على شكل حلقات كتبها الشيخ الملاح أيضاً . . تتناول بالنقد والتحليل والعرض والمراجعة والتصويب كتاب الدكتور طه حسين (فى الشعر الجاهلى) وهى تعتبر دراسة عميقة واعية دقيقة . . لم يتناول الناقد فيها الكتاب من الناحية الدينية فحسب بل تعدته الى تصويب المعلومات التاريخية والأدبية واللغوية التى وقع فريستها الاستاذ العميد . . مما يدل على بلاغة الشيخ الملاح وسعة اطلاعه وحصانة رأيه ولابد لنا من وقفة عند بعضها :

أولا : يرى الدكتور طه حسين ان الشعر الجاهلى كله عجز عن تصوير الحياة الدينية للجاهلية . . فيرد عليه الملاح اذ يسوق اكثر من عشرين شاهداً مستنداً على كتاب (الاصنام) لابن الكلبى وهى تؤيد إهتمام الشعر الجاهلى بالحياة الدينية .

ثانيا : يقول طه حسين ان شعراء قحطانيين هم من اصحاب المعلقات والمطولات فيعتبر الناقد أن هذا الكلام زعم مردود يخالف الواقع ويجانب الحقيقة لأن النابغة ذبيانى وزهيراً مزنى الأصل غطفانى المنشأ . . والاعشى قيسى وطرفة بكرى وعمرو بن كلثوم تغلبى . . والحارث بن حلزة يشكريّ . . والرواة مجمعون على ان هذه القبائل عدنانية . . اما امرؤ القيس فهو وان كان كندى الأصل من قحطان فإنه نشأ فى بنى أسد العدنانية .

ثالثا : يقول الدكتور طه حسين عن المعلقات (والبحر العروضى هو هو . . وقواعد القافية هى . . هى) فيتصدى له الشيخ الملاح ويعتبر مقولة العميد ظاهرة الخطأ لأن معلقات طرفة وزهير من البحر



الطويل.. ومعلقتى لبيد وعنترة من البحر الكامل اما معلقة عمرو بن كلثوم فهى من البحر الوافر.. فهل يكون البحر العروضى فى معلقاتهم واحداً؟.. وهل تتشابه قواف المعلقات اللامية والدالية والميمية والنونية والهمزية والرائية..؟؟

وفى عام ١٩٣٢م حين مات احمد شوقى.. لم تقتصر كلمات المواساة وقصائد الرثاء على مصر وحدها بل تعدت الحدود والسدود فها هو شرقى الأردن يبكى الشاعر الأمير.. بين ثنايا العدد الخامس تعثر على هذه الأبيات وهى للشاعر عبد الفتاح الحديدى من السلط يرثى شوقياً:

عال البرق يا شوقى فسالت
دموع القلب فانكدر الضياء
نادتك القوافى يا اميرى
وهل يجدى على الثكلى نداء
مير الشعر والأيام تترى
يعطر ذكركم فيها الثناء
سيتم للعروبة صرح مجد
لرفعته تصافحه السماء

● وهناك قصيدة اخرى للسيدة رهب عبد الهادى من أدبا ومما تقول فيها:

لهفى على شوقى أديب زمانه
من ازدهت بفخاره العلياء
قد كان ذخراً للبلاد واهلها
وبذكره تتعطر الأرجاء
أأمير هذا الشعر رزؤك فادح
ولرب رزء ليس فيه عزاء
ان العروبة بعد فقدك اصبحت
بالحزن منها تلتظى الاحشاء

●● وفى نفس العدد تقرأ هذا الرثاء (لئن حار الدمع فى اعيننا تجلدا فقد ألمتا لرزئك يا شوقى الم المحب لفقد حبيبه، ووجدنا لك وجداً كاد يفنى منا الصبر الجميل، لعل ما يعزينا هى أثارك الخالدة فللعروبة ودينها ما نظمت وفى سبيل الذود عنهما ما لقيت وفى ذمة الله روحك المتوقدة الطاهرة).

●● أما عبد الحليم عباس الأديب الكبير فإنه يدرس شاعرية شوقى ومن قوله (ويتميز شوقى باحكام الأسلوب وشدة اسره مع روعة اللفظ وقصد المعنى واصابته، حتى اصبح بذلك منقطع النظير بين ادباء العرب قديمهم وحديثهم فهو ان خسر المعنى فى قصيدة فلا يخسر اللفظ ابداً.. فهذا السحر فى الاسلوب الذى تبسط له نفسك وتهش له روحك.. لا تجده الا فى شعر شوقى) ويختتم عباس مقالته اذ يقول: (رحم الله شوقى فقد كان أمة فى

القريض.. ونبياً فى عالم الشعر ولكنه غير معصوم).

وما دمنا نقلب صفحات العدد الخامس من مجلة الحكمة فاننا نطالع فيها تشطيراً من نظم الشاعر الكبير عبد المنعم الرفاعى لقصيدة الشاعر الجاهلى (جران العود) عامر بن الحارث تحت عنوان شعر العظماء ومنها نختار ما يلى:

ذكرت الصبا فانهلت العين تذرف
وعهد الصبا عهد له تتلهف
ذكرت رفاقاً فى منازل رحبة
وراجعك الشوق الذى كنت تعرف
وكان فؤادى قد صحا ثم هاجنى
أوانس فى (عبين) مثنى وردّف
يرنمن انواع الغناء كأنها
حمائم ورق بالمدينة هتف
فلا وجد الا مثل يوم تدافعت
اواخر ظعن فى الفلا تتعسف
وفى الحى ميلاء الخمار كأنها
من الوحش ريم فى الفلا تتشوف
كأن ثناياها العذاب وريقها
وقد جال فى فيها السواك المطرف

●● ولعل قصيدة (فنيات الشاعر) للاستاذ حسنى فريز المنشورة فى العدد الرابع من هذه المجلة هى من اولى قصائده ومما يقول فيها:

الأولى:

قالت لها اختها يوماً تداعبها
هل نظرت الى هذا الشاعر الفطن
ممزوجة بنجيع القلب ادمعه
لا يستفيق من الآهات والمحن
مذ علق الحب اضناه وعذبه
وحالف السهد جفنيه على الوسن
من هذه الغادة الحسناء ليت لها
قلباً يرق فتجزى الحب بالمنن

الثانية:

هذا الذى ما ان رنا مرة
الا وكان الدمع فى جفنه
من ذا ترى يعشق واحدتى
إنى اراه اليوم فى حينه

واذا *عدنا الى عبد الحليم عباس فاننا نقرأه يترجم لبشار بن برد فى مقالة رائعة ويعمد الى تحليل شعره.. فكننى لم افهم ماذا يقصد عباس بقوله (هجا بشار كثيراً.. وهجا جريراً حتى يئس من رده) فهل ينتظر بشار بن برد ان يرد عليه جرير وبشار عباسى بينما جرير أموى.. لقد تعجبت كيف وقع استاذنا بمثل هذا الخلط؟.*

●● وثمة اذا اردنا التعرف على آثار شرقى الأردن لتطلب منا الأمر على الاطلاع على ما كتبه السيد على سيد والكردى فى الأعداد الخامس والسابع والثامن والتاسع وقد تضمن البحث فيها عن اثار عجلون والبلقاء وعمان وجرش.

●● وفى اكثر من عدد من اعداد المجلة نعثر على مقال يتميزبالزخم العلمى والحقائق التاريخية وهو للاستاذ محمد صالح الصمادى ويهاجم الاستاذ معروف الارناؤوط وكتابه (سيد قريش).



● طه حسين



● أحمد شوقى

من العدد الأول وحتى العدد العاشر من «مجلة الحكمة» نطالع دراسة على شكل حلقات كتبها «الشيخ الملاح» تتناول بالنقد والتحليل كتاب الدكتور «طه حسين» في الشعر الجاهلي.

١ - يقول الارناؤوط فى صفحة رقم (٤) من كتابه المذكور (كقصر غمدان فى صنعاء وقصور نجران التى كانت عاصمة ملوك اليمن ودار سلطانهم) فيعلق الصيادى على هذا بقوله (جعل المؤلف قصور غمدان ونجران عاصمة لليمن مع ان نجران قبيلة لا بلدا ولا ممكنا).

٢ - يقول الأرناؤوط فى نفس الصفحة (لقد كانت مدينة مأرب فى جمال مشاهدها الطبيعية على شاكلة مدينة دمشق يجرى فى وسطهم نهر عظيم) فينبرى الصيادى ليصحح هذا القول فيقول: (ويظن ان حضرة الصديق غير موافق على جغرافية بلاد اليمن وأدوارها التاريخية، مأرب لم يكن فيها نهر عظيم، ويكثر رأى اهلها ان بلادهم خالية من الأنهار، وان مياه الامطار تكون سيولاً فاضطروا ان يبنوا الاسداد واكبر هذه السدود سد مأرب).

٣ - يقول الأرناؤوط فى صفحة رقم (٣٣٠) «ان الرسول ﴿ﷺ﴾ وزيداً رضى الله عنه مرا بعبد يرعى غنماً فى واحة قليلة على أبواب يثرب فاستقياه اللبن وآمن الراعى وبلغ المؤمنين من اهل يثرب نبأ خروجه من مكة والطائف» فيرد عليه الكاتب الصيادى (فهذه الجملة تدل على ان حضرة الصديق المؤلف قد سهى عن حادثة من اشهر حوادث التاريخ العربى وهى انه جعل زيد بن حارثه رفيقاً للنبى فى هجرته مع ان رفيقه انما كان الصديق رضى الله عنه دون سواه).

٤ - يقول الارناؤوط فى صفحة رقم (١٠٢) من الجزء الثالث (ومضت السنون والأعوام وامرؤ القيس ناعم وادع فى حصن تيماء حتى علم المنذر بن ماء السماء فاحفظه ليأذه بالشام فبعث اليه بجيش جرار تحت قيادة الحارث بن ظالم المرى فرابط هذا الجيش حيال بصرى وخرج قائده الى السموأل وهو فى حصنه فاراده على تسليم امرىء القيس فرفض السموأل فقتل الحارث ابنه) فيعلق الصيادى على ذلك فيقول: «وهذه العبارة تفيد ان تيماء بالشام وان بصرى على مقربة منها وهو خطأ ظاهر لأن تيماء فى القطر الحجازى لا فى القطر الشامى وان بين بصرى وتيماء مسيرة عشرة ايام على الفارس».

وبهذه المناسبة فاننا نورد ثمة ملاحظة فاتت الكاتبين الكريمين وهى ان الحادثة التى قتل فيها ابن السموأل لم تكن بسبب تسليم امرىء القيس نفسه وانما كانت بسبب طلب تسليم الاموال والدروع التى كان امرؤ القيس قد اودعها عند السموأل بن عاديا.. قبل ان يذهب الى القسطنطينية.. وبوفاء السموأل ضرب المثل القائل (أوفى من السموأل) وهو يضرب بالرجل الذى يكون مثال الوفاء.

ولو امعنا النظر فى ثنايا اعداد هذه المجلة لاستطعنا التعرف على بعض الاسماء الأدبية التى كان لها دور فعال فيما بعد وفيما سبق من امثال سعيد دره ومحمد أديب العامرى وروكس العزيزى ويعقوب هاشم.

ولعلنا نخلص الى القول ان ذلك الأمل الذى لاح فى الافق منذ اكثر من نصف قرن.. فانه قد كبر اليوم واصبحنا نتفيأ ظلال تلك الدوحة الادبية الوارفة التى تشهدها الساحة الأدبية فى الأردن.



عددنا القادم

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

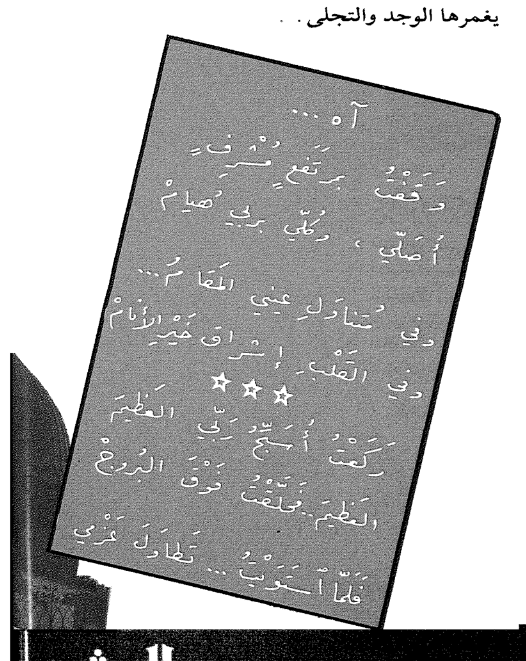
العدد الثاني والعشرون - المحرم ١٤٠٦ هـ

المشرف

محمود عارف

حال ما ألمَّ بى من تعب
بينى وبين أداء الصلاة فى مسجد الرسول «ﷺ» .
لقد كان منى على بعد دقيقتين
وانا فى غرفة شاهقـــة
من فندق قصر الرحاب .
تعانق نظراتى المقام الأسنى
أديتُ صلاتى منفردا
وقلبى معلق هناك فى المسجد
لقد كانت صلاة خاشعة ساطعة
يغمرها الوجد والتجلى . .

للأستاذ الشاعر
بهاء الدين
الأميري



المدينة المنورة

ولمّا سجدْتُ ... بدأْتُ العُروجْ

☆ ☆ ☆

«بسُبحانَ ربِّيَ» وتردِيدِها

ـ وربِّيَ أعلى ـ علوْتُ ... علوْتُ

☆ ☆ ☆

بتسبيحِهِ ... وبتقديسِهِ

بذكري ... وفكري ... وروحي ... سموْتُ

☆ ☆ ☆

وجاوزْتُ نفسي وأبعادَها

وشارفْتُ إشعاعَ نورِ الإلهْ*

وفي جبهتي ...*

وغشّى النّورُ

فيا «نورُ» آهٍ ... وآهٍ ... وآه

تار

الرسول

صلّوا على خير الـوجـود وسلّمـوا
إن الصـلاة عليـه غُنْمٌ فاغنمـوا
الله صلّى والمـلائـكـة كلُّهـم
صلوا ومـازالـوا وكـل ملهـمُ
هم فى السمـواتِ العـلا هتفـوا به
وإمـامـهـم جبريـلُ يهتِفُ مَعْهمُ
يا سيـدى انـا شاردٌ من عالمـى
والـشـاردونَ بغـيـركم لن يحتمـوا

ساد الـعـلوجُ المسلمـين أبعـد ذا
يفـتـرُّ ثغْـر للغـيـور ويبسـمُ؟

المسلمـون على البسيطـة شُرِّدوا
وهم عن الصفِّ المؤملِ أحجموا

صاروا بلا راعٍ يضُـمُّ شَتَـاتَهُـم
فتـبعثـروا وتحطمـوا وتخـاصمـوا

أفـغـانُ أين وأين مسـرى أحمـد
والـلاجئـونَ أهم لأحـرار نُمـوا؟
أو مالـنـا فى الأوس درسٌ خالـدٌ
والخـزرجُ الابطـالُ لما أسـلمـوا
هم أبصـروا دس اليهـود فما شفـوا
غيـظ اليهـود ولا هم يومـاً عمـوا



الأعظم

يا سعدُ سعدُ الأوس قُمْ قدنا إلى
صفّ يذل المارقين ويرجمُ
يا أحمدُ المرجوُّ إنى تائهٌ
بل كلُّ اهلى عن نداكم نُوَّمُ
يارب قد ضاقَ الخناقُ فأيِّدن
خُطْوَ الولاة المسلمينَ ليغنموا
لا عزّ الا بالرجوعِ لوحدةٍ
للمؤمنين فأين ياصحبى همُ
يا مسلمون رسولُكُم بكتابه
يدعوكم فاصغوا له وتقدموا
العزُّ يدنو منكم فاسعوا له
لا يقدر النهج الكريم سواكمُ
لا لا تقولوا عصرُنا داجٍ فقد
بُعثَ الرسولُ وكلُّ درب معتمُ
مازالَ يدنيهم ويخطبُ وُدَّهُم
ويُعيد ما يبدى ويعفو عنهمُ
حتى رآهُمُ ينكرون نفوسَهم
فكأنهم طوعا له ما أحرموا
لله درهم بما قد قدموا
واليوم تحدونا لهم ذكراهمُ
ذكرى الجهاد لرفعِ راية ديننا
ليُظِل كلّ الناسِ دينٌ قيمُ
دين هو الدنيا إلى الأخرى فما
يطغى هو الدينُ الحنيفُ الخاتَمُ



الى اندلس الم

صقـرَ قُريش كنـتِ يالَـوْعَـتـى
هذا الـذى قد حاولتـه الطُّعـون
مكـانُـهُ فيـكِ على صَهْـوةٍ
منْ معـدنٍ يُسْـنِـدُ كلَّ المتُـوُن
يخفـره الله الـذى لا ينـى
والله كم يخفـر، وكـم يصـون
صقـر قريش كان قد وُريـت
أمـام عينيـه جميـع العيـون
وأفـرغَ الأفـقِ جراحَـاتِـه
مُوشَّـحـاتٍ صافيـاتِ اللُّحـون
لقـد أدنـتَ الكـونَ فى حذْوِهَـا
ومـا تمسكـتَ بنبشِ الـدُّيـون
تُرى تمادى الـزهـرُ؟ هل وَشْيـه
قد أغْـتَـدَى أرحـبِ مما يكـون؟
وقـد تَهادَى فى الـقـوافى وكـم
من قافيـاتٍ ذاتِ كَعْـبٍ خئـون
تُرَى توالـيـتَ غزالًا حَوَى
نواهِـىَ المِسْـكِ وأمْـرَ الـقُـرُون
وكـيـف آنـسـتِ مفـازاتِـنَـا
نعـامـة يسكنُ فيهـا الـرُّكُـون
تعـلَّقـتْ أهـدابُهـا بالـرُّبَـى
وأُلجـمـتْ ريشـاتُهـا بالسجـون

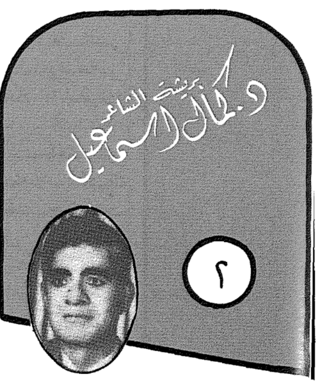
أنـدلس استأنـى أمـامـى ففـى
المـرآة ها أنـتِ بطـولِ الجُفُـون
أنـت أمـامـى فى يدى هذه
أطيـافُـكِ الأخْرى وأولى الصُّحُون
وجـلسـة الـشَّحَـنـاء، انَّ بها
أبـاً هجينـه ما دعـاه البنـون
هل يُرْجِـعُ الله لنـا بُرْهَـةً
مما جَئْتُ فى ساعـديهـا السنون؟
ويـضـعُ الـزلَّـة عن رأسـهـا
ويمنـح التـوبـةَ أُخْتَ المُجـون
ويـرفـعُ الهـابـطَ من ذيـلهـا
ليستقيم الـذيـلُ قبلَ الحُصـون

☆ ☆ ☆

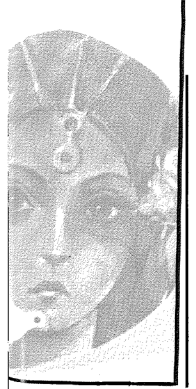
فما رأتْ كالله مـن غالـبٍ
أنـدلس فى الحرب، أو فى السُّكون
كافـورة أنـت وأعـصـابهـا
آونـة فى الجـذع أو فى الـبطـون
فى مرة تأكـلُ أوراقَـهَـا
ومـرة تُسْـفـر فيهـا الغُصُـون
ومـرة أنـتِ يبامُ له
ذيـلٌ بنـصلين وجسـمٌ خَنُـوز



ومـرة أنـتِ غرابٌ أتـى
يستنفِـدُ الليـلَ ويُغنى الشُجـون
قَابِـلة الأسـبـانِ فى ظلّه
آتـيـة مالـى بها من شئـون
ثمَّ أرانـى مرة لا أفى
لهذاة الـعقْـل وصـوت المُـرُون
أحـرقُ لوحـاً فوقَ بحـرٍ وآ
تيـكِ وجسمى كالجـوادِ الحَرُوْن
أو أسألُ الأطـلالَ أن تفقـدَ الـوجْهَ
وأن تخفـىَ عنـى الجُـنُـون
أنـدلسُ الـقـرآنُ فى راحَـتَـىْ
فلنُبطـل المسَّ ونَـنْـفِ الـفُـتُـون
ولْـنـتَّـبِـعْ آيـاتِـه إنَّـمـا
مُعْـجـزة الـبـعـثِ به لا تَهون
مُدِّى إذا المـدّ اقتضى واسجـدى
إن لم تجيئـى بين كافٍ ونـون
هذان فى فيـك لسـانـان
فاختـارى اللسان القرطبى القُطُون
قولـى به الأنف وقـولى به السَّيْف
وقـولـى للعـدوّ الـلّعُـوْن
ولـلذى قد ظَنَّـهُ غائـبـاً
لتُخْـرجيـه عنـد رَيْب المُنـون
به اعـتـنـى ولتُـفـتَـنى واقـتِـنى
شُجَـيرة الـزَّيـتِ له والـدّهُـوْن
وسـافـرى فيـه إلـى أصْـله
لمْبَعَـث الـفُصْحَى وراء الظُّنـون
ومـولـد الـكـلمـة فى يَعْـرُب
ومَسْقَـطِ اللفْـظِ وبـدء الفنـوْن
إلـى الـتـى ناجـتْ به نفْسَـهـا
مازلـتُ فى المهْـدِ بدونِ الغُضُـوْن







يا حبيبى أينَ أمسى منك؟ أم أين غداتى؟
كلُّ شىء غامَ فى عينى وأمسى ذكريات
الأمانى تائهاتُ القصدِ، وَلْهَى الخطرات
بين آهات تنزّى، وسخين العَبرَات
من مآسيها أعانى مدلهم الأزمات

●●●

خلت والكُتْب أمامى، مفعمات الصفحات
سجَّلَ الحبرُ عليها من هوانا بيِّنَات
(دَمَغَتهَا) أدمعُ الشوق بشتى البصمات
أننا أقوي مِنَ الدهر: بماضيهِ وآت
فتحدى حبُّنا الفوارُ هوجَ النائبات
فَعَبَبْنَا من حُمَيَّاه كؤوساً مُتْرَعات
وأفَقْنَا فاذا النشوة وَهْمٌ يا فتاتى
واذا الصهباء صابٌ علقم اليوم لهاتى
واذا نحنُ خيالٌ فى متاهات الحياة

●●●

يا حبيبى ضاعَتِ الذكرى وضاعَتْ أغنياتى
لم تعُدْ إلا ارتعاشات وأصداء شكاة
هوَّمَ الحزنُ بأفياها فَأوْدَى الضحكات
وبها اليأسُ يُدَوِّى مُرعباً فى صرخات
و.. فراغٌ مطبقٌ يوهى فؤادى وقناتى

●●●

يا حبيبى هاجَنِى طيفُ الليالى الماضيات
فتمنيتُ ولكنْ أينَ منِّى أمنياتى؟
وَعَرَتْنِى من خيالاتِ دُنانا الحالمات



غُصَصٌ تُشرقُ من حرِّ لَظَاهـا زَفَراتـى
وقَضَـى دفُء ألِـفْنَـاه.. ولـينُ اللمسات
فكـلانـا إلـفُ همٍّ ضاقَ ذرعـاً بالحـياة
كلما عاودَهُ الشوقُ بكـي فى حَسَرَات
يا حبيـبى: لو ترانـى اتملَّى أمسـياتى
أقفُ الساعـات أرعى النجمَ خلفَ النافذات
وأنـاجى الأفْقَ - فى صمتٍ - بأشجى الهمسات
ليسَ من حولـى سوَى وهـم أناغيـه شكـاتى
ودمـوع أدْمَـت القَـلْبَ، وأذكـتْ رغباتـى
ورذاذات غيـوم خائـرات القطـرات
حَمَلَتْـهَا هوجُ ريـاح تُدَوِّى مُعْـولات
تتهـاوى فوق شبـاكِـى حَيْرَى تائـهـاتٍ
بتُّ لَيْـلِى أتمـلاهـا واتـلوهـا صلاتـى
وأهـاديهـا فى أحـلامـى شَهِيَّ القـبلات
وعلى انغـامـها الخرسـاء ألقى دعـواتـى
أتشـهَّى ضمهـا علّ شَذَاهـا منـك... آت
يا حبيبـى طال بى الصـبرُ ونـاءت عزمـاتى
فى احـتـداد أنـقُـرُ الشبّـاك أدعـوك لتأتـى
وأنـادى طيـفَـك المنَّـاع فى أعـماق ذاتـى
أتمـنـى أمـنـيـاتٍ تتراءى غَائِـمَات
كانـت الحبَّ، وكـان الحبُّ أغلى أمنيـاتـى
كانَـتِ الـذكـرى ومـا لى غير ذكـرَاك فتـاتـى
تتراءى باهـتـات اللـون حيرى الخطـوات
لِمَ أخـلفـت مواعـيـدى وأشـقـيتِ حيـاتـى
أفـلا عُدتِ؟ وعـادت سالفـاتُ الـذكـريات؟

ستار



أطلبُ العفوَ يا أبي
إنْ تجاوزتُ مذهبي
وتكلَّمْتُ مرة
في حدودِ التأدُّبِ
في أمورٍ تخُصُّني
ومصيرٍ يُرادُ بي

●●●

عفوكَ اليومَ يا أبي
لا تبِعْنِي لأجنبي
راغباً في نقودِه
عن طريقِ التقرُّبِ

وابنُ عمي أحبُّهُ
وهو في حُبِّهِ أبي
عَرَفَ الحبَّ يافعاً
وعلى حُبّه ربي
فقرُهُ لا يُضِيرُهُ
وهو في عُمْرِهِ صِبي
والذي جاء خاطباً
في الثمانينَ يا أبي

●●●

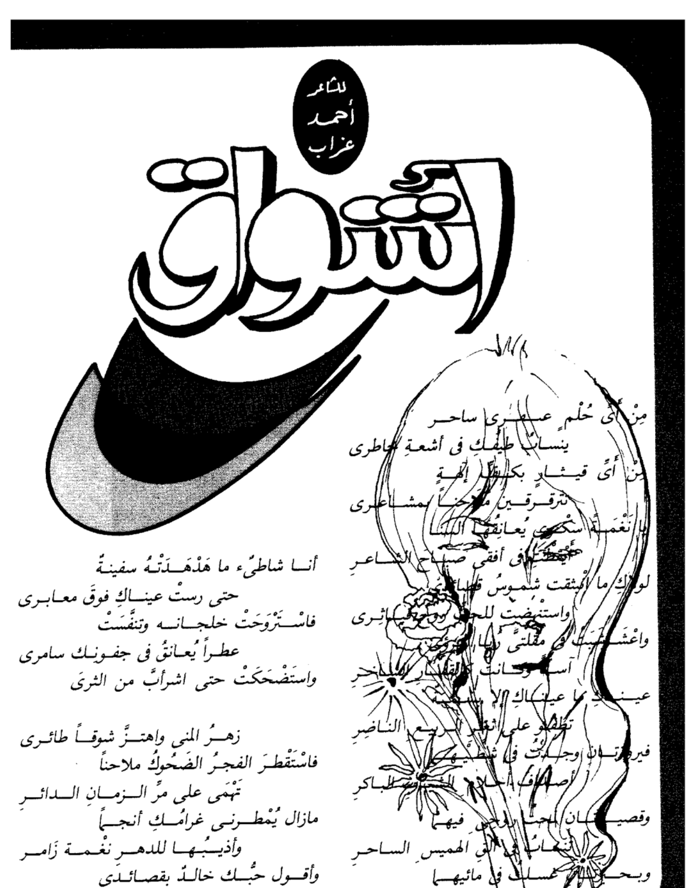
يا أبي الشيخ يا أبي
والرضا منك مطلبي
بَيْعُنَا في تجارة
يُغضبُ اللهَ والنبي
وإذا كنتَ مُعْدَماً
فحلالٌ مرتّبي



الصغيرة والسماء

شعر زهير الموصلي

جَلَسَتْ تُحدقُ فى السماء صغيرةٌ
وتعضُ أنملَها وتمعنُ فى النظرْ
والليلُ شدَّ الى السكونِ بهدأة
يرنو الى الافقِ البعيدِ وما نشرْ
والبدرُ يضحكُ للنجومِ فتنثنى
فى الأفقِ نوْراً أو براعم كالدُرَرْ
وأبو البُنَيَّة باسمٌ لذهولها
كالشاعرِ الساهى تُراودُهُ الفِكرْ
ثم انبرى: بِمَ تمعنين صغيرتى
هل شقَّ جيبُ الليل أم خسف القمرْ؟
قالت: أبى إن كان ذا الوجهُ
القريبُ من السماء بما تراهُ من الصورْ
كيفَ الجمالُ وما مداهُ تراهُ فى
الوجه العلىِّ لدى الإلهِ المبتكرْ؟



مِنْ أَيِّ حُلْمٍ عبقرىٍّ ساحرٍ
ينسابُ طيفُكِ فى أشعةِ خاطرى
مِنْ أيِّ قيثارٍ بكفِّ إلهةٍ
تترقرقين [illegible] بمشاعرى
يا نَغْمَةً سكْرى يُعانِقُها السَّنا
أيطلُّ فى أفقى صباحُ الشاعرِ
لولاكِ ما انْشقت شموسُ قصائدى
واستنهضت للحبِّ [illegible]
واعْشَوْشَبَتْ فى مقلتى [illegible]
آسٌ وكانت [illegible] الساحرِ
[illegible] ما عيناكِ الإ [illegible]
تطفو على ثغرِ الربيعِ الناضرِ
فيروزتانِ وجدْتُ فى شطيهما
أصداف [illegible] الباكرِ
وقصيدتان [illegible] فيهما
تنسابُ فى ألقِ الهميسِ الساحرِ
وبحيرتان غسلتُ فى مائيهما
جرحى وآثارَ الزمانِ الجائرِ

أنا شاطئٌ ما هَدْهَدَتْهُ سفينةٌ
حتى رستْ عيناكِ فوقَ معابرى
فاسْتَرْوَحَتْ خلجانه وتنفَّسَتْ
عطراً يُعانقُ فى جفونك سامرى
واستَضْحَكَتْ حتى اشرأبَّ من الثرى
زهرُ المنى واهتزَّ شوقاً طائرى
فاسْتَقْطَرَ الفجرُ الضَحُوكُ ملاحناً
تَهْمَى على مرِّ الزمانِ الدائرِ
مازال يُمْطرنى غرامُكِ أنجماً
وأذيبُها للدهر نغْمة زامرِ
وأقول حبُّك خالدٌ بقصائدى
ما طاف شِعْرى فى فؤادٍ طاهرِ

على بابك

شعر الدكتور
أحمد عامر

طارق فكري

طفتُ المتاهاتِ العنيدةَ
جاهداً والرزقُ ضيِّقْ
لو تعلمينَ تشتّتي
يا بيتها بالنور يشرقْ — والليلُ والإظلامُ مُخنِقْ
يا بابها بالعطر يغدقْ — يا أنتِ يا كل المنى
أنا قد أتيتُ وخافقي — هذا أنا والفرحُ يطرقْ
بحنينه الفتّاك يخفقْ — أنا قد أتيتُ بما أراد
لو أن يُشق الصدرُ من — الجِيدُ من ذهبٍ يُطوِّقْ
هذا الحنين إليك يسبقْ — طُلّى علينا بالمنى
هذى يدى والنبضُ فيها — لتُطَمْئِنِى العمرَ المؤرّقْ
قُبلةٌ للبابِ تطرقْ — يا بابها.. فُتحَ النعيمُ
البابُ يعرفُ دقّتي — أكادُ مِنْ فرحى أحلّقْ
متشوقاً وأراه يألقْ — وإذا التى كانتْ لنا..
يا كم تعرقلَ فتحُهُ — مِنْ خلفِها عينٌ تُحمْلِقْ
ليحوزَ آمالاً تعلّقْ — قالت: تَفضَّلْ يا صديقى..
ليظلَّ فيما بيننا — ها هو الزوجُ الموفقْ
ويكادُ بالأشواقِ يُحرقْ — أمسكتُ أشلائى.. تَمَاسكْ
عامٌ مضى يا غايتي — أيها العمرُ المـمَزّقْ
عامٌ طويلٌ فى التفرقْ — ورجعتُ فى هذا الشتاء
الليلُ والإظلامُ مُطبِقْ
والقلبُ يَهْمِسُ ليتَها..
يا ليتَ بابَك ظلَّ مُغلَقْ
لو أنَّ بابَكِ ظلَّ مُغْلَقْ
لوقفتُ طولَ العمرِ أطرُقْ

ستار

عزم الشباب

دَفَقْتَ نُورَك في إهابي   رُحْماك ياعزْمَ الشَّبابِ

أملٌ يثورُ بنَفْسيَ الْـ   ـعَطْشىٰ .. فيُوقظُ من رِغابي

يَحْنُو عليَّ بثغْره الْـ   ـبَسَّام في سُعُر العذابِ

ويُبيدُ أوهامَ الأسىٰ   ويخُطُّ لي سُبلَ الطِّلابِ

تَتَدافعُ الأمْواجُ فيَّ   وتَمْتَطي ـ أبدًا ـ رِكابي

فأظلُّ مُنْطلقَ المَرا   حِ .. أهيمُ في شبْه العُبابِ

النَّارُ تَرْهَبُ صَوْلَتي   والحَرْبُ تَخْشىٰ من حِرابي

والطَّامحاتُ إلى المخلَّدِ   في الهوىٰ .. تهوى اقْتِرابي

هل للبلاد سوىٰ الشبا   بِ .. سَمَا به عَلمُ الغِلابِ

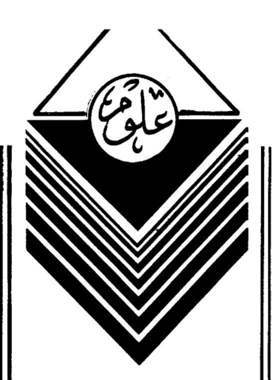
لِلَّهِ .. ما أسْنىٰ وما   أبْهاهُ مُرْتهن الصّعابِ

يمشي إلى الأخْطارِ في   مَرحِ الطَّروبِ إلى الشَّرابِ



ويمرُّ في عَزماتِـهِ   مَرَّ السِّهامِ أو الشِّهابِ
زَنْدَ الشعوبِ ومَجْدَها   وضياءَها .. والخطْبُ كابِي
بكَ لا بغيْرِكَ تُمْتَطى   في العِزِّ هاماتُ السّحابِ
يا أيُّها الحامي الذِّما   رَ .. رعَتْكَ ساحاتُ الضِّرابِ
خذْ في يمينِكَ مِشْعَلاً   واهْدِ الشُّرُودَ إلى الإيابِ
علِّمْهُ أنَّ المجْدَ لـمْ   يُخْلق لبأسٍ واحْترابِ
واسطَعْ تجلّكَ المهَا   بةُ .. لا تكنْ عبْدَ الثّوابِ
أنت اللّبابُ .. فحُزْ بعزْ   مِكَ .. وامتلكْ لُبَّ اللُّبابِ
وارفعْ منارَ العلْم .. لا   تَخْنَعْ لعَجْزٍ واضْطرابِ
إنَّ الحيـاةَ تقـدُّمٌ   لا تستقرُّ على تبابِ
إنَّ الشبابَ هو الحيا   ةُ .. وما الحياةُ سِوى الشّبابِ!

ستار

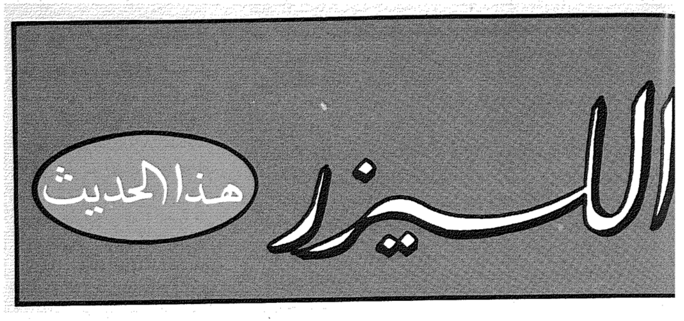


العقل الانسانى فى تقدم مضطرد يحقق اليوم ماكان مجرد خيال أوحلم فى أمسه فيضحى واقعا يستخدمه بكل الثقة فى مجالات حياته..





لم تنم البشرية لتصحو فجأة وقد اكتشف احد ابنائها اشعة الليزر.. ومع هذا لا يستطيع أى باحث فى واقع الامر أن يحدد لنا كيف بدأ اكتشاف الليزر أو متى بدأ بالدقة الكافية وما نستطيع أن نجزم به انه كالعادة توصل إلى اختراعها كتاب الخيال العلمى امثال جون فيرن ثم تلاه ج ويلز من قصة حرب الكواكب عندما قام سكان كوكب المريخ بغزو الارض مستخدمين اسلحة فتاكة تبعث اشعة قاتلة رهيبة تحرق كل ما يقع فى طريقها من حياةأو جماد. ولم يقتصر الامر عند هذا الحد ففى سنة ١٩٣٠ ميلادية الف احد كتاب القصص المسلية المسلسة الامريكية عدة مغامرات للبطل الامريكى الاسطورى «باك روجرز» جال خلالها الكون من اقصاه إلى اقصاه ونازل،



اعداء ما انزل الله بهم من سلطان وفى كل مرة انتصر البطل الاسطورى انتصاراً ساحقاً ماحقاً بفضل مسدس يطلق اشعة الموت التى لا ترتعد ولا يقف حيالها سدٌ أو مانع وكأنها سحر مستعر لا تعرف المقاومة أو الكبت.

والخياليون لهم مطلق العنان فلا قيود أو حدود تهد تفكيرهم فى حين نجد العلم ينضبط تحت قواعد وقوانين واسس لا تحيد قيد أنملة لذا تأخر الكشف عن اشعة الليزر إلى عام ١٩٥٧ ميلادية إلى أن توصل عالم إلى صنع قضيب من الياقوت احيط بصمام فلاش الكترونى كالمستخدم فى التصوير الضوئى فإذا ما اضاء الفلاش - جهاز الضوء الخاطف - انطلقت من القضيب اشعة حمراء بهرت العيون



موجة الضوء

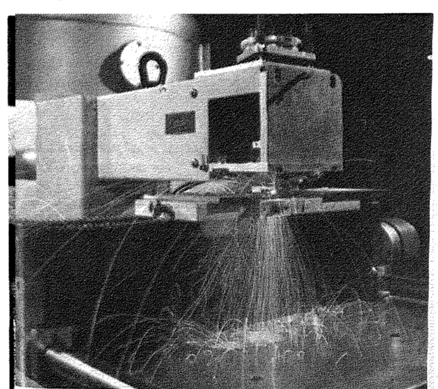
وشدت الانتباه وحيرت العلماء، ومن يومها لم يهدأ العلماء ولم يركنوا الى الدعة بل شمروا عن سواعد الجد ودرسوا الظاهرة وبذا عرفت اشعة الليزر **LASER** وهى كلمة قد لا تعنى شيئا فى قواميس ومعاجم اللغة الانجليزية الصادره قبل عام ١٩٦٠ سوى فصيلة من نبات وعشب ينمو على قمم الجبال اما اليوم ومنذ ثلث قرن تعنى فى عرف العامة اشعة الموت وفى عرف العلماء تعنى الشىء المفيد والنافع والصالح فالموت وإن كان شقا منها فإن الحياة لها نصيب وافر منها.. الاتصال بين القارات.. قياس الابعاد.. تشريح جرثومة.. تحليل المواد والمعادن.. قطع كتل من صلب ما كانت تقطع بالطرق الميكانيكية.. الخ.

والآن دعنا نلقى الاضواء على بعض الجوانب المبهرة فى استخدامات الليـزر. . ففى ايامنـا هذه لم يعد الجراحون يترددون لحظة فى استخدام اشعة الليزر بدلا من المشارط فى شق مكـان الجراحات واستئصال الاجزاء المريضة أو الزائدة بدءا من استئصال الاورام الحميـد منهـا والخبيث فى أى مكـان من جسم الانسان حتى التى استحال اجراؤها فى الفترة الماضية مثل ازالة انسداد الشرايين والتى كان من المستحيل اجراؤها بالمشارط المعدنية مما فتح امام الاطباء طرقا للعلاج لم يكونوا يحلمـون بها فى يوم من الايام لذا بدأ الجـراحـون جراحات باهرة مثل لحم الانسجـة الـرقيقـة وازالـة التشوهات الطبيعية فى الجلد وتوصيل الاعصاب المقطوعة. . إلى جانب علاج انفصال الشبكية وازالة المياه الزرقاء. . لذلك اصبحت المشـارط الضـوئيـة الليزرية احـدى الادوات الهـامـة فى غرف الجـراحـة فى معظم مستشفيات العالم التى تتصف بالسمعة والمستوى ايا كان موقعه.

وتجرى البحوث الآن على قدم وسـاق لحسم التأثيرات الاسـاسيـة للاشعة على العمليات البيولوجية فى الجسم أو القضاء على الخلايا الرطائية عنـد بدء تكـونهـا بفضـل. . اولا: اكتشافها بالتصوير الحرارى ثم حرقها باستخـدام اشعـة ليزر عديمة اللون تصـدر عن اجهزة خاصة مزودة بغاز ثانى اكسيـد الكـربـون. . ولا يزيـد تغلغله فى الخـلايـا عن بضـع اجزاء معدودة من الف جزء من المليمتر مما لا يتلف الانسجة السليمة القريبة. . فى حين تستخدم اشعة الليزر من مصادر غاز الارجون فى ازالة الوان الوشم التى يعانى منها كثيرا بعض الناس.

كل هذا لا يقلل ما تشير اليه الـدراسات الحديثة من امكان اجراء العمليـات الجـراحية دون اجراء فتح بإدخال شعيرات من الالياف البصرية حاملة الاشعـة إلى الجـزء المطلوب علاجه مما يمنع أى احتمالات التلوث أو النـزيـف حيث لا يلامس شىء منطقـة الاصـابـة حتى اصبحت جراحـات الليـزر عمليـات يومية روتينية. . ومع هذا فلا زال المستقبل يحمل الكثير والمثير والمفيد من الليزر والطب(١).

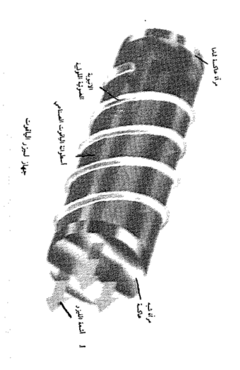
وبعيدا عن العـلاج والاوجـاع والاورام والمشـارط والمـلابس المعقمة نجـد اشعـة الليـزر قد احدثت ثورة تكنـولـوجيـة بعيدة المدى. . من كان يصدق فى يوم من الايام دعوى تباعد القارات وزحزحة البلدان عن بعضها البعض التى هى امر واقع اثبته العلم وتم قياس المسافات بدقة متناهية من على ظهـر مرآة وضعت على احـد اجنـاب مكوك الفضاء. . واطلق من الارض شعـاع ليزر من احد المراصد وانعكس الشعـاع ومنه حسب العلماء حسبتهم واكدوا اموراً علمية ما طافت يومـا بخيـال إنس أو جان. . مما دعا احـد كبار العلماء إلى القول اذا كان اختراع الآلة البخارية عام ١٧٦٩ قد غير وجه الحياة واكتشاف الكهرباء عام ١٧٩٠ قد انار الأرض ففى اعتقادى



جهاز ليزر قوي يعمل بغاز ثاني أكسيد الكربون يقوم بقطع المعادن

أن دنيا الليزر قادمة لا محال بها لا عين رأت ولا اذن سمعت.

واذا كنا اليوم نستطيع تقديم لمحة «لقـراء المنهـل» عن هذه المجـالات المزهلة فإن ملاحي الطيران الأسرع من الصـوت يستخدمون اليوم اجهزة ملاحيـة تعمـل بالليـزر وتصل دقتها درجة متناهية.. وفي مجال المواصلات تقـوم اجهـزتـه بنقـل المعلومـات والمحادثات التليفونية بسرعة البرق عن طريق حزم من الالياف الزجاجية.. ولـو قلنا إن احدى الجرائد اليومية في المملكة العربية السعودية أو في أي من الـدول العربية يصدر طبعه يوميه من عشرين صفحة على مدى مئة عام أو حتى نصف قرن ويريد الاحتفاظ بها إلى جانب المـادة التحـريرية والخبرية



والصور الاصلية في ارشيف الدار فإنها سوف تحتـاج الـى مخازن خاصـة وارشيف خاص منظم بطريقه تسمح باستعـادة المادة المطلوبـة في دقـائق معـدودة.. امـا اليـوم فتدخل اجهزة التصـويـر بالليـزر لتحول هذا الكم المـتراكم من الـورق والمطبـوعـات والنشـرات إلى مجرد اقـراص مثـل اقـراص الجرامافون كل قرص يحتوى على عدة ملاييـن من الكلمات مترتبة ومصورة وفق شكلها الاصلي وما على المستخـدم سوى الضغـط على ازرار خاصـة بسيطـة العدد لتأتي له صور المجلة بكل صفحاتها منذ نصف القرن واذا تواكب هذا مع حاسبات الكترونية تخزن معلومـاتهـا على اقراص ليزرية وتطبع مخرجاتها بطوابع الليزر فحدث ولا عجب عن سرعة تدفق المعلومات وكثافة تخزينها.

وعـن الاتصالات الهاتفية بالليزر قامت الولايات المتحدة الامريكية عبر خطـوط من الاليـاف البصرية بلغت اطـوالها قرابة ثلاثين الف كيلومترا في انحـاء مختلفـة من البـلاد احـاطت بمنطقـة لوس انجلوس حيث جرت الالعـاب الاوليمبيـة لعـام ١٩٨٤ ميـلاديه ونقلت كل رسائل المراسلين إلى مختلف انحـاء العـالم عبر قمر صناعي محدد المكان قام ببثها إلى جميع ارجـاء العـالم. وتعتمـد تكنـولـوجيـا الاليـاف البصـرية على نقل موجات الليزر عبر شعيرات مرنة مثل الخيوط في سمكهـا وبـذا ينتقـل الضـوء المحفر بالاشعـاع المـدعـو ليـزر عبر مسالك منفرجة وعبر الزوايا والمنحنيات وكأنه رصـاصـة تنزلق خلال نفق هوائي لا يعيق تقدمها شيء.

□□

أشعة الليـزر احدثت ثـورة تكنولوجية بعيدة المـدى.

□□

والليزر كان له الفضل في ابتكار وسيلة تصـويـر غاية في الغرابة اطلق عليها العلماء اسم «الهولوجرافي».. أو التصـويـر المجسم ثلاثي الابعـاد، وحتى اقرب للسادة القراء الموضوع، ففي احـد معـارض التصوير الدولية بالمـانيـا الغـربيـة منـذ سنتيـن عرض باحدى القاعات صورة ليزرية لمركب بحـري قديم وكـان الـزحـام حول الصورة على هيئة دائرة مكدسة كيوم الحشر، الكـل يرى السفينـة بكامل تفـاصيـلهـا من الامـام والخـلف والاجناب وقد حاولت كما حاول غيري الامسـاك بها فارتدت ايادينا خاوية لم تمسك بشيء وكيف تمسك شيئا وهي الـتي تكـونت في الفـراغ من مجرد شعاعي ليزر احدهما اجبر على المرور عبر صورة شفـافـة للمـركب والآخـر انطـلق من باعث الليـزر دون مرور على شيء.. وهنـاك التقت الاشعة وكونت صورة مجسمة غاية في الدقة.

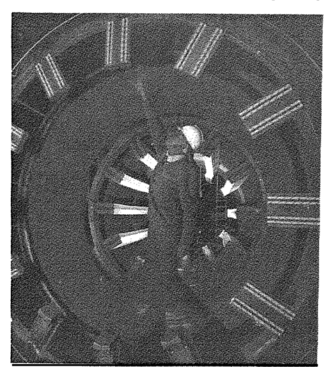
وبالطبع لم يترك العلماء الامر عند هذا الحد بل استخدم التصوير بالليزر.. هولوجرافى فى بناء فكرة التليفزيون المجسم.. والسينما المجسمة.. كما صوروا بها كنوز المتاحف العالمية ونقلوها للعرض امام الناس فى كل انحاء العالم دون مشقة ذهابهم إلى حيث تعرض.

وموضوع التصوير بالليزر متشعب وطويل فدعونا نفرد له موضوعاً خاصاً اذا أذن رئيس التحرير(٢). ونعود الى الليزر مرة اخرى فى مجال الكلمة المطبوعة فقد اصبحت آلات النسخ بالليزر مفخرة الطباعة وتقوم الماكينات بخلق الانماط والاشكال الطباعية باستخدام مصادر اشعة ليزر يتحكم فى حركتها آلات حاسبة شديدة التعقيد والدقة وبذا تأتى باعظم واغرب انواع الطباعة.

وفى مجال الانسان الآلى - الروبوت - فإن الليزر يساعد الآن على صناعة اجيال متطورة من الروبوت.. فى اليابان والولايات المتحدة الامريكية يقوم العلماء حاليا بصنع إنسان آلى يعمل بالليزر ويمكنه القيام بمهام لم يكن الانسان يحلم يوما بتحقيقها مهما كانت دقتها وصعوبتها بدون حدوث ملامسة محسوسة مثل السحر الذى تحدث عنه الاقدمون منذ آلاف السنين.. وفى وقت

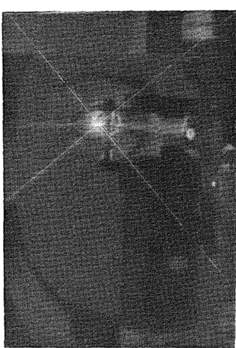


مقاومة الجريمة وفحص البصمات بالليزر

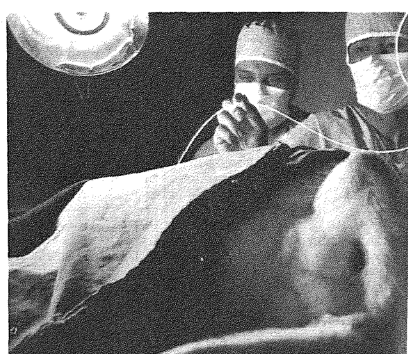


مفاعل نووى ضخم يعتمد على تدفق اشعة الليزر.

قريب جدا سوف يسيطر الليزر على المنشآت النووية ومحطات توليد الكهرباء النووية مما يعفى الانسان من مخاطر التعرض للاشعاع إلى جانب اقامة نظم ضخمة لابحاث الاندماج النووى بحيث يمكنه تسليط سيل من الطاقة الرهيبة التى ستبلغ قوتها ما يزيد عن ١٠٠



ازالة الماء الازرق بالليزر.



جراحة باستخدام اشعة الليزر لازالة انسداد الشرايين

ترليون واط.

ولن نتعرض لموضوع حرب الكواكب واستخـدام الليـزر من هذه الحـرب المستقبلية وندعو الله للعالم بالسلام.. ولـو ساد السلم بين النـاس والامم فسـوف يصبح من الممكن دفع اشعة الليـزر إلى قيعان البحار والمحيطات من خلال كابلات واسلاك ضخمة وعملاقة من الالياف البصرية لاقامة مزارع ومدن من الاعماق السحيقة.. وكذلك سيصبح فى الامكان استخراج ثروات القيعان من حديد وفوسفور.. ومنجنيز ومعادن ثمينة.. تثرى الحياة على الارض وترفع من شأن الناس.. كما سيمـد سكـان مستعمرات قيعان البحـار والمحيطـات اهـل الارض بالاسـماك والمـواد الغـذائيـة التى سيصبحون فى مسيس الحاجة اليها.

ويـبـقـى السؤال الآن

■■ هل فكر كُتّاب الخيال الذين سبقوا بخيالهم عصرهم فيما سوف تقدمه اشعة الليزر؟

الاجابة..
لا اعتقد..

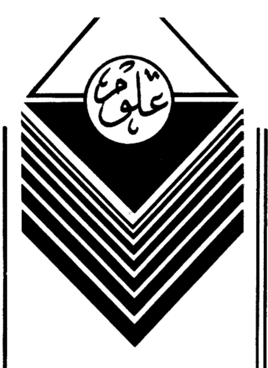
ولا يبقى سوى ذكر قول الحق سبحانه وتعالى:

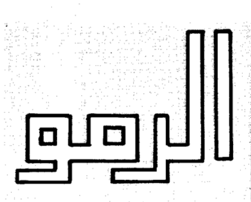
﴿وعلمـك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾.

---

(١) «المنهل».. لقد أخذنا فى المملكة العربية السعودية ـ المستشفى التخصصى بالرياض ـ بهذا العلم.. وبحمد الله امتلكنا زمامه على يد نخبة من أبنائنا الأطباء.. وبتنا رواداً فيه ونجباءً فى استعمالاته والاستفادة منه مباشرة.

(٢) «المنهل».. على الرحب والسعة لما يثرى ويفيد على أن يكون فى شكل استطلاع مصور تتسع قاعدته.







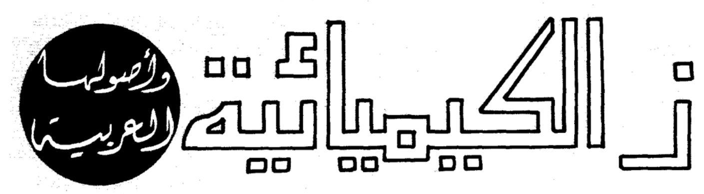


مقدمة :

الكيمياء علم أتى من الشرق.. تلك حقيقة من حقائق التاريخ المسجلة التى لا شك فيها فهو من العلوم التى تدين المعرفة الانسانية بها للشرق أدناه وأقصاه ما بين مصر القديمة وبابل والصين والهند. ولعله فى مصر القديمة كان أرقى شأنا لارتباطه الوثيق بشيئين من أخص ما تتميز به الحضارة المصرية القديمة وهما التحنيط والتعدين.

وإذا كانت الكيمياء ذات جذور شرقية موغلة فى القدم فانها قد استوت علماً بفضل العرب.. له ما لسائر العلوم من أسس وفلسفة تقوم على التجربة والنتيجة.

ولسنا فى معرض تعداد مآثر العرب على هذا العلم بما ابتكروا فيه وما أضافوا اليه فكل هذا معروف ومشهور ومسجل فى تاريخ العلم، ومما يدعو الى الأسف أن أول من سجلوه كانوا من غير بنى العرب ومن المستشرقين خاصة.. ولقد وعينا ـ للأسف أيضا ـ سبق الأجداد وفضلهم



على مثل هذا العلم وغيره من العلوم نقلا عن هؤلاء المستشرقين .

ولكن سوف نتعرض هنا لأمرين نراهما جديرين بالاهتمام أحدهما يتأرجح فى الجدل بين الشك واليقين أو بالأحرى بين الاثبات والنفى فى نسبته الى العرب، وهو أصل كلمة «الكيمياء» وثانيهما قد أغفل ذكره من قبل الباحثين فى تاريخ العلم وهو سبق العرب فى ابتكارهم للرموز الكيميائية .

وربما يظن القارىء أنهما من المواضيع المتفرقة التى يجمعها علم واحد فلا صلة بينهما سوى كونهما ضمن اطار ذلك العلم غير أنه سوف يتضح فيما بعد أنهما أوثق قربى وأدنى صلة .. بل انهما وجهان لعملة واحدة يؤكد كل منهما الآخر ويثبت أصله العربى .

أولا : الكيمياء .. كلمة عربية :

قد لا يعلم الكثيرون أن «الكيمياء» كلمة عربية فصيحة ليست معربة ولا مولدة وان ظنها البعض كذلك وشاع هذا الظن حتى درج مدرج الحقائق وهو خطأ قد وقعوا فيه سواء أكان عن هوى فى النفس أو عن عدم التوفيق فى الاجتهاد فى الرأى والبحث ولكنها - على كل حال - من أصح الكلام وأبلغه فى اللغة الفصحى فى معناها ومبناها .

والكيمياء شأنها شأن الكثير من الألفاظ التى يشك فى نسبتها الى لغة من اللغات هى أحوج ما تكون لبعض قواعد فقه اللغة وتحديدا لما يتعارض عليه علماء فقه اللغة بالتأثيل والترسيس .

و«التأثيل» هو علم أصول الألفاظ وهو مشتق من «الاثل» بمعنى الأصل وهو اصطلاح معروف يقابل Etymology

○○

الكيمياء ذات جذور شرقية موغلة فى القدم .. استوت علما بفضل العرب .

○○

أما «الترسيس» فهو رد الألفاظ الى بداياتها وهو مشتق من «الرس» بمعنى البداية ويقابله مصطلح Radixation (١)

فمن ناحية المعنى قد اشتقت «الكيمياء» من لفظة عربية وهى «كمى» أى ستر وأخفى، يقول محمد بن يوسف الخوارزمى (٣٨٧هـ) فى كتابه «مفاتيح العلوم» فى الفصل الأول من باب الكيمياء «اسم هذه الصناعة الكيمياء وهو عربى واشتقاقه من كمى يكمى اذا ستر وأخفى ويقال كمى الشهادة يكميها اذا كتمها»(٢).

واذا كان المعنى الذى اشتقت منه أصل كلمة الكيمياء قد يغاير أو قد يأتى مخالفا لمعناها كمصطلح علمى أو مدلول يدل على ماهيتها فليس هذا بالأمر الشاذ فذلك مما يجوز فى التطور اللغوى، بل تفرضه أحيانا اشتقاقات المجاز نفسها فتتولد استعمالات جديدة ودلالات مغايرة لما هو فى الأصل، فمثلا «احتج» فى لغة هذه الأيام تأتى بمعنى

«استنكر» وهو مخالف للاستعمال اللغوى القديم فقد ذكروا احتج بالشيء.. اتخذه حجة ليس غير. (٣).

فضلا عما يتمخض من اشتقاقات المجاز من معان مولدة قد تبعد كثيرا أو قليلا عن المعنى المشتق منه أصلا. فمثلا المسافة (البعد أو الطريق) أصلها من الشم أى الاستياف وهو أن دليل القافلة اذا ضل فى الفلاة أو أراد أن يتأكد من مكانه أخذ حفنة من التراب وشمه اى استافه فيعلم أنه على هدى أو ضلال ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى سموا البعد «مسافة» . (٤).

ولعل المعنى قد ينطبق على القائمين بهذه الصنعة - الكيمياء - لما راج حولها أول الأمر من خرافات وأشيع عنها من أمور أقرب الى الشعوذة والسحر كتحويل الأشياء وقلبها مما جعلهم يؤثرون التخفى والاستتار.

ومما يؤيد هذا القول ايثارهم الرمز والغموض فى كتاباتهم كما سنفصله فيما بعد.

وأما *من ناحية المبنى - أى بنية الكلمة نفسها - فتأتى فى مقام ترجيح الأصل العربى للكيمياء، ففى بحث لغوى عن نسب كلمة «الكيمياء» للعلامة الأب أنستاس مارى الكرملى جاء فيه «وأما من جهة النسبة فان بعضهم اعتبر الكلمة معربة وأحرف المعربات كلها أصول، فاذا كانت كلها أصولا أعتبرت الهمزة أيضا أصلا، فاذا نسب الى الكلمة بقيت الهمزة على حالها بلا تغيير ولا ابدال فيقال (كيميائى) على هذا الرأى.. لكن نسى هؤلاء النسابون الوزانون أن ليس فى لغات العالم كلها اسم منته بألف وراءها همزة.. الى أن يقول - وبعد هذا التصريح القائم على أسس النحو ودعائمه لم يبق شك فى أن الكيمياوى والكيماوى من أصح الكلام وأقومه وأصدقه رواية وموافقة لكلام الفصحاء والبلغاء» .* (٥).

واذا *كانت خاتمة الكلمة - أى الهمزة المسبوقة بالألف فى الكيمياء - تقوم وحدها دليلا على نسبتها الى العربية فاننا نسوق فاتحة الكلمة كدليل من أدلة الرجحان والتأكيد فى نسبتها الى اللفظ العربى الفصيح ويعنى بفاتحة الكلمة «ال» التعريف هنا والتى تتميز بها اللغة العربية تدل أوضح الدلالة وأقواها على أصلها ونسبها فى لغة الضاد.*

ولعله من الأدلة التى لم يفطن اليها من يراوده شك فى أن الكلمة عربية محضة هو أن الكثير من الكلمات العربية المتعلقة بالكيمياء والتى هى وسائل الكيميائى وعدته فى مختبره قد تسربت الى جميع اللغات ولازالت باقية على حالها تدل «ال» التعريف المسبوقة بها على أصلها العربى كالكحول (Alcohol) والقلى (Alkali) والأمبيق (Alembic) . . . الخ .

والمعنى الوحيد لوجود مثل تلك الكلمات فى لغات العالم أن هذا العلم قد نقل عن العرب باللفظ والمحتوى.

ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض المراجع الأجنبية قد حددت تاريخ تسرب كلمة «الكيمياء» من العربية الى الانجليزية تحديدا ما أورده (Walt Taylor) فى كتابه (Arabic Words in English) فقد رصد تاريخ دخول الكلمة من العربية الى الانجليزية وحدد عام ١٣٦٢م تاريخا لدخولها(٦).

ثانيا: الرموز الكيميائية.

لم تأخذ الرموز الكيميائية وكيف بدأت حظها من البحث والتحقيق اللائقين بها فأغفل ذكرها الباحثون فى تاريخ العلم عدا ما جاء عرضا فى سياق سير وتراجم بعض الكيميائيين.

والرموز الكيميائية - كفكرة - لم تكن من ابتكار علماء الغرب بل ان لها من الأصول العربية ما هو أحرى أن يسجله تاريخ العلم مهما غاب أو توارى عن أعين الباحثين حتى وان كان الأصل العربى يبعد كثيرا أو قليلا عن شكلها ومضمونها الآن، ولكن الفكرة الرائدة غير المسبوقة مهما كانت تلك الفكرة لها مالها وعليها ما عليها

تبقى رائدة فى بابها ويبقى لها فضل السبق والريادة فهى أولى بالذكر والتسجيل فى تاريخ العلوم فلا زلنا نقرأ حتى الآن فى مراجع الكيمياء والفيزياء فى معرض الحديث عن النظرية الذرية الحديثة تلك المقدمة التاريخية عن بداياتها فى ذهن «ديموكرتيس» وأضرابه من الفلاسفة وأرباب الحكمة اليونان.

والرموز الكيميائية ـ عند العرب ـ قد قصد بها الابهام والتعمية فلم يكن من الغريب وقتها أن يلجأ المشتغل بها الى المعميات بدلا من المسميات والغموض بدلا من الايضاح لما حاق بالكيمياء فى بادىء الأمر من سوء ظن وما راج عنها كما أسلفنا من أمور تتصل بالسحر والخرافات وهذا أيضا مما يفسر صحة عربية الكلمة باشتقاقها.

ولندع اثنين من أقطاب هذا العلم يتحدثان عن الرمز فى الكيمياء.

يقول الطغرائى العالم الكيميائى والشاعر المشهور فى رسالته «حقائق الاستشهاد»: «ان كتب القوم موضوعة على رموز لا يعرف رمزها الا من أخذ منهم وأتقن الاطلاع عليها بالدرس الطويل والفكر الصحيح»(٧)

ويبرر جابر بن حيان ـ العالم الأشهر فى الكيمياء ـ كتمان هذا العلم «واعلم أن من المفترض علينا كتمان هذا العلم وتحريم اذاعته لغير المستحق من بنى نوعنا والا نكتمه عن أهله لأن وضع الأشياء فى محالها من الأمور الواجبة ولأن فى اذاعته خراب العالم وقد رأينا الحكمة صارت فى زماننا مهددة البنيان لا سيما وطلبة هذا الزمان من أجهل الحيوان وقد اجتمعوا على المحال فانهم ما بين سوقة وباعة وأصحاب دهاء وشعوذة لا يدرون ما يقولون». (٨)

ويلخص محمد بن يوسف الخوارزمى ما اصطلح العلماء والمشتغلون بالكيمياء عليه من رموز كيميائية فيقول فى «مفاتيح العلوم».

«ويكنى أرباب هذه الصناعة (يقصد الكيمياء) فى الرموز عن الذهب بالشمس وعن الفضة بالقمر وعن النحاس بالزهرة وعن الأسرب (الرصاص) بزحل وعن الحديد بالمريخ وعن الرصاص القلعى (القصدير) بالمشترى وعن الخارصينى بعطارد». (٩)

وإذا كانت هذه الفكرة البدائية عن الرموز الكيميائية تبدو بعيدة عن الرموز الكيميائية المعروفة لدينا الآن فاننا نجد وبعد عدة قرون من هذه الفكرة والتى على الأقل لا تخلو من وجه شبه بين العنصر ورمزه حيث يتمثل هذا الشبه فى لون العنصر أو ما يعرف فى علم الكيمياء بالبريق الفلزى.. وبين لون الأشعة الصادرة عن السيارات والكواكب التى رمز بها، نجد فكرة أشد غرابة وسذاجة ـ رغم فارق الزمن الهائل ـ وهو ما توصل اليه العالم الانجليزى دالتن (١٨٤٤م) حيث عمد الى رسم مربعات ومثلثات وأشكال هندسية مختلفة رامزا بها لبعض العناصر عند ما كان يحاول تصور تركيب الهواء الا أنه قد توسع فى هذه الفكرة فيما بعد فى محاولة أخرى منه لرسم صور ذرات العناصر المختلفة فرمز لكل ذرة عنصر بكرة، ولما كانت ذرات العناصر تختلف باختلاف العناصر نفسها فقد تعددت أشكال كراته بخطوط أو نقاط أو حروف رسمها داخل تلك الكرات

غير أن الرموز الكيميائية لم تتخذ شكلها الحالى الا على يد

العالم الروسى منديليف (١٩٠٧م) عندما كان يرتب بطاقات العناصر المختلفة ـ وقد سجل فيها كل المعطيات العلمية المتاحة له عن كل عنصر ـ ترتيبا تدريجيا حسب الأوزان الذرية لتلك العناصر فى سبيل ايجاد العلاقة بين خواص العناصر وأوزانها الذرية والتى صاغها فى جدوله الشهير المسمى باسمه حتى الآن.

ان الأفكار الرائدة غير المسبوقة ـ مهما بعدت عما هى عليه الآن ـ يجب ألا نغفل نسبتها الى روادها والا نغمط أصحابها فضل السبق. . ومن أوجب الواجبات أن تتصدى لأى اشاعة موهومة قد تطغى على الحقيقة المتوارية فتسرى مسرى الحقائق والمسلمات فتثبت فى الأذهان بمرور الوقت وتصبح بالتالى جزءا من تاريخ العلم ان لم يكن هناك من بفندها أو يظهر الحقيقة من مكامن النسيان والا أصبح البحث فيها من فضول الحديث ولغوا لا طائل منه.

---

(١) دراسات فى فقه اللغة، د/صبحى الصالح، ص٣٤٨.

(٢، ٩) مفاتيح العلوم، محمد بن يوسف الخوارزمى ص١٩٣، ص١٩٤.

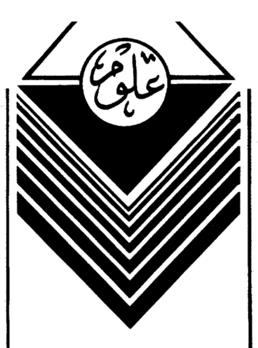
(٣) اللغة والحضارة، د/ابراهيم السامرائى، ص٤٠.

(٤، ٦) عبقرية العرب فى لغتهم الجميلة، د/محمد التونجى ص١٢٧، ص٥٧.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الخامس الصادر فى أكتوبر سنة ١٩٤٨، ص١٠٠.

(٧) حقائق الاستشهاد للطغرائى ـ تحقيق د/رزوق فرج، ص٥٢.

(٨) جابر بن حيان، د/زكى نجيب محمود، ص٢٥ نقلا عن الجلدكى فى شرح المكتسب



التقنية هى هاجس العالم اليوم.. وامتلاكها أصبح ضرورة ملحة من ضرورات الحياة ذاتها.





ان مصطلح «الدول النامية» يطلق عادة من قبيل التأدب على الدول غير الصناعية التى لا يتجاوز معدل الدخل السنوى للفرد فيها مبلغ ٣٠٠ دولارا امريكيا، وذلك بالمقارنة بمعدل الدخل السنوى المرتفع الذى يبلغ ٣٫٠٠٠ دورلارا امريكيا او يزيد للفرد الواحد فى الدول الصناعية التى جرى العرف على تسميتها «دولا متطورة أو دولا متقدمة». . ومن الملاحظ ان معظم الاقتصاديين غير التابعين لهيئة الامم المتحدة يطلقون على الدول النامية دونما حرج تسمية «الدول المتخلفة» مقابل تسميتهم للدول الصناعية بالدول المتطورة او الدول المتقدمة او الدول القوية.

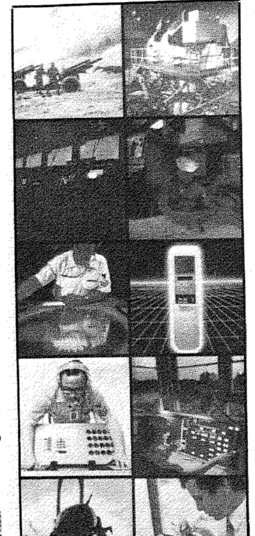
والفرق بين التقدم والتخلف أو القوة والضعف لا يزال يقاس فى اغلب الاحوال بمعيار معدل الدخل السنوى للفرد على الرغم من انه قد يكون معيارا مضللاً فى

الدول النامية و ...

ـواذ على التكنولوجيا

بعض الحالات. وسبب ذلك هو ان هذا المعيار كان الى عهد ليس ببعيد مؤشرا فعليا على مدى التطور والقوة لبلد ما. ذلك ان الدخل المرتفع كان ناتجا عن تمكن مواطنى الدول المتطورة فى الصناعة والاختراع والابتكار مضافا الى ذلك بطبيعة الحال سلامة الاسس الاخرى التى يقوم عليها النشاط الاقتصادى والبنيان الاجتماعى فى هذه الدول الصناعية. وهذا هو ما يشكل فى مجموعه قوة هذه الدول وقدرتها الذاتية المتجددة.

وبعد أن أفاء الله بالثروات عن طريق المصادر الطبيعية على عدد من الدول النامية واصبح معدل الدخل السنوى للفرد فيها يوازى او يزيد عما للفرد فى الدول المتطورة فان هذا المعيار قد فقد بعض قيمته كمؤشر على مدى التطور الصناعى والتقنى والنشاط الاقتصادى الذاتى وبالتالى على مقدار القوة والقدرة الذاتية التى يتمتع بها البلد. واصبح على الباحثين ان يقوموا بتحليل اعمق لمكونات معدل الدخل السنوى للفرد كى تكون استنتاجاتهم اكثر دقة.



واهمية التدقيق فى مكونات معدل الدخل السنوى تنبع من أن للكثير من الدول سواء المتطورة او التى فى طريقها الى التطور اهدافا عليا تسعى الى تحقيقها. واذا أراد الباحث ان يعرف هل يستطيع بلد ما ان يحقق اهدافه العليا او لا يستطيع فانه يبحث فى حقيقة القدرة الذاتية التى يمتلكها ذلك البلد. فما هى حقيقة القدرة الذاتية واهميتها فى تحقيق هذه الاهداف العليا؟.

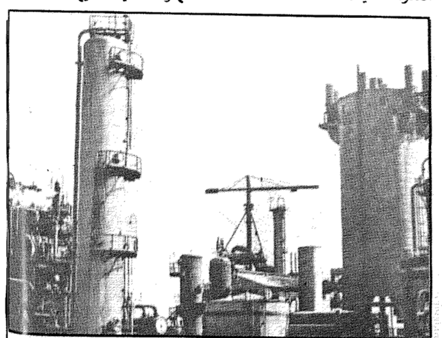
إن الدول إذ تسعى الى تحقيق اهدافها فانما هى فى الواقع تمارس قدرتها على تحقيق ارادتها

الخاصة بها. وقد لا تجد مندوحة من فرضها فرضاً فى بعض الظروف التى تتعارض فيها الارادات. ولما كان تحقيق تنفيذ الارادة يقتضى توفر قوة فاعلة تسنده ولما كان الواقع يثبت انه اذا لم تكن هذه القوة نابعة من قدرة ذاتية فإن اى قوة مستمدة من غير القدرة الذاتية ليست قوة فاعلة ولا تساعد على تنفيذ الارادة تنفيذا كاملا وبالتالى فان الاهداف العليا سيصعب تحقيقها، وهذا يعنى الاخفاق.. والواقع يثبت ايضا ان القدرة الذاتية تنبع من رسوخ عدة قواعد يقوم عليها البنيان للدولة ككل ومن اهمها القاعدة الصناعية الوطنية الذاتية النمو والتطور. وهذه القاعدة بدورها لا يمكن ان تقوم الا بمبادرة جريئة ومكلفة من قبل الدول النامية للاستحواذ على التقنية استحواذا حاسما وسريعا وبنّاء.. ولكن ما هى التقنية؟ وكيف تستحوذ بشكل حاسم وسريع وبنّاء؟ سنجيب على هذين السؤالين بالقدر الذى يسمح به المجال فى هذه العجالة.

التقنية هى القدرة المتمكنة المستمدة من تلقى العلوم والتمرس فى استخدامها وتطبيقها على ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية وصيانة واصلاح وصنع واختراع وابتكار وتطوير المعدات الصناعية. وتعريف التقنية بهذا الشكل يجعل مفهومنا لها يتخطى الكثير من التعاريف السطحية لها وينقلها الى اهم الوظائف التى يمكن ان تؤديها وهى التمكن من الصنع والانتاج والاختراع والابتكار للمعدات الصناعية من قبل المواطنين والدخول الى افاق الصناعة الارحب.

والتقنية اذا لم تفهم بهذا المعنى الواسع فان اى استحواذ عليها بدرجة اقل من ذلك لن يؤدى الى امتلاك القدرة الذاتية بل سيكون مجرد اكتساب للخبرة فى ادارة وتشغيل المشاريع والمعدات الصناعية التى تنتجها القواعد الصناعية والتقنية لأمم اخرى. واى شىء كهذا قد يكون مفيدا من اوجه اقتصادية وتجارية اخرى ولكنه ليس مصدرا من مصادر القوة أو القدرة الذاتية.

وهناك خمسة مراحل لابد من المرور بها جميعا خلال عشرين عاما فقط ليمكن الاستحواذ على التقنية بهذا المفهوم الواسع وهى: مرحلة تحقيق القدرة على ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية، ومرحلة تحقيق القدرة على الصيانة واجراء العمرات العمومية، ومرحلة تحقيق القدرة على صنع بعض الاجزاء والمعدات الصناعية، ومرحلة تحقيق القدرة على الصنع الكامل للمعدات الصناعية واخيرا المرحلة الخامسة التى يستطيع فيها العلماء والتقنيون الذين ظهروا وبرزوا من خلال المراحل الاربعة السابقة، ان يبتكروا ويخترعوا فى مختلف المجالات الصناعية. كل هذا يجب ان يتم خلال عشرين عاما فقط وهو أمر ممكن اذا مما خطط له تخطيطا محكما ونفذ تنفيذا سليما.



○ صناعة الأسمنت وتعتبر المملكة البلد الأول بين دول الخليج العربي

واذا كان دور الاستحواذ على التقنية كعامل هام فى التطور امراً معروفا من قبل الكثيرين على اختلاف مفهومهم لها فان الوسيلة الكفيلة بالاستحواذ على التقنية بالشكل الحاسم والسريع والبناء المؤدى الى بناء القاعدة الصناعية الوطنية التى تدار وتشغل ويصنع فيها ويخترع ويبتكر من قبل المواطنين خلال عشرين عاما فقط لم تكن معروفه معرفة واضحة من قبل. كما ان العلماء والكتاب قد اختلفوا كثيرا فى هذا الموضوع فمن قائل بقصر هذه المهمة الصعبة على الوسائل التقليدية للتعليم التى تتمثل فى الجامعات والمعاهد المهنية والتدريب فى المشاريع المشتركة والبعثات الخارجية، ومن قائل بانه ليس هناك طريق قصير للاستحواذ على التقنية وانه لابد من البدء من حيث بدأت الامم الصناعية ولابد من اللجوء اولا الى اقامة مراكز البحث العلمى النظرى الخاصة بالدول النامية. وهناك من يرى انه قد كتب على الدول النامية ان تسير تابعة الى الأبد خلف الامم الصناعية المتقدمة تقنيا وانه كتب على هذا العالم ان يكون فيه شعوب منتجة هى الدول الصناعية وشعوب مستهلكة هى الدول النامية.

ويبدو ان جل هؤلاء الفضلاء يفترضون ان عالمنا المتصارع الى ابتلاع بعضه بعضا سيمهل الدول النامية قرنا أو قرنين من الزمن ويتركها وحالها فى سلام تحبو حبوا وهى تستجدى التقنية من هنا وهناك.. ان الله وحده هو الذى

□□

الدول إذ تسعى إلى تحقيق أهدافها.. فإنما هي في الواقع تمارس قدرتها على تحقيق إرادتها الخاصة بها.

□□

يعلم ماذا سيحدث لهذه الدول خلال قرن او قرنين من الزمان، وهى مدة طويلة وخارجة عن نطاق الاستشراف البشرى للمستقبل، فيما لو تبنت سياسة التدرج البطىء فى الحصول على التقنية وخاصة بالنسبة لتلك الدول المطموع فيها اكثر من غيرها.

فهل كتب على هذه الدول ان تبقى هكذا؟ لا اعتقد ذلك. وقد اصبح من الممكن تحديد وتعيين الطرق الأقصر بدلا من ان نقرر بجرة قلم ان هذه الطرق الاقصر غير موجودة كما فعل البعض.

المنطلق للتفكير هو ان يستحوذ قطاع من المواطنين على التقنية استحواذا حاسما وسريعا وبناء خلال عقدين من الزمن فقط أى انه لابد من ان تنشأ القاعدة التقنية الوطنية الفعالة خلال هذين العقدين وتنشأ معها فى نفس الفترة القاعدة الصناعية الوطنية التى تدار وتصان ويصنع فيها ويخترع بايدى وعقول هذا القطاع من التقنيين المواطنين وبحيث تكون هذه القاعدة التقنية الصناعية الوطنية المكينة نقطة الانطلاق الذاتى الى مجال الصناعة الارحب. فما هى الوسيلة الكفيلة بتحقيق ذلك؟

الوسائل التقليدية التى اشرنا اليها لا تستطيع بمفردها ان تقوم بهذه المهمة وبهذا الشكل. الواقع الملموس قد اثبت هذا فى اكثر من عملية تنموية كما ان الرأى الآخر رغم اهميته على المدى البعيد فهو بطىء فى تقديم المساهمة الحاسمة الملحة شأنه شأن الوسائل التقليدية. كما ان كليهما يتناسى الاستنزاف المستمر من قبل الدول الكبرى المتطورة لمعظم العقول المنتجة من ابناء الدول النامية.

فمن يستطيع ان يحمى نتاج هذه المراكز وهذه الوسائل التقليدية من هذا الاستنزاف او السطو المستمر؟ والرأى الثالث فيه جانب من السلبية لا مبرر له ولا يليق بالشعوب صاحبة الرسالة التى تريد

ان يكون لها مكان راسخ تحت الشمس ودور بارز تقوم بأعبائه حتى لو كانت من الشعوب النامية.

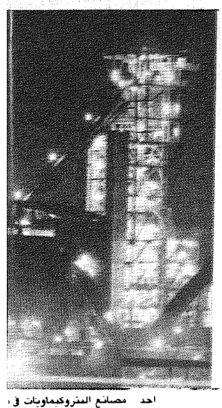
إن السبب فى عدم مقدرة تلك الوسائل على القيام بهذه المهمة بمفردها هو انها تفتقد عنصرا هاما يمكن ان يعزى اليه الاثر الحاسم فى الاستحواذ على التقنية. وهو انه لابد ان يتوفر الارتباط الوثيق بين العلم الذى يتلقى وبين التطبيق العملى لهذا العلم بشكل متزامن وبتنسيق بالغ، وانه لابد من ايجاد المناخ الذى يحقق هذا الارتباط الوثيق ويضمن التفاعل المستمر بين وسيلة نقل العلم ووسيلة تطبيقه على مدى المراحل الخمس التى تنمو فيها القدرة والتقنية وتتطور من مرحلة الى مرحلة ولابد ان يستمر هذا الارتباط والتفاعل دونما انقطاع الى ان تكون القاعدة التقنية الوطنية القوية الذاتية النمو والتطور. هذا العنصر الهام وهو الارتباط الوثيق والمناخ الذى يوفره والتنسيق البالغ والمتزامن لا تستطيع وسائل نقل المعرفة التقليدية ان توفره.

فاذا كان من الممكن ان تكون هناك وسيلة غير تقليدية توفر لنا هذا العنصر المفقود فلم لا نبحث عنها ونحددها؟ واذا وجدنا انها وسيلة بنّاءة فلم لا نتبناها ونستخدمها؟

لقد أجريت ابحاث علمية فى السنوات الاخيرة.. واثبت البحث العلمى ان نوعا من الصناعات الرائدة، اذا ما خطط له تخطيطا دقيقا وانشىء بشكل معين فانه يمكنه ان يقوم بهذه المهمة ويحقق توفر هذا العنصر العام الذى تفتقده وسائل نقل المعرفة التقليدية. هذه الصناعات الرائدة لها خصائص هامة اخرى تدل عليها وتجعلها اكثر كفاءة من كثير من الصناعات الكبرى.. من هذه الخصائص الاتى:

١ ـ انها لا تشكل عبءاً على وسائل نقل المعرفة التقليدية فى خلق القوة التقنية العلمية العاملة بها بل هى توجدها لنفسها وتطورها وستكون رافداً رئيسيا للوسائل التقليدية.
٢ ـ انها ذات قدرة على تزويد او تساعد مساعدة فعاله على تزويد عملية الانماء الصناعى والاقتصادى وهذه من اهم المحاصل التى تبحث عنها الخطط الانمائية.
٣ ـ انها تلبى حاجات حيوية للوطن وان هذه الحاجات الحيوية ذات صفة مستمرة.

٤ ـ انها تحقق استخداما امثل للكفاءة الوطنية النادرة يفوق ما تحققه الصناعات الكبيرة الاخرى.
٥ ـ انها لا تعتمد على مصدر قابل للنضوب بمعنى انها سوف لن تتوقف هى أو المشاريع النابعة منها او التابعة لها بتوقفه.
٦ ـ انها تمتلك المرونة الكافية والقدرة على الانتقال من خدمة غرض معين الى خدمة غرض اخر كلما تطلبت ذلك المرحلة التنموية التى يمر بها البلد النامى.
٧ ـ انها لا تحتاج الى الشريك الاجنبى سواء فى الادارة او رأس المال لان الشريك الاجنبى اذا كان لازما او مفيدا فى مشاريع اخرى فهو فى هذه المشاريع الرائدة المقصود من انشائها الاستحواذ على التقنية يعتبر عائقاً كبيراً لانتقال التقنة الى الايدى الوطنية.. هذا شرط أساسى.


احد مصانع البتروكيماويات فى



وحيث ان الدول النامية تختلف فى الكبر وعدد السكان ومستوى النمو والمطالب فانه من الصعب ان تحدد او تسمى للجميع صناعة رائدة معينة تقوم بهذه المهمة. ولكل بلد نامٍ يريد الاستحواذ على التقنية ان يحدد الصناعة الرائدة او عدداً من الصناعات الرائدة التى يتوفر فيها العمل او العنصر الذى تفتقده وسائل نقل المعرفة التقليدية الذى تم تحديده فيما سبق، وكذلك تتوفر فيها اكثر الخصائص التى تتصف بها الصناعة الرائدة.. الا انه لتشابه عدد من الدول النامية فى الصفات فانه يمكن لكل منها ان يتبنى نفس الصناعة الرائدة التى تتبناها شبيهاتها من الدول الاخرى النامية لتحقيق عملية الاستحواذ على التقنية بالشكل الحاسم والسريع والبنّاء.

ولمعرفة الاسلوب الذى يمكن ان تقوم به هذه الصناعة الرائدة وكيف تنمو القدرة والخبرة التقنية عبر المراحل الخمس نقترح الاطلاع على محاضرات القاها كاتب هذا المقال فى عدة جامعات ومنتديات خارج المملكة وداخلها وكذلك كتابه «صناعة النقل البحرى والتنمية فى المملكة العربية السعودية» وهو باللغة الانجليزية.

لقد كان البحث العلمى يدور حول المملكة العربية السعودية وقد اثبت ان الصناعة الرائدة التى تستطيع ان تقوم بهذا الدور الحاسم هى صناعة النقل البحرى الشاملة. وعلى الرغم من ان هذه الصناعة قد شاهدت تطورا فى المملكة فى السنوات الاخيرة الا ان الملاحظ ان انشاءها وتطورها قد يتم لخدمة اغراض تجارية بحتة وبهذا فلا يمكن لها بهذا الاسلوب ان تؤدى الدور الحاسم فى الاستحواذ على التقنية.

ان حجر الاساس فى هذه الصناعة الرائدة هى المرحلة الاولى فى عملية الاستحواذ على التقنية وما يليها من مراحل. وفى حالتنا

التقنية هى القدرة المتمكنة المستمرة من تلقى العلوم والتمرس فى استخدامها وتطبيقها على ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية وصيانة واصلاح وصنع واختراع وابتكار وتطوير المعدات الصناعية.

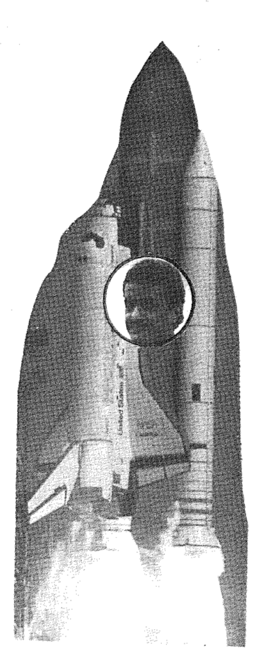
هذه فان المـرحلة الاولى هى نواة تتكون من شطرين متكاملين لابد من انشـائهما فى آن واحد ليتحقق الارتبـاط الـوثيق بين تلقى العلم وتطبيقه والتزامن اللآزم لكل تطوير فى الخبرة الوطنية . . والشطر الاول من النواة هو اسطول سعودى يكّون على مدى عشـرة سنوات من مائة ناقلة او سفينة على الاقل . والشطر الثانى من النواة هو انشاء اكاديمية ذات مستـوى رفيـع لتخـريـج المـواطنـين . . واذا ما تم التنسيق المطلوب بين شطـرى النـواة فانـه بفضل المناخ الذى توفرانه له يمكن تحقيق الارتبـاط الـوثيق بين تلقى العلم وتطبيقه والتزامن اللازم لمثل هذا الـتـلقـى والـتطـبـيق وتحقيق النشـاط الهـائـل فى الابحـاث والتجارب العلمية والتطبيق فى كلا شطرى النواة .

إن هذه الصنـاعـة قادرة عبر المراحل الخمس للنمو التقنى التى سبـقت الاشـارة اليهـا ان تخلق القـاعدة الوطنية الصناعية الفعالة التى تدار وتصـان ويصنـع فيهـا ويخـترع ويبتكر من قبل قطاع من العلماء والخـبراء والتقنيـين والفنيين الوطنيين الذين تقوم هى بتدريبهم وتطوير كفاءاتهم وقدراتهم وهـم كما يلى :

١ - اربعة الاف من العلماء التقنيين .

٢ - خمسة الاف من المهندسين والخبراء التقنيين .

٣ - ما يزيد على عشرة الاف فنى ومهنى .



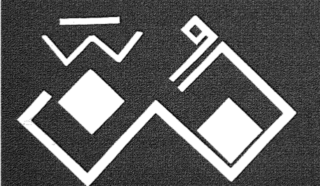
هذا هو مقدار ذلك القطاع من المـواطنـين العلماء والخبراء التقنيين والفنيـين والمهنيـين رفيعى المستوى وعظيمى التجـارب الذى تستطيع صنـاعـة رائـدة واحـدة أن تقدمه كقـدرة تقنيـة وطنيـة هائله خلال عشرين عاما فقط . وهذا دون شك يفوق مساهمة اى وسيلة اخرى فى هذا المجال . واذا توفر قطاع كهذا فان القاعدة التقنية الوطنية النشطة تكون قد تكونت وبرزت مساهماتها الـرائعـة العـديـدة وتكـونت معها القـاعدة الصناعية الوطنية الذاتية النمـو والتطـور لانه بانتهاء السنة العشـرين على اكثـر تقدير تكون هذه القاعدة قد بنت بنفسها عدداً كبيرا من السفن والمحركات المتنوعة والمعدات الصناعية واصبح لها باع طويل فى البحث العلمى النظرى وتطبيقـاتــه . . وأى قدرة تقنيــة صنــاعيــة لها هذه المـواصفـات وتستطيـع القيـام بعمـل كهـذا ستجعــل من الممكن الـدخـول بشكـل فعّـال فى مجال الصناعات القوية التى تستطيع أن تساهم مع صناعات الامم الاخرى فى مجريات الامور فى هذا الكون . قد لا تكون هذه القـاعـدة التقنية قد امتلكت تقنيـة انشـاء سفن الفضاء ولكنها الخطوة الجباره التى لابد منها والتى لا يمكن بدونها مهما فعلنا ان نصعد من الارض الى الفضاء .







النساء.. شقائق الرجال



الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبد الحميد عنبر — جدة



طالما تساءل الجدليون في الشرق والغرب: هل كان أدب العرب عالميا؟ وربما دار التساؤل بين فريق بعد فريق من أهله دون الوصول أو العودة إلى حوافز الجدل والمماحكة التى ابتلى بدائها كثير من المفكرين والكتاب فالمتحذلقون منهم والمتشدقون الذين زودوا ثقافتهم بنتاج مضطرب من أدب الغرب أو تلقوا منه ما لم يجدوا في أدب بلادهم يزعمون أنه لا يجوز له أن يتجاوز آفاقنا ليترجم ويذاع في غير لغتنا أو تؤلف من أجله الكتب والدراسات. وقد فات هؤلاء المتعنتين من الجدليين مقدار ما نقل من أدبنا وتراثنا الى اللغات الغربية الحية في القديم والحديث.

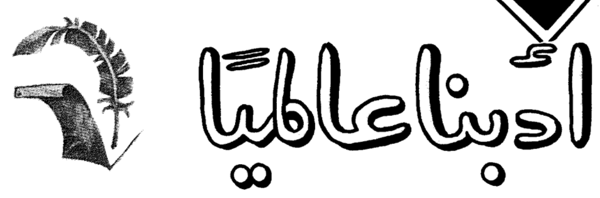
●● على أنى لا أعود الى البعيد من ماضينا الذى ترجمت فيه كتب من أدبنا وتراثنا وإنما أعود الى أعقاب العصر الغابر حين ألف (غوستاف شلومبرجيه «عضو الأكاديمية الفرنسية») أربعة مجلدات ضخاما في أدب العرب وتاريخهم في القرن العاشر للميلاد إذ نقل الى لغته قصائد ابى تمام والبحترى والمتنبى فيما عبروا بشعرهم عن الحرب مع الروم حتى أدهش بصنعه هذا أعلام الثقافة الغربية في زمانه وفي عصرنا الحديث مما لم يجدوا له مثيلا في تصوير الحرب إلا عند كبار الشعراء الذين وضعوا المنظومات الحربية المطولة في أدب الإغريق والرومان وفي أدب الغرب منذ القرون المتوسطة، وحين احتك علماؤهم وأدباؤهم بثقافة العرب والمسلمين بعد الهزيمة الصليبية فانتقلت هذه الثقافة الاصيلة من شرق الحوض الأبيض إلى البلاد الأوربية وأخذ المعنيون بها في دراسة روائعها وآثارها.

وقد احتد الجدل بين النقاد والمفكرين العرب والفرنجة حول النبع الاول الذى استقى منه «دانتى» أروع ما في الكوميديا التى طلع بها على الناس في القرن الثالث عشر فكان كثير منهم يراها مقتبسة من رسالة الغفران للمعرى ويزعم غيرهم بأنها مأخوذة من الانجيل والقرآن، على ان كتاب الله صور النعيم والجحيم بما لا يرقى اليه خيال مبدع لشاعر أو ناثر.

ومنذ عُنِى المستشرقون على اختلاف لغاتهم وآفاقهم بنقل آثارنا الادبية والفكرية الى لغاتهم وقد تناولها بعضهم بدراسات منظمة.. وفي لغتنا التى تعلموها متتبعين آراء المفكرين والمتصوفين ومذاهبهم حتى نشروها في بلادهم وعلى طريقتهم في تنسيق الفهارس والمراجع وإن لم تسلم من الشوائب، وأخرجت المطابع كثيراً من الدواوين لشعرائنا القدامى كعنترة وطرفة وزهير وعلقمة وامرىء القيس ورؤبة وخَلَف الأحمر والوأواء وأمية بن أبى الصلت وغيرهم من الشعراء.

وكان اهتمام المستشرقين بادياً في نشر النصوص الأدبية البليغة وأشتات من المقامات والمعلقات والأمالى القيمة والرسائل اللغوية ومنها مؤلفات الجاحظ والكامل للمبرد ومعجم الأدباء لياقوت الحموى وكليلة ودمنة ومقدمة الأدب للزمخشرى وغيرها كثير من أسفار العرب وأصول ثقافتهم وبيانهم ومصادر تراثهم الذى دل على مشاركتهم القديمة في أدب العالم وحضارته الفكرية والروحية.

أدبنا عالمياً



ولما اشتد التمازج الفكرى والأدبى فى الربع الاول من هذا القرن بيننا وبين الثقافة الأدبية والأميركية فى آثارها وممثليها تفتح الأدب العالمى لنتاج العرب فى هباتهم التحررية والفكرية فنقلت إليه مؤلفات لأعلام الأدب فى مصر والبلاد العربية واستطاع بعض الشعراء منها والكتاب الذين أتقنوا التعبير فى لغات الفرنجة أن يكتبوا فيها وينشروا آثارهم فى بلادها. . وكان من السابقين إلى ترجمة مقطوعات من اللزوميات للمعرى فى الديار الاميركية الأديب الخالد «امين الريحانى» فأحلت ترجمته رهين المحبسين أبا العلاء فى هالة الأدب العالمى وكان الرائد المبدع «جبران خليل جبران» من أبرز الذين عبروا عن مواهبهم وعبقريتهم العربية باللغة الانكليزية فأدهش العالم الجديد بإبداعه وفنه وتأملاته وبخاصة فى كتابه «النبى» الذى ترجم إلى كثير من اللغات الأجنبية.

»

لو أتيحت لآثارنا الفكرية روافد فى دقة الاختيار والترجمة لاقتحم أدبنا مجالات أوسع وأبعد.

«

ولا يترك بعض المفكرين والباحثين من المستشرقين سانحة أدبية أو قومية عند العرب دون أن يشاركوا فى نقل الروائع العربية والاسلامية الى لغاتهم ففى العيد الألفى للشاعر المتنبى عام ١٩٣٦ نشر المستشرق بلا شير الفرنسى قصائد لأبى الطيب كانت تحية منه للشاعر وأدب بلاده التى احتفلت بذكراه.

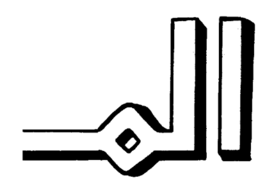
وقد أخذ أدب طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وغيرهم من أدباء العرب سبيله إلى لغات الغرب ومطبوعاته وتلقاها النقاد والكتاب بكثير من الحفاوة والإعجاب ولو أتيحت لآثارنا الفكرية والادبية روافد فى دقة الاختيار والترجمة لاقتحم أدبنا مجالات أوسع وأبعد ولأحل نفسه محل الاهتمام والتقدير فى العالم فإن فيه من خصائص الاصالة والتراث ومن مقومات الفكر والحياة ما يجعله فى طليعة الآداب العالمية التى تصور حقائق الإنسانية وشعورها ومعانيها الروحية والمثالية وتعبر أصدق تعبير عن حياة الشعوب وطبائعها وأشواقها وخلود النوابغ والملهمين الذين جادت قرائحهم ومواهبهم بالابداع وبراعة الاطلاع والتجارب.

ولو عرف المتعنتون من الجدليين غناء الفكر العربى والسليقة الأدبية فيما اعترف به المنصفون من الغربيين لما طال تعنتهم فى الموازنة والمقارنة بين أدب العرب وآداب الأمم. . وإن احتفال الشعوب الغربية بمخطوطاتنا وأسفارنا التى امتلأت بها قصور الكبراء ودور العلم والاستشراق وخزائن الكتب لمن أكبر الدلالات على تأثر الغربيين بآدابنا منذ القديم وعنايتهم بآثارها كما تحتفل فى



عصرنا بأدب العالم على اختلاف صوره ومعانيه فننقل الى لغتنا العربية ما يصل إلينا من كتبه وموضوعاته على تفاوت أرضه وطبائعه وألوانه، وهذا النقل الحديث الذى يشدنا إلى أطراف بعيدة وآفاق واسعة قد غير مفهوم الأدب فى تفكيرنا وشعورنا ووسع منافذه وعمق إحساسنا بالكرامة والحرية.

ولئن كانت النزعات القومية فى أدبنا المعاصر أبرز ما شاع فى صوره وآثاره فإن تجاوبنا مع التطور فى شؤون الحياة بمذاهب الفن والأداء عند غيرنا قد أدخل على نتاجنا العناية القوية بتصوير الخصائص الإنسانية وتحريره من



والحنين إلى

تمتاز المرأة برقة الاحساس ورهافة الشعور، وشدة العاطفة وقد انعكست هذه العواطف والانفعالات على سلوكها اليومى ونتاجها الفكرى ولما كان الشعر هو المترجم الحقيقى لما فى نفس قائله من عواطف وانفعالات فقد جاء شعر المرأة رقيقاً سهلاً يحمل جوانب كثيرة مما تتركب منه طبيعتها فهى ضعيفة إذا ما قيست بالرجل كثيرة البكاء شديدة الحزن إذا ما فجعت بفقد حبيب أو قريب، حريصة كل الحرص على البقاء عند أهلها وبالقرب منهم رافضة للبعد عنهم.

والمرأة تحمل هذا كله مختارة تارة، ومجبرة أخرى، وربما كانت هذه العوامل هى التى أدت إلى أن يسير شعر المرأة فى لون واحد تقريبا هو الرثاء والحزن والبكاء وكانت هى السبب فى تشابه كبير بين أشعار كثير من النساء.

والمرأة تحن لوطنها مفضلة إياه على الزوج وعلى الديار التى تسكنها معه، وهذا يبين لنا عمق اتصال المرأة بوطنها واحساسها الملتاع بالغربة وهذه احداهن تقول:

ألام على نجدٍ ومَنْ يكُ ذا هوى
يهيجُهُ للشوق شيىء يرابعُه
تهجهُ الجنوبُ حين تغدو بنشرها
يمانيه والبرق إنَ لاح لامعُه
ومَنْ لامَنِى فى حبِّ نجدٍ وأهلِهِ
فليمَ على مثلى وأوعب جادعُه

● وامرأة اخرى من تميم (هى العيوف بنت مسعود) تهب عليها الأرواح فتهيج صبابتها ويُبرح الهم فؤادها فتتمنى ألا تهب على صحراء فلج ـ موطنها ـ ريح الجنوب وتود أن يظل هبوبها شمالا، ذلك لأن ريح الجنوب ليست مما يشتهى عندهم وان ريح الشمال هى المشتهاة ثم هى تتمنى أن تحملَ لها هذه الريح نغمه من رمث حزوى (والرمث نوع من الحمض تشتاقه الابل وتحن إلى رعيه) تقول:

اذا هبَّتِ الارواحُ هاجت صبابة
علىّ وبرحا فى فؤادى همومُها
ألا ليتَ أنَّ الريحَ ما حلَّ أهلُها
بصحراء فلج لا تهُبُّ جنوبُها
وآلت يميناً لا تهُبُّ شمالُها
ولا نكبها الا صبا تستطيبُها
تؤدّى لنا من رمث حزوى هديةً
إذا نالَ طلا حزنِها وكثيبُها



الزخرف اللفظي والدراسة السطحية وأخذت فنون الأدب التي استحبها ذوو المواهب والأقلام العربية تعبر بالشعر أو بالقصص والمقالات وسواها عن همومنا وهواجسنا وقلق حياتنا المتجددة واتجاهنا في الكفاح والمعاش.

وإذا كانت آثارنا الأدبية الحديثة التي نُقلت الى لغات العالم معدودة أو مختلفة القيم والالوان، **فإن هذه** البوادر في التمازج الفكري بيننا وبين الشعوب يبشر على **قلته بمستقبل لأدبنا الحديث يمضي به نحو الآفاق** الواسعة التي يشرق فيها الأدب العالمي بما جمعت صوره وآثاره من روائع الفكر والحياة والتجاوب مع الطموح الانساني الذي قفز بحضارة الارض الى النجوم.

مرآة الوطن

● وهذه (ميسول بنت بحدل الكلابية) يتزوجها الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ويسكنها القصور المنيعة وما في هذه القصور من ناعم المأكل والملبس والحيوانات الأليفة ونقر الدفوف والعيش الطريف، لكنها لا تعجبها كل مظاهر الحضارة هذه، بل تحن إلى الخشونة قد أشربتها في دمها وأحاسيسها حتى أصبح مفهوم الوطن الشريف عندها يرتبط ارتباطا محليا بالخشونة في الحياة كيف لا؟

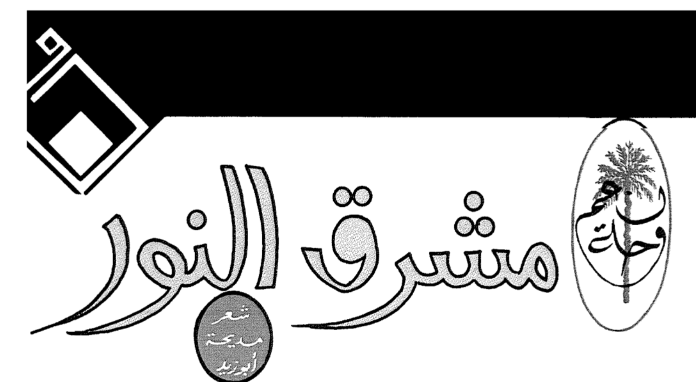


وتلك الحياة حياتها.. وطنها وطفولتها ويفاعتها، أمها وأبوها وأهلها وعشيرتها:

تقول:

لبيتٌ تخفقُ الارواحُ فيه
أحبُّ إليّ من قصرٍ منيفِ
وبكرٌ يتبع الأظعان سغبا
أحبّ إليّ من بغلٍ رفوفِ
وكلبٌ ينبحُ الطُراق عني
أحبُّ إليّ من قِطٍّ أليفِ
ولبسُ عَباءة وتقرَّ عيني
أحبُّ إليّ من لبس الشفوفِ
وأكلُ كسيرة في كِسْر بيتي
أحبُّ إليّ من أكلِ الرَّغيفِ
وأصواتُ الرياح بكلِّ فجٍ
أحبُّ إليّ من علجٍ عليف
خشونةُ عيشي في البدو أشهى
إلى نفسي من العيشِ الطريفِ
فما أبغي سوى وطني بديلًا
فحسبي ذاكَ مِنْ وطنٍ شريفِ

لقد صورت المرأة عواطفها بصدق واخلاص لأنها خاضت التجربة الفعلية بالزواج والانتقال من بيئة عاشت فيها ثم هي أرق عاطفة من الرجل، يملأ قلبها حب عائلتها.. امها وأبيها ومن ثم كل ما يذكرها بهم لأنها تربت في كنفهم وقضت ليلها ونهارها معهم وليس الحال كذلك مع الرجل.. لذا نجد شعر الحنين الى الوطن عند المرأة اكثر دقة وأدق وصفا وأصدق عاطفة.



يا واحةً ملأتْ هجيرَ الشمسِ بالظل الظليل
ولكل سار فى طريق الحق أمَّنتِ السبيل
ينبوعها الصافى الفرات يَمُدُّنا بالسلسبيل
يا مولد الهادى الرحيم ومن به يُروى العليل

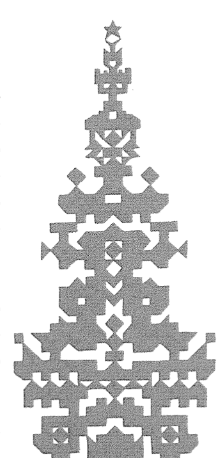
●●●

خفقت بحبِّك يا شفيعى أنْفُسُ المتلهفِّين
وسرى هواك بكلِّ قلبٍ من قلوب المؤمنين
وغدوتَ فى مسرى الوفاء لكل مشتاق أمين
ولديك من قِيَم المحبَّةِ فوق أبعاد اليقين
ولديك معجزة البيان ومشرق الفكر المبين
من كان نورُكَ هديه سيعز فى دنيا ودين

●●●

ورويتُ من نبع اليقين تلهف القلب الشقى
وغدوتُ أعتنق الضياء وروضةَ الطهر النقى
واستقتُ من أرج النسيم حلاوة العطر الزكى
ونهلتُ فى فلق الصباح ضياء وجهك يا نبىّ
يا من بعثت لكل قلب ملهم الوجدان حى

●●●



إنى أحبك يا محمد أيها الهادى الشفيع
يا من أتيت إلى الحياة بمنهج الحقِّ الرفيع
وأنرتَ للعقل السبيل وكان فى شر ذريع
ومحوتَ عن وجه الورى ليل الظلام بلا شموع
ووصلتَ بالأرض السماء والوحى متصل يذيع
ومشتْ بنورك للهداية والكرامة فى خشوع

«خاص بمجلة هن»

صور وأسماء المرأة العربية

على نقود وعملات عبر التاريخ

بصمات المرأة العربية عديدة ومتنوعة عبر التاريخ القديم والحديث حتى أن العملات أوالنقود القديمة حملت صورها أو أسماءها أو كليهما معا . .

* كانت الملكة «زنوبيا» أو «الزباء» ملكة «تَدْمُر» أول امرأة عربية ضربت النقود باسمها وقد حكمت «تدمر» ما بين (٢٦٧-٢٨٢م) وامتدت سلطتها من الفرات حتى البحر المتوسط .

* وفى العصر العباسى كانت «زبيدة» بنت أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى التى وردت كنيتها «أم جعفر» على النقود العربية الاسلامية المضروبة لزوجها الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) كما وجدت نقود كتب عليها اسمها مع العبارة الدعائية (يبقى الله لأم جعفر) وهذه المرأة هى والدة الخليفة العباسى الأمين .

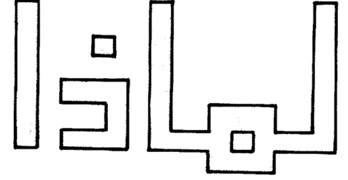
* وكانت هناك نقود نحاسية فى العصر العباسى أيضا اشتملت على نصوص عربية ضربتها تامارا ابنة كيوركى التى حكمت جورجيا ما بين (٥٦٧-٥٩٥هـ) ونقشت اسمها مع ألقابها وبعدها ابنتها روسودان (٦٢٠-٦٤٣هـ) والتى لقبت: « بملكة الملوك والملكات جلال الدنيا والدولة روسودان بنت تامارا» .

* وفى الدولة الأرتقيّة بشمال العراق ضربت نقود عليها صور المرأة بأوضاع مختلفة وأغراض معينة منها نقود نجم الدين بن تمرياش حاكم ديار بكر (٥٤٧-٥٧٥هـ) .

* وفى مصر ضربت شجرة الدر نقودها الذهبية سنة ٦٤٨هـ وعليها ألقابها بدون اسمها (المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين) .

* ثم جاءت السلطانة - سالى بك خان فى بغداد (٧٣٩-٧٤١هـ) وضربت نقودها باسمها وعليها ألقابها (السلطان العادل) أو (السلطان الأعظم) .







ما للحبيب عن الحبيب غَناءُ
حتى وإنْ حجب العيونَ عماءُ
حتى وإن قطع الهَوى أوتاره
حتى وإن غمر . القلوبَ شقاءُ
لو طارَ طيرُ الحب فى أعلى الذرى
لو بان لليأس المرير عناءُ
فالحب ملهمة تُعطِّرُ ليلها
شوقا إليه وترقصُ الأضواءُ
والحب يأملُهُ الشريد بغربةٍ
طمستْ معالمَ دربِها الأنواءُ

●●●●

والحبُّ ينشرُه الهجيرُ مظلّلاً
فيه العذارى الناعساتُ تفيئُ
والحبُّ يأملُهُ السفينُ شواطئاً
سحرية ما ملَّهُنَّ مجيىء
من بدء خلق نحن نرتشفُ الهوى
وعذولُنا متآمرٌ وبذيُء

ونعانقُ الأطيافَ فى أحلامِنا
ونديمُنا متغافلٌ وبرئُ
لكننى حين ابتليت بغضبة
شيطانُها متأبلسٌ وجرئُ

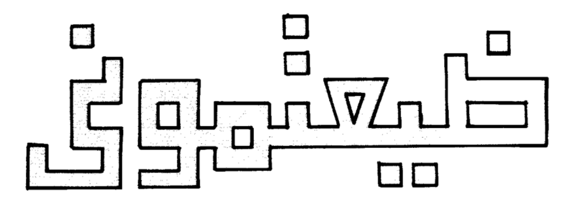
●●●●

أبصرتُ عينَ الحقد تلمع فى الدُّجى
وتؤجّجُ البركانَ بالأحبابِ
ألَبتْ إلينا الشرَّ من أهوائها
نَعَبتْ على أوكارِنا بغُرابِ
والبومُ نامَ على وسائِدِنا ولم
يعبأ ولم يفزَعْ من الأوصابِ

حتى الشواطىء أفزعتْ مرتادَها
والروضُ بات مُغلَّفاً بيَبابِ
حتى الربيع تخرّمتْ أوراقُهُ
وتدثرت أشجاره بتُرابِ

●●●●





والجـــدولُ المنســابُ ماتَ حنينُــه
واغتــال حورَ المــاء فيــه عقــابُ
والحــان لم يبــعــث إلــى سُمّاره
همســاتِ شوقٍ بثـهُــنَّ خطــابُ
(والمـجـدليـةُ) أرقلت محزونـةً
فمن الــذئــاب الناهشات تهابُ
بالعـين يبتلعُ الــدجى أضواءهــا
والثغـر فيــه الــرمــلُ والتربــابُ
والجيــد يوغــل فى رقيق عروقــهِ
ظفــرٌ من الــزمــنِ المخيف ونــابُ

●●●●

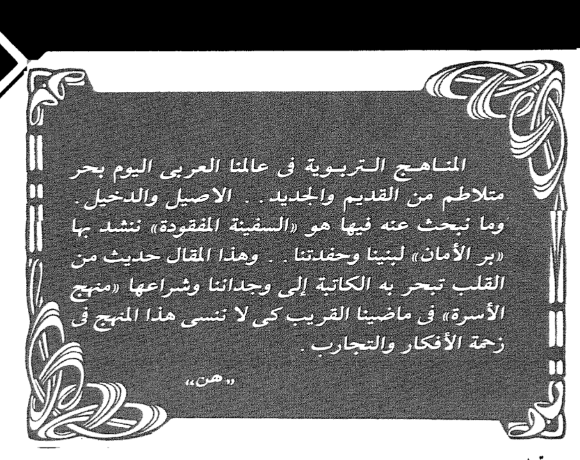
والجسـم دبت فى جميــع نسيجــه
نفثاتُ شيطان الهوى المفضوحِ

هوتِ الصــروحُ ولم تزل بعيــوننــا
رقصــاتُ (سالومى) على المذبوحِ
والنهــرُ ما ازدحمت على شطــآنِـه
صابّاتُ مسك شاربـاتُ صبوحِ
وغـبــوق قومى لم يَعُــدْ لمنــادمٍ
أمــلا مُذ اسْتولت عليه جروحى
لجأت أرومــتــنــا إلــى نزواتهــا
وتـفــاخــر الأحبـاب بالمسفــوحِ

●●●●

والـعـقــل محبــوس على أفكــاره
بين الـعـقــول شعــاعــه مُغتــالُ
والـنــارُ لم تُشْعَــلْ ليــوم كريهــة
مُذْ رُقِّصَــتْ للهيبهــا الأصــلالُ
لا تسألــونى ما الــذى ذبح التُّقى
من بعــد ما ازدانــت به الأجيــالُ
ومن الــذى جعـل الإخاء عداوةً
جعــل الـقـضيــةَ للغــريب مُحالُ





تعنى كلمة «المنهج» فى اللغة العربية : الطريق الواضح المحدد المعالم للوصول إلى غاية معينة ويستخدم هذا المصطلح فى مجالات التربية المختلفة ليعنى : مجموع الخبرات المقصودة التى يمر بها التلميذ تحت إشراف المدرسة وتوجيهها وينتج عنها تغيير دائم فى سلوكه، يمثل اكتسابه للمعارف والمهارات التى تضمنتها هذه الخبرات .

وقد اقتصر استخدام هذا المصطلح على الخبرات التى تقدمها المدرسة . . ونال مجال المنهج المدرسى حظاً وفيراً من الاهتمام والبحث شمل الغايات والأهداف وأنواع الخبرات وتنظيمها وطرق تقويمها .

ومع هذا الاهتمام الشديد بمنهج المدرسة ظل الاهتمام «بمنهج الأسرة» ضيقا يكاد يكون منعدماً فى كثير من الأحيان . . نظراً لما اعتقده البعض من صعوبة الوصول إلى معالم واضحة تحدد شكل هذا المنهج من حيث غاياته وأنواع الخبرات التى يحتويها نتيجة لاختلاف ظروف الأسر الاجتماعية والاقتصادية وأيضاً نظراً لما اعتقده البعض من أن المدرسة هى المؤسسة الوحيدة التى أعطيت مسئولية تربية النشء بكل ما تحتويه هذه المهمة من أبعاد واسعة واحتياجات عديدة ومعقدة .

وقد نسى كل هؤلاء أن الأسرة التى قامت فى الماضى بمسئولية تربية النشء كاملة لم تتخل تماماً عن هذه المسئولية بل ظلت تمارسها عفويا بصور جديدة ومتنوعة . . وعلى الرغم من وجود هذا التنوع فى منهج كل أسرة فإن المدقق لدور الأسرة العربية المعاصرة وما يملأ ساعات يومها مع الصغار من خبرات يستطيع أن يستخلص الأبعاد والحدود التى توضح طبيعة هذا المنهج كما تناقش جوانب القوة التى يجب الحفاظ عليها فيه وجوانب الضعف التى يجب التخلص منها، وتطلعات الأسرة العربية لمستقبل يتناسب مع تاريخها وحضارتها وأهمية الصغار لمستقبلها وتقدمها .

لقد تميزت الأسرة العربية على مر العصور

منهج الأسرة العربية

خبرات الماضى والحاضر وتطلعات المستقبل

بقلم الدكتورة
سهير فوده

بشدة حرصها على صغارها فالصغار هم زينة الأسرة وبهجتهـا ورصيـدهـا لخريف وشتـاء عمرها ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ «الكهف: ٤٦».

●وقديما قال الشاعر:

وإنمـا أولادُنـا بيـنـنـا
أكبـادُنـا تمشى على الارضِ

وقد احتفظت الأسرة العربية بجزء كبير من دور التربية وبمنهج متميز بغاياته وخبراته. كما استمرت هذه الصورة المتميزة لمنهج الأسرة الذى ظل يحتفظ بخصائص هامة تجعل منه منهجاً نموذجياً يتمشى مع أحدث ما تهدف إليه عمليات تطوير المنهج من غايات وأهداف.

فغايات منهج الأسرة العربية كانت وظلت إلى وقت قريب مساعدة الصغير على التعرف على ما يحيط به من معالم داخل الأسرة وخارجها وإعطائه قدراً من ثقافة المجتمع الذى يعيش فيه تمكنه من أن يشب عضواً متآلفاً مع الكل يتفاعل معه فيأخذ منه ويعطيه فى يسر ومرونة وانسجام كما تدربه على العديد من الخبرات اليدوية التى يحتاج إليها لممارسة حياته ولكسب رزقه. أما محتوى منهج الأسرة من الخبرات فكان يمثل مضمون التفاعل المباشر بين الصغير وبين الكبار الذين يحيطون به تقليداً ومحاكاة لهم أو تلبية لاحتياج مباشر ومحسوس متضمناً الكلمة المكتوبة فى قليل من الأحيان والكلمة المسموعة فى أغلبها. . كما تضمن فى كل الأحيان تقريباً استخدام الحواس المختلفة والتجربة والتكرار حتى يصل الصغير إلى درجة من الاتقان ترضى الكبير وتتناسب مع الشكل النهائى المطلوب وقد كان يغلب على هذه الخبرات التنوع فى الشكل والكم.

فمنها ما كان يغلب عليه مضمون إدراكى مثل القراءة من كتاب أو سماع حديث أو حكاية من حكايات الجدات اللاتى كن يملأنها بالنصائح والتقاليد المباشرة وغير المباشرة وملامح التراث الثقافى التى يردن تلقينها للصغير. ومنها ما كان يغلب عليه الناحية البدنية، واليدوية مثل تدريب الصغير على



استخدام أداة من أدوات المنزل أو مهارة تتقنها الأسرة فى حرفة ما كالنجارة والزراعة والحياكة وغيرها.

أما الخبرات الانفعالية فقد كثرت وتنوعت فى محيط الأسرة فى المشاركات المختلفة فى أفراح الأسرة الكبيرة وأتراحها. والأسرة العربية ذائعة الصيت بتفاعل كل أعضائها تفاعلاً قوياً مباشراً فيما تمر به من أحداث يشارك فيها الصغار على اختلاف أعمارهم ويتعلمون منها.

وقد قدمت الأسرة هذا التنوع بعفوية وتلقائية بالغة دون حاجة الى تصنيف أو تبويب. فالخبرة كانت وليدة لاحتياج مباشر وتلبية لرغبة حقيقية ولذلك فقد كانت الخبرات شاملة ووافية ومتنوعة فى تلبية الاحتياجات المختلفة التى تفرضها مقتضيات الحياة اليومية.

ومن هذا العرض السابق لشكل «منهج الأسرة» يمكننا أن نستخلص أهم خصائص القوة المميزة له:

أولا: طبيعة المناخ الذى يقدم فيه:

(خلافا لمنهج المدرسة الذى تحكمه اللوائح وتسيره النظم التى تفرض نفسها على العلاقة بين المعلم والمتعلم يقدم منهج الاسرة فى جو من الحب وفى مناخ طبيعى بعيد عن الكلفة والصناعة. لقد كانت هذه الكلفة وتلك الصناعة ـ ومازالت ـ سمة تميز منهج المدرسة وتبعده عن أشكال الحياة ومتطلباتها خارجها. فجدران الفصول وأدراجها وسبوراتها وكل ما تحويه من متاع تمثل للتلميذ وسطاً غريباً غير مألوف تنحصر فيه حركته ونشاطه لأوقات تطول أحياناً أكثر من درجة تحمُّله.

ثانيا: علاقة الخبرات التى تقدم باحتياجات الطفل المحسوسة.

كثيرا ما يتساءل الصغار عن جدوى وضرورة ما يقدم لهم من خبرات داخل جدران المدرسة غير مدركين للغايات والأهداف التى يدركها واضعو هذه المناهج. وعلى خلاف ذلك نجد أن خبرات منهج الأسرة هى وليدة لاحتياج محسوس عند الطفل يتقبله بحب ويطلبه بإلحاح فى كثير من الأحيان. وكلنا يذكر الصغار وهم يطلبون منا أن نقرأ لهم من كتاب أو نشاركهم فى لعبة مسلية أو نعلمهم اعداد طبق محبب أو القيام بمهارة من المهارات التى يمتلىء بها محيط الأسرة وكلنا لاحظنا انهماك الصغار فى هذه الخبرات دون سأم أو ملل وإحساسهم بالسعادة وهم يتعلمون ما شعروا أنهم بحاجة إلى تعلمه.





ثالثا: تنوع الخبرات وتوزعها:

ومع ما نراه من ازدحام منهج المدرسة بالمعلومات والموضوعات مما أدى إلى طغيان الخبرات الادراكية على ما عداها من الخبرات نجد «منهج الأسرة» يحتفظ بدرجة أعلى من الشمولية والتنوع للأشكال المختلفة من الخبرات الادراكية والعضلية والانفعالية والتى تقدم فى كل متجانس يماثل فى شكله خبرات الحياة التى يتعرضون لها ويواجهونها وتتوزع بصورة تجعلها اكثر ملاءمة لطبيعة الطفل.

رابعا طريقة التعلم:

وبينما نجد أن منهج المدرسة يمتلىء بالخبرات التى تقدم إما بطريق المحاكاة والتى يتصور فيها التلميذ أنه يعايش الخبرة وإما بطرق البدائل والتى تقدم للتلميذ الخبرة فيها عن طريق بديل قد يكون الكتاب المدرسى أو المعلم يشرح ويصف ويوضح ويحاضر.. إلى آخر ذلك من طرق النقل المألوفة فى فصول الدراسة، نجد أن منهج الأسرة يمتلىء بالخبرات المباشرة التى يعايش فيها التلميذ الخبرة معايشة فعلية فيتلقى بكل حواسه ما تقدمه له تاركة أثراً يقاوم الزمن ومشاكل النسيان التى تعانى منها المعلومات المكتسبة عن طريق خبرات المحاكاة والخبرات البديلة.

خامسا: تفرد التعليم فى منهج الأسرة:

وبينما نجد التلميذ فى منهج الأسرة فرداً تقدم له الخبرة عندما يكون مستعداً لها ويمر بها بسرعته الخاصة مكرراً لها مرات ومرات حتى يصل الى درجة الاتقان المطلوب، نجد التلميذ فى «منهج المدرسة» جزءاً من مجموع عليه أن يتقبل ما يفرضه عليه المستوى العام لهذا المجموع وعليه أن يسير بنفس متوسط سرعته التى لا تتفق مع سرعة التلميذ فى كثير من الأحيان، فقد تكون أبطأ أو أسرع منها كما يحظى التلميذ بجزء من اهتمام ووقت المعلم يتأثر بعدد أفراد المجموعة والوقت المتاح لهم.

ولعل هذه الخصائص المميزة لمنهج الأسرة توضح لنا أهمية هذا المنهج ونوع التأثير الذى يحدثه فى الصغار كما توضح لنا مدى القصور فى منهج المدرسة الذى مازال يعانى من نقص شديد فى محاولاته للوصول إلى تحقيق هذه المعايير وهذا ما يؤكده رأى جون أولسون (١٩٨٢) فى مقالته: «المعارف فى الفصل والتغير فى المنهج» (بالانكليزية) حيث يؤكد أن عدم حدوث تغير ملحوظ فيما أسماه بالنظام البيئى للفصل (Classroom Ecology) يؤدى الى صعوبة تحقيق الكثير من محاولات التطوير والتغيير فى المنهج المدرسى ويضاعف من ذلك فى رأيه مقاومة المعلمين للتغيير وحرصهم على الاحتفاظ بالطرق التى اعتادوا عليها.

وكثيرا ما نرى أن المدرسين يشرحون للتلاميذ فى مجموعات محتوى البرامج التعليمية على الرغم من أن هذه الطريقة تلغى ما تميزت به البرامج من «تفريد» (individualization) للتعليم وإعطاء الفرصة للتلميذ أن يسير بسرعته الخاصة كما نجد ان كثيرا من التجارب المعملية وطرق التقصى والبحث عن



المعـارف التى تطلبتهـا منـاهـج العلوم الجديدة قد تحولت داخل الفصول إلى الطرق المعهودة فى الالقاء والعـرض والشرح، هادمة كل ما تطلع إليه مطورو هذه المناهج من أهداف.

ولقـد كان المتوقع والمطلوب ان يظل منهج الاسرة محافظـاً على خصائص القوة فيه إلا أننا نلاحظ أن كثيرا من التغيير والتبديل قد دخل على منهج الأسرة العـربيـة فى الآونـة الاخـيرة وكان ذلك نتيجة لتغير ظروف الأسرة وشكلها من ناحية، وأيضاً لقلة الوقت الذى توفره متطلبات الحياة المعاصرة للوالدين للعناية بالصغار من ناحية أخرى.. ثُمّ و بالدرجة الاولى، لما تلقى به المـدرسـة من أعبـاء تعليمية (على هيئة واجبات منزلية) تملأ وقت التلميذ فى الأسرة بخبرات مماثلة لخبرات المدرسة فى مضمونها وطريقة تعليمها..

وبذلك تهدم المدرسة ما يمكن أن تقدمه الأسرة من خبرات أخـرى مكملة لمنهج المدرسة وتحققه لغايات التربية العامة الا من شمول وتنوع الخبرات التى يجب أن تقدم للنشء.

الأسرة العربية الجديدة أسرة صغيرة فى كثير من الأحيان.. ولذلك فهى تفتقد إلى وجود العديد من الخبرات التى تميزت بها الأسرة الكبيرة وخاصة تلك الخـبرات الحـرفيـة وحكـايـات وتوجيهات ومهارات الجدات والعمات والخالات التى قدمنها بشكل محبب للصغير جعل من كل منها خبرة وتجربة فريدة فى نوعها يحفظ الصغير تفاصيلها حتى يحكيها لأبنائه وأحفاده.

الأسرة الصغـيرة فى مجتمعنا العربى هى بديل ثقـافى غير مرغـوب فيه وهى نكبة كبيرة على منهج الأسـرة العربية الذى كان تنوع الكبار فيه وحرفهم المتعددة واهتماماتهم المتنوعة يقدم للصغير العديد من الخبرات دون تعب أو مشقة.

أمـا وقت الكبـار الـذى أصبحت تتحكم فيـه الشـركـات والهيئـات والمـواصـلات والاجتـماعـات والاجازات فهو يقل بالتدريج. وهو ـ وإن كان من العـوامـل التى تؤثر على كمّ الخبرات التى تقدمها الأسرة لصغارها ـ عامل لا نتوقع أن نتخلص منه فى القريب ولكنه يلفت أنظارنا إلى أهمية الوقت المتاح وضرورة الاستفادة منه وأيضاً إلى أهمية اختيار الخبرة الضرورية والمناسبة التى تعطى للصغار.

أمـا نظم التعليم فهى المسئول و(المتهم) الاول فيما لحق بمنهج الأسرة العربية من خلل وما شابها من صناعة وتكلف كان منهجها بعيداً كل البعد عنها.

إن محاولات نظم التعليم المتكـررة لتحسـين وتنويع الخبرات التي تقدمها للتلميذ كانت تنتهى بتكدس الكتب المدرسية بمزيد من المعارف والمعلومات التى يراها الصغار مبعثرة مفككة لا يربطها رابط ولا يرون لها ضرورة مباشرة أو ـ حتى ـ بعيدة.

إن تطلعات المستقبل لمنهج الأسرة يجب ان توجه الى محاولـة الحفـاظ على الشكل المتميز لهذا المنهج وحتى يظل مكملاً لمنهج المدرسة وليس امتداداً له ولذلك فإن من الضرورى أن يحاول هذا المنهج أن يضع لنفسه غايات وأهدافاً تغطى مجالات القصور فى غايات وأهداف «منهج المدرسة» ومنها:



يعنى مصطلح "المنهج" فى مجالات التربية المختلفة: مجموع الخبرات المقصودة التى يمر بها التلميذ تحت اشراف المدرسة وتوجيهها



*** الاستفادة من واستخدام خبرات الكبار المعرفية والحرفية والاهتمام بتقديمها للصغار سواء كان لها علاقة بمنهج المدرسة أم لا. وتشجيع الصغار على المشاركة الفعالة فيما تقوم به الأسرة من مهام.**

*** تشجيع الصغار على ملاحظة ودراسة ما يحيط بهم من ظواهر طبيعية واجتماعية ومحاولة المشاركة فى ايجاد حلول للمشكلات التى تعترضهم.**

*** تنمية وتدريب قدرات الصغار على الابتكار وتشجيعهم على الانتاج العلمى واليدوى.**

كما يجب على الاسرة أن تنظم خبراتها مراقبة ومقتنصة اللحظة المناسبة لتقديم خبرة جديدة ورابطة بين الخبرات بعضها ببعض بحيث تمثل للصغار بناءاً جديداً من المعارف والمهارات يساهم بالدور المطلوب منهم فى إكمال صور النمو المختلفة التى يحتاجون اليها.

ولعلنا نرى فى المستقبل اليوم الذى تعود فيه الأسرة العربية لتوجيه شكل منهج المدرسة وتطبعه بطابعها كما فعلت فى الماضى عندما كان الرشيد يقول لمعلم ابنه:

«يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصَيِّر يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة وأقرئه القرآن وعرِّفه الأخبار وروِّه الشعر وعلِّمه السنن، وبصِّره بمواقع القرآن وبدئه وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه ورفِّع مجالس الفقراء إذا حضروا مجالسه ولا تمرن بك ساعة - إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه.. وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة.





قولى لمن يبحثون عن السعادة ليقايضوها بأموالهم . . قولى لمن يفتشـون عن السعـادة كى يبتـاعوها بصناديق الـذهب . . قولى لهم فى عمائـرهم الشـاهقـة . . بأثاثها الفـاخر . . وسياراتهم الفارهة . . اننا سعداء . . رغم ما نسدده للبنك من كمبيالات مع بداية كل شهر.



يا حبيبتى أعــذرينى حين اتـوقف عنـد هفـواتـك البسيطـة . . أحـاول تقييمها ومعالجتها . . فانما النار من مستصغر الشرر . .

الورقة ٦٣

دعى ما أوصتك به ـ حماتى ـ قبل زواجنا . . وما قرأتيه فى المدارس وما حدثتك به الصديقات ممن سبقنك فى تجربة الزواج . . دعى كل هذا . . واعطنى اذنا صاغية . . كى اعطيك أنا نفسى مفاتيح سعادتنا .



عنـدمـا ينقلب الـوئـام إلى خصـام . . والمـودة إلى تجاف . . ويبـدأ التراشق بيننا فى الكلام . . وتضْرى نار المعارك . . وتنتهى الى البعاد . . وتأتى إلىَّ آسفة على ما بدر منك من تصرفات . . فاننى انسى كل الذى فات . . امـا اذا أمعنت فى الشقـاق . . واعـاك التعصب لرأيك وكبرياء ذاتك من ذلك . . فهيهات هيهات . . قد يصبح البعيـد قريبـا . . والمستحيـل واقعاً . . نجنى اشواكه . . ويلفحنا سعيره .

الورقة ٦٥

صدقينى . . مهما تفننت فى تقديم الأطباق . . وتزيين قوالب (الكيـك) بتشكيـلات (الكريمه) كلها عندى لا تساوى ملاقاتك لى عند الباب . . واستقبالك لى بكلمة حلوه . .



إضاءات وجدانية
خاطفة.. ولمحات
خاطر سريع..
تلمس من واقعنا ما نود
أن نقف عنده

الورقة ٦٦

هذا صحيح.. نعم.. الرجل طفل صغير.. صحيح انه لا يزحف ولا يلعب فى التراب.. لكنه فى الوقت نفسه سرعان ما يتخلى عن ساعة غضبه.. اذا قدمت له قطعة حلوى.. أو داعبت مسامعه كلمة حلوة.

مثلك فى معاداتك مهنتى.. مثل الريح التى تحد من سرعة مركبى.

الورقة ٦٧

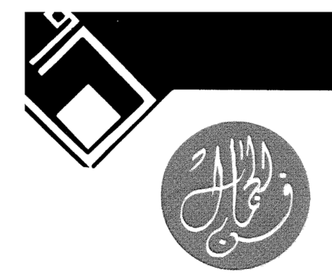
اطفئى التلفاز.. واوقفى اسطوانة التسجيل.. وحدثينى كسابق عهدك عن الطموحات والاحلام وتربية الأولاد.. فاننى اصبحت ضحية الروتين فى العمل والمنزل.

الورقة ٦٨

اوراق مكتبى.. ودفاترى.. وملاحظاتى.. لا تعرفين عنها شيئاً واقصى ما يمكن ان تفعليه حيالها هو اعادة ترتيبها على مكتبى الذى غالبا ما يكون ـ فوضجيا ـ أما فكرت يوماً فى قراءة قصاصات اوراقى.. وهوامش ملاحظاتى.. فتذكرينى.. أو تنصحينى وتوجهينى.. قد لا احتاج منك نصحاً ولا ارشادا ولا توجيها.. لكنه بالنسبة لى سيكون حافزاً.. وتجسيداً للمشاركة.

(الورقة الاخيرة)

أحياناً.. وعندما يلازمنى الأرق.. فاننى انتظر منك ان تفعلى ما كانت تعمله جدتى.. بما كانت تقصه علىّ من قصص حتى استسلم للنوم.. اما حين اكون مسهداً.. وانت تغطين فى سبات عميق.. فغالباً ما أتذكر ايام عزوبيتى.. ويهيأ لى اننى وحدى بالمنزل.



الشَّعْر من أهم أجزاء الجسم جدارة بالعناية لأنه يتوج هامة الرأس فيكسبها روعة وجمالا ويحيط بالوجه كالاطار فيزيده رونقاً وبهاء، ويظهره كالبدر المنير وسط هالة من الشعر الأسود فتتجلى روعته، وتبدو عظمته ولقد قال أحد كبار الشعراء:

«ان روعة الجمال وعظمته تتجلى فى نعومة شَعْرة واحدة من شعر الرأس»

وبالرغم من أن جمال الشَّعْر له قيمته الاولى فى إظهار شخصية المرأة، إلا أن الكثيرات من المصريات يجهلن هذه الحقيقة فيهملن شعرهن ويتركنه عرضة للاصابة بشىء من الأمراض.

بناء الشَّعْر:

ينبت الشعر فوق البشرة متخللا مساما صغيرة تسمى «الغدد» توجد فى أدمة الجلد، وقد تتخلل الأنسجة الشحمية فى باطن الجلد.

وفيما يلى أهم الأجزاء الداخلة فى تكوين الشعر، والتى تساعده على النمو والقيام بوظيفته وهى كما فى (شكل١).

(أ) الغدة الشحمية، (ب) أدمة الجلد، (جـ) الحلمة الشعرية، (د) البصيلة الشعرية، (هـ) الحويصلة الشعرية، (و) الشعيرات.

(أ) الغدة الشحمية: وظيفتها افراز كميات قليلة من المادة الزيتية التى تعمل على تطرية ساق الشعرة واذا أصيبت هذه الغدة بأقل عطب يوقف سير افرازها أو يقلل منه فسرعان ما يجف الشعر وتنتابه الأمراض المختلفة.

(ب) أدمة الجلد: تبتدىء من الحويصلة الشعرية وتسير بجانب ساق الشعرة وتكون نتوءاً صغيراً فى أسفلها ترتكز عليه نفس الشعرة هذا النتوء يسمى بالحلمة الشعرية.

(جـ) الحلمة الشعرية: هى موطن غذاء الجذر. فاذا أعدمت لا ينمو بعدها الشعر بتاتا.

(د) البصيلة الشعرية: هى الجزء الملتصق بأسفل الشعرة وفى نهايتها خلايا كثيرة تعمل على انماء الشعر وحفظه سليما.

هذه هى أهم الأجزاء التى تعمل على نمو الشعر، وتساهم فى بقائه أما بناء الشعرة نفسها فينقسم إلى ثلاثة أقسام:
الجسم ـ الساق ـ الجذر

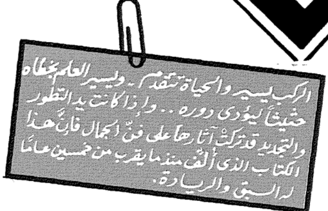
فالجسم: بوجه عام يعتبر صورة مطابقة لتكوين أدمة الجلد مع وجود فارق بسيط فى طبيعة البناء.

والساق: (شكل٢) يحتوى على ثلاث طبقات الظاهرة منه «أ» وهى طبقة حرشفية تحيط بالشعرة وتوجد تحتها طبقة ليفية أخرى «ب» تحدد لون الشعر بما فيها من عناصر كيمائية تختلف باختلاف طبيعة الشعر، ومنها: الكربون والأيدروجين والأكسجين والكبريت والنتروجين والحديد. أما الطبقة الثالثة «هـ» وهى الداخلة فهى كتلة من الخلايا تحتوى على بعض من الشحم الطبيعى الذى يعمل على تغذية الساق. وبها أيضا بعض فقاعات هوائية تؤثر على لون الشعر إذا مازادت إلى حد محدود.

والجذر: يحتوى على قسمين (الغمد الداخلى والغمد الخارجى) ويتكون بوجه عام من خلايا نامية.

نمو الشَّعْر:

والشعر السليم الصحيح ينمو بمعدل ٦ إلى ٨ بوصات فى السنة أى بمتوسط نصف بوصة فى الشهر ويكون الشعر أكثر نمواً فى الصيف عنه فى الشتاء. وللوراثة دخل كبير لا يقل عما للصحة من أثر واضح فى مقدار نمو الشعر اذ غالباً ما يفقد الشعر جماله وبهاءه أ



كثافته ولونه أثر مرض من أمراض الجسم كالروماتزم أو الأمراض العصبية أو الحميات الشديدة أو الصداع.. الخ، كما أن لاهمال العناية بفروة الرأس أو للمعيشة القذرة أو للبس الأغطية الضيقة نتائج خطيرة تسبب كثيراً من الأمراض التى تكون سبباً فى هلاك الشعر.



وظيفة الشَّعْر:

ويقوم الشعر بأداء دور هام فى موازنة درجة حرارة الجسم، كما يحمى الرأس من أثر التطورات الجوية المختلفة التى قد تصيب المخ وتسبب له اضراراً بليغة فضلا عن كونه عنواناً واضحاً لجمال المرأة بوجه عام.

فالأجدر اذاً أن توجه كل أم جل عنايتها إلى شعر أطفالها فتعلمهم كيفية العناية به والمحافظة عليه منذ الطفولة.

أنواع الشَّعْر:

تنقسم فروة الرأس بالنسبة لنوع جلدها وطرق العناية بها إلى ثلاثة أنواع:

«عادية - جافة - شحمية» مثلها فى ذلك شأن باقى الجلد.

فالأولى: ما انتظمت فيها افرازات الغدد الشحمية، وكان الشعر بها ناعما جميلا لامعاً.

والثانية: ما قلّ فيها الافراز إلى درجة العدم فجف شعرها وخشن ملمسه وتقصفت أطرافه.

والأخيرة: هى مازادت فيها افرازات الغدد زيادة كبيرة تسبب كثيراً من الأمراض كالسيبوريه «السيلان الدهنى» الذى ينتج عنه الصلع أو الأكزيما أو غيرهما.

والأنواع الثلاثة تحتاج الى النظافة التامة كخطوة أولى من خطوات الوقاية أو العلاج كما تحتاج أيضا إلى عمليات التدليك الفنى الذى لا غنى عنه فى علاج جميع أمراض الشعر، وقد يفيد التدليك كل الفائدة لو استعملت فيه بعض المركبات الخاصة التى تسمى «الشامبو».

عملية الشامبو ومركباته

وعملية الشامبو معناها تدليك الشعر طبقا لقواعد فنية خاصة بمساعدة بعض المركبات الكيمائية وفى أوقات منتظمة.



وعملية الشامبو ـ فى حد ذاتها ـ لها فائدة محسوسة جداً فى تجميل الشعر فضلا عن أنها تعالج كثيراً من عيوبه المختلفة.

وفيما يلى أذكر نوعين من أبسط الأنواع الشائعة لمركبات الشامبو يسهل استعمالها منزلياً.

الشامبو البسيط:

يتركب من ملء ملعقتى شاى من مسحوق أو مبشور الصابون النقى مع جزء من ماء الكلونيا ويضع نقط من **إحدى العطور النباتية:** كاللاوندا أو الورد أو الفربينا ويرج هذا المزيج جيداً فى ربع لتر من الماء الساخن، إلى أن **تطفو رغوة الصابون وتغزر وحينئذ يصب على الرأس** تدريجياً بينما تدلك فروة الرأس والشعر تدليكا قوياً حسب **القواعد الفنية التى سيأتى ذكرها فيما بعد، ثم يشطف** الرأس جملة مرات بالماء البارد حتى يزول منها كل أثر **للصابون.**

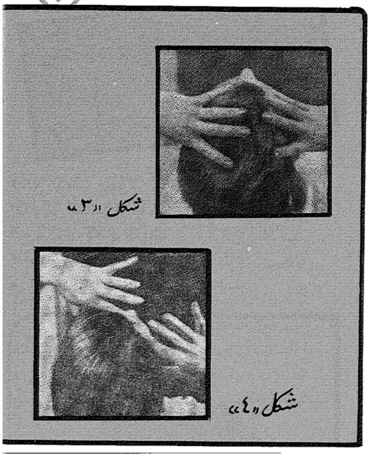
شامبو مسحوق:

ويتركب بالنسب الآتية: ١٦ درهم من الصابون **الابيض، ١٢ درهم من كربونات الصوديوم، ٤ دراهم من** البوراكس، درهم واحد من أى عطر نباتى وترج هذه العناصر جيداً فى لتر من الماء الساخن ويدلك الشعر بالمحلول الناتج تدليكا فنياً مع ملاحظة أن هذه الكمية تكفى لعمل مرتين.

وهناك أنواع أخرى كثيرة من مركبات الشامبو يجب أن ندقق جداً فى اختيارها مع التأكد من عدم اضرارها **بالشعر. هذا وأنى أوالى تحضير بعض مركبات الشامبو من** أنواع أخرى غير ما ذكرت رغبة منى فى انتاج أحسن ما يلائم الجو الشرقى منها.

عمليات التدليك «المساج»

المساج بطبيعته يحفز الدم للورود إلى شعيرات الفروة فيعمل على تنشيط أعصابها وتغذية شعرها ولابد من استعمال كلتا اليدين فى اجراء عملية المساج باحدى محاليل الشامبو. أما طرق التدليك فهى:



شكل «٣»

شكل «٤»

الحركة الأولى:

ضعى ابهاميك خلف اذنيك. وبباقى أطراف **أصابعك، دلكى فروة رأسك وشعرك فى حركة دائرية من** وسط الرأس إلى الجانبين وفى هذه الحركة يجب أن يتحرك **جلد الرأس حركة حرة فوق عظام الجمجمة (شكل٣).**

الحركة الثانية:

ضعى سبابتيك عند أول اتصال الشعر بالوجه ودلكى **بها هذا الجزء من الامام والجانبين تدليكا قويا حتى** تشعرى بتوارد الدم الى أعصاب الرأس (شكل٤).

الحركة الثالثة:

ضمى الجلد خلف رقبتك تحت الشعر فى حركة **متضادة كأنك تقرصينه. دافعة الجلد إلى اعلا بواسطة** ابهاميك كأنك تدفعى الدم إلى أعلا ناحية قمة الرأس (شكل٥).



وللتدليك بالفرشاة أثر واضح فى تجميل الشعر وإزالة ما به من قشور وأوساخ كما يوزع الافراز الزيتى بانتظام على الشعر فينعمه فضلا عن كونه منشط لأعصاب فروة الرأس.

ويفرش الشعر قبل أن يجف تماما من الخلف إلى الامام وبجانب الأذنين ويلاحظ أن يكون التدليك قويا ويجرى خمسين أو ستين مرة، وبعدها يمشط الشعر بواسطة مشط ضيق المسافات وليس حاد الأطراف لئلا يجرح الجلد وأخيراً يجفف الشعر جيداً بعد تصفيفه.

ويجب أن تكون الفرشاة المستعملة نظيفة جداً وأن يكون لكل شخص فرشاة خاصة به تغسل دائما بالماء الدافىء والصابون ثم تشطف بمحلول مخفف جداً من البوراكس والنوشادر والماء وتجفف مباشرة ويستحسن استعمال فرش الشعر القاسى ذات القاعدة الكاوتشوكية.

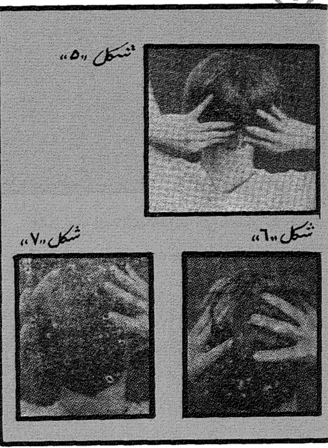
والى هنا تنتهى عملية التدليك بمركبات الشامبو حيث يجفف بعدها الشعر تماما.

بيانات عن تجفيف الشعر

يجب تجفيف الشعر وهو خال تمام الخلو من آثار المركبات المستعملة وبذا تضمن كل سيدة لمعان شعرها ونعومة ملمسه على الدوام. وأحسن طريقة للتجفيف هى وضع فوطة فوق الشعر على هيئة مكمدة لتمتص الماء وتجففه تماما، ويلاحظ أن يكون ذلك فى مكان بعيد عن تيارات الهواء وبعد أن يجف الشعر يفرق فى كل مكان على هيئة خصل لتهويته حتى لا تكمد فيه الحرارة ثم ينسق أخيراً ويترك ـ فانه يتموج بطبيعته تموجا غاية فى البهاء والجمال فلكى أن تتركيه كذلك أو تصففيه طبقا لنموذج معين وهذا يرجع إلى رغبتك الخاصة.

هذه العمليات السابقة تجرى لكل أنواع الشعر دون تفرقة سواء منها العادى أو الجاف أو الشحمى حسب المواعيد التالية:

الشعر الشحمى: تجرى له العملية مرة كل أسبوع، والجاف كل أسبوعين والعادى كل عشرة أيام.



الحركة الرابعة:

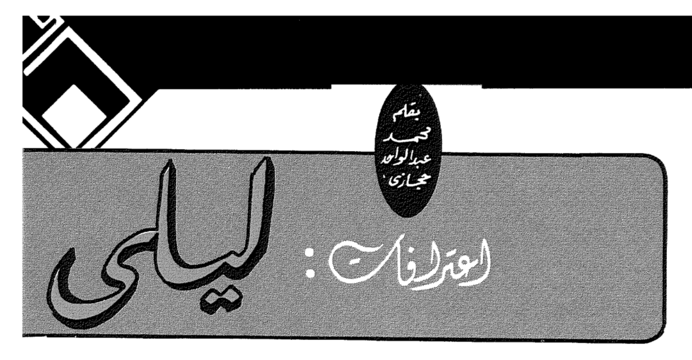
افردى أصابعك فوق رأسك ثم ابدئى بضمها تدريجيا مع قبض أجزاء من فروة الرأس وضغطها بالتبادل (شكل٦).

الحركة الخامسة:

دلكى بابهاميك تحت الشعر خلف الأذن مع ضغط ثابت حتى تشعرى بأثر ذلك فى تنشيط الاعصاب (شكل٧).

وبعد الانتهاء من هذه العمليات يشطف الشعر بالماء البارد مراراً لازالة أثر الصابون منه، ثم يدلك بالفرشاة بعد تجفيفه تجفيفا بسيطا.

فرش الشعر وكيفية استعمالها



تتنوع الاعترافات بتنوع الغاية من الاعتراف فمن الناس من يريد أن يجعل من اعترافاته تسجيلا لنضاله أو سيرة ذاتية لحياته التى ناضل فيها كثيرا وشقى من أجلها كثيرا حتى استطاع ان يحقق من الأعمال والمنجزات ما أصبحت مثلا أعلى لبنى وطنه على الايثار والفداء والايمان. . ومن ثم تصبح اعترافاته شاهداً لعصره وشاهداً على عصره. . وإن من الناس لمن يجعل من اعترافاته دفعاً لشبهات أحاطت به أو أذيعت عنه وذلك بتصوير الوقائع التى تفندها وتظهر بهتانها. . وكذلك تتنوع الاعترافات بتنوع الجوانب التى يرغب المعترف فى إظهارها وتجسيدها وبعث الحياة فيها، أو التى يرغب فى طمسها أو إغفالها أو المرور بها مراً خفيفاً وكأنها نافلة غير محسوبة فى ميزان التقدير والتقييم.

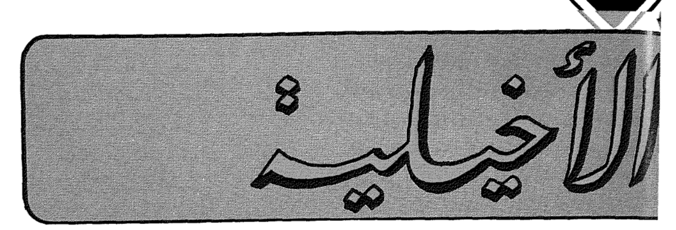
ومع تنوع الاعترافات واختلافها فإن أصالة الاعتراف يجب أن تظهر أو تتحقق فى أمرين جوهريين يتعلقان بلباب الاعتراف كشهادة إنسانية وهما:

أولا : **تصوير حقيقة الفطرة البشرية فى أطوارها** ونوازعها بغير مبالغة أو تصريح ينأى بها عن الحياء **كفطرة انسانية أولية. .**

ثانيا : تأكيد دور الانسان ومكانته فى البناء الاجتماعى أياً كانت الدائرة التى يعمل بها وكذلك تصوير مبلغ معاناته فى سبيل تحقيق دوره الذى يؤكد ذاته ومكانته.

ولابد أن نقرر أن الاعترافات أيا كانت الجوانب أو الأغوار التى يراد إضاءتها بضوء الصراحة تتمايز من حيث تسجيلها شعراً أو نثرا. . فالاعترافات الشعرية تتميز بأنها تصدر من الشاعر تلقائيا وذلك حين يكون شعره هو حياته، وحياته هى شعره. . فهو من خلال معاناته الوجودية فى المجتمع الذى يعيش فيه والمجتمع الذى يحياه يسجل ما يقع له أو ما يقع منه بغير تعمد أو قصد. . كما تتميز الاعترافات الشعرية بأنها تجسد الموقف فى عبارة أو جملة لها صورتها وايقاعها ودلالتها الذاتية بما يغنى عن التحليل والتعليل. . ومن ثم فإن الاعترافات الشعرية تكون أقدر على استجاشة المشاعر والإغراء بمشاركة الشاعر فى معاناته، على حين أن الاعترافات المنثورة تغرى بحب الاستطلاع والرغبة فى تفاصيل أكثر إثارة. . وفرق بين من يحييك حياته ومن يسرد عليك سيرته، الأول يثرى حياتك والثانى يزيد معلوماتك.

ولا شك أن تختلف اعترافات الرجال عن اعترافات النساء فقد تتحكم نزعة الحياء أو خوف



الحيـاء فى اعـترافـات المـرأة فتغفل عن عمد بعض الجمحات المتطرفة لنوازعها ودوافعها أو ما تكون قد اقترفت من معيب التصرف والسلوك الذى لا تغتفره التقـاليـد والآداب الاجتـماعيـة . . وهذا شائع بين الأديبات الغربيات وان كان منهن من لم يكن لديها اثارة من حياء فصرحت وأفصحت بغير مبالاة وذلك بدعـوى التحـرر والاحتجـاج على قواعـد الآداب والأخلاق التى أصبحت عتيقة بالية .

وفى أدبنا العربى لا نجد من تركت أثراً فنيا أو قدمت عملاً أدبيا قائماً على الاعترافات وحدها . . ولعلنا لا نجد إلا القليل ممن اعترفن بما جرى لهن أو وقع منهن فى حياتهن ومن هذه القلة الضئيلة الشاعرة العربية ليلى الأخيلية التى حظيت بمنزله كبيرة بين شعراء الدولة الأموية وكأى أنثى فقد وقعت لها قصة حب . . وكانت قصتها مع توبة بن الحمير . . إلا أنها كانت قصة ذات غرابة متميزة إذ كانت بطلتها التى أمسكت بأحداثها هى ليلى الأخيلية نفسها . . ولقد ذاعت قصتها وراجت أخبارها حتى بلغت ملوك بنى أمية وأمراءها ووجهاءها، وتغنى بها الناس وأضافوا إليها ـ كدأبهم دائما ـ الكثير من اختراعهم وافترائهم .

لقد أحبت ليلى الأخيلية توبة بن الحمير حباً عنيفـاً وجـرت بينهما أيـام الهـوى فى وصـال جميـل ومعـابثـات طريفـة تطـارحا فيها من أغانى العشق والصبـابة وأغانى التمتع والتدلل ما أغرى المجتمع آنـذاك بأن يقتفى خطاهما ويتسقط أخبارهما وكأنهما نجمان من نجـوم السينما العالمية . . وطمع توبة بن الحمير فى أن يتوج حبه لليلى وأن يختم قصة غرامه بها بالـزواج منها فخطبها إلى أبيها غير أن أباها رفض طلبـه فلم يزوجـه إياها . . ولعل ذلك يرجع ـ فيما يرجـع ـ إلى أنـه شهَّـر بها فى أشعاره التى شاعت وذاعت فى شبـه الجـزيـرة العربية والعراق والشام : ولكى يبدد أبو ليلى كل أمل لتوبة فى الزواج من ابنته فإنه أسرع وزوّجها فى بنى الأدلع غير أن حب توبة لليلى الأخيلية لم يمت أو لم يخب بهذا الاجراء الحاسم والرادع معا فكان عزاؤه أن ينعم برؤية وجهها فحسب والتمس لذلك الكثير من الحيل وما كان اكثرها وأطرفها .

حدث مرة أن ذهب إلى بيتهـا فخـرجت إليه سافـرة متجهمة وهو مالم يعهده من قبل فقد كانت تخرج إليه متبرقعة . . فما كان منه إلا أن ركـب راحلته ورجـع من حيث أتى وهـو كاسف البـال واجف القلب . . وتفجرت قريحته أسى بتلك الأبيات التى



أبكت ليلى الأخيلية حين بلغتها:

نأتـك بليلى دارهـا ما تزورهـا
وشطّتْ نواهـا واستمـر مريـرُها
حمامـةَ بطـن الـواديـين ترنـمى
سقـاك من الغـر الغـوادى مطيرُها
أبـينى لنـا لازال ريشـك ناعـما
ولازلت فى خضـراء دان بريـرهـا
وأشـرفت بالقـوز اليفـاع لعلنى
أرى نار ليلى أو يرانى بصـيرهـا
وكـنـت إذا ما جئـت ليلى تبرقعت
فقـد رابنى منهـا الغـداة سفـورهـا
علىّ دمـاءِ البُـدن إن كان بَعْلُها
يرى لى ذنبـاً غير أنـى أزورهـا
وأنـى إذا زرتهـا قلت يا اسلـمى
وما كان فى قول اسلمى ما يضيرها

ولعل زوج ليلى الأخيلية كان على علم بما كان بينها وبين توبة بن الحمير من حب وعشق ولكنه ثقة منه فى عفتها وسلامة شرفها وتقديراً منه لحبها لتوبة فإنه لم يمنعها من زيارته. . ولعل الرجل كان مغلوباً على أمره ومن ثم لم يستطع أن يكف لسانها عن الاشادة بحب توبة والتغنى بأخلاقه وشهامته. . كل هذا مما أحفز الناس على أن يظنوا بها ظن السوء فى علاقتهـا بتوبة بن الحمير، وللناس الحق فيما يظنون وفيـما يقـولـون. . وهـذا هو أخطـر وأحرج مواقف الاعـترافات، فكيف عالجته ليلى الأخيلية؟ وكيف اعترفت بطبيعة حبها لتوبة؟ وكيف كان موقفها من الأفاكين والذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا؟.

وفدت فى يوم من الأيام على الحجاج بن يوسف الثقفى وهو من هو فى صرامته وقسوته ـ وذلك بعد اغتيال توبة انتقاماً منه لقتله ثوب بن أبى سمعان بن كعب؛ فقـال لها: **(إن شبـابـك قد مضى فولى واضمحل أمرك وأمر توبة فأقسم عليك إلا صَدُقْتِنِى هل كان بينكما ريبة قط أو خاطبك فى ذلك قط)؟ فقالت: لا والله أيها الأمير ـ إلا أنه قال لى ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له:**

وذى حاجـة قلنـا له لا تبـح بها
فليس إليـهـا ما حييـت سبيـل
لنـا صاحب لا ينبغى أن نخونـه
وأنـت لأخـرى فارغ وحـليـل

■ ولا والله ما سمعت منه بعدها ريبة حتى فرق بيننا الموت. قال الحجاج: فما كان بعد ذلك؟
قالت: وَجَّهَ صاحباً له إلى حاضرنا فقال: إذا أتيت الحاضر من بنى عُبادة فاعْلُ شرفاً ثم اهتف بهذا البيت:

عفـا الله عنهـا هل أبـيتـن ليـلة
من الـدهـر لا يسـرى إلىَّ خيالها

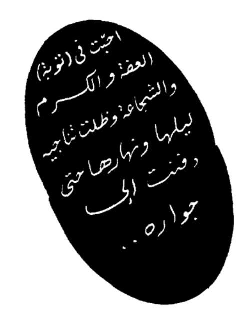
■ فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت:

وعنـه عفـا ربى وأحسـن حفظـه
عزيـز علينـا حاجـة لا يُنالهـا

■ ولعل فى هذا البيت تأكيدا على أن الحب الذى جمع بين قلبى ليلى الأخيلية وتوبة بن الحمير كان رفيعا لم يتدن أو يهبط إلى مستنقع الرذيلة قط بل كان حباً للحب حسب صاحبيه أن يستمتعا بمعاناة نعيم

أشـواقـه وجميل ليالى أنسه. . ولذلك فإن ليلى قد تسامت بخيالها عفة وصونا أن يزور توبة فى أحلامه متزيناً له بما يشبع وطره. . وهذا فى الخيال.

وكـان من الممكن جدا بل من المتوقع حدوثه أن يكون موت توبة حافزا لها على تناسيه والقاء عباءة كثيفة على ما كان بينها وبينه إذا كان هناك ثمة علاقة إثم وفجـور تحرص على أن ينساها الناس حتى لا تكون سبة خزى لا يفارقها حتى الموت. . بل على النقيض لقد كان مصرع توبة على الصورة التراجيدية التى وقع بها باعثاً لشاعرية ليلى الأخيلية لتصوير ما يمـور به وجـدانها من حب لتوبة. . لتصوير وفائها وإخلاصها لذلك الحب، وكذلك لتجسيد أو لتخليد الصفات الأخلاقية والسلوكية والجسمية التى حببتها فى توبة والتى جعلت حبها يزداد رسوخاً وتأصلا فى وجدانها رغم زواجها ورغم موته. . فكأن ليلى قد كشفت بذلـك عن خبيئـة نفسهـا التى كانت تكن



الحب لتوبة والاخلاص له والوفاء من أجله. . لقد جاء رثاء ليلى الأخيلية لتوبة ابن الحمير فريداً فى باب الـرثـاء، لقـد جاء تغنيا بجماله بل تغزلاً فى صفاته وخلائقه بل وإشهاداً للناس على محمود خلائقه التى يرضـونهـا. لقـد ذكرته أمام الحجاج حين كانت فى حضرته فقالت:

فتـى كان أحيـا من فتـاة حييـة
وأشجـع من ليث بخفـان خادر
فنعم الفتى إن كان توبـة فاجـرا
وفـوق الفتى إن كان ليس بفـاجـر

وعندما قالت ليلى هذين البيتين كان أسماء بن خارجة جالسا عند الحجاج فقال لها أسماء: أيتها المرأة إنـك لتصفـين هذا الـرجل بشىء ما تعرفه العرب فقالت: أيها الرجل، هل رأيت توبة قط؟ قال: لا قالت: أما والله لو رأيته لوددت أن كل عاتق فى بيتك حامل منه. . فكأنما فُقِىء فى وجه أسماء حَبُّ الرمان. فقـال الحجـاج: مالـك ومالها. . ثم استطردت فى قصيدتها أمام الحجاج، فكان فيما ذكرته ما يكشف عن أخلاق توبة ومدى شجاعته فى سبيل الخير ودفع الشر؛ لقد قالت:

قتلتم فتى لا يُسقـط الـروعُ رُمْحَـه
إذا الخيـل جالت فى القنـا المتكسر
فيـا توب للهيجـا ويـاتـوب للندى
ويـا توب للمستنبـح المتنـور
فيـارب مكروه أجبت ونائل بذلت
ومـعـروف لديـك ومـنـكـر

ثـم ذهبت فى يوم من الأيام إلى معاوية بن أبى سفيان فأكرم وفادتها وحباها بكل احترام وعطف وكان مما تبسط معها فى حديثه أنه سألها عن توبة بن الحمير فقـال: ويحـك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة؟

فقالت: يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقا والناس شجرة بغى يحسدون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت.. والله لقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجى للأقران كريم المخبر عفيف المئزر جميل المنظر، وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له. قال: وما قلت له؟ قلت ولم أتعد الحق وعلمى فيه:

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره
ألدّ ملدّ يغلب الحق باطله
إذا حل ركب فى ذراه وظله
ليمنعهم مما تخاف نوازله
حماهم بنصل السيف من كل فادح
يخافونه حتى تموت خصائله

■ فقال لها معاوية: ويحك زعم الناس أنه كان عاهراً خاربا (لصا)؛ فقالت من ساعتها:

معاذ إلهى كان والله سيدا
جواداً على العلات جما نوافله
أغر خفاجيا يرى البخل سبة
تحلّب كفاه الندى وأنامله
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته
جميلا محياه قليلًا غوائله
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره
لديه أتته دسعه وفواضله
وقد علم الجوع الذى بات ساريا
على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنك رحب الباع ياتوب بالقرى
إذا ما لئيم القوم ضاقت منازله

■ فقال لها معاوية: ويحك لقد جزت قدره فقالت: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أنى مقصرة فى نعته أو أنى لا أبلغ كنه ما هو أهله فقال لها معاوية: أى الرجال كان؟ فقالت:

أتته المنية حين تم تمامه
وأقصر عنه كل قرن يُطاوله
وكان كليث الغاب يحمى عرينه
وترضى به أشباله وحلائله
غضوب حليم حين يطلب حلمه
وسم زعاف لا تصاب مقاتله

■ **فأمر لها معاوية بجائزة عظيمة وقال: أخبرينى** بأجود ما قلت فيه من الشعر فقالت: يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئا إلا والذى فيه من خصال الخير أكثر ولقد أجدت حين قلت:

جزاك الله خيراً والجزاء بكفه
فتى من عقيل ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها
عليه ولا ينفك حم التصرف
ينال عليات الأمور بَهْونة
إذا هى أعيت كل خرق مشرف
فيا توب ما فى العيش خير ولاندى
يعد وقد أمسيت فى ترب نفنف
وما نلت منك النصف حتى ارتمت بك الـ
ـمنايا بسهم صائب الوقع أعجف

■ فليلى الأخيلية فى هذه المقطوعة تعترف بها شغفها حبا بتوبة وبها أصبح فى نظرها بله اعتقادها مما لا يتسامى إليه حتى ولو كان زوجها.. لكن أما وقد فقدت توبة إلى الأبد فلم يعد لها بقية من أمل فى الحياة فأصبحت الدنيا فى نظرها شائهة بغيضة لا يرجى فيها خير.. وأين هو الخير وقد مات توبة الذى أضفى بجميل سجاياه على الدنيا جمالاً ورونقاً بهيا..

ماذا نقول إذن؟ هل أصاب نفس ليلى مس من اليأس أو نزغة من التشاؤم؟ ولم لا ينتهى بها الأمر إلى هذه الخاتمة المنكودة؟ ولم لا يكون فى قولها:



فيــا توب ما فى الـعـيش خير ولا ندى
يعــد وقــد أمـسـيـت فى ترب نفـنـف؟

ما يشير إلى أنها قد عانت من نزعة تشاؤمية طغت على وجدانها كالصخرة العاتية فسحقت لديها كل بسمة توحى بنبض الأمل والتفاؤل.. ولقد أدى بها التشاؤم إلى أن تستخلص من صروف الحياة الحكم التشاؤمية إن أجيز هذا التعبير، وهى من جنس الحكم التى تستخلص عادة حين تفسد الضمائر وتزيغ المعايير عن الحق وتضيع الحقوق وتهدر القيم بين صراع الأهواء والشهوات.

فموت توبة بن الحمير أفقد ليلى الأخيلية كل اهتمام بالحياة وشئون الأحياء:

أقسمت أرثى بعـد توبـة هالكـا
وأحفـل من دارت عليـه الـدوائـر

■ ثم تشيد بمناقبه فى كلمة واحدة فتقول:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى
إذا لم تصبـه فى الحيـاة المعـايـر

ورغم أن تشاؤمها قد أوصلها إلى هذه الخاتمة إلا أن وجدانها ظل ينبض بحب توبة وأن لسانها لم يفتر عن التغنى بحبه والبكاء عليه والدعاء له:

فلا يبـعـدنـك الله حيـا وميتـا
أخا الحرب إن جارت عليك الدوائر
فآليت لا أنفـك أبكيـك مادعت
على فنـن ورقـاء أوطـار طائـر

وظلت ليلى الأخيلية على وفائها لحب توبة بن الحمير حتى هرمت وعجزت فلم ينقطع لسانها عن اللهج به والدفاع عنه ولو نازعها فيه كبير الدولة.. فما يذكر أنها دخلت على عبد الملك بن مروان، فقال لها: ما رأى فيك توبة حتى هويك؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولوك. فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها.. ويذكر صاحب «الأغانى» أنها: أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة بن الحمير ومعها زوجها وهى فى هودج لها فقالت: والله لا أبرح حتى أسلم على توبة.. فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن تلم به فلما كثر ذلك منها تركها فصعدت أكمة على قبر توبة وقالت: السلام عليك يا توبة.. ثم حولت وجهها إلى القوم وقالت: ما عرفت له كذبة قط قبل هذه قالوا: كيف؟ قالت: أليس القائل:

ولـو أن ليـلى الأخيليـة سلمت
على ودونـى تربـة وصفـائـح
لسلمت تسليم البشـاشـة أو زقـا
إليها صدى من داخل الترب صائح
وأغـبـط من ليـلى بمالا أنـالـه
ألا كل من قرت به العـين صالح

فما باله لا يسلم علىَّ كما قال؟ وكان فى جانب القبر بومة كامنة فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت فى وجه الجمل فنفر فرمى ليلى على رأسها فماتت من وقتها ودفنت إلى جانبه.

هكذا جاءت اعترافات ليلى الأخيلية عن حبها لتوبة بن الحمير نمطاً فريدا فى تاريخ اعترافات الشعراء.. والطريف فى اعترافاتها أن حياتها كانت حباً وأن حبها جاء شعرا.. وأن شعرها جاء أنغاما هى الوفاء والطهر والنقاء.. وان تجاوزت فى أشواقها حق زوجها وبيتها بما صيرها هدفا للمرجفين ومظنة للائمين.

قيد الصيد!

قال أبو تراب:

ذكر الحافظ ابن حزم فى جوامع السيرة عقب غزوة أُحُد انه صلى الله عليه وسلم لما علم أنه راحل الى ربه تعالى خرج فصلى على قتلى أُحُد صلاته على الميت بعد عشرة أعوام.

وكتب بعضهم على هامش السيرة: انها ثمانية أعوام الا شيئاً لأن غزوة أُحُد كانت على رأس الثالثة.

قال أبو تراب:

ان ابن حزم لم يرو أنه صلى عليهم بعد عشرة أعوام من مقتلهم بل أراد أنه صلى عليهم بعد نحو عشرة أعوام من الهجرة وبعيد أن يقع حافظ مثل ابن حزم - وهو كما قال الحميدى فى الجذوة: أعلم بالتواريخ - فى مثل هذا الوهم. ثم ان التاريخ عند ابن حزم يبتدىء من الربيع لا من المحرم كما هو مصطلح الناس الذى درجوا عليه بأمر عمر، وهذه نكتة لم أر من نبه عليها.

قال أبو تراب:

اختلفت الروايات متى لُقّب طلحة بن عبيد الله بالفيّاض؟

فأكثرهم قالوا: انه يوم العسرة، والمعروف انه يوم غزوة تبوك ولكن عكر على هذا ما ورد فى سير النبلاء للذهبى فى ترجمته: انه كان ذلك يوم غزوة العمرة، ونحن لا نعرف شيئاً اسمه غزوة العمرة وانما نعرف ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ أحصر عنها، وكانت بيعة الرضوان فأبدلها بعمرة القضاء وهى أربع عمر فى عمره النبوى كله.

قال أبو تراب:

وأعكر من ذلك ما ورد فى صفة الصفوة لابن الجوزى انه لقب بذلك فى غزوة ذات العشيرة.

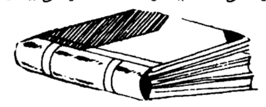
قال أبو تراب:

والصواب انها غزة العسرة وهى غزوة تبوك، أما العشيرة والعمرة فكل ذلك خطأ وتصحيف.

والبرهان على ما ذكرت أن نص هذا الخبر فى معجم الطبرانى وتاريخ ابن عساكر والإصابة وجمهرة الزبير: ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ مرّ فى غزوة ذى قَرد على ماء يقال له بيسان فقال: هو نعمان، وهو مالح - فقال: هو طيب، فغيّر الأسماء فاشتراه طلحة ثم تصدق به فقال: ما أنت الا طلحة الفياض، وهذه الرواية نقلها ايضا ياقوت فى معجم البلدان.

قال أبو تراب:

وبيسان بين حوارن وفلسطين جاء ذكرها فى حديث الجساسة فى صحيح مسلم، وهو طريق الشام وتبوك التى كانت بها الوقعة ذات العسرة هى بين وادى





القرى والشام وهى أول الشام عند ياقوت . . وذو قَرَد ماء بين المدينة وخيبر على يوم ، فأين العشيرة من كل ذلك ، ان العشيرة من بطن ينبع .

قال أبو تراب :

فمن هذا أقول : ان الصواب يوم العسرة فى غزوة تبوك أو قَرَد وبينهما مدة فان غزوة ذى قَرَد فى السادسة وتبوك فى الثامنة . . فأين غزوة العشيرة منهما فانها كانت قبل بدر الأولى بعشر ليال .

وقيل فى مغازى كتاب البخارى : العسيرة بدل العشيرة والصواب العشيرة ، فلعل هذا هو الذى أوهم بعض من وقع فى الوهم فجعل العشيرة عسيرة ثم توهم الآخر فجعل العسيرة عسرة فلما كانت العسرة اسماً لغزوة تبوك واتفق الاسمان جاء الأخر فصحح العسرة عشيرة لأنه اسم لغزوة صحيح فوقع الخلاف فى المراجع .

قال أبو تراب :

ولولا كلمة بيسان فى تاريخ دمشق لاختلط الأمر لأن طلحة شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فكان يقال لا يبعد ان يكون لقب هنا وهناك وكلمة وقوع الكلمة المذكورة جعلنا نجزم بأن هذا الموضع هو بالشام لا بالحجاز .

قال أبو تراب :

وفى الاسماء التى وردت فى غزوة العشيرة ينبع ذكر صخيرات اليمام . . فليحرر لأنها فى تاريخ الطبرى وابن هشام وتاج الزبيدى بالحاء .

قال أبو تراب :

تخبطت المراجع فى نسب أبى موسى الأشعرى وقد راجعت فيه الاصابة والاستيعاب وأسد الغابة وطبقات ابن سعد وطبقات خليفة والجمهرة لابن حزم فوجه الاختلاف فى الاسماء بحيث يتعذر التصحيح .

ففى بعضها سقط وفى بعضها تصحيف فهو فى الاستيعاب : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن بكر بن عامر بن وائل بن ناجية ابن الجماهر بن الأشعر وفيه بدل حضار حضارة وفى الاصابة حصار وفى الجمهرة هصار وزاد فى الاصابة بين عامر وبكر (غنما) وبين عامر ووائل (عذبا) وفى أسد الغابة وطبقات ابن سعد بدل غنم (عنز) وبدل عدب (عذر) وفى الجمهرة وطبقات خليفة بدل عذر (عدى) واتفقت الجمهرة وطبقات خليفة الا فى خضار وهصار واتفقت طبقات ابن سعد مع أسد الغابة وفى الاستيعاب سقط اسمان ثم اختلفوا فى الأشعر من هو؟ ففى الاستيعاب هو ثبت بن أدد وفى الجمهرة هو نبت وكذلك فى الأسد واسم أمه طبية كما فى الاصابة والاسد وهى طبية كما فى الطبقات والاستيعاب والأنساب وهو الصحيح . والصواب عندى (حضار) لا حصار ولا حظارة ولا هصار و(غنم وعدى) بدل عنز وعذر والأشعر (نبت) لا ثبت والله أعلم .



تحقيقات عرضية

● فروق اللغات - تأليف السيد نور الدين الجزائرى المتوفى سنة ١١٥٨ بتحقيق اسد الله الاسماعيليان. من منشورات دار الكتب العلمية - نجف - مطبعة النجف ١٣٨٠هـ ٣٣٤ص كانت الطبعة الأولى للكتاب، طبع حجر فى ايران سنة ١٢٧٤.

من موضوعاته: الابتداع والاختراع - الارادة والمشيئة - ويح وويل - الهدية والهبة.

١ - ص ٨: باب الألف: الابتداع والاختراع. الاولى أن يكون باب الهمزة.

٢ - ص ٢٤ الاصعاد والصعود. . (الاصعاد) يكون فى مستوى الأرض و(الصعود) فى ارتفاع. يقال صعدنا من مكة إذا ابتدأنا السفر منها، ومنه قول الشاعر:

هواىَ مع الركب اليمانى مصعد
جبيب وجثمانى بمكة موثق

■ الصحيح:

جنيب - وفى الكتاب جدول للتصويب لم ينبه الى هذا.

٣ - ص ٦٤ «الترتيب والتأليف. . الترتيب هو جمع الأشياء المختلفة وجعلها بحيث يطلق عليها اسم الواحد. . وان لم تكن مؤتلفة فهو أعم من التأليف. . لأن التأليف ضم الأشياء مؤتلفة. . وقد يجعلان مترادفان.»

■ الصحيح: مترادفين

٤ - ص ٦٢ «شايع ضايع»

صحيح شايع: شائع، وربما كان صحيح ضايع: ضائع.

٥ - ص ١١١ «باب الزاء». . الزنا ووطى الحرام.

الصحيح: باب الزاى. . وطء

٦ - ص ١١٠-١١٩ السن والضرس. . وجعل السن حاداً لأن به يقع العضى».

الاصح فى السن أن يؤنث: السن حادة لأن بها يقع العض.

٧ - ص ١٤٨ «الفرقان والقرآن قال الجوهرى: الفرقان القرآن وكلما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان.

■ صحيح كلما: كل ما.

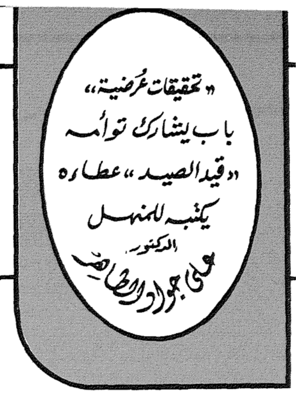
٨ - ص ١٧٨-١٧٩ (من خاتمة الكتاب): فصل فى تقسيم ما يخرج من الحيوان. . زرق الطائر. . اقول: لعلها: ذرق الطائر طرأ على الذال أثر اللفظ العجمى فجعلها زايا

٩ - ص ١٩٠ «فصل فى الأضداد، ذكرها أبو الحسن الصغانى. . المأتم: النساء المجتمعات على الحزن والفرح. . ويرد الصغانى على الصاغانى ايضا:

بقدر الهموم تكون الهمم
القلب يدرك ما لايدرك البصر
اذا عظم المطلوب قل المساعد
انا الغريق فما خوفى من البلل
بذا قضت الأيام ما بين أهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد
وكم حسرات فى قلوب كرام

ورد ذلك فى فصل «فى الأمثال المنظومة». . وواضح - هنا - الاضطراب فى تقديم الأبيات، فقد سقط منها شطر أو ان المؤلف كان يكتفى بشطر واحد من البيت أحيانا اذ يتم به المثل والا فان صدرماورد على انه صدر للبيت الثانى - وهو فى حقيقته - عجز من بيت للمتنبى لم يكن صدرا مثلا هو:

وحيد من الخلان فى كل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد





● الاحواز «عربستان» تأليف علي نعمة الحلو، بغداد ـ النجف ـ ستة أجزاء ١٩٦٩-١٩٧١.

كتاب مهم لمؤلفه فضل السبق بعد فضل الجمع والتنسيق والعرض. انه أشبه بموسوعة للأحواز وقد أشاع هذا الاستعمال الذى أجمل كلمة «الاهواز».

١ ـ ج١، ط٢ ـ بغداد١٩٦٩ ـ ص٣ «استضلت» صحيحها: استظلت. ص ٦٣ «الطالع لله»: الطائع لله ـ والخطأ مطبعى ص ١٤٦ «بلغت عدد المدارس فى مدينة القبان وحدها تسعون مدرسة كما ذكر ذلك السيد فصيح الحيدرى.» بلغ عدد المدارس.. تسعين.. إبراهيم فصيح. ص١٩٦ «أما المرحلة فهى سير اثنتى عشر ساعة على الأقدام».. أثنتى عشرة ساعة. ص٢٦٥ «بلدان الخلافة الشرقية ترجمة كوركيس عواد».. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد.

٢ ـ ج٢ (القسم الأول من الجزء الثانى) بغداد ١٩٦٩ ـ هـ ص١٦٨ «تسمى اليوم جنانة من قرى الحلة فى العراق» يقصد شرحاً لـ «قناقيا». وفى الحلة قرية باسم جناجة



ص٢٠٨ «للسيد على خان مؤلفات كثيرة مثل.. (خير المقال) فى شرح قصائد فى مدح النبى والآل..» أحسب أن السجع مقصود للعنوان وقد يكون الأصل: «خير المقال فى شرح قصائد فى مدح النبى والآل» ص٢٠٩ «بعد حكم عادل دام ثمان وعشرون سنة»: دام ثمانى وعشرين سنة. ص٢٤٧ «ولا يجرأ أحد من شيوخهم التحرك منها». ولا يجرؤ أحد من شيوخهم على التحرك منها» ص٢٧٠ «وذكر الدكتور (عبد الأمير محمد حسين) وأحال فى الهامش على «القوى البحرية فى الخليج العربى» الصحيح: الدكتور عبد الأمير محمد أمين. ص ٢٩٦ «توفى.. وقد أخلفه فى رئاسة كعب ولده» خلفه ص٢٣٣: قول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذاهبة
فدعه فدولته ذاهبه

أقل ما يطلب: التوحيد فى رسم «ذاهبة» و«ذاهبة» كأن توضع النقطتان على الهائين فى الحالين والأفضل ألا توضعا فى الحالين.

٣ ـ ج٣، بغداد ١٩٦٩ ـ ص٩ «فكانوا وهم راكبين السفينة»، وهم راكبو السفينة أو وهم راكبون فى السفينة. ص٧ «ثم أخلفه»: خلفه. ص ٥١ «نأخذ نماذجاً» نماذج ص ٥٣ «ذكر عبد المسيح الأنطاكى قصائداً» قصائد ص٣٩. «ذكر (الزركلى) الشيخ مزعل فى ترجمة الشيخ خزعل باسم (فرعل) وهذا بالطبع خطأ..» لابد من أن يرجع ذلك الى المطبعة، وقد صحح فى ط ـ بيروت ١٩٧٩ ص٩٤ «ولم يكن الشيخ خزعل يحضى بتأييد من السلطات البريطانية فى طموحه الى العرش العراقى»: يحظى. ص٢٤٨ «نقل رفاة الشيخ خزعل» رفات. ص٢٥٢ «القوى البحرية فى الخليج العربى ـ عبد الأمير محمد حسين».. محمد أمين.



كان جل همها أن تلقاه.. أن تتحدث إليه.. تحكى قصتها عليه.. تلقى بشعرها الأشقر الكثيف على كتفيه. هو الفارس الذى لم يترجل بعد.. ولكن أين هو: وأين هى الآن: باعدت الأيام بينهما لدرجة جعلتها تشك فى قدرتها على الصمود أمام ما تحس به وتشعر.

● حدائق الهايد بارك بلندن على سعتها تضيق بأفكارها بأحلامها بأحاديثها.. بالهناء الذى مضى بالأمانى التى ذهبت فجأة دون أن تعود.. وظروف الحياة التى تعيشها تجعلها تعود بذاكرتها إلى الأمس القريب والبعيد معاً يوم كانت هناك فى بيروت على مقربة من كورنيش المزرعة فى شقتها الصغيرة تنتظر عودته على أمل حتى إذا ما عاد لم يعد لوحده، كانت بجانبه امرأة فى شعرها خشونة أفريقيا السمراء رغم عيونها التى امتلأت بسحر غريب يومض لكل من يراها.. وهى رغم ما تُحِس به من إحباط نتيجة عودة هذه المرأة التى لا تدرى عنها شيئاً.

ربما كانت الزوجة التى اقترن بها؟.. أم الصديقة التى أحبها؟..

وهى تعرف بأنه من أولئك الذين يفرقون بين (الزوجة.. والرفيقة) هكذا أفهمها هى التى أحبته ولكن ترى لماذا لم يعد إليها: إلى صدرها الذى حنى عليه أكثر من أربع سنوات؟..

● لماذا لم يعد بالنسبة إليها ذلك الفارس الذى لم يترجل؟.. لقد ترك حصانه الأشقر الجميل وأتى بفرس جديدة تراها لأول مرة على اختلاف مقاييسها الجمالية إلاّ أنها الأحلى والأجمل.

● تُرى لماذا اختارها هذا الفارس ولماذا هو لا يتحدث معها كسابق عهده؟.. (لقد حاولت أن تعرف قصته مع حسنائه لكنه كان يتهرب من عينيها ينظر إليها من بُعد): ويغادر شقته فى هدوء وكأنه لا يعرفها.

يقولون إن الرجال فى الشرق الأوسط يملون بسرعة: لكنه كان غير ذلك فلقد تحدث إليها بلغة جديدة لم تفهمها فتمنحه قيادها فى هدوء حتى إذا عاش فى بحر العسل الأسمر الجديد نسيها وتناسى

للأستاذ القاص

غالب حمزة أبو الفرج

أشياء كثيرة لملمتها بيدها وعينيها . . وأخذت تلقى بتلك الأشياء فى الطريق الذى سلكته معه يوماً ما هنا وهناك فى حزن غامر لا تدرى أسبابه . . هى الفرس الحرون . الذى عاشت مع أحلامه يلتقطها بأسنانه بلا خوف .

أين هو الآن . . يشرب قهوته معها . . أم أنه قد ملّها هى الأخرى؟ .

● ولكن لماذا تتذكر كل هذا ألأنها جاءت إلى هذا المكان . .؟ هذا المطعم هى الإنجليزية التى أجادت العربية . .

● أغانى فيروز تملأ أسماعها . والناس فى هذا المطعم على كثرتهم يأكلون ويشربون لا يلتفتون إليها لماذا . .؟ ألأنها لم تستطع أن تُبْقِى فارسها إلى جانبها والتفتت لتستمع إلى صوت واحد يناديها :



- سوزان
- مرحباً
- كيف أنت؟
- كما ترى : أمضى أيامى فى مسقط رأسي بعد طول غياب .
- وهو؟ - لا أدرى ربما غادر بيروت إلى مكان ما؟ .
- هكذا تظنين؟
- لا أدرى . . قالتها صارمة والدموع تتساقط من عينيها . . هى المرأة التى جابت أكثر من مدينة وارتبطت ببيروت «المدينة الأم» . . وصمتت لتستمع إلى صوته .

- أعرف أنكِ تعرفين . وما فائدة كل ذلك .

وتشاغل بعض الوقت بالنظر إلى منْ فى المطعم . . ثم قال :

- تغديتِ على ما أظن؟
- نعم . . قالتها فى تكاسل . . ولكنى أستطيع أن آخذ معك القهوة .
- قهوة سادة كالعادة . .؟
- لا : بالسكر . . بالكثير من السكر .
- على غير عادتك . . وضحكت وهى تجيب : هكذا أنا على غير ما يفعل الناس . . ولكن لماذا أنتَ هنا؟ ويجيب :
- لست وحدى .
- مع من إذن؟
- معه . . مع الفارس الذى لم يترجل وزوجته وزوجتى . .

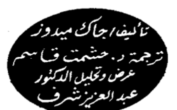
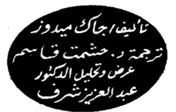
ولم تتركه يكمل حديثه بل خرجت من المطعم تضرب بقدمها الأرض فى قسوة . . لأنها عرفت بأنها قد اختارت الطريق الخطأ فسقطت فى هوة الأحزان إلىْ الأبد . . إلى الأبد . . حتى إذا ما سارت جُزءاً من الطريق الذى تعرف طريقه قدماها الصغيرتان حتى أخذت تتلفت هنا وهناك وكأنها تبحث عن الأمس واليوم والغد . . ولكن كانت كمن فقد الأمس واليوم . . ولم يبق لها إلّا الغد . . الذى تأمل أن تتطهر فيه من أدرانها . . هى التى لم تكن تؤمن بأن الحياة عندما تَهَب الإنسان وسائل حياته قد تقطعها دفعة واحدة .

● والتفتت لتجد فى صورة كل امرأة زوجة صديقها الذى لم يعد ، فأجهشت بالبكاء بصوت سمعه كل من يمشى على الطريق . . لكن الناس فى لندن فى شغل شاغل عن أحزان الناس بهمومهم .

فمضت تجر الذكريات . . وهى غاضبة على الأيام التى حرمتها لذة النصر على الأخريات . . وظلت هكذا تمشى بلا رجل أى رجلٍ . . وزوجٍ أى زوج .



آفاق الاتصال

* «الاتصال» هو حقيقة أساسية للوجود الانساني والعملية الاجتماعية بل ان الاتصال هو حامل العملية الاجتماعية وهو الذى يجعل التفاعل بين الجنس البشرى ممكنا ويمكن الناس من أن يصبحوا كائنات اجتماعية .

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن القول ان عمليات الاتصال لا غنى عنها بالنسبة لطبيعة النشاط العلمى وممارسته وينبغى ألا يقتصر الاهتمام بها على الباحثين العلميين وانما يجب أن يمتد ليشمل كل من يهتم بدراسة العلم باعتباره نشاطا بشريا «كرجال علم الاجتماع والمؤرخين» وبالنسبة لهذه الفئة الأخيرة فان الاتصال العلمى يتمتع بميزة لا تضارع وهى امكان تقييمه وتقديره بطرق كمية أكثر موضوعية من تلك التى نجدها بالنسبة لمعظم مجالات النشاط البشرى الآخرى أضف الى ذلك أنه من الممكن اجراء هذا التقييم مباشرة اعتمادا على تحليل الانتاج الفكرى العلمى المنشور حيث تتوفر كميات هائلة من البيانات وهذه البيانات على عكس الكثير من البيانات السوسيومترية الأخرى - لا تتأثر بظروف الحصول عليها . وعلى ذلك فان الاتصال العلمى يعد من المجالات التى يمكن فيها البحث عن تعميمات يمكن قياسها تجريبيا تتعلق بأنماط معينة من النشاط الجماعى .

حول هذا الموضوع الهام صدرت الترجمة العربية لكتاب الدكتور جاك ميدوز: «آفاق الاتصال ومنافذه فى العلوم والتكنولوجيا» قام بها الدكتور حشمت قاسم . . وقد أحسن صنعا بتقديم ترجمة لهذا الكتاب أولا ثم بما يتميز به من دقة فى التعبير وقدرة على التحرير، جعلت القارىء العربى لهذا الكتاب يشعر بالألفة بينه وبين المضمون الجديد، الذى يقدم اليه باسلوب سلس دقيق التعبير.

ومؤلف هذا الكتاب جاك ميدوز تخرج فى اكسفورد حيث درس الفيزياء النظرية ثم حصل على الدكتوراه فى الفلك فى نفس الجامعة كذلك منحته جامعة لندن فى مطلع الستينيات درجة الماجستير فى تاريخ العلوم وفلسفتها وقضى ميدوز بعد تخرجه فى اكسفورد عامين كأستاذ مساعد بجامعة الينوى حصل بعدهما عام ١٩٦١م على وظيفة محاضر بجامعة سانت أندروز باسكتلندا وقد أدى به اهتمامه المتزايد بتاريخ العلوم الى شغل وظيفة أمين مساعد بقسم الكتب والمخطوطات بالمتحف البريطانى عام ١٩٦٤ وظل هناك حتى عام ١٩٧٢ حيث عين استاذا بقسم الفلك وتاريخ العلوم بجامعة ليستر ولـ (ميدوز) عدد كبير من المؤلفات العلمية فى مجالات الفلك والفيزياء واجتماعيات المعرفة . وقد بدأ اهتمامه بقضية الاتصال فى العلوم منذ بداية الستينيات وكان لعمله بالمتحف البريطانى أثره فى تنمية هذا الاهتمام وربما كان هذا الكتاب - كما يقول المترجم - من أهم ثمار هذا الاتجاه . هذا الكتاب الذى قوبل بكل ترحيب وتقدير فى الأوساط العلمية وعده المتخصصون ضمن الأعمال الأكاديمية النادرة فى مجال يعانى انتاجه الفكرى من سيطرة الاهتمامات التجارية وسيادة قيم لا تمت للعلم



فصائل 8 ومنافذه فى: العلوم والتكنولوجيا

بصلة على حد تعبير الدكتور حشمت قاسم مترجم الكتـــاب، الـذى تجاوز موقفه من الكتـاب حدود الاعجاب والتقريظ وعبر عن تقديره له بطريقة عملية كلفتـه الكثير من الوقت والجهد بذلهما راضيا حرصا على توسيـع قاعدة الافادة منه فى مجتمعنا العربى. فقد رأى فيه دروسا نحن فى أمس الحاجة لأن نعيها فكرا أو نمارسها عملا.

اساليب قياس النشاط العلمى

ويضم الكتـاب ثمانيـة فصول بالاضافة الى ملحق ووراقيـة قيمـة. ويتنـاول الفصـل الأول أساليب قياس النشاط العلمى فى أى وسط سواء كان هذا الوسط دولة بعينهـــا أو كان مجالا موضـوعيـا ويتعلق الأسلوب الأول بالقوى البشرية العاملة بالبحث العلمى من حيث فئاتها ومؤهـلات كل فئـة ومـواصفاتها وطبيعة دورها.. الخ، وكيف تختلف هذه العنـاصـر من بلد لآخـر، ومن مجال موضوعى الى آخر. أما الأسلوب الثانى فيتعلق بحجم الانفاق على النشاط العلمى فى أى مجتمع كما يبين أيضا مدى تفاوت نصيب النشاط العلمى من الدخل القومى من دولة الى أخرى والعوامل المؤدية الى هذا التفاوت.. أما الأسلوب الثالث والأخير فيتعلق بالآثار الفكرية الناتجة فى المجتمع ومدى دلالتها على حجم النشاط العلمى لهذا المجتمـع بالاضـافـة الى مشكـلات حصرهـا وتحليـل احصاءاتها.. الخ. ثم يحاول المؤلف بعد ذلك الربط بين هذه العنـاصـر الثـلاثة مجتمعة للخروج بمنهج متكامل لقياس النشاط العلمى. ثم يختم الفصل بالتعرض لفكرة النمو الأسى وتطبيقاتها فى مختلف عناصر النشاط العلمى وخاصة الانتاج الفكرى المتخصص.

وبعـد أن يعـرض للمؤشـرات الثـلاثـة الكميـة الـرئيسية لنمو النشاط العلمى وهى القوى العاملة والانفاق المالى والانتاج الفكرى يتتبع ما بين هذه المؤشرات من علاقات والى أى حد تتفق النتائج المستخلصة منها ومن الواضح - كما يقول - انه لابد من وجود نوع من العلاقة بين هذه المؤشرات الثلاثة فمن الممكن أن نتوقع - على سبيل المثال - أن تؤدى الزيادة فى المخصصات المالية الى التوسع فى الافادة من القوى العاملة المؤهلة مما يؤدى بدوره الى زيادة عدد البحوث العلمية الناتجة.. الا أن العوامل التى ينطوى عليها استخلاص معدلات النمو يمكن أن تكون معقدة كما أن النتائج المستخلصة منها يمكن أن تكـون منـاقضة لكل توقع. وهكذا يوضح الفصل الأول كيف تطورت مختلف جوانب النشاط العلمى بما فيهـا الاتصـال. وفى الفصـل الثانى ينتقل الى دراسة أكثر تفصيلا للعوامل التى تجعل من الاتصال السـريـع والدقيق مطلبا اساسيا للنشاط العلمى فى العصر الحديث.

التنافس ودوافع الشر

وهكذا يتبادل الفصل الثانى قضية فى غاية الأهمية تتعلق بالسلوك البشـرى فى النشـاط العلمى وهى قضية التنافس ودوافع البشر. ولذلك يستعرض بايجاز

المقصود بالقيم العلمية وحدودها على اعتبار ان العلم نشاط تحكمه مجموعة معينة من القيم وعلى ذلك فان الباحث العلمى فرد تحكم سلوكه هذه القيم وينهض الباحث العلمى بدوره المنوط به لأنه يدرك أن مجال العلم قد أسس نظاما للمكافأة يحقق له ما يصبو اليه . . وقد تناول ميرتون (١٩٦٨) بقدر من التفصيل أفضل سبل صياغة مجموعة من القيم الملزمة فى مجال العلم. وربما كانت افضل صياغة لهذه القيم من وجهة نظر تأثيرها على الاتصال هى صياغة ستورر (١٩٦٦) التى أثبتها المؤلف فى كتابه.

وينتقل المؤلف لمعالجة نظام التحكيم باعتباره أسلوبا يراقب به الوسط العلمى التزام الباحثين بالقيم العلمية ويقدم لنا مناقشة شيقة تستعرض - بالنماذج الحية - ما للتحكيم وما عليه سواء بالنسبة للباحثين والمؤلفين من جهة أو بالنسبة للمحكمين أنفسهم من جهة أخرى. . أما النقطة الثانية فى هذا الفصل فتتعلق بتغير الأطر العلمية السائدة فى أى مجال وأثر ذلك على عمليات الاتصال فى المجال. . يلى ذلك مناقشة لنظام المكافأة فى النشاط العلمى ومدى اقتناع فئات الباحثين بهذا النظام ومدى التزامهم بمقتضياته. . ويختم المؤلف هذا الفصل بمناقشة قضية النشر واختلاف دوافع الاكثار والسرعة.

نشوء المجلة العلمية

اما الفصل الثالث فيتناول المجلة العلمية التى تعتبر كما نعرفها الآن وليدة الثورة العلمية فى القرن السابع عشر حيث كانت بعض الأنباء شبه العلمية - فيما قبل - تجد لها مكانا فى الحوليات والتقاويم التى ذاع صيتها فى ذلك العصر. كما كانت بعض المعلومات شبه التكنولوجية (كذلك المتصلة بالزراعة) أحيانا ما تنشر فى المطبوعات التى تطورت عنها الصحف التى نألفها اليوم. ولم يكد عقد القرن السادس عشر ينفرط حتى أصبح بث المعلومات العلمية المطبوع منها والمخطوط بسرعة نسبية مطلبا أقرب ما يكون الى التحقيق بفضل ما طرأ حينئذ على خدمات البريد فى أوربا الغربية من تطور. . ونظرا لأن الوسط العلمى كان لا يزال محدودا فقد كان طبيعيا ان يحتل نقل المعلومات عن طريق المراسلات الشخصية مكان الصدارة بين سبل الاتصال.

ولقد نشأت المجلات العلمية القديمة أساسا كسجلات لأنشطة الجمعيات العلمية واهتماماتها، الا أنه فى غضون القرن الثامن عشر وبكثافة أكثر فى القرن التاسع عشر بدأت المجلات العلمية التى لا تمت للجمعيات العلمية بصلة فى الظهور وفى عام ١٧٧٣ بدأت احدى هذه المجلات فى فرنسا.

وكان من نتيجة تباطؤ مطبوعات الجمعيات أن أصبحت الاكتشافات العلمية الخطيرة تطرح للمناقشة على صفحات المجلات الثقافية العامة قبل صدورها فى المجلات العلمية وهكذا أمكن لكثير من الباحثين فى أوربا أن يحصلوا الكثير مما بلغهم من أفكار نيوتن عن طريق المجلات غير العلمية.

ومع مطلع العقد السابع من القرن التاسع عشر بدأ صدور كميات هائلة من الدوريات على اختلاف أنواعها بما فى ذلك - مثلا - تلك التى تصدر على اساس تجارى وكذلك المجلة العلمية الاسبوعية NATURE ولم يكد القرن يبلغ نهايته حتى كانت المجلات العلمية قد تطورت نحو أشكالها الحديثة. وكان هذا التطور يرتبط ارتباطا وثيقا باتساع حجم النشاط العلمى والسعى الحثيث نحو الاحتراف.

وهناك علاقة وثيقة بين ما كانت عليه المجلة العلمية فى نهاية العصر الفيكتورى، وما هى عليه فى العصر الحديث على الرغم من حدوث بعض التغيرات فى أعقاب الحرب العالمية الثانية. هذا ولم تشهد فترة ما بين الحربين تغيرا يذكر فى عدد من كانو



يشترون المجلات العلمية، ولا فى احصاءات توزيع هذه المجلات فقد ظل عدد من كانوا يشترون هذه المجلات محدودا كعادته. كما أن احصاءات التوزيع لم تشهد زيادة ملموسة. وفى نهاية العشرينيات من القرن الحالى لاحظ مؤلفان أمريكيان أن: نشر البحوث كان يتم بمعدلات أدت الى اكتظاظ قنوات النشر المألوفة. وقد ترتب على ذلك بالطبع اللجوء الى نشر عدد كبير من المقالات ذات الأهمية الأكاديمية فى المجلات غير الأكاديمية بانتظام.

ولعل أهم ما طرأ على نمط نشر المجلات العلمية من تغير فيها بعد الحرب العالمية الثانية هو النمو الفجائى فى اهمية المجلات التجارية (كفئة مميزة عن تلك التى تصدرها جمعيات) ولقد كان من الممكن ملاحظة هذا التغير فى الولايات المتحدة على وجه الخصوص.

ويذهب المؤلف الى أن الاتصال غير الرسمى فيما بين الباحثين قد أضحى فى القرن العشرين أيسر مما كان عليه من قبل. ويخلص الى أن الاتجاه السائد فى تطور النشر العلمى طوال القرون الثلاثة الأخيرة يشير الى تزايد رسوخ أهمية المجلات. يقابل ذلك تناقص أهمية نشر البحوث العلمية فى شكل كتب.. ولازالت المجلات تؤكد تفوقها حتى الآن، على الرغم من تزايد استعمال أساليب أخرى، لبث المواد العلمية المطبوعة.

والدكتور «**حشمت قاسم**» يعتبر الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب جزءا قائما بذاته يتعرض لمقومات انتاج المعلومات ووسائل نشرها. وعلى ذلك فان الفصل الرابع يعتبر فاتحة الجزء الثانى الذى يتعرض لقضية عامة وأساسية، فى صميم اجتماعيات المعلومات وهى قضية الافادة من المعلومات وهو يعول كثيرا على فكرة تحليل الاستشهادات المرجعية ويتعرض بعمق لمجالات الافادة من نتائج هذا التحليل وخاصة فيما يتعلق بالتعرف على خصائص الانتاج الفكرى المتخصص وطبيعة العلاقات القائمة بين التخصصات وما يطرأ على هذه العلاقات من تغير، وعوامل هذا التغير واتجاهاته.. الخ.

الإفادة من المعلومات

يؤكد المؤلف أن الاتصال يحظى بشكل أو بآخر بنصيب لا يستهان به من حياة الباحث. فقد تبين من دراسة أجريت فى مطلع الستينيات لكيفية توزيع الكيميائيين الأمريكيين لوقتهم، أن الاتصال العلمى يحظى بستة عشر ساعة ونصف أسبوعيا (وربما كان ثلث هذا الوقت من نصيب الاطلاع على النتاج الفكرى) بينما يقضى الباحث ١٠٫٤ ساعة بالعمل، و٦٫٧ ساعة فى الاتصالات الادارية وثلاث ساعات فى معالجة البيانات وساعتين ونصف فى التفكير والتخطيط. ولقد عنيت بعض الاستقصاءات فى دراسة مدى افادة الباحثين مما يتاح لهم من مصادر مختلفة للمعلومات بقياس ما اذا كان أحد الباحثين قد أفاد على الاطلاق من مصدر معين خلال فترة زمنية معينة وهى تبين مثلا أن جميع الباحثين فى العلوم يعتمدون على مجلات البحث، بينما عدد كبير من المهندسين لا يفعلون ذلك.

وتتعلق احدى النتائج المستخلصة من دراسات الاتصال، بدور خدمات الاستخلاص وتبدو أوجه الافادة من أى نشر للاستخلاص واضحة لأول وهلة فهى بمثابة دليل للانتاج الفكرى الأصلى الا أنه مما لا يخفى أن كثيرا من الباحثين يتخذون المستخلصات أيضا بديلا عن هذا الانتاج الفكرى الأصلى.

ومن مصادر المعلومات التى يرحب بها الباحثون فى العلوم ويفيدون منها، المقالات الاستعراضية فعادة ما يرد ذكر البحوث فى مقالات استعراضية بعد عام او عامين من صدورها فى المجلات أى قبل عام على الأقل من استيعاب محتوياتها فى الكتب الدراسية وغالبا ما يكون الباحثون

على استعداد لقطع آلاف الأميال، لقضاء عدة أيام فى الاتصال الشخصى بغيرهم من الباحثين. . ذلك أن كثيرا من الباحثين ينظرون الى المناقشات الشخصية باعتبارها عصب الاتصال فى العلوم.

وهكذا يعرض هذا الفصل لموقف الأفراد من المعلومات ومدى ما يكرسه أفراد كل فئة من فئات المستفيدين لنشاط الاتصال الذى ينطوى على تحصيل المعلومات وبثها فى نفس الوقت. ثم ينتقل بعد ذلك لمناقشة أشكال الاتصال الرسمى وغير الرسمى ومدى اعتماد كل فئة على الانتاج الفكرى أو الاتصال الرسمى ومدى اعتمادها على الاتصالات الشخصية كما رأينا.

ويتعرض المؤلف فى هذا الصدد لمختلف أشكال مصادر المعلومات وقيمتها النسبية ومدى الاعتماد عليها ولا يقدر هذا الفصل حق قدره ـ كما يقول المترجم ـ الا من خير دراسة الافادة من المعلومات عن كثب ورأى كيف تشكل هذه الدراسات بأنواعها ومناهجها ـ غاية لا يجرؤ على اجتيازها إلا جسور.

الإنتاج الفكرى والتقادم

وتتأثر المعلومات ـ شأنها فى ذلك شأن جميع ثمار النشاط البشرى ـ بعامل الزمن وعلى ذلك يكرس المؤلف الفصل الخامس لمناقشة أنماط تأثير عامل الزمن فى الافادة من الانتاج الفكرى ويستعرض المؤلف فى هذه المناقشة بعض الأساليب البيليومترية وفى مقدمتها منحنى تناقص الاستشهاد المرجعى. وقد تعرض لتفصيلات هذا المنحنى وملابساته ويقدم لنا فى هذا السياق بعض القياسات الوراقية كمنتصف العمر وجبهة البحث وغيرهما من أساليب قياس التعطل فى الانتاج الفكرى المتخصص ولما كان تحليل الاستشهادات المرجعية ليس هو الوسيلة الوحيدة للتعرف على الافادة من أوعية المعلومات فقد تعرض المؤلف لمناقشة حدود الاعتماد على هذه الطريقة ومدى صلاحيتها بالنسبة لبعض أشكال أوعية المعلومات وينتهى فى هذا الفصل بمناقشة لمجالات الافادة من هذه القياسات الوراقية وخاصة فى التعرف على الخصائص البنيانية للانتاج الفكرى المتخصص وانعكاس ذلك على توجيه التزويد وادارة المجموعات بمكتبات البحث.

تشتت الانتاج الفكرى فى العلوم

أما الفصل السادس فيتناول قضية فى غاية الأهمية بالنسبة للمسئولين عن بناء المجموعات وتتبع مصادر المعلومات فى مكتبات البحث وخاصة فى ظل الظروف الاقتصادية القاسية، التى يشهدها العالم فى الوقت الراهن. هذه القضية هى قضية تشتت الانتاج الفكرى المتخصص. . ويستهل المؤلف مناقشتها بتقديم أداة منهجية طالما افتقدها المكتبيون وهى قانون برادفورد. وقد ربط المؤلف هذا القانون الوراقى للتشتت بقانون آخر معاصر له فى علم اللغة وهو قانون زيف. . وبين كيف يرتبط هذان القانونان بمبدأ بشرى عام وهو مبدأ أقل الجهد. . وينتقل المؤلف بعد ذلك لمناقشة قضية التشتت واختلاف مداها من مجال موضوعى الى آخر والعوامل المؤثرة فى التشتت كما يرتبط أيضا بين مدى التشتت فى موضوع معين وعادات المتخصصين فى هذا الموضوع فى الاستشهاد بالانتاج الفكرى ويقدم لنا فى هذا الصدد عددا آخر من المقاييس الوراقية وهى الاستشهاد المرجعى الذاتى ومدى التأثر وتبادل الاستشهاد المرجعى ولهذه القياسات أهميتها بالنسبة لبناء مجموعات المكتبات المتخصصة وخاصة فى المجالا ت المتعددة الارتباطات الموضوعية حيث تفيد فى الكشف عن مدى هذه الارتباطات وانعكاسها على الانتاج الفكرى المناسب للمهتمين بكل مجال على حدة ثم يناقش بعد ذلك اختلاف مدى التشتت جغرافيا ولغويا.

الجهد العلمى ومكانة الباحث

ويتناول الفصل السابع بعض قضايا الاتصال المرتبطة بالباحثين كأفراد ويبدأ بمناقشة قضية الاستشهاد المرجعي المتبادل بين بعض الباحثين كمقياس لتأثير بعضهم ببعض. ثم يتعرض بعد ذلك لبعض أشكال شبكات الاتصال بين الباحثين وفكرة الجامعة الاعتبارية ومقوماتها. ومن القضايا الاتصالية التي يتعرض لها المؤلف في هذا الفصل: قضية التألق العلمي حيث يبين مفهوم التألق ويعرض وسائل قياسه.. كما يتناول أيضا علاقة انتاجية المؤلف بالسن محللا منحنى سرج الفرس الناتج عن توقيع عدد ما ينشره الباحث من اعمال مقابل عمره والدال على وجود فترتين تبلغ فيهما انتاجية الباحث ذروتها.. ثم يقدم لنا أداة منهجية أخرى لدراسة الانتاجية وهي قانون لوتكا.. مبينا حدود تطبيق هذا القانون ومشكلاته وربما كانت أهم هذه المشكلات هي تقدير عدد من لم يسهموا من المؤلفين المتخصصين في موضوع ما خلال الفترة التي تغطيها الدراسة الانتاجية وآخر قضايا الاتصال في هذا الفصل تتعلق بتضافر الجهود العلمية والمتمثلة أساسا في التأليف المشترك وقد حظيت هذه القضية بمناقشة مستفيضة في هذا الكتاب.

انتشار المعلومات العلمية

هذا ويتناول الفصل الثامن والأخير قضية انتشار المعلومات العلمية ويبدأ بالربط بين انتشار الأفكار وانتشار الأمراض فيما يعرف بالنظرية الوبائية ولازال تطبيق هذه النظرية في مجال المعلومات بحاجة الى دراسة على حد تعبير المترجم.. ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك الى دراسة أنماط نمو التخصصات العلمية والمراحل المختلفة لهذا النمو والعوامل المؤثرة فيه حيث يبين كيف يسير نمو بعض التخصصات وفق منحنى تشبعي نمطي. هذا وقد أفرد المؤلف قسما مستقلا من هذا الفصل لمقارنة نتائج دراسات الاستشهاد المرجعي بالدراسات التاريخية السردية للتخصصات العلمية وبين الى أي مدى يتفق هذان الضربان من الدراسة في نتاجهما. ويختتم المؤلف هذا الفصل بالعود من جديد الى قضية الانتاجية حيث يقارن بين المؤلفين غزيري الانتاج والمؤلفين المقلين وأثر كل من الفئتين في تطور المعرفة المتخصصة.

وثيقة ميلاد علم المعلومات

وهذا الكتاب يعتبر أول كتاب في بابه يتناول الجوانب المنهجية لقضية المعلومات حيث يتعرض بأسلوب علمي لمقومات انتاج المعلومات ووسائل نشرها وانماط الافادة منها وترجمة الدكتور «**حشمت قاسم**» تجعله اضافة قيمة للمكتبة العلمية العربية والأهم من ذلك أنه وثيقة ميلاد علم جديد بدأت تتضح معالمه وتتكامل مقوماته وهو «**علم المعلومات**».

فالكتاب جملته شامل وهو - كما يقول المترجم - يعتبر أول مؤلف من نوعه يعالج موضوعات الأتصال في العلوم بمثل هذا التسلسل المنطقي ويحاول جمع شتات الأفكار والنظريات في عرض متكامل على هذا المستوى من النضج. وعنوان الكتاب هو: «آفاق الاتصال ومنافذه في العلوم والتكنولوجيا» والمقصود بكلمة الاتصال كما يقول المترجم: كل ما يتعلق بالمعلومات من حيث مقومات انتاجها ووسائل نشرها وأنماط الافادة منها.. أما العلوم كما وردت في القنوات فيقصد بها العلوم على اطلاقها أي جمع المجالات الدراسية التي تلتزم المنهج العلمي ولا يقتصر على العلوم الطبيعية فقط كما قد يتبادر الى أذهان البعض ويميز المؤلف في هذا الصدد بين العلوم من جهة الفنون والانسانيات من جهة أخرى فالكتاب يتناول قضايا الاتصال في العلوم الاجتماعية أو العلوم السلوكية وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس بالاضافة الى العلوم الطبيعية او العلوم البحتة وخاصة الكيمياء والفيزياء وعلم الأرض والرياضيات والفلك مع مقارنة قضايا الاتصال في العلوم بما هي عليه في التكنولوجيا كلما سمح الموقف بالمقارنة.

■ **ويبرر** المترجم سبب اهتمام المؤلف بالعلوم الطبيعية وتطبيقاتها التكنولوجية سواء من حيث التحيز الموضوعي أو من حيث مدى توفر دراسات الاتصال في المجالات الموضوعية فلا زالت هذه الدراسات وما توفر للمؤلف من نتاجها تتركز بكثافة العلوم الطبيعية بينما لازالت تخطو خطواتها الاولى في العلوم الاجتماعية بينما لم تبرح مهدها بعد في الفنون والانسانيات . . وعلى ذلك فانه من الممكن أن نقول مع المترجم ان معالجة المؤلف لقضايا الاتصال في مختلف المجالات قد جاءت متوازنة ومتفقة الى حد بعيد والترتيب السابق للفئات الثلاث من المجالات . أما فيما يتعلق بالتغطية الجغرافية فالتحيز واضح لكل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الاميريكية وهذا أمر لا يدعو للعجب . وقد أدى هذا التحيز الى استبعاد كلا الدولتين من كشاف الموضوعات . والترجمة العربية كما قام بها الدكتور حشمت قاسم قد جاءت واضحة كل الوضوح وافية في نقل رسالة المؤلف بأمانة شكلا ومضمونا تكشف عن تمكن المترجم من استغلال امكانات اللغة العربية فقد حرص منذ البداية مثلا على استعمال «علم الأرض» بديلا عن الشكل المعرب «جيولوجيا» ولكننا وجدناه يتخلى عن هذه القاعدة وخاصة في حالة ورود المصطلح في شكل صفة وكذلك نتيجة لتعدد مصطلحات التركيب المزجي البادئة بالمقطع «جيو» كالجيوفيزياء والجيو كيمياء . . الخ ، والتي تدل على ما يعرف الآن بعلوم الأرض . وقد حدث نفس الشيء بالنسبة لعدد آخر من المصطلحات كعلم الأحياء والقياسات الوراقية . . الخ . وهذه كما يقول بحق ـ قضية مرتبطة بالنظام اللغوي الذي يحكم سلوكنا اللغوي وقد ألحق بالترجمة كشافا تحليليا لموضوعات الكتاب استعمل فيه الأشكال المعيارية للمصطلحات . ورغم تباين أشكالها ـ صرفيا ونظميا ـ في النص ترضية للأخوة المكتبيين الباحثين عن «يوتبيا لغوية» .

حول استفتاء المنهل

أبت مشاركات الاستاذ محمد مصالحة الا ان تفرض نفسها في موضع العطاء المتواصل لمنهله سواء ابان وجوده في تونس او انتقاله للندن لتكملة الرسالة المنوطة به .

وها هو ذا يدلي برأيه في موضوع الاستفتاء الذي طرحناه واحببنا ان نسجله باعتباره قصيراً مرسلاً موجها .

«المنهل»

● رغم أن البعد الجغرافي نأى بي في السنة الاخيرة عن المنطقة العربية بما فيها العربية السعودية . . ورغم أن تخصصي أقرب الى الاعلام والسياسة علما وممارسة فإنني وبكل تجرد أقول على وجه الاجمال ما يلي :

(١) ان النهضة الفكرية السعودية اتسمت بالعطاء الكمي والنوعي في السنوات الأخيرة مع تركيز خاص على العنصر التراثي .

(٢) ان المؤسسات الثقافية (الدوريات ، المراكز البحثية ، دور النشر . . الخ قد استطاعت ان تفيض بانتاجها خارج السعودية/ داخل الوطن العربي وخارجه .

(٣) لقد لمع العديد من المفكرين والعلماء السعوديين الأجلاء في ميادين مختلفة من المعرفة وكانت لهم مساهمات رائدة في الندوات والملتقيات الفكرية .

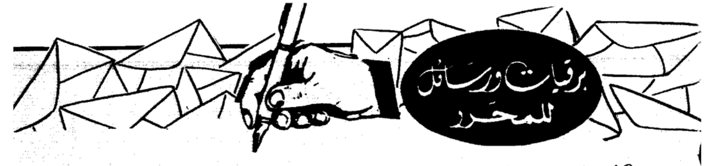
المقترحات :

١ ـ توسيع طاقة التوزيع للانتاج الفكري السعودي والاستفادة من الامكانات التكنولوجية والمادية المتوفرة للمؤسسات الثقافية السعودية .

٢ ـ زيادة الانفتاح على الانتاج الفكري العالمي الموضوعي والذي يخدم تطور الامة وينسجم مع مقوماتها الفكرية .

٣ ـ زيادة حركة الترجمة من وإلى العربية واللغات الاجنبية الأخرى بما يرفد ويعزز التفاهم والتعاون بين السعودية ودول العالم





Abul Hasan Ali Nadwi

P. O. Box 93 Lucknow 226 007
(INDIA)

رسالة ابو الحسن على الحسنى

الأخ الكريم/ نبيه عبد القدوس

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد فقد تلقيت مجلة المنهل العزيزة بعد فترة طويلة فتجددت بها ذكريات سعيدة فان صلتي بالمجلة وخاصة بمؤسسها العلامة عبد القدوس الأنصارى رحمه الله قديمة وزاهرة بمر العصور، ومحبوبة إلى النفس وقد أدت المجلة خدمات جليلة رائدة فى عالم الاعلام، والتربية الاسلامية والمعرفة وأرجو أن مجلة المنهل تحت إشرافكم ستواصل جهادها فى سبيل الحق والثقافة والمعرفة بهدف نبيل، وتخطو خطوات واسعة وسأكون سعيداً بالاسهام فيها واعتبر ذلك شرفا لى .

وقد ذكرتم فى رسالتكم المرفقة بالمجلة انكم فى حاجة الى معلومات عن فرنكى محل وأرفقتم رسالة إلى مدير جامعة فرنكى محل فافيدكم علما أن فرنكى محل اليوم حى من احياء لكهنوء، ولم تعد فيه مدرسة مشهورة فضلا عن جامعة وقد توفى الشيخ محمد كامل بحر العلومى الذى كان حريصا على احياء تراث الاسرة العلمية لعلماء فرنكى محل وكان يسهم بمقالاته العلمية فى المنهل وعدد من الصحف العربية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

ابو الحسن على الحسنى

«المنهل» ————————

ونحن اكثر سعادة بتجديد مشاركاتكم الثبتة الحفية بكم وبفضلكم وعلمكم.

رسالة محمد عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم .

مولوى محمد عبدالرحمن القدوسى
المهاجر الافغانى

Moulavi Mohd. Abdurrahman
Al-Quddusi
Afghan Refugee
HIGHER STUDIES

No................
Date................

مدير مجلة "المنهل" الاسلامية العربية .

اطلعت على مجلة "المنهل" المصدرة من سفارة للمملكة العربية باسلام آب د باكستان فقرأت مافيها من المضامين على العناوين المختلفة موضوعاتها وانهمك قلبى فى التفكير فى موضوعاتها الغريبة العلمية التى لم نعثر بها من قبل كموضوع "هل للانسان قلبان" ص ٥٤ المجلد ٤٦ ربيع الثانى فرغبت الارتبط لادارتها هذه الرسالة وارسلها اليها .

وانى لاجل ضيق المعيشة وضعف القوة الاقتصادية لااقدر ان اشترك فيها ومع ذلك ان استطعتم ان تمدونا بتصديرها كل شهر فيكون فضلا منكم . وارجو من ادارة المجلة اصدار اعدادها السابقة .

ارجو الله ان يوفقكم لخدماة العالية السامية للاسلام والمسلمين

اخوكم فى التوحيد والعقيدة

محمد عبدالرحمن قُدُّوسى

P.O. Muslim Bagh - Zhob - Baluchistan
PAKISTAN

MOULAVI
Mohd Abdur Rahman Quddusi
Afghan Refugees
Islamic Arabic Studies

محمد عبدالرحمان قدوسى افغانى
پى او مسلم باغ ژوب
(بلوچستان پاكستان)

«المنهل» ————————

نقدر ثناءكم هذا ويمكن ان تتناولوا المجلة وشهريا من المكتب الثقافى السعودى بباكستان والذى سيرحب بوفادتكم بالطبع . . هذا وقد بعثنا لكم بالبريد المسجل ما تيسر من اصدارات المنهل وبعض المطبوعات المتخصصة لمثل هذا العطاء .

حول كتاب الموسوعة الأدبية

منذ سنوات قام المرحوم الأستاذ عبد السلام طاهر الساسي بتأليف كتاب اسماه . . «الموسوعة الأدبية» وهي دائرة معارف لأبرز أدباء المملكة العربية السعودية وقد صدر في ثلاثة أجزاء حتى الآن غطت الحروف الهجائية من الألف الى الفاء والموسوعة أكبر معين لراصدي الحركة الفكرية في بلادنا إذ تقدم اسماء الأدباء والتعريف بهم وذكر اتجاههم ومؤلفاتهم وما اسهموا به في مسارهم الفكري ونشاطهم الأدبي ولقد بلغ مجموع من ترجم لهم في موسوعته أكثر من مائة أديب سعودي .

ولقد بحثت كما بحث غيري من أصحاب المكتبات عن هذه الأجزاء الثلاثة فلم نعثر عليها . . حيث نفدت من جميع المكتبات .

والواقع ان الاستاذ الساسي رحمه الله بموسوعته هذه قد وضع ركيزة للتعريف بأدب هذه البلاد وأدبائها وتوضيح سماته ومعالمه ليسهل أمام الباحثين والدارسين لأدب هذه البلاد وضوح الرؤية وإبراز المعالم خلال دراسته والتعرف عليه . . ولا شك أن هناك تطورا وامتداداً للنهضة الأدبية بعد صدور الموسوعة .

لذا فاني آمل من ورثة المرحوم أو من رعاية الشباب أو الأندية الأدبية او الجامعات أن تهتم بإعادة طباعة الموسوعة وإكمال ما بدأه المؤلف ووقف عليه ولعله يكون موجودا لدى ابنائه .

وبذلك تكون الموسوعة مكتملة ومتوفرة في أيدي الدارسين والباحثين والمهتمين بالاطلاع ومعرفة الأدب والأدباء السعوديين . . وإبرازه في قالب يتفق مع المكانة اللائقة بأدبنا وطموحات أدبائنا خاصة وأن الأدب اليوم قناة من قنوات الاتصال بالعالم . . وإن اعادة طباعة هذه الموسوعة هي تتويج للأدب والأدباء واحتفاء بكل جهد أدبي تركه الأديب حياً أو ميتاً . . وإحساسا بالوفاء لأدبائنا الراحلين الذين كان لهم نشاط وإسهام في الحياة الأدبية خلال سنوات عديدة . . ان الشعور بالواجب يدعونا للتطلع إلى اهتمام وجهود المسؤولين عن النشاط الثقافي والأدبي في طبع وابراز إنتاج الرعيل الأول من أدبائنا وتعريف الناشئة بهم من خلال نشر آثارهم وكتبهم ودواوينهم الشعرية .

«عبد الله حمد الحقيل»

مكتب الوزير

سعادة الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري

صاحب مجلة المنهل ورئيس التحرير

ص/ب (٢٩٠) الرياض ١١٤١١

بعد التحية :ـ

تلقيت بالشكر خطابكم رقم ٥٦٣٣ وتاريخ ١٤٠٥/٨/٧هـ وبرفقه العدد رقم ٤٣٦ من مجلة المنهل العدد الخاص عن الامن والامان .. مقدرا لكم اهداءكم والدور الذى تقومون به متمنيا لمجلة المنهل العريقة مزيدا من التقدم والازدهار .. مع تحياتي ....

وزير المالية والاقتصاد الوطني

محمد ابا الخيل

● نصف قرن مضى على صدور العدد الاول من «المنهل»، المجلة السعودية الشهرية للآداب والعلوم والثقافة، فهو عمر قلما عرفته المجلات العربية، الثقافية خاصة. الملك فهد بن عبد العزيز لم يغفل عن الاحتفال بهذه المناسبة، [illegible] المجلة واقترن ذلك بتطوير [illegible] السعودية [illegible] وذلك في رسالة وجهها لادارة المجلة، التي نشرتها في عددها الجديد الخاص بالذكرى. العدد يتضمن دراسات تحليلية وافية عن دور «المنهل» خلال نصف قرن في تنشيط الثقافة السعودية، بالاضافة الى عرض شامل لمسارات الادب السعودي.

الشرق

سياسية، ثقافية، اجتماعية

الرقم

التاريخ ٢٤/ ٨ / ١٤٠٥هـ.

الموافق / / ١٩م.

سعادة الاستاذ / نبيه بن عبد القدوس الأنصاري   الموقر

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلني بالبريد العدد رقم " ٤٣٦ " من (المنهل) وهو العدد الخاص عن " الأمن والأمان " في المملكة العربية السعودية والعالم .. وأسعدنا اهدائكم بالخطاب المرفق بالعدد .. وكان العدد بحق اضافة جديدة لمكتبتنا .. ونحن اذ ندعو الله لكم بالمزيد من النجاح والتوفيق .

مع جزيل شكري وصادق تمنياتي ..

رئيس تحرير مجلة الشرق

منصور السحلي

من أصداء عدد الأمن والأمان

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة مع التحيه والاجلال لصاحب السمو الملكي نائب وزير الداخلية   المعظم

سعادة صاحب مجلة المنهل ورئيس التحرير

الاستاذ/ نبيه عبد القدوس الانصاري

السلام عليكم ورحمة اللهوبركاته ،

اطلعت على مجلة المنهل العدد ٣٤٦ والتى يوحي غلافها بأن موضوعا بعنوان الامن والامان سيكون احد مواضيع العدد . فأذا بالمنهل موسوعه مكتمله وشامله ومبين فيها بالتفصيل الاصول السماويه التى تستمد اجهزه الامن فى المملكة العربية السعودية قوتها وعزتها منها .

ويلاحظ على المواضيع التى بحثت التطرق المباشر للموضوع بعيدا عن كل غث وحشو ويلاحظ ايضا ان هذه المواضيع عباره عن حصاد عشرات الكتب ، لو تمكن القارى من مطالعتها جميعا لما خرج بحصيله اكبر او أدق عما يسرته المنهل فى عدد واحد . لقد يسرت المنهل موسوعه كانت تفتقد اليها المكتبه العربيه وان هذا العدد سيكون مآلا لكل راغب فى الاطلاع والبحث والمعرفه سواء من رجال الامن او من يعنيه الامر .

وانى كرجل امن اود ان اشكر المنهل على هذا الاثراء القيم الذى قامت به ولكم تحياتي ...

الفريق

محمد بن هلال

المدير العام لسلاح الحدود

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
المديرية العامة لسلاح الحدود





سعادة الأخ / نبيه بن عبد القدوس الانصـــارى
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهـــل / ص . ب ٢٩٢٥ - جـدة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه - وبعـــد :-

تلقيت خطابكم رقم ٥٦٣٢ وتاريخ ٧/٨/١٤٠٥هـ ومشفوعه العدد رقم ٣٤٦ مـــن مجلة المنهل ، وهو العدد الخاص عن (الامن والامان) فى المملكه العربيه السعوديـــة والعالـــم .

وانه لمن دواعى سرورى الاعراب لكم عن صادق التقدير والاعجاب للمجهودات الـــتى بذلت لاظهار هذا العدد الخاص الذى يحتوى على عدد كبير من المواضيع والبحوث الهامـــة فى مجالات الامن المختلفه والتى ستكون ان شاء الله ذات فائدة كبرى فى رفع مستـــوى الوعى الآمنى لدى القارئ العربى والمسلم فى شتى بقاع الأرض .

أشكركم على مابذلتموه وتبذلونه فى خدمة الفكر العربى والاسلامى متمنيا لشخصكـــم الكريم مزيدا من التوفيق والنجـــاح ولمجلتكم الغراء دوام النبوغ والازدهـــار .

وتقبلوا أصدق تحياتـــى ،،،،،

أخوكـــم
الرائد / محمد مصطفى عاشور الحســـنى
أمين عام الهيئه العليا للأمن الصناعى بالنيابـــه



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
الهيئه العليا للامن الصناعى
الامانه العامـه



دولـة البحـريـن
وزارة الداخليـة

الأخ الفاضل نبيه بن عبد القدوس الأنصارى المحترم
رئيس تحرير مجلة " المنهل " المملكة العربية السعودية
تحية طيبة وبعد ،

تلقيت بمزيد من الشكر والتقدير رسالتكم المؤرخه في ٢٤/١١/١٤٠٥هـ بشأن العدد الخاص من مجلة " المنهل " والذى تناول بالدراسة والبحث موضوع الأمن والأمان بالمملكة العربية السعودية الشقيقة والعالم .

ويسعدني أن أعبر لكم عن أعجابي وتقديرى لما حواه هذا العدد من دراسات قيمه وبحوث تناولت العديد من جوانب العمل الأمني مما جعل هذا العدد أضافة جديدة للمكتبة العربية في الثقافه الأمنية .

وأنني اذ أشيد بالجهد الكبير الذى بذل في أعداد هذا العدد الخاص من مجلتكم الهادفه " المنهل " فأنني أرجوا لكم وللأخوة أعضاء أسرة التحرير وكل من أسهم في هذا العمل المشرف المزيد من التوفيق والنجاح .

وتفضلوا خالص تحياتنا ،،،،

محمد بن خليفة آل خليفة
وزير الداخلية بدولة البحرين

القافلة

الاستاذ الفاضل نبيه بن عبدالقدوس الانصاري المحترم
ص ب ٢٩٢٥ ـ جدة ٢١٤٦١

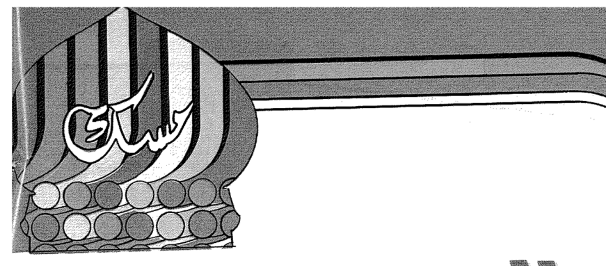
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا بمزيد السرور العدد رقم ٤٣٦ من مجلة المنهل التي تصدرها مؤسستكم العريقة وقد وجدناها حافلة بالمواضيع المفيدة ، التي تعكس مدى الجهود الموفقة التي تبذل في ابرازها الى حيز الوجود.

وفقكم الله الى خدمة العلوم والمعرفة ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

عبدالله حسين الغامدي

رئيس التحرير



اليــوم الوطـني

إن المغزى الذى يقف وراء احتفاء الشعب السعودى الوفى الأمين، بهذه الذكرى الماجدة العزيزة على نفـوسنا يتمثل ـ ولا ريب ـ فى انها «الترجمان» الصادق المعبر عن احاسيسنا ومشاعرنا العميقة فهى تمثـل «حجـر الـزاوية» و«نقطة الانطلاق» الى فوق لبنياننا ولمسيرتنا صوب التقدم المنشود.

وكان ذلك بفضل من الله اولا ثم باهتمامات عبده المؤمن الصابر البطل الصنديد «الملك عبد العزيز آل سعود» تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته. فبعد أن قام بتأسيس هذه الدولة كان اسمها اولا (مملكة الحجـاز وسلطنـة نجـد وملحقاتها) وبعد ان انتظم تلاحم الشعبين واندماجهما مع بعض رأت حكمته السامية ان قد آن الأوان لتحويل هذا الاسم لما يطابق المسمى بعد ان اندمج الاسم والمسمى وأصبحا شيئا واحـدا فسميت المملكـة منـذ ذلك الحين بمقتضى مرسوم ملكى كريم مبنى على رغبة الشعب المعروضة لجلالتـه باسم: «المملكـة العـربيـة السعـودية». . ووصف المملكة (العربية) بالسعودية ليس بدعا فله سابقات ومثيلات فى حضارة الاسلام. فقد سميت الدولة العربية التى شادها بنو امية (بالدولة الأموية) وسميت الدولة التى اقامها بنو العباس باسم «الدولة العباسية» وهكذا دواليك. .

وقـد حفلت المملكـة العـربيـة السعـوديـة منذ تأسيسهـا بالأمن الشـامل لربوعها كافة وبالاستقرار الكامل فى سائر ديارها حاضرة وبادية معا. وبذلك استمر تطور شعبها فى حياتهم ومجتمعهم وفى عمران بلادهم ونمت فيها الحضارة نموا ملموسا وتقدم فيها العلم تقـدمـا مرمـوقا حيث انتشرت بها دور العلم وانشئت بها جامعات فى أمهات مدنها كما نمت فيها الصناعات الحديثة وازدهرت ازدهاراً بارزاً كما نمت الـزراعـة فيهـا نمواً ظاهراً يرمى الى ايجاد الاكتفاء الذاتى فى الماء والغذاء وربما فى الكساء أيضا.

وقــد زفتت طرق السيـارات ووسعت وانتشرت فى انحاء المملكة انتشار الشرايين فى جسم الانسان وبعد ان كانت الجمال واسطة النقل والانتقال الـوحيدة فى أول عهد هذه الدولة نهدت بحزم بالغ متـواصـل الى استخدام السيارات بدلا من وسائل النقل والانتقال السابقة البطيئة المستعملة عبر تاريخ بنى الانسان من قديم الزمان.

وحينـما اقبل عصر الطيران بقضه وقضيضه محولا مجرى تاريخ النقل الخاص والعام من السيارة التى تسير على متن الأرض كالسلحفاة بالنسبة للطيارة التى تخترق أجواز الفضاء بسرعة البرق



أصالة ودلالة



تقريبا معطية للانسان أسرع وسيلة ممكنة فى سرعة النقل والانتقال ـ عندئذ بادرت الدولة السعودية بهمة عالية وتصميم قويم باشادة المطارات المناسبة لهذا التطور النقلى الجديد . . وكانت المطارات المشادة تتناسب مع الطائرات العادية التى تعبر الأجواء اذ ذاك ولما تطورت الطائرات وطورت المجتمعات الانسانية الراقية المطارات الخاصة بهذه الطائرات الضخمة التى هى أحدث وأسرع من زميلاتها الأولى نهضت الدولة السعودية أيضا للقيام بمشروعات بناء المطارات الملائمة لتطور هذه المطارات هياكل وتجهيزات . . وبذلك ارتفعت وترتفع سهام المملكة فى هذا الجانب الى مستوى أمثالها فى العالم الممعن فى سلم الحضارة من هذه الناحية ايضا .

هذا وقد اضافت المملكة الى ما حققته من تحديث وسائل المواصلات النقلية تحديث وسائل الاتصال البشرى المباشر ونعنى بها الوسائل السمعية والبصرية الحديثة فانشأت لنا وزارة الاعلام السعودية وزودتها بالتشجيع حتى بلغت الآن مكانة عالية تضاهى وسائل الاعلام العالمية الحديثة . . وكان ذروة منتجاتها فى الاعلام السمعى والبصرى قيامها الناجح الموفق باراءة العالم الانسانى قاطبة حشود الحجاج الى بيت الله الحرام وهى تتحرك كالأمواج الهادرة فى اصيل يوم عرفة المجيد فى حركة جماعية عظيمة رائعة متجهين من عرفات الى مزدلفة ومنى وهم حاسرو الرؤوس مرتدين للابسهم الاحرامية المتواضعة المماثلة فى بساطتها ونقائها وبياضها الناصع لنقاء قلوبهم وصفاء أرواحهم .

وبعد فإن هذه المزايا الكامنة فى اهاب اليوم الوطنى الميمون هى التى غرست فى قلوبنا جذور تقدير «اليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية» لأنه شعارها الخفاق المعبر عن مجدها العتيق . . وتطورها المتسامى الحديث . . وازدهارها المتنامى الأحدث . فهو ـ أى اليوم الوطنى للمملكة ـ جدير بالحفاوة والتكريم .

عبدالقدوس الانصاري

شوال ١٤٠١هـ



بقلم المفكر الإسلامي الكبير أحمد محمد جمال

يسعدنا أن ننفرد بنشر ذكريات المفكر السعودي الكبير احمد محمد جمال فى حلقات نتواصل بها مع معطيات الأدب والثقافة السعودية فى الماضي ونتطلع معه الى آفاق زخمها المتنامي والمتصاعد أبداً إن شاء الله .

« المنهل »



العدد ٤٤٠ - السنة ٥٢ - المجلد ٤٧

صفر ١٤٠٦هـ / اكتوبر ونوفمبر

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

رحلة داخل مجمع اللغة العربية بالقاهرة

مسائل في : التربية و.. النشاط التعليمي

ذخائر المكتبة التراثية



العلم القشور .. والعلم اللب

أردنا من «عنوان» هذه الكلمة ان نقول: ان فى عالم الدراسة المدرسية نوعين من العلم متباينين فى الهيولى والصورة تباينهما فى المقدمة والنتيجة.

ولكل من العلمين طريقه الخاص. اذا سلكه الطالب اليه وصل الى ما يصبو اليه فالطالب الذى يجتاز سنىّ الدراسة ويقتحم اختباراتها المرهقة اذا جعل نصب عينيه من اول وهلة ان هذا الذى يطلبه ويجهد نفسه فى الحصول على أكبر قسط متيسر له منه ـ انما هو فى حقيقة امره ـ حسب نظر الطالب نفسه ـ «سلم» و«وسيلة» لغاية أخرى.. غير العلم نفسه. وتلك الغاية هى «الوظيفة» أية كانت و«المنصب» من أى لون هو ـ فان هذا الطالب هو طالب قشور العلم وان هذا العلم الذى يطلبه ويعنى نفسه ويجهدها فى سبيل النجاح فيه ـ هو بالنسبة الى الطالب: «العلم القشور».. والقشور دائما من دأبها أن تمحى وان تزول آثارها وأن تهمل وتلقى فى سلال المهملات بعد الوصول الى اللب. ولب العلم المطلوب فى نظر طالبنا هذا هو «الوظيفة» و«المنصب» و«الكرسى».. وليس العلم.

والطالب الذى يجعل نصب عينيه خلال دراسته المدرسية نيل العلم نفسه لنفسه باعتبار انه «غاية» و«هدف سنى» و«مطلب ذاتى» قبل كل شىء ـ ان هذا الطالب المتفتح الوعى هو طالب «لب العلم».. وان هذا العلم الذى طلبه ويجهد فكره ونفسه فى سبيل الحصول عليه ـ هو بالنسبة الى الطالب «العلم اللب» واللب دائما يعتنى به ويحتفظ به ويعتنى بسلامة جوهره ويعنى بصقله حتى لا يناله الصدأ. وحتى لو وصل هذا الطالب الى أى «منصب» أو «مرتبة» فانه لا يريم عن هذا الاتجاه حولا.

ومن طبيعة المحافظة على «لب» العلم نموه وازدياده واتساعه عمقا وارتفاعه سموقا..

عبد القدوس الأنصاري

١٣٨٧هـ

بطاقة تقديم

ومن طلب العلا سهر الليالي
جرى الوقت ولم نشعر الا والساعة تقترب من
الرابعة صباحًا .. فأنهى رئيس التحرير الاجتماع قائلًا
"فلنسترح قليلًا ثم نعاود العمل" .. الاختيار صعب ..
خاصة وان كل ما يرد الى المنهل من موضوعات الثقافة والآداب
والعلوم .. كله ماتع ثمين سطرته أقلام ثلة من الكتاب
البارزين والأعلام المتخصصين .. وامتدت السهرات -
عزيزنا القارئ - واسرة التحرير تواصل عملها في
متعة وحماس ليظل منهلك -كعهدك به- يطالعك
بجديد أبوابه وقشيب موضوعاته .
اننا من أجل تمازج رسالتنا بك فاعلون
وعلى طريق تأصيل صداقتك يقظون
فأهلًا

المنهل

المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
خمسون عاماً في خدمة الفكر والمعرفة
أسسها سنة ١٣٥٥هـ
عبد القدوس الأنصاري

صفر ١٤٠٦هـ - اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٥م

■ **افتتاحية العدد**

■ **اسلاميات**



من كتاب هذا العدد

أ. احمد محمد جمال

أ. عبد العزيز بن عبد الله

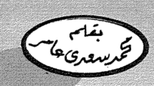
أ. عبد الله درويش

أ. محمد المنصور الشقحاء

مجلاتنا الداخلية

حديث الشهر

الصحوة



من سنن الله تعالى فى خلقه أن يتباين تطور أساليب تفكير الانسان ويختلف سلوكه وأنماط تفكيره. . والمجتمع الانسانى يسهم دائماً فى إثراء الخبرة البشرية وتنمية تجربته الفكرية. ورسالات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما جاءت لتقدم من مذهبيات وتصورات للكون والانسان والحياة ما يناسب مدارك تفكير هذا المجتمع الانسانى.

والاسلام الذى جاء به سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين إنما جاء ليميز أمة تعتنقه برسالة إلهية لها تاريخها الخاص، وبمنزلة رفيعة تقود بها الأمم والشعوب. . وبدور فعال تلعبه فى حضارة إسلامية نظيفة. . وبشخصية فريدة لها ميزتها الذاتية تتحلى بها. . وبوظائف لابد من أن تقوم بها طول حياتها.

أرض الأمة التى تعتنق هذا الدين الخاتم لم تكن محدودة. وهذه الأمة ليست عربية وحدها وإنما عربية وأعجمية. . ولا تنتمى هذه الأمة لفلان بن فلان. . ولا ترتبط بحدث معين هام.

فالأمة التى تعتنق هذا الدين الخاتم استخلفها الله تبارك وتعالى فى الأرض فهى خلائفه فيها تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

والمنزلة الرفيعة التى تقود بها الأمم والشعوب تجعل هذه الأمة ذات تكامل وتوازن واعتدال فى حياتها وفى مسارها التاريخى حيث تنظر إلى مستقبلها بكل تفاؤل ولها منهج حياة ذو اتزان وأصالة ولكنه لا يتعارض مع العصر الحديث حيث باستطاعتها أن تخدم الإنسانية جمعاء، فهى أمة وسط وشهداء على الناس.

والأمة التى تعتنق هذا الدين الحق لها دورها الحضارى فى تطوير العقول لئلا يتجمد الفكر ولأن تكون الثقافة الانسانية فى تقدم وتوسع دائمين. . والتقنية لا تتخلف على أيديها لأنها أمة لها مبادئها للحياة الدنيا وللآخرة ولها وظيفتها وواجبها فى حماية المجتمع الانسانى كله. فهى خلائف فى الأرض ولا تفسد فيها بعد إصلاحها.

وترتكز شخصية هذه الأمة الإسلامية على مبادىء وأسس متينة متوازنة لها أهدافها الواضحة وسلوكها المحدد، وتعرف كل المعرفة كيف تتجه وتتحرك فهى. . قوامة بالعدل. ولهذه الأمة التزامات وواجبات ومسئوليات لابد من أن تقوم بها من أجل أن يمكن الله الاسلام لها ويبدل خوفها أمناً بالاضافة إلى أنها لابد أن تجاهد جهاداً صغيرا وجهادا كبيراً كما لابد أن تنتمى دائماً لايمانها. ولهذه الأمة علاقاتها الاجتماعية المتينة وقيمها الذاتية وشعائرها التعبدية فردية كانت هذه الشعائر أم جماعية. . كل ذلك يشير إلى أن لها قوة ذاتية وكيانا فعالا بين المجتمع الانسانى كله.

تلك هى خصائص وميزات هذه الأمة وتلك هى هويتها على طريق إقامة مجتمع متطور مع عدم الحيد عن الصراط السوى. . ملتزمة بمبادىء الاسلام فيما تقوم به من أعمال فى مؤسسات الاسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

الاسلامية فكرة ودعوة وحركة

والإسلام يعتنى كل الاعتناء بالعقل كى يفكر باستمرار حيث يعتبر التفكير مرتكزاً أساسيا لتكوين الفرد المخلص وبناء المجتمع الفاضل فبدأ كتابه العزيز الذى لا ريب فيه بالأمر بالقراءة. . وخاطب العقول داعياً إلى التفكير باستعمال كل وسائله المشروعة من أجل نجاح الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة. .

ومن أجل إحداث التغيير المنشود والاصلاح الشامل لابد من التفكير الذى له علاقته الايجابية بالدعوة الاسلامية.

ومما ينبغى معرفته أن نجاح الدعوة الاسلامية متوقف على وجود عناصر أساسية منها بناء العقلية الاسلامية القائمة على حرية إبداء الرأى. . وبناء هيئة مؤهلة تعمل على نشرها بين الناس. . هذه الهيئة لها أشكالها المتنوعة وتتجه جميعها إلى هدف واحد لأنها تتحرك حركة رجل واحد. .

ولقد بدأ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام دعوته فى مكة المكرمة ثم وضع اللبنة الأولى لبناية المجتمع الاسلامى الخالص فى المدينة المنورة بعد ذلك بثلاثة عشر عاماً وتوسعت رقعة الدولة الاسلامية حيث حمل خلفاؤه الراشدون رضى الله عنهم لواء الدعوة الى خارج الجزيرة العربية. .

ومنذ النصف الثانى من القرن العشرين اكتسبت الحركة الاسلامية الاطار القارى استجابة لاحتياجات الأفراد المسلمين ومن أجل أن يستمر الفكر الانسانى فى بحثه عن الحق إذ أن المجتمع العالمى المعاصر يفرض على الانسان أن يسير على منهج حياة لا يؤدى بنفسه إلى ما ينشده من طمأنينة وسكينة وأمن واستقرار بسبب هذه الحضارة المادية المعاصرة.

الصحوة الاسلامية الشاملة لابد أن تحدث من أجل إيجاد بديل حضارى فى مجتمعات الإفرنج. فهى إذن تيار إسلامى مبارك يقوم بالتجديد بين ظهرانى مجتمعنا الاسلامى بالذات. . وهى أيضا تيار ثقافى متفاعل مع تلك المجتمعات.

وهذه الصحوة الاسلامية ينبغى لها أن تبلغ دعوة الاسلام بعقيدة إسلامية نقية. . وباستطاعتها أن تحل مشاكل العصر الحديث. . وأن تؤثر فى تخطيط ما يعود على الانسان فى المستقبل من خير. . وأن تهدف إلى تأهيل رجال أكفاء قادرين على القيام بدور قيادى من أجل توجيه المجتمع الانسانى المعاصر إلى تنفيذ أنظمة اسلامية عن طريق إيجاد مجتمع إسلامى منشود.

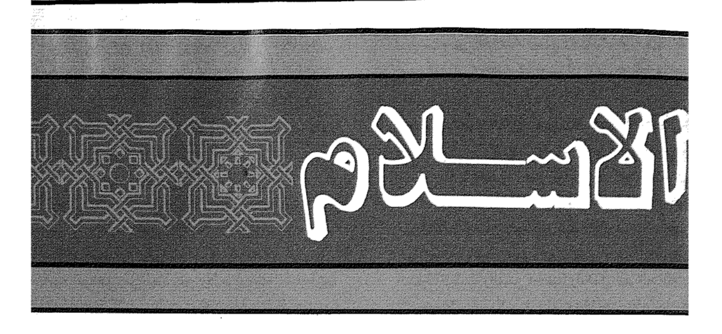
ولابد أن تواجه هذه الصحوة الاسلامية تحدياً حضاريا على مختلف المستويات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والخلقية لتقديم الاسلام كبديل يجب التمسك به.

وأخيرا لابد أن تحقق هذه الصحوة فهماً إسلامياً موحداً يجب أن تسير عليه جميع الحركات والمنظمات والزعامات والهيئات الاسلامية فى العالم حيث يهدف ذلك إلى تحقيق وحدة إسلامية حقيقية كما حققها سلفنا الصالح من جيل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ركائز

الـدين الاسـلامى لا يتعصب لما تضمنـه من تكاليف وجاء به من نظم واحتواه من آداب ودعا إليه من أخـلاق وهـو بالتـالى لا يحمل أهله على ذلك التعصّب ولا يدعـوهم إليـه والسبب فى ذلك ظاهر واضح يفسره أنه دين الانسانية كلها والبشرية جمعاء والأجنـاس عامـة . والأزمنـة والأمكنـة ولا يعنيه أن يخضع الناس لأوامره بالعنف أو يستجيبوا له بالسيف وانما يعنيه أن يكون ذلك كله عن ايمان راسخ ويقين صادق ورغبة صحيحة واطمئنان قلبى تام تستريح له النفس ويـذعن له الخـاطر إذعاناً يوقن معه انه انما يسـوقـه إلى ما هو أصلح لحالـه وانفع لحياته وأَقْوَم لسلوكه وأجدر باستقراره وأمنه وأرجى لسعادة عشه وغير هذا وهذا مما لا تختلف فيه فطرة الانسان وتطمئن كل الاطـمئـنـان إلـى أنـه ضرورى للأفـراد والجماعات . . ويظهر هذا المعنى واضحا فى أنه يقرن للمكلف دائما أبدا حكمة التشريع بما يطلبه منه أو ينهاه عنه فيقول ـ مثلا ـ فى القصاص الذى هو ردع لطيش النفوس ونزوات الأهواء وضمان لكف الأذى والـوقـوف فى وجـه الفوضى وتقليم لأظافر العدوان ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ . . ويقول فى صيام رمضـان الـذى اتفق علماء الطب وأساتذة الاجتماع على أنه كبح لجماح القلب وانحراف الطبع وطغيان شرور النفس . . وتعـوُّد على رقة الاحساس وسمو المشاعر ﴿وان تصوموا خيرٌ لكم﴾ ويقول فى الحج الذى يتيح لأبناء هذه الأمة أن يتدارسوا مشاكلهم أو مسـائلهم وأن يعالجوا أمراضهم ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ وهكـذا فى كل واجب يحتمه أو أمر يلزمنا به حتى دعـا ذلك علماء الفقه الاسلامى أن يقولوا إن أحكام الله سبحانه وتعالى قائمة على جلب المصلحة ودرأ المفسدة . . ومن أجل ذلك كله كان الاختيار كل الاختيار للناس أن يؤمنوا به ويدخلوا فيه بما يوجهه اليهم من التدبر . . ويرغبهم فيه من التأمل ويحثهم عليـه من التروى والنظر والترجيح والمقابلة والتفكير والمقارنة ويتكرر هذا كله فى ثنايا آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وهـذه كلها قضايا لا يختلف أحد فى أنها من المسلم بها فى هذا الـدين لا يشك فيها منصف ولا ينكرها عاقل ولا يمارى فيها حصيف ولهذا فإننا ندعها جانبا دون إفاضة ولا تطويل . . وندير رحى الكلام إلى جهـة أخـرى نبـين منها مغزى الرسالات على العموم لنرى هل استوفى الاسلام نصيبه منها راجين أن يكون ذلك إحقاقا للحق أو إبطالا للباطل حتى لا نتهم بالمغالاة وتجاوز الحد وبخاصة فى هذا العصر



الذى صار المثقفون فيه لا يؤمنون بغير العقل استاذا ولا بسوى المنطق فيصلا ولا يحبون الكلام الذى يدور فى فلك الحلال والحرام ضربة لازب من غير حجة تسنده أو برهان يؤيده.

والأديان كلها ضمان للجماعات والأفراد من العبث بمصيرهم أو العدوان على حقوقهم أو الكيد لهم أو الضياع لأموالهم أو الحد من حرياتهم أو التطاول على حرماتهم ومن أجل هذا يكون التشريع الذى ينظم العلاقات ويؤكد الترابط ويحفظ الحقوق ويجعل المحبة قائمة بين الناس مقام القانون.. وكل ما فى الكتب السماوية من هدى وإرشاد كان ركيزته الأولى الايمان بالله.. والاعتراف له بالوحدانية وأنه المدبر المصرف لهذا الكون وهو وحده الذى يفيض عليه بالخير ويغمره بالبر وتتوالى نعمه عليه لذلك كان معبوداً بحق تتجه إليه الآمال وتعرض عليه الأعمال **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾**.. ومتى وقر عند الانسان هذا الايمان



كان جديراً به أن يكون أواباً توابا طائعا مستجيبا وهذه - كما ترى - مهمة الأديان، لا تتجاوز الايمان بالله والاعتراف بملكوته وجبروته وسلطانه ونفوذه وربوبيته وألوهيته وإفراده بالطاعة واستحقاقه للعبادة.. وهذه المعانى لا يختص بها الاسلام وحده وإنما يشاركه فيها غيره من الأديان السماوية الأخرى. ونحن إذا قلنا إن الاسلام لم يتعصب لها لم نكن مبالغين.. وفى أسلوب الدعوة التى ظل سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ يدعو بها ثلاثا وعشرين سنة ألف دليل على ذلك كله ومن حقنا بعد ذلك أن نذكر لك لِمَ كانت هذه الدعوة هكذا قائمة على اللين والهوادة والاختيار والحرية والتروِّى والتفكير والتأمل والنظر والإذعان والقبول.. ولم تقترن الشريعة الاسلامية بما اقترن به غيرها من شرائع البشر من العنف والعسف والالجاء والاكراه وكان تاريخها مليئا بالفزع والخوف أو الحروب والدماء..

والدين الاسلامى يقوم على هذه المبادىء ضمن ما يقوم عليه:

أولا: توفرت لأحكامه وتشريعاته وهديه وإرشاده وأوامره ونواهيه وتهذيبه وآدابه.. كل معانى القبول والارتياح والاذعان والرضا والاعتقاد كل الاعتقاد أنها

تقويم واصلاح وخير وفلاح ونهوض وتقدم وبُعْد نظر وسداد رأى وأخذ بأسباب الرقى والعمران لا يستطيع أحد أن يغمز جانبها أو ينال منها أو يتهمها بأنها قصرت فى صميم الاقتصاد أو دنيا السياسة.. أو صلة الانسان بأخيه الإنسان.

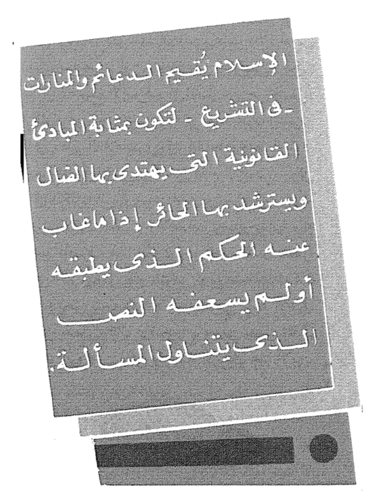
•

ثانيا: عنايته التامة بتربية القوى الواعية فى الفرد حتى لا يكون إيمانه تقليدا ولا إذعانه ترديدا ولا اعتقاده خبطا ولا يقينه شكا وفى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مساحات واسعة من الآيات البينات تحث على النظر وتدعو إلى التأمل وتنادى بالدراسة وتعلن أن الخير كل الخير إنما يرجى من هؤلاء الذين لهم قلوب يفقهون بها وأعين يبصرون بها وآذان يسمعون بها.. وهكذا من كل ما يثير النظر ويلهب الفكر ويبعث على التأمل ويدعو إلى إعمال العقل.. واستخدام المنطق وربط الأسباب بالمسببات وتعليل الأحكام وإرجاع الأشياء إلى أصولها دون أن يزيغ البصر أو ينحرف الرأى أو تضطرب العقيدة.

ثالثا: سهولة تكاليفه وأحكامه فلا يشعر من يقوم بها بشىء من الحرج ولا معنى من المشقة ولا بعض من المعاناة ﴿لا يكلفُ الله نفساً إلا وسعها﴾.. ﴿وما جعل عليكم فى الدينِ مِنْ حرج﴾.. وقد صح أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ انتهى إليه خبر رجل من صحابته يطيل فى الصلاة فاستحضره ونهاه عن ذلك كما نهى - كذلك - من كان يَصِلُ ليله بنهاره صوماً ونهى من انقطع للعبادة كل الانقطاع فلم يأت أهله أو يقوم بحاجة نفسه وقال له قم ونم وصم وافطر وأت أهلك فإن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

وقد شرع الله الرخصة تخفيفا على العباد كالتيمم الذى هو خَلَفٌ عن الوضوء لفاقد الماء أو المريض الذى يؤذيه استعماله وقصر الصلاة عوضا عن التمام للمسافر والفطر فى نهار رمضان لمن لم يكن مقيما ورغب صلى الله عليه وسلم فى ذلك بقوله «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحبّ أن تؤتى عزائمه».

رابعا: يعنى بسلطان الضمائر فى نفوس أهله ليكون ذلك بمثابة الوازع الذى يمنعهم عن المآثم وينفرهم من الأوزار ويبغض إليهم الاقتراف ويزهدهم فى الانحراف وهنالك يلفتهم إلى كثير من المعانى الوجدانية السليمة وبخاصة تلك التى لا علانية فيها كنية الخير للناس وعدم الحقد على أحد والرضا عن السلوك الطيب والسنن الحميد والعمل الصالح الذى لا يعلنه لإنسان ولا يرائى به مخلوقا حتى إذا أنفق لا تدرى شماله ما بذلته يمينه وهكذا ليكون البر نابعا من القلب صادرا عن النفس قد دفعت إليه الرغبة الصادقة والنية الصحيحة.



وفي الحديث الشريف «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الأيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار» وهو درس من دروس تربية الضمير لا يقل عن ذلك الذى يستفاد من الصوم والاعتكاف وغيرهما من الشعائر التى تمكن للوازع الدينى الذى يعمر قلب المسلم وتمتلىء جوانحه به ومن هنا يظهر واضحا كل الوضوح معنى الحديث القدسى ﴿الصوم لى وأنا أجزى به﴾.

خامسا: جريه على مبدأ التدرج والانتقال من السهل إلى غيره لتزول وحشة النفس التى يمكن أن تحدث لها من الطفرة أو المفاجأة ففى أول الأمر يقول عن الخمر والميسر ﴿**قُلْ فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناسِ وإثمُهما أكبرُ من نفعِهما**﴾ ثم يجىء فى الخطوة الثانية بانتقال آخر هو قوله.. ﴿**لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾ ثم ينهى الحديث بعد ذلك بما لا يدع مجالا للشك فى تحريمها تحريما باتا لا هوادة فيه وذلك فى قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرُ والميسرُ والأنصاب والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريدُ الشيطانُ أن يوقِعَ بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾ وقد أخذ بمبدأ التدرج هذا علماء التربية وأوصوا بالالتزام به فى التعليم لأنه أجدى وأنفع.

سادسا: يقيم الدعائم والمنارات - فى التشريع - لتكون بمثابة المبادىء القانونية التى يهتدى بها الضال ويسترشد بها الحائر إذا ما غاب عنه الحكم الذى يطبقه.. أو لم يسعفه النص الذى يتناول المسألة وذلك كقول النبى ﴿ﷺ﴾ «**لا ضرر ولا ضرار**».. وقول الفقهاء «شرعُ مَنْ قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد ناسخ».. أو قولهم مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الواحد، وغير ذلك كله من القواعد التى يعتبرها علماء الفقه الاسلامى أشبه بما يسمى فى لغة المحاكم بالقضايا ذوات المبادىء فإن هذه كلها تساعد المشرع على النظر والاجتهاد.. وبذل الجهد للوصول للحكم.. وقد احترمت الشريعة الاسلامية هذا الجهد إلى درجة أنها جعلت هذا الحكم الذى يصل إليه المجتهد ملزما له وأن المجتهد لا يتعبد الله سبحانه وتعالى بأكثر منه وله عليه أجران اثنان إذا اصاب وأجر واحد إن اخطأ.

وفي هذا المبدأ عنوان على ان هذا الدين من المرونة والمطاوعة بمكانة تساعده على كونه لا يجمد عن تشريع ولا يضيق عن حكم ولا يقف مكتوفاً أمام النوازل وهذه وحدها دليل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الناس وأنه تعالى أكمل به الرسالات كما أكمل به الرسل ولا نبى بعده كما قال هو ذلك عن نفسه.

من هذا الذى مر بك من الركائز التى قام عليها الاسلام واعتبرها دعائم ثابتة فى تشريعه واعتمد عليها فى أحكامه لا تجد فى نفسك شيئا من الشك أن الحديث فى تلك الأديان التى تقدمته أو كان لابد أن تسبقه على مسرح الحياة لا يصح إلا أن يكون حديث التاريخ الذى انقضى والأخبار التى انتهت والمعالم التى درست والتى لا يمكن أن تعود إلا فى أحلام النائم وأوهام المتخيل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يصرح بأن مثل ما جاء به الانبياء من قبله وما جاء به هو بعد ذلك كمثل بيت ارتفع بنيانه وقامت أركانه فأخذ الناس يعجبون من حسن صورته وجمال منظره وروعة هندسته لولا موضع لبنة فيه كان الكمال يتطلبها. والتمام يقتضيها فأنا هذه اللبنة التى كان البناء يرجوها غير أنه لا نبى بعدى.. وفى هذا المعنى دلالة لا ريب فيها على أن رسالة الأنبياء الذين

سبقوه صلى الله عليه وسلم كانت محدودة بالزمان والمكـان وأنها انتهت بنهايتهم أو مضت بمضيهم وصارت أثرا بعد عين أو ذكرى من الذكريات ليس إلا وعلى فرض وجودها فى بطون الكتب ـ إن كان هنالـك ـ فإن دورها قد صار فى ذمة التاريخ وأنها كانت مرحلة من مراحل هذا التدرج الذى تحدثنا عن أهميته فى نظر رجال التربية والاجتماع وأنها قامت به مشكـورة وليس من حقها أن تتخطاه أو تتعداه وأن البشـريـة بعـد أن كمـل نضـوجها واستوى عودها وتهذبت غرائزها وصارت تتطلب مستوى آخر كانت هذه الشريعة ضالتها المنشودة وأملها المرتقب.

على أن هذا المعنى من جهة أخرى يوحى إلينا ـ ومعين الرسالات واحد ـ أن نسأل أصحاب هذه الديانات ـ أو هذه الكتب ـ ما الذى يزعجكم من هذا الـدين الجديد أو الرسول الجديد. وهذا الذى جاء به لم يكن إلا إتماما لمسيرة لم تتم وقياما بمهمة وقف القضـاء والقدر فى سبيلها.. محمد صلى الله عليه وسلم نزل عليه فيما نزل عليه «**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمـة سواء بيننا وبينكم**» فلم يستجيبوا له ولم يتعاونوا معه. وقد كان ﴿ﷺ﴾ يحسن الظن بهم على اعتبـار أنهم أهل كتاب يدعو إلى البر، ويوجه إلى الخير وينادى بالاستقامة على الجادة لكنهم كانوا قد مسخوا ونسخوا وغيروا وبدلوا وانحرفوا عن السبيل السوى ﴿**وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عنـد الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**﴾.. وكان من الضرورى بعد ذلك أن يعلن أمرهم ويهتك أستارهم ﴿**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾.

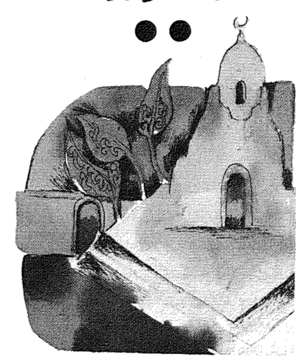
ومـن غريب أمر هذا المعسكر المناوىء للاسلام أنه مع ضعفه وهزاله لا يزال قائما إلى اليوم يحارب ويناضـل وإن كان سلاحـه قد اختلف اليـوم عن سلاحه بالأمس كأنما يزعمون ـ هداهم الله ـ أن لهم حقـا ضائعا أو ضالة منشودة ويلفت النظر إلى حد بعيد أن حربهم هذه على طول زمنها وتنوع أسلحتها لم تنـل من الاسـلام شيئـا ولا يزال صوتـه يدوى والمؤمنون به يزيدون وقد يبدو لهؤلاء الخصوم ـ وقد أجهـدهم السير وغـرتهم الأمـانى وخذلتهم الأيام وفضحتهم الحوادث ـ أن يسألوا لماذا بقى هذا الدين إلى اليـوم؟.. يصـارع الخطوب ويتحدى الاعداء ويغـالب الدهر ويجتاز المحن وهو كما نعلم ماثل فى تشريعاته الحكيمة وتكاليفه السهلة دستورا للإصلاح الاجتماعى والتعاطف الانسانى والتقدم العمرانى ولا يمكن بحال من الأحوال أن يملأ غيره فراغه أو يحل محله أو ينهض برسالته.. على أن هنالك سببا آخر له وزنه واعتباره وتقدير الناس له وهو أنه لا تدب إليه الشيخوخة ولا يعتريه الوهن أو يصيبه الهرم.

والسبب فى ذلك أنه يعتمد على القرآن الكريم فى منهجه فى الإصلاحوأسلوبه فى التهذيب وهو كتاب ـ كما يقول عن نفسه ﴿**أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثم فُصِّلتْ من لدن حكيم خبير**﴾. لا يتصور عقل أن يصيبه هزال أو يتطـاول إليه مرض. أو تنال منه علة..

سيظـــل هكـذا مدرسـة للفكـر والعقـل والبحث والنظـر والعلم والفقـه والـرأى والاجتهـاد وسيشهـد التـاريخ الذى رأى مصارع خصومه أن تلك الحرب التى تدبر له وتقوم من حوله لا تفل من عزيمته ولا توهى من قوتـه ولا تحول الوجوه عنه لأن رائده الخير وحجته البلاغة وأسلوبه المنطق وجيشه الزمن وأعوانه الأيام وسلاحه الحق وجنده عناية الله.. والله غالب على أمره

﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾.

أجمع علماء الفقه الإسلامي على أنّ أحكام الله سبحانه وتعالى قائمة على جلب المصلحة ودرء المفسدة.



وكل هذا كلام لا يجهله أحد ولكن الذى يجهلونه أو يخفى على كثير منهم أن هذا الدين وقد جاء به سيد الخلق محمد ﴿ﷺ﴾ لم يجىء به ليوضع فى المتاحف أو ليكون خبرا من الأخبار يتناقله الناس مجرد تناقل ثم ينتهى غرضه ويخفت صوته ولا يصبح العمل به إلا معنى من الرجعية والعودة إلى الوراء وقد علمنا أنه للبشرية بأجمعها وللإنسانية كلها وهو لم يجىء به ليعادى الأديان ويشيع الشنآن ويمكن للبهتان وهو يدعو إليه بالمنطق ويقاوم به الظلم ويكافح الرذيلة ويلامس العواطف ويهذب الغرائز ويربى الطموح ويعلم الخير ويعود على الفضيلة إلى جانب أنه أعلن أنه منهاج الأنبياء ودعوة الرسل.

﴿إنّا أوحينا إليكَ كما أوحينا الى نوح والنبيينَ من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا﴾.

ومن هنا وجب أن تكون قيادة العالم وزعامة التاريخ قد انتقلت إلى أولئك الذين استضعفوا فى الأرض ليمثلوا دور الاصلاح الشامل والهداية التامة لهذه الإنسانية التى كانت متعطشة إلى الخلاص مشرئبة الى الخير مترقبة أن تصل إلى شاطىء الأمان.. على أن هذا الاسلام الذى ندعو إليه ونوجه له أنظار الناس لا نتعصب له ـ كما قلنا ـ وندعو من جديد إلى دراسته وفهمه ووعيه وعلمه فإن كان بعد ذلك كله جديرا بالرفض والترك كنا آسفين **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حَى عن بينة﴾** وهو أول كتاب يحق الحق ويدعو له ويقف إلى جانبه، ولا يطلب من الناس إلا أن يكونوا كذلك ولو أن البشرية كلها فتحت أعينها للنور وقلوبها للحق وأفئدتها للمنطق وضمائرها للصواب، ما كان بينهم هذا الاختلاف ولا ذلك الصراع ولا تلك الحروب.

ومن المبادىء المقررة فى شريعة هذا الدين أنه ينادى الانسان أن تكون صلته بأخيه الانسان من غير عنف ويرغبه أن يداوى علله من غير قسوة حتى لا تقوم بينهما جفوة ولا تحدث بينهما قطيعة ولا تدب بينهما عقارب العداوة لأن الدين أخوة والاسلام رحم والانسانية امومة وكذب على الله من يزعم أنه ارسل محمدا ﴿ﷺ﴾ بغير ذلك من الخلال والسجايا أو الاخلاق والعادات.

الاعلام من الاهتمام

كان فيما كتب عن الاعلام الاسلامي - بميادينه - بيان لجوانب مجدية فيه. وليس حديث اليوم للعناية قصداً بايضاح اصول الاعلام الفنية وقواعده الاختصاصية بقدر ما هو مس لبعض مواصفات هذا الموضوع العامة ومقوماته الاصلية ومتطلباته الاساسية والتي يغدو كل شيء آخر بدونها هزيلاً وشكلياً لا جذور له ولا هدف يجيد تحقيقه . . . وليس لكاتب هذه السطور من خبرة عملية واسعة لكنه شرح انسان يشهده فيتعهده ويرفده.

ان اقامة اعلام اسلامي بانواعه وميادينه في اى بلد من عالمه الواسع - والحديث هنا بعمومه - لا يقوم اكتفاءاً لرسم صورة أو باسداء الكلام عنه ولا بمجرد المطالبة به أو إصدار قرار يؤيده ويحترمه . . فذلك - رغم أهميته - لا يكفيه وليس هو أهم ما فيه. ولا يغني عنه تجميع الكوادر مهما بلغت وتوفير الوسائل وان تقدمت . . فبدون المقوم الحقيقي قد تغدو كل تلك الامور في غير خدمته وقد تنزاح لعداوته.

وان تلك البلدان التي لم تضع لهذا الامر مكاناً ولم تحسب له حساباً فهي لا تريده اصلاً. وهذا الحديث موجه الى اولئك الذين لهم عناية واهتمام ورغبة واصرار في خدمة هذا الأمر ليؤكدوا التزامهم بهذه القضية المهمة عمقاً وشمولاً في بعد واضح قوى مؤكد، وهذه الكلمات نصيحة تصب في هذا الاتجاه و«الدين النصيحة» كما جاء في حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾.

يقوم الاعلام الاسلامي - اول ما يقوم - على اساس اسلامي في كل اموره واحواله ومستلزماته يستمد منه ويدور في فلكه ويلتزم به ويخدمه وهذا يتوفر بتوفر الانسان المسلم الملتزم الذى يتولى هذه المهمة وهو ملتزم بأوامر الدين في كل حاله، والذى لا يقتصر ظهور ذلك عنده في مقاله بل تظهره المواقف وان اشتدت لتكون تعبيراً قوياً عن ذلك . . بل ان شدتها وحراجتها ووطأتها مدعاة لظهور أوضح . . فهو الكيان الذى يبنى ويعلى البناء. والأمل ازدياد العناية في البلدان المهتمة بهذا الأمر لتأخذ في توفير هذا اللون من الكوادر المرتبطة الملتزمة لتتجاوز حدود الاهتمام - لأي سبب - بالاسلام في أمور الاعلام بكل الوسائل والميادين الى الالتزام به كلاً ودوماً في كافة أمور الحياة صادقة فِطِنَة تبتغي خدمة هذا الدين ورضا رب العالمين . . وهي قطعة متناسقة يحيا فيها الانسان . . وهو كتلة واحدة منسجمة مبرأة من التناقض والانفصام.

وهذا الصنف الملتزم يكون كذلك في كل حقل اشتغله واى عمل تناوله لأن هذا الاتجاه الذى تبناه هو الاساس الذى يقوم عليه عمله ويقيم فيه حياته ورداً واصداراً . . وهذه الصور مختلفة تماماً عن توفر العواطف أو بعض البرامج الاسلامية في العمل الاعلامي عموماً فذلك (أى التنظير البعيد عن الواقع العملي) ليس بمقدوره جعل الاعلام إسلامياً

أو منحه الصفة الاسلامية الحقة لأن مثل هذه الحال مهددة بتسريب هذه البرامج التى توفرت لأى دافع وهو يقوم إذا تولاه كادر صفت نفوسهم وافكارهم للاسلام ولاءاً وسلوكاً، ثمرة العقيدة والعبادة، تحيا به وتموت عليه وهو عندهم أصل يدورون معه ولا يديرونه معهم وهم ليسوا ممن يهرعون للاسلام حين يكون معهم وينأون عنه فيما عدا ذلك وليسوا كذلك ممن يتزيون بأثوابه يتحسنون به حين تطلب زينته وليس لهم منه شيىء.

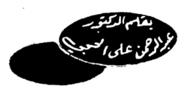
شديد والسير متعثر والموكب متأخر **﴿وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾**.. وذلك مرتبط بالنية لتكون متجهة الى الله.. قصد واحد وإلا ستتحطم فى تيارات الحياة وأمواجها.

وهذا العمل الجاد لا يتأتى ممن يحمله عُدة ومراعاة لشخص أو وظيفة أو حرفة.. أو يكون فيه من الاسلام ومن غيره.. تلبية لمختلف الرغبات وتحسباً لكل احتمال.. فيكون عنده لكل أهل اتجاه نسبة وحصة فى البرامج.. ويجيد لَيَّ أعناق الحقائق



وقد لا يستحسن وصف الانتماء لإسلام كذا ومن النوع الفلانى فليس هناك غير اسلام واحد هو الذى انزله الله تعالى على محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ ولا يقبل الترقيع أو التمييع يظهر هنا وهناك مثلما يرفض التنويع أو التقطيع على انه واحد من قضايا الانسان وجانب من حياته وليس كل همه وكافة أهدافه.

فالمسلم كله للاسلام يأخذه بشموله فهو اسلام ولا بديل ومن غير تحويل.. يؤخذ كله بدون تأجيل ولو لبعضه، يعمل لذلك جاهداً بروية وهدوء وحكمة ومكنة بعدما وقر فى نفسه فيخرجه الى واقعه مجتهداً فى ذلك فى كل حالة وما يتاح له.. يعلى بناءه يوماً فيوماً وإلا فالأمر



ترويجاً للخطأ وتبريراً له بل يتأتى هذا العمل المعنى من التزام متناه بالاسلام من القائم بأمره وان يكون عنده كل شيىء يأخذ نفسه بمنهجه دون هوادة أو رخصة أو إجازة.. ويبذل له كل شيىء وهذا فى الحقيقة يخص ميادين الحياة كافة وواقعها ويتجه لكل انسان وقضية.

ان هذا اللون من الالتزام بالاسلام هو الذى يقيم البناء كل بناء وتزدهر به الحقول وتنتعش فى ظله ميادين الحياة الانسانية كافة وبناء الانسان الحى ـ كما أراده الله تعالى خليفة فى الأرض بشرعه وهو الذى يقيم الحضارة المنيرة التى تغدو بها جوانب الحياة معمرة وتغدو ميادينها مخضرة تزدهى خيراً وتنمو براً وتتسع نوراً وتغدق بركة.

وإذا لم يكن الاسلام التزاماً وسلوكا معبراً ومترجماً لعقيدته ومنهجه فماذا هو إذاً؟.. فلا يرضى المسلم

من نفسه ما يرضى به الاخرون ربما يكتفون منه بالجزئية والاسمية والوقتية لكن المسلم يقف عند إسلامه فهو ملتزم به حيثما كان وفى كل آن «إتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» ويبقى كذلك ولو تدافع عليه بنو البشر أجمعين **﴿الذين قالَ لهم الناسُ انَّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾**.

فالمسلم يُعرف بسلوكه حيثما يكون دوماً ولا يتسلك حين الحاجة والضرورة والمقام ويتخذها فرصة لمغنم ويعد ذلك من اللباقة وان لكل مقام مقال ولكل حادث حديث ويأخذ ذلك على انه من الدبلوماسية واللياقة والمعرفة والسياسة فهذا تخلف وتحيف يأباه الاسلام ويرفضه المسلم لأنه متميز بسلوكه المرسوم فى القرآن باعلى مواصفات الحكمة والانسانية وعلى هدى الشريعة الربانية الرفيعة حساً لا سمكاً.. وكذلك المجموعة والأمة متميزة معروفة موصوفة كالشامة جمالاً ودلالاً ولو عاش الفرد أو المجموعة فى اى إطار.. ولهذا كان الامتياز والتمايز.

وهـذا يظهر و ينظر من خلال الممارسة فى كل الوان النشاط المعروفة والجديدة.. **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولُهُ والمؤمنونَ وستُردُّون الى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون﴾**.

ويـذكر أنه «لن تكونوا أوفياء حتى تفوا» وهذا ينسحب على كافة الصفات بها يعرف الانسان المسلم وليس بالادعاء فصدق الكلمة الجيدة ووضاءتها تلتمس فى ممارستها قولاً وفعلاً متمثلة فى الانسان شاعراً وناثراً وتاجراً.. فناناً أو عالماً أو كاتباً أو إعلامياً. وما أجمل ما وصف به صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ ذلك الجيل القرآنى الرائد من أن أحدهم كان قرآناً يمشى على الارض. فلا انفصام عند المسلم فى كل ذلك بين القول والعمل **﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولونَ مالا تفعلون كَبُرَ مَقْتا عندَ الله أن تقولوا مَالا تفعلون﴾**.

فالمسلم يعمل للأحسن الذى يهدى إليه كتاب الله، وحين يخطىء يعترف من غير تبرير بل يتوب الى الله ويعود مستغفراً معوضاً عملاً صالحاً وارتقاءاً فى طاعة الله. وهذا كله يتأتى عبودية لله تعالى وتديناً بشرعه الكريم.

فان اعلاماً تجد فى توجيهه صحافة موضوعات اسلامية وفى بثه وعرضه برامج ذات طابع إسلامى لا يكفى وحده ليهبه هذه الصفة العزيزة النفيسة لأن مثل ذلك قد تفعله هيئة لا تدين بالاسلام أصلا من أجل اشتراء ود وتوطيد صداقة أو عقد صلة.. أو حتى لابرام صفقة.. مثلما تفعل هيئات كثيرة خارج العالم الاسلامى وكم ارتضى الاعداء ـ ماضيا وجاريا ـ التزى بزى الاسلام وحاربوه بجد وبذل وقصارى العمل.. وحين يقظة الأمة قد يرتضون بالقليل وقد يستسلمون لما تطلب منهم فـ (ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه قد رضى ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه من أعمالكم فاحذروه على دينكم) وصية من رسول الله ﴿ﷺ﴾ لنا فى حجة الوداع.

إن مرقّعى الأفكار ومرممى النظريات ومكيفى الوجهات لا يعملون لإقامة أى شيء إسلامى مثلما لا يصلحون لإقامة الاعلام الاسلامى ولابد لهذا من أبناء بررة ينال منهم هذا الأمر خلوص النفس والفكر والحياة.. يحيون لخدمة هذا الاتجاه وان الترقيع وما من نوعيته وفئته لا ينتج إلا مثيلاً ولا يصلح لقيام بناء أى بناء.. وإلا فهو هاوٍ ينهار على من أقامه أو آوى اليه ومن لم يصب بهدمه أصيب بتربه **﴿واتقوا فتنة لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أنَّ الله شديدُ العقاب﴾**.

أن الاسلام ليرفض هذا اللون من الانتماء الباهت المبتوت وكذلك الاحتماء الظاهرى والمقروء ويدينه ويدنى مكانته فى الدنيا مضاعفاً وزره وعذابه يوم الدين **﴿يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم﴾**.

أن الذين ضاع التزامهم وتغبش فهمهم فى حبكة الاتجاهات الفكرية وحلكتها واغراء المبادىء الوافدة والنظريات المضللة تلوح أحياناً بعدم خروجها عن

الاسلام لابد لهم من تصفية فهمهم لتعلو بهم نفوسهم لتخلُصَ للاسلام نية وعملاً، وعندها يستطيعون خدمة الاسلام فى كل ميدان وبكل لسان.

ولابـد من التعهد بالتربية على الاسلام للنفس وللغير واتخاذ ذلك ميزاناً لكل أمر فى كافة الظروف والمناسبات والاحوال والجهات.. مواجهة عاقلة مستعدة متهيأة متقيدة. فالاسلام لا يأتى من فوقٍ مفروضاً من هيئة أو غيرها. ولا يكتفى بالوعظ النظرى واظهار الموافقة والرضا بالظواهر والتواجد فى موسم. ولا برفع العقيرة به وتلصيق الفاظ منه وربط بعض شعاراته. وكم وقع هؤلاء - إهمالاً أو استجهالاً - فى تحليل حرام ولو تزين - غفلة أو فطنة - أو تشويه اخرى أو إهمال غيرها وتعطيل بعضها حتى يأخذ بالضمور ولعله عندهم يغور، أجارنا الله من ذلك اجمعين.

ولقد أراد الله سبحانه ان يستقرّ هذا الدين فى النفس عقيدة. وفى الضمير عبادة. وفى التصور شريعة. وفى الحياة سلوكاً. وفى المجتمع واقعاً. وبين الناس رباطاً وثيقاً وصلة عميقة. ومع الكيانات الأخرى مواقف محددة واضحة نظيفة سلماً وحرباً يبدأ ذلك من نفس الفرد فالاسرة فالمجتمع ولما بعده. ينبع من الذات ويفيض من الداخل بامتلاء قوى. وفكرٍ نقى. وسلوك بهى قائم على حب الله وطاعته إيماناً مكيناً. وبذلك نقيم كل ما هو إسلامى.

ان الملتزم بالاسلام لا يرضى بغيره بديلاً يقف عند حدوده، حاملا لبنوده وسائراً فى موكب جنوده يعض عليه فى أقسى «الاحوال ولو ان تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وانت على ذلك» كما فى حديث لرسول الله ﴿ﷺ﴾ فهو يرفض كل ما يتنافى معه حتى لو وصف له دواءاً فما جعـل الله الدواء فى محرم. وكم رفض المؤمنون نصائح المشيرين والاطباء المداوين الى علاجهم بذلك من علل شديدة مهددة مقيدة وقبلوا أخطارها وارتضوا صعابها بل ان بعضهم زاد على ذلك فرفض المباح إذا كان فى تركه خدمة للاسلام وان حمل اليه الضرر.

وحين نقلب تاريخ السلف الصالح نجد فيه من روائع الصفحات حين نقرأ فيها إباء أحدهم تناول مخدر محرم راضياً إجراء عملية صعبة بدونه حين دخوله فى الصلاة مستغرقاً فى ذكر الله خلالها، فنجح بفضل الله سبحانه ونجا من كل خطر مِنّة من الله ونعمة.

ألا يستدر إعجابك ذلك الطالب الروسى المسلم الذى رفض معالجة طبيب غير مسلم له من مرض ثقل عليه مع التحذير من الموت لرفضه ذلك فمات . ألا رحم الله السلف والخلف وكم من المسلمين غابراً وحاضراً - رفض حالاً مباحة برخصة له فيها مندوحة راضياً بالأشق إظهاراً لدين الله تعالى وانتصاراً لشرعه وأخذا بالقريحة بحثاً عن رضوان الله ولـو أدى ذلـك إلى ازهاق الروح وانهاء هذه الحياة لتنتقـل الى دار النعيم، بل كان المسلمون فى ذلك يتسابقون وهم عليه حريصون اكثر من الحرص على الدنيا وفى اشق الظروف.

ومن ثمار هذا الالتزام الحرص على كل ما يتصل به والشعـور بملكيتـه بل هو فوق ملكياته الدنيوية مكانة واهتماماً وحرصاً باعتبار ارتباطها بالاسلام الذى



كان ولاؤه له وهواه معه وليس النائحة كالثكلى بعزيز.

وحين لا يكون الالتزام بالاسلام بهذه المثابة لا يمكن ولا يستطيع حمايته وان اضطرته ظروف الى التظاهر به أو العمل مع العاملين له أو لبس أى لبوس فمقومات الالتزام أمور غير هذه تماما بل وتتنافى وإياها. وكم اضطرت اهداف ومنافع اناساً الى الظهور بغير الحقائق . . أو الوقوف بغير الوقائع . . أو التحرك بغير حال اصيل الدوافع . . أو التقول بكلمات على اللسان إيهاماً. وان أصل كل التزام بغير هذا الاسلام - إلا من رحم الله - لا يعاف أصله ولا يتحوّب منتموه مثل هذه الأقنعة التى يرفضها المسلم ويأبى كل تلك الأساليب . . ألم يلبس نابليون - قائد الحملة الفرنسية وجيشها على مصر ورئيس دولة الحرية ومنتجتها ومصدرتها ذات الشعارات البراقة - العمامة خداعاً متظاهراً بالاسلام لكنه وضعها حين لم تأت بنفع فكان اصحاب العمائم الافاضل الاصلاء أوائل قتلاه لأنهم عرفوا لعبته ورفضوا دخول مصيدته وإن لبس العمامة . . وهذا هو مستوى دعاة حملة الحضارة الى الآخرين ونشر مبادئها المدعاة المنكورة الفاتنة المفتونة.

وحين يكون الانسان سلبياً معاق يكون كل ما فيه كذلك فلا يمكنه وجهاز فيه خلل ان يتولى هذا الأمر بسلامة ومن لا يكون فكره وكل جوارحه ملكاً للاسلام لا يمكن ان يخدمه **﴿ومن الناس مَنْ يعبد الله على حَرفٍ فان أصابه خيراطمأنّ به وإنْ اصابته فتنة انقلب على وجهه خَسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسرانُ المبين﴾** ومن يعبد الله نقاءاً وصدقاً وقوة لابد ان يكون قد تحرر من كل عبودية لغيره *﴿يا أيها الناسُ انتمُ الفقراء الى الله والله هُوَ الغنيُّ الحميد﴾* . . ومن لا يكون كذلك يصعب عليه السير فى هذا الطريق، ومن خلص لله وحده فهو الذى يستطيع تولى كل شيء اسلامى وهو أمر لا يحتمل الترميم ولا الترقيع فمجرد الاهتمام بذلك أو انه أحد الاهتمامات لا يصلح من الأمر شيئاً. وليس من الاعلام الاسلامى اذاعة وعرض مشاهد وأخبار تصلح ان تصدر من أية جهة وبعين طريقتها . . وكان بالامكان أن تحمل الصبغة بوضوح (صبغة الله) . .

والاعلام يتجاوز الكلام وهو ليس البضاعة الوحيدة لالتزام اهله وهيئاته . والاعلام الاسلامى لا يسمح بظهور اوضاع منافية مهما بدت صغيرة وقليلة الاهمية حتى ولو كانت فى الشكل اعلان . كما تعرض وتتناول كل شيء ولكن بنفسها وروحها حتى ولو لم نبرقعها بكلمات اسلامية . والقدوة مثل الدعوة بالكلمة والرسم بالصورة أو غيرها . فلابد ان يكون تولى الأمر بهذه المثابة حتى فى الحياة الخاصة لأهله بل هى مقياس كذلك «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى» .

والحقيقة ان هذا هو الاساس . . الصدق الصحيح ليس فى مجال الاعلام وحده بل فى كل مجال كالتعليم وغيره وإلا فهو طريق شائك غير واضح ولا يوصل الى الهدف . فحين نريد تنفيذ شيء لابد من الانسان الذى يتولاه بصلاحه أولاً وأساساً وليس المقصود هنا الخبرة أو التخصص لوحده فذلك لا يكفى فاذا أردنا تعليماً يحافظ على القيم الاسلامية . . واعلاماً اسلامياً وغيره فيجب توفر وتوفير حامل هذه القيم وصاحب هذا الاتجاه الملتزم بها وذات المستوى العلمى الجيد وان كان الاخير وحده لا يغنى ولا يكفى بل قد يلغى ما نريد.

إن الوسائل الاعلامية وامكاناتها ومادتها متوفرة لكن المهم كيفية استعمالها وتصريفها وتوجيهها . . فما ذنب سيف ورثه أخوان يستعمله كل منهما سنة فكانت سنة للجهاد وأخرى لقطع الطريق . . وحين يتوفر هذا المسلم وبالوسائل المعاصرة سيكون له أى تأثير وسيقدم أى قدوة . ومن معجزات الإسلام انتشاره فى ذلك الزمان الذى ما كان يملك آيا من الوسائل المتعددة السهلة . . إذاً فلو كان ذلك المستوى من الالتزام وتلك النوعيات الاسلامية بالوسائل الحاضرة فستكرر المعجزة ومعجزات غيرها والاسلام صانع المعجزات بفضل الله .

الإعلام حسب وسائله الحديثة يكاد يكون قد جمع العالم في دائرة ضيّقة.. وأصبح وسيلة وهدفاً وغاية.. ولذلك ينبغي فيه الإلتزام الجاد بنشر الصالح والخير..

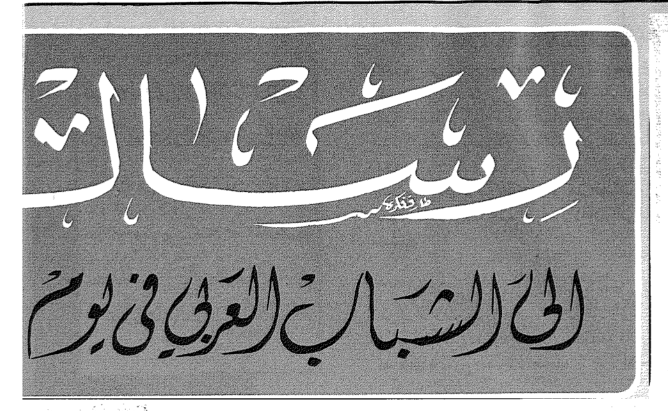
إن الالتزام بالاسلام لا يعنى التزمت.. وان الترويح ليس بخارج ضرورة عن الالتزام لكن يعنى ان لا نقع فى الحرام ولا نمارس ما يبعدنا عن الله تعالى.. يزين أعمالنا الحياء.. ويقوم سلوكنا الوفاء.. وهل لكى تكون مقبولاً وغير متزمت لابد من الوقوع فى السوء وممارسة الخبيث؟ والتسلية لا تستدعى الوقوع فى ذلك ﴿*يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم*﴾.

ومتى كان الغش والسوء سلعة يعتد بها فضلاً عن ان تقدم للجمهور. فهلا يمكن ان يكون الترفيه نظيفاً أوحتى خادماً للهدف ذاته بنفس السمت فلقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يمزح ويضحك اصحابه ولا يقول إلا حقا.

وقد يظن البعض أو يتظنن ان الفن لابد أن يكون فيه محرم وإلا فهو ليس بفن. وحين يكون الاعلام أو الفن يبحث عن اكبر عدد من الزبائن من غير مبالاة لشيىء او اعتبار لهدف فهو تجارة خاسرة واذا جرى أصل الفن على هذه الأنماط ـ والحقيقة غدت لها طابعاً ـ فيمكن ان يكون لنا فننا النظيف الانسانى الكريم المتحضر. ولكن هذا لا يكون بمجرد الدعوة اليه بل يتم حين يتوفر عليه ولذلك فيعجبنى العامل فى مجال الفن والاعلام وغيره الذى لا يكون اسيراً ينفذ كل شيىء.. واعجبنى ما قرأت عن الممثل البارع المرحوم عباس فارس ذى الحس الاسلامى حيث امتنع ـ وهو يقوم بدوره ـ عن التصوير يؤدى فيه حواراً فى نص لطه حسين فيه دس على الاسلام.. اذ أصر على تغييره ولم يرض بدونه فغير له ثم أجراه.

وحين يتوفر هذا الالتزام والتوجه والأخذ باقامته فمن السهولة استقدام واستقبال أهل الكفاءات ذات الهوية المناسبة بل وجمعها فى جو تمارس فيه تخصصها وسلوكها وتعرف كيف تنمى حب تخصصها فى سلوكها وجعل تخصصها السلوكى وحدة متناسقة.





لا شك أن شباب الأمة هم عمادها ورجال غدها.. وهم الذين سيتممون تشييد ما بدأه أسلافهم وآباؤهم.

وفى هذا العصر ازدهرت العلوم وتطورت تطوراً ملحوظا.. تطوراً حوَّل الأحلام إلى حقائق.

حدثت هذه التطورات فى العلوم فى وقت كان فيه العالم العربى يغط فى نوم عميق بسبب الظروف التى تكالبت عليه.

ومع قسوة الظروف وصعوبة الأحوال استطاعت سواعد الشباب القوية التغلب على هذه الظروف القاسية والأحوال الصعبة.. تلك الظروف التى كانت تشكل عائقا عاتيا تجاه تقدمهم وتطورهم..

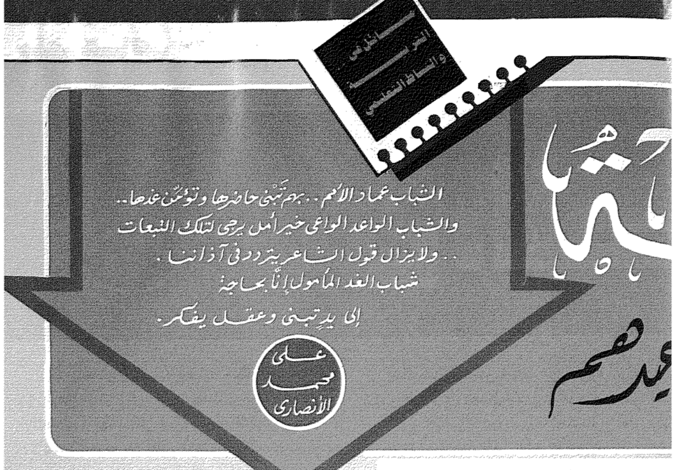
مزق الشباب العربى شباك الاستعمار، بدءاً فى رحلة طويلة إلى الأمام.

وعلى أيدى هؤلاء المجددين قامت حركة التحديث ليزيلوا آثار ما علق بهم من أدران الاستعمار الذى قيدهم وأعاق تفكيرهم وشل قواهم..

فاستحدثت المدارس والمكتبات ودور العلم المختلفة على شتى المستويات وفى جميع الأرجاء.. راعية للشباب.. ساعية إلى تفتيح مداركهم ليعلموا أن دينهم دين علم لا دين جهل.. دين قوة لا دين ضعف قال الله تعالى: ﴿*هو الذى أرسل فى الأميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويُزكيهم ويعلمُهُم الكتابَ والحكمةَ والنبوة وإن كانوا مِنْ قبلُ لفى ضلال مبين*﴾. سورة الصف.

وقال أيضا: ﴿*وأعِدُّوا لهم ما استطعتُمْ مِنْ قُوة ومِنْ رباطِ الخيل تُرهبونَ به عدوَّ الله وعدوَّكُمْ*﴾. سورة الأنفال.. فإن هموا علموا ذلك كما علمه الأسلاف ساروا فى نهجهم وعلى طريقهم الذى قدم للعالم إبتكارات باهرة وانجازات رائعة ظلت طيلة القرون الماضية محفوظة لدى الغرب.. منها ما يدرس فى الجامعات.. ومنها ما ضمته المتاحف.. ومنها ما أودع فى المكتبات الكبيرة. ومنها ما طمس ونسى إما عمداً أو سهوا.

وها نحن اليوم نملك كثيراً من الامكانيات التى نستطيع بها أن نعيد ذكرى الأسلاف.. ←



نستطيع أن نعيد مجد الأمة المفقود لنجد بين ظهرانينا وفى هذا الوقت علماء جهابذة يذكروننا (بابن سينا . . والخوارزمى . . والادريسى) وغيرهم ممن شهد لهم التاريخ وشهدت لهم الحضارات المتتالية حتى يومنا هذا بالعلم الغزير والابتكار الجليل.

نحـــن نستطيع اليوم أن نثبت للعالم كله أننا قوم ساعون إلى الجد والابتكار لا كما يدعى الأعداء الذين يَسِمُونَنا بالتخلف والرجعية . . ونستطيع أيضا أن نعيـــد انجـــازات الأســـلاف إلـيهم . . تلك الإنجازات التى أخذت عنهم ومنهم فنسبت إلى غيرهم.

ونحـــن شباب اليوم نحمل على عواتقنا مسؤوليات جمة تجاه المجتمع والبيئة التى نحن بها . . وعلينا كذلك مسؤلية عظيمة تجاه المجتمعات الأخرى تتمثل فى وجوب إعطاء صورة حديثة عن الشباب العربى المسلم . . الشبـاب الطمـوح . . الشبـاب المتفانى فى سبيـل نهضـة الأمـة ورفـع المكانة ومحو الصورة المنطبعة فى أذهان تلك المجتمعات عنهم.

ومـا قام به الأمـير (سلطـان بن سلمان بن عبد العـزيـز) فى رحلته العلمية على متن مركبة الفضاء الامريكية «ديسكفرى» يؤكد تجديد العزم على الأخذ باسباب التقدم العلمى والتكنولوجى.

هذا الـرائـد وفرقته وفريقه حازوا على إعجاب الجميع لتفهمهم بدقة جميع المهام.

وهذه الخطوة الرائدة من شبابنا الاماثل نرجو أن تتلوهـا خطوات أخرى من أكثر من شاب ومن كل الدول العربية والإسلامية لتعلو أمتنا وتسمو.

ونرجو من شبابنا العربى أيضا اقتفاء هذا الأثـر الصالح ليكملوا مسيرته فى سبيل نهضة الأمة العربية الاسلامية وليبرهنوا للعالم أن الشاب العربى شاب جاد يسعى إلى المجد دوماً وليؤكدوا له أنهم خير خلف لخير سلف . . ذلـك أن ديننا الاسلامى دين علم ورفعـة . . جاء لإزالـة الظـلام وطمس الجهل فكانت أول آيات القرآن الكريم تدعو إلى العلم:

﴿إقرأ باسم ربِّكَ الذى خلقَ خلقَ الإنسانَ مِنْ علقٍ. إقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذى علَّمَ بالقلمِ علَّمَ الانسانَ مالمْ يَعْلم﴾.

سن التـ

كثيرا ما تزدرى أعيننا بعض الشخصيات لصغر فى السنّ أو قبح فى المنظر والهيئة ويكون ذلك من الأسباب المانعة لنا عن قبول العلم والحكمة من ذلك الانسان وهذا من أفظع الأمور التى تذهب ببركة العلم وتخالف حديث رسول الله «ﷺ» حيث قال: «الحكمة ضالة المؤمن: ياخذها ان وجدها ولا يبالى من أى وعاء خرجت».

* وقديما نظر النعمان بن المنذر الى ضمرة بن ضمرة فلما رأى دمامته وقلته قال: تسمع بالمعيدى لا أن تراه.. هكذا تقول العرب ـ فقال ضمرة: أبيت اللعن، ان الرجال لا تكال بالقفزات وانما المرء بأصغريه: لسانه وقلبه.

وكان ضمرة خطيبا.. وكان فارسا شاعرا شريفا سيدا.

وقد أشبع علماء الحديث ـ هذا الموضوع ـ دراسة وتمحيصاً فتحدثوا عنه فى باب معرفة كيفية سماع الحديث وتحمله وصفة ضبطه.

* فعندما سئل موسى بن هارون الحمال ـ أحد الحفاظ النقاد: متى يسمع الصبى الحديث؟ فقال اذا فرق بين البقرة والدابة. وفى رواية: بين البقرة والحمار.

** وعن أحمد بن حنبل: اذا عقل وضبط فذكر له عن رجل أنه قال: لا يجوز سماعه حتى يكون له خمس عشرة سنة فأنكر قوله وقال: بئس القول.

** وقال القاضى عياض: قد حدد أهل الصنعة فى ذلك أن أقله سن محمود بن الربيع. وذكر رواية البخارى فى «صحيحه» بعد أن ترجم «متى يصح سماع الصغير؟. وفى رواية الكشميهن «متى يصح سماع الصبى الصغير؟. باسناده عن محمود بن الربيع قال: عقلت من النبى «ﷺ» مجة مجها فى وجهى وأنا ابن خمس سنين من دلو» وفى رواية أخرى: «أنه كان ابن أربع سنين».

** وقد أخرج البخارى الرواية الأولى فى «التاريخ الكبير وفى «الصحيح» فى الطهارة.. وفى الدعوات.. وفى الرقاق كما رواه مسلم فى «صحيحه» ٤٦٥/١ والخطيب فى «الكفاية» ص٥٩.

** وقال العينى فى شرحه لصحيح البخارى ٦٨/٢: ومراده الاستدلال على أن البلوغ ليس شرطا فى التحمل.

** وقال ابن الصلاح: التحديد بخمس هو الذى استقر عليه عمل أهل الحديث المتأخرين فيكتبون لابن خمس فصاعدا: سمع ولمن لم يبلغ خمسا: حضر أو أحضر. والذى ينبغى فى ذلك أن يعتبر فى كل صغير حاله على الخصوص فان وجدناه مرتفعا عن حال من لا يعقل فهما للخطاب وردا للجواب ونحو ذلك صححنا سماعه وان كان دون خمس. وان لم يكن كذلك لم نصحح سماعه وان كان ابن خمس بل ابن خمسين.

وهكذا نجد أن ما ذهب اليه المحققون واعت... مذهب الجمهور فيما بعد أنه لا حد للسن التى يقبل تحـ...



الصبى فيهـا بل المـدار على تمييزه الـذى يقـوم على الاستعـداد للتحمـل والتأهل له سواء كان ذلك فى سن الخمس أو غيرها فيعتبر فى كل صغير حاله على الخصوص ولهذا قال القاضى عياض: ولعلهم انما رأوا أن هذه السن أقـل ما يحصـل به الضبـط وعقل ما يسمع وحفظه والا فمرجوع ذلك للعادة. . ورب بليد الطبع غبى الفطرة لا يضبط شيئا فوق هذا السن. . ونبيل الجبلة ذكى القريحة يعقل دون هذا السن.

ومن هنـا قبلت روايـة أحـداث الصحـابـة كالحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وابن عباس والنعمان ابن بشير والسائب بن يزيد والمسور بن مخرمة وأشباههم من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ أو بعده. ولم يزالوا قديما وحديثا يحضرون الصبيان مجالس التحديث والسماع ويعتدون بروايتهم لذلك.

● قال ابراهيم بن سعيد الجوهرى: رأيت صبيا ابن أربع سنين. . وقد حُمل الى المأمون. . قد قرأ القرآن ونظر فى الرأى. . غير أنه اذا جاع يبكى.

● وقال القاضى أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهانى: حفظت القرآن ولى خمس سنين. . وحُملت الى أبى بكر بن المقرىء لأسمع منه ولى أربع سنين. . فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرىء فانه صغير فقال لى ابن المقرىء: اقرأ سورة الكافرين. . فقرأتها. فقال: اقرأ سورة الكوثر. . فقرأتها. فقال لى غيره اقرأ سورة المرسلات. . فقرأتها ولم أغلط فيها. فقال ابن المقرىء: اسمعوا له والعهدة على.

● وذكر السخاوى فى فتح المغيث: أن عبد الرزاق مات وللدبرى ست سنين أو سبع ثم روى عنه عامة كتبه. . وكذا سمع القاضى أبو عمر الهاشمى السنن لأبى داود من اللؤلؤى وله خمس سنين واعتمد الناس سماعه وحملوه عنه.

● والقصص كثيرة فى علماء الحديث والفقه والتفسير فى الحفظ والاتقان رغم صغر سنهم. . ولا ننسى الامام الشافعى الذى كان يلقى الدرس بدل الامام مالك رغم صغر سنه وذلك عندما عرف عنه الامام مالك المقدرة والكفاءة.

● وقال العلامة أحمد شاكر. . وأما كتابه الحديث وضبطه فانه لا اختصاص لها بزمن معين بل العبرة فيها باستعداده وتأهله لذلك.

● ومن طريف ذلك ما حكاه السلف من التفريق بين العربى والعجمى، فقال: أكثرهم على أن العربى يصح سماعه اذا بلغ أربع سنين لحديث محمود والعجمى اذا بلغ ست سنين.

● وقال موسى بن هارون: أهل البصرة يكتبون لعشر سنين. . وأهل الكوفة لعشرين. . وأهل الشام لثلاثين.

والحمد لله رب العالمين الذى بنعمته تتم الصالحات.

عبدالله محمد الدرويش





ظل الفكر التربوى والثقاف مقصورا على ما تجود به قرائح المفكرين الأجانب، ومن ثم فقد كنا نرجع فيما نكتبه الى ما قاله المتخصصون من غير العرب كى نستشهد به ونعتمد عليه وذلك نتيجة لخلو تراثنا القومى العربى من دراسات تربوية وثقافية جادة يمكن الاستدلال بها عندما نتعرض لقضايا تتناول أسس الثقافة وعلاقاتها بالتربية الحديثة التى تعتبر حجر الزاوية فى عالمنا المعاصر بصفة عامة وفى عالمنا العربى بصفة خاصة.

وبعد هذا التطور الفكرى والتقنى الذى تعيشه الامة العربية بعد ما استطاعت قهر تلك الظروف التى أحاطت بها وفُرضت عليها فى فترة من الفترات أن تلهث جريا وراء كل ما هو عربى تحت شعار كلمة التقدم والتمدين ـ أما اليوم وبعد أن تعبت عقولنا واجسامنا من العدو وراء الفكر المستورد فإننا نرجع إلى ارضنا وتراثنا الطيبين نستلهم منها اصول ثقافتنا وجذورها الضاربة فى أعماق التاريخ فى الوقت الذى كانت فيه الدول الأخرى تعيش عصور ظلامها.

ولا أعنى بهذا أننا نرفض الفكر الغربى بل كل ما نريده هو تطويع هذه الدراسات والحضارات لتلائم واقعنا القومى وتواكب ظروف حياتنا الاجتماعية لأنه بدون تشكيل وتطويع هكذا فإن الفكر الأجنبي سيبدو كجسم غريب وسيكون بمثابة العبء الثقيل بدلا من أن يكون عونا لنا فى تمهيد طرق البحث والدراسة الجادة التى تميز هذه المرحلة من حياة الوطن العربى كله.

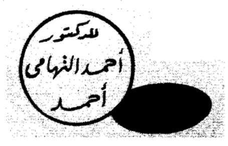
وفى الواقع فإن العودة إلى تراثنا العربى والاسلامى المتمثل فى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وفى كتب السلف الاسلامى والمسلمين المعاصرين ومن خلال صفحات تاريخنا المجيد وكذلك الكتب التى تتناول مشكلاتنا الأساسية فى الحدود العلمية السليمة التى تميط اللثام عن الأمور التى يُلتبس فيها وتمكننا نحن الدارسين العرب من الوصول الى مواطن القوة والضعف فنأخذ بالأولى ونتجنب الثانية وهذا ما يميز الأمة العربية والاسلامية عن غيرها اقتداءا بقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجَتْ للناس﴾.. صدق الله العظيم. والشيىء المثير للجدل حقا هو أن تراثنا العربى والإسلامى أخذ يجذب انتباه رجال الثقافة والتربية فى جميع المعاهد والجامعات والأكاديميات الغربية بشكل يدعو للدهشة وذلك منذ بداية السبعينات من هذا القرن بعد أن جف معين الفكر الغربى تربويا وثقافيا وأخذ يدور فى حلقة مفرغة و



دائرة مغلقة.

ويجدر بنا ونحن نعالج موضوع التربية والثقافة أن نحدد مفهوم هذين المصطلحين اللذين شغلا العالم وأثارا الكثير من القضايا الحديثة التى لم تحسم بصورة نهائية وذلك نتيجة للتفاعلات الحاصلة على الساحة العلمية والتى تتبلور طبقا لحاجات المجتمع والضرورات التى تؤثر فيه سلبا أو إيجاباً.

وربما كان من الأفضل لنا أن نعرف التربية من الناحية اللغوية وذلك لكى نقف على العلاقة العضوية القائمة بين هذا المصطلح والفرد ذاته والذى يعتبر محور ارتكاز العملية التربوية لأن مثل هذا التعريف قد يساعدنا على الايمان بأن التربية ميدان من ميادين العلم والمعرفة الهامة فى المجتمعات الانسانية المعاصرة.



تعريف مصطلح التربية لغويا:

تعنى كلمة التربية Education التعليم أو توفير الأسباب للحصول على المعرفة.. أو للحصول على شخصية وأخلاق طيبة.. وعلى الوسيلة التى يستطيع بها الانسان أن يعيش حياة أفضل ـ وقد ورد هذا التعريف فى قاموس **«مايكل ويست وجيمس جاريت»** المكتوب باللغة الانجليزية.. وبناءا على تعريف القاموس الانجليزى السابق الذكر فالتربية لا تعنى التعليم فى حد ذاته وانما هى تعنيه بالقدر الذى يورى إلى تنمية الشخصية وهذا ما جاء فى قاموس اكسفورد المختصر الذى يتناول تعريف المصطلحات الحديثة.. ومن هنا فإن التربية لا تقتصر على الانسان بل انها تتعداه إلى الحيوان أيضا (كما ورد فى قاموس اكسفورد ص٣٨١) كما يمكن أيضا أن تتعداه إلى النبات كذلك.

هذه التعاريف وردت فى مجلدات غربية أى انها من افكار غير عربية ولقد أوردناها هنا لكى يقف القارىء العربى على مناهل الفكر الأجنبى ويقارن ذلك مع الفكر العربى الأصيل والذى سنورد تعريفاً للتربية من خلاله.

وهنا نعطى تعريفا عربيا خالصاً لمفهوم التربية فالحقيقة أن هذا التعريف الخاص بالتربية لا يختلف كثيرا عنه فى اللغات الأوروبية فالتربية فيها تعنى صراحة التنمية فيقال: رباه: نماه وربَّى فلانا: غذاه ونشّأه ـ وربَّى: نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية (وهذا التعريف جاء فى المعجم الوسيط الذى اخرجه الأستاذ ابراهيم مصطفى فى مجمع اللغة العربية عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م فى ص٣٢٦.

تبدأ عمليا وعلميا ـ قبل فترة المهد فرحم الأم هو فى حقيقة أمره أول مؤسسة تربوية لأنه (البيئة) الأولى التى ينشأ فيها الانسان وعلى قدر صلاحيتها يكون صلاح الوليد وعلى قدر فسادها يكون اختلاله ومن ثم كان حرص الاسلام على العناية بالأطفال منذ ميلادهم بل لقد شملت عنايته مرحلة ما قبل الميلاد حين دعا إلى اختيار الزوجة الصالحة لتكون أمّا صالحة توفر المناخ الطيب والبيئة الملائمة لتربية الطفل. . وأيضا رعايته والعناية بصحته الجسمية والنفسية وهذا استنادا الى الحديث النبوى الشريف «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

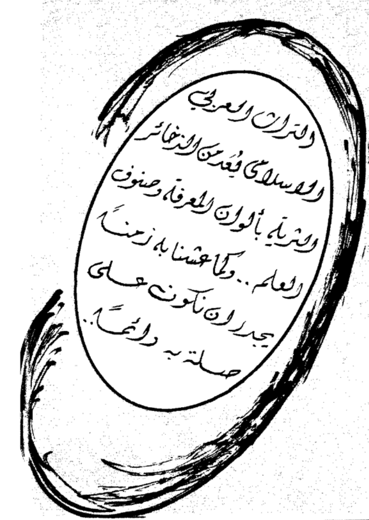
● **وكما تقدم نخرج بالنتائج التالية:**

أ ـ **طالما أن التربية مرادف لكلمة التنمية فإن علاقتها بالمدرسة تصبح رهنا بالدور الذى تقوم به المدرسة فى عملية التنمية الانسانية ولكن هذه التنمية يمكن أن تتم وبصورة أصح بعيدا عن المدرسة كما نرى فى المجتمعات القبلية القديمة.**

ب ـ وفى المجتمعات الحديثة حيث تقوم المدرسة بالدور الأساسى فى عملية التربية فإن التربية لا يمكن بحال من الأحوال أن تقتصر على هذه المدرسة على الرغم من أهميتها بل تتعداها إلى كل المؤسسات فى المجتمع بما فيه مرافقه التابعة مما يحتك به الانسان ويتفاعل معه «احتكاكا وتفاعلاً يؤديان الى تعديل فى السلوك على نحو من الأنحاء(١).

ج ـ ومن هذا المنطلق فإن التربية لا تقتصر على فترة زمنية من عمر الانسان دون فترة وإنما هى تمتد مدى الحياة أى من المهد إلى اللحد على حد قول رسول الله الكريم.

د ـ ويقول الاستاذ حسن عبد العال فى كتابه «التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى وهو من سلسلة مكتبة التربية الاسلامية» اشراف الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع والدكتور عبد الغنى عبود. . (بل أن التربية



المعنى الاصطلاحى لمفهوم التربية:

يقول الفيلسوف التربوى الأمريكى «جون ديوى» فى تعريف التربية "التربية هى النمو والقيادة . . قيادة مستمرة الى المستقبل» وهذا يؤكد الحقيقة القائلة بأن الاختلاف بين المعنى اللغوى والاصطلاحى لمفهوم التربية لا يختلف كثيرا حيث تعنى التربية فى مجملها المناهج وطرق التدريس وهيئة التدريس المُعدّة.

وإذا ما كان العلم الحديث ينظر إلى الانسان على انه جسد وعقل وروح وعلى هذا التداخل أو التكامل فى حياة الإنسان بنا الفلاسفة المحدثون نظريتهم على الانسان فقالوا إن حياته تقوم على هذه الأصول الثلاثة وهى الغريزة والعقل والروح ـ وحياة الروح من بين هذه الأصول الثلاثة هى التى تصنع الدين وتشمل حياة الغريزة كل ما يتشرك فيه الانسان مع الحيوانات الدنيا . . وحياة العقل هى حياة الجرى وراء المعرفة من حب الاستطلاع عند الأطفال إلى أعظم الجهود الفكرية(٢).

وعلى هذه الحقيقة فلقد بنى فلاسفة التربية فكرهم كله على هذه الحقيقة ـ حقيقة أن الفرد ينمو ككل لا كأجزاء . . وأن المظاهر الاجتماعية والعاطفية والطبيعية والعقلية للنمو كلها تعتمد على بعضها البعض وتتوقف على بعضها البعض(٣) .

ومن خلال المواهب الانسانية المتكاملة أو المتداخلة نجد لدى الانسان امكانات الخير والشر جميعا . ومن هنا فإن وظيفة التربية هى تنمية الشخصية الانسانية فى اتجاه يتحقق به خير الانسان وخير المجتمع الذى يعيش فيه وخير الانسانية جمعاء . أو كما يقول الفيلسوف «برتراندرسل» «إن البرنامج التعليمى انما هو محاولة يقوم بها الأفراد المتخصصون فى المجتمع للتأثير على نمو الصغار. ويتم ذلك باختيار وتنظيم الخبرات التى تنمو بها القيم المطلوبة لدى الفرد المتعلم».

<u>وخلاصة القول</u>: ان مصطلح التربية فى أوسع مفهوماته قد يعنى كل عمليات النمو التى يمر خلالها الانسان من طفولته إلى نضجه تدريجيا ليتكيف مع بيئته العضوية والاجتماعية ولكن المعنى أو المفهوم الأكثر تحديدا ـ الذى يستعمل فيه عادة ـ ينحصر فى تلك التأثيرات التى تنم عن قصد على صغار المجتمع والتى يقوم بها الكبار ليشكلوا هؤلاء الصغار على نحو معين(٤).

وفى النهاية فإن الهدف الرئيسى من التربية هو التشكيل الأيديولوجى لأبناء المجتمع . . ومعروف أن التشكيل الايديولوجى هو عملية مستمرة مدى الحياة . . فهى تبدأ مع الانسان طفلاً . . يتشرب القيم والاتجاهات والتصورات من والديه . . ثم ينمو الطفل ويحتك بالاقارب والجيران فتتسع دائرة احتكاكه . . ثم يذهب إلى المدرسة ان كان هناك تعليم مدرسى . . فتزيد الدائرة أكثر وتستمر التنمية العقائدية حيث تصقل تلك القيم والاتجاهات والتصورات لكى تتبلور(٥) .

بين التربية والثقافة:

هناك علاقة عضوية بين التربية والثقافة واذا ما كانت التربية تعنى النمو بكل عناصره فى جسد وعقل وروح الانسان فإن الثقافة هى أداة تهذيب لجميع عناصر النمو فى الانسان . . وكما يقول الناقد الانجليزى «ماثيو أرنولد» فى تعريف الثقافة بأنها تعنى عند بعض العلماء مستوى عاليا للامتياز العقلى والفنى فى شخص أو مجموعة «ويعرفها قاموس مختار

الصحاح بقوله «ثقف الرجل صار حاذقاً خفيفاً» وكذلك يعرفها قاموس الياس انطون الياس بقوله «الثقافة تعنى لغويا فى بعض الاحيان التهذيب».

وهناك تعاريف عديدة لكتاب آخرين أمثال (ت س اليوت) الذى وضع ملزمة كاملة تحت عنوان «تعريف الثقافة» والذى يؤكد فيها على أن الثقافة هى مجموعة محصلات الانسان فى شتى التجارب والتى تجعله يتصرف بأسلوب مهذب ويتكيف مع مجتمعه . .

أثر الثقافة الاسلامية على مناهج التربية:

هناك ثقافات مختلفة تنسجم مع إيديولوجيات الشعوب فهناك على سبيل المثال الثقافات الغربية والشرقية وثقافات العالم الثالث وغيرهم.

اما النمط الاسلامى من الثقافة فلقد كانت تتسع دائرته لتشمل أعلى مستويات القمة وأدنى القاعدة لتضم فى بوتقتها التركيبة العقلية للمسلمين جميعاً ودون استثناء ويتم هذا غالباً فى خط واحد واضح المعالم يلزم الجميع لأنه يسير وفق نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهذا النمط الاسلامى من الثقافة يضع فى حسابه ما يجد من المتغيرات الثقافية الجزئية بكل ذكاء للتغيرات التى تفرض نفسها على الواقع الاسلامى المتجدد باستمرار وهذه نماذج من تلك التى أرسى قواعدها الاسلام الحنيف من خلال كتابه الكريم والذى جاء فيه ﴿وما فرّطنا فى الكتاب من شيء﴾.

وإذا كانت الثقافة كما ذكرنا عملية اجتماعية فإن وظيفة اساسية من وظائف التربية هى أن تمهد السبيل أمام المجتمع ليجتاز ما يعترضه من مشكلات وأن تنير السبيل أمام الثقافة حتى تعرف كيف تتخلص مما ينبت على جانبيها من سلبيات(١).

وفى الحقيقة فلقد كانت لانعكاسات المد الثقافى الاسلامى أثر عظيم فى تهذيب النفس البشرية لدى المسلمين وأهل الكتاب الذين شهدوا بذلك ودلل عليها المستشرقون رغم أنهم على دين غير الاسلام.

وفى هذا المجال الذى لا يتسع لإعطاء أمثلة كافية للدلالة على ارتباط الثقافة الاسلامية وتأثيراتها الايجابية على المجتمع الاسلامى فإنه يجدر بنا أن نعطى ومضات تلقى الضوء على هذا الصرح الذى يشكل فيه القمة والقاعدة الروح الاسلامية الحقة المبنية على المشاركة والتفاعل فى ذلك التطور الذى حققته مؤسسات التربية الإسلامية ومناهج التعليم بها . .

لقد كانت أولى المؤسسات التى ظهرت فى الاسلام هى (دار الأرقم بن أبى الأرقم) فى مكة المكرمة والتى فتحت أبوابها سرا فى أيام الاسلام الأولى لمن آمنوا بالرسول والرسالة السماوية وسط إرهاب زعماء مكة وبطشهم بكل من يحيد عن الدين القديم.

ولقد تم فتح ثانى مدرسة إسلامية تربوية فى الاسلام وهى (المسجد) وفى العصر الأموى ظهرت الكتاتيب بأنواعها المختلفة حيث كانت تقدم الوانا من التعليم يتصدره المصحف الشريف . . وعندما تعقدت احوال المجتمع الاسلامى وتعقدت حضارته فى العصر العباسى الثانى ظهر النظام المدرسى شبيها بالنظام المدرسى الحديث بكل تعقيداته.

وهكذا انعكست فلسفة الثقافة الاسلامية على كل المجتمع الاسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها طوال القرون

تقوم فلسفة التربية على أساس «الكلية» الشاملة لحياة الانسان فى كل جوانبها.. ذلك لاعتماد الظواهر الاجتماعية والعاطفية والطبيعية والعقلية على بعضها البعض وتتوقف على بعضها..

الاسلامية الأولى وحتى يومنا هذا وهى تدور حول تحرير الفرد من الداخل واطلاق طاقاته المبدعة ليكون قادراً على خدمة نفسه ومجتمعه وبحيث يستطيع التمييز بين الخير والشر وليكون قادرا أيضا على المساهمة النشطة البناءة فى حياة مجتمعه وفى إزدهاره(٧).

وإذا كانت أرقى مكتبات الغرب والشرق تزخر بالعديد من المؤلفات من كتب ومراجع ودوائر معارف فى علم التربية والثقافة فإن كل ما لديهم مجتمعين لا يعادل كلمة واحدة أو آية واحدة من كتاب الله العزيز أو من حديث رسوله الكريم، وهل هناك فى فكر الغرب وفلسفته ما يعادل قول الحق سبحانه وتعالى فى وصف نبيه من الناحية الخلقية والتربوية ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ صدق الله العظيم.

الهوامش

(١) نحو فلسفة عربية للتربية للدكتور عبد الغنى النورى والدكتور عبد الغنى عبود طبعة أولى دار الفكر العربى ١٩٧٦ ص٣.

(٢) برتراند راسل: نحو عالم أفضل - ترجمة درينى خشبة وعبد الكريم احمد ص١٦٢.

(٣) دان كوبر - ادارة المدارس - ١٩٤٨ مجلد ١١ ص٩٦.

(٤) دائرة معارف كل رجل مجلد ٤ ص ٦٣٦ ح م دنت واولاده.

(٥) د. عبد الغنى عبود الايديولوجيا والتربية طبع ٢ - ١٩٧٨ ص٢٦، ٢٧.

(٦) د. عبد الغنى عبود - التربية ومشكلات المجتمع ص٢٩.

(٧) د. عبد الغنى عبود - التربية ومشكلات المجتمع - دار الفكر العربى ١٩٨٠.

المصادر

١ - التربية ومشكلات المجتمع - د. عبد الغنى عبود - دار الفكر العربى ١٩٨٠

٢ - فى التربية الاسلامية الطبعة الاولى - د. عبد الغنى عبود دار الفكر ١٩٧٧

٣ - التنمية الاقتصادية دراسة تحليلية - د. على لطفى المطبعة الكمالية ١٩٧٢م

٤ - اتجاهات حديثة فى إعداد المعلم - ترجمة د. حسين سليمان قورة - عالم الكتب ١٩٧٣م

٥ - فى تاريخ التربية جزء أول - ترجمة صالح عبد العزيز - مكتبة النهضة ١٩٥٨م



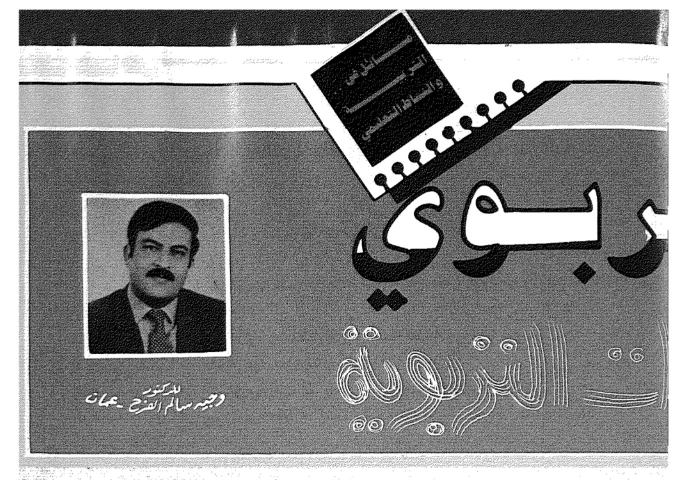
إن النظم التربوية العربية - شأنها شأن معظم النظم التربوية فى أنحاء العالم - تواجه تحديات ومشكلات متنامية تفرضها طبيعة العصر الذى نعيش فيه والذى يتصف - من جملة ما يتصف به - بالتفجر المعرفى والثورة فى وسائل الاتصال والتدفق فى المعلومات . .

هذا العصر الذى يطلق عليه بحق عصر التكنولوجيا العلمية المتجددة والمتغيرة . ولكى تتمكن التربية العربية من أن تواجه تحديات العصر وان تضطلع بمسؤولياتها بكفاءة وفعالية من أجل تلبية متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى الوطن العربى لابد وأن يتصف النظام التربوى فى أى بلد عربى بالديناميكية والمرونة والمعاصرة وأن يمتلك المقدرة على تطوير وتجديد نفسه باستمرار.

وحتى تتمكن التربية العربية من المحافظة على استمرار وجود الانسان العربى فى عالمنا التكنولوجى العلمى المتغير، ولكى تتمكن التربية العربية من إعداد المواطن العربى المتمثل لحضارة العصر والقادر على الاحتفاظ بذاتيته (هويته) الثقافية وخصوصيتها الانسانية فإن الانظمة التربوية العربية مدعوة إلى أن تستجيب لهذا المناخ الحضارى الجديد وذلك عن طريق إصلاح أو تحديث أو تجديد نفسها باستمرار.

وتتطلب عملية الاصلاح أو التحديث أو التجديد للأنظمة التربوية العربية المعالجة العلمية للمشكلات التربوية بهدف اكتشاف الصيغ والنماذج والأنماط الجديدة لمدرسة المستقبل فى البلاد العربية . وان مدرسة المستقبل هذه لا تنظر إلى المعرفة نظرة استاتيكية جامدة بل تنظر إليها نظرة ديناميكية متغيرة ومتجددة.

ولعل البحث العلمى فى المجال التربوى هو المدخل الموضوعى لإصلاح أو تحديث أو تجديد الأنظمة



التربوية فى البلاد العربية. وفى هذا المجال يقول العالم السلوكى «باتريك سادز» Potric Suddes «ان التغيرات الكبرى فى التربية لم تقم على دليل قوى من المعلومات العلمية المستمدة من البحث العلمى».

وتمثل هذه العبارة التجاهل الذى يلقاه البحث التربوى فى الانظمة التربوية المعاصرة.. الأمر الذى يستتبع افتقار هذه الانظمة إلى مقوم أساسى من مقومات تطويرها وتجديدها.

ومن هذه المنطلقات أخذ البحث التربوى يحظى باهتمام متزايد فى كثير من البلاد النامية والمتقدمة على حد سواء. وتفرض هذه الأهمية ضرورة قيام البحث التربوى على أسس علمية وموضوعية راسخة.. وأن تلبى البحوث التربوية حاجات المجتمع وتلائم أحواله وخصائصه.. وأن تعكس أهدافها احتياجات الأنظمة التعليمية ومشكلاتها.

إن الهدف الرئيسى للبحث التربوى هو الكشف عن المعرفة الجديدة.. ومن خلال هذه المعرفة يمكن تقديم الحلول والاجابات والبدائل التى تساعدنا فى تعميق فهمنا للأبعاد المختلفة للعملية التربوية وما يواجهها من مشكلات وصعوبات.

وبكلمات أخرى. فان البحث التربوى يساعدنا إلى التوصل إلى أفضل السبل التى تمكننا من تطوير الجانبين الكمى والنوعى للعملية التربوية ومخرجاتها.. وان الاعتراف بأهمية البحث التربوى يعنى الاعتراف بأهمية التجديد التربوى بصفة عامة وهو ما ينبغى أن يكون منطلقاً للسياسات التربوية فى البلاد العربية وركناً هاماً من أركانها.

فاذا سلمنا بذلك فعلينا أن نسلم بضرورة اهتمام الانظمة التربوية العربية بالبحوث والدراسات التربوية وإعطائها الأولوية التى تستحقها وتوفير ما تحتاجه من الامكانات المادية والبشرية والفنية.

وإن صواب أى قرار تربوى يكمن فى مقدار المعرفة التى تتوفر لصانع هذا القرار . وإن الهدف النهائى للبحث التربوى هو توفير المعرفة التى يسترشد بها صانع القرار التربوى.

وهناك مبادىء أساسية لابد وأن يرتكز عليها أى قرار تربوى:

1. إن عملية صناعة القرارات التربوية يجب أن تعتمد على أسس علمية موضوعية وأن تستثمر نتائج البحوث والدراسات الميدانية والاجرائية.
2. إن عملية صناعة القرارات التربوية يجب أن يتوفر لها أنظمة معلومات متطورة ومتجددة.
3. إن عملية صناعة القرارات التربوية عملية تعاونية مشتركة وديمقراطية.
4. إن عملية صناعة القرارات التربوية يجب أن توظف وتستخدم أنظمة تكنولوجية متطورة.
5. ان عملية صناعة القرارات التربوية يجب أن تعتمد على أنظمة اتصال عمودية وافقية ديناميكية.
6. ان عملية صناعة القرارات التربوية لابد أن تعتمد على مبادىء الكفاءة والاقتدار.

■ وهنا عدة اسئلة تطرح نفسها فى هذا الصياغ منها:

أولا: لماذا لا نجد أثراً لنتائج البحث التربوى فى صناعة القرارات التربوية؟

أ ـ البحث هو عملية الوصول إلى حلول لمشكلات من خلال جمع بيانات وتحليلها وتفسيرها بطرق منظمة ومخططة بدقة وموضوعية. وقد اصطلح على تسمية الطريقة التى تتضمن مثل هذه العمليات «بالطريقة العلمية» أو «الاسلوب العلمى فى حل المشكلات» لذلك يمكننا تعريف البحث بأنه استخدام الاسلوب العلمى فى حل المشكلات.

ب ـ وان أحداً لا يستطيع أن ينكر الجهود الكثيرة التى بذلت ومازالت تبذل من أجل تطوير العملية التربوية على أسس تدعمها نتائج البحوث التربوية . . غير أننا لا نستطيع القول بان هذه الجهود ـ على كثرتها ـ قد نجحت فى تحقيق هذه الغاية ومازالت هناك جوانب كثيرة فى العملية التربوية لم يتمكن البحث التربوى من استكشافها حتى الآن مما يجعل اتخاذ القرارات يخضع لعوامل أقل ما يمكن أن توصف به أنها غير مبنية على أسس واضحة من نتائج البحث التربوى بمعناه العلمى.

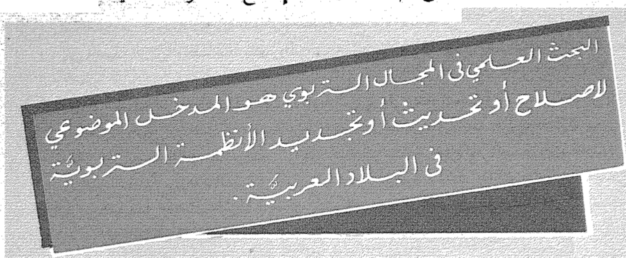
ثانيا: لماذا لا تكون للبحث التربوى الجدوى المرجوة منه؟.

ويمكن ان نرجع هذا الوضع إلى عدد من الأسباب نشير إلى بعضها فيما يلى:

① أول ما ينبغى أن ندركه أن العملية التربوية كُلٌ شديد التعقيد. وترتبط أساساً بالطبيعة الانسانية بكل ما

تتميز به من تداخل بين عواملها الكثيرة غير الملموسة مما يجعل ضبطها ووضعها موضع «التجريب العلمي» أمراً صعب التحقيق.

ويمكننا أن ندرك أن السبب الرئيسي وراء هذه الظاهرة هو عدم قدرة الباحث على التحكم فى كل المتغيرات التى يمكن أن يكون لها تأثير على نتائج التجربة مع ترك عامل واحد فقط هو العامل التجريبي. وهذا بالطبع يستوجب منا أن نعيد النظر فى محاولة إرجاع الظاهرة التربوية إلى عامل واحد فقط وإغفال تداخل المتغيرات. بالاضافة إلى أن التربية فى أى مجتمع هى نظام فرعى (Sub-system) من أنظمة المجتمع وبين نظام التعليم والنظم التى تحيط به علاقات وتفاعلات وتأثيرات متبادلة. لذلك فإن صلاح نظام التعليم ذاته أمر غير متوقع مالم تُبذل جهود مكثفة لإصلاح كافة مكوناته الأساسية.



(٢) ومما يدعو صانعى القرارات فى التربية إلى الانصراف عن نتائج البحث التربوى غياب نظام الأولويات فى البحث التربوى. وتناول الباحثين لجزئيات متناثرة من النظام التعليمى لا تؤدى نتائجها إلى فكرة عامة أو فلسفة واضحة حيث تعانى نظم التعليم من مشكلات حادة ومتنوعة وهائلة لذلك فإن البحث التربوى لا يتصور أن يكون ذا أثر فى تحسين الممارسات التربوية إذا ظل يجرى وفقاً للنمط الذى هو عليه الآن فى صورة بحوث فردية تجرى داخل كليات التربية أو بحوث تقوم بها مراكز وأقسام البحوث التربوية كلما سمحت الظروف إلى ذلك.

(٣) تتناول البحوث التربوية المشكلات التى توجد لها وسائل قياس معروفة بمعنى أن الذى يحدد نوع البحث هو توفر الأداة وليس طبيعة المشكلة أو درجة أهميتها بالنسبة لصانعى القرارات.

(٤) لا يتوفر للعديد من البحوث التربوية معايير الصدق والثبات والموضوعية.

(٥) تجرى كثير من البحوث التربوية من أجل تحقيق أغراض شكلية وليس لمعالجة مشكلات حقيقية تواجه صانعى القرارات وذات أهمية فى تطوير العملية التربوية. ويلاحظ ذلك فى البحوث التى يجريها طلبة الدراسات العليا فالمهم عندهم هو الحصول على الدرجة العلمية. أما القيمة العلمية للمشكلات التربوية التى يعالجونها فتأتى فى مرتبة تالية.

لذلك فإن البحوث التى تهدف إلى التطوير يجب أن تكون عملية تعاونية يشارك فيها كل المعنيين وأن يتناول التطوير المشكلات الحقيقية التى يعانيها الممارسون وليست المشكلات التى يتخيلها الباحثون.

٦ تجرى معظم البحوث التربوية فى غياب خطة للبحث شاملة ومتكاملة وبالتالى جاءت البحوث التربوية - فى أحيان كثيرة - مرتجلة وغير مستمرة، وقد ترتب على ذلك الوصول إلى نتائج مفككة وغير متكاملة ولا يمكن الاعتماد عليها فى اتخاذ القرارات.

ويرجع ذلك إلى عدم وجود سياسة وطنية للبحث التربوى واضحة المعالم ومحددة ومبرمجة إلى خطط.

٧ يوكل أمر البحث التربوى فى بعض الأحيان - إلى كوادر غير متخصصة مما تترتب عليه عدم اتقان العمل وعدم ثقة الممارسين فى نتائجه.

٨ تترك البحوث التربوية - فى معظم الأحيان - للجهود الفردية. وهذا بطبيعته يضعف البحث التربوى ويؤدى إلى نتائج جزئية لا يستفيد منها صانعو القرارات التربوية.

٩ إن العديد من البحوث التربوية تلجأ إلى أسلوب مسح آراء مجموعة من الناس وتعتبره أمراً كافياً للوصول إلى الحقيقة التربوية وتقف عنده وتتصور أن نتائجه يمكن الاعتماد عليها فى اتخاذ القرارات المتعلقة بتطوير العملية التربوية.

١٠ ومما لا شك فيه أن عدم اعتماد القرارات الادارية التربوية على نتائج البحث فى مجال التربية يمكن إرجاعه ولو بصورة جزئية إلى قصور فى بعض النواحى الفنية فى البحث مثل: عدم صياغة المشكلة بوضوح.. وعدم توفر الضبط الكافى للمتغيرات.. واختيار عينة غير ممثلة.. وعدم توفر الصدق والثبات والموضوعية فى جميع البيانات.. وعدم الكفاية فى تحليل البيانات.. وتقديم تفسيرات خاطئة.. وغيرها مما يمكن أن يترتب عليه فشل البحث وعدم الاعتماد على نتائجه فى اتخاذ القرارات التنفيذية.



١١ تناقض نتائج البحوث التربوية فى كثير من الأحيان له أثر واضح فى عدم الثقة بها والاعتماد عليها فى اتخاذ قرارات موضوعية بالنسبة لتطوير العملية التربوية.

١٢ ثقة الاداريين بأن الخبرة الطويلة فى العمل التربوى يمكن أن تنبثق عنها الحقيقة التربوية.. أدت إلى عدم الاهتمام بنتائج البحث التربوى وتطبيقها علما أن الخبرة وحدها لا تكفى لاتخاذ القرارات التطويرية.. فقد تكون الخبرة الطويلة عبارة عن خبرة سنة واحدة فاشلة مكررة لعدة سنوات.. لذلك لابد من الاعتماد على أساس متين من البحث المتواصل بكل ما يتطلبه مثل هذا العمل الرصين من جهد وإمكانات بشرية ومادية.

١٣ عدم توفر الوقت الكافى لدى الاداريين لقراءة ومتابعة نتائج البحوث والاستفادة منها فى اتخاذ القرارات بالاضافة إلى صياغة تقارير البحوث وعرض نتائجها فى صورة يصعب على كثير من الممارسين قراءتها والاستفادة منها لأنها تزخر بالمصطلحات التى لا يستوعبها إلا المتخصصون فى البحث التربوى.

١٤ عدم نشر نتائج البحوث التربوية وتيسير وصولها إلى متخذى القرارات.

١٥ إهمال البحث فى ديناميات اتخاذ القرار التربوى حيث إن اتخاذ القرارات التربوية قد أصبح أمراً معقداً

البلاد العربية ويجد متخذو القرارات أنفسهم أمام عدد كبير من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والادارية التى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند اتخاذ القرار.

ثالثا: كيف يمكن لنا ان نطور البحث التربوى لكى يؤثر ويتأثر بالنظام التعليمى ؟.

ظهرت فى السنوات الاخيرة اتجاهات جديدة فى البحث التربوى تبشر بآمال نحو التطوير إلى الأحسن ومن أهمها :

أ ـ امتداد أفق البحث إلى تخطيط التعليم واقتصادياته ومقاييس الكلفة والعائد .

ب ـ استخدام أسلوب النظم وبعض الأدوات الاحصائية الأكثر تعقيداً وتقدماً فى التحليل .

ج ـ دخول بعض المؤسسات من خارج التربية إلى حلبة البحث التربوى مثل كليات الاقتصاد ومعاهد ووزارات التخطيط وغيرها .

وفيما يلى بعض الاقتراحات التى يمكن الاستعانة بها لتطوير البحث التربوى واعتماد نتائجه فى صناعة القرارات التربوية .

القضاء على الثغرة الواسعة بين الباحثين التربويين وفئة الممارسين المشتغلين بالادارة التعليمية فى مستوياتها المختلفة .

وان تتم دراسة المشكلات الحقيقية التى تواجه الممارسين للتعليم للاستفادة من نتائجها فى اتخاذ القرارات التربوية التى تؤدى إلى تحسين نوعية التعليم .

دراسة واقع مؤسسات البحث التربوى بطريقة موضوعية للتعرف إلى مدى نجاحها فى التصدى لمشكلات التربية الحادة .

ايمان ووعى المسؤولين وصانعى القرارات بقيمة وأهمية البحث التربوى فى دعم وتطوير العملية التربوية وأثر ذلك فى تحقيق التنمية الشاملة .

تغيير سياسة البحث التربوى من الفردية إلى الجماعية الشاملة التى يشارك فيها أستاذ الجامعة والباحث فى مراكز وأقسام البحوث وكل من يعنيه أمر تطور العملية التربوية .

تحديد الأسلوب الأمثل لإعداد وتنمية الكوادر البشرية المسئولة عن البحث التربوى فنياً واجتماعياً وفلسفياً .

تحديد أولويات البحث التربوى على المستوى القطرى . . وتحديد كيفية الاختيار من هذه البحوث . . وكيفية تنسيق وتوزيع الأدوار حسب توافر الامكانات المادية والبشرية .

توفير نظام المعلومات المناسب لوحدات البحث التربوى وتطويره ليشكل مستقبلاً فرعاً من نظام متقدم وواسع للمعلومات التربوية .

الحيلولة دون التكرار والازدواج بين عمل مؤسسات البحث التربوى على المستوى القطرى والعربى .

قيام كافة الفئات العاملة فى مهنة التعليم بتوعية الجماهير بقضايا هذه المهنة ومشكلاتها . . وعظم خطرها بالنسبة للأفراد والمجتمعات . . حيث من الغريب أن تختفى من صحفنا اليومية ومجلاتنا وإذاعاتنا المسموعة والمرئية المناقشات الجادة وعرض وجهات النظر المختلفة حول قضايا التعليم ومشكلاته .

ملف خاص



شهدت المملكة العربية السعودية ـ ولا تزال ـ نهضة تعليمية شاملة وتقدماً مطرداً ونمواً واضحاً فى مجال التعليم ـ مع غيره من المجالات الأخرى ـ بخطى ثابتة وعلى أسس سليمة تستند إلى سياسة تعليمية رشيدة انبثقت من الاسلام «الذى تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وشريعة وحكماً ونظاماً متكاملاً للحياة»(١).

لقد انتشر التعليم وعمت مدارسه المدن والقرى والهجر بدرجة كبيرة دفعت وزارة المعارف إلى تنظيم جهازها الفنى والادارى، فأنشأت إدارات للتعليم فى المناطق وأخرى للاشراف على الأنشطة المدرسية لتقدم الخدمات التربوية والتعليمية لجميع أبناء المملكة فى كافة أرجائها على حد سواء.

ما المقصود بالنشاط المدرسى؟:

ان ظهور مصطلح (النشاط المدرسى) فى بعض مدارس العالم العربى بصفة عامة منذ الأربعينات يدل على أن رجال التعليم فى عالمنا العربى أدركوا ـ منذ ذلك الوقت ـ أهمية النشاط فى تكوين شخصية التلميذ(٢) فشخصية التلميذ وأخلاقه تتكون من خلال نشاطه أثناء الدروس كما تتكون فى أثناء نشاطه الاجتماعى فى المدرسة وخارجها. ولا يكون التعلم ناجحاً أو جيداً أو مساعداً على النمو النفسى الا اذا كان هو نفسه مظهراً من مظاهر نشاط الفرد الذى ينبعث من دوافعه ويشبع ميوله ويحقق حاجاته النفسية. والدافع فى أبسط مفاهيمه(٣) طاقة جسمية نفسية كامنة على شكل استعداد يدفعنا للنشاط ونهج سلوك معين يهدف إلى غاية فالنشاط هنا وسيلة لاكتساب الخبرات والمعارف والمعلومات والمهارات والاتجاهات المرغوب فيها.

إن مفهوم النشاط المدرسى لم يعد لمجرد الترفيه عن الطالب فى المدرسة أو لقضاء وقت الفراغ إنما أصبح مفهوم النشاط المدرسى أنه يساعد على اكتشاف المواهب والقدرات وصقلها أو هو الوسيلة التى يجب أن تستخدم لتحقيق ذلك. أى أنه كان هدفاً وأصبح وسيلة(٤).



الأسس النفسية والتربوية للنشاط المدرسي(*):

إن النشاط الذى يقوم به التلميذ خارج الفصل لا يقل فى أهميته عن نشاطه داخل الفصل، فكلاهما مجال تربوى يقوم على الأسس التالية:

أولا: الأسس النفسية:

أ ـ أن يكون النشاط المدرسى مجالاً لتعبير التلاميذ عن ميولهم واشباع حاجاتهم النفسية كالحاجة إلى النجاح والتقدير. والحاجة الى سلطة ضابطة وموجهة وهى إن لم تشبع كان ذلك من عوامل جنوحهم وميلهم للتمرد وضيقهم بالمدرسة.

ب ـ النشاط المدرسى يشجع روح الابتكار وينمى الثقة بالنفس ويقوى الارادة.. ويحبب فى التعاون والشعور بالمسئولية.

جـ ـ أن يتيح النشاط المدرسى فرصاً متعددة للكشف عن ميول التلاميذ وتنمية مواهبهم مما يساعد على توجيههم وجهة سليمة.

د ـ أن يكون النشاط المدرسى متنوعاً ومتعدداً حتى يقابل ما بين التلاميذ من فروق فردية.

هـ ـ أن تخضع الأنشطة المدرسية للملاحظة الدقيقة من جانب المشرف بحيث يتعرف على جوانب شخصيات التلاميذ وتكيفهم التكيف السليم.

و ـ الحرص على أن يكون النشاط المدرسى وسيلة فعالة لعلاج الكثير من مشكلات التلاميذ.. كمشكلة العدوان.. ومشكلة الخجل والانطواء على النفس وغيرها.

ثانيا: الأسس التربوية:

(أ) مراعاة أن يتيح النشاط المدرسى للتلاميذ فرصاً سانحة لتدريبهم على الحياة الاجتماعية السليمة مثل تحمل المسئولية والاعتماد على النفس والتعاون والتنافس الشريف والانتاج والعطاء وبذل الجهد. ويعود التلاميذ على

الصبر والطاعة والاحتمال واحترام النظام الخاص بالنشاط عن طريق الرحلات والحفلات والمباريات ومزاولة الهوايات المتعددة.

(ب) الاهتمام بأن يكون النشاط المدرسي مجالاً واسعاً للتعلم المثمر عن طريق الخبرة المباشرة والعمل الإيجابي.

(جـ) العمل على أن يصبح النشاط المدرسى وسيلة لكسب التلاميذ للخبرات التعليمية والتربوية المرغوب فيها مما يساعدهم على أن يكونوا مواطنين صالحين.

(د) ينبغى أن يكون النشاط المدرسى وسيلة لتوطيد الصلات وتكسير الحواجز المصطنعة بين التلاميذ وأساتذتهم، وبين المدرسة والبيئة المحلية، وربط التلاميذ ببيئتهم ومجتمعهم، وتدريبهم على دراسة بيئتهم المحلية والوقوف على مقوماتها ومشكلاتها والمساهمة فى حل هذه المشكلات وأداء بعض الخدمات لها.

(هـ) ينبغى أن يكون النشاط المدرسى وسيلة من وسائل تنفيذ المنهج الدراسى.. وعماد طرق التدريس الجيدة.. ومصدراً من مصادر الوسائل التعليمية.

(و) أن يهيىء النشاط المدرسى للتلاميذ مواقف تعليمية شبيهة بمواقف الحياة حتى ينتقل أثر ما يتعلمونه فى المدرسة إلى حياتهم المقبلة.

(ز) أن تكون هناك صلة وثيقة بين النشاط فى داخل المدرسة وبين النشاط فى خارجها.

(حـ) أن تتيح جماعات الأنشطة المختلفة الفرصة للفرد ليقود الآخرين فى مجالات العمل حتى ننمى فى التلاميذ أساليب القيادة الصحيحة.

(ط) أن تسهم برامج النشاط فى رفع المستوى الأخلاقى والاجتماعى للتلاميذ. وليس ذلك عن طريق تقديم العظات لهم فقط ولكن عن طريق العلاقات الطيبة والخلق الرياضى الذى يتحلى به المدرسون والتلاميذ أثناء اشتراكهم فى نشاط ما.

(ى) ينبغى ألا يكون توجيه المدرس لتلاميذه توجيهاً تعسفياً استبدادياً بل إرشاداً مشبعاً بروح العطف.. وأن يزودهم بنتائج خبرته ومعرفته وحسن بصره بالأمور ليساعدهم على نجاح أنشطتهم وأعمالهم.

(ك) أن تقوم كل مدرسة فى بداية العام الدراسى بتحليل المناهج ووضع خطة عامة لأنواع الأنشطة التى يمكن ممارستها وتقدير الميزانية والامكانيات اللازمة.

(ل) أن ينظر الى النشاط المدرسى بناء على قيمته الحقيقية، لا على أساس قيمته المادية أو المظهرية أو السطحية.

النشاط المدرسى عبر تاريخ المملكة

في عهد مديرية المعارف العمومية: إن من يستقرىء تاريخ التعليم بالمملكة العربية السعودية يجد أن هذا التاريخ ينبؤنا بأن مدارس المملكة منذ عهد مديرية المعارف حرصت على تقديم ألوان من الأنشطة المدرسية فى المناسبات المختلفة. فعلى سبيل المثال لا الحصر أقامت المدرسة الابتدائية الأميرية بالمدينة المنورة فى ٢٠ شعبان ١٣٤٩هـ احتفالاً فى (محطة العنبرية) بمناسبة عيد جلوس (المغفور له الملك عبد العزيز) شارك فيه تلاميذ المدرسة تحت إشراف أساتذتهم بخطب وقصائد وأناشيد ومن هؤلاء التلاميذ: يس طه.. وطه الجداوى.. واحمد بخارى.. وأسعد وأمين مرشد.. وكاظم برادة.. وبيان بن تركى وغيرهم.

وكـان حكام البلاد ووجهاؤها يحضرون الحفلات الرياضية التى تقيمها إدارة المعارف ويشجعون الفرق الفائزة بتوزيع الكؤوس عليها وبتقديم هبات سخية ومكافآت سنية لطلاب المدارس والعاملين فيها تشجيعاً للنشاط المدرسى. فقد شرف صاحب السمو نائب جلالة الملك عبد العزيز (الأمير فيصل) الحفل الرياضى الذى أقامته المعارف فى الفضاء الواسع وراء الثكنة العسكرية بجرول بمكة المكرمة(٦). كما شاهد المغفور له جلالة الملك عبد العزيز الحفلات التمثيلية التى قدمتها مدرسة عنيزة وأعجب بالتمثيلية الاجتماعية (بين العالم والجاهل) التى شارك فى تمثيل أدوارها (الاستاذان: عثمان الصالح وصالح ابراهيم الغراب عندما كانا طالبين بهذه المدرسة.. وأمر جلالته بأن يعاد عرضها أمام أبنائه. كما حضر هذه التمثيلية أيضاً جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز فى أواخر عام ١٣٥٣هـ وتلقى الطلاب مكافآت سخية تشجيعاً لهم وتقديراً.



● راعى النهضة التعليمية بالمملكة جلال الملك فهد بن عبد العزيز يتابع احدى الحفلات المدرسية عندما كان وزيراً للمعارف

صحيح أن بعض المدارس عانت فى بداية الأمر من عبارات النقد التى وجهها الآباء وأولياء الأمور واستخفافهم واستهجانهم نحو ما يزاوله أبناؤهم من ألعاب رياضية فوصفوهم «بالخفة والطيش وقلة العقل» حتى ان أحد الآباء أخرج ابنه من المدرسة الابتدائية بعنيزة بحجة أنه لا يرسل ابنه إلى مدرسة تعلم اللعب والعبث(٧). وتأثر بعض الأبناء بهذه النظرة فرفضوا مشاركة زملائهم التلاميذ الجرى واللعب. ولكن سرعان ما تغيرت نظرة المجتمع وأولياء الأمور والتلاميذ إلى الأنشطة الرياضية بعد أن سافر الكثيرون إلى مصر والشام والعراق وتركيا ووقفوا على ما فيها من أنشطة رياضية وثقافية متنوعة فأقبل الناس والتلاميذ على الأنشطة المدرسية وشجعوها. وقد نشطت الصحافة المدرسية التى اشتملت على مواضيع متنوعة احتوت على الأدب والشعر والقصص والهزل ومن ذلك صحيفة (لسان الوطن) التى أصدرها عثمان الصالح مع بعض زملائه التلاميذ وقتئذ.

في عهد وزارة المعارف: اهتمت وزارة المعارف بفضل توجيهات أول وزير لها سمو الأمير فهد بن عبد العزيز (جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حالياً) بالأنشطة المدرسية فأنشأت الوزارة في عام ١٣٧٤هـ الادارة العامة لرعاية الشباب للعناية بالناشئة في داخل المدارس وخارجها وللاشراف على تربيتهم رياضياً وكشفياً وفنياً واجتماعياً. وأدخلت مادة التربية الرياضية في صلب الجدول الدراسي للمدارس الابتدائية بموجب أمر وزارة المعارف رقم ٢/٧١٥٢ في ١٣٧٤/٤/٢٣هـ(٨)، وكانت من قبل مجرد نشاط يمارس خارج الجدول وكان من آثار تشجيع النشاط الرياضي أن زادت أعداد الملاعب والفرق الرياضية بالمملكة ففي عام ١٣٧٦هـ كانت الملاعب واهم الفرق الرياضية على النحو التالي: (٩)

كرة قدم		كرة سلة		كرة طائرة		تنس طاولة	
ملاعب	فرق	ملاعب	فرق	ملاعب	فرق	منضدة	فرق
٤٣	١٧٩	٣٣	٧٠	١١١	١٢٦	٦٤	٩١

وخصصت وزارة المعارف في عام ١٣٨٣هـ وخمسمائة ريالاً للأنشطة المدرسية لكل مدرسة ابتدائية(١٠) وزودت الوزارة المدارس بالأجهزة والأدوات والملابس الرياضية فأقبل الطلاب على الأنشطة الرياضية والكشفية وشجعهم الجمهور. وأقيمت مراكزللتدريب بالمناطق الكبرى وزودت بالمشرفين الرياضيين، وفتحت المدارس أبوابها ليزاول الطلاب أوجه الأنشطة المختلفة تحت إشراف الأساتذة الوطنيين الذين تم إعدادهم جيداً بالدورات الرياضية الصيفية بالطائف وبمعهد إعداد معلمي التربية الرياضية. وفي عام ١٣٨٩/٨٨هـ بلغ عدد معلمي التربية الرياضية بالمدارس الابتدائية ٩٠٦ معلماً(١١) ويشير التقرير السنوي لرعاية الشباب لعام ١٣٨٩/٨٨هـ(١٢) إلى أن عدد المباريات الرسمية التي أقيمت بالمدارس الابتدائية بالمملكة كانت على النحو التالي:

نوع المباريات	عدد الفرق	عدد المباريات	عدد المشتركين
كرة قدم	٦٠	٦٢	٥٥٤
كرة سلة	١١٩	١٤٧	١٥٢٧
كرة طائرة	٤٣٠	٤٢٩	٤٤٩٢
تنس طاولة	٣٠٩	٢٣٣	٧٤٥

وتطالب سياسة التعليم فى المملكة بضرورة «إكساب الطلاب المهارات الحركية التى تستند إلى القواعد الرياضية والصحية لبناء الجسم السليم حتى يؤدى الفرد واجباته فى خدمة دينه ومجتمعه بقوة وثبات»(١٣)

كما تطـور النشاط الفنى فى المدارس ولعل أبرز دليل على ذلك أن أول منهج دراسى سعودى فى عام ١٣٤٥هـ احتوى على دروس الرسم. وأقامت المدارس الابتدائية وحدها فى العام الدراسى ١٣٨٩/٨٨هـ (٣٧٥) معرضاً للتربية الفنية على المستوى المحلى. . كما شارك التلاميذ بأعمالهم الفنية ذات الطابع الاسلامى فى المسابقات الدولية كتلك التى نظمتها مجلة (شنكار) بالهند. . ومعرض الفنون الدولى الثانى عشر لرسوم الأطفال فى كوريا الجنوبية والمعرض الدولى الثالث لرسوم الأطفال بالصين. . ومعرض أشغال ورسوم الأطفال الـدولى بإيطـاليا وكان لانشاء معهد التربية الفنية للمعلمين ولارسال البعثات الفنية ولأقسام التربية الفنية بالكليات أثر كبير فى النهوض بالنشاط الفنى بالمملكة. ولعل مما له دلالة فى هذا المجال أن نشير إلى أن عدد مدرسى التربية الفنية فى عام ١٣٧٤هـ كان خمسة فقط بينما أصبح عددهم فى عام ١٣٨١هـ (٢٥٠) مدرساً وطنياً و٢١٥ متعاقداً يشرف عليهم ٦٥ مفتشاً(١٤). وفى عام ١٣٨٩/٨٨هـ نجد أن اجمالى عدد مدرسى التربية الفنية كان ١٢٧٩ مدرساً(١٥).

وطـالبت سيـاسـة التعليم فى المملكة صراحة بضرورة أن «يتاح للطالب الفرصة للقيام بالأعمال الفنية اليدوية» وفى موضع آخر وضحت أهمية «تربية ذوقه البديعى وتعهد نشاطه الابتكارى وتنمية تقدير العمل اليدوى لديه»(١٦).

نظام اليوم المدرسى الكامل وأثره:

كانت الدراسة فى مدارس المملكة تسير وفق نظام اليوم المدرسى الكامل حيث كانت الدراسة فى المدارس الأولية والابتدائية تبدأ فى فصلى القوس والجدى من الساعة ٢ر٤٥ (بالتوقيت الغروبى) وتنتهى فى الساعة ٩ر٤٥. وفى فصلى العقرب والدلو كانت تبدأ من الساعة ٢ر٣٠ وتنتهى فى الساعة ٩ر٣٠. أما فى فصلى الحوت والثور فتبدأ الدراسة من الساعة ٢ر١٥ وتنتهى فى ٩ر٣٠. وفى فصول الميزان والجوزاء والسرطان كانت الدراسة تبدأ من الساعة ١ر٣٠ وتنتهى فى الساعة ٦ر١٥(١٧).

إن نظرة سريعة إلى ما كان عليه التنظيم اليومى فى المدارس تبين لنا ما كانت تتمتع به من مزايا نظام اليوم المدرسى الكامل(١٨) الذى يتيح للطالب ممارسة كافة الأنشطة المدرسية، كما يحقق للمدرس وقتاً كافياً للاشراف على نشاط الطلاب بمجالاته المختلفة الدينية والرياضية والثقافية والاجتماعية والعلمية وغيرها. كان ما أروع اصطحاب أستاذ الحصة لتلاميذ فصله فى طوابير منتظمة لتأدية صلاة الظهر فى وقتها بمسجد المدرسة أو بالمسجد المجاور لها خلال اليوم المدرسى وذلك حتى يتعود التلميذ أداء الفروض والواجبات بدقة وانتظام كما يتعود منذ صغره المثابرة والجد والنشاط حتى إذا ما كبر الصغير وشب وأصبح رجلاً استمر على هذا السلوك الدقيق المنظم المثابر الجاد النشيط فيزيد الانتاج والتقدم بإذن الله. والحقيقة ان نظام اليوم المدرسى الكامل ليس جديداً علينا فى بلادنا الاسلامية كما أنه من القواعد الأساسية والأصول المسلم بها أن التعليم فى الاسلام ينبغى أن يستمر طوال حياة الانسان من المهد إلى اللحد. . وأن مبدأ (التربية المستمرة) الذى يتشدق به الغرب الآن إنما هو أمر إسلامى مقرر.

النشاط المكتبي:

ومارست المكتبات المدرسية أنشطتها من قبل إنشاء وزارة المعارف فقد جاء بالمادة ١٤٦ من (نظام المدارس الأميرية)(١٩) انه «على مدير المدرسة أن ينظم مكتبة مدرسية ويضع لها فهرسها سهل التناوب ويكتب أسماء المستعيرين فى دفتر خاص يذكر فيه اسم الكتاب المستعار وتاريخ الاعارة وتوقيع المستعير وتاريخ رجوعه ويوقع عليه المدير» واهتمت وزارة المعارف بالنشاط المكتبى وحددت واجبات أمين المكتبة فقد نصت المادة ٤١ من لائحة المدارس المتوسطة والثانوية(٢٠) على أن من واجباته: «تنشيط المطالعة النافعة المثمرة لدى الطلاب بمختلف الأساليب وعليه ترغيبهم ومساعدتهم على اختيار ما يناسبهم.. وهو مسئول عن المكتبة ومحتوياتها من الكتب وغيرها وحفظها وترتيبها وتصنيفها وتسجيلها وتنظيم المطالعة فيها والاعارة منها وجميع ما يلزم لضمان الاستفادة منها. وهو يقترح على الادارة شراء الكتب المناسبة ويوجه إلى تكوين مكتبات الفصول».. ودعمت وزارة المعارف النشاط المكتبى بانشاء جهاز خاص بالمكتبات المدرسية وزودت مكتبات المدارس بالكتب النافعة والمراجع المناسبة والمفيدة.

النشاط الاجتماعى:

كان من آثار إنشاء وزارة المعارف لادارة التربية الرياضية والنشاط الاجتماعى فى السبعينات أن نجحت تجربة رائدة فى مكة المكرمة وجدة لسد حاجة المدارس من المشرفين الاجتماعيين إذ وضعت أول برنامج لها لمدة شهر لتدريب الراغبين فى دراسة مبادىء الخدمة الاجتماعية والاسعافات الأولية بواقع خمس حصص أسبوعياً(٢١).



● المغفور له الملك سعود يستعرض برنامج احدى الحفلات المدرسية

●● النشاط المدرسي في تنوعه يمنح في التلاميذ قدرات ومواهب شتى يكون لها أثرها الفعّال في أدائه الدراسي وفي تكوين سلوكياته ●●



● تشجيع النشاط الرياضي بتسليم الكؤوس للفرق الفائزة.

المقاصف التعاونية:

وتطور النشاط الاجتماعي بالمدارس فتأسست فيها المقاصف التعاونية مثال ذلك المقصف الذي أنشأته المدرسة الناصرية بالمدينة المنورة (الابتدائية الأميرية سابقاً) في عام ١٣٨١هـ مما جعل وزارة المعارف تحث بقية المدارس على الاقتداء بها(٢٢)، حتى عمدت المقاصف التعاونية كل المدارس اليوم لتحقيق أهدافها التربوية.

كما احتفلت المدارس بالمناسبات المختلفة ومن ذلك احتفال المدرسة الناصرية بالمدينة المنورة بيوبيلها الذهبي وإقامة معرضها في ١٩/٣/١٣٩٤هـ بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائها.

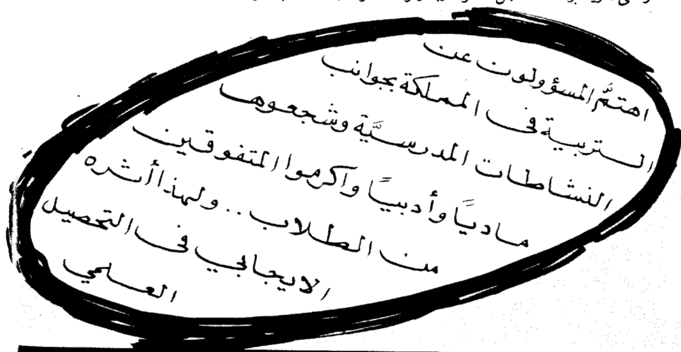
اشتراك الطلاب في النشاط المدرسي:

اهتمت المدارس منذ أيام مديرية المعارف بمراقبة نشاط التلاميذ وسلوكهم طوال اليوم المدرسي وبخاصة في وقت الفسح «لمنع ما يخل بالنظام أويخرج عن حد الأدب». وتضيف المادة ٤١ من (نظام المدارس) (٢٣) الصادر في عام ١٣٤٧هـ أنه يجب «أن يعنى بلفت نظر التلاميذ الى النظافة وحسن الأزياء». وأكدت المادة ١٥٦ من (نظام المدارس الأميرية(٢٤) نفس الاتجاه لمراقبة نشاط التلاميذ وسلوكهم. وبعد إنشاء وزارة المعارف والحرص على اتباع الطرق التربوية السليمة لم تكتف المدارس بمراقبة نشاط التلاميذ وسلوكهم وإنما حرصت كل مدرسة على أن تقوم

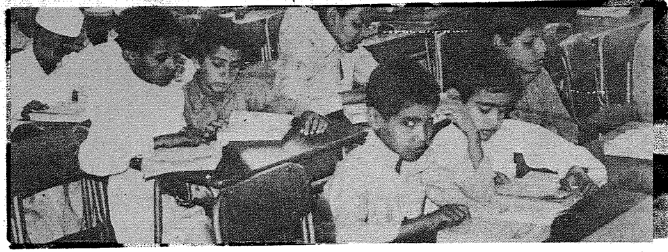
بتنظيم سجل بسلوك الطلاب وأعمالهم» وتستطرد المادة ٣٠ من اللائحة الداخلية لتنظيم مدارس المرحلتين المتوسطة والثانوية (٢٩) فتضيف أنه يوضع فى هذا السجل ما حصلوا عليه من مكافآت تقديرية أو عقوبات جزائية وملاحظات من قبل هيئة التدريس بشأنهم ونصت المادة ١٨ من نفس اللائحة على ضرورة ممارسة الطلاب للأنشطة المدرسية كما أوجبت المادة ٢٠ من نفس اللائحة على ادارة المدرسة وهيئاتها أن تسعى لاشراك الطلاب فى ادارة النشاط المدرسى والفصول والألعاب والزيارات.

سجل المعلومات الشامل:

تواصل وزارة المعارف اهتمامها حالياً بمتابعة سلوك الطالب وتحصيله الدراسى وأنشطته المتنوعة من الصف الأول الابتدائى حتى نهاية المرحلة الثانوية لتوجيهه وارشاده على أساس تتبعى سليم. فخصصت الادارة العامة لتوجيه الطلاب وارشادهم سجلاً شاملاً يسمى (سجل المعلومات الشامل للطالب خلال مراحل التعليم العام: (ابتدائى ـ متوسط ـ ثانوى) وبدأت تطبيقه فى العام الدراسى ١٤٠٤/١٤٠٥هـ واختص (البند سابقاً) من هذا السجل ببيانات عن نشاطات الطالب فى الصفوف المختلفة بالمراحل الدراسية الثلاث. ويقوم المرشد الطلابى بملء هذه البيانات بناء على تقارير من المشرفين على جماعات النشاط المدرسى مثل: جمعية التوعية الاسلامية وجماعات النشاط الثقافى (قراءة ـ اذاعة ـ مقالات ـ صحافة ـ محاضرات ـ ندوات ـ أبحاث أدبية ـ شعر..) وجماعات النشاط الاجتماعى (خدمة البيئة ـ رحلات ـ معسكرات لقاءات اجتماعية ـ خدمة المساجد خدمات مدرسية.) وجماعات نشاطات المواد العلمية (رياضيات ـ علوم ـ أبحاث علمية ـ هندسة ـ زراعة ـ تجارب معملية..) وجماعات نشاطات مواد اللغة والاجتماعيات (لغة عربية ـ لغة انجليزية ـ تاريخ جغرافيا..) وجماعات النشاط الرياضى (كرة قدم ـ طائرة ـ تنس ـ جمباز ـ ألعاب قوى ـ سباحة) وجماعات النشاطات الفنية (خط ـ أشغال يدوية ـ تمثيل) واحتوت هذه البيانات أيضاً على بيان الجوائز المادية والمعنوية التى نالها الطالب فى كل عام دراسى. ويعتبر هذا السجل خطوة طيبة وموفقة نحو متابعة الطالب وتوجيهه.



وتتوالى احتفالات المدارس ومهرجاناتها ومعارفها ويتتابع الاهتمام بالأنشطة المدرسية المتنوعة وأجهزتها المختلفة فى الوقت الحاضر بفضل تشجيع جلالة الملك المعظم فهد بن عبد العزيز وسمو ولى عهده الأمين وبفضل الجهود المخلصة التى يقوم بها وزير المعارف والمسئولون عن التعليم بالوزارة والادارات التعليمية.



(١) المملكة العربية السعودية: «سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية» ط٢، ١٣٩٤هـ - ١٩٨٤م، ص١٠

(٢) اسماعيل محمود القبانى: «التربية عن طريق النشاط» القاهرة - مكتبة دار النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٨م، ص٣٦.

(٣) عبد الحميد محمد الهاشمى: «لمحات نفسية فى القرآن الكريم» سلسلة دعوة الحق(١١) جدة، دار الأصفهانى للطباعة، ١٤٠٢هـ، ص١٠٤.

(٤) حسين عبد الله محضر: «الجديد فى الادارة المدرسية» جدة، دار الشروق، ط٢، ١٣٩٨هـ، ص١٨٤.

(٥) احمد عزت عثمان صالح: الأسس النفسية والتربوية للنشاط المدرسى» جريدة الجزيرة العدد ٤٠٩٥ فى الخميس ١١ربيع الأول ١٤٠٤هـ، ص١٣.

(٦) مكاتبة مديرية المعارف رقم ٤٣٩ فى ١٣٥٦/٣/٦هـ وخطابها المؤرخ فى ١٣٥٦/٤/٨هـ إلى سمو النائب العام لجلالة الملك.

(٧) من مذكرات الأستاذ عثمان الصالح عن التعليم قديماً (من مقتنيات البحوث التربوية بوزارة المعارف».

(٨) وزارة المعارف السعودية: منهج الدراسة الابتدائية لعام ١٣٧٥هـ.

(٩) وزارة المعارف السعودية: وزارة المعارف فى خمس سنوات ١٣٧٢-١٣٧٦هـ.

(١٠) وزارة المعارف السعودية، الادارة العامة لرعاية الشباب.

(١١، ١٢) وزارة المعارف السعودية ادارة الوثائق التربوية: النشرة التربوية، ص١٢.

(١٣) المملكة العربة السعودية: سياسة التعليم فى الملكة العربية السعودية.

(١٤) وزارة المعارف السعودية ادارة النشر والشئون العامة: تقرير عن وزارة المعارف لعام ١٣٨١هـ

(١٥) وزارة المعارف (السعودية) ادارة الوثائق التربوية: «النشرة التربوية».

(١٦) المملكة العربية السعودية: سياسة التعليم فى المملكة العربية السعودية.

(١٧، ١٩) المملكة العربية السعودية مديرية المعارف العامة: نظام المدارس الأميرية.

(١٨) احمد عزت عثمان صالح: دعوة وعودة لنظامنا الاسلامى فى اليوم المدرسى الكامل، جريدة الجزيرة.

(٢٠) وزارة المعارف السعودية: اللائحة الداخلية لتنظيم مدارس المرحلتين المتوسطة والثانوية.

(٢١) وزارة المعارف السعودية: وزارة المعارف فى خمس سنوات ١٣٧٢-١٣٧٦هـ

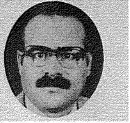
(٢٢) وزارة المعارف السعودية مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوى.



(٢٣) مديرية المعارف العمومية السعودية: نظام المدارس، الصادر عليه قرار مجلس الشورى الموقر بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٣٤٧هـ - رقم ١٤٦ والمقترن بالارادة السنية بتاريخ ٩ شعبان ١٣٤٧هـ رقم ١٨٤١ - مكة المكرمة.

(٢٤) المملكة العربية السعودية، مديرية المعارف العامة: «نظام المدارس الأميرية».

(٢٥) وزارة المعارف السعودية: اللائحة الداخلية لتنظيم مدارس المرحلتين المتوسطة والثانوية.



التقرير التربوي أمة في

فـي ٢٦ آب ١٩٨١م أصدر وزير التربية «تى . بيل» قراراً بتشكيل هيئة وطنية لتحسين التربية تتألف من ثمانيـة عشر تربوياً ومختصاً لدراسة نوعية التعليم فى الولايات المتحدة وتقديم تقرير خلال ثمانية عشـر شهـراً. وقـد صدر التقرير الختامى للجنة فى نيسان ١٩٨٣ ولقى اهتماماً واسعاً فى وسائل الاعلام وتنـاولته الكتابات التربوية ومراكز البحوث بالمناقشة والحوار وما يزال الحوار دائراً حول تطبيق توصياته.

امـا الهـدف فقـد كان المساعدة فى تحديد المشكـلات التى تعـانى منهـا الـتربيـة فى الولايات المتحـدة. . وليس تقـديم او التوصل الى حلول او البحث عن كبش فداء. بل لتحـديـد معـالم القـوة والضعف فى التربية الامريكية .

وقـد احتوى التقرير على توصيات عملية لتطـوير وتحسين التعليم فى الولايات المتحدة نتيجة للاعتقـاد الـواسع النطاق بأن هناك خللاً خطيراً فى النظام التربوى.

المهام التى حددت للهيئة الوطنية:

١- تحديـد نوعيـة التعلم والتعليم فى المـدارس العـامـة والخاصة وكليات المجتمع والجامعات.

٢- مقـارنـة المـدارس والكليات الامريكية بمثيلاتها فى الدول المتقدمة الأخر.

٣- دراسـة العـلاقـة بين متطلبـات الـدخول للكليات وتحصيل الطلبة فى المدرسة الثانوية.

٤- تحديد البرامج والمناهج التربوية التى لها اثر ملحوظ فى نجاح الطالب فى دراسته فى الكليات الجامعية.

٥- تحديـد مدى تأثـير التغـيرات الاجتـماعيـة والتربوية الرئيسية خلال الربع الأخير من القرن العشرين على تحصيل الطلبة.

٦- تحديد المشكلات التى يجب مواجهتها والتصدى لها من اجل تحسين وتطوير العملية التربوية.

وقـد تم التركيز وايلاء اهتمام خاص على الطلبة فى سن المراهقة فى المدارس الثانوية اضافة الى سنوات الدراسة فى المدرسة الابتدائية والتعليم العالى والبرامج المهنية والتقنية.

وجـاء فى مقـدمـة التقـريـر ان المجتمـع والمؤسسات التربوية فى الولايات المتحدة لم تعد تعى تمامـاً الاهداف الاساسية للتعليم المدرسى والآمال العـريضـة والجهـود المنظمـة المطلوبـة والضـرورية لتحقيقهـا. . وفـوق ذلك كله فان العملية التربوية استثـمار لا غنى عنـه لتحقيق النجـاح فى «عصـر المعلومات» الذى نعيشه.

الامريكي خطر

بقلم كمال كامل أبو سماحة "الأردن"

أمــا الخطـر Risk فقـد حدده التقرير بأن على «مواطنى الولايات المتحدة» ادراك ان الافراد فى المجتمـع الامـريكى الـذين لا يملكـون مستويات المهـارة والتعلم والتـدريب الأسـاسى اللازمين لهذه الحقبة التاريخية معرضون للحرمان. . ليس من المردود المادى الذى يرافق عادة الاداء الجيد فحسب بل من فرصة المشاركة الفعلية والكاملة في الحياة».

أبرز علامات الخطر:

١- دلت دراسـات المقارنة العالمية لمستوى تحصيل الطلبة التى أجريت منذ عقد من الزمن ان الطلبة الامـريكيـين لم يحصلوا على المرتبتين الاولى او الثانية فى (١٩) اختباراً تحصيلياً بالمقارنة مع الدول الصنـاعيـة الأخري وانما كان ترتيبهم فى المؤخرة سبع مرات.

٢- هناك حوالى (٢٣) مليون مواطن امريكى من البالغين يعتبرون من وجهة النظر العملية أميين اذا ما أجـريت عليهم أسهـل اختبـارات القـراءة والكتابة والاستيعاب.

٣- يمكن اعتبار حوالى ١٣٪ من الامريكيين الذين هم فى سن السـابعـة عشـرة أميين من الوجهة العملية. أما نسبة الأمية العملية بين الاقليات من نفس فئة العمر فتصل الى ٤٠٪ تقريباً.

مصـادر المعلومات:

(١) اوراق عمل قدمها خبراء حول مسائل تربوية متنوعة.

(٢) اداريــون ـ معلمــون ـ طلبـة. . ممثلون عن القطـاعـات العـامـة والمهنيـة. . الآبـاء والامهـات. . رجـال الاعـمال البـارزين. . مسؤولـون حكـوميون. . رجال تربية. ست جلسات للاستماع الى الآراء العامة. . ندوتان للحـوار والمنـاقشـة. . منـاظـرة وسلسلة من الاجتماعات نظمتها المكاتب الاقليمية لدوائر التربية.

(٣) تحليـل واقعى لمشكـلات الـتربيـة من المصادر المتوفرة.

(٤) رسـائل من مواطنين ومعلمين واداريين تطوعوا للادلاء بمـلاحظاتهم حول مشكلات التربية فى الولايات المتحدة وتطلعاتهم نحو المستقبل.

(٥) وصف دقيق للبرامج والمناهج المتميزة والأساليب المتقدمة فى التربية المعاصرة.

ماذا يمكن ان تنتفع به التربية العربية من هذا التقرير؟

فى معرض الحديث عن المخاطر التى تتعرض لها الولايات المتحدة من جراء انحدار مستوى التعليم بها وضعف حركته نحو الامتياز والتوفق كنظام تعليمى رائد فى العالم أشار التقرير الى ان التاريخ لا يرحم الكسالى. . وانه اذا كانت امريكا فى الماضى تؤمن مستقبلها اعتماداً على ما تتمتع به من وفرة فى الموارد الطبيعيـة والثـروة البشـرية المتميزة بحماسها الدافق للعمـل وبعدها عن مشكلات الحضارات الأخرى فان الأمر قد تغير وأصبحت الولايات المتحدة تعيش الآن وسط منافسين حول المكانة العالمية والأسواق. . ولا يقتصـر ذلك على تسويق المنتجات بل يتعداها الى الافكـار التى تقود المختبرات والمصانع. ويرى

التقرير انه اذا كان للامريكيين فرصة فى الاحتفاظ بالشريط الضيق من المنافسة فان عليهم ان يهبوا لاصلاح نظام تعليمهم لمصلحتهم جميعاً . . فالتعليم قد أصبح الاستثمار المطلوب فى عصر المعلومات الذى يلج العالم اليوم ابوابه وقد أظهر التقرير ان متوسط التحصيل الدراسى لخريجى الكليات الجامعية منخفض ويتمثل ذلك فى شكوى القادة (من رجال الاعمال والعسكريين) من أن عليهم ان ينفقوا ملايين الدولارات على برامج تعليمية لعلاج قصور في مهارات مثل القراءة والكتابة والاملاء والحساب .

وعليه يطالب التقرير باعادة بناء النظام التعليمى وذلك من خلال الالتزام بمبدأ التعليم مدى الحياة . . وان يتيح المجتمع لافراده التعلم المستمر والاستفادة من الفرص التعليمية خارج المؤسسات التقليدية لتصل الى البيوت وأماكن العمل . . والى المكتبات والمتاحف ومعارض الفن ومراكز البحث العلمى . . بل الى كل موقع يمكن للفرد فيه ان ينمو . ذلك لان «التعليم الرسمى» وان كان هو الاساس للتعليم على مدار حياة الفرد كلها فانه اذا لم يتواصل ويتوافر على مدى رحلة حياة الانسان كلها فسوف تصبح مهاراته بشكل متسارع مهارات عفا عليها الزمن .

ويشير التقرير الى بعض الكليات التى زادت من اعداد الملتحقين بها لاهداف مادية اكثر من اهتمامها بالمحافظة على مستوى اكاديمى رصين . . ويبدا كما لو ان المثل الاعلى فى تحقيق مستوى رفيع من التعلم كهدف اساسى لعملية التعليم قد تلاشت ملامحه من التعليم الامريكى .

أسباب تدنى مستوى التعليم:

(١) هناك أسباب تتعلق بمحتوى التعليم: يشير التقرير الى ان مناهج المرحلة الثانوية غدت بدون هدف رئيسى . . وشبه المنهاج بنظام «الكافيتريا» حيث يمكن ان يخطىء الانسان فيتناول المقبلات والحلوى على أنها الاطباق الرئيسية .

(٢) وهناك توقعات اداء الطلبة ومستوى المعارف والقدرات والمهارات التى ينبغى ان يمتلكها ويحصل عليها خريج المدرسة الثانوية وخريج الكليات المتوسطة والجامعات: أشار التقرير الى وجود ضعف واضح فى الوظائف المنزلية لطلاب المدارس الثانوية وانخفاضها بنسبة الثلثين حتى ان أداءها لا يستغرق اكثر من ساعة بينما ارتفع تقويم الطلاب على ما يؤدونه من أعمال رغم انخفاض الانجازات .

(٣) الوقت المخصص للتعليم والتدريس: ذكر التقرير ان المواد الهامة كالرياضيات والعلوم البيولوجية والكيمياء والفيزياء والجغرافيا يبدأ تدريسها فى الصف السادس والوقت الذى تستغرقه مبنى على اساس ساعات التدريس المباشر فى الصف ولا يماثل ذلك فى عدد كبير من الدول الصناعية الذى يصل الى ثلاثة أضعاف وبالمقارنة مع تلك الدول ايضاً: فان الطلبة الامريكيين يقضون وقتاً أقل من غيرهم فى الدراسة . . وان المدارس لا تقوم بما يكفى فى مجال تنمية المهارات الدراسية وحث الطلبة على انفاق وقت اكبر فى العمل الدراسى او حتى الاستخدام الجيد للوقت المتاح . ففى بريطانيا ـ ودول متقدمة اخرى ـ يقضى الطلبة فى المرحلة الثانوية (٨) ساعات يومياً فى الدراسة بالمدرسة . . ولمدة (٢٢٠) يوماً فى السنة . . بينما تصل مدة اليوم المدرسى فى الولايات المتحدة (٦) ساعات ولمدة (١٨٠) يوماً كل عام .

(٤) العزوف عن مهنة التعليم: اشار التقرير الى ان مهنة التعليم لا تجذب العدد الكافى من الطلبة القادرين اكاديمياً . . وان الحياة المهنية للمعلم غير مقبولة عموماً . . وان هناك نقصاً كبيراً فى المعلمين فى تخصصات هامة أساسية . . كما ان منهاج اعداد المعلمين مثقل بمقررات فى طرق التدريس على حساب مقررات مواد التخصص . اضافة الى انخفاض رواتب المعلمين مما يضطر عدداً كبيراً منهم لتعويض هذا النقص من دخلهم بعمل اضافى بعد الدوام الرسمى وخلال العطل المدرسية وليس للمعلمين مشاركة او تأثير فى مسائل مهنية أساسية مثل اختيار الكتب المدرسية . . وهناك نقص حاد فى تخصصات المعلمين فى : الرياضيات ـ العلوم ـ اللغات الاجنبية . . والمختصين فى

...دريس الموهوبين والمعوقين.

...ا العمل للانتفاع من التقرير؟

لابد من منهجية علمية يتم من خلالها جمع المعلومات عن جوانب العملية التربوية تشمل مدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها.. ثم تحليلها وتفسيرها التربوي وخطة بنائه وتسييره لنعرف مواقعنا من ما نتوقع ان يصل اليه اداؤنا التربوي.. ثم نقارن ذلك بما حققه الآخرون.

١ - نظام الامتحانات: ما يزال يقيس مستوى الاداء التحصيلى للطلبة والامتحانات العامة فى اغلب اقطار العالم العربى وبخاصة امتحان الثانوية العامة الذى يهدف الى تحضير الطلبة للجامعة وليس بداية لمهنة فى المجتمع. ويمكن القول ان محتوى مناهج المدرسة الثانوية العربية يخضع لتأثير الجامعة ومتطلباتها.

٢ - التنوع الشديد فى المواد الدراسية غير موجود فى المدارس العربية والاختيار شبه محدود ومشكلتنا فى المحتوى قد لا تكمن فى «الكم» بقدر ما تكمن فى «النوع» من حيث ارتباط المواد الدراسية بتطبيقاتها العملية والتكنولوجية فى حياتنا العملية. وهناك انفصال بين ما ندرسه وما نعايشه.. الى جانب ان اساليب التدريس تركز على المهارات العقلية الدنيا مثل التذكر والحفظ دون التركيز على التحليل والربط والاستنتاج.

٣ - ضرورة اعادة النظر فى طرق التدريس الحالية لتتجه نحو مزيد من اعتماد الطالب على نفسه فى التعلم واكتساب المهارات المطلوبة.. ولابد من تغيير طرق التقويم لتشمل ادوات تقيس قدرة الطالب على التحليل والاستنتاج والتفكير الناقد.

٤ - لابد من اعادة تخطيط المكتبة الحالية لتقوم بدورها الجديد كمركز لمصادر التعلم وتلبية حاجات الطلبة وتدريبهم للتعلم الذاتى.. وان تعبر الكتب المدرسية عن هذه التوقعات وتصبح كتب نشاطات تطرح مشكلات وتطلب من المتعلم التفكير فى حلها وليس مجرد كتب مليئة بالمعلومات.

٥ - توفير الوقت الكافى خلال اليوم المدرسى وعلى مدار العام الدراسى لضمان الدراسة الجيدة للبرنامج والمنهاج. وقد اقترح التقرير ان تكون السنة الدراسية ما بين (٢٠٠-٢٢٠) يوماً على ان يوفر وقت اضافى لرعاية المتفوقين او بطيئى التعلم.. وان يكون هناك وقت أطول للوقت المخصص للدراسة من خلال تكليف الطلبة بواجبات ووظائف منزلية. وهناك حاجة واضحة لاعادة تقويم اليوم المدرسى الحالى وطريقة استخدامه.

التقرير على المعلمين ودورهم وتأثيرهم فى مستوى التعليم.. واورد مشكلات تشبه الى حد كبير تلك التى نعانى منها فى اقطارنا العربية.. اما حلها فلا يمكن ان يتم الا على مستوى قومى تشارك فيه اجهزة الخدمة المدنية المسؤولة عن سلم الرواتب فى الدولة.. والاجهزة التى صورت المعلم شخصاً متخلفاً من الوجهة الاجتماعية عن ركب الحضارة المتطورة.

مؤسسات اعداد المعلمين والاجهزة المسؤولة عن الادارة التربوية ليتم وضع خطة متكاملة يسهم فيها هؤلاء جميعاً للتوصل الى القرارات والأساليب التى تكفل الارتفاع بمستوى مهنة التعليم فى رواتبها لتنافس المهن الأخرى.. وذلك لاجتذاب النوعيات الرفيعة التى توكل اليها الامة مهمة اعداد اجيالها.. ولتبدأ اجهزة الاعلام المختلفة فى تقديم صورة مشرقة للمعلم الى الناس كمفكر وباحث وصاحب رسالة يجب احترامه.

ان الارتفاع بمهنة التربية يتطلب ان تؤمن الادارة التربوية بالمعلم وتثق به وتحترمه.. وتمنحه حقه فى ان يشارك فى كل القرارات المتعلقة به.. وتستمع الى رأيه وتجربته كممارس ومشارك مسؤول فى الميدان عند البت فى البدائل التربوية المختلفة.



عرفت دراسة الاهداف فى مجال التربية والتعليم نشاطا متزايدا منذ الخمسينيات من القرن العشرين نظرا لاقتناع المهتمين بالميدان التربوى بالأهمية البالغة للأهداف التربوية فى التعليم. واقتناعهم بأن تحديد الهدف التربوى من شأنه أن يساعد على الاهتداء الى أنسب الطرق والوسائل التى من شأنها التوصل الى تحقيقه وترسيخه لدى المتعلم. ولقياس درجة التحقيق والرسوخ لدى التلميذ تساعدنا طبيعة الهدف ومواصفاته التربوية والمضمونية على اختيار انسب التقنيات التقويمية للتعرف على مدى رسوخه فى ذات المتعلم.

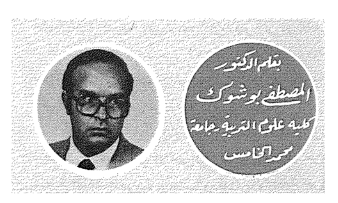
والمعروف أن نشاط البحث فى مجال الأهداف التعليمية كان نتيجة للنظريات التى شكلت معالم التربية التجديدية، كرد فعل ضد المفاهيم التربوية التقليدية التى كانت ترى أن المدرس هو مركز الاشعاع والفاعلية، بحيث تعتبره منبع المعلومات والمعارف وعلى المتلقى أن ينهل منها أكبر قدر ممكن.. على اعتبار أنه وعاء فارغ يجب أن يملأ.. او صفحة بيضاء يجب أن ينقش عليها أكبر قدر ممكن من المعارف.. ويكون التلميذ حسب هذا الاعتقاد فى موقف سلبى. الا ان التربية الحديثة قد اقتنعت بعدم جدوى هذه الفلسفة وعدم فاعليتها لأنه من شأن موقف المتلقى السلبى أن يضيع عليه فرصا عديدة فى التعلم وفى اكتساب الخبرات والتجارب الأساسية فى تكوين شخصية رجل القرن العشرين المتكاملة. وهكذا عكست الفلسفة الجديدة الآية.. فاعتبرت المتعلم هو مركز الاشعاع والفاعلية.. واعتبرت نشاطه وعمله شرطا أساسيا فى التعلم وفى اكتساب الخبرات والمهارات الضرورية فى التعلم بالمفهوم التجديدى للعملية التعليمية. وقد لا يخالفنى أحد اذا قلت بأن محدث هذه الثورة الكوبيرنيكية فى التربية والتعليم هو البحاثة الامريكى جون ديوى Joun Dewey مؤسس نظرية التعلم بالنشاط Learning by doing وكذلك رواد المدرسة السلوكية التى أكدت على اعتماد الحوافز التى من شأنها اثارة اهتمامات التلميذ وتنمية ميوله وتوجيهها لاكتساب الخبرة والمهارة الذهنية. ومن شأن تحديد الخبرات والمهارات وتوضيحها من طرف المربين أن يسهل الوصول اليها وبلوغها كأهداف تربوية معينة.

هذا ويمكن تقسيم الدراسات فى مجال الأهداف التربوية الى المجالات الآتية:

١ ـ المجال المعرفى الذهنى: وقد انجزت فى هذا المجال تصنيفات عدة أشهرها مصنف بنجامين بلوم Benjamin Bloom الغنى عن التعريف ـ حيث قام بتحديد عدة مستويات من المعلومات والمعارف التى يكتسبها المتعلم بالتدرج.. كما قام بتحديد مجموعة من المهارات الذهنية التى يجب أن يتدرب عليها التلميذ خلال مدة دراسته قصد ترسيخها لديه وحتى يمكن أن يعتمد



عليها فى اكتساب مواد الدراسة والثقافة العامة. . ويعتمدها أيضا فى حل مشاكل الحياة المعقدة. . وهى عموما أهداف ستة: المعرفة والفهم والتحليل والتطبيق والتركيب ثم التقويم. . مع تحديد مستويين أو ثلاث مستويات تصاعدية فى اكتساب التلميذ لكل خبرة إلا هدف التطبيق الذى اقتصر فيه على مستوى واحد ولا يخفى على اى باحث فى ميدان التربية والتعليم ما ناله تصنيف «بلوم B. Bloom» من شهرة عالمية ومن اهتمام ونقد حيث عمل دولاند شير De Land Sheere على اعادة صياغة هذا المصنف وعمل غيره على انجاز محاولات تطبيقية لجميع مستويات الأهداف الستة ـ المحددة فى المصنف ـ فى مختلف مواد الدراسة والتعليم. ونجد فى نفس المجال نموذج «جيلفورد Guilford ومصنف كانيى وميرل Gaoue-Merril ـ وجولاش سوليفن Gerlach et Sullivar وغيرها من مصنفات اهداف التربية فى المجال المعرفى.



٢ ـ المجال الوجدانى : بالرغم من صعوبة الفرز بين ما هو معرفى وما هو وجدانى أثناء الممارسة والتطبيق وبالرغم من ضبابية اهداف المجال الوجدانى فقد عمل بعض الباحثين على محاولة وضع تصنيفات تحدد الأهداف الوجدانية التى يجب العمل فى تحقيقها لدى المتعلم ـ لاقتناعهم الراسخ بمدى أهمية تنمية الاهتمامات وتطوير المواقف واكتساب القيم والقدرة على التكيف اذ بدون تنمية هذه الجوانب الوجدانية لدى التلميذ فلن يحصل التقدم المنشود فى اكتساب المهارات والخبرات المعرفية المنشودة وبالتالى ستنعدم النهائية فى التعلم بأكمله.

وأشهر التصنيفات المطبقة فى هذا المجال نجد مصنف «كراثوول Krathwohl » وفرينش French » «ورافن Raven ».

٣ ـ المجال السيكوحركى : لقد وضع رائد مصنفات الأهداف التربوية «بلوم» ورفاقه مشروعا ـ فى البداية ـ يعتمد ثلاثة مراحل رئيسية لابحاثهم. . فى المرحلة الأولى الاهتمام بدراسة اهداف المجال المعرفى الذهنى. . وفى الثانية تسليط الأضواء على اهداف المجال الوجدانى. . أما الثالثة فقد كان من المنتظر أن تهتم بدراسة الأهداف السيكوحركية نظرا لاعتقادهم بأن هذا المجال لا يقل أهمية ـ من الناحية التربوية ـ عن المجالين السابقين. . ذلك لأن

السلوكات الحركية تمكن من معرفة البيئة والانشطة الحسية الحركية تساعد على تنمية الذكاء. إلا أن مجموعة «بلوم» لم تتمكن من انجاز المرحلة الثالثة من المشروع.. تركوا الفرصة لدارسين آخرين بانجازه مثل «جيلفورد Guilford وسيمسون Simpson وديف Dave وهارو Harrour وغيرهم. وقد اعتبر مصنف «هارو كتتمة لمصنفي «بلوم» وكراثوول» نظرا لشموليته وطواعينه اثناء التطبيق على مواد الدراسة. هذا وتجدر الاشارة إلى ان بعض الباحثين قد عملوا على وضع تصنيفات تشمل تداخل المجالات الثلاث.

٤ - المجال الاجرائي: يمكن القول فى بداية التعريف بهذا المجال بان من أغلب الدراسات التى انصبت على اجرائية الاهداف قد اعتمدت على نتائج بحوث السلوكية الجديدة التى أسس دعائمها سكاينر Skinner حيث أدى التقدم التكنولوجى فى التربية والتعليم الى طرح اشكالية التحديد الاجرائى للأهداف التعليمية ومعايير مدى تحقيقها أو رسوخها لدى المتعلم. وكذا مؤشرات هذا التحقيق. وهكذا يمكن طرح التساؤلات الآتية.

أ - كيف يمكن أن يتوصل المدرس الى صياغة اجرائية للأهداف التعليمية التى يعمل على تحقيقها أثناء بذل كل مجهود يقوم به.

ب - كيف يمكن استخراج الاهداف الاجرائية من خلال المادة المدروسة؟.

ج - كيف يمكن أن نعرف أن الأهداف التى حددناها قد تحققت لدى التلميذ؟ وما هى معايير تحقيقها؟ والسلوكات الدالة على هذا التحقق، التى يمكن ملاحظتها كمرجع مردود أو تغذية راجعة عند أداء التلميذ؟.

لقد اتفق جل الباحثين المحدثين فى مجال الأهداف على اعتماد خمسة دلائل مرحلية، قصد تحديد الهدف الاجرائى، يمكن استخلاصها من خلال الاجابة عن الاسئلة الخمسة التالية:

أ - من سينتج السلوك المرغوب؟

ب - ما هو السلوك الملاحظ الذى سيبرز بأن الهدف المنشود قد تحقق؟

ج - ما هو نتاج هذا السلوك؟

د - ما هى الشروط الموضوعية التى يجب ان يتحقق هذا السلوك فيها؟

هـ - ما هى المعايير التى ستعتمد لتبيان هل كان النتاج مرضياً بالفعل؟

اذا نحن عملنا على الاجابة عن هذه الاسئلة بغية استخراج دلائل الهدف الاجرائى بادئين بالسؤال الأول.. فاذا كان جوابنا مثلا هو: التلميذ فان هذا الجواب يعتبر جوابا ناقصا ويحتاج الى توضيحات كثيرة مثلا أى تلميذ؟ وفى اى مستوى؟.. ما هى التجارب السابقة التى مر بها؟.. وما هى الصعوبات التى يعانى منها فى تعلمه؟.. ما هو التغير الذى أود أن احدثه فى سلوكه وفى شخصيته من خلال المجهود الذى أنوى أن أقوم به؟. ما هى الخبرات والمهارات التى أنوى ترسيخها لدى التلميذ من خلال العمل التعليمى الذى أزمع انجازه؟.. ويمكن أن نجد انفسنا مستفسرين كذلك عن انجع الطرق والتقنيات التربوية وأكثرها اقتصادية فى الجهد والوقت لبلوغ الأهداف التى قمنا بتحديدها أثناء التحضير.. كما نجد انفسنا مضطرين خلال هذه المرحلة للبحث عن انسب الوسائل التقويمية وأكثرها ملاءمة لطبيعة المادة المدرّسة التى تسمح لنا بقياس الى أى مدى استطعنا أن نحقق ونرسخ الأهداف الاجرائية المتوخاة لدى التلميذ بطريقة عملية ومرضية وهذا ما يتضمنه السؤالان الرابع والخامس.

فلنحاول اذن تشخيص هذه الدلائل الخمسة للهدف الاجرائى ممثلين بمثال من شعبة اللغة العربية وآدابها وذلك بالاجابة عن الأسئلة الخمسة كالتالى:

أ ـ **التلميذ** : مستوى السابعة أدبية الحاصل على درجة متوسط في الاختبارات السابقة الذي يجد صعوبة في توجيه النقد اعتمادا على معايير موضوعية ويعجز عن ابداء الرأي واتخاذ الموقف في غالب الاحيان، كما يجد صعوبات على مستوى البحث عن العلاقات أثناء التحليل دون أن يجد أية صعوبة في الفهم والتحليل في مستوى البحث عن العناصر.

ب ـ سيعرف كيف يقوم بانجاز.

ج ـ عرض حول موضوع الحركة الرومانسية في الأدب العربي الحديث.

د ـ بالرجوع الى خزانة الثانوية واختيار المراجع الضرورية بنفسه اعتمادا على مخطط معين يحدده بنفسه بعد الاطلاع على ما هو متوفر في الكتاب المدرسي (النصوص الادبية للسنة السابعة الثانوية) حول الحركة الرومانسية . . أو اعتمادا على أسئلة متسلسلة يطرحها عليه المدرس اذا لوحظ نقص في اهتماماته الوجدانية العليا.

نشاط البحث في مجال الأهداف التعليمية كان نتيجة للنظريات التي شكلت معالم التربية التجريبية كرد فعل ضد المفاهيم التربوية التقليدية

هـ ـ العرض يجب أن يلبي الشروط الضرورية التي يمكن تلخيصها في سلامة اللغة ورفعة مستواها الأدبي . . واعتماد منهجية منطقية ومتسقة وأفكار منسجمة ومتسلسلة كاعطاء الخطوط العريضة حول أهم مبادىء ومقاييس هذه الحركة ونشأتها في الأدب الأوروبي . . ثم تأثر الأدب العربي بها وانعكاسها فيه شعرا ونثرا . . مع الاستشهاد بما هو مناسب من نماذج شعرية لخليل مطران وايليا ابي ماضي ولأبي القاسم الشابي . . ونماذج نثرية لجبران خليل جبران وميخائل نعيمة . . مع تحليل بعض هذه النماذج من أجل استخراج سمات الرومانسية ومقاييسها من خلال المضامين والأفكار . ثم الخروج بمجموعة من الاحكام النقدية والمواقف الشخصية متجلية في آراء موضوعية ازاء هذه الظاهرة.

ويمكن للمدرس أن يعتبر مثل هذه المتغيرات ـ التي تحدد مسبقا ـ كمعايير تبين الى اي مدى كان عمل التلميذ موفقا أو غير موفق . . وهل تم بالفعل تحقيق وترسيخ الاهداف الاجرائية لدى التلميذ أم لا؟.

وهكذا يمكن القول بأن الأهداف الاجرائية تتميز عن الاهداف العامة وعن المرامي والغايات في أنها تحدد على مستوى انجاز العمل التعليمي وتنفيذه من طرف المدرس الممارس الذي يختار كمضامين لتحقيق اهدافه العملية مواضيع للدروس من المقرر الخاص بكل مادة أو من اختياره الخاص . . كما يمكن لأي مدرس أن يختار المضمون المناسب حتى ان لم يكن مدرجا في المقرر كما هو الشأن مثلا بالنسبة لمباحث التنشيط أو الأنشطة الموازية غير المحددة في مقرر بعينه قصد تدريب التلاميذ على حل المشاكل . . أو تخطيط وتنفيذ المشاريع . . أو اختيار مواضيع الانشاء الأدبي . . الخ .

ان كل هذه المواضيع أو المضامين من المفروض أن

تترجم الى مجموعة من الأهداف الاجرائية الخاصة بكل موضوع أو درس او مرحلة يمكن تمييزها عن المواد او المواضيع . . وكذلك عن الأهداف العامة والمرامي والغايات بمداها المحصور وطبيعتها الاجرائية العملية . . هذا ويمكن أن يأتي الهدف الاجرائي تجزئيا لهدف عام . . كما يمكن استخلاص الأول من خلال وضع صياغة دقيقة لمعايير درجة الاتقان نابعة من مضامين المادة المدرسة .

اجرائية الأهداف من خلال مشروع «دينو L.Dhainaut» .

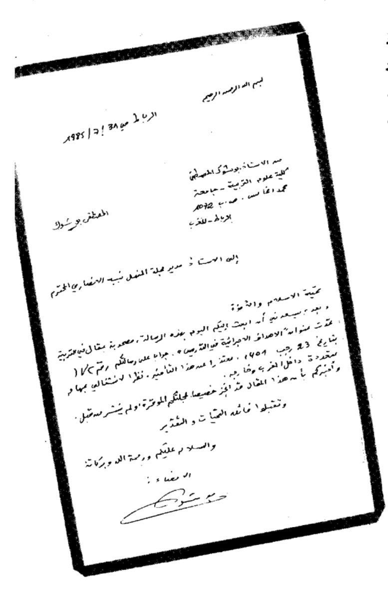
رغم الانتشار الذائع الصيت والشيوع المنقطع النظير الذى عرفه مصنف «بلوم Bloom فى جميع أقطار العالم فان اجرائية هذا المصنف لا تتأتى الا بعد وعى عميق من طرف المدرس بثلاثة أبعاد مختلفة وهى :

أـ الوعى بالمادة المدرسة ومكوناتها الاساسية والفرعية المستقاة من المضامين الخاصة .

ب ـ الوعى بالتداخلات الحاصلة فى المصنف المذكور والجوانب الملائمة منه لخصوصية مادة التدريس او لموضوع محدد منها .

ج ـ عملية استثمار الوعيين لاستخلاص بُعد ثالث، يتجلى فى انتقاد مضامين المادة المدرسة انطلاقا من منظور تصانيفى، يحدد الهدف الاجرائى ومعيار تحقيقه أو درجة اتقانه المطلوبة من طرف التلميذ.

أما مشروع «دينو L.D'hainaut فهو يوفر على الباحث المنظر وعلى المدرس الممارس عدة صعوبات نظرا لاعتماده على نتائج المجهودات التى قام بها كل من «بلوم» و«جيلفورد» قصد تصنيف الاهداف المعرفية والمهارات الذهنية فى عمليات التعلم. كما اعتمد على بحوث «كانيى» فى الميدان الادراكى وأعمال «ماجير، و«ميلد» اللذين عملا على تحديد معايير الاجرائية فى التعلم.



بسم الله الرحمن الرحيم

الرباط في 31/7/1985م

من الأستاذ بوشوك المصطفى
كلية علوم التربية - جامعة
محمد الخامس . ص.ب 1072
الرباط - المغرب

المصطفى بوشوك

إلى الأستاذ مدير مجلة المنهل نبيه الأنصاري المحترم

تحية الإسلام والأخوة

وبعد، يسعدني أن أبعث إليكم اليوم بهذه الرسالة، مصحوبة بمقال في التربية تحت عنوان "الأهداف الإجرائية في التدريس"، جوابا على رسالتكم رقم 7/2 بتاريخ 23 رجب 1405، معتذرا عن هذا التأخير، نظرا لانشغالي بمهام متعددة داخل المغرب وخارجه.

وأخبركم بأن هذا المقال قد أنجز خصيصا لمجلتكم الموقرة ولم ينشر من قبل.

وتقبلوا فائق التحيات والتقدير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإمضاء :

وهكذا يمكن اعتبار اعمال «دينو» محاولة تركيبية عامة فى مجال منهجية التصنيف وتحديد الاهداف التربوية ويكون بالتالى النموذج الذى اقترحه مطبوعا بطابع الاجرائية ولكى نبسط هذا المشروع يمكن تفسيره على الشكل التالى :

انطلاقا من مادة دراسية محددة فى موضو معين يقوم التلميذ بأنشطة عقلية ويتدرب على مجموعة من المهارات الذهنية واعتمادا على هذ المهارات يقوم بانجاز انتاجات مغايرة تتشخص هذ الأنشطة وهذه الانتاجات فى سلوكات يمكر

ملاحظتها وتقويمها من خلال معايير دقيقة تعين درجة الاتقان فى اطار حدود زمنية . ومن خلال مقارنة نقوم بها بين معايير درجة الاتقان والمستوى المحقق لدى التلميذ فى نهاية الانجاز يمكننا استنتاج أن الهدف قد تحقق كليا أو جزئيا او لم يتحقق البتة .

ومن أجل تشخيص ما أوردناه نورد المثال التالى :

■■ انطلاقا من تجارب التلميذ وتحصيله الدراسى السابق (موضوع انطلاق)

■■ ومن موضوع مقرر فى مادة الأدب للسنة الخامسة وليكن هو «وصف الفرس لامرىء القيس (مقام الموضوع) .

■■ فان التلميذ يقوم بشرح مضامين أبيات القصيدة (وهو نشاط يمكن ملاحظته) اعتمادا على معجم وليكن لسان العرب لابن منظور او المعجم الوسيط . . وهو شرح يعتمد ايضا على معرفة التلميذ بمناسبة القصيدة وظروف نظمها الخاصة (مقام النتاج) .

■■ تمكن التلميذ وقدرته على شرح خطابات أدبية أخرى اعتمادا على وسائل تربوية مساعدة يحددها المدرس أو التلميذ او هما معا (التطبيع) تبقى مسألة التأكد من مدى تخزين التلميذ لهذا السلوك فى ذاكرته متعلقة بالمدرس، الذى يجب عليه تحديد المعايير القمينة بتبيان هل انتج السلوك بنجاح من طرف التلميذ أم لا .

ويمكن القول بأن مشروع «دينو» فى مواقف التعليم والتعلم Situations deuseiouem ينبنى على المتوالية الآتية :

اثناء كل عملية تعليمية من المفروض ان يتمخض كل نشاط على نتاج ونحن اذا حددنا السلوك الذى يعكس هذا النتاج ووسيلة قياس هل كان النتاج مرضياً بالفعل أم لا . . وقبل هذا فكرنا فى تحديد ظروف النشاط ومكوناته . . فاننا نعمل على القيام بعمل تربوى واع ومضبوط يساير بالفعل مقتضيات التربية التجديدية المبنية أساسا على هدفية التعليم من أجل نمو التعلم وتقدمه .

العمليات المعرفية واجرائية العمل التعليمى

أولا وقبل كل شىء، يجب أن نشير الى أن الاستاذ «دينو» لا يتفق مع «بلوم وكراثوول» فى عزلهما المجال المعرفى عن المجال العاطفى . . وقبل أن يعرف «دينو» هذه العمليات حاول توضيح طبيعة الأنشطة المعرفية حيث عرف العملية المعرفية «بأنها النشاط الذهبى الذى يعمل على مقابلة انتاج بموضوع معين خلال عمل تعليمى» .

ان الموضوع والانتاج لا يكفيان لتحديد طبيعة العملية المعرفية ذلك أن المعارف السابقة للتلميذ تمثل قاعدة أساسية فى تعلمه . . كما أن تحديد مفاهيم مختلف العمليات المعرفية يتطلب ثلاثة أسس هى :

أ ـ موضوع النشـــاط

ب ـ نتـــاج النشـــاط

ج ـ المعيار الدال على تحقيق المجموعة المعرفية(١) .

وقد يلاحظ الباحث الذى درس «نموذج دينو» معى مدى تأثره بمشروع «جيلفورد» . . ليس فقط من حيث المضمون وانما كذلك من حيث الشكل واستعمال نفس المصطلحات التربوية كالنتاج والعمليات والانتاج المتقارب والانتاج المتباعد . . الخ . كما أننا نجد أنه يعطى أيضا أهمية بالغة فى نموذجه لتجارب التلميذ ومعارفه وسلوكاته السابقة اذ أن العلامة الدالة على تحقيق المعرفة لا تلاحظ بطريقة مباشرة ـ كما يرى ـ وانما يجب ارجاعها الى التجارب السابقة التى تتعلق بالموضوع الذى نود معالجته . ولهذا وجدتنى ألح على أهمية تحديد نقطة الانطلاق قبل المشروع فى التخطيط لأية عملية تعلنيمية ـ كما أوضحت سابقا ـ وفيما يلى نقتصر على

تلخيص وتعريف سبعة عمليات معرفة اقترحها «دينو» فى مشروعه . . مع محاولة اخضاعها لطبيعة تدريس مواد اللغة العربية بالشعبة الأدبية . . مع عدم اغفال توضيحها بما نرتئيه مناسبا من الأمثلة وبعض نماذج معايير التقويم وهذه العمليات هى: (٢) .

(١) الاعادة أو التقليد : وهو نشاط معرفى يكون فيه التلميذ أمام سؤال تتطلب الاجابة عنه الاعتماد على ما درسه سابقا بطريقة مباشرة فالتقيد اذن لا يتطلب من التلميذ انتاجا خاصا وانما هو تسجيل لمعلومات جاهزة واستظهارها أثناء الامتحان . . مثلا عندما نطرح على التلميذ السؤال التالى فى علم العروض:

● ما هو وزن البحر الطويل؟ .

تكون الاجابة عليه بالضرورة هى :

■ وزن البحر الطويل هو:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

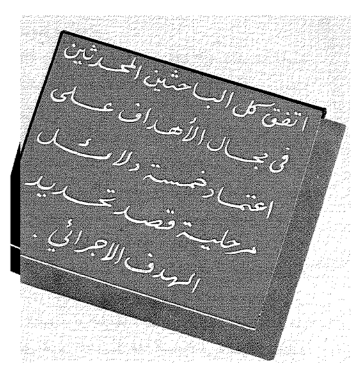
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

ولا يمكن للتلميذ أن يهتدى الى هذا الجواب الا باعادة ما درسه فى علم العروض.

وهو موضوع البحر الطويل.

(٢) الادراكية : فى هذا النوع من النشاط المعرفى يوضع التلميذ أمام سؤال لا تتطلب الاجابة عنه اعادة ما درس سابقا وانما تتطلب منه ربط العلاقة بما درس سابقا وبين موضوع السؤال الذى يدخل مع ما تعلمه التلميذ فى نفس الفئة . مثلا يقتصر الاستاذ على اختيار نموذج واحد من نصوص فن المديح ويكلف التلاميذ بتحضير وتحليل باقى النماذج المقررة فى نفس الغرض الشعرى.

(٣) التطبيق : انه نشاط تعليمى يقوم به التلميذ بتطبيق معرفة جديدة على موضوع معين ينتسب لفئة أخرى دون أن يكون ربط سابق خلال التعلم بين الاجابة الخاصة والموضوع الذى تدور حوله . مثلا أن يتعلم التلميذ منهجية خاصة لتحليل النصوص الأدبية بطريقة نظرية صرفة ويقوم بتطبيقها على مجموعة من النصوص يختارها من قراءاته الخاصة لمؤلفات أدبية . أو أن يكلف التلميذ بتطبيق مجموعة من التمارين البلاغية أو العروضية انطلاقا من قواعد يتعلمها فى القسم . ونلاحظ هنا مدى التشابه الكبير بين التطبيق كهدف معرفى عند «بلوم» والتطبيق



كعملية معرفية عند «دينو» كما يتأكد أكثر تأثره بما جاء فى مشروع «جيلفورد» فيما يخص العمليات والمنتجات والمضامين والفئات اذ استعمل نفس المصطلحات وكان يقصد نفس المفاهيم .

الا أن «دينو» يدمج فى عملية التطبيق جوانب متعددة مثل :

■■ التقويم الذى يتطلب تطبيق معيار أو مجموعة من المعايير النقدية على انتاج أدبى مثلا .

■■ التنقيل الذى يعتبره تطبيقا لمجموعة من القواعد على بنية معينة من أجل انتاج بنية أخرى فى نظام مخالف .

■■ التقرير وهو تطبيق قرار معلوم على وضعية أو حالة معروفة مسبقا.

■■ الترتيب ويتجلى هذا الجانب التطبيقى عندما يقوم التلميذ بترتيب عناصر فئة معينة حسب نظام معين أو تطبيق للعلاقة التى يفرضها هذا النظام.

■■ القياس وهو يتجلى فى تطبيق وسيلة للقياس والتقويم.

■■ الشرح: تطبيق علاقة أو مجموعة من العلاقات التفسيرية.

■■ المقارنة: تعنى تطبيق علاقة مشابهة أو اختلاف على حالتين خاصتين أو أكثر يليها تقويم أو اتخاذ موقف.

(٤) : وتتجلى هذه العملية المعرفية فى استخراج عنصر أو فكرة من مضمون أو موقف تعليمى معين، ويكون الموضوع بنية أو مجموعة بنيات، كنص أدبى مثلا، نبحث فيه عن [illegible] الذى نريد أن نستكشفه.. هذا ويجب أن يحتوى هذا الموضوع على خصائص ومميزات العنصر الذى نريد أن نستكشفه أو نستخرجه.. كما يجب التمييز بين نوعين من الاستكشاف هما:

أ ـ الاستكشاف من الواقع حيث يكون العنصر أو الفكرة أو الاستشهاد الذى نود استكشافه فى النص الأدبى ـ مثلا ـ موجودا فى هذا النص، وعلى التلميذ أن يرجع الى بنيته للتأكد من وجوده واستخراجه.

ب ـ الاستكشاف الممكن حيث يتوجب على التلميذ الاجابة عن السؤال المطروح من خلال استنتاج غير موجود فى النص ولذا فانه ملزم بقراءة النص قراءة متأنية.
ـ ان لم نقل قراءات ـ لسبر مضامينه الظاهرة والباطنة..
وبعد ذلك واعتمادا على معارفه السابقة ومهاراته يمكنه أن يجيب عن السؤال اجابة مناسبة.
مثال توضيحى حول الاستكشاف ومستوييه:

يقول حافظ ابراهيم:

سائلوا الليل عنهم والنهارا
كيف باتت نساؤهم والعذارا
كيف أمسى رضيعهم فقد الأم
وكيف اصطلى مع القوم نارا
كيف ضاع العجوز تحت جدار
يتداعى وأسقف تتجارى
رب ان القضاء أخنى عليهم
فاكشف الكرب واحجب الأقدارا
ومر النار أن تكف أذاها
ومر الغيث أن يسيل انهمارا
أين طوفان صاحب الفلك يرمى
هذه النار فهى تشكو الأوارا
أشعلت فحمة الدياجى فباتت
تملأ الأرض والسماء شرارا
غشيتهم والنحس يجرى يمينا
ورمتهم والبؤس يجرى يسارا
فأغارت وأوجه القوم بيض
ثم غارت وقد كستهم قارا
أكلت دورهم فلما استقلت
لم تغادر صغارهم والكبارا
أخرجتهم من الديار عراة
حذر الموت يطلبون الفرارا
يلبسون الظلام حتى اذا ما
أقبل الصبح يلبسون النهارا
حلة لا [illegible] البرد والحر
ولا عنهم ترد الغبارا
أيها الرافلون فى حلل الوشى
يجرون للذيول افتخارا
ان فوق العراء قوما جياعا
يتوارون ذلة وانكسارا

الأسئلة:

١) حلل القطعة مبينا الأفكار الواردة فيها (الاستكشاف من الواقع)

٢) ما هو المقصود من المقارنة التاريخية الواردة فى النص «وأين طوفان صاحب الفلك..» (الاستكشاف من الواقع أيضا).

٣) حاول من خلال النص ابراز ما درج عليه حافظ

من معالجة القضايا الاجتماعية (الاستكشاف الممكن)(٣)

كما يلاحظ بوضوح فإن الاجابة عن السؤالين الأول والثانى تتطلب من التلميذ الاستكشاف من الواقع . . أى واقع القصيدة الشعرية لحافظ ابراهيم . . اذ أن تحديد الأفكار الواردة فى القطعة الشعرية يجب أن تستخرج منها . . وهى موجودة واقعيا فيها سواء كانت بصورة تصريحية أو ضمنية وكذلك بالنسبة للسؤال الثانى نسبيا لأن الاجابة عليه تتطلب معارف تاريخية سابقة خارجة عن النص ومقارنتها ببيت حافظ ابراهيم: أين طوفان .

وأما الاستكشاف الممكن فيمثله السؤال الثالث: لأن الاجابة عنه لا تتطلب من التلميذ البحث فى النص للعثور على عناصرها داخله وانما تعتمد على مدى اطلاع التلميذ من معلومات نقدية حول شعر حافظ ابراهيم فى فن معالجة القضايا الاجتماعية . . من المتوقع أن يكون التلميذ قد حصلها سابقا . وهكذا فالاجابة تتطلب أيضا الاحاطة بثقافة حافظ وبخصائص البيئة التى عاش فيها مع معرفة اتجاهه الأدبى وخصوصا فى ما يتعلق بفن معالجة القضايا الاجتماعية . . والبحث عن المتغيرات الموجودة فى النصوص الأدبية من أجل حل اشكاليات أدبية مطروحة على التلميذ، يمكن اعتباره أيضا نوعا من الاستكشاف الممكن اذ أن التلميذ الذى يبحث عن هذه المتغيرات ويعثر عليها من خلال دراسته للنص لا يكون متيقنا بأن هذه المتغيرة أو تلك من شأنها الاسهام فى حل الاشكالية المطروحة الا بعد جمع مدقق لكثير من المعطيات . وأحيانا تكون عملية الاستكشاف الممكن ضرورية فى ربط العلاقة الموجودة بين المتغيرات والمشكل المطروح وغالبا ما يكون وجودها ضمنيا غير تصريحى . اذن فعندما يكون النتاج المراد استخراجه من النص واضحا وموجودا بصفة واضحة يصطلح على هذا بـ «الاستكشاف المستخلص» أو «الانتقائى» أما عندما يوجد بطريقة ضمنية وغير واضحة ويجب استخلاصه عن طريق الاستدلال والافتراض يسمى «استكشافا استدلاليا» هذا ويمكن أن نلاحظ أن كثيرا من أنواع دوائر الذكاء تتطلب أساسا عمليات استكشاف استدلالية مصحوبة بعملية تطبيق . وهناك موقف تعليمى هام فى تحليل النصوص الأدبية يتعلق باستخراج الفكرة العامة التى يدور حولها النص حيث تكون هذه الفكرة عبارة عن مجموعة من العناصر الفرعية اذا جمعنا شتاتها حصلنا على الفكرة العامة . . وهو استكشاف من صميم النص نقوم فيه بعملية تركيب لأهم أفكاره وفقراته . (التركيب هنا حسب مفهوم «بلوم» للمصطلح) .

٥ ـ الانتاج : وقد اصطلح عليه «دينو» بـ «التعبئة» وعرفه بأنه نشاط معرفى يتطلب من التلميذ استخراج «البينة المعرفية» أو استحضارها . . أو استخراج عدد من العناصر والمعلومات التى تستجيب لعدة شروط محددة مسبقا . . وهذا هو نفس المفهوم الذى يتضمنه مصطلح «النتاج» عند «جيلفورد» تقريبا حيث يطلب من التلميذ استخراج عدد من العناصر أو المعلومات حسب شروط معينة دون أن يكون هناك ربط سابق بين هذه الشروط والانتاج المطلوب . مثلا نطلب من التلميذ استخراج الكلمات والعبارات الدالة على الفقر المدقع والمشخصة لألم الفقراء كما يصوره حافظ ابراهيم وربطها بحالة فقراء مدن الصفيح فى المغرب ـ مثلا ـ ولكى نميز بين الاستكشاف والانتاج فان الانتاج المتباعد يتطلب بذل مجهود ذهنى داخلى صرف كأن نطلب من التلميذ كتابة مقالة اجتماعية عن الفقر فى البادية والانتاج المتقارب يتطلب اعتماد مجموعة من العناصر الموجودة فى النص وربطها بحالة الفقر الموجودة فى منطقة معينة مثلا . وهكذا يكون الانتاج المتقارب نوعا من الاستكشاف الداخلى . . وهذا الاستكشاف يمكن أن يكون انطلاقا من بينة واقعية أو خيالية . . ملموسة أو مجردة .

يمكن القول أيضا بأن الاستكشاف والانتاج يقعان فى مستوى أو بعد واحد تقريبا ففى طرف يوجد الاستكشاف ـ استكشاف حالة واقعية حاضرة وملموسة ـ ومن هناك ننتقل الى حالة مجردة

عندما يتصاعد التباعد وننتقل الى استكشاف الممكن . . ومنه ننتقل الى مستوى أعلى وهو الانتاج المتقارب الذى اعتبرناه استكشافا ممكنا متقدما ومتطورا ـ أو هو استكشاف ينطلق من الخيال ـ ويتخذ الخيال شكلا أكثر تجريدية عندما ينتقل التلميذ إلى مستوى الانتاج المتباعد الذى يعبر أكثر عن طابع تفكيره الخاص وبمميزات أسلوبه الشخصى . ولهذا يجب أن نشير الى أن الأستاذ «دينو» قد وقع فى خطأ ترتيبى نتج عنه خطأ منطقى عندما وضع «التعبئة المتقاربة» بعد «التعبئة المتباعدة»(٤).

وفيما يلى جدول يوضح العلاقات الموجودة بين هذه العمليات المعرفية الأربعة :

أنها شروط مبالغ فيها كما يظهر . . ويفهم منها أن التلميذ فى هذه الحالة يجب أن يبتكر ويخلق انتاجا لا ينطلق من أية معلومات أو مهارات سابقة . واذا لم نأخذ بعين الاعتبار هذه المغالاة والمبالغة التى تضعنا أمامها الشروط التى اقترحها «دينو» يمكن أن نطبق حل الاشكاليات على صعيد واسع فى مجال تدريس مواد اللغة العربية بالشعبة الأدبية . مثلا فى تدريس البلاغة ـ انطلاقا من درس المجاز اللغوى نطلب من التلاميذ أن يجمعوا أو ينتجوا أكبر قدر من الأمثلة التطبيقية حول المجاز . . ثم نرتب هذه الأمثلة ونطلب من التلاميذ محاولة تصنيفها واستخراج خصائص ومميزات كل مثال مع العمل على تحليله . .

الملموس ... المجرد ◄				
الواقع ... الخيال ◄				
العملية المعرفية	الاستكشاف من الواقع	الاستكشاف الممكن	الانتاج المتقارب	الانتاج المتباعد
مثال حول اجراءات التقويم	حلل قصيدة حافظ ابراهيم مبينا ما ورد فيها من أفكار	حاول من خلال النص ابراز ما درج عليه حافظ ابراهيم فى معالجة القضايا الاجتماعية	انطلاقا من قصيدة حافظ ابراهيم اكتب مقالة تصف فيها حالة فقراء الأحياء القصديرية	اقترح حلولا لمشكلة الفقر والجوع مع وصف شعورك ازاء ما يقاسيه الفقراء من قسوة الطبيعة والمجتمع .

٦ ـ حل المسائل : وأفضل اصطلاح حل الاشكاليات لتكون العملية أكثر مطابقة لتدريس مواد اللغة العربية، وهو عملية تعتمد على انجاز انتاج ما انطلاقا من سؤال أو تطبيق أو حالة أو موضوع معين عندما تتحقق الشروط الآتية التى يحددها «دينو» :

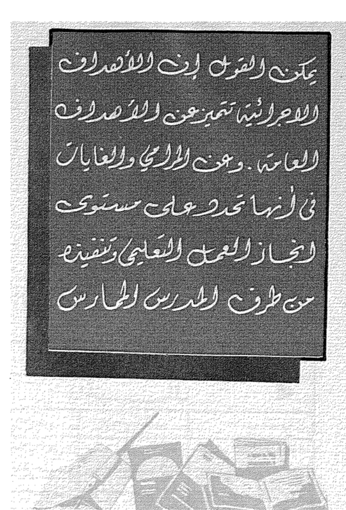
١٠٦ ـ عندما لا يكون التلميذ قد عالج نفس الموضوع أو الحالة سابقا خلال تعلمه .

٢٠٦ ـ الحصول على انتاج يتطلب تطبيق متوالية غير مدروسة أو قد تعرف عليها التلميذ من حيث قواعدها وأسسها أثناء تعلمه .

٣٠٦ ـ أن لا يكون الانتاج والفئة التى ينتسب اليها قد تم تمرين التلميذ عليه سابقا(٥).

وهكذا وعن طريق الاستنباط والاستقراء نتوصل الى قاعدة وأسس الاستعارة التصريحية ثم المكنية فالمجاز المرسل . . الخ . . والقواعد التى تضبطها .

نجد أن الأستاذ «دينو» يعطى أهمية خاصة لعملية «حل المسائل» المعرفية . ويدل على هذا الاهتمام الخاص رأيه بأن هذه العملية تتطلب تصنيفا قائما بذاته نظرا لتشعبها وتعقيد جوانبها . . وهذا شىء طبيعى لأن حل المسائل هدف معرفى يلائم كثيرا تدريس المواد العلمية ونحن نعرف أن الأستاذ مختص فى الميدان العلمى والرياضيات . . وهذا لا يعنى التقليل من أهمية عملية حل الاشكاليات بالنسبة لتقويم المواد الأدبية .



٧ ـ التواصل: يمكن لأى باحث فى الميدان التربوى أن يلاحظ أن أغلب الأهداف العملية يصاحبها نشاط تواصل وفى غالب الأحيان فهى تتحقق عن طريق هذا التواصل الذى يعتمد على جانبين أساسيين هما الارسال والاستقبال. . وهذا الجانب الأخير لا يمكن تقويمه بطريقة مباشرة وانما نطرح أسئلة على التلميذ للتأكد من انتباهه وحضوره الوجدانى واستيعابه لما استقبله خلال مواقف التعليم.

هذا ويجب أن نشير الى أن هذه العمليات المعرفية أو بعضها يمكن ان تتداخل أثناء موقف تعليمى معين فتنجز متضافرة أثناء حل قضية أدبية معينة أو عند اجابة التلاميذ على سؤال أو أسئلة اختيارية. ونلاحظ مثلا أثناء تحليل النصوص الأدبية. . فإنه خلال كل مرحلة يمكن ان تتداخل عمليات الاعادة والتقليد والادراكية خلال القراءة النموذجية للنص والقراءات الفردية للتلاميذ التى تلى قراءة الاستاذ أما التطبيق والادراكية والاستكشاف بنوعيه والانتاج بنوعيه يمكن أن يلاحظ أثناء مختلف مراحل التحليل أو مستوياته استخراج الفكرة العامة للنص فاستخراج الأفكار الرئيسية ثم مناقشتها، ثم التطبيق عليها. . الخ.

وأما التواصل فيمكن اعتباره عاملا مشتركا بين هذه العمليات جميعها، اذ أنه لا يمكن تحقيق أى منها دون تواصل لأن كل الأهداف المرجوة من تدريس مواد اللغة العربية وآدابها لا يمكن تحقيقها الا بتحقيق «تنمية فى المعارف اللغوية والأدبية للتلميذ وتدربه على فهم الأساليب الأدبية والتمييز بينها»(٦)

والآن يمكن أن نقول اننا قد أجبنا عن سؤال عريض تطرحه طبيعة هذا البحث هو: ما هى الجوانب التى نقوم بقياسها وتقويمها. أو بعبارة أوضح: ماذا نقوم فى الواقع من خلال المراقبة المستمرة والاختبارات الدورية والامتحانات الرسمية وغيرها من أساليب التقويم واجراءاته؟ . . لقد تبين لنا أننا نقوم مجموعات مختلفة من السلوكات والاهداف العملية والعامة ونقوم المرامى والغايات التى نود تحقيقها فى التلميذ والتى يسعى النظام التعليمى الى بروزها فيه من أجل اعداده للمشاركة فى الحياة العامة كفرد نافع يساهم فى تنمية المجتمع وتقدمه.

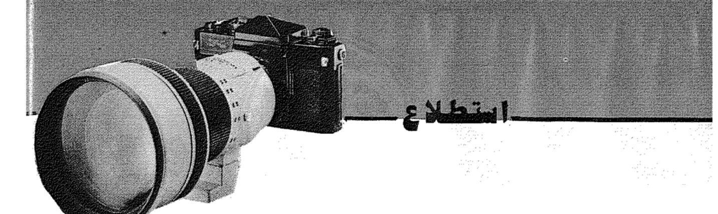
---

(١) من غايات التعليم الى أهدافه «لويس دينو» ص١٨٢
(٢) يمكن الرجوع الى نفس المرجع السابق من ص١٨٢ الى ٢١٦
(٣) من امتحان مادة الأدب فى شهادة البكالوريا المغربية شعبة الآداب الأصلية دورة شتنبر ١٩٧٥
(٤، ٥) من غايات التعليم الى أهدافه، «لويس دينو» الشكل التوضيحى الموجود فى صفحة: ٢٠٨، ص٢١٠.
(٦) برنامج مواد اللغة العربية والتربية الاسلامية ـ قسم التفتيش المختص وزارة التربية الوطنية ـ ص٤٢ طبعة ١٩٧٩ ـ الرباط.



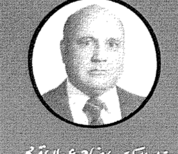
تغرّبْ عَن الأوطان في طلبِ العُلا
وسافرْ ففي الأسفار خمسُ فوائد
تفرّجُ همٍ واكتسابُ معيشةٍ
وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ





رحلة داخ

مجمع اللغة العر



بقلم الدكتور/ضاحي عبد الباقي محمد
المدير العام للمعجمات وإحياء
التراث بالمجمع.

قارئنا العزيز - أنت
على موعد مع الدكتور ضاحي عبد الباقي ..
ليصحبنا جميعاً في رحلة ماتعة داخل مجمع
اللغة العربية .. ذلك الصرح اللغوي الشامخ ..
بدءاً من نشأته سنة ١٩٣٢م حتى ١٩٨٥م .. نتنقل فيها بين لجانه
اللغوية المتعددة والمختلفة .. نقف على معاجمه اللغوية والعلمية
.. نطالع مجلاته ودورياته ناعمين في ذلك كله بصحبة ثلة من
الأعلام الذين وهبوا حياتهم وأنفسهم لحماية الضاد .. لغة
القرآن الكريم .. وسنواصل معك مستقبلاً بمشيئة الله
تعالى - رحلات ماتعة داخل المجامع اللغوية والأكاديميات
العلمية والثقافية والتوثيقية لنقفز بها - صحبتك - من سياحة
الجسم إلى سياحة العقل والفكر آملين معاً أن يكون
مجمعنا اللغوي السعودي أحد استطلاعاتنا
القادمة إن شاء الله



العربية هى لسان أولئك الأقوام الذين كانوا يعيشون فى الجاهلية وصدر الاسلام فى جزيرة العرب والتى حرص أصحابها على أن يجعلوها وافية بمطالب حياتهم، فكانت تعبر عن كل ما يتصل بمحيطهم الأرضى والسماوى عرفوا دقائقه وأطلقوا على كل منها اسما معينا. والمتصفح للمعجمات العربية ـ وعلى الأخص المرتبة وفق الموضوعات كالمخصص لابن سيده ـ يجد الدليل القاطع والبرهان الواضح.

ثـم بعد أن خرج الاسلام بالعرب من نطاق الجزيرة وأخذوا يحتكون بأمم أخرى ذات ألسنة مختلفة وحضارات متنوعة هبوا خشية على لغتهم يعملون للمحافظة عليها من التخلخل والتحلل عناية بعقيدتهم إذ هى لسان قرآنهم الذى هو مصدر دينهم ودستورهم فى حياتهم فكان أن بدءوا يدرسون العربية من نواحيها المختلفة: أصواتها وبنية كلماتها وتراكيب جملها، ودلالة ألفاظها وبلاغة تعابيرها ورسم كلماتها. ونشأ عن ذلك العلوم العربية.

ذلك إلى أن تلك الأمم ـ التى احتك العرب بها ـ كانت ذات حضارات تليدة وثقافات قديمة مما جعل علماءنا لا يقفون عند العلوم العربية التى كانت من نتاج قرائحهم وإنما تعدوا ذلك إلى العلوم الدخيلة تلك العلوم التى كانت خلاصة بحوث رجال العلم فى الأمم القديمة فى أطوار القرون المتتالية مثل الطب والرياضيات.

وقـد كان على العربية لتظل لغة حية أن تؤدى المعانى الجديدة التى اقتضتها هذه العلوم التى لم يكن للعرب بها سابق عهد بألفاظ جديدة سواء أكانت هذه العلوم عربية من صنع العقل العربى أم دخيلة عليه استوردها من الخارج وغذاها بعقله.

قامت العربية بهذه المهمة خير قيام فأمدت المحدِّث والفقيه والنحوى والمتكلم والطبيب والصيدلى، وازدهرت حتى أضحت اللغة العلمية العالمية الأولى وشهد لها بذلك أساطين العلماء من غير أبناء العربية فى ذلك الحين فنرى ـ مثلا ـ البيرونى (ت٤٣٠هـ) وهو العالم الفارسى الشهير

يقول في كتابه الصيدنة: «.. وإلى العربية نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة والأوردة والهجو بالعربية أحب إلىّ من المدح بالفارسية»(١).

ثم أصيب العرب بنكسة وتخلفوا عن ركب الحضارة والعلم وفي الوقت نفسه تقدم الغرب تقدما كبيرا وما إن أطل القرن التاسع عشر وأخذ العرب يتصلون بدول أوربا حتى وجدوا أنفسهم أمام سيل جارف من المسميات العلمية والحضارية التي لا يعرفونها وليس لها بالتالي في العربية مقابل وكان عليهم أن يجابهوا هذه الكلمات بمقابل عربي لها. واجتهد الأفراد لكن الجهد الفردي تحفه المخاطر لاختلاف وجهات النظر فوجدنا نداءات تطالب بوجوب إنشاء مجمع لغوي يكون الحكم بين الأفراد فيها وصفوه ويتابع في الوقت ذاته تنمية العربية بوضع مقابلات للمسميات التي ستجد ويؤتي النداء ثماره فتنشأ في مصر عدة مجامع لغوية هي:

١ ـ المجمع اللغوى (الأول) الذي أنشىء سنة ١٨٩٢هـ برئاسة السيد محمد توفيق البكري وعقد سبع جلسات ثم انفض.. ألقيت في هذه الجلسات عدة بحوث ونوقشت عشرون كلمة أجنبية اختير لكل منها مقابل عربي وذلك مثل «مِدْره» في مقابل avocat ومِسَرَّة لـ Telephone (٢).

٢ ـ نادى دار العلوم: وقد أنشأه خريجو مدرسة دار العلوم العليا سنة ١٩٠٧م وكان بمثابة مجمع لغوى فقد عالج قضايا اللغة العربية وعلى الأخص قضية المسميات الحديثة التي ليس لها أسماء عربية فقعد لها القواعد(٣) ووضع طائفة من الأسماء العربية لتحل محل الألفاظ التي استعملت معربة ونشرت أوضاع هذا النادى في صحيفته التي كان يصدرها في ذلك الحين.

ومن تلك الأسماء: «المقصف» للبوفيه و«لجنة» للقومسيون(٤) و«سيارة» لأتومبيل(٥) إلا انه لم يقدر لهذا النادى الاستمرار فانفرط عقده مع نشوب الحرب العالمية الأولى.

٣ ـ مجمع دار الكتب: وتتجدد الصيحات منادية بضرورة المجمع اللغوى فينشأ سنة ١٩١٦م «المجمع اللغوى المصرى» ويكون مقره دار الكتب المصرية لأن كاتب سره أحمد لطفى السيد كان يشغل منصب مدير هذه الدار فاشتهر المجمع باسم «مجمع دار الكتب» ويضع طائفة من الأسماء لمسميات حديثة ثم يكون شأنه شأن سابقيه فلا يكتب له الاستمرار(٦).

٤ ـ المجمع اللغوى (الرابع) وقد انشىء سنة ١٩٢١ برياسة إدريس راغب وبعد أن اجتمع أعضاؤه نحو ثلاث سنوات كان مصيره كسابقيه(٧).

لقد أنشئت في مصر أربعة مجامع لغوية حاولت النهوض بالعربية لكنها للأسف ما تلبث أن تتكون وتجتمع حتى تنقض وما ذلك إلا لانها من عمل الجماعات ومثل هذا العمل يحتاج لكى يستمر ويؤتي أكله ـ أن تؤازره الدولة فرأينا ذوى الرأى ينادون بذلك ويقترحون الحلول التي تساعد على استمرار المجمع المقترح وممن دوى صوتهم عاليا الشيخ عبد العزيز البشرى الذى اختير مراقبا للمجمع بعد انشائه وأحمد لطفى السيد الرئيس الثانى للمجمع وحافظ عوض صاحب مجلة كوكب الشرق، والدكتور محمد مشرف مؤلف معجم العلوم الطبية والطبيعية(٨) والأخيران اختيرا فيها بعد عضوين بهذا المجمع.

وينشأ مجمع اللغة العربى الحالى وهو المجمع الذى كتب له الاستمرار.

إنشاء مجمع اللغة العربية وأهدافه

صدر مرسوم بإنشاء مجمع اللغة العربية في ١٤ من شعبان ١٣٥١هـ الموافق ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٢م (٩) وافتتح في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثلاثاء ١٤ من شوال ١٣٥٢هـ الموافق ٣٠ من يناير سنة ١٩٣٤(١٠) وكان اسمه عند إنشائه «مجمع اللغة العربية الملكى» ثم غير اسمه إلى «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» سنة ١٩٣٨م(١١) ثم عدل في سنة ١٩٥٤م ليكون «مجمع اللغة العربية»(١٢) وحددت المادة الثانية من مرسوم إنشائه

على أن تكون اغراض المجمع هى :

أ ـ أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر وذلك بأن يحدد فى معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب.
ب ـ أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية وأن ينشر أبحاثا دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها.
ج ـ أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.
د ـ أن يبحث كل ما له شأن فى تقدم اللغة العربية مما يعهد إليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية(١٣) (لأن المجمع حينذاك كان يتبع وزارة المعارف)

أبحاثهم فى فقه هذه اللغة أو لهجاتها ويعين الأعضاء العاملون لأول مرة بمرسوم بناء على عرض وزير المعارف العمومية وإذا خلا محل من أحد الأعضاء اقترح المجمع اسم العضو الجديد بأغلبية ثلثى أعضائه العاملين(١٤) .

وقد تكون المجمع عند إنشائه من عشرين عضوا عاملا: عشرة من المصريين وخمسة من العرب (من غير المصريين) وخمسة من المستشرقين وقد صدر بهم مرسوم فى نوفمبر سنة ١٩٣٣ .

ونذكر من أعضائه المصريين: «الشيخ احمد الاسكندرى والاستاذ على الجارم والشيخ محمد الخضر حسين والاستاذ محمد توفيق رفعت» ومن أعضائه العرب: «الشيخ عبد القادر المغربى والاستاذ محمد كرد على (سوريا) والاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب (تونس) ومن


أحمد لطفى السيد — محمد الخضر حسين — د. عبد الوهاب عزام — على الجارم — أحمد أمين
د. محمد حسين هيكل — طه حسين — العقـــاد — د. ابراهيم مدكور — عبد السلام هارون

أعضاء المجمع : يختلف مجمع اللغة العربية هذا عن سابقيه من المجامع بأنه ليس إقليميا إذ لم يقصر عضويته على المصريين وإنما مثلت فيه البلاد العربية الأخرى وذلك كى تكون قراراته ومقترحاته صادرة عن الأمة العربية بأسرها بل مثل فيه فقهاء العربية فى العالم من الأمم غير الناطقة بالعربية فقد نصت المادة الرابعة من مرسوم إنشائه على أن يختار أعضاؤه العاملون من غير تقيد بالجنسية من بين العلماء المعروفين بتبحرهم فى اللغة أو

المستشرقين الدكتور أوجست فيشر (المانيا) والاستاذ لويس ماسينيون (فرنسا) والاستاذ السير هاملتون الكسندر جب (انجلترا)(١٥) .

وأعيد النظر فى المرسوم السابق سنة ١٩٤٠ ونص المرسوم الصادر حينذاك على ألا يقل أعضاء المجمع عن أربعة وعشرين عضوا ولا يزيد عن ثلاثين عضوا عاملا(١٦) ووفقا لهذا عين عشرة أعضاء جدد نذكر منهم الاستاذ

العقاد والدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين والدكتور محمد حسين هيكل والاستاذ احمد لطفى السيد(١٧).

ثم صدر مرسوم سنة ١٩٤٦م يقضى بأن يكون عدد الاعضاء ٤٠ (اربعين) عضوا فعين عشرة من المصريين منهم الدكتور إبراهيم مدكور والدكتور عبد الرزاق السنهورى والدكتور عبد الوهاب عزام والاستاذ زكى المهندس(١٨).

ومع أثر اعلان الوحدة بين مصر وسوريا صدر قرار سنة ١٩٦٠م بتوحيد المجمعين - المجمع العلمى العربى بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة - (على أن يكون له فرعان أحدهما فى القاهرة والآخر فى دمشق) وأن يكون أعضاؤه ثمانين عضوا: (٤٠ من المصريين و٢٠ من السوريين و٢٠ يمثلون البلدان العربية الأخرى(١٩).

وما لبثت الوحدة ان انفضت فاستقر على أن يظل اعضاء المجمع ٦٠ عضوا وفى مارس سنة ١٩٨٢ صدر أحدث قانون لتنظيم المجمع جعل عدد اعضائه ٤٠ من المصريين وهو بهذا يقرر ما ورد بقانون ١٩٦٠م وجعل اعضاءه من غير المصريين ٢٠ (عشرين) سواء أكانوا عربا ام غير عرب وبذلك عاد المجمع إلى سابق عهده وفق مراسيم ما قبل قانون سنة ١٩٦٠م فضم إلى عضويته بعض المستشرقين مثل المستشرق الفرنسى جاك بيرك والمستشرق الألمانى رودلف زلهيم اللذين اختيرا هذا العام(٢٠).

وفيما يلى بيان بأسماء الاعضاء العاملين بالمجمع الآن:

المصريون:

الدكتور ابراهيم مدكور (رئيس المجمع) والدكتور محمد مهدى علام (نائب الرئيس) والأستاذ عبد السلام محمد هارون (الأمين العام) والدكتور ابراهيم أدهم الدمرداش والاستاذ الشيخ احمد حسن الباقورى والدكتور أحمد السعيد سليمان والدكتور احمد عز الدين عبد الله والدكتور تمام حسان والدكتور توفيق الطويل والدكتور حامد عبد الفتاح جوهر والدكتور حسن على ابراهيم والدكتور حسين مؤنس، والدكتور سليمان حزين والدكتور شوقى ضيف والدكتور عبد الحليم منتصر والدكتور عبد العزيز السيد والاستاذ عبد العزيز محمد والدكتور عبد العظيم حفنى صابر والدكتور على عبد الواحد وافى والدكتور كمال محمد بشر والدكتور مجدى وهبة والدكتور محمد أحمد سليمان والاستاذ محمد شوقى أمين والدكتور محمد الطيب النجار والدكتور محمد طه الحاجرى والاستاذ محمد عبد الله عنان والدكتور محمد مرسى احمد والدكتور محمد يوسف حسن والدكتور محمود حافظ ابراهيم والاستاذ محمود محمد شاكر والدكتور محمود مختار والاستاذ مصطفى مصطفى مرعى.

العرب:

الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور عبد الكريم خليفة (الاردن) والاستاذ الشاذلى القليبى والدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة (تونس) والدكتور أحمد طالب الابراهيمى (الجزائر) والاستاذ حمد الجاسر (السعودية) والدكتور عبد الله الطيب (السودان) والدكتور حسنى سبح والدكتور عدنان الخطيب (سوريا) والدكتور احمد عبد الستار الجوارى والاستاذ محمد بهجة الأثرى (العراق) والدكتور إسحاق موسى الحسينى (فلسطين) والاستاذ على الفقيه حسن (ليبيا) والدكتور عمر فروخ (لبنان) والاستاذ عبد الله كنون والاستاذ محمد الفاسى (المغرب) والاستاذ أحمد على عقبات (اليمن).


محمود شاكر — ناصر الدين الأسد — مصطفى الزرقا
سماحة الشيخ بلخوجة — الشاذلى القليبى — حمد الجاسر

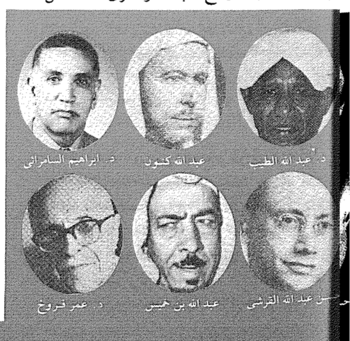
المستشرقون:

الدكتور رودلف زلهايم (المانيا) والدكتور روبرت سر جانت (بريطانيا) والدكتور جاك بيرك بيرك (فرنسا).

الاعضاء المراسلون والفخريون

ولم يكتف المجمع بالأعضاء العاملين وإنما ضم إليه أعضاء مراسلين ليؤازروه فى تأدية رسالته فقد ورد فى المادة الثامنة من مرسوم إنشائه: «للمجمع أن يمنح لقب عضو مراسل لكل شخص مصرى أو أجنبى يرى فى استمرار معونته فائدة كبرى»(٢١) ولم يقيد المجمع الحد الأقصى لعدد هؤلاء الاعضاء المراسلين وأول فوج منهم كان سنة ١٩٣٨م فقد منح هذا اللقب لأربعة من العلماء الايرانيين على رأسهم حسين مرآت وزير المعارف الايرانية حينذاك(٢٢) ثم منحت هذه العضوية لعدد غير قليل نذكر منهم: الدكتور ابراهيم السامرائى (من العراق) والاستاذ جمال محمد احمد (من السودان) والاستاذ عبد الله بن محمد بن خميس والاستاذ حسن عبد الله القرشى (من السعودية)(٢٣)

أما العضوية الفخرية فقد نص عليها أيضا مرسوم إنشاء المجمع فتقول المادة السابعة: «لا يجوز من غير تقيد بالجنسية ان يمنح لقب عضو فخرى للأشخاص



د. عبد الله الطيب — عبد الله كنون — د. ابراهيم السامرائى

حسن عبد الله القرشى — عبد الله بن خميس — د. عمر فروخ

الذين يكونون قد قاموا بخدمات جليلة الشأن فى دراسة اللغة العربية أو لهجاتها ولا يجوز أن يزيد عدد الأعضاء الفخريين على العشرين .

وقد منح هذا اللقب الاستاذ عيسى إسكندر المعلوف وهو من الرعيل الأول الذين عينوا منذ تأسيس المجمع ثم حالت ظروفه الصحية دون متابعة الاسهام فى اعمال المجمع فرأى المجمع سنة ١٩٥٢م أن يختاره عضوا فخريا ويعفيه من العضوية العاملة(٢٤).

جهاز المجمع الادارى:

وأعنى بذلك من يديرون المجمع ويشرفون عليه ولا يقتصر إشرافهم على الناحية الادارية وإنما يشرقون عليه أيضا علميا وهم رئيس المجمع ونائبه وأمينه العام.

رئيس المجمع: أول رئيس للمجمع هو الاستاد محمد توفيق رفعت وقد ظل رئيسا له حتى وفاته فى ١٩٤٤/٤/٥(٢٥) ثم خلفه الاستاذ أحمد لطفى السيد إلى وفاته سنة ١٩٦٣م(٢٦) ثم الدكتور طه حسين حتى وفاته سنة ١٩٧٣م(٢٧) وجاء بعده الرئيس الحالى الدكتور ابراهيم مدكور(٢٨).

نائب الرئيس: لم يكن هذا المنصب فى أول إنشاء المجمع وإنما استحدث فى قرار سنة ١٩٦٠م(٢٩) الخاص بتوحيد المجمعين المصرى والسورى وعد كل منهما فرعا وكان اول نائب رئيس انتخبه المجمع هو الدكتور طه حسين سنة ١٩٦٠م(٣٠) الذى ظل يشغل هذا المنصب حتى عين رئيسا للمجمع سنة ١٩٦٣م(٣١) وانتخب بعده الاستاذ زكى المهندس(٣٢) الذى ظل يشغله حتى وفاته سنة ١٩٧٦م(٣٣) وجاء من بعده الدكتور احمد عمار حتى وفاته سنة ١٩٨٣م(٣٤) وانتخب بعده الدكتور محمد مهدى علام(٣٥) الذى ما يزال يشغل هذا المنصب.

الأمين العام: وكان يسمى عند إنشاء المجمع «كاتب السر»(٣٦) وعدل عنه فى قرار سنة ١٩٦٠ إلى الأمين العام بالنسبة للمجمع الموحد والأمين بالنسبة لكل

من المجمعين الفرعين (المصرى والسورى)(٣٧) وظل لفظ الأمين بعد انفراط عقد الوحدة وأول من شغل هذا المنصب عند افتتاح المجمع الدكتور منصور فهمى(٣٨) وبعد وفاته سنة ١٩٥٩ تولاه الدكتور ابراهيم مدكور الذى أصبح أمينا عاما للمجمع الموحد (٣٩) وأمينا للفرع المصرى وظل يشغله حتى سنة ١٩٧٤ حين انتخب رئيسا للمجمع وتلاه الأستاذ عبد الحميد حسن إلى سنة ١٩٧٦(٤٠) وجاء بعده الدكتور محمد مهدى علام ليتولى هذا المنصب إلى سنة ١٩٨٣ حين اختير نائبا للرئيس (٤١) وخلفه الأمين العام الحالى الاستاذ عبد السلام محمد هارون(٤٢).

جهاز المجمع العلمي :

يتكون جهاز المجمع العلمى من اللجان والمجلس والمؤتمر.

أولا: لجان المجمع:

تتكون لجان المجمع من أعضاء المجلس كل فى اللجنة التى تتفق وتخصصه ومن المتخصصين فى العلوم والفنون المختلفة ممن يختارهم المجمع ويطلق على كل منهم لفظ «خبير» واللجان تعمل طوال العام إذ هى النواة الأولى فهى تعد المصطلحات وتقترح القرارات التى ترى أنها تساعد على ترقية اللغة وذلك تمهيدا لعرضها على المجلس.

● ولقد أنشأ المجمع فى دورته الاولى سنة ١٩٣٤ سبع لجان علمية هى: لجنة الرياضيات ولجنة العلوم الطبيعية والكيميائية ولجنة علوم الحياة والطب ولجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية ولجنة الآداب والفنون الجميلة ولجنة اللهجات ولجنة المعجم(٤٣) وأنشئت لجان أخرى بعد ذلك وسارت هذه اللجان ما بين الاستمرار فى العمل حينا والتوقف أحياناً وذلك لغياب أعضائها أو انقسامها إلى أكثر من لجنة أو لانجاز أعمالها كلجنة المعجم الوسيط التى توقفت بتقديم المعجم للمطبعة وكلما أريد إعادة طبعه أعيد تشكيل اللجنة من جديد ويطول بنا الحديث لو تتبعنا تطور اللجان لكنا نكتفى بذكر اللجان العلمية القائمة الآن، وهى:

● لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم - لجنة المعجم الكبير (وهى منقسمة إلى عدة لجان فرعية) - لجنة الأصول - لجنة الالفاظ والأساليب - لجنة اللهجات - لجنة إحياء التراث - لجنة الأدب - لجنة القانون - لجنة الاقتصاد - لجنة التاريخ - لجنة الجغرافيا - لجنة علم النفس والتربية - لجنة الفلسفة - لجنة الفاظ الحضارة - لجنة الفنون - لجنة المصطلحات الطبية - لجنة علوم الأحياء والزراعة - لجنة الكيمياء والصيدلة - لجنة الفيزيقا - لجنة الجيولوجيا - لجنة النفط - لجنة الرياضة - لجنة الهندسة - لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات.

ثانيا: مجلس المجمع:

أما المجلس فيتكون من الاعضاء العاملين المقيمين بمصر وجرت العادة أن تنعقد جلساته كل يوم اثنين من أيام الأسبوع طوال العام المجمعى (اكتوبر - مايو) وتعرض عليه أعمال اللجان فيبحثها ويقر ما يراه منها صالحا ويعيد إليها ما يراه فى حاجة إلى مزيد من الدرس.. ثم تجىء المرحلة الثالثة فيعرض على المؤتمر ما أقره المجلس.

ثالثا: مؤتمر المجمع:

يتكون المؤتمر من أعضاء المجمع العاملين جميعا من مصريين وغير مصريين ويجتمع مرة فى شتاء كل سنة يعقد نحو اثنتى عشرة جلسة يلقى فيها بعض السادة الأعضاء بحوثا فى اللغة كما تعرض عليه أعمال المجلس فى العام المنصرم فيما بين المؤتمرين وكذلك أعمال اللجان التى يخول لها الاكتفاء بعرض أعمالها عليه دون أخذ رأى المجلس(٤٤).

هذا ولم يكن المجمع فى دوراته الست الأولى يجتمع على هيئة مجلس فقد كان يجتمع اعضاؤه جميعا - المصريون وغير المصريين - مرة واحدة شتاء كل عام تعرض عليهم أعمال اللجان فى عام وظل كذلك الى ان صدر مرسوم سنة ١٩٤٠ الذى يقضى بأن يتألف المجمع من هيئتى: المجلس والمؤتمر(٤٥).

مرحلة رابعة :

وهناك مرحلة أخرى غير مراحل اللجان والمجلس والمؤتمر وهى خاصة بالمصطلحات تلك هى مشاركة المتخصصين جميعا فى أنحاء الأمة العربية بأن يبدوا ملاحظاتهم ويرسلوها إلى المجمع حيث يدرسها. وقد كان من قرارات المجمع فى الدورة الثانية أن تعرض الكلمات والمصطلحات التى يقرها المجمع سنة على الجمهور بعد إقرارها ويتقبل المجمع فى خلال تلك السنة الانتقادات التى يعترض بها العلماء(٤٦) ثم قرر المجمع أن يرسل مصطلحاته إلى ذوى الاختصاص فى البلاد العربية بعد إقرار اللجان لها وقبل عرضها على المجلس ثم رأى



أن يكون ذلك بعد إقرار المجلس(٤٧).

وسار المجمع منفذا هذه الطريقة يرسل المصطلحات الى ذوى الاختصاص وتصل اليه ملاحظاتهم عليها فيحلها من العناية(٤٨) ثم درج على ان تنشر هذه المصطلحات فى سلسلة من المجموعات فإذا ما ورد اعتراض على أحد هذه المصطلحات درس وربما غيرت على اثره بعض المصطلحات.

أوجه نشاط المجمع :

المهمة الرئيسية للمجمع ـ والتى نادى بها المطالبون بإنشاء مجمع لغوى ـ هى إنماء الثروة اللغوية وذلك بالاصطلاح على ألفاظ تدل على مسميات لم يكن للعرب بها سابق معرفة. لكن المجمع لم يقتصر على ذلك وإنما عمل على كل ما من شأنه أن يسمو بالعربية فوجدنا مجال عمله.

١ ـ متابعة جهود القدامى فى تقعيد العربية واستدراك بعض ما فاتهم ومتابعة التيسير ايضا فى رسم كلماتها.

٢ ـ مواجهة المصطلحات العلمية والفنية.

٣ ـ وضع معجمات لغوية.

٤ ـ تشجيع الانتاج الأدبى واللغوى.

أولا : فى تقعيد العربية ورسم كلماتها :

نجملها فى زاويتين:

الاولى: تقعيد العربية : تتمثل جهود المجمع فى متابعة القدامى فى تقعيد العربية وتيسير رسم كلماتها ونلحظ التقعيد فى دراسة اللغة.. أقيستها وصرفها ونحوها.

أ ـ فى أقيسة اللغة: ومن القرارات المجمعية التى يتخذها فى أقيسة اللغة:

١) الاحاديث النبوية ومدى الاحتجاج بها وقد فصلوا ما يمكن الاحتجاج به من كتب ومدونات الحديث النبوى الشريف.

٢) تكملة فروع مادة لغوية لم تذكر بقيتها: إن المعجمات اللغوية كانت تهمل بعض المشتقات فتذكر مثلا الفعل ولا تذكر المصدر أو العكس ولكى يضع المجمع معجماً حديثا منظما يحتاج للنص على بعض هذه الفروع التى أهملت فقام بعض السادة الأعضاء من الرعيل الأول ودرسوا هذا الموضوع ثم أصدر المجمع بناء على الدراسة مجموعة من القرارات يمكن الرجوع اليها فى مصادرها.

ب ـ الصرف: ويتمثل التشريع المجمعى فى هذا الصنف اما بإصدار قواعد عامة تنطبق على كل الكلمات ذات الصيغة المتشابهة قد يكون علماؤنا القدامى عرضوا لها من قبل ولكن لم تصل عندهم إلى درجة الاطراد، وإما

باصدار قرار خاص بكلمة معينة.

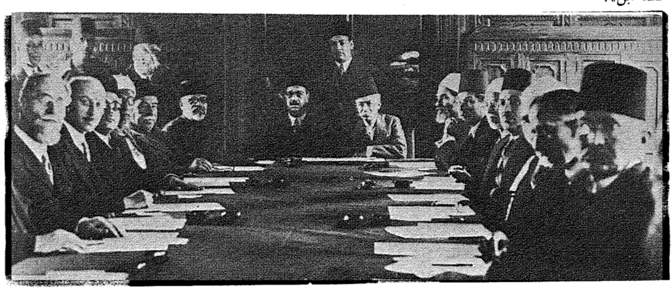
ج ـ في النحو: قرارات المجمع في النحو صنفان: اولهما متابعة لجهود القدماء في تقنين القواعد العربية والصنف الآخر تيسير القواعد النحوية مع الناشئة.

الصنف الأول: وهو ذو شقين:

(١) متابعة التقنين وفق التراكيب الفصيحة التى كان ينطقها العرب الفصحاء الذين يحتج بلغتهم ويقاس عليها وهم عرب الجاهلية وصدر الاسلام إلى أواخر القرن الثانى فى الامصار وأواسط القرن الرابع فى البادية.

(٢) متابعة التقنين لتراكيب ظهرت بعد عصور الاحتجاج وهى تراكيب شاعت على الألسنة وسجلتها الأقلام وكان لابد من بيان إعرابها بما لا يخالف نهج الفصحاء فيما يشبهها من أساليب ومن ذلك «تتابع الاعلام مع حذف كلمة ابن».

عامر» كما هو الشأن فى مصر الآن. وتقدم الاستاذ أحمد حسن الزيات عضو المجمع الى مجلس المجمع فى جلسته الثالثة والعشرين من الدورة الحادية والعشرين مقترحا باجازة تسكين الأعلام وحذف ابن من مثل «سافر محمد على حسن» وأحيل البحث إلى لجنة الأصول وكتب فى الموضوع عدة بحوث وانتهت اللجنة إلى قرار اخذ يتنقل ما بين اللجنة والمؤتمر ثم العودة إلى اللجنة وتعزز وجهات النظر بين الحين والحين ببحوث جديدة. وبعد ثلاثة وعشرين عاما قرر المؤتمر فى جلسته السابعة من الدورة الرابعة والأربعين (١٩٧٨/٣/٢١) «يجيز المجمع ما يجرى على الألسنة من حذف (ابن) من الأعلام المتتابعة فى مثل: سافر محمد على حسن، وتضبط هذه الأعلام على أحد الوجهين الآتيين:



صورة حضرات أعضاء المجمع يوم افتتاحه — و يرى فى صدرها حضرة صاحب المعالى محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف.

ان نهج العرب فى تتابع الاعلام أى ذكر اسم الشخص وأبيه وجده أن يتوسط كل علمين لفظ «ابن» فكانوا يقولون مثلا «حضر عليُّ بنُ محمد بن عامر» وقد جرى النحاة على إعراب العلم الأول حسب موقعه من الاعراب وكلمة «ابن» صفة له والاسم الذى يلى ابن يعرب مضافا إليه وابن التالية له صفة مجرورة. وكل الأعلام المسبوقة بابن تمنع من الصرف اذا كانت مصروفة لأنها نعتت بابن. ثم شاع استعمال الاعلام المتتابعة دون أن يذكر بينها كلمة «بن» فيقولون مثلا «حضر محمد على

١ ـ يعرب العلم الأول بحسب موقعه ويجر ما يليه بالاضافة.

٢ ـ تسكن الأعلام كلها إجراء للوصل مجرى الوقف.

الصنف الثانى: وهو خاص بتيسير النحو للناشئة والمجمع حين يعرض له يهدف إلى التيسير على الناشئة فهو لا يريد أن يحشى عقولهم الصغيرة بمصطلحات عديدة تجعلهم ينصرفون عن لب الموضوع وجوهره وهو استقامة اللسان على ضبط أواخر الكلمات عند اجتماعها مع غيرها فى تركيب واحد. أما الكبار على الاخص فانهم

أن يتوسعوا فى دراسة النحو وينهلوا من معين ما تركه السابقون من مؤلفات عديدة ونكتفى هنا أن نشير إلى التيسيرات التى أصدرها المجمع فى الجلسة السابقة لمؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (١٩٧٩/٣/٦) وذلك بناء على اقتراح تقدم به عضو المجمع الأستاذ الدكتور شوقى ضيف فى بحثه الذى ألقاه فى الجلسة السادسة لمؤتمر الدورة الثالثة والأربعين.

ومن هذه القرارات:

١ - وضع باب ظن وأعلم وأرى فى باب الفعل المتعدى.
٢ - حذف باب الترخيم.
٣ - توحيد أسماء علامات الاعراب الأصلية والفرعية بتسميتها علامات إعراب.

وهذه القرارات تتفق وما اقترحه الدكتور شوقى ضيف فى بحثه. وهناك اقتراحات لسيادته لم يوافق عليها المجمع ومنها:

١ - اقتراحه ضم باب كان وأخواتها الى باب الفعل وإعراب خبرها حالا. لكن المجمع رأى إبقاء هذا الباب على وضعه المقرر فى كتب النحو.
٢ - اقتراحه ضم باب كاد وأخواتها إلى باب الفعل وأن يعرب مرفوعها فاعلا وما بعدها مفعولا به أو منصوبا على نزع الخافض.

الثانية: رسم كلمات العربية:

يمكن ان نجمل جهود المجمع فى رسم الكلمات العربية فى موضوعات أربعة هى:

الأول: تيسير الاملاء العربى.
الثانى: محاولة تطوير الخط العربى.
الثالث: كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية.
الرابع: كتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة.

■ تيسير الاملاء العربى:

الدراسات الخاصة بتيسير الاملاء فى المجمع مستفيضة وقد صدر بشأنها جملة من الآراء والتقارير انصبت على دراسة أربعة أمور:

١ - الهمزة وكيفية كتابتها.
٢ - الألف اللينة ومتى تكتب بالألف ومتى تكتب بالياء.
٣ - الفصل والوصل بين كلمتين لمجموعة من الالفاظ.
٤ - زيادة أو نقص بعض الحروف فى بنية الكلمة مثل زيادة الألف فى مائة وحذفها من «الرحمن».

وقد ركزت الدراسات على الهمزة والألف اللينة أما الموضوعان الآخران فلم يعرض لهما إلا فى قراره الخاص بـ «مئة» ووصلها بعدد سابق فيكتبان منفصلين مع حذف ألف مئة فتكتب ثلاث مئة بدلا من الكتابة الشائعة «ثلاثمائة».

أما الألف اللينة والمراد بها الألف التى فى آخر الكلمة فبعد دراسات مستفيضة بدءا من الدورة الرابعة عشرة صدر قرار فى الجلسة السابعة لمؤتمر الدورة السادسة والأربعين (١٩٨٠/٣/٢٤) يتفق وما هو شائع فى كتب الاملاء سواء أكانت الألف فى الأسماء أم فى الأفعال أم فى الحروف وهو رأى الجمهور الذى يربط كتابتها بعلم الصرف فتكتب فى حالات بالألف وفى حالات أخرى بالياء.

وأما الهمزة: فكانت الدراسات حولها أكثر استفاضة من الدراسات الخاصة بالألف اللينة.

■ محاولة تطوير الخط العربى:

أخذ موضوع تطوير الخط العربى - أو بعبارة أخرى تيسير الكتابة العربية - وقتا طويلا من المجمع ونكتفى بالاشارة إلى أن هذا الموضوع قد أخذ طابعين:

أولهما: إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية وهو اقتراح تقدم به المرحوم الاستاذ عبد العزيز فهمى ونوقش المقترح فى الدورة العاشرة ورفض.

وثانيهما: تطوير للحروف العربية فقد اقترح الاستاذ على الجارم اتخاذ علامات للشكل متصلة بالحروف تحل محل علامات الشكل المعروفة. ونوقش المقترح أيضا فى مؤتمر الدورة العاشرة وكان مصيره كمصير سابقه، وهو الرفض.

■ وفيما يلى نموذج لكتابة بعض الكلمات وفق هذا

الاقتراح ضمنها الاستاذ الجارم بحثه. وقد نشر الاقتراحان وكل ما دار حولهما من مناقشات فى كتاب اصدره المجمع باسم «تيسير الكتابة العربية» صدر سنة ١٩٤٦م وطلب المؤتمر من الحكومة المصرية رصد جائزة قيمتها ألف جنيه لأحسن اقتراح فى تيسير الكتابة.

وتلقى المجمع طائفة كبيرة من المقترحات ولم يجد من بينها ما يحقق غرض التيسير فألغيت الجائزة وواصلت اللجنة دراساتها ورأت الاقتصار على تيسير حروف الطباعة والآلات الكاتبة باختصار عدد صور الحروف وعرضت لجنة تيسير الكتابة رأيها على مؤتمر الدورة السادسة والعشرين وهو يقضى بأن تهبط صور الحروف وعلامات الشكل فى بعض صناديق الجمع اليدوى من ٤٧٠ الى ١٣٥ صورة مع الشكل الكامل وسائر العلامات.

■ كتابة الاعلام الاجنبية بحروف عربية:

عنى المجمع منذ إنشائه بموضوع «كتابة الاعلام الاجنبية بحروف عربية» وأصدر بشأنها عدة قرارات فى الدورتين الرابعة والخامسة كما وضع قواعد لكتابة الأعلام اليونانية بحروف عربية ثم عاود النظر فى هذه القرارات لأن القرار القديم عول بوجه خاص على الأعلام المأخوذة من اليونانية واللاتينية وكلف لجنة اللهجات بدراستها وأصدر المجمع بشأنها قرارات فى الدورتين الثانية والثلاثين والرابعة والثلاثين واتفقت القرارات قديمها وحديثها على أن يكتب العلم الأجنبى على حسب نطقه فى موطنه الأصلى.

وقبل المجمع ادخال بعض الحروف الجديدة على الابجدية العربية لكتابة الاعلام الاجنبية بحروف عربية ولما كان المجمع قد قرر فى قراراته الاخيرة أن تطبق قواعد كتابة الاعلام الاجنبية على المصطلحات العربية فسنرجىء الحديث عن هذه الحروف إلى الكلام عن المصطلحات لأنه العمل الرئيسى للمجمع والوقفة معه ستكون أطول من الوقفات مع جهود المجمع الأخرى.

رسم العلامات

الفتحة : ـَ ـ مثل : هيكف (هَيَف)

الضمة : ـُ ـ مثل : كتب (كُتِبَ)

الكسرة : ـِ ـ مثل : كتب (كُتِبَ)

السكون : ـْ ـ مثل : فتل (فَتْل)

تنوين المفتوح : ـً ـ مثل : شرابا (شرابًا)

تنوين المضموم : ـٌ ـ مثل : شراب (شرابٌ)

تنوين المكسور : ـٍ ـ مثل : شراب (شرابٍ)

الهمزة الممدودة : آ ـ مثل : آن (آن)

■ كتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة:

اللهجات العربية إما قديمة وجدت فى زمن تسجيل اللغة وإما وجدت بعد ذلك ومن الأخيرة لهجاتنا المعاصرة. واللهجات القديمة تعد عنصرا من عناصر اللغة المشتركة حرص اللغويون على تسجيلها وإن لم ينسبوها إلى ذويهم أما اللهجات الحديثة فهى امتداد للقديمة أو خليط لأكثر من لهجة.

وقد بدأت دراسة اللهجات الحديثة منذ أواخر القرن الماضى (التاسع عشر الميلادى) وكانت محل ريبة لاهتمام المستشرقين بها لأن بعضهم كان يدعو لإحلالها محل الفصحى.

وعلى كلٍّ فمهما تكن نوايا المستشرقين أو نوايا بعضهم فإن الدراسة العلمية للهجات ذات أهمية بالنسبة للفصحى ـ وخاصة لهجات البيئات البدوية المقفلة فى

الجزيرة العربية - فهى تعين على فهم بعض الخصائص اللغوية القديمة من ذلك على سبيل المثال أن القدماء وصفوا لنا الكشكشة بعدة صور.

وجاء من المحدثين من قال: ان القدماء قد أخطأوا ورجح انها كانت بصورة واحدة هى «تش». ولما قام الدكتور عبد العزيز مطر بجولات فى منطقة الخليج ووصف لنا بعض الظواهر اللهجية ومنها الكشكشة تبين لنا أن علماء اللغة القدامى كانوا على صواب فيما ذكروه.

وهناك ملحظ آخر وهو أن لغويينا القدامى أصحاب المعجمات كثيرا ما كانوا يكتفون فى شرح بعض الألفاظ بقولهم «معروف» وإذا كانت كلمة «معروف» غير مجهولة فى زمن تأليفهم لتلك المعاجم فإنها غير واضحة لنا الآن ودراسة اللهجات الحديثة قد تعين على فهم ذلك الذى وصف بأنه «معروف».

والذى يعنينا هنا من الدراسات التى قامت بها هذه اللجنة «طريقة جديدة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة» فقد قام باعداد هذه الطريقة الدكتور خليل محمود عساكر بتكليف من لجنة اللهجات بعد اختياره خبيرا بها. وقدم هذه الطريقة لتحل محل طريقة الرموز الصوتية الدولية التى وصفها المستشرقون ووافق عليها مؤتمر المجمع فى الدورة السادسة عشرة.

وبهذه الطريقة كتب بعض الباحثين فى اللهجات الحديثة النصوص اللهجية مثل الدكتور عبد العزيز مطر فى كتابه «لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط» والدكتور عبد المنعم سيد عبد العال فى بحثه «لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها».

وبعد فإننا نلاحظ أن المجمع بذل جهودا كبيرة فى دراسة رسم الكلمات العربية بفروعها الأربعة التى عرضناها لكن هذه الجهود غير واضحة ويرجع ذلك إلى أن المجمع لم يأت بجديد يذكر فى هذا المجال إذا قورن بالمجالات الأخرى التى أولى اهتمامه بها وذلك لمعالجته هنا موضوعا ذا صفة حساسة لأنه يترتب على الجديد فيه انقطاع حاضر الامة عن تراث ماضيها.

ثانيًا: المجمع والمصطلحات:

اعتبر المجمع نفسه الوصى الوحيد على اللغة التى خلفها الأجداد العرب وأنه هو وحده صاحب الحق الشرعى فى التصرف فى هذه التركة جاء فى الفقرة «أ» من المادة الثانية من مرسوم إنشاء المجمع أن من أغراضه «أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر». وكان لابد من أجل وفاء العربية بذلك أن تكون بالمجمع سلطتان: تشريعية وتنفيذية.

● أما السلطة التشريعية - وقد تكلمنا عن جهودها بصفة عامة ويعنينا هنا جهودها فى خدمة المصطلح وهو ما رأينا أن نرجئه إلى هذا المكان - فتتمثل الآن فى لجنة الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب فلجنة الأصول هى التى تقترح القرارات التى تقوم السلطة التنفيذية بتطبيقها وهى قرارات لحماية هذه التركة من الضياع بالإضافة إلى جعلها تنمو وتزدهر. وتقوم اللجنة الثانية بمعالجة ألفاظ يظن أنها بعيدة عن الفصحى ولكن بدراستها يتضح أنها صحيحة لغويا. ولم يقتصر التشريع فى الماضى على هاتين اللجنتين وإنما شاركت فى ذلك لجان أخرى معظمها أنشىء لمعالجة موضوع معين مثل «النحت» و«الكلمات المنتهية باللاحقة» Scope.

وأما السلطة التنفيذية فتتمثل فى لجان المجمع العلمية.

أولا جهود السلطة التشريعية فى خدمة المصطلح:

المصطلحات التى واجهت المجمع نوعان: نوع وضع قبل انشاء المجمع واستقر الأمر عليه.. والثانى لم يوضع له مقابل أو هو مما لم يتفق الرأى عليه بعد. وقد اتخذ المجمع فى كل من النوعين قرارات، قرارات تبين وجهة نظره فيما وضعه السابقون وأخرى تعين على الوضع الجديد. بعضها يبين موقفه من الوسائل التى يمكن الاستعانة بها والبعض الآخر توضيح لهذه الوسائل وتدعيم لها فى أداء مهمتها.

أ ـ السلطة التشريعية وأوضاع السابقين:

ونقصد بهذا النوع من المصطلحات ما وضع بعد عصور الاحتجاج الى انشاء هذا المجمع أما ما وضع قبل هذه العصور فمجمع عليه ولم يكن في حاجة الى فتوى وهذا النوع يدخل ضمن المولد الذى دار النقاش حوله وامتنع اللغويون من تسجيله فى معاجمهم وتولى ذلك العلماء وكان رأى المجمع فيه أنه قسمان:

١ ـ قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما. كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك وحكمه أنه عربى سائغ.

٢ ـ وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب. إما باستعمال لفظ أعجمى لم تعربه العرب، وقد أصدر المجمع فى شأن هذا النوع قراره وإما بتحريف فى اللفظ أو فى الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح وإما بوضع اللفظ ارتجالا.

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين فى فصيح الكلام.

والقرار الذى أصدره المجمع فى شأن المعربات الذى أشار اليه هذا القرار هو: «يجيز المجمع اللغوى أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب فى تعريبهم».

وواضح من ذلك أن موقف المجمع بالنسبة للمصطلحات التى جدت بعد عصور الاحتجاج أنه قبل منها:

(١) ـ المصطلحات العربية التى وضعت اما للتعبير عن معنى جديد نبت فى البيئة العربية كاصطلاحات العلوم العربية وإما التى وضعت فى مقابل مصطلح أجنبى كاصطلاحات العلوم الدخيلة وكانت وسيلة وضعها الطرق المشروعة فى غنى اللغة من اشتقاق أو مجاز أو غيرهما بشرط ألا نخرج عن جوهر اللغة وروحها الأصيلة ولا تتعدى القياس اللغوى.

(٢) ـ المصطلحات المعربة التى لجأ اليها أصحابها لادخالها العربية لتعذر إيجاد مقابل عربى، والتى حرص أصحابها على أن يسيروا على النهج الذى تبعه العرب المحتج بلغتهم عند اللجوء لهذه الوسيلة.

وواضح من قرار المجمع أنه لا يعترف بالمصطلحات التى عربت ثم وضع لها العلماء ألفاظا عربية أو وجدوا لها مقابلا فى لغتهم.

ويدخل تحت هذا النوع ما قرره بعد ذلك من أن «الكلمات العربية التى نقلت الى اللغات الأجنبية وحرفت تعود الى أصلها العربى اذا ما نقلت الى اللغة العربية مرة أخرى.

ثم إن انقطاع العلماء الذين جاءوا فى أول النهضة عن التراث القديم جعلهم يضعون مصطلحات جديدة لها ما يقابلها عند القدماء لم يهتدوا إليه فدعا هذا إلى تكرر الألفاظ للمعنى الواحد فقرر المجمع فى مثل هذه الحالة أن تفضل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة الا اذا شاعت.

والاستعانة بجهود القدماء تستلزم عملية أولى وهى أن تفرغ الكتب القديمة ويستخرج ما بها من مصطلحات وتوضع أمام اللجان لتستفيد منها وقد تؤدى بضرورة هذا العمل أكثر من مرة. واتخذ المجمع عدة قرارات فقرر أن تستخرج المصطلحات العلمية من الكتب العربية القديمة ويوضع لها المقابل الافرنجى ثم قرر أن ينظر المجمع فى اختيار مختصين بشؤون العلوم العربية لاخراج المصطلحات العلمية القديمة من الكتب العربية وعرض كل فرع على اللجنة المختصة واذا لم تكن لجنة مختصة تشكل لجنة جديدة. ثم رأى ان تدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلمية ويعمل لكل كتاب منها معجم بالمصطلحات التى وردت فيه بحيث تكون هذه المعاجم فى متناول الأيدى عند التعريب، لكنه من دواعى الأسف أن شيئا من ذلك كله لم يخرج الى حيز الوجود.

هذا هو رأى السلطة التشريعية بالنسبة لأوضاع السابقين أما رأيها فى الأوضاع الجديدة فهو:

ب ـ السلطة التشريعية والأوضاع الجديدة

طرق الوضع التى رأى العلماء أن يستعان بها هى:

١ ـ الترجمة بنوعيها الحرفى والمعنوى ـ المجاز ـ الاشتقاق ـ النحت ـ التركيب المزجى ـ التعريب.

وقد أشار اليها المجمع منذ بدء عمله فنص على «أن للمجمع أن يستبدل بالكلمات العامية والأعجمية التى لم تعرب غيرها من الألفاظ العربية، وذلك بأن يبحث أولا عن ألفاظ عربية لها فى مظانها من كتب اللغة ومعجماتها فاذا لم يجد بعد البحث الطويل أسماء عربية لها وضع أسماء جديدة بطرق الوضع المعروفة من اشتقاق أو مجاز أو غير ذلك. فاذا لم يوفق فى هذا التجأ الى التعريب مع المحافظة على حروف اللغة وأوزانها بقدر الطاقة».

أما الثلاثة الأول فالاجماع عليها واقع من اللغويين فليس بين العلماء خلاف فى وجوب الاستعانة بها. أما النحت والتركيب المزجى والتعريب فكان هناك خلاف حول الاستعانة بها وتحديد مدى هذه الاستعانة.



انعقاد مجمع اللغة العربية برئاسة لطفى السيد ولحظة انفعال من العقاد

والقاعدة العامة فى التعريب هو أن تنقل الحروف الأجنبية الى حروف عربية مماثلة لها فى النطق، والحروف التى ليس لها مقابل تنقل الى أقرب حروف لها فى النطق. وقد رأى المجمع لتكون المعربات أقرب الى لغاتها الأصلية ادخال حروف أربعة جديدة على الأبجدية العربية هى:

١ - پ ليقابل الحرف p
٢ - ژ ليقابل الحرف J
٣ - ڭ ليقابل الحرف G
٤ - ڤ ليقابل الحرف V

وكذلك قبل ثلاث علامات هى:

١ - (ا) علامة أشبه بالمدة الرأسية للدلالة على الإمالة وتوضع على الحرف السابق للواو والياء كما فى «سين».

٢، ٣ - (٧، ٨) رأى المجمع أن توضع هاتان العلاماتان للدلالة على حرفى u، o المخففين والمثل على الأولى luz «لوٛس» وعلى العلة ما يشبه الحرف ٧ والمثل على الثانية Gathe كوٛته (وعلى الواو علامة تشبه الرقم (٨).

وهذه الحروف والعلامات لم يكتب لجميعها البقاء فقبر الحرفان ژ، ڭ والعلاماتان ٧، ٨ من أول يوم وحل محل الحرف «ڭ» الحرف «ج» أحيانا - وسنشير الى ذلك فيما بعد - رغم أن المجمع قرر بعد ذلك أن يكون رسم هذا الحرف جيما وغينا. ثم رأى المجمع بعد نحو ربع قرن ان يطرح موضوع تعريب الأعلام وكذلك المصطلحات للبحث من جديد وكلف به لجنة اللهجات فقدمت تقريرها للمجلس فناقشه فى عدة جلسات ثم عرض على المؤتمر الذى وافق على ادخال ثلاثة احرف جديدة على الأبجدية العربية.

١ - ب ليقابل الحرف p
٢ - ف ليقابل الحرف V
٣ - ك ليقابل الحرف G

وكذلك قبول الألف القصيرة (ا) لتوضع فوق الواو أو الياء علامة على الامالة(*).

توصيات عامة:

وهناك قواعد أخرى عامة حرص المجمع منذ انشائه على مراعاتها عند وضع المصطلحات نذكر منها:

١ - المصطلحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى.

٢ - «تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد إذا أمكن ذلك وإذا لم يمكن تفضل الترجمة الحرفية».

والمصطلحات - كما سبق أن قلنا - نوعان: نوع وضع له مقابل من قبل وقد أبدى المجمع فيه رأيه. ونوع جد على البيئة العربية حديثا، وكان على المجمع أن يتولاه بالدرس ويضع له المقابلات. ومع اهتمامه بالجديد لم يغفل القديم وانما تولاه بالتحقيق وسنتناول:

أ ـ جهود لجان وضع المصطلحات:

تكونت بالمجمع عقب افتتاحه خمس لجان لدراسة المصطلحات هى:

«لجنة الرياضيات ـ لجنة العلوم الطبيعية والكيميائية ـ لجنة علوم الحياة والطب ـ لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية ـ لجنة الآداب والفنون الجميلة. . ثم اضيفت اليها لجان أخرى فيما بعد.

وأخذت هذه اللجان تعرض مصطلحاتها على المجمع بعد الفراغ من دراستها وسارت على هذا النهج اثنتى عشرة دورة وبعد أن قضى المجمع هذه الفترة الطويلة فى خدمة المصطلح العلمى، وبعد أن سلم له الجميع حق التصرف فى اللغة والزيادة فيها. بعد هذا كله يجىء المجمع فى الدورة الثانية عشرة ويسائل نفسه هل حقيقة هو صاحب الحق فى وضع المصطلحات التى هى جزء من اللغة التى أنشىء للمحافظة عليها وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون أو أن عمله ليس الا تسجيلا للزيادة التى يقوم بها الطبيب والمهندس والجيولوجى وغيرهم ممن لا نصيب لهم من اللغة الا مبادؤها؟.

لقد قدمت لجنة «تنظيم سير العمل بالمجمع» اقتراحا قالت فيه إنها «ترى أن المجمع بتكوينه وطريقة عمله ليس من مهمته وضع هذه المصطلحات (المصطلحات العلمية) فينبغى أن يقوم بوضعها مجمع علمى خاص على أن يتولى المجمع اللغوى صقل هذه الألفاظ وتسجيلها».

لقد كان قرار اللجنة هذا مدعاة لمناقشة استمرت ثلاث دورات (الثانية عشرة، والثالثة عشرة، والرابعة عشرة) وتشعبت الآراء دافع عن رأى اللجنة مقررها أحمد أمين. وغيره، ورأى بعضهم أن الذى وضع مرسوم انشاء المجمع أخطأ اذ اسند اليه مهمة وضع المصطلحات وجاء المجمع الى هذا المرسوم الذى وضع خطأ ونفذه خطأ أيضا.

ودافع آخرون عن الخطة التى سار عليها المجمع وأخيرا يفيق المجمع الى نفسه ويقرر أن وضع المصطلحات من الأعمال التى يجب أن يتطلع بها(*).

ولا أدرى ما الداعى لأن يحاول المجمع التخلى عن حق اكتسبه فاذا كانت الحجة أن المصطلحات من عمل المتخصصين أولا، كل يضع ما يتصل بعلمه أو فنه فان المجمعيين كان من بينهم من تخصص فى العلوم الحديثة كما أن المجمع استعان بمتخصصين خبراء منذ الدورة الأولى.

ثم تسير عجلة اللجان وتخرج لنا آلاف المصطلحات فى العلوم والفنون المختلفة وقد جرت عادة المجمع أن ينشر فى أعداد مجلته ما أقره المؤتمر كى يتعرف اليه الناس ثم لما توفرت لديه مجموعة كبيرة منها رأى أن ينشرها الى الناس فى مجموعات مستقلة تيسيرا للانتفاع بها وقد أخرج حتى الآن أربعة وعشرين مجموعة اشتملت على نحو ٣٦٫٠٠٠ (ستة وثلاثين ألف) مصطلح. وتحت الطبع الآن المجموعات الثلاث: الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون والسابعة والعشرون. وقد حوت المجموعة الأولى ما اتفق عليه المجمع منذ انشائه حتى الدورة الثالثة والعشرين والثانية شملت ما أقره المجمع فى دورتيه الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين، واشتملت المجموعة الثالثة على ما أقره المجمع فى دورتيه السادسة والعشرين والسابعة والعشرين، أما المجموعات الباقية فقد حوت كل منهما دورة واحدة. . هذا عدا مجموعة صدرت سنة ١٩٤٢ كان قد نشر فيها ما أقره فى الست دورات الأولى تشتمل على ٣٥٦٦ مصطلحاً ضمن معظمها المجموعة الأولى.

حصر المجمع جهوده فى جوانب منها: متابعة جهود القدامى فى تعريب العربية.. مواجهة المصطلحات العلمية والفنية.. وضع المعجمات اللغوية.. تشجيع الإنتاج الأدبى واللغوى.

تعريف المصطلحات:

كانت اللجان فى بادىء أمرها تقدم مصطلحاتها الى المجلس والمؤتمر دون تعريف بالمصطلح مكتفية بشرح الخبير شرحا شفويا. ثم رأى المجمع ضرورة تعريف اللجان لمصطلحاتها لما لذلك من أثر فى فهم المصطلح المعروض وسارت اللجان على هذا النهج تضع المصطلح وتضع له تعريفا، ثم تقدمه للمجلس ليعدل ان شاء الله فى المصطلح والتعريف ثم يعرض بعد ذلك على المؤتمر.

أنواع المصطلحات التى عالجها المجمع:

إن المتتبع للمصطلحات التى أقرها المجمع يجدها تتصل بشتى العلوم والفنون فنجدها فى:

«القانون - الاقتصاد - التاريخ - الجغرافيا - علم اللغة - علم الأصوات - التربية - علم النفس - الفلسفة - المنطق - الفيزيقا - الكيمياء - الصيدلة - الجيولوجيا - العلوم الطبية - الرياضيات - النبات - الأحياء - النفط - مصطلحات المؤتمرات - ألفاظ الفنون - ألفاظ الحضارة.

● مدى تطبيق اللجان للقرارات العلمية:

لم تكتف اللجان بمعالجة المصطلحات الحديثة وحدها وانما التفتت كذلك الى ما عولج قبل العصر الحديث فالنظام الذى تسير عليه اللجان هو أن تأخذ علما من العلوم وتنظر فى المصطلحات الأجنبية التى تتصل به وتنظر فيما يجب أن تقابلها به فى العربية. وهذه المصطلحات خليط مما استعمله العرب من قبل ومما استلزمه العلم الحديث، فكانت مهمة اللجان اذن تحقيقا ووضعا من جديد تستعرض عند بحثها المصطلحات جهود السابقين عسى أن تعثر على لفظ أو ألفاظ استعملها القدماء فتطرحها للبحث عسى أن تجد لفظا مناسبا تستعمله والا حاولت أن تبتكر له لفظا جديدا فلجنة كلجنة «المصطلحات الطبية» تفتح أمامها عند بحث مصطلحاتها القانون لابن سينا وتذكرة داود والمخصص لابن سيده والقاموس المحيط وقاموس سعادة ومعجم شرف وغيرها من المراجع القديمة والحديثة.

ومن أمثلة المصطلحات التى أقرها من أوضاع السابقين:

١ - بواسير (فى الطب) Haemorrhoids

٢ - التشريح (فى علوم الأحياء) **Anatomy**

٣ - القياس (فى المنطق) Syllogiam

٤ - همزة قطع (فى اللغة) **Glottal hard catch**

٥ - همزة وصل (فى اللغة) Glottal soft catch

٦ - زاوية (فى الهندسة) **Angle**

٧ - دائرة (فى الهندسية) Circle

٨ - مقصلة (فى التاريخ) **Guillotine**

٩ - برقية (فى الفيزيقا) Telegram

١٠ - بوتقة (فى الهندسية الميكانيكية) **Crucible**

الترجمة:

■ ومن أمثلة ما أقره المجمع من مصطلحات مترجمة(*).

١ - زاوية الاستقرار (فى الجيولوجيا) Angle of rest وهى الزاوية التى يستقر بها جانب الكثيف على الأرض.

٢ - مقياس الواط (فى الفيزيقا) Watt-Meter وهو جهاز لقياس القدرة الكهربية بالواط.

٣ - مقياس الكحول (فى الكيمياء) Alcholimeter **وهو جهاز كأجهزة الكثافة يستخدم فى تقدير كمية الكحول فى الماء.**

٤ - الجيولوجية التصويرية (فى الجيولوجيا) Photogeology دراسة الجيولوجيا عن طريق التصوير الشمسى ودراسة الصور الشمسية لسطح الأرض المأخوذة بالطائرة خاصة.

٥ - الغاز الطبيعى (فى الجيولجيا) Natural gas وقد أمدتهم قرارات الترجمة بوضع كثير من المصطلحات بهذا السبيل من ذلك:

(١) فرط الدم (فى الطب - الرمد) Hyperaemia

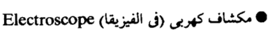
(٢) فرط الكلوريدية (فى الطب - أمراض النساء) **Hyperchlorhydria**

الاشتقاق:

■ ومن أمثلة ما أقره المجمع مما وضع بطريق الاشتقاق:

● المولِّد (فى الطب) **Obstetrician ويطلق على** الطبيب المولّد.

● الافراز (فى الطب) Secretion تولد مادة مفيدة من مواد أخرى تستمد من الدم وتسمى هذه المادة المتولدة مُفْرزاً.



● مكشاف كهربى (فى الفيزيقا) Electroscope
● مِرْقَب الشمس Helioscope
● مجهـار Microscope

وقـد أعانته القرارات التى وضعها فى مهمته الا أننا نجده أحيانا يخالفها . . مثال ذلك :

● مكثاف السوائل Areometer (hydrometer)

فهـو مخالف لقـرار المجمـع الذى يحتم التزام صيغة «مِفْعل» للآلة التى تنتهى باللاحقة Metre فكان الأولى بالمجمع هنا أن يقول مكثف السوائل .

المجـــاز :

استعـان المجمع بالمجاز فمن الكلمات التى أخذت سبيلها بهذا الطريق :

● فم الجسترولة (فى الاحياء) Blastopore وهو فتحة المعى البـدائى Archenteron الى الخـارج فى الطور الجنينى المعروف بالجسترولة . وهو الطور الذى يلى البلاستولة .
● الأعور (المعى) Caecum

النحـــت : مما وضعه منحوتا :

● فنفسج (الفيزيقا) Ultraviolet
● يحلمىء (يحلل بالماء) (فى كيمياء) Hydrolyse
● حلمأة (التحليل بالماء) (فى الكيمياء) Hydrolysis
● شبقلى (كيمياء) Alkaloid
● حمقلى (فى الكيمياء) Amphoteric صفة للمادة التى تعمل كحمض ضعيف أو قلوى ضعيف حسب الظروف .
● صوت أنـفـمـى (فى الأصـوات) Nasalized consonant صوت مجراه الأنف والفم معا .

ونظـرة الى ما أقره المجمع من مصطلحات نلاحظ أن المجمع لم يستعن بالنحت الا فى ألفاظ قليلة ويلاحظ كذلك أن هذه الألفاظ المنحوتة رشيقة لا تتنافى والذوق فالمصطلحات أنفمى ، برمائى ، شيغراء ، شيقلى كلهـا ألفـاظ جميلة ولا تحتـاج الى أعمال فكر لردها الى أصولها المنحوتة منها .

التركيـــب :

أمـد المجمع قرار ترجمة A أو An بـ «لا» بوضع عديد من المصطلحات المركبة من لا مع غيرها نضرب لها أمثلة بما يلى :

● اللاوقاية (البكتيريا) Anaphylaxis
● لا ريشى (فى الأحياء) Apteria وتطلق على مواضع من جلد الطيور لا ينبت فيها الريش .
● لا ورقى (الأحياء) Aphyllous تطلق على النباتات التى لا ورق لها كالرتم والأسل وغيرها .
● لا ثغـرى (الأحيـاء) Astomatous وتطلق على النباتات أو أجزائها التى ليس لها ثغور كالنباتات المطمورة فى الماء .

التعـــريب :

رغم أن المجمع قيد التعريب بالضرورة الا اننا وجدنا المعربات تكاد تزاحم الألفاظ العربية وكثرت بصفة خاصة فى مصطلحات الكيمياء والجيولوجيا والطب وفى مجموعات المصطلحـات التى نشرها المجمع أمثلة كثيرة نكتفى هنا بضرب أمثلة لبعض الظواهر :

١ ـ كان للقرارات الخاصة بادخال حروف جديدة على الحروف العربية الشائعة أثرها اذ وجدنا المجمع يستعملها فى معرباته من ذلك :

● المسكـوفيت (فى الجيـولوجيا) Muscovite نوع من معادن الميكة أبيض اللون ذو بريق معدنى وعندما يتشقق يصير ألواحا شفافة .
● التوباز (الياقوت الأصفر) (فى الجيولوجيا) Topaz
● حمض فاليريك (فى الكيمياء) Valeric acid

٢ ـ مازالت المصطلحـات الكيميـائية محافظة على تلك الظاهرة التى لم يستعملها العرب الا فى عصور تدهورهم وهى تركيب المصطلح من كلمتـين كل منهما تنتمى الى لغة . . مثال ذلك :

- سكروز (كيمياء) Sucrose سكر القصب.
- كبريتات Sulphates
- كبريتيد Sulphide
- كبريتوز Sulphurous
- حامض زيتيك Oleic acid
- كحلائين (أحياء) Anchusin
- الفروكهربية Ferroelectric

هذه نظرة خاطفة فى المنهج الذى رسمه المجمع لنفسه لمواجهة مشكلة المصطلحات ومدى تطبيقه لها. ولا نحب أن نختم حديثنا عنها دون أن نعرض للمعجمات الاصطلاحية التى أصدرها المجمع.

المعاجم الاصطلاحية:

تتفاوت لجان المجمع من حيث الكم فى معالجتها للمصطلحات وقد رأت بعضها بعد أن توفرت لها كمية من المصطلحات أن تبوبها وتنظمها وفق الترتيب المعجمى وتنشرها. على ان يكون هذا المعجم نواة لمعجم أكبر ينمو على مر السنين. والمعجمات التى نشرها المجمع هى:

١ - معجم الجيولوجيا: وقد أخرجه المجمع عام ١٩٦٥م مشتملا على نحو ١٢٠٠ مصطلح. ثم لما توفرت للجنة طائفة أخرى من المصطلحات أعاد نشره سنة ١٩٨٢م محتويا على نحو ٤٥٠٠ مصطلح. وقد زودت هذه الطبعة التى تقع فى ٦٤٤ صفحة بنحو ٢٣٨ رسم توضيحى.

٢ - المعجم الجغرافى: ويحتوى على أكثر من ١٥٠٠ مصطلح ويقع فى ٢٠٠ صفحة. وقد بدأت لجنة الجغرافيا فى دراسة المصطلحات مرتبة ترتيباً هجائيا وفق الهجاء اللاتينى بعد أن تفرعت «لجنة التاريخ والجغرافيا» إلى لجنتين منفصلتين وعرضت أول مجموعة على مؤتمر الدورة الثلاثين فى ٥، ٩ من مارس سنة ١٩٦٤م. ثم نشر المعجم كاملا بعد الانتهاء منه سنة ١٩٧٤م.

٣ - معجم الفيزيقا النووية والالكترونيات. وقد نشر سنة ١٩٧٤م فى ١٨٢ صفحة ويحوى نحو ١٢٠٠ مصطلح.

٤ - المعجم الفلسفى: كانت لجنة الفلسفة تعالج المصطلحات غير مقيدة بالترتيب الهجائى ثم لما رأت أن الحصيلة التى أعدتها كبيرة درستها مرتبة وفق حروف الهجاء اللاتينية على أن تضمنها ما سبق أن درسته واضعة إياه فى ترتيبه. وكانت تنشر هذه المصطلحات فى مجاميع المصطلحات شأن غيرها من المصطلحات العلمية وأول مجموعة وتشمل حرف الـ «A» - عرضت على مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين فى ١٩/١/١٩٦٣م. ولما انتهت اللجنة من المعجم نشره المجمع سنة ١٩٧٩م وهو يقع فى ٣٢٦ صفحة ويشتمل على نحو ١٣٠٠ مصطلح. ثم نفدت نسخه وأعيد طبعه.

٥ - معجم الكيمياء والصيدلة وقد نشر الجزء الأول سنة ١٩٨٣م ويبدأ بحرف الـ «A» ويختتم بالحرف «L» وهو فى ٢٤٠ صفحة.

٦ - معجم الفيزيقا الحديثة وصدر الجزء الأول سنة ١٩٨٤م ويشتمل على المصطلحات التى تندرج تحت الحرف «A» إلى «L» وهى فى نحو ٢٤٠٠ صفحة - وفى المطبعة الجزء الثانى ويشمل بقية الحروف من «M» إلى «Z» وملحق به فهرس بالمصطلحات العربية مرتبة ترتيبا هجائيا عربيا.

٧ - معجم البيولوجيا فى علوم الأحياء والزراعة: نشر الجزء الأول سنة ١٩٨٤ ويبدأ بحرف الـ «A» وينتهى بحرف الـ «N» ويقع فى ١٦٠ صفحة.

٨ - معجم علم النفس والتربية: صدر الجزء الأول سنة ١٩٨٤ مشتملا على مصطلحات تبدأ بالحرف «A» وتنتهى بالحرف «S» وعدد صفحاته أربع وتسعون.

٩ - المعجم الطبى: صدر الجزء الأول سنة ١٩٨٥ فى ٣٣٤ صفحة ويشتمل على الأحرف A و B و C.

١٠ - معجم الهيدرولوجيا: وفيه نحو ٢٠٠٠ مصطلح تتصل بالمياهيات كالقنوات والترع والسدود والخزانات فى نحو ١٧٠ صفحة وقد صدر هذا العام.

١١ - معجم ألفاظ الحضارة: صدر سنة ١٩٨٠ فى ١٨٠ صفحة. ولا نستطيع أن نعده معجما بالمعنى الدقيق.. لأن الألفاظ الواردة به لم ترتب كلها ترتيبا هجائيا واحدا

وإنما رأى القائمون على إخراجه أن يكون قسمين: الأول ويشتمل على ألفاظ الحضارة والثانى ويتناول مصطلحات الفنون. ويندرج تحت كل قسم عدة موضوعات رتبت المصطلحات الواردة تحت كل موضوع ترتيبا هجائيا وفق الهجاء اللاتينى ثم ألحق به الألفاظ العربية لكل موضوع مرتبة ترتيبا هجائيا عربيا. وفيما يلى بيان بالموضوعات التى تناولها:

القسم الأول «ألفاظ الحضارة»

١ - الثياب وما يتعلق بها - المأكولات - المنزل والأدوات المنزلية.
٢ - الاماكن وما يتعلق بها - المكتب وأدواته - المركبات وما يتعلق بها - الحرف والصناعات والمواد المستخدمة فيها.
٣ - التربية الرياضية - الفاظ متنوعة.

القسم الثانى «مصطلحات الفنون»

١ - ألفاظ الفنون التشكيلية ومصطلحاتها:
«فن التصوير - مذاهب الفن الحديث - فن النحت - فن المرسومات - الخزف.
٢ - الموسيقا.
٣ - السينما.

ثالثا: وضع المعجمات اللغوية:

لا نكون مغالين إذا قلنا إن اللغة العربية أغنى اللغات بالمعجمات اللغوية وهذه المعجمات تنقسم فى تبويبها الى أصناف رئيسية أربعة:

أقدم هذه الأصناف المرتب وفق مخارج الحروف بدءاً من حروف الحلق وانتهاء بالحروف الشفهية. وانتهجت مبدأ التقليبات فصاحب المعجم لا يكتفى بإيراد الكلمة وفق المخارج وإنما يقلبها ويذكر معانيها وفق هذه التقليبات أو وفق بعضها لأن العربى لم يستعملها كلها. هذه المعجمات تعرض مثلا فى (حرف القاف) كلمة «قلب» (والقاف أسبق من اللام مخرجا وهى أسبق من الباء) وتعرض كذلك بعد الانتهاء من دلالتها: «قبلة» ولقب ولبق وبقل و«بلق» ثم إذا جاءت الى هذه الكلمات فى ترتيبها لا تعرض لها اكتفاء باستيفائها من قبل. ورائد هذا النظام هو الخليل بن أحمد وتبعه اخرون كالأزهرى فى تهذيب اللغة وابن سيده فى المحكم.

الصنف الثانى بدأ بالحروف الهجائية والتزم مع ذلك بمبدأ التقليبات فيذكر (بقل) فى حرف الباء (وهو أسبق من القاف ترتيبا هجائيا، والقاف أسبق من اللام) ويذكر معها «بلق» و«قلب» و«قبل» و«لبق» و«لقب» ويتمثل هذا الصنف فى جمهرة اللغة لابن دريد.

أما **الصنف الثالث** فهو الذى تبحث فيه عن معنى الكلمة فى لامها أعنى الحرف الأخير ويسمى الباب أو الحرف وترتب المواد الخاصة به وفق أول الكلمة، فكلمة قلب يبحث عنها فى «لسان العرب» فى حرف الباء فصل القاف وهذا الصنف لا يتناول تقليبات الكلمة.

واما **الصنف الرابع** فقد رتب الكلمات الترتيب الهجائى. وممن سار على هذا النهج الزمخشرى فى أساس البلاغة والفيومى فى «المصباح المنير».

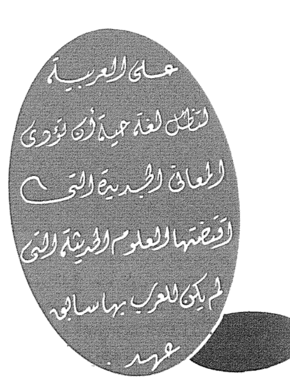
ولقد امتاز كل معجم من المعجمات القديمة بنهج خاص يميزه على أنه لا يعيبها وخاصة أكثرها مادة وأوسعها شهرة وهو اللسان - سوى صعوبة البحث فيها عن المعنى المراد.

وجاء العصر الحديث وألفت عدة معاجم لغوية حرصت على ان تقدم الدلالات المطلوبة للباحث فى سهولة ويسر كما انها صرحت على أن تتضمن المعانى المولدة وخاصة «محيط المحيط» و«المنجد». وجاء المجمع وأراد أن يقدم للمثقف العربى معجما يكون عونا له فى الحصول على معنى اللفظ الغريب الذى يستغلق عليه فهمه. ولما كان المثقفون متفاوتين فى درجات تعلمهم اقتضى ذلك منه أن يضع ثلاثة معاجم تفى بحاجة كل

طائفة وهى المعجم الوسيط والمعجم الوجيز والمعجم الكبير.

نهج المعجمات الثلاثة فى ترتيب المادة:

واتفقت هذه المعجمات الثلاثة فى نهجها فهى تبدأ بالأفعال فإذا ما انتهت منها تناولت الاسماء. وبالنسبة للأفعال قدمت المجرد على المزيد واللازم على المتعدى ورتبت الأسماء ترتيباً هجائيا. وصرحت على أن يتقدم داخل ترتيب الأفعال والاسماء المعنى الحسى على المعنوى والحقيقى على المجازى ولم تذكر المضارع من الأفعال الثلاثية وإنما رمزت للحركات بوضع شرطة فوقها فتحة أوضمة أو تحتها كسرة (ـِ) دلالة على حركة عين المضارع. على ان المجمع نص فى المعجم الكبير ـ الذى وضع للخاصة ـ على كل أبواب الفعل وتخفف منها فى الوسيط وأكثر من التخفيف فى الوجيز. وبالعكس من هذا استعان بالصورة لتوضيح بعض المسميات فأكثر منها فى الوجيز وخفف فى الوسيط واكثر من التخفيف فى الكبير.



هذا وقد وضع المجمع الى جانب هذه المعجمات الثلاثة معجماً لألفاظ القرآن الكريم ونشر نموذجاً من معجم كان قد أعده المستشرق الألمانى فيشر.

■ وفيما يلى عرض سريع لنشاط المجمع المعجمى:

١ ـ المعجم الوسيط يرجع التفكير فى هذا المعجم إلى سنة ١٩٣٦ حين قرر المجمع وضع معجم وسيط يتناول من المصطلحات العلمية الصحيحة ما يتعلق بالاسباب الدائرة بين الناس، وذلك لسد حاجة طلاب التعليم الثانوى ومن فى مرتبتهم وجمهرة المثقفين من أبناء العروبة وسار المجمع فى إعداده ما بين البطء والسرعة إلى أن صدر الجزء الأول سنة ١٩٦٠ ثم تبعه الجزء الثانى بعد ذلك بعام.

ولقد لقى المعجم بين جمهور المثقفين رواجا كبيرا مما جعل المجمع يشكل لجنة من اعضائه لمراجعته والنظر فى الملاحظات التى وردت بشأنه من القراء وبعد أن فرغت اللجنة من النظر فيه أعيد طبعه منقَّحاً سنة ١٩٧٣م. ولإقبال المثقفين عليه طبع منه سنة ١٩٧٩ خمسة آلاف نسخة. ثم أعاد المجمع النظر فيه مرة ثالثة فكون لجنة لهذا الغرض وصدرت أخيرا الطبعة الثالثة وهى الآن قيد التوزيع.

وعندما فكر المجمع فى هذه الطبعة الأخيرة رأى أن يزوده بقسم موسوعى يترجم للأعلام المشهورة ترجمة سريعة وكون لجنة لهذا الهدف ووضعت أكثر من ثلاثة آلاف علم إلا أن المجمع أرجأ طبع هذا القسم.

وهذا ونحب أن ننبه إلى أن الاقبال المتزايد على اقتناء الوسيط جعل بعض دور النشر خارج مصر تقوم بتزويره وتطبع منه مئات الآلاف من النسخ. ونحب أن ننبه القارىء الى أن تلك الدور صورت الطبعة الأولى فقط ونسيت أو تناست أن فى كل من الطبعتين الثانية والثالثة تنقيح وزيادة والمسئول الأول عن ذلك هو المجمع لأن الكميات التى يطبعها تعد قليلة إذا ما قيست إلى حاجة المثقفين للمعجم.

٢ ـ المعجم الوجيز ظهر المعجم الوسيط وأقبل

عليه المثقفون لكن القائمين عليه لم يلتزموا بتنفيذ ما قرره المجمع عند البدء فى إعداده وهو أن يسد حاجة طلاب التعليم الثانوى ومن فى مستواهم. وذلك إذ اعتورته أيد عديدة كان لكل منها وجهة نظر تختلف عن الأخرى فزيدت فيه مواد لا يحتاج إليها طالب التعليم الثانوى بل الجامعى وأصبح لمستوى الخريجين من الجامعة بل والمثقفين المتخصصين فى العربية. فإذن كان لابد من معجم لطلاب التعليم الثانوى ومن فى مستواهم وكان من بين توصيات مؤتمر المجمع فى الدورة التاسعة والثلاثين (١٩٧٣م) رغبة «بوضع معجم مدرسى يلبى حاجة طلاب المدارس الثانوية ودور المعلمين والمعلمات وما فى مستواها حيث أصبحت الحاجة إلى هذا المعجم ضرورة وطنية وقومية لخدمة اللغة العربية».

وتقدم المجمع بهذه التوصية إلى وزارة التربية والتعليم مبديا استعداده لأن يسهم بجهده العلمى وخبرته الفنية فى وضع هذا المعجم متى شاءت الوزارة وتمت اجتماعات ثنائية بين ممثلين للوزارة وممثلين للمجمع ثم استقل المجمع بإعداده وقضى فى تأليفه بضع سنوات متخذا «الوسيط» الأصل فكان بمثابة اختصار له وقد ظهر سنة ١٩٨٠م.

٣ ـ المعجم الكبير: عندما انتهى المجمع من اعداد مواد المعجم الوسيط إعداداً أولياً رغب فى أن يخرج للناس معجماً كبيراً يجمع بين دفتيه مواد اللغة العربية شاردها وواردها مستشهدا على الدلالات الواردة فيه بالآثار الأدبية من نثر وشعر. كما يضم بين دفتيه أسماء المشاهير من الأعلام أشخاصاً كانوا أو بلداناً وقدراً من مصطلحات العلوم والفنون.

وبدأ المجمع سنة ١٩٤٦ يناقش النهج الذى يجب أن يسير عليه العمل فى هذا المعجم ثم كون لجنة لهذا الغرض أخرجت للناس مجلدا يشتمل على مواد من أول حرف الهمزة إلى مادة (أخى) ويقع فى ٤٢٨ صفحة من القطع الكبير وعدَّ المجمع هذا الجزء تجربة دعا المتخصصين من قراء العربية من عرب ومستشرقين أن يبدوا رأيهم فيها. وفى سنة ١٩٦١م أخذت لجنة المعجم الكبير تعيد النظر فى نهج المعجم واستقر رأيها بعد دراسة مستفيضة أن تعدل إلى نهج جديد رأت أنه الأقوم والأمثل.

والمنهج القديم هو أن تثبت المعانى الكلية لكل مادة فى صدرها ثم تذكر فروع كل مادة على حدة: الفعل المجرد اللازم والمتعدى ومزيدات الفعل والأسماء. ثم اذا انتهى من ذكر معنى تناول المعنى الثانى أفعاله وأسماءه وهكذا. فإذا أردنا أن نبحث عن معنى اسم معين وكان عادة هذا الاسم ثلاثة معان كلية بحثنا عنه فى ثلاثة مواضع. أما المنهج الجديد فقد رأى تسهيلا على الباحثين أن يكتفى بذكر المعانى الكلية فى صدر المادة ثم يذكر المادة كلا دون تجزئة بين معنى وآخر مبتدئا بالأفعال: المجرد ثم المزيد مقدما اللازم على المتعدى ثم ينتقل إلى الأسماء متبعا فى ترتيبها النظام الهجائى ـ كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن نهج المعجمات الثلاثة فى ترتيب المادة. . يمتاز بسهولة تأليف مادته وبسهولة الكشف عن المعنى المطلوب.


د. عبدالله الطيب، الشيخ الجاسر، بن خميس في إحدى الجلسات.

ووفقا لهذا سارت اللجنة وأخرج المجمع إلى جمهور القراء الجزء الأول منه سنة ١٩٧٠ مشتملاً على حرف الهمزة فى ٧٢٠ صفحة وأخرج الثانى عام ١٩٨٠ ويحوى حرف الباء. ويعد الثالث ليقدمه للمطبعة مشتملا على حرفى التاء والثاء وأعد إعداداً أولياً حرف الجيم الذى سيتضمنه الجزء الرابع وطائفة من مواد حرف الحاء وستكون هى وبقية مواد هذا الحرف الجزء الخامس.

> اجتمع للمجمع علماء أخيار امتازوا بالجدية والغيرة على لغة الضاد فعملوا على كل ما من شأنه أن يسمو بالعربية.. كل فى مجال تخصصه

هذه هى المعاجم اللغوية الثلاثة التى رأى المجمع أن يخرجها للناس متفاوتة فى عرضها للمادة يلبى كل واحد منها مطالب فئة من الناس ويجيب عن استفساراتها اللغوية.

بقى بعد هذا أن نقف مع المعجمين الآخرين اللذين أخرجهما المجمع وهما: «المعجم اللغوى التاريخى لفيشر، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم».

المعجم اللغوى التاريخى تأليف المستشرق الالمانى أوغست فيشر، نشر المجمع القسم الاول ويشتمل على مقدمة عرض فيها للمعاجم العربية السابقة وتكلم عن العرب الذين يحتج بكلامهم. والمراجع التى اتخذها فى اعداد معجمه والرموز التى استعملها مشيرا بها إلى تلك المراجع كما اشتمل على المواد من أول حرف الهمزة إلى مادة (أبد). وكان فيشر قبل اختياره عضوا بالمجمع مهتما بإعداد معجم لغوى تاريخى يقف به فى نهاية عصور الاحتجاج باللغة.



وبعد افتتاح المجمع رغب فى أن يتولى المجمع طبعه بعد انجازه فاستجاب لرغبته وعين له محررين يساعدونه فى جمع المادة. . ثم قامت الحرب العالمية الثانية فاضطر للعودة إلى وطنه. . وانتهت الحرب ولكنه لم يتمكن من العودة إلى القاهرة لمرضه وتوفى سنة ١٩٤٩م. . وقام المجمع بطبع هذا الجزء من المعجم وهو الذى رأى أنه صالح للنشر. أما الجزازات فكانت موزعة ما بين ألمانيا والقاهرة وقام المجمع بنسخ الأخيرة منها فى ملفات مرتبة ترتيبا هجائيا وفق موضع الشاهد.

معجم ألفاظ القرآن الكريم : ترجع فكرة هذا المعجم الى سنة ١٩٤١م حين اقترح الدكتور محمد حسين هيكل على المجمع فكرته وبعد أن درس المجمع الفكرة وناقش النهج الذى يجب أن يكون عليه شكل لجنة لإعداد مواده استعانت بطائفة من الخبراء والنهج الذى اتبع فى تأليفه هو بصفة عامة:

■ اذا كانت الكلمة القرآنية ترد فى القرآن بمعنى واحد:

● تشرح شرحا لغويا أولا فإن كانت فعلا مجردا ذكر بابه ومصدره ومشتقاته إن كان لهذه المشتقات ورود فى القرآن الكريم. وان كانت فعلا مزيدا ذكر معناه ثم ذكرت مشتقاته على النحو السابق وإن كانت اسما اكتفى بمعناه وإن كانت مصدرا ذكر معناه وفعله.

● يبين أن الكلمة وردت فى القرآن الكريم فى كذا موضعا وأنها جاءت فى كل هذه المواضع بالمعنى الذى ذكر آنفا.

■ إذا كانت للكلمة القرآنية معان لغوية مختلفة:

● ينص على المعانى اللغوية كلها ويبين نوع الفعل والمصدر وتذكر المشتقات التى وردت من هذه المادة.

● يؤخذ أولا اكثر المعانى دورانا فى القرآن الكريم وينص على أن الكلمة وردت بهذا المعنى فى كذا وكذا موضعا ويذكر مثالان من الآيات مع اسم السورة ورقم الآية ثم يكتفى بعد ذلك بما جاء من هذا المعنى بذكر السورة ورقم الآية.

● تذكر المعانى الأخرى معنى بعد آخر ويذكر بعد كل معنى عدد الآيات التى جاءت فيها الكلمة بهذا المعنى ويكتفى بمثال ثم تذكر السور وأرقام الآيات الأخرى.

■ وفيما يلى نموذج من هذا المعجم:

ب ر ز

(برز - برزوا - بارزة - بارزون - بُرِّزت)

(١) برز - كخرج - يبرز بروزا: ظهر فهو بارز وهى بارزة وهم بارزون

وبرز: خرج.

برز: ﴿قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾. . ١٥٤/آل عمران أى لخرج.

برزوا: ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا﴾ ٢٥٠/ البقرة و٨١/ النساء وهى فيهما بمعنى خرجوا. وفى قوله تعالى ﴿وبرزوا لله جميعا﴾. ٢١/ إبراهيم أى خرجوا من قبورهم ليحاسبهم الله أو ظهروا بسيئاتهم ومثلها ٤٨/ إبراهيم.

بارزة: ﴿وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ ٤٧ الكهف أى ليس عليها ما كان يسترها من جبال وتلال وغيرها.

بارزون: ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء﴾ ١٦/ غافر أى ظاهرون أو خارجون من قبورهم.

(٢) وبرّز الشىء تبريزا وأبرزه: أظهره وبينه.

بُرِّزت: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين وبُرِّزت الجحيم للغاوين﴾ ٩١/ الشعراء و٦ - النازعات.

أتمت اللجنة جمع المادة جمعا أولياً ثم أخذت تعيد دراسته وتعرض ما تنجزه على المؤتمر فإذا ما وجدت اللجنة بين يديها كمية تكون جزءاً طبعه المجمع. وبعد أن أصدر ثلاثة أجزاء: الأول سنة ١٩٥٣، والثانى سنة ١٩٥٩، والثالث سنة ١٩٦١م. (تشمل المواد من الهمزة إلى السين). . رأى إنجازا للمعجم بعد أن استقر المنهج أن يعهد بقية المعجم إلى أعضاء اللجنة حينذاك ليتولى كل منهم إنجاز أحد الأجزاء وكلف الأستاذ أمين الخولى بالرابع والأستاذ حامد عبد القادر بالخامس والشيخ محمد على النجار بالسادس. . وصدرت الأجزاء تباعا فيما بين سنتى ١٩٦٤م و١٩٧٠م ثم ظهرت للمعجم بعد ذلك طبعتان اخريان.

ورأى المجمع فى سنة ١٩٨٢ أن يُكوِّن لجنة تعيد النظر فى المعجم قبل طبعه للمرة الرابعة تتدارك فيها ما قد يكون فى الطبعات السابقة من نقص كما توحد صياغته ليكون على نسق واحد ذلك لأن الأعضاء الثلاثة الذين عهد إليهم اتمام المعجم تأثروا بثقافاتهم فالأستاذ الخولى - كما هو معروف - عالم بأصول الفقه وعلم الكلام، والأستاذ حامد عبد القادر كان من علماء الساميات، والشيخ النجار كان لغويا محافظا فأضفى كل منهم على المعجم من علمه. وقد قدم المجمع القسم الأول من المعجم للمطبعة وأوشكت اللجنة على الانتهاء من قسمه الآخر.

أنصت المجمع عندما أخذ الشيخ بن خميس ينشد أبياتا من الشعر النبطي السعودي

رابعا: تشجيع الانتاج اللغوى والأدبي:

لم يكتف المجمع فى خدمته للعربية بالمجالات الثلاث التى عرضناها وإنما أراد أن يشجع العاملين فى خدمة اللغة خارج أسوار المجمع وحرص على أن يكون التشجيع للغة فى ماضيها وحاضرها ويتمثل الماضى فى إحياء التراث أما الحاضر فيتمثل فى التشجيع الأدبى ولنعرض لكل منها:

١ - إحياء التراث

حقيقة ان نشر التراث يتولاه ويقوم به دور النشر كدار المعارف بالقاهرة ونشاطها فى ذلك واضح وملموس إلا أن مرسوم إنشاء المجمع وكذلك المراسيم والقوانين المعدلة له نصت على الاهتمام بالتراث ونشره مما جعل المجمعيين يحرصون على المشاركة فى إحياء التراث، خاصة وأن من مهمة المجمع إصدار المعاجم اللغوية والتأليف المعجمى يحتاج إلى الرجوع إلى أمهات الكتب اللغوية ومثل هذه الكتب تحتاج إلى تحقيق دقيق.. لذا فإن تحقيق المجمع يتميز بالاقتصار على نوع معين من الكتب، وهو الكتب اللغوية يختارها وينتخب من يقوم بتحقيقها أو يدقق النظر فيما يقترحه عليه بعض المحققين الذين يرغبون فى أن ينشر المجمع لهم كتابا معينا.

اختيار المجمع إذن مبنى على أمرين: نوعية الكتاب المحقق، ونوعية المحقق نفسه وكثيرا ما عرض عليه بعض المحققين كتابا معينا فرفضه لعدم قيمة الكتاب العلمية أو للشك فى نسبته لصاحبه. رغم اعترافه بجودة التحقيق وتنويهه بذلك.

وموقف المجمع من التراث ذو شقين أحدهما: نشر التراث، وثانيهما تشجيع لمن ينشرون التراث.

الأول: نشر التراث: يرجع اهتمام المجمع بنشر التراث الى عام ١٩٥٧ حين كون له لجنة من السادة أعضاء المجمع الدكتور طه حسين والاستاذ عباس العقاد والاستاذ ابراهيم مصطفى والاستاذ محمد على النجار وكانت مهمتها اختيار النصوص الجديرة بالنشر واقتراح أسماء المحققين والاشراف على تحقيقها وذلك فى خطة خمسية وكان ذلك بناء على توصية للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وقد شملت هذه التوصية أن تقوم ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية بالنشر وأن تتولى دار الكتب جمع التراث.

ثم اختارت اللجنة طائفة من الكتب واقترحت اسماء المحققين.. ومن هذه الكتب «تهذيب اللغة للأزهرى وإعراب القرآن للزجاج وسر صناعة الاعراب لابن جنى.

ثم رأى المجمع أن يسهم فى نشر التراث وأول كتاب طبعه سنة ١٩٦٥ بتحقيق الاستاذ عبد الله كنون عضو المجمع. وهو الكتاب الوحيد الذى نشره المجمع لأحد أعضائه أما الكتب الأخرى التى نشرت فاكتفى الأعضاء بمراجعتها.

● وفيما يلى بيان بما نشره المجمع:

١ ـ عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب تأليف أبى بكر محمد بن موسى الحازمى الهمدانى المتوفى سنة ٥٨٤هـ تحقيق عضو المجمع الأستاذ عبد الله كنون طبع سنة ١٩٦٥ وأعيد طبعه ١٩٧٢م.

٢ ـ التكملة والذيل والصلة للحسن بن محمد الصغانى المتوفى سنة ٥٧٧هـ ويقع فى ستة أجزاء: الأول والرابع بتحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوى ومراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن، والثانى والخامس بتحقيق الأستاذ إبراهيم الابيارى ومراجعة الاستاذ محمد خلف الله أحمد والثالث والسادس بتحقيق الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ومراجعة الدكتور مهدى علام وصدر فيها بين عامى ١٩٧٠ و١٩٧٩م وهو استدراك على الصحاح للجوهرى.

٣ ـ ديوان الأدب لاسحاق بن إبراهيم الفارابى المتوفى سنة ٣٥٠هـ تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر ومراجعة الدكتور إبراهيم أنيس وهو معجم لغوى مرتب حسب الأبنية (الأوزان) ورتبت الكلمات داخل كل وزن وفق الباب والفصل وهو المنهج الذى سار عليه ابن أخت المؤلف (الجوهرى صاحب كتاب تاج اللغة وصحاح العربية) وصدر الكتاب فى أربعة أجزاء من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٨٠م.

٤ ـ الجيم لأبى عمرو الشيبانى المتوفى فى أوائل القرن الثالث وهو فى أربعة أجزاء: الأول تحقيق الاستاذ ابراهيم الابيارى ومراجعة الاستاذ عبد الحميد حسن والثانى بتحقيق الاستاذ عبد العليم الطحاوى ومراجعة الدكتور مهدى علام والثالث بتحقيق الاستاذ عبد الكريم العزباوى ومراجعة الاستاذ عبد الحميد حسن. أما الرابع فيشتمل على فهارس الكتاب. والجيم معجم لغوى مرتب حسب حروف الهجاء وإن لم يراع الترتيب داخل الحرف الواحد صدر الأول منه سنة ١٩٧٤ والأخير سنة ١٩٨٣م.

٥ ـ الأفعال لأبى عثمان سعيد بن محمد المعافرى السرقسطى (المتوفى بعد ٤٠٠هـ) تحقيق الدكتور حسين محمد شرف ومراجعة الدكتور مهدى علام.. صدر فى أربعة أجزاء فيما بين ١٩٧٥ و١٩٨٠م.

٦ ـ الابدال لأبى يوسف يعقوب بن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٣هـ) تحقيق الدكتور حسين شرف ومراجعة الاستاذ على النجدى.. طبع سنة ١٩٧٨م.

٧ ـ التنبيه والايضاح عما وقع فى الصحاح لعبد الله بن برى (المتوفى سنة ٥٨٢) المعروف بحواشى ابن برى، وهو أحد الأصول الخمسة لمعجم «لسان العرب» والمخطوط منه ينتهى بمادة (وقش) ويشمل ما فى الاجزاء الثانية من اللسان ونشر فى جزأين: الأول بتحقيق الاستاذ مصطفى حجازى ومراجعة الاستاذ على النجدى سنة ١٩٨٠ والثانى بتحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوى وتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون سنة ١٩٨١م.

٨ ـ الشوارد (أوما تفرد به بعض أئمة اللغة) للصغانى تحقيق الأستاذ مصطفى حجازى ومراجعة الدكتور مهدى علام.. طبع سنة ١٩٨٣م.

٩ ـ غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٣٢٣هـ) تحقيق الدكتور حسين محمد شرف وقد ظهر الجزآن الأول بمراجعة الاستاذ عبد السلام هارون سنة ١٩٨٤م والثانى بمراجعة الاستاذ محمد عبد الغنى حسن سنة ١٩٨٥م وسيتولى مراجعة الجزءين الثالث والرابع الدكتور مهدى علام.

١٠ ـ التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة.. تأليف السيد محمد مرتضى الزبيدى (المتوفى سنة ١٢٠٥هـ) وقد قدرت اللجنة أن يكون فى ثمانية أجزاء قدم الأول والثانى للمطبعة بتحقيق الأستاذ مصطفى حجازى ومراجعة الدكتور مهدى علام.

١١ ـ شرح شواهد الايضاح لأبى على الفارسى تأليف عبد الله بن برى تحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش ومراجعة الدكتور مهدى علام وقد تم طبعه.

الثانى: تشجيع المحققين: ونعنى بالتشجيع هنا تخصيص جوائز للكتب اللغوية المحققة تحقيقا علميا ويعود ذلك إلى سنة ١٩٧٩م. حين أعلن المجمع عن ذلك وقرر منح جائزة قيمتها ٥٠٠جم لأحسن كتاب محقق فى اللغة أو ما يتصل بها فى خلال السنوات الأربع السابقة لآخر ميعاد لقبول النصوص ثم جعلها جائزتين عام ١٩٨٢م: أولى وقدرها ألف جنيه والثانية وقدرها ٥٠٠ جنيه واشترط ألا يقل النص المحقق عن عشرين ملزمة من

ذوات الست عشرة صفحة.

على أن تشجيع المجمع للتراث يرجع فى الواقع الى ما قبل سنة ١٩٧٩م بعشرين عاما إذ جعل نصيبا من جائزة تشجيع الانتاج الأدبى لاحياء التراث فقد فاز بالجائزة فى احياء التراث لسنة ٤٩/١٩٥٠م ثلاثة أصبحوا فيما بعد من أعلام العربية وهم الاستاذ عبد السلام هارون والدكتورة بنت الشاطىء والدكتور طه الحاجرى.

ب - تشجيع الانتاج الأدبى

من لجان المجمع التى تجتمع بصفة دورية «لجنة الأدب» وهذه اللجنة تعلن كل عام عن مسابقة فى موضوع معين ويتولى أعضاؤها فحص النصوص المقدمة للمسابقة وتنتهى الى اختيار أجود النصوص المقدمة للمسابقة وفق العدد المعلن عنه ويمنح كل من النصوص الفائزة درجة فوز معينة وبالتالى قيمة معينة من المال ولابد من إقرار المجلس لما انتهت إليه اللجنة وموضوع المسابقة لهذا العام (١٩٨٦/٨٥) «رواية اجتماعية عن الحياة فى مدينة من المدن الجديدة» لا تقل عن ثلاثين ألف كلمة وهى مفتوحة للأدباء فى جميع البلدان العربية ولها جائزتان وآخر ميعاد لتقديمها ٣١ من مارس (أذار) سنة ١٩٨٦م.



د. حسين مؤنس — د. شوقى ضيف

ويرجع تاريخ الجوائز فى المجمع الى سنة ١٩٤١م ولم تكن قيمة المكافأة مرصودة فى أول الأمر بميزانية المجمع فتولى رفعها بعض الموسرين لمدة أربع سنوات واستمر المجمع منذ ذلك الحين يعلن عن المسابقة كل عام حتى سنة ١٩٥٦م حين توقفت إلى سنة ١٩٦٣م.

وكان المجمع يعقد جلسة علنية كل عام ينوه فيها بالفائزين وظل يقوم بهذه السُنة الحميدة إلى سنة ١٩٦٦م.

هذا ونحب أن نشير إلى أن كثيرين من أعلامنا المشهورين فى الأدب قد نالوا جائزة المجمع فى بداية حياتهم ومنهم من أصبح عضوا بالمجمع نذكر منهم:

الاستاذ نجيب محفوظ والاستاذ سعيد العريان والسيدة جاذبية صدقى والدكتورة سهير القلماوى والدكتور شوقى ضيف والشعراء: الاستاذ محمد الأسمر والاستاذ محمود غنيم والأستاذ محمود حسن اسماعيل والاستاذ على الجندى والدكتور محمد رجب البيومى.

وأحب أن أقرر أن الذين يتولون الحكم فى المسابقات الأدبية هم علماء أجلاء يحكمون فى النصوص المقدمة اليهم دون نظر إلى مكانة أصحابها ومدى شهرتهم أقول هذا من واقع التجربة إذ قدر لى أن أتولى أمانة هذه اللجنة نحو عشرة أعوام. وأذكر أنه فى عام ١٩٦٤م وكانت المسابقة عن أحسن ثلاثة دواوين شعرية تقدم لها ثمان وثلاثون ديوانا وكان من المتقدمين من ذاعت شهرتهم فى عالم الشعر ولكن اللجنة أجمعت على أن أفضل الدواوين لشاعر مغمور هو المرحوم الاستاذ محمد على حمد (أحد خريجى دار العلوم سنة ١٩٤٦م) والذى اختطفه الموت بعد فوزه بالجائزة ببضعة أعوام وأعتقد أنه لو عاش لأخذ نصيبا وافرا من الذكر الطيب بين الشعراء.

■ واليك أيها القارىء العزيز أبياتاً من إحدى قصائد ذلك الديوان الفائز وهى بعنوان «أمى»:

لا تُحدِّثْـنـــى كثـيرا عن بطــولات الــغُــزَاةِ الــفــاتحـين
لا تحدثــنـــى عن الــقُــوَّادِ والــروَّادِ فى ماضـــى الــسـنــين
عنْ طغــاة لوَّحَ الــنــاسُ لهم بالـــورد أو بالــيَــاسَــمِـيْن
عن فدائـيــين ضَحَّــوا فاسـتحقــوا الغــار من فوق الجبــين
إنهــا أسطـــورة الــتــاريــخ فى تمجـيــده للمــتْرَفـين
لا تحدثــنـــى فانـــى لم أعـــد أصــغـــى لمكــذوب الــرنــين
أنـــا لا أذكـــر الا مجد أمـــى من جميـــع الخــالـــديـن

●●●

لم تَكُــنْ أمــى كلوبــترا الــتــى استــولتْ على عرش البهـــاء
لم تكــن أمــى كجـــان درك الــتـــى ردَّت جيـــوش الـــدخـــلاء
لم تكـــن أمـــى كالخـنـســاء ضحَّــت ببـنـيـهـــا الــشـهـــداء
لم تكــن أمــى فلنتـيـنـــا الــتــى ارتــادت مفـــازات الــفضـــاء
انَّ أمـــى امـــرأة مغـــمـــورة مثـــل ملايـــين الـــنـــســـاء
إنهـــا أمــيَّـــةٌ فى الـــريـــف لا تعْـــرفُ أشــكـــالَ الهـجـــاء
نشأتْ مهـضـــو مـــةَ الحقِّ ككـــل الكـــادحـــين الشـــرفـــاء
وفـــمُ الـــتـــاريـــخ لا ينطـــقُ إلَّا عنـــد ذكـــر الأقـــويـــاء

●●●

مطبوعات المجمع

ذكرنا ونحن نتناول جهود المجمع العلمية ما أصدره متصلا بتلك الجهود وهو مجموعات المصطلحات والمعاجم اللغوية والمعاجم العلمية ونذكر هنا بقية ما أصدره من مطبوعات وإن كان منها ما ذكرناه مرجعاً فى الحواشى ـ لأنها تهم القارىء ويحرص على معرفتها، وهى:

١ ـ مجلة مجمع اللغة العربية وصدر منها حتى الآن ٤٩ عددا وفى المطبعة ٤ أعداد.

٢ ـ محاضر الجلسات: وهى سجل لما يجرى فى مجلس المجمع ومؤتمره من مناقشات حول ما يعرض عليها من أعمال كما يشتمل على البحوث التى تلقى فى المؤتمر والتعقيبات عليها. وكان المجمع قد أصدر محاضر الدورات الخمس الأولى كل منها فى مجلد، ثم توقف لظروف خارجة عن إرادته ثم رأى فى الدورة الخامسة والعشرين أن ينشر البحوث والمحاضرات التى تلقى فى المؤتمر والتعقيبات عليها واستمر فى النشر حتى انتهى من بحوث الدورة الخامسة والثلاثين وفى الدورة السادسة والثلاثين رأى أن يرجع إلى سنته الأولى فينشر المحاضر كاملة ولا يكتفى بالجديد منها بل ينشر فى الوقت نفسه محاضر من الدورات القديمة التى لم يتمكن من نشرها.

وأصدر حتى الآن محاضر الدورات السادسة والثلاثين إلى السابعة والأربعين ومحاضر الدورة السادسة إلى الرابعة والعشرين. وبقية المحاضر معدة للطبع إلا أن المجمع استن سنة غير حميدة ابتداء من محاضر الدورة الرابعة والأربعين إذ أخذ ينشر البحوث التى تلقى فى المؤتمر دون التعقيبات عليها فى مجلة المجمع مخصصا لها عددا مستقلا.. وبذا يرهق الباحث الذى يريد الرجوع إلى

عنـدمـا مات أبـى فى زهـرة الـعـمـر ولم يترك متـاعـا
واجـهـتْ أمـى مصـيراً يتحـدَّى كلَّ من كان شجـاعـا
كان آلاف المـعـزيـن يلمـون ويـمـضـون سراعـا
مصمصـوا أفـواههم واستشعـروا خوفـا عليهـا وارتيـاعـا
كيـف تقـوى هذه المـرأة؟ كلا ليس هذا مُسْتطـاعـا
وصـحـتْ أمـى على آخـر صوت قال يا أختـى وداعـا
فرأت مَنْ حولهـا سبعـةَ أطـفـالٍ صغـاراً وجيـاعـا
ماتَ راعـيـهـم ولم يترك لهم من بعـده إلا الـضـيـاعـا

●●●

حملتْ أمـى أجـلَّ الـعـبء فى صمت ومـا خارتْ قواهـا
حملتْـه وهـى لم تبـلغْ ثلاثـين ربـيـعـاً من صبـاهـا
حملتـه وحـدهـا لم تنتـدب فى شأنهـا حتـى أخـاهـا
ومـضـينـا يا صديقى نقطـع الـدرْبَ على وقـع خُطـاهـا
لم تنـمْ فى ليـلةٍ ما لم تهدهـدنـا برفـق راحـتـاهـا
لم تذق قط طعـامـا أو شرابـا لم تقـدمـه يداهـا
تمضـغ الحـرمـانَ والـصـبرَ ولا يدرك هذا من يراهـا
تنبـت البسمـة ـ لا الشكـوى ـ على أيـة حال شفتـاهـا

أحد البحوث إذ يقرؤه فى المجلة ثم يذهب إلى المحاضر ليطلع على ما دار حوله من مناقشات.

٤،٣ ـ تيسير الكتابة العربية: كتابان أصدرهما المجمع يحملان هذا الاسم أولهما: أصدره سنة ١٩٤٦م ويتضمن مشروعى الأستاذ عبد العزيز فهمى والأستاذ على الجارم بشأن تيسير الكتابة العربية ومناقشات السادة أعضاء المجمع التى دارت حولهما فى مؤتمر الدورة العاشرة (١٩٤٤م).. والآخر: صدر سنة ١٩٦١م ويتناول مراحل دراسة موضوع تيسير الكتابة فى المجمع وقواعد الشكل فى الكتب المدرسية والطريقة التى انتهى إليها المجمع باختصار صور الحروف إلى ١٣٥ صورة والتى أقرها مؤتمر الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩).

٥ ـ البحوث والمحاضرات: وهى كما قلنا البحوث التى تلقى فى المؤتمر ونشر المجمع منها بحوث الدورات الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين.

٧،٦ ـ مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما: وهو ثلاثة أجزاء أو بمعنى أدق ثلاثة كتب منفصلة.

● الاول: مجمع اللغة العربية: ماضيه وحاضره للدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام للمجمع ـ حينذاك ـ والرئيس الحالى له، ويعرض فيه لجهود المجمع فى الثلاثين سنة الأولى من حياته.

● الثانى: مجموعة القرارات العلمية إعداد الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع والأستاذ محمد شوقى أمين المحرر الأول حينذاك وعضو المجمع الآن.. وقد تناولا فيه القرارات التى أصدرها المجمع فى الدورات الثمانية والعشرين الأولى واكتفيا بذكر القرار وأشارا فى الحاشية الى تطوره والبحوث والمناقشات التى دارت حوله.

● الثالث: المجمعيون للدكتور محمد مهدى علام وفيه

ترجمة لاعضاء المجمع المئة الذين اختيروا أعضاء بالمجمع حتى صدور الكتاب سنة ١٩٦٦م.

٩ ـ فى أصول اللغة : ٣ أجزاء تناولت قرارات المجمع التى اقترحتها لجنة الأصول بدءاً من الدورة التاسعة والعشرين إلى الدورة السابعة والأربعين أى القرارات التى أقرها المجمع بعد طبع مجموعة القرارات العلمية. وهذا الكتاب لا يكتفى بتسجيل القرار والتعقيب عليه فى الحاشية وإنما يلحق بكل قرار البحوث التى كتبها حول السادة أعضاء اللجنة.

١٠ ـ الألفاظ والأساليب: جزآن يشتمل الأول منهما على الألفاظ والأساليب التى أقرها المجمع فى الدورات الخامسة والثلاثين إلى الحادية والأربعين وأعده الأستاذ شوقى أمين والأستاذ مصطفى حجازى ويشمل الثانى ما أقره المجمع فى الدورات الثانية والأربعين إلى التاسعة والأربعين وأعده الأستاذ محمد شوقى أمين وساعده فى الاعداد الأستاذ نادر صلاح الدين.

١١ ـ أحاديث مجمعية: مجموعة من الأحاديث الاذاعية ألقاها بعض السادة الأعضاء فى الاذاعة سنة ١٩٧٨م.

١٢ ـ مع الخالدين للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع وهو من مطبوعات المجمع التى أصدرها بمناسبة عيده الخمسين ومكون من ثلاثة ابواب.

١٣ ـ مجمع اللغة العربية للدكتور شوقى ضيف عضو المجمع وهو كتاب يؤرخ للمجمع ويتناول جهوده فى الخمسين سنة الأولى.

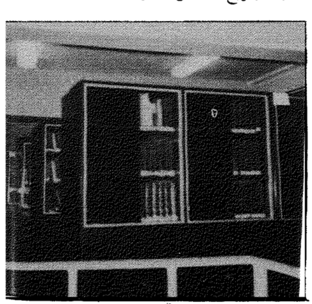
١٤ ـ المجمعيون فى خمسين عاما للدكتور محمد مهدى علام ويضم تراجم أعضاء المجمع فى الخمسين عاما الأولى.

١٥ ـ لغة تميم: دراسة تاريخية وصفية لكاتب هذا البحث. وهو الرسالة التى حصل بها على درجة الدكتوراه عرضها على لجنة اللهجات بالمجمع لاتفاقها وأهداف هذه اللجنة فاقترحت طبعها على نفقة المجمع.

١٦ ـ محمد خلف الله أحمد بقلمه كتيب يشتمل على مذكرات للمرحوم الاستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع دونها فى أخريات حياته عندما أقعده المرض. وقد عرضت أسرة الفقيد على المجمع فى حفل تأبينه أن يتولى طبعها وهى تعد نموذجا من الأدب الراقى ومرجعا لمؤرخ الأدب فى القرن العشرين.

مبنى المجمع

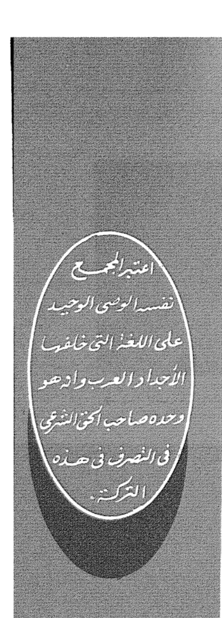
ولعل القارىء بعد هذا يتوق الى معرفة مقر المجمع فقد تدعوه الضرورة إلى الاتصال به للتزود مما انجزه والاستفادة من مقرراته.



● الطابق الثالث للمكتبة الخاص بالافرنجى

لقد تنقل المجمع بين أربعة دور كان أولها بالجيزة بالقرب من كوبرى الجامعة (بشارع ابن أرحب) ثم انتقل إلى شارع القصر العينى بالقرب من ميدان التحرير وظل به حتى سنة ١٩٥٦م حين نقل بالجيزة (٢٦ شارع [illegible]

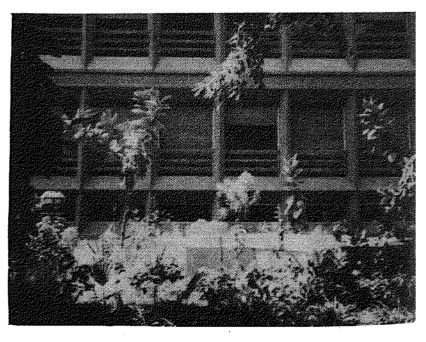
حسين «مراد سابقا») وظل به إلى أن قيض الله له هذا المقر الحالى الكائن بحى الزمالك بالقاهرة (١٥ شارع الشاعر عزيز أباظه) وقد تم تشييد هذا المبنى منذ ثلاث سنوات وروعى فيه أن يكون تصميمه على الطراز العربى وهو مكون من ستة طوابق بالاضافة إلى البدروم الذى يضم مخازن مطبوعات المجمع وأحد طوابق المكتبة الثلاثة (والطابقان الآخران لها بالدورين الأرضى والأول ويربط جلسات المجلس والمؤتمر. أما بقية الطوابق فقد خصص الثانى لهيئة تحرير المجلس والمؤتمر والشئون الثقافية واللجان العلمية والثالث للمعجمات اللغوية وإحياء التراث والرابع والخامس للشئون الادارية.





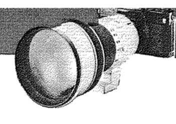
● جانب من الطابق الأول للمكتبة

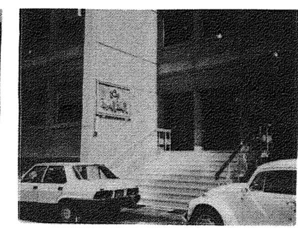
● حديقة المجمع والمجمع من خلف الجهة التى تطل على النيل



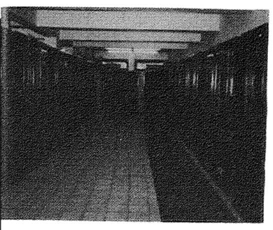
الثلاثة سلم داخلى). وفى الدور الأرضى مكاتب رئيس المجمع ونائب الرئيس والأمين العام وقاعتان لاجتماع اللجان وقاعة كبرى تعقد فيها الجلسات العامة والدور الأول خاص باتحاد المجامع اللغوية وبه قاعة كبرى لعقد

هذا هو مجمع اللغة العربية بالقاهرة عرضنا له فى إيجاز ليس بالمخل وفى إسهاب ليس بالمطنب الممل أملا فى أن يستفيد منه الباحث المتخصص وكذلك غير





● مدخل المجمع من الامام فى جهة شارع عزيز أباظه



● مكتبة المجمع ـ جانب من الطابق الأول

الأعضاء المشاركون في الإحتفالات في لقطة تذكارية أمام المجمع .

المتخصص.. لقد قدمنا في هذه العجالة السريعة أعمال المجمع المختلفة ونشاطه المتنوع في عمره الذي يربو على نصف القرن من الزمان.. آملين له مؤازرة ربانية تعينه على أداء مهمته وإتمام رسالته.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا عليك توكلنا أنت حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامـــش

توخيا للاختصار سنرمز بالحرف «د» إلى الدورة المجمعية وبالحرف «جـ» إلى الجلسة وبـ «مج» إلى مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يصدرها المجمع.

(١) اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها لجورج الكافوري ص٦ (من المقدمة للاستاذ جبور عبد النور)

(٢) انظر: حاجتنا اللغوية إلى مجمع يوثق به ص٢٦٠، ٢٦١ (مقال نشر بمجلة الزهراء: المجلد الرابع ـ الجزء الخامس في رجب ١٣٤٦

(٣) انظر: مجموعة الخطب التي ألقيت في نادي دار العلوم ـ القاهرة ١٩٠٨

(٤، ٥) صحيفة نادي دار العلوم م/ ٢ ص٦٤، ص١٧١

(٦، ٨) انظر: محاولات لانشاء مجمع لغوي (مقال نشر بالمقتطف م/ ٧٢حـ/ ١) ص٦٢-٦٤ (المقتطف م/ ٧٢) ص٦٥

(٧) راجع: المجامع العلمية في الشام ومصر لعيسى اسكندر المعلوف (مقال نشر بمجلة الهلال م/ ٤٨ حـ/ ٥ ـ مارس ١٩٤٠) ص٥٧٤

(٩، ١١) انظر المرسوم في مجلة المجمع جـ١ ص٦ وفي: مرسوم إنشاء المجمع والمراسيم المعدلة له ولائحته الداخلية (ط١٩٥٢) ص١٥، ١٦، ١٧ المرسوم الخاص بإطلاق اسم «فؤاد الأول» على مؤسسات عامة نشأت في عهده نشر بمجلة المجمع جـ٥/ ص٧٩، ٨٠.

(١٠) محاضر جلسات المجمع لدور الانعقاد الاول ص١.

(١٢) محاضر جلسات المجمع د/ ٢٠ جـ/ ١٧ للمجلس (١/ ٣/ ١٩٥٤).

(١٣، ١٤) مجلة المجمع جـ/ ٢ ص٦، ٧ ومرسوم إنشاء المجمع ص١١، حـ/ ١ ص٧، ص١٢

(١٥) مرسوم بتعيين الأعضاء العاملين لمجمع اللغة العربية الملكي (نشر بمجلة المجمع حـ/ ١ ص١٢، ١٣) ومرسوم إنشاء المجمع ٦٣، ٦٤

(١٦) مرسوم بتعديل بعض أحكام المرسوم الصادر بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية: نشر بمجلة المجمع خـ/ ٥ ص١٧١ ومرسوم انشاء المجمع ١٨

(١٧) مرسوم بتعيين أعضاء عاملين بمجمع اللغة العربية (نشر بالمجلة حـ/ ٥ ص١٧٤) ومرسوم انشاء المجمع ص٦٦، ٦٧

(١٨) مرسوم إنشاء المجمع والمراسيم المعدلة له ص٦٩

(١٩) مجمع اللغة العربية: قانونه ـ لائحته ـ هيئاته ـ أعضاؤه العاملون والمراسلون ـ خبراء اللجان ص١١، ١٣، ص١٤.

(٢٠) محضر الجلسة الثالثة والعشرين للمجلس (في١١/ ٢/ ١٩٨٥م).

(٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦) مرسوم انشاء المجمع ١٩، ١٠٢، ١١٥.

(٢٣) محاضر جلسات مؤتمر الدورة الثانية والأربعين حـ/ ١١ ص١٦٢، ١٦٣.

(٢٤) مجلة المجمع ٦/ ٦٦.

(٢٧، ٢٨) مجلة المجمع ١٧/ ٢٣١، ومحاضر جلسات المجلس في الدورة الأربعين (الجلسة الخامسة) ص٦٦، ص٧٥٢.

(٢٩) مجمع اللغة العربية قانون ـ لائحته ص١٤.

(٣٠، ٣١، ٣٢) مجلة المجمع ١٤/ ٥٤٣، ١٧/ ٢٣١، ١٨/ ٣٣١.

(٣٣، ٣٤، ٣٥) محاضر جلسات المجلس د/ ٤٣ حـ١ ص٤٢، د/ ٤٣ حـ/ ١٠ ص١٣٨، د/ ٥١ حـ/ ١١، ص١٤.

(٣٦) لائحة مجمع اللغة العربية الملكي (الاولى) انظر مجلة المجمع ١/ ٢٤، مرسوم انشاء المجمع ص٣٤.

(٣٧) مجمع اللغة العربية قانونه لائحته ١٤، ١٥.

(٣٨، ٣٩) مجلة المجمع ١/ ٢٨، ١٣/ ٣٦٩ ومرسوم انشاء المجمع ١١٥.

(٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣) محاضر جلسات المجلس د/ ٤٠ حـ/ ٤٣ ص٧٥٤، د/ ٤٣ حـ١٥ ص٢٠٠، د/ ٥٠ حـ/ ١١ ص١٤، د/ ٥٠ حـ/ ٨ ص٢٥، د/ ١ حـ/ ١٩ ص٢٧١-٢٧٧ والمجلة ١/ ٢٩-٣١.

(٤٤) وذلك مثل لجنة المعجم الكبير.

(٤٥) مرسوم انشاء المجمع ص١٨.

(٤٦) د/ ٢ جـ/ ٣٠ (٣٠/ ٣/ ٣٥) ص٣١٥..

(٤٧) راجع د/ ١٢ جـ/ ١٢ للمؤتمر (٢٣/ ٢/ ٤٦) وانظر مجلة المجمع جـ/ ٦ ص٢٣٧ وراجع د/ ١٤ جـ٣ للمجلس (٢٠/ ١٠/ ٤٧).

(٤٨) راجع أمثلة متعددة لهذه الملاحظات في محاضر جلسات المجمع (أمكنة متعددة) منها: د/ ٢٠ جـ/ ١٧ (للمجلس).



وأد الاطفال المولودين حديثا من العادات الشائعة فى المجتمعات القبلية الافريقية التى لا تزال تعيش فى ظل تقاليدها القديمة. ويلجأ الافريقيون من ابناء القبائل الى وأد اطفالهم فى حالات معينة. وفى بعض الاحيان يكون وأد الطفل أو نبذه واجبا على ربّ الاسرة أكثر منه حقاً له.

وتختلف الحالات، التى يوأد فيها الاطفال تبعا للقبائل. كما تختلف البواعث على الوأد باختلاف الحالات.

ونستعرض فيما يلى اكثر حالات وأد الاطفال شيوعا:

● التــــوأم:

تختلف نظرة الافريقيين الى التوائم تبعا لقبائلهم ويتراوح موقفهم من النقيض الى النقيض.

فقى بعض الجهات ينظر الناس الى التوائم باعتبارهم نعمة وبركة ولذلك فهم يحيطونهم بكل مظاهر الحفاوة والترحيب ويغمرونهم بكل مشاعر العطف والتكريم.

ففى داهومى (بنين فى الوقت الحاضر) يحظى التوائم بأكبر قدر من الاعزاز والتكريم ويبذل الناس فى العناية بهم قدرا لا يبذلونه فى العناية بالاطفال الاخرين ويلبسونهم ثيابا متشابهة ويقدمون اليهم هدايا متماثلة. واذا مات احد التوائم صنع له تمثال من الخشب يحمله الباقى منهما على قيد الحياة بصفة دائمة. (١)

■■ وينظر «اللانجو» فى اوغنده الى ولادة توأم باعتبارها اعظم مظهر لرضا الالهى(٢).

■■ ويرحب الشُلُك (فى جنوب السودان) بالتوائم ويتحدثون عنهم بوصفهم اولاد الرب (Children of God) (٣)

● *وعلى العكس ينظر الناس فى جهات اخرى الى التوائم بوصفهم نذير شؤم ومصدر شر مهدد. واذا كانت الجماعات الاولى تحيط التوائم بكل مظاهر الحفاوة والرعاية والتكريم فالجماعات الثانية تسارع ـ على العكس ـ الى التخلص منهم خشية الكوارث والمصائب التى ترتبط بمقدمهم وحذر النحس وسوء الطالع الذى تعلنه ولادتهم.*

■■ *فالابيبيو (Ibibio) فى جنوب شرق نيجيريا كانوا ينظرون الى ولادة توأم بوصفها كارثة فظيعة كانت تستتبع فى بعض القبائل قتل الام وطفليها. وفى قبائل اخرى كانوا يبقون على حياة الام لكنهم كانوا يضطرونها الى الحياة بعيدا فى الغابة وقد يسمحون لها باصطحاب بعض اموالها معها الى المنفى بعد ان تقدم قربانا الى إلهة الارض. . اما الطفلان فكان كل منهما يوضع فى قدر ويلقى بها فى الغابة(٤).*

■■ *ولدى برج دامارا (Berg-Damara) فى جنوب غرب افريقية ينظرون الى ولادة توأم بوصفها نذيرا بموت شيخ القرية. وكان من اللازم فيما مضى دفن احدهما حيا لاستبعاد الكارثة المهددة. . واذا كان التوأم من جنس واحد كانوا يكتفون بدفن اضعفهما. . اما اذا كان احدهما ذكرا والاخر انثى. . فكانوا يدفنون*

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إنَّ قتلهم كان خطئاً كبيرا﴾

ال فى افريقية

الذكر ويبقون على الانثى. ويرجع ذلك على ما يبدو الى اعتقادهم بأن التضحية بذكر اكثر فعالية فى إبعاد الخطر المهدد عن حياة شيخ القرية.

● وعندما يعمدون الى وأد احد الطفلين كان الاب او قريب آخر يتولى حفر القبر ثم تضع عجائز القرية الطفل فى القبر ويهلن عليه التراب والحجارة. وكانوا يعتبرون قتل الطفل قبل هذه اللحظة عملا يتسم بالوحشية(٥).

■■ ويرحب الهوتنتوت (Hettentits) فى جنوب غرب افريقية، بولادة توأم اذا كانا من الذكور، حيث يقيم الاب وليمة يذبح من أجلها ثورين سمينين لاطعام اهل المضرب جميعا. ويبتهج الناس لولادة التوأم باعتبارها نعمة عظيمة. اما اذا كان التوأم من الاناث، لم يكن هناك سوى القليل من الابتهاج، او لم يكن هناك ابتهاج على الاطلاق. ويذبح على الاكثر زوج من النعاج. ومن الشائع فى هذه الحالة ان يرفض الوالدان تربية الطفلين. ويتخلصان من اقبح البنتين متعللين بالفقر أو قلة لبن الام. ويتم التخلص من الطفلة بوضعها على فرع شجرة، او بين بعض الاعشاب. واذا كان التوأم من جنسين مختلفين نبذت الانثى وأقيمت من اجل الذكر أفراح عظيمة(٦).

■■ كذلك تلجأ بعض قبائل البوشمن (Bushmen) - فى صحراء كلهارى فى جنوب افريقية ويعيشون على قنص الحيوانات وجمع الاعشاب - الى الوأد فى حالة ولادة توأم. فلدى الاون والهايكوم يعمدون الى قتل احد التوأم دائما حيث تقوم أمه أو احدى النساء اللاتى يساعدنها بدفنه حيا بعد الولادة مباشرة. واذا كان الطفلان من جنسين مختلفين كان الذكر هو الذى يوأد دائما على هذا النحو. ولدى الكونج يدفن التوأم معا لاعتقادهم ان التوأم يجلبان النحس لوالديهما(٧).

ويعتبر الاقزام (فى جمهورية زائير) ولادة التوأم حدثا شاذا مؤذيا وهم فى العادة يقتلون اضعفهما. وتقتله امه بسد انفه وفمه(٨).

ولدى كثير من قبائل البانتو



(فى جنوب افريقية) من المألوف قتل احد التوأم او هما معا(٩).

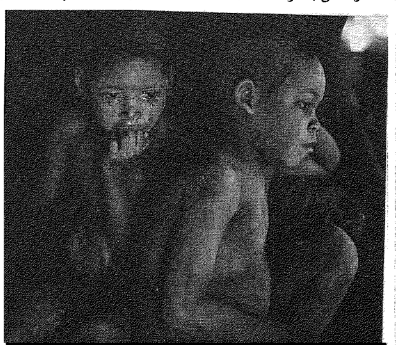
- الاولاد المشوهون والمولودون بصورة شاذة:

ويتخلص القبليون من هؤلاء الاولاد لانهم ينظرون إليهم باعتبارهم نذير شؤم لوالديهم واقاربهم. ولاعتقادهم بأن التخلص منهم يجنب اهلهم المصائب والكوارث المهددة.

■■ *ففى داهومى (Dahomey) يعتبرون الاولاد الذين يولدون بخصائص جسدية شاذة قوى غير طبيعية خاصة.. فهم يعتبرون الاولاد الذين يولدون بستة اصابع فى اليد او القدم - فى ولاية المعبود ليسا (Lisa) اكثر المعبودات نفوذا - والاولاد الذين يولدون بأربعة اصابع ينظر اليهم باعتبارهم من طائفة الاولاد الشواذ التابعين لأرواح النهر. وعندما يولد طفل من هؤلاء يدعى الكاهن لمعرفة ما اذا كان هذا الطفل سوف يجلب لوالديه الثراء ام الفقر ولكى يحدد ما الذى ينبغى أن يُفْعل به.. ويقال ان الكاهن كثيرا ما كان يأمر باعادة هؤلاء الاطفال.. وعندئذ كان الطفل يؤخذ الى شاطىء النهر وبعد اداء طقوس معينة يتركونه هناك ليلقى حتفه. ويدخل فى هذه الطائفة ايضا المولودون امواتا.. والسقط والخناث والمشوهون والمسوخون(١٠).*

ولدى الجوكون (Jukun) فى شمال نيجيريا، لا يسمحون للاطفال المسوخين او المشوهين بالحياة وانما يتركونهم ليلاقوا حتفهم فى الغابة او فى كهف حيث يعتقدون ان مثل هؤلاء الاطفال تنجبهم روح شريرة(١١).

ولدى الابيبيو (Ibibio) فى جنوب شرق نيجيريا كانوا يتركون الاطفال الذين تبرز اقدامهم اولا عند الولادة لكى يموتوا وكانوا يلقون بجثثهم بعيدا. وفى بعض الجهات كانوا يطردون امهات مثل هؤلاء الاطفال الى الغابة، ولا يسمحون لهن بالعودة مطلقا(١٢).



ولدى التسوانا (Tswana) فى دولة بوتسوانا فى جنوب افريقية كانت العادة تجرى بوأد الاطفال الذين يولدون باقدامهم اولا بدلا من رؤوسهم والذين تبدو قواطعهم العليا قبل السفلى. وكانوا ينظرون إلى هؤلاء الاطفال باعتبارهم نذير شؤم. ومن الواجب المسارعة الى التخلص منهم خوفا من ان يتسببوا فى كارثة لوالديهم(١٣).

ولدى الشُلُك (فى جنوب السودان) وهم من الوثنيين والمسيحيين لابد من عرض الطفل المولود حديثا على ابيه والرجال الآخرين المجتمعين خارج الكوخ، حتى يتأكدو من انه ليس مشوها. فاذا تبين ان الطفل مشوه كانوا يلقون به فى النهر ومعه شاة على سبيل القربان.(١٤).

■■ *وكان المتنتوت يتخلصون من الاطفال المسوخين او المشوهين بدفنهم احياء فى جحر احد الحيوانات او نبذهم خوفا من ان يجلبوا النحس الى الجماعة(١٥).*

■ *ولدى البانياروندا والباروندى كانوا يتخلصون من الطفل المشوه لأن ترب*

كانت تعنى فى اعتقادهم تعريض النفس للموت او الجذام. كذلك كانوا يتخلصون من الطفل الخنثى الذى كانوا يعدونه شؤما[١٦].

■■ كذلك تقتل الامهات لدى الاقزام فى غابات الكونغو (زائير) اطفالهن الذين يولدون مشوهين او عجزة بمجرد ولادتهم. ولا يسمح للرجال حتى بالقاء نظرة على مثل هؤلاء الاطفال.

- الاولاد المولودون من علاقات محظورة:

يحظر العرف القبلى كل علاقة جنسية بين بعض الاشخاص بصورة مطلقة.. كما يحظر على بعض الاشخاص الاتصال الجنسى فى ظروف معينة. ومخالفة هذا الحظر تستتبع عادة جزاءا يتسم بالشدة البالغة. ولا يقتصر الامر فى مثل هذه الحالات على مجازاة الفاعل او الفاعلين بل يسارع القوم الى التخلص من الطفل الذى جاء ثمرة لهذه العلاقة المحظورة.

وفى مقدمة الاطفال الذين يتم التخلص منهم لانهم جاءوا ثمرة علاقة محرمة الطفل الذى تلده فتاة لم يتم ختانها بعد.. او لم تجر لها شعائر الانتقال.. أو البلوغ. فالاشخاص الذين لم يتم ختانهم كارثة كبرى. وينظرون الى المولود الذى سوف تلده باعتباره كائنا غير طبيعى ومن ثم يسارعون الى القضاء عليه.

فلدى الكبسجى (Kipsigis) فى كينيا اذا حملت فتاة قبل خفاضها عجل لها به ويوم الوضع تؤخذ الى الغابة بعيدا عن المساكن حتى لا تلحقها النجاسة وبمجرد ان تظهر رأس الوليد تسارع العجوز التى تعاون الفتاة الى ملء فمه وانفه بالطين حتى لا تخرج منه مجرد صرخة واحدة[١٧].

ولدى الايلا (ILa) فى زامبيا اذا حملت فتاة قبل مرورها بشعائر البلوغ يقولون عنها انها حملت بكائن غير طبيعى. ولا يسمح لهذا الكائن بالحياة بل يقتل بمجرد مولده[١٨].

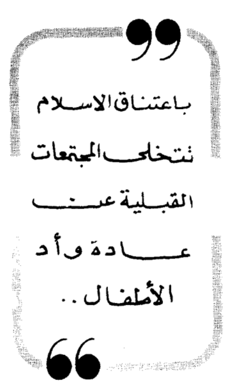
●● ويحرم العرف القبلى كل علاقة جنسية بين الاقارب الاقربين. واذا خولف هذا الحظر وتمخضت العلاقة عن حمل لم يسمح للمولود بالبقاء حيا.

فلدى شعوب الباكونجو (جمهورية زائير) مثلا كانوا فيما مضى يحرقون الجناة احياء ويمحون ثمرة الجريمة دون رأفة. وكانوا يعتقدون ان الاتصال الجنسى بين المحارم يستتبع جزاءات من نزامبى (Nzambe) - معبود الباكونجو - تمتد الى العشيرة بأكملها. وتتمثل هذه الجزاءات فى زيادة الوفيات والامراض بين اعضاء العشيرة وعقم نسائها وضياع الحيوانات الصغيرة وجفاف الارض[١٩].

ولدى البانياروندا والباروندى يوأد الطفل الذى يولد من علاقة محرمة، لا سيما من علاقة اخ باخته المطلقة. واذا لم تكن الاخت قد تزوجت كان الطفل يعد مولودا من فتاة أم، وكان من الواجب وأده.

●● وقد يحظر العرف فى بعض القبائل الحمل السابق على الزواج بصورة مطلقة. واذا حملت فتاة قبل زواجها عوقبت ولم يسمح لولدها بالبقاء على قيد الحياة.

فلدى البانيانكولى (Banyankole) فى اوغنده كانت الفتاة التى تحمل قبل زواجها تؤخذ الى نهر كاجيرا ويربط الى عنقها حجر وحزمة من الاعشاب ويلقى بها فى النهر[٢٠].



●● وعند البانياروواندا والباروندى كانت الفتيات اللاتى يحملن قبل الزواج يطردن من بيوتهن واحيانا يغرقن او ينفين الى جزيرة مهجورة. وكثيرا ما كانت الفتاة تذهب لتلد طفلها فى

الغابة حيث تتركه ان لم تقتله بمجرد ولادته(٢١) .

●● ومن الحالات التى يعمدون فيها الى وأد الاطفال حالة الطفل المولود من زنا . فرغم ان معظم القبائل الافريقية يعامل الطفل المولود من علاقة الزوجة برجل آخر معاملة الطفل من علاقتها بزوجها فان منها ما يسمح للزوج بالتخلص من الطفل اذا كان يعتقد انها حملت به من علاقتها بغيره .

فلدى الزاندى (Azande)

(فى شمال شرق زائير وجنوب غرب السودان) كان للرجل فيها مضى الحق فى ان يقتل الوليد الذى اكدت له اداة العرافة انه ليس ابنه لكنه كان يبقى على الانثى من اجل الحصول على مهرها . ويلحق الطفل الذى يولد من علاقة زانية وهمية فولادته لا تتم فى الكوخ وانما فى الغابة ويقوم بتربيته فى الغالب جده لأمه او خاله وللجد لأم او الخال الذى يتولى تربية الطفل مقاضاة عشيق الام للحصول منه على تعويض .

- الطفل الذى يولد قبل فطام طفل سابق :

يقضى العرف فى كثير من القبائل الافريقية بوقف العلاقات الجنسية بين الزوجين عقب الولادة ولفترة قد تمتد حتى فطام الطفل . . وقد يسمح العرف فى بعض القبائل باستئناف العلاقات بين الزوجين عقب الولادة بقليل لكنه يتطلب من الزوجين ان يبذلا كل ما فى وسعهما لتجنب حمل جديد بينما الطفل الاول مازال رضيعا . . واذا حملت الزوجة رغم ذلك فقد يجرى العرف بالتخلص من المولود الجديد .

فلدى بعض قبائل البوشمن اذا حملت الام وهى ما زالت ترضع طفلا سابقا فان الطفل الجديد يلقى به بعيدا ويراعى ان تتم الولادة فى الاحراش بعيدا عن البيت . . وسواء ولد الطفل حيا ام ميتا فانه يدفن فى اقرب جحر أو حفرة وتقوم بدفنه العجوز التى تعاون الام . . وترفض الام دائما تربية طفل ثان حتى يصبح الاول فى غنى عن اللبن والرعاية (٢٢) .

الاسلام ومعالجته لوأد الاطفال فى افريقية :

من المعروف ان العرب فى الجاهلية كانوا يمارسون قتل الاولاد ذكوراً واناثا وكانوا يلجأون الى ذلك لعديد من الاسباب . . من بينها الفقر والعجز عن توفير الغذاء لهم لا سيما فى اوقات المجاعات . . ومنها خوف العار بتزويج البنات من غير اكفائهن او من جراء سبيهن . . ومنها الخوف من أن يستجلب الابقاء عليهن فى بعض الحالات المصائب والكوارث على أهليهم . . فقد روى ان من العرب من كان يئد من البنات من كانت زرقاء او شيماء (سوداء) او برشاء (برصاء) او كسحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات .

ومما لا شك فيه ان الوأد كان يحدث اكثر ما يحدث بالنسبة للبنات .

وقد استنكر القرآن الكريم قتل الاولاد وعده اثما عظيما ودعا المسلمين الى اجتنابه . ومن الآيات الكريمة التى تضمنت تحريما لقتل الاولاد قوله تعالى ﴿**قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم**﴾ **وقوله تعالى** ﴿**ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيرا**﴾ **وقوله تعالى** ﴿**واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت**﴾ .

وقد اوضح القرآن الكريم مدى ما كانت تثيره ولادة الانثى فى نفس الاب من ابتئاس . . قال تعالى ﴿**واذا بُشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أيمسكه على هون ام يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون**﴾ .

وباعتناق الاسلام تتخلى المجتمعات القبلية عن عادة وأد الاطفال . وقد راينا ان معظم الوأد يحدث تحت تأثير الاعتقاد بان الارواح التى جاءت بهؤلاء الاولاد ارواح شريرة وان بقاءهم على قيد الحياة من شأنه ان يلحق

الكوارث بأهليهم. ومن الواضح ان مثل هذه الاعتقادات تزول باعتناق الاسلام وبزوالها يزول اهم الاسباب التي تدفع الافريقيين الى قتل اولادهم.

■ ومع ذلك فان هناك حالات لوأد الاطفال لا تختفي بل ربما اصبح الوأد فيها اكثر شيوعا من ذي قبل. تلك هي حالات الاطفال الذين يولدون من علاقة رجل بامرأة من المحارم.. او من علاقة رجل بفتاة غير متزوجة.. أو من علاقة امرأة متزوجة بغير زوجها.

■■ فلدى البمبارا (في جمهورية مالي) على سبيل المثال ليس ثمة جزاء للمرأة التي تقتل وليدها الذي حملت به من سفاح وللزوج ان يطلب الى زوجته قتل وليدها من علاقة مشبوهة. (٢٣)

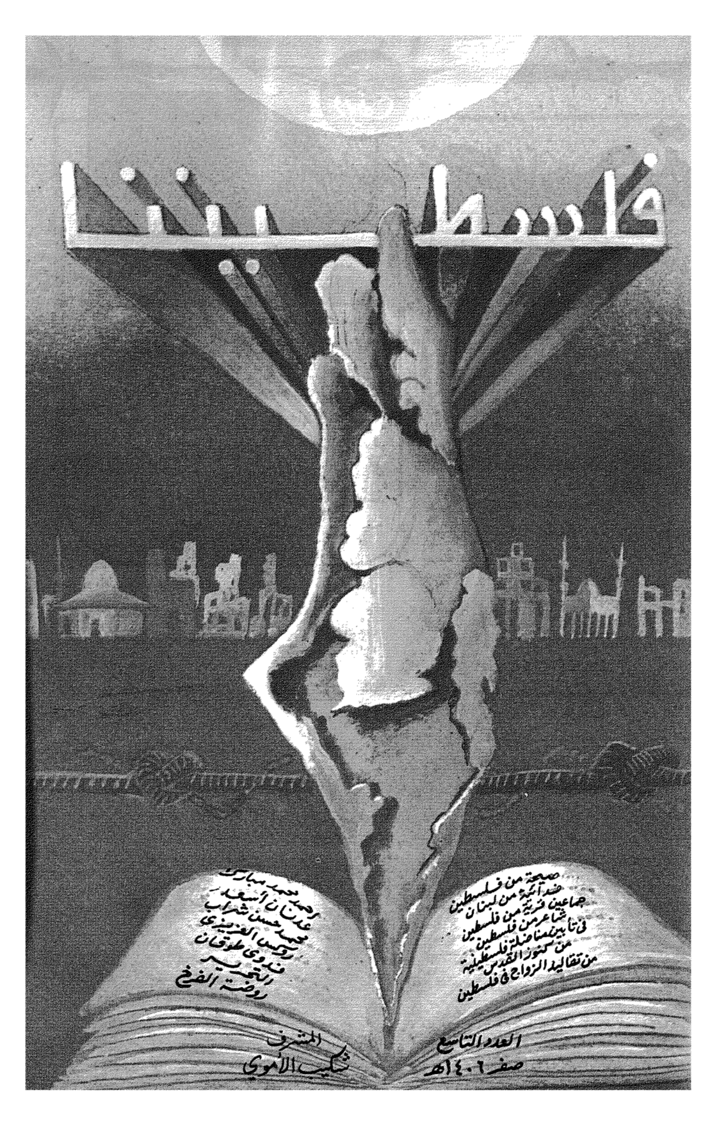
■■ ولدى الباريا والكوناما (في اريتريا) لم يكونوا يتخلصون من الاطفال الذين يولدون من علاقات سابقة على الزواج او حتى من اولئك الذين يولدون من علاقة المرأة بغير زوجها بل كانوا يبقون عليهم. (٢٤)

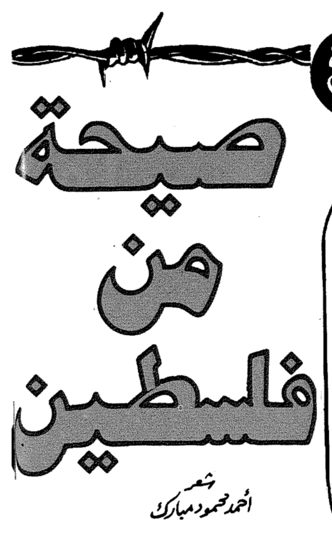
"معظم الوأد يحدث تحت تأثير الاعتقاد بأن الأرواح التي جاءت بهؤلاء أرواح شريرة وان بقاءهم على قيد الحياة يجلب الكوارث لأهليهم."



(١، ١٠) هرسكوفتس، داهومي ج١، ص٢٦٣، ص٢٦٢.
(٢) دريبرج، اللانجو، ص ١٣٩.
(٣، ١٤) سليجمان قبائل السودان النيلية، ص٧١.
(٤) تاليسوت، الحياة في نيجيريا الجنوبية ص٥٠٥.
(٥) قدر، البرج دامارا، ص٥٣.
(٦، ٧، ١٥، ٢٢) شابيرا، شعوب الخويصان، ص٢٦٦، ص١١٤، ص٢٦٦، ص١١٦.

(٨) شبستا، اقزام الكونغو البلجيكي، ص٢٥١.
(٩) شابيرا، القبائل التي تتكلم البانتو في جنوب افريقية، ص٢١٠.
(١١) ميك، مملكة سودانية، ص٣٦٦.
(١٢) تالبوث، الحياة في نيجيريا الجنوبية، ص٢٠٥.
(١٣) شابيرا، كتاب في قانون التسوانا وعرفهم، ص٢٦١.
(١٦، ٢١) يورجوا، البانياروندا والباروندي، ص١٥٦، ص١٥٦.
(١٧) بيريستياني، نظم الكيسجي الاجتماعية، ص٥٣.
(١٨) سميث وديل، الشعوب التي تتكلم الايلا. ص ٣٩.
(١٩) فان فنج دراسات عن الباكونجو ص ٨٨.
(٢٠) روسكو، البانيانكولي، ص ١٢٠.
(٢٣) أوبير، عرف البمبارا، مادة ٦٩.
(٢٤) بوليرا، الباريا والكوناما، ص ١٧٥.


فلسطيننا
صيحة من فلسطين
هند آتية من لبنان
جماعين قرية من فلسطين
شاعر من فلسطين
في تأبين مناضلة فلسطينية
من كنوز القدس
من تقاليد الزواج في فلسطين
أحمد محمد مبارك
عدنان أسعد
محمد حسن شراب
روكس العزيزي
فدوى طوقان
التحرير
روضة الفرخ
العدد التاسع
صفر ١٤٠٦هـ
المشرف
شكيب الأموي



صيحة من فلسطين

وقفة وموقف

ان هذا الاصرار من جانب الكيان الصهيوني على تصعيد ممارساته العدوانية الغاشمة سوف يؤدي حتما الى تهديد السلام والامن الدوليين ودفعهما الى طريق محفوف بالمخاطر لذلك فان المجتمع الدولي مدعو الى تعزيز تضامنه مع الشعب الفلسطيني والمبادرة الى احباط مؤامرات اسرائيل العدوانية وتحديها الدائم للارادة الدولية وكل القيم الانسانية والمواثيق الدولية . فهد بن عبد العزيز

شعر
أحمد محمود مبارك

يا غاصبي حقي أنا
لن أستكينَ ولن أخورْ
لا تحسبوني لاهياً
فالثأرُ في صدري يمورْ
إن يهدأ البركانُ يو
ماً فهو يغلي بالسعير
إنْ تسحقوا زرعي ففي الـ
أعماقِ مِنْ زرعي جذور
وبكلِّ ذرّات الثرى
في موطني مني بذور
وغداً سيطرحُ كلُّ بذ
ر مِدفعاً يُردي المُغير
إنْ تهدموا داري فلي
في الأرض ـ تحت ـ الأرض دور
منها سأطلعُ بالدما
ر أذيقكم سوء المصير

***

يا غاصبي حقي أنا
مهما أعاني لن أحيد
عن غايتي مهما أقمـ
ـتم في طريقي من سدود
نيرانكم فوقي سَيُطْ
فِئُها التفاني والصمود
فثرى فلسطين المضـ
ـمّخ قلبه بدم الشهيد
مازال صوته صارخاً
في مسمعي «رُدَّ اليهود»
عن قُبّتي.. عن مسجدي الـ
أقصى وعن أرضِ الجدود
يا غاصبي حقي أنا
عزمٌ أشدّ من الحديد
إبنوا القلاعَ وحصّنو
ها سوف أجعلها تميد
سأشقُّ حصنَ الليـ
ـل أرفع رايةَ الفجر الجديد
القدسُ لي سأعيدها
وسأرجع الماضي المجيد

فدائية من لبنان

«لفلسطيننا الغراء ذكرى لموقف بطولى
فدائى لفتاة فى عمر الزهور»

عدنان اسعد

و(سناء) فى عمْر الزهورْ
كنَدَى الصَّباح مع البُكُورْ
هى برعمٌ بين البراعم
بدرٌ تمّ فى البدورْ
هى والربيعُ توائمٌ
فى مَيْعة العمرِ الطريرْ
لم يُغرها زيفُ الحياة
ولا الطَيالسُ والحريرْ
ورأتْ ترابَ بلادها
وديارها نَهْبَ الشرورْ
نَهْبَ الغاصبين صهايناً
عاثوا فساداً فى الخدورْ

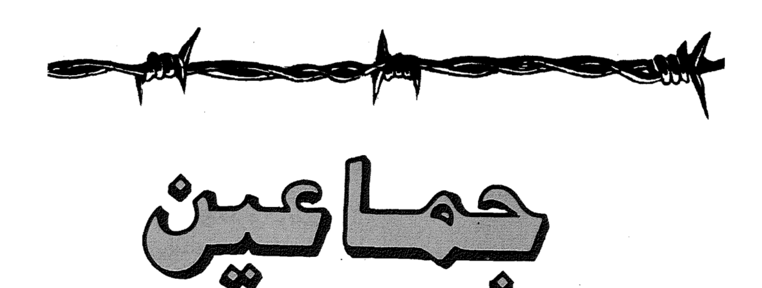
فتجهَّزتْ للعرْس تخطو
ثمّ .. لليومِ الكبيرْ
لبستْ ثيابَ زفافِها
للموتِ يسبقها الحبورْ
للحفلِ والفرحِ المعطّرِ
بالشهادة والنذورْ
بالنار والبارودِ حول
نِطاقها ليلَ النفيرْ
فى موكب الأبطال راحتْ
تفتدى الوطن الأسيرْ
وتقحّمت عُقْر الغُزاة
وفجَّرت غضب الصدورْ
وتوزَّعتْ أشلاؤها
بين البيادر والصخورْ
مِزَقاً تضوع .. وإنها
ذكرى تدوم مدى الدهورْ

وأخُطُّ قصة عودتى
بالنور فى صُحُفِ الخلود
وسأنشر البسماتِ فى
وجناتِ أرضى والورود
فالشمس مهما شُرِّدتْ
فلسوف ترجعُ من جديد

***

أنا لستُ ممن يقتلو
نَ الأمنَ فى صدر الشعوب
أنا مُنْيتى أن تعزفَ ال
أفراحَ أوتارُ القلوب

ويفوحَ عطرُ السَلم - لا
البارود - فى كلِّ الدروب
لكنَّنى أُبعدت عن
أرضى وعن وطنى الحبيب
ومرارةُ التشريد جَدّ
مودٌ بصدرى لا يذوب
وظللتُ أسعى بالسَّلا
م لأتقى هول الحروب
ووجدت من غضب الديا
ر مُكابراً لا يستجيب
عارٌ علىَّ إذا سكتُ -
إذن - عن الحق السليب



جماعين

من مطالع شمس العلم فى ديار العرب:

● إذا كانت فلسطين قلب الوطن العربى ـ لأنها تصل الأقطار العربية الآسيوية بالاقطار العربية الافريقية ـ فإن الديار النابلسية قلب فلسطين لأنها تقع فى منتصف البلاد، فتصل شمالها بجنوبها ولذلك فهى المركز الحيوى فى هذا القلب للبلاد العربية، فكانت على مر العصور مقصد الطامعين ومركز الحضارات ومطلع شمس العلماء والأدباء، يردون إليها أفواجاً فتجذبهم أرضها وينطلقون منها إلى الأقاليم الاسلامية فيملأونها علماً وتكون لهم الرياسة فى كل بقعة يحلون بها.

وينسب الى الديار النابلسية كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء والاداريين وغيرهم ولا نغالى إذا قلنا إن كل قرية من قرى نابلس سواء كانت كبيرة أم صغيرة قد أنجبت عالماً أو علماء ينسبون إليها. . ومن يطالع تراجم العلماء ويدقق فى نسبتهم يجد مصداق هذا القول وبخاصة العلماء الذين عاشوا بعد القرن الثالث الهجرى فى بلاد الشام وفى بلاد مصر وربما لا يفوق نابلس فى نسبة العلماء إليها الا بيت المقدس.

● ومن أشهر قرى قضاء نابلس «جَمَّاعِين» (بفتح الجيم وتشديد الميم المفتوحة وكسر العين وياء ونون على صيغة جمع المذكر السالم المنصوب أ والمجرور) ذكرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان «جماعيل» باللام فى آخرها ويرى بعض المؤرخين أن الصحيح بالنون، وإنما سميت بذلك لكثرة من ظهر فيها وفى جوارها من «جماعين» للعلم. حيث يقال: رجل جمّاع، كثير الجمع، كما يقال «جمّاعة» مثل فهّامة. . ولشهرة هذه القرية فى محيطها، سميت مجموعة القرى المحيطة بها باسمها فقيل «الجماعينيات» ويلاحظ أن كثيراً من القرى المحيطة بها، نسب إليها عالم أو عدد من العلماء المشهورين أذكر منها «جرّاعة» والنسبة إليها «الجراعى» ومن علمائها زيد بن أبى بكر بن زيد الجراعى، توفى فى دمشق سنة ٨٨٣هـ. ومن أشهر قراها «مَرْدا» والنسبة إليها «المرداوى» وقد نسب إليها أكثر من أربعين عالماً وجدت تراجمهم فى «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلى، و«الدر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلانى و«الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوى. و«الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» للغزى. . وغيرهم.

● وقرية جَمّاعين، اليوم تقع فى الجنوب الغربى من نابلس، على بعد ستة عشر كيلاً منها وترتفع عن سطح البحر (١٦٩٦) قدماً. وهى قرية صغيرة تقع فى الضفة الغربية المحتلة وكان بها حسب آخر احصائية فى أواخر سنة ١٩٦١م حوالى ألفى شخص وبها مدرسة تأسست سنة ١٣٠٦هـ أيام الحكم العثمانى وأصبحت فيها بعد مدرسة اعدادية كانت

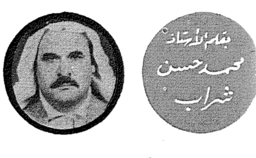


قرية من فلسطين

تضم فى العـام الـدراسى ١٩٦٦-١٩٦٧م حوالى ثلاثمائة طالب.

ويـزرع فى أراضى جماعـين القمـح والشعـير والعـدس والسمسم. . وفيهـا أكثر من خمسة آلاف دونم مغـروسة بالزيتون وحوالى ألف دونم مزروعة بأشجار الفواكه كالتين والعنب واللوز.

● ينسب إليها فى كتب التراجم أكثر من عشرين عالماً من أشهرهم علماء (آل قدامة) الذين كان لهم فضل كبير على العلم، وكان لهم شرف القيام على خدمة المذهب الحنبلى وانتشاره فى بلاد مصر والشام. وقد ظهر المذهب الحنبلى فى بغداد ثم انتشر فى بلاد الشام - إلا أنه ضعف بسبب قيام الفاطميين بنشر المذهب الشيعى بدلا من مذاهب أهل السنة. ولما انتهى أمر الفاطميين أخذ مذهب الحنابلة بالانتشار. وقد كان لفقهاء الحنابلة الفلسطينيين أثر كبير فى زيادة انتشار المذهب وبخاصة فى مصر والشام.



(وآل قدامة) هم الذين أسسوا (الصالحية) فى دمشق الشـام وبهم سميت وأصبح لها تاريخ خالد ذائع الصيت، هاجروا إليها من «جماعين» وأول من سكنها جد آل قدامه الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة الجماعينى وكان عالماً زاهداً ولد فى جماعين سنـة ٤٩١هـ ولما استولى الافرنج على بلاد نابلس هاجـر ومعـه أهله إلى دمشق سنـة ٥٥١هـ ونـزلوا بمسجـد يسمى مسجد «أبى صالح» بظاهر الباب الشرقى منهـا ثم انتقلوا الى سفح جبل «قاسيون» وكانوا يعرفون (بالصالحية) لنزولهم بالمسجد المذكور فسميت الصـالحية بهم وتوفى الجد سنة ٥٥٨هـ فى دمشق وتربى على يديه عدد من أفراد أسرته كانت لهم رياسة العلم، أذكر منهم ثلاثة نالوا حظاً أوفر من العلم والشهرة.

○ أولهم الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد - المارّ ذكره - ولد بجماعين سنة ٥٢٨هـ وهاجر مع أبيه إلى دمشق. . وكـان إمـاماً فاضلاً عابداً اشتهـر بكثرة أعماله الخيرية فكان كثيراً ما يتصدق ببعض ثيابه حتى يبقى فى الشتاء بجبة من غير قميص. . حضر مع صلاح الـدين فتح القدس وكانت له حرمة عند السلطـان نور الدين محمود بن زنكى وله آثـار جميلة منها مدرسته المشهورة المعروفة



بالمدرسة العمرية مدرسة الحنابلة الكبرى فى الصالحية أنشأها سنة ٥٥٠هـ وهى وقف على أهل القرآن والفقه وصارت مدرسة وسكناً للعلماء وفيها تخرج أعيان مذهب أحمد بن حنبل. وذكر (محمد كرد على) أنها كانت أكبر المدارس فى دمشق لأنها مشتملة على ثلاثمائة وستين خلوة وكان بها خزانة كتب ضمت بقاياها إلى مخطوطات دار الكتب الظاهرية وتوفى رحمه الله سنة ٦٠٧هـ ولم يتخلف عن جنازته أحد من العلماء والقضاة والأمراء والأعيان. ولم يخلف ديناراً ولا درهماً.

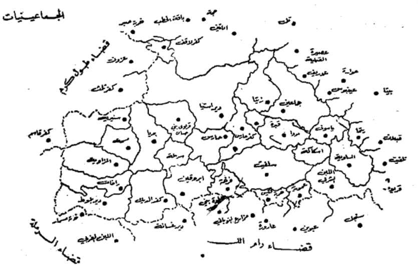
○ وثانيهم شيخ الاسلام موفق الدين بن قدامة عبد الله بن أحمد شقيق أبى عمر المار ذكره.. ولد فى جماعين سنة ٥٤١هـ وقدم دمشق مع والده وأهله. درس على أبيه وعلى علماء دمشق وتفوق فى العلم حتى أصبح إماماً فقال ابن تيمية «ما دخل الشام بعد الأوزاعى أفقه من الشيخ الموفق» وصفه العلماء فقالوا: كان الشيخ موفق الدين ثقة حجة غزير الفضل ورعاً عابداً على قانون السلف ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.. وله مؤلفات ذائعة مشهورة ومنها ما يعتبر الوحيد فى بابه وهو كتاب «المغنى» فى الفقه وجاء فى عشر مجلدات. قال الشيخ محمد رشيد رضا فى وصفه: «وأراد أن يكون كتابه المغنى فى فقه المسلمين كافة فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار المشهورين ويحكى أدلة كل منهم واذا رجح مذهب الحنابلة فى كثير من المسائل فهو لا ينتقص غيرهم ولا يحمله التعصب على كتمان شىء من أدلتهم فالمزية الأولى لكتاب المغنى أنه لخص لنا مذاهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها فى أمهات الأحكام ومهمات المسائل فأغنانا عن مراجعة كتب السنن والآثار.. ثم قال الشيخ رشيد رضا: «اذا يسر الله لكتاب المغنى من يطبعه فأنا أموت آمناً على الفقه الاسلامى أن يموت».. توفى رحمه الله سنة ٦٢٠هـ فى دمشق.

○ والثالث من «الجماعين» الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن على الجماعينى ولد بجماعين عام ٥٤١هـ وهو ابن خالة موفق الدين بن قدامة المار ذكره ويكبره بأربعة أشهر هاجر صغيراً الى دمشق سنة ٥٥١هـ وكان إماماً حافظاً متقناً وهو أحد أكابر أهل الحديث وأعيان حفاظهم.. وفى رحلته الى أصفهان فى ايران أحبه أهلها حباً شديداً وقيل: إنه لو أقام فيها مدة أخرى وأراد أن يملكها لملكها من شدة حبهم له ورغبتهم فيه وهو أول من نزل مصر من أئمة الحنابلة ومات فيها سنة ٦٠٠هـ ومن أشهر مؤلفاته: «الكمال فى أسماء الرجال» وهو معجم مطول لأسماء رجال الحديث ذكر فيه ما اشتملت عليه كتب الحديث الستة من أسماء الرجال ورتبها على حروف الهجاء.

■ وآل قدامة الذين رحلوا من «جماعين الى دمشق» عرفوا فيما بعد باسم «آل النابلسى» ومنهم الشيخ عبد الغنى النابلسى المتصوف والرحالة المشهور، وقد مر بجماعين ديار أجداده سنة ١١٠١هـ وذكرها فى رحلته التى سماها «الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية»

فقال: وصلنا بجماعتنا أجمعين الى قرية «جماعين» وكان قد دعانا إلى زيارته فى تلك القرية الشيخ عبد الحق الـزيتـاوى العمرى اجتمعنـا به فى نابلس المحروسة فتقدمنا إلى تلك القرية المأنوسة فبتنا عنده تلك الليلة المباركة وقد كنا محفوظين بعناية الله وأضافنا بما تيسر من الزاد وأضاف الله الدواب بحشيش تلك البلاد، وقلت فى ذلك على سبيل الارتجال:

بقـريـة جماعـين جئنـا جماعـة
من الخـير جماعـين كل كمال
كأن وجـوه القـوم فى ساعـة الندى
بدور تمام فى ظلام ليـال



وقـد زرنـا فى تلك القـريـة (جماعين) ديار أجدادنا بنى قدامة الذين هاجروا من هاتيك البلاد لما استولت عليهم الظلامة وأخذ الكفار بيت المقدس فهجروا الديار والأوطان وجاءوا مع من جاء من علماء بيت المقدس الى دمشق الشام وسكنوا بالصالحية فى ذيـل جبل «قاسيون».. ثم قال: فنظرنا إلى تلك الـديار ولم يبق منها إلا الآثار فوجدنا آثار الصالحين فأنشأنا من النظم فى ذلك المقام:

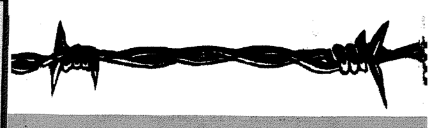
جـمـاعـين دارُ بنـى قدامـة
سقى جنبـاتهـا صوبُ الغـمـامـة
وقـفتُ أسـائـلِ الأطـلال عنهم
فلم ترجـعْ لسـائـلهـا كلامـه
فأيـن ذوو الـعلوم ومن تسـامـوا
بأنـواع الهـدى والاسـتـقـامـة
هنـا سكنـوا وقـد ساروا لأمـر
بـه مَنْ لم يسـرْ حلتْ ندامـة
وهـم بالـصـالحـيـة من دمشـقٍ
جُدودى يُعـرفـون بنـى قدامـه

وبعـد فهذا بعض ما تجمع لدى من أخبار أهل هذه القرية «جَمّاعين» وقصدت فى عرضها الى الايجاز دون الاطناب ففيه كفاية لذوى الألباب والله الهادى الى الصـواب، فإن نالت من القـارىء الاعجـاب فإننى سوف أتـابع الكشف عن مثيلات لها وأضمه إليها ليكون تاريخ حضارة نعتز به ونسير على سنته.

«المنهل»

بدورنـا وانـابـة نود من كاتبنا الفاضل الزيادة والزيادة ـ اعانه الله تعالى وسدد خطاه واثابه ـ وهذا بالطبع من اولويات الاهداف التى تبنتها «فلسطيننا» واحتضنتها لتتوجه للانسان الفلسطينى بكل فعله وعطائه وللارض الفلسطينية بكل تاريخها وبذلها.

اعلام من فلسطين





احسن ما نظم هذا الشاعر الى سنة ١٩٤٦م

الاديب محمد زيد الكيلانى والده المرحوم طاهر زيد الكيلانى ووالدته هى المرحومة مريم زيد الكيلانى من اسرة آل زيد الكيلانى يقيم فى مدينة (السلط) ولد فى (بعبد) سنة ١٩١٢م وهى احدى قرى (نابلس) من اعمال فلسطين. تلقى دروسه فى مدارس (فلسطين) وبدأ حياته الادبية سنة ١٩٢٦م حيث نظم اول قصيدة يصف فيها ثورة (الدروز) فى سورية. نزح من فلسطين الى الاردن سنة ١٩٣٢ لاسباب اضطرارية وتجنس بالجنسية الاردنية يومذاك عين معلماً فى احدى مدارس الجيش العربى الاردنى فى الصحراء سنة ١٩٣٣ ونقل سنة ١٩٣٦م الى مراقبة الآثار فى (الكرك) ولم يحمد هذا المنصب لانه يعقب على نقله اليه بقوله: «نقلت بطلب منى - ولسوء حظى - مراقباً لآثار (الكرك) - ولا ازال - اى ١٩٤٦/٨/١٦م.

ويزيد قائلا: «وقد تلاحظ من بعض قصائدى تبرمى من هذه الحياة ومن سوء طالعى» يقال برم بالامر برما سئم وضجر - وتبرم فيه وبه - نفث وتحكم وتفجر».

وقال ان أحب الأدباء اليه:

من الكُتاب: المازنى واباظة لاسلوبهما الرائع، ونكتتهما اللاذعة

ومن الشعراء بشاره الخورى الذى يدعوه امير الغزل.

وقد اجاب عن رسالتى اليه بقوله:

أخى الاستاذ العزيزى المحترم

تحية واحتراماً وبعد..

اخذت كتابك وبه تطلب منى بعض قصائدى مع رسمى وموجز حياتى لعزمك على وضع مذكرة عن الادب الاردنى فلم يسعنى الا ان اكبر فيك هذه الروح الوثابة وهذا الجد المتواصل فى سبيل خذمة الادب والتنقيب عن الحقيقة اينما وجدت.

وشكرت لك حسن ظنك بى وتقديرك لفتى مثلى حكم عليه سوء طالعه ان يعيش فى شبه عزلة بين خرائب (مؤاب) وانقاض (ادوم).

خير ما اختار لنفسه بنفسه:

١ - القصيدة التى القاها فى جموع المتظاهرين عند :



الحكومة فى الكرك فى شهر حزيران سنة ١٩٤٥ احتجاجاً على قصف دمشق بكرات المدافع.

بنى العروبة والاسلام مالكمو
نمتم؟ وهذى شعوب الارض لم تنم
ماذا دهاكم؟ أفى آذانكم صممٌ؟
أعيذكم من وبال الوقر والصمم
بنى العروبة هلا تسمعون صدى
صوت الشآم تنادى أين (معتصمى)
أين الحماة اباة الضيم هل علموا
بما اقاسى من الويلات والنقم؟

●●●

الله اكبر بنت الشام نائحة
تدعو وما من مجيب جد مضطرم
م الشباب ودمع الغيد قد جريا
افدى العيون البواكى ادمعاً بدمى

●●●

معشر العرب من بدوٍ ومن حضر
من ساكنى (مصر) او من جيرة الحرم
هذى الشآم تناديكم بمحنتها
نداء مختنق من شدة الالم
ما عذركم عندها اذ تستغيث بكم
ولا تغيثونها بالفعل لا الكلم
بنى (فلسطين) انى قد عهدتكم
أبرّ من غيركم بالجار والرحم
انتم ليوث الوغى إن ثار ثائرها
من ذا يضاهيكم بالمجد والشمم؟
وانتم يا بنى الاردن دأبكم
صنع الجميل وحفظ العهد والذِّمَم
ويا اهل (العراق) الضاربين لنا
اسمى مثال من الإقدام والهمم

●●●

ما عذركم عندها اذ تستغيث بكم
ولا تغيثونها بالفعل لا الكلم
وهى التى ما تخلت عن معونتكم
فى النائبات وكانت مصدر الكرم
هبُّوا جميعاً وسيروا تحت رايتكم
وانقذوها من المستعمر النهم
وعلموا الغرب ان العُرب لم يَهنوا
لكن تسامحهم نوعٌ من الشِيَم

■ وهذه قصيدة فى الغزل اختارها بنفسه لتمثل عاطفته:

واذا رأتنى امشى نحوها جفلت
كالريم لاح له الصياد عن كثب
تقاعست ثم مدت للنقاب يداً
شعّت كنجم هوى من ثاقب الشهب
واسدلته على الوجه المنير فما
ابهى توارى شعاع الشمس بالسحب

●●●

لكنها مع هذا قد رمت كبدى بنبلة
من نبال اللحظ لم تخب

فما استطعت مضيّاً بل وقفت وقد
شعرت بالطعنة النجلاء تفتك بى

وتابَعَتْ سيرها تختال معجبةً
«الله اكبر، كم فى الحسن من عجب»

حتى اذا ما توارت عدت منقلباً
والله اعلم أنّى كان منقلبى

ياربّةَ الحسن هذا الحسنُ أسكرنى
من خمرة الحب لا من خمرة العنب

حب تغلغل فى الاحشاء مستعراً
كالنار مضرمة فى يابس الحطب

لولاه لم ارض ما يرضى الغبى به
من خامل الذكر او من سيىء الرتب

فقد علمت وكل الناس قد علموا
انى جدير بنيل القصد والطلب

لكن حبك ياليلاى يقعدنى
عن الطلاب وسوء الحظ يقعد بى

اخاف ان قلت: «مظلوم» لهم غضبوا
وربما اسندوا لى تهمة الشغب

وليس ثمة الا الطرد يبعدنى
عن ناظريك والا النفى يبعد بى

فما علىَّ اذا ما كنتِ راضية
ان ليس ينفعنى علمى ولا ادبى

حسبى رضاك وحسبى أننى رجل
اذا نبا بى أدبى لم يكب بى نسبى

●●●

هـذه لمحة موجزة عن هذا الاديب الذى لم اعد اسمع منه او عنه شيئاً بعد ان التقانى بعد نكبة العرب العمياء سنة ١٩٤٨ لما نهبت دارى وخزانة كتبى فى القدس فى ما نهب من العرب وهو شيىء لا يعوض لا فى مادته ولا فى معناه.

اعاد الله القدس عربية كما بدأت عربية على الرغم من كل تخرصات اليهود فقد شهدت التوراة انه لم يكن فى القدس يهودى واحد فى عهد اللادين.

الشاعرة الفلسطينية
فدوى طوقان
فى أحدث ما ابدعته شعرًا

فى تأبين مناضلة فلسطينية



أسَيّدَةَ الفِعْلِ ، يُخجِلنِي القَوْلُ، بَعْدَكِ كُلُّ حَدِيثٍ سَرَابْ
طَلَعْتِ عَلَيْنَا كَضَوْءِ الثُريَّا بِغَيْرِ ادِّعَاءٍ، بِغَيْرِ اصْطِحَابْ
وَعَلَّمْتِنَا كَيفَ يَنْفَجِرُ الصَّمْتُ فِعلاً فَصِيحاً مُبِينَ الخِطَابْ
فَكُنْتِ كَأَرْضِ فِلَسْطِينَ تَزْكُو وَتَطْفَحُ خَيْراً وَعِطْراً مُذَابْ
وَحَقْلاً مِنَ القَمْحِ يُعْطِي الغِلالَ، ويُشْبِعُ جُوعَ المُنَى والرِغَابْ
مَآثِرُكِ الخُضْرُ عَبْرَ كِفَاحِكِ تُنَبِّىءُ عَنْ مُعْطِيَاتِ السَحَابْ
بَسَاتِينَ مُثْقَلَةً بِالثِّمَارِ تُعَرِّشُ فِيهَا الغُصُونُ الرِطَابْ
بَذَرْتِ البِذَارَ وَكَانَ الحَصَادُ سَخِيّاً وَكَانَ الجَنَى مُسْتَطَابْ

وَصَلْتِ ، إِذَنْ فَاهْدَئِي واسْتَرِيحِي وَنَامِي عَلَىٰ قُدْسِ هَذَا التُّرَابْ
واعْلَمُ انَّكِ لَنْ تَسْتَرِيحِي وَلَنْ تَعْتَقِي مِنْ أَسَىً واكْتِئَابْ
وَكَيْفَ وللاحْتِلالِ حُضُورٌ تَدُقُّ يَدَاهُ عَلَى كُلِّ بَابْ
يَدُبُّ هُنَا وَهُنَا وَهُنَاكَ يُشِيعُ الأذَى وَيُشِيعُ الخَرَابْ
يُعَرْبِدُ فِي الأَرْضِ صِلاًّ خَبِيثاً وَيَجْثُمُ فِي الأرْضِ تِنِّينَ غَابْ
يُمَزِّقُ لَحْمَ البِلادِ اقْتِدَاراً وَيَسْلَخُهُ عَنْوَةً واغْتِصَابْ
وَنَحْنُ هُنَا فِي البَلاءِ المحِيقِ نُكَابِدُ مِنْ غُرْبَةٍ وَاسْتِلابْ

بِلادَ الجِرَاحِ يبُوس جِرَاحِكِ شَعْبٌ تَجَرَّعَ فِيكِ العَذَابْ
تُبَعْثِرُهُ الرِّيحُ فِي كُلِّ صَوْبٍ وَتَنْثُرُهُ فِي مَنَافِي اليَبَابْ
تَعَمَّدَ بِالدَمِ جِيلاً فَجِيلاً وَادْمَنَ فِيكِ رُكُوبَ الصِعَابْ
وَأَعْطَى القَرَابِينَ تِلْوَ القَرَابِينِ أَعْطَى ويُعْطِي بِغَيْرِ حِسَابْ

بِلادَ الجِرَاحِ يبُوس جِرَاحِكِ شَعْبٌ تَجَرَّعَ فِيكِ العَذَابْ
تَصَوَّفَ فِي عِشْقِهِ لِثَرَاكِ وَتَمَّ حُلُولُكِ فِيهِ وَطَابْ
فِلَسْطِينُ مَهْمَا ادْلَهَمَّ الفَضَاءُ وَمَهْمَا تَوَارَى السَّنَى بِالحِجَابْ
سَيَبْقَى لِشَعْبِكِ حلمٌ وَنَجْمٌ وَبوصِلَةٌ عِنْدَ خَوْضِ العُبَابْ
حِسَابُ الشُعُوبِ كَمَا تَعْلَمِينَ عَسِيرٌ يَدُكُّ الصُّخُورَ الصِلابْ
وَهَذَا زَمانُ انْفِجَارِ الشُعوبِ وللشَّعْبِ ظِفْرٌ وللشَّعْبِ نَابْ
فِلَسْطِينُ شَعْبُكِ جِذْرٌ عَتِيقٌ يَغُوصُ بِأَعْمَاقِ هَذا التُّرابْ
لأقْسَمَ بِاسْمِكِ لَنْ يَسْتَرِيحَ وَلَنْ يَنْثَنِي قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابْ



الكــأس

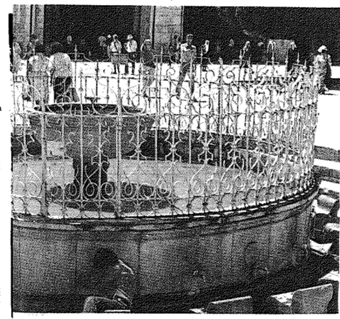
أنشأه السلطـان العـادل أبـو بكـر بن أيوب فى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م فى العصـر الأيوبى . . ثم جدد بناءه الأمير تنكز الناصرى ورممه فى سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م ثم قام السلطان قايتباى بتعميره وترميمه ثانية .

ويتكـون من حوض رخـامى مستدير الشكل وفى وسطه نافورة وعلى جوانبه الخارجية صنابير يخرج منها الماء ليتوضأ منه المصلون الذين يجلسون على مقاعد حجرية مقـامة أمام تلك الصنابير وهى موضوعة حسب استدارة الكأس . ويجرى ماء الوضوء بعد استعماله إلى المجارى الممتـدة تحت بلاط الحـرم الشريف ويحيط سياج معدنى متشابك بالحوض والنافورة .

جامــع النســاء

أزال الســلطــان صلاح الــدين الأيــوبى ما كان الصليبيـون قد أقاموه خلال احتلالهم القدس ومن ذلك مكان الطعام لفرسان الهيكل وقد حوله صلاح الدين إلى مسجد عرف بمسجد النساء فيما بعد .

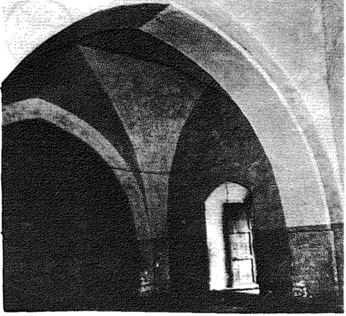
ويتكون هذا الجامع من بيت للصلاة يمتد طولا من الشرق إلى الغرب من جدار المسجد الأقصى الغربى إلى الـزاوية الجنوبية الغربية من سور الحرم الغربى ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام وفق استعمالاته فى الوقت الحاضر فيشكـل القسم الجنـوبى الغـربى منـه القـاعة الجنوبية للمتحف الاسلامى ويشكل القسم الشرقى منه مقر لجنة إعمار المسجد الأقصى ويشكل القسم الأوسط مصلى للنساء .



منظر عام للكأس

ويتكون الجامع بأقسامه الثلاثة من اسكوبين تقوم فوقهما عدد من العقود المدببة وقد سقف ما بينهما بطريقة الأقبيـة المتقاطعة وله عدد من النوافذ فى جداره الجنوبى وجـداره الغربى وليس له محراب ويقع مدخله فى الجهة الشمالية ويؤدى إلى القسم الأوسط منه وهو مدخل صغير يحيط به عمودان من الرخام .





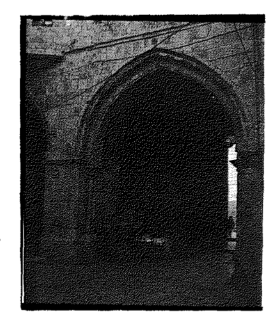
جامع النساء من الداخل

وقد جُدد بناؤها فى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م على يد الأمير عز الدين عثمان بن على الزنجيلى متولى القدس فى عهد السلطان العادل أبى بكر بن أيوب.

وتتكون هذه القبة من بناء مثمن بديع التكوين تغطيه قبة مقامة على ثلاثين عموداً من الرخام كل أربعة منها معا ما عدا الجهة الجنوبية ففيها كل ثلاثة أعمدة معاً وقد لبس ما بين الأعمدة بألواح من الرخام وفتح لها باب فى الجهة الشمالية ولها محراب بداخلها فى الجهة الجنوبية.

باب السلسلة وباب السكينة

وهما بابان من الأبواب الرئيسية للحرم الشريف ـ الباب الجنوبى منهما مفتوح وهو باب السلسلة ـ والباب



باب السلسلة / منظر خارجى

قبة المعراج / منظر خارجى

قبــة المعــراج

يبدو أن هذه القبة بنيت لتكون تذكاراً لعروج النبى ﴿ﷺ﴾ إلى السماء ولا نعلم من بناها ولا التاريخ الذى بنيت فيه.

الشمالى منهما مغلق ويسمى الباب المغلق أو باب السكينة أو باب السحرة وكان يعرف قديما بباب داود.

يعود هذان البابان فى إنشائهما أو تجديدهما إلى العصر الأيوبى وذلك من واقع البناء وتفصيلاته.

ويتكونان من مدخلين عاليى الارتفاع تعلوهما صنج حجرية معشقة ويغطى فتحة المدخل فى كل منهما مصراعان من الخشب القوى وتوجد به خوخة (فتحة مدخل صغيرة تكفى لدخول شخص واحد أثناء إغلاق الباب) وقبل المدخلين من الخارج منطقة أقيمت عليها قبتان ترتكزان على أربعة عقود مدبية مربعة تقوم بدورها على جدارى البابين والدعامات المقابلة لهما وذلك بعد ملء أماكن التقاء رجلى كل عقدين بحشوات بنائية لايجاد قاعدة مثمنة وإقامة القبة عليها.



ليلة الحنّـــاء :

وهى الليلة التى تسبق الزفاف ففى هذه الليلة حيث يكـون الاحتفـال فى بيت العروس والعريس على السـواء تجتمـع صديقـات العـروس وقريباتها فيقمن بتلبيس العـروس وتـزيينها ويبدأن يغنين لها مودعات فيرددن :

يا فداء يا رفـيـقـتـنـا يا الـروح الـروح
لو ندرى ودعـنـاك قبـل ما نروح
يا فداء يا رفـيـقـتـنـا يا الـعـزيـزة
لو ندرى ودعـنـاك قبـل الجـيـزة
يا فداء يا رفـيـقـتـنـا ياالـعـين الـعـين
لو ندرى ودعـنـاك قبـل بيـومـين

وكـيـف الـعـمـل يا رفـيـقـة تاتجـوزتـى
والـبـارحـة يا رفيـقـة بقيت انـا وانت
والـبـارحـة يا رفـيـقـة كنـا على البـير
وكيف العمـل يا رفيقـة تاتجـوزتى وزير

وبعد ذلك تأتى نساء من اهل العريس الى بيت العروس ومعهن الحنا موضوعة على اطباق من القش او سدور ويكـون عليهـا ما يسمى **(بخشة الـدار)** وتحتوى على (الشاى، القهوة. . السكر. . سجـائـر. . حنـاء. . شيكـولاتـه. . ملبس. . مكسرات، والتسالى ماكياج للعروس وغيرها وبعض الهدايا.

وتكون الحناء على نوعين.

ففى المـدن تأتى النساء ومعهن كمية كبيرة من الحنـاء المعجبونـة فى وعـاء ومـوضـوعة على صينية ومغروس بها شمع مضاء وزهور واشياء اخرى.

امـا فى القرى فيكون جزء من الحناء معجونه والجزء الآخر موضوع فى مغلفات صغيرة توزع على الاهل والاقارب والاصدقاء.

وتكـون النسـاء طوال الطـريق يغنين ويرقصن ويـرددن الاهـازيـج المختلفة حتى يصلن الى بيت العروس فتقوم سيدة خاصة تسمى الماشطة او المحنية بتحنية يدى العروس وقدميها ونقش باطن اليد.

اما فى الخليل فتتم الحناء قبل العرس بيومين او

س فى فلسطين

ثلاثة فتكون ليلة فى بيت العروس، وليلة فى بيت العريس حتى تستطيع الماشطة ان تحنّى الجميع. وبعد ان يتحنى الجميع تبقى الايادى مربوطة حتى الصباح وفى الطريق تردد النساء:

يا ميخذين الاصايل
يا مكثرين المال
ارموا على ابوها
ميتين من الرجال(*)
أرمو على ابوها
القاضى وصبيانه.. الخ

روضة الفرخ الهدهد



اما فى الوقت الحاضر فبدل ليلة الحناء فى الخليل استعيض عنها بليلة الشموع فتحمل اخت العريس الشموع مضاءة ومعها حقيبة بها هدايا للعروس التى تتناقلها امه وعمته وهن يغنين ويرددن الاهازيج ويذهب معهن العريس حيث ينام تلك الليلة فى بيت العروس دون ان يراها ويفطر عندهم على زغاليل محشية.

■ وبعد وصول اهل العريس الى بيت العروس يغنين قائلات:

يا الا تنخطب يا عروسة
حناك مرطب يا عروسة
ديا وجهك قمر يا عروسة
ومدور دورة صينيه

يا فداء يا سرية فى العلية
لو دفع الف ومية ما هو خسران

يا فداء يا سوارى فى العلالى
لو دفع الثمن غالى ما هو ندمان



يا فداء يا نوارة فى القوارة
لو دفع الف ومية ما هو خسارة

يا ام العريس الله يتم عليك
هيبة الصبايا والحنة فى ايديك
قولوا لأمه تفرح وتتهنى
وترش فراشه بالعطر والحنة

■ وعندما يصلون الى بيت العروس يقولون:

وسع دار ابو فداء لفت عليها العزومة
وانا وسعت دارى وهز ولا عز الحموله
وسع دار ابو فداء لفت عليه العزايم
وانا وسعت دارى وهز ولا عز الحبايب

■ وبعد انتهاء الحناء وذهاب اهل العريس تأخذ صديقات العروس يغنين لها:

حنيت ادى ولا حنيت اصابيعى
ما احلى النوم بين المرابعى
حنيت ادى ولا حنيت كفاتى
ما احلى النوم بين البنياتى

لمى يا لمى عبّيلى مخداتى
وصبرك علىَّ تاودع رفيقاتى
لمى يالمى عبلى قراميلى
وصبرك علىَّ تاودع رجاجيلى

قولوا لبى يحلف على الليله اباتى
وانا العزيزه انام بين اخواتى
قولوا لبى يحلف على الليله
وانا العزيزة انام بين العيلة

■ وتكون ليلة محزنة بالنسبة للعروس واهلها.

● اما بالنسبة لاهل العريس فيتمون السهر بعد رجوعهم وتستمر حتى الصباح فيقولون:

جيت اغنى لمحمد وامه مانى ميريها
من خوف العتب واللوم وانا جاى اهنيها
جيت اغنى لمحمد وامه مانى شايفها
من خوف العتب واللوم وانا جاى افرحها

تلوى يا شعر الحيه على ايديا
والشيخة لابو محمد الماهيه
تلوى يا شعر الحيه على الذرعان
والشيخه لابو محمد الهازمان
تلوى يا شعر الحيه على الابريق
والشيخه لابو محمد بتليق

● وتكون الاغانى لمدح العريس واهله.


الزي الخليلي

زي منطقة طولكرم

يــــوم العـــرس

وتنهض النسـاء وينهض الـرجـال باكـراً لذبـح الذبائح وتحضير الطعام فمنهم من كان يقدم المنسف او المفتـول وبعد ذلك يذهب العريس الى الحلاق برفقـة اصـدقائه واقربائه ويعود الى البيت، او الى بيت احـد اقـربائه ليستحم ويستعد للزفة فيها يبدأ المدعوون بالتجمع فى بيت العريس من اجل الزفة التى تقام عادة بعد تقديم طعام الغداء . . اما فى بيت العـروس فيبدأ منذ الصباح الباكر بحضور قريباتها لتحميمها وتزيينها والباسها ملابس العرس. اما فى الوقت الحاضر فتذهب العروس الى الكوافير حيث يقوم العريس بدفع كل التكاليف لها ولمن يذهبن معها من الصديقات والاهل وبعد حضورها واستعدادها يبـدأن فى الغنـاء لها لمدح اهلهـا ووصف جمالهـا وصفاتها.

ومن المتعـارف عليـه فى القـرى ان على اهـل العريس ارسال طعام الغداء الى العروس واهلها فى بيتهم.

وعنـد تقديم الغداء فى بيت العريس وفى اثناء اعداده تبدأ النساء بالغناء وترديد الاهازيج التى تقال عند تقديم الطعام:

فكانوا يقولون :

اجا الرز من يافا وله زمان مذخَّرْ
واللى ما يساوى زى ابو محمد يموت وهو يتحسَّرْ

اه اى يا والرز ما هو عيش
اه اى ولا الطعام الجيش
اه اى واللى ما يساوى زى ابو محمد والا الفشر عليه

فى الخليل :

اه اى حَيّ بيتنا دافى
اه اى وعيشنا وافى
اه اى كلوا لا تستحوا يا ريته صحة وعوافى

● وبعد تقديم الغداء هنالك ما يسمى بالتخليف(١) فيقـوم النـاس وكـل حسب مقـدرته بتقديم النقوط للعريس ويعتبر هذا النقوط واجباً على الناس وديناً عليهم قضـاؤه ويكـون بمثـابـة معـونة نقدية تقدم للعـريس وفى القـرى هنالك التخليف حيث يقف شخص بجـانب العـريس من اقـربائه وكلما ينقطه شخص قال :

يخلف على ابـو على
نقـط مبـلغ كيـت وكيـت
او خلف الله عليـك يا ابـو على.
وحبـه فى راس من صلى على النبى

● وبعد ذلك تبدأ حفلة العرس وتقسم الى قسمين فى بيت العروس . . فى بيت العريس.

وتبدأ فى بيت العروس التى تكون قد استعدت للذهاب الى بيت العريس وقد جمعت كل حاجياتها فى الصنـدوق الخشبى الذى استعيض عنه فى يومنا هذا بحقائب السفر وتبدأ صديقاتها يرددن لها

يا فداء مسـنـدك غالـى
ويسـلم بيـك هالـغـالـى
يا فداء مسـنـدك حريـر
ويسـلم بيـك هالامـير



يا فداء مسندك معلى
ويسلم بيك يا محلا
يا فداء مسندك قزاز
ويسلم بيك هالاستاذ

يا فداء يا سريه فى العليه
لو دفع الف ومية ما هو خسران
يا فداء يا سرادى فى العلالى
لو دفع الثمن غالى ما هو ندمان

يا فداء يا جوهرة يا تربات ابوها
يا ريتك مباركة على اخذوها
يا فداء يا جوهرة يا تربات اخوتها
يا ريتك مباركة على اخذتها

● استعدادا لحضور اهل العريس لاخذها هى وقريباتها الى بيت العريس وكانت العروس تنقل قديما بواسطة الحصان او الهودج فى القرى اما فى المدن فكانت تنقل بواسطة العربه التى يجرها حصانان اما فى الوقت الحاضر فتستعمل السيارات والباصات لنقلها.

اما فى بيت العريس الذى يدخل للاستحمام ويكون اصدقاؤه بانتظاره على الباب وحين يخرج يغنون له:

طلع الزين من الحمام
الله واسم الله عليه
طلع الزين من الحمام
صلوا على بدر التمام

● وبعد الغداء مباشرة تبدأ الزفة من بيت العريس الى بيت العروس ويكون العريس على الحصان والرجال امامه والنساء خلفه ويحضرون العروس من بيت اهلها ثم يعودون الى بيت العرس والزفة لا تزال فى اوجها.

اما فى المدينة وفى يومنا هذا ايضا كان يستحم فى بيت احد اقربائه ويأخذونه بالزفة الى بيتهم بينما يذهب قسم آخر لاحضار العروس وبعد وصولها تبقى تنتظر حتى تنتهى الزفه ويدخلون العريس واحيانا فى الوقت الحاضر تقام الحفلات فى الفنادق حيث يدخل العريس والعروس معاً لاكمال السهرة.

وتبدأ الزفة كما اسلفنا العريس بين اصدقائه ومعارفه فى ابهى ثيابه ويبدأ الرجال يغنون:

عريسنا شيخ الشباب
شيخ الشباب عريسنا
عريسنا كلنا إلك
فوق الثريا منزلك
السيف اللى عمره ما انحنى
ما بينحنى الا الك
يا عينى صلى عالنبى
كرماً لمحمد وعلى
قالتى عقلى واتجوز
اخذت زين الشباب
قسم النصيب واجا الزين
وصار يقول لى يا بابا
بدى حلاوة منقوشه
مديت ايدى عالجيبه لقيت الجيبه ملطوشه
بينى وبينه دار الهوش
واخذونى كالساراية
وضربونى ميت عصاى
وضربونى على كعب



يا كعابى حلق فضه
يا بوسه على عضه
تسمع غنج الصبيه
تسمعها من باب الدار
آه يا قاسى يا غدار

● اما النساء فتكون اغانيهن لتلهب عزائم الرجال فيقلن :
طاحت خيلنا على باب الوادى
طاحت خيلنا تحمى البلادى
طاحت خيلنا على باب الخلُه
طاحت خيلنا ترد العدو

لابسى الشال والشال تحلالو
يا محلى العريس ورجاله قدَّامه
لابسى الشال والشالى تليقلو
يا محلى العريس وعمه سابق بوه

صلين على النبى يا اللى على الحيطان
صلين على النبى وعلى زين العرسان
صلين على النبى يا اللى على البلكون
صلين على النبى وعلى زفه المزيون

● فى القرى تكون ذكر اسماء القرى مثلا (قريه بيت محسير)
واحنا المحسيريات بثياب الجر
ورجالنا قدامنا مثل الوزر
واحنا المحسيريات امات المناديلى
ورجالنا قدامنا مثل القناديلى

● **اما فى المدن فيقلن :**
فن وين ازفك يا عريس منين
من الصخرة لراس العين
كل الافنديه وقفوا صفين
لاجل عمك يانور العين
كل الاطباء وقفوا صفين
لاجل خالك يا نور العين

● اما فى الخليل فكانت الزفة من المسجد الخليلى الى بيت العريس فيقلن :
تستاهل يا محمد عروسه شلبيه
جيبلها ساعة ذهب وورقه عسمليه

■ اما الزغاريد :
اه اى يا امه قعدت على المخده
اه اى وقلبها يهدهد بهده
اه اى ولما جوزت محمد فتحت زى الوردة

اه اى فرحت لك الخلايق
اه اى بها النهار الرايق
اه اى وطفت قلوب الاعادى.. لما تحققت الحقايق

● وعندما يقابل العريس العروس فى وسط الزفة (قديماً).
نيالك يا ابو الحطه
منين جبت هالبطه
نيالك يا ابو العقال
منين جبت هالغزال
تلولحى يا داليه
يا ام غصون العاليه
تلولحى بعرضين وطول



● اما الذين يذهبون لاحضار العروس يقولون وهم خارجون:

وامبـارح الـعـصـر حمَّلنـا وزمَّلنـا
على دار ابـو فداء حطينـا ظعـاينـا

● اما اليوم فيقولون:

من وسط الحارة يا شفير من وسط الحارة يا لا لا
نجمة الغرارة على حدك يا محمد نجمة الغرارة
من وسط السوق يا شفير من وسط السوق يا لا لا
نجمة العيوق على حدك يا محمد نجمة العيوق يا لا لا

● وعنـدمـا يصلون الى بيت العروس يبدأ الجميع يغنون للعروس ولاهلها وبعد ذلك يغنون لها قائلين:

يخلف على ابـوك يخلف عليـه خلفـين
طلبنـا النسب منه اعطـانـا بنـاتـه الثنتين
يخلف عليـكـو وكـثـر الله خيركـو
دورنـا على الـنـسـب ما لقينـا غيركـو

● اما فى المدن فيقولون:

بَىّ الـعـروس يخلف عليـك الاول
طلبنـا النسب منـه اعطـانـا غزال مصور
بَىّ الـعـروس يخلف عليـك الـثـانـى
طلبنـا النسب منـه اعطـانـا جوز غزلان

■ *وبعـد حضـور اهل العريس الى بيت العروس يكون معهم بالاضافة الى السيدات بعض الرجال المتقدمين فى السن وعلى رأسهم والد العريس ويتقدم اقاربها فى الصف (الجد والوالد والاخ والعم والخال وابنـاء الاعمام وابناء الاخوال وباقى رجال العائلة) لتوديعها وتنقيطها . . وفى القرى يرفض والد العروس خروجها الا بعد دفع ما يسمى (هدم العم والخال) وهـو مبلغ من المال يعطى لاعمامها واخوالها الذين يقومون باعادته للعروس مع النقوط فاذا تأخرت تغنى لها النساء:*

مشطـك وقـع فى الطشت يا نشميـه
بيـك رضـى والا نزيـده ميـه
مشطـك وقـع فى الطـشـت يا فلاحـه
بيـك رضـى والا نزيـده راحـه

■ *ثم يطلب والـد العـريس بأدب من والـدهـا اصطحـاب العـروس الى بيتهـا الجديد ويبدأ والد العروس بالقاء بيت من الشعر او كلمة بسيطة كل حسب مقـدرتـه ليوصيه بها وبأنه يسلمه اياها امانة والامـانـة غالية ويبكى الاب والاقارب وتدمع عيون الاخـرين ولكـن الكل يتدارك الموقف وتأخذ النساء بالغناء والزغاريد المناسبة فيقلن:*

قومـى اطـلعـى قومـى اطـلعـى لخالـك
واحنـا دفعنـا حقـوق ابوك واخوالـك
قومـى اطـلعـى قومـى اطـلعـى ما همك
واحنـا دفـعنـا حقـوق ابـوك وعمـك





● وعندما تصل الى باب بيتها ويكون والدها ممسكا بها مع عمها او خالها تأخذ النساء يرددن:

صارت لينا صارت لينا النشميه
صار السعد يدرج على العليه
صارت لينا صارت لينا الفلاحه
صار السعد يدرج على الطراحه

● وفي يومنا الحاضر اخذت السيارة مكان الحصان فعندما تصل العروس الى باب السيارة يغنين لها:

طلعت، الاميره زينت الحارة
يا اميرها بيضا بلا السوارة
طلعت الاميره زينت الحوشه
يا خدودها حمر بلاش نقوشي

● اما في المدن فيغنون لها وهي خارجة

يا غالية يا غالية خدامينك ثمانية
اربعة يجيبوا اللحمه واربعة يجيبوا البامية
صاحب البلد راح وين
يقطعوا اجهاز الغالية

■ قبل وصول العروس تقوم قريبات العريس بعجن عجينه صغيره واحضار عرق اخضر وورود حمراء لتضعه العروس على باب البيت حتى تكون حياتها خضراء ويضعون على رأسها ابريق ماء وسكر تشرب منه ويرشون عليها وهي داخلة الى البيت وعليها ان تدخل بقدمها اليمنى وفي اليوم الحاضر اصبحوا يرشون عليها الورود خاصة الياسمين الذي يجمع في صحن لهذه الغاية.

● وفي القرى كانوا يغنون لها قبل عام ١٩٤٨م:

رشوا الحارة شلومه(٢)
تا تمرق بنت الحموله
فرشوا الحارة شنابر
تا تمرق بنت الاكابر
والشنابر تعني الشال

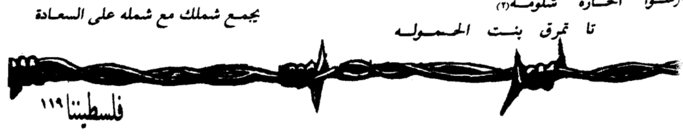
■ ويكون اهل العريس قد جهزوا مكاناً خاصاً يسمى اللوج «الكوشة» حتى يجلس عليه العروسان ويكون خلفهما سجادة وورود زينة وتكون اما بمستوى الموجودين او اعلى قليلا فتدخل العروس وتجلس هناك وتأخذ النساء يغنين لها ويزغردن كل فريق حسب عاداته:

● الاغاني التي تغنى للعروس بعد وصولها الى بيت العريس: وتغنى في المدن والقرى على السواء:

جبناها العروس جبناها
ما شاء الله العروس ما احلاها
جبناها وجينا ما بطينا
ويكشف حال من دعت علينا
جبناها وجينا يا خليلي
على عين العدا والمبغضين

يا ريتك مباركة علينا علينا
واتبكري بالصبي يلعب حوالينا
يا ريتك مباركة ياكنة ابوي
واتبكري بالصبي يلعب حوالي
يا ريتك مباركة على السلف والسلفه
واتبكري بالصبي وتكتري الخلفه

اكتبيله يا فداء على المخده
يجمع شملك مع شمله عالمحبة
اكتبيله يا فداء على الوسادة
يجمع شملك مع شمله على السعادة





اكتبيله يا فداء الف وباء
يجمع شملك مع شمله مدى الحياة

واحنا جينا عزومه من حيا الله
على صيت ابو محمد فى رام الله
واحنا جينا عزومه يا ام الذهبان
على صيت ابو محمد جوا عمان
واحنا جينا عزومه يا ام اللبس
على صيت ابو محمد جو القدس

● فى المدن الساحلية:

يا ام العريس افرشى هالساحة
سبعة خدام والجارية فلاحة
يا ام العريس يا اجرين الحاجة
طول عمرك غناجه

●●●

دوسى دوسى يا عروسة على الكنباية دوسى
وعريسك يقول يا حلالى يا مالى يا فلوسى
جبت الشكله وجيت اطل عليك
لقيت حماتك أحن منى عليك
يا صلاة النبى على حنتك بايديك
جبت الاساور وجيت اطل عليك
لقيت عريسك زى القمر حواليك
ولقيت حماتك احن منى عليك

■ **فى الخليل:**

افرح يا قلبى يا ما بكت عينى
محمد عريس والبِّسه فى ايديا
تعالى شوفى يا اللى وعاتى علىّ
انتى دعيتى وربى عاد على

● وهناك فى الخليل يحضر اهل العروس معهم قدرة رز ولحمه وصدر كنافه ونقل مخلوطه (قفة مخلوطة) ويبدأ الحاضرون يغنون اغانى لمديح العروس واهلها.

● اما فى نابلس فيعددون كل اصناف الخضروات وما يقابلها من الصفات الحسنة عند العروس فيقولون:

روح سوق البامية يا حبابه
محمد اخذ غالية يا حبابه
روح سوق البندورة يا حبابه
محمد اخذ غندورة يا حبابه
روح سوق البطاطا يا حبابه
محمد اخذ خياطة يا حبابه





■ **زغــرودة :**

اه اى صلوا على محمد
اه اى والثانية ثنتين
اه اى والثالثة خرز زرقاء ترد عنك العين

● ويكون العرس فى قمة الروعة عند ادخال العريس ليجلس بجانب العروس فيحضر برفقة والده وعمه او اخيه ويرفع عن رأسها الطرحه (غطاء الوجه) وينقطها بهدية جميلة او مبلغ من المال وتكون الاغانى لوصف العروس والعريس بالصفات الحسنة فيقولون :

فوق راسـك يا فداء لوح الـقـزاز
ويـا هيـة على محمـد هيـة اسـتـاذ
فوق راسـك يا فداء لوح الـبـنـور[٣]
ويـا هيـة على محمـد هيـة دكـتـور

شو غنـتْ وشـو قالـتْ ام الـعـريس
ابـو كرافـة مكـويـه فوق الـقـميص
شو غنـت وشـو قالـت ام الـعـرسـان
ابـو كرافـة مكـويـة فوق الـقـمـصـان



عبى الـسيجـارة وكيف مالـك زعـلان
ويـا فداء على حدك طلق الـريحـان
عبى الـسيجـارة وكيف مالـك مهمـوم
ويـا فداء على حدك طلق الـليـمـون

على باب دارى يا جارى تكسِّين وبـاص
ويـا هيِّـة على محمـد هيـة اسـتـاذ
على باب دارى يا خالـى تكسـى رابـط
ويـا هيـة على محمـد هيـة ضابـط
شعرك دوالى عنب والنوم فى ظِلّه
وما قلت لك يا عريس بعد العشا حِلّه

●●●

رن الـسـيـف على بلاط الجـامـع
ويـا ابـو محمـد يا ذهـب الـلامـع
رن الـسـيـف على بلاط المـسطـبـه
ويـا ابـو محمـد يا ذهـب محبـكـه

■ وتستمر الحفلة الى ساعات متأخرة من الليل وتكون بمرافقة الرقص بالسيف اما فى المدن فيستعينون بالجناكى اللواتى يحضرن خصيصاً للرقص فى الاعراس والدق على الدف والنقرزان ولم النقوط من الناس. ويغنين للداخلين من المدعووين (النقرزان عبارة عن طبلات صغار ٢٠ سم ارتفاع ١٥ سم. عليها جلد ويدق عليها بعيدان من خشب الرمان وفى الخليل قبل حضور العريس تنزل العروس من على اللوج وتخرج من المكان ويأتى العريس محاطاً باصدقائه واقربائه ويجلس هناك ثم تحضر العروس. وتكون حامله مصحفاً بداخله ورد ويغنون لها :

يا ناس صلوا على الـنـبـى
نقـراً ونـصـلى على الحـبـيـب

بنت الاكابر لبست البدلة
من بيت ابوها لبيت العريس

●●●

امينة في امانيها
مليحة في معانيها
تجلت وانجلت حقاً
سألت الله يهنيها

تمسك المصحف وتعطيه للعريس ليقبله ثم تجلس بجانبه وبعد ذلك تنزل وتبدأ بالرقص وتغيير الملابس.

وتبدأ العروس بتغيير بدلاتها (وكانت هذه العادة عند اهل المدن قبل عام ١٩٤٨). ولكنها الآن اصبحت عادة متبعة عند الجميع.. وعندما تبدأ العروس بتغيير ملابسها عليها ان ترقص امام العريس والموجودين ثم تذهب لتغير مرة اخرى وكان بعض اهل القرى يتبعون عادة جميلة جدا (انقرضت في الوقت الحالي) فعندما تغير العروس اول بدلة يقوم العريس بتنقيطها كل ما يملك من الورقة ذات العشرة دنانير فيضعها على وجهها ورأسها وصدرها وبعد ذلك الورقة ذات الخمسة دنانير ثم ذات الدينار ثم نصف دينار ثم يبدأ بالنقد الفضي عشرة قروش والخمسة قروش، وقرشين ثم القرش ونصف القرش حتى لا يبقى معه اى شيء وتكون اخته او اختها ترقص خلف العروس وتجمع كل ما يعطيها وتضعه في منديل وتضعه جميعه في حقيبة يد العروس. وتبدأ العروس اولا بلبس البدلة الزهر وتحمل بيدها منديلاً ويغني الحاضرون لها:

منديلي يا اما منديلي
وقع في الحارة منديلي
وانا دايرة عليه محتارة
يا محمد يا ابو السيجارة
دور لي على منديلي

● *ثم البدلة الزرقاء: وكانت العروس تحمل بيدها فنجاناً وتدور به على جميع الحاضرين يضعون به نقوداً.*

● *ثم البدلة الحمراء فيغني لها الجميع.*

قامت النخلة لتميل
يرموا عليها منديل الحرير
مين كساك يا نخلة
هالعريس الامير

● *ثم البذلة الصفراء وتلبس فوقها معطفا او عباءة ويغنون لها:*

يا ام العباية
حلوة عباتك
يا سمرا والله
الزين صفاتك

● *ثم البذلة السوداء ويتم تنقيش وجهها وتلبس يشمك(٤)، ويزخرفون وجهها كالبدويات وتحمل خنجراً او مسدسا ويغني لها الحضور:*

بيدوية البيدوية
يا حالي عالبيدوية
بيدوية من دلعها
خلعت النخلة بيلحها

● ثم تلبس الابيض ويضعون على يديها الشمع بالكشتبان وترقص ويغنين لها:

مبروك عليك عريسك الخفة
يا عروسة يا مزينة الزفة

■ وبعد ذلك تبدأ قريبات العريس بتقديم النقوط للعريس والعروس وتبدأ امه:
اولا.. فتقدم له النقوط وللعروس وهي تغني:
يا ام العريس الله ينعم عليكي
هيبة الصبايا والحنة بايديك
قولوا لامه تفرح وتتهني
وترش فراشه بالورد والحنة

■ وتزغرد:
اهـ اى صلوا على محمد
اهـ اى والثانية ثنتين
اهـ اى والثالثة خرزة زرقاء ترد عنك العين
اهـ اى يا ريتها مبروكة
اهـ اى يا سبع بركات
اهـ اى كما بارك محمد على جبل عرفات

■ ثم بعد ذلك اخت العريس الكبيرة التى تقول:
اهـ اى وانا اختك الكبيرة المعزة
اهـ اى وانا لبستك بدلة مبزرة
اهـ اى وقلوب العدا منى مفرزة

■ وبعد ذلك قريباته بالتتابع وتنتهى الحفلة بدخول العريس والعروس الى غرفة النوم. وفى القرى كان اهل العريس ينتظرون على الباب وبعد مضى بعض الوقت يقرعون الباب ليسألون العريس عن الخبر تخرج العروس تلبس قميص النوم الابيض دلالة على عذريتها. اما اليوم فقد اصبح العريس يأخذ العروس الى الفندق او الى الخارج لقضاء شهر عسل.

يوم الصبحية:
فى الخليل يأتى اهل العروس صباحاً ويحضرون لها الفطور وينقطونها ويغنون لها:
نورتى على الناس وعلى
يا عروسة يومة الصبحيًا
نورتى عليه ليلة الجلوة
شاف وجهك طار عقله يا حلوه
نورتى عليه ساعة شافك
اخذت عقله بلطافك

■ اما فى نابلس فيغنون لها:
يسعد صباحك يا نجمة الصبحية
محمد مدلل وعروسته شلبية

■ اما اهل قرى (اللد والرملة) فيكون اللقاء يوم الاحد ويسمى (محضر) حيث يحضر اهل العروس وينقطونها ويغنون لها كما فعلوا فى السهرات ويعزمونها - اى يدعونها - فى اليوم السابع هى والعريس واهله الى بيت اهلها لتناول طعام العشاء. ويكون فى بيت اهلها اقاربها من اعمامها واخوالها وابناء عمومتها وابناء خؤلتها الذين يدعونها بالتناوب الى بيوتهم ثم اهل العريس الذين يفعلون الشيء نفسه اما فى المدن فيكون ما يسمى بالمباركة وهى بعد اليوم السابع ودعوتها عند اهلها حيث يحضر الاقارب لتهنئة العروسين.

(١) من قولهم خلف الله على فلان - أى أعطاه عوضاً عما قدم للعرس (العزيزى)
(٢) جمع شلن وهم يقلبون النون ميماً ويجمعونها هذا الجمع سلومة (العزيزى)
(٣) يقلب العامة اللام نوناً كثيرا فيقولون نيرة بدلا من ليرة وبنور بدلا من بلور (العزيزى)
(٤) هو المعروف اليوم بـ (الشباغ) والجمع اشباغات والكلمة تركية (العزيزى).

وحدة الع

من المحي



الخليج عريق فى العروبة وقد استعمل الجغرافى اليونانى سترابون Strabon المتوفى بين ٢١ و٢٥ ميلادية كلمة الخليج العربى فى وصفه للحملة التى قام بها الرومان على بلاد العرب

ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج الفارسى الى القائد اليونانى نيركس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الأكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقى فظن ان المنطقة كلها فارسية

وتتجلى عروبة المنطقة أيضا منذ أعرق العصور فى الاسم الذى تحمله مقاطعة خوزستان الايرانية التى كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة «عربستان» «أى بلاد العرب» ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبنى تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

وعربستان هذه هى التى كانت تسمى «الأهواز».. والأهواز كما جاء فى معجم البلدان جمع هوز وأصله (حوز) لأنه ليس فى كلام الفرس «حاء» حيث يقولون (مهمد.. لمحمد).. ولذلك نرى أن كلمة (الأهواز) اسم عربى أطلق على هذا الاقليم فى العصر الاسلامى.. وتسمى بهذا الاسم فى المغرب الأقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين.. ولعل لهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول أسباب اطلاق اسم (سوس) على أقصى جنوب المغرب فى الأطلس الصغير فيروى المؤرخ الرومانى سالوست (Salluste) المتوفى فى عام ٣٥ ق.م. (فى الكتاب الذى صنفه حول «حرب يوغورتا» ملك نوميديا من أسرة أمراء البربر والمولود عام ١٥٤ ق.م) أن الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الايبيرية (اى اسبانيا والبرتغال) فى عهد هيراكلس Heraclius (٥٧٥-٦٤١) الذى سميت به أساطين هرقل أى مضيق جبل طارق شمالى المغرب الأقصى) قد تحولت أشرعة مراكبهم بشدة سرعة الريح الى المحيط الاطلنطيقى فوصلوا الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيتول Getules وهم أهل جزولة الحالية على ما يظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدينتى سوسة التونسية والليبية وهما متشابهتان) اقتباسا من كلمة سوسانة Susiane أو أرض عيلام Elam الواقعة بمنطقة الأهواز على أن الفرس قد اشتهروا قديما بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم وقد أطلق هذا الاسم على أهل نوميديا وهى اقليم افريقى يقع بين منطقة قرطاج التى أسسها الفينيقيون كعاصمة لمستعمرتهم عام ٨١٤ ق.م وبلاد موريطانيا يقد

...الم العربي
...ط إلى الخليج

خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكم الروماني . . وسنرى كيف أن هذه العناصر تشكل حلقات فى الشبكة الواسعة التى حبكها الفينيقيون منذ أعرق العصور بين الشمال الافريقى والخليج العربى . . نعم كان للعرب الكنعانيين أى الفينيقيين جولات فى الخليج العربى فهم الذين أسسوا فى مدينة تير (Tyr) (صور الحالية فى لبنان) فى الألف الثالثة قبل الميلاد وكانت عاصمة تشرف على القوافل التى تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الأسيوى عبر بحر القلزم . والفينيقيون هم الذين أسسوا قرطاج واسمها محرف عن قرية دواك أى القرية الحديثة لأنها أسست بعد كل من مدينة أوتيك Utique التونسية ومدينة ليكس المغربية حوالى (١١٠ ق.م) وقد سقطت

الحركة التجارية فى دفعها برًا وبحرًا وصلت قمة نشاطها فى القرن الثالث الهجرى . . وكانت الخطوط التجارية كلها تؤدى الى ميناء (الأبله) وميناء (البصرة)

مدينة تير تحت الحكم الرومانى عام ٦٤ ق.م وأشرف عليها وعلى قصر فرعون أى وليلى القديمة Volubilis بالمغرب الأقصى الامبراطور الرومانى سبتيم سيفير Septime Severe (١٤٦-٢١١ ق.م).

ويرى بعض المؤرخين أن الفينيقيين كانوا قد استقروا فترة من الزمن فى شواطىء الخليج قبل ان ينتقلوا الى الساحل السورى وأنهم سموا مدينة «صور» على شاطىء البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهم الأولى على شاطىء الخليج ولعل الآثار التى تم الكشف عنها فى المنطقتين تضفى على هذه الرواية سمة من الحقيقة لاسيما وأن مؤرخين محدثين قد أكدوا ذلك ومن جملتهم الأستاذ جان كاك بيريبى فى كتابه «الخليج الفارسى» . . والاستاذ أمين الريحانى الذى أبرز بالاضافة الى ما ذكر تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية فى كتابه «ملوك العرب» .

وبذلك يكون الفينيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنسون .

وعندما وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على

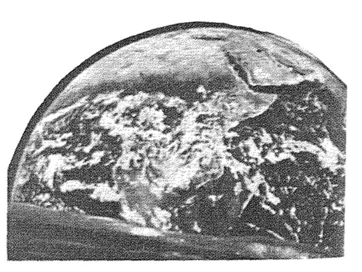
سواحل المتوسط وأسسوا ليكس واوتيك ومالقه وقادس (بالاندلس) وهبو (عناية وبنزرت) أصبحت اللغة البونيقية Langue puni que المستمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محلية لغة أشبه بعامية افريقيا الشمالية فى العصر الحاضر - نشرنا بحثا عنها فى مجلة «اللسان العربى» - (التى أتشرف بادارتها ورياسة تحريرها وهى لسان المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى) وخلاصة ما فى هذا البحث أنه عثر فى البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونية تحمل تاريخ ١٢٥ ق.م نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم فى المغرب العربى أن هذه اللهجات ليست سوى امتداد أصيل للغة بنى كنعان العربية العريقة التى استعملت قبل الاسلام فى كل من الخليج العربى والمغرب.. وبذلك تأكد أن لغة الضاد قد مهدت السبيل للاسلام فى المغرب العربى قبل البعثة المحمدية بأزيد من ألف عام.

وقد اعتبر الرحالة المغربى الكبير الحسن بن محمد الوزان المعروف عند الغربيين بليون الافريقى أن الفينيقيين عنصر هام فى سكان افريقيا الأقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام ١٢١٥ ق.م عندما أجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين.. ثم تتابعت الجاليات أيام نبى الله داود عليه السلام عام ١٠٥٥ ق.م والواقع أن العرب كانوا يملأون - بالاضافة الى الشمال الافريقى - هضاب وبطاح جنوب افريقيا حيث كشف الدكتور استانلى تيمبور على مقربة من نهر زمبيز فى مقاطعة روديسيا آثارا منقوشة مع رسوم مكتوبة استدل بها على أن العرب استثمروا مناجم الذهب التى كان قد استثمرها قبلهم أسلافهم عرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج٢ ص٤٣) أن الحضارة ظهرت فى بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة وانتشرت فى صورة مثلث ثقافى الى شومر وبابل وأشور ومصر ويعضد هذه النظرية ما قيل من أبوة اليمن (بلد العرب البائدة) للشعب العربى فى سائر أقطاره وخاصة فى حوض البحر الأبيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة.

وقد تحدث ابن خلدون فى تاريخه (ج١ ص٩٩ طبعة بيروت) عن عروبة جبال الأطلس المغربية فأشار الى ما أكده المؤرخون والنسابون العرب أمثال الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى من أن صنهاجة (سكان الأطلس الأوسط) ومصمودة (سكان الأطلس الكبير) وكتامة (بشمالى وشرقى المغرب الأقصى) عرب يمنيون من سلالة حِمْيَرَ. فيكون البرابرة حسب هذه الرواية أعرق فى العروبة من ربيعة ومضر لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صيفى الحميرى.. وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندى فى صبح الأعشى (ج١ ص٣٢١) فلاحظ أن افريقش هذا هو الذى نقل البربر من سواحل الشام - مركز الفينيقيين ومهاجرى الخليج العربى - الى المغرب ملاحظا أن أكثر الأقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم (فى جمهرته) الذى تبعه ابن خلدون (التاريخ ج٦ ص٩٦) الذى زعم أنه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى تكاذيب مؤرخى اليمن.. ويظهر أن ابن خلدون أغفل الطريق القديمة التى كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم (أى عيذاب وبور سودان الحالية) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى النيجر الى مراكش تلك الطريق التى أكد لنا (الحسن الوزان) أنه سلكها مع القوافل التجارية أواخر القرن العاشر الهجرى فرارا من قراصنة الطريق الساحلية على طول البحر الأبيض المتوسط.. وسنرى كيف أن سجلماسة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجرى مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج.. وليس ببدع ان يوغل فى الصحراء أهل هذه الصحراء لا سيما وأن هؤلاء كان دأبهم فى جميع الأعصار الفرار من رطوبة السواحل والتوغل فى الرمال سواء كانت فى النيجر أم فى السودان أم فى الثلث الخالى من جنوب غرب آسيا.. وقد أسس العرب مراكز تجارية فى شمال الصحارى كمحطات للقوافل المحملة بالبضائع المجلوبة من أقاصى البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر

حتما فى الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة القبلية فى الصحراء على هذا الترابط.





ويعتبر القرن الثالث الهجرى قمة نشاط الحركة لتجارية برا وبحرا وفترة ذهبية فى تاريخها وكانت لخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب اوربا و من الشمال الافريقى أو من روسيا تؤدى كلها الى يناء الأبلة وميناء البصرة وقد تحدث الرحالة بانيكار

فى كتابه حول «آسيا والسيطرة الغربية» ان العرب سواء فى الشرق أم فى الغرب أصبحوا يتنافسون مع الشعوب الأخرى على تجارة الأفاويه فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس فى المغرب الأقصى (ص٣٧ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد). . أضف الى ذلك ان تجارة الرقيق المجلوب من افريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لهما ضلع فى تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من اهتمام المسئولين العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاصى وبعده هارون الرشيد بشق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الأندلس والمغرب الى الصين. . وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية فى الخليج العربى بنشاط غامر فى هذا الحقل التجارى. . فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبيل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت فى شهرتها ميناء الأبلة الذى ظل مع ذلك المركز التجارى الأوحد ما بين الخليج العربى والخط الملاحى لنهر دجلة الممتد الى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهى الدينار والفضية وهى الدرهم.

وإذا علمنا أن البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء فى جانب الأرض المزروعة وبساتين النخيل فى منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط أنظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث أسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالى المغرب. . وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان. . ومرحلة فى طريق القوافل الى أن هدمها ابو الفتوح عام ٣٦٨هـ (البيان لابن عذارى ج١ ص٣٣٠) وقد حدثنا ناصر خسرو الذى زار هذه المدينة عام ١٠٥٠ عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيالات أو سفنجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل بنك مقابل ايصال. . وكل

المشتريات تدفع بالشيكات او الحوالات ويقوم التاجر طوال اقامته فى المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات أو الكمبيالات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت أيضا (بسجلماسة) حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذى حدثنا عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسسة عام ١٤٠هـ) وكذلك كل من صاحب المسالك (ص٧٠) وابن سعيد المغربى عن حوالة قدرها أربعون ألف دينار حررها تاجر سجلماسى لفائدة تاجر آخر وكان التجار المسيحيّون الواردون من الأندلس وتلمسان يمرون بسجلماسة الذى أكد ياقوت الحموى فى معجمه أن مصانع نسيجها بذت فى جودة الانتاج مصانع مصر.

كما لاحظ ابن خردذابة الجغرافى العربى فى القرن الثالث الهجرى أن التجار الصقالبة كانوا يمرون فى وجهتهم نحو الشرق عن طريق سوس الأدنى أى طنجة ومنها الى افريقية ومصر وتشمل مقاطعة سوس الأدنى مدينة البصرة المغربية حيث يمكن القول ان هذا المركز كان منطلقا للقوافل نحو البصرة الشرقية عن طريق الخليج العربى سواء عبر الصحراء الجنوبية أم خلال بلاد الكنانة. . ولعله ليس من العبث أن تحمل مدن مغربية وأندلسية فى هذه الطريق الغربى أسماء مدن أخرى تتلاحق فى الشق الشرقى لنفس الطريق فبالاضافة الى البصرة وسوس الأهواز وحمص فى كل من فاس الجديد والاندلس توجد فى قلب الأطلس مدينة القاهرة وفى قلب الريف اقليم فشتالة المعروف بالشام الصغير كما توجد فى الاندلس مدينة تدمير المتساوقة فى اسمها مع تدمر السورية التى كانت منذ العصر الرومانى من أبرز المراكز التجارية فى هذه الشبكة وكانت أشهر المدن والموانىء فى الخليج انذاك ابولوجوس أى الابلة الواقعة على شاطىء دجلة البصرة. . وهى أقدم من البصرة وتقابلها فى الغرب مدينة الابلة التى ينتمي اليها (أبو عبد الله الابلى شيخ ابن خلدون) وقد ظلت الابلة المخرج الرئيسى على الخليج من أجل التجارة الفارسية فى النقطة التى نلتقى عندها الطرق العظيمة من فارس جزيرة العرب على ضفتى دجلة.

وقد لفت ابن خرداذابة الانتباه الى المكانة الهامة التى احتلتها الأبلة فى التجارة بين الشرق والغرب حيث كان التجار اليهود يقلعون من فرنسا فى البحر العربى (أى المتوسط) ويتجهون نحو انطاكيا ومنها الى بغداد ثم الأبلة فالسند والهند والصين. . وقد ظلت هذه المدينة بارزة على المسرح العالمى مرتبطة بالبصرة فى النشاطات البحرية الخاصة بالخليج لعدة قرون واذا كانت مدينة البصرة الحديثة قد امتصت الأبلة فان ذلك لم يتم الا بعد القرن التاسع الهجرى.

وهنا يمكن ان نتساءل عن الدور الذى قام به الخوارج لدعم الروابط السياسية بين الخليج والمغرب منذ صدر الاسلام فالأزارقة قد ثاروا فى الاهواز والبصرة حيث استباحوا دماء واعراض المسلمين الخارجين عن نطاق فكرتهم ولكنهم ما لبثوا ان انهزموا لتطرفهم فخلفهم الصفريون القائلون بضرورة التعايش مع غير الخوارج وقد نفذ هؤلاء الصفرية فى المغرب الى قلوب البربر الذين شقوا الطاعة على الخليفة هشام وأججوا نار الثورة عام ١٢١هـ باقليم طنجة وتسربت فلولهم الى الصحراء فأسست مدينة سجلماسة التى أصبحت حاضرة بنى مدرار الى منتصف القرن الرابع الهجرى وهو التاريخ الذى تهدمت فيه مدينة البصرة المغربية وانهار الحكم الخارجى وكذلك الشيعى فى المغرب بانهزام جوهر الصقلى الذى نقل عدته الى مصر حيث بنى القاهرة.

وليس من قبيل الصدفة ان يجعل الخوارج من البصرة موئلا لهم ومركزا ينافسون به الكوفة التى عُدَّتْ قاعدة من قواعد الشيعة فى نفس الوقت الذى جعلوا من سجلماسة فى قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة أساسية فى سلسلة المراحل التى تأوى اليها القوافل التجارية كما أنه ليس

من قبيل الصدف أن تتقلص الحركة التجارية بين الخليج والمغرب فى القرن الرابع الهجرى فى نفس الوقت الذى تقلص فيه نفود الخوارج.

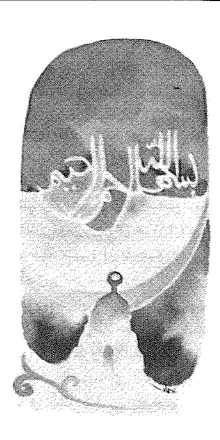
ومنذ أن استوثقت روابط المغرب بالصحراء فى القرن الخامس بدأت أسواق النخاسة تنفق فى خفاء وكذلك كان الأمر عندما شكل عنصر الزنج فى الدور العباسى الثانى (ما بين ٢٣٣هـ و٤٦٨هـ أى ٨٤٧م ١٠٧٥م) طبقة متميزة فى المجتمع العربى فى شمال الخليج فعززوا حركة الرق والنخاسة يساعدهم امتداد النفوذ الاسلامى الى افريقية (أى تونس وجزء من الجزائر) وازدهار الملاحة العربية حيث ما فتىء (الأيوبيون) أن سيطروا فى القرن التالى على الشق الشرقى لبحر العرب أى البحر الأبيض المتوسط يساندهم فى الشق الغربى (الموحدون) الذين كان لهم أسطول من أربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسى أندرى جوليان أعظم اسطول فى البحر المتوسط.. ولم يقبض العرب على زمام البحر الأحمر المتوسط فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندى لا سيما بعد ان اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروها لخدمتهم.. وأنشأوا الموانىء والمنائر التى تشتعل فيها النيران ليلا لتهتدى بها السفن.. وعززوا المرافىء بمراكز الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو.

وفى هذا العصر استعيض عن الموالى الصقالبة الذين نفقت نخاستهم منذ القرن الثالث الهجرى واقترن اسمهم بها حتى صار الاوروبيون يطلقون اسم الصقالبة es claves على العبيد Slaves نقول استعيض عنهم بالزنوج الذين أصبح التجار المسلمون يأتون باعداد ضخمة منهم.. وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقى من المغرب العربى أى فى تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين الزيديين افريقية فرارا من الاضطهاد العباسى.. ثم استعجل ذلك عندما زج الفاطميون - اقتصاصا من بنى زيرى - بمائتى ألف قرمطى من بنى هلال وبنى سليم الذين نشروا الدمار فى هذه البلاد مما حدا (ابن خلدون) الى التنكر فى القرن الثامن للعرب الذين لم يكن يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء. ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول منتقاة كان الزمن قد عفى على عنجيتهم البدوية ونزعتهم القرمطية فكان لهم ضلع فى تعريب المغرب وشنقيط.. والواقع أن الباطنيين من القرامطة أو الزيديين قد عاثوا فسادا فى افريقيا.. وجاس المغامرون منهم فى مجاهل الصحراء الافريقية لاصطياد الزنوج فى الادغال الكثيفة.. وفى هذا العصر حادت طريق البر فى شمال افريقيا عن خطها العادى لتتصل بالبصرة وبغداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلى على طول بحر العرب.. على أن حركة القرامطة الابادية قد بدأت منذ سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعرقلون سير القوافل التجارية أو قوافل الحجيج لاعتقادهم ان الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الأصنام.. ولذلك أجهز القرامطة على من سموهم بالكفار وعبدة الاحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى فى المسجد الحرام واندفعوا يخربون جوانبه بحرابهم وخيولهم فاحتملوا معهم الحجر الأسود الى الاحساء حيث بقى ملقى الى عام ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م.

وبنو هذيل هؤلاء الذين حاولوا فى الخليج الوقوف فى وجه القرامطة منتهكى حرمة البيت هم الذين اشرنا الى اعتدالهم عندما هاجروا الى المغرب الاقصى فى القرن السادس الهجرى بدعوة من المنصور الموحدى بطل معركة الأرك فى الاندلس.

ومهما يكن فان هذه الاحداث قامت حجر عثرة فى طريق المبادلات التجارية حيث ان الحشاشين من الاسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم فى شرقى الخليج حتى خلال الحكم الأيوبى الى الوقت الذى زحف المغول على فارس حوالى ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م.

وإذا كانت التجارة قد تقلصت فى هذه الفترة بين المغرب والخليج وبين الشرق والغرب عامة فان ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب الى وجود هذه الطوائف الهدامة بل هؤلاء كانوا منبثين على طول مراحل القوافل شرقا ينهبون ويقتلون ويدمرون. . ومع ذلك فان نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادلات لاسيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجرى ثم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل فى قلب الصحارى الى حدود غينيا وشكل جيشا من العبيد (أى الزنوج) مالبث أن أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج. الا أن عنصرا جديدا ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الأحمر فى وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيدا لغزو الخليج العربى. . وهنا يبرز دور المغرب فى انقاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالى ففى عام ١٥٤٠م دخل سليمان القانونى الى الخليج العربى من الشمال ونازل البرتغاليين فى معركة ميناء مصوع على الساحل الافريقى من البحر الأحمر حيث اندحر البرتغاليون أمام الاسطول العثمانى. . غير انهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية فى الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذى انحدروا اليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب فى الاندلس تقتيلا وتهجيرا. . غير أن رد فعل المغرب الأقصى كان عنيفا ففى عام ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب الدون سبستيان. . وبلغ جند البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين ألفا. . وقطع اسطولهم الرابطة فى أصيلا والعرائش عدة مآت. . وزحف الجيش البرتغالى الى وادى المخازن فى جمادى الأولى من نفس السنة أى رابع غشت عام ١٥٧٨م. . وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحى على العالم الاسلامى شرقا وغربا باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب الفاتكان. . ولكن أبى الله الا أن يهزم هؤلاء الاحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر أسطوله. . فكانت هذه المعركة كما يقول المؤرخ الفرنسى (هنرى طيراس) المعركة الفاصلة فى تاريخ



الصراع بين المسيحيين والاسلام أنزلت ضربة بالطموح البرتغالى. . وفككت أوصال مملكة البرتغال. . إن (الدون سبستيان) مات بدون وارث فخلفه عمه (فيليب الثانى) ملك اسبانيا التى اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هى نفسها للاسبان ولذلك تم خلال هذه الفترة اجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التى احتلوها قرنا كاملا عام ١٦٢٢م. . أى بعد معركة وادى المخازن بأربع وأربعين سنة. . كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربى عام ١٦٤٩م الموافق ١٠٥٩هـ. . وبذلك تحرر العالم العربى من هيمنة البرتغال الذين لطخوا تاريخ العروبة والاسلام طوال أربعة قرون بدافع من البابوية التى قسمت ممتلكات الشرق والمغرب بين البرتغاليين والاسبان.

وإذا كان الخليج العربى قد غدا منذ القرن الثالث الهجرى المرحلة الرئيسية فى تاريخ الملاحة العربية تمر به المراكب فى ذهابها وايابها بين او با والشرق الأقصى عبر البحر الأبيض المتوسط فان كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر. واستمر هذا التساوق الى القرن العاشر

الهجرى عندما كان مضيق جبل طارق هو الممر الفاصل بين المحيط الاطلنطى والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية الى ديار الهند.

وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية فى يد السلطان العثمانى محمد الثانى عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م وباستئصال شأفة الغزو البرتغالى فى الخليج وتقليص ظلهم فى سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار فى الحرب الصليبية الثانية التى أججت أوربا نيرانها ضد العرب فى القرنين السادس والسابع لتنطلق فى حلقات أخرى من هذه الحرب بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين فى كل من المغرب والخليج العربى.. غير أن حدثا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف امريكا عام ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م من طرف (كريستوف كولمبس).. ذلك الاكتشاف الذى يرجع الفضل فيه الى رجل من أبناء رأس الخيمة على الشاطىء الغربى للخليج العربى.. وهذا الرجل هو (ابن ماجد احمد السعدى.. أسد البحر ابن ابى الركائب) الذى ساهم على غير قصد منه فى تحطيم سيادة العرب على المحيط حين استعان به (فاسكو دوغاما) قائد الاسطول البرتغالى عام ١٤٩٨ لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندى.

والغريب ان اكتشاف أمريكا الذى نسبه الكثير من المؤرخين الى العرب يرجع الفضل فيه بالذات اما الى رجال الخليج قبل الميلاد أو الى عالم من علماء الأندلس والمغرب.. فقد تأكد ان الفينيقيين المنتسبين أصلا الى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول افريقيا ووصلوا الى البرازيل وأسسوا مملكة هناك مازالت معالمها قائمة الى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقية أى ...جة افريقا الشمالية مما يدل - اذا صحت هذه الرواية ...لى أن القرطجنيين - وهم عرب فينيقيون تأقلموا ...لمغرب - هم الذين أسهموا مع المغاربة فى اكتشاف ...يكا ويعترف كريسطوفر كولومبس نفسه كما أورد ذلك المؤرخ الفرنسى رونان فى كتابه ابن رشد ومذهبه بأن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بأن الذى أوعز اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربى فى كتابه «الكليات» فى الطب على أن مجلة «نيوزويك» الامريكية أكدت فى عددها الصادر فى ابريل ١٩٦٠ (راجع الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ص١٣) ان الوثائق التى عثر عليها تثبت أن أمريكا كانت معروفة للعرب الذين قاموا - حسب تعبيره قبل سنة ١١٠٠م على الطرف الغربى للعالم الاسلامى.. ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد.. ورسوا فى عدة مواضع على الساحل الأمريكى.. وقد أيد هذه النظرية الدكتور ليس شينج بانج استاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما أيدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذى عقدته الجمعية الشرقية الأمريكية.

وهنا بدأت فى المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلى فى ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا فى المشرق الشركة الهندية وفى المغرب شركة بربريا.. وبينما أرادوا أن يركزوا فى الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ اذا بهم يكتفون فى المغرب بالعمل على حماية صفقاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غارات المراكب والسفن المغربية مما أدى ببعض الدول الكبرى كالدنمارك والسويد وبعض المرافىء الحرة (كهامبورغ وبريم) بالمانيا الى دفع اتاوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما بأسطوله من لصوصية البحر.

وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم الى المحيط الاطلنطيقى فواجهوا الانجليز فى عقر ديارهم.. وقلصوا من جهة ثانية ضغطهم على الشرق العربى وخاصة الخليج لاضطراهم الى الاحتفاظ بجزء من اسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية.. الا أن

الانجليز فوجئوا هنا وهناك فى آن واحد على طول طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو (هولندا) قامت هى الأخرى بتحدى القرار البابوى الهادف الى اقتسام العالم بين زعيمتى الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال . . وكان لقيام الحركة البروتستانية ضلع فى دعم هذا الاتجاه فأنشأ الهولنديون عام ١٥٩٢م شركة للتجارة مع الهند واتجه اسطول هولندى بين ١٥٩٨م و١٦٠٧ (موافق ١٠٠٧ و١٠١٠هـ) الى المحيط الهندى عن طريق الممر الجديد برأس الرجاء الصالح للاتجار والغزو معا بينما عقدوا مع المغرب الاقصى معاهدة عام ١٦١٠م للحصول على رسوم الاسبقية فى التجارة الخارجية . . ولم يكد يهل عام ١٦٤٠م (١٠٥٠هـ) حتى احتل (الهولنديون) مكان الصدارة فى الخليج العربى الا أن صراعهم ضد الأنجليز ما فتىء أن استعجل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقين على الخليج العربى . . فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناصب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا . . الا أن الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع الغيار بينما طفق الانجليز يواصلون حربا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام ١٦٥٢م طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما وراء البحار فاشتبك الاسطولان الانجليزى والهولندى فى مياه الهند المؤدية الى الخليج . والواقع ان القراصنة المغاربة قلصوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجارتهم فى الشرق فى نفس الوقت الذى أدى حيادهم بهولندا الى نوع من الحصانة تمتع به اسطولها فى البحر المتوسط مما أفسح لها مجال الضغط على الخليج . . وقد احتفظ المغرب الاقصى باستقلاله فى هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال الف عام (الى عام ١٩١٢م) فكان القطر العربى الاسلامى الوحيد الذى ظل فى منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذى عرف كيف يستغل انتصاره فى معركة وادى المخازن حيث أصبحت دول أوربا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالامر الهين ولا بالشىء الذى يمر دون أن يثير اعجاب العالم مما حدا الانجليز الى مفاتحة المغرب بدون جدوى فى القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك فى الهند وانشغل المغرب فى لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر وفتح مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزى والفرنسى على اقتنائه . . وصدره المغرب الى الشرق فى جملة ما صدر من جلود وزيوت ومعادن (من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالاضافة الى ملح البارود والكبريت) . . وأصبح للدينار المغربى نفاق فى السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبى الى ٣٫٥٤٨ غرام . . وتهافت المضاربون من الانجليز على هذه العملة القوية يستعيضون بها عما خسروه من صفقات فى الخليج . لا بل أصبح المغرب يدلى بدلوه فى توجيه السياسة الاوربية وفى فتح قروض ناب منها دولة هولندا مليون ونصف مليون دينار . . واكتساح أسواق اوربا حيث وجه عملاء للدعاية لمنتجاته ومعادنه عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المزاحمة الأجنبية .

غير أن منافسا جديدا ما لبث أن برز هو الاستعمار الفرنسى الذى اضطر عدوتى الأمس (هولندا وانجلترا) الى التحالف لدرء خطره الداهم . . ولكن ذلك لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز فى الخليج . . واستطاع نابليون أن يطأ تراب النيل فاتحا . . وأن يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانقضاض عليه فى مائة ألف من جنده لأن أسطول القراصنة المغاربة كان يقض مضاجع الاوربيين فى المتوسط وفى عرض المحيط الاطلنطيقى الذى نقلوا اليه عمليتهم بعد أن أصبح طريقا جديدا الى الخليج . . ولم تكن علائق فرنسا مع المغرب مستوثقة بسبب ذلك الصراع البحرى الذى جعل المغرب ينهج سياسة التدافع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانبا للتملص من ضغط جانب آخر .

وهكذا ظل المغرب العربى يكافح طوال قرون من قلب المحيط لاستئصال الضغط الاستعمرى على الخليج العربى محققا تلك الوحدة التى هى وحدة العروبة من الخليج الى المحيط .

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر



العدد الثالث والعشرون - صفر ١٤٠٦هـ

المشرف

محمود عارف



هذا الـزمـانُ له فى صرفـهِ حكَمُ

ونحن نُعـرضُ.. فى آذانِنا صَمَمُ

مَنْ قال إنـا بنـو علم ومعـرفـةٍ

والجهـلُ يخفقُ فوق رؤوسنـا عَلَمُ

أُنظـرْ إلينـا بيـوتٌ دونـها عَمَـد

تذرو بها الـريحُ لا خُلق ولا قِيَمُ

نلهـو ونـلهـو ونلهـو لا تُحركُنـا

فى الضَّيم نخـوة أجـدادٍ ولا شِيَمُ

وكأنْ خُلقْنَـا مطـايا العـالمين ولم

يكُ الأعـزَّة أهـلونـا ولا اسمُهُمُ

نحن الـذين محونـا كلَّ ما كتبـوا

ومـا تبقَّى لنـا مِن بعـدِهم ذِمَمُ

لا نحمـلُ السيفَ لو أعداءَنا حملوا

هل تحملُ السيف ضدَّ ذئابها الغنمُ

أنظـرْ إلينـا رؤوسٌ طأطأتْ خجـلا

نُمسى ونُصبـح فيـما فيـه نختصِمُ

أوطـانُنـا اغتُصِبت لم ينفجرْ غَضَب

أعنـاقُنـا قُطِعَت لم تنتفضْ هِمَمُ

عشنـا على مهـلٍ متنا على مهلٍ

ويـوم نُبعـثُ لا ساقٌ ولا قَدَمُ

الداء والدواء

شعر
يوسف حمدان
"الأردن"



كأننا الله يُمهلنا ويُهملنا
وكلُّ داء بنا ما مِنْهُ معتَصَمُ
يا أيها العَرَبُ الأقحاحُ ويحكُمُ
لا الشرقُ شرقَكمُ لا الغربُ غربَكُمُ
فذلكَ الشرقُ انتم عنده بُهُم
وذلكَ الغربُ أنتم عنده «بجَمُ»
لا تذرفوا ندماً أبحارَ أد معكُم
فالسيفُ يبنى الذى أرذا لُكم هدموا
يا أيها العَربُ الأمجادُ ويحكم
محمدُ اعتصمتْ فى سيفه الأممُ

ومن جَبينِ الهدى شعّت منابرُه
إن الظلامَ أمامَ النورِ ينهزمُ
دنيا تغرُّ وأحلامٌ مزيفةٌ
ما أجهلَ العبدَ للشيطانِ يحكمُ
عودوا إلى الله سوف الله ينصرُكُم
وليس لينينُ أو ريغانُ أو صَنَمُ
فهؤلاء هُمُ الأعداء يا عَرَب
وهؤلاء «ذئابٌ» ليس تبتسِمُ
القدسُ ترجعُ بالأسيافِ إن لمعَتْ
وبالنفوسِ بدينِ الله تعتَصِمُ

الداء والدواء

شعر
محمد بن محمد العلمي

يارَبِّ أنـت بداء نفسـى أعْـلَمُ
ولأنـتَ وحـدكَ مَنْ تَحنُّ وتـرحـمُ
تلك الـذنـوب لقـد تفـاقمَ قُرحُها
ولأنـت مَنْ تعـفـو وأنـت الأكـرمُ
فإذا غفـرتَ فلا مجالَ لعلـتـى
والحِلمُ يرضـا الإلـهُ الاعظـمُ
يأتـى الـشفـاء إذا عطفـتَ بتـوبـةً
كيْـلا يعـود للانـحـراف المـجـرمُ
فعـليـكَ يا رحمـانُ صحَّ تـكـلى
أنـت الـولـىُّ ولَـت أنـت المنعِمُ
سبـحـانَ ربـى فى الـعـوالِم كلِّهـا
سبـحـان مَنْ آلاؤه تـتـكـلمُ
سبحـانَ نور النـورِ يفعـلُ ما يشـا
ملك المـلوك فعـهـدُه لا يحرمُ
سبحـانَ مَنْ فتـحَ الـقـلوبَ لدفقـة
من نوره فضـلًا فذاك البـلسـمُ
ومَعِيّـةُ المحبـوب ،طاب بسـاطُهـا
يا حبـذا الـلقـيَـا ونِعْـمَ المـوسـمُ
يا مَنْ جميـعُ الـراسيـاتِ لوجهـه
وجـلالِـه من خشـيـة تسـترحـمُ
دُكَّـت فصـارت كالسـراب تفـاهـة
والـواحـد الـقـهـار أبقـى وأكـرمُ

سبـحـانَ مَنْ يهدى لأقـوم سيرة
فبـفـضـلـه ذهـبَ الـسَّـقـامُ المؤلمُ
سبحـانَ مِنْ صرفَ البـلاء جميعَـهُ
فهـو الأعـز وجـوده لا يُكـتَـمُ
سبحـانَ مَنْ يقـضـى بحقّ دائـمـاً
ولأمـره ولـقـضـائـه نستـسـلمُ
يا ربِّ آمَـنَ خافـقـى واستأنسـت
بكَ مُهـجتـى والـيـك إنـى مسـلمُ
إنى سجـدتُ لنـور وجهـك خاشعـاً
والـعـبـد عنـد سجـوده يتـنـعّـمُ

صورة في الخيال

للشاعر
ربيع مصطفى
صادومة
.. مصر ..

سبحَ الخيـالُ وعـادَ لى تغـريـدِى
ومـع الجـمال صبـابتـى ونشيـدى
فازلـتُ أسـرارَ الـسكـونِ وسُـوره
وكسـرتُ من وقـع الغـرامِ قيـودى
وخـلعـتُ أثـوابَ الجـفـاء ملالـة
ولـبسـتُ مِنْ حُلَل الجـمالِ بُرُودِى
إن كان سُكـراً ما فعـلتُ فلم أذُقْ
طعمَ النـبيـذِ ولا نبـذتُ عهـودى
لكنّهـا الخمـرُ التى تسقى العيـو
نَ بكـاسـهـا الملآنِ بالـتسـهيـدِ
ما ذاقَ روحـاً مَنْ يذوقُ رحيـقَهـا
صعـد النّعـاسُ على بساطِ جلودى
فالـعيـنُ تعـزف للفؤادِ ليرتـوى
فازداد حرّاً واستـمـرَّ وقُـودى
أتـعـبتِنـى يا عينُ من نظـراتـك
وذبحتِنى بمـدى العيونِ السـودِ

أسـهـرتِنـى والفكـرُ ملءُ جوانحى
كيـف المنـامُ لعـاشـق متـمُـود؟
ياذا الـذى طرقَ الـفؤاد بقـوة
هوِّن علىّ لقـد قطعـت وريـدى
أتـروم إزهـاقـى؟ أم انـك عاشـقٌ
مثـلى؟ فحـتّـام تطيـل صدودى؟
أم ان آهـاتـى لديـك لذيـذة
فى مسمعيـك؟ أمَـا كَفَـاك سُهـودى؟
يا صورة عشـقَ الخيـال رسـومهـا
فى كلِ شكـلٍ بارعٍ منـضـود
غزت المسـام إلى اللّبـابِ وسعّـرتْ
فيـه الـغـرامَ فأيـن أيـن هجُـودى؟
خوفى إذا نسـجَ الـغـرامُ خيـوطَـهُ
ينسـى الـغـرامُ وعـودَه ووعـودى
كم مرة والـعـشـقُ يُخلفِ ظنَّ مَنْ
يهوى الجـمالَ ويـنـحنى للغيـدِ
... يا قلب الربيـعِ مع الهوى
هل أنـتَ منـىَ أم مِنَ الجُـلمـود؟



تفننتُ فيها ونسّقتُها
ولو أصدُقُ الله مزّقتُها
وما انفعل الحسّ لكنما
أهبتُ بعقلي فلفّقتُها
أكاذيبُ ضاقَ بها مِرْقمي
وثار ضميري إذ صُغْتُها
قد اسودَّ وجهي بها مثلما
على صفحة الطرسِ سَوَّدتها
شعرتُ بخزيٍ يلوعُ الفؤادَ
وجنَّ بنفسي عفريتُها
فشبَّتْ بي النارُ يا ليتني
قَدرتُ عليها فأطفأتها
سأكشفُها كذبة لن تُعاد
ويا خيبتي اذ تعمَّدتُها

●●●

تَلقيتُ من بعضهم دعوةً
وطاشَ الصوابُ فلبيّتُها
وقفتُ أكرّم بعضَ العُتاةِ
بأتفه مقطوعةٍ قُلْتُها
توهمتُ أنّي أنجو بها
إذا ما نهضتُ فألقيتُها
نجوتُ من الناس لكنَّ نفسي
تتابعُ بالوخز تبْكيتُها
وكيفَ أُمجّدُ هذا الدَّعِيّ
وكلّ مخازيه عايَنْتُها
أأصدقُ فهو الهجاءُ الصريحُ
وعندي البراهينُ أحصَيْتُها
وكلّ الذين أتوا يسمعون
سيبتهجون اذا صُغْتُها
دروا شرّه الجمَّ واستكتَموا
فيالشفاهِ طغى صمْتُها

ومَنْ مَدَحَ الوغْدَ خان الحقيقة
تُقْيَا وبُقْيَا كما خنتُها
أأصدقُ؟ لا آمنُ الباطشين
وفيهم وحوشٌ تفرّسْتُها
أأكذبُ؟ ويلَ الخطيئة ظلت
تُعَذبُ نفسي وقد جئْتُها
ومن أسف صفّق السامعون
وصاغوا تقاريظَ أنكَرْتُها
لقد سمعوا الإفك كالباسمين
لدفع شرورٍ تجنبتُها
تسمَّع إلى نكتةٍ عذبةٍ
وكمْ من نكاتٍ تخيّلتُها
خلعتُ الحريرَ على صخرةٍ
وبا للؤلؤ الرطب قلّدتها
وبالمسك يَعْبقُ عطّرْتُها
وبالشعر بصدحُ أطْريتُها

وقلتُ كعابٌ من الغانيات
سبانى صباحاً فأحببْتُها
وصفّقَ لى الناس كالواثقين
وتلك أمورٌ تعوّدتها

يغشّونني وأغشُّ الجميعَ
بدنيا تلبّسَني مَقْتُها
إذا عشش الجُبْنُ فى أمّةٍ
تحلّ الطغاةُ.. دنا موتُها



عيد الجمال

للشاعر
علي محمد علي المرسي

فى هدأة الليل صوتُ الشوقِ لبّانى
فاستيقظ الحسُّ والإحساسُ نادانى
قد قلتُ فى رقّةٍ ما الله فاعلُه
باثنين بعد الجوى عادا يَتحنَان
إنّا ملكْنا هوانا فى طفولتِنا
والطيرُ صدّاحةٌ فى روضِنا الحانى
تَشْدُو ونشدو معاً والشّدوُ غايتُنا
نغنى لنحيا بحُبٍّ ليس بالفانى
مِنْ حولنا الزهرُ تهفو منه رائحة
نحوَ السهاد وريّاها بوجدانى
حتى العناقيد فى كَرْمِ الهوى رقصت
نقتاتُ منها وما ندرى من الجانى
نقتاتُ من كرمة تغشى نوافحُها
كل الألى عانقوا فيها الجنَى الدّانى
نستاف من نشرها عطراً يعيدُ لنا
ما قد فقدناه من روح وريحانِ
بالزهرُ رمزُ الصّفا لا الشوكُ يُفقده
شيئاً من الحسن هذا الصنعُ ربّانى

مَنْ يدخلِ الرّوضَ لا يرنو إلى فنن
الا اذا اهتاجَ مِنْ نشرٍ وألوان
يا زهر ريح الصبا هبتْ وقد حملت
سراً لمن عشتُ أدعوها لتلقانى
يا زهرُ أنتَ حبيبى مثلَ صاحبتى
كلاكما بهج فى روض ألحانى
الزهرُ غيد كذاك الغيد فى نظرى
باقاتُ زهر تحلّى العالم الفانى
مَنْ لى به مجلساً فى روضة بهرت
والماء يجرى رقيقاً بين غُدرانِ
وغادتى فى جوارى حققتْ أملاً
للنفس لكنْ على طُهْر وايمان
ما جَمّلَ الله جناتِ النعيم لنا
الا بحورٍ جميلاتٍ وولدان
عيدُ الجمال أنا أعنو لسطوته
والرّق فى الحب تحريرُ لوجدانى



ضحكت أرضنا

عجباً صاح من صنيع القضاء
ضحكتْ أرضنا بدمعِ السماء
فتأمل مشيئة الله فى الكَوْ
ن ترى اللطفَ بعد طولِ الشَّقاء
فاطرد اليأسَ كلّما حَزَب الأمْرُ
ففى اليأس آية الباساء
يبسطُ الله للوجود عطايا
بعد عُسْر فالله جمّ العطاء
لا تخف صولة الجفافِ فربّ
يملكُ الغيثَ هل يضنّ بماء؟
إنّما يُمْهلُ الخلائقَ حتى
يعرفوا الله فى دُنَى الضراء
إنّ فى كونه الخزائن لكن
هو أدرى بحاجةِ الأحْيَاء
تارة ينزل الرهام وطورا
يمطر الغيث كاسح الاشياء
فله ـ الدهر ـ فى الخلائق أسرا
ر توارتْ بحكمة الاخفاء

جلّ ربّ الوجود أن يعرفَ النا
سُ خفاياه فى وجود القضاء
ليس يا صاح فى الوجود علوم
هى أجدى كعلم ربّ السماء
كم يتيهون بالعلوم وبالفن فيشـ
ـقون فى دنى الاسواء

●●●

أيها الغافلون عن منبع الخير تعا
لوا لشرعة اللالاء
ليس بين السعادة الحقّ إلّا
ان تساموا عن شرعة الجرداء
يَمْحَقُ الله كلّ شىء ويُعْلى
شرعةَ الحقّ رغم كلِّ عِدَاء
لا تغرنّكم الحياة رفاها
بادىَ الأمْر، شقوة الاشقياء
إنّ كون القرءان كونٌ بديعٌ
وملىء بالعفو، والنَّعْماء

بدمع السماء



للشاعر
قدور الورطاسي
«المغرب»..

إنـه رحمـة الـذى برأ الْخَـلْقَ
ونبـعٌ يشـع بالآلاء
فارحلوا عن معاطِن الجهل فوراً
لكتابٍ يجتاح كل عناء
إنَّ ربَّ الوجودِ أوحى بهذى
هو أجدى لالف داء وداء
هكذا قدَّر الاله إذا ما
قَدْ ربطنا الجرداء بالخضراء
فوجود موحد برباط
من قضاء السماء طول البقاء
نحنُ من كله على الرغم منا
أى فصل يبوء بالأدواء
وحدة الدين من تناسق كون
فلنا فيه عبرة العقلاء
فلنوحد بالله ديناً ودنيا
بين ظلِّ الاسلام، والافياء
ليس غير الاسلام فيئاً حصيناً
إنه الدينُ للهنا والوفاء

دلال



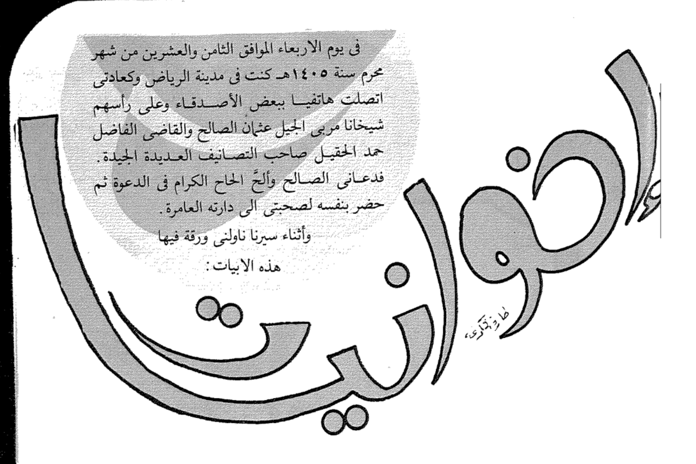
سارتْ شُعاعاً نابضاً متوقِّدا
فيها انتفاضاتُ الربيعِ مُورِّدا
تخطُو على إيقاعِ نَغْمٍ فاره
فَاه الشبابَ بلحنِهِ فتردّدا
مِنْ «كَعْبِها» انبثَّ الضياء وعانقتْ
ذرّاتُ تربِ العاشقينَ المهتدى
وعلى جديلةِ شَعْرِها سالتْ سبا(م)
ئِكُ مِن كنوزِ الله تهمى عَسْجدا
هى فتنةُ الدنيا ملاكٌ طاهرٌ
رأت الطريقَ أمامَها قد مُهِّدا
ولها دلالُ الغُصنِ ميّاسِ الجَنَى
فتحتْ لها الدنيا يداً ثُمّ يدا
قالتْ وماذا لو رميتُ بمهجتى
فى موجةِ الدنيا اللعوبِ لتسعَدَا؟

بَلَجتْ براعمُها فألفتْ حولها
صُوَرَ الجمالِ وكلَّ مالٍ مُعْتَدَا

كانتْ يتيمةَ والدٍ لم يَرْعَها
والأمُّ أشقى مَنْ رعاها مولدَا
كانتْ «دلالُ» تُحِسُّ مأساةَ امها
وترى حَوالَيْها الربيعَ مُمدَّدا
فمضتْ تُدارى عاشقاً حيناً وحيـ
ـناً تشترى بوصالها المتردِّدا
قد أُطْمِعَتْ.. ويلُمّ ما فى مهجة
حرّى تخوضُ صراعَها المتمرِّدا

•••

غاصتْ بأحضانِ النضارِ وأُغْرقَتْ
بالنّاعِمِ الأُمْلود.. فَدَاها النَّدَى
لكنَّها سُلبتْ ثراءَ الروحِ فى
لجِ البغاءِ وحُلمَها المتورِّدا
ثابتْ.. وعادتْ بالجمالِ وقد ذوى
زهرُ الربيعْ.. وجفَّ فى العود النَّدَى
ولرُبّما تذوى الزهورُ البائسا
تُ.. بفصلِها.. بيد الليالى والصَّدَى



في يوم الاربعاء الموافق الثامن والعشرين من شهر محرم سنة ١٤٠٥هـ كنت في مدينة الرياض وكعادتي اتصلت هاتفيا ببعض الأصدقاء وعلى رأسهم شيخانا مربي الجيل عثمان الصالح والقاضي الفاضل حمد الحقيل صاحب التصانيف العديدة الجيدة. فدعاني الصالح وألحّ الحاح الكرام في الدعوة ثم حضر بنفسه لصحبتي الى دارته العامرة.

وأثناء سيرنا ناولني ورقة فيها هذه الابيات:

أعاتقُ كيفَ تأتي للبلادِ
وأنتَ الشّهمُ محبوبُ البلاد
أديبٌ لَوْذَعِيٌّ ذو مقام
وفي التاريخ والتأليف هادِ
وما عرَّجتَ نحو أخٍ محب
عريقٍ في الوفاء وفي الودادِ
وإيَّاك التغافلَ عن صديق
تغلغل شكرُهُ لك في الفؤادِ
وانك إن سهوتَ ولستَ ساهٍ
عن الأصحاب من طول البعادِ
فقاضينا «الحقيل» لنا بحُكْمٍ
يُعيدُكَ للصواب وللرشادِ
أبو عبد الكريم لكُم مشوقٌ
وحالتْ «وعكةٌ» دون المرادِ
والافهوَ يُسرِع في لقاء
لعاتِق من سراة بني «البلاد»

«عثمان الصالح»

ومن باب رد التحية كتبت له هذه الابيات:

مُرَبِّي الجيل ذو طبعٍ وفيٍّ
أديبٌ فاضلٌ في كل نادِ
كريمٌ أرْيَحيٌّ إذ تزره
وإن تنأى يصلك بخير زاد
أعثمانُ الأريبُ خَلاك ذمٌّ
فطبْتَ وما بَذَرْتَ من تلاد
وأبو عبد الكريم أخٌ كريمٌ
وقاضٍ كان يحكُمُ في البلاد

فإنْ يقضِ الحُـقيـلُ لكـم تجدنـى
وفـيًّـا فِعَـل كلِّ بنـى الـبـلادى
ولـو زُرتـم (أبـو عبـد الكـريـم)
بفـىّ الـبـيـت تلقـون البـلادى
فيـا أيـام فى فيـحـاء نجـدٍ

عرفـنـا فيـك خيرَ ذوى المـبـادى
لهم فى قمـة الـعـليـاء مجدٌ
وفـوقَ الـشُّـهـب حاديهـم ينـادى
(هـلُ العـوْجـا) حماة الـدين حقـا
بقـيـة أمـة وذرا عـوادى

« عاتق البلادى»



الى أخي عبد الله الحقيل جوابا على رسالته الشعرية

■ حدث ان سجل الأستاذ عبد الله الحقيل زيارة للاستاذ عثمان الصالح ولم يجده فكانت من الأخير هذه القصيدة :

يا ابن الحـقيـل لكم جزيـلُ ثنـائى
بزيـارة لأخـيـك وقـتَ مسـاء
فلقـد أسِفْـتُ على زيـارتـك التى
لم تُلفِ اى فتـى من الأبنـاء
كُنّـا هنـاك (بـسـفـرة) (لـبُريـدَة)
بقـصيمنـا وبـلادنـا الـفيـحـاء
جُبْنَـا القفـارَ و(سكـة) مرصـوفـة
سوداء مثـل الـسطـر فى الـبيـداء

إنـى اطـلعتُ على قصيـدَتِـكَ التى
قد حِكْتَها فى الصَّوْغِ كالبُلَغَاء
صوّرتَـنِـى فى الشعـرِ أبلغَ شاعـر
ويـقـولـكـم أصبحت كالأدبـاء
أسـعـدتَـنَـا برسـالـةٍ شعـريـةٍ
نفـحـاتُهـا كالـروضـة الـغنَّـاء
فقـريـضُـك الـصـافى له أرج إذا
ما صغـتـه عن فِطـنـةٍ وذكـاء



عبد الله الحقيل — عثمان الصالح — عاتق البلادى

والـنـشـرُ دُرٌّ فى الجرائـد جيـد
كالـعـقـد فى جيـد على حسنـاء
يا ليتنـى فى الشعـر أُحسِنُ صَوْغـه
لو كنـتُ فيـه أرى من الـشـعـراء

ما عشـتُ فى درسٍ له بمـدارسٍ
حتـى أكُونَ به من الـنـبـهـاء
لكـن أُحسُّ بأى شعـر رائـق
متـذوِّقـاً معنـاه عنـد أداء

إنَّ الـقـصيـدَ سلاسـةٌ وعـذوبـةٌ
تجرى على الأفـكـار مثـل المـاء
فهـو الـذى يبقـى بسمعـك دائـماً
أنـعِـمْ به للفـكـر من إرواء

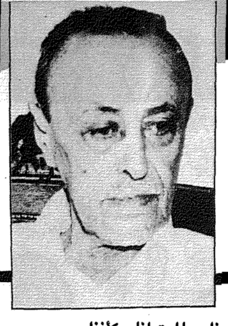
وبـه المعـانـى واضحـات أُلبستْ
ثوبـاً بدا بجـلالـة وبهـاء
إن وشِّـيـت لغـة ترى فى رونـق
كالـرَّوْضِ يظـهـرُ حسـنُهـا للراء

ومـن الـتـعـسفِ والـتـكـلفِ سالمٌ
لا يعـترى الألـفـاظ أىُّ جفـاء
من كل وحشـىٍّ الـكـلامِ منـزَّه
مُذ صِيـغَ من فكـر عن الـفصحـاء

وإخـالُ أنـك فى بيـانـك ترتأى
نهجـاً ولـسـتَ عن البـيـانِ بِنَـاء
(حمـد الحـقـيـل) مؤرِّخٌ قاضٍ له
ذكـرٌ يطـوفُ بسـائـرِ الأرجـاء
فهـو المؤرِّخ والأديـبُ وشـاعـرٌ
بل ناقـدٌ فى الـشـعـر كالـعلماء
بلِّغْ أبـا عبـد الـكـريـم تحيـة
بمـصـيـفـه فى احسـن الأجـواء
هَنِّئـه بالـشـهـر الكـريـم نيـابـة
وأصـالـة يا أنـجـب الـنـجـبـاء
وكـذلـكـم عبـدُ الكـريـم فإنـه
نعـمِ المـهـذَّبُ سيِّـدُ الأبـنـاء
ولـقـد شكـرتُـك للهـديـة إنهـا
منـكـم أجـلُّ هديـة وعطـاء
تعطـى الـعـليـم الـعلم جماً وافـيـا
وتـنـيـر أفـكـارا من الجـهـلاء
كتـب لنـا فيهـا الفـوائـدُ ضخـمـة
كالـغـيـث والأمطـار والانـواء
حررتـه فى تاسـع من تاسـع لشهـورنـا
شهـر الـصـيـام وفيـه جزلُ عطـاء
تاريخُـهُ ألـفٌ وأربـعُ للمئـا
ت ثم خمس متـقـن الاحـصـاء

تأملات في الحياة

تامل ! فلا سر لديك ولا جهر !
لقد بتت الدعوى.. وقد قضي الامر !
ايعيبك فكر .. انت ترعى سرابه ؟
فكيف لو ان الفكر يتبعه الفكر ؟
وانت من الدنيا خلاء .. وهذه
افانينها يندى بها الورق النضر
مباهجها تستنفد العيش طاقة
يخال بها سحرا .. وليس بها سحر
ولكننا شتى على غلوائها
تراه كعرف .. حيث يبدو لي الفكر
وتعطيك في الوانها ـ قد ـ عجائبا
سرائر، ما ينداح عن مثلها ستر
فلا تعزليني يا ابنة القوم.. إنني
ارى النجم في حيث استوى معه الظهر
فان كان في ريب، ففي العين قد سرى
(ولكن على علاته يذهب السفر)
وقافلة مرت بطيئا مسيرها
وقد اعيت الحادي .. وطال بها الدهر
اوائلها في (آدم) طاب ذكره
وهل في حياة من يطيب له ذكر ؟
وآخرها ـ حتى القيامة ـ موكب
يجلجل فيه الحزن والموت والذعر
الا .. قل لحاديها اذا ارتجزت به
مشاعره، والتاط بالدجية الفجر
تمهل!. فلسنا بالعجالى، وغننا
فلا النثر ـ يستوحى هوانا، ولا الشعر



للشاعر السعودي
حسين سرحان

وغنى بنا .. يا ليت انا .. كأننا
تماثيل لا يندى بها البحر والصخر

افاعيل ترميها الحياة نماذجا
عليها قبور، ما يراد لها نشر

وعندك آلاف الملايين .. هل ترى ؟
لها خطرا ؟ او هل على دربها أثر ؟

مضت، مثل انفاس، وراحت، ولم تعد
فما شكت (الشعرى)، ولا انقطع القطر

فلا تلزميني يا ابنة القوم لومة
فرب ملوم، قد يقوم له عذر ؟

مضى .. ما مضى .. فاستقبل اليوم انه
سيشرق في علياء مطلعه الفجر

اذا اومضت شمس، ولاحت كواكب
وتاه الصبي.. واستنفد الامر والقدر

فسوف تراني في ذؤابة منزلي
كما انشق عن طخياء ليلته البدر

لقد نفد الزاد الذي كان في يدي
فما ابرقت حمر، ولا ارعدت خضر

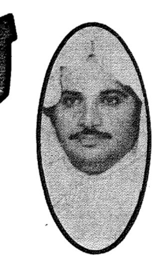
وزافت رياح الحظ غبرا كوالحاً
فوالله ما تذرو الرياح كما تذرو



واما أنا .. يا صاحبي كلاكما
لقد اتقت في عيني الانجم الزهر

ارى الكون في باسائه وهرائه
اساطير - لا يبقى على ابد - سطر

الدور الريادي للأندية الأدبية

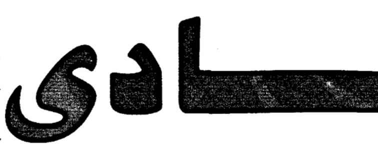


بقلم
محمد منصور الشقحاء
نادي الطائف الأدبي

الواضح أن الدور الذى تقمصته الاندية الأدبية فى بلادنا ايجابى تحقق فى الوقت الذى غدونا فيه بحاجة الى معبر آخر لنشر ادبنا ومواكبته لأدباء الوطن العربى. والمتابع لمسيرة الأندية الأدبية يلمح الترحيب الحار بتكوينها من الأدباء والكتاب مهما اختلفت مدارسهم ومناهجهم الأدبية ومع مرور الوقت وحين اتضحت الرؤيا وغدا لهذه الأندية رواد ومريدون وأدباء لم يتخرجوا من مدرسة الصحافة تنافرت الآراء وتلونت الكلمات بين معجب وحانق.. وذلك من خلال تصور فهم دور هذه الأندية التى هى مثال حى لما تقوم به الروابط والجمعيات والأسر الادبية فى شتى بقاع الأرض لخدمة الأدب والادباء وتوجيه الناشئة والمساهمة فى طبع الانتاج الابداعى للأدباء دون النظر فى المردود المالى او اشكاليات التوزيع والنشر مع الاحتفاظ للمؤلف بحقوقه الكاملة فيما يقدم من اعمال ابداعية غير متيسرة لدى الدول الأخرى.

كما أن الاندية الأدبية تقوم بدور المراكز الثقافية او ما يتعارف عليه ببيوت الثقافة حيث ان مقر النادى يحوى مكتبة جيدة.. وملتقى للأدباء والكُتّاب لطرح القضايا الأدبية والفكرية ومناقشة هموم المواطن والوطن إضافة الى وجود العوامل المساعدة التى تشعر الزائر او العضو أن الجميع أسرة واحدة يسودها التفاهم والمحبة فهم يطرحون أفكارهم وآراءهم بحرية كاملة على بساط البحث.

ولوائح الأندية الأدبية الداخلية المبنية على ما جاء من نقاط فى اللائحة او النظام الأساسى طرح فيها الأخوة منسوبو كل نادٍ أحلامهم ومطامحهم لاستمرارية هذا الكيان وخدمة اكبر عدد ممكن من المجموع من أجل ابداع راقٍ.. وبتقليب دفتر الأيام.. وبعودة الى سجلات هذه الأندية نجد أنها الآن قامت بالاتى..



اولا : طبع مؤلفات ابداعية وفكرية متنوعة

ثانيا : اقامة ندوات ادبية وفكرية

ثالثا : دعوة ادباء ومفكرين لإلقاء محاضرات ثقافية منوعة

رابعاً : إيجاد مكتبات يستطيع الباحث او الدارس أن يستعين بما يوجد فيها من مراجع وأمهات كتب لتحقيق اهدافه.

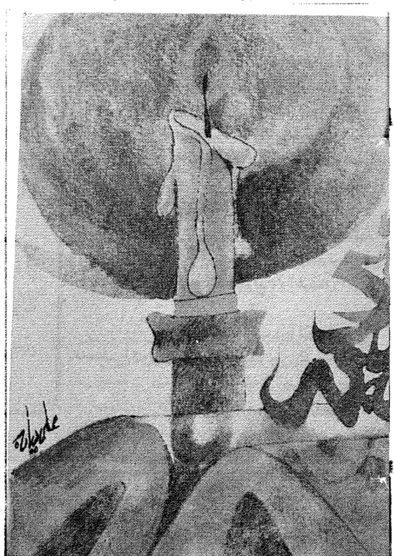
خامسا : لم شمل ادباء وكُتاب كل مدينة فى مكان محدد وموعد معروف لمناقشة قضايا الأدب والفكر.

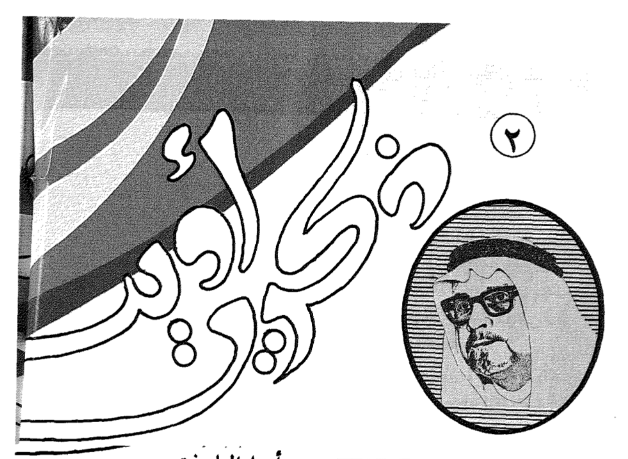
سادسا : زرع الثقة فى اعماق ادبائنا ومفكرينا لاصدار مؤلفاتهم ومساندتهم فى ابرازها للوجود.

انه غيض من فيض فقد ابتدع اعضاء ومنسوبو كل نادٍ أفكاراً جديدة حتى يكون التلاحم بين النادى والقاعدة من أبناء مدينته لتكوين جيل وأجيال يرجى فيهم آمال كبيرة لمواصلة المسيرة الأدبية بعد الجفاف الذى أصاب منابع الالهام وموطن الشعر والشعراء ارض العروبة والاسلام خلال عصور الاهمال والظلام.

والمتابع لمسيرة هذه الأندية يجد تحركها الهادىء بحرية للاستجابة لرغبات المبدع المرهف الذى ينتمى الى عالم الالهام والحلم الذى يتحطم عند اول مواجهة للواقع.

ومن هنا كانت هذه الكلمة عن دور الأندية الأدبية السعودية واحتوائها للأدباء والمفكرين.. ودورها الريادى كرابطة اقليمية لأدباء كل مدينة ومركز اشعاع ثقافى.





ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

لقد هيأت لنا هذه الذكريات فكانت طلائعها المنشورة فى «المنهل» فى عدد القعدة ١٤٠٥هـ بعنوان «بداية أديب» اولية نسجلها للكاتب الاسلامى الكبير بالفخر والاعتزاز الذى يليق به.

ما النعيم؟

لفظة صغيرة تنطوى على مفاهيم عدة.. فرضاء النفس بمن تعيش معه ولأجله وفرحة العين بما تقع عليه من جمال، وعافية الجسم لما يظلّله من بلهنية كل اولئك التعبيرات هى مؤدى تلك اللفظة الصغيرة العذبة المحبوبة «النعيم».

أمـا التلمذة ـ وما أندى وقع اسمها على النفس الشاعرة والشاعرة لا غير ـ فهى الاخرى على صغر مبناها ـ تندمج على مضامين كثر. فجلوس المرء مع رفاقه جنبا الى جنب الى معلم يصقل عقولهم ويزودهم بمختلف المعلومات النافعة لهم فى حياتهم ويخلقهم بأجمل اخلاق العصر الذى يعيشون فيه.. ورواحهم وغدوهم سويّة وتجاوبهم القلبى واحتكاكهم بعضاً ببعض عامة يومهم وتذاكرهم لدروسهم جماعة ثم وجهلهم لتكاليف الحياة وآلام الزمن وخلوّهم من العمل للعيش.. الوداعة تمد عليهم ظلالها والسذاجة تقذف بهم فى أحابيلها المحبوبة.. كل هذه الجمل على كبرها وكثرة معانيها هى ما يفهم من تلك الكلمة الندية الوقع: «التلمذة».

ليس هذا تصويراً شعوريا لنعيم التلمذة فحسب ولكنه شعور لحقيقة التلمذة ومن الشعور ما ينم عن حقيقة.. وليس للتدليل مكان فى قولى فان توضيح الواضحات من المشكلات والمسألة مسألة شعور ووجدان والشعور والوجدان دليلان دامغان لكل ذى وجدان مرهف وشعور يقظ.

ويلذ لى هنا الاعتراف بعدم وقوفى على السر الذى يجعل المرء لا يشعر بان للمدرسة جنة وان التلمذة فيها نعيم الا بعد ان يخلص من الأولى وتخلص منه الثانية.. فثمة يدرك ذلك تمام الادراك وأعمقه وأقواه



ويحرق الأرَم على هبوطه من جنة المدرسة وفراقه لنعيم التلمذة.. تلك الجنة وهذا النعيم اللذان ما كان اجهله بهما واغفله عنهما وما كان احلى أمانيه أن يتاح له الخروج من هذه المتاعب التى يقاسيها صباح مساء الممثلة فى تعدد الواجبات وثقل الدروس وارهاق الدراسة.

ثمة يدرك ما لجلوسه الى استاذه الشفيق مع رفاقه الصغار من لذة تتضاءل امامها كل لذة وما لوجه مدرسته المشعة الحياة فى المهج والعلم فى الاذهان والدعة فى النفوس من فرحة دونها فرحة الرجل المقيم الواهن اليائس بطفل وليد وما لغدوه ورواحه مع زملائه صباح الأوجه وأصفياء الافئدة وصغار الجسوم من متعة لا تساويها متعة.

ثمة يألم لفراق المدرسة ألم المثرى انفلتت من يده مواله والأمير تقلصت منه الامارة فلا أبهة ولا حاشية.. الطائر هوى من حالق كسير الجناح وياألمها من حزن انكسار ذانك اللذان يعقبان كل واحدة من هذه المآسى لثلاث.

ثمة يذهب تبرمه الاول منها ويكثر حنينه اليها وتشوقه ذكراها ويستهويه ادكار رفاقه.. الذين كانوا يماشونه ويماشيهم جنبا الى جنب ويداً فى يد وقدماً مع قدم لا حديث يتجاذبون أطرافه الا والطيبة لحمته، والسذاجة سداه وفى السذاجة نعيم لو تعلمون عظيم.

ثمة يدرك كل اولئك.. ويشعر بفراغه منها، ويحس لفقدانها ألما ويتمنى لو ينفع التمنى أن لو أعاد التاريخ نفسه فيطوف فى أرجاء المدرسة متأبطا كتبه ودفاتره التى تستلزمها التلمذة ويحظى بجنة تلك ونعيم هذه ويرى بعينه هاتيك الصباحة المشرقة وذلك الصفاء الجميل.

وهيهات ذلك فما التأريخ معيد نفسه وإن توهم بعض الناس ذلك فقالوا به فما قولهم هذا إلا وهم واهم.

ثمة ...بح الكثرة الكاثرة من كلامه واحاديثه «ليت» وماذا هى نافعة «ليت» غير الحسرة والندم فتبا لك «ياليت» وشكرا للنحاة لو حذفوك من العربية فما انت الا مورثة للخاطىء نداء... لخارج من النعيم حسرته.. وما انت الا مطوِّحة بالمؤمل فى صحراء اليأس المميت وبطالب النور فى ظلمات مخيفة.

ثم ماذا؟.. ثم إليكم ياسابحين فى نعيم التلمذة ويا مارحين فى جنة المدرسة ويا متمتعين بصفاء القلوب، وصغر الجسوم، وصباحة الوجوه.. اوجِّه هذه الكلمة:

«لا تقولوا من الدروس: أفٍّ ولمعلميكم: لا وعلى المدرسة: السلام. فثقل تلك خفيف ولطيف ومحبوب والبقاء فى هذه خير ونعيم وكرهكم لاولئك وتمردكم عليهم مندوم عليهما بعد حين.

واحمدوا الله يا رفاق فما الوداعة ميسورة طوال الحياة ولا الأنس ممدودة ظلاله فى كل آونة.

وجدُّوا ففرص الزمان قليلة للتعليم ونهزات الحياة نادرة للخير، والخمول ضرب من التمرد على الله فهو الآمر علينا بالعمل والقائل برؤيته لعملنا والمخبر بجزاء ما نعمل.

من ذخائر المكتبة التراثية



ترجمة المؤلف : (*) هو الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام ، ويكنى بأبى عبد الله . . كان رحمه الله ضريراً . . من أصحاب الوجوه ثقة عارفاً بالأدب خبيراً بالأنساب . . وكان إمام أهل البصرة فى الفقه الشافعى فى عصره . . ومدرسها ، حافظاً للمذهب وله فيه وجوه غريبة .

قرأ على رَوْح بن عبد المؤمن و رويْس وسليمان بن عبد الله الذهبى ومحمد بن عبد الخالق وأبى حاتم السجستانى وفضل بن أحمد الهذلى وعامر بن عبد الأعلى الدلال وأخذ بعض القرآن عن يحيى بن محمد القطعى .

قَدم بغداد وحدَّث فيها عن داود بن سليمان المؤدب ومحمد بن سنان القزّاز، وابراهيم بن الوليد الجشّاش وغيرهم .

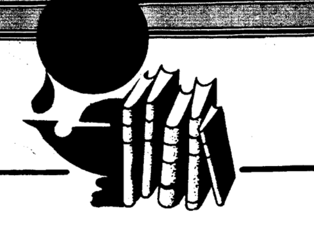
وروى عنه : محمد بن الحسن بن زياد النقاش وعمر بن بشران السكرى وعلى بن هارون السمسار وعلى بن محمد بن لؤلؤ ومحمد بن عبد الله بن نجيب الدقاق .

وقرأ عليه : أبو الطيب محمد بن أحمد بن يوسف البغدادى وعلى بن عثمان ابن جِبشْان

ومن أشهر مؤلفاته فى الفقه : كتاب (الكافى) وهو مختصر فى الفقه وعرف به وكتاب (النيَّة) وكتاب (ستر العورة) وكتاب (الهدية) وكتاب (الاستخارة) وكتاب (الاستشارة) وكتاب (الامارة) وكتاب (رياضة المتعلم) وكتاب (المسكت) وكتاب (الجامع فى الفقه) وكتاب (الفرائض) ثم كتاب (شرح الايمان والاسلام) .

وقد عده ابن الملقن صاحب (العقد المذهب) من رجال الطبقة الأولى فى قسمها الثالث، وفق ترتيبه للرجال .

ووقع بعض الخلط فى ترجمته عند بعض العلماء فقال ابن النديم فى الفهرست : (الزبير بن عبد الله بن سليمان بن عاصم بن المنذر بن الزبير) وقال عمر رضا كحالة فى معجم المؤلفين : (احمد بن سليمان البصرى المعروف بالزبيرى الشافعى) والصحيح ما هو مثبت هنا اعتماداً على ما ثبت فى ترجمة الخطيب البغدادى له وفيها ترجم



يمان والاسلام

كل من ابن حزم وابن الجـــزرى وابن الملقن وبروكلمان ثم اعتماداً على ما وقفت عليه من مخطوطة كتاب (شرح الايمان والاسلام).

وقد توفى الزبير بن أحمد سنة سبع عشرة وثلاث مائة من الهجرة.

● اسم الكتاب واسم المؤلف: نقف على اسم الكتـاب واسم مؤلفـه من النص المثبت على الصفحـة الأولى من المخطوطة وهو «كتاب شرح الايمان والاسلام للإمام الهمام أحد الأئمة الشافعية فى زمنه: أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام الأسدى الزبيرى، البصرى، مات قبل العشرين وثلثمائة وكان أعمى رحمه الله تعالى».



● المصدر الذى أشار اليه: أشار إليه المستشرق الألمـانى (بـروكلمان) فى كتـابـه «تـاريـخ الأدب العربى ٣٠٢/٣».. أشار إلى وجود نسخة مخطوطة من الكتاب ببرلـين دون أن يذكر اسم المكتبة التى تحتفظ به مكتفيا بقوله: (برلين، أول ٨٩٣).

● المكتبة التى تحتفظ بمخطوطة الكتاب: توجد نسخة وحيدة مخطوطة من الكتاب بمكتبة ميونخ: Statsbibithek Muachen بألمانيا الغربية تحت رقم أول ٨٩٣ ورقم خاص ١٧ وحصلت على مصـور كامـل لمخطـوطـة الكتـاب من قبل المكتبة المذكورة اعتمدت عليه فى هذا العرض.

● تاريخ تأليف الكتاب وتأريخ نسخ المخطوطة:

ألف الزبير بن أحمد كتابه هذا فى حدود القرن الثالث الهجرى ثم نسخة المرحوم (على خطيب سنان باشـا) فى غرة شعبـان سنـة خمسين ومائة وألف من الهجرة بخط النسخ دون إشارة منه إلى الأصل الذى اعتمد عليه.

● وصف مخطـوطـة المكتبات: تتكون هذه

النسخة المخطوطة من الكتاب من أربع وعشرين صفحة بحجم ورق الكراس المعتاد ويتراوح عدد سطور كل صفحة ما بين تسعة عشر سطراً إلى عشرين سطرا.

وقد أثبت فى الصفحة الأولى اسم الكتاب واسم المؤلف وتاريخ وفاته وأثبت فى الثلث الأسفل من الصفحة الأولى خبراً أسند إلى ابن الشمصى مفاده: أنه سمع أثناء طوافه بالبيت الحرام (طواف الحج) امرأة تدعو الله شاكية حالها وفاقتها وعوزها وهى متعلقة بأستار الكعبة فسأل عنها فإذا هى ابنة الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم.

وأثبت فى الصفحة الثانية مجموعة من شعر الوعظ ما بين مقطعات وأبيات مفردة.

سماعيات النسخة: أما الصفحة الثالثة فقد جمعت أسماء أحد عشر راويا للكتاب ضمن هذا النص:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.. أخبرنا الامام قاضى القضاة نظام الدين أبو جعفر عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح المقدسى الصالحى الحنبلى أبقاه الله فى خير وعافية أخبرنا الامام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسى إجازة بإجازته من الحافظ علم الدين أبى القاسم بن محمد البرزالى بسماعه من ابراهيم بن اسماعيل بن يحى بن الدرجي بإجازته من أبى جعفر بن احمد بن الصيدلانى وباجازة ابن المحب بن القاضى سليمان بن حمزة بن أحمد باجازته من الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بسماعه من أبى جعفر الصيدلانى بسماعه حاضرا من محمود بن اسماعيل بن محمد الصيرفى بسماعه من أبى بكر محمد بن أحمد بن أسيد بن عبد الله الثقفى المدينى الواعظ قال انبأ أبو العباس أحمد بن جعفر بن علان السلمى المدينى قال انبأ ابو اسحاق ابراهيم بن السريجانى قال: قال أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام رضى الله عنه».

موضوع الكتاب:

عنى المؤلف بالجانب الخطير من حياة المجتمع المسلم وهو الجانب العقدى فقد عانى المجتمع الاسلامى منذ القرن الهجرى الأول من الفتن التى مزقت صفوف المسلمين إلى أحزاب وفرق وتعددت الاتجاهات والتيارات مما أدى إلى تقسيم الحركة الفكرية فكان فى ذلك حافزا لأصحاب الفطر السليمة والعقيدة المتينة الراسخة إلى وضع مثل هذا المؤلف.

فقيمة كتاب الزبير بن أحمد لا تنحصر فى زاوية بعينها ولا تمثل تياراً من التيارات الفكرية بل تتجلى فى مدى الافادة منه لتنظيم حياة الفرد والجماعة على أسس من العقيدة الاسلامية الصافية وقد قدم المؤلف لكتابه بقوله:

«هذا كتاب وصف الايمان وحقائقه والاسلام وشرائعه والاحسان ومنازله وتبيين ما اختلف فيه الفقهاء من شرحه وأبانوه من وصفه ومادلت عليه أحكام الكتاب والسنة وما قامت به أعلام القياس فى ذلك من الحجة ألفته وجمعته وقومته لينتفع به المتعلم ويستذكر به العالم المتقدم وينظر فيه كل امرىء لنفسه ويعرف ما افترض الله عز وجل عليه من دينه وبالله العصمة والتوفيق».

ويمتاز هذا الكتاب بأن فائدته لا تنحصر في الخاصة بل ينال منها الخاص والعامى ففيه ما يحتاج إليه المتعلم من الأحكام والواجبات والفروض كتعل

الوضوء والصلاة والزكاة والصوم وفيه ما يحتاج إليه العلماء من أسس العدالة الاجتماعية وما يحتاج إليه القائمون على إدارة مرافق الدولة والحكم وسياسة الدولة وما يحتاج إليه المعنيون بإدارة الحروب والذود عن العقيدة.

وقد اقتصر المؤلف على فتح أبواب المسائل دون التعمق فيها، ولم يستوف القول فى شرح الايمان والاسلام خشية الاطالة وقد أشار إلى ذلك بقوله:

«والأمر فى هذا أكثر ولو تقصيته لطال وإنما غرضنا من هذا الكتاب الابانة دون الاطالة».

ولعله استوفى شرح تلك المسائل فى كتب أخرى من تأليفه نفهم ذلك من إحالته إلى كتابين آخرين ذكر أحدهما وهو كتاب (الكافى) ولم يذكر اسم الكتاب الآخر ولعله نسى أن يذكره أو أن يكون سقط من ناسخ فقد قال:

«.. وقد وصفت ذلك فى كتاب وترجمته فى كتاب الكافى اختصرت معانيه وحذفت الأسانيد واقتصرت على قول الشافعى رحمة الله عليه ليكون أقرب على حافظه وأعون لطالبه على ما يريده من جمعه والله أسأل ولكل من نظر فيه الهداية إلى الحق والتوفيق للواجب والتباعد عن الزلل والشك برحمته إنه قريب مجيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

منهج الكتاب ومادته:

(١) قدم المؤلف لكتابه فى سبعة سطور بيّن فيها هدفه من تأليف الكتاب والظروف التى أملت عليه التفكير فى موضوعه ثم النقاط التى تناولها بالبحث.

(٢) ابتدأ بتعريف (الايمان) ثم (الاسلام) مستغرقا فى ذلك قرابة ست صفحات.

(٣) عمد إلى تسمية أصحاب البدع والفرق الدينية موضحا موقفه الفكرى تجاه تلك الفرق ومبادئها مبينا رأيه فى ذلك ورادا على دعاوى تلك الفرق.

(٤) أفرد باباً للرد على أكبر فرقتين ظهر خطرهما فى مجال العقيدة والسياسة وهما (الجهمية) و(المعتزلة).

(٥) تناول عدداً من المسائل الخلافية بين الفرق كاشفاً عن مواضع الزيغ واللبس فيما انتهجته تلك الفرق من مناهج فرد على من أنكر عذاب القبر ومنكراً ونكيرا وعلى من أنكر الوجه لله تعالى ومن أنكر اليد لله وأثبت رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة ورد على منكرى الموت والبعث والحساب والميزان وعلى منكرى اخراج الموحدين من النار كما رد على من أنكر أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا ثم رد على من أنكر النفخ فى الصور.

(٦) عالج المؤلف بعض المسائل التى استغلها رواد الفتنة فى تقطيع وحدة المسلمين كمسألة فضل أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾.

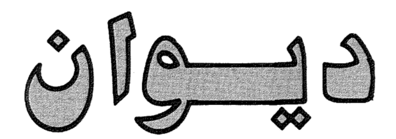
(٧) وتناول بالحديث فضل السيدة عائشة كمصدر أصيل من مصادر العلم بالتشريع.

(٨) وتطرق إلى ذكر أفضل نساء العالمين ومناقبهم.

(٩) وأفرد بابا بعنوان (باب ما جاء فى الايمان) ومنه وصل إلى ختام البحث فى موضوع كتابه الثمين.

(*) له ترجمة فى تاريخ بغداد للخطيب ٤٧٢/٨ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٢٣ - غاية النهاية فى طبقات القراءة لابن الجزرى ٢٩٢/١ - نكت الهميان ١٥٣ - الفهرست لابن النديم ٢٩٩ - مخطوط العقد المذهب فى طبقات المذهب ١١ - وفيات الأعيان ٣١٣/٢ - طبقات الشافعية ٢٢٤/٢ - تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣٠١/٣ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٣٧/١

الكتاب يقوم على تنظيم الحياة بالنسبة للفرد والجماعة على أساس من العقيدة الصحيحة مبينًا أهدافها وقيمها.



ديوان

يطالعنا هذه الأيام العالم المحقق الأديب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي بطبعة محققة من ديوان الامام الشافعي الذى قال عنه صاحب المغازى: «الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة» وقال عنه احمد بن حنبل: «كان الشافعي من أفصح الناس وكان مالك تعجبه قراءته لأنه كان فصيحا». . وقال الربيع بن سليمان (كان الشافعي عربى النفس عربى اللسان) وقال احمد بن ابى سريح «ما رأيت أحدا أفوه ولا أنطق من الشافعى» وقال الجاحظ «نظرت فى كتب هؤلاء النَبَغَة الذين نبغوا فى العلم فلم أر احسن تأليفا من المطلبى (الشافعى) كأن كلامه در الى در».

بهذه الأقوال التى أثرت يستهل الدكتور خفاجى تقديمه الدارس لديوان الشافعى الذى ولد بغزة سنة خمسين ومائة ـ يوم وفاة أبى حنيفة فقال الناس مات امام وولد امام ـ وحمل الى مكة وهو ابن سنتين، وقال: وكانت امى من الأزد.

ويروى عن الشافعى أنه قال: كنت أنا فى الكتاب اسمع المعلم يلقن الصبى الآية فأحفظها أنا ولقد كنت ـ قبل أن يفرغ المعلم من الاملاء ـ قد حفظت جميع ما أملى، فقال لى ذات يوم: ما يحل لى أن آخذ منك شيئا، قال: ثم لما خرجت منه كنت أتلقط الخزف (الخزف: كل ما عمل من طين وشوى حتى يكون فخاراً) والدفوف (الجلود التى يعمل منها الطبل) وكرب النخل (اغصان النخل الغليظة العريضة) واكتاف الجمال (جمع كتف: عظم عريض خلف المنكب) أكتب فيها الحديث وأجيىء الى الدواوين فأستوهب منها الظهور (أى الأوراق) فأكتب فيها حتى كانت لأمى حباب (جمع حب. . وعاء يوضع فيه الماء مثل الجرة) فملأتها أكتافا وخزفا وكربا مملوءا حديثا ثم انى خرجت عن مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب.

وقد قضى الشافعى السنوات الأخيرة من حياته فى مصر. . ففى يوم الخميس أول ربيع الثانى عام ١٩٩هـ ـ التاسع عشر من نوفمبر عام ٨١٤م، أى منذ اثنى عشر قرنا هجريا، او ١١٦٥ عاما ميلاديا ـ وفد على مصر الفسطاط من مكة المكرمة عالم قريش وامامها محمد بن أدريس الشافعى ومعه ابنه أبو عثمان محمد (٢٣٢هـ) ومعه كذلك زوجه حميدة حفيدة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم بنتاه زينب وفاطمة، وذلك للاقامة الدائمة



الشافعى

فيها وكان فى ركبه تلميذه أبو بكر الحميدى (٢١٩هـ).

وكانت شهرة محمد بن أدريس العلمية ملء الأسماع والبقاع، فالعالم الاسلامى كله يذكره بالخير والتقدير والاكبار.

وصادف دخوله الفسطاط دخول نائب والى مصر الجديد الأمير العباسى عبد الله بن عباس بن موسى وكان الخليفة المأمون (١٩٨ـ٢١٨هـ) قد ولىَّ العباس بن موسى على مصر فبعث ابنه عبد الله الى الفسطاط نائبا عنه فى حكم البلاد فدخلها فى اليوم الذى دخلها فيه الشافعى مدينة مصر وعاصمتها وقبلة الاسلام فيها.. الفسطاط.

ونزل ابن ادريس فيها على أخواله من الأزد ثم كان فى ضيافة عبد الله بن عبد الحكم القرشى (١٥٥ـ٢١٤هـ) وهو صديقه وزميله فى طلب العلم فى حلقة الامام مالك فى المدينة المنورة.



وأخذ ابن ادريس يتردد على جامعة أو جامع الفسطاط للصلاة ولحضور حلقات العلم فيه وكان أبو رجب الخولانى العلاء ابن عاصم يتولى امامة الجامع العتيق جامع عمرو أو تاج الجوامع ويلقى قصص السيرة والفتوح فى احدى حلقاته، وكان الشافعى يصلى خلفه ويقول فيه: ما صليت خلف أحد أتم صلاة من أبى رجب (١٣٥و١٣٦/٢ حسن المحاضرة للسيوطى).

وها هوذا ابن ادريس عالم قريش «الذى ملأ طباق الأرض علما» كما وصفه الامام أحمد بن حنبل (١٦٤ـ٢٤١هـ) يجلس فى جامعة الفسطاط فى حلقة علميه خاصة به ومن حوله ابنه أبو عثمان وتلميذه الحميدى ومحمد (١٨٢ـ٢٦٨هـ) ابن صديقه القرشى عبد الله بن عبد الحكم، وكان محمد كأبيه مالكيا ولكنه أنس بالشافعى ووثق بعلمه ورغب فى الافادة منه فأخذ يتردد على حلقة صديق أبيه وخاف المالكيون ذلك وأنكروه لما فيه من وضوح الانصراف عن المذهب الى مذهب هذا القادم الجديد وشكوا الى أبيه فأخذ يخفف من حدتهم ويهدىء من ثورتهم ويقول لهم ان ابنى محمدا شاب صغير يجب أن يستمع الى الآراء وأن يناقشها.

واتسعت حلقته اتساعا كبيرا حيث أخذ

الشافعى يلقى محاضراته فى الفقه وأصوله وفى التفسير والحديث وفى اللغة والأدب على الطلاب ويملى عليهم رسائله وكتبه.

ومع أن حلقات العلم فى جامعة الفسطاط كانت: كثيرة وكبيرة الا أن حلقة ابن ادريس كثر طلابها ومريدوها كثرة مذهلة وصارت بكثرة المترددين عليها اكثر الحلقات وأعظمها أثرا فى خدمة الدين واللغة والأدب.

وكان ابن هرم يكتب للأستاذ الجليل ابن ادريس والبويطى يقرأ له الدرس والطلاب يسمعون ثم يكتبون وفى زاوية الخشابية بالمسجد الكبير - الجامعة الاسلامية الاولى فى مصر - التى عرفت بابن ادريس كان نسكه وعبادته وكان يجلس فيها ليكتب ومن حوله تلاميذه ومريدوه.

ولما وقف الامام الشافعى على قبر الليث بن سعد (٩٣-١٧٥هـ) قال: لله درك يا امام لقد حزت أربع خصال لم يجزهن عالم: العلم والعمل والزهد والكرم.

وكان يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته.. ومن كتب الحديث قويت حجته.. ومن نظر فى الفقه نبل قدره.. ومن نظر فى اللغة رق طبعه.. ومن نظر فى الحساب جزل رأيه.

وكان الامام ابن ادريس يذكر مكة المطهرة فى شوق كبير اليها ويذكر امام بغداد أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) بالشوق والحب ويقول: لقد وعدنى أحمد ان يقدم الى مصر ويقول لتلميذه يونس ابن عبد الاعلى (٢٧٠هـ) يا يونس أدخلت بغداد؟ فرد عليه يونس: لا قال: «ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس».

وكان ابن ادريس يقول عن ابن عبد الاعلى هذا: ما رأيت أحدا أعقل من يونس بن عبد الأعلى. وكان أحمد بن حنبل يقول فى الشافعى: «كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس» ويقول عنه: ما علمت أحدا أعظم منه على الاسلام فى زمن الشافعى من الشافعى ويقول ما رأيت أحدا أفقه فى كتاب الله تعالى من هذا القرشى.

وكان ابن ادريس قد ولد فى غزة عام ١٥٠هـ وبين غزة وعسقلان عاش مع أمه يتيما عامين. ثم ذهبت به الأم الى بلدة مكة البلد الحرام فلما جاوز الرابعة من عمره أقبل على القرآن الكريم يحفظه وما أتم السابعة الا وقد تم حفظه وتجويده.

وخرجت الى البادية فلزمت هذيلا أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت الى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الاداب والأخبار وأيام العرب فمر بى رجل من الزبيريين فقال: لقد عزَّ علىَّ أن لا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء (فقه) فلو حصلت الفقه فتكون قد سدت أهل زمانك.

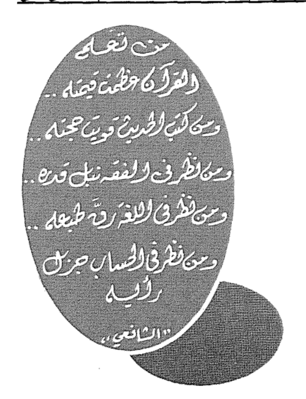
فقال الشافعى: ومن بقى يقصد.. فقال: هذا مالك سيد المسلمين فى المدينة فوقع كلامه فى قلبى. فاستعرت «الموطأ» وحفظته فى تسع ليال وعزمت على الرحلة الى مالك.

وفى جامع عمرو (جامعة الفسطاط) كان ابن ادريس الجليل يجالس العلماء والأدباء والنقاد والشعراء ورجال البلاغة والبيان ويجالس جماهير الناس مع مرضه المزمن الذى عذبه طويلا وهو داء «البواسير» وكان فى حلقته: عالم اللغة العميق الاطلاع على كنوزها ورواية الشعر الجيد المختار ومؤرخ الأحداث الموهوب الذكى.

وفى آخر عمره تزوج الشافعى أم ولده «دنانير» بعد وفاة زوجته حميدة وأنجب من دنانير ابنه «أبا الحسن» عام ٢٠٢هـ وقد خصص له مرضعة أندلسية اسمها «فوز» وبذلك كان له ولدان: أبو عثمان محمد وأبو الحسن. وبنتان هما زينب وفاطمة وهؤلاء الذين مات عنهم هذا الامام الجليل.

وفضلا عن الرسالة التى وضع بها علم أصول الفقه والتى كتبها وأملاها على تلاميذه فى جامعة الفسطاط ألف فى الفسطاط كتاب «أحكام القرآن» وكتاب «اختلاف الاحاديث» وكتاب «ابطال الاستحسان» وكتاب «جماع العلم» وكتاب «القياس» وكتاب «الرد على محمد بن الحسن» وكتاب «اختلاف مالك والشافعى» وكتاب «اختلاف على وعبد الله بن مسعود» وكتاب «ما اختلف فيه أبو حنيفه وابن ابى ليلى عن أبى يوسف» و«خلاف ابن عباس» و«سير الأوزاعى» وكتاب «مسند الشافعى» . . اما كتابه «الحجة» فقد ألفه فى بغداد . . وهكذا أفاد الشافعى الناس والمتعلمين والمثقفين فوائد جليلة وقد ظل يكتب ويقرأ ويدرس والمرض يحاصره حتى سقط القلم من يده . . واستأثرت به رحمة الله تعالى يوم الجمعة التاسع والعشرين من رجب عام ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م . رحمه الله تعالى .

والامام الشافعي مدفون بمصر . . وقد بنى عام ٦٠٨هـ القبة الكبيرة على قبره الملك الكامل الأيوبي . . وأجرى السلطان قايتباى اصلاحات بضريح الامام الشافعي عام ٨٨٥هـ . . وجدد قبة الامام الشافعي على بك الكبير عام ١١٨٦هـ . . وبنت وزارة الأوقاف المسجد عام ١٣٢٢هـ .



يتحدث د. خفاجى عن المنزلة الكبيرة التى كانت للامام الشافعى فى الشعر وروايته اذ بدت صلته به منذ شبابه ومازال يجول فيه ـ حتى بعد انصرافه الى فقهه ـ وصار فى مكنته أن يرتجل فى المعنى الذى يريده بيتا أو بيتين او أبياتا .

وقد جمع الشافعى فى أول دراساته شعر الهذليين واختص به وشعرهم كان جاهليا واسلاميا فصيحا تناولوا فيه الحماسة والفضائل والحكمة ولعل الشافعى أعجب بشعر هؤلاء لنشأته فى قبائلهم ورضاه عن طباعهم ولأن هذيلا ـ كما يقول الشافعى نفسه : كانت أفصح العرب .

وروى الشافعى شعر الشنفرى وكان كثيرا ما يتمثل بأشعار الطفيل الغنوى كما اورد ابن ابى حاتم فى كتابه «أدب الشافعى ومناقبه» .

وحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير أنه خرج الى اليمن فلقى محمد بن ادريس الشافعى وهو مستحض فى طلب الشعر والنحو والحديث .

ويذهب د. خفاجى الى انه مع علو لغة الشافعى فى كل أقواله فان شعره سهل ممتنع ولعلك اذا قست قطعة من نثره بقطعة من شعره بدا لك الفرق بين اللغتين فانه فى النثر يختار أجزل الألفاظ ويميل الى الغريب والصعب .

أما ألفاظه فى الشعر فلن تعثر فيها على غريب ولا صعب بل كان جل شعره سهلا واضحا . وكان شعره كله مقطعات فلم ينظم قصائد طوالا ولذا سهل الاقتباس منه والاستدلال به .

ويبدو أن ميله الى المقطعات كان صادرا عن طبعه الذى اختار الايجاز فى كل ما يكتب حتى قال فيه يونس بن حبيب : كان لسانه أكبر من كتبه .

ولما كان الشافعي قد قصد في شعره الى السهولة والوضوح وسلك في أكثره سبل الارتجال فانه لم يقل في كل القوافي بل غادر القوافي الصعبة فلم يسلكها واكتفى بالقول في الحروف الجيدة التي لا تقف أمام العذوبة والرقة والسرعة والارتجال.

قال الامام الشافعي رضي الله عنه:

«لا سرور يعدل صحبة الاخوان ولا غمَّ يعدل فراقهم والغريب مَنْ فقد ألفه لا مَنْ فقد منزله.

واحسرة للفتى ساعة
يعيشها بعد أودائه
عمر الفتى لو كان في كفه
رمى به بعد أحبائه

بمعنى أن الساعة التي يعيشها المرء بعد أهل وده وأصحابه تشق عليه وتصيبه بالحسرات والفتى الحر لو كان يملك عمره ويصرفه كما يشاء رمى به وافتقده بعد افتقاد احبائه.. اوداء: جمع وديد: بمعنى صاحب وكذلك احباء جمع حبيب.

● ومن شعر الامام الشافعي:

دع الأيامَ تفعلُ ما تشاءُ
وَطِبْ نفساً إذا حكَمَ القضاءُ
ولا تجزعْ لحادثةِ الليالي
فما لحوادثِ الدنيا بقاء
وكنْ رجلا على الأهوال جَلْدا
وشِيْمتكَ السماحة والوفاء
وإنْ كثرتْ عيوبُك في البرايا
وسَرَّك أن يكون لها غطاء
تستَّر بالسخاء فكلّ عيبٍ
يغطّيهِ - كما قيل - السَّخاء
ولا تُرى للأعادي قطّ ذلا
فان شماتة الاعدا بلاء

● ويقول الامام الشافعي:

العلم مَغْرسُ كلّ فخرٍ فافتخرْ
واحذرْ يفوتكَ فخر ذاك المغرس
واعلم بأنَّ العلمَ ليس يناله
من همّه في مطعم أو ملْبس

الا أخو العلم الذى يُعْنى به
في حالتيه عاريا او مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظا وافرا
واهجر له طيبَ الرقادِ وعبس
فلعل يوما أن حضرت بمجلسي
كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

● ويقول الشافعي عن خلفاء رسول الله:

شهدت بأنَّ الله لا ربَّ غيره
واشهدُ أنَّ البعثَ حقّ وأخلص
وانَّ عُرى الايمان قولٌ مبين
وفعل ذكي قد يزيدُ وينْقُص
وأنَّ أبا بكر خليفة ربّه
وكان أبو حفص على الخير يَحْرُصُ
وأُشْهِدُ ربِّي أن عثمان فاضل
وان عليًّا فضله متخصص
أئمة قوم يُهْتَدَى بهداهم
لحى الله من اياهم يتنقَّصُ

● ويقول رضي الله عنه:

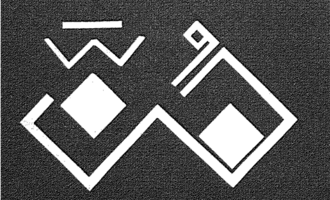
شكوتُ إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني الى ترك المعاصي.
واخبرني بأنَّ العلمَ نور
ونورُ الله لا يُهْدى لعاصي







النساء .. شقائق الرجال



الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبدالحميد عنبر — جدة



الأستاذه / فاطمة النجار

الثقافة و المجتمع

من المعلوم أن الانسان لم يبلغ ما بلغ فى العصور الحاضرة إلا عن طريق العلم والثقافة فلولاهما لما استخدم الانسان الجو والماء.. ولما سيطر على الأثير والهواء.. ولما تسلط على اكثر مرافق الحياة إن لم يك جميعها. وقد اصبحا للأمم أساسا من أسس تقويم حياتها ودوحة مخصبة فى كيانها.

ان ضيق دائرة ثقافة الامة خطر يهدد كيانها وزلزال يقض مضجعها. إن الثقافة نعمة ورحمة على الأمة المثقفة وبلاء ومحنة على الأمة الجاهلة. بالثقافة تغزو الامم بعضها.. وبالثقافة تدرأ هجمات بعضها.. وكما ان الثقافة سلاح ماض قتال نهى درع حصين يعطل عمل ذلك السلاح.. فالاتجاه نحو الثقافة قوى.. والمطالبة بها حق والعمل لها واجب وجميع الامم شركاء فى الحقوق. سواسية فى نظر العدالة.. فكما أن للأمة المثقفة الحق فى هذه الحياة فكذلك للأمة الجاهلة الحق أيضا.. ومن هنا تأتى مسئولية الحكومات والدول التى من ادق واجباتها السعى لتنمية الثقافة وتقويتها وتمهيد لاسباب والطرق الموصله اليها. والأمم فى بدء نهوضها أحوج ما تحتاجه الثقافة.. وان كل جهود تبذلها وكل مشقات تتحملها جهود فاشلة ومشقات غير منتجة إذا لم يكن لاتساع دائرة الثقافة نصيب منها ومعوان قوى يعينها ويقومها. واحوج ما نحتاجه اليوم الثقافة.. الثقافة فى التعليم.. الثقافة فى الصناعات.. الثقافة فى تفهم طرق الجهاد فى الحياة.. الثقافة فى كل شىء يحوطنا ويلزمنا.

والثقافة لا تتأتى بطرق الشدة والعنف ولا بأسباب القوة والرهبة لكن بالرغبة واللين وأساليبها.. والواجب يقضى بأن يسعى الفرد والجماعة لهذا ويعمل كل منهما فى دائرة اختصاصه لهذه الغاية.

وليس الغرض من الثقافة استخدامها فى أحاديثنا اليومية بعضنا البعض أو فى الكتابة إلى الصحف والمجلات غير ذلك. وليس معناه أن نكون أوعية نختزنها ونصدرها للآخرين فحسب. انما لابد لنا أن نتركها تؤثر فينا وتطبع سلوكنا ومعاملاتنا.. وعلينا أن نطلع على ما يجد من معلومات عن طريق الكتب والمجلات ومختلف وسائل الاعلام.. وعلينا أن ندرك أن الدراسة الأولى ليست إلا شعلة خافتة نستطيع ان نجعلها أشد توهجا واكثر اضاءة اذا سرنا على هداها ومن حقنا ان نجعلها تتوهج فى نفوسنا وصدورنا لنزكى بها تربية أنفسنا فإذا فعلنا ذلك واكبنا النهضة ورفعنا مستوى ثقافتنا وواصلنا مسيرتها.

الكلمة أدب إبداع





المرأة بين السلبية والإيجابية

بقلم منى أحمد محمود

شغلت المرأة فى القرآن الكريم حيِّزا يدل على مدى عناية الاسلام بها واهتمامه بأمرها وقضيتها. . ودار الحديث عن المرأة فى الذكر الحكيم فى مواضع شتى وسور كثيرة. . ووجه القرآن الكريم حديثه الى المرأة كما خاطب الرجل **﴿مَنْ عَمِلَ صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنُحْيِينهُ حياة طيبةً ولنجزيَّنهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** النحل / ٩٧.

﴿فاستجاب لهم ربهم أنِّي لا أضيعُ عَمَلَ عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ آل عمران/ ١٩٥ .

والقصص القرآنى حافل بعديد من التجارب البشرية والنماذج الانسانية بما تتضمنه من جوانب إيجابية وسلبية والقصص القرآنى لم يرد للتسلية وقتلا للوقت وانما لكى نتلمس منه مواضع العبرة والعظة. وإذا كان سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ وهو النبى الخاتم صاحب الشفاعة واللبنة الأخيرة فى صرح الرسالات السماوية كما يقول هو عن نفسه. «فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم الرسل» محمد الذى صلى ليلة إسرائه ومعراجه بأنبياء الله ورسله: محمد الذى اختصه الله بما لم يعط لأحد قبله ولا بعده من أنبياء الله ورسله: اذا كان محمد وقد اجتمع له كل ذلك يأمره الله وهو يقص عليه أنباء كوكبة من المبلغين لرسالات السماء أن يقتفى آثارهم ويهتدى بهداهم.

﴿وتلك حُجَّتُنا آتيناها ابراهيمَ على قومه نَرْفَعُ درجات مَنْ نشاء إن ربَّكَ حكيم عليم ووهبنا له اسحاقَ ويعقوبَ كلًّا هديْنا ونوحًا هدينا من قَبْلُ ومن ذريته داوودَ وسليمانَ وأيوبَ ويوسفَ وموسى وهارونَ، وكذلك نجزي المحسنين. وذكريا ويحيى وعيسى وإلياسَ كلٌّ من الصالحين واسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطا وكلا فضلنا على العالمين﴾ الأنعام ٨٢/ ٨٦.



■ وبعدها يجيء الخطاب لسيدنا محمد أكرم مخلوقات الله ليمعن النظر ويقتفى الأثر ويسير على الدرب **﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهُمُ اقتده﴾ الانعام/ ٩١.**

﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثّبتُ به فؤادك﴾ هود/ ١٢٠ ﴿ولقد كان فى قصصهم عبرةً لأولى الألباب﴾ يوسف/ ١١١.

أختى لعلك تطالعين آيات القرآن المجيد وتجدين أفضل الخلق مأمورا بالاستفادة من التجارب السابقة الرشيدة لاخوانه الأنبياء والاقتداء بهم والخطاب لرسول الله انما هو خطاب لنا فما يمنعنا أن ننظر بعين فاحصة وأن نتأمل النماذج الواردة للمرأة المسلمة فى القرآن الكريم: ففيها نماذج صالحة طيبة نريد لها ذيوعا وانتشارا وكثرة فى مجتمعنا الاسلامى. فهؤلاء النسوة قدوة يجب أن نحتذيها فى الايمان والصبر والاخلاص والتفانى والتضحية والايثار وهنا تبدو هاجر زوجة خليل الله ابراهيم وأم العرب وأم موسى وامرأة زكريا وامرأة فرعون ومريم أم عيسى وأم المؤمنين عائشة وخولة بنت ثعلب التى سمع الله نجواها ونزل فيها قرآن يتلى وغيرهن.

■ **عرض القرآن صورا لنماذج نسائية فاسدة علينا أن نناى بأنفسنا عن التمثل بهن. ومن هذه النماذج امرأة نوح وامرأة لوط وأم جيل حمالة الحطب وهن أمثلة الكفر والبعد عن الطريق المستقيم. كما تبدو امرأة العزيز التى راودت يوسف عن نفسه وبذلت جهدها لتزين له السوء والفحشاء.**

■ **وها هى أمنا هاجر تضرب المثل لنا على الطاعة.. طاعة الله وطاعة زوجها فرسول الله ابراهيم يتركها ووليدها اسماعيل فى مكان قفر لا حياة فيه ولا ماء وهى تخاطب زوجها لمن تتركنا فى هذا المكان؟ آالله أمرك بهذا؟ فيجيب سيدنا ابراهيم: نعم فتقول هاجر فى استسلام المؤمنة القوية الايمان: اذن فالله لا يضيعنا وابراهيم يرفع وجهه الى السماء ﴿ربنا إنّى أسكنتُ من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** ابراهيم/ ٣٧.

وكما نعرف جميعا أن ما معها من زاد وماء قد نفد وصبرت وتحملت ولكن الأمر لا يتعلق بها فحسب وانما بطفل لا يمكنه الصبر وتتخيل هاجر الماء عند جبل المروة مرة وعند جبل الصفا مرة فتسعى مسرعة بينهما حتى أجهدها سعيها فأدركتها رحمة الله وتفجر الماء تحت قدمى اسماعيل.. وشاء الله تكريما لهذه المرأة المؤمنة الصابرة أن يجعل أحد مناسك الحج سعيا بين الصفا والمروة سبعة أشواط كما فعلت أمنا هاجر **﴿إنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجَّ البيتَ أو اعتَمَرَ فلا جُناح عليه أن يطوَّفَ بهما ومن تطوَّعَ خيراً فانَّ الله شاكر عليم﴾** البقرة/ ١٥٨.

وتظهر أم موسى فى القرآن بصورة مشرقة وضاءة فى قوة ايمانها وصبرها واستجابتها لوحى الله سبحانه وتعالى **﴿وأوحينا الى أمِّ موسى أن ارضعيه، فاذا خفْت عليه فألقيه فى اليمّ ولا تخافى ولا تحزنى إنَّا رادُّوهُ إليك وجاعلوه من المرسلين﴾** القصص/ ٧. وشاء الله أن يرفض موسى كل المرضعات اللائى أتين لارضاعه ليعود مرة أخرى الى أمه ذلك النموذج البشرى النسائى الفريد فى الصبر والقوة على تحمل فراق وليدها **﴿فرددناه الى أمه كى تَقَرَّ عَيْنُها ولا تحزن ولتعلم أنَّ وعد الله حق﴾** القصص/ ١٣.

■■ ويكرم القرآن المرأة فى شخص آسيا امرأة فرعون

إحدى الفضليات فى الجنة فقد هداها الله الى الايمان ولم تشـارك زوجهـا كفـره وعنـاده وطغيـانـه وعلوه واستكباره الذى بلغ هذا الحد **﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمتُ لكم من إله غيرى﴾** القصص/٣٨.

■■ وحق لها أن تكـون مضرب الأمثال فى الايمان **﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابْن لى عندك بيتاً فى الجنة ونَجِّنى من فرعون وعمله ونجِّنى من القوم الظالمين﴾** التحريم/١١.

■■ والله سبحانه وتعالى يذكر فى القرآن أن من بين ما امتنَّ به وأنعم به على زكـريـا امـرأة صالحـة.. **﴿وأصلحنا له زوجه﴾** الأنبياء/٩٠ ـ امرأة تحركت داخلها مشاعر الأمومة ولكن الله لم يشأ بعد فما عليها الا أن تصبر على أمر الله وزوجها يدعو ربه **﴿ربِّ هَبْ لى من لدنـك ذريـةً طيبةً إنَّكَ سميعُ الدعاء فنـادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشِّرُك بيحيى مُصدِّقا بكلمةٍ من الله وسيدا وحصورا ونبيـا من الصالحين﴾** آل عمران/ ٣٨-٣٩.. **﴿يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميًّا﴾** مريم/٧.

■■ وحملت امرأة زكريا بعد طول صبرها وبعد أن اشتعل رأسها شيبا وتضع مولودها يحيى ويجتهد أبوه فى تعليمه وتثقيفه وتزويده بما يحفظ.. ويحيط يحيى بعلوم التوراة وأحكامها **﴿يا يحيى خُذِ الكتابَ بقوة وآتيناه الحكمَ صبيا﴾** مريم/١٢.

■■ ويحيى ابن النبوة لا يطيق أن يرى انسانا يعتدى على شرع الله ليقـر زواجـا باطلا فيثور على ذلك فتكون النتيجة أن يقتل ذلك الآثم يحيى ابن زكريا ويطيح برأسه وعلمت امرأة زكريا بقتل ولدها فتبدوا وكأنها لا يهمها الا شريعة الله فلم تبك وانما يممت وجهها شطر السماء وقالت: رب انك انت الذى أنزل الشريعة وانك القادر على حفظها وصيانتها.

ومريم أم عيسى اصطفاها ربها وطهرها.. **﴿ان الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاكِ على نساء العالمين﴾** آل عمـران/٤٢. مريم العذراء البتول وقد عكفت على عبـادة خالقهـا لا تلتفت الى أمور الدنيا وقد تعجب زكـريـا من أمـرها **﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عنـد الله إنَّ الله يرزقُ من يشـاء بغير حساب﴾** آل عمران/٣٧.

مريـم ذلـك النمـوذج النسـائى الذى يمثل الطهر والنقاء والعفة والصلة الوثيقة بالله الخالق. مريـم تحمـلـت فى صبر وجلد العبـارات القاسية التى وجهها المفسدون والمرجفون.

■■ وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها والتى تناولها بالسـوء أهل النفاق بعد غزوة بنى المصطلق وطعنوا فيها وأهمها ما يقولون حتى أنها مرضت مرضا شديدا ولكنهـا صبرت وتمثلت بقـول يعقـوب عليه السلام **﴿فصـبر جميـل والله المستعـان على ما تصفـون﴾** يوسف/١٨.. حتى أنـزل الله فى حقها قرآنا يتلى. وفيه براءتها **﴿ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب**

عظيم﴾ النور/ ١١.

■■ وخولة بنت ثعلب «المجادلة» وقد أقسم عليها زوجها «أنت عليَّ كظهر أمي» وكان الظهار من أشد طلاق الجاهلية فعرضت مشكلتها على رسول الله ودفعها الى ذلك حرصها على أولادها وعلى زوجها فسمع الله نجواها وأنزل فى شأنها آيات سورة المجادلة ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير﴾ المجادلة/ ١.

وكما حفل القرآن الكريم بالنماذج النسائية الصالحة عرض كذلك لنماذج غير صالحة كامرأة العزيز التى أُعْجبت بيوسف اذ رأت فيه الشباب والرجولة والجمال وراودته عن نفسه فاستعصم ﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلَّقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله﴾. فلما امتنع عليها أخذت تكيد له عند زوجها حتى أودعه السجن قال ﴿ربِّ السجن أحبّ اليَّ مما يدعوننى اليه﴾ يوسف/ ٣٣.

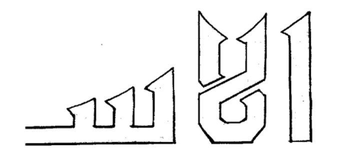
كذلك امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ضربَ الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ كانتا تحت عبدين صالحين من عبادنا فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ التحريم/ ١٠.

ولعبت أم جميل حمَّالة الحطب زوجة أبى لهب دورا معاكساً سلبياً تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته. فكانت تحرض زوجها لينـاهض دعوة الرسول ويندب أصحابه وكانت تلقى القاذورات أمام بيت النبى.

وكان النبى قبل الاسلام قد زوج بنتيه رقية وأم كلثوم لولدى أبى لهب وأم جميل. وعلى يد أم جميل ذاقت ابنتا رسول الله الأهوال ولم تكتف المرأة بذلك ولكنها سعت ومارست ضغوطها حتى نفذ الولدان رغبة أمهما وطلقا الزوجتين الكريمتين ورداهما الى رسول الله ظناً منهم بانه سيشغل بأمرهما عن الدعوة.

وقد سجل القرآن الكريم هذا الدور السلبى لهذه المرأة وتوعدها بأشد العذاب ﴿تبّت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات





الأسرة وأهميتها فى

● ان الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع وهى المجتمع الانسانى الأول الذى يمارس فيه الأبناء علاقاتهم الانسانية ولذلك كان للأنماط السلوكية التى يتعلمها الأبناء فى محيطها قيمة وأهمية كبرى فى حياتهم المستقبلية حيث تستمد الأسرة أهميتها من كونها البيئة الاجتماعية الأولى التى تستقبل الفرد منذ ولادته وتستمر معه مدة طويلة من حياته وتشكل قدراته واستعداداته المختلفة وتعاصر انتقاله من مرحلة إلى أخرى.. وفيها أيضا يتم التكوين والتشكيل الرئيسى لشخصيته فهى بذلك تعد المدرسة الأولى التى تؤثر فيه.



لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد﴾ المسد/١ : ٥.

فلنستوعب سويا سيرة تلك النماذج النسائية التى عرض لها القرآن الكريم.. ولنتمثل جهاد المرأة وصبرها واخلاصها وقوة ايمانها وطهرها وعفتها ونحول هذه القيم الايجابية الى واقع حياتنا ونجعلها دائما نصب أعيننا.

ولنحاول أن نتجنب النماذج غير الطيبة فى أقوالها وأفعالها.



● وكثيرا من مظاهر التكيف والتوافق او عدمه يمكن ارجاعها بسهولة إلى نوع العلاقات الانسانية التى سادت بين أفراد الأسرة فى سنى حياتهم الأولى ومن ثم فالبيئة الأسرية المحيطة بالأبناء تعتبر عاملا مهما فى تشكيل شخصياتهم وتكوين اتجاهاتهم وميولهم ونظرتهم إلى الحياة.

● وفى البيت يتعلم الأبناء كثيراً من الخبرات والمهارات والعادات والتقاليد التى تساعدهم على التكيف والتوافق مع البيئة التى يعيشون فيها فإذا كان الابن الصغير يعيش الفترة الأولى من حياته فى جو عائلى هادىء يسوده العطف والحنان والأمان والطمأنينة استطاع أن ينمو نمواً صحيحا يتميز بالقدرة على التكيف مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه.

● والاسرة كذلك هى اول محيط اجتماعى يتعلم فيه الأبن الصغير النماذج الأولية لمختلف الاتجاهات والمعتقدات.. وفى هذا المناخ العائلى تتولد بذور الحب والكره والغيرة.. والتعاون والتنافس والتسلط.. والخنوع والسيطرة والنبذ وغيرها.. وبصورة عامة تتكون الدعائم والركائز الأولى لشخصية الأبناء.

● وبالاضافة إلى ذلك فإن خبرات الطفولة الأولى كما يرى علماء التحليل النفسى تظل آثارها باقية ما بقى الانسان وتصارع كل جديد محاولة قهره أو



تطويعه وكثيراً ما تنجح فى ذلك.

● فالأسرة غير الصالحة قد تسيء إلى الابن نفسه وإلى حياته بل قد تسيء الى مصير الجنس البشرى كله.

ومما سبق يتضح لنا أهمية الأسرة والتنشئة الأولى فى حياة الأبناء وتكوين شخصياتهم واتجاهاتهم وحسن تكيفهم وعدم انحرافهم، كما نرى أن النقاط التالية:

(١) الاهتمام بالتربية المنزلية فى العصر الحاضر.
(٢) أثر الوالدين فى التنشئة الاجتماعية للأبناء.
(٣) الروابط الأسرية بين الوالدين وأثرها فى نمو الأبناء النفسى والاجتماعى.

تؤثر فى تكوين شخصية الأبناء ولذلك نتناول كل نقطه بالتوضيح فيما يلى:

النقطة الأولى

يرجع الاهتمام بالتربية المنزلية الى عهد قديم جدا لأن الناس ادركوا قديماً قيمة الميراث الخلقى الذى ينحدر من الآباء والاجداد إلى الأبناء والاحفاد جيلا بعد جيل. ويلى هذا الأثر البعيد أثر قريب مباشر وهو التوجيه الخلقى والارشاد للأبناء الناشئين نظرا لأن مؤثرات الاخلاق تنحصر فى الوراثة والمنزل والمدرسة والاصدقاء ولكل منها دوره فى تشكيل شخصية الأبناء. فمثلا يلتقى الطفل الصغير فى المنزل بالمعلم الاكبر والمدرسة الأولى (وهى الأم) والأخوة والأب والاصدقاء ومن خلال تعامله معهم يكتسب انماط سلوكه الاجتماعى.

ولذلك كانت السنوات الأولى التى يقضيها الطفل فى المنزل لها أكبر الأثر فى تشكيل شخصيته فى المستقبل وتمسكه بالقيم الخلقية المنزلية.

وفى البيت توضع اسس الصحة النفسية.. فقد أثبتت مدرسة التحليل النفسى أن الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل والتى يقضيها فى المنزل وإن لم تكن أهم سنى حياته فى أهميتها.. فالبيت هو أول من يقدم للطفل ذلك التراث الثقافى والاجتماعى الذى تسلمه ممن سبقه.

وبناء على ذلك يعد البيت هو أول معمل يجتازه الابن ليخرج منه الى المجتمع مستكملا شروط الانسانية او فاقدها. ومن ثم يجب الاهتمام بالتربية المنزلية فى الوقت الحاضر.

النقطة الثانية

(أ) دور الأم فى لنمو الاجتماعى للابناء:

نعلم أن التنشئة الاجتماعية تهدف الى اكساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأداء أدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعى معها.. وتكسبه الطابع الاجتماعى وتيسر له الاندماج فى الحياة الاجتماعية.. وهى عملية اكساب الانسان صفة الانسانية ومن ثم فإن تنشئة الوالدين الاجتماعية تنعكس آثارها على ابنائهم.

● فالام تلعب دورا اساسياً فى حياة الابن إذ أنها أول من يتعامل مع الابن منذ الأيام الأولى لولادته ولهذا كان لانطباعات هذا التعامل أثر لا يستهان به فى نمو الابن وحسن تكيفه وتوافقه.

● ونظرا لأن الحب هو أول العلاقات الانسانية التى يمارسها الصغير وأهمها جميعا لأنه يتعلق بعلاقات الود والعطف التى هى من أهم مميزات الأسرة السعيدة.. والحب يعمل كدافع هام فى تعلم كثير من الاتجاهات الاجتماعية التى تحدد علاقة الصغير بالمجتمع كما تحدد درجة تكيفه له وبذلك فإن أساس ثقة الابن بنفسه وبالعالم المحيط به تتوقف الى حد كبير على نوع علاقته بأمه فى المرحلة المبكرة من نموه.

● ومن هنا فإن عناية الأم بطفلها فى السنة الأولى من حياته واشعاره بالحب والحنان من الأمور المهمة للغاية لأنها ليست مسألة عاطفية فقط بالنسبة اليه بل هى مسألة حيوية وضرورية لنموه الفسيولوجى والعقلى

والانفعالى والاجتماعى.

● فالأمومة ليست عملية سهلة بحيث تعدها وتنظمها بجداول دقيقة ولكنها علاقات انسانية راقية ومعقدة تغير من سلوك كل من الطفل وأمه.

ولذلك فإن حاجة الأبن الصغير إلى عطف أمه أو من يقوم مقامها على جانب كبير من الأهمية فى حياته.

(ب) دور الأب فى النمو الاجتماعى للأبناء:

يعد دور الأب فى الأسرة وفى تنشئة الأبناء دوراً حيوياً لا يقل أهمية عن دور الأم.. ومن ثم يخطىء بعض الآباء كثيراً إذا شغلتهم متاعب الحياة عن اسرهم وقضوا معظم أوقاتهم بعيدا عن ابنائهم تاركين الأمر للأم وحدها. وذلك نظرا لأن دور الأب يختلف عن دور الأم الى حد ما ولا تستطيع هى أن تعوض ابناءها النقص الذى ينشأ عن تغيبه عنهم أو أهمال رعايتهم.

● وأهم ما يقوم به الأب فى تنشئة ابنائه: عملية التصنيف الجنسى لأبنائه فمنه يتعلم الصغار انماط السلوك الاجتماعى الذى يميز الذكور فى المجتمع عن الإناث.. ويقوم الأب أيضا باعالة أولاده وقضاء حاجاتهم الاقتصادية.. ويعتبر المجتمع هذه الناحية من أهم واجبات الأب لدرجة أنها طغت على واجباته الأخرى.

● كذلك يلعب الأب دوراً أساسياً فى تكوين الذات العليا لدى ابنائه عن طريق النصح والارشاد والقدوة الحسنة.

● ولهذا كانت الأبوة الرشيدة من مقومات الصحة النفسية للأبناء شأنها فى ذلك شأن الأمومة الرشيدة وهى بطبيعة الحال لا تقاس بطول المدة التى يقضيها الأب مع أبنائه ولا بحرصه على توفير المال اللازم لقضاء حاجاتهم المادية فحسب وإنما عليه أن يشعر أبناءه بحبه لهم وعنايته بهم منذ وقت مبكر من حياتهم.

النقطة الثالثة والأخيرة

من البديهى أن العلاقة بين الوالدين لها آثارها الهامة فى حياة الأبناء ونموهم النفسى والاجتماعى فالابن يستمد أما عن قصد أو عن غير قصد قيمه المختلفة نتيجة ملاحظاته عن كيفية تصرف والديه فى المواقف المختلفة. وأيضا أنواع السلوك التى يتخذونها إزاء كل موقف هذا فضلا على أن نتاج التفاعل بين الوالدين والأبناء من العوامل الهامة التى تؤثر فى تكوين شخصية الأبناء.

● كذلك فإن الابن يتعلم عن طريق والديه الكثير من العقائد والمخاوف والأفكار والآراء التى تدل على التسامح أو التعصب والتى على أساسها يتوقف الكثير من الوان نشاطه فيما بعد وبخاصة نظرته واتجاهاته إلى أفراد المجتمع الخارجى وإلى المجتمع نفسه.

● ولذلك فإن معظم علماء التربية والتحليل النفسى يضعون البيت فى المكان الأول.. ويدركون خطره فى صنع الاخلاق وتوجيهها.. ويرون أن الروابط الأسرية بين الوالدين والاتفاق بينهما والاحتفاظ بكيان الأسرة يخلق جواً هادئاً ينشأ فيه الأبناء نشوءاً متزناً.. وهذا الاتزان من شأنه أن يزيد ثقة الأبناء بأنفسهم وبالعالم من حولهم.

● كما أنه من أهم الأمور التى يجب أن تدعم الروابط الأسرية بين الزوجين ان يتمتعا معا بروح التعاطف والمحبة المتزنة بحيث تتضح هذه المحبة فى كل سلوكها وتظلل الجو الأسرى الذى ينمو فيه الأبناء. وكذلك اتجاهات الوالدين نحو ابنائهم وطرق ومعاملتهم من العوامل الحاسمة بالنسبة لمستقبل الأبناء.

● ولذلك يكون لاتجاهات الوالدين العاطفية نحو ابنائهم أهمية كبرى فى تزويد الأبناء بالأمن والاطمئنان مما تنعكس آثاره على شخصية ابنائهم ونموهم النفسى والاجتماعى.

يسعد المنهل أن يلتقي القراء مع جديد الشاعرة الدكتورة عاتكة .. فمرحبا بالاستاذة الفاضلة يتبوأ فكرها وشعرها مساحة الكلمة بين صفحات منهلها.

الى مجلة المنهل الغراء

لو ثلاثاً

لو استطعنا لأهدينا الرياض له
لأن في نزرها معنىً لمعناه .. !
ولو قدرنا لأهديناه أنفسنا
وان تكن هي بعضاً من هداياه ..!
ولو أننا تبنا عن سرائرنا ..
أينفي الله فينا عن خطاياه ..؟!

أُكَر

ويضحك منا القدر ..
أياحلمي .. ضحكة ...
وماذنبنا ..؟ غير أنا أكر ..
تعابثها أنمل في صغر ..؟!
وماذنبنا .. غير أنا بشر..؟ (1)
وماذنبنا .. فليقاضِ القدر .. !!



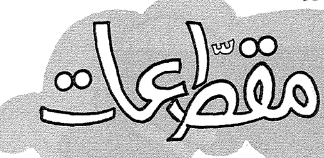


أياحلمي ...
طال عبء السفر
فأيان ..
نُلقي العصا ...؟
أو نَقِرّ ..؟!

خَتْل

منحنا أصيلَ الودِّ مَنْ كان خاتلاً
ومَنْ جار في حكم المودة واشتطّا ..!
وقال: أتبغي البذل منا جزيرة ..؟!
فقلنا: وهل أبقى له الدهر ما يُعطى .. !







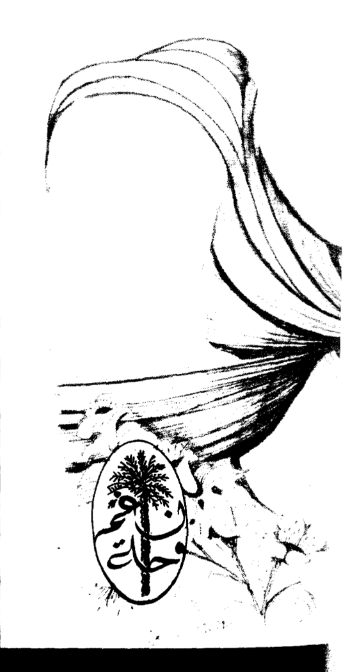
من آخر شعر د. عاتكة الخزرجي
بغداد أيلول (آب) ١٩٨٥

فينوس

تتصبى القلوب بالدل والشكل
وتردي مصارع العشق عنا..
رفرف الحب حولها وحيالها
تاج عرش ممرد ليس يفنى..
سمتها أو سماتها لو وصفنا
دمية للجمال في أي معنى..!

وفاء

أيها الخافر الوداد تمهل
ليس غدر الخليل بالخل هينا
أنا غرس الوفاء والود لكن
ضل رشدي.. فأين غرسك أينا..؟
الإخاء الأصيل في المحب يبقى
فلئن زال كان زوراً ومينا..!
وستبقى على الذي أنت تجني
يا أخانا!! - الفتى الأثير لدينا...



---

(١) المراد: تسيرون لا تخيرون





عندما دخلتُ العش الذى كنا نأوى إليه سوياً باغتتنى دمعة وترقرقت اخرى.. وأخذت اجول بطرق فى زوايا المنزل أفتش عنك فى كل ذكرى.. آه.. كم أنت غالية.



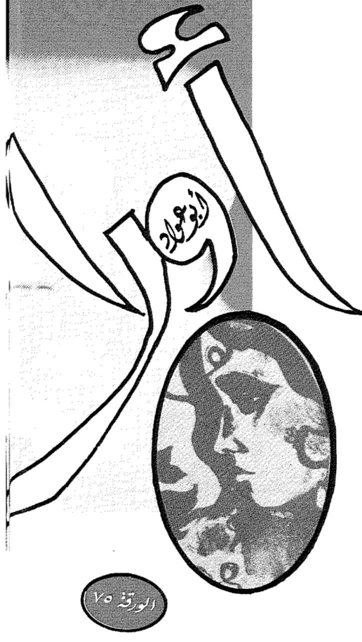
ما أصعب أن يعيش الشطر منفصلا عن شطره.. ما أصعب أن يهمد صخب الأولاد وضجتهم فى سكون البيت الموحش.. ما أصعب أن يعيش رب الأسرة ـ أرملاً ـ مع وقف التنفيذ.



فى انتظارك اكلت نار سجائرى أطراف الأصابع.. فى انتظارك أجوب المدينة شارعاً شارعاً.. فى انتظارك أصبحت ضائعاً.



من بعدك.. تبدّل حالى بحال.. فجميع ما كنت آمل سماعه من (أغانى).. ومواويل.. أصخت السمع لها ورددتها مع الصادحين.. وملأت ارجاء البيت أنغاماً.. ليتك قريبة.. فتسمعين..؟



وأنت بعيدة.. سددت كل الفواتير التى كنا نتحاور عليها صاغراً.. ومهّرت فواتير أخرى - على بياض ـ وجيرتها باسمك.



إضاءات وجدانية
خاطفة.. ولمحات
خاطر سريع..
نلمس من واقعنا ما نود
أن نقف عنده



أدركتُ وأنتِ بعيدة أنك أسمى الغايات
أن شوقى اليك يفوق شتى الوان الحنين.. وأن
يب الغربة يفوق هموم السنين.

الورقة ٧٧

ثيابى تُنظف وتُكْوَى لدى الغسال.. وطعامى فى بوفيه السعادة.. ومطعم الفرّوج الذهبى ومما يجود به الأصدقاء بدعوتى إلى طعام غداء أو عشاء.. افترش السهاد.. وأبحث عن كرى ألتحِفُ به.. ويطول البحث متنقلا من فكرة إلى فكرة..



أحلى مكالمة تلقيتها منذ ـ الرحيل ـ تلك التى تقولين فيها أنك فى الطريق إلىَّ.. وأحلى منها كلمة ـ بابا ـ تقطع مئات الأميال فتهز وجدانى.. وتذكى حنينى.



أنهب الطريق لملاقاتكم.. تستوى عندى الارض المنبسطة والوعرة.. والطريق المستقيم والمنعطفات.. لم أعد اخشى السرعة.. ولو تمهلت فى المسير.. سبقنى قلبى اليكم بحنينه وأشواقه..

الورقة الاخيرة:

ماذا تريد ايها الفراق من الأحبة؟.. وما عساك تجنيه من تشتيت شملهم واضرام نار شوقهم وأنت تذيقهم عذاب السهد ومرارة الأيام.. أين أنت من ـ اللقاء ـ الذى يطبع الابتسام على كل الشفاه.. ويشيع من حول الأحبة هالة من الحبور والفرحة.. ويسدل عليهم ثوباً من الطمأنينة والوئام.



رسالة

من أبى نواس إلى

حبيبتى جنان . .

مضى على خصامنا ما يقرب من ثلاثة أيام . . جفانى مرقدى . . وعذبنى ليلى وأضنانى هواك . .

كلما فكرت فيما وقع بيننا يوم أن رأيتك فى ديار ثقيف عجبت كل العجب من تصرفك معى وعجبت بل حزنت من ذلك السيل المنهمر من الاتهامات التى ما كنت أحب أن تطلقيها على ملأ من الناس بغير اكتراث حتى أشمتى بى حسادى وهم كثر . . لقد اتهمتنى بأننى لست وفياً للعرب ولا مخلصا لهم وأننى أزرى عليهم فى تقاليدهم وأصولهم وتؤيدين اتهامك لى بما قلته يوما :

عاج الشقى على رسم يُسَائلُه
وعجت أسأل عن خَمَّارة البلد
يبكى على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لى مَنْ بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهما
ليس الأعاريب عند الله من أحد

لا يا حبيبتى جنان : *لا يزعجنك هذا الكلام وما صدر منى على شاكلته إنما هو مجرد افتتاحية للقصيدة أما أن أزرى على العرب فكيف وهم أهلى وعشيرتى؟ .*

حبيبتى جنان . .

كانت قسوة عنيفة منك بل إهانة بالغة أن تتهمينى بالعشق وأوضح لك الأمر حتى لا تنساقى وراء تقولات الحاسدين لى والناقمين علىّ والذين يسعون إلى أن يوقعوا العداوة بينى وبينك . . فالحق أننى عاشق للحياة كَلِفٌ بما فيها من ترف النعيم وماكان الذين يدورون علينا بالراح إلا ميسم من المياسم التى لا يكتمل بدونها رونق السحر وفتنة الطرب . . لا أنكر أننى قلت :

ومعشوق الشمائل والدلال
كقرن الشمس فى قد الغزال
تأزَّر بالملاحة وارتداها
وسربل بالكمال وبالجمال
له فى خده خال مليح
بنفسى ذاكَ من خد وخال

فهل هذا يا حبيبتى كلام إنسان فاسق أم كلام إنسان عاشق يتغنى بالجمال كيفما كان وأينما كان؟ .

حبيبتى جنان . .

لا تغضبى على ولا تذهبن بك إساءة الظن بى كل مذهب حين أرجعت رسولك الذى أرسلتيه لمصالحتى . . فالحق أننى لم أرجعه عن قلى لك أو نقمة عليك، ولكن حزناً على نفسى وأسى عليها فلم يكن هينا منك الذى كان . . ومع ذلك يا حبيبتى هل تذكرين يوم أن هجرتنى أنت وأطلت فى هجرانك؟ كم رجوتك وقتها أن نصون حبنا بعودة الوصال بيننا ولكنك لم ترحمى روحى من تهيامها فى وديان الضنى والعذاب فلم يرق قلبك لضراعتى

السيدة الجميلة

للأستاذ
محمد عبد الواحد
حجازى

وسؤلى . . غير أن خيالك كان أرحم من قلبك وكان طيفك أعطف من وجدانك فترفق بحالى وزارنى فى منامى . .

يا قُرَّة القلب فما بالنا
نشقى ويلتذ خيالانا
لو شئت إذا أحسنت بى فى الكرى
أتممت إحسانك يقظانا
وعاشقين اصطلحا فى الكرى
وأصبحا غضبى وغضبانا
كذلك الأحلام غدارة
وربما تصدق أحيانا

حبيبتى جنان . .

هل تعرفين حالى اليوم؟ هل تعرفين مبلغ ما أعانيه من مغاضبتك لى وتماديك فى هجرانك؟ هل تعرفين كيف أقضى وقتى بل كيف أزهقه؟ . . كثيرا ما أغشى قصر مولانا أمير المؤمنين هارون الرشيد وأنت تعلمين منزلتى عنده ومكانتى فى قلبه كما تعلمين أنه لا يطرب إلا لشعرى ولا يسمر إلا بحديثى . . وقد حدث فى إحدى الليالى أن كنت أنا ومسلم بن الوليد وأبو الشيص فى حضرة مولانا الرشيد وبينا نحن فى متعة اللهو إذ دخلت علينا المغنية الجميلة «خالص» وأنت تعلمين جمال صوتها وسحر ألحانها وعذوبة كلماتها . .

لن تصدقى يا حبيبتى . . لن تصدقى . . يا إلهى أعنى على قول الحق . . عندما أخذت تغنى وكانت فى خمارها الأزرق السماوى البديع خُيِّل إلىَّ أنها أنت يا جنان . . فتجسد أمامى جمالك وحلاوتك . . وتجسد أمامى دلالك وجموح أهوائك . . وتمثل أمامى صوتك الذى يسحر القلوب ويزيد من الافتتان بفتنة الحياة فأنسانى ذلك كله إحساسى بوجود من حولى فطفقت أناجيك بل أناغى وصالك وإن ظن الحاضرون أننى أنوه بجمال «خالص» فقلت :

قل للمليحة فى الخمار الأزرق
بالله مهلاً واشفقى وترفقى
إن المحب إذا جفاه حبيبه
هاجت به زفرات كل تشوق
فبحق حسنك من جمال زانه
هلا رثيت لقلب صب محرق
حِنّى عليه وساعديه على الهوى
لا تسمعى فيه كلام الأحمق



فلما فطن مولانا الرشيد إلى قولى ظن أننى أغازل جاريته «خالص» فغضب وثار لولا أن شفع لى الحاضرون وأقنعوه أننى أنوه بجمال حبيبتى جنان التى ملكت علىّ فكرى وخيالى واحساسى بوجودى . .

فلا يداخلنك شك من هذه الحادثة وأيقنى يا من أعزّلى فى هذه الدنيا أن ليس فى فؤادى سواك فلا تتوهمى أن دنانير شغفتنى حباً حين قلت فيها:

صليت من حبها نارين واحدة
بين الضلوع وأخرى بين أحشائى

ولا تشغلنك الأوهام حين عرفت أننى تغنيت بجمال عنان فقلت فيها:

ملأت قلبى ندوبا
فصرت منها كئيبا
يا خاليا نام عنى
علمت قلبى النحيبا
أقام دمعى على ما
يطوى الضمير رقيبا

***نعم** لا يشغلنك ولا يغضبنك ما قلت فى دنانير وعنان وحسن وخالص وغيرهن . . فو الله لأنت الحسن كل الحسن والجمال كل الجمال والحب كل الحب . . وما هن إلا صوراً منك ولمحات من فتنتك التى أشقتنى ولا زالت تشقينى . .*

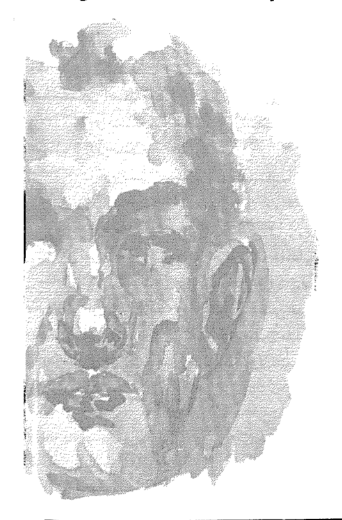
حبيبتى جنان . .

رغم هجرانك لى وغضبك منى إلا أننى لا آمن سواك على أسرارى ولا أطلع أحداً غيرك على ما يهجس به وجدانى ويتنزى به صدرى . . فأرجوك يا موئل أسرارى ألا تسخرى مما أبثه إليك ولا تضحكى الناس بما سأسره لك بالأمس وقد اشتد شوقى إليك:

اما ترى كيف قد بليت وقد
أقرح جفنى البكاء والسهر

إن أنت لم تلق المودة فى
قلب حبيبى وأنت مقتدر
لا قلت شعراً ولا سمعت غنا
ولا جرى فى مفاصلى السكر
ولا أزال القرآن أدرسه
أروح فى درسه وأبتكر
وألزم الصوم والصلاة ولا
أزال دهرا بالخير أأتمر

هذا هو أسمى مظاهر الوفاء وأجسر ضروب الهوى . . فهل تحفظين هذا السر الذى لم أفض به إلى أحد غيرك؟ . . بالله يا جنان لا تفضحينى عند الناس



فما أسرع ما يتأول الناس ويزيفون ويفترون.

حبيبتي جنان . .

ما قلته فيكِ يجعلك تشُكينَ فى خلقى وشيمتى فتميلين إلى تصديق ما زعمه الناس عنى من أننى ماجن خليع وربما يزداد اقتناعك بما زعموه وأرجفوا به حين قلت فى لحظة ذكرى:

قالــوا نزعت ولما يعلمـوا وطـرى
فى كل أغيـد ساجى الطرف مياس
كيـف النــزوع وقلبى قد تقسمــه
لحظ العيـون ولون الراح فى الكاس

لا خير فى العيش إلا فى المجون مع الأ
كفــاء والحــور والنسـرين والآس

ومع هذا فبحق ما بيننا من حب لا تظنى أننى كما يشيـع النـاس عنى ويـرجفـون فإن قلبى لينطـوى على إيمان وثيق بالله سبحانه وحب عميق لرسوله ﴿ﷺ﴾.

آه لو أسعدك الحظ يا جنان وشهدت توبتى الى الله عز وجل وانا أؤدى فريضة الحج فاهتديت الى هذا البيان الذى أشجانى وقلت:

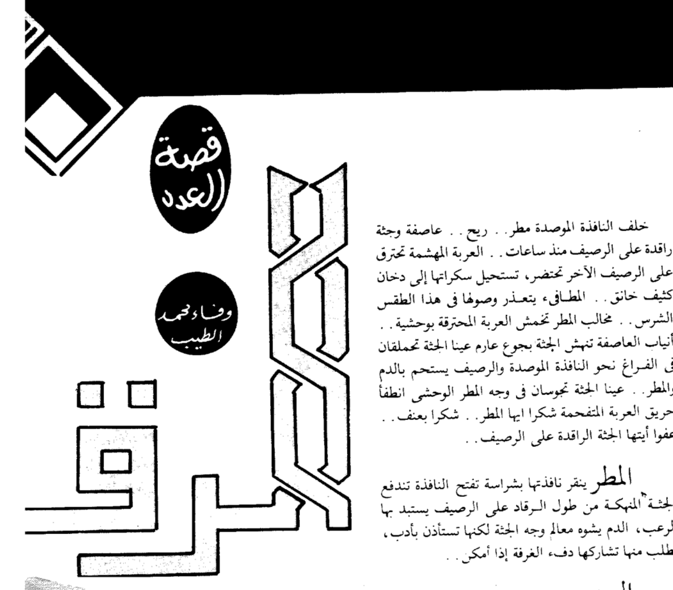
إلهنــا مــا أعــدلـك
مليـك كل من ملكْ
لبـيـك قد لبـيـت لك
لبـيـك إن الحـمـد لك
والحـمـد والـنـعـمـة لك
ما خاب عبـد سألـك
يا مخطئـا ما أغـفـلك
عجـل وبـادر أجـلك
واختـم بخـيـر عمـلك

حبيبتي جنان . .

لقد ارعوى قلبى وترفعت نفسى عن الخطايا وناجيت ربى قائلا:

يا رب إن عظـمت ذنــوبى كثـرة
فلقــد علمـت بأن عفـوك أعظم
مالـى إليــك وسيلة إلا الــرجــا
وجميــل عفــوك ثم إنـى مسـلم

فبحق هذا الدعاء الذى ناجَيت به ربى منيبا إليه إلا رجعت إلى وصـالى كى تبعثى فى وجدانى الحب والشوق والإيمان.



خلف النافذة الموصدة مطر. . ريح. . عاصفة وجثة راقدة على الرصيف منذ ساعات. . العربة المهشمة تحترق على الرصيف الآخر تحتضر، تستحيل سكراتها إلى دخان كثيف خانق. . المطافىء يتعذر وصولها فى هذا الطقس الشرس. . مخالب المطر تخمش العربة المحترقة بوحشية. . أنياب العاصفة تنهش الجثة بجوع عارم عينا الجثة تحملقان فى الفراغ نحو النافذة الموصدة والرصيف يستحم بالدم والمطر. عينا الجثة تجوسان فى وجه المطر الوحشى انطفأ حريق العربة المتفحمة شكرا ايها المطر. شكرا بعنف. . عفوا أيتها الجثة الراقدة على الرصيف. .

المطر ينقر نافذتها بشراسة تفتح النافذة تندفع الجثة المنهكة من طول الرقاد على الرصيف يستبد بها الرعب، الدم يشوه معالم وجه الجثة لكنها تستأذن بأدب، تطلب منها تشاركها دفء الغرفة إذا أمكن. .

البرد يقتلنى، خناجر المطر تنغرس فى لحمى البارد أنا على الرصيف منذ ساعات. . المطافىء تأخرت لكن المطر قام بالواجب سيارة الموتى لم تصل ليس لدى نعش أرقد عليه وأنا جثة وحيدة خائفة.

أنصتى جيدا. . العاصفة شرعت فى العويل من أجلى المطر يندب جثتى ويشويها بأسياخه الحادة كقبيلة بدائيه تأكل لحوم موتاها. . لست من قطاع الطرق ولا من مصاصى الدماء لن ابتز طعاماً أو مشرباً أو نقوداً أريد غطاء فقط أريد غطاء.

تناول الجثه غطاء سريرها. . ملمس يد الجثة لزج بارد كثلاجات الموتى تنبعث القشعريرة فى جسدها الحار.

- شكرا سيدتى. . أنت أجمل من زوجتى بكثير. .

تركض الجثة إلى الرصيف تحكم غطاءها جيدا تغمض عينيها. . تتنهد ثم تنام فى انتظار عربة الموتى.

■ تطل السيدة من النافذة المفتوحة تنادى الجثة الراقدة على الرصيف تحت الغطاء المبتل: - هيه أنت لماذا ترقد هنا؟ لم لا ترقد على سريرك قرب زوجتك؟ تتململ الجثة ثم ترفع غطاءها تجلس تحت النافذة المشرعة تلعق دماءها الجافة كالقطط المتشردة. .

● هيه. . لماذا لا نقطع الوقت بالحديث. . ريثما تصل سيارة الموتى لتحملنى الى المقبرة أنا لست مستعجلا. . كما أننى خالى البال. . خالى البال جدا. . فقد طلقتها. . نعم طلقت زوجتى قبل ساعات فقط تشاجرنا بوحشية هذه المرة، اطلقت انيابها وأظافرها فى لحمى هذه المرة لم أحتمل سئمت اللعبة مالم أعد أطيق وصية أبى الجاثمة على صدرى كطائر رخ هائل قلت لها: (طالق) فتح طائر الرخ جناحيه قلت لها: (طالق) أطلق طائر الرخ جناحيه للريح قلت لها: (طالق، حلق الطائر بعيدا. . بعيدا وسقط فى المحيط. .

تركتها فى البيت تلملم ثيابها. . مجوهراتها. . واطفالها. . سألتنى عندما غادرتها: إلى أين؟ أخبرتها بأننى فى طريقى الى المقبرة. . الفيلة تعرف أوان الرحيل الى المقبرة.



■■ ولكن ألم يكن هناك حل آخر غير أن يسلك كل منكم طريقــه إلى المقــبرة؟؟ ببرود الجثث المحنطة قال لها فى تعجب نقى رائع.. مقطر من المراوغة والكذب.. هى لم تسلك طريق المقبرة.. تركتها تجمع ثيابها وحليها واطفالها لتسلك طريق الحرية إلى بيت أبيها.

تنهدت بحرارة رمت اليه وسادة فقد كان بادى الاعياء ينتظر سيارة الموتى.. رمت إليه بسيجارة كواجب الضيافة.. آسف، آسف التدخين يضر بصحتى.

قالت: تعـال اذن نقطـع باقى الوقت بحكايتى ريثما تصل سيارة الموتى.. أنا ايضاً تشاجرت معه بشراسة.. أنشبت أظـافـرى فى تقـاطيع وجهه العبوس.. افتعلت شجاراً تافهاً لأسلك طريق الحرية الذى اعتقدته.. رميت بخاتم زواجنـا فى بالوعة الحمام.. لا أدرى ما الذى لا يقه فى شخصه بل ما الذى أطيقه؟.. كرشه المنتفخ... وره.. جهله.. عصبيتـه الـزائـدة.. شخيره عندما م؟. احساس بشع يسوطنى كل ليلة معه فاشعر اننى ش يسير على قدمين ـ واننى الكائن الهامشى الوحيد فى سطر الزمان.. دائماً أتمالك نفسى ألملم مشاعرى أهدهد جرحى.. لكنـه ينزف وينزف.. واتعذب عذابا بشعاً. كان عذابى كالموت لا ميعاد له ولا مفر منه.. يفاجئنى فى أى لحظة ويفتك بى كتنين جائع عثر على فريسة ملقاة فى حفـرة.. استنجدت بالذين من حولى.. صرخت انى بحاجتهم.. شهوراً انتظرت.. أعواماً مكثت انتظر.

● أنت شخصيـا؟ هل جربت أن تشتم نفسـك امـام المـرآة..؟ ساعات أقف أمام المرآة وتلتقى عيناى بعينين باردتـين ثلجيتـين.. لا حياة لا بريق لا دفء.. أشتم نفسى اتحرش بها.. كم انت تافهة غبية..
سطر على الهامش لكننى لا اتحرك..

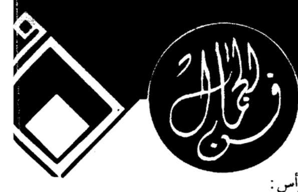
■ دائماً اكتب على تقاطيع الليل ملامح جديدة وسحنات أخـرى: لعـذابى.. لحيرتى.. لضعفى.. لتيهى.. لكننى أجدف فلا أصل ويخيل إلى أنه لا حقيقة فى الدنيا كحقيقة الموت حتى الموت ذلك الكائن النقى البللورى اطـارده فى الليل ليتسلل إلى دمائى: أحبه أعشقه لكنه يماطلنى ولا يأتى.. كم أنت محظوظ.

● أتصدق: عندما افترقنا أحسست بأن رخاً هائلاً كان يجثم بجنـاحيـه على صدرى ثم طار فجأه.. وعنـدمـ تسلمت ورقة طلاقى أحسست بأن الرخ طار بعيدا وسقط فى المحيط ولن يعود.. وها هو طائر الرخ قادم من بعيد بهيئته الاسطورية ليربض على صدرى من جديد.

●● قبـل ساعات من رقادك على الرصيف كنت اعلن موافقتى على أن أقترن بشيخ متهالك كورقة خريف آيلة للسقوط «له ولدان وبنت فى عمرى» يعانى من امراض مزمنة ولدية اموال كثيرة.. كثيره مكدسة فى البنوك.

●● لم أقـاوم عنـدمـا احاطتنى أمى بذراعيها المترهلتين تتـوسل موافقتى كنت بإرادة من الورق المقوى توسلات اخـوتى أخى الكبير زوج اختى جدتى المريضة ـ فى أن اعلن موافقتى على الاقتران بالزوج (اللقطة) تغرينى.. تسلبنى ارادتى كنت مثلك ارتجف من البرد.. أرقد على رصيف الحيرة والتعب.. برد، برد.. برد.

الـبرد يصعقنى يركلنى يصفعنى.. ينتـزع شعـرى وأهـدابى يقتلع أظافرى أردت غطاء لم اكن بحاجة الى طعام أو شراب أو نقود.. فقط أردت غطاء.. فوافقت..



علاج الشعر الجاف:

أفيد الطرق وأضمنها فى معالجة جفاف الشعر:

سخنى كمية من زيت الزيتون أو زيت الخروع فى وعاء خزفى صغير بوضعه وسط ماء ساخن وبعد أن يسخن الزيت تماما دلكى به جذور شعرك وسيقانه حتى يتشبع تماما كما تدلكى فروة رأسك طبقاً للقواعد السابقة تدليكاً مستمراً حتى تشعرى بتوهج الرأس وذلك لا يتم الا بعد تدليك شديد يستمر لمدة ربع ساعة على الأقل تجرى بعدها عملية التدليك بشامبو الصابون ثم يشطف الرأس بعدئذ شطفا جيداً حتى لا يتبقى أثر للزيت الزائد فيجفف الشعر ويدلك بالفرشاة ويصفف كما سبق بيانه.

وتجرى هذه العملية مرة كل أسبوع لمدة ثمانية أسابيع متتالية على الأقل حتى تظهر نتيجتها المفيدة.

وفيما يلى طريقة أخرى لعلاج الشعر الجاف:

سخنى زيت البلسم بالطريقة السابقة وضعيه على شعرك حتى يتشبع تماما وبعدئذ ضعى فوطا ساخنة على رأسك لتفتح مسامه ويتسنى للزيت أن يتخلل المسام. (الطريقة التركية) وتعمل هذه العملية مساء ويربط بعدها الرأس حتى الصباح حيث يغسل الشعر وتجرى له عملية التدليك وما يليها من عمليات الشطف واستعمال الفرشاة والتمشيط.. الخ. وتكرر هذه العملية مرة كل اسبوعين ويلاحظ عدم صلاحيتها للشعر المصبوغ، لأن زيت البلسم يزيل الصبغة.

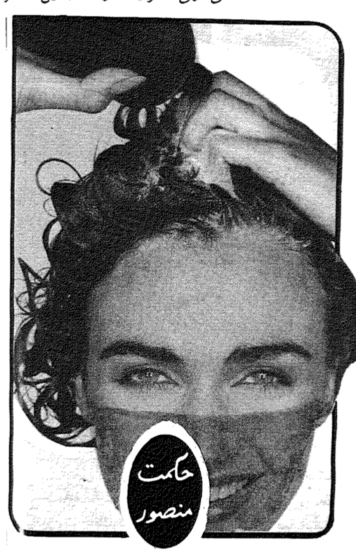
هاتان الطريقتان هما أضمن الطرق لعلاج الشعر الجاف بنجاح، واكسابه ليونة ونعومة.

علاج الشعر الشحمى:

نورد فيما يلى طريقة ناجحة جداً فى علاج تشحم الرأس:

أمزجى أوقية من مسحوق نبات السوسن Orris Root Powd مع أوقية من الدقيق العادى وملء ملعقة شاى من كربونات المجنيزيا مزجاً جيداً وينخل المزيج الناتج بواسطة منخل حريرى دقيق الثقوب ثم يوضع منه على الرأس ويدلك جيداً بالشعر وفروة الرأس ويترك مدة عشر دقائق يزال بعدها بواسطة فرشاة الشعر ازالة تامة حتى لا يتبقى له أثر بتاتا.. فهذا يفيد جداً فى إزالة تشحم الرأس.

هذه هى أولى الطرق اللازمة لتجميل الشعر



الركب يسير والحياة تتقدم - وليسير العلم بخطاه حثيثاً ليؤدى دوره .. واذا كانت يد التطور والتجديد قد تركت آثارها على فنّ الجمال فإنّ هذا الكتاب الذى ألف منذ ما يقرب من خمسين عامًا له السبق والريادة.

أو للمحافظة على جماله وباهمال اتباعها يبقى الشعر معرضاً للاصابة بمختلف الأمراض.

وفيما يلى بيان شامل لأمراض الشعر وفروة الرأس وأحدث ما وصل اليه البحث الفنى فى معالجتها مراعية فى وصفها سهولة تناولها. وبساطة تركيبها.

أمراض الشعر

ان أكثر ما يدعو الى الاهتمام فى أمراض الشعر هى الحالات التى يسقط فيها الشعر دون أن يبدى أى علامة للتحسن وتكون هذه الحالات فى الغالب نتيجة لأمراض شديدة الوطأة كالحميات ولابد من معالجة هذه الأمراض قبل الالتفات الى علاج الشعر حتى يسير الدم نقياً فى دورته العادية.

القشرة: هى مرض شائع من أمراض الشعر يجب علاجه دون ابطاء وللقشرة دوران يظهر الدور الأول منها بشكل ذرات صغيرة من الجلد الميت والزيت الجاف الذى يتجمع حول فتحات المسام وتسقط بكثرة اذا مشط الشعر أو حرك بشدة وغالباً ما يهمل علاج هذا الدور فيتضاعف المرض ويصل الى دوره الثانى الذى يظهر بشكل قرح ملتهبة فى الرأس والجبهة تدعو المصابة الى الهرش برأسها كثيراً.

وتعالج القشرة فى بادىء الأمر باتباع عملية تدليك بالزيت التى سبق بيانها فى علاج الشعر الجاف يتبعها التدليك باحد مركبات الشامبو أو باحد المحاليل المقوية.

■ وفيما يلى بعض الأدوية النافعة فى علاج القشرة:

١ محلول مقو نافع لازالة القشرة سهل التكاليف سريع المفعول

حمض ساليسيلك	٣ جرام
سلفات الكينين	١ جرام
ماء كلونيا	١٥٠ جرام

ويدلك جيدًا بالشعر وفروة الرأس.

٢ مرهم لازالة القشرة

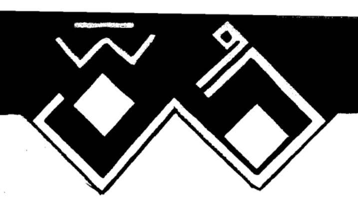
كبريت مرسب	٣٠ قمحه
حمض ساليسيلك	١٠ قمحه
برافين سائل	أوقية

ويستعمل بتدليكه جيدًا فى الشعر وفروة الرأس

الصلع: يرجع السبب فى سقوط شعر الرأس الى عدة عوامل مختلفة منها صلع الشيخوخة وسببه موت بصيلات الشعر وفقدان المادة الصباغية منه لضعف الجسم وضعف الدورة الدموية وعبثاً يحاول علاج هذا النوع وقد تساعد العناية بالشعر منذ الطفولة على تأخره أو عدم ظهوره.

ونوع آخر من الصلع المبكر الذى يحدث للانسان غالباً فيما بين العشرين والثلاثين وهو فى الرجال أكثر منه فى السيدات وسببه وجود نوع من الكائنات الضارة بالشعر كالقشرة أو السيبورية (تشحم الجلد) كما يكون وراثيا فى كثير من الحالات.

وهناك نوع ثالث من الصلع ينتج عن دوام سقوط الشعر لاصابة الجسم باحدى الأمراض الخطرة كالتيفوئيد وحمى النفاس وما يماثلهما من الحميات الأخرى وهذا النوع قد يعود فيه الشعر إلى حالته

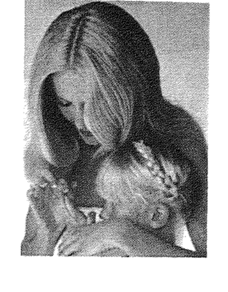


الأولى بعد شفاء المرض المسبب.

وسواء كان الصلع من هذا النوع أو من الانواع السابقة فأول ما يجب اتباعه هو معالجة المرض المسبب له ثم الالتفات الى العناية بالشعر وعلاجه.

ويتلخص علاج الصلع فى تنشيط الدورة الدموية فى شعيرات فروة الرأس باحد المحاليل المقوية مع اتباع برنامج التدليك باليد وبالفرشاة وهذا له أهمية كبرى فى نجاح العلاج والادوية التالية نافعة جدا فى علاج الصلع وتنمية الشعر صحيحا سليما.

«١» محلول منشط يدلك بالشعر تدليكا جيدًا، مرة كل يوم		
نوشادر مركزة	١/٢	أوقية
كلوروفورم	١/٢	أوقية
زيت السمسم (الشيرج)	١/٢	وقية
زيت ليمون	١/٢	أوقية
عطر حصا البان	٢	أوقية
«٢» محلول آخر أوصى باستعماله خاصة فى حالات سقوط الشعر لأنه نافع جدًا فى تنمية الشعر فى مدة قصيرة.		
كحول	٥	أوقيات
جليسرين	٤	«
كلوروكينين	١/٥	درهم
تانين	١/٤	درهم
صبغة الذراريح	١/٤	درهم
ماء كلونيا	٦	دراهم
زيت صندل	٥	نقط



ويستحسن أثناء سير العلاج تعاطى احدى الأدوية المقوية وفيما يلى بعضا منها:

١ - شراب يودوتانيك فسفاتيه ارسينيكال ٣٠٠ جرام.

Sirop Iodo Tannic Phosphate Arsenicale 300 gr

ويؤخذ منه ملء ملعقة صغيرة بعد كل أكلة.

٢ - شراب الكينا الحديدية Sirop Ferro Quina

٣ - أو حبوب بلودز Plauds Pills تؤخذ منها حبتان ثلاث مرات يوميا مع ملاحظة تطهير الانف والفم والحلق بغرغرة ماء الاكسجين أما الفرش والامشاط المستعملة للمريض فتظل خاصة به دون غيره وتطهر أولا بأول.

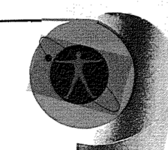
تنويه وايضاح

تشكر المجلة غيرة كتّابها على إبداعاتهم وتود أن يتلمسوا ما قد تبنّته (منذ مطلع عامها الواحد والخمسين) من منهج يجعل من المقالات في كل عدد من اعدادها بناءاً يضيء بعضه بعضاً . . وتسرى فيه وحدة التوجه على تنوع المنطلق.

والمجلة ترجو كتّابها الا يعدّوا التأخر في النشر وارداً - على الدوام - لأن المنهج في حقيقته وموضوعيته يتجه الى انتاجهم مباشرة ويفرزه ليصل الى المتلقى في غير ما خلطٍ أو تنافر. وسيعاد ما لا يتفق ومسيرتها وأهدافها الى أصحابه - على غير عادة القاعدة الصحفية - مشفوعاً بالشكر والتقدير.

ختاماً نود أن يتفهم اصدقاؤنا هذا . . وألا يكون التأخير مدعاة للتقصير في حمل رسالة الكلمة وهذا ما اوجبه التنويه.

المنهل



المسلمون و طب الأسنان

التقدم العلمي في مجالاته المختلفة تبعه تطور مماثل في جوانب الحياة .. وإن كنا نتناول مواضيع جزئية من العلوم نحصرها في هذا الملف الذي نقدمه فإننا نحرص به أن يكون (جرعة) علمية نحتاجها في حياتنا ..



يدين علم الطب الحديث للمسلمين فى كونهم أول الأمم قاطبة التى جعلت له فروعاً مستقلة .. كطب العيون .. وعلم الجراحة .. وعلم التشريح .. وطب الأسنان، فالمتتبع لتاريخ الطب يجد أن المصريين القدماء وكذلك الاغريق كانوا يدمجون علم الطب مع غيره من العلوم خاصة علم الأقربازين (العقاقير والأدوية).

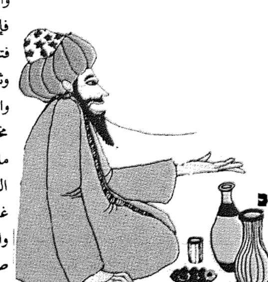
وفى هذه العجالة سوف نلقى القليل من الضوء على بعض ما عرفه أطباء الحضارة الاسلامية فى حقل طب

الأسنان لنعرف إلى اى مدى كان تفوقهم ونبوغهم فى هذا المجال الذى يعده الكثير من المؤرخين غير المنصفين فى أوربا أنه من نتاج العصر الحديث فى حين أن المسلمين هم أول من أرسوا قواعده ونظموا دراسته.

جرد الأسنان:

فقد ابتكر الأطباء العرب العديد من الآلات الدقيقة وكانوا يستعملونها فى علاجهم لأنواع مختلفة من أمراض الأسنان وقد أخذت صناعة هذه الآلات وانتقلت نماذج منها إلى أوربا ابان حركة الترجمة الواسعة التى تزعمها المترجم الايطالى جيرارد الكريمونى والذى قام وحده بترجمة اكثر من سبعين كتاباً علمياً عربياً إلى اللغة اللاتينية وذلك فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى وأوائل القرن الثالث عشر. فكان المسلمون يستعملون عدداً متباين الأشكال من هذه الآلات لعلاج الأسنان المتآكلة كما استعملوا آلات خاصة لازالة القشور الخشنة ذات الرائحة الكريهة التى تصيب الأسنان وكان أحدهم وهو أبو القاسم الزهراوى قد رسم فى كتابه المعروف باسم «التصريف لمن عجز عن التأليف» سبعة عشر جاردة لمثل هذه التقيحات والقشور. والحقيقة ان التفوق الكبير للعلماء المسلمين لم يكن فقط فى معالجة الأمراض المختلفة التى تصاب بها الأسنان وكفى بل نرى أيضا نبوغهم الكبير فى صنع الآلات الطبية المستخدمة فى طب الأسنان وغيره من فروع الطب المعروفة آنذاك وما يزال بعضها يستعمل بنجاح إلى الآن وعن كيفية جرد الأسنان المصابة بقشور متلونة وذات رائحة كريهة.. يحدثنا على بن سهل الطبرى الطبيب المسلم الكبير فيقول:

المسلمون أول الأمم التى جعلت للطب فروعاً مستقلة



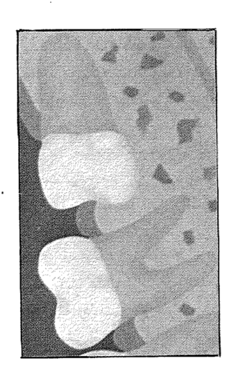
«وأما جرد الأسنان فاعلم أن الأسنان قد تعلوها من داخل وخارج قشور خشنة قبيحة المنظر وقد تَسْوَدُّ وتصفرّ وتخضرّ حتى يصل ذلك الفساد إلى اللثة وتتغير لأجله رائحة الفم وفى مثل هذا الوقت ينبغى أن ينقى البدن ثم الرأس ثم بعد ذلك تجرد وهو أن يجلس العليل ويجعل رأسه فى حجر الجارد وتجرد الأسنان من جميع جوانبها حتى تنقى جميعها».

ويقول أبو القاسم الزهراوى عن طريقة جرده للأسنان: «قد يجتمع فى سطوح الأسنان من داخل ومن خارج وبين اللثات قشور خشنة قبيحة وقد تسود وتخضر وتصفر. فتتقيح الاسنان لذلك ينبغى أن تجلس العليل بين يديك ورأسه فى حجرك وتجرد الضرس والسن الذى ظهر لك فيه قشور والشىء الشبيه بالرمل وغير ذلك فإن ذهب ما فيها من أول الجرد وإلا فتعيد عليها الجرد يوما آخر وثانيا وثالثا حتى تبلغ الغاية بما تريد واعلم أن الضرس يحتاج إلى مجارد مختلفة الصور كثيرة الأشكال حسب ما يتهيأ لعملك من أجل أن المجرد الذى يجرد به الضرس من داخل غير المجرد الذى يجرد به من خارج والذى يجرد به الأضراس على صورة أخرى».

قلع الأسنان:

اما عن قلع الأسنان فكان يتم مقابلة بين الطبيب والمريض قبل اجراء العملية وذلك حتى يتمكن الطبيب من الالمام بأعراض المرض وخطورته كما كان يعطى اهتماماً خاصاً «بضرس العقل» فى اثناء فحوصه للكبار لأنه كما نعلم يكون ظهوره مصحوباً بألم اثناء طلوعه. وبعد أن يشخص الطبيب الحالة جيداً ينصح المريض غالباً باتباع أدوية وعقاقير معينة خاصة اذا كان المريض بالغاً حتى لا يعرض المريض الى مشاكل اخرى مثل تشوه الأسنان والتهاب اللثة.. وإذا كانت الحالة التى أمامه ليس لها علاج سوى خلع السنة أو الضرس المصاب، فيبدأ على الفور بتحضير الكلاليب تلك الآلة التى إبتدعها الأطباء العرب وما تزال تستعمل حتى وقتنا هذا كما كانت ثمة آلات أخرى يستعملها فى عملية الخلع.

وهذا واحد من الأطباء العرب يحدثنا عن طريقته الناجحة فى اجراء عملية الخلع إذ يقول: «ينبغى ان تعالج الضرس من وجعه بكل حيلة وتتوانى فى خلعه فليس منه خلف إذا قلع لأنه جوهر شريف حتى إذا لم يكن بد من قلعه فينبغى إذا عزم العليل على خلعه أن تتثبت حتى يصح عندك الضرس الوجع فكثيرا ما يخدع العليل الوجع ويظن أنه فى الضرس الصحيح فيقلعه ثم لا يذهب الوجع حتى يقلع الضرس المريض وقد رأينا ذلك من فعل الحجامين مراراً فإذا صح عندك الضرس الوجع بعينه فحينئذ ينبغى أن تشرط حول السن بمبضع فيه بعض القوة حتى تحل اللثة من كل جهة ثم تحركه بأصبعك أو بالكلاليب اللطاف أولا قليلاً قليلاً حتى تزعزعه ثم تمكن حينئذ من الكلابتين الكبار تمكينا جيدا ورأس العليل بين ركبتيك قد ثقفته لا يتحرك ثم تجذب الضرس على استقامة لئلا تكسره فإن لم يخرج فخذ أحد تلك الأدوات والآلات فادخلها تحته من جهة برفق ورم تحركه كما فعلت اولا وان كان الضرس مثقوباً او متآكلا فينبغى أن تملأ الثقب وتسده سداً جيداً بطرف مرود رقيق لئلا يتفتت فى حين شدك عليه بالكلاليب وينبغى أن تستقصى بالمشرط حول اللثة من كل جهة نعماً وتحفظ جهدك لئلا تكسره فيبقى بعضه فيعود على العليل منه بلية هى أعظم من وجعه الأول وإياك أن تصنع ما يصنع جهال الحجامين فى جسرهم واقدامهم على قلعه من غير أن يستعملوا ما وصفنا فكثيرا ما يحدثون على الناس بلايا عظيمة أيسرها أن يكسر الضرس وتبقى أصوله كلها أو بعضها واما أن يقلع مع بعض عظام الفك كما شاهدناه مراراً يتمضمض بعد قلعه بشراب أو بخلٍ وملح فإن حدث نزيف دم من الموضع فكثيرا ما يحدث ذلك فاسحق حينئذ شيئاً من (الزاج) واحش به الموضع..



ويصف لنا طبيب مسلم كبير نبغ فى طب الأسنان وكان له فيه أعمال عظيمة، الكلاليب وتركيبها فيقول: «تكون طويلة الأطراف.. قصيرة المقبض.. غليظة لئلا تنثنى عند قبضك بها على الضرس ولتكن من حديد هندى أو فولاذ محكمة مسقية الأطراف وفى طرفها أضراس يدخل

بعضها فى بعض فتقبض قبضاً محكما وثيقاً وقد تضع الأطراف كهيئة المبرد فتكون أيضاً قوية الضغط».

ويقول طبيب مسلم آخر عن الطريقة التى اتبعها عند خلعه للأسنان المصابة: «وأما قلع الأسنان فيجب ان تتأمل قبل القلع هل العلة

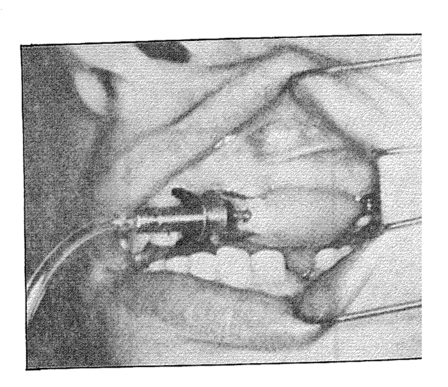
يجرد ما حولها بمجرد حتى ينكشف أصلها من جميع الجهات ثم بعد ذلك تمسك الكلابتين وتهز (يميناً ويساراً وقدام وخلف) ثم بعد ذلك تجذب جذباً مستقيماً بقوة لئلا تنكسر فان كان الضرس متآكلا فينبغى أن يستقصى فى الجرد ثم ينكشف أصله كشفاً جيداً ثم يفعل ذلك ثم يتمضمض العليل

مسكاً جيداً ويهز ويجذب جذباً مستقصياً ويخرج الجميع».

عمليات تجميل للفم والأسنان:

والشيء الملفت للانتباه أن المسلمين فى القرن العاشر الميلادى كانوا يقومون بإجراء عمليات دقيقة للغاية فى الفم المصاب بإعوجاج.. وكذلك للأسنان المشوهة أو الساقطة بعد سن البلوغ.. كما أنهم نجحوا ولأول مرة فى تاريخ الطب فى تثبيت الأسنان بواسطة الخيوط المصنوعة من الذهب وملء الأجزاء المتآكلة من الأسنان وكان لهم محاولات جديرة بالذكر لزراعة أسنان جديدة بدلا من الأسنان المخلوعة.

ولا ريب أن التقدم الكبير الذى حققه الأطباء العرب فى حقل طب الأسنان ساهم مساهمة عظيمة فى ارتقاء هذا الفرع من الطب كما كان فتحاً عظيماً أمام الباحثين والأطباء فى أوربا ابان عصر النهضة إذ أنهم عدوا المؤلفات العلمية العربية المترجمة إلى اللاتينية خاصة المختصة بطب الأسنان، المرجع الأوفى لبحوثهم ودراساتهم.



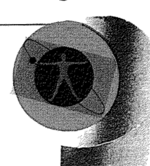
فى نفس السن أو فى اللثة أو فى العصبة ويعرف بوضع الأدوية فإن لم تنقلع بهذه المداواة فاستعمل القلع وعند استعماله تنظر إلى غلبة الدم فإن كانت ظاهرة فافصد العليل أولا ثم بعد ذلك انظر فإن كان الوجع مستمراً فتختبر الأسنان كلها لتعلم الوجع منها لئلا يحل القلع لغيره فإن علم فينبغى أن

بشراب عفص مسخن على النار أو بماء (ديف فيه زاج) من غير أن يبتلع منه شيئاً فإن بقى بعد قلع الضرس شيء من أصله فى الفك فينبغى أن يوضع على ما بقى منه قطنة مبلولة بسمن ثم ينقش بعد ذلك على الموضع بالمنقاش ثم يجرد ما حوله حتى ينكشف ويمسك بكلاب المبردى

ويقول أمير الأطباء والشيخ الرئيس أبو الحسن بن سينا عن كيفية اصلاح وتجميل الفك السفلى المصاب بكسر: «ان انقصع إلى داخل ولم يتقصف باثنتين فأدخل إن انكسر اللحى

الأيمن السبابة والوسطى من اليد اليسرى فى فم العليل وان انكسر اللحى الأيسر فمن اليد اليمنى وارفع بهما حدبة الكسر إلى خارج من داخل واستقبلها باليد الأخرى من خارج وسوه وتعرف استواءه من مساواة الأسنان فيه. وأما إن انقصف اللحى باثنتين فأمدده من الجانبين على المقابلة بخادم يمده وخادم يمسك ثم يصبع الطبيب الى تسويته على ما ذكرنا. . واربط الأسنان. . فإن كان عرض مع الكسر جرح أو شظية عظم يتخس فشق عنه أو وسعه وانزع الشظية واستعمل فيه الخياطة والرفائد والأدوية الملحمة بعد الرد والتسوية».

أما الجراح العربى «الزهراوى» فيصف لتلاميذه الطريقة التى يمكن إتباعها عند تثبيت الأسنان بخيوط الذهب وكيفية زرع الضرس وهو يكون بذلك أول طبيب وجراح فى العالم يحاول زرع الأسنان. . وهذا ما قاله الزهراوى بلفظه: «إذا عرض للأضراس القديمة تزعزع وتحرك عن ضربة أو سقطة ولا يستطيع العليل العض على شيء يؤكل لئلا تسقط وعالجتها بالأدوية القابضة فلم ينجح فيها العلاج فالحيلة فيها أن تشد بخيط ذهب أو فضة والذهب أفضل لأن الفضة تتزنجر وتعفن بعد ايام والذهب باق على حاله أبداً لا يعرض له ذلك ويكون الخيط متوسطاً فى الرقة والغلظ على قدر ما يسع بين الأضراس وصورة التشبيك أن تأخذ الخيط وتدخل انثناءه بين الضرسين الصحيحين ثم تنسج بطرفى الخيط بين الأضراس المتحركة واحدة كانت أو اكثر حتى تصل بالنسج إلى الضرس الصحيح من الجهة الأخرى ثم تعيد النسج الى الجهة التى بدأت منها وتشد يدك برفق وحكمة حتى لا



ماذا تعرف عن :

عين الانسان تحتوى على ثلاثة أصناف من المخاريط، كل صنف يختص بحساسية خاصة للأمواج لون رئيسى خاص، الأحمر، الأخضر، الأزرق. وحينما تثار خلايا أصناف المخاريط الثلاثة بالتساوى نرى اللون الأبيض



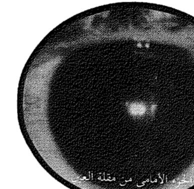


تتحرك البتة ويكون شدك الخيط عند أصول الأضراس لئلا يفلت ثم تقطع طرفى الخيط الفاضل بالمقص وتجمعهما وتفتلهما بالجفت وتخفيهما بين الأضراس لئـلا تؤذى اللســان ثم تترك هكـذا مشــدودة ما بقيـت فان انـحلت أو انقطعت شددتها بخيط آخر فيستمتع بها هكذا الدهر كله . . وترد الضرس الـواحـد أو الاثنـين بعد سقوطهما فى موضعهما وتشبك كما وصفنا وتبقى وانما يفعـل ذلـك صانـع درب رفيق وقـد ينحت عظم من عظام البقر فيصنع منه كهيئة الضرس ويجعل فى الموضع الذى ذهب منه الضرس ويشد كما قلنا فيبقى ويستمتع بذلك».



العين هى نور الحياة . . وهى وسيلة الإبصـار حيث تمثل النافذة التى يطل منها الإنسان على العالم الخارجى . . والعين تعتبر من آيات الله الكبرى فى خلق الانسان .

وإذا أردنــا أن نشبــه العـين فنستطيع القول ان أقرب مثال لها آلـة التصـوير (الكاميرا) . . حيث نجد أن القرنية والعدسة البللورية يمثلان عدسة الكاميرا . . والقزحية وحـدقـة العـين **(بؤبؤ العـين)** يمثـلان حاجـز الكـامـيرا وفتحـة الضوء . . والجسم الزجاجى يمثل الحجـرة المظلمــة بالكــاميرا . . والشبكيــة تمثـل الفيلم الحسـاس بالكـاميرا والعين تتصل بالمخ عن طريق شبكة من الألياف العصبية تبدأ بالعصب البصرى والتى تقوم بنقل الصورة المتكونة للشىء المرئى على الشبكيـة إلى مركـز الابصار بالمخ (الموجود بالفص القُذالى فى مؤخرة المخ) حيث يقوم المخ بترجمة وتفسـير الصـورة وتوضيح طبيعتها وهذه العملية التى تتم فى جزء من الثانية تعتبر فى غاية الدقة والتعقيد وسبحان الله أعظم الخالقين .



لمحة تشريحية عن تركيب العين

العين كروية الشكل وتمتاز بأنها مطـاطـة ومرنة . . وسبب أن مقلة العـين كرويـة الشكل أن أقطارها الثـلاثـة القطـر الامامى الخلفى والقطـر الـرأسى والقطـر العرضى متسـاويـة الابعـاد فكل منها يبلغ مقداره ٢٤ مليمتر تقريبا .

والعين تتكون من جزئين هما :

أولا : مقـلـة الـعــين Eyeball

ثانيــا : ملحقـات العـين وهـذه بدورها تتكون من :

أ - جفون العين Eyelids
ب - الملتحمة Conjunctiva
ج - الجهاز الدمعي Lacrymal Apparatus

أولا : مقلة العين :

وتقع مقلة العين فى الجزء الامامى من تجويف الحجاج (محجر العين) Orbit (وهو تجويف موجود فى الجزء العلوى من الجمجمة على جانبى عظام الانف). وتتصل مقلة العين بالمخ عن طريق العصب البصرى كما تتصل بما حوها بواسطة انسجة واعصاب واوعية دموية . . بالاضافة الى عضلات العين الخارجية التى تقوم بتحريك المقلة فى كافة الاتجاهات المراد النظر اليها.

واذا نظرنا الى تركيب جدار العين نجد أنه يتكون من ٣ طبقات . . وهى بالترتيب من الخارج الى الداخل كالتالى :

(١) الطبقة الخارجية الواقية: وهذه تتكون من جزئين . . الجزء الامامى - الجزء الاصغر - شفاف ومستدير ويكون ١/٥ جدار العين الخارجي ويسمى هذا الجزء بالقرنية Cornea أما الجزء الخلفى - الجزء الاكبر - غير شفاف ولونه ابيض ويشكل ٤/٥ الطبقة الخارجية ويعرف هذا الجزء بالصلبة (بياض العين) Sclera

● ويلتحم الجزءان احدهما بالاخر فى تداخل بارع . . ومكان التحام واتصال القرنيه بالصلبة يسمى المعشق (اللم) Limbus ويصل سمكه الى ٢ ملليمتر وتغطى الملتحمة المعشق والجزء الامامى للصلبة ومن ثم يكون هناك اتصال بين مقلة العين والجفن عن طريق الملتحمة.

(٢) الطبقة الوسطى المغذية: وهذه تتكون من المجموعة العنبية U nveal Tract التى تنقسم الى ثلاث اجزاء وهى بالترتيب من الأمام إلى الخلف: القزحية ثم الجسم الهدبى ثم المشيمية وتحتوى المجموعة العنبية على اوعية دموية تقوم بتغذية انسجة العين.

(٣) الطبقة الداخلية الحساسة: وهذه الطبقة تتكون اساسا من الشبكية (الردينة) Retina . ومما هو جدير بالذكر ان علماء العرب اول من اطلق على هذه الطبقة الرقيقة والشفافة اسم الشبكية . . ولا غرابة فى ذلك حيث ان العرب كان لهم فضل كبير وسبق عظيم فى مضمار تشريح العين ومعرفة ماهية

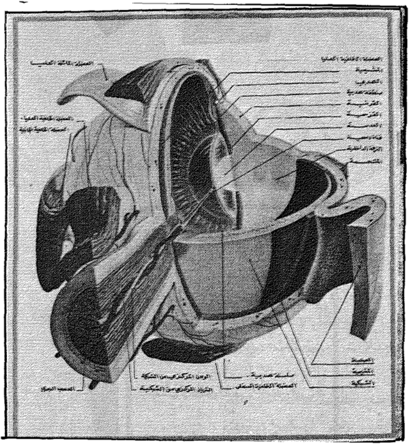


العين والاساس الوظيفى لها وأمراض العين المختلفة . .

● واذا نفذنا الى داخل مقلة العين لنسبر غورها - عبر القرنية الشفافة - نجد انها تتكون من الامام الى الخلف بالترتيب الاتى :

● القزحية Iris وهى عبارة

قرص مستدير ملون خلف القرنية ولون القزحية يختلف من شخص الى آخر وهو الذى يعطى للعين اللون المميز لها سواء كان لون القزحية الازرق او الاخضر او البنى الفاتح «العسلى» أو البنى الغامق أو اللون الاسود. وفى مركز القزحية توجد فتحة مستديرة والتى



تسمى حدقة العين أو انسان العين (الننى - بؤبؤ العين) Pupil . وهناك ايضا فراغ يفصل بين القرنية والقزحية يعرف بالخزانة (الغرفة) الامامية للعين وتحتوى على سائل مائى صافى Aqueous Humour . . كما تتصل القزحية بالجسم الهدبى المسئول عن افراز السائل الزجاجى والتحكم فى شكل العدسة ويتصل الجسم الهدبى من الخلف بالمشيمية.

● العدسة البللوريه Crystalline Lens : وهذه عبارة عن عدسة شفافة فى حجم الترمسة خلف القزحية. . ويوجد فراغ بين القزحية والعدسة يسمى بالخزانة (الغرفة) الخلفية التى تحتوى أيضاً على السائل المائى.

● الجسم الزجاجى Vitreous Body الجسم الزجاجى يملأ الفراغ الكبير الموجود خلف العدسة وطبيعة الجسم الزجاجى هلامية. . ووجود الجسم الزجاجى يحافظ على شكل العين والكروية وهيئتها المميزه ويحيط بالجسم الزجاجى الشبكية من الخلف والجوانب.

ثانيا: ملحقات العين: Ocular Appendages

وكما ذكرنا فإن ملحقات العين تشمل الجفون والملتحمة والجهاز الدمعى.

الجفون : Eyelids

جفن العين عبارة عن ثنية جلدية ولكل عين جفنان هما الجفن العلوى والجفن السفلى ويتحركان فوق مقلة العين ولا سيما الجفن العلوى والمسافة بينهما تعرف بالشق الجفنى (فتحة الجفن) Palpebral Fissure ومحل اتصال الجفن العلوى مع الجفن العلوى السفلى ناحية الانف يسمى القنطرة الداخلية Medial Canthus أما القنطرة الخارجية Lateral Canthus فهى مكان اتصال الجفنين من الناحية الخارجية (الطرفية) ويتصل الجفنان بمقلة العين بواسطة الملتحمة.

● كما يوجد على حافة الجفن الاهداب (رموش العين) Eyelashes وهى مرتبة فى اكثر من صف وفى حالة انغلاق الفتحة الجفنية تتقابل الاهداب معا مما يؤدى الى انغلاق محكم للجفنين فوق مقلة العين

وهذا من شأنه حماية العين من أى أذى او خطر يحيط بها . . كما ان ذلك يريحها من العمل اثناء فترة غلقها.

الملتحمة : Conjunctiva

الملتحمة عبارة عن غشاء مخاطى رقيق شفاف يبطن سطح الجفن الداخلى ثم يمتد الى الخلف ليكون ملتحمة الجزء الجفنى قبل الحاجز الحجاجى ثم يكون الجزء الجيبى (الموقى) ومنها يتجه الى اسفل ليغطى مقلة العين فى الجزء الامامى من الصلبة ثم ينتهى عند المعشق.

ومن ثم يمكن تقسيم اجزاء الملتحمة كما يلى :

أ - الجزء الجفنى : الذى ينقسم الى الجزء الطرفى والجزء الطرسى والجزء قبل الحاجز الحجاجى.

ب - الجزء الجيبى : الذى يغطى الموق العلوى.

ج - الجزء المقلى : وهذا ينقسم الى الجزء المقلى الأساسى والجزء المعشقى.

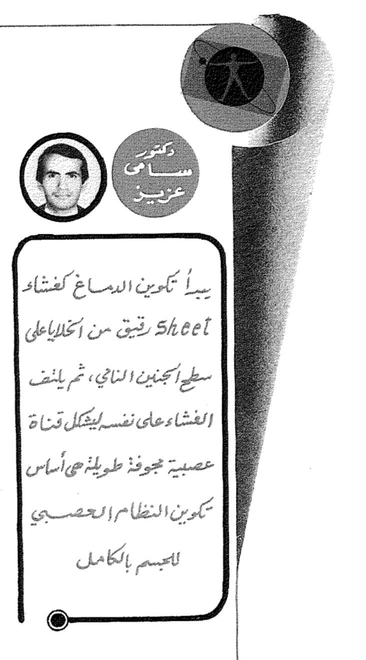
الجهاز الدمعى :

Lacrymal Apparatus

يتكون الجهاز الدمعى من قسمين اساسيين : القسم الاول مسئول عن افراز الدموع ويمثله الغدة الدمعية الاساسية والغدد الدمعية الثانوية . . والغدة الدمعية الاساسيةتتكون من جزئين . . الجزء الاول يعرف بالجزء الحجاجى ويوجد فى الجزء العلوى الداخلى لسقف الحجاج اما الجزء الثانى فيوجد فى الجفن العلوى ويطلق عليه الجزء الجفنى.

اما القسم الثانى للجهاز الدمعى والمسئول عن تصريف الدموع والذى يمثله القنيوات الدمعية والكيس الدمعى والوصلة (الماسورة) الانفية الدمعية ويمكن ان نوضح ذلك بشىء من التفصيل كالآتى :

● **القنيوات الدمعية : Lacrymal Caniliculi** . . يوجد فى كل جفن قنيوة دمعية واحدة تتكون من جزئين الجزء الرأسى وطوله ٢مم والجزء



الافقى وطوله ٧مم . . ويبدأ الجزء الـرأسـى من الـثـقب الـدمعى Lacrymal Punctum المـوجـود فوق الحلمـة الدمعية Lacrymal Papilla . . وعنـد اتحـاد القنيـوة العلوية مع القنيوة السفلى تتكون وصلة صغيرة تصب فى الكيس الدمعى.

● الـكـيس الدمعى : Lacrymal Sac . .

يوجد فى الحفرة الدمعية الواقعة فى العظمـة الدمعية ويتصل بالوصلة الانفية الدمعية.

● القنـاة (الماسورة) الانفية الـدمعيـة : Naso-Lacrymal Duct . . وهـذه تتصـل بنهـايـة الكيس الدمعى ثم تتجه الى أسفل لتفتـح فى الميـزاب السفلى الـذى يوجد فى الجدار الخارجى لتجويف الانف.



فى سنـة ١٨٧٥ نشـر عالم الـفـسيـولـوجيـا الانجليـزى «ريتشاردكاتون» بحثاً عن موجات الـدمـاغ وتـوصـل «كـاتون» لهذه التسجيـلات مستخـدما حيوانات المعمل (القطط والقرود والارانب) بعد وضع اقطاب خاصة على المخ مباشرة. . ونظراً لبساطة الاجهزة التى استخـدمها فإن التسجيلات التى توصـل اليها لم تكن واضحة بصورة يمكن تحليلها ودراستها.

والعجيب انـه فى نفس الوقت تمكن «بيـك» فى معمله ببـولنـدة وايضا «دانيا لفسكى» فى روسيا من تسجيل موجات مماثلة إلا ان هذه الابحـاث للاسـف لم تنشــر . .

★ Synapses . . نقاط الاتصال ـ الأشتباك ـ العصبي . . (١٠٠) ألف مليون نقطة اتصال عصبية على الأقل تتشابك وتترابط لتجمع الأحداث وتنتج الفكر ★

وبذلك يكون «لكاتون» السبق فى تسجيل موجات الدماغ.

وفى سنـة ١٩١٤ توصـل «سيبلسكى» إلى تسجيـل نوبـة صرعيـة من مخ كلب بعـد اثارة منطقة معينة من قشرة المخ . . كما توصل «كوفمان» إلى نتائج مماثلة فى نفس العام.

● اما تسجيل موجات الدماغ من ادميين فيرجع الفضل فيه إلى العالم النمسـاوى «هـانـز برجـر» استـاذ الطب النفسى الذى تمكن من نشر اكثـر من ٢٠ بحثـا فى الفـترة من ١٩٢٩ حتى ١٩٣٨ ومنـذ ذلـك التاريخ نشرت العديد من التجارب

والابحاث لعدد كبير من العلماء من مختلف بلاد العالم واهم هذه الدراسات ما نشره «ادريان» و«ماتيوز» عام ١٩٣٤.

● ورسام الدماغ الكهربائى ما هو الا تسجيل للنشاط الكهربائى لخلايا قشرة المخ وليس المخ باكمله، وهو فى الواقع تسجيل للجهد أو الطاقة الكهربائية التى تصدر من هذه الخلايا. وهنا يجب أن نأخذ فى الاعتبار ان التسجيل المباشر بوضع الاقطاب مباشرة على قشرة المخ سيعطى لنا كمية كبيرة من الجهد تفوق تلك التى نسجل بها دائما من فوق فروة الرأس.

ويمكن تقسيم ذبذبات رسم الدماغ الكهربائى بحسب عدد دوراتها فى الثانية الى:

● *اقل من ٤ دورات فى الثانية:* ***«الذبذبة دلتا»*** .

● *من ٤ إلى اقل من ٨ دورات فى الثانية:* ***«الذبذبة ثيتا»*** .

● *من ٨ الى ١٣ دورة فى الثانية:* ***«الذبذبة الفا»*** .

● *اكثر من ١٣ دورة فى الثانية:* ***«الذبذبة بيتا»*** .

والذبذبة *بالاضافة إلى عدد دوراتها فى الثانية لها أيضا بعض الصفات الأخرى التى تميزها فالذبذبة الفا مثلا يميزها الآتى:*

١ - عدد دوراتها من ٨-١٣ دورة فى الثانية.

٢ - تظهر بوضوح امام الاقطاب الخلفية للدماغ.

٣ - تظهر مع غلق العينين وتختفى مع فتح العينين.

٤ - تختفى مع زيادة الانتباه والتركيز.

٥ - يختلف شكل الذبذبة الفا من حيوان لآخر ولكنها قريبة الشبه فى الثدييات بعامة.

ويسجل الرسم بوضع عدة اقطاب على فروة الرأس فى الاماكن المختلفة على الفص الجبهى والجدارى والصدغى والمؤخرى. ويتوقف عدد الاقطاب المستخدمة وطريقة توصيلها على نوع الجهاز المستخدم، ولكن عموما هناك طريقتان اساسيتان فى التوصيل هما:

(١) الطريقة احادية التوصيل للقطب.

(٢) الطريقة ثنائية القطب.

وعند الرسم توزع الاقطاب توزيعا معينا حتى يمكن التقاط الجهد الكهربائى من كل جزء من قشرة المخ.

رسم الدماغ الكهربائى الطبيعى:

١ - الذبذبة الفا: تمثل الايقاع الاساسى لرسم الدماغ الطبيعى وتبدو اكثر انتشارا فى الجزء الخلفى من الدماغ وتقل كلما اتجهنا للامام

ولا تظهر ذبذبات الفا إلا فى حالات الاسترخاء والبعد عن المنبهات الخارجية والداخلية. لذلك تختفى فور فتح العينين وتعود ثانية بعد غلقها. ونستطيع أن نوقف ذبذبات الفا اذا بدأ الفرد وهو تحت التسجيل فى حل مسألة حسابية معقدة فهنا تزيد درجة الانتباه وتختفى بالتالى الذبذبة الفا.

يستعمل رسام الدماغ الكهربائى فى تشخيص الكثير من أمراض الجهاز العصبي وكذلك الأمراض العضوية

٢ - الذبذبة بيتا: تزيد فى الاقطاب الجبهية ويندر وجودها امام الاقطاب الخلفية (اى انها عكس الذبذبة الفا) وقد تظهر الذبذبة بيتا بصورة شاملة خصوصا فى حالات التوتر والقلق النفسى الشديد.

٣ - الذبذبة ثيتا: تظهر امام الاقطاب الجبهية والصدغية ويعتبر ظهورها طبيعيا قبل سن خمسة وعشرين عاما.. أما ظهورها بعد

هذه السن فيدل على اختلال في الشخصية ففي دراسة اجريت حديثا في احد السجون بالولايات المتحدة الامريكية وجد ان ثلثي القتلة والمجرمين تظهر - عند تسجيل رسم الدماغ الكهربائي لهم - ذبذبات ثيتا بوضوح؛ بينما تظهر في ١٥٪ فقط من المواطنين العاديين.

٤ - الذبذبة دلتا: تظهر في حالات النوم العميق.

وتجدر الاشارة هنا الى اختلاف رسم الدماغ الكهربائي باختلاف الافراد كما يختلف في نفس الفرد باختلاف السن والحالة الصحية والنفسية لذلك فالتغيرات البسيطة في الذبذبات لا تأخذ في الاعتبار إلا بعد ثباتها في الرسم لمدة طويلة.

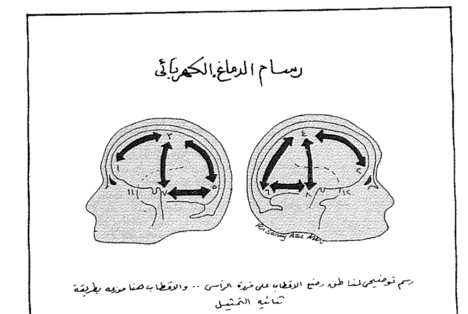
استخدامات رسام الدماغ الكهربائي:

يستعمل رسام الدماغ الكهربائي في تشخيص الكثير من امراض الجهاز العصبي وكذلك الامراض العضوية واهم هذه الاستخدامات:

١ - الصرع: الصرع هو اضطراب دوري في الايقاع الاساسي للمخ نتيجة نشاط غير طبيعي لبعض خلاياه، ويحدد نوع الصرع عدد الخلايا النشطة ومكانها في المخ. واهم انواع الصرع:

اولا: النوبة الصرعية الكبرى: سميت هكذا نظرا لحدوث تشنج وانقباض عضلي عام اثناء النوبة مع فقدان الوعي. واسبابها كثيرة ومختلفة ويمكن ان تحدث في اي سن وغالبا ما تبدأ ببعض البوادر التي تشير وتنبه المريض إلى قرب حدوث النوبة. وهذه البوادر قد تكون شعور المريض بالقلق أو

حالة من التشنج والتيبس نتيجة الانقباض العضلي الشامل وتتوقف حركات التنفس ويظهر على الوجه زرقة شديدة ثم يبدأ في التنفس العميق مع خروج (رغاوي) من الفم والانف.. ومن المحتمل هنا أن يقطع لسانه أو يصاب بكسر في أحد عظامه أو يتعرض لتهتك بالعضلات أو خلع في المفاصل



رسم توضيحي لنا طرق وضع الاقطاب على فروة الرأس.. والاقطاب هنا موزعة بطريقة ثنائية التمثيل

الاكتئاب أو الشعور بالخوف أو ألم في اعلى البطن وربما بعض الهلاوس البصرية أو السمعية وربما يشعر المريض بتنميل واخدرار في احد الاطراف أو فقدان القدرة على النطق وتقلص في احد الاطراف أو حتى الاطراف الاربعة.. ثم يعقب ذلك صرخة عالية مع فقدان للوعي وسقوط على الارض ويكون الجسم في

وغالبا ما يفقد سيطرته على نفسه فيتبول أو يتبرز ويستمر المريض في الغيبوبة لمدة يختلف طولها وربما تعتري المريض نوبات متكررة دون أن يعود إلى وعيه (الحالة الصرعية المستمرة) وهذه الحالات تحتاج إلى عناية خاصة وسريعة.

وعندما يفيق المريض يشكو من الانهاك والصداع مع الشعور بالرغبة في النوم وفقدان للذاكرة

تماما لما حدث، ويبقى المريض خاليا من اى اعراض الى ان تحدث **نوبة جديدة ويختلف تردد النوبة من** شخص لآخر فأحياناً تحدث عدة **مرات فى اليوم الواحد واحيانا** يصاب بالنوبة على فترات **متباعدة. . وعموما ينصح المريض** بالبعد عن قيادة السيارات وعدم **السباحة بمفرده والبعد عن** الالعاب الخطرة كالملاكمة أو **المصارعة.**

ويتميز رسم الدماغ الكهربائى **فى اكثر من ٩٠٪ من هذه الحالات** باضطراب شامل؛ حيث تظهر **الموجات ثيتا ودلتا فى الاقطاب** الامامية وتقل ذبذبة الموجة الفا. **وفى حوالى ٥٠٪ من الحالات تظهر** ـ اثناء النوبة ـ الموجات المميزة **للصرع فى الاقطاب الجبهية** والصدغية وهذه الموجات المميزة اما **موجات شوكية أو موجات كالابرة** سريعة وعالية حوالى ١٦ دورة فى **الثانية.**

ثانيا: النوبة الصرعية الصغرى:

تتميز النوبة الصرعية الصغرى (الخفيفة) بفقدان **مفاجىء للوعى لمدة لا تزيد عن ٣٠ ثانية** (غالبا ما تكون من ٥ـ١٠ **ثوان) والنوبة الصرعية الصغرى** اكثر حدوثا فى الاطفال فى سن **٣ـ١٠ سنوات ويقل حدوث مثل** هذه النوبات بعد سن البلوغ ونادرا ما تستمر بعد سن الثلاثين. ومن الناحية الاكلينكية نجد الطفل **المريض يتوقف بطريقة مفاجئة عن** الحركة والنشاط. . وقد يظهر بعض **الشحوب فى لون الوجه مع حركات** سريعه فى العينين (يغمض عينيه **ويفتحها بطريقة غير ارادية بسرعة** تصل الى ٣ مرات فى الثانية **الواحدة) وربما تظهر بعض** الحركات فى اليدين وحول الفم **ويعود المريض بعدها لوعيه ثانيا.** ولا يحدث اثناء هذا النوع من **الصرع اى انقباضات أو تيبسات** وتختلف نسبة تردد هذه النوبات **الصرعية الخفيفة من مريض لآخر** ففى بعض المرضى تحدث مرة واحدة كل عدة ايام؛ **وفى البعض** الاخر تحدث بمعدل ١٠٠ نوبة **وربما اكثر فى اليوم الواحد مما يؤثر** على متابعة الطفل المريض للدرس **والتحصيل ويتهم هؤلاء الاطفال** بانهم كسالى غير منتبهين ويفشلون **فى دراستهم ويتكرر رسوبهم مما يؤثر** عليهم نفسيا. لذلك يجب الاهتمام **باجراء كشف دورى على اطفال** المدارس حتى يمكن تشخيص المصابين منهم بهذا المرض.

اما رسم الدماغ الكهربائى فى هذه الحالات فيتميز بظهور ذبذبات فى هيئة شوكة مع موجات عالية الفولت امام الاقطاب الجبهية والجدارية ثم تختفى فجأة وتكون

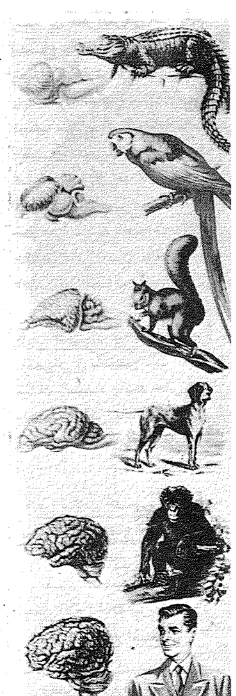
رسام الدماغ الكهربائى

النوبة الصرعية الكبرى ـ المريض تحت العلاج لمدة ٣ سنوات ولكن بعض الذبذبات المميزة للمرض تعود للظهور بين وقت لاخر

متناقصة فى الناحيتين اليسرى واليمنى.

ثالثا: <u>النوبة الصرعية النفسية الحركية</u>:

ينتج هذا النوع من الصرع نتيجة نشاط غير عادى فى الفص الصدغى وخاصة الجهاز النطاقى LIMBIC SYSTEM (حصان البحر، اللوزة، الحاجز).. والنوبة الصرعية النفسية الحركية ليس لها سن معين وفى اكثر من نصف المرضى يمكن التوصل إلى سبب النوبة الذى غالبا ما يكون نتيجة اصابة قديمة فى الرأس.. التهاب أو ورم بالمخ. ومن الناحية الاكلينكية تبدأ النوبة ببعض البوادر كالشعور بالقلق أو اضطراب فى الجهاز الهضمى مع تغير فى درجة الوعى وقد يصاب المريض بحالة من الشرود يجول اثناءها فى الشوارع وقد يقوم بالصراخ أو البكاء أو بعض الحركات كالمضغ والبلع، وربما بعض الهلاوس البصرية والسمعية ويفقد المريض الذاكرة تماما لما حدث.. وهنا يجب أن نفرق هذه الحالات الصرعية من الامراض النفسية والعقلية وكثيرا ما يكون رسم الدماغ الكهربائى هو الوسيلة الوحيدة لتشخيص مثل هذه الحالات وتمييزها من الامراض الهستيرية والعقلية. ويتميز رسم الدماغ الكهربائى - اثناء النوبة - بظهور موجات بطيئة من النوع دلتا ذات حافة مسننة منشارية فى الاقطاب الصدغية ولكن يلاحظ انه فى بعض الاحيان يبدو رسم الدماغ الكهربائى قريبا جدا من التسجيل الطبيعى.



★ تطور أمخاخ الحيوانات يتبعه تطور فى حجم المخ ووزنه، لكن الأجزاء الرئيسية فى أمخاخ الإنسان والحيوانات متشابهة، مع اختلاف فى النسبة ليصبح مخ الإنسان أكبرها وأعقدها، ليتبع منه العقل

٢ - <u>التخلف العقلى فى الاطفال</u>: هذه الحالات لا يمكن البدء فى علاجها بدون عمل رسم الدماغ الكهربائى فقد يكون سبب التخلف نوعا من انواع الصرع بصورة غير ظاهرة اكلينكيا وتتضح الامور عند رسم الدماغ.. والابحاث تشير الى ان هذه الحالات تتحسن عند علاجها بالعقاقير المضادة للصرع وتزيد قدرة الطفل على التعلم والتركيز ويبدأ سلوكه فى التحسن.

٣ - <u>بعض الاطفال حديثى الولادة</u>: مثل الاطفال المولودين لأمهات مصابات بمرض البول السكرى مثل هؤلاء الاطفال عرضة للتشنجات وبعض الاضطرابات العصبية العضلية اكثر من غيرهم. وقد يكون السبب هنا نقص مستوى السكر فى الدم أو نقص نسبة الكالسيوم أو الماغنسيوم فى الدم وغيرها من الاسباب. وقد تحتاج هذه الحالات رسم الدماغ الكهربائى خاصة اذا ما تكررت نوبات التشنج.

٤ ـ اضطرابات الدورة الدموية الدماغية مثل:

أ ـ تصلب شرايين المخ والاحتشاء المخى

ب ـ عدم كفاية الدورة الدموية الدماغية.

ج ـ التمدد الحوصلى لشرايين المخ.

٥ ـ بعض الاضطرابات العضوية والايضية مثل:

أ ـ الفشل الكبدى والفشل الكلوى.

ب ـ نقص السكر فى الدم.

ج ـ اضطرابات الغدة فوق الكلوية.

د ـ نقص افراز الغدة الجار درقية.

٦ ـ التهاب المخ والتهاب سحايا المخ: يساعد رسام الدماغ الكهربائى المتكرر فى تتبع هذه الحالات والحكم بفعالية العلاج.

٧ ـ ارتجاج المخ: يفيد رسم الدماغ فى معرفة سبب الاعراض التى كثيرا ما تظهر بعد ارتجاج المخ مثل: الصداع والدوخة أو اضطراب الذاكرة وسرعة التهيج العصبى؛ فرسم الدماغ الكهربائى يكشف سببها ويبين هل هى نتيجة سبب عضوى أم نفسى.

٨ ـ الصداع المزمن: يستحسن فى حالات الصداع المزمن وقبل البدء فى اعطاء اى عقار للمريض عمل رسم للدماغ وذلك لاستبعاد حالات الصداع الناتجة عن اورام المخ وخلافه وقد تكون الشكوى فى الاطفال من نوبات متكررة من الصداع؛ ويحتار الطبيب فى تشخيصها وعند عمل رسم الدماغ الكهربائى قد تظهر الموجات المميزة للنوبة الصرعية الصغرى مصاحبة لنوبة الصداع.. وهنا تنكشف الامور ويمكن وصف العقار المناسب لهذا الطفل.

٩ ـ الغيبوبة: يساعد رسم الدماغ الكهربائى فى تشخيص سبب الغيبوبة وذلك باستبعاد وتأكيد بعض انواع الغيبوبة، ولكن غالبا ما نحتاج إلى عدد كبير من الفحوص والتحاليل.

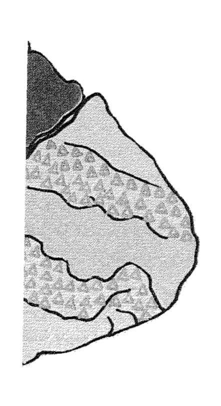
١٠ ـ الحالات المصحوبة بارتفاع ضغط الدماغ الداخلى مثل:

أ ـ اورام المخ المختلفة.

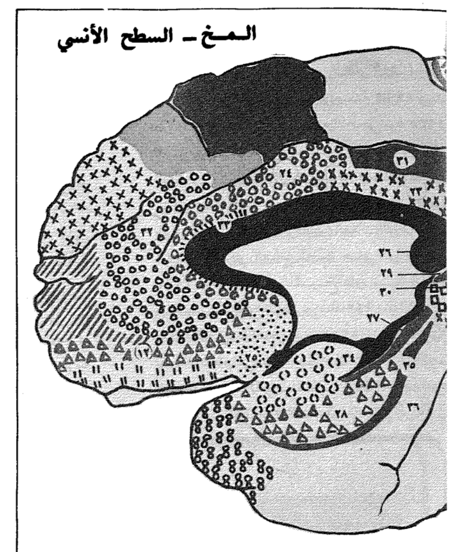
ب ـ التجمع الدموى اسفل الام الجافة ونزيف المخ.

ج ـ خراج المخ.

وتجدر الاشارة هنا الى ان رسام الدماغ الكهربائى لم يعد يستخدم فى هذه الحالات نظراً لتوافر اجهزة التصوير المحورية بالكومبيوتر التى مكنت من تحديد مكان المرض بدقة فائقة.



١١ ـ تشخيص الوفاة: أصدق مقياس لتحديد لحظة الوفاة هو رسام الدماغ الكهربائى فظهوره بشكل سطحى لمدة اكثر من ثلاث دقائق بدون اى موجات يؤكد الوفاة اذن ليس المعيار هو توقف انقباض القلب وانعدام النبض كما هو



الأرقام تشير إلى مناطق المخ المختلفة. فلكل منطقة وظيفتها وأهم هذه المناطق:

المنطقة ٤: منطقة الحركة.

المنطقة ٦، ٨: ما قبل منطقة الحركة.

المنطقة ١، ٢، ٣: منطقة الإحساس.

المنطقة ١٧، ١٨، ١٩: منطقة الإبصار.

منتشر بين عامة الناس وتفيد هذه الحقيقة العلمية فى نقل الاعضاء؛ فبمجرد تحديد لحظة الوفاة بجهاز رسام الدماغ الكهربائى يمكن بالتالى البدء فى نقل الاعضاء لذلك فجهاز رسم الدماغ الكهربائى من الاجهزة الهامة فى قاعات العمليات الحديثة.

الجديد فى رسم الدماغ الكهربائى:

١ - وجد حديثا أن الموجات دلتا وثيتا تكثر فى الاطفال المصابين بالتبول الليلى اللا ارادى وكذلك المصابين بالصداع النصفى.

٢ - اكتشفت بعض الاضطرابات المميزة فى رسم الدماغ فى حالات الوسواس القهرى.

٣ - بعض الدراسات تشير الى ان مرض الفصام مرتبط بالفص الايسر للمخ وان الاكتئاب مرتبط بالفص الايمن.

٤ - امكن تقسيم المراحل التى يمر بها الانسان اثناء النوم من خلال التغيرات الحادثة فى موجات الدماغ إلى خمسة اقسام هى:

- مرحلة النعاس
- مرحلة البدء فى النوم
- مرحلة النوم الخفيف
- مرحلة النوم العميق
- مرحلة النوم الشديد العميق

٥ - قد يستخدم رسم الدماغ الكهربائى - مع وسائل اخرى كثيرة - فى كشف الكذب أو حمل المتهم على الاعتراف.. فيلاحظ الطبيب برسم الدماغ التغيرات التى تحدث فى الموجات المختلفة عندما توجه اليه الاسئله اثناء التحقيق وغالبا ما تستخدم هذه الطريقة مع الاسرى - اثناء الحروب - لحملهم على الاعتراف ببعض الاشياء الهامة وللتأكد من مدى صحة اجابتهم وكشف كذبهم.

تتميز اللغة العربية منذ القديم بصدور عدد من المعاجم والموسوعات فى مختلف فروع العلوم وشتى انواع المعرفة . . وتعتبر أحدث الموسوعات العربية موسوعة العلامة المرحوم المختار السوسى (المعسول) التى تقع فى عشرين مجلدا مع مضافاتها فى حين صدر للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الجزء الثانى من (الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية) التى تبنت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية رعاية هذا المشروع الهام .

واذا كان عدد من الباحثين واخواننا فى الشرق العربى بالخصوص لا يعتبرونها موسوعة عربية بالرغم من موضوعها الغنى ونفسها الطويل العريض الذى انجزه فرد واحد بامكانياته وجهوده الخاصة ودأبه واجتهاده وعلو همته فاننا ونحن نتناول (الموسوعة العربية الميسرة) فى طبعتها الجديدة الصادرة عن (دار الشعب) بمصر التى انجزت باشراف المرحوم الاستاذ محمد شفيق غربال فان الذى نجده بها ويهمنا فى هذه الموسوعة فقط هو بضعة سطور خصصت (لصحافة المغرب) فى مادة (الصحافة) فى الصفحة ١١٧ـ١ بالذات وقد اشرف على هذا القسم واعده الدكتور فؤاد صروف .

واذا رجعنا الى هذا النص كما هو وارد فى (الموسوعة العربية الميسرة) فهو كما يلى :

« . . وفى المغرب صدرت أول جريدة باسم (المغرب) سنة ١٨٨٩ لصاحبها عيسى فرج وسليم كسبانى ثم ظهرت (السعادة) الرسمية سنة ١٩٠٥ وبعد عامين اصدر فرج الله نمور بطنجة جريدة (لسان المغرب) وأصدر المستشرق هيمينيس جريدة (استقلال المغرب) ونعمت الله الدحداح (الفجر) وكان ذلك فى سنة ١٩٠٨ وأصدر وديع كرم (الصباح) والشريف الادريسى القطانى جريدة (الطاعون) وأول جريدة عربية صدرت بالدار البيضاء هى (الاخبار المغربية) للسيد بدراوى سنة ١٩١٢ وبعد فترة ركود صدرت (المغرب) لسعيد حجى سنة ١٩٣٥ وجريدة (الاطلس) لمحمد اليزيدى فى نفس الوقت . . وفى سنة ١٩٣٧ صدرت (التقدم) لحسين النجار وبعد ذلك صدرت (الانيس) لمحمد الجحرة سنة ١٩٤٥ وجريدة (العلم) لعلال الفاسى سنة ١٩٤٦ و(الرأى العام) لمحمد حسن الوزانى سنة ١٩٤٧ و(السلام) للشيخ داود سنة ١٩٤٨ و(الشعب) للمكى الناصرى سنة ١٩٤٩ و(الشباب) لعبد الكريم الفلوس سنة ١٩٥٦ و(منار المغرب) لعبد السلام بن عبد الجليل سنة ١٩٥٦ و(المغرب العربى) لعبد الكريم الخطيب ١٩٥٦ و(النبراس) لمحمد أحمد بلقات ١٩٥٧ (١).



واذا كان ما ورد فى هذا الباب فيه عدد من الاخطاء نظرا لان المشرف - اكتفى بكل تأكيد - بما جاء فى كتاب «الصحافة العربية»(٢) لمؤلفه الاستاذ أديب مروة فاننى أجد نفسى مضطرا الى اثبات ما يلى :

أولا : اشارة الى أنه سبق لى أن قمت بتقديم هذا الكتاب والتعليق على ما وقع فيه من أخطاء نشرته فى ابانه بجريدة (العلم) الاسبوعية البيضاوية(٣) وقد كنت أظن أن ما قمت به كاف لتصويب تلك الاخطاء خصوصا واننى بعثت للمؤلف بنسخة من الصحيفة .

ولذلك فعندما أعود الى موضوع تصويب نفس الاخطاء تقريبا والتى وقعت فى هذه الموسوعة فإننى أتمنى ان يهتم القائمون بها وذلك لتصحيح ما ورد فيها حتى تكون الفائدة مطابقة للمقصود وتجعلنا نتحاشى الارتجال فى بعض مؤلفاتنا العربية ذلك الارتجال الذى يسيىء غالبا

زين العابدين الكتاني — الحمد لله

20 رمضان 1405

سيادة الاخ الاستاذ العبقرى السيد عبد بن عبد القدوس الانصـــارى

صاحب مجلة (المنهل) ورئيس تحريرهـــا .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــه .

وبعد ، يطيب لي ان اكتب الى اخوكم لانوه بالخطوات المباركة التى سلكتموها بمجلة (المنهل) والافاق الجديدة الـــتي فتحتموها لها خارج الحدود بالخصوص ما حققتم به آمال والدكـــم الرائد المنعم الذى سبق لي التعرف عليه .

وقد تحدث لي عن علاقته ببعض الادباء المغاربة وانـــه شارك معهم فى احدى الصحف بالمشاركة بالكتابة ولم يتذكر الاســـم قدس الله روحـــــه .

وفى اطار اختصاصي الاعلامي ، بقيت احتفظ بتلك المذاكرة وما ورد فيها من اشارات حيث عثرت اخيرا على هذه الوثيقة الـــتي اقدمها اليكم هدية اخوية متواضعة مشيرا اليكم باتني على استعداد للكتابة اليكم باستمرار حسب منهج المجلة .

معلومـــــــات :

- عضو الديوان الملكـــي
- عضو اتحاد كتاب المغرب
- عضو المجلس الاعلى لرابطة علماء المغرب
- باحـــث
- متخصص فى الدراسات المغربية
- طبع له كتاب "الصحافة المغربية نشأتها وتطورها "
- من كتاب مجلة (دعوة الحق)

وتفضلوا بقبول فائق التقدير ، والســـــلام .

فى نظر الغير الى الكتاب العربى ككل فى عالم أصبح فيه التخصص العلمى والتدقيق والامانة والحرص عليها هما المظهر الاساسى للثقافة والمعرفة وهما ايضا الاعلان الحقيقى للاقبال على الاستفادة منها فى عالم تحطمت فيه الحدود والحواجز وأصبح كل ما تتوفر عليه أمم هذا العالم متيسراً ومبسطاً لتطبعه الاصالة التى ظلت تميزه والطابع العلمى الحقيقى وخدمة الانسانية فى أدق صورها .

ثانيا : وبما أن الموضوع على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لهذه الموسوعة فاننى أقوم بتصويب ما وقعت فيه أسرة (الموسوعة) المشار اليها من اخطاء بخصوص مادة (الصحافة المغربية) حتى تتدارك فى طبعة جديدة خصوصا بالنسبة للموسوعة كما اتمنى وكما أسلفت الاشارة .

تصويب علمي فقط

وسيتناول هذا العرض الاخطاء الواردة بالتتابع حسب ما نتوفر عليه من وثائق كما يدعونى الى ذلك تخصصى اولا والموضوعية ثانيا .

وسيرتكز هذا التصويب على اثبات نفس القائمة والتعريف بها وهى كالآتى : جريدة (المغرب) هى اول جريدة صدرت باللغة العربية بالمغرب بمدينة طنجة اصدرها الصحافيان العربيان عيسى فرج وسليم كسبانى .

صدر أول عدد منها يوم الاربعاء ١٤ رمضان ١٣٠٦هـ الموافق ١٥ مايو ١٨٨٩م وليس لدينا إلى الان الا عدد واحد من هذه الصحيفة .

■ جريدة **(السعادة)** صدرت باللغة العربية بطنجة وصدر أول عدد منها يوم الاثنين ٢ شعبان ١٣٢٢هـ الموافق ٧ نوفمبر ١٩٠٤م وليس لدينا إلى الان إلّا العدد الاول من هذه الصحيفة التى اسسها مولاى ادريس بن محمد الخبزاوى ومحررها(٤) بمعاونة لبنانى هو السيد وديع

كرم ولقد استمرت فى الصدور بمدينة طنجة الى سنة ١٩١٣م بظهور العدد ٦٣٦ ومن هذا التاريخ أى فى سنة ١٩١٣م الى يوم الخميس ٤ جمادى الاولى ١٣٧٦هـ الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٥٦ بصدور العدد ٨٦٤ـ٩ توقفت عن الصدور بمدينة الرباط بصفة نهائية .

■ جريدة (**لسان المغرب**) صدرت بمدينة طنجة وظهر أول عدد منها يوم الجمعة ٢٤ ذى الحجة ١٣٢٤هـ الموافق ٨ فبراير ١٩٠٧ بادارة فرج الله نمور ومساعدة شقيقه أرتو نمور وهما معا من لبنان .

■ جريدة (**استقلال المغرب**) فلم تصدر باللغة العربية على ما نتوفر عليه من وثائق بل كانت تصدر باللغة الاسبانية من طرف الدكتور هيمينيس البلجيكى المقيم بطنجة وصدر اول عدد منها فى ابريل ١٩٠٧م/ ١٣٢٥هـ ولا نتوفر إلى الان على أى عدد منها .

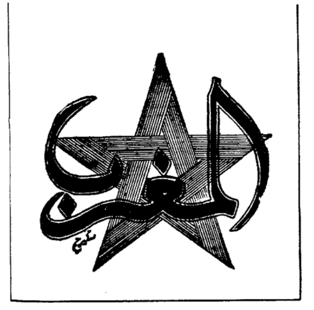
■ جريدة (**الفجر**) صدرت باسم الحكومة المغربية بطنجة وظهر أول عدد منها فى جمادى الثانية ١٣٢٦هـ الموافق ١٥ يوليو ١٩٠٨م لصاحبها وافى ومحررها نعمة الله الدحداح(٥).

■ جريدة (**الصباح**) صدرت كذلك بطنجة وظهر عددها الاول يوم الخميس ٢٧ جمادى الاولى ١٣٢٤هـ الموافق ١٦ يوليو ١٩٠٦م بادارة المسمى ابن حيون أما وديع كرم فقد كان محررها .

● نشرة (**الطاعون**) كانت اول جريدة اصدرها مغربى بفاس هو الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتانى وليس القطانى وهو خطأ وقع فيه العلامة طرازى اثناء ترجمة معلوماته عن هذه النشرة نقلا عن مصدر فرنسى . . ظهر اول عدد منها بفاس سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م وهى اول نشرة فى مجموعة منشورات فاس التى نتوفر على بعض اعدادها(٦).

■ جريدة (**الاخبار المغربية**) صدرت بمدينة الدار البيضاء بادارة السيد كاريط بوفى الاشتراكى الفرنسى واشرف على تحريرها السيد بدر الدين البدراوى . . صدر اول عدد منها فى يوم ١٦ رجب ١٣٣٩هـ الموافق ٢٦ مارس ١٩٢١م(٧).





■ جريدة (**المغرب**) ظهرت ضمن مجموعة الحركة الوطنية بمدينة سلا للمرحوم السعيد حجى(٨) صدر العدد الاول منها فى يوم الجمعة ٤ صفر عام ١٣٥٦هـ الموافق ١٦ ابريل ١٩٣٧م .

وأصدر السيد محمد اليزيدى بالرباط ضمن مجموعة صحافة الحركة الوطنية جريدة (الاطلس) وظهر اول عدد منها فى يوم الجمعة فاتح ذى الحجة ١٣٥٥هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٣٧م .

● ●وصـدرت (لخدمـة الثقافة والادب)(٩) بمدينة سلا جريدة (**التقدم**) وظهر اول عدد منها يوم الجمعة ٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٧هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٩٣٨م بادارة صاحبها ومحررها السيد احمد ابن احساين النجار.

● ●اما مجلة الثقافية الفنية فقد اسسها المرحوم السيد محمد المراكشي بتطوان وصدر اول عدد منها في شهر ربيع الثاني ١٣٦٥هـ الموافق مارس ١٩٤٦م في حجم متوسط وكانت اعداد سنتها الاولى تسعة آخرها صدر في محرم ١٣٦٦هـ/ ديسمبر ١٩٤٦م.

● ●اما سنتها الثانية فتبتدىء بالعدد العاشر الصادر في ١٣٦٦هـ/ مايو ١٩٤٦م في الحجم الكبير بادارة المرحوم السيد محمد المراكشي واشراف السيد محمد الحجرة حيث صدر منها اربعة اعداد وتوقفت عن الصدور.

● ●وبعد ذلك تنازل مديرها بسبب مرضه عن المسؤولية للسيد محمد الحجرة حيث صدر اول عدد من سنتها الثالثة (١٤ جمادى الاولى ١٣٦٧هـ/ مارس ١٩٤٨م بقيت تصدر الى ان توقفت نهائيا سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

● ●في حين صدرت جريدة (العلم) بالرباط بادارة السيد عبد الجليل القباج باسم (حزب الاستقلال) وظهر اول عدد منها في يوم الاربعاء ١٥ شوال ١٣٦٥هـ/ الموافق ١١ سبتمبر١٩٤٦م.

● ● بينما صدرت جريدة (الرأى العام) بمدينة الدار البيضاء باسم (حزب الشورى والاستقلال) بادارة الاستاذ احمد ابن سودة وظهر اول عدد منها في يوم الاربعاء ٢٤ جمادى الاولى ١٣٦٦هـ/ الموافق ٦ ابريل ١٩٤٧م.

● ●كما اصدر بتطوان الفقيه السيد محمد داود اول مجلة مغربية باسم مجلة (السلام) وظهر اول عدد منها في شهر جمادى الثانية ١٣٥٢هـ الموافق لشهر اكتوبر ١٩٣٣م.

وأصدر جريدة (**الشعب**) الشيخ محمد المكى الناصرى باسم (حزب الوحدة والاستقلال) وظهر اول عدد منها بطنجة في يوم السبت ١٦شوال ١٣٧١هـ الموافق ٦ يوليو ١٩٥٢م.

كما أصدرت (**الشبيبة الاستقلالية**) الموازية لحزب الاستقلال بالرباط جريدة (الشباب) بادارة السيد عبد الحكيم جديرة وصدر العدد الاول منها في شهر جمادى الثانية ١٣٧٧هـ الموافق يوليو ١٩٥٦م.

■ اما جريدة(**منار المغرب**) فقد صدر عددها الاول في يوم الاحد ١١ذي الحجة ١٣٧٨هـ الموافق ٢٢ يوليو ١٩٥٦م بادارة السيد عبد الكريم حجي ولازالت تصدر حتى الان من اجل محاربة الامية.

■ وصدرت جريدة(**المغرب العربي**) باسم الحركة الشعبية بادارة السيد محمد بن عبد الله الوكوتي وصدر اول عدد منها في يوم ٢٥ القعدة عام ١٣٧٨هـ الموافق ٣ يونيه ١٩٥٩م.

■ امـا (النبراس)(١٠) فهي مجلة شهرية صدرت بتطوان بادارة السيد احمد بلقات صدرت عام ١٣٧٧هـ الموافق لسنة ١٩٥٧م.

وبعد *فانني كما اسلفت ارجو ان تكون هذه الاشارة التي هي في الحقيقة من اجل التصويب العلمي لا غيره بعيدة عن العقد النفسية وعن الكبرياء والانانية التي لا صلة لها بالعلم بل تكون من أجل الغاية المرجوة والمقصد العلمي الصرف.*

وتلك هي الرغبة التي دفعتني الى ذلك بغية التصويب في نطاق الاختصاص. . والله الموفق.

(١) انظر الطبعة الثانية والصورة طبق الاصل من طبعة ١٩٥٦ مطبعة الشعب ومؤسسة فراكلين للطباعة والنشر سنة ١٩٥٩.

(٢) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٦١.

(٣) العدد الصادر يوم ١٢ مارس ١٩٦٢- ص:٢ عدد:٧٧

(٤) انظر جريدة (السعادة) عدد ٩٥-ص:١، ٢ غشت ١٩٠٦.

(٥) العدد الاول صدر بالمكررة فقط، ولا تتوفر الا على عدد واحد يوجد بالمكتبة الوطنية ببيروت بلبنان. واتوفر على صورته.

(٦) وهذا ما يؤكده الاستاذ علال الفاسي في دراسته عن الصحافة المغربية (انظر جريدة (العلم) ص:١٠-١١ سبتمبر١٩٧١ تحت عنوان: (نشرات فاس).

(٧) لم يتم العثور على عددها الاول بالمغرب الا في ٢٢ مارس ١٩٧٩ ولعلها اول جريدة صدرت بالعربية بعد ١٩١٢.

(٨) لابد من التنصيص على مجموعة الحركة الوطنية في هذا المجال عند دراسة الصحافة المغربية فيما بين ١٩٣٠ و١٩٥٦.

(٩) شعار الصحيفة كما هو مثبت على صفحاتها.

(١٠) لا تتوفر إلى الآن إلا على العدد الثالث الصادر في نوفمبر ١٩٥٧م.



تحقيقات عرضية

● *مشايخ كعب ـ تاريخ إمارة كعب العربية فى القبان والدورق ـ الفلاحية، تحقيق وتعليق على نعمة الحلو، النجف مطبعة الغرى الحديثة ١٩٦٨ ـ ١١٦ص*

١ ـ الأصل ١٤، صفحة مجهولة المؤلف كتب باللغة الدارجة ـ يا حبذا لو نشر المحقق صورة لأحدى صفحاتها.

٢ ـ ص١٠ من مقدمة المؤلف «ونساه العرب» نسيه.

٣ ـ ص١١٣ «بلدان الخلافة الشرقية ترجمة كوركيس عواد» . . ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد.

٤ ـ ص١١٤ «عنوان المجد ـ فصيح الحيدرى البغدادى» عنوان الكتاب كاملا هو: كتاب عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، واسم المؤلف الكامل: ابراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدرى البغدادى.

● *نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث ـ الدكتور نهاد الموسوى ـ بيروت ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ـ١١٩ص.*

١ ـ كتاب جيد نافع يدل على علم وإخلاص وتؤدة فى بيان ما للنحو العربى من سبق على النظريات الغربية الحديثة ـ على وجه التمثيل اكثر مما هو على وجه التفصيل والاستقصاء ولا بأس فهو منهج ودلالة.

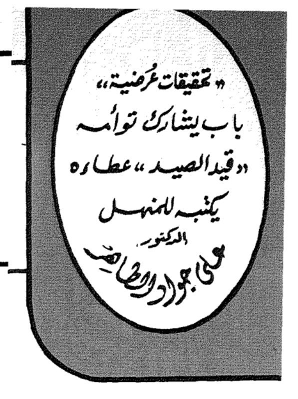
٢ ـ وربما حسن التعديل فى عنوان الكتاب لأنه لم يعالج نظرية النحو العربى وانما وقف عند موضوعات من النظرية.

٣ ـ قال ص٢٥ : «امتدادات مدرسة بلومفيلد وهو الخانّية (بتشديد النون) نسبة الى الخانة (Tagmemics) وقال ص٤٢ـ٣ «الخانّية Tagmemics . . ويقوم هذا المنهج على ضبط العلاقة بين الوظيفة النحوية وهى تمثل فى العادة خانة او موقعاً يكون ثابتا ويكون متغيراً أو بين مفردات الباب التى يمكن أن تحتل تلك الخانة أو أن تقع ذلك الموقع وينبنى هذا المنهج على اعتبار الأمرين مجتمعين.

■ اما الوظيفة النحوية فهى خانة أو موضع مخصوص فى التركيب يتعين به دور كل مفردة بازاء المفردات الأخرى فى ذلك التركيب.

أ ـ الخانة ليست كلمة عربية فهى فارسية العصر شاعت فى السنوات (او القرون) الأخيرة وكأن الحاجة اليها ماسة لانعدام ما يسد مسدها فى الاستعمال العربى . .

ب ـ استعملها المؤلف وكأنه كلمة عربية ـ أو معترف بتعريبها.



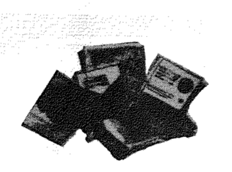
جـ - ترى هل يمكن أن نوجد كلمة عربية فصيحة تؤدى مؤداهــا لدى الـتـقسيم والتصنيف . . ؟ الى أقسام محجوزة عن بعضها والى فصائل وطوائف . . ؟ .

٤ - أحسن المؤلف إذ أحال اكثر من مرة على كتاب محمـود السعـران . . علم اللغـة مقـدمـة للقـارىء العربى، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٢ ففى ذلك ما يدل الـقــارىء على سبق الـسعــران الى العلم بالنظريات الحديثة فى المجال اللغوى .

■ وأذكر أن السعران نشر بحثه هذا قبل أن يصدر فى كتاب، نشره فى مجلة - لعلها ليبية .

٥ - ص٢٤ «وقد تبلّرت (بتشديد اللام) فى أوربا . . اما . . فى أمريكا فقد تبلرت . . . » .





■ ووردت كلمـة بَلّور (بـوزن تنـور) وبِلَّوْر (بوزن سنّوْر) فى المعجمات العربية والبلور: جوهر (ينظر القاموس المحيط) .

■ ولم يرد - فى علمى - اشتقاق من الكلمة .

■ واحسب أن الاشتقاق متأخر جرى فى عصرنا لدى اخذنا العلم الحديث (من الغرب) فوجدنا Cristal ولدينا مقابلها: بلور .

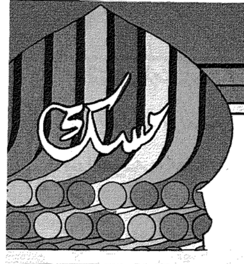
■ ووجــدنــاهم يشتقـون من الـ Cristal الفعـل Cristalliser والمصدر Crist allisation فاستعملنا لها فى العـربيـة ما يناسبها اشتقاقا من كلمة «بلور» فكانت بَلْوَر «فعلل» وتَبَلْور (تفعلل) .

■ ولدى الفرنسيين الفعل Se Cristalliser فقلنا: تبـلوَر (تـفعلل) ينظـــر معجم Belot Classizue

■ ولدى الفرنسيين الفعل Se Cristalliser فقلنا: تبـلور (تـفعلل) ينظـــر معجم Belot Classizue وسارت الكلمات على هذا الاشتقاق .

■ ولكننـا نلاحـظ هنـا أن الـدكتـور نهاد الموسوى يستعمل تبلّر وهو استعمال يبدو مخالفا لما ألفناه .

■ ولكنه لم يكن من غير سابق ففى القاموس الحديث تألـيـف مترى اليـــاس وردت بلّور (الاسم) وبلور (الفعـل) وتبلّر (المصدر - أى الاستحالة الى شكل بلورى) وتبلّر أى se Cristalliser .



خير الكلام ما قلّ ودلّ

حفظت لنا كتب التاريخ والأدب والتراجم وصـايـا كان الأطباء القدامى يوصون بها الملوك والأمراء والعامة لحفظ صحتهم، وضمان العافية لهم. . وتقوم هذه الوصايا على التجربة والعلم معاً. . وكثير منها دخل فى التقاليد التى يتبعها الناس ويتوارثونها حتى أيامنا. . ورغم قدمها مازالت جديدة طريفة.

ونحن نسوق الى القراء بعضها:

■■ فالحـارث بن كلدة طبيب العرب قال: «إذا تغدّى أحدكم فلينم على إثر غدائه وإذا تعشّى فليخْطُ أربعين خطوة».

■ ومثل هذه الوصية رويت عن علّى بن أبى طالب رضى الله عنه اذ قال: «من أراد البقاء. . ولا بقاء فليجوِّد الغداء وليأكل على نقاء. . وليشرب على ظماء وليُقِلَّ من شرب الماء. . وليتمدد بعد الغداء ويتمشى بعد العشاء. . ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء».

■ وفى الأمثال الشعبية الدارجة فى الأقطار العربية اليوم: اتعشى واتمشى واتغـدى واتمدى. . فهذه الوصية عرفت منذ أكثر من ألف سنة ومازالت متبعة.



●● وكان الحجاج بن يوسف قد اصطفى طبيباً نصرانياً مشهـوراً بالطب اسمه (تياذوق) وكان يعتمد عليه ويثق بمـداواته. . وله وصايا كثيرة كان يوصى بها الحجاج. . وتوفى نحو سنة تسعين للهجرة وله مؤلفات.

فمما أوصاه به: «لا تأكلنَّ حتى تجوع. . ولا تتكـارهنَّ على الجماع. . ولا تحبسنَّ البول. . وخذ من الحمّام قبل أن يأخذ منك».

وقال له: أربعة تهدم العمر وربما قتَلْن: دخول الحمام على البطنة. . والمجامعة على الامتلاء. . وأكل القديد الجاف. . وشرب الماء البارد على الريق.

وقال له: «لا تنكح إلا شابة. . ولا تأكل من اللحم إلا فتياً. . ولا تشرب الدواء إلا من علة. . ولا تأكل الفاكهة إلا فى أوان نضجها. وأجد مضغ الطعام. وإذا أكلت نهارا فلا بأس أن تنام. . وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشى ولو خمسين خطوة».

● ولهـذا الطبيب نادرة لطيفة مع الحجاج. فقد أصاب الحجـاج صداع فى رأسـه فبعث الى تيـاذوق وأحضره.

فقال له: اغسل رجليك بماء حار وادهنهما.

وكان خَصِىّ قائم على رأس الحجاج. **فقال:** والله ما رأيت طبيبـاً أقـل معـرفـة بالطب منـك. شكا الأمر الصداع فى رأسه فتصف له دواء فى رجليه؟

فقال له: تياذوق: إن علامة ما قلت بينة فيك.

قال الخصى: وما هى؟



الدكتور صلاح الدين المنجد

من الوصايا الأطباء

قال: نُزعتْ خصيتاك فذهب شعر لحيتك.
فضحك الحجاج ومن حضر.

وذكر ابن أبى أصيبعة أن أحد الملوك ـ ولم يسمه ـ لما رأى تياذوق قد شاخ وكبرت سنه وخشى أن يموت ولا يُعتاض عنه لأنه كان أعلم الناس وأحذق الامة فى وقته بالطب. فقال له: صف لى ما أعتمد عليه فأسوس به نفسى وأعمل به أيام حياتى فلست آمن أن يحدث عليك حدث الموت ولا أجد مثلك.
فقال تياذوق: أيها الملك أقول لك وصايا إن عملت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك وهذه هى:

أولا: لا تأكل طعاماً وفى معدتك طعام.

ثانيا: ولا تأكل ما تضعف أسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه.

ثالثا: ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين فإن أصل الداء التخمة وأصل التخمة الماء على الطعام.

رابعا: وعليك بدخول الحمام فى كل يومين مرة فإنه يخرج من جسدك مالا يصل الدواء اليه.

خامسا: وأكثر الدم فى بدنك تحرس به نفسك.

سادسا: وعليك فى كل فصل قيئة ومُسْهِلَة

سابعا: ولا تحبس البول وإن كنت راكبا.

ثامنا: واعرض نفسك على الخلاء قبل نومك.

تاسعا: ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس من نار الحياة.

قال ابن أبى أصيبعة: فلما سمع الملك ذلك أمر كاتبه أن يكتب هذه الألفاظ بالذهب الأحمر ويضعه فى صندوق من ذهب مرصع وبقى ينظر اليه فى كل يوم ويعمل به فلم يعتل مدة حياته.

وذكروا أن الحجاج دخل على تياذوق لما حضرته الوفاة يعوده. فقال له: إلزم ما كنت وصيتك به وما نسيت منها فلا تنس:

- *لا تشربنَّ دواءً حتى تحتاج اليه.*
- *ولا تأكلنَّ طعاماً وفى جوفك طعام*
- *واذا أكلت فامش أربعين خطوة*
- *واذا امتلأت من الطعام فنم على جنبك الأيسر*
- *ولا تأكلن الفاكهة مُوَلِّيَة*
- *ولا تأكلنَّ من اللحم إلا فتياً*
- *وعليك بالسواك.*

فنلاحظ أن جميع هذه الوصايا تتعا[...] بالقواعد العامة لحفظ الصحة وهى قوا[...] مازالت ـ كما ذكرنا ـ متبعة لدى الكثير [...] الناس فى البلاد العربية والاسلامية رغم تبد[...] الأزمان وتنوع طرق العيش وتأثير الأسالي[...] الحضارية.



يسر البنك الاسلامي للتنمية بجدة

ان يعلن لحجاج بيت الله الحرام بانه قد تم اداء نسك النحر لحج عام ١٤٠٥هـ لجميع الحجاج الذين شاركوا فى مشروع المملكة العربية السعودية للافادة من لحوم الهدى والاضاحى سواء عن طريق موكليهم او الذين وكلوا لجنة الاشراف على الوكالات للحجاج فى مجزرة المعيصم النموذجية بمنى. وقد بلغت التوكيلات جميعها سواء تلك التى نفذت بمعرفة اللجنة او بمعرفة وكلاء الحجاج الذين اشرفوا على اداء النسك نيابة عن موكليهم بلغت (٣٠٧٢٦٦) ثلاثمائة وسبعة الاف ومائتان وستة وستون وكالة لجميع انواع الذبائح من هدى تطوع.. هدى تمتع.. او قران فديه.. واضحية.. صدقة.. وبذلك تكون نسبة الزيادة عن العام الماضى ٦٥٪.

وقد وزعت كميات من هذه اللحوم على حجاج بيت الله الحرام وفقراء الحرم كما تم شحن ١٧٧٥٦٧ رأسا من الاغنام جوا وبحرا وبرا الى البلدان الاسلامية.

بيان بكميات اللحوم التى شحنت إلى خارج المملكة العربية السعودية «برؤوس الأغنام»

الجهة المرسل اليها	عدد الرؤوس	كيفية الشحن
١ ـ الباكستان (اللاجئين الافغان)	٣٠٦٦٧	جوا
٢ ـ مالـــى	٥١٩٠	جوا
٣ ـ تشـــاد	٧٠٨٠	جوا
٤ ـ موريتانيا	٦٧٨٠	جوا
٥ ـ بوركينا فاسو	٥٨٩٠	جوا
٦ ـ جيبوتـــى	١٧٠٠٠	بحرا
٧ ـ الاردن	٤٠٩٦٠	بـراً
٨ ـ بنجلاديش	٦٦٨٩١	بحـرا
المجمـــوع	١٨٠٤٥٨	

وتم تجميد الكميات الباقية ووضعت فى ثلاجات مجزرة المعيصم النموذجية لتوزيعها على فقراء الحرم طوال العام.

والبنك الاسلامى للتنمية اذ يعلن هذا لحجاج بيت الله الحرام ليعبر لهم عن شكره لثقتهم كما يعبر عن تقديره لحكومة المملكة العربية السعودية التى وفرت الامكانات اللازمة فى مجزرة المعيصم النموذجية والتى جعلت تنفيذ مثل هذا المشروع الاسلامى الهام ممكنا.

أثاب الله الجميع وألهم أمتنا الاسلامية أمر رشدها وجمع صفوفها ووحد كلمتها وكتب لها النصر المؤزر.



اليوم الوطني للمملكة

بمناسبة اليوم الوطنى للمملكة العربية السعودية يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم بأسمى التهانى وأجمل الأمانى الى حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى وصاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى وصاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودى الكريم أعاده الله على الجميع بالخير والبركات .

أرامكو



ربيع الأول والثاني ١٤٠٦
نوفمبر - ديسمبر ٨٦

٤ السنة ٥٢ المجلد ٤٧

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

الهجرة

اللغة

التراث

الحضارة

عدد ممتا



هذا العدد

خواطر وسوانح كان فيها هذا العدد الذى بين أيدينا يتأرجح فى مهدها ناعم البال رخيم الجنان حتى اججت فورتها اهدافنا ورغباتنا فى الاشتقاق ليكون الاستقراء أحد أوليات العطاء فى دنيا الثقافة والمعرفة. وجاءت دعوة مراسلنا فى المغرب - تؤكد - ضرورة صدور هذا العدد .. وتساكنت - الدعوة - بكل جدواها مع الهدف .. وتزامنت الدعوة - بكل ابعادها مع الغاية .. فكان "هذا العدد" جديداً فى دائرته .. حديثا فى تنسيقه وتجميعه .. أوليا فى تبويبه واخراجه . واذا كان من المعتاد ان يترك للناس اصدار الحكم فى نوعية عطاء ما فإننا هنا - ومعذرة - نقتبس الحكم سلفاً لأننا من أولئك النفر الذين من حقهم استظهاره واطلاقه . بل لعلنا أحد وثائق هذا الحكم لتعداد ما نطلع عليه وما نميزه بين الرصفاء هنا وهناك - ولوقت طال به العمر.

إذاً . على كل حال ومن الأولية بمكان - وبعيداً عن التقديم والتقريظ - نؤكد أن توجهنا فى هذا الاصدار وكل اصدار قديم حديث يتطابق والرسالة المثلى التى رسمها « المنهل » لنفسه ولا زال وسيظل (بتوفيق من المولى القدير) يترسم خطاها .. ويشق طريقها .. ويثبت دعائمها لتخاطب العقول والأفئدة .. وتحاكى الأصول والجذور .. ولتطرح قديماً جديداً فى دنيا الفكر والمعرفة مصدرهما العقيدة الخالدة أولاً .. ثم تلك الثروة المعرفية الخلاقة التى كانت بداياتها نور الحاضر ويقين الماثل بموضوعية ومصداقية هى إلى الواقع أقرب والى المستقبل أعم وأشمل.

المنهل

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

A. Monthly Magazine For Literature, Science and Culture

المجلة السعودية الأم

أسسها : عبدالقدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري

مدير الادارة والتحرير

زهير الأنصاري

المخرج الفنى / فريد أبوسعده

شارك فى الاعداد

قسم التحرير:

- السمانى كمال الدين
- محمد سيد أحمد على الدين
- نادر صلاح الدين مصطفى

القسم الفنى:

- عبدالفتاح السيد (صف تصويرى)
- طارق فكرى عبد العزيز (خطوط)
- أحمد عبده محمود (نسخ)

العلاقات العامة والاعلان:

مصطفى محمد مصطفى

وكلاء التوزيع في الخارج

الامارات العربية المتحدة
دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع ت/٣٣٨٢٨٥

البحرين - المنامة
الشركة العربية للوكالات والتوزيع ت/٢٥٥٧٠٦

قطر
دار الثقافة للطباعة والصحافة والنشر ت/٤١٤١٨٢

الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ت/٣٠١٩١

مصر
وكالة الاهرام للتوزيع
ت/٧٤٥٦٦٦

تونس
الشركة التونسية للصحافة
ت/٢٤٢-٤٩٩

المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع
ت/٢٤.٥٧.٤٥

معلومات ادارية

المجلة : ٢ شارع رأس تنورة
عرفات سابقاً - الشرفية
برقيا : المنهل - ص ب ٢٩٢٥
جدة ٢١٤٦١

- **الاعلانات.**
تخاطب بشأنها الإدارة
تليفون ٦٤٣٢١٢٤ / ٦٤٤٧٧٩٤

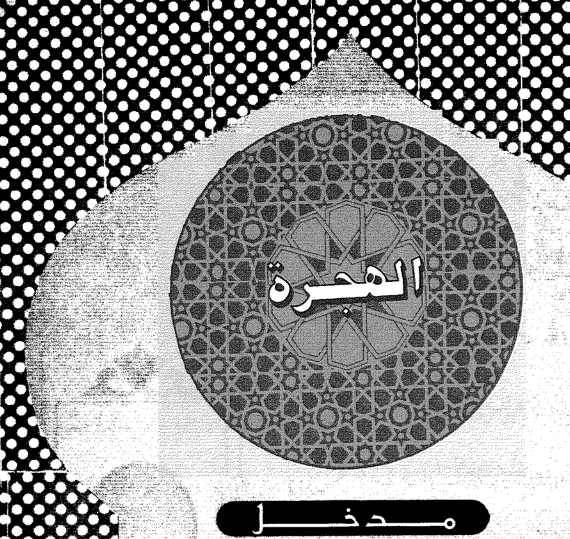
- **قيمة الاشتراك السنوى الرسمى**
فى المملكة العربية السعودية ٢٠٠ ريالاً
وللأفراد ١٥٠ ريالا سعوديًا
أو ما يعادلها .. ومرجعها الإدارة

السعودية ٨ ريالات
المغرب ٦ دراهم
تونس ٦٠٠ مليم
مصر ٥٠ قرشا
البحرين ٨٠٠ فلس
قطر ٨ ريالات
السودان ١٥٠ قرشا
الأردن ٥٠٠ فلس
الامارات ٨ دراهم

دار الأصفهاني للطباعة بجدة

تهامة للتوزيع
ص ب ٩٤٠٩

خمسون عاماً فى خدمة الفكر والمعرفة



إنَّ كلَّ هجرة تفيض بمعانى الألم والأمل .. ويتمثّل الألم فى فراق الرجل أهله وعشيرته وفى فراقه لموطنه الذى درج عليه وهو ناعم الأظفار وفى فراقه لمرابع الصّبا ومراتع الذكريات . ويتمثل الأمل الذى يصاحب الهجرة فى التطلع الى مجد جديد . واستكناه آفاق أرحب من الوطن الاول . ويتمثل فى تنسم ريح آفاق جديدة من العمل والنهوض ونيل الأهداف التى كانت موصودة .

واذا كان المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها قد اعتادوا أنْ يتذاكروا أحاديث الهجرة النبوية الكريمة فى مستهل كل عام هجرى جديد . وان يتحدثوا عما تزخر به من معانى العظمة وازدهار العالم .. فإن الهجرة تستحق كل ذلك . لأنها فى حقيقة الأمر هى نقطة التحول الكبرى فى تاريخ البشرية .

« عبد القدوس الأنصاري »

١٣٧٥ هـ



قد شفى نفسى بيانٌ لوحة هذا الوجود

كلّما سرّحتُ طرفى راعنى منهُ جديد

لغةُ الكونِ جلتْها قدرةُ اللهِ المجيد

أنا والأمّى كلٌّ قارئٌ مبدٍ معيد

أَنْتَ فى ذا الكونِ سِفرٌ كلّ ما فيه عظات

جلّ من سوّاكَ خلقًا حافلاً بالبيّنات

أيْقِظِ الوعْىَ وإلاّ عشْتَ حيًّا فى ممات

ملأ الجوّ بيانًا ذلكَ الطيرُ السّبوح

طائفٌ يخطُبُ فينا وهو يغْدو ويَروح

راعنى الطيرُ فهلْ هو فى الخفّةِ روح ؟!

مَلكَ الجوَّ فأغرى مَنْ رآه بالطّموح

إيمان

البحارُ الزاخراتُ والجوارى المنشآت

والسموات وكم طُرْقٍ بها للنيرّات

كلُّ نجمٍ فى مدارٍ ذاهب فيه وآت

عجبًا ما ضلَّ نجمٌ فى طريقِ الأُخْرَيات

رَسَمَ الطُّرْقَ قديرٌ وهداها سالكات

معجزات إى وربِّى تتحدّى قاهرات

ملأَ الإيمانُ قلبى وهو من جود الإله

أنا منهُ وإليهِ راجيًا محضَ رِضاه

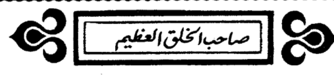
يوم لا ينفع مالٌ لا ولا يدفع جاه

كلّنا يسعى حثيثًا عابرًا جسر الحياة



مما نود الاشارة اليه - بادىء ذى بدء - أننا سنقف فى هذا المقال على علة جوانب من بين جوانب العظمة التى تتمتع بها شخصية الرسول ﴿ﷺ﴾ والتى نعدها - فيما يلى - مفتاحا لشخصيته وقبسا من أخلاقه الشريفة حال حياته وقبل بعثته وبعد البعثة.. كذلك سنرى من خلال عرضنا لهذا البعض من تلك الجوانب الخلقية والاخلاقية للرسول محمد الى أى مدى تتطابق تلك الأخلاق النبوية المحمدية العظيمة وتتوافق مع ما وصفته به السيدة خديجة «رضى الله عنها» آنذاك حيث قالت «والله إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل «الكَلّ» وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر».



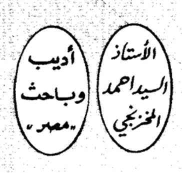


لقد وصفه ربه فى كتابه العزيز فقال عنه: ﴿وانك لَعَلَى خُلُقٍ عظيم﴾ «القلم/ ٤» وكان صلى الله عليه وسلم قرآناً يمشى على الارض ولا غرو فقد كان (خُلُقه القرآن)(١).. بلغ حرص نبى الاسلام على أمته ما بلغ ﴿لقد جاءكُم رسولٌ من أنفسِكُم عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حَريصٌ عليكُم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ﴾ «التوبة/ ١٢٨».

تحكى لنا كتب السيرة والسنة فى هذا الصدد أن أشد يوم عليه صلى الله عليه وسلم كان يوم العقبة إذ ذهب رسول الله يعرض رسالته وما أُمر به على نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم فلما جلس يتحدث اليهم فى هذا الشأن لم يجيبوه وأعرضوا عنه بل أغروا به سفهاءهم(٢).

وازا هذا السلوك المسيىء من قبل هؤلاء القوم يقول الرسول الكريم «فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا بسحابة قد أظلتنى فاذا فيها جبريل عليه السلام».

فنـاداني فقـال: ان الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك به وقد بعث لك ملك الجبال فلتأمر بما شئت فيهم. فقال له ملك الجبال حينئذ لتأمرني أن شئت أطبق عليهم (الأخشَبَين) - وهما جبلان بمكة - فقال الرسول الكريم: أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا» (٣) الى هذا الحد من العظمة والتسامح كان خلق الرسول العظيم.



وكان صلى الله عليه وسلم يقول في مثل ذلك من المواقف «اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون» (متفق عليه). هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقابل السيئة بأخرى وانما كان - كما قال عن نفسه - (انما أنا رحمة مهداة) - (رواه مسلم).

ومن قوله الشريف في مواضع مختلفة تستدعي نطقه للابانة عن قيمته وأثره وفضله على البشر أجمعين نعرف مفتاح شخصيته حيث يقول: «انني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة» رواه البخاري. . ويقول: «ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي» رواه أحمد والترمذي. . ويقول أيضا: «مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء من قبلي كَمَثَلِ رجل بنى بيتاً فحسَّنه وجمله إلا موضع لبنة واحدة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون لولا هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» متفق عليه.

مفتاح شخصيته

ومن ملامح شخصيته أيضا أنه كان كريماً جواداً يحب الخير ويدعو له ويحرص عليه ويحث أصحابه وأتباعه عليه كذلك. . فقد كان صلى الله عليه وسلم - فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما - «أجود بالخير من الريح المرسلة» وكان يقول: «ان الله جوادٌ يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق» متفق عليه. . ويقول: «والصدقة تطفيء الخطيئة» رواه أحمد ويقول جابر - رضي الله عنه - «ما سُئِلَ رسول الله ﴿ﷺ﴾ شيئا قط فقال: لا» (متفق عليه).

وإذا تمكن صلى الله عليه وسلم من أعدائه في خارج ساحات

الهوامش

(١) تفسير القرآن العظيم (للحافظ ابن كثير) ص٢١٤، ٢١٥ - طبعة دار الشعب - القاهرة ١٩٧٣م. المجلد الثامن.

(٢) سيرة ابن هشام (المجلد الأول) الجزء الثاني ص٤٧، ٤٨ تحقيق وتعليق الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد (مكتبة الكليات الأزهرية) القاهرة ١٩٧٤م.

(٣) في رحاب الأنبياء والرسل لفضيلة المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ص٢٣-٢٤ (سلسلة كتاب اليوم) (دار أخبار اليوم) القاهرة ١٩٧٤م.

الجهاد ـ وبعيدا عن جو القتال ـ لم يكن ليمثل بهم أو يغدر بهم غيلة وانما كان يقول: «ما تظنون أنى فاعل بكم؟» وكان ردهم عليه «أخ كريم وابن أخ كريم . . فيقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء . .(٤) ما أعظمه من مثل ضربه النبى الكريم للعفو عند المقدرة .

إن النبى (محمداً) لم يكن مصلحا ثوريا ولا زعيما عسكريا دكتاتوريا ـ معاذ الله ـ حتى لينتقم لنفسه من المتمردين عليه أو يظهر بالبطش والطوفان على مناوئيه أو الخارجين عليه فيقتلهم أو يغرر بهم . . ولم يكن طامعا فى دنيا يصيب منها لنفسه مأربا فتقتصر حياته فيها من ثم على الطمع والانغماس فى جمع المال والبخل والشح المطاع . . ولم يكن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يفكر قط فى تأسيس (ملك) أو يطمح فى تكوين (امبراطورية) له أو لأحد من بعده من رجالات عشيرته أو ذوى قرباه بل كان يقول: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه فهو صدقة) رواه مالك فى الموطأ .

لقد كان ﴿النبى﴾ محمد ﴿ﷺ﴾ وسيظل صاحب دعوة الحق خالصة من كل دنايا الدنيا . . دعوة طاهرة نقية نزيهة عاقلة ذكية لا مأرب له ـ فيها ـ الا ما خصه به الذى بعثه بها سبحانه . . دعوة تجمع عقول الناس وقلوبهم على إله واحد ودين واحد وملة واحدة صالحة لكل عصر من الأعصار ـ أهله زمانهم ومكانهم(٥) ـ وهى (الاسلام) ﴿ان الدين عند الله الاسلام﴾ آل عمران/ ١٩ ﴿ومن يبتغى غيرَ الإسلام دينا فلن يُقبلَ منْهُ﴾ آل عمران/ ٨٥ ﴿ورَضِيتُ لكُمُ الإسلام دينا﴾ المائدة/ ٣ .

من أجل هذا كان «محمد» ﴿ﷺ﴾ مشفقا على قومه رحيما بهم . . كان حظه منهم «لئن يهدى الله بك رجلا إلى الاسلام خير لك من الدنيا ومَا فيهَا» رواه البخارى وكان همه منهم «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون» . . تلك ـ هى ـ مخايل النبوة وبلاغة الداعية الى المنهج الجديد .



سماته .. وقبس من أخلاقه

على أننا اذا أردنا أن نتعرف فى عجالة على بعض من سماته وقبس من أخلاقه الشريفة لوجدنا هذا الوصف الذى تصفه لنا امرأة قد رأته ﴿ﷺ﴾ ـ وهى أم معبد الخزاعية ـ وقد بلغت من الدقة فى وصفه مبلغا فائقا للتعبير وهى فى كل ما حدثت به ما تجاوزت حقيقته عليه الصلاة والسلام أو تطرق لسانها الى لفظة مبالغة أو شطحة خيال ذلك لأنها لم تكن قد رأته من قبل: سئلت عن وصفه عليه الصلاة والسلام فقالت ما نصه(٦).

«رأيت رَجَلًا ظاهر الوضاءة متبلج (أى متشرق) الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة (أى ضخامة البطن) ولم تذريه صعلة (لم يشنه صغر الرأس) وسيم قسيم فى عينه دعج (أى شديد سواد الحدقة) وفى أشفاره وطف (طويل شعر الأجفان) وفى صوته صحل (رخيم الصوت) أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر، فى عنقه سطح (طول واستقامة) وفى لحيته كثافة (أى غزير شعر اللحية) اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء وكأن منطقه خزرات نظم يتحدرن (تريد سلس الكلام) حلو النطق فصل لا نذر ولا هزر (أى لا عى فى كلامه ولا ثرثرة فى حديثه)، أجهر الناس من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب ربعة (وسط بين) لا تشنؤه (أى لا تبغضه) من طول ولا تقتحمه عين (لا تحتقره) من قصر غصن بين غصن فهو أنضر الثلاثة منظراً (تريد متمايز عمن معه من الرفقاء) وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به (أى أتباع) اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا الى أمره محفود (يسرع اليه أصحابه فى طاعته) محشود (يجتمع الناس حوله ويلتفون) لا عابث ولا مفند (أى غير مخرف فى الكلام) ﴿ﷺ﴾.

قال السائل تعليقا على هذا الوصف واسمه (أبو معبد الخزاعى): «هذا والله صاحب قريش الذى ذُكِرَ لنا من أمره ما ذُكَرَ ولو كنت وافقته ـ أى التقيت به ـ يا أم معبد لتلمستُ أن أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا»(٧).

كلمات

- أنفعُ الدواء تَرْكُ المُنى.
- فى تصاريفِ الأحوال تُعْرفُ جَواهرُ الرِّجال.
- العبدُ حرٌّ ما قَنعَ والحرُّ عبدٌ ما طَمع.
- ابدأ السائل بالنَّوال قبلَ السؤالِ فإنك إنْ أحوجْتَهُ إلى سؤالك أخذتَ مِن حر وجهه أكثر مما اعطيته.

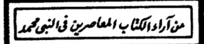
(٤) سيرة ابن هشام المرجع السابق (المجلد الثانى) الجزء الرابع ص٤٠، ٤١.

(٥) انظر فى ذلك مزيدا وتفصيلا بحثنا (صلاحية الشريعة الاسلامية لكل العصور والازمان) الحائز على جائزة «وزارة التعليم العالى» بجمهورية مصر العربية ١٩٧٧، بحث على الآلة الناسخة (غير منشور).

(٦، ٧) عن كتاب الرسول. وسنته الشريفة لفضيلة المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ـ طبعة (مجمع البحوث الاسلامية بالازهر) ١٩٧٥م.

● هذا قول من عاصروه وشاهدوه وتمرسوا سمته وسماته الشريفة والتفتوا اليه .. وتفرسوا خلقه فأعجبوا به وبكمال خلقه وعظيم أخلاقه صلى الله عليه وسلم.





من آراء الكتاب المعاصرين في النبي محمد

أما عن الذين لم يعاصروه ولم يشاهدوه ولكن خالط الايمان قلوبهم به وبمنهجه وآمنوا بشريعته الاسلامية الغراء فهؤلاء ينقسمون الى قسمين.

● قسم في (الشرق):

ونعني به بعض كتابنا الشرقيين ونذكر منهم - على سبيل المثال لا الحصر - ذلك الرجل الذي كتب كتابا أسماه «محمد عليه الصلاة والسلام» علق فيه على بعض أعمال النبي الكريم والتي كان لها أثرها في محيط واقع العرب ابان ظهور دعوته الاسلامية وفي جوانب النفوس المسلمة المؤمنة به ﴿ﷺ﴾ .. علق قائلا ما نصه: «اننا أمام ذات متفردة تماما مستوفية أسباب الكمال جامعة لأقصى الاطراف في كل شيء فاعلة منفعلة نشيطة مؤثرة تصنع بطلا من كل رجل تلمسه» .. ويقول: (نحن لسنا اذن أمام ابراهام لنكولن «ولا» جيفارا كما تصور أصحابنا قصار النظر دعاة المادية الجدلية ودعاة العلمية بلا علمية نحن لسنا أمام مصلح اجتماعي ولا أمام ثورة «اسبارتاكوس» الاجتماعية لا .. هذلت تلك التشبيهات بل ظلموا أنفسهم وظلموا نبيهم ونقصوه وما قدروه - حق قدره - بل نحن أمام ذات تسبح وتقدس من أنشأها في الازل وبعثها للأبد رحمة للعالمين (٨). أ. هـ



وهذا رجل آخر من بني جلدتنا أحد أولئك الذين فقهوا «السيرة النبوية» فقها كتب يقول - وحقا ما يقول - ما نصه: «ان محمدا وصحبه تعلموا وعلموا وخاصموا وسالموا وانتصروا وانهزموا ومدوا شعاع دعوتهم الى الآفاق وهم على كل شبر من الارض يكافحون لم ينخرم لهم قانون من قوانين الارض - يريد: لم يأت لهم ما وصلوا اليه عن طريق المعجزة وخوارق العادات .. بل انهم تعبوا أكثر مما تعب أعداؤهم وتحملوا المغارم الباهظة في سبيل ربهم فكانوا في ميدان تنازع البقاء أولى بالرسوخ والتمكين»(٩). أ. هـ

● وقسم فى (الغرب) :

أما القسم الآخر من هؤلاء الكتاب المعاصرين الذين أدلوا بآرائهم فى النبى «محمد ﴿ﷺ﴾ ودعوته ورسالته الشريفة فهؤلاء فى (الغرب) ونعنى بهم أولئكم الـذين تأثـروا بالاسلام وانبهروا بنبيه انبهاراً شدهم الى الايمان به والتصديق برسالته السماوية العظيمة خصوصا بعد دراسة متأنية ـ منهم ـ له ﴿ﷺ﴾.

ومن أبرز هؤلاء الكتاب الغربيين ذلك الكاتب (الكونت هنرى دى كاسترى) الذى كتب عن النبى الكريم يقول: «والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمىٍّ وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الانسان عن الاتيان بمثلها لفظا ومعنى آيات لما سمعها عتبة بن أبى ربيعة حار فى جمالها وكفى رفيع عباراتها لاقناع عمر بن الخطاب فآمن بالله وفاضت عين نجاشى الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبى طالب سورة «مريم» وما جاء فى ولاية «يحيى»(١٠) .

وهـذا كاتب وأديب من مفكرى (الغرب) أيضـا ـ مولع بالأبطال والعظـماء من البشـر ومهتم بالكتـابـة عنهم والتأريخ لهم وهو أحد الكتـاب الانجليـز انه «كـارلايـل» كتب عن «محمد» النبى يقول ما نصـه: «من العـار أن يصـغـى أى أنـسـان متمـدين من أبناء هذا الجـيـل الـى وهـم الـقـائـلين ان ديـن الاسـلام كذب وان محمـداً لم يكـن على حق.. لقـد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة فالرسالة التى دعا اليها هذا النبى ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين

مماد لكم

ما أجدرنا اليوم ونحن نتفيأ دوحة الاسلام أن نعض على عقيدتنا الاسلامية بالنواجذ ونتخذ منها منهاج عمل ونظام حياة لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها.. فلنكثف ونرص صفوفنا ونعتصم بحبل الله ونعلي كلمة الحق ونرفع راية التوحيد عالية خفاقة وان من نعم الله علينا أن هدانا للاسلام وجعلنا خير أمة وخصنا بما حبانا به من رحمة وفضل فى كتابه الكريم..

جلالة الملك فهد المعظم

كلمات

قال عمر بن عبد العزيز: ما وعظنى أحد احسن مما وعظنى به طاووس كتب إلىَّ: استعن بأهل الخير يكن عملك خيراً كلَّه، ولا تستعن بأهل الشر فيكون عملك شراً كلّه..

(٨) محمد عليه الصلاة والسلام للدكتور مصطفى محمود ص٣٣ (دار المعارف بمصر) ١٩٧٥م.

(٩) فقه السيرة لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ص٤٩ (دار الكتب الحديثة) القاهرة ١٩٧٦م الطبعة السابعة.

(١٠) من كتاب (أوروبا والاسلام) لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود فصل «مفكرون ومنصفون من الغرب ص٥٩، ص٧٤ ـ طبعة (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) القاهرة ١٩٧٣م.

كثيرة من الناس فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع؟. ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفا وعبثا وكان الأجدر بها الا توجد(١١). أ. هـ وواضح أن هذه التساؤلات التى يطرحها «كارلايل» انما هى استنكار لكل قول يراد به وصف دعوة النبى الكريم بالكذب أو التضليل أو الخداع.

ويستطرد الكاتب فيقول: «وفى ظنى انه لو وضع قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء القوم الغلاظ الشداد بدل هذا النبى لما استطاع قيصر أن يجبرهم على طاعته كما استطاع هذا النبى فى ثوبه المرقع». هكذا تكون العظمة.. وهكذا تكون البطولة.. وهكذا تكون العبقرية عند «كارلايل» وعند المخلصين لهذا النبى الكريم.

أما «برنارد شو» الكاتب المسرحى الساخر المعروف فيقول عن النبى «محمد» أن «محمداً لو جاء الى هذا العالم لحل مشاكله وهو يحتسى قدحا من القهوة».

بيد أننا نتحفظ على هذه المقولة لما فيها من خطأ فى التصور والاعتقاد - اعتقاد برنارد شو ذاته - فنقول: ان محمداً ﴿ﷺ﴾ وان كان بعيداً عنا بشخصه المادى إلا أنه موجود معنا بروحه الطاهرة وبمنهجه الصالح لكل زمان ومكان بل والقادر - بلا أدنى شك - على حل مشاكل العالم وكل العوالم فى هذا الوجود على اطلاقه واتساع مداه.. فهو صلى الله عليه وسلم القائل «تركت فيكم أمرين ما ان اعتصمتم بهما لن تضلوا أبدا. كتاب الله وسنتى» «متفق عليه».

● تلك كانت بعض آراء للكُتّاب المعاصرين فى النبى محمد ورسالته ودعوته الاسلامية صلى الله عليه وسلم.. وهذه اشارة لبعض من أخلاقه وبعض ما حفظته الذاكرة من شمائله وقبس من أخلاقه صلى الله عليه وسلم.

«والله إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر»
خديجة أم المؤمنين

خاتمة القول

ومما نود التنبيه اليه - وهو من خاتمة القول فى هذا المقام والمقال - أننا لا نريد أن نكثر هنا من أمثال هذه الأقوال الصادرة عن كاتبيها وقائليها فى النبى «محمد» ودعوته وهى كثيرة كثرة عدد المؤمنين برب «محمد» والشاهدين برسالته وشريعته الغراء.. ذلك لأننا لا نكتب - الآن - (كتابا) عن «محمد» صلى الله عليه وسلم. لكننا أردنا من هذا العرض لهذه الآراء وتلك الأقوال أن تفرض نفسها فى مناسبة الهجرة وفى كل وقت وحين.

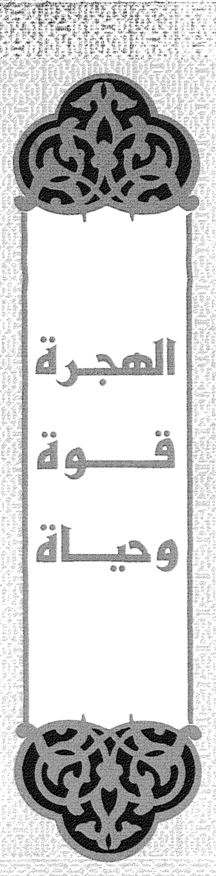
وكذلك من الجدير بالذكر فى هذا الصدد: أن هذه الآراء الصادرة عن كاتبيها وقائليها ليست (شهادة) للنبى (محمد) ولا - حتى - للاسلام ككل - كما يقول بذلك البعض من الكُتّاب المعاصرين اذ هو عليه الصلاة والسلام ليس فى حاجة الى ثناء أحد من البشر ليؤمن به أحد أو يقبل عليه آخرون، كلا ثم كلا فمصدر الايمان به - هو - ومصدر القناعة بمنهجه وشريعته الغراء انما يتأتى من الاعجاب بشخصه وصدقه وعظيم أخلاقه وأثره وهديه الظاهر المفعول الواضح المحمود ودليلنا على ذلك ايمان الملايين فى شتى مشارق الارض ومغاربها منذ الف وخمسمائة عام ويزيد.

فَمَن وصَفَهَ صلى الله عليه وسلم من الكُتّاب بأنه عظيم الخلق فإن الله عز وجل وصفه بقوله ﴿وانك لعَلَى خُلُق عظيمٍ﴾ القلم/ ٤ . . ومن سجل عنه فى السيرة والتأريخ له والأحداث العظام أنه بطل عظيم شجاع لم يأت بجديد، فتلك سجية من سجاياه شهدها وشهد بها اصحابه وهو فى المعركة - معهم - يقودها ، عن البراء رضى الله عنه - قال: كنا اذا احمر البائس (أى اشتد الأمر علينا) اتقينا برسول الله. رواه مسلم . . وللإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - فى ذلك قوله: (كنا اذا اشتد البائس واحمرت الحدق وحمى الوطيس (أى اشتدت المعركة) اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى عليه الصلاة والسلام وهو اقربنا الى العدو وكان من أشد الناس بأسا (أى مصابا) رواه أحمد فى مسنده وهو صلى الله عليه وسلم الذى أكد لنفسه شرف النبوة وأمانة الدعوة فقال: «أنا النبى لا كذب . . أنا ابن عبد المطلب» رواه البخارى ومسلم.

فاذا كنا - بما سبق عرضه - قد انتهينا الى معرفة «قبس من أخلاقه الشريفة ووقفنا على بعض ملامح أو مفتاح شخصيته صلى الله عليه وسلم فاننا بهذا نكون قد خلصنا الى الاجابة على التساؤل المطروح من قبل. واذا كانت تلك هى نظرة الكاتبين عنه والمنصفين له والمعجبين به وبمنهجه ورسالته فما أجدرنا أن نقول عنه انه خليق بحمل «الرسالة» عن الله عز وجل والداعى اليها على خير وجه من الحكمة والموعظة الحسنة ﴿فتوكَّل على الله انك على الحقِّ المبين﴾ النمل/ ٧٩. ﴿وتوكّل على العزيز الرحيمِ الذى يراكَ حينَ تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميعُ العليم﴾ الشعراء ٢١٧-٢٢١. ﴿وقل اننى أنا النذيرُ المبين﴾ الحجر/ ٨٩ . . فصلاة وسلاما على الذى حمل الأمانة وبلغ الرسالة وكشف الغمة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.



(١٤) انظر ... والمثل ... حسين الهنداوى ص ٢٦ دار ... ١٩٨٥م



ساد المجتمعات ـ قبل الاسلام ـ فوضى واضطراب فى حياة الناس.. وتسلط الأقوياء على الضعفاء.. وتعاظمت الأهوال من حولهم.. فتطلعت البشرية الى منقذ ينقذها مما تعانى من ضغوط قاسية وإرهاق مؤلم.. وشخصت أبصارهم لتلمح فى الأفق بصيصا من نور.. وتجد الملجأ والمنقذ فكان محمد صلى الله عليه وسلم.

دعا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ثلاث عشرة سنة فى مكة كان فيها إيذاء له واضطهاد لشخصه صلى الله عليه وسلم ثم إيذاء واضطهاد لأصحابه الذين أسلموا معه وآزروه ـ وكانوا قلة ـ لكن الواحد منهم كان يزن أمة ويضاهى الألوف والعدد العديد. وشاء الله تعالى أن يكون الصدِّيق أبو بكر على رأس من أسلم.. وكان مقدرا من قريش وذا مكانة كبيرة فى قومه فقد صدَّق النبى فى كل شيء.. كلهم قال للرسول: كذبت.. وقال أبو بكر: صدقت.. كما قال النبى ﴿ﷺ﴾ فى خطبته فكان الصادق فى الايمان الصدوق فى الصحبة الصديق فى الخلة والمحبة العميقة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ ولذلك كان الصاحب فى الهجرة والرفيق فى المسيرة **﴿إلا تنصُرُوه فقد نَصَرهُ الله إذْ أخرجَهُ الذينَ كَفرُوا ثَانِيَ اثنينِ إذ هُما فى الغارِ إذِ يقولُ لصاحِبِه لا تَحْزَنْ إنَّ الله مَعنَا﴾**.

والهجرة فيها التضحية والموقف الذى ليس منه بد.. وفيها من المجهول ما يخيف ولكن أمر الله بها لابد نافذ لتجد الدعوة إلى الصراط المستقيم قلوبا متفتحة ونفوسا طاهرة والله تعالى ضامن لرسوله أن تنجح مسيرته وأن تزول مخاوفه وفى حديث الرسول ﴿ﷺ﴾ «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

وفى قصة الغار ووجود ما يضلل المشركين عن طريقه.. وقصة سراقة بن مالك الذى طمع فى عطاء قريش وأن فرسه لم تسعفه وغارت قوائمها وغير ذلك مما يدل على أن النبى فى هجرته مصون برعاية ربه محوط بعنايته.



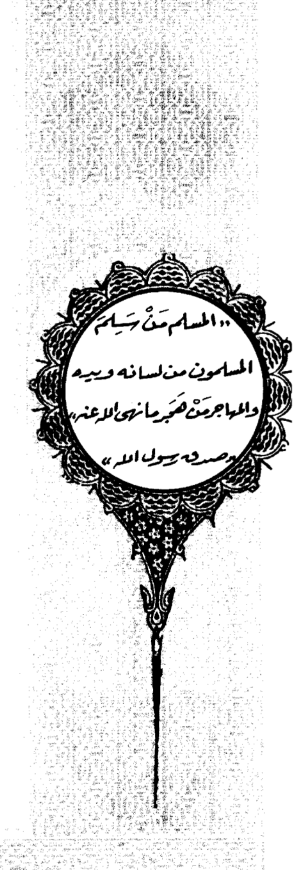
وقصة «أم معبد» ، من هذه القصص التى رواها كُتّاب التاريخ الاسلامى وعلماء السيرة النبوية. ففى طريق الرسول الى المدينة نزل النبى ﴿ﷺ﴾ وصاحبه على أم معبد فى خيمتها وأرادا أن يشتريا منها تمرا أو طعاما ولكن أم معبد لم يكن عندها ما يؤكل أو يشرب فقد أصابتهم سنة (جدب) ولم يجدا عندها إلا عنزا هزيلة فمسح النبى على ضرعها وحلب منها وسقاها ثم شرب هو ومن معه وتركا عندها من اللبن إناء مفعما فلما عاد زوجها ووجد اللبن عجب . . ثم أخبرته ووصفت له النبى ﴿ﷺ﴾ فقال: (هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت بأن أصحبه ولأفعلن إن وجدت الى ذلك سبيلا).

وروت كتب السيرة ، أن رجلا من الجن يتبعه الناس ولا يرونه ويسمعون صوته ليعرفهم مكان محمد وصاحبه فقال:

جزى اللهُ ربّ الناس خير جزائه
رفيقين حلّا خيمتىْ أمّ مَعْبد
هما نزلا بالهدى ثم اهتدتْ به
فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقُصَىّ ما زوى الله عنكم
به من فخار لا يبارى وسؤدد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب
يرددها فى مصدر ثم مورد

● *فلما سمع بذلك حسان قال يجاوب الهاتف:*

لقد خابَ قومٌ غابَ عنهم نبيُّهم
وقدّسَ من يسرى إليهم ويغتدى
ترحّل عن قومٍ فضلتْ عقولُهم
وحلّ على قومٍ بنورٍ مجدّد
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم
وأرشدهم من يتبع الحقَّ يرشد
وهل يستوى ضُلّالُ قوم تسفّهوا
عمى وهداة يهتدون بمهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب
ركاب هدى حلّت عليهم بأسعد
نبى يرى مالا يرى الناسُ حوله
ويتلو كتابَ الله فى كلِّ مسجد
وإن قال فى يوم مقالة غائب
فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جَدّه
بصحبته من يسعد الله يسعد

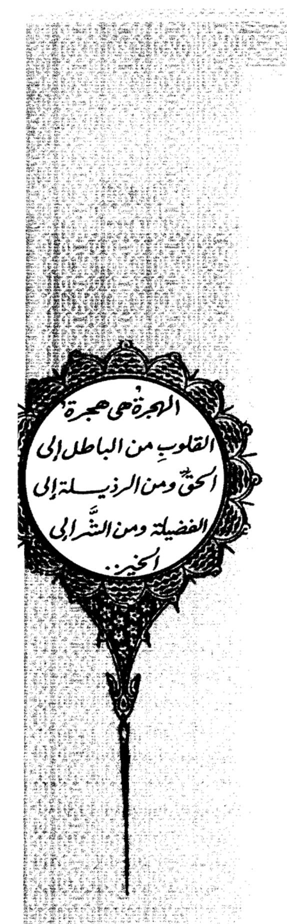


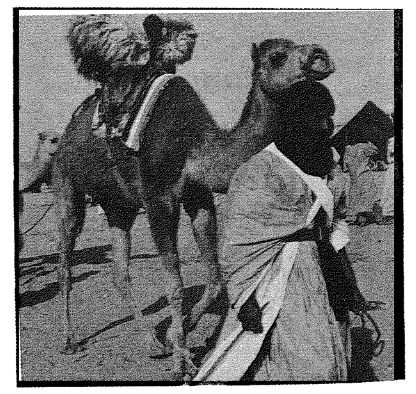
● وقد فجر هذا الحدث التاريخى العظيم ـ حدث الهجرة ـ عواطف الشعراء وألهب مشاعريتهم. . فقالوا فيه أبدع الشعر. . ودبجوا أجمل القصيد وذلك لجلال الموقف، وعظمة صاحبه صلى الله عليه وسلم وهذا (محمود غنيم) يقول قصيدة بعنوا: «الركب المقدس» ومطلعها:

أىّ ركب دبّ فى جوف الفلاه
يَقتَفى التاريخَ فى شوق خطاه
تحت جُنْح الليْل يسرى خُفْيةً
فى سبيل الله والحقُّ سراه
يقطعُ اللَّيْل مسيرا فإذا
وَشَتِ الشمسُ به ألقى عصاه
وقريشٌ خلفه لاهثة
تسألُ الركبان عنه والمشاه

● ويمضى فى قصيدته متمثلا الموقف ومسير النبى ﴿ﷺ﴾ والطبيعة التى ترقب مسيره.. فكأن البرق أعين تتمنى أن تراه.. وكأن الجبل تنصت منه أذناه.. وكأن الرمل يحصى خطاه.. وكأن النجم من بعض الوشاة.. ومع ذلك فالركب يمشى ثابتا متئدا تحرسه عين الله فمن يلذ به لم يخش سواه.. ومع أن الركب من محمد ﴿ﷺ﴾ وأبى بكر (وهما قلة) لكن هذه القلة لها عزمات دونها عزمات أولى الأيد والقوة:

ما نجوم الليل إن قيست بها؟
ما رمال البيد؟ ما قَطْر المياه
لا دروع سابغات لاقَنَا
مشرعات لا سيوف مُنْتَضاه
قوةُ الايمان تغنى ربَّها
عن غرار السيف أو سنّ القناه
ومن الايمان أَمْنٌ وارفٌ
ومن التقوى حصونٌ للتُّقاه





● وهذا الركب - لأنه من الله - ما احتاج الى نجم يهديه، بل سار النجم فى سناه ولو درت به أطباق الثرى للثمت قدميه فأصبحت جنة وارفة الظلال:

من هو الركب؟ نبيٌّ مرسلٌ
وحواريٌّ يهدى بهداه
إنْ يكُنْ هَاجَرَ منها كارها
فغدًا يأتى على رأس الغزاه
وغدًا يُشعلها بيضاءَ فى
بلدٍ جارَ عليه ونفاه
وغداً يعفو ولو شاء غدا
كل مكى غريقا فى دماه

● ثم يوضح أن الركب حل بيثرب فقد رعاه الله.. ويثرب رحبت به فى تشيد خالد وهتاف يردده الزمن «طلع البدر» فيقول:

حلّ ركبُ المصطفى فى يثرب
كيف لا؟ والله يرعى من رعاه
رحبتْ يثربُ بل ألقتْ على
أذن الدَّهْر هتافاً. فوعاه
«طلع البدرُ» نشيدٌ خالدٌ
كلَّما ردَّده الدَّهْرُ شجاه
بشر الشرك بموت عاجل
أيها الشرك دنا يوم الوفاه

● وهكذا يمضى الشاعر فى قصيدته ويختمها بأثر الهجرة والاسلام فى توحيد العرب بعد أن كانوا مشتتين فأصبحوا قوة تحطمت لها التيجان وثلت العروش:

وَحَّدَ العربَ وكانوا بَدَدَا
كهشيم النَّبْتِ من شاءَ رعاه

فهد الأول



طيبة الطيبة مدينة الرسول ﴿ﷺ﴾

يوليها جلالة الملك فهد خادم الحرمين الشريفين اهتماماً خاصا ويتابع بدقة كل ما يتعلق بمشاريعها. ومما تم تنفيذه فيها التوسعة الكبرى للمسجد النبوى الشريف والتى تصل الى خمسة اضعاف مساحته الحالية وبلغت تكاليفها قرابة خمسة بلايين ريال.. توسعة مسجد قباء وتجديد عمارته وهو أول مسجد بناه الرسول الاعظم.. مشروع تكملة مبانى الجامعة الاسلامية ويضم عدداً من الكليات ومساكن الكلية. واعضاء هيئة التدريس.. افتتاح مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف وهو مدينة طباعية متكاملة خصصت لطباعة القرآن الكريم وتسجيله وبلغت تكلفته حوالى (١٠٠٠) مليون ريال.. وغير ذلك من المشاريع السكنية ومشاريع الخدمات وغيرها.

فإذا التيجانُ تهوى وإذا
برعاةِ الإبلِ للنَّاس رُعَاه

مدارك

الهجرة حد فاصل بين الحق والباطل

● كانت الهجرة حدا فاصلا بين الحق والباطل وحاجزا منيعا بين الكفر والايمان وسياجا يحجز بين الهدى والضلال فلم ينهض بعدها للباطل دولة ولم تكن للكفر على اهل الايمان صولة وظل الحق يصاول الباطل والايمان يهزم جيوش الضلال حتى كان آخر مواقف الهزيمة ان وقف صاحب الهجرة «ﷺ» على عتبة البيت الحرام بعد ثمانية اعوام من هجرته يمن على السادة العبيد مطرحا كل اساءة مغضيا عن كل تجن قائلا: اذهبوا فانتم الطلقاء» وهكذا كانت الهجرة درسا من الدروس التى لقنها صاحب الهجرة لأمته لتكوين شخصيتهم وإشعارهم بالعزة واثبات وجودهم تحت الشمس كأمة من حقها ان تسود وان تثأر لكرامتها وعزتها ولا تقبل الدنيَّة فى دينها وتكره ان تعود فى الكفر بعد ان انقذها الله منه وشرفها بالاسلام.

ان الهجرة بالنسبة الى المضطهدين فى دينهم المأخوذ على ايديهم لعبادة ربهم لن يبطلها مرور الزمان وتقادم العهد ـ كما يجب ان تذلل الاقطار الاسلامية العقبات التى تعترض سبيل المهاجرين اليها فرارا بدينهم ان ينال منه وخشية ان يفتنوا فيه.

الشيخ عبد الغنى خياط



الذكر ترياق المذنبين وأنس المنقطعين.. وكنز المتوكلين وغذاء الموقنين.. حلية الواصلين ومبدأ العارفين.. بساط المقربين.. وشراب المحبين

أحد العارفين

● والشاعر غنيم بهذا يدعو العرب والمسلمين أن يكونوا قوة يرهبهم أعداؤهم وأن يوحدوا صفوفهم ضد الأخطار المحيطة بهم وأن يعيدوا مجد الاسلاف العظماء فيسوسوا الانسانية من جديد وينقذوها مما يهددها من أخطار وويلات وليس ذلك على الله ببعيد.

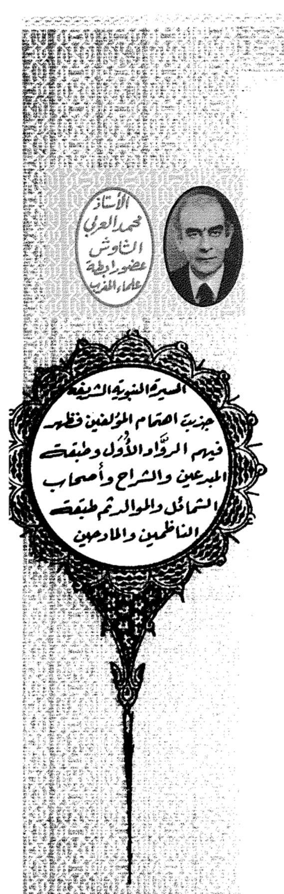


● توطئة

تحتل السيرة النبوية الشريفة مقاما رفيعا ومكانة بارزة فى الدراسات الاسلامية والحضارة العربية فهى من اهم المعارف الانسانية واعرقها فى تاريخ الفكر الاسلامى. . وهى امتداد لما اشتهر به قدماء العرب من اهتمام بالانساب والاحداث وايام العرب وتمجيد للبطولة والابطال والعظماء ومن ثم كان اهتمامهم بالسير والاخبار كاهتمامهم بالفكر والنجوم شيئا اساسيا فى حياتهم البدوية والمدنية فاهتمامهم بالنجوم ومواقعها كان امرا ضروريا لضبط مواقيتهم واتجاهاتهم فى رحيلهم واقامتهم. . واهتمامهم بالسير والاخبار كان شيئا ضروريا كذلك لمعرفة انسابهم وقبائلهم وعشائرهم والاشادة ببطولاتهم والفخر باشرافهم وعظمائهم.

وما سيرة شخصية لامعة كسيرة سيدنا محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ الا مبحث من مباحث التاريخ تمثل حياة انسانية متكاملة من المهد الى اللحد. . وقد ترتفع الى ما قبل المهد لتشمل الامجاد من تاريخ الاباء والاجداد كما قد تمتد الى ما بعد اللحد فيما تخلفه من ارث مجيد واثر حميد فى جيلها او فى الاجيال اللاحقة واجيال المستقبل. وقد ورد عن الصحابى الجليل سعد بن ابى وقاص المتوفى عام ٥٥هـ رضى الله عنه انه قال: كان أبى (مالك بن أهيب) يعلمنا مغازى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وسراياه فيقول: يا بنى هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها.

● وقد كانت حياة سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم حياة متكاملة يتصل أولها بآخرها فى تناسب وانسجام وكانت شخصيته النبوية الكريمة اللامعة شخصية عظيمة لفتت الانظار وشغلت الافكار وملأت العيون والقلوب اعجابا ومحبة واجلالا وتمجيدا لهذه الشخصية المباركة من



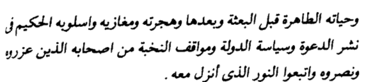
مولده صلى الله عليه وسلم الى التحاقه بالرفيق الأعلى وكانت رسالته الاسلامية الخالدة حدثا عظيما فى تاريخ الانسانية عامة وفى تاريخ الامة العربية خاصة لأنه كما قال تعالى ﴿رسول الله وخاتم النبيين﴾ . أثر فى جيله وفى الاجيال اللاحقة بجيله تأثيرا عميقا ومازال هذا التأثير الكبير ممثلا فى الكتاب والسنة والسيرة والشمائل ينتقل من جيل الى جيل نقيا مشرقا محاطا بالقداسة والاجلال والبركة الى ان يرث الله الارض ومن عليها . . مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: « **تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي** » رواه الحاكم عن ابى هريرة رضى الله عنه من خطبة النبى ﴿ﷺ﴾ فى حجة الوداع .

كل هذه العوامل الروحية والآثار النورانية والمواقف التاريخية فى حياة النبى ﴿ﷺ﴾ اطلقت ألسِنَة الرعيل الاول من الصحابة والتابعين تروى للناس مسيرة هذا الانسان العظيم الذى اختارته العناية الألهية ليكون رسول الله الى الناس كافة كما قال الله عز وجل: ﴿وما أرسلناكَ إلاّ كافة للنّاس بشيراً ونذيراً﴾ وقال ايضا: ﴿وما أرْسَلنَاكَ إلاَ رحمَةً للَعالمينَ﴾ وانسان فى هذا المستوى العالى من الامانة والمسؤولية الكبرى والانسانية المهذبة الرفيعة المتفتحة يحلو الحديث عنه ويطيب. فحدثوا عن مولده صلى الله عليه وسلم ونشأته . . وعن شبابه وكهولته . . وعن بعثته وهجرته . . وعن جهاده وسياسته . . وعن معجزاته وفضائله . . وعن اخلاقه وشمائله . . فاعطوا بذلك للتاريخ وللانسانية عطاء قيما سارت بذكره الركبان وساهموا بذلك فى تاجيج شعلة الايمان فى قلوب المؤمنين «ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم» واملأوا النفوس حبا واجلالا لهذا الانسان الطاهر العظيم . . واعتزازا وفخرا بهذا النبى الكريم . . ورسخوا فى الافكار جلال رسالته وقداسة تعاليمه صلى الله عليه وسلم . . وافتحوا فى تاريخ الاسلام سجلا ذهبيا لامعا اذ كانت سيرته الشريفة اول عمل حضارى دُوِّنَ فى الاسلام .

السير والمغازى والشمائل

وقد اشتملت السيرة النبوية على اقسام والمتتبع لها يجد ان المصنفين فيها تناولوا هذه الاقسام ابداعا وشرحا وتعليقا وفق تخطيط منهجى مدروس .

(١) فمنهم من صنف فى «السيرة» بصفة عامة ويقصد بذلك الترجمة الذاتية المأثورة لحياة النبى ﴿ﷺ﴾من ذكر نسبه الشريف ومولده الكريم



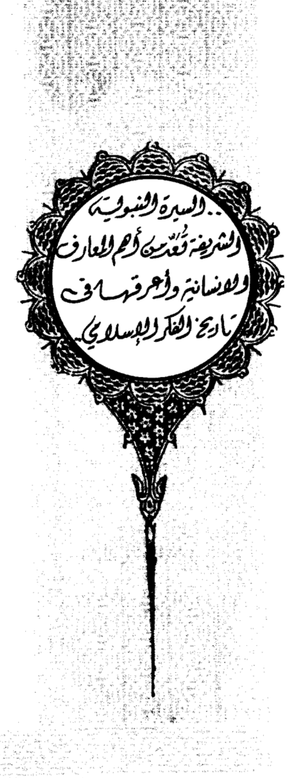
وحياته الطاهرة قبل البعثة وبعدها وهجرته ومغازيه واسلوبه الحكيم فى نشر الدعوة وسياسة الدولة ومواقف النخبة من اصحابه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه .

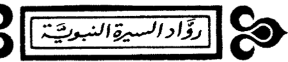
(٢) ومنهم من صنف فى «المغازى» خاصة ويقصد بها مواقف الجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله وتوحيد الامة العربية والاجناس البشرية تحت لواء الاسلام وهذه الجزئية البارزة فى السيرة النبوية افردها المحدثون - زيادة على المؤرخين - بابواب خاصة ترجموا لها بكتاب المغازى كما فى صحيحى البخارى ومسلم .

(٣) ومنهم من صنف فى «الشمائل» وهى تتعلق بنسب النبى ﴿ﷺ﴾ واسمائه الشريفة وأوصافه النورانية المباركة . . ولباسه وفراشه وسلاحه وآكله وشربه وعبادته وأخلاقه واسلوبه فى معاشرة اسرته الطيبة الطاهرة وآل بيته الكرام رضى الله تعالى عنهم اجمعين .

(٤) ومن المصنفين من افرد جزئية خاصة بالتصنيف فكتبوا فى الاسماء النبوية الشريفة او فى الاسرة المباركة الطيبة او فى الملابس المشرفة او فى مدحه صلى الله عليه وسلم والاشادة بمقامه الكريم .

غير ان هذه التقسيمات لا تعنى انفصال قسم عن الآخر او استقلال جزئية بنفسها بل ان كل قسم او جزء يعتبر امتدادا وتكميلا لغيره ليتكون من كل ذلك او من مجموعه كلية واحدة هى سيرة النبى ﴿ﷺ﴾ .





وقد بدأ هذا العمل الكبير على يد نخبة من محدثى القرن الاول الهجرى كان من اشهرهم عروة بن الزبير بن العوام المتوفى سنة ٩٢هـ وهو الفقيه المحدث الذى مكنه اتصاله بالبيت النبوى الشريف من ان يروى الكثير من اخبار النبى ﴿ﷺ﴾ فهو ابن اسماء اخت عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنهما وحفيد ابى بكر الصديق رضى الله عنه صاحب النبى ﴿ﷺ﴾ ورفيقه فى هجرته وخليفته من بعده ومنهم أبان بن عثمان المتوفى سنة ١٠٥هـ . . وهو ابن الصحابى الجليل امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه . . وكذلك وهب بن منبّه المتوفى سنة ١١٤هـ . . وابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٣٥هـ . . وكتب هؤلاء السادة رضى الله عنهم غابت ولم يبق منها الا اخبار فى تاريخ الامام الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ.

طبقة المبدعين

وتلاهم طبقة من المصنفين كتبوا فى السيرة وابدعوا وكانوا مصدرا خصبا فى هذا المجال نذكر منهم : موسى بن عقبة بن ابى عياش المتوفى عام ١٤١هـ له «كتاب المغازى» قال فيه الامام احمد بن حنبل : عليكم بمغازى ابن عقبة فإنه ثقة.

وقال حاجى خليفة فى «كشف الظنون» مغازيه اصح المغازى(١) .. وقال الشيخ الزركلى فى «الأعلام» أختير من كتابه كتاب ؛ «احاديث منتخبة من مغازى ابن عقبة»(٢) .. ومنهم محمد بن اسحاق المطلبى المتوفى عام ١٥١هـ وهو صاحب «السيرة النبوية» وتعرف بسيرة ابن اسحاق ويعتبر فى طليعة من صنفوا فى هذا الموضوع الشريف فهو رئيس اهل المغازى والسير بدون منازع .. ومنهم محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٣٠٧هـ صاحب «المغازى النبوية» وهو المعلم الثانى بعد ابن اسحاق فى هذا الفن وكاتبه محمد بن سعد البصرى المتوفى سنة ٢٣٠هـ وهو صاحب «الطبقات الكبرى» .. ثم عبد الملك بن هشام المتوفى عام ٢١٨هـ وهو الذى دوّن سيرة ابن اسحاق برواية زياد بن عبد الملك البكائى المتوفى سنة ١٨٣ وهذبها ونفحها وهى السيرة التى تداولها الناس واعتمدها المؤرخون وعرفت بسيرة ابن هشام ولها شروح ومختصرات كثيرة .. ثم جاء ابو عيسى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩هـ فالف كتاب «الشمائل النبوية» وتعرف بالشمائل الترمذية ولها شروح كثيرة وقد أعتمدت هذه الطبقة على الرواية والنقل ودقة الاخبار فجاء انتاجها فى هذا المجال حجة ومصدرا لمن اتى بعدها من كتاب السيرة النبوية الشريفة.

المبدعون اللاحقون

ومنذ القرن السادس الهجرى ظهرت طائفة من المؤلفين الذين أبدعوا بدورهم فى الموضوع كذلك .. منهم القاضى عياض السبتى المتوفى عام ٥٤٤هـ صاحب كتاب «الشفاء فى التعريف بحقوق المصطفى» وهو مؤلف جليل اقرب الى الشمائل منه الى السيرة وله شروح كثيرة .. ومنهم ابو الفتح محمد بن سيد الناس الاندلسى المتوفى سنة ٧٣٤ مؤلف «عيون الاثر فى فنون المغازى والشمائل والسير» وهو كتاب نفيس فى الموضوع .. ومنهم تقى الدين احمد بن على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ مؤلف كتاب «امتاع الاسماع بما للرسول من الابناء والاموال والحفدة والمتاع» قال الشيخ الزركلى :

كلمات

من قل اعتباره قلَّ استظهاره ومن لم يتعظ بغيره وعظ اللهُ به غيره .. والسعيد من وُعظ بغيره والشقى من وُعظ به غيره ..

أحد العارفين

---

(١) حاجى خليفة توفى عام ١٠٦٧هـ كشف الظنون ـ مجلد ٢ ـ ١٧٤٧ ـ ط بغداد بتحقيق محمد شرف الدين والمعلم رفعت.

(٢) خير الدين الزركلى توفى عام ١٣٩٦هـ ـ الأعلام ـ مجلد ٧ ص ٣٢٥ ط ٤ سنة ١٩٧٩م.

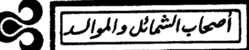
«مخطوط فى تسعة مجلدات طبع المجلد الاول منه»(٣) ومنهم شمس الدين محمد بن يوسف الشابى المتوفى عام ٩٤٢ مؤلف كتاب «سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد» عرف بالسيرة الشامية ومنهم مسعود جموع المغربى المتوفى عام ١١١٩ مصنف كتاب «نفائس الدرر فى سيرة سيد البشر» وكذا محمد بن عبد الرحمن الدلائى المغربى المتوفى عام ١١٤١ صاحب كتاب «زهر الحدائق وخلاصة الحقائق فى سيرة سيد الخلائق» وهو مخطوط(٤) والمعطى بن الصالح الشرقاوى المتوفى عام ١١٨٠ صاحب كتاب «ذخيرة المحتاج فى سيرة صاحب اللواء والتاج» فى خمسين مجلدا(٥) وغير هذا كثير مما دوّن فى السيرة الشريفة.



طبقة الشراح

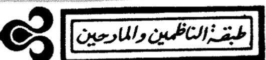
وظهرت منذ القرن السادس ايضا طبقة من الكتاب اهتمت بشرح المصادر القديمة او بتهذيبها وتنقيحها واخراجها فى حلة جديدة بأسماء جديدة ايضا فأتوا بما استحقوا عليه الاعجاب والتقدير والحقيقة ان هؤلاء الكتاب اذا عزوا إنتاجهم الى اصحاب المصادر فانما ذلك تواضعا منهم وتأدبا مع اسلافهم والا فهم انما ذكروا المصادر التى اعتمدوها فى انتاجهم طبقا للقاعدة المتبعة فى التأليف قديما وعلى هذا الاساس نعد هؤلاء من المبدعين ايضا وان كانوا من اتباع السابقين.. فمنهم ابو القاسم عبد الرحمن السهيلى الاندلسى المتوفى عام ٥٨١ صاحب كتاب «الروض الانف» وهو شرح جليل لسيرة ابن هشام.. وابو ذر مصعب بن محمد الخُشنى الاندلسى المتوفى سنة ٦٠٤ وله «شرح غريب السيرة النبوية» وبدر الدين محمود بن احمد العينى المتوفى عام ٨٥٥ صاحب «كشف اللثام فى شرح سيرة ابن هشام».. وعلى بن برهان الدين الحلبى المتوفى سنة ١٠٤٤ صاحب كتاب «انسان العيون» فى سيرة الامين المامون» وهو كتاب جليل اعتمد فيه على سيرة ابن سيد الناس والسيرة الشامية وعرفت سيرته بالسيرة الحلبية.. ومنهم الشيخ احمد زينى دحلان المكى المتوفى عام ١٣٠٤ صاحب كتاب «السيرة النبوية والآثار المحمدية» اعتمد فيه على سيرة ابن هشام والشفا وعيون الاثر والسيرة الشامية والسيرة الحلبية وقال: «وهذه الكتب هى اصح الكتب المؤلفة فى هذا الشأن فاحببت ان الخص ما احتوت عليه من سيرة النبى (ﷺ) وما اشرنا اليه انما هو قليل من كثير مما صنف فى هذا الموضوع.





ثم ظهرت منذ القرن السابع الهجرى طائفة من الكتاب اهتمت بتدبيج المقال فى المولد الشريف وشرح الشمائل الترمذية والشفا وابتكار موضوعات شيقة ايضا فى اطار الشمائل النبوية فكان منهم: محمد بن قاسم التميمى الفاسى المتوفى سنة ٦٠٤ صاحب كتاب «اللمعة فى ذكر ازواج النبى ﴿ﷺ﴾ واولاده السبعة»(٧) . . وابو الخطاب عمر ابن دحية السبتى المتوفى سنة ٦٣٣ صاحب «التنوير فى مولد السراج المنير» و«الايات البينات فى ذكر ما فى اعضاء رسول الله ﴿ﷺ﴾ من المعجزات» و«سلسلة الذهب فى نسب سيد العجم والعرب» و«المستوفى فى اسماء المصطفى»(٨) . . والشيخ احمد بن محمد الشُمُنِّى المصرى المتوفى عام ٨٧٣ شارح الشفا فى رسالة سماها «مزيل الخفاء عن الفاظ الشفاء» . . وشيخ الاسلام احمد بن محمد بن حجر الهيثمى المصرى المتوفى عام ٩٧٤ صاحب «اشرف الوسائل الى فهم الشمائل»(٩) وهو شرح لشمائل الترمذى . . والشيخ محمد بن عبد السلام بنانى الفاسى المتوفى سنة ١١٦٣ شارح شفاء القاضى عياض ايضا(١٠) . . والشيخ ابو العلاء ادريس بن محمد العراقى الفاسى المتوفى سنة ١١٨٣ شارح شمائل الترمذى وخرج احاديث الشفا سماه «تكميل مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفا»(١١) وغير هذا كثير فى هذا الباب .





وقامت طائفة من الادباء بصياغة السيرة والامداح النبوية فى منظومات شعرية لامعة فابدعت واطنبت وحلت الادب العربى بقلائد وعقود نفيسة



لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ،،
،، ان الشيطان قد يئس أن يُعبد فى الأرض لكنه لم ييأس من التحريش بينكم ،،
صدق رسول الله

(٣) الاعلام - مجلد ٩ - ص ١٧٧ - ط ٤ .
(٤) محمد حجى : الزاوية الدلائية بالمغرب ودورها الدينى والعلمى والسياسى - ص ٢٥١ - ط ١ سنة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ .
(٥) عبد الله كنون : النبوغ المغربى ج ١ ص ٣٠٦ - ط ٢ - ١٩٦١ .
(٦، ٧، ٨) النبوغ المغربى - ج ١ - ص ١٤٨ - ط ٢ وتجدر الاشارة الى ان جل التصانيف المغربية مازالت مخطوطة - ص ١٥٤، ١٥٩ و ١٦٠ .
(٩) الاعلام - مجلد (١) - ص ٢٣٤ - ط ٤ وابن حجر الهيثمى هذا غير ابن حجر العسقلانى شارح صحيح البخارى ومؤلف الاصابة فوجب التنبيه .
(١٠، ١١) النبوغ المغربى ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

زادته جمالا وحسنا وبهاء ـ وكانها فى عملها الادبى البليغ كانت تمثل الامتداد الفنى والبلاغى للصحابى الجليل حسان بن ثابت الانصارى المتوفى عام ٥٤هـ رضى الله عنه ومَنْ من الادباء لا يطرب لقصائد حسان شاعر رسول الله «ﷺ» فلا غرابة ان تطرب الضمائر الاسلامية بالروائع التى دبجها الشعراء بعد حسان قدوة الناظمين وسيد المادحين.

نعم لا يتسع المقال لسرد اسماء الشعراء الذين طرقوا هذا الموضوع الشريف وحسبهم شرفا ان دخلوا فى زمرة شعراء الامجاد النبوية سيرة وشمائلا ومدحا.. وان عاشوا فى عصور متأخرة عن عهد النبوة فان الايمان الذى اضاء عقولهم ونور قلوبهم واطلق السنتهم واقلامهم بالابداع والسحر الحلال هو صلة الوصل وحبل الله المتين الذى يربط مشاعر المؤمنين المتأخرين منهم بالسابقين الاولين.. وحسبنا ان نشير الى بعضهم ممن له علاقة بموضوعنا اشارة مثال لا اشارة حصر.

● فممن نظم السيرة النبوية الفتح بن موسى الجزيرى القصرى المتوفى سنة ٦٦٣ نظم سيرة ابن هشام فى نحو ثمانية آلاف ومائة بيت فى جزء سماه «الوصول الى الرسول»(١٢).. ومحمد بن ابراهيم بن الشهيد المتوفى سنة ٧٩٣ نظم سيرة ابن سيد الناس وسمى منظومته «الفتح القريب فى سيرة الحبيب»(١٣).. وحمدون بن عبد الرحمن ابن الحاج الفاسى المتوفى عام ١٢٣٢ نظم قصيدة ميمية فى السيرة النبوية اشتملت على اربعة آلاف بيت وشرحها فى خمسة اسفار(١٤) وعادة شرح الانتاج ظاهرة بارزة عند كثير من العلماء والادباء الاقدمين.

ومن المادحين: شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى المتوفى سنة ٦٩٦ مدح النبى «ﷺ» وأثنى على سيرته وشمائله فى قصيدتين طويلتين لامعتين احداهما ميمية عرفت بالبردة والثانية همزية وبالهمزية عرفت ولهما صيت بعيد وشروح كثيرة.. وعبد الرحمن بن على المكودى الفاسى المتوفى سنة ٨٠٧ صاحب «المقصورة فى مدح النبى «ﷺ» فى ثلاثمائة بيت»(١٥).. ومنهم من مدح الملابس النبوية.. كأبى العباس احمد بن محمد المقرى التلمسانى المتوفى عام ١٠٤١ الذى مدح العمامة النبوية فى ثلاثمائة وعشرين بيتا وسماها «ازهار الكمامة فى شرف العمامة» كما مدح النعال الشريفة فى ارجوزة سماها «فتح المتعال فى مدح النعال»(١٦) وذلك من الامور الطريفة فى الموضوع.

«إن الحمدَ لله أحمدُهُ وأستعينُه نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. من يهده الله فلا مُضلَّ ومن يُضْلِلْ فلا هادى له.. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إن أحسنَ الحديث كتابُ الله تبارك وتعالى وقد أفلح من زيَّنه الله فى قلبه وأدخله فى الاسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس.. إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبُّوا ما أحب الله أحبُّوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقسُ عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى قد سمَّاه الله خِيرتَه من الاعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما أوتى الناس الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتّقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابُّوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكث عهده.. والسلام». من خطب الرسول الكريم



ونعود بصفة خاصة الى قصيدتى «البردة» و«الهمزية» اللتين نالتا شهرة واسعة بين قصائد السيرة والامداح النبوية فأنشرهما المنشدون فى المناسبات الخاصة.. واقبل عليهما العلماء والاحباء تقليدا وشرحا.. وترجمة الى اللغات الاجنبية الحية.. كما عارض بعضهم قصيدة الهمزية كأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن زكرى الفاسى المتوفى سنة ١١٤٤ من المتقدمين.. ومن المعاصرين الشاعر المصرى احمد شوقى المتوفى سنة ١٣٥١ ولا غرابة فى ذلك - فالبوصيرى تميز فى اسلوب نظمه بالاصالة والرصانة والطلاوة والاشراق وللبوصيرى زيادة على ما تقدم قصيدة «ذخر المعاد» تشتمل على نحو مئتى بيت استهلها بقوله:

الى متى أنتَ باللذات مشغولُ
وأنتَ عن كلِّ ما قدَّمْتَ مسؤولُ

وهو بهذه القصيدة عارض قصيدة «بانت سعاد» للصحابى الجليل كعب بن زهير المتوفى سنة ٣٤هـ وهى فى مدح رسول الله ﴿ﷺ﴾.. انشدها رضى الله عنه بين يدى النبى ﴿ﷺ﴾ فى المسجد فخلع عليه بردته الشريفة فمازالت فى اهل كعب حتى اشتراها منهم معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه باربعين الف درهم

ممادل

كلما اقبل علينا عام هجرى جديد واشرق علينا هلال محرم ازددنا ايمانًا بمبادئ الهجرة وامتلأنا يقينا بآياتها وعلى هذا المنوال يجب ان يكون شعور العالم الاسلامى قاطبة فلقد مكث النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عامًا يدعو الى الله على بصيرة ويهدى الناس الى الحق فى تؤدة ومهل ويمحو آثار الجاهلية وما خلفته فى العقول من خرافة وما تركته فى القلوب من زيغ وهوى وفى الأعمال من فساد.. وظل النبى الكريم يفك اغلال القرون الأولى ويعلى قدر الانسان والانسانية وتلك هى اهداف الاسلام التى يعمل من أجل تحقيقها وتوجيه الناس اليها.. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أليفا مألوفًا وسهلا واضحًا أبعد فى دعوته الى الاسلام عن التنفير والاغراء كان يطلب من الناس الذي يمكنوه من أن يعرض ما عنده ثم يفكروا فيه.

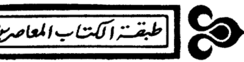
الشيخ
عبدالله سليمان
المطلق

(١٢، ١٣) الاعلام - مجلد ٥ - ص١٣٤، ص٢٩٩ - والجزيرى نسبة الى الجزيرة الخضراء بالاندلس وبها كانت ولادته.

(١٤، ١٥) النبوغ المغربى ج١ - ص٢٩٦، ٢١٠.

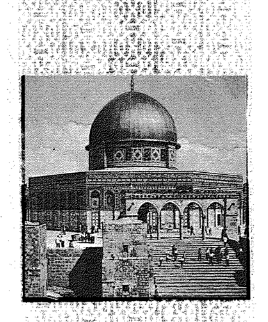
(١٦) الزاوية الدلائية ص١١٢.

وتوارثها الخلفاء الامويون والعباسيون ثم آلت الى الخلفاء العثمانيين . . ولأمر ما سمى البوصيرى قصيدته الميمية بالبردة فانه كان من المع ادباء العصر العثمانى .



طبقة الكتاب المعاصرين

وتناول السيرة النبوية ايضا عدد من الكتاب المعاصرين . . منهم من ابتكر وابتدع . . ومنهم من قلد واتبع على ان الابتكار والابتداع انما هو فى الاسلوب ومنهجية البحث العلمى أما الحقائق التاريخية فهى كما هى مستفادة من مصادرها الاصلية المختصة وما ذكر فى مصادر التاريخ الاسلامى من اخبار وآثار(١٧).



فمن هؤلاء المؤلفين المعاصرين : محمد عفيفى الخضرى المتوفى سنة ١٣٤٥ فى كتابه «نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين» . . ويوسف بن اسماعيل النبهانى المتوفى عام ١٣٥٠ صاحب «الانوار المحمدية» و«جواهر البحار فى فضائل النبى المختار» و«المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية» و«وسائل الوصول الى شمائل الرسول» . . ومنهم الشيخ محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤ صاحب «الوحى المحمدى» و«ذكرى المولد النبوى» ومحمد احمد جاد المولى المتوفى سنة ١٣٦٣ صاحب «المثل الكامل» . . والشيخ احمد الرهولى التطوانى المتوفى عام ١٣٧٣ فى مختصره المسمى «تحفة الاخوان بمختصر سيرة سيد الاكوان» . . والدكتور محمد حسين هيكل المتوفى عام ١٣٧٦ صاحب «فى منزل الوحى» و«حياة محمد ﴿ﷺ﴾» . . وكذلك الدكتور حسن ابراهيم حسن المتوفى سنة ١٣٨٨ فى الجزء الاول من تاريخه الشامل المسمى «تاريخ الاسلام السياسى» . . وعبد السلام هارون فى كتابه «تهذيب سيرة ابن هشام» . . والدكتور محمد سعيد رمضان البوطى صاحب كتاب «فقه السيرة» . . وغير هؤلاء كثير.

وتجدر الاشارة الى ان بعض المستشرقين الغربيين بما لهم من اطلاع على الثقافة الاسلامية كتبوا فى السيرة النبوية وعبروا عن آرائهم الخاصة سواء كانت متفقة مع الفكر الاسلامى او مخالفة له . فما كان متفقا منها مع الفكر الاسلامى قبلناه كرأى حر وبحث علمى وما كان منها مخالفا للفكر الاسلامى رفضناه كخطأ وانحراف عن الحق . . لاننا كمسلمين اولا وكعرب

ثانيا اعرف بالحق فى هذا المجال من غيرنا . . وليس ذلك تعصبا منا وان كان التعصب للحق فضيلة ولكن الابحاث المصنوعة لخدمة اهداف صليبية محضة ليست مقبولة عندنا لان الفكر الاسلامى قام من اول يوم على الحق والعدل والمنطق ولذلك يجب التحفظ فيما كتبه المستشرقون ولا يجوز الاعتماد عليهم فيما كتبوه حول السيرة او الدراسات الاسلامية بصفة عامة لان كتاباتهم فى الشؤون الاسلامية اتسمت فى اغلبها بالتحريف والتضليل والتحيز للفكر الصليبى المتطرف . . نعم يجوز الاطلاع على ما كتبوا لمعرفة اتجاهاتهم فى معالجة الشؤون الاسلامية من جهة وللرد على مزاعمهم من جهة اخرى ان اقتضى الحال ذلك وكما تصدى الدكتور هيكل فى كتابه «حياة محمد» لمناقشة آراء بعضهم وبيان اخطائهم وانحرافهم وتهافتهم بكل موضوعية ورصانة «والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم».



● ان أرضنا هذه كانت مصدر الوحى والالهام ومهد الفخر والاعتزاز والهدى والرشاد . . فقد اختار الله من ابنائها نبيه ورسوله سيدنا محمدا سيد ولد آدم ليصدع بدعوة الحق ويجهر بنور اليقين ليبلغ الدنيا رسالته ويهز عروش الظلم والظالمين ويدك حصون الطغاة والطاغين . . فتصغر أمامه عظمة عرش كسرى وقيصر ويؤتى ملكها فالملك لله يورثه من يشاء من عباده المؤمنين . . ولقد صدقهم الله وعده وحقق بهم دعوته . . فكان من هؤلاء الرجال هداة مهتدون قادة الدنيا الذين علموها كيف تكون الحرية وكيف تكون العزة وكيف تكون الغلبة والمنعة . . واستطاعوا ان يخرجوا الانسان من عبادة العباد والأوثان إلى عبادة الحق الديان . . وعلموه كيف ينبذ الظلم ويرعى الحق . . وعلموه كيف يتفكر فى ملك السموات والأرض: ﴿ربَّنا ما خلقتَ هذا باطلاً سُبْحَانَك فَقِنَا عذابَ النارِ﴾ . . وعلموه كيف يميز بين الخبيث والطيب وبين الحق والظلم والجبت والايمان.



أ. عبد الوهاب عبد الواسع



« عن ابي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان الله ختم سورة البقرة بآيتين اعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم فانهما صلاة وقرآن ودعاء ».

(١٧) من هذه المصادر: «تاريخ الأمم والملوك» لأبي جعفر الطبري و«مروج الذهب» لأبي الحسن المسعودي و«الكامل» لأبي الحسن بن الأثير و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء و«البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير وقد ذكرناها حسب تقدم كل منهم في الزمن وأيضا على سبيل المثال لا الحصر.



لاحظنا من خلال التصفح والاستقراء والتتبع أن استشهاد الامام عبد القاهر الجرجانى بحديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ لم يلق حظه الأكبر ونصيبه الأوفر إلا فى كتاب «أسرار البلاغة» وكان إيراده للحديث الشريف على نحو يثبت بلاغة الفن البيانى للمعنى الذى يسوقه والحقيقة التى يشرحها ومن هنا كانت نظرته إلى الحديث الشريف نظرة جزئية ولم تكن عامة شاملة مما جعلها لا تخرج غير المعنى الذى يريده ولا تخلق غير الشيء الذى يهدف إليه ولا تتغلغل فى غير الغرض الذى سيقت من أجله مع أن فى كلامه صلى الله عليه وسلم حينما يقرأ بالروح معانى متى أفضى إليها وخلص إلى سرها تجلت إشراقات الحقيقة وتفجرت ينابيع الحكمة واعتدل ميزان الحياة وظهر الكمال الذى به يقر قرار الانسانية.

وكأنى بالامام عبد القاهر وقد انحبس داخل إطار الفكرة التى يريد جلاءها فكمالها المحض فى نظره أن يأتى لها بالشاهد ثم ينتقل منها إلى غيرها وهكذا سواء أكان هذا الشاهد من كلام العرب أو من الحديث الشريف أو من القرآن الكريم.

ومن هنا كذلك جاءت الأحاديث الشريفة منبثة فى تضاعيف «أسرار البلاغة» لأنها مقتضى المعنى ومتطلب السياق.

● *وعلى كل حال فإن إيراد الحديث لمعنى بيانى جزئى فيه لا يغض من شأنه ولا ينقص من قدره لأن انتزاعه منه لا يمسخه وإنما يتحقق به موضع ويفصل به مجمل ويشرح به غامض.. بيد أننا نقول: إن التعلق بالأكمل والأجمل لا يبقى الشيء على شيئيته وإنما يزيد معناه ضوءاً وأسلوبه دلالة ودرجته امتيازا وعلوا وبخاصة فيما يصدر عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ لأنه متصل بالمصدر الأزلى ذاته فى كل ما أُثر عنه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.*

● *ومجموع الاحاديث الشريفة فى «أسرار البلاغة» لا يزيد عن نيف وعشرين حديثا فى حين أنها فى «دلائل الاعجاز» لا تزيد عن بضعة أحاديث وردت فى موضعين:*

الموضع الأول: *فى فصل «الكلام على من زهد فى رواية الشعر وحفظه وذم الاشتغال بعلمه وتتبعه»*(1).

الموضع الثانى: *وهو يشرح ضروب الاثبات والنفى.. فقد أورد حديث ذى اليدين حين قال للنبى ﴿ﷺ﴾ أقصرت الصلاة أم نسيت*

يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم «كل ذلك لم يكن» فقال ذو اليدين: (بعض ذلك قد كان)(٢).

● ولا شك أن المعنى فى حديثه صلى الله عليه وسلم على نفى الامرين جميعا وعلى أنه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان يدل على ذلك أمران:

(١) توجه النفى الى المعنى الكلى الشمولى المبدوء به الكلام.

(٢) رد ذى اليدين على الرسول الامين لأنه لما علم من سياق حديثه صلى الله عليه وسلم أنه يقصد نفى الأمرين معا قال: «بعض ذلك قد كان».

● ولم يكن هذا الذى لاحظناه على الامام عبد القاهر من قلة استشهاده بالحديث الشريف فى «دلائل الاعجاز» وكثرة الاستشهاد فى «أسرار البلاغة» بجديد علينا ولا بمستغرب لنا لأن منهج «دلائل الاعجاز» الذى يكشف عن خصائص الأسلوب ووجوهه والفروق البيانية بين هذه الوجوه وتفصيل الكلام فى ذلك من غير سرف فى المقدار ولا خطأ فى القياس يختلف تمام الاختلاف عن منهج «أسرار البلاغة» الذى يبحث فى الصورة البيانية المفردة داخل الصورة الأدبية الكلية.. ومدى سموها أو انحطاطها.. ووثاقة تركيبها البيانى والخيالى أو ضعفها.. وتهالكها بسبب العبث البديعى وهكذا.



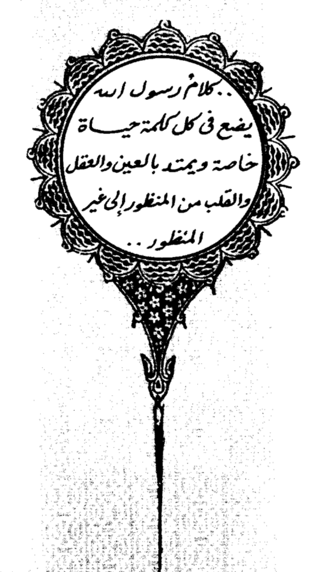
ولأن كلام عبد القاهر فى مقدمة «دلائل الاعجاز» يرشدنا الى الخط الفكرى الذى التزم به من حيث اختيار نصوص الاستشهاد من الشعر الذى هو ديوان العرب وسجل الأدب قال: (٣) (وذاك أنّا إذا كنا نعلم أن الجهة

الدكتور
محمد محمود لبدة
الكلية المتوسطة
المدينة المنورة

(١، ٢، ٣) دلائل الاعجاز ص ١٢، ١٥٣، ١٩

التى منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت هى أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر . . ومنتهيا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر وكان محالا أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذى هو ديوان العرب وعنوان الأدب والذى لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا فى الفصاحة والبيـان وتنـازعوا فيها قصب الرهان . . ثم بحث عن العلل التى بها كان التباين فى الفضل . . وزاد بعض الشعر على بعض . . كان الصادّ عن ذلك صادا عن أن نعـرف حجـة الله تعـالى وكان مثله مثل من يتصدى للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى ويقوموا به ويتلوه ويقرؤه . . أما كلامه فى مقدمة «أسرار البلاغة» فكان منصباً على البيان الذى [به أبان الله تعالى الانسان من سائر الحيوان . . ونبه فيه على عظم الامتنان فقال عز من قائل : ﴿الرحمنُ علَّمَ القرآنَ خَلَقَ الانسانَ علَّمه البيان﴾ . . فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه . . ولا صح من العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه . . ولتعطلت قوى الخواطر والأفكار من معانيها . . واستوت القضية فى موجودها وفانيها](٤).

وليس هناك بعد كلام الله تعالى كلام يعجز عن اللحاق به كل بلغاء الدنيا سوى كلامه صلى الله عليه وسلم (إنما هو كلام قيل لتصير به المعـانى إلى حقـائقهـا فهو من لسان وراءه قلب وراءه نور وراءه الله جل جلالـه)(٥) . . وقد امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بالحكمة فقال : ﴿وأنزلَ الله عليكَ الكتابَ والحكمةَ وعلَّمَك ما لم تَكُنْ تعلم وكان فَضْلُ الله عليك عظيما﴾ ليبين أنه صلى الله عليه وسلم فى كل ما يصدر عنه موجه بأمر ربه ووحيه ﴿وما ينطِقُ عن الهوى إنْ هو إلا وَحْيٌ يُوحَى علَّمَهُ شديدُ القوى﴾ .



● فمن الأحـاديث النبـويـة التى استشهد بها عبد القاهر للتجنيس والسجع قول النبى ﴿ﷺ﴾ «الظلم ظلمات يوم القيامة» وقوله صلوات الله عليه «لا تزال أمتى بخير مالم تر الغنى مغنما والصدقة مغرما» وقوله : «يـا أيها الناس أفشوا السلامَ وأطعموا الطعامَ وَصِلُوا الأرحامَ وصَلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»(٦) .

● أورد الامام عبد القاهر الأحاديث سالفة الذكر ضمن مجموعة من الأبيات الشعرية وأخرى من أقوال القدماء ثم عقب بقوله (فأنت لا تجد فى جميع ما ذكرت لفظا اجتلب من أجل السجع وترك له ما هو أحق بالمعنى منه وأبر به وأهدى إلى مذهبه)(٧).

وكم تمنيت لو أن عبد القاهر جعل لحديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ منزلة خاصة من البيان ومذاقا خاصا من حيث الفهم والتصور وجلال الابداع الأدبى لأن كلامه صلى الله عليه وسلم لا يدل فقط على معنى وإنما يصحح معنى.. ويضع فى كل كلمة حياة خاصة من البيان والتوضيح.. ويمتد بالعين والعقل والقلب من المنظور إلى غير المنظور.

وهبه مشتركا مع بعض ما قاله الحكماء والشعراء فى مطلق صفة معينة كالتجنيس والسجع فإن هذا الاشتراك لا يجعله فى منزلة مساوية لأن غاية ما يهدف إليه صلى الله عليه وسلم فى كلامه يختلف تمام الاختلاف عما يهدف إليه كلام البشر مهما بلغوا فى السموّ وارتقوا فى درجات الكمال.

فقوله ﴿ﷺ﴾ «الظُلمُ ظُلُماتٌ يوم القيامة» كلمات فيها معانى أهلها.. وفيها مثل المادة المشتعلة التى تتضرم نارا وتستطير حريقا.. وفيها مثل الماء الذى يقع على النار فيطفئها ويخمدها.

فمن أراد أن يتعلق بالظاهر من الشهوات والملذات.. وحصر نفسه داخل رغبتها وأحلامها.. وانحط بآدميته إلى درك وضيع من الحيوانية السافلة فإنه يستمرىء ظلم الناس حتى يصير من جند الشيطان الذين يتوقح بهم على الله عزّ وجل ويواقع الاثم والمعصية حتى يقضى نهمته ثم يختلط قبح أعماله بمادته الترابية فينقلب حمأة منتنة قد لبست صورة أعمالها ورجس أفعالها.

وكلام النبى ﴿ﷺ﴾ فى هذا المعنى إنما هو كلام النبوة الصادقة للحياة كلها حتى تقوم الساعة «الظلم ظلمات يوم القيامة».

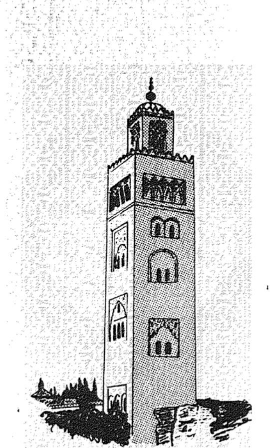
والجناس فى الحديث الشريف يعنى أن الجزاء من جنس العمل.. وأن المادة تدور حول معنى واحد مهما كثرت اشتقاقاتها وتنوعت أساليبها.



(٤، ٦، ٧) أسرار البلاغة ص ٩،١
(٥) وحى القلم ج٣ ص٩

وأنه لما كان التعبير بالظلم وهو مصدر يدل على المعنى مجردا من أى زمن وهو كذلك فى الحديث الشريف المسند إليه والمخبر عنه جعل النبى ﴿ﷺ﴾ الخبر بلفظ الجمع حتى يتكافأ المعنى فقال «الظلم ظلمات ولم يقل «الظلم ظلمة» فجعلها ظلمات بعضها فوق بعض فى يوم يحتاج فيه الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم وكما أن الظالم لم يَرْعَوِ عن ظلمه.. ووضع كل شىء غير موضعه.. ولم يرع لأحد حرمة.. ولا لانسان إلاً ولا ذمة.. فقد كان الجزاء وفاقا حين جعله النبى ﴿ﷺ﴾ يتجرع كؤوس أعماله حسرات ﴿ومَنْ لم يجعل الله لهُ نوراً فمالَه مِن نورٍ﴾.

● ينضاف الى ما سبق أن «الظلمات» التى يعنيها النبى صلى الله عليه وسلم ظلمات معنوية تحول بينهم وبين رضى الله سبحانه وتعالى.. وتجمع بينهم وبين قرناء السوء فى نار جهنم.. وتباعد بينهم وبين سرادق الرحمة الإلَهية.. وتقرب بينهم وبين الشياطين الذين كانوا فيهم مثل التيار الجارف المتمرد لا يمد مده إلا على جريمة ولا ينبه إلا إلى شر.



وقد كان التنكير لكلمة «ظلمات» هو الدليل على هذا المعنى فى هذه الكلمة النبوية التى تذهب السوانح العقلية فى فهمها كل مذهب.

ولو أنه ﴿ﷺ﴾ قال: «**الظلم الظلمات يوم القيامة**» لكان هذا دليلا على الظلمات الحسية التى نعرفها.. ولفقد الكلام كل معنى من معانى الابداع.. ولتبددت الحقيقة التى يراد بيانها.. وهى بيان ظلمات الأعمال لا ظلمات الكون.. **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾**.. وقد ذكر صاحب الصناعتين أن أبا تمام أخذ التجنيس فى الحديث الشريف فوضعه فى بيت من الشعر فقال فى قصيدة يمدح بها المعتصم بالله.

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة
أضاء لها من كوكب العدل آفله(٨)

● *والتجنيس فى الحديث الشريف وفى بيت أبى تمام من النوع الذى تكون الكلمة فيه تجانس الأخرى لفظا واشتقاق معنى وفيه يقول عبد القاهر: (أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى*

بعيدا ويقول: (وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هوالذى طلبه واستدعاه وساقه نحوه وحتى تجده لا تبتغى به بدلا ولا تجد عنه حِوَلا ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم الى اجتلابه وتأهب لطلبه أو ما هو لحسن ملاءمته ـ وإن كان مطلوبا ـ بهذه المنزلة وفى هذه الصورة(٩) .

ونظرة عبد القاهر التى عرضنا جانباً منها فى مسألة التجنيس تدل أصدق دلالة على أنه لم يكن ينظر الى التجنيس وما شاكله من المحسنات البديعية على أنها قشور مزيفة وطلاء باهتة لا تدخل فى صميم العمل الأدبى . . إنما كان ينظر إليها على أنها أساس لا يستغنى عنه . . ولا يبتغى البيانى به بدلا . . ولا يجد عنه حولا . . وأنها الحقيقة التى تكشف عن خراب الصورة الأدبية إذا خرب المعنى منها .

أما قوله (ﷺ) «لا تزال أمتى بخير ما لم تر الغنى مغنما والصدقة مغرما» فهو من ضرب التجنيس الذى لا تتفق صورته اتفاقا تاما وإنما تعاد فيه الكلمة مبدلاً من بعض حروفها غيره أو محذوفا منها(١٠) .

وهو كذلك من السجع الذى يكون فيه الجزآن متوازنين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه(١١) .

والحديث الشريف إذا نظرنا إلى ألفاظه ومعانيه وما يرمز إليه وما يشتمل عليه من دقائق الفن وجمال الابداع خير ما يشرح الطبيعة الانسانية وأقوى مفسر ومصحح للحياة الانسانية حين تنخلع من طبيعتها الأرضية وتعيش موجهة بهدى السماء فالأمانة والمحافظة عليها وأداؤها كاملة غير منقوصة دليل الكمال فى النفس والطهارة فى الطبع والقلب .

والزكاة وإيتاؤها مستوفاة عن سماحة نفس ورحابة صدر آخر ما انتهت إليه فلسفة الأخلاق لأنها تطهر النفس من طبيعة الشح ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هُمُ المفلحونَ﴾ وتطهر المجتمع من أدران الحقد وأسباب الفساد والضغن وتحل مشكلة الشر والجريمة فى المجتمع الانسانى لأن الله فرض الزكاة بالقدر الذى لو أوتى كاملا لما وجد بين



«لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله»

صدق رسول الله .

(٨) راجع الصناعتين: ص٣٥٥ وديوان أبى تمام ج٣ ص٢٦ .

(٩) أسرار البلاغة: ص٤،٧ .

(١٠) راجع أسرار البلاغة ص١٤ والصناعتين ص٣٦٣

(١١) الصناعتين: ص٢٨٧

المسلمين جائع ولا محروم ولا عارٍ ولا محتاج.

● *ومن دقائق الابداع فى فن الحديث الشريف أن النبى ﴿ﷺ﴾ لم يقل «لا تزال أمتى بخير ما أدت الأمانة وآتت الزكاة» لأن أداء الأمانة وإيتاء الزكاة مأمور بهما فى القرآن الكريم ﴿إنَّ الله يأمُرُكم أنْ تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أهْلِها﴾ . . ﴿وأقِيمُوا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة﴾.*

فالنبى ﴿ﷺ﴾ لا يريد أن يكرر المعنى القرآنى بالأداء والايتاء وإنما يهدف الى شىء آخر: هو استلال طبيعة الاستشراف فى النفس البشرية والقضاء عليه. . لأنها قد تؤدى الأمانة وهى مستشرفة ومتشوفة إلى أكلها. . وقد تؤتى الزكاة وهى متضررة ساخطة لأن المال شقيق الروح واللذة فى حيازته والحسرة فى نزعته فأراد النبى ﴿ﷺ﴾ أن يضع مقياسا ومؤشرا تنضبط بهما فضيلة الخير وجودا وعدما لأن المسألة ليست أداء وإيتاء وإنما هى فى مدى الرؤية النفسية. . وهذه الرؤية درجات بعضها أسمى من بعض فى الشأن والمنزلة وبعضها أخس فأدنى هذه الدرجات وأخسها منزلة من تعد الأمانة سببا للغنم والزكاة سببا للغرم وهذه الدرجة إذا تأصلت بهذا المفهوم تجر إلى شىء آخر هو أكل الأمانة ومنع الزكاة وحينئذ يحيق الشر ويكثر الفساد ويقل الخير. . وتتفشى المزاعم الفاسدة بأن لذة الانسان فيما يناله حتى لو حرم غيره وفيما يقنعه من منطقة حتى لو خالف الشرع وفيما يلوح من خياله حتى لو هدم الفضائل والحقائق كلها.



ومن هنا نستطيع أن نقف على فن بلاغته صلى الله عليه وسلم فى التعبير فلم يقل «مالم تأكل الأمانة وتمنع الزكاة» وإنما قال: «مالم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرما» وكأنه صلى الله عليه وسلم بهذا البيان الرفيع يقطع الشىء من دابره ويمحقه من أصله وسببه حتى لا يجر الى نتائج ومسببات لا يتوقف نزيفها ولا ينكأ جرحها فجاء بالسبب وأراد المسبب عنه وهو أكل الامانة ومنع الزكاة.

● **وأما أسمى هذه الدرجات وهو مقياس وجود الخير واستمراره فهو منطوق الحديث الشريف حين تعمى النفس وتبعد كل البعد عن الرذائل الخسيسة وتتفتح وتقرب كل القرب من الفضائل السامية فترى فى الأمانة عهدا يجب**

مراعاته ﴿والذينَ هُم لأماناتهم وعَهْدِهِم رَاعُونَ﴾ . . وترى فى الزكاة لذة لاتعدلها لذَة لأنها الشكر الفعلى لنعمة المنعم . . ولأن مظهر كمالها ومنفعتها فى إيتائها حتى تزيد ﴿لَئِنْ شكَرْتُم لأزِيدَنَّكُم﴾ ولأن السعادة بالعطاء تبلغ فى طبيعة القلب الكريم أكثر ما تبلغه فرحة الأخذ بأخذه . . واليد العليا المعطية . . خير من اليد السفلى الآخذة .

وكلمة «الصدقة» فى الحديث الشريف مقصود بها الزكاة المفروضة لقوله تعالى : ﴿خُذْ مِن أموالِهم صدقة تُطهِّرهُم وتزكِّيهُم بِهَا﴾ وإنما عبر صلى الله عليه وسلم بالصدقة لأنها أعم وأشمل فهى تشمل الزكاة المفروضة وما يخرجه المسلم تطوعا من غير منٍّ ولا أذى .

ولأنها تكون بكلا معنييها الفرض والتطوع حين ترق القلوب وينتفى خشوع المادة . . ويدرك المؤمن حقيقة المال وحقيقة وجوده . . وأنه بذاته وبما يملكه اللحظة الراهنة التى يعيشها أى الأن قبل ألا يكون آن ولا زمان . . وتكون بأدنى معنييها حين يكون الخشوع للمادة . . وتقسو القلوب وتفرغ من كل معانى الرحمة . . وتتسلط معانى الأثرة

ومادا

لابد للعرب من عقيدة يحاربون فى ضوئها وبدافع منها ، عدوهم اللدود ، كما يحاربهم هو بعقيدته الباطلة ، بينما يتمتعون هم بعقيدة صحيحة ، عقيدة الاسلام ، دين الرحمة والسلام ، كما هو دين العزة والوحدة والقوة . وقد وصف الله عز وجل سلفنا الذين انتصروا - على قلتهم - فى حروبهم مع اعدائهم الأكثر عدداً وعدة ، لأنهم كانوا يحاربون فى سبيل عقيدتهم ، ويسالمون ايضا من يسالمهم من أجل عقيدتهم يصفهم تبارك وتعالى بأنهم « اذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين » وبأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم

أ. أحمد جمال

كلمات

● لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . . ارسل الى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب . . فقال لهما : أشيرا علىّ . . فقال سالم : اجعل الناس أبا وأخا وابنا . . فبِرِ أباك . . واحفظْ أخاك . . وارحمْ ابنك . .

وقال محمد بن كعب : أحبِبْ للناس ما تحب لنفسك . . واكره لهم ما تكره لنفسك .

وحب الذات والمطامع الفاسدة. . فحينئذ يكبر فى عينها أدنى ما تخرج - وتعظم الدينار والدرهم - ويستولى عليها كلب المادة وسعارها - ولا يزال هذا دأبها حتى يحين حينها فتموت فى سخط الله وتبعث فى عذابه وعقابه لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً .

وكلمة «الصدقة» بهذا المعنى الذى أسلفنا. . فيها البسط والقبض. . وفيها الخير والشر. . وفيها العدل والجود. . فهى تنبسط بالمعنى فى حين وتنقبض به فى حين آخر - وكأنها قصبة الزئبق (الترمومتر) يهتز لأدنى درجات الحرارة ارتفاعا وانخفاضا .

وأما قوله ﴿ﷺ﴾ «يا أيها الناس : افشوا السلام وأطعموا الطعام وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» . . فهو من السجع لأن الفواصل متعادلة والسجع من لوازم الأسلوب فى اللغة العربية لا ينفك عنه لأنه يحفظ له روحه الذى عاش عليه وفنه الذى خلد به وله مواضع لا يطلب إلا لها ولا يحسن إلا فيها(١٢) ، فإذا خلت منه سقطت وعجزت عن إفراغ معانيها إفراغا كاملا وكان هذا أمارة على ضعف الأديب ونقص ملكاته وعدم قدرته على استبطان الأسرار وسبر الأغوار لأنه أنقص الكلام أخص خصائصه الفنية التى بها يتم التلاؤم بين أجزاء الفِقَر وفواصلها وبخس نفسه أثمن مالها من الجرى على مقتضى الطبع السليم جمال وصف وحسن إيقاع .

ومن أجل هذا نجده فى القرآن الكريم وفى كلام رسول الله ﴿ﷺ﴾ وفى كلام الفصحاء الأنبياء بريئا من التكلف خاليا من التعسف مطلوبا للمعنى غير طالب هو له. . له درجته فى التأثير وسحره فى عملية الابداع وإذا كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قد ذم السجع وكرهه وعابه فإنه لم يعب السجع لذاته وإنما عاب نوعا معينا منه وهو سجع الكهان فقال : «أسجعا كسجع الكهان» للرجل الذى قال له : (أندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل(١٣) .

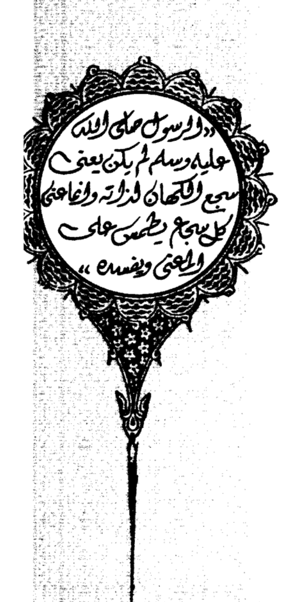
فشبه النبى صلى الله عليه وسلم سجع هذا الرجل بسجع الكهان مما يدل على أنه ﴿ﷺ﴾ لم يكن يعنى سجع الكهان لذاته وإنما عنى كل سجع يطمس على المعنى ويفسده ويكون صاحبه (كمن ثقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها(١٤) .

فهو دائما فى روح العناء والكدح والنزع يدع المعانى لنصرة السجع وطلب الوزن حتى تصير أولاد علات لا أخوات شقيقات.

● وإنما أوقع التشبيه على سجع الكهان لأنهم يسلمون أنفسهم إلى التصنع الذى هو ضرب من الخداع بالتزويق.. وتنميق الألفاظ على المعانى التافهة.. وترصيع الأسجاع فى الكلام الغث حتى تقع النقيصة فى الصورة من كثرة الوشم والنقش.. فانسحب الحكم على كل كلام يجرى هذا المجرى من حيث التعويل على المبالغة الممقوتة والاستسلام إلى التكلف فى الكلمة والصورة والنغمة حتى يصير نشاذا فى نشاذ.

● وليس من شك أن رؤية الأسماء والشيات والصفات للأشياء دون حقائقها ومعانيها رؤية قاصرة ومن رزقها فقط فقد حرم خيرا كثيرا.

والثابت أن النبى ﴿ﷺ﴾ كان يحتفى بالسجع فى كلامه من غير استكراه أو تنافر أو تعقيد.





■ جزء من رسالة النبى – عليه السلام – إلى هرقل؛ ملك الروم ■

● وحديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ الذى معنا والذى استشهد به عبد القاهر للسجع الذى تسلم مقادته للمعنى لأنه هو الذى طلبه واستدعاه - اشتمل على جماع الخير كله فى جمل قصيرة من البيان المشرق النضر الذى يجمع بين الحسنيين: طريقة التعبير الفنية من حيث بلاغة الأداء وجمال النظم وروعة الأسلوب وكمال النفس التى أشرقت بمثل هذه المعانى الملهمة والحقائق البليغة وماذاك إلا لأنه صلى الله عليه وسلم تعبير إلهى ينطق بشرع الله سبحانه.

(١٢) راجع دفاع عن البلاغة لأحمد حسن الزيات ص١١٣، ١١٥.
(١٣، ١٥) الصناعتين: ص٢٨٦.
(١٤، ١٦، ١٧) أسرار البلاغة: ص٩، ص٥١، ص٥٢.

ويا ما أحكم وأجمل وأبدع كلامه ﴿ﷺ﴾ حين جعل الجنة مهرا لهذه الفضائل الخلقية والآداب النفسية التى تفرض على المسلم أن يكون القوة لا الضعف والعزيمة لا الخور واليقين لا الشك والحق لا الباطل والكرم لا البخل والسماحة لا الضغن والحقد.

وحين ختم كلامه بما بدأه به فقال: «تدخلوا الجنة بسلام» ليكون فى مقابل «افشوا السلام».

وحين جمع الى جمال المعانى الانسانية المأمور بها.. جمال السجع فى فواصلها فأكسبها ذلك معنى الثبات والتوازن.. وأعطاها قوة النجح فى المقصد والدخول إلى القلب.. وإخراج النفس البشرية من طبيعتها إلى الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

ومن الأحاديث الشريفة التى استشهد بها عبد القاهر لوجه الشبه العقلى قول النبى صلى الله عليه وسلم «إياكم وخضراء الدِّمَن قيل: وماذاك؟ قال: «المرأة الحسناء فى المنبت السوء»(١٦).

● قال عبد القاهر: (الشبه مأخوذ للمرأة من النبات كما لا يخفى وكلاهما جسم إلا أنه لم يقصد بالتشبه لون النبات ولا خضرته ولا طعمه ولا رائحته ولا شكله ولا صورته ولا ما شاكل ذلك.. بل القصد شبه عقلى بين المرأة الحسناء فى المنبت السوء وبين تلك النبتة على الدمنة وهو حسن الظاهر فى رأى العين مع فساد الباطن وطيب الفرع مع خبث الأصل(١٧).

● هذا ما قاله شيخ البلاغيين عبد القاهر وهو أقصى ما كان يمكن أن يتناوله فى مقام الاستشهاد على شىء معين.

● والحديث الشريف بعد ممتلىء بآيات الفن البيانى الرائع والتصوير الفنى الصادق وعجائب المعانى التى لا تنقضى.

وسوف يظل يعمل عمله ويؤدى رسالته ويسلط أشعته فى كل زمان ومكان.. وسوف يقع الاحساس بمعانيه والتأثر والامتثال لكل ما جاء فيه ما دامت الحياة والأحياء.. لأنه ينبه

إلى حقيقة طالما غطت عليها شهوات النفس وأحلامها ويكشف عن عاقبة لا تستبين إلا بعد امتحان شديد عسر فيها ويرشد بمفهومه إلى المعانى التى ينبغى للرجل أن ينشدها فى المرأة حين يتعلق بها ويفكر فى ربط حياته بحياتها.

وأكاد أجزم بأنه ما من مسلم يسمع هذا الوصف الذى وصف به رسول الله «ﷺ» المرأة الحسناء فى المنبت السوء إلا تمثل أمام عينيه معنى العفاف وقد تدنس.. ومعنى الحياء وقد تنجس.. ومعنى الجمال وقد توقح وتبذل. وهكذا.

■■ لا جرم أنه يباعد بين نفسه وبين هذه المرأة حتى لا ينكس رأسه للذل.. ولا يرى معنى العار. ولا يقع فى حبائل غريزته المحتبسة وخياله المفتون.

■■ من أجل هذا بدأ النبى «ﷺ» حديثه بأسلوب التحذير «إياكم» ثم عقب بذكر المحذر منه على سبيل التمثيل فقال «وخضراء الدمن» وكان الأصل أن يقول: «إياكم والمرأة الحسناء فى المنبت السوء» ثم يشبهها بعد ذلك فيقول: «فإنها كخضراء الدمن» ولكنه صلى الله عليه وسلم قدم المشبه به ليبين أن المقصود من التشبيه هو بيان العاقبة الخُسْر والنهاية السيئة لمن يتبع نفسه هواها وعينه مرآها وخياله شهوته ولذته للساعة التى يعيشها.

■■ ويبين كذلك أن لذة ساعة وفرح يوم لا يطمسان على حقيقة لها ظاهر يسُرُّ وباطن يضر.. ولا يغطيان على الشر البادى فى ثياب الخير.

■■ وأن من يتهاون فى مثل هذه الأمور ويجرى وراء المتعة والجمال فسوف يقبض فى النهاية على حسرات لا تفرقها ولا تبددها ما طلعت عليه الشمس من كنوز.

وحسبنا من كلام رسول الله «ﷺ» أنه يقرر الحقائق شريعة وعملا وسلوكا ويضع لكل شىء معناه.. ويقوى الشعور الانسانى.. ويقف به على الجمال فى معناه الالهى الخالد وفى منظوره الفكرى الصحيح.



● *قال ابن عباس: ما انتفعت بشىء بعد النبى «ﷺ» انتفاعى بكلمات كتبهن الىّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه.*

● *قال: كتب إلىّ: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن المرء يفرح بإداراك ما لم يكن ليفوته ويغتم بفوت ما لم يكن ليدركه.. فإذا آتاك الله من الدنيا شيئا فلا تكثرنَّ به فرحا وإذا منعك منها فلا تكثرنَّ عليه حزنا وليكن همك لما بعد الموت والسلام».*



الإمام البرعي ورفاعة الطهطاوي ومطولة في مديح الرسول الكريم

لايزال مديح الرسول ﴿ﷺ﴾ - معينا خصبا يغترف منه الشعراء لنظم قصائدهم وبث أشجانهم وطلب الشفاعة والتوسل الى الخالق - جل وعلا - ليغفر لهم ويتوب عليهم وهو أيضا مناسبة ممتازة لطرح الهموم التى يقابلها المسلمون فى حياتهم والبحث عن طريق للنجاة والسلامة والنهوض من العثرات والتقدم فى مضمار اثبات الذات وتحقيق الهوية والوعى بالكيان والوجود.

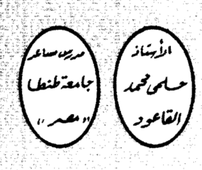
● وتاريخ المدائح طويل وحافل منذ بدأ حسان بن ثابت يقف بقصيده فى صف الدعوة الاسلامية كفاحا وجهادا وفخرا ومباهاة وحتى انضم اليه وسار على خطاه لفيف من شعراء العربية - بل وغير العربية من المسلمين - ويعزفون ذات الأنغام وينشدون نفس الأناشيد كل بأسلوبه وطاقته ومقدرته ورأينا على مدى طويل يبلغ أربعة عشر قرنا من الزمان مشاهير من هؤلاء من أمثال كعب بن زهير. . الكميت . . الفرزدق . . الشريف الرضى . . ابن الفارض . . البوصيرى . . الامام البرعى . . البارودى . . شوقى . . محرم . . باكثير . . أبى ريشة . . وعبده بدوى.

● وقد توقف عدد من المحدثين بالاعجاب والترديد والتخميس عند قصيدة الامام البرعى(١) فى مدح رسولنا الكريم ﴿ﷺ﴾ والتى مطلعها :

خلِّ الغـرامَ لصبٍّ دمْعُـهُ دمُـهُ
حيرانَ توجـده الذكرى وتُعْدمه
فاقنـع له بعـلاقـات عَلِّقْنَ به
لو اطلعتَ عليها كنتَ . . تَرْحَمه
عذلت حين لم تنظـر بنـاظـره
ولا علمت الذى فى الحب يعلمه

● من بين هؤلاء الذين توقفوا عندها رجل معروف له تاريخ وصيت فى نهضتنا الحديثة هو «رفاعة رافع الطهطاوى»(٢) لقد أثرت فيه القصيدة وتأثر بها ثم تفاعل معها لدرجة أن حركت قريحته وجعلته يكثر من ترديدها . . ثم يقوم بتخميسها بصورة تلفت الانتباه الى هذا الاندماج الكامل بين النصين «**المخمِّس والمخمَّس**» أو بين الشاعرين رفاعة والامام البرعى. وقد بدأ «رفاعة» تخميسه لقصيدة «البرعى» بهجوم كاسح على الأدعياء يتوافق

مع تصوره لمعنى الغزل وأسهمت فى هذا التصور ـ فيا يبدو ـ محنته الخاصة التى كان يعيشها آنئذ وهى محنة النفى إلى السودان والبعد عن قصر «المحروسة» مجال سعادته وفخاره وموطن أهله وأقاربه ومقر نبوغه وتفوقه ومركز عمله ونشاطه. يقول رفاعة فى المطلع:



تُبْدى الغرامَ وأهلُ العشق تكتمه
وتـدَّعيـه جدالا من يسلمـه
ما هكـذا الحبُّ يا مَنْ ليس يفهمه
خلِّ الغـرام لصَبٍّ دَمْعُـه دَمُـهُ
حيران توجده الذكرى وتعدمه

دَعْ قلْبَه فى اشتغـالٍ من تقلبه
ولبّه فى اشتغـال من تلهّبـه
واصنـع جميـل فعـال فى تجنبه
واقنـع له بعـلاقـات علقن به
لو اطَّلعت عليه كنتَ ترحمه(٣)

لقد استشعر رفاعة فى منفاه الغربة فى أقسى صورها. والمحنة فى أعمق أشكالها والألم فى أشد حالاته.. فهو غريب يعانى ويتألم وتضنيه الوحدة ويقتله الحنين ويصحبه الأسى وكان لا مفر أمامه من القراءة والتأمل ثم التعبير عن أشجانه بالقصيد أو من خلال ما يكتبه لأهله وذويه ومعارفه وكانت قصيدة الامام «البرعى»(٤) بلسما لجراحه وأوجاعه وللمرء أن يقول أيضا ولعل هذا هو الأقرب.. انها كانت سببا فى نكأ جراحه وأوجاعه فكان لابد له من التعبير عن خوالجه ومشاعره لينتهى به المطاف ـ ومن خلال الأمل فى الله والاستغاثة برسوله ﴿ﷺ﴾ الى حالة من الاطمئنان الروحى والسكينة القلبية وتذهب آلامه وأحزانه الى غير رجعة..

لقد برز «رفاعة» بين قرنائه وعاد من بعثته ليتولى مناصب هامة فى الدولة منها المترجم الأول. ولكنه وهو القريب جدا من قصر الخديوى يفاجأ ذات يوم بعزله عن كل وظيفة ومنصب ثم نفيه الى «السودان» ليكون هنالك (ناظر) مدرسة ابتدائية.

وكانت غربـة.. وكان عذاب

الهوامش

(١) الامام البرعى هو عبد الرحيم بن أحمد بن على البرعى اليمانى من سكان النياتين فى اليمن وتوفى سنة ٨٠٣هـ أفتى ودرس وله شعر أكثره فى المدائح النبوية وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام للزركلى ج٤ ص١١٨).

(٢) رفاعة رافع الطهطاوى (١٢١٦ـ١٢٩٠هـ) ولد فى طهطا بمصر درس فى الأزهر الشريف وعين واعظا واماما لاحدى فرق الجيش المصرى وذهب ضمن البعثة التعليمية الموفدة الى فرنسا فتعلم الفرنسية وعاد الى مصر ليكون كبير المترجمين ورئيسا لمدرسة الألسن التى ألغيت فى عهد عباس ونقل بعدها منفيا الى السودان للاشراف على مدرسة ابتدائية هنالك. وقد ضاق صدره بهذا النفى كما يظهر اثر ذلك فى القصيدة موضوع الدراسة وقد رجع الى مصر فى عهد «سعيد» وعين رئيسا للمدرسة الحربية وكان له نشاط كبير فى ميدان الترجمة والأدب.

(٣) ديوان رفاعة الطهطاوى ـ جمع ودراسة د. طه وادى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٩ـ ص١٣٣ وما بعدها ومناهج الألباب المصرية فى الآداب العصرية لرفاعة ـ ط الرغائب ١٩١٢ـ ص٣٦٩.

(٤) ديوان البرعى ـ ط العلوم الأدبية ـ القاهرة ١٣٤٣هـ ديوان رفاعة الطهطاوى ص١٤٢.

وكان لابد له أن يسلو وقد وجد السلوى مع الامام البرعى وخاصة قصيدته التى تهتف بالرسول ﴿ﷺ﴾ وتشيد به وتذكر محاسنه وصفاته وتتحدث عن مآثره ومكرماته . . وتمدحه فى مواقف الجهاد والسلام . . وتعبر عن الشوق لزيارة الروضة الشريفة والاستغفار من الأوزار وطلب العفو والرحمة . .

يقول البرعى :

كمْ يأملُ الروضةَ الغراءَ ذو شغف
يرجو الزيارةَ والأقدارُ تحرمُهُ
مستعديا بحبيب الزائرين على
دَهْرٍ تنكَّرَ بالاهمال معجمه
فقم بعبدك يا شمس الكمال وكنْ
حماه من كل خطب مرّ مطعمه (٥)

وهكذا يبدو الامام البرعى توأما فى المحنة لرفاعة الذى يعثر على أشجانه وأشواقه فى هذه القصيدة فيقوم بتخميسها ويقف أمامها بعمق وتأمل ويستدرك ما فات البرعى من ايضاح وتدقيق . . انه يسير على نفس الدرب ولكنه يجعل لنفسه صوتا خاصا يتوافق مع صوت «البرعى» الى حيث الغرض والغاية من القصيدة .

وكالعادة تبدأ القصيدة ـ كما سبقت الاشارة ـ بالنسيب . وهو نسيب نظرى فيه العذرية والعفة والتسامى والتورية أيضا .

يقول البرعى :

لو ذقتَ كَأْسَ الهوى العذرىّ ماهَجَعَتْ
عيناك فى جُنْح ليلٍ جنّ مظلمه
إنّى أورى لغيرى حين يسألنى
بذكر زينبَ عن ليلى فأوهمه
وطالما سجعتْ وهنا بذى سلم
ورقاءُ تعجم شكواها فأفهمه
وتنثنى نسمات الغور حاكية
علم الفريق فأدرى ما ترجمه

● انها مطلع موروثة ونسيب مشترك بين معظم الذين مدحوا منذ «بانت سعاد فقلبى اليوم متبول» والتى انشدها «كعب» فى حضرة الرسول ﴿ﷺ﴾ وحتى يومنا ولكن «رفاعة» يلتزم موقفا خاصا - واضح الخصوصية - فيحيل هذا الهوى أو ذاك النسيب الى شىء آخر مصون عن الشبه لا يعرفه الأدعياء . . لقد تحول النسيب لديه الى همة وعزيمة من أجل الأمة وهو حب تظهره العجمة وتوضحه .

يقول «رفاعة» :

فكيف ناقشته فى أصل مذهبه
وما تحريت به تحقيقا لمطلبه
فوالذى صانه عن وصمة الشبه
ما الحب الا لقوم يعرفون به
قد مارسوا الحب حتى هان معظمه
تجيبه ان دعا للوعد أمته
وعزمه بينه سام وهمته
قوم لديهم بيان الحب عجمته
عذابه عندهم عذب وظلمته
نور ومغرمه بالراء مفخمة



● وبعد هذا المطلع المتميز ينقلنا «رفاعة» الى جو النواح ينوح على ما أصابه من فرقة وحرقة وبينٍ وغربة . . وما يستشعره من شوق وأمل ولهفة ورجاء . . فيحكى آلامه فى الغربة وأرقه فى الظلمات . . ودموعه الباكية التى تشبه انهمار المطر . . ومناغاته الحزينة للحمائم الشاكية :

كَمْ فى الهوى والنوى قاسيتُ من ألمٍ
وكم ملأتُ طروسَ العِشْقِ من كلم
وكم سهرتُ سمير النجم فى الظلم
وطالما سجعتْ وهنا بذى سلم
ورقاءُ تعجم شكواها فأفهمه
ما السّحب الا دموع العين باكية
ولا لظى غير أحشائى محاكية
لا شكَّ أنى أناغى الوُرْقَ شاكية
وتنثنى عذب البان حاكية
علم الفريق فأدرى ما تترجه

(٥) يلاحظ أن «البرعى» هنا يسرف فى توسله لدرجة أن يطلب من الرسول ﴿ﷺ﴾ أن يرعاه ويحميه من خطوب الزمان ومثل هذه الأمور لا يقدر عليها الا الله وحده ومخاطبة غيره فيها مسألة غير واردة فى العقيدة الاسلامية وقد ورد التوسل فى أكثر من مكان بالقصيدة .

● يسقط «رفاعة» أشجانه الحقيقية التى تتواءم مع مسيرة «البرعى» فيترجم أحزانه بوضوح ودقة بحيث تظهر براعة «رفاعة فى مزج الأداء التقليدى بهموم غير تقليدية - ان صح التعبير - يقول مثلا: «لا شك أنى أناغى الورق شاكية» فهو يقرر حقيقة يعيشها تذكرنا بمناغاة قديمة لأبى فراس الحمدانى فى «رومياته» خاصة فى قصيدته الشهيرة: «أقول وقد ناحت بقربى حمامة» وحين يستنزل البرعى «الغيث» وفقا للتقليد الموروث فان «رفاعة» يستنزل «الدمع» أسى ولوعة على الفرقة والنوى وحنينا وشوقا لربع الصحاب يقول:

متى بربع صحابى أبلغُ الأملا
فكم سقى ماءُ دمعى السهلَ والجبَلا
وما شفى معهدا من ساكنيه خلا
سقى الجبال فرعن الطور منه الى
شعب المرهات هامى المزن مرهمه

أن «رفاعة» رغم هذا الأسى لا ينسى أن يتفاعل مع «البرعى» فى الوفاء للمطالع التقليدية بل انه يذهب الى حد بعيد حين يستخدم ذات القاموس التقليدى الذى يستخدمه الشعراء الأقدمون عادة فى ذكر الأمطار فها هو يذكر «ملث غيث» و«الويل» و«الهطل» و«الصيب» ومنهمر الأنواء» و«فيض الحيا» و«الرجع».

سلمت غيث يسح الوابل الهطلا
وصيب طيب يستخصب الطللا
أضحى بمنهمر الأنواء منهمرا
وبات يرفض من وادى الخزام على
وادى أرام وما والى يلملمه

● والقارىء للقصيدة «المخمسة» يستشعر ذلك القيد الذى يعطل «رفاعة» عن الحركة والتحليق منفردا.. فهو مرتبط بأبيات «البرعى» لدرجة أنه يحول كل بيت الى فكرة تكاد تكون مستقلة بذاتها وتتكون من أشطر خمسة ويستطيع المرء أن يتوقف عند هذه الفكرة التى يصنع «رفاعة» مقدماتها ويختتمها «البرعى» فنرى قصيدة «مصغرة» شارك الاثنان فى صنعها.. ان «رفاعة» يحاول هنا أن يكون «فاعلا» و«إيجابيا» وليس تابعا وسلبيا ولكنها محاولة صعبة على كل حال.. ومن ثم يلوح لنا بوضوح ميل «المخمسة» الى استقلالية الفكرة التى تدور حول بيت البرعى فإذا قال البرعى مثلا يمدح النبى ﴿ﷺ﴾.



محمد سيد السادات من مضر
خير النبيين محى الدين مكرمه

نرى «رفاعة» يخاطب من يزوره ﴿ﷺ﴾ ويوجب على الزائر أن يلثم الثرى الأخضر الذى يضم رفاته ﴿ﷺ﴾ . . فهناك لقاء حى فى عيش هنىء لأن محمداً ﴿ﷺ﴾ سيد السادات وخير النبيين . .

وهكذا يبنى رفاعة «ثلاث درجات» فى سلم الفكرة ويكمل البرعى - رغما عنه - الدرجتين الرابعة والخامسة :

ويستمر «البرعى» فى مسيرته «المدحية» للنبى ﴿ﷺ﴾ - ساحبا وراءه «رفاعة» الذى يحاول بدوره - كما سبقت الاشارة - أن يجذبه الى الخلف ليكون هو «الفاعل» والمحرك لهذه المطولة الاسلامية فيتوقف «رفاعة» بالبرعى أو البرعى برفاعة عند ساحة الرسول ﴿ﷺ﴾ لمنح التكرمة وطلب الشفاعة . . ومن ثم ينتقل الشاعران إلى أوصافه ﴿ﷺ﴾ صباحة وملاحة وطيب عنصر ونورا مستمدا من نور ذى العرش(٦) ثم الخصوصية بالنبوة مع العلم والحلم والاحسان ويسير الشاعران قدما الى الحديث عن الجهاد وحركة الدعوة ومدها العارم الذى قضى على الفرس والمانوية وأهل الكفر والزيغ . . ويصوران فى إيجاز ملامح الانتصارات الاسلامية ودحر الطغيان والظلم بفضل الاسلام ورجاله .

معادلة

الانسان المسلم مدعو دائماً الى استلهام تاريخه ليرى فيه أن الهجرة كانت فى تاريخ دينه قيمة باقية غيَّر الله بها من حال الى حال .. فبدَّل الخوف الى أمن والقلة الى كثرة والضعف الى قوة والتوقف الى انتشار تفيض به الحياة أمناً وعدلاً والانسان المسلم مدعو أيضاً الى تأمل تجربة الاسلام منذ فجر الدعوة وأن هذه التجربة كانت صموداً فى وجه التحدى وان ممارسة الهجرة كانت مرحلة من مراحل الصمود والبقاء والانتشار والانسان العربى المسلم وهو يودع عاماً من حياته ويستقبل عاماً جديداً تتلاحق عبر أيامه ملامح من تاريخه ومن وقع حاضره وشخوص الأحداث من حوله لابد ان يتوقف لحظة يتأمل كيف كانت قدرة الانسان فى استيعاب دوره فى صموده فى وجه الخطوب والمخاطر .

أ. عبد الله الحصين

كلمات

«ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» .
صدق رسول الله .

(٦) يلاحظ أن فكرة «النور المحمدى» قائمة لدى الشاعرين وهى لدى «البرعى» أوضح وهذه الفكرة ذات صلة واضحة بالبيئات التى شاع فيها التصوف والتشيع أيضا ويعتقد مروجوها أن النبى ﴿ﷺ﴾ موجود منذ بدء الخليقة - قبل آدم - عليه السلام وأنه لولاه ما خلق آدم وأن الكون يستمد منه النور وهى فكرة فيها مغالاة واسراف وأوهام .

ومن المفارقات التى يمكن أن نلاحظها أن الشاعرين يمثلان عصرين متشابهين فالبرعى من شعراء أواخر النهضة الاسلامية فى القرن التاسع الهجرى . . و«رفاعة» من شعراء أوائل النهضة الحديثة فى القرن الثالث عشر الهجرى وهذه المفارقة قد تعطينا دليلا يقودنا الى دروب القصيدة فنيا فنراها تعطى الاحساس الجماعى لجمهرة الأمة الاسلامية وتبرز العاطفة الدينية وصلتها القوية بالرسول ﴿ﷺ﴾ وتبين أن الملجأ فى وقت المحنة وفى كل وقت ـ هو أحضان الدين واستدعاء مسيرته الظافرة منذ جاء به الرسول ﴿ﷺ﴾ وانتصاره على أئمة الكفر . . ولاغرو أن يتخذ الشاعران ـ وهما يعيشان متخلفين أن يتخذا من مدح الرسول ﴿ﷺ﴾ موضوعا شعريا يحتشدان له ويقدمان فيه كل خبراتها الفنية ويستعرضان من خلاله امكاناتها التعبيرية على طريقة عصريها ـ أو قل على طريقة العصور التى تعيش الضعف والقلاقل والتخلف .

واذا كنا قد لاحظنا من خلال اللمحات السريعة الماضية ظهور ذاتية «رفاعة» وخصوصيتها ومحاولته أن يكون «فاعلا» فى تخميسه للقصيدة البرعية فاننا نجد القصيدة فى الحالين وفية أشد الوفاء للقصائد المدحية القديمة مع الفارق أن هذه القصيدة ليست بالطويلة جدا وأنها آثرت أن تأخذ من كل شىء بطرف. فبدأ بالتسيب (وهو أطول الأجزاء نسبيا) ثم ثنت باستنزال الغيث . . والانتقال الى المديح . . والحديث عن صراع الاسلام مع الكفر . . ثم الختام بالتوسل وبث الشكوى وطلب الرحمة والنجاة. ولانعدم من حين لآخر أن يظهر الشاعر فى مواضع متعددة ليؤكد غرضا معينا أو يزيده تفصيلا .



ولا يقتصر الوفاء للأقدمين على تركيب القصيدة وبنائها فحسب ولكنه يمتد الى اللفظة والصورة . . فهناك قاموس السلف يتخلل القصيدة الأصلية والمخمسة ـ من البداية الى النهاية ولعل القارىء يلاحظ ما ذكرناه من استخدام «رفاعة» لألفاظ الغيث كما استخدمها السلف . . وسوف نرى اهتماما باللغة يبين أثره فى استخدام «البرعى» لكلمة المعاجم فى احدى صوره البيانية حين يقول: دهر تنكر بالاهمال معجمه . . وعندما يستخدم حرف الراء ليحقق الجناس الناقص فى قوله: ومغرمه بالراء مغنمه .

● ويهتم الشاعران اهتماما واضحا بالاقتباس من «القرآن الكريم» فنرى بعض الأبيات تتضمن آيات أو اشارات الى سور فيه.. نقرأ مثلا: وسورة الفتح مثل «الحمد سورته وكم دنا وتدلى» ثم واقتربا (من قاب قوسين أو أدنى يكلمه وأن شديد القوى وحياً يعلمه) وحيث كل لديهما ألقوا السلما.. وهانت صفات عظيم القريتين.. بل أهل مكة فى طغيانهم عمهوا.. فاصدع بأمرك يابن الشم من مضر..

● *ثم يبدو احتفال الشاعرين بألوان البديع من جناس وطباق ومقابلة وسجع شديداً لدرجة أنها تتحول الى لعبة رياضية ذهنية تكاد تثقل النص فى بعض الأحيان وهذه بعض الأمثلة توضح شدة الاحتفال فى استخدام المحسنات:*

«تبدى الغرام وأهل العشق تكتمه.. عذولا سعى فى لوم عاذره.. ولا صبوت لسلوان ولا ملل.. قلبى طليق اللقا جسمى مقيده.. أبيض مسود الشعر.. فصل رغائبه وافصل غرائبه.. عصره بفراق الأهل عاصره.. فأمر جدك هذا الجد يحسمه.. الخ.



واذا كانت الصورة ـ بصفة عامة ـ شديدة الوفاء للسلف كما سبقت الاشارة فان هذا لا يمنع من العثور على بعض الصور الجميلة وهى صور تفيض بالبساطة والعفوية والسلاسة وليت كل الصور جاءت على هذا النسق الجميل.. مثلا يصور «رفاعة» قصيدته بأنها.. نضيرة الغصن قد غنت حمائمها.. وأيضا يصور زمانه بقوله: لما تجنى زمانى الذنب وافتعلا.. ويصف الرسول ﴿ﷺ﴾ بقوله: فاجعل زيارته أبهى مناقبه.. وهناك أيضا صورة لا بأس بها يقدمها «البرعى» وان كانت تنتمى بصلة وسبب الى جدنا أبى تمام يصف الرسول ﴿ﷺ﴾ فيقول: «العدل سيرته والفضل شيمته والرعب يقدمه والنصر يخدمه.. الخ.

وبعد.. فان رفاعة قد أضاف خماسيتين جديدتين الى قصيدة «البرعى» التى بلغت أبياتها ثمانية وستين بيتا وجعلها «رفاعة» سبعين خماسية تدور حول الرسول الأعظم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ وتطرح من خلالها هموما خاصة تتعانق مع هموم عامة يستشعرها المسلمون ويرجون مع الشاعرين المعونة الالهية لتجاوز الهموم والمحن والانتقال الى دائرة النور والبهجة.

كتاب



اسرار البلاغة وقبسات من القرآن الكريم



الله المجيد . . مائدته الهادية لكرام خلقه على الأرض . . وليس أجل ولا أعظم من كلام الله الحميد المجيد والمرشد الى سواء السبيل . . نتدارسه ونستزيد منه المعرفة ونتهذب بتعاليمه ونرقى بأحكامه . . وإنه لمن حسن المصادفات أن تُهدى إلىّ ثلاثة كتب فى ثلاثة أشهر متتالية ومن إخوة أفاضل يعايشون فى كتاباتهم ولمحاتهم كتابنا السماوى الجليل «القرآن الكريم» يستوحونه وينشرون من فضائله ونفحاته . . ومن أسراره وبلاغته وقبساته . . وذلك أحسن الزاد وأحبه الى الروح والى النفس والقلب .

كان أول الكتب وصولا إلىّ تحت عنوان «قبسات قرآنية» بقلم الأستاذ عبد المؤمن محمد النعمان وقد جمعه مما كان يكتبه وينشره فى كلمات قصيرة فى الزاوية المخصصة بالاحاديث الدينية فى احدى صحفنا المحلية . . وأحسن فى ضمها بين دفتى كتاب ـ وقد قال عنه فى تقديمه له : (وهو فى الواقع ليس تفسيرا ولا محاولة للتفسير إذ للتفسير رجاله من العلماء الأفاضل لكنه مجرد خواطر وقبسات عابرة شع نورها من وهج القرآن فسجلت بعض ما فتح الله به على) .

وطريقة الكاتب فى عرضه لكلماته الممتعة أن يأتى فى مطلعها بآية قرآنية ويستوحى من خلالها الفكرة لحالة معينة يعالجها كموضوع إجتماعى وهو أسلوب جيد فى طريقة الدعوة والنصح والتوجيه الى الأصلح . . والى الحياة الاسلامية الكريمة التى يجب أن تسود مجتمعاتنا .

وباستعراضنا للكتاب نجد ان كثيراً من عناوين الكلمات القيمة تصلح لان تكون نماذج للمعالجة الجادة للعديد من الموضوعات .

ومن باب الاستشهاد نقتطف شيئا من حديث الكاتب فهناك موضوع بعنوان (طول النجاة) ويبتدىء ـ كما قد ذكرنا ـ بآية كريمة تقول : ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم وأَنتَ فِيهِم ومَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وهُم يَسْتَغفِرون﴾ . . ويعلق الكاتب بقوله : «أمانان من عذاب الله أعطيا لأمة محمد ﴿ﷺ﴾» .

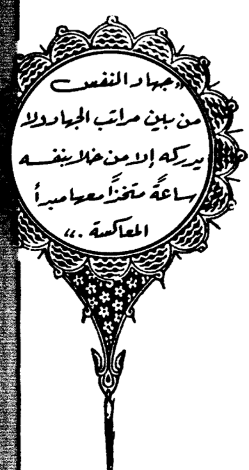
الأمان الأول : وجود الرسول بينهم .

الأمان الثانى : الاستغفار المستمر .

وهذان الامانان من نعم الله على هذه الأمة السعيدة المحظوظة برسولها ونبيها محمد ﴿ﷺ﴾ ومن رحمة الله أن جعل النجاة لهذه الامة أمانين وليس أمانا واحدا .

ومثال آخر من كلمة بعنوان «المعاناة الحقة» وكالعادة تبتدىء بقول الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين﴾ . . ومن تعليقات الكاتب قوله: «إن جهاد النفس من بين مراتب الجهاد ولا يدرك هذا إلا من خلا بنفسه ساعة متخذا معها مبدأ المعاكسة ـ تأمر ويعصى . . تحاول ويصر . . تضغط ويعاند . . وفى أثناء هذه المعركة يحاول قياس درجة المعاناة».

وعلى هذا النهج البيانى فى كل كلمات كتابه التى بلغت السبعين موضوعا فإنه يبدأ بالآية القرآنية ثم يتحدث ويناقش توجيها احتواها أو فكرة فرضتها . . أو أمراً يعلق عليه ويشير الى الخير فيه بدافع من إلهام كلام الله الدستور القويم والنور العميم لجميع البشر.



والكتاب الثانى:

هو ديوان شعر يحمل عنوان «نفحات القرآن» الكريم للأستاذ الشاعر محمد ضياء الدين الصابونى ـ الموجه التربوى للغة العربية بالجامعة الاسلامية وهو لتعلقه بهذه البلدة المباركة «طيبة الطيبة» استجاب له القدر وجعل له سبب العيش بيننا فى الجوار الكريم. ويطلق عليه هنا بعض الإخوان لقب (شاعر طيبة) لكثرة ما يهجس بجلالها ويتغنى بفضائلها وبسيد العالمين ساكنها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما ديوانه «نفحات القرآن الكريم» فيحتوى على أربعة وعشرين قصيدة رصينة عدا ما تضمنه من مقدمات ومن ترحيب بالشاعر وبشعره . . والقصائد كلها نفحات زاكيات تترنم بعظمة القرآن المجيد وبتعاليمه وفضله وكراماته وبحضارة المسلمين الذين تمسكوا به وبدستوره القويم كأعظم تشريع صالح لكل زمان ومكان . . ويفتتح الشاعر ديوانه بقصيدة (روضة القرآن) فيقول مطلعها:

روضةُ القرآن ما أبهَا بَهاها
أنا لا أعشقُ فى الدنيا سِوَاها

■ *الى ان قال:*

جنَّة الرحمن فى إبداعِها
بارَك المولى جَنَاهَا ورَعَاها
نَزَلَ الروحُ بها فى مكة
فإذا المختارُ نِبراسُ هَدَاها

● وإن كان شعر شاعرنا تقريريا فى معالجته لشتى أغراضه ففيه لمحات رائعة ودفقات مليحة . . ومن قصائد ديوانه أيضا نداء يوجهه (يا قادة الفكر) . . فيستهله قائلا :

يا قادة الفكـر هُبُّـوا من سُبَـاتكُمُ
أليسَ بالَـدين والقـرآن ننتصـرُ
ذاك الكتابُ هدًى لَا زالَ فى يَدِكُم
لا تهجـرُوه وسُحقاً للالى هجروا

● والقصيدة لا تعنى بخاصة قادة الفكر ـ مثلا ـ فيمكن أن توجه الى كل جماعة من المسلمين وإنما أراد الشاعر أن يشير الى دور القرآن فى الأمجاد والنصر وعن خذلان تاركيه وهاجريه فاختار عنوان قصيده بأول عبارات البيت الأول .

والشاعر فى معظم قصائده يدعو أمة القرآن لتأتمر بدعوته الراشدة وبهديه الواضح . . وبأن تربى شبابها على تعاليمه النيرة ليكونوا أقرب إلى الفطرة والتبصر بالعقيدة الصحيحة كمؤمنين صادقين حتى يحققوا العزة والرفعة والحياة الكريمة بل ويقاوموا فساد العصر وتقاليده وأوضاعه التى تهدد المسلمين فى كل مكان .



والكتاب الثالث :

وهو عن جانب من كلام الله المعجز وعنوانه (من أسرار البلاغة فى القرآن) للدكتور محمود السيد شيخون ـ الأستاذ المشارك فى قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية .

ونعلم أن أسرار الاعجاز فى القرآن الكريم تتعدد ويكاد بعضها لا يدرك فهمه أو تختلف آراء المفسرين حوله . . وندرك كذلك أن كتاب الله المعجز فى لغته وبلاغته وصوره . . وفى تعبيراته ومضامين قصصه . . فى بيانه وفى رواياته . . وهذا الكتاب يعد واحداً من اختيارات الكاتب القدير فى تآليفه المتعددة عن الاعجاز فى القرآن الكريم واكتشاف أسرار فنونه المختلفة بما يوفقه الله إليه .

وهو هنا فى تقديمه لهذا السِّفْر يعرّف به بأنه (دراسات شواهد البلاغة

فى القرآن) . . وقد قام بها بدافع من أمرين :

(١) الرغبة فى التعرف على ما تشتمل عليه هذه الشواهد من اللطائف والاسرار.

(٢) محاولة ربط الدرس البلاغى بالقرآن حتى يؤتى ثماره المرجوة بالكشف عن أسرار الاعجاز فى كتاب الله عز وجل.

هذا وقد جاء كتابه فى اثنى عشر فصلا يتحدث كل فصل عن البلاغة القرآنية فى موضوع من هذه الموضوعات التالية بترتيب فصولها: (الالتفات. . الاعتراض. . الحذف. . التوكيد. . التعريف. . وضع الظاهر فى موضع المضمر. ائتلاف اللفظ مع المعنى. . الاستدراج. . التمكين. . التخلص. . فواتح السوروخواتمها. . الجدل).

وعن هذا الفصل الأخير (الجدل) يفتتح حديثه عنه قائلا: «إن من يتأمل أساليب الجدل فى القرآن الكريم يتضح له أنها لا تجرى على هذا النظام المنطقى الجاف الذى تذكر فيه المقدمات على نظام خاص تتبعها النتائج لأن القرآن لم ينزل لهداية طائفة خاصة لها ثقافتها الخاصة بل نزل لهداية الناس جميعا وما به من أدلة يلقى فى النفس الاقتناع ويملأ القلب باليقين سواء فى ذلك العامة والخاصة.

وننتقل الى أول فصول الكتاب (الالتفات) فنعرف بأن الالتفات فى الكلام لا يوجد خاصة إلا فى اللغة العربية ويأتى فى أساليبها على ستة صور:

(١) الانتقال من التكلم الى الخطاب.

(٢) من التكلم الى الغيبة.

(٣) من الخطاب الى التكلم.

(٤) من الخطاب الى الغيبة.

(٥) من الغيبة الى التكلم.

(٦) من الغيبة الى الخطاب.



أنواع الادب:

قال الأحنف بن قيس. . الأدب نور العقل وهو أربعة أنواع: أدب لسان وأدب جنان وأدب زمان وأدب ايمان.

فأدب اللسان الفصاحة والبلاغة وطيب الكلام.

وأدب الجنان الانقياد بالطاعة والتزين بمكارم الأخلاق.

وأدب الزمان الاقتداء بالأفاضل من عصره وبناة مجده.

وأدب الايمان التأدب بآداب الشرع المطهر والتسامى عما يشينه بالمعاصى واتباع مكارم الأخلاق قولا وفعلا.

ونستجلى الشواهد على كل صورة بترتيب ما أوردناه بالترقيم :

(١) قوله تعالى ﴿ومَالِيَ لا أعبدُ الذى فَطَرَنِى وإليه تُرْجَعُونَ﴾ .

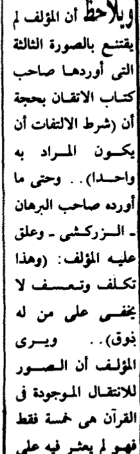
(٢) ﴿إنَّا أعطيناكَ الكَوْثَر فَصَلِّ لربِّك وانْحر﴾ .

(٣) ﴿فاقض ما أنت قاض إنَّما تقضِى هذه الحياة الدنيا﴾ . . ﴿إنا آمَنَّا بربِّنَا ليغفرَ لَنَا خَطَايَانَا . . وماأكرهتنا عليه من السحر والله خيرٌ وأبْقَى﴾ .

(٤) ﴿إنَّ هذه أُمتكُمْ أمةً واحدةً وأنَا ربُّكم فاعبدونِ . وتقطعوا أمرهم بينهم كُلٌّ إلينَا راجعُونَ﴾ .

(٥) ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرجْنَا بِهِ أزواجاً من نبات شَتَّى﴾ .

(٦) ﴿وقالُوا اتَّخَذَ الرحمنُ ولداً لقدْ جئتُم شيئاً إدًّا﴾ .



ويلاحظ أن المؤلف لم يقتنع بالصورة الثالثة التى أوردها صاحب كتاب الاتقان بحجة أن (شرط الالتفات أن يكون المراد به واحدا) . . وحتى ما أورده صاحب البرهان - الزركشى - وعلق عليه المؤلف: (وهذا تكلف وتعسف لا يخفى على من له ذوق) . . ويرى المؤلف أن الصور للانتقال الموجودة فى القرآن هى خمسة فقط فهو لم يعثر فيه على



■ لقد مكث «ﷺ» طوال عمره الشريف يفسر القرآن ويبينه حتى اصبح الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك حتى صعدت روحه الطاهرة الى بارئها فخلفه خلفاؤه الراشدون ابو بكر فعمر فعثمان فعلى رضى الله عنهم اجمعين مترسمين خطاه ملتمسين انوار هداه فحكموا الناس حكما اسلاميا راشدا يحمون حمى التوحيد ويجاهدون فى سبيل الحق كل جبار عنيد . . ثم حمى وطيس الفتن وسفك الدماء فاستشرى

من خطب رسول الله ﷺ

«أما بعدُ أيها الناس فقدِّمُوا لأنفسكم تعلمُنَّ والله ليُصعقَنَّ أحدُكم ثم ليدَعَنَّ غنمه ليس لها راع ثم ليقولنَّ له ربُّه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه . ألم يأتك رسول فبلَّغك وآتيتُك مالا وأفضلْتُ عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فلينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ثم لينظرنَّ قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشِقِّ تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزَى الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف» .

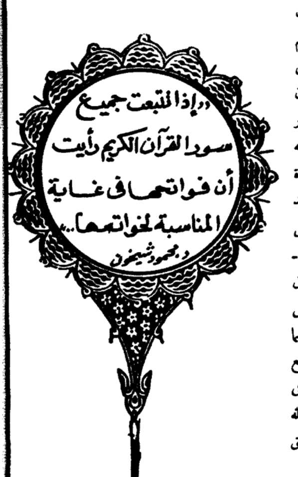
الصورة الثالثة مما هو موجود فى الأساليب العربية.

وإذا انتقلنا الى الفصل قبل الأخير - وهو عن (فواتح السور وخواتمها) نستمع للمؤلف يقول عنها: (فأنت إذا تتبعت جميع سور القرآن رأيت أن فواتحها فى غاية المناسبة لخواتمها. . أنظر مثلا: الى سورة القصص كيف بُدِئَت بأمر موسى ونصرته وقوله: ﴿فلن أكون ظهيراً للمُجْرمينَ﴾ وخروجه من وطنه - وختمت بأمر النبى ﴿ﷺ﴾ بألا يكون ظهيراً للكافرين. وتسليته عن إخراجه من مكة ووعده بالعودة إليها لقوله فى أول السورة ﴿إنا رادُّوه اليك﴾. . وانظر الى سورة (ص) كيف بدئت بالذكر ﴿والقرآن ذى الذكر﴾ وختمت به: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾.

الفساد بين العباد فى فترة من الزمن. . حروب وشحناء وآراء وأهواء. . ثم هدأت الحال واستتب الامن وتوالت الفتوحات حتى اتسعت رقعة الوطن الاسلامى ودالت دول وقامت اخرى وعلماء الاسلام عبر تلك القرون يجاهدون فى سبيل العلم والحق بالحجة والبيان بعد ان دونت العلوم والمعارف فى موسوعات اسلامية محققة محررة بمفهوم اسلامى مصدره ومنبعه المعين الصافى فى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

عبد العزيز بن ابراهيم

وهكذا بهذا الأسلوب المركز وهذه المفاهيم الواعية عن البحث فى أسرار بلاغة القرآن الكريم - يدقق الدكتور شيخون فى أبحاثه الشيقة الوضاءة ويستنبط الشواهد القرآنية كأرفع معانى البلاغة والاعجاز - وليس لنا من تعليق أكثر من أن نشير إلى أن التوفيق يحالف دائما كل من خاض منابع الصفاء الآلهى فى القرآن (كلام الله العزيز) وانطلق يستخرج متع الروح والفكر.





رسالة الرسول الى هرقل

● اتخذ رسول الله ﴿ﷺ﴾ طرقاً عدة لنشر الدعوة الأسلامية وإبلاغها.. من ضمنها ارسال الكتب والرسل لبعض الملوك والقياصرة.. وكان ضمن تلك الكتب كتابه الشريف إلى هرقل عظيم الروم وامبراطور الدولة البيزنطية وتسلمها هرقل من مبعوث رسول الله «دحيه بن خليفة الكلبي».

تلك الوثيقة لأهميتها الدينية والتاريخية ظلت متوارثة فى أسرة هرقل.. وكان منهم حكام فى الأندلس وكان آخر العهد لوجودها عند أمير طليطلة (أذفونش) ثم انقطعت اخبارها بعد ذلك وكان من المعتقد أنها فقدت بعد خروج المسلمين من الأندلس.. ولكن تبين أن هذه الوثيقة قد آلت إلى أميرة عربية تقيم فى لندن تحتفظ بها فى خزانة خاصة فى أحد بنوك زيورخ.

وما أن علم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة أوفد مستشاره الثقافى الدكتور عز الدين ابراهيم لدراسة موضوع الوثيقة.. واستغرقت عملية التحقق من صحتها عاماً كاملاً استعان خلالها بخبرات عدد من العلماء فى الآثار واختبار الوثائق التاريخية كما استفاد من الامكانات المتاحة لدى المتحف البريطانى بلندن ومختبرات جامعة ليدز البريطانية..

فصل الهجرة

فهرس

وكذلك خبراء متحف (طوب كابى سراى) باستانبول حيث يحتفظ برسالة الرسول ﷺ الى المقوقس عظيم القبط فى مصر.

وبعد اجراء كل تلك الدراسات اللازمة قال الدكتور عز الدين ابراهيم «انه بعد فحص هذه الوثيقة من الناحية التاريخية ومن ناحية النص والخط وبعد اجراء الفحوص المعملية والميكروسكوبية وبالاشعة فوق البنفسجية وبالتحاليل الكيميائية وبتفحيم الجلد ثبت يقيناً ما يلى:

(١) ان عمر الرسالة يزيد على ألف سنة وهو اقصى عمر يمكن للمعامل الحديثة أن تتوصل الى معرفته.

(٢) ان الوثيقة صحيحة أو على الاقل نسخة صحيحة من الأصل حيث كانت هذه الرسائل يحتفظ بنسخ منها لدى ديوان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

بتصرف من جريدة الاهرام ١٩٧٤/١٢/٢م

مسابقة أرامكو السنوية السابعة
للأطفال في الرسم

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية السابعة في الرسم للأطفال من البنين والبنات، إسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى الأطفال في المملكة العربية السعودية.

موضوع المسابقة:

اختيار موضوع الرسم متروك للطفل

الجوائز:

خُصص للفائزين في المسابقة خمسٌ وسبعون جائزة، وقد قسمت هذه الجوائز إلى ثلاث فئات توزع على المتسابقين الفائزين كما يلي:

- خمس وعشرون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.
- خمسٌ وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.
- خمسٌ وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

شروط المسابقة:

١- يستطيع أي طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا، ويقيم حاليًا في المملكة، أن يشترك في المسابقة.

٢- يتقدم المتسابق برسم واحد فقط.

٣- يراعى أن لا تقل مساحة ورقة الرسم عن ٤٥ سم طولاً و ٣٠ سم عرضًا.

٤- يُرسم المشهد بالألوان التي يختارها المتسابق.

٥- ترسل الرسوم في مظروف مقوّى حفاظًا عليها من التلف.

٦- يكتب المتسابق اسمه خلف الرسم بخط واضح بالإضافة إلى عمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به.

٧- يُرسل المظروف في موعد أقصاه ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ الموافق ١ فبراير ١٩٨٦م إلى العنوان التالي:

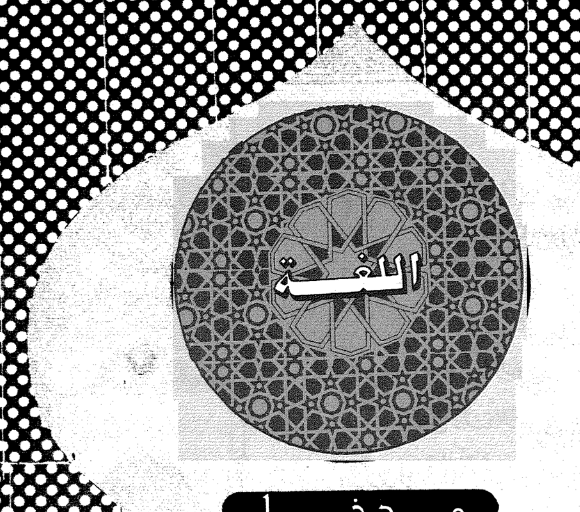
مبنى الإدارة - العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢١٦
أرامكو - الظهران، ويكتب في أعلى المظروف: "مسابقة أرامكو السنوية السابعة للأطفال في الرسم".

تبقى جميع الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة مع الاحتفاظ بحق نشر أيّ منها حسب ما تراه الإدارة.

أرامكو

وسوف تنشر أسماء الفائزين في جميع الصحف والمجلات السعودية.

(PRI-4-86)



مدخل

اعتقد اننا بلغنا مرحلة من التقدم تحتم علينا العناية الدقيقة بما ننشره بمختلف وسائل النشر الحديثة. . لأن ما ننشره هو «مرآة تقدمنا» وترجمان نهضتنا وسفير تطورنا الى الخارج. . انه يعكس للعالم فى دقة أمينة أضواء كل ذلك. . واعتقد ان كثيرا من القراء المثقفين يشاطروننا الرأى فى هذا الشأن لانهم يعلمون ان الكلمة الرائعة الصحيحة القويمة تطلق من مكمنها هى الدليل الحى الناطق على ما وصلت اليه الامة من رقى. . بل انها هى التى بوسعها وحدها ان تكشف عن مكامن هذا الرقى وان تصور جماله وروعته للعالم خير تصوير.

عبد القدوس الأنصاري

١٣٧٦هـ

أنا الفصحى أنوء بمرّ دائي

وأبكي في الصباحِ وفي المساء

وأخشى في الحياةِ على مصيري

من المرضِ الخطيرِ على بنائي

يُهدّدني عدوّي بين أهلي

وفي داري الحبيبةِ بالفناءِ

عدوّي اللحنُ لا أخشى سواه

فإنّ اللحنَ يفقدني روائي

يمزّقني المذيعُ بفرطِ لحنٍ

فيغضبُ سيبويه والكسائي

ويفضحني المدرّسُ في دروسٍ بـ

ـلا خجلٍ ويطعن كبريائي

أنا الفصحى وأمّ الحقِّ حيرى

فكم عانيتُ من عنتِ الشقاءِ

أُرَوِّي من تسبّبَ في بلائي

أُرَوِّي من تسبّبَ في عنائي

من تصوير
جبران محمد قحل
"جازان"

اللغة الباكية

أهل الدال (١) باتوا من خصومي
حقوق الانتصار وبين قومي

فزادوا في بلائي واستيائي
فمن يرعى لأذن ويزيل دائي

روف الجر عندي لا أراها
إذا وهنت قواي وخار عزمي

لما كانت تجرّ إلى الوراءِ
ومزّق مهجتي خطرُ الوباء

رى ما بعدها بالنصب يُتلى
فتلك مصيبة حلّت بقومي

ويُرفع تارةً وبلا حياءِ
وتطلب من سعى يَبْغِي فنائي

يا أهل العروبة ليس عندي
أروني قمةَ الفُصحاءِ فيكم

سوى الشكوى الأليم والبكاءِ
كأنني أمة تحتَ السماءِ

ن هذا الذي يرضى لمجدي
وحاروا من يدوس على كياني

وعزّ أن يعامل بالجفاءِ
وواسوني بنزرٍ من وفاءِ

هل نزل القرآن بغير لغتي؟

فواحزني فما أقسى بلائي

١ ـ المقصود بهم بعض "الدكاترة" المتخصصين في اللغة والذين يخطئون في بديهياتها.

٢ ـ للضرورة الشعرية حذفت علامة المدّ من الكلمة



يولي المربون واللغويون وقادة المجتمع اهمية باللغة لتعلم اللغة وتعليمها لافراد المجتمع اطفالا ويافعين على السواء. ولهذا اجريت الدراسات العديدة التربوية واللغوية لمعرفة كيفية تعلم اللغة واكتسابها لكشف الغطاء عن اللغة من حيث نمائها وتطورها وكيفية اكتسابها وتحصيلها وتعلمها وتعليمها. فجرت بعض الدراسات لمعرفة كيف يكتسب الطفل اللغة وكيف يتعلمها؟ وجرت دراسات أخرى لمعرفة ماهية العمليات التى يتم بها اكتساب اللغة وماهية الظروف والمتغيرات والعوامل التى تؤثر سلبا وايجابا فى اكتساب الفرد الانسانى طفلا ويافعا للغته القومية واساليب تعلمها وتعليمها الافضل والانسب. ويمكن رد هذا الاهتمام التربوى واللغوى باللغة الى اعتبارات كثيرة يجملها مارك وردث فى امرين اثنين هما:

● اعتبار اللغة وسيلة الفكر وأداته فهى نظام رمزى عال من التجريد يستخدمه الانسان لتنظيم خبراته وتوليفها او لتركيب المعانى من خبراته ومعارفه ويقول مارك وردث كذلك فى كتابه علم اللغة فى البرامج المدرسية (ص٥-١٠) «وبالرغم من تنوع الانظمة الرمزية والاشارية (إشارات ورموز) التى يستخدمها الانسان للتعبير عن المعانى والافكار ولنقل الرغبات والتبليغ بالحاجات الا ان اللغة تبقى هى اكثر الانظمة الرمزية والاشارية فى حياة الانسان واستعمالاته تطورا وفعالية وقدرة فى التعبير وتوليد الفكر وخاصة الفكر المبدع الخلاق».

● لأن اللغة كما يقول مارك وردث وكما يراها علماء اللغة هى «علاقة بين الصوت والمعنى» علم اللغة ص١١-١٢ واللغة المنطوقة هى «انساق من الوحدات الصوتية» نظمت بطرق محددة كى تؤدى المعانى المعينة المقصودة ولذلك يصعب على الانسان ان يعبر عن تلك المعانى والافكار بالوضوح والدقة نفسها من غير اللغة واتساق وحداتها. ولذا يقول المربون واللغويون

«ان المعنى والفكـر فى تعبير الانسان وكلامه مرتبط اشد الارتباط بالخبرة الانسانية اللا محدودة لذلك الانسان كفرد وللمجتمع الذى نما وتربى الفرد فيه وهذا كله يكسب الوحدات الصوتية المنطوقة دلالة انسانية خاصة فى المعنى والتعبير فى حياة الانسان والمجتمع على السواء. ويرد اللغويون والمربون الى هذه الاعتبارات العلاقة الحميمة التى تربط بين اللغة والتفكير.



الكاتب
فى سطور
ماجستير فى التربية وعلم النفس
دبلوم الدراسات العليا فى
التربية - الجامعة الأردنية
عضو رابطة الكتاب
الاردنيين
له العديد من الكتب
والقصص

● والى هذه الاعتبـارات والمفـاهيم كذلـك يعـزو المـربون واللغويون الاهتـمام البـالـغ بدور اللغـة التربوى والاجتماعى والفكرى من ناحية والاهتمام من ناحية أخرى بدراسة اثر اللغة فى نمو الفكر عند الانسان عموما والطفل الانسانى على وجه الخصوص. وبسبب هذه الأهمية البالغة للغـة على تطور الفرد الانسانى الفكرى والاجتماعى والثقافى والتربوى فقد اتجهت جهود الدارسين من العلماء واللغويين الى دراسة دور اللغة فى حياة الانسان وتطوره ونموه عموما والى دورها فى التفكير ونمو الفكر عند الطفل على وجه الخصوص. وقد اعطت تلك الدراسات لدور اللغة فى نمو الفكر عند الطفل الانسانى ثمارا يانعة ونتائج فذة قيمة كانت ركائز وطيدة بنى عليها المربون الكثير من النظريات التربوية التعليمية فى تعلم اللغة واصول واساليب تعلمها وتعليمها لتسهم فى النهاية على خير وجـه فى دورهـا فى نمـو الفكر وتطوره عند الفرد الانسانى وفى مختلف مراحل حياته وخاصة فى مرحلة الطفولة، الفترة الاهم والاخطر وذات الاهمية والتأثير الاكبر فى نتائج التعلم والتعليم الانسانى لأن التربية كما يقول «كانت» المفكر والفيلسوف الالمانى المعروف:

«هى التى تجعـل من الانسـان انسانا» وقد ظهر بنتيجة لتلك الدراسات أراء ونظريات كثيرة حول اثر اللغة فى نمو الفكر عند الطفـل والفـرد الانسـانى يجملهـا «برين فوس» فى كتابه «مفاهيم ونظرات جديدة فى نمو الطفل وتطوره» (ص١٨٤-١٩٦) فى موقفين متباينين هما:

■ رأى يقول: بان اللغة عنصر اساسى فى التفكير وشرط ضرورى وكاف له لأنه: «لا لغة دون تفكير» كما يقول فوس (ص١٨٤) ولذا يرى القائلون بهذا الرأى: «ان النمو اللغوى مؤشر ودلالة لا تخيب على تطور النمو العقلى ومراحل التفكير عند الطفل لأن اللغة عندهم تفرض على الافراد صيغا تفسيرية معينة وتختلف هذه الصيغ والقوالب والانماط من لغة الى اخرى وخير معبر وممثل لهذه الآراء والافكار عن دور اللغة فى تطور التفكير عند الطفل كما يقول فوس (١٨٦) هى: «نظرية او فرضية سابيروف».

■ رأى آخر يقول: «ان مبدأ التفكير هو فى الاعمال الحسية الحركية التى يقوم بها الطفل فى محاولته لتمثل المؤثرات المحيطة به فى البيئة من جهة.والتجاوب معها والتعبير عنها من جهة اخرى. اى ان الطفل خلال السنتين او الثلاث الأولى من عمره كما يقول بياجيه ابرز العلماء القائلين بهذا الرأى يكون قد تمثل عالمه المحيط به بافعال حسية ـ حركية اى ان التفكير حسب رأى بياجيه والمشايعين له ينتج من العمليات الحس ـ حركية التى يقوم بها الطفل وما ينتج عنها من خطط (Schema) وبذلك فان اللغة لا تلعب دورا رئيسا فى التفكير ونموه بل تلعب دورا ثانويا فقط وبكلمات قليلة فاللغة ليست كافية لخلق التفكير ونموه ولكنها شرط ضرورى لا يمكن الاستغناء عنه كما ان لها دورا فى تسهيل النمو العقلى وتطور التفكير عموما عند الطفل والفرد الانسانى.

■ ***وهذا كله كما يقول مارك وردث (ص٢٢) لان اللغة هى نمط اجتماعى وثقافى وحضارى خاص متميز يربط بين الناطقين بها ويشكل منهم مجموعة متميزة اجتماعيا وانسانيا متلاحمة متماسكة تورث ابناءها اسباب شخصيتها فى نمطها الحضارى والثقافى والاجتماعى المدخر والكامن فى لغتها فتصبح تؤمن بالمبادىء نفسها وتكتسب التطلعات المستقبلية ذاتها ويتدرج الفرد الانسانى فى تشرب وتمثل واستيعاب النمط الثقافى الاجتماعى الحضارى الخاص بمجتمعه وامته طفلا فى مجتمع الاسرة الصغير أولا ثم ينتقل سريعا الى مجتمع الأتراب والرفاق ثم الحى. . ويافعا فى القرية والمدينة والمدرسة والجامعة والمجتمع والعمل والمهنة وهذا التطور والنمو المتدرج المتنامى المتتابع المستمر الذى يسير به الفرد الانسانى طفلا ويافعا ويمر بمراحله يعطى فى مجمله اللغة ويمنحها اهمية بارزة ووظيفة اجتماعية مهمة.***

«الشرق الاوسط»

لا مكان للعامية في سجل العربية



بقلم الأستاذ/ أحمد عبد الغفور عطار

ليس الاعراب حركة الحرف الاخير من الكلمة وحسب ، بل يدخل فيه اعراب الفعل وهو غير اعراب الاسم ، كما يدخل فيه تغير حركات اوائل الكلمة واواسطها كما نرى في ابواب الفعل الثلاثى ، وما زاد عنه عند ما يصاغ المضارع والأمر من الفعل الرباعي والخماسي والسداسي واختلاف صيغ اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة الخ .

وليس الاعراب وقفا على أواخر الكلمات وحسب كما حسب الجهلاء بعلم النحو والصرف .

ومن جهلهم ظنوا الاعراب حركة أواخر الكلمات فنادى من يجهلون قواعد العربية ومن يعلمونها الغاء الاعراب ، فممن جهلوا قواعد العربية الاستاذ قاسم امين المشهور الذى نادى بالسفور حتى تحقق في مصر ثم انتشر في اكثر بلدان العالم العربي .

نادى قاسم امين بإلغاء قواعد الاعراب دون ان يفطن الى ما في دعوته من خطر فظيع على الفصحى .

وهناك غير قاسم امين من المستشرقين دعوا الى الغاء الاعراب كما دعا بعض الصليبيين من أمثال سلامة موسى الذى قال في الاشادة بقاسم امين بمقال نشر بمجلة « الهلال » الصادر سنة ١٩٤٧ م ما نصه :

« والتأفف من اللغة الفصحى التى نكتب بها ليس حديثا ، إذ هو يرجع الى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم على اللغة الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة : « ان الأوروبى يقرأ لكي يفهم ، أما نحن فنفهم لكي نقرأ » ، أو ما معناه ذلك ، وقد اقترح الغاء الاعراب فنسكن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك » .

ودعا الى الغاء الاعراب دعاة العامية من الصليبيين الغربيين ، كما دعا اليه مقلدوهم في بلادنا مثل من سمى نفسه « أبولون » شاعر الوثنية والكفر والألحاد ، وحرص على هذا الاسم وتمسك به حتى هلك ، وبلغ من جهل هذا المقلد الممسوخ ان زعم أن الاعراب فضلة ، بل زعم هذا الجاهل ان الحركات فضلة يستغنى عنها .

وإلغاء الاعراب يستحيل تحقيقها في العربية ، لأسباب اهمها ان الحركة جزء اصيل في الكلمة العربية ، ويستحيل وجود كلمة عربية خالية الحروف من الحركات ، لأن الحركة جزء ثابت في الكلمة لا ينفصل عنها ، وليجرب القارىء .

وأخطر قذيفة تنسف العربية من اساسها نسفا لا يبقى لها أي اثر الغاء الإعراب الذى تفردت به العربية وتميزت بهذه الميزة التى لا نظير لها في غيرها من اللغات وأن كان في بعضها شيء من الإعراب مختلف عن الاعراب في الفصحى .

وهؤلاء الأعداء والجهلة من مقلديهم ينسون أن في العامية بقية من الاعراب مثل حذف همزة الوصل ، والتخلص من التقاء الساكنين بحركة الى غير ذلك مما هو ملحوظ في العامية .

وهؤلاء الدعاة الى العامية يعمى ابصارهم وبصائرهم العداء اللئيم للعربية فيطلبون المستحيل في لغة هم غرباء عنها ، ومن لم يكن غريبا عنها يحمله التقليد على مجاراة اعداء الفصحى فيحقدون عليها لضعفهم فيها .

وليس الاعراب الذى يقع على أواخر الكلمات مشكلة يتعذر حلها الا بالتخلص منها بوساطة الالغاء ، وليس تغير المعانى وقفا على حركات الاعراب وحدها ، بل تتغير المعاني بتغير حركات الحرف الأول من الكلمة والحرف الثاني منها اذا كان ثلاثيا ، وكذلك تتغير معاني الكلمات بتغير حركاتها أنى كانت مواقعها على أحرف الكلمة .

ولقد تعرضت لمسألة الغاء الاعراب في مؤلفى « **الزحف على لغة القرآن** » ومؤلفى « **قضايا ومشكلات لغوية** » ولعلي عرضت لها في بعض ما كتبت ونشرت بالصحف .

فإلغاء الإعراب يلغي العربية إلغاء .

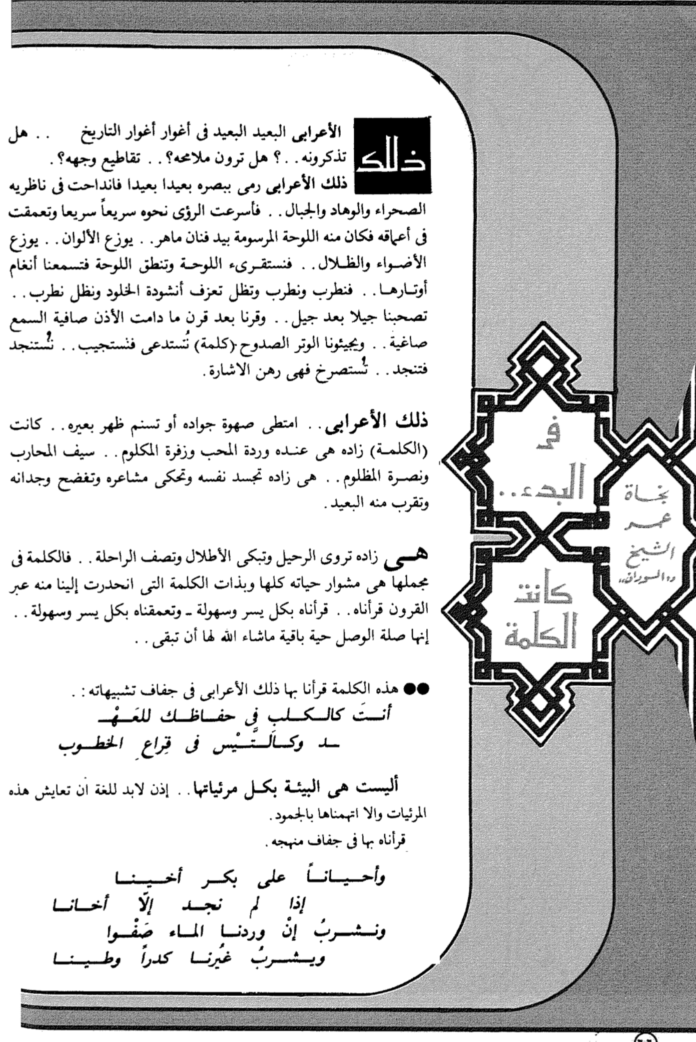
ومن هنا يظهر أن الإعراب هو الفارق الأكبر الأوحد بين الفصحى والعامية .

وسيتحطم عمود الشعر العربي الذي دعا لويس عوض العرب الى تحطيمه اذ قال في كتابه « بلوتولند » ما نصه : « حطموا عمود الشعر العربي » .

سيتحطم بمجرد الغاء الاعراب ، لأن لن تكون هناك أوزان وبحور ، ولن يكون نثر كما لن يكون شعر ، وانما كل ما يكون لدينا كلام فاقد الجرس والحركة والحياة .

وانا مطمئن طمأنينة لاحد لها من أن كل دعوات هدم الفصحى ميتة لا تستطيع دعوة واحدة منها ان تعيش يوما واحدا ، لأنها تولد ميتة ، بل هي ميتة قبل ولادتها ، لأنها ميتة قبل ان تكون جنينا .

عكاظ



ذلك الأعرابى البعيد البعيد فى أغوار أغوار التاريخ .. هل تذكرونه..؟ هل ترون ملامحه؟.. تقاطيع وجهه؟.

ذلك الأعرابى رمى ببصره بعيدا بعيدا فانداحت فى ناظريه الصحراء والوهاد والجبال.. فأسرعت الرؤى نحوه سريعاً سريعا وتعمقت فى أعماقه فكان منه اللوحة المرسومة بيد فنان ماهر.. يوزع الألوان.. يوزع الأضواء والظلال.. فنستقرىء اللوحة وتنطق اللوحة فتسمعنا أنغام أوتارها.. فنطرب ونطرب وتظل تعزف أنشودة الخلود ونظل نطرب.. تصحبنا جيلا بعد جيل.. وقرنا بعد قرن ما دامت الأذن صافية السمع صاغية.. ويجيئونا الوتر الصدوح (كلمة) تُستدعى فنستجيب.. نُستنجد فتنجد.. تُستصرخ فهى رهن الاشارة.

ذلك الأعرابى.. امتطى صهوة جواده أو تسنم ظهر بعيره.. كانت (الكلمة) زاده هى عنده وردة المحب وزفرة المكلوم.. سيف المحارب ونصرة المظلوم.. هى زاده تجسد نفسه وتحكى مشاعره وتفضح وجدانه وتقرب منه البعيد.

هى زاده تروى الرحيل وتبكى الأطلال وتصف الراحلة.. فالكلمة فى مجملها هى مشوار حياته كلها وبذات الكلمة التى انحدرت إلينا منه عبر القرون قرأناه.. قرأناه بكل يسر وسهولة ـ وتعمقناه بكل يسر وسهولة.. إنها صلة الوصل حية باقية ماشاء الله لها أن تبقى..

●● هذه الكلمة قرأنا بها ذلك الأعرابى فى جفاف تشبيهاته:.

أنتَ كالكلبِ فى حفاظك للعَهْـ
ـد وكالتّيْس فى قِراعِ الخطوب

أليست هى البيئة بكل مرئياتها.. إذن لابد للغة أن تعايش هذه المرئيات والا اتهمناها بالجمود.

قرأناه بها فى جفاف منهجه.

وأحياناً على بكر أخينا
إذا لم نجد إلّا أخانا
ونشربُ إنْ وردنا الماء صَفْوا
ويشربُ غيُرنا كدراً وطينا

قومٌ إذا الشَّر أبدى ناجزيه لهم
طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم
فى النائبات على ما قال برهانا

• • •

وإنْ كنتُ لا أرْمى وتُرْمَى كنانتى
نصب جانحات النَّبْل كشحي ومنكبى
فقل لبنى عمى فقد وأبيهمُ
منوا بهَريْتِ الشَّدق أشوس أغلبِ
أفيقوا بنى حزنٍ وأهواؤنا معاً
وأرماحُنا موصولة لم تغضَّبِ

■ ومع هذا ومن جانب تصويرى آخر قرأناه بها فى حكمته :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القِلى مُتَعزَّل
لعمكرُك ما فى الأرض ضيق على امرىء
سرى راغباً أو راهبا وهو يعقل

كلمات

إن الأفكار يجب أن تتحول إلى أشياء من خلال نشاط الإنسان وفعالياته فالفكرة إن لم تتجسد فى فعل تظل مفرغة من مضمونها تائهة فى عالم اللاشىء إلى أن تتحول إلى حقيقة.. إلى شىء.. إلى فعل متحرك.. مانطرحه من أفكار وآراء يظل بدون مضمون إن لم يجد من يحوله ويجسده فعاليات متحركة

«نوره خالد السعد»



■ وتستجيب له (الكلمة) فى تصوير أحاسيسه ودفق نفسه فتنقلها لوحه زاهية الألوان تَفْتَرُّ عن شفتى رضا أو لوحة قاتمة الظلال معتمة.

وإلْـفُ هموم ما تزال تعـوده
عيـاداً كحـمـى الـرِّبْـعِ أدهـى وأثـقـل
إذا وردتْ أصـدرتهـا ثمَّ إنهـا
تثـوب فتأتـى من تُحَيْـتٍ ومـن عل

●●●

ولـيـلٍ كمـوج الـبحـر أرخـى سدولـه
علىَّ بأنـواع الهـمـوم ليـبتَـلِى
فقُـلْتُ له لما تمطَّـى بصـلبـه
وأردفَ أعـجـازا ونـاء بكـلكـل
ألا أيهـا الـليـل الطـويـلُ ألا انـجـلى
بصـبـحٍ ومـا الإصـبـاحُ منـك بأمـثـلِ

■ تتعـاقب الأجيال والحضارات وتغطيها الطبقات ـ طبقات الأرض ـ ولكن تبقى الكلمة حية فتية.. تمتلىء شبابا وحيوية.. تخترق كل الطبقات كبركان ثائر لتروى وتحكى وتقص.. بل وتعيش مع الاجيال القادمة.. تسمعنا الهمسة والبسمة.. الأنّة والصرخة. الآهة والنحيب. ترينا الطيور فى أوكارها.. الخيول فى كرها وفرها.. الصناديد فى قتالها.. ذوات الخدور فى خد ورهن.

وينزل الذكر الحكيم فيضيف للكلمة صياغة جديدة.. ويؤدى بها فهماً جديدا وشرعاً متبعاً راشدا رشيدا.. ويهيؤها لحياة جديدة قوامها (الوحدانية) فى قوله سبحانه ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد**﴾.. وأطرها كتاب ربِّ العالمين وشرعه ﴿**الٓمٓ. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يُوقنون أولئك على هدى من ربهم وأؤلئك هم المفلحون**﴾.. ومنهجيتها فى قوله سبحانه ﴿**إقرأ باسم ربِّك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علّمَ بالقلم علّمَ الانسانَ ما لم يعلم**﴾.. ﴿**ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾.

وتتداح الكلمة فى اطار هذا المنهج الجديد لتعطى أبعاده وتصف مراميه وأهدافه لتصل لتحقيق غاياته.. وفى هذا الاطار تبلورت هى نفسها لتعايش هذا المجتمع الجديد بكل

منهجيته فى علاقته بربه وخالقه . . فى علاقته بالوجود والكون والحياة فى علاقة افراده وجماعته ببعضهم . . حيث تجمعهم جميعا (كلكم لآدم وآدم من تراب) لا فضل لأحد على احد الا بالتقوى . . منهجية (لا ضرر ولا ضرار) منهجية (احب لأخيك كما تحب لنفسك . .) وفى هذا الاطار يكون البناء والنماء . . فى هذا الاطار يتفتق الذهن عن زهور الفكر اليانعة فيقيم على الأرض حياة باسقة ظلالها.

وفى هذا الاطار تمثت (الكلمة) . . لم تتخلف أو تتقاعس فى أداء مهمتها . . وهذا التغيير فى المنهج تبعه تغيير فى الألفاظ والتراكيب . . فخصائص الامة العقلية ومميزاتها فى الادراك والوجدان والنزوع ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها كل هذا ينبعث صداه فى لغتها . . فقد هذبت نصوص القرآن الكريم الطباع حتى فى الجانب الاجتماعى أو الشخصى . . فيعبر عن لقاء الفراش بين الازواج بمثل قوله (**فأتوا حرثكم ـ واهجروهن فى المضاجع ـ أفضى بعضكم الى بعض ـ يتماسا ـ لا مستم**).

الى آخر مثل هذه الألفاظ الكريمة اللطيفة.

والاسلام يُعَدّ نقلة حضارية ضخمة لذلك البدوى من بداوته وشراسته الى حيث التحضر والمجتمع الراقى فى سلوكه ومعاملاته وحتى فى أخص خصائصه الذاتية.

وخلال هذه النقلة وتبعا لها تموت كلمات وتحيا اخرى . . وينتقل مدلول من معنى عام الى معنى اصطلاحى خاص كما حدث لمثل الفاظ (الصلاة ـ الحج ـ الزكاه . . الخ) وتدخلها كلمات والفاظ جديدة من لغات أخرى فمن الفارسية مثل (الابريق ـ الطست ـ الطبق ـ الخز ـ الديباج ـ السندس ـ الياقوت ـ الفالوذج ـ النرجس ـ البنفسج ـ الخ).

ومن اليونانية اسماء بعض آلات الرصد والجراحة وبعض مصطلحات الطب والفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها . . كما أخذت عنها اسماء بعض المعادن والوظائف والمنشآت المعمارية وادوات البناء والموازين والأمتعة مثل (القبرس ـ البطريق والقيطون ـ القنطره ـ والفردوس ـ القراميد ـ القسطاس ـ السجنجل).

وتتفاعل كل هذه الالفاظ والمسميات مع اللغة العربية لتصبح جزءاً منها . . وباتساع الساحة الاسلامية استقبلت اللغة العربية جديدا لم تعهده من قبل . . ولكنها (الكلمة العربية) سليلة المجد التليد استقبلت الوافد الجديد من (ألسن القوم وفكرهم وعلومهم) واستوعبته استيعاب صاحب رسالة وأمين أداء . . وهنا عبقريتها ومنطق خلودها.

كلمات

تقول العرب فى تقسيم الأصوات
هزيز الريح
هزيم الرعد
عزيف الجن
حفيف الشجر
جعجعة الرحى
وسواس الحلى
صرير الباب والقلم
قلقلة القفل والمفتاح
خفق النعل
صريف ناب البعير
مكاء النافخ فى يده
درادب الطبل
طنطنة الأوتار

هذه (الكلمة) كما حملت المشاعر والأحاسيس ودفقات النفس الانسانية.. حملت على أكفها معضلات الفقه والفقهاء وسفسطائية الفلسفة والمتفلسفين ومغالطات المتكلمين.. حملت على اكفها معادلات الصيدلة وارقام الجبر والحساب ومباضع الجراحة والجراحين ومطولات الطب والاطباء.. دوّنت بها علوم الفلك والنجوم والرياضيات وعلوم البحار ومناهج المعمار.. وتاريخ الامم والملوك.

أمام هذا الكم الهائل من العلوم والمعارف لم تتراجع (الكلمة العربية) بل أقدمت إقدام الواثق وفتحت صدرها لكل جديد وأفصحت عنه من غير لجاجة ولا فجاجة.

هذه الكلمة دخلت قصور الخلفاء فتراقصت فى الردهات وتغنت فى الصالات.. ترفهت وتنعمت.. أصبح ملمسها حريرا من حرير تَرْفَلُ فى الديباج والحلل.. تنثر ورداً على شفاه الغيان.. فأسمعتنا رقة ولطافة ورشاقة.

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ادرى ولا أدرى

☆ ☆ ☆

أتال الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

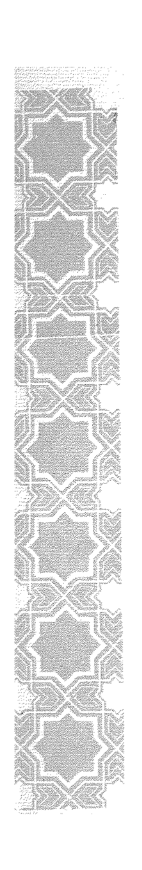
★ ★ ★

أقولُ وقد ارسلتُ أوّلَ نظرة
ولم أرَ من الهوى قريباً الى جنبى
لئن كنتَ أخليتَ المكانَ الذى أرى
هيهات أنْ يخلو مكانك من قلبى
وكنتُ أظنُ الشوقَ للبعد وحده
ولم أدر أنَّ الشوقَ للبعد والقرب
خلا منك طرفى وامتلا منك خاطرى
كأنك من عينى نُقِلْت إلى قلبى

هذه الكلمة حينا كالطفل الغرير ناعمة هادئة وادعة.. وحينا جادة تقاسيم الجبين قاطعة كنتوءات صخر فى قمة الجبل.

هل هى انسان يمشى على رجلين.. تبتسم وتفرح وتقهقه.. تكتم الأهة وتقطّعُ الأحشاء وتبكى.

● **هل هى ذاتنا أم وعاء لذاتنا..** هل هى مجرد وعاء نصبٌّ فيه مشاعرنا وأحاسيسنا ام هى أحاسيسنا ذاتها.. الأمر فيه تداخل غريب.



أقرأ القصيدة فألفاها مطروحة الجبين جميلة المحيا. . واقرأ اخرى أجدها معُطية الجبين محمرة العينين تقذف شرراً.

حينا تأتى الكلمة مدللة تحمل الياسمين والعنبر. . وأخرى تجرى مهرولة تحمل السكين والخنجر. . ان كانت تلك نفوس القوم فقد اكتست نفوسهم. . وان كانت تلك طباعهم فقد ارتدت لبوسهم. . أليست هى كائناً حياً. . تعيش كما يعيشون وتحيا كما يحيون. .

أليست هى كائنا حيا. . تتربع معنا على المائدة ـ مائدة الغنى والفقير ـ وترقص فى الفرح وتوزع البسمة على الشفاه. . تودع الظعن وتستقبل الحبيب وتذكر البعيد. . تركب السيارة والباخرة ـ القطار والطائرة. . تسكن القصور والأكواخ والخيام. . تعتلى الجبال وتنساح فى الوديان.

أليست الكلمة كائناً حياً: تجالس العلماء. . وتخطب فى الجموع والمحافل. . تصول وتجول. . تستنكر وتتوعد تفيض من الحناجر المثقوبه. . تشعل النار وتطفىء النار. . توقع العهود والمواثيق. . عجيبة هذه الكلمة. . عجيب هذا الكائن.

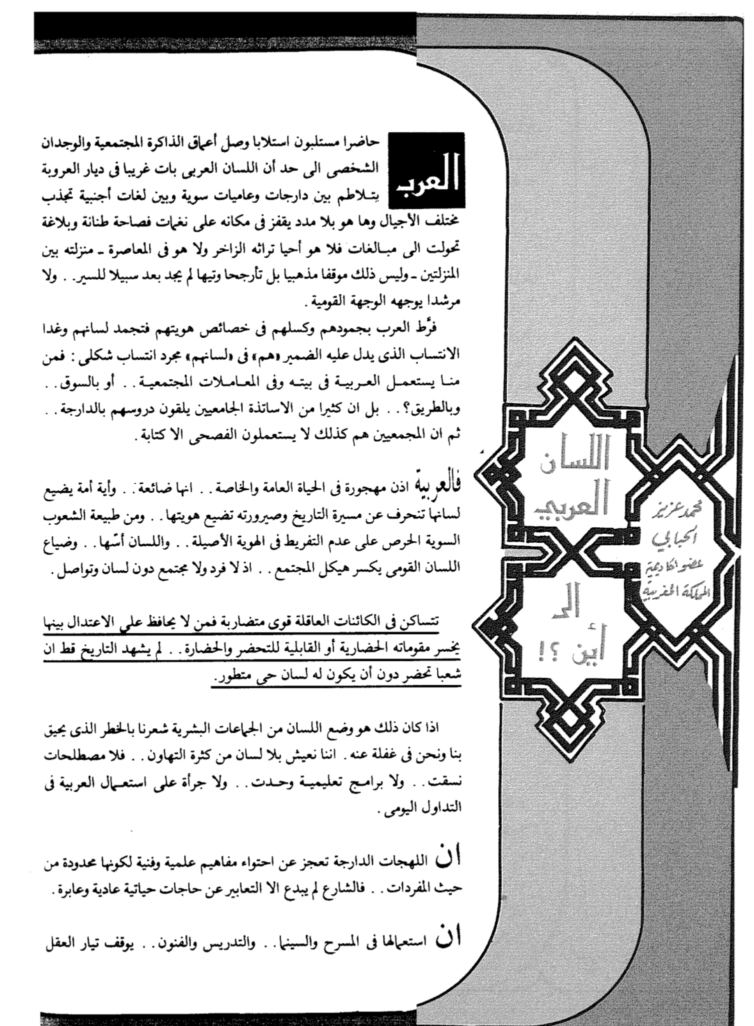
هذه الكلمة بنتْ لنا حضارة ومجدا وعزّاً. . حضارة بنى عليها الآخرون صروح مجدهم. . وبكل أسف أصبحنا لهم تبعا. .

هذه الكلمة صاحبة ذلك المجد أصبحت اليوم بيننا غريبة. . تجوب الطرقات والشوارع فلا تجد من يؤيها. . حاولت أن تدخل (خلسة) قاعات المحاضرات فى الجامعات ولكنها بكل أسف أُغلق الباب دونها فتراجعت كسيرة الجناح. . هذه (الكلمة) أماتوها قسرا واقتدارا فى نفوسهم فانسلت من داخلهم تترنح على صفعات العامية الشائهة.

شدنى أمرها. . فاقتربت منها. . بادرتنى قبل ان انطق ببنت شفة. . سألتنى سؤالاً محيرا: قل لى من أنت وما هويتك؟ لأقرر ان كنتُ سآنس بك ام أرحل؟.

وحدثت نفسى: هل ترى إن أفصحت لها عن نفسى ستبقى معى؟. . لا أظن أنها ستبقى معنا وسط هذا الركام من اللهجات والعاميات. . وسنظل نحن نهوى من قاع إلى قاع ما دامت هى بعيدة عنا.

ولما رأتنى قد حرت جواباً نظرت إلىّ بعين ساخرة وأردفتْ قولها: الى متى ستغالطون انفسكم؟. . ستزيدكم هذه العاميات جهلا على جهل. . ولن تقوم لكم قائمة ابدا ما دمتم بعيدين عن فصحاكم.



العرب حاضرا مستلبون استلابا وصل أعماق الذاكرة المجتمعية والوجدان الشخصي الى حد أن اللسان العربي بات غريبا في ديار العروبة يتلاطم بين دارجات وعاميات سوية وبين لغات أجنبية تجذب مختلف الأجيال وها هو بلا مدد يقفز في مكانه على نغمات فصاحة طنانة وبلاغة تحولت الى مبالغات فلا هو أحيا تراثه الزاخر ولا هو في المعاصرة - منزلته بين المنزلتين - وليس ذلك موقفا مذهبيا بل تأرجحا وتيها لم يجد بعد سبيلا للسير. . ولا مرشدا يوجهه الوجهة القومية.

فرَّط العرب بجمودهم وكسلهم في خصائص هويتهم فتجمد لسانهم وغدا الانتساب الذي يدل عليه الضمير «هم» في «لسانهم» مجرد انتساب شكلي : فمن منا يستعمل العربية في بيته وفي المعاملات المجتمعية. . أو بالسوق. . وبالطريق؟. . بل ان كثيرا من الاساتذة الجامعيين يلقون دروسهم بالدارجة. . ثم ان المجمعيين هم كذلك لا يستعملون الفصحى الا كتابة.

فالعربية اذن مهجورة في الحياة العامة والخاصة. . انها ضائعة. . وأية أمة يضيع لسانها تنحرف عن مسيرة التاريخ وصيرورته تضيع هويتها. . ومن طبيعة الشعوب السوية الحرص على عدم التفريط في الهوية الأصيلة. . واللسان أسّها. . وضياع اللسان القومي يكسر هيكل المجتمع. . اذ لا فرد ولا مجتمع دون لسان وتواصل.

تتساكن في الكائنات العاقلة قوى متضاربة فمن لا يحافظ على الاعتدال بينها يخسر مقوماته الحضارية أو القابلية للتحضر والحضارة. . لم يشهد التاريخ قط ان شعبا تحضر دون أن يكون له لسان حي متطور.

اذا كان ذلك هو وضع اللسان من الجماعات البشرية شعرنا بالخطر الذي يحيق بنا ونحن في غفلة عنه. اننا نعيش بلا لسان من كثرة التهاون. . فلا مصطلحات نسقت. . ولا برامج تعليمية وحدت. . ولا جرأة على استعمال العربية في التداول اليومي.

ان اللهجات الدارجة تعجز عن احتواء مفاهيم علمية وفنية لكونها محدودة من حيث المفردات. . فالشارع لم يبدع الا التعابير عن حاجات حياتية عادية وعابرة.

ان استعمالها في المسرح والسينما. . والتدريس والفنون. . يوقف تيار العقل

ويعطل الفعاليات الفكرية والوجدانية لأنه يتجاوز مقدرتها التعبيرية.

■ لذلك ان نفسنا فى الخلق متراخ.. واسهاماتنا فى تقدم الحضارة المعاصرة منعدمة (نستهلك ولا ننتج). ينقص العاميات كثير من المفاهيم انه نقصان يجر معه إبهاما فى الألفاظ - وتعابير غير محددة - لذلك تأتى خطاباتنا السياسية والأدبية والعلمية ملتبسة ومهلهلة وتقريبية فيحصل سوء فهم وسوء تفاهم.

الى متى ستبقى الأحوال على ما هى عليه؟.

المشكل أعوص من أن يحل بجملة أو جمل.. بل ولا بصفحات عديدة لذلك سنكتفي بتحديد نوعية العراقل التي تقف في طريق الحلول الناجعة وبإشارات عابرة الى المنهج الذى يمكن أن يبلور المحاور ويقود الى التغلب على الاعوجاج والجمود.

نود الآن تحديد مفهومين قاعديين هما «لسان» و«لغة».. لكل أمة لغات مختلفة ولسان. فللطب لغة.. وللفلاحة لغة.. وأخرى للتجارة ورابعة للرياضة البدنية كما أن لغة الخياط ليست هى لغة الحداد ومجموع اللغات فى تفاعلها وتكاملها يكون اللسان.

وبما أن لغات الحرفيين عامية وكذلك جل العينات الأخرى من اللغات فان اللسان العربى يتأثر بمستوى تلك اللغات - وهذه بدورها - لن ترتقى وتتطور الا عندما نتغلب على الأمية التى تسود كل الأوساط الشعبية. ومحاربة الأمية تدخل فى استراتيجية سياسية واقتصادية عامة وما دمنا نعانى تبعية فى السياسة والاقتصاد ستبقى دار لقمان على حالها الى أن يحصل تحول عام فى مجموع البنيات. ذاك هو المحور الأول.

يجب ان نعى ان أية لغة لا تنفصل عن بقية اللغات لأنها جميعها عناصر تدخل فى تركيب اللسان.. فاذا تحسنت احداها أثرت فى الأخرى حسب قانون ترابط الأجزاء داخل الكل.. من هنا يتأتى عدم صلاحية الكثير من البحوث اللغوية المجمعية والجامعية التى لا تنظر الى اللسان العربى الا من زاوية اللغة المكتوبة.. مع تقديس خاص للقديم.. معرضين عن لغات الحياة فى تفاعلاتها

كلمات

ان المنطقة الإسلامية كانت تقدس لغتها العربية ولذلك نجد بوضوح ان اللغات الكبيرة الموجودة فى النطاق الجغرافى للأمة الإسلامية.. كاللغات الافريقية المنتشرة مثل الهوسا والسواحلى وكذلك اللغة الفارسية والأوردية والتغالية والأندونيسية.. بكل هذه اللغات كتبت بالحرف العربي.



«أحمد فراج»
رئيس اتحاد الإذاعات الاسلامية

وتخـاصبهـا وعن الأعـمال التى يمكن أن تنشـط الدينامية اللسانية والقابليات والامكانات الحالية. ان لغة الصحافة ـ مثلا ـ تلعب دورا هاما فى نشر الأخبار والمعطيات العلمية والفنية (الصحيح منها والمغلوط والصادق والمكذوب) انها تصنع الرأى العام ولها فعلات قوية النفوذ الى ضمائر الشعوب والى ذاكرتها التاريخية.

لا نقصـد بالصحـافـة: الصحافة المكتوبة فحسب بل أيضا وبالأحرى المرئية والمسموعة فى التلفزة والمسرح والشريط السينمائى والاذاعة.

للصحافة لغات وكلها تتسرب إلى الاعماق ـ وباطراد ـ فهلا.استثمرت هذه القوة المتفشية فى كل الميادين وفى كل الطبقات وسخرت فى نشر اللسان العربى الصحيح وتهذيب التعبير وتحسين الذوق والسليقة اللغوية؟.

أمـــا وقد أطلق للصحافة (على اختلاف أشكالها) العنان تقول فى الغالب ما تشاء وكيف تشاء.. وتوظف من تشاء من أنصاف الأميين والعاطلين الذين يتسربون فى صفوف نخبة من القادرين فيدفع ثقل الأكثرية التافهة الكفة الى أسفل سافلين سيبقى مشروع تطوير العربية وصيـانتها فى عالم الحلم.. كما سيبقى الى أن يجابه بإرادة حديدية من لدن جامعة الدول العربية والأليسكو والحكومات العربية كى يلزموا رؤساء المسارح والمسؤولين عن مراكز الاعلام ومديرى الصحف بأن يتحروا عند اختيار معينهم.

قبـل الوصول الى تحقيق تلك الرغبة يجب أن يعيى المسؤولون عن الشعوب العربية واجبهم نحو اللسان العربى أى نحو الهوية التاريخية والحضارية.. **ذاك هو المحور الثانى..**

جل العرب لم يعوا بعد خطورة الوضع. ومن يستطيع أن يقوم ببلورة وتوعية المسؤولين فتصبح لغات الاعلام ولغات التدريس فى مستوى الأدوار المنوطة بها؟

ما نظن أن المجامع بقادرة على ذلك. فاهتماماتها بالماضى يحجب عنها الحاضر لأن جل مغـامراتها الأولية الكبرى التزام بالمحافظة على «التراث».. الا أن احياء التراث وان كان ضرورياً فان الواجب من حيث التاريخ والأخلاق يلزم باستغلال الماضى فى تطوير الحال والمستقبل. وبما أن الاهتمام بالأمس يستحوذ على الحظ الأوفر من اوقات المجمعيين غدت مشاكل اليوم وبناء الغد بلا وصى حكيم هكذا: ان المجمعيين فى عزلة عن تيارات التطور الطبيعى. ذاك هو المحور الثالث..

المشكـل محير وعـويص جدا وكل المؤشرات تثبط عزائم المتفائلين وتنمى خيبة المتشائمين. رغم كل شىء ليست الحلول من قبيل المحال.

حقا تفككت العروة التى تجمع العالم العربى وبتنا بلا جامع مشترك فلا سوق اقتصادية مشتركة.. ولا أخلاق دفاعية.. ولا نظرة سياسية أو دبلوماسية منسقة.. ولا.. ولا.. لم يبق لنا إلاّ اللسان العربى لنتواصل به رغم كل الاختلافات ورغم التخلف.. فالتقارب والتنافر يتناوبان الظهور والاختفاء على الخارطة العربية.. لم يبق الا هذا اللسان به نتصل - فى بعض الظروف - أى به نلتقى وبه نفترق.

● وللأسف الشديد ان ضمير المتكلم فى «نتصل» لا يعود الا على حاملى الشهادات وعلى المؤنجـدين عمـومـا وهؤلاء يمثلون الأقليـة أمـا جمهرة العرب فلا يحسنون قراءة ولا كتابة والدارجات تغرقهم فى قطيعة مع تراثهم المشترك بحيث كلما انتقلوا من مكان عاميتهم الى مكان عامية أخرى شعروا بانفصال مرير. ان العاميات والدارجات تغرقنا فى اللا - تفاهم.. فماذا يستفيد المصرى الأمى والمثقف على السواء من أخيه المغربى عندما يقول له: «الخوهَدّ لُوليَا طَلْعَتْلى زَعَفْ»؟ وماذا يستفيد المغربى كيف ما كان مستواه عندما يسمع شقيقه ابن الكنانة يقول: «أنا عايز أوط زى ده»؟.

ان أكثريـة الشعـوب العـربية تعاني قطيعتين: الأولى أفقية (وهي التي تحدثت عنها الفقرات السابقة) والأخرى عمودية يجسدها انفصام عن التراث الحضارى المسجل.

انفصام يزداد مع الأيام وتعمقه وتعقده الصحافة المسموعة والمرئية.. وكذلك السينما ولغة الأغاني. أما الصحافة بالفصحى فلا يقرأها الا المحظوظون.

والقُـرّاء نوعان: نوع يتهجى العناوين أو يتفرج على الصور المصاحبة للنص المطبوع.. ونوع يستوعب ما يقرأ.. والقراءة الحق لا تكتفى بالتأبجد اذ لابد من تعلم طويل الأمد لأن اللسان العربى ليس سهلا كما يزعم البعض.

انه عسير جدا لسببين: **أولهما**: انه مهجور فى الخطابات اليومية والبيت يجند البصر على حساب الفهم.. **ثانيهما**: ان العربية حتى المكتوبة لا تخلو من مشاكل لن يتغلب عليها الا بتحول جذرى للكتابة.. على رأس لائحة الصعوبات كون الكتابة العربية معوقة لفقدان الحركات على الحروف وكل جهاز أو جسم أصابه عطب ما فى حركاته بات مشلولا. فلن يكون لنا مستقبل اذا لم نحى لساننا واللسان العربى لن تستقيم أموره اذا بقيت الكتابة بلا حركـات. هـذا هو المحور الرابع.. وانه أهـم محاور الإصلاح بل حوله يتمحور نهوض العربية أو سُباتها.

● قد ننتصر قليلا أو كثيرا على القطيعة وعلى صعوبة القراءة اذا جندنا الاذاعة والتلفزة. . وكذلك السينما والأغنية فى خدمة اللسان العربى لأنها أدوات فعالة لترسيخ الضوابط والقوالب فى الجمل السليمة بألفاظ صحيحة فتتحرك الذاكرة ويستقيم النطق فى الحديث.

فهل يصح العزم على القيام بذلك؟
تكمن فى الجواب العملى على هذا التساؤل بداية الاصلاح الأشمل ونهاية يأس المتشائمين.

فهل من مجيب؟

■■ المصلحون فى واد والمشاكل فى واد. . يقتل المجمعيون والجامعيون الأوقات فى مشاكل مهمة الا أنها لم تعط ـ ولا تعطى ـ ولن تعطى الدواء الناجع. . بحوثهم لا تخرج عن محيطهم. . له يكتبون وبينهم يتحاورون. . فلا ينزلون الى مستوى الشعوب العربية ولا يواجهون ما يقع فى القاعدة انهم يحلقون دائما ـ يحلقون أبدا الى القمة. . ولا يصعد الى قمم الجبال الا الاقوياء وذوو الاختصاص فى التسلق. ان المجمعيين والجامعيين أقل تأثيرا فى نشر اللسان العربى وترويجه بين القراء العاديين وبين الاغلبية الساحقة من تأثير المذيعين والممثلين السنمائيين والصحفيين فمن الصحفيين من يضعون مصطلحات وعبارات وترجمات تفرض نفسها بفضل التكرار ويتعود عليها البصر أو السمع فتستقر بالذاكرة. وهذا ناموس طبيعى لأن ما يجد قلبا خاليا يتمكن. والواقع أن بعض ما يرتجله الصحفيون عن عجل (الخبر الصحافى لا ينتظر). . أو بعد بحث وتأمل يستساغ ويستقر سواء كانت بنياته واشتقاقاته سليمة ودقيقة يقبلها الذوق. . أو لا. وتعمل الصحافة أحيانا على ترويج ألفاظ عربية مهجورة تعيد لها الحياة. . كما تضع مصطلحات وعبارات جديدة يدعو لها الحاح المعاصرة فتفرض نفسها فى الاستعمال وفى ذلك انماء للعربية لأنها لسان رحب وحى.
● حينما يقع اكتشاف أو اختراع سرعان ما يسميه الصحفيون قبل المجامع والجامعات والمعاهد العليا. وعندما تضع احدى هذه الهيآت أسماء للاكتشافات يكون ما أطلقه الصحفيون قد دب على الألسنة وشاع بمحاسنه ومساوئه.

فهل من حل لهذا الوضع؟
هل ستدخل المجامع والهيآت العلمية الأخرى فى حوار مع الصحافة ليساعدوها؟. . تلك سلسلة تساؤلات وليست الوحيدة على كل حال.

■■ *الوضع الحالى غير مشجع . . استمعوا الى اذاعة الرباط ـ مثلا ـ فكل الأغانى بالعامية وأحيانا بكلمات يمجها الذوق العامى نفسه مثلا : «عينيك كيف الزاليط» (زليط انحراف الفرنسية = عويدات الكبريت)* Les allumettes *طبعا قد تصادفون عرضا أغنية بشعر عربى لكن ذلك من النوادر والنادر لا حكم عليه أو به . بنفس التقييم المسرحيات بالدارجة وأرقاها بالعامية .*

■■ تتبعوا باذاعة القاهرة مباراة لكرة القدم بين الزمالك والأهلى ـ مثلا ـ فستسمعون خليطا عربيا ـ أنجليزيا أو بأ صح تعبير ألفاظا أنجليزية فى قِذرة مصرية «كلام» لا هو من هذا اللسان ولا هو من ذاك : «أوفسايد» (عوضا عن الشرود أو التسلل) . . و«كورنر» عوضا عن ركنية أو جانبية» . . و«بنالتى» فى مكان ضربة جزاء . . و«الأوت» اللفظ انجليزى وقد عرب عن العربية

■■ ولنتصفح برامج المسرحيات المعروضة حاليا بمسارح العالم العربى والشرائط السنمائية فى قاعات العروض . . سنجد أن جلها أجنبى والباقى بالعاميات باستثناء قلة القليل و«الشاذ يؤكد القاعدة» كما يقال .

فإلى أين نسير؟

ليس المشكل فى تصحيح وزن صرفى أو اختيار لفظ «أفصح» من آخر أو التأكيد على قاعدة نحوية. ان القضية مصيرية وبالتالى تستوجب تغيير بنيات أجهزة الاعلام والتثقيف . . وغربلة أطر مسؤولة . . واستبدال فنانين وصحفيين بآخرين يفرضهم مستواهم الثقافى واللغوى ويعون مسؤوليتهم حق الوعى . . بذلك سيفرض اللسان العربى حقه فى المواطنة بالسوق والبيت والشارع . . ويتجذر فى الاجيال الصاعدة.

ومادل

من المعروف أن اللغة العربية وعلومها وأساليبها جزء لا يتجزأ من دين الاسلام فبلغة العرب وأساليبها نستطيع فهم القرآن ومعرفة أسراره . . وأسلوبه الذي أعجز البشر أن يأتوا بمثله مجتمعين أو بمثل أصغر سورة من سوره . . والذين يريدون أن يغيروا اللغة لا يبعد أن يكون من أهدافهم تغيير أوضاعها وأساليبها . . ومناهج طرقها في التعليم والترغيب والترهيب . . وإذا صح حدسي بأن هذا الأمر هدف من أهدافهم فاننا يجب أن نحارب مثل هذه الدعوات . . وأن نقف في وجوه أصحابها وقفة حازمة . . وأن نكشف عن أهدافهم التي تستهدف تدمير لغتنا . . وبالتالي تدمير ديننا . . وسلخنا من تراثنا العريق سلخا قاما على الدعة .

أ. عبد الكريم الجهيمان

لقد جلس البعض على كراسى الحكم أو الادارة أو الجامعة واستلذ السكوت ليدوم الجلوس مع الجمود فبـ «ما عليش» يتجنب بعضهم أى رجوع الى الضمير مستلهما الجرأة ليصلح ما حوله وهناك آخرون باعوا ضمائرهم مقابل الهدوء حتى لا يزحزحون عن الكراسى وفيهم مثقفون وأنصاف مثقفين. . فلا هم يعملون على اصلاح ما أسند اليهم أو ما بهم من نقصان. . ولا هم يتحركون. . فالحركة تفضحهم الكل يتآمر على العربية وما حملته من تراث انسانى وعلى ما يمكنها أن تساهم به لصالح الانسانية. هناك من هم قادرون على التغيير الا أنهم يخافون من تحريك السواكن. . فيخشون قول الحق وإظهار العيوب. . فما أهلك الأمم كالمثقفين عندما يلوذون بالسكوت.

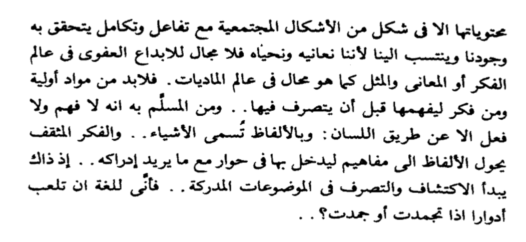
● فالقضية قضية ضمير. . قضية روح مواطنة وهذا محور آخر يتصل بالتربية.

ننتقل الآن الى محور خامس: استلاب التخاطب اليومى عند كثير من المثقفين العرب. لقد انبهروا بالغرب وتغربوا لغويا وسلوكيا فشعروا بغربة واغتراب. . انه عائق ليس أقل خطورة من العوائق السابقة بل على العكس انه انتحار لشخصية الأمة عن طريق انتحار كرامة أطرها العليا والوسطى وذوبان الآمال المعلقة عليها.

كيف يكون تقويم هذا المحور الذى تقوض حتى انشق مجموع كياننا العربى؟.

نصل الى محور سادس. . لا يمكن أن يتنكر الفكر لمحيطه الحياتى سواء اتبع فلسفة مادية أو مثالية فى الأفعال وردود الأفعال فللوجود الانسانى حياتان متوازيتا القيمة ومتكاملتان أبدا «حياة برانية وحياة جوانية». . فلا يتحرك الكائن البشرى ولا يدرك الأشياء والظاهرات الطبيعية والأحداث ولا يعطى أى معنى لتحركاته ولعلاقاته بالآخرين ولمحتويات الاعلام الا بواسطة الشفرات المجتمعية. فهل يمكن أن يتحقق وجودنا ماديا ومعنويا وينسب الينا عينيا اذا لم نكن نمارسه ونعانى تقلباته المتطورة والجامدة ونحاول تكييفه وتكيفنا معه؟. .

من وظائف التفكير ان يعكس ما حوله ويجرد المحسوسات ليرفعها الى مستوى النظر ولا يمكنه أن ينكر الأفعال والتفاعلات: اقتصاديا (الانتاج والاستهلاك). . طبعا «المبادلات». . وسياسيا مع (تنوع الأشكال والدرجات). . ومجتمعيا (بتأثيرات المجتمع المختلفة وحسب الضغوط) فمثلا: ان للدين بالعالم العربى حضورا متحركا ومؤثرا فى الأعماق. . على كل أوجه المحيط الحياتى لذلك لا يمكن فهم سلوك العرب وانفعالاتهم ورؤاهم من غير منظار دينى روحى والا جاءت الاستنتاجات خاطئة وبقيت الدراسات مضادة للواقع. فللوجود البشرى معطيات لا تدرك



محتوياتها الا فى شكل من الأشكال المجتمعية مع تفاعل وتكامل يتحقق به وجودنا وينتسب الينا لأننا نعانيه ونحياه فلا مجال للابداع العفوى فى عالم الفكر أو المعانى والمثل كما هو محال فى عالم الماديات. فلابد من مواد أولية ومن فكر ليفهمها قبل أن يتصرف فيها.. ومن المسلَّم به انه لا فهم ولا فعل الا عن طريق اللسان: وبالألفاظ تُسمى الأشياء.. والفكر المثقف يحول الألفاظ الى مفاهيم ليدخل بها فى حوار مع ما يريد إدراكه.. إذ ذاك يبدأ الاكتشاف والتصرف فى الموضوعات المدركة.. فأنّى للغة ان تلعب أدوارا اذا تجمدت أو جمدت؟..

لقد أتى على اللسان العربى حين من الدهر كان مبدعا مخترعا كشافا.. ثم أغلق باب الاجتهاد فى الفقه وجف معين علم الكلام - وبالتالى - تجمدت العربية مع انغلاق باب الاجتهادات.. اجتهد الأجداد عندما ترجموا.. واجتهدوا عندما فكروا.. واجتهدوا عندما وضعوا النقط على وتحت الحروف.. واجتهدوا فى تحوير العربية بالاشتقاق والتعريب ووضع المصطلحات كما اجتهدوا فى الترجمة.. بل اجتهدوا حتى عندما سهروا فى ليالى المرح والدعابة ثم أصابتهم الأمواج من كل مكان وجاءتهم ريح عاصفة فكان وكان ما كان.. ذبذبة وحيرة فى التعبير ركزت فينا.. وثوقية بأن كل شىء عندنا على ما يرام.. مما عاق الفكر العربى عن النقد الذاتى والتطور ومنعه من مرونة التصرف فى الواقع. فالوثوقية المادية والوثوقية المثالية تعارضان توحيد الرؤية والالتحام بالواقع.. أنهما حاجزان فى طريق بناء المستقبل بل حتى فى سيرورته وتصوره لأن للتفكير مضمونا خارجيا عنه يتجاوزه. فمعيار اليقين ليس فى الفكر بل فى علاقة الفكر بالواقع وتطابقه مع مجرياته.. ان مجريات اليوم هى السرعة والتفتح والاسترسال فى التكيف فاللسان العربى معرض لتحولات العصر ومن يحاولون تجميده يقتلونه «ومن الحب ما قتل».

ذاك هو معنى الانسان حيوان سياسى - مدنى بالطبع على اعتبار أن «السياسة هى تسيير المجتمع وتنظيم العلاقات بين الأفراد» فلا قوانين قاهرة للفكر توجهه وتجعلنا نخضع لها قبل محاولة إخضاعها لنا.

الفكر أفقي وان ظنَّ البعض أنه عمودى بيد أن أفقيته محدودة مكانيا وزمانيا. انه «آلة» تاريخية وتأريخية ومن هنا تصدر عن الفكر دلالات

حضارية. فعمليات الفكر قصدية. . لذلك كلما أردنا تحليل فعل فكرى وجب أن ينصب التحليل فى نفس الآن على مقاصد التفكير وعلى تأثيراتها على حياة المفكر ومحيطه. . وعلى استنتاج التصورات المرتبطة بذلك. معنى هذا ان مهمة التحليل القصدى هى إبراز ماهية الأفعال غير منعزلة عن ماهية الموضوعات. . ولا يمكن ذلك الا بلسان دقيق وواضح ومتحرك. فاللسان الجامد نتاج فكر جامد والعكس هو أيضا صحيح. . ان اللغات الميتة أو الجامدة لا تنعش الفكر بل تجمده وتقتله.

ماهية الفكر ومضمونه يتلازمان. . كما أن أى فعل فكرى بوصفه صادرا عن مفكر لا ينفصل عن فعل الفكر بصنته موضوعا يتقمص لغة. . فالشعور حضور الذات المباشر فى ومع محيطها. ومن وظائف الفكر المتميزة أن يعين الشعور ليرتفع عن مستوى الاحساس الى الوعى ولينتقل بالوعى الى التأمل فى علاقات الذات بمحيطها.

فالتأمل شرط سابق على أى تخطيط للوسائل الكفيلة بإصلاح خلل علاقات الذوات بمحيطها وبالتاريخ. ولا محيط ولا تاريخ للانسان دون لسان للاستبانة وللتواصل. . فمثلا لتاريخ الشعوب العربية بنيات دينية. . لذلك فالتفكير بحياد عن تلك البنيات نكران لواقع العرب. فأخذ هذا الاطار بعين الاعتبار مؤشر للتأمل. . وبالتأمل تنتصر قدرات الذات على التصرف فى المحيط. ينير الفكر الخبرات وينظمها وينميها بقدر ما يتمسك بالواقع فلابد أن يعرف الواقع قبل ان يعمل على تغييره.

فهل تعرفنا بجدية وتدقيق على واقعنا؟.

لا. . فما كانت الفصاحة ولا البلاغة بقادرة على ذلك.

يعترف الفكر بوجود شعور لا يخضع لتأملاته. . ويحدث إحساسات غامضة. . انه شعور يغذى مبادرات تفاجئه أحيانا. . وبأفعال عفوية لا تدخل فى قبضة استنتاجاته. ذاك عالم لا يخضع لسيطرة اللسان «انه من فوقيات اللغة» عالم خارج على شريعة اللغة لذلك يسيل دون ضوابط وقوانين. انه يتواجد مع عالم اللسان داخل الذات وان رفض الخضوع الى الفكر. فالذات أغنى من الفكر. انها مبدأ الوحدة الفردية (الشخص). . ومركز الرغبات والأفعال (الفكرية وغير الفكرية). فالتعبير عن الرغبات والميول والعواطف يتحول بتحولها على مر الأجيال إذ لكل جيل وجدان جمعى يختلف عن وجدان الأجيال السابقة. فلغة الجاحظ نموذج هام فى اللسان العربى ولكنها لا تلبى حاجات مجتمع حضارة التصنيع. . بمزاحماتها وتناقضاتها. فإما أن يتكيف اللسان العربى وإما سيبقى الفكر العربى يعيش

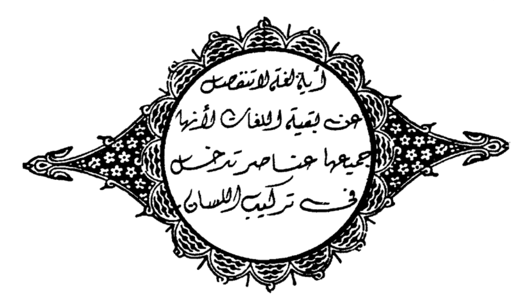
عصورا فاتت وليست عصره، وبالتالى : سيبقى يعيش فى غير واقعه ذهنيا وزمانيا ومكانيا كأنه مهمش فى التاريخ .

للذات حضور دائم فى أغلب لحظات الحياة النفسانية . . وحضور آخر فى جل الافعال التى تربطها بالغير وبالعالم . . لكن يعترى كلا الحضورين ثقوب الغفلة والنسيان لأن الحياة ليست كلها يقظة وتيقظا . هناك أغلاط يرتكبها العقل نتيجة للجانب اللا معقول من الذات فكما للفكر انزلاقات عن المنطق كذلك تنزلق الذات سيكلوجيا خارج الأفعال الطبيعية وردود الأفعال المتوقعة .

يتحرك (الأنا) فى حدود لا تخضع كلها للفكر ولا تسمح للفكر أن يتجاوزها أو أن يدعى القدرة على استنفاذ كل الواقع .

ذاك شأن اللغات . . لها دينامية بعضها يخضع للفكر وبعضها ينبع من خارج الفكر. فمثل من يحاول إيقاف هذا المظهر أو الآخر كمثل من يحاول ايقاف الحياة فى تدفقها .

العربية هى المناخ الوجدانى والتاريخى الذى يجمع أشتاتنا بعد أن فرقت بيننا كل أنواع القطيعة . . انها رابطة وثقى نسجتها أجيال من الأجداد وبها تواجدوا ثم تفككت الوحدة الا أن اللسان العربى جابه الأحداث وكل أنواع القطيعة . . انه إرث ضخم فماذا نحن فاعلون به؟ .



■ *إن الزمان يهدم كل أداة لا تستعمل . .*

■ *القضية مصيرية : «أن نكون أو لا نكون» تلك هي إشكاليتنا في هذا القرن العتيد . فلن يكون غد للعرب ـ كعرب ـ الا اذا عرفوا كيف يحافظون على لسانهم ويطورونه ، فصيانته في تجديد الهواء حوله .*

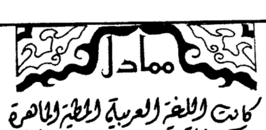
■ *الخطوة مهدَّدة وواقع الحال لا يمكن التغلب عليه الا بتفيذ مقترحات منها :*

(١) *تنسيق أعمال مجموع المعاهد والهيآت التي تهتم باللغة : ان المشاريع الكثيرة المتشابهة مضيعة للجهود في خين أن العالم العربي يتوفر على طاقات محدودة بالنسبة للمائة والخمسين مليونا من السكان .*

(٢) لابد من اختيار بين لغة الفصاحة وبين لسان خطابات متخصصة . . بين لغة البلاغة وبين لسان دقة تعانق الواقع .

(٣) لابد من تجنب غموض الألفاظ والتباس العبارات والاهتمام بالقديم الغريب على المستحدث الذي يفي بالمعنى المقصود . . فصيانة اللسان العربي ليست في تقديس اللفظ لأنه عتيق بل لأنه لا يحمل إبهاما ولا تشويشا على بيان الكلام وتفهيمه .

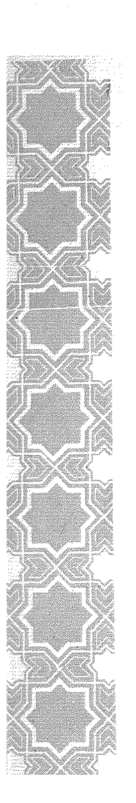
(٤) أن يُراعى في اللفظ دائما جزئيات المعنى المقصود إيصاله بلا حشو.



كانت اللغة العربية المطية الماهرة الذكية التي تحمل الفكر العربي إلى حيث لم يصل قبله إنسان .. كانت صحيحة الغذاء والهواء مرنة الأوصال والأعضاء قوية العضلات والحواس خالية من العقد والهواجس والمخاوف تنمو وتتطور لفظاً وصياغة من غير أن تفقد نفسها في العالم المترامي الذي تخوضه حاملة هذا الفكر الثري وراجعة إلى قواعدها بالنادر والثمين والنفيس من أفكار الأمم التي اتصلت بها .

د . حسن ظاظا

ان جهود المجامع والمعاهد جبارة بيد أن مردودها العملي أقل بكثير من إنتاجاتها الموضوعية . . فالمنشورات لا توزع على أوسع نطاق تعميما للفائدة وجل ما ينشر يتصل بإحياء التراث وهذا وان كان هاما جدا ليس تطويرا للسان وتكييفه اذ لا ينال القدر الكافي من العناية بما هو كائن بل لا ينصب الا على ما كان .



«فلابد اذن من» :

(١) تقسيم الأعمال بين المجامع والجامعات مما ينشط إحياء التراث . . وفي نفس الوقت يعين على وضع معاجم مختصة وعامة كما يعين على وضع معاجم لغوية مبسطة .

(٢) جعل الحركات على الحروف للتلاميذ والطلبة وللعامة من القراء .

(٣) تنظيم اجتماعات مشتركة بين المجامع (بلا خطب ترحيب ومجاملات وبلا قصائد فصيحة بليغة) ونقترح لكل الاجتماعات أربع جلسات في السنة (دون طنين) . الغاية من تلك الجلسات اختبار الأعمال الخاصة التي قام بها كل مجمع على حدة . . وبعد المراجعات يبدأ النشر والتوزيع على أوسع نطاق .

(٤) تأسيس شبكة للتوزيع تربط بين مجموع الجامعات والمعاهد والمجامع والجمعيات الثقافية والاذاعات والتلفزات العربية لترويج المصطلحات والمقررات التي يقرها مجمع المجامع .

(٥) تأسيس مكتب للتيسير تحدد له مسؤوليات ومنهجية للعمل وتشرف عليه لجنة من الجامعيين والمجمعيين .



توزيع الجوائز والمكافآت على الطلبة المتفوقين في مسابقة لغوية

تلك بعض المقترحات واللائحة طويلة ومفتوحة أمام كل من يريد ان يسهم في بلورة الموضوع أكثر دون أن يتخوف من التعرض للنقد والتجريح مادام يؤمن بضرورة العمل من أجل مجابهة التخلف والقضاء عليه .



أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﴿ﷺ﴾ القرآن الكريم ﴿بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ﴾ وقد قال الله عز وجل فى شأنه ﴿وإنَّهُ لكتابٌ عَزيزٌ لا يأتيه الباطلُ من بَين يَدَيْه ولا من خَلْفِهِ تنزيلٌ مِن حكيمٍ حميدٍ﴾ وتكفل الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم من أى تحريف أو تغير أو تبديل حتى يرث الله الارض ومن عليها، قال تعالى : ﴿إنَّا نحنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحافِظُون﴾.

ومن المعروف ان القرآن الكريم أنزل على رسولنا محمد ﴿ﷺ﴾ فى نيف وعشرين سنة وتوفى الرسول الكريم والقرآن غير مجموع فى صحف.. وفى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه خرج القراء من الصحابة الى الغزوات فاستشهد منهم عدد كبير فى حرب الردة يوم اليمامة فأشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أبى بكر أن يأمر بجمع القرآن وأخذ يراجعه فى ذلك حتى شرح الله صدره بما شرح به صدر عمر فكلف أبو بكر الصديق زيد بن ثابت رضى الله عنه بجمع القرآن وكتابته.

قال زيد : فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والسعف واللخاف(١) وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة عند ذى الشهادتين الأنصارى كان رسول ﴿ﷺ﴾ جعل شهادته كشهادة رجلين لم نجدها مع غيره ﴿لَقد جَاءَ كُم رسولٌ من أنفُسِكُم﴾ إلى آخر السورة.

قال زيد : فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله.. ثم عند عمر حتى توفاه الله.. ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضى الله عنها حتى أخذها منها عثمان رضى الله عنه فنسخها فى المصحف ثم ردها إليها(٢) وقد كان من رحمة الله تعالى بعباده أن يسر لهم قراءة القرآن إذ كان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لهجاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع. فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرىء كل أمة بلغتها وما جرت عليه عادتهم قال صلى الله عليه وسلم «إنَّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرءوا منه ما تيسر»(٣) ومما يروى فى سبب جمع عثمان رضى الله عنه القرآن فى مصحف على لغة واحدة وحرف واحد أن حذيفة بن



اليمان كان قد حضر فى زمن عثمان فتح أذربيجان وأرمينية فرأى الناس يختلفون فى قراءة القرآن إختلافا شديدا واشتد الخصام بينهم وقال كل فريق قراءتنا أولى من قراءتكم فراع ذلك حذيفة وأفزعه فقدم على عثمان رضى الله عنه وقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف فى كتاب الله كاختلاف اليهود والنصارى فأحضر عثمان الصحف التى كانت عند حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها ودعا زيد بن ثابت الأنصارى وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأمرهم بنسخ المصحف وقيل بل جمع اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم زيد بن ثابت وأمرهم بكتابة المصحف وقال عثمان للرهط من قريش: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانها فلما نسخوا المصحف كتبوه فى سبع نسخ ووجه عثمان إلى كل مصر مصحفا وأمسك لنفسه مصحفا وهو الذى يقال له الامام وحرق ما عدا ذلك من المصاحف.

فعند ذلك اجتمع الناس فى الأمصار على مصحف عثمان وقرأ أهل كل مصر من قراءتهم التى كانوا عليها بما يوافق خط المصحف الذى أرسله إليهم عثمان وتركوا من قراءتهم ما خالف خط المصحف وكان المصحف إذ كتبوه لم ينقطوه ولم يضبطوا إعرابه فتمكن لأهل كل مصر أن يقرءوا المصحف على قراءتهم التى كانوا عليها مما لا يخالف صورة خط المصحف.. فقرأ قوم ﴿مِن كُلِّ حَدَبٍ﴾ بالحاء والباء على ما كانوا عليه.. وقرأ آخرون ﴿مِن كُلِّ جَدَثٍ﴾ بالجيم والثاء على ما كانوا عليه(٤) وقرأ قوم ﴿يَقُصُّ الحَقَّ﴾ بالصاد على ماكانوا عليه.. وقرأ قوم: ﴿يقضِ الحق﴾ بالضاد على ماكانوا عليه(٥)

---

(١) اللخاف جمع لخفة بوزن تمرة وهى الحجارة البيضاء العريضة الرقيقة.

(٢) انظر الابانة عن معانى القراءات لمكى بن أبى طالب تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبى ص٢٣ والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/٧-٨.

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة والنشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/١٩.

(٤) قرأ ابن عباس (من كل جدث) وهو القبر (البحر المحيط لأبى حيان ٦/٣٩.

(٥) قرأ الحرميان (عبد الله بن كثير المكى، ونافع بن أبى نعيم المدنى) وعاصم (يقُصُّ الحقَّ) بالصاد المضمومة غير المعجمة من القصص، وقرأ الباقون بالضاد المعجمة المكسورة والأصل أن يتصل بالفعل ياء لأنه مضارع مرفوع من القضاء لكن خط المصحف بغير ياء فتكون الياء حذفت لدلالة الكسرة عليها (الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب ١/٤٣٤. ومطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق..

الاحتجاج بالقراءات

يجوز الاحتجاج بالقرآن الكريم فى العربية بكل ما قرىء به وفى ذلك يقول جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ(٦): (أما القرآن الكريم فكل ما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به فى العربية سواء أكان متواترا أم آحادا أم شاذا وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه ولا يقاس عليه نحو (اسْتَحْوَذَ)(٧) ويأبَى(٨) .

وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة ومن ثم احتج على جواز إدخال لام الأمر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا﴾(٩) كما احتج على إدخالها على المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة ﴿ولْنَحمل خَطَايَاكُم﴾(١٠)

وقال عبد القادر بن عمر البغدادى المتوفى سنة ١٠٩٣هـ ما يلى(١١): (فكلامُهُ ـ عزَّ اسمُهُ ـ أفصحُ كلامٍ وأبلغُهُ ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه) .

وقد عرّف ابن جنى المتوفى ٣٩٢هـ القراءة الشاذة بأنها التى خرجت عن قراءة القراء السبعة التى جمعها أحمد بن موسى أبو بكر بن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤هـ فى كتاب السبعة فى القراءات، ولعل هذه القراءات التى خرجت عن قراءة القراء السبعة أو لعل أكثرها مساو فى الفصاحة للمُجمَع عليه(١٢) .

والقُرّاء السبعة هم:

١ ـ أبو عمرو بن العلاء التميمى المازنى البصرى(١٣) المتوفى سنة ١٥٤هـ.

٢ ـ نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى امام أهل المدينة فى القراءة(١٤) المتوفى سنة ١٧٠هـ.

٣ ـ عبد الله بن كثير إمام أهل مكة فى القراءة(١٥) المتوفى سنة ١٢٠هـ.

٤ ـ عبد الله بن عامر إمام أهل الشام فى القراءة(١٦) كان من التابعين وتوفى سنة ١١٨هـ.

٥ ـ عاصم بن بهدلة أبى النجود شيخ الاقراء بالكوفة(١٧) كان من التابعين وتوفى سنة ١٢٨هـ.

٦ ـ حمزة بن حبيب الزيات امام إهل الكوفة فى القراءة(١٨) المتوفى سنة ١٥٦هـ.

٧ ـ أبو الحسن الكسائى إمام الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات(١٩) توفى سنة ١٨٩هـ.

القراءة الصحيحة المقبولة

بيَّن مكى بن أبى طالب المتوفى سنة ٤٣٧هـ ما يقبل من القراءات ومالا يقبل حيث قال[٢٠]: فإن سأل سائل فقال: فما الذى يقبل من القراءات الآن فيقرأ به؟.

وما الذى يقبل ولا يقرأ به؟
وما الذى لا يقبل ولا يقرأ به؟

فالجواب: ان جميع ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام:

وقسم يقرأ به اليوم وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهى: ان ينقل عن الثقات إلى النبى ﷺ . . ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن شائعا . . ويكون موافقا لخط المصحف فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرىء به وقطع على مغيبه وصحته وصدقه لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف وكفر من جحده.

والقسم الثانى: ما صح نقله فى الاحاد وصح وجهه فى العربية وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ[٢١] به لعلتين:

أحدهما: أنه لم يؤخذ بإجماع إنما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

والعلة الثانية: أنه مخالف لما قد أجمع عليه فلا يقطع على مغيبه وصحته وما لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به. . ولا يكفر من جحده وبئس ما صنع إذ جحده.

كلمات

تقسيم المشي

يقول العرب فى تقسيم المشي على ضروب من الانسان والحيوان

الرجل : يسعى
المرأة : تمشى
الصبى : يدرج
الشاب : يخطر
الشيخ : يدلف
الفرس : تجرى
البعير : يسير
الظليم : يهدج
الغراب : يحجل
العصفور : ينقر
الحية : تنساب
العقرب : تدب

---

(٦) الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى ص٤٨ تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم ـ الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٩٦هـ.

(٧) قال تعالى ﴿استَحوذَ عليهم الشيطان﴾ المجادلة من الآية ١٩ فالفعل (استحوذ) خالف القياس الذى كان يقتضى نقل حركة الواو الى الساكن الصحيح قبلها ثم قلبها ألفا نحو استقام أصله: استقوم.

(٨) قال تعالى: ﴿ويأبىَ الله إلا أن يُتِم نُورَه﴾ سورة التوبة من الآية ٣٢ ـ وجه مخالفته القياس أن باب فَعَلَ يَفْعَلُ بفتح العين فى الماضى والمضارع يطرد فيما كانت عينه أو لامه من حروف الحلق.

(٩) قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ سورة يونس من الآية ٥٨ روى عن ابن عامر أنه قرأ (فلتفرحوا) بالتاء على الخطاب قرأ غيره (فليفرحوا) بالياء. . (الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب ١/ ٥٢٠ تحقيق الدكتور محيى الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ وانظر شرح الأشمونى ٣/٣ (ط مصطفى محمد بمصر).

(١٠) سورة العنكبوت من الآية ١٢ وانظر شرح الأشمونى ٤/ ٣.

(١١) خزانة الادب للبغدادى ١/ ٤ تحقيق الاستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ مطبعة دار العصور بمصر.

(١٢) المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لابن جنى ١/ ٣٢ (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية).

(١٣-١٩) ترجمته فى طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٢٨٨، ٢/ ٣٢٠، ١/ ٤٤٣، ١/ ٤٢٣، ١/ ٣٤٦، ١/ ٢٦١، ١/ ٥٣٥.

(٢٠) الابانة عن معانى القراءات لمكى بن أبى طالب ص١٨ وما بعدها.

(٢١) مثال القسم الأول قرأ عاصم والكسائى مالك يوم الدين بألف وقرأ باقى القراء السبعة (ملك يوم الدين) بغير ألف (أنظر الابانة لمكى بن أبى طالب ص٧٣ والنشر لابن الجزرى ١/ ١٤).

مثال القسم الثانى: قرأ ابو هريرة (مليك يوم الدين) بياء بين اللام والكاف قال مكى بن أبى طالب وهو المعنى حسن لأنه بناء للمبالغة فهو أبلغ فى الوصف والمدح من (ملك) ومن (مالك) لكنه يخالف خط المصحف فلا يقرأ به (الابانة عن معانى القراءات ص٧٨).

والقسم الثالث : ما نقله غير ثقة(٢٢) أو نقله ولا وجه له فى العربية . فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف»(٢٣) .

وقال محمد بن محمد الدمشقى الشهير بأن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣هـ فى تعريف القراءة الصحيحة والشاذة ما يلى(٢٤) : (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه . . ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين . . ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف . . صرح بذلك الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ونص عليه فى غير موضع الامام أبو محمد مكى بن أبى طالب والامام ابو العباس أحمد بن عمار المهدوى وحققه الامام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد خلافه) .

ثم قال ابن الجزرى فى شرح ما تقدم : (٢٥)

وقولنا : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالاسناد الصحيح إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم وهذا هو المختار عند المحققين فى ركن موافقة العربية فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم بل أجمع الائمة المقتدى بهم من السلف على قبولها .

ونعنى بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا فى بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر ﴿قَالُوا اتَّخَذَ الله ولداً سُبحانَهُ﴾ فى البقرة بغير واو فإن ذلك ثابت فى المصحف الشامى .

وكقراءة ابن كثير ﴿جنات تجرِى من تحتها الأنهارُ﴾ فى الموضع الاخير من سورة براءة بزيادة (من) فان ذلك ثابت فى المصحف المكى وكذلك ﴿فإنَّ الله هو الغَنىُّ الحميدُ﴾ فى سورة الحديد بحذف (هو) إلى غير ذلك من مواضع كثيرة فى القرآن اختلفت المصاحف فيها فوردت القراءة عن أئمة تلك الأمصار على موافقة مصحفهم . . فلو لم يكن ذلك كذلك فى شىء من المصاحف العثمانية لكانت القراءة شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه .

وقولنا بعد ذلك : ولو احتمالا نعنى به ما يوافق الرسم ولو تقديرا فقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقا ويوافقه بعضها تقديرا نحو ﴿ملكِ يوم الدّين﴾ فإنه كتب بغير ألف فى جميع

المصاحف فقراءة الحرف تحتمله تخفيفا كما كتب ﴿مَلِك النّاس﴾ وقراءة الألف محتملة تقديرا كما كتب ﴿مَالِك المُلْكِ﴾ فتكون الألف حذفت اختصارا وقولنا: وصح سندها فإنا نعني به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ به بعضهم وقد شرط بعض المتأخرين التواتر فى هذا الركن ولم يكتف بصحة السند وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وهذا مما لا يخفى ما فيه فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبى ﴿ﷺ﴾ وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم خالفه وإذا اشترطنا التواتر فى كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم.

من مآخذ النحاة على القراءة وتوجيه قراءاتهم

مما عابه بعض النحاة على القراءات الصحيحة ونسبوا أصحابها الى اللحن ما أورده السيوطى حيث قال(٢٦):

«كان قوم من النحاة يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة فى العربية وينسبونهم إلى اللحن وهم مخطئون فى ذلك فان قراءتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لا مطعن فيها.. وثبوت ذلك دليل على جوازه فى العربية وقد رد المتأخرون منهم ابن مالك على من عاب عليهم ذلك بأبلغ رد واختار جواز ما وردت به قراءاتهم فى العربية وإن منعه الأكثرون».

من ذلك احتجاجه على جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار بقراءة حمزة ﴿واتّقوا الله الذى تساءلُونَ بِهِ والأرْحَامِ﴾ وعلى جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعوله بقراءة ابن عامر ﴿قَتْلُ أولَادَهُم شُركائِهِمْ﴾.

والتوجيه النحوى لقراءة حمزة ﴿واتّقُوا الله الذِى تَساءَلُونَ بِهِ والأرحامِ﴾(٢٧) بخفض

---

٢٢) مثال ما نقله غير ثقة مما غالب إسناده ضعيف قراءة ابن السميقع (فاليوم ننجيك ببدنك) يونس من الآية ٩٢ قراها ننحيك بالحاء بالمهملة (النشر لابن الجزرى ١/١٦).

٢٣) لا يصدر مثل هذا إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط ومثاله ما روى عن ابن عامر من فتح الياء مع إثبات الهمزة ، قوله تعالى (أدرى أقريب) الأنبياء من الآية ١٠٩ (النشر لابن الجزرى ١/١٦).

٢٤، ٢٥) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/٩ (ط مصطفى محمد بمصر)، ١/١٠-١٣ (باختصار).

٢٦) الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى ص٤٩ (ط السعادة بالقاهرة).

٢٧) سورة النساء من الآية(قرأ حمزة «والأرحامِ» بالجر عطفا على الضمير المجرور محلا فى (به) وهذا عند البصريين بعيد عن القياس لأنه لا يحسن عندهم العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار وقرأ باقى السبعة «والأرحامَ» بالنصب عطفا على اسم الله جل ذكره على معنى واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها ويجوز ان يكون معطوفا على محل الجار والمجرور به لأنها فى موضع نصب (الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب ١/٣٧٥-٣٧٦).

الأرحام بالعطف على الضمير المخفوض محلا فى «به» من غير إعادة الخافض هو أن حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة كان من أئمة القراء بالكوفة ونحاة الكوفة يجيزون العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض(٢٨) . . وقد استدلوا على جواز ذلك بقراءة حمزة واستدل الكوفيون على رأيهم بقول الشاعر:

فاليومَ قَرَّبتَ تَهجُونا وتشتِمُنا
فاذهبْ فما بِكَ والأيامِ مِنْ عَجَبِ(٢٩)

فالأيام مخفوضة بالعطف على الكاف المجرورة محلا فى (بك).

ويقول مسكين الدارمى:

تُعَلَّقُ فى مِثلِ السَّوارِي سُيُوفُنا
ومَا بَيْنَها والكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ(٣٠)

فالكعب مخفوض بالعطف على الضمير المخفوض محلا فى (بَيْنَهَا).

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض وذلك لأن الجار مع المجرور بمنزلة شىء واحد فكأنك عطفت الاسم على الحرف وعطف الاسم على الحرف لا يجوز وأما الجواب عن احتجاج الكوفيين بقراءة حمزة الزيات (والأرحام) بالجر فلا حجة لهم فى ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الواو للقسم وليست عاطفة وجواب القسم ﴿إِنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

وقد علق العكبرى(٣١) على هذا الجواب بقوله: وهو ضعيف لأن الأخبار وردت بالنهى عن الحلف بالآباء ولأن التقدير فى القسم وبرب الأرحام».

والثانى: أن قوله (والأرْحَامِ) مجرور بباء مقدرة غير الملفوظ بها والتقدير: وبالأرحام فحذفت لدلالة الأولى عليها.

■ وأجابوا عن البيت الأول بأن رواية (والأيامِ) بالجر ليست بالعطف على الكاف فى قوله (بك) بل على القسم. وأجابوا عن البيت الثانى بأن رواية (والكعب) بالجر ليست بسبب العطف على الضمير فى قوله (بينها) وإنما على تقدير تكرير (بين) مرة أخرى. فكأنه قال: فما بينها وبين الكعب فحذف الثانية لدلالة الأولى عليها.

وتوجيه قراءة ابن عامر لقوله تعالى ﴿وكذلكَ زُيِّنَ لكثيرٍ مِنَ المشركينَ قَتْلُ أَوْلَادَهمْ شُركَائِهِم﴾(٣٢) فإنه قرأ (زُيِّنَ) بضم الزاى بالبناء للمفعول و(قتلُ) بالرفع على أنه نائب

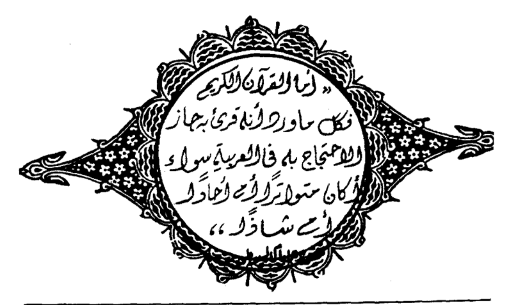
لفاعل و(أولادَهُم) بالنصب على أنه مفعول للمصدر و(شركائهم) بالجر على اضافة قتل ليهم من إضافة المصدر إلى فاعله وفصل بينهما بالمفعول به والتقدير على هذه القراءة: قتلُ ىركائِهم أوْلادَهُمْ.

▪ وقراءة ابن عامر تتفق مع مذهب الكوفيين الذين يجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور وهذا من مواضع الخلاف بين الكوفيين والبصريين حيث ذهب لبصريون إلى أنه لا يجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف والجار والمجرور(٣٣).

وقرأ باقى السبعة (زَيَّنَ) بفتح الزاى بالبناء للفاعل ونصبوا (قَتْلَ) بالفعل (زَيَّنَ) وخفضوا اولادِهِمْ) بإضافة (قتل) اليهم ورفعوا (شُرَكَاؤُهُم) لأنه فاعل (زَيَّنَ).

▪ وقد ضعف البصريون قراءة ابن عامر لانها تخالف قياسهم وقالوا(٣٤):

لا يسوغ لكم الاحتجاج بها لأنكم لا تقولون بموجبها لأن الإجماع واقع على امتناع لفصل بين المضاف اليه بالمفعول فى غير ضرورة الشعر والقرآن ليس فيه ضرورة.



٢٨) انظر أدلة الكوفيين والبصريين بالتفصيل فى كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى المسألة رقم ٦٥ ص٤٦٣: ص٤٧٤.

٢٩) هذا البيت أورده ابن الانبارى فى الانصاف ص٤٦٤ ولم ينسبه الى قائله وهو من شواهد سيبويه ١/٣٩٢ (ط بولاق) ولم ينسبه إلى قائله وقربت تفعل كذا أى جعلت تفعله والمعنى هجوك لنا من عجائب الدهر فقد كثرت فلا يعجب منها.

٣٠) نسب هذا البيت فى كتاب الحيوان للجاحظ الى مسكين الدرامى والسوارى جمع سارية: الأسطوانة (العمود) يعنى أن به طوال وأن السيف على الرجل منهم كانه على سارية وغوط جمع غائط المكان المطمئن ونفانف جمع نفنف كجعفر الهواء أى ن السيف والكعب مسافة.

٣١) املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى القرآن للعكبرى ١/٩٦ (المطبعة الميمنية بمصر).

٣١) سورة الأنعام الآية ١٣٧ والآية فى المصحف (وكذلك زَيَّنَ لكثيرٍ مِنَ المشركين قتلَ أولادِهِم شركاؤُهم).

٣١) انظر أدلة الكوفيين والبصريين بالتفصيل فى كتاب الانصاف لابن الأنبارى المسألة رقم ٦٠ ص٤٢٧: ص٤٣٦ وانظر كشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب ١/٤٥٣ وشرح الأشمونى وحاشية الصبان عليه ٢/٢٠٧.

٣٤) الانصاف لأبى البركات الانبارى ٢/٤٣٥-٤٣٦ (باختصار).

وانما دعا ابن عامر إلى هذه القراءة أنه رأى فى مصاحف أهل الشام (شركائهم) مكتوبا بالياء ومصاحف أهل الحجاز والعراق (شركاؤهم) بالواو فدل على صحة ما ذهبنا اليه».

■ واذا كانت القراءة سنة متبعة فليس للبصريين أن يضعفوا قراءة صحيحة السند تثبت عليها قارئهـا لأنها خالفت قياسهم النحوى قال أبو عمرو الدانى(٣٥) وائمة القراء لا تعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها».

ومن المآخذ التى أخذت على القراء ما رواه الفرّاء حيث قال: (٣٦) حدثنى أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة أنها سئلت عن قوله تعالى فى النساء ﴿لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يُؤمِنُون بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزل من قَبْلك والمقيمينَ الصَّلاة﴾ وعن قوله فى المائدة: ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ وعن قوله: ﴿إنَّ هذانِ لساحران﴾ فقالت: يا ابن اخى هذا خطأ من الكاتب.

قال ابن هشام: (٣٧) وهذا بعيد الثبوت عن عائشة رضى الله عنها.. فإن هذه القراءات كلهـا موجهـة وهى قراءة جميع السبعـة فى (المقيمين) و(الصابئون) وقرأ الأكثر (إنَّ هذان لساحران) فلا يتجه القول بأنها خطأ لصحتها فى العربية وثبوتها فى النقل.

والتوجيه النحوى للقراءات التى وردت فى الآيات السابقة يتلخص فيما يلى:

بالنسبة لقراءة: (والمقيمين الصلاة) فى آية النساء فقد قرأها السبعة بالياء وكان مقتضى القياس أن يكون (والمقيمون) بالواو لأنه معطوف على المرفوع وجمع المذكر السالم يرفع بالواو.

وقد أجيب عن قراءة (والمقيمين) بالياء بعدة أوجه(٣٨) أرجحها وجهان:

أحدهما: أن (المقيمين) نصب على المدح والتقدير وأمدح المقيمين وهذا قول سيبويه وجمهور البصريين وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها وقد علق العكبرى على هذا الوجه بقوله(٣٩): وإنما يأتى ذلك بعد تمام الكلام».

والثانى: أنه مخفوض لأنه معطوف على (ما) فى قوله تعالى ﴿يُؤمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إليكَ﴾ أى يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء وقيل التقدير: وبدين المقيمين الصلاة، على تقدير حذف مضاف فيكون المراد بهم المسلمين.

وفى مصحف عبد الله (والمقيمون) بالواو وهى قراءة مالك بن دينار(٤٠) وعاصم الجحدرى(٤١) وعيسى الثقفى(٤٢) ولا إشكال فيها وأما قراءة (والصابئون) بالواو فى الآية التى

فى المائدة فقد اختلف الكوفيون والبصريون فى توجيه هذه القراءة لاختلافهم فى جواز العطف على موضع اسم إن قبل تمام الخبر(٤٣).

فذهب الكوفيون إلى أن قوله «والصابئون» بالواو معطوف على موضع اسم (إن) قبل تمام الخبر وهو قوله تعالى ﴿مَنْ آمَنَ بالله واليومِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالحِاً فلاَ خوفٌ عليهِم ولا هُم يَحزنُونَ﴾.

واستدل الكوفيون على مذهبهم بأنه سمع عن العرب: إنَّكَ وزَيْدٌ ذَاهبان وقالوا: أجمعنا على انه يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر مع (لا) النافية للجنس فى نحو: لا رَجُلَ وامرأةٌ أفضلُ منكَ فكذلك مع إنَّ لأنها بمنزلتها وإن كانت إنَّ للاثبات ولا للنفى».

وكذلك اجمعنا على أنه يجوز العطف على موضع الاسم بعد تمام الخبر فكذلك قبل تمام الخبر لأنه لا فرق بينهما عندنا إذ قد عرف من مذهبنا أن (إنَّ) لا تعمل فى الخبر لضعفها.

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز العطف على موضع اسم (إنَّ) قبل تمام الخبر ولا يجوز أن يُقال إنَّكَ وزيدٌ قائمانِ لأن هذا يؤدى إلى أن يعمل فى الخبر وهو (قائمان) عاملان مختلفان وهما إنَّ والمبتدأ (زيد) وذلك محال.

وما حكاه الكوفيون من قول بعض العرب: إنَّك وزيدٌ ذاهبان فقد ذكر سيبويه أنه غلط من بعض العرب فلا حجه لهم فيه.

وأما قولهم: أجمعنا على انه يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر مع (لا) فكذلك مع (إن) قلنا إنما جاز مع (لا) لأنها لا تعمل فى الخبر بخلاف (إنَّ) فلم يجتمع فى الخبر عاملان فجاز العطف على الموضع قبل تمام الخبر دون (إنَّ) وتوجيه قراءة (والصابئون) بالواو عند البصريين فيها أوجه أرجحها وجهان: أحدهما أن يكون فى الآية تقديم وتأخير والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر

كلمات

قال.. على بن أبى طالب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أما إنها ستكون فتنة، قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال: كتاب الله تعالى، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه.

---

(٣٥) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/١٠-١١.

(٣٦) معانى القرآن للفراء ١/١٨٣ (الدار المصرية للتأليف والترجمة).

(٣٧) شرح شذور الذهب لابن هشام ص٧٢.

(٣٨) انظر املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى القرآن الكريم للعكبرى ١/١١٧-١١٨ وشرح شذور الذهب لابن هشام ص٧٦.

(٣٩) إملاء ما من بهَ الرحمن للعكبرى ١/١١٧.

(٤٠) هو أحد القراء وقد نسب إليه ابن جنى فى المحتسب بعض القراءات.

(٤١) هو عاصم الجحدرى البصرى توفى سنة ١٢٨هـ (طبقات القراء لابن الجزرى ١/٣٤٩).

(٤٢) هو عيسى بن عمر الثقفى بالولاء شيخ الخليل وسيبويه وأبى عمرو متوفى ١٤٩هـ (طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ص٣٥ ومعجم الأدباء لياقوت ١٦/١٤٦).

(٤٣) انظر أدلة البصريين والكوفيين بالتفصيل فى كتاب الانصاف المسألة رقم ٢٣ ص١٨٥: ص١٩٥.

وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك فيكون (الصابئون) مرتفعا بالابتداء (والنصارى) معطوف عليه والخبر محذوف والجملة فى نية التأخير عن حيز اسم إنَّ من اسمها وخبرها وذلك كقول الشاعر:

وَمَـن يَكُ أَمْسَـى بِالمـدِينَـة رَحْلُهُ
فإنِّـى وَقَـيَّـارٌ بِهَا لَغَـرِيـبُ(٤٤)

والتقدير فإنِّى بِهَا لَغَرِيبٌ وقَيَّارٌ كذلك.

والوجه الثانى أن تجعل ﴿مَنْ آمنَ بالله واليوم الآخر﴾ خبرا للصابئين والنصارى ويكون خبر (إنَّ) محذوفا مدلولا عليه بخبر المبتدأ المذكور ولكن الوجه الأول أجود لأن الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه أولى من العكس.

وقيل (والصابئون) معطوف على الضمير المرفوع فى قوله (هادوا) ويضعف هذا الوجه أن فيه العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير فاصل.

وقيل إن (إنَّ) بمعنى نعم فما بعدها فى موضع رفع (والصابئون) معطوف عليه(٤٥).

أما قراءة قوله تعالى ﴿إنَّ هذانِ لسَاحِرَان﴾(٤٦) بتشديد (إنَّ) و(هذان) بالألف فقد أجيب عنها بأوجه(٤٧):

أحدها: أن لغة بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة وآخرين استعمال المثنى بالألف دائما تقول جاء الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان قال الشاعر:

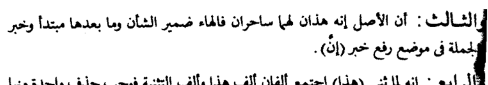
تَزَوَّدَ مِنَّـا بَيْنَ أُذْنَـاه طَعْـنَـةً
دَعَـتْـهُ إلـى هَابِـى التُّرَابِ عقـيـم(٤٨)

وقال الآخر:

إنَّ أبــاهــا وأبــا أبــاهــا
قَدْ بَلَغَــا فى المــجــد غايــتــاهــا(٤٩)

وقد رجح أبو جعفر النحاس هذا الوجه حيث قال: (٥٠) هذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية، إذ كانت هذه اللغة معروفة وقد حكاها من يرتضى علمه وصدقه وأمانته منهم أبو زيد الأنصارى، وهو الذى يقول: إذا قال سيبويه حدثنى من أثق به فإنما يعنينى وأبو الخطاب الأخفش وهو رئيس من رؤساء أهل اللغة، روى عنه سيبويه وغيره).

والثانى أن (إنَّ) بمعنى نعم، مثلها فيما حكى أن رجلا سأل ابن الزبير شيئا فلم يعطه فقال له: لعن الله ناقة حملتنى إليك.. فقال: إنَّ وراكبها، أى نعم ولعن الله راكبها وإنَّ التى بمعنى نعم لا تعمل شيئا كما ان نعم كذلك.



الثالث : أن الأصل إنه هذان لهما ساحران فالهاء ضمير الشأن وما بعدها مبتدأ وخبر الجملة فى موضع رفع خبر (إنَّ).

الرابع : انه لما ثنى (هذا) اجتمع ألفان ألف هذا وألف التثنية فوجب حذف واحدة منها لالتقاء الساكنين فمن قدر المحذوفة ألف هذا والباقية ألف التثنية قلبها فى الجر والنصب ياء ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها.

الخامس : أنه لما كان الاعراب لا يظهر فى الواحد وهو (هذا) جعل كذلك فى التثنية ليكون المثنى كالمفرد لأنه فرع عليه.

وبعد فلعل من المستغرب أن وجدنا فيما سبق بعض النحاة يتهمون القراء باللحن ويضعفون قراءاتهم لأنها تخالف قياسهم النحوى مع أن قراءة القرآن الكريم سنة متبعة ومع أن القرآن الكريم قد حظى بأكبر قدر من الدقة والتثبيت وتحرى وجه الصواب . . فإذا أخطأ أحد القراء أو سها فخطؤه مردود وسهوه مستدرك . . فإذا ثبت القارىء على ما ظنه غيره خطأ أو سهوا فلابد أن يكون له وجه فى العربية غاب عمن زعم ذلك الخطأ. والذى أرجحه أن القراءة متى صح سندها ونسبتها إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ووافقت خط المصحف العثمانى وكان لها وجه سائغ فى العربية التى نزل بها القرآن كانت مقبولة وجاز الإحتجاج بها وإن خالفت قياس النحاة لأن قياسهم ليس حجة على القراءات الصحيحة.

---

(٤٤) قائله ضابىء بن الحارث البرجمى والشاهد فيه على رواية (وقيارٌ) بالرفع حذف خبر الثانى لدلالة خبر عليه والتقدير: فإنى بها لغريب وقيار كذلك وقيار: اسم فرسه والرحل المراد به المنزل وقال هذا البيت حينما حبسه عثمان رضى الله عنه لهجائه قوما من بنى نهشل (سيبويه ١/٣٨ ط بولاق) والانصاف ص٩٤ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٥٣ واللسان (قير).

(٤٥) انظر إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى القرآن للعكبرى ١/١٢٨-١٢٩.

(٤٦) سورة طه من الآية ٦٣ وقد قرأ بتخفيف النون ابن كثير وحفص وقرأ الباقون تشديد النون (النشر فى القراءات العشر ٢/٣٢١).

(٤٧) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ورقه ١١٧ مخطوط ٤٨ تفسير دار الكتب المصرية وشرح شذور الذهب لابن هشام ص٦٦: ص٧٠ ومعانى القرآن للفراء ٢/١٨٤، وإعراب القرآن للعكبرى ٢/٦٧.

(٤٨) نسب هذا البيت فى لسان العرب مادة (هبا) إلى هوبر الحارثى وراوية ابن منظور (بين أذنيه ضربة) وعلى روايته فلا شاهد فى البيت ولكن ورد (أذناه) بالألف فى شرح المفصل لابن يعيش ٣/١٢٨، وجمهرة اللغة لابن دريد مادة (رزف) وروايته بين أذناه ضربة) والشاهد فى قوله (أذناه) وهو مثنى وكان حقه أن يجر بالياء لأنه مضاف إليه ولكنه جاء بالالف على لغة بعض العرب الذين يلزمون المثنى الألف دائما كالمقصور ويعرب بحركات مقدرة على الالف، والهابى من التراب: ما ارتفع ودق والمعنى: تزويد منا بين أذنيه طعنه فاتلة ألقته ميتا لا حراك به.

(٤٩) نسب هذا الشاهد لرؤبة ونسب إلى أبى النجم العجلى والشاهد فى قوله (غايتاها) فإنه مثنى وكان حقه أن ينصب بالياء لأنه مفعول به ولكنه جاء بالألف وفى البيت شاهد آخر وهو إتيان (أباها) بالألف وكان حقه أن يجر بالياء لانه من الاسماء السته لكنه جاء بالالف على لغة من يلزمها الألف رفعا ونصبا وجرا (الانصاف ١/٨).

(٥٠) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ورقة ١٧ (مخطوط رقم ٤٨ تفسير دار الكتب المصرية).



اهتم الخليل وسيبويه وابن جنى بتحديد مخرج كل من الألف والهمزة فى القناة الصوتية وتبيين صفاتهما فقدموا دراسة طيبة لهذين الصوتين يمكن أن توصف بأنها تتفق فى إطارها العام مع ما حدده ووصفه المحدثون.

فقد ورد قولان عن الخليل حول مخرج الهمزة والألف:

الأول: جعل فيه أقصى الحلق مخرجاً للهمزة وذلك بقوله: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِّه عنها لانت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح»(١).

الثانى: جعل فيه الجوف مخرجاً لهما قال «فى العربية تسعة وعشرون حرفاً صحاحاً لها «حياز» ومخارج وأربعة هوائية وهى الواو والياء والألف اللينة والهمزة»(٢) وعلل سبب تسمية الهمزة هوائية بقوله: «فأما الهمزة فسميت حرفاً هوائيا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة انما هى هاوية فى الهواء.. فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»(٣).

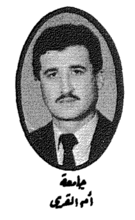
وتبنى سيبويه وابن جنى رأى الخليل الأول حول الهمزة وضما الألف إليهما وقررا أن مخرجيهما من أقصى الحلق وأسفله(٤) وعارض ابن الجزرى رأى الخليل الثانى وبين أن الصواب اختصاص هذه الثلاثة ـ الألف والواو والياء ـ بالجوف دون الهمزة»(٥).

والحقيقة أن قول الخليل الذى يعتبر فيه الهمزة جوفية هوائية أمر يصعب تفسيره لأنها بعد البحث التجريبى «صوت صامت حنجرى انفجارى يحدث حين تُسَدّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين وذلك بانطباق هذين الوترين انطباقا تاما بحيث لا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة فينضغط الهواء فيها دون الحنجرة ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتا انفجاريا(٦).

وحاول الدكتور كمال بشر أن يعلل سهو الخليل بأنه حينما كان ينطق بالهمزة لمعرفة طبيعتها ونوعها لم ينطقها وحدها وإنما نطقها متلوة بحركة فبدت كما لو كان هواؤها حرا طليقا على حين أن حرية الهواء إنما تنسب إلى الحركة المصاحبة

للهمزة لا إلى الهمزة ذاتها(٧) ولكن الدكتور بشر يقرر أن «قصة الهمزة عند الخليل مضطربة أشد إضطراب»(٨) وممن أشار إلى هذا الاضطراب ايضا الـدكتور أحمد مختار عمر وذلك بقوله: «والشيء الغريب حقا فى وصف القدماء للهمزة والذى لا يمكن الدفاع عنه أو تبريره بأى حال من الأحوال هو تناقضهم الواضح فى عدهم الهمزة من ناحية من بين الأصوات الشديدة الانفجارية ووصفهم السابق لها بأنها هوائية من ناحية أخرى فكيف تكون انفجارية وهوائية فى وقت واحد»(٩) ومن قبلُ نصَّ الدكتور محمود السعران على أن وضع الخليل للهمزة بين الأصوات الجوفية غيرُ صحيح »(١٠).

● *ورأى الخليل الأول الذى وافقه عليه سيبويه وابن جنى القائل بأن مخرج الهمزة من أقصى الحلق لم يسلم من النقد أيضاً فهو فى رأى المحدثين «قول غير دقيق» لأن مخرج الهمزة من الحنجرة غير أن هذه الشبهة تزول إذا كان القدماء يقصدون بأقصى الحلق منطقة واسعة تشمل الحنجرة كما قال الدكتور كمال بشر(١١).*


جامعة أم القرى

ويلاحظ أن ما ذكره الخليل حول الهمزة يمكن أن يفسر تفسيراً آخر على غير ماذهب اليه المحدثون . . ذلك أن قول الخليل: وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فاذا رُفِّه عنها لانت إلى الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح»(١٢) ذو شقين :

الأول : ويمثل همزة القطع وهو قوله فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة.

الثانى : ويمثل الهمزة المخففة ويتمثل فى قوله فإذا رُفِّه عنها لانت الى الياء والواو والألف .

(١، ٢، ٣) العين ١/ ٥٨، ١/ ٦٤.

(٤) الكتاب ٢/ ٤٠٥ طبعة بولاق - وسر الصناعة ٥٢.

(٥) النشر ١/ ١٩٩.

(٦) علم اللغة، الدكتور محمود السعران ١٧٠-١٧١ بتصرف.

(٧، ٨، ١١) علم اللغة والاصوات القسم الثانى ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦.

(٩) دراسة الصوت اللغوى ٢٨٩.

(١٠) Acritical Study ofthe phonetic observation of the Arab Grammarians EL-Saarn Mahmoud.p. 213.

(١٢، ١٦) العين ١/ ٥٨، ١/ ٦٤

إذن - يبدو أن الخليل مثل فى هذا التعريف أهل التحقيق وأهل التخفيف . . ولا يستبعد ذلك لأن مصطلح الهمزة كان فيما يبدو يدل على وجهين مترادفين هما التحقيق والتخفيف فلا تطلق كلمة الهمزة إلا ويتبادر إلى الذهن مباشرة هذان الوجهان . . ولعل هذا الفهم لكلمة الهمزة جعل المبرد لا يعتبرها صوتاً كسائر الأصوات العربية الاخرى لكونها لا تثبت على صورة مستقرة . . وبعبارة أخرى ان اختلاف نطقها بين الواو والياء والألف وبالتالي اختلاف كتابتها دفعه الى إسقاطها من حروف المعجم . وقد رد ابن جنى عليه رداً محكما تتضح منه تلك العلاقة الوثيقة بين إطلاق كلمة الهمزة وأهل التحقيق والتخفيف قال: فأما إخراج أبى العباس الهمزة من جملة الحروف واحتجاجه فى ذلك بأنها لا تثبت صورتها فليس بشىء وذلك أن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها لما كانت موجودة فى اللفظ الذى هو قبل الخط . . والهمزة أيضا موجودة فى اللفظ كالهاء والقاف وغيرها فسبيلها أن تعتد حرفا كغيرها . . فأما انقلابها فى بعض أحوالها لعارض يعرض لها من تخفيف أو بدل فلا يخرجها من كونها حرفا . . وانقلابها أدل دليل على كونها حرفاً . ألا ترى أن الألف والواو والياء والهاء والنون وغيرهن قد يقلبن فى بعض الأحوال ولا يخرجهن ذلك من أن يعتددن حروفا . . وهذا أمر واضح غير مشكل(١٣) .

ثم يوضح ابن جنى هذه العلاقة أكثر حين يقرر أن الألف التى فى أول المعجم هى صورة ورمز للهمزة المنطوقة وأن اختلاف كتابتها بين الواو والياء مرده التخفيف عند أهل الحجاز أما أهل التحقيق فلا يكتبونها إلا ألفا قال: «إعلم أن الألف التى فى أول حروف المعجم هى صورة الهمزة وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز فى التخفيف ولو أريد تحقيقها ألبتة لوجب أن تكتب ألفا على كل حال(١٤) .

ومما يؤكد أن هذا الفهم لكلمة الهمزة كان كذلك أن المبرد حين تحدث عن الهمزة فرق بين همزة القطع والهمزة المخففة فقال: «الهمزة تحتها جميعاً - أى تحت الألف والهاء - أعنى الهمزة المحققة - فلتباعدها من الحروف . . وثقل مخرجها . . وأنها نبرة فى الصدر جاز فيها التخفيف»(١٥) فقوله: أعنى الهمزة المحققة - دلالة على أن مراده هى ذاتها . . وكأنه يخشى أن تلتبس بمفهومها العام الدال على التحقيق والتخفيف .

وإذا كان الأمر كذلك فإن الخليل مَثَّل فى قوله الأول هاتين اللهجتين . . غير أنه شعر وهو المبتكر لعلم العروض وصاحب الأذن الموسيقية البديعة أن الهمزة المخففة

تشابه صوتياً مع الصوائت الثلاثة فدفعه هذا التشابه إلى ضم الهمزة إليها فقال قوله الثاني: وأربعة هوائية وهى الواو والياء والألف اللينة والهمزة(١٦) وهو إنما يريد همزة التخفيف وليس همزة القطع (Glottal stop) كما فهمه المحدثون فقالوا إن الخليل جعل للهمزة مخرجين. وما فعله الخليل لا ينكره المحدثون لأن سقوطها فى الكلام يستعاض عنه بإطالة صوت اللين قبلها(١٧) وتسهيلها بين بين يُفَسَّر صوتياً بأنه صوت لين قصير»(١٨).

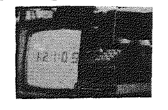
ومما يؤكد هذا التفسير

١ ـ أن الخليل لم يذكر فى مقدمة العين شيئاً عن الهمزة المخففة ويبدو أن الخليل أجمل ثم جاء تلميذه سيبويه وفصل فجعل الهمزة المحققة فى أبجديته وتحدث عن المخففة فى كتابه حديثا مسهبا..

٢ ـ أن قول الخليل معللا ابتداءه بالعين دون الهمزة ـ لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل الا زائدة أو مبدلة(١٩) يدل على أمرين :

أ ـ أن الهمزة فى ذهن الخليل ذات شقين صحيحة ومعتلة لا ينفك الواحد منها عن الآخر وبعبارة أخرى محققة ومخففة.

ظلال



فى دراسة اجريت بمعهد الالكترونيات المصرى لتقييم اداء نظم معالجة البيانات وحفظ النصوص العربية بهدف تقليل حجم الذاكرة المطلوبة لتخزين اى نص عربى فى الحاسب الالكترونى اظهرت نتائج الدراسة الاحصائية التى اجريت على عينات متباينة من المجلات العلمية والادبية والصحف اليومية.. ان طول الكلمة فى اللغة العربية يفوق مثيلاتها فى اللغة الانجليزية وان هناك كلمات عربية بها حروف زائدة مشتركة يمكن ضغطها فى التخزين.

واثبتت الدراسة المصرية ان الضغط الحجمى فى تخزين البيانات باللغة العربية يكون فعالا عند استخدام الخاصية الحرفية للغة العربية.. وفى النهاية خلصت الدراسة انه قد امكن ضغط حجم الذاكرة المطلوبة لتخزين اى نص عربى داخل الحاسب الالكترونى الى ٤٥٪ من حجم الذاكرة الاصلية للنص فى وقت قصير جدا.

١٣، ١٤) سر الصناعة ٤٨، ٤٦.

١٥) المقتضب ١/١٥٥.

(١٧، ١٨) الأصوات اللغوية الدكتور ابراهيم انيس ٩٠، ٩١.

(١٩) انظر المزهر، السيوطى ١/٩٠.

ب ـ أن الخليـل كان يدرك الفرق بين الهمزة والألف فإذا كان الامر كذلك فكيف يجعل الخليل الهمزة المحققة مع الألف اللينة وينسبها أيضاً إلى الجوف ويصفها بالهوائية؟؟ ورجل مثل الخليل ـ فيما نحسب ـ لا يفعل ذلك إلا إذا حُمِلَ كلامه على الوجه الذى فسرناه.

٣ ـ أن قول ابن منظور «والهمزة كالحرف الصحيح غير أن لها حالات من التليين والحذف والابدال والتحقيق تَعْتَلُّ فأُلحقَت بالاحرف الجوف وليست من الجوف إنما هى حلقية فى أقصى الحلق ولها ألقاب كألقاب الحروف»(٢٠) يؤكد لنا أن إطلاق كلمة الهمزة كان يحتمل وجهين: التحقيق والتخفيف وقد عبر عنه ابن منظـور بقـوله «والهمزة كالحرف الصحيح غير أن لها حالات من التليين.. تعتـل» وكأن هذه الحالات مظاهر مرضية دائمة للهمزة بحيث لا تنطق إلا ويفهم منها هذان المعنيان ولذلك قال ابن منظور فى أول حديثه والهمزة كالحرف الصحيح ولم يقل «حرف صحيح» ويبدو أن ابن منظور قد تنبه إلى سبب وضع الخليـل لهذه الهمزة المخففة مع الصوائت الثلاثة إذ انه بعد أن ذكر حالاتها المرضية وختمها بقوله تعتل أتبعها بقوله فألحقت بالأحرف الجوف وليست من الجـوف وهذه إشارة إلى أن السبب الذى دفع الخليل الى ضم الهمزة الى الصـوائت الثلاثة هو اعتلالها الناتج عنه هذا التشابه الصوتى الذى أحسه الخليـل فى الهمـزة المخففـة فضمهـا إلى الصوائت الثلاثة. والحق يقال ان الدكتور عبد الله درويش قد تنبه الى ذلك فقال فى مقدمة العين «ولقد فطن الخليـل إلى أن الهمزة أعمق الحروف مخرجاً ولكنه وجد من تغييرها سبباً فى عدها ضمن حروف العلة»(٢١).

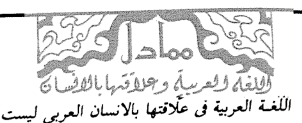
وعلى أية حال إن صح هذا التفسير فهو يدل على ما يلى:

(١) أن الخليل لم يجعل للهمزة مخرجين كما يرى بعضهم وإنما مخرجها عنده أقصى الحلق وقد تبعه فى ذلك سيبويه وابن جنى وتعيين هذا المخرج لا غبار عليه من قبل المحدثين إذا كان أقصى الحلق عندهم يشمل الحنجرة وأغلب الظن أنه كذلك.. ذلك أن الحلق كما قال أبو زيد المتوفى ٢٠٦ هو الغلصمة وموضع المـذبـح(٢٢) والغلصمـة عند علماء الأصوات المحدثين بعد استعانتهم بعلم التشريح هى لسان المزمار الواقع فوق الحنجرة(٢٣) فاذا كان الحلق هو الغلصمة

وكانت الغلصمة هى لسان المزمار الواقع فوق الحنجرة فبدهى أن قول القدماء أقصى الحلق وأسفله يشمل الحنجرة.

(٢) أن التناقض الغريب الذى لاحظه بعضهم على القدماء يزول ذلك أن الانفجارية هى الهمزة المحققة والهوائية هى الهمزة المخففة.

والحقيقة أنه كان يجب على الخليل أن يحدد نوع الهمزة التى ذكرها مع الصوائت الثلاثة.. وعدم التحديد هذا أوقع الخالفين من بعده فى الاضطراب حينما حاولوا أن يفسروا ذلك.



اللغة العربية فى علاقتها بالانسان العربى ليست ككل اللغات فى علاقتها بالناطقين بها ذلك أن اللغة العربية قد صحبت الانسان العربى من أقدم أيام تاريخه المعروف تحمل فكره وتراثه وتسجل تاريخه وآثاره كلما مرت بعصر أو مر بها حملت من إضافاته ما حملت ثم واصلت مسيرتها دون كلل. . تنطق الآثار وتروى أخبار الديار دون أن ترهقها اوزار سبعة عشر قرنا من عمرها المعلوم وربما لا يعلم أكثر من هذا بكثير. . لقد صحبت اللغة العربية الانسان العربى قبل الاسلام تروى متناقضات صراعه مع الحياة. ثم كانت اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم وسنة الرسول الامين ثم ما نشأ على حافات طريقها من علوم وفنون عبرت اللغة العربية بها القرون لتستمد منها النهضات وتقتبس منها الحضارات فى كل زمان ومكان.

دكتور
محمد سعد
بن حسين

٢٠) لسان العرب، حرف الهمزة.

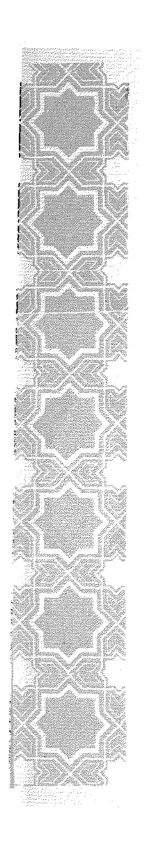
٢١) العين ١/ ٣٤.

٢٢) انظر تاج العروس مادة حلق.

■ أمـا الألف: فلا ريب أن تعيين مخرج لها هو من قبيل السهو أيضا لأن طبيعة الصوائت بعد البحث التجريبى ليس لها مكان محدد فى القناة الصوتية وإنما يعتمد فى معرفتها على عدم وجود حائل يمنع الهواء الخارج من الرئة من الاستمرار والجريان وعلى وضع اللسان والشفتين أثنـاء نطقها ووضوحها السمعى الذى يشعر به السامع. غير أن استعمال الخليل لمصطلح هوائى يمكن أن ينطبق كما يقـول الـدكتـور السعـران على الألف اللينة التى هى حركة طويلة(٢٤) لأن وصف الخليل للألف بأنها هوائية يدل على أننا حينما ننطقها لا يعترض طريقها مانع بل يجرى الهواء حراً طليقاً. وقد أكد الخليل على هذا المعنى فكان يقول كثيرا الألف اللينة والواو والياء هوائية أى انها فى الهواء(٢٥) وأنها - كما يقول فى موضع آخر لا يتعلق بها شيىء(٢٦) ولذا فإن الخليل - كما يقول الدكتور كمال بشر قد أتى فى الواقع بأهم خاصة من خواص الحركات وهى حرية مرور الهواء حال النطق بها فلا يقف فى طريقها عائق(٢٧).



■ وطبيعى أن النطق بها - باعتبارها هوائية - يلزم اللسان أن يهبط الى قاع الفم وأن يكون فى وضع إراحة تامة بحيث يخرج الهواء دون حائل موجود فى القناة الصوتية.. وبهذا يكون الخليل قد حقق الصفة الثانية لطبيعة الصائت الألف.. قال الدكتور أحمد مختار عمر «إن الألف ليس لها فى الحقيقة نقطة إنتاج معينة على طول مجرى الهواء لأن اللسان يكون معها فى واقع الأمر فى وضع إراحة أى ممتداً فى قاع الفم(٢٨).



■ وهبوط اللسان الى قاع الفم تتبعه عملية أخرى لا شعورية وهى انفراج الشفتين والخليل وإن كان لم يذكر وضع اللسان والشفتين فمن الملاحظ أن سيبويه وابن جنى قد تنبها إلى وضعهما ليس مع الصائت الألف فقط بل مع جميع الصوائت أيضا قال سيبويه: «ومنها الهاوى وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج اليـاء والواو إنك قد تضم شفتيك فى الواو وترفع فى الياء لسانك قبل الحنك وهى الألف وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجا: الألف ثم الياء ثم الواو»(٢٩) وهذا النص ذو أهمية كبيرة فهو بالاضافة الى كونه يؤيد ما ذهب اليه الخليل من كون الألف هوائية اتسع مخرجها لكى يجرى الصوت معها فى الفم دون عائق فهو يدل أيضاً على إدراك سيبويه لطبيعة الصائت الألف من حيث وضع اللسان والشفتين أثناء النطق بها. . فإذا كان اللســان يرتفع عند النطق بالياء. . والشفتان تستديران عند النطق بالــواو. . فإنـه فى حال النطق بالألف لا يرتفـع اللســان ولا تنضم الشفتـان فلا يبق إلا الانخفاض الى قاع الفم وانفراج الشفتين أيضا. وقد وضحت هذه القضية عند ابن جنى حيث حدد ووصف الألف كما وصفها المحدثون. . وذلك بقوله: «أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر»(٣٠) وهذا ما عناه المحدثون بقولهم بأنه عند النطق بالصوائت يندفع الهواء فى مجرى مستمر خلال الحلق والفم وخلال الأنف معها أحيانا. . دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً. . أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعاً(٣١).

وأخيراً فإن هذه الـدراسـة العلمية القيمة التى قدمها علماؤنا القدماء ووافقهم عليها المحدثون فى إطارها العام لهى مفخرة نعتز بها وكم نتمنى أن يتريث المحدثون قبل إصدار أحكـامهم على هذه الـدراسات فلعل المستقبل ـ بعد نشر كتب التراث ـ يحمل فى طياته إجابات تساؤلاتنا.

---

(٢٣) علم اللغة، الدكتور كمال بشر٨٤.

(٢٤) انظـر Acritical Study of the Phonetic Observation of The Arabgrammarians El-saarn Mahmoud p.2.6

(٢٥، ٢٦) العين ١/ ٦٤، ١/ ٦٥.

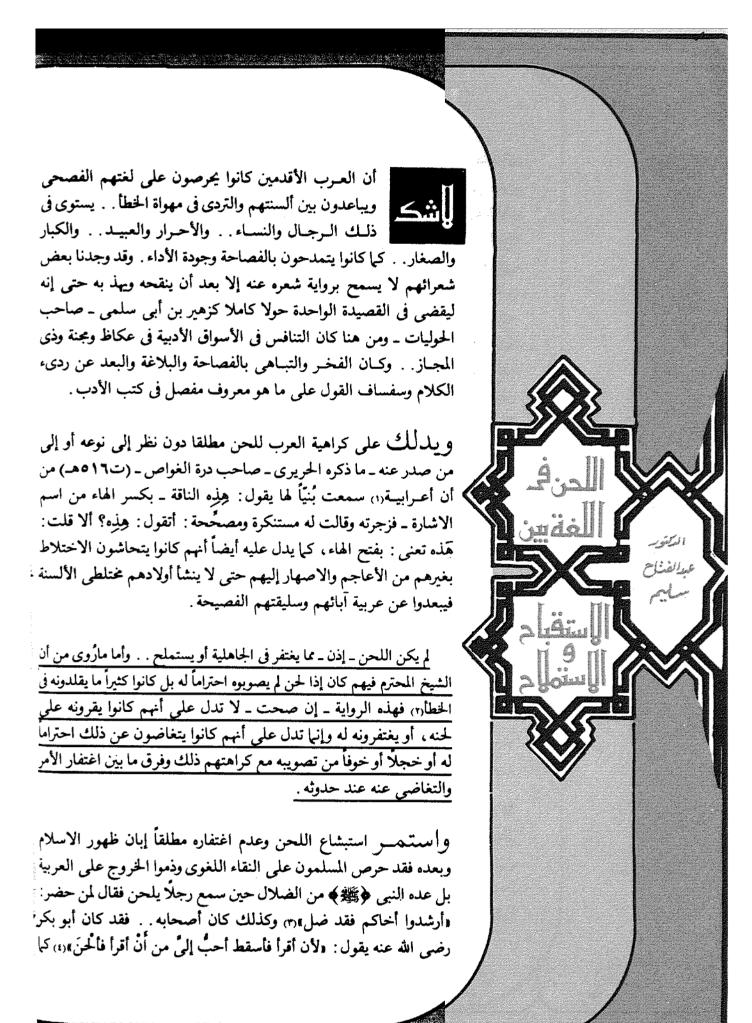
(٢٧) علم اللغة القسم الثانى ٩٨.

(٢٨) دراسة الصوت اللغوى ٢٩٧.

(٢٩) الكتاب سيبويه ٢/ ٤٠٦.

(٣٠) سر الصناعة ٨.

(٣١) علم اللغة الدكتور محمود السعران ١٦٠.



لا شك أن العرب الأقدمين كانوا يحرصون على لغتهم الفصحى ويباعدون بين ألسنتهم والتردى فى مهواة الخطأ. . يستوى فى ذلك الرجال والنساء. . والأحرار والعبيد. . والكبار والصغار. . كما كانوا يتمدحون بالفصاحة وجودة الأداء. وقد وجدنا بعض شعرائهم لا يسمح برواية شعره عنه إلا بعد أن ينقحه ويهذ به حتى إنه ليقضى فى القصيدة الواحدة حولا كاملا كزهير بن أبى سلمى ـ صاحب الحوليات ـ ومن هنا كان التنافس فى الأسواق الأدبية فى عكاظ ومجنة وذى المجاز. . وكان الفخر والتباهى بالفصاحة والبلاغة والبعد عن ردىء الكلام وسفساف القول على ما هو معروف مفصل فى كتب الأدب.

ويدلك على كراهية العرب للحن مطلقا دون نظر إلى نوعه أو إلى من صدر عنه ـ ما ذكره الحريرى ـ صاحب درة الغواص ـ (ت٥١٦هـ) من أن أعرابية(١) سمعت بُنيّاً لها يقول: هِذِه الناقة ـ بكسر الهاء من اسم الاشارة ـ فزجرته وقالت له مستنكرة ومصحّحة: أتقول: هِذِه؟ ألا قلت: هَذه تعنى: بفتح الهاء، كما يدل عليه أيضاً أنهم كانوا يتحاشون الاختلاط بغيرهم من الأعاجم والاصهار إليهم حتى لا ينشأ أولادهم مختلطى الألسنة فيبعدوا عن عربية آبائهم وسليقتهم الفصيحة.

لم يكن اللحن ـ إذن ـ مما يغتفر فى الجاهلية أو يستملح. . وأما مارُوى من أن الشيخ المحترم فيهم كان إذا لحن لم يصوبوه احتراماً له بل كانوا كثيراً ما يقلدونه فى الخطأ(٢) فهذه الرواية ـ إن صحت ـ لا تدل على أنهم كانوا يقرونه على لحنه، أو يغتفرونه له وإنما تدل على أنهم كانوا يتغاضون عن ذلك احتراما له أو خجلاً أو خوفاً من تصويبه مع كراهتهم ذلك وفرق ما بين اغتفار الأمر والتغاضى عنه عند حدوثه.

واستمر استبشاع اللحن وعدم اغتفاره مطلقاً إبان ظهور الاسلام وبعده فقد حرص المسلمون على النقاء اللغوى وذموا الخروج على العربية بل عده النبى ﴿ﷺ﴾ من الضلال حين سمع رجلاً يلحن فقال لمن حضر: «أرشدوا أخاكم فقد ضل»(٣) وكذلك كان أصحابه. . فقد كان أبو بكر رضى الله عنه يقول: «لأن أقرأ فأسقط أحبُّ إلىَّ من أنْ أقرأ فألْحنَ»(٤) كما

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستقبح الخطأ اللساني ويراه أقسى على نفسه وآلم من الخطأ فى الرمى بالسهام فقد رأى قوماً من الرماة لا يحسنون ذلك فلامهم فاعتذروا فأخطأوا فى لغة الاعتذار، فغضب وقال: «لحنكم أشد عليَّ من فساد رميكم. . سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول: «رحم الله امرءاً أصلح من لسانه»(٥).

ومثـل ذلك الاستهجان جاء عن خلفاء بنى أمية فقد رُوى عنهم استفظاع اللحن. . إذ جعله عبد الملك بن مروان أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس(٦). وجعله مسلمة بن عبد الملك أقبح من الجدرى فى الوجه(٧). وجعله عمر بن عبد العزيز مانعاً من تلبية الحاجة لمن يستحقها حين قال: «إن الرجل ليكلمنى فى الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها وكأنى أقضم حب الرمان الحامض لبغضى استماع اللحن»(٨) وكذلك كان أبو الأسود الدؤلى يقول: «إنى لأجد للحن غمراً كغمر اللحم»(٩) وبسبب هذا كان خلفاء بنى أمية يرسلون بأولادهم إلى البادية ليبعدوا عن رطانة الحضر فى فترة التلقى اللغوى ولينشأوا بين أصحاب العربية الخلص.


جامعة
أم القرى

ولـم يكن استقباح اللحن فى العصر الأموى أمراً ملتزماً إلا من الخلفاء لأنهم المسئولون عن سلامة الدولة العربية وفى مقدمتها سلامة لغة أبنائها. . ومع هؤلاء الخلفاء يأتى دور علماء اللغة لأنهم المسئولون عن صحتها وتعليمها لأولاد العامة والخاصة. . أما ماعدا هؤلاء وهؤلاء من الأدباء والشعراء فقد كان منهم من لا يستقبح اللحن بل يغتفره وقد

---

(١) درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى ٢٣١

(٢) انظر: البحوث والمحاضرات - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الدورة ٣٥ ص٦٤، ولم أهتد إلى هذه الرواية فى غير هذه البحوث.

(٣) تاريخ آداب العرب، للرافعى ٢٤٢.

(٤) مراتب النحويين ص٥.

(٥) الأضداد فى اللغة للأنبارى/٢١٣.

(٦، ٧) عيون الأخبار لابن قتيبة ١٥٨/٢.

(٨) الأضداد فى اللغة/٢١٣.

(٩) الصعقة الغضبية فى الرد على منكر العربية/١٧ عيون الأخبار ١٥٨/٢.

يستملحه من طوائف خاصة، ولعل أقدم ما وصل إلينا من ذلك شعر لمالك ابن أسماء - صهر الحجاج بن يوسف الثقفى - فى جارية تغنّى بها فقال:

أمغطى منى على بصر للحب
أم أنت أكمل الناس حسنا؟
وحديث ألذه هو مما
ينعت الناعتون يُوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحْيا
ناً وأحلى الحديث ما كان لحنا(١٠)

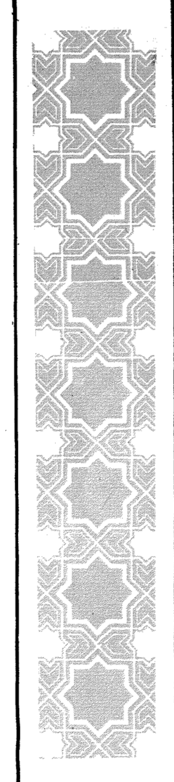
فقد أعجب مالك بجاريته ولذ له كل شىء فيها حتى حين تلحن وتنحرف عن الصواب فى كلامها فتخرج به عن مقتضى اللغة والاعراب. ومنذ عهد مالك هذا أخذت بشاعة اللحن تخف على الأسماع وتأنس إليه بعض الطباع ولا سيما إذا صدر فى مواقف خاصة ومن طوائف يلذ منها ذلك أو تضطر إليه اضطراراً.

ثم جاء العصر العباسى فاغتفر اللحن أحياناً من بعض العلماء باللغة - إلى جانب اغتفاره من الجوارى وغيرهن - فقد اغتفر الرشيد لحناً للامام النحوى - الفراء - حين ذكر له أنه حضرى من طبعه اللحن إذا لم يتحفظ.. واستحسن ذلك منه(١١).

وكان أول من نبه من العلماء إلى استملاح اللحن أحياناً أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) فقد حدد فى كتابه «البيان والتبيين» موقفين يغتفر فيهما اللحن بل قد يستملح:

أحدهما: موقف المحب مع من يحبه - على ما سبق عن مالك بن أسماء وجاريته.. إذا ما صدر اللحن على السجية دون تكلف «فاللحن من الجوارى الظِّراف.. ومن الكواعب النواهد.. ومن الشوابِّ الملاح.. ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر.. وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف.. ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد»(١٢).

والموقف الثاني: عند حكاية النادرة الملحونة فللنادرة حلاوتها الخاصة إذا ما حكيت على حالها وتذهب هذه الحلاوة إذا حُكيت نادرة العربى الفصيح بأسلوب أهل الحضر الملحون أو حكيت نادرة العوامّ بأسلوب العربى الفصيح «فإذا سَمِعْتَ نادرة من نوادر العوام ومُلْحةً من ملح الحشوة والطغام فإياك أن تستعمل فيها الاعراب..



تتخذ لها لفظاً حسناً . . أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً . . فإن ذلك يفسد الامتاع ويخرجها من صورتها ومن الذى أريدت له . . ويُذْهب استطابتهم إيّاها باستملاحهم لها»(١٣).

ومن بعد الجاحظ جاء ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) فكرّر معناه فى ألفاظ مختلفة فقال: «وكذلك اللحن إن مرّ بك فى حديث من النوادر فلا يذهبنّ عليك أنّا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده لأن الاعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها . . وسأمثّل لك مثالا: قيل لمزيد المدينى ـ وقد أكل طعاماً كظه ـ قى ـ فقال: «أقى؟ أقى نقاً ولحمَ جَدْى مَرَبِّى طالق لو وجدتُ هذا قياً لأكلته» ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالاعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ولاستبشعها سامعها وكان أحسن أحوالها أن يكافىء لطف معناها ثقل ألفاظها»(١٤).

كلمات

«. لحنكم أشد علىّ من فساد رميكم . . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رحم الله امرءاً أصلح من لسانه»

« عمر بن الخطاب رضى الله عنه »

وفى القرن الرابع الهجرى كان «قدامة بن جعفر» (ت٣٣٧هـ) فتوسع فى قبول اللحن توسعاً كبيراً لشيوعه فى زمنه وقد اغتفر «قدامة» فى مواطن خمسة هى:

١) حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء إذ لو حكيت بالفصاحة خرجت عن معناها وبردت عند مستعملها.

٢) كلام الجوارى وذوات الحداثة من النساء.

٣) مخاطبة الحكماء لمن لا يعرف غير الكلام الملحون طلباً لافهامه. كما أنه ربما تكلف الانسان لمن لا يحسن العربية بعض رطانة الأعاجم ليُفْهمه.

٤) فى المخاطبات المعتادة الجارية بين الناس . . فقد فشا اللحن بين الناس وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة الأعاجم والأقباط وسائر الأجناس.



(١٠) البيان والتبيين ١/١٠٢، ١٥٥ وانظر البيت الأخير مع تغيير بعض أحرفه فى: الأضداد فى اللغة/٢١٠، وفى لسان العرب وأساس البلاغة وتاج العروس ومختار الصحاح (مادة: لحن).

(١١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/٢٢٥.

(١٢، ١٣) البيان والتبيين ١/١٠٢.

(١٤) عيون الأخبار ١/١٣، ١٤.

(٥) عند الرؤساء اللاحنين والملوك غير المُعْربين، ويكون ذلك مما يوجبه الرأى فمن الرأى لذى العقل والحُنْكة والتجربة ألا يعرب بين أيديهم وأن يدخل فى اللحن مدخلهم ولا يريهم أن له فضلاً عليهم فإن الرئيس والملك لا يحب أن يرى أحداً من أتباعه فوقه، ومتى رأى أحداً منهم قد فضله فى حال من الأحوال نافسه وعاداه وأحب أن يضع منه وفى عداوة الرؤساء والملوك لمن تحت أيديهم البوار.

أمـا فى غير هذه المواطن فاللحن مستبشع مستكره كأن يقع فى الكتاب فلا يغتفر لعدم الحاجة الملجئة إليه. . إذ من الممكن أن يعاد النظر فى الكتاب لإصلاحه بروية وفكرة على خلاف الكلام الجارى بين الناس أو كأن يقع من أديب أو عالم باللغة والغريب لم يضطر أحد منهما إلى الوقوف فى موقف مما سبق اغتفار اللحن فيه.

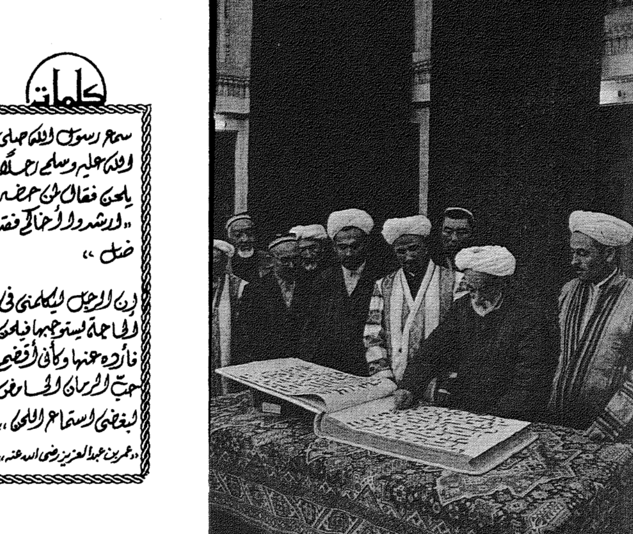
ويمثل ما قال قدامة بن جعفر قال القلقشندى ـ من علماء أو اخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى ـ فقدر أى أن الألسنة تغيرت حتى صار التكلم بالاعراب عيباً والنطق بالكلام الفصيح عياً وأن مما يقتضيه حال زمانه أن تضيق دائرة التزام الاعراب فتقتصر على القرآن الكريم والأحاديث النبوية والشعر والكلام المسجوع وما يدون من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها.



من فوق ربوع الجزيرة العربية نبتت لغة القرآن الكريم وإن أملنا لعظيم فى أن يصاغ النشء المسلم فى مشارق الأرض ومغاربها صياغة قرآنية فى زمن تكالبت فيه شرور المادية وآثامها واستهدفت هذا النشء من خلال البرامج التعليمية والإعلامية الموجهة لأغراض معينة وإذا كانت اللغة العربية التى شرفها رب العزة والجلال وجعلها لغة دينية وقرآنية هى أداة فهم هذا القرآن المعجز فإنه يصبح لزاما على المسلمين جميعاً أن ينهضوا بها لتأخذ هذه اللغة مكانها فى مناهج التعليم وخاصة فى المراحل الابتدائية التى هى القاعدة الكبرى فى التعليم والبناء وإن العناية بلغة القرآن واجب مقدس على كل مسلم.



جلالة الملك المعظم



كلمات

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يلحن فقال لمن حضر «أرشدوا أخاكم فقد ضل»

«إن الرجل ليكلمنى فى الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها وكأنى أقضم حب الرمان الحامض لبغضى استماع اللحن»

«عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه»

أما فيما عدا ذلك المسجوع وما يدون من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها. فاللحن مغتفر جريا على منهاج الناس

وقد كان لهذه المغتفرات، كلها أثرها الواضح فى اتساع دائرة اللحن وشيوعه بين العامة والخاصة وهو ما مكن للعامية أن تبسط سلطانها على سلطان العربية الذى أخذ فى الاضمحلال منذ ذلك الحين ولا يزال حتى اليوم على الرغم من تصدى العلماء للحن واللاحنين ووضعهم المؤلفات لمقاومة ذلك لتنقية اللغة مما علق بها من الأوضار والأوزار.



لقد شغلنى أمر الخط العربى منذ عهد بعيد. . وزادت اهتماماتى به بعد أن زادت اتصالاتى بمراجع الدرس ومصادر البحث من كتب ومخطوطات. . وكان أهم ما برز لى من قضاياه «قضية التصحيف والتحريف» وزاد اهتمامى بهذه القضية منذ أن رأيت الحانقين على لغتنا يدعون إلى نبذها والكتابة بالحروف اللاتينية هربا من النقط وتهيبا للحركات والأمر بهذه الصورة جد خطير لأن لغتنا ليست لغة أمة فقط ولكنها لغة أمة ودين وحضارة وما يمس لغتنا فانه يمس قرآننا وكياننا. . وهذا بدوره جعل أعداءنا يلجأون إلى هدمها بالنبش فى أساسها.

ولقد تناسى هؤلاء أن اللغة العربية ظلت تحتفظ بمكانتها المرموقة التى ورثتها منذ عهد الأوائل الأقدمين حتى يومنا هذا بين اللغات العالمية لما تتمتع به من تصوير حسن يملك الأفئدة وتعبير جميل يسرح بالخيال ويدفع إلى التأمل.

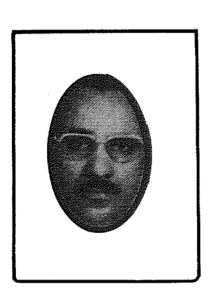
ولقد شغف العرب بلغتهم أيما شغف. . وتلذذوا بجرس ألفاظها. . وملك عليهم نفوسهم وأفئدتهم لحنها وموسيقاها فوزنوها بموازين لا تخطىء حتى أخذت بمشاعرهم فتفاخروا بها وعقدوا مجالسهم عليها. . ودارت أحاديثهم من حولها فى أسواقهم المشهورة. . وأنديتهم المعمورة. . ومجالسهم التى أطالت كتب الأدب فى وصفها.

وكان للنحو فى هذه الأسواق والأندية والمجالس النصيب الأوفى حيث حدث تتبع للمعانى المترتبة على اختلاف حركات الألفاظ. . فكانت تلك المناظرات الخطوات الأولى لرسم منهج النحو ووضع العلامات التى سار على نحوها السائرون بعد ذلك.

واللغة العربية لغة دقيقة. . قد تغيِّر الحركة الاعرابية فيها من معنى مقصود الى آخر بعيد كل البعد. . كما تغير زيادة الحرف من الكلمة من معنى مراد الى معنى غير مراد. . ومن هنا ظهرت قضية «التصحيف والتحريف» فى اللغة العربية.

وقـد كان الناس فيما مضى يغلطون فى اليسير دون الكثير ويصحفـون فى الدقيق دون الشائع المعروف لكثرة العلماء وعنـاية المتعلمين وحرصهم . . فذهبت كثرة العلماء وقلت عناية المتعلمين فصار ما يصحفون فيه أكثر مما يصححون وما يسقطون ويحرفون أكثر مما يضبطون.

والتصحيف والتحـريف يتنـاولان الألفاظ والأسماء المشكّلة التى تتشابه فى صورة الخط وبنية الكلمة فيقع فيها التصحيف ويـدخلهـا التحـريف خصـوصاً فى ألفاظ اللغة والشعر وأسماء الشعراء وأيام العرب وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها وما يعرض فى علم الأنسـاب وغيرها من الأشكال فيصحفها بعض الناس ويغلط فيها بعض الخاصة . . ولا يفطن لها إلا من افتن فى العلوم ولقى العلماء والرواة والمتقدمين فى صناعتهم والمتقنين لما حفظوه ومن أخـذ من أفـواه الـرجـال . . ومن لا يعتمـد على الكتب الصحفية ويؤثر الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقيب.



«والاحـتراس من التصحيف لا يدرك إلا بالعلم الغـزيـر والـرواية الكثيرة» ولقد سئل ابن عباس - رضى الله عنه - أنى أدركت هذا العلم؟ فقال: «بلسان سؤول وقلب عقول» وقد قال بعض الشعراء:

والنـــار فى أحجـارهـا مخبـوءة
ليست ترى ان لم تثـرهـا الأزنـد[1]

ومهما يكن من أمر التصحيف والتحريف فهو موضوع شائك اثار من الاهتمام ما يثيره اى موضوع خطير . لذا لا نستغرب وفرة الباحثين فيه والمصنفين لآثاره نذكر على سبيل المثال منها حسب تاريخ وفاة مؤلفيها.

(١) كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للامام أبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى (ت٣٨٢)[2]

---

١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - لأبى احمد الحسن بن عبد الله العسكرى ص٤
٢) كشف الظنون ١/ ٤١١

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهانى (ت٤٢٨) على أشهر الروايات(٣).

(٣) التصحيف لأبى الحسن بن عمر الدار قطنى (ت٣٨٥)(٤).

(٤) التصحيف والتحريف: لأبى الفتح عثمان بن عيسى البلطى (ت٦٠٠هـ).

(٥) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف فى اللغة: لأبى الصفا خليل بن أيبك الصفدى (ت٧٦٤هـ)(٥).

معنى التصحيف والتحريف ونشأتهما وأسبابهما

لقد شغل التصحيف عدداً من المفكرين قديما وحديثا لما له من كبير الأثر وعظيم الخطر فى عالم الفكر والدين والدنيا(٦).

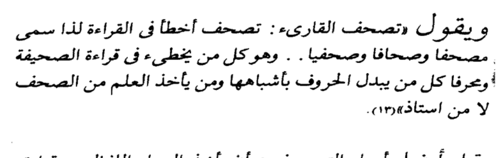
وهو عند اللغويين: مصدر صَحَّفَ يُصَحِّفُ الكلمة إذا أخطأ فى قراءتها وروايتها فى الصحيفة ومخالفة الراوى للثقات.

والتصحيف أيضا: قلب الحروف بتغيير اعجامها(٧) وذلك بالنسبة إلى اللفظ.

والتحريف: *مصدر حَرَّف يُحرِّف الكلمة إذا أخطأ فى قراءتها وروايتها فى الصحيفة.. ومادتها «ح رف».. وحرف كل شىء طرفه والحرف واحد (حُرُف) التهجى.. و(تحريف) الكلام عن مواضعه: تغييره(٨).*

وهو أيضا: *«أن يقرأ الشىء بخلاف ما أراده كاتبه وعلى غير ما اصطلح عليه فى تسميته»(٩) لذلك قال الغيورون على اللغة: لا تأخذوا القرآن من مصحفى.. ولا العلم من صحفى.. وأما معنى قولهم الصحفى والتصحيف.. فقد قال الخليل: أن الصحفى الذى يروى الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف(١٠).*

وتحديد الاصفهانى(١١) *للَّفْظَة يبدو فى نظرى أكثر دقة حيث يرى ان أهل المعانى «زعموا أن قوما كانوا أخذوا العلم من الصحف من غير أن يلقوا فيها العلماء فكان يقع فيما يروونه التغيير فيقال عندها: قد صحفوا فيه أى رووه عن الصحف»(١٢).*



ويقول «تصحف القارىء: تصحف أخطأ فى القراءة لذا سمى مصحفا وصحافا وصحفيا . . وهو كل من يخطىء فى قراءة الصحيفة ومحرفا كل من يبدل الحروف بأشباهها ومن يأخذ العلم من الصحف لا من استاذ»(١٣).

وقيل أيضا «أصل التصحيف: أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته فى صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب . . وقد وقع فيه جماعة من الأجلاء من أئمة اللغة وأئمة الحديث حتى قال الامام «أحمد بن حنبل»: ومن يعرى من الخطأ والتصحيف؟ »(١٤) .



(٣) هدية العارفين ١/ ٣٦٦ ويتيمة الدهر ٣/ ٢٦٧

(٤) معجم المؤلفين ٧/ ١٥٧

(٥) ايضاح المكنون ١/ ٢٩٣ ـ ولحن العامة ص١٨٢ والنجوم الزاهرة ١١/ ١٩ .

(٦) من مقال للمستشرق بول كراوس، المنشور فى مجلة الثقافة المصرية السنة الخامسة ـ العدد ٢٢٣ ابريل ١٩٤٣ .

(٧) انظر مختار الاغانى ص٥٨ جـ٣ بالهامش لابن منظور تحقيق عبد العليم الطحاوى.

(٨) مختار الصحاح مادة (حرف) ص١٣١ .

(٩، ١٠، ١٢، ١٣) التنبيه على حدوث التصحيف ص٣، ٢٦ .

(١١) حمزة بن الحسن.

(١٤) المزهر للسيوطى ٢/ ٣٥٣ .

أما عند البديعيين : فإن للتصحيف والتحريف وجهاً آخر وذلك بأن يؤتى بلفظين يتفقان فى صورة الأحرف ويختلفان فى النقط أو الاعجام مع اتفاق فى الحركات كلفظى (جديد وحديد) أو بين أكثر من لفظين نحو (جمرة وحمرة وخمرة) ويسمونه «الجناس المصحف». وله من الجمال ماله فى عالم الشعر والنثر لما فيه من جرس وغنى لغوى ومرونة فى الاستخدام. . وقد استخدموه فى أحاج ومعميات بلاغية تساعد على تفتح الفطنة وتنميتها وتكسب الخاطر مرونة فى حلها(١٥).

خطورة التصحيف والتحريف

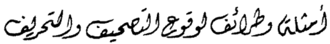
التصحيف والتحريف لهما خطر لا يستهان به على الرغم مما فيهما من الطرافة والاطراف حيث يصيبان الناس فى دينهم ومعاشهم نتيجة لما يصاحبهما من تشويش للفكرة وتشويه للنصوص لولا أن يقيض الله دائماً العلماء الثقاة. . فيردون الخطأ على صاحبه ان سمعوا به أو قرأوه - أو يرشدونه الى سواء السبيل إن حدث الخطأ فى مجالسهم ومنتدياتهم.

وهذا النوع على خطره فقد تلافاه أو تلافى كثيراً منه الإعجام (النقط) والشكل فما عاد يقع فى الآثار منه إلا القليل وهذا يوضح لنا أهمية النقط(١٦) والتشكيل فى لغتنا الجميلة.

أما أخطر أنواع التصحيف والتحريف فهو المتعمد للدَّس والتشويه. . تشويه الحقائق بتشويه النصوص كالدس على بعض العلماء للنيل منهم ومن نتاجهم، ويقوم المصحف به أو المحرف عن دراية وخبرة ناهيك عن سوء النية وفساد الطويَّة وهنا مكمن الخطر لأن التصحيف والتحريف صادران عن فكر متمكن دارٍ بحقائق الأمور عارف بعواقبها.

ولا يمكن أن يقدر المرء خطورتهما - التصحيف والتحريف - إلا إذا اطلع على قضايا منه شوهت حياة أناس وهدمت سعادتهم وقللت من مكانتهم وعرضتهم للهُزْء والسخرية. . ولا دواء يرأب الصدع إلا الوعى لما يكتب أو ينشر وعرضه على الفكر النيِّر المتحرى للحقائق البصير بعواقب الأمور.

والناس فى نظرتهم للتصحيف والتحريف بين معجب للنكتة فيهما ومهتز لجمال جناس صنعه. . وبين خائف على اللغة والعلم ورعاً دارياً لسوء انتشاره وعظيم خطره. . وبين حاقد يتخذ من وقوعه فى الخط العربى ذريعة للتشهير به ومطيَّة للنيل منه ووسيلة للطعن فى العرب ونتاجهم وحجة لاستبداله بخطوط زينها الشيطان لهم.



وفى هذا المجال سوف نسوق أمثلة لوقوع التصحيف والتحريف من الرجال فى القرآن الكريم والحديث الشريف وكذا وقوع بعض العلماء فيه والذين نقلوا عن الصحف دون أن يتلقوا عن العلماء ويشافهوهم فكانت رواياتهم مذرية إلى أبعد الحدود . يقشعر لها البدن . . ويرتجف لها الجسد . . وتهتز لأجلها عقول الغيورين وقلوبهم .

أولا : أمثلة لوقوع التصحيف فى القرآن الكريم .

يروى أن الخليفة المتوكل الزم (عبادة) فى يوم من أيام رمضان أن يقرأ فى المصحف فصحف ما شاء الله حتى بلغ قوله تعالى «وبشر المخبتين»(١٧) فصحفه إلى «وبشر المخنثين» فأمر المتوكل بسحبه على وجهه فسحب .

● ولقد روى كتاب التنبيه على حدوث التصحيف تحت باب «فأما ما أصيب فى هجائه ولم يصب فى معناه» أمثلة كثيرة لذلك منها ما رواه عن حماد بن الزبرقان وتصحيفاته فقال «صحف حماد بن الزبرقان ثلاثة ألفاظ فى القرآن الكريم وذلك أنه حفظ القرآن من المصحف ولم يقرأه على أحد :

اللفظ الأول : «وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها «أباه» يريد «إياه» .

اللفظ الثانى : «بل الذين كفروا فى غرة «وشقاق» يريد «عزة» .

والثالث : (لكل امرىء يومئذ شأن «يعينه» يريد «يغنيه») .



---

(١٥) التنبيه على حدوث التصحيف ص٤ .
(١٦) قديماً كانوايطلقون النقط ويريدون به التشكيل والاعجام ويريدون به وضع النقط على الحروف .
(١٧) المزهر للسيوطى ٢/ ٣٦٩ .

● وروى الدارقطنى فى التصحيف عن عثمان بن أبى شيبة أنه قرأ على أصحابه فى التفسير «ألم» تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» يعنى قرأها كأول البقرة(١٨) والأمثلة فى هذا المجال كثيرة لا تحصى أوردناها فى رسالتنا للماجستير تحت عنوان «التصحيف والتحريف وأثرهما فى البنية والاعراب» .

ثانيا: أمثلة لوقوع التصحيف والتحريف فى رواية الحديث

أيضا فان وقوع التصحيف والتحريف فى رواية الحديث أكثر من أن تحصى وسوف نقتصر فى هذه العجالة على مجرد مثالين أو ثلاثة لاثبات ما ذهبنا إليه .

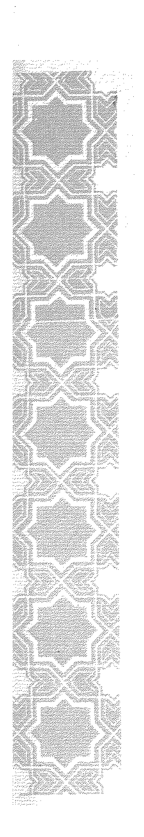
ورد فى كتاب التنبيه على حدوث التصحيف أن كثيرين من رواة الحديث يروون أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال «تخيموا بالعفيق» . . وإنما صحته «تخيموا بالعقيق» وهو اسم وادٍ بظاهر المدينة(١٩).

أما كتاب التصحيف والتحريف فقد أورد رواية أخرى لحديث آخر حيث قال: حكى القاضى أحمد بن كامل قال: حضرت بعض مشايخ الحديث من المغفلين أنه قال عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ عن جبريل عن الله عن رجل قال: فقلت له: من هذا الذى يصلح أن يكون شيخاً لله: فإذا هو قد صحفه وصوابه «عن الله عز وجل»(٢٠).

وذكر أبو حمزة الأصفهانى أن محدثا روى «ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان يكره النوم فى القدور» وصحته أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان يكره الثوم فى القدور (٢١) كما روى أن أحدهم قال: إن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان يستحب العَسَل فى يوم الجمعة» وصحته «كان يستحب الغُسْل فيه»(٢٢).

ثالثا: أمثلة من تصحيفات وتحريفات أهل اللغة والنحو

■ **يروى أبو الحسن أحمد بن عبد الله العسكرى فى كتابه «التصحيف والتحريف» - وأنا معه فى هذا - ان كتابه «العين» ليس كله للخليل وإن الخليل إنما عمل بعضه . . بل قيل عمل حرف العين فقط وأن النضر بن شميل تممه بخراسان رغبة فى أن يكون الكتاب كاملاً . . يدل على استشهادهم بأشعار المولدين مما لم يكن الخليل يلتفت إليه ولا يستشهد بمثله(٢٣) . . والنتيجة الطبيعية لذلك أن التصحيفات التى وردت «إنما وقعت ممن أتموا الكتاب وليست للخليل»(٢٤) .**



■ ومن هذه التصحيفات والتحريفات التى نسبت إلى الخليل فى كتابه «العين» نذكر:

لقد ورد فى كتاب العين مثل قوله: القارح بالقاف وحاء مهملة: القوس التى بان وترها عن مقبضها.. واستشهد بعجز بيت مصحف وهو:

وقارحا من قضب تقضبا

وصحته: الفارج بالفاء والجيم: يقال قوس فارجٍ وفَرِجٍ لانفراج وترها عن كبدها..

أنشد أبو عمر:

يغدو بكلبين وقوسٍ فارج
ظباتها مثل الضِّرام الآججِ(٢٥)

ومنها فى حرف الغين: أن الخليل ذكر يوم/ بغاث/ بالغين المعجمة. وهذا لم يسمع من غيره وصحته: إنما هو يوم / بعاث/ بالعين المهملة(٢٦).

■ والتصحيفات فى كتاب العين كثيرة استقصتها كتب التراث ونكتفى بالنموذجين السابقين(٢٧).

■ وهذا - أيضا - أبو عبيدة (معمر بن المثنى ت٢٠٩هـ) الذى يقول عنه الجاحظ «لم يكن فى الأرض أعلم بجميع العلوم منه» لم يسلم من التصحيف.

■ قال الرياشى: سمعت كيسان يقول: كنت على باب أبى عمرو بن العلاء فجاء أبو عبيدة ينشد لأبى شجرة قوله:

مازال يضربنى حتى حذيت له

فقال: حذيت حذيت وضحكت.. فغضب وقال: فكيف هو؟

قلت: إنما هو - خذيت - بالخاء المعجمة.. فانخذل وما حار جوابا(٢٨).

■ ويروى - أيضا - بيت امرىء القيس:

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر
على حراص لو يسرون مقتلى

(١٨، ٢٦) المزهر ٢/ ٢،٣٦٩/ ٣٥٣.

(١٩، ٢١، ٢٢) انظر التنبيه على حدوث التصحيف ص٣.

(٢٠، ٢٣الى ٢٥) انظر كتاب التصحيف والتحريف ص١٥ وما بعدها، ص٣٦، ص٣٧.

(٢٧) انظر رسالتنا لنيل درجة الماجستير بعنوان «التصحيف والتحريف وأثرهما فى البنية والاعراب.

(٢٨) شرح ما يقع فيه التصحيف ص٥٠، والتنبيه على حدوث التصحيف ص٥٨.

■ وفسر قوله تعالى ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾(٢٩) أى أظهروا الندامة.
■ وفى قول أبى عبيدة تصحيف نجم عنه تحريف حيث صحف البيت وفسر به القرآن على غير ما ينبغى فوقع تحريف والصواب هو (يشرون مقتلى) بالشين المعجمة ومعنى/ يشرون/ يظهرون.. يقال منه (أشررت الثوب، أشره إشراراً إذا نشرته)(٣٠).

ومن أملح وجوه التصحيف وأغربها تلك التى وقع فيها الجاحظ من ذلك ما رواه ابن دريد حيث يقول «وجدت للجاحظ فى ـ البيان ـ تصحيفاً شنيعاً فى الموقع الذى يقول فيه: محمد بن سلام الجمحى.
■ قال: سمعت يونس يقول: (ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن النبى ﴿ﷺ﴾ وإنما هو البُتِّىّ ـ بضم الباء وكسر التاء ـ أى عثمان البتى ـ فأما النبى ﴿ﷺ﴾ فلا شك عند المِلِّىّ والذِمِّى أنه كان أفصح الخلق».
■ وقال العسكرى: (كان عثمان البتى نحويا وكان يسمى عثمان العربى(٣١).

ومـن تحريفاتـه فى فهم معانى بعض الكلمات ما رواه ابن دريد حيث يقول: وأخطأ فى هذا الكتاب ـ البيان والتبيين ـ فى تفسير قول مالك بن أسماء بن خارجه حين وصف جارية فقال:

«منطق رائع وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا»

فقال الجاحظ مفسراً بيت الشعر السابق (يستظرف من الجارية أن تكون غير فصيحة وأن يعترى منطقها اللحن)(٣٢).

قال ابن دريد: وليس معنى اللحن هنا ما ذكر وإنما أراد أنها تتكلم بالشىء وهى تريد غيره من ذكائها وفطنتها وهذا كما قال تعالى «ولتعرفنهم فى لحن القول».
■ وكما فى قول: القتال الكلابى.

ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا
ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

ونحن نرى أن الحق فى جانب ابن دريد وأنه قد جانب الجاحظ الصواب.. فلو نظرنا فى الصحاح للجوهرى فإنا نراه يعلق علي البيت السابق بقوله: يريد أنها تتكلم وهي تريد غيره.. وتعرض فى حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها(٣٣).

ويقول الجوهرى أيضا: «واللحن بالتحريك الفطنة وقد لحن بالكسر»(٣٤).

ويؤيـدنا فى ما ذهبنا إليه من تخطئة الجاحظ فى هذه المقولة ذكره «يوهان فك» فى كتابه «العربية» حيث خصص ملحق الكتاب لدراسة تاريخية دلالية لمادة (ل ح ن) ومشتقاتها ذكر فيـه: أن كلمـة «لحن» قد تعنى فى لغـة الجـاهلية وصدر الاسلام معانى الفطنة والبلاغة والغناء.. والرمز والاشارة واللغز.. والتورية وطريقة التعبير.. ولكنها لم تكن تعنى مطلقا «الخطأ فى التعبير»(٣٥).

ولـم يكن أمر التصحيف والتحريف وقفاً على الخليل وأبى عبيدة والجاحظ بل ذكرت كتب التصحيف لغيرهم ولهم مئات المواضع والنوادر التى وقعوا فيها عن غير عمد. من هؤلاء أيضاً أبو عمرو بن العلاء.. والأصمعى وسيبويه.. والكسائى والفراء.. وابن الاعرابى وثعلب.. وابن السكيت وحماد الراوية.. وخلق كثير غيرهم. مما يظهر لنا خطورة أخذ العلم عن الكتب دون السماع والتلقى مشافهة عن استاذ موثوق فيه.

قبح التصحيف وذم المصحفين

ورد فى بطون الكتب التى تناولت قضية التصحيف والتحريف كثير من ذمهما وذم مرتكبيهما والنهى عن الأخذ عنهم لما يحرِّفون بألسنتهم من روايات فيُرْوَى الكلم عنهم محرفا وفى ذلك قبح وبشاعة وإن سقطة صغيرة من سقطات التصحيف والتحريف كفيله بتشويه صورة المصحِّف ولو كان من العلماء لأن ذلك يعتبر علامة من علامات الجهل وعدم الدقة..

■■ كما روى أن عثمان بن أبى شيبة يقرأ (وجعل السقاية فى رحل أخيه) كان يقرؤها محرفة حين يقول: وجعل السفينة فى رجل أخيه..

■■ وروى الكوفيون أن حماد الراوية حفظ القرآن من الصحف وكان لذلك يصحف كثيرا فى قراءته للقرآن(٣٦).

■■ ويروى أعداء حمزة الزيات (أحد اصحاب الروايات فى قراءة القرآن) أنه كان يتعلم القـرآن فى المصحف فقرأ يوما وأبوه يسمع ﴿آلم ذلك الكتاب لا زيت فيه﴾

(٢٩) يونس ٥٤.
(٣٠، ٣٦) شرح ما يقع فيه التصحيف ص٥٢، ص٩ والتنبيه ص٥٨.
(٣١، ٣٢) التصحيف والتحريف ص٥٣، والتنبيه على حدوث التصحيف ص٩٢.
(٣٣، ٣٤) الصحاح لحن ٦/ ٢١٩٤
(٣٥) العربية ليوهان فك ص٢٣٥: ٢٤٦ وتاريخ القرآن ص١٢٠.

كلمات

لم يعرف أن لغة اجتمع لها من رقة اللفظ ودقة المعنى وسلامة التعبير ما عرف عن اللغة العربية.. فإن المتتبع لأحكامها اللغوية وقواعدها النحوية والصرفية والدارس لأسرارها البلاغية والنقدية ليقف مندهشاً أمام تماثل مفرداتها وموسيقى تعابيرها حتى ليخيل إليه أن لكل كلمة وضعها من حيث الحسن.

«عبد الرحيم بن سلامة»

تصحيفا لقوله تعالى ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾، فقال له أبوه: دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال:

فلهذا وأشباهه قيل لا تأخذوا القرآن من مصحفى ولا العلم من صحفى.

ولقـد فضح التصحيف والتحريف خلقاً من أهل الأدب والأشراف والقضاة والرؤساء وهجوا به وبقى ذمهم مخلداً فى بطون الكتب وقد مدح بالاحتراس من التصحيف والبعد عن ارتكاب هذه النقائص كثيرون . . وهذا يحيى بن معين يقول «من حدث وهو لا يفرق بين الخطأ والصواب فليس بأهل أن يحمل عنه»(٣٧).

■■ وهذا هو الحسن بن هانىء ـ أبو نواس ـ يرثى خلفاً الأحمر فكان أفضل ما عدد من مناقبه أن قال:

لا يَهِمُ الحاء فى القراءة بالخاء ولا يأخذ اسناده عن الصحف(٣٨) ومما رثاه به أيضاً فى هذا المعنى قوله:

أودى جماع العلم مذ أودى خلف راويه لا يجتنى عن الصحف(٣٩).

■■ وقد تهكم أبو نواس بآخر بنحو من هذا فقال:

رأى الصيف مكتوبا فظن أنه لتصحيفه «ضعيف» فقام يواثبه(٤٠).

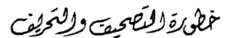
■■ وقد اتهم ابن دريد كيسان بهذه النواقص فقال عنه نقلاً عن أبى عبيدة: «العلم يمسح على لسان كيسان . . يكتب فى ألواحه خلاف ما يسمع . . وينقل من ألواحه إلى الدفتر خلاف ما فى ألواحه . . ثم يقرأ من الدفتر خلاف مافيه»(٤١).

■■ وحكى أبو الحسن بن الكوفى أن رجلا كان يقرأ على الأصمعى شعر النابغة فقال:

كلينـــى لهم يا أمـيـمـة باضـت
ولـيـل أقـاسـيـه بطـىء الـكـواكـب

يقصد «ناصب».

فقـال الأصمعى: «أما علمت ـ ويلك ـ أن كل ناجة الأذنين تحيض وكل سكاء(٤٢) الأذنين تبيض»(٤٣).



يرى البعض منا أن التصحيف والتحريف لا يخرج عن كونه نوعا من الملح أو الطرائف تروى للفكاهة والتندر . . ولكن الأمر جد خطير اذا نظرنا إلى ما ترتب على وقوعها من آثار خطيرة على التقعيد النحوى أو ما قد ترتب عليها من فهم خاطىء لكثير من المعانى الناشىء عن وهم حدث فى المبنى . . وقد يكون الأمر أكثر خطورة إذا علمنا أن كثيراً من الحاقدين على لغتنا اتخذوا من الاعجام والتشكيل الذين تذخر بها اللغـة العـربية والذين بدونها قد يقع التصحيف والتحريف مطية للدعوة الى التخلص من تلك الحروف الملبسة واحلال الحروف اللاتينية محلها لذا قد يكون من المفيد أن أمثل لخطورة وقوع التصحيف والتحريف وما ترتب عليها .

أولا: أثرهما فى البنية

نحن لا نشك للحظة واحدة أن التشكيل والنقط عنصران هامان جدا فى كتابتنا باللغة العربية وخاصة إذا اتفقت كلمتان فى مبناهما . . هنا يكون الفارق دقيقا بينهما . . حيث إن اختلاف التشكيل يؤدى إلى اختلاف المعنى . . وتغير مواضع الاعجام تؤدى إلى معنى آخر غير مقصود ـ فمثلا ـ الفرق واضح جلى بين «غُرْفه» بضم الغين وقرينتها «غَرفة» بفتح الغين الى المكـان الـذى يسكنه الانسان بينها ينصرف فى الثانية إلى اسم المرة من غرف الطعام غرفة . . وكذلك الفرق بين (جُرح) بضم الجيم و(جَرح) بفتحها . . و«جُهْد» و«جَهْد» بضم الجيم وفتحها .

وأكثر خطورة إذا ما تحرك حرف من مكانه تاركا بنيته لينضم الى بنية كلمة بعده بفعل عدم دقة الراوى وأخذه الرواية عن الصحف دون سماع العلماء والتلقى عنهم من ذلك ما روى عن الأصمعى من أنه كان ينشد :

يارُبَّ عَرْجَـلَةٍ أصـابـوا خَلَّة
دانـوا وَحَـار دلـيـلُهُـم حتى بكـى(٤٤)

(٣٧ الى ٤٠) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٢ ، ص١٣ ، ص١٤ .
(٤١ ، ٤٣) التصحيف والتحريف ص٢٧ .
(٤٢) ناجمة ظاهرة سكاء : داخلة .
(٤٤) انظر التنبيه ص١٤٥ .

ويقول: كذا قرأناه على أبى عمرو بن العلاء: حارد.. ليلهم وصحة الأمر أنها حار دليلهم.

وهنا يتضح لنا دور التصحيف بارزاً فى نقل «الدال» من «دليلهم» وألصاقها بالفعل «حار» فصار «حارد» وتحولت «دليلهم» إلى «ليلهم» والفرق واضح بين «حار» و«حارد» «حار» من الحيرة و«حارد» من القسوة.

هذا من حيث المبنى وما أدى اليه من اختلاف فى المعنى.

ثانيا: أثرها فى الاعراب

أدى التصحيف والتحريف إلى وضع كثير من قواعد اللغة ونحوها فى أُطُر وهمية «لأن ما قام على استدلال خاطىء فهو خاطىء» ايضا فكثيراً ما قعد النحاة قواعدهم بناء على شواهد محرفة أو مصحفة وليس المقام مقام حصر واستقصاء وإنما نمثل بمثال أو بمثالين للتدليل على خطورة التصحيف والتحريف.

من ذلك ما رواه ابن كيسان عن المبرد عن المازنى قال: حضرت يوما الفراء وهو يقول الجزم فى الفعل المستقبل بغير جازم جائز ـ مستشهداً ببيت من الشعر روى محرفاً ـ فقد قال الشاعر:

من كان لا يزعم أنى شاعر
فيدن منى تنهه المزاجر

ـ حيث روى الفعل «يدن» دون أن يكون مسبوقاً بأداة من أدوات الجزم ـ
يقول المازنى: فقلت له فإن روى/ فليدن منى/ هل تكون لك حجة فيه؟ فسكت ولم يحر جوابا(٤٥).

ومن هذا القبيل ما يحكيه استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب عن ذلك البيت الشعرى المشهور، أحد شواهد النحو المتواترة التى توارثناها جيلاً بعد جيل، نرويه مستشهدين به دون أن نفطن إلى مادخله من تصحيف ذلك البيت هو:

أبا خراشة أما أنت ذا نفرٍ
فإنَّ قومىَ لم تأكلهم الضَّبُعُ

أقول : ظللنا نردد قول النحاة فيه، بأن كان تحذف بعد اما ويبقى عملها من رفع للاسم ونصب للخبر.

وحقيقة الأمر - كما يقول استاذنا الدكتور رمضان - أن الفعل كان لم يحذف والرواية هي :

أبـا خراشـة أمـا كنـت ذا نفـر
فإن قومـي لم تأكـلهـم الـضـبـع

وعلى هذا لا شاهد فيه البتة وكل ما حدث أن (كنت) فصلت منها (الكاف) عن (النون والتاء) فبدت كأنها (ألف) عليها همزة هكذا (أنت) فوهم النحاة وبنوا على ذلك قاعدة نحوية مشهورة.

ومـن تحريفات الفراء التي يقيس عليها - خطأ - قواعده النحوية ما رواه أحمد بن يحيى أن الفراء قال: (الجبى ما حول البئر. . والجبى (مقصور) ما جمعته من الماء) وأنشد.

حتى إذا أشرق في جوف جبا

أنشده باضافة جوف إلى جبا.

وقـد عاب عليه اضافة جوف إلى جبا جماعة من العلماء منهم المفضل بن سلمة. . وظن الفراء أن جبا الذي في البيت هو ما تجمع من ماء حول البئر وانه اسم وإنما هو فعـل من جبأ يجبأ فترك الهمـز أي جبن ورجـع ويقـال رجل جبيء أي جبان من الأسد. . أي جبن. . قال ابراهيم بن حميد أخطأ الفراء في مكان لا يخطيء فيه أحد.

ثالثا: ظهور الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية

إذانظـرنـا مطـالعين سيرة الخط العربي وجدنا تاريخه مجيداً وصفحته مشرقة. . عاشت به الكتابة العربية تؤدي واجبها في الحدود التي اريدت منها. . وتقوم بالالتزام الذي فرض عليها حيث كان الاحكام والضبط - وهو في حاضره - ينشر ظلاله على مئات الملايين من الناطقين بالضاد والمتكلمين بغيرها من عرب وفرس. . واندونيسيين وبـاكستانيين. . وهنود وأفغان وأفريقيين وغيرهم. . ولا تزال له في نفوسهم مكانة الاعـزاز والاكبـار وفي قلوبهم له عاطفة المودة والحنين. . وفي أرواحهم نزعة الحب والجاذبية(٤٦). . وتراثنا اليوم نحن تراثا كبيرا من الفكر والأدب والعلم مكتوباً بالخط العربي.

---

(٤٥) انظر التنبيه ص٨٧.

(٤٦) انظر كتاب الرد على اقتراح اللاتينية ص٧٤٦.

أدرك المغرضون قيمة هذا التراث وأصالته العلمية والفكرية فراحو يحاولون النَّيْلَ منه بل والقضاء عليه بالدعوة إلى استعمال العامية حينا والكتابة باللاتينية حينا آخر(٤٧)

لقد فات أولئك وهؤلاء أننا - العرب - أشد الناس تعلقا بهذا الخط وارتباطا به . . فإنه فضلاً عن الاعتبارات الاجتماعية والأدبية والثقافية التى تربطنا به وتأخذنا إليه فهو يعتبر رمز وجودنا ومظهراً لكياننا وتجديداً له واستقلالا به . . هو صلتنا بالماضى الخالد والآصرة التى تجذبنا نحو الأجداد وتربطنا بالآباء(٤٨).

● فمن أين جاءتنا هذه الصيحة المروعة التى تدعونا إلى نبذ خطنا العربى الجميل لنقلد غيرنا فى كتابتهم وطريقة رسمهم؟.

● انهم يريدون أن نعالج المسألة من طرف واحد فقط فنغير الكتابة حتى تسهل القراءة . . وبعد ذلك نبدأ فى معالجة ضعف الثقافة العامة والانصراف عن المطالعة والتثقيف(٤٩).

● اننى اعتقد أنه إذا كان فصل جزء من جغرافية الأرض العربية يعتبر احتلالا مادياً فإن نقل الكتابة العربية إلى اللاتينية يعتبر احتلالا روحيا وفكرياً لنا وإن هذه الدعوة فى حقيقتها دعوة استعمارية فى شكلها ومضمونها.

● لقد كان «سبنايك» الألمانى الأصل والذى كان مديراً لدار الكتب المصرية عام (١٨٨٠م) أول من نادى بوضع حروف لاتينية لكتابة العامية المصرية . . بل وضع الحروف بنفسه وألف فى ذلك كتاباً فى نحوها وصرفها نشره باللغتين الألمانية والفرنسية لتكون العامية لغة العلم والتعليم(٥٠). وظهر هذا الاتجاه المدمر عند «ويلكوكس» فى خطبة ألقاها فى نادى الأزبكية بمصر عام (١٨٨٣م) ارجع فيها أسباب تخلف المصريين الى عدم استعمالهم اللغة الدارجة ونصحهم باستعمالها للتعبير الأدبى اسوة بالانجليز الذين استطاعوا بناء حضارة علمية وثقافية بعد هجرهم اللاتينية(٥١).

● وفى عام (١٩٠١م) وضع «ويلمور» الذى كان مستشاراً بمحكمة الاستئناف الأهلية كتابا باللغة الانجليزية عنوانه: (العربية المحكية فى مصر) The Speken arabic of egypt أشار فيه صراحة إلى الدعوة لاستعمال العامية بدلا من الفصحى واقترح استعمال اللاتينية لكتابتها(٥٢).

● واعقب هؤلاء فى هذه الدعوة «اسكندر معلوف» المسيحى السورى مطالباً الكتاب والمفكرين أن يكتبوا بالعامية كما طالب بكتابة المناهج الدراسية بها.

● وأكمل المشوار «سعيد عقل» الشاعر اللبنانى حينما طالب بهجر الفصحى واستعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية بل بدأ بنفسه بكتابة بعض مؤلفاته بهذه الحروف وأنشأ مطبعة لها(٥٣).

● ولقد كان «عبد العزيز فهمى» من أبرز من تولوا الدفاع عن قضية «استخدام الحروف اللاتينية محل الحروف العربية» حيث قدم اقتراحاً الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة. . قدم له بلوم شديد على اللغة العربية متهما إياها بالجمود والصعوبة وضمنه أبجدية جديدة اساسها الحروف اللاتينية(٥٤).

● وان أهم ما يتطرق إليه «عبد العزيز فهمى» فى اقتراحه قوله بصعوبة اللغة العربية فقال «إن الافعال فيها المجرد والمزيد ولإن كان المزيد سهل التصريف فإن المجرد الثلاثى له ستة أوزان وليس لها ضوابط يعرف بها هل الفعل يتبع هذا الوزن أو ذاك فالفعل (ظفر) مثلا لا يعرف إن كان مضارعه مفتوح العين أم مكسورها أو مضمومها بل عليه أن ينجم ويخمن - كذا - أو يرجع إلى معاجم اللغة وان الفعل الواحد له جملة مصادر مما لا شبيه له فى أية لغة من لغات الخلق. . وأن هذه الأفعال فوق كونها تبنى للمعلوم أو للمجهول فإن فيها الصحيح وفيها المعتل ونظرية الاعلال والابدال من أشق ما يكون فى العربية»(٥٥).

ولعل القارىء يعجب لذلك التحامل الواضح على اللغة العربية وخصوصاً إذا ما قارنا بينها وبين اللغة الفرنسية مثلا - وهى احدى اللغات اللاتينية - ليطلع على مدى صعوبتها وتفرعات افعالها ومع هذا لم نسمع عن فرنسى واحد نادى بنبذ حروف لغته وهجرها لصعوبتها ناهيك عن مدى اعتزازه البالغ بها وتعصبه لنشرها وتمسكه بعدم التحدث بغيرها.

وللموازنة بين الافعال فى اللغة العربية والأفعال فى اللغة الفرنسية نقرر ما يأتى:

■■ للفعل الماضى فى اللغة العربية صيغة واحدة فى حين أن له فى اللغة الفرنسية خمس صيغ و أكثر فالفعل الماضى فى العربية ماض فقط وهو ما حدث وانتهى.

●● أما صيغ الماضى فى اللغة الفرنسية فهى كما يلى:

- الماضى الناقص imparfait   - الماضى التام Passe de fini
- الماضى غير التام Passe indeefini
- الماضى السابق Passe enterieur
- الماضى المستغرق Plusque Parfait

● ونقول فى الماضى الناقص من الفعل ecrire (كتب) وأنا اكتب فى الماضى التام J'ecris Jecrivois .

(٤٧ الى ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٥٥) انظر كتاب الرد على اقتراح اللاتينية ص٧٤٦، ص٧، ص٨، ص٢، ص٥.
(٥١، ٥٣) مجلة الفيصل السعودية العدد الثالث: رمضان ١٣٩٧هـ ص١٢٩.

كلمات

أصوات الماء

تقول العرب فى تقسيم أصوات الماء
الخرير: صوت الماء الجارى
القسيب: صوته تحت ورق أو قماش
الفقيق: صوته إذا دخل فى مضيق.
البقبقة: حكاية صوت الجرة والكوز فى الماء
القرقرة: حكاية صوت الآنية إذا استخرج منها الشراب.
الشخب: صوت اللبن عند الحلب.
النشيش: صوت غليان الشراب.

● ونقول فى الماضى غير التام والماضى السابق والماضى المستغرق أن صيغ هذه الافعال يتركب من أحد الفعلين المساعدين فإذا كانت الأفعال من الأربعة عشر فعلا أو من الأفعال ذات الضميرين فإنه يستعمل معها فعل الكينونة المساعد etre .

أما بقية الأفعال المراد تصريفها فإنه يؤتى باسم المفعول منها ويضاف إليه الفعل المساعد avoir بعد أن يصاغ منه الفعل الماضى : فمثلا :

الفعل يكتب ecrire فإنه يصرف مع المساعد avoir

فنقول : كتبت J'ai ecrit كنت اكتب J'eux ecrit

كنت قد كتبت J'aveux ecrit وهذا مع المساعد (avoir) كما ذكرنا

أما إذا استعملنا المساعد (etre) مع الفعل (aller) فان الصيغة تتغير من ضمير الى ضمير . . الخ .

وإذا كان «عبد العزيز فهمى» وغيره يشتكون من أن اللغة العربية فيها المجرد والمزيد والمعتل والصحيح وأن لكل فعل أوزان وتصاريف فإن لها فى الفرنسية كذلك تصاريف كثيرة منها الشاذ ومنها الجارى على القياس وعندهم تنقسم الأفعال حسب نهايتها إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : وهى التى تنتهى بـ er مثل Manger وهى وإن كانت تتصرف على تسق واحد إلا أن لها شواذا كثيرة لكل فعل منها تصريف خاص به يحفظ عن ظهر قلب مثل aller ; envayer; revuayer (ذهب ـ أرسل ـ الإرسال) .

المجموعة الثانية : وهى تلك الأفعال التى تنتهى بـ (ir) وهذه تتصرف على وتيرة واحدة إلا ما شذ منها وهو كثيرة ولابد من حفظها عن ظهر قلب أيضا .

المجموعة الثالثة : وهى تلك التى تنتهى بـ (oir) أو (re) وأفعال هذه المجموعة كلها شاذة وتحفظ .

أما من ناحية المبنى للمجهول فليست الفرنسية بأقل صعوبة من العربية ولأجل تحويل الفعل المبنى للمعلوم إلى المبنى للمجهول فى اللغة الفرنسية فإننا نلتزم الخطوات الآتية :

(١) نبحث عن زمن الفعل المراد بناؤه للمجهول .

(٢) نبحث عن فاعله إذا كان للمتكلم أم للمخاطب أم للغائب .

(٣) ويجرى ذلك فى الفعل المساعد .

(٤) ثم يقترن الفعل المساعد باسم المفعول من الفعل المراد بناؤه للمجهول نقول مثلاً :

ـ كتب على الدرس Ali ecrit la lecon

تحول الى المبنى للمجهول فتصبح Elleest ecrit par Ali

ـ فى حين أنه أيسر من ذلك فى اللغة العربية .

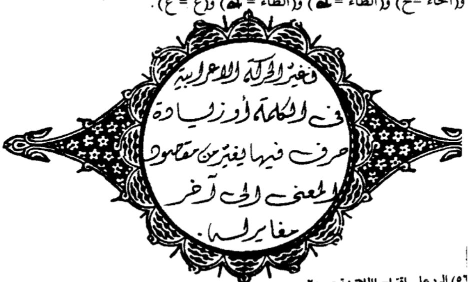
ويمكننا أن نلخص الأسباب التى دفعتهم الى هذه الدعاوى المغرضة :
- خلو الكتابة العربية من حروف الحركات مما يجعل القارىء يلحن فى قراءته.
- النقط : مُشَوِّش للرسم وأنه يجعل الكتابة غير يسيرة.
- الشكل : قد أفلس ومجلبة لزيادة التحريف والتصريف.

وحقيقة الأمر لم تكن الكتابة العربية يوما خالية من حروف الحركات بل هى موجودة بداخلها منضوية فى هيكلها وهى ما نسميه بأحرف العلة ونتعامل بها كثيراً فى الأسماء الخمسة وفى اعراب المثنى والأفعال الخمسة.

● أما بالنسبة للنقط فإنه وضع لحكمة إذ المقصود منه الاختصار فى عدد حروف الهجاء وتقليل صورها لأن ذلك أخف وأيسر ولما كان عدد الحروف عندنا (٢٩) تسعة وعشرين حرفا جعل الأقدمون منها (١٩) تسع عشرة صورة فقط وفرقوا بين المتشابه منها بالنقط (الاعجام) عوضا عن أن يجعلوا ثلاث صور للباء والتاء والثاء وذلك بسبب مواخاة معنوية وصوتية بين كل حرف وشبيهه فالذال - مثلا - يمكن نطقها دالا فى نحو «ذره ودره» والثاء يمكن نطقها تاء فى مثل (ثوب وتوب) والضاد قد تنوب عن الظاء فى مثل (ضهر وظهر) وهكذا دون أن يتغير المعنى المراد(٥٦).

● ومع هذا فإن الشكل والنقط موجودان فى أكثر اللغات الحية مثل الألمانية والفرنسية فلماذا الشكاية من وجودهما فى العربية؟.

وعلى الرغم من ادعائهم بأن سبب دعوتهم يعود إلى مافى الخط العربى من تشكيل ونقط (اعجام) يؤدى الى اللحن والتصحيف والتحريف فإن أبجديتهم المزعومة جاءت مليئة بالنقط - بل هو ضرورى جدا فيها - حيث لم يستطيعوا التخلص من حروف تختص بها العربية مثل الضاد والعين والغين والخاء والحاء.. والطاء والظاء.. فجعلوها كما هى برسمها واعجامها هكذا (ص =ص) و(ض =ض) و(الحاء =ح) و(الطاء = ط) و(الظاء = ظ) و(غ = غ).



(٥٦) الرد على اقتراح االلاتينية ص٢٠.

وبهذا نثبت أن دعوتهم مغرضة وأن النقط (الاعجام) فى العربية الذى هو سبب نقمتهم لم يستطيعوا التخلى عنه بل ان التصحيف والتحريف واللحن محتمل فى أبجديتهم. . ومن ثم فإنه أولى بنا أن نحتفظ برسم خطنا العربى لأنه أسهل وأجمل وأذوق.

دور التربية السليمة فى تلافيها

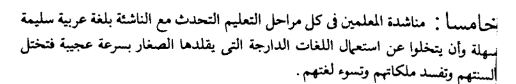
أن نحفظ السنتنا من الاعوجاج أسهل كثيرا من التخلى عن جلدتنا وارتداء جلود غيرنا. . ويمكننا ببذل الجهد قليلا أن نتلافى كثيرا من ذلقات اللسان فى مواطن التصحيف والتحريف. . والبداية لابد أن تكون مبكرة تبدأ مع دخول أولادنا أولى مراحل التعليم ومن هنا كان للتربية السليمة والتعليم المنظم الجاد أهم أثر ـ بل الأثر الفعال على حفظ الألسنة من الذلل واللحن وتبدأ خطوات تربية التلاميذ أو الناشئة بوجه خاص والمتكلمين بالعربية بوجه عام على الأسس الآتية:

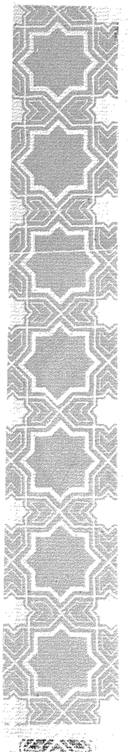
أولا: إننا نستطيع أن نقلل من الوقوع فى التصحيف والتحريف ـ ولا أقول تجنبه ـ باكتساب المهارة اللغوية والعناية بدرس اللغة فى معاهدها المتخصصة وتوحيد مناهجها على مستوى التعليم العام والجامعى فى كل البلاد العربية للسير على خطط موحدة تخدم فى نهاية أمرها لغتنا القومية وترعاها.

ثانيا: اللغة ملكة انسانية تكتسب بتعود النطق الصحيح وتكراره إذ يؤدى ذلك الى رسوخ هذه الملكة وتمكينها لدى من ينطق اللغة. . ويترتب على ذلك أن اللغة الصحيحة تكتسب من البيئة سماعا وقراءة وكتابة(٥٧) ونحن اليوم فى حاجة الى تكوين بيئة لغوية صافية لتكوين تلك الملكة لدى ناشئتنا المتعلمين للغة والمتعلمين بها إذ أن ذلك الضعف العام فى استخدام اللغة العربية نطقا وكتابة يكمن فى المناخ أو البيئة التى تحيط بالمتعلمين والمتكلمين حيث تسبح فى أجوائها الأخطاء واللكنة والتواء الألسنة وضحالة الثقافة وتفاهة المعلومات. . وسطوة اللهجات المحرفة والألفاظ المصحفة والعبارات الأجنبية الوافدة مما يعوق استخدام الفصحى وتعودها.

ثالثا: من البيِّن أن علاج هذا الضعف يكون بتعويد الناشئة سماع النصوص الصحيحة وحفظها وأخذهم بمحاكاتها فيعتادون على أساليب القرآن الكريم والحديث الشريف وما ورد عن العرب الفصحاء من النثر السلس والشعر الجميل.

رابعا: توجيه الناشئين الى قراءة الكتب الراقية والقصص الرفيع.





خامسا : مناشدة المعلمين فى كل مراحل التعليم التحدث مع الناشئة بلغة عربية سليمة سهلة وأن يتخلوا عن استعمال اللغات الدارجة التى يقلدها الصغار بسرعة عجيبة فتختل السنتهم وتفسد ملكاتهم وتسوء لغتهم.

سادسا : وعلى وسائل الاعلام المختلفة من إذاعة مسموعة ومرئية وصحف ومجلات دور لا أقول مهما بل أكثر أهمية من أى دور آخر فى محاولة التقيد بقواعد الفصحى تحدثا وكتابة لكى يكونوا القدوة والمثل لأن دور وسائل الاعلام «أصبح من الخطورة بمكان بحيث يجب علينا القيام بعملية تقييم مستمرة وصادقة لهذا الدور لأنه ولا شك أوسع الأبواب التى يأتى منها الخطر»(٥٨).

سابعا : محاولة تشجيع الناشئة على حفظ كتاب الله وتلاوته على يد اساتذة متخصصين فحفظ كتاب الله سيد الحافظين للألسنة من الانحراف . . وهو الواقى للملكات من الضعف والوهن.

ثامنـا : يرى الأستاذ فاروق جويدة فى مقال له تحت عنوان «هل ننقذ اللغة العربية»(٥٩) ان الحل «يبدأ مع المدرس الذى يعلم ابناءنا قواعد لغتهم . . ويتدرج الحل ليصل الى مذيع الاذاعة الذى يخطىء فى لغته أو كاتب المقال الذى لا يستطيع أن يتحكم فى استخدام الكلمة . . اللغة العربية كمشكلة لابد أن يبدأ حلها فى اعداد المدرس القادر وفى القدوة التى يتعلم منها الناس فى كل من يمسك بالقلم أو يقرأ النشرة أو يلقى على الناس خطاباً أو موعظة.

تاسعا : ويضيف الدكتور سمير عبد العظيم العطار فى مقال له تحت عنوان «الأزمة الحضارية ودور المثقفين العرب» أسساً أخرى نخرج بها من الأزمة الحالية التى نعانى منها من انعدام القدرة على تنشئة الفرد المثقف الواعى . . اخترت منها دور المدرسة نظرا لاهميتها، اضيفها الى الأسس التى ذكرتها حيث يرى أنه يجب ان تتحول المدرسة الى عالم جيل ممتلىء بالفكر والمنهج العقلى فى الفهم فمما يدعو للأسف أن مدارسنا لا تزيد عن كونها اماكن لحشو العقول بالمعلومات يضيع معها المضمون الى حد بعيد(٦٠).

عاشـرا : دور الاسـرة حيوى جدا فى الحفاظ على الملكة اللسانية عند الاطفال من الانحـراف بالتشجيـع على القـراءة والاطلاع . . وتوفير مكتبة صغيرة للطفل بها كثير من القصص الراقى ودواوين الشعر المبسطة مما يقوى عند الناشئة حب الاطلاع وروح الابتكار وينمى لديهم اسلوبا سليما خالياً ـ قدر الامكان ـ من مواطن التصحيف والتحريف.

---

(٥٧) اللغة العربية، الداء والدواء للدكتور محمد عيد من مقال منشور بجريدة الاخبار.

(٥٨، ٦٠) من مقال للدكتور سمير عبد العظيم العطار منشور بجريدة الشرق الاوسط بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٤م.

(٥٩) من مقال للاستاذ فاروق جويدة منشور بجريدة الشرق الاوسط بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٤م.



ان أمر تفشى الأغلاط فى لغتنا الفصحى من حيث اللغة والصرف ومعانى الالفاظ والتراكيب ودخول الهجنة عليها بلغ حدا من الخطورة جعل كل المهتمين بمستقبل اللغة العربية يخافون عليها. اذ هذه التحريفات أكثر ضررا عليها من الدعوة الى العامية لان هذه الدعوة برهن الزمن للعقلاءمن أمتنا على مضرتها وتسلحوا ضدها بشتى الوسائل وكانت هذه الاغلاط تنسب بالخصوص للصحافة وحدها ولكن هذا صار غير صحيح فى وقتنا هذا. فمنذ كتب اليازجى عن لغة الجرائد ومن جاء بعده ممن عالجوا هذا الموضوع ظهرت وسائل أخرى اعلامية أعمق أثرا على المجتمعات وأشمل نفوذا مما تسرب حتى إلى أقلام العلماء والكتاب. ثم ان هذه الوسائل لم تبق محدودة فى نطاق بلد واحد ولكنها انتشرت فى كل العالم العربى أكثر من انتشار الجرائد والمجلات أى ما كنا نطلق عليه اسم الصحافة.

ولقد اهتم العرب منذ القرون الاولى للحضارة الاسلامية بتصحيح الاخطاء فى كتب يسمونها عادة أخطاء الخواص. والأمر ليس خاصا بالعربية فاللغات الحديثة كلها تتعرض لهذه الاخطاء بسبب تعميم التعليم الابتدائي الذى يجرئ كل أحد على الكتابة والتأليف حتى من كانت بضاعته مزجاة. واذا أخذنا مثلا لذلك اللغة الفرنسية نرى كبريات الصحف اليومية تخصص ركنا لتصحيح أوضاع اللغة الفرنسية. . وتوجد هيئات مهمة ترعاها الحكومة تسهر على سلامة اللغة. . وترجع الفاسد منها الى الصواب. . وتبعد الدخيل الانكليزى الذى يغزو الآن لغات الدنيا وتحل محله ألفاظا فرنسية. . ومنذ اسابيع قدم وزير الثقافة الفرنسي للصحافة مائة كلمة فرنسية لتحل محل نظيراتها الانكليزية.

وقبل *أن أتعرض لتصحيح بعض هذه الاخطاء والتحريفات وأنا أعنى بهذا منذ زمن طويل واجتمع لدى الشيء الكثير منها ونشرت عدة مقالات فى جريدة الرسالة بالمغرب فى هذا الموضوع تحت عنوان «تصحيح الاوضاع». . أقول قبل ذلك ينبغى أن نشير الى أسباب تفاحش هذه الظاهرة التى عملت وسائل الاعلام المسموعة أكثر من غيرها على تفشيها.*

والسبب الاول فى نظرى هو اصرار العرب على عدم استعمال الشكل

والضبط فى ما يكتبون فمن هنا نشأت الاغلاط اللغوية والنحوية واذا كنا فى العصور الماضية لا نحتاج الى ذلك لان عدد المثقفين كان قليلا وكان لهم من الوقت ما يكفيهم فى صغرهم وشبابهم لتعلم قواعد النحو العربى الكثيرة المتسعة فان ظروف العصر الحاضر لا تساعد على ذلك. وأنا أعتقد أن العربية أسهل اللغات لان قواعدها ليس فيها شذوذ كما هو الشأن فى اللغات الغربية مثلا . . ذلك لأن واضعى النحو العربى كانوا من العباقرة النبغاء إذ اهتدوا الى جعل قاعدة لكل ظاهرة نحوية خطا وكتابة واعرابا مما جعل من جهة أخرى حفظ هذه القواعد والاستيلاء عليها يتطلب زمنا طويلا لذلك ولكى لا يضيق بنا الوقت لاستيعابها اليوم يتعين ويجب تلافى الأخطاء بشكل كل ما ينشر على الناس. ولاحظ فائدة هذا فى طبع المصحف الشريف الذى لا يلحن فيه أحد مطلقا بفعل الشكل الشامل لكل ألفاظه.



والسبب الثانى: العجلة فى نشر الخبر مما لا يدع وقتا للمحرر التلفزى والاذاعى للبحث والتنقيب عن اللفظ المناسب والتركيب الصحيح ـ ثم ان للمترجين مسؤولية عظمى فى هذه الحالة السيئة التى صارت اليها اللغة العربية وقد لاحظت هذا فى منصة اليونسكو ونبهت عليه. وكم مرة فى أثناء الاستماع الى مترجم أو مترجمة أطلب الكلمة من الرئيس لاقول اننى لم أناضل النضال المرير أنا وزملائى العرب لادخال لغتنا الى اليونسكو لنراها اليوم تمزق بهذه الصورة ثم اننى عقدت مع ثلة من المترجين جلسة أطلعتهم فيها على مآخذ بينتها لهم كتابة بعد ذلك.

ثــم ان من المسؤولين عن افساد لغتنا أصحاب المتاجر والمعامل وكل من يعلق على محل عمله أو يكتب على سيارات نقله أسماء ما يقوم به من عمل وأمثال هؤلاء يجب أن يدعوا من قبل المؤسسات الاكاديمية والتوجيهية والتخصصية فى محاولة جادة وبناءة للمحافظة على صفاء اللغة العربية . . واطلاق المسميات والصفات والتعاريف ودقة الترجمة . . وأن ما تقرره من ذلك ملزم.

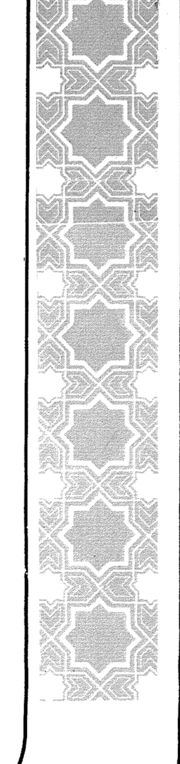
ومن امثلة هذه الانحرافات الشركة التى تسمى نفسها «المغرب خشب» وهى تعنى بذلك بكل بساطة شركة خشب المغرب . . وكذلك «المغرب حليب». ولو كان هذا التركيب صحيحا لكان معناه أن المغرب

محلوب ولكنهم يعنون فقط شركة حليب المغرب. . ونظائر هذه التشويهات كثيرة.

ومـن أسباب هذه الاخطاء الاهمال وعدم الاكتراث بدليل أننا نرى ف كتابات علماء ومثقفين أغلاطا لا نجدها حتى عند تلاميذ المدارس الثانوي ولا يمكن أن تنسب للمطابع لان الطابع يمكن أن يغلط فى حرف وأما ا يقع من عنده تركيب خاطىء عِوَضَ صواب الكاتب فهذا بعيد. . وهذ اللامبالات ناتجة عن كسل فكرى لان الانتباه وتوخى الصواب خصوص فى لغة المخاطبة يتطلبان مجهودا عقليا يكسل عنه المتكلم وحتى الكاتب أحيانا. وهكذا نسمع ونقرأ لفظة (القناعة) بمعنى (الاقتناع) ولا أدرى م أين جاء هذا الخلط لأن كل عربى سليم الذوق يعلم أن من لم يتُق ال أكثر مما جاءه فى حظه واكتفى به فهو قانع أما الذى تشرح له مسألة حتى يصدق بها فهو المقتنع وقد حصل له الاقتناع ولكنك صرت لا تسمع ف الخطب والكتابات الا القناعة وعسى الذين يغلطون فى هذا المفهو يرجعون عن غلطهم ويقتنعون بصواب الاقتناع عوض القناعة.

ومـن ذلك استعمال لفظة الشفوى لما هو غير مكتوب والمقصو الشفاهى وهذا الغلط ناتج عن الرغبة فى الهروب من النسبة ال الجمع ظنا أن لفظة الشفاهى نسبة الى شفاه جمع شفة والواقع أ الشفاهى بمعنى غير المكتوب هو نسبة الى المصدر أى شافهه يشافه مشافهة وشفاها كما نقول ناضل يناضل مناضلة ونضالا. أما شفو فهو ما ينسب لشفة كالحروف الشفوية مثل الباء والميم ونحوهما.

ومـن هذه الاغلاط الشائعة استعمال لفظة المراقب والمراقبين لم يشاركون فى اجتماعات عامة وطنية أو دولية بدون. . أن يكونو أعضاء عاملين وبدون أن يكون لهم حق التصويت فهم مجرد ملاحظين (Observateurs Observers) وكنا فى المغرب لا نسمع ولا نقرأ الا لفظة ملاحظ حتى أخذ مذيعونا يقلدون من يقول مراقب عوض ملاحظ ولو تنبه هؤلاء الى معنى المراقب وهو أكثر حتى من عضو مطلق لان من له حق المراقبة هو الذى يفحص أعمال من له الرقابة عليه وينتقده ويوجه له اللوم ان اقتضى الامر ذلك.



وكذلك المتتبعون لأحوال بلاد ما من حيث السياسة فهم كذلك ملاحظون لا مراقبون ولكن لا تسمع ولا تقرأ الا «يرى المراقبون» «ويقول المراقبون» ونحو هذا.

ومـن الأخطـاء الكتابية ما يتعلق بالهمزة خصوصا الهمزة المضمومة فى وسط الكلمة التى تكتب هنا فى مصر فوق الياء مثل شؤون ولعمرى لا أدرى ما الحامل على ذلك وجعلها فوق الواو متيسراً كجعلها فوق الياء. أما عندنا فاننا كثيرا ما نرى الهمزة المكسورة مكتوبة فوق الالف ولكن هذا يقـع فقـط فى الآلة الكاتبة لان صانعى هذه الآلات قبل اليوم كانوا لا يعتنون بسبك هذا الحرف أى الالف تحته همزة. ومن هذا القبيل اهمال النقطتين تحت الياء فى آخر الكلمة فيلبس مثلا (علي) (بعلى).

وأما فوضى كتابة الهمزة فانها عامة ولكن فى المطابع التى لا تتقن عملها مع أن كتابة الهمزة لها قواعد ثابتة وهذا مثل ما يتعلق باللغة العربية كلها نطقا وكتابة يحتاج الى انتباه وتفكير خصوصا مع انعدام الشكل وهو فى نظرى السبب الرئيسى لاكثر الاغلاط التى صار الوعى العربى الآن يتتبعها بكل اهتمام.

ومـن الاستعمالات الخاطئة استعمال لفظة معمار بمعنى هندسة معمارية وتسمية المهندس المهتم بالبناء معماريا ولكن الذى أعرفه هو أن المعمار هو هذا المهندس نفسه وقد جاء فى الجزء العاشر من معجم الادباء لياقوت ان أحد الامراء أيام العباسيين بنى دارا جميلة وحضر الملك محمود بن نصر المرداسى يوم الاحتفال بفتحها فأعجبته أيما اعجاب وسأل عن الثمن الذى لزم لبنائها فقال له صاحبها والله لا أدرى بالضبط ولكن المعمار هنا وسأناديه ليخبرنا بذلك (معجم الادباء ج١٠ ص١٠٠).

ومـن الاغلاط الشائعة النسبة الى كلمة لا علة فى آخرها وبدون موجب بزيادة واو وهذا ينم كمظاهر أخرى من هذا التشويه على فقدان الملكة العربية.. فما أحوجنا ان نقول الادارة الغابوية والنظام الاسروى والحركة الوحدوية فى حين أن التركيب الاضافى هو أليق فى هذا المقام فقولنا ادارة الغابات ونظام الاسرة وحركة الوحدة أخف وأنسب على اللسان للسليقة العربية.

كلمات

ترتيب الحب

تقول العرب فى ترتيب الحب وتفصيله:
أول مراتب الحب الهوى.
ثم العلاقة وهى الحب اللازم للقلب
ثم الكلف وهو شدة الحب
ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب
ثم الشغف وهو احراق الحب القلب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة واللاعج فان تلك حرقة الهوى وهذا هو الهوى المحرق.

ومــن هذه الاخطاء التى تدل على الجهل باللغة استعمال لفظة اخصائى للدلالة على العالم أو الخبير المتخصص فى فن ما ظنا من مخترعها الاول أنها مشتقة من مادة خصص والواقع أنه رأى هذه الكلمة مكتوبة بدون شكل هكذا ألف وخاء وصاد وألف وهمزة فوق الياء وباء النسبة فقرأها أخصائى فى حين ان مستعملها كان يعلم ما يقول ولكنه لم يشكل أو بالاحرى لم تشكل المطبعة وهذا داء عضال فلم يقرأها على صوابها وهو اخصائى اصطلاح عربى للخبير بالشىء العارف له معرفة دقيقة.

ومــن التقليـد: اللغـة الفرنسية بالخصوص عند أبناء المغرب العربى استعمال لفظة الوطن الام لان لفظة الوطن Patrie بالفرنسية مؤنثة وان كان اشتقاقها من اللاتينية Pater لفظا مذكرا. والاب مذكر فى أكثر اللغـات الاخـرى فينبغى أن يقال الوطن الاب اذا كان ولابد أن نقتبس هذا التعبير من اللغات الاعجمية.

ومــن هذا القبيل أى تقليد اللغة الفرنسية تأنيث الافعال الراجعة الى اسم مذكر أضيف اليه اسم مؤنث فيقولون مثلا (توصلت جلالة الملك ببرقيات تهنئة) والحالة أن العربية لا تبيح مثل هذا التركيب لان المقصود هو المضاف اليه ما قبله أى لفظة الملك وسبب هذا أيضا هو أن أسلوب اللغة الفرنسية يعرض أن يعتبر فقط المضاف لان طبيعة هذه اللغة الوقوف مع الالفاظ وهو نوع جمود يضفون عليه الوضوح فيقولون الفرنسية لغة الوضوح.

ومــن الاستعمالات الخاطئة عند التونسيين ترجمة لفظة (OU) الفرنسية التى لها تارة معنى حيث وفى السؤال معنى أين دائما بلفظة أين فيقولون مثلا (المدينة أين ولد فلان) (والبلد أين أنا ذاهب).

ومما عمت به البلوى فى هذه السنين الاخيرة استعمالات فجة لا يستسيغها الذوق العربى ويحدث التباسا فى المفاهيم وذلك كقولهم التحديث ويقصدون به جعل الشىء حديثا والتعصير جعله عصريا وسبب مثل هذه التراكيب هو اللجوء الى ألفاظ خاصة عوض استعمال ٢ جملة تفسيرية واضحة كان يقال مثلا (موافق للعصر) (أو متمش مع الطرق الحديثة) وهكذا

لا يلتبس الامر لا بتعصير الفواكه ولا بسرد حديث النبى صلى الله عليه وسلم. وأبشع منهما «التطبيع» بمعنى ارجاع العلاقات طبيعية. وفى بلاغة اللغة العربية ما يكفى للتعبير عن كل هذه المعانى بالفاظ جزلة واضحة.

ومن باب تفخيم الاشياء فى بعض البلاد العربية تسمية أشياء بسيطة بألفاظ فخمة فالمدرسة ولو كانت ابتدائية (معهد) والتلاميذ (طلبة) والمعلم الابتدائى (أستاذ) والجمعية (رابطة) والامم الفقيرة المتخلفة وهذا عندى هو المقصود بالذات فى هذا الفصل يسمونها نامية أى نمت وتم نموها وهذا الاستعمال أصله الاذاعات الاوربية بالعربية وهى تتملق منتجى النفط ولا تريد أن تجرحهم بنعتهم بالامم المتخلفة. وهو أصدق تعبير عن حالة هذه الامم فأخذوا يقولون أولا الامم التى تسير فى طريق النمو ثم قفزوا قفزة واحدة الى نعتها بأنها لم تبق فى طريق النمو وانها وصلت الى النمو وصارت نامية وأحسن ما يعبر به عن هذا المفهوم لفظة متنامية لان تفاعل فى العربية يؤدى هذا المعنى فتقارب مثلا يسعى نحو القرب وتماثل للشفاء دخل فى طور النقه وقد أخذ بها كتاب العراق وقد نشرتها فى المنتديات الدولية كاليونسكو والاليكسو.

ومن التراكيب الشائعة فى هذا العصر استعمال فعل عانى بدون مفعول كأنه لازم ويركبونه مع حرف الجر من فيقولون مثلا وأهل القرية يعانون من قلة الماء ولا يقولون ماذا يعانون وهذه ترجمة للكلمة الفرنسية Souffrai وهو فعل لازم ويأتى أحيانا متعديا، وهذا من أمثلة سوء الترجمة ولكن هذه العبارة كتب لها انتشار كبير لا تخلو منها جريدة ولا خبر اذاعى وتلفزى.

وانى أعفيكم من التصحيحات التى تعرض لها الاستاذ سعيد الافغانى لانه أثلج الصدر بتصحيحاته وذلك كاستعمال الكوادر لما نسميه الاطر أو الاطارات وقد أثبته حتى المعجم الوجيز. . وأزيد أن الكوادر زيادة على هجنتها وبشاعتها فى العربية فان لها معنى فاحشا فى العامية المغربية وأما مدير عام الشركة ولا يمكن أن يقرأ الا هكذا فهو من علامات أخرى لانعدام السليقة العربية. وهذه هى الطامة الكبرى التى أعتبرها عنوان هذا الانحطاط الذى أصاب بعض نواحى لغتنا الحية القوية التى لا يمكن لكل هذه الانحرافات أن تزيل عنها رونقها ومقامها لانها محفوظة من قبل المولى تعالى الذى أنزل بها كلامه القديم وأريد أن أختم هذا البحث الوجيز بما قاله أحد حكماء اليونان وهو أنتيستان من رجال القرن الرابع قبل المسيح قال: ان الاستيلاء على الالفاظ هو رأس الحكمة».

كلمات

ثم الشغف وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب وهى جلدة دونه وقد قرأنا جميعا: شغفها حبا وشعفها

ثم الجوى وهو الهوى الباطن.

ثم التتيم وهو أن يستعبده الحب ومنه سمى: تيم الله أى عبد الله ومنه رجل متيم.

ثم التبل وهو أن يسقمه الهوى ومنه رجل متبول.

ثم التدليه وهو ذهاب العقل من الهوى ومنه: رجل مدله.

ثم الهيوم وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ومنه رجل هائم.



يدخل البحث فى علاقة اللغة والمجتمع بعضهما ببعض فى مجال علم اللغة الاجتماعى أو ما يطلق عليه اسم Sociolinguistics وهو مجال جديد لم يعرفه المتقدمون إلا من إشارات عابرة غير مقصودة نظفر بها أشتاتا هنا وهناك ولكنها لا تصلح لأن يبنى عليها علم له قواعده وأسسه.

● وفى هذه المقالة سنعرض لأثر التغيرات الاجتماعية على اللغة وما تعكسه اللغة من واقع المجتمع وما تعبر عنه مما هو ترجمة عملية لمعانيها.

ونبدأ فنقول: إن قراءة عابرة فى كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى تقفنا على كثرة المفردات التى كان العرب يستخدمونها فى التعبير عن المسمى الواحد فى أطواره وأحواله المختلفة من متوارد الألفاظ أو مترادفها أو ما تقارب منها.

وقد أحصيت فى كتابى «الألفاظ الجغرافية فى التراث العربى حتى نهاية القرن الهجرى الثالث» نحواً من ثلاث عشرة كلمة أطلقها العربى على الغبار. ونيفاً وأربعين أطلقها على السراب مما قام عليه شاهد.

غير أن المتمعن فى العربية المستخدمة اليوم ليجد أن معظم تلك المفردات قد أوت إلى زوايا مظلمة حيث استسلمت إلى سبات عميق بل لقد مات بعضها فلم يعد يستخدم على الاطلاق.

ونسأل: هل كانت القبائل العربية التى استقرت فى الأندلس ـ على سبيل المثال ـ بحاجة إلى لفظ أو ألفاظ للتعبير عن الغبار والسراب وهما من الظواهر التى لا تكاد تتكون هناك؟..

● أليس عدم حضور «الشيىء» مبرراً لعدم حضور ما يعبر به عنه وهو اللفظ؟.. ولو إلى حد ما.

● أليس صحيحاً ـ كما يقولون ـ ان البعيد عن العين بعيد عن القلب أو الخاطر؟ وإلا فمن أين جاء مثل هذا القول؟. أدخان يكون بلا نار؟.

لقد رحلت القبائل العربية إلى تلك البلاد وفى معجمها اللغوى ألفاظ للغبار والسراب ـ ولكن حيث لا غبار ولا سراب ـ فإذا بتلك الألفاظ تتساقط كالغبار وتضمحل تدريجياً كالسراب.. وإذا بالانسان يتكيف مع بيئته ويتخذ منها أباً ويجعل من نفسه ابنا ويبدأ فى استخدام مفردات يعبر بها عما يستجد فى حياته من أمور ومعان وعلاقات لم تكن تدخل فى حياته من قبل بشكل أو بآخر ـ كأحاديثهم

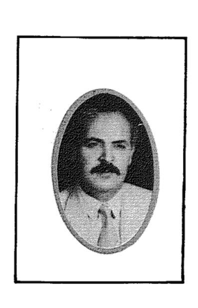
عن المياه الجارية والجنان الوارفة الظلال فلا عجب إن وجدنا شاعر البوادى الرملية يمدح الخليفة العباسى بوفاء كالكلب ومقارعة كالتيس وذلك حيث قال:

«أنت كالكلب فى حفاظك الود وكالتيس فى قراع الخطوب»

بل لقد سبقه الشاعر الجاهلى عمر بن معديكرب الزبيدى الى هذا المعنى فقال:

«نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا».

ولا عجب أيضاً أن نجد ميسون بنت عدل الكلبية تضيق ذرعاً بنعيم معاوية فتطلب البادية بأبياتها المشهورة.. وأن نجد بعض الفلكيين والحسّاب يشبهون بالأزياج والأبراج والكواكب..



● أوليس عجيباً بعد ذلك أن ننتظر من ابن الأحقاف وكثبان الصحراء الكبرى أن يحدثنا عن فيوردات النرويج وجبال الأنديز قبل اليوم؟.. بل أما تراه سيكون غريباً أن يحدثنا إنسان عن **«الربابة»** بعد قرن حيث يبدو أنها ستكون قد انقرضت؟.

إن الذى نريد أن نصل إليه هو أن الشيىء ـ مسمى كان أو معنى ـ يكون أولا ثم يكون اللفظ المعبر به عنه. وإلا فلماذا لم تكن اللغات قديماً ثرية ثراءها الراهن؟.. أليس لأن المسميات والمعانى التى يستخدمها أهلها تزداد حيناً بعد حين؟.. والمعنى والمسمى أكبر من اللفظ فى الدلالة باستمرار ولا يمكن أن يساويها أو يفوقها فى الدلالة قط «ذلك أنه رمز موجز مختزل مختصر» تماماً كالبيضة من الدجاجة فى دلالتها عليها.. الدجاجة هى المعنى أو المسمى هى الأصل واللفظ هو البيضة.. يمكن أن تصبح دجاجة لكن بعد عمليات ومعاناة وإبداع. وكذلك اللفظ يمكن أن يغطى المسمى أو المعنى وذلك بشرحه وتفسيره وتحليله.. وهذا يتطلب خلقاً وإبداعاً.

*ثم نسأل: هل هناك حجر فى المكان (ص)؟ والجواب هو احتمال الحالين. لكن متى يكون الجواب نعم وحسب؟.. يكون ذلك عندما تكون هناك علاقة ما بيننا وبين حجر هناك.. هل للحجر قيمة مالم يكن مستخدماً بحال؟.. ما قيمة حجر على بعد مائتى كيلومتر فى باطن الأرض؟.. ما قيمته مالم تكن بيننا وبينه علاقة ممكنة؟.. ومن ناحية أخرى ما قيمة اللفظ **«مسعندل»** مادام أنه*

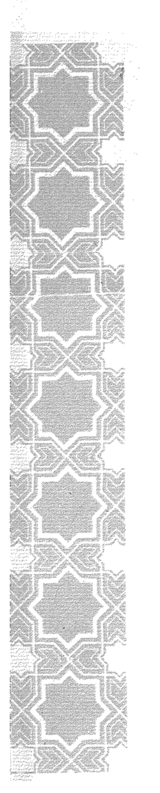
لا معنى له ولا يستخدم؟ . . بل كلمة «ثور» مادام مسماها يخرج تدريجياً من دائرة الاستخدام أما نلاحظ أن هذه الكلمة أصبحت تستخدم بمعنى «بليد» بقدر ما تستخدم للدلالة على الحيوان المعروف، إن لم يكن أكثر. ما قيمة «النور» عند فاقد البصر. . وكذلك ألفاظ الألوان. . ويقابل ذلك فى عالم المسميات والمعانى أقحوانة نبتت وترعرعت ثم تصوحت فى أرض قفر دون أن يتمتع بشميمها إنسان. . أو درة فى قاع الخليج لم يهتد اليها غواص؟ . . كلنا نذكر قصة ذلك الذى تاه فى الصحراء وأخذ منه الجوع والعطش كل مأخذ. . فلقى صرة فيها ذهب؟ ترى ما نفعه؟ وهل الذهب عنده مثله عند ساكن الحاضرة؟ .

● *كيف يمكن أن نتصور الحال من رجل أو طفل يستخدم كلمة «ثور» وهو لم ير ثوراً قط ومن كفيف يستخدم كلمة نور وقد خلق كفيفاً؟ أتكون لغتهما سوية؟ هل يتكلمان نفس اللغة التى يتكلمها من رأى الثور وعرف طباعه، ومن نعم بالنور وبهجة الاشراق؟ . . إن الألفاظ تحيا وتموت وتمرض وتتجمد تبعاً لحال مسمياتها والقيم والعلاقات التى تعكسها معانيها. أفتعنى الكلمة «جيران» معناها الاصلى الآن؟ أهى مستخدمة استخدامها القديم. . أو الكلمات كريم. . حسن. . خير. . صديق. . محترم ونحوها أيضاً؟ .*

ونسأل بعد ذلك : أين تكون المعانى والعلاقات والدلالات وصور المسميات خارج الانسان أم بداخله؟ . فإن كانت تقع خارجه فلماذا هذا الاختلاف فى الألفاظ من مكان لآخر؟ . .

أليس الناس سواء فى النسبة التى تتمثل فى ما بينهم وبين الأشياء؟ .
أليسوا سواء فى أن الأشياء تقع خارجهم؟ .

لكن الذى نراه أنه مادام الاختلاف قائما فإن ذلك يقتضى تبريراً آخر: هو أن تلك الأشياء «العلاقات والدلالات وصور المسميات والمعانى» إنما تقع داخل الانسان وبذلك تختلف لأن الانسان يختلف عن غيره من الناس ـ ليس فى ذلك أدنى شك ـ وبذلك يضفى عليها من اختلافه فتختلف فى مقاديرها وأبعادها من إنسان لآخر. . ومن مكان لمكان. وبالتالى تختلف الألفاظ إلا بقدر ما يمكن أن تترابط به بين الناس من علاقات أخرى تطغى على الفروق والاختلافات. . ومرد ذلك إلى كثرة الاتصال وأدواته وعمقه فالطائر هو الطائر. . والذبابة هى الذبابة. . والشجرة هى الشجرة. . أما الانسان فليس هو الانسان. .



● ولما كانت الأشياء السالفة الذكر تقع داخل الانسان فهو من الحركة والنشاط بقدر ما تنشط هى فيه وتتحرك وهى مما يورث ويلقن بالتعليم وهى أيضاً مما يكتسب بالتدبر والتأمل والتفكر.

ومما ينطبق على الانسان الفرد ينطبق على الانسان المجتمع فبقدر ما تكون «المعانى والعلاقات والدلالات والقيم وصور المسميات ـ والخيال الذى هو أداة الابداع» بقدر ما تكون نشطة متحركة يكون المجتمع كذلك وركودها كركود الماء والهواء فيه فسادها وفساده.

وأين تقع الألفاظ «اللغة» من هذا التفاعل والأثر المتبادل؟ إنها تقف موقف النغم من الأصبع أو نحوه، والوتر. . الصوت كامن فى الوتر والأصبع أداة التحريك. . والنغمة المطربة ـ أو المزعجة ـ هى الكلمة أو اللفظ ومن هنا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية.

ومنها تقارب الصلات بين الأنواع الأدبية وبخاصة بين فني الشعر والنثر فإن لكل نوع له خصائصه التي تنأى به عن الذوبان في غيره وقديما قال ابن خلدون "إن العربية نثر وشعر وقرآن"... وكرر هذا المعنى نفسه د/ طه حسين في العصر الحديث.

إن مأساة هذا الجيل المتسرع تكمن في الجري وراء "الموضات" وهو في هذا الجري مقلد ويدعي أنه مجدد، وقمة المأساة تتمثل في أن أغلب الناشئين لا يدركون قيمة المصطلح في تحديد الأشياء.. فتأتي كتاباتهم مسخا مشوها مثقلا بالأغاليط والاضطرابات وتصبح الكتابة كغثاء السيل أو جعجعات بلا طحن وفي ذلك بعد عن الأصالة التي يتميز بها الواقع وتعبيرهن الأصالة أي المستقبل.

دكتور
صابر عبد الدايم

إذاً المعانى والعلاقات والدلالات وصور المسميات الكامنة فى الانسان هى أداة حركته ونشاطه فبقدر ما تكون الأولى تكون الحركة وقانون الحركة أنه لكل فعل رد فعل فإن لم يورث الانسان ذلك أو لم يصل إليه بمفرده فذلك يعنى أنه لن يتحرك.

وإذا كانت حركة المجتمع لا تتسم بالسرعة الكافية فذلك يعنى أن ثمة خللا إما فى موروثه وخلفيته أو فى ما توصل إليه واكتسبه مجدداً. وبعرض واقع الأمة العربية على ذلك فإننا نجد أن فى الموروث الحضارى للمجتمع العربى ما يشهد بحيوية هذه الأمة وحركتها وقد قام الدليل الملموس على ذلك ولئن كان فى الموروث الحضارى شيىء يُتهم فهو ذلك الذى اخترق العقلية العربية فى عصور الانحطاط التى خيمت على العالم الاسلامى فترة من الزمن يضاف الى ذلك أن المكتسب الثقافى العربى الحديث فيه من العيوب ما شوه الصورة المنعكسة على المرآة لو كان لها ذنب فى ذلك.

مداد

وجاء القرآن الكريم فاعطانا الصفات الحقيقية لكل شيىء.. نقل اللغة الى واقع الانسانية ماضيها وحاضرها ومستقبلها.. ما هى عليه وما يجب ان تكون عليه.. وكذلك السنة فى حكمها أعطتنا أهم ما يمكن ان تعطيه الفلسفة الممارسة مما يشغل بال الانسان واهتماماته واستمرت اللغة عند الصحابة صورة وتطبيقا عند الخلفاء ولا سيما علىّ.ثم توسعت الفلسفات المختلفة والنظريات المتعددة والآراء التشريعية فلم ينظر اليها أسلافنا إلا نظرة الأداة الفعّالة المتحركة وبذلك كانت اللغة العربية حالة كل عربى لأنها ارتبطت به كإنسان عاقل تتحقق له كل معانى الثقافة والمعرفة.

«علال الفاسى»

إن *وجود اللفظ لا يستلزم وجود المعنى.. تماماً كالنغمة تسمعها فلا ينبغى أن تكون سمعتها من أصبع ووتر حيث قد تكون مسجلة على شريط.. وقد يقال: ما الفرق؟.. فنقول كبير جداً: فأنت تسمعها مرة واحدة فقط من الأصبع والوتر ولكنك تسمعها هى هى مئات المرات من آلة التسجيل إن شئت. وكذلك اللفظ: تسمعه*

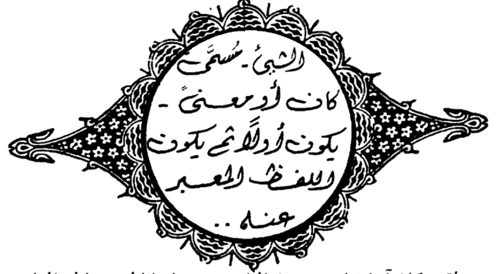
وتقرأه ملايين المرات فى المعجم مع معناه الملاصق له ولكنك لا تستخدمه لنفس المعنى المثبت أبداً.

أن نفاخر بضخامة المعجم العربى لا يعنى أن كل ما تعكسه ألفاظه من معان هى حية فى مجتمعنا العربى بالممارسة. وبعبارة أخرى إن الانتفاخ فى المعجم العربى هو ورم لا شحم فلابد من الموازنة الانسجام بين الألفاظ والمعانى وهذا لا يتحقق إلا بتحقيقه على أرض الواقع.

إن الحاجة تكون ماسة إذا كانت لمافيه علاج لمشكل تغلغل فى الأعماق بحيث يبدو مستعصياً. . وإن تقدم العربية رهين بتقدم المجتمع. . ولا يمكن لمجتمع أن يتقدم مالم يصدر كل فرد فيه عن المعانى التى ورثها وعن ما اكتسبه مما لا يتنافر مع ما ورثه.

إن السيارات والطيارات كأجهزة وآلات كانت أولا معانى جزئية فى ذهن الصانع. . جرب وجرب فتوصل إلى الهيئة والنظام اللذين تتحقق بهما السيارة الفكرة ثم كان اللفظ.

تكون المخترعات والمستجدات التطبيقية أفكاراً فى ذهن الفاعل ثم تتبلور وتترجم على أرض الواقع. . وكذلك الفكرة والمعنى يكونان ثم يجاء باللفظ.



لقد كان آباؤنا يصنعون المواد ويسمونها وإنا لنجدها فى المعاجم المختلفة عربية كانت أو أجنبية. . وكانوا يولدون المعانى. . فتتولد الألفاظ المعبرة عنها تلقائياً.



ما فتىء النحاة يرددون بالحاح على أن وضع القاعدة النحوية انما جاء ليحمى المتكلم من الوقوع فى الخطأ، ويروون روايات تجعل كل عوامل وضع النحو العربى تنطلق من هاجس واحد هو العمل على تجنب اللسان العربى ولاسيما القرآن الكريم مما كان يعتريه من أخطاء وما أصابه(١) من فساد فى النطق.

وهى روايات على الرغم من وجاهتها الظاهرية فان ما جاءت به لا ينهض سببا قويا لوضع قاعدة توحد ألسنة العامة على وتيرة واحدة فتكون بمثابة الدستور الذى يجنح اليه الواحد منا كلما أراد فهم نص أدبى أو انشاء عمل ابداعى.. نعتقد أن الوظيفة أخطر من أن تكون مجرد حلة زاهية ينمق بها الناطق كلامه أو كشافا يفحص به مدى سلامة لغته.

ذلك أن دور القاعدة النحوية لا ينتهى عند شكل الكلمة وانما يتجاوزه الى التركيب. تركيب الكلمة داخل الجملة وما تؤديه من عمل فى تجلية المعنى وتوجيهه الوجهة التى يريدها الكاتب أو المتكلم. فالقواعد هى خدم للمعانى ومؤشرات للإيحاءات المختلفة التى تؤديها الكلمة داخل الجملة.

ولم تكن هذه الحقيقة غائبة عن أذهان النحاة وهم يضعون الأسس الأولى لقواعد النحو من أمثال الخليل وسيبويه وأسلافهما وخلفائهما.. وسواء علينا أأخذنا تلك الرواية التى مؤداها أن أعرابيا قرأ عليه قارىء: ﴿إنَّ الله برئٌ من المشركين ورسولهُ﴾ ـ بالجر ـ فقال: أنا أبرأ مما برىء الله منه.. فجاء عمر وعلمه القراءة الصحيحة وأمر بوضع النحو. سواء أخذنا بهذه الرواية أم درسنا تلك التى تقول: ان أبا الأسود سمع ابنته فتعجب فظنها مستفهمة لأنها قالت: ما أحسن السماء ـ بالرفع ـ فوضع النحو العربى.. فان النتيجة واحدة، وهو أن مدار هذه الروايات كان حول المعنى وفى سبيل المعنى الذى تبدل نتيجة لتغير الحركة الاعرابية.

نضع هذه الملاحظة بين يدى بحثنا هذا حتى نقف على مدى سلامة نظر النحاة القدماء عندما وضعوا القواعد وأسسوا الأحكام. وهل كانت القاعدة غاية

ينشدها الواحد منهم لمجرد الزينة والتباهى باتقانها أمام الأنداد كما يعتقد كثير من نحاتنا المحدثين أو أنها كانت وسيلة للفهم والتفاهم والابداع؟ . .

ولقد ارتبط وضع النحو العربى وعلوم اللغة بالقرآن ارتباطا وثيقا اذ من أجله وضعت كتب النحو واللغة والبلاغة والتفسير. . وكان القصد غاية واحدة هو فهم القرآن والاقتراب من معانيه.

ولم تكن القاعدة فى يوم من الأيام غاية فى ذاتها. ويتبدى من كلام النحاة القدماء أنهم كانوا يحرصون على أن تكون دائرة النحو أوسع من أن تتقيد بالبحث فى الاعراب والنظر فى أواخر الكلمات.

■■ فسيبويه: عمل على أن تكون كل المبانى التى بحثها قائمة على قاعدة متينة قوامها حشد هائل من الأبيات الشعرية والنصوص اللغوية.

■■ وابن جنى: كان يرى أن حركات الاعراب راجعة الى المتكلم نفسه لا لشىء غيره(٢).

■■ وهذا عبد القاهر الجرجانى: يبنى نظريته فى النظم على أساس ما تقتضيه القاعدة النحوية حيث يقول:

«واعلم أن ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشىء منها . .

ويقول: «فلست بواجد شيئا يرجع صوابه ان كان صوابا وخطأه ان كان خطأ الى النظم . . ويدخل تحت هذا الاسم (الا) وهو من معانى النحو . . قد أصيب به موضعه ووضع فى حقه . . أو عومل بخلاف هذه المعاملة . . وأزيل عن موضعه . . واستعمل فى غير ما ينبغى له . . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه الا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معانى النحو وأحكامه . . ووجدته يدخل

---

(١) تجد معظم هذه الروايات فى (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى) ص٣١ وما بعدها - تحقيق ابراهيم السامرائى - ط٢ مكتبة الأندلس بغداد ١٩٧٠ و(كتاب طبقات النحويين واللغويين للزبيدى) ص١٣ وما بعدها - تحقيق أبو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٥٤.

(٢) الخصائص لابن جنى: ج١ ص١١٠ - تحقيق محمد على النجار - ط٢ دار الهدى بيروت بدون تاريخ.

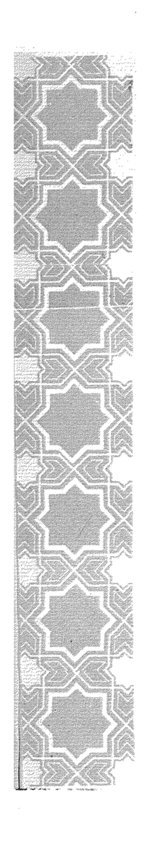
فى أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه(٣) ذلك لأن الشعر مثلا لا يتلقى اللغة قط مادة يتصرف فيها كأنها معطاة له من قبل بل الشعر هو الذى يبدأ بجعل اللغة ممكنة(٤) ومادام الشعر هو اللغة البدائية للشعوب والأقوام فيجب أن تفهم اللغة من خلال ماهية الشعر . . أى أن اللغة يجب أن ينظر اليها من خلال هذه العلاقة الجدلية القائمة بينها وبين التركيب البنائى للأسلوب .

واذا كانت المدرسة التى تعلم فيها العربى لغته هى ثقافته التى اكتسبها من بيته . . واذا كان الناشىء يسمع والده أو والدته تنطق بأفصح العبارات فيتربى على أسلوب فصيح بحكمه وذوقه اللغوى فاننا فى عصرنا الحاضر قد فقدنا تلك السليقة اللغوية بحكم الزمن والتاريخ فقد أصبح لا سبيل لنا لمجاراة القوم فى كلامهم الا بعد التمرس على لسانهم والاطلاع على سلوك لغتهم فى أداء المعانى المختلفة . ولما كان اللغويون القدماء قد وضعوا أيدينا على سر عظيم من أسرار العربية هو أن حركات الاعراب ترجع الى علل وأسباب تطرد فى كلامهم فقد أصبح علم العربية هو المنهج الذى ينبغى أن نتعارف عليه نحن الخالفين وليس يعنى ذلك أننا ندعو الى تعلم القواعد المجردة البعيدة عن الحقل اللغوى الحى وانما ننادى بتعلم الجانب الضرورى من هذا العلم وحفظ النماذج اللغوية والنسج على منوالها على أن تكون القاعدة هى الملاذ والمعلم والضابط الذى يهتدى به الناطق والسامع والمتعلم والمعلم بعد ذلك الى الفهم والادراك والافهام .

ويبدو أن النحاة فى العصر الحديث لم يعالجوا مسألة تعليم القاعدة النحوية على النحو الذى يقتضيه المنهج التربوى اذ ما برحوا يحومون حول جوهر المشكلة دون معرفة حقيقتها وانقسموا الى فريقين :

الأول : فريق يدعو الى هدم أركان القاعدة النحوية بانكاره جميع الأصول التى قام عليها بنيان النحو كله دون أن يهتدوا الى البديل الذى يضمن ضبط الأساليب اللغوية على مختلف وظائفها ومعانيها ، اذ ليس يخفى أن أصول النحو العربى هى الأساس التى تنبنى عليه القواعد الكلية للغة وأن بعض هذه القواعد يكتسبها المتعلم بالفطرة والمحاكاة شئنا أم أبينا ولعل هذا ما ذهب اليه الخليل عندما قال : «ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها وقامت فى عقولها علله وان لم ينقل ذلك عنها(٥).

وهو ما يقرره «تشومسكى» بعد ذلك عندما يقول :



«ان المسألة الأساسية فى دراسة اللغة هى أن تفسر كيف يمكن اكتساب اللغة؟.. هذه المعرفة التى لا تكفى التجربة لتحديدها.. اذ تنمو فى الدماغ وبشكل محدد تنظيم كفاية قواعدية.. وينبغى علينا على ما يبدو الاقرار بأن القواعد الكلية تقدم رسما تخطيطيا جدا يجب أن تتوافق معه القواعد الخاصة»(٦).

الثانى: فريق قد ضل الطريق أيضا واعتقد أن النحو غاية تطلب وعلم قائم بذاته ينبغى أن يلقن بكل تفاصيله وحواشيه.. وأن فلسفة النحو «هى النحو» وأن الخلافات التى ما فتئت قائمة بين المدارس النحوية هى جزء من القاعدة التى ما ينبغى أن تهمل فكانت النتيجة أن ضاع الطالب فى متاهات هذه الزوائد والخلافات.. وهكذا جاءت المؤلفات النحوية صورة لهذا الزيغ عن الهدف المقصود اذ مازال النحاة المحدثون يؤلفون للنشء كتبا تسير على نسق المطولات التى ألفها النحاة القدماء للمختصين الضالعين كما سنرى.. فهى فى غاية التعقيد والتشويش من حيث التبويب والمصطلح والاستشهاد. وعلى الرغم من المحاولات التى تظهر بين الفينة والفينة فان المؤلفات النحوية مازالت تنوء تحت عبء الطرق التقليدية ومازال النحو يقدم على أنه قوانين ومططلحات وحركات.

أما أن تكون القاعدة وسيلة لادراك جمال اللغة والوقوف على الايحاءات البلاغية فيها فذلك أمر لم يفكر فيه المؤلفون اللهم إلاّ ما لمسناه من نتائج واعدة فى المشروع الطموح الذى تقدمت به وزارة التربية فى اطار المدرسة الأساسية الذى سنتعرض له فى احدى الصفحات القادمة.

---

(٣) انظر دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى ص٢٢-٦٢ - تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجى ط١ القاهرة ١٩٦٩.

■ ويقول أبو القاسم الزجاجى:

«ولما كانت الأسماء لا تحمل فى صورتها وأبنيتها أدلة على المعانى جعلت الحركات فيها تنبىء عن هذه المعانى».

انظر الايضاح فى علل النحو لأبى القاسم الزجاجى ص٦٩.

(٤) الشعر واللغة: د. لطفى عبد البديع ص٢ ط١ القاهرة ١٩٦٩. عن مارتن هينجر: الفلسفة والشعر.

(٥) الايضاح فى علل النحو لأبى القاسم الزجاجى - ص٤٨ تحقيق د. مازن المبارك دار النفائس - بيروت ١٩٧٣.

(٦) ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ص٩٩ ط٢ ١٩٨٢.

ولقد تفطن النحاة الأقدمون الى ضرورة الفصل بين ما ينبغى أن يتعلمه المتعلم المبتدىء العادى وبين ما يطلب من اللغوى المختص فوضعوا المختصرات الميسرة أسلوبا وتأليفا للمبتدئين كالجمل للزجَّاجى وشذور الذهب لابن هشام والأجرومية لابن آجروم وغيرها. . كما وضعوا المطولات المفصلة للمختصين المدققين ككتاب سيبويه وشروحه والمفصل وشروحه وألفيتى ابن معطى وابن مالك وشروحهما. . الخ.

ويكفى للبرهنة على ما نذهب اليه أن نلقى نظرة على هذه المختصرات فلا تجد فيها أثرا لهذه التعقيدات والتفصيلات ولا تتوه فى هذه الخلافات التى تصرف المتعلم عن الهدف المراد. وأن نلقى نظرة أخرى على الكتب المطولة فتجدها موغلة فى التفصيل والاستطراد ممعنة فى التبريرات والتعليلات لأن المقصود هنا هو سد الثغرات أو الرد على الاعتراضات التى قد تصدر عن لغوى مختص اذ لا تخلو هذه الكتب من مثل قولهم: «فان قال قائل لم فعلوا كذا. قلنا لك من أجل كذا وانما كان الحكم كذا. . لوجود كذا». . الى آخر ما تجده فى هذه الأمهات مما لا يدع مجالا للشك فى أنها كانت موجهة الى خبراء اللغة فى المقام الأول.

ان *التأليف النحوى مهمة تتطلب عملا منهجيا جماعيا طويل النفس ولا يمكن أن ينهض به مؤلف واحد أو جماعة من المؤلفين. وقديما قال أبو حيان التوحيدى:* ***«الكلام على الكلام صعب، لأنه يدور على نفسه ويقتبس بعضه ببعضه»***. *. لذلك يجب أن تتضافر جهود الدول العربية لايجاد مشروع لغوى مشترك تؤلف فيه الكتب النحوية على مختلف مستوياتها ومراحلها الدراسية على أن يضطلع بهذه المهمة خبراء فى اللغة والتربية والاجتماع اللغوى وعلم النفس اللغوى واذ ذاك يمكن أن نقدم للقارىء والطالب مؤلفا نحويا كاملا متكاملا وفى انتظار ذلك فاننا نتصور أن تكون المؤلفات النحوية قائمة على ما يقتضيه المنهج التربوى فى العرض والتقديم والترتيب فيكون المؤلفون فى القواعد مؤلفى تعبير وأسلوب أولا وأن تكون القواعد فيها دوالًا على قصد المبدع من وراء رفع الكلمة ونصبها وجرها.*

ان *المناهج المتبعة فى تعليم النحو العربى لطلاب المدارس والجامعات على الخصوص لم تعد صعبة المراس على الطلاب فحسب بل غدت مثارا لعزوفهم ونفورهم منها. والسبب فى ذلك أن القواعد ما فتئت عندنا فى المدارس والجامعات على السواء غاية من غايات التعليم ومقصدا خطرا من مقاصد الامتحانات العامة والخاصة. . ولا يضير الطالب بعد ذلك ان أخطأ فى التعبير أو عجز عن فهم الكلام على الوجه الصحيح لأن القاعدة مازلنا لا ننظر اليها على أنها وسيلة يجب أن تكون فى حكم الملكة لمحاكاة اللغة الصحيحة. ولقد تنبه الى ذلك*

العلامة ابن خلدون عندما لاحظ أن المغاربة يعلمون القواعد دون الشواهد . . وأنهم بهذا الأسلوب أبعد ما يكونون عن إقامة ملكة أو تقويم لسان من الاعوجاج واللحن. أما الأسلوب الذى يرتضيه ابن خلدون فهو أن يسار من الشاهد أو المثال الى الاستعمال ويقاس الكلام بعضه على بعض. فيقول الطالب: (وصل المسافر) قياسا على (قال الله) ويقول: (القمر مضيىء) قياسا على (العلم نور).

وليت شعرى هل كان العلامة ابن خلدون أصح منّا نظرا نحن أبناء القرن العشرين مُلّاك المخابر الصوتية وأصحاب المعارف التربوية أقول: هل كان أكثر منا واقعية عندما بسط هذا المنهج القويم لتعليم القاعدة اللغوية . . فهو يعقد بابا خاصا فى أن اللغة ملكة صناعية فيرى أن اللغة ملكات فى اللسان أولا تأتى عن طريق التكرار والتمرس على التراكيب المختلفة . .

مداد

ليت لنا مجمعًا لغويًا أدبيًا

المجامع اللغوية لكل دولة عربية واسلامية مهمة وهى لبلدنا أهم لاسيما فى عصرنا الزاهر الذى تقدم فيه العلم تقدما باهرا فى كل مجال نحتاج فيه الى ان نقدم ما نختاجه من بحوث ورسائل وأفكار وآراء فى مجمعنا وعلى يد متعلمينا ورواد نهضتنا من الأمور التى ستحققها المجمع اللغوى السعودى الذى أنعم به (جلالة الملك فهد) على البلاد واعلنه امير الشباب فيصل بن فهد بن عبد العزيز. بتحقيق وتنقيح كثير من كتب التراث التى توجد فى مكتباتنا القديمة فى مكة والمدينة والتى هى الآن محفوظة تحتاج الى هذا المجمع اللغوى والقائمين عليه

أ. محمود عارف

فاذا امتلك الانسان القدرة على أداء المعنى المقصود فى حسن تركيب وانسجام فى التأليف بلغ الغاية من افادة مقصوده للسامع(٧) أما من يجعل ديدنه وغايته تعلم الاعراب فانما هو كمن يتعلم كيفية العمل، وليس نفس العمل: «وكذلك لو سئل عالم بالتجارة عن تفصيل الخشب فيقول: هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه وآخر قبالتك ممسك به بطرفه الآخر ويتعاقبه بينكما . . وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائية الى أن ينتهى الى آخر الخشبة. وهو لو طولب بهذا العمل أو بشىء منه لم يحكمه . . وكذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة

(٧) المقدمة لابن خلدون ١٠٨١ ط٣ دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٧،
(٨) المصدر نفسه: ١٩٨٢.

والمهرة فى صناعة العربية المحيطين بتلك القوانين اذا سئل فى كتابة سطرين الى أخيه أو ذ
مودته أو شكوى ظُلاّمه أو قصد من قصود أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن(٨) .

ذلك أن ادراك الكليات فى ذهن الانسان انما يسير من غير تحديد بتعاريف وقوانين منطقية كما رأينا .

ان كثيرا من الحقائق التى يصل اليها ادراكنا لا نحددها تحديدا منطقيا جامعا مانعا وانما هى موهبة فطر الانسان عليها تمكنه من ادراك خصائص العربية وملاحظة ظواهرها المشتركة عند تعلم القاعدة . . انها الموهبة التى تدرك بها القاعدة النحوية مقرونة بالممارسة العملية . . وتستطيع اذ ذاك القاعدة النحوية أداء مهمتها على الوجه الأكمل(٩) .

فاذا جئنا الى واقع اللغة وقواعدها فى مؤسساتنا التعليمية ألفيناه يعانى من نقائص وثغرات كانت السبب الحاسم فى عقم القاعدة النحوية وعدم جدواها فى اكساب المتعلم التعبير السليم .

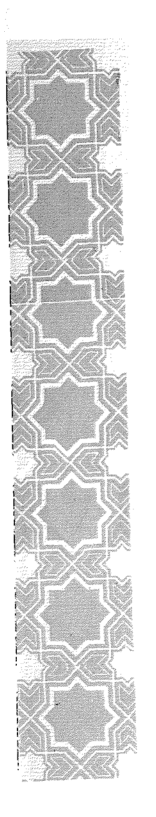
ومن هذه النقائص :

■ أن الطالب ينتقل من التعليم الثانوى الى الجامعى وهو لا يملك تحصيلا ذا بال فى علوم اللغة وسلامة التعبير بها . . فهو يتلقى دروسا مكثفة ومعقدة فى التعليم المتوسط ومتفرقات فى النحو والبلاغة فى المرحلة الأولى من التعليم الثانوى ولا شىء بعد ذلك . ولهذا تجد الطالب يحدثك فى حماس بالغ عن جمهرة المسائل النحوية التى درسها وعرفها وربما فاجأك باستعراض معلوماته المعمقة فى الأبواب النادرة وما أن يشرع فى التعبير كتابة أو مشافهة حتى تختفى تلك المعلومات وراء ركام الأخطاء المريعة التى يقع فيها ذلك لأنه فقد الصلة بين القاعدة والممارسة . . بين التنظير اللغوى والحقل الذى تعمل فيه اللغة .

الهوة القاتلة الموجودة بين علوم اللغة وبقية الفنون الأدبية الأخرى . . اذ أن أستاذ الأدب لا يبدى أدنى اهتمام أمام الطالب بعلوم اللغة وقواعدها فلا يقيم هذه الصلة الحميمة الموجودة بين اللغة العربية وآدابها . . وقد لا يحاسبه على ما يقع فيه من أخطاء معتقدا أن ذلك من شأن أستاذ النحو وحده . . وأستاذ اللغة لا يبدى أدنى اهتمام كذلك للجانب الأدبى والجمالى الذى تبرزه علوم اللغة والنحو خاصة . . اذ ان اللغويين المتأخرين فصلوا النحو عن المعانى ووضعوا بينهما الحدود والأسوار فقد يتعلم التلميذ حكم الصنعة فى تقديم الخبر عن المبتدأ . . أما لماذا تسلك العربية هذا المسلك أو بالأحرى لماذا يختار المبدع تقديم الخبر وتأخير المبتدأ فذلك أمر لا يهتم به مدرس النحو(١٠) .

■ استعمال العامية فى تدريس الآداب والمعارف الانسانية الأخرى والتهاون فى مراعاة الضبط والنطق السليم وهو أمر له انعكاسه السلبى على المتلقى .

■ المحيط الموبوء لغويا الذى يعيشه المعلم والمتعلم على السواء فوسائل الاعلام المختلفة لا تعتنى بالمادة اللغوية التى تقدمها للمستمع والقارىء . . ولا يمر واحد بسلام دون أن يقع



المذيع أو المحرر فى أخطاء لغوية فاحشة . . وما أسرع ما تنتقل هذه العدوى الكلامية الى المتعلم الناشىء الذى أخذ المذياع والتلفاز بلبه واصبح المتلقى يقلده فى كل شىء . . فليس غريبا أن نراه يقلده حتى فى الأخطاء التى يقع فيها .

■ قصور المجامع والمعاجم اللغوية عن تزويد المتكلم بما يحتاجه التعبير عما يجد من مستحدثات علمية وتكنولوجية وما يغمر حياتنا اليومية من مسميات ومصطلحات . (وانما تزدهر اللغة ويعلو شأنها ليس بكونها لغة أدب وابداع فقط بل يجب أن تكون أداة طيعة لأداء كل ما نحتاجه فى حديثنا اليومى) . ولن يتحقق ما نريده للغة من نماء ونقاء ما دامت الفصيحة مهجورة . اذ ليس يخفى ما بين ازدهار اللغة وقواعدها من تلازم .

■ حاجة مناهجنا التعليمية الى المعطيات العلمية وما توصل اليه العلماء فى ميادين التربية وعلم النفس اللغوى وعلم الأصوات واللسانيات والقيام ببحوث ميدانية ومخبرية حتى ندرك الوضع الحقيقى للغة العربية فى جميع المستويات.

وبعد : هذه نظرات خاطفة حاولنا أن نقف فيها على بعض اشكاليات تدريس اللغة العربية من خلال معاينة مادتها ومناهجها واذا كانت هذه الدراسة قد سلطت أضواءها على ما تعانيه مناهجنا من آفات ونقائص فان ذلك لا يمنعنا من أن نستبشر خيرا بالجهود المثمرة التى ما انفك نحاتنا المحدثون يبذلونها من أجل انهاض العربية والرفع من شأنها .

والأمل معقود على المدرسة الأساسية وما تبشر به من نتائج مرضية فى مجال امتلاك اللغة واتقانها ، اذ يبدو أنها تجاوزت الطرق التقليدية بمراعاتها الواقع اللسانى والمحيط اللغوى للمتعلم بما فيه من ملابسات ومتغيرات اجتماعية .

---

(٩) القواعد النحوية مادتها وطريقتها للأستاذ عبد الحميد حسن : مطبعة العلوم ١٩٤٦ ص٦٦ ، الألسنية التوليدية ص٦٦ .

(١٠) لقد أجملنا فى هذه الفكرة ما فصله الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح فى محاضرة عنوانها : (الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية) وذلك فى ندوة تعليم اللغة العربية التى عقدها اتحاد الجامعات العربية بين ٧-٩ أبريل ١٩٨٤ بالجزائر.



يخوض المجتمع الانسانى بأكمله اليوم معركة تعرف فيما بين الناس بمعركة النماء الاقتصادى والاجتماعى . . وإن على الأمة العربية والاسلامية أن تسهم بجد فى هذه المعركة تحقيقا لازدهارها المنشود وتلبية لنداء التحدى الذى يفرض الخروج من الانطواء على الذات للاطلاع على ما يجرى فى العالم من تطورات وحوادث وأحداث تهم مصيرها ومصير الانسانية جمعاء .

إن النماء ـ أى نماء اقتصادى أو اجتماعى ـ يمر بالضرورة عبر النماء الثقافى . . والنماء الثقافى لابد أن يكون اللسان الأم أقرب طريق آمنة للوصول إليه .

ولسائل أن يسأل هل هنالك من علاقة بين النماء الاقتصادى والاجتماعى وبين اللغة العربية؟ .

فى محاولة متواضعة للرد على هذا السؤال يلاحظ الباحث أن هنالك علاقة تاريخية ـ على الأقل ـ بين المد الحضارى العربى الاسلامى وبين نهضة اللغة العربية وانتشارها فى كثير من بقاع المعمور.

ذلك بأن اللغة العربية لسان أمة سكنت شبه جزيرة العرب التى تقع شمال البحر الأحمر فى القارة الأسيوية قد انتشرت بانتشار «الاسلام» الدين الذى اتخذها لسانا لحضارته وعمرانه مشرقاً ومغرباً فحلت محل لغات بيزنطية ـ رومانية وفارسية ولاتينية وبربرية ـ أما زيغية فى الشام وفى العراق وأثرت فيها أخذاً وعطاء انطلاقاً من المفهومات الحضارية السائدة وانتهاء إلى المفهومات الوليدة الجديدة فى الحياة السياسية والاقتصادية والفلسفية والعلمية اتباعاً لسنة الرقى والتطور.

■■ *ويذكرون أن لغة الدواوين فى العصور الاسلامية الأولى لم تكن اللسان العربى المبين ثم تعربت بعد ذلك عندما ازدهرت الحضارة وعم العمران . كما يذكرون أن بعض كبار قادة المغرب العربى كانوا ينطقون بلسان قومهم أول الأمر ثم استعربوا .*

■■ *ويذكرون أيضا ان الصلوات فى الكنائس المسيحية بالأندلس كانت تتلى*

على المسيحيين فى العصور الاسلامية الزاهية بها . . باللسان العربى . . الذى كان آنذاك لسان النوادى الأدبية والشعراء وكبار القوم من رجالات المجتمع الراقى .

■■ *كما يلاحظ الباحث فى التاريخ أن اللغة العربية تراجعت مع تراجع المد الحضارى الاسلامى عندما عاد سكان الوادى (غير ذى الزرع) إلى واديهم وقد قلت الثمرات وانحسر ظل الحضارة والعمران عنهم وعما حواليهم إلا قليلا فانكمش لسانهم وجمدت لغتهم واستعجمت مفهوماتهم السياسية والاقتصادية والفلسفية والعلمية لابد من:*



جامعة
محمد الخامس
- المغرب -

أ ـ عودة الحضارة والعمران إلى واديهم أولا لكى ينتشر اللسان العربى . . مشرقا ومغربا . . شمالا وجنوبا بينهم . . وفى واديهم أولا ثم فى كثير من بقاع عالمنا المعاصر من بعد ذلك .

ب ـ عودة حركة الأخذ والعطاء ثانيا انطلاقا من المفهومات الحضارية المعاصرة وانتهاء عند المفهومات الجديدة فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية .

هذا ولربما اعتبر الحديث عن النماء بصدد الحديث عن اللغة العربية حديثاً غير ذى موضوع إذ النماء الاقتصادى والاجتماعى شيىء واللغة شيىء آخر يختلف عنه غاية الاختلاف .

قد يقول قائل : إن الامة وهى تخوض معركة النماء ينبغى لها أن تصرف كافة جهودها لادراك الازدهار الاقتصادى والتقدم الاجتماعى بأية وسيلة كانت ومتى أدركت الهدف المقصود اختارت وسيلة العمل وتكلمت اللغة التى تريد عليها ان تقرر عند ذاك استعمال اللسان الوطنى أداة عمل ووسيلة خطاب مادام الرخاء يستطيع أن يجد الحلول المناسبة لكل المشاكل المستعصية بما فى ذلك مشكل اللسان .

إن هذا الرأى يشتمل على كثير من الرشد والسداد إذ أنه ينطلق انطلاقة منطقية سليمة لعله لا يستطيع أحد أن ينكره أو يجرؤ على رفضه : إلا انه من

المعتقد أن مسلسل النماء ليس واحدا لدى كل الدول ولدى كافة الشعوب لانه يختلف اختلافا كبيراً بين شمال وجنوب ـ بين شرق وغرب ـ بل إن شقة هذا الاختلاف تظهر بجلاء ووضوح داخل الدولة الواحدة نفسها وفيما بين الشعب الواحد ذاته: بين المدينة والقرية. . بين الحاضرة والبادية. . بين المكان الجدب والمكان الخصب.

ولذلك اقترح لكل منطقة اقتصادية مسلسل نماء يلائم بيئتها الطبيعية والحضارية.

إن مسلسل النماء الملائم للبيئة الطبيعية لبلد من البلدان لا ينبغى أن يتغافل عن الامكانات الطبيعية التى يمكن تعبئتها وتسخيرها لادراك اهداف التنمية: لابد أن يؤخذ بعين الاعتبار الوضع الجغرافى للبلاد وقضايا المناخ والخيرات الطبيعية المتوفرة ووسائل المواصلات وغيرها من العوامل التى لها تأثير كبير على نجاح عملية النماء.

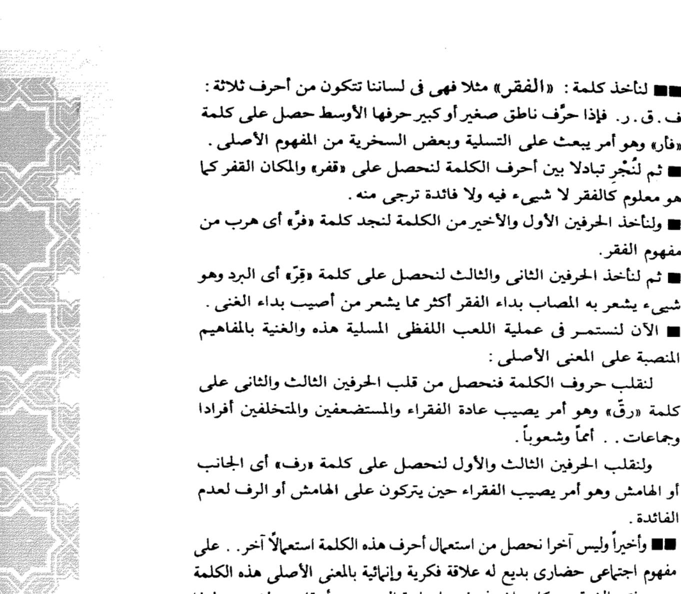
إن مسلسل النماء الملائم للبيئة الحضارية لبلد من البلدان لا يمكنه أن ينطلق دون التفات إلى الامكانات الحضارية التى ينبغى تعبئتها لاتمام نجاح عملية النماء: لابد من أن يأخذ مسلسل النماء بعين الاعتبار المفهوم الحضارى لكلمات. . كالفقر والغنى. . وكالتقدم والتأخر. . وكالاموال والأولاد. . وكالخصب والجدب. . وكالذهب والفضة. . وكالحرث والنسل. . وكاللذة والشهوة والنشوة. . وكالبخل والكرم. . وكلمات أخرى كأتقن وصنع. . وكعمل وَلَها. . وأحيى وقتل. . وكزكا وقل. . وكنما وضمرُ.

إن اللسان الوطنى هو الملجأ الأمين للبيئة الحضارية لأى شعب من الشعوب فهو سجل ماضيها وواقع حاضرها وعنوان مستقبلها. إنه سجل حاضر مكتوب من شاء رجع إليه ليقرأ ويعلم ويفهم المغزى الحضارى الذى يقوم عليه الازدهار الاقتصادى والأمن الاجتماعى إنه واقع حاضرها الموروث عن ماضٍ زاهر مقروء معلوم أو ماضٍ مبتور مجهول.

وهو عنوان مستقبل: مستقبل على صورة الواقع الموروث مزدهرا أو على شكل واقع موروث متخلفا.

وهكذا تستطيع أمة من الأمم أن تأخذ بأسباب الرقى والنماء وتتدرج على عتبات الرخاء والمجد ولكنها إنما تأخذ بأسباب مجد مغشوش وتتدرج على عتبات رخاء مغبون ونماء مصطنع ورقى مستعار إذا لم يكن ذلك كله نابعا من مفاهيم بيئتها الحضارية وصادراً عن معطيات عيش تلك المفاهيم وممارستها عبر فترات تاريخنا مداً أو جزراً. . قوة أو ضعفا. . تقدماً أو تخلفا.

وبذلك تدرك الأمة نماءها الحقيقى المراد وازدهارها الطبيعى المنشود ومن نمائها وازدهارها يمكن أن تكون مثلاً يحتذى فى النماء. . تأثرا وتأثيرا. . أخذاً وعطاء. . مفاعلة وفعلاً إذا صح التعبير.



■■ لنأخذ كلمة : «الفقر» مثلا فهى فى لساننا تتكون من أحرف ثلاثة : ف . ق . ر. فإذا حرَّف ناطق صغير أو كبير حرفها الأوسط حصل على كلمة «فار» وهو أمر يبعث على التسلية وبعض السخرية من المفهوم الأصلى .

■ ثم لنُجْرِ تبادلا بين أحرف الكلمة لنحصل على «قفر» والمكان القفر كما هو معلوم كالفقر لا شيىء فيه ولا فائدة ترجى منه .

■ ولنأخذ الحرفين الأول والأخير من الكلمة لنجد كلمة «فرّ» أى هرب من مفهوم الفقر.

■ ثم لنأخذ الحرفين الثانى والثالث لنحصل على كلمة «قِرّ» أى البرد وهو شيىء يشعر به المصاب بداء الفقر أكثر مما يشعر من أصيب بداء الغنى .

■ الآن لنستمـر فى عملية اللعب اللفظى المسلية هذه والغنية بالمفاهيم المنصبة على المعنى الأصلى :

لنقلب حروف الكلمة فنحصل من قلب الحرفين الثالث والثانى على كلمة «رقّ» وهو أمر يصيب عادة الفقراء والمستضعفين والمتخلفين أفرادا وجماعات . . أمماً وشعوباً .

ولنقلب الحرفين الثالث والأول لنحصل على كلمة «رف» أى الجانب أو الهامش وهو أمر يصيب الفقراء حين يتركون على الهامش أو الرف لعدم الفائدة .

■■ وأخيراً وليس آخرا نحصل من استعمال أحرف هذه الكلمة استعمالاً آخر . على مفهوم اجتماعى حضارى بديع له علاقة فكرية وإنمائية بالمعنى الأصلى هذه الكلمة هى «رفق» الغنية عن كل بيان وفى غير ما حاجة إلى معجم أو قاموس لشرح مدلولها الإنسائى الاقتصادى والاجتماعى وعلاقة ذلك بالمنهج الفكرى العام للأمة العربية والاسلامية وهنالك جانب آخر معنوى يضاف إلى العطاء الحضارى يتمثل فى القول المأثور فى لساننا العربى عن الفقر فى قولة شهيرة تنسب لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه .

«كاد الفقر أن يكون كفراً» وهى حقيقة اجتماعية لابد أن يأخذها المحلل بعين الاعتبار عند التفكير فى منهج اقتصادى للنماء .

إننا عند معالجتنا لمشكلة الفقر لسانياً ثم إنمائيا . . ومذهبيا وفكريا . . تكون المعالجة فيما يبدو أكثر ثراء وغنى إذا ما عولجت باللسان الوطنى عما إذا ما عولجت بلسان آخر. وليكن ما يكون هذا اللسان جمالاً وحسنا ودقة وبهاء سيحمل ولا شك مفهومات أخرى ومعانى حساناً أخر من المفيد أن تضاف إلى مفهوماتنا الوطنية هذه دون أن تغنينا عن الرجوع إليها والاستيحاء من مفهوماتها بحال من الاحوال .

ولنأخذ بعد هذا كلمة العين(١) التى هى كلمة مشتركة تعنى العين الانسانية الباصرة كما تعنى العين الجارية من الماء.. وتعنى الذهب أى المال وتعنى الجاسوس: فلعل المعنى المشترك الذى يجمع بين الدلالات المختلفة لهذه الكلمات يعطينا ظلالا وصوراً عن المفاهيم التى يريد العربى المسلم إعطاءها للمال: فالمال كالعين الباصرة عصب الحياة وهبة من الله للكون أى انه مال الله. والمال كالماء فى سرعة تداوله وتدفقه ودورانه وشدة حاجة الناس اليه وهو سبب النماء والحياة: ﴿وجعلنا من الماء كل شيىء حيّ﴾ والمال كالجاسوس يضر بنفسه وبالناس إذا ما أسيىء استعماله وإنفاقه فى غير ما أعد له.

ولعل بالامكان أن يشار فى هذا الصدد إلي ما يقرره فقهاء اللغة من أن كل كلمة اشتملت علي حرفين مشتركين لابد أن يجمعهما معني عام مشترك والمثل المدرسي الذى يعطونه علي ذلك هو اجتماع حرفى الجيم والنون: فكلما اجتمعا فى كلمة ما دلا علي معني الستر والخفاء وهو باب مزيف معروف فى فقه اللغة العربية يستحق أن يقف عنده المتخصصون وقفة ربما كان فيها عطاء وفير وخير كثير.



إن المال عصب الحياة وعليه مدار الرقى ويشق الطريق فى البحر - كما يقال - وهو سبب من أسباب ازدهار الحضارة والعمران وحافز من حوافز العمل والانتاج فكثيرا ما خطف بريق الذهب الأصفر أبصار الناس نساء ورجالا حكومات وشعوبا وكثيرا ما أسال الذهب الأسود لعاب الشرهين وأرباب الصناعات والشركات وعما قريب يصبح الذهب الابيض هدفا لتسابق دولى رهيب: إن الذين يملكون هذه المصادر الاقتصادية الضرورية للنماء يملكون قوة أساسية عظيمة يجرى تبادلها معهم بشتى وسائل الاغراء المالية «الورقية» والاختراعات العلمية الاستهلاكية الحديثة بحثا عن السوق واستدراجا للانفاق. : انفاق الاموال الزائدة.

بعض هذه القوة الانهائية بين أيدى بعض الدول العربية والاسلامية فهى تملك أسباب النمو ولكنها ليست نامية ولا متقدمة على كل حال وإن امتلاكها لمصادر هذه القوة يجعلها ملتقى الاهتمامات بكافة أنواعها : يهمنا فى هذا الصدد اهتمام العالم المتقدم بهذا اللسان وبحضارته وأفكاره وما يجرى فيه من حركات وسكنات وخفض ورفع وإظهار وإضمار وإعراب وسكون .

إن الدول العربية والاسلامية تريد أن تلحق بركب الحضارة والتمدن وتسعى جاهدة إلى رأب الصدع لقطع الهوة السحيقة الفاصلة بين المتقدمين والمتخلفين وتقف فى وجه هذا الهدف النبيل صعوبات لابد من تذليلها وعقبات ينبغى تخطيها على الصعيد الثقافى عامة وعلى صعيد تقدم اللغة العربية بخاصة.

تأتى على رأس هذه العقبات قضيتان اثنتان من الأهمية بمكان وهما مرتبطتان بعضهما ببعض ارتباطا عضويا وثيقا.

● أولى هاتين القضيتين قضية التربية والتعليم والتكوين . . ثانيها عقدة المصطلح العلمى .

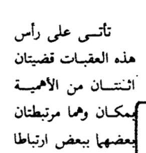
وفى حل هاتين القضيتين يوجد الحل السليم لمسألة النماء من أجل اللحاق بركب التقدم العلمى والتكنولوجى الذى يعرفه عالمنا المعاصر.



بلادنا والحفاظ على لغتنا

اللغة العربية لغة القرآن الذى يدين به سبعمائة مليون نسمة منتشرون فى سائر انحاء العالم . . واللغة العربية لها انصار فى كل الدول الاسلامية كباكستان وافغانستان واندونيسيا وماليزيا ومالى وغيرها من الدول.

وجميع هذه الدول التى تحب اللغة العربية وآدابها لا يصحبها منا مشجعون وبعثات لترسيخها وعلى الرغم من وجود كراسى لهذه اللغة فى أغلب جامعات العالم الا انه يجب ان نعمل على تأييد هذه الكراسى وتثبيت دعائمها بفتح مدارس ومعاهد وملحقين ثقافيين فى سفاراتنا لهذه الغاية ونشر كتب ونشرات ومجلات وصحف . .


أ . عثمان الصالح

وهنا مثال فى ان دولاً كانجلترا واسبانيا والمانيا تعمل المستحيل فى الحفاظ على لغاتها وتبذل الاموال والجهود فى نشرها .

الاشكاليات المطروحة إذن هى التالية :

ما هى اللغة المثلى التى ينبغى أن تتم بها التربية والتعليم؟ . . وما هى اللغة المثلى لتكوين المكونين؟ . . بأية لغة يتم اللحاق بركب التقدم العلمى أو التكنولوجي؟ . . هل ينبغى أن يحصر الهدف المرحلى فى تعلم العلم ابتغاء تكوين علماء قادرين على الأخذ ومتمكنين من العطاء عند الاقتضاء عملا بالقول المأثور:

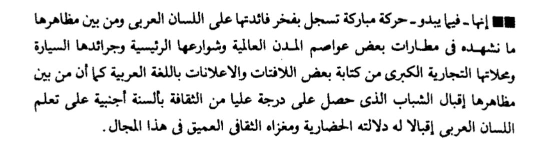
«خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت» بل يمكن أن نضيف : ومن أى وعاء يمكن أن تؤخذ منه»؟ .

هل ينبغى حصر الجهود العلمية فى ترجمة العلوم؟ . . وعندها ما الفائدة من ذلك؟ . . إذ أننا عندما نكون قد انتهينا من الترجمة يكون العالم قد قطع شوطا بعيداً فى ميادين العلوم والاختراعات العلمية والتكنلوجية الجديدة؟ . . هل ينبغى أن تأخذ المجتمعات الاسلامية قصب الريادة فى التقدم العلمى أم تبقى مقتفية آثار المتقدمين علميا وتقنيا؟ .

وأخيرا كيف تعمل المجتمعات الاسلامية على صياغة لغة مشتركة للنماء تصلح فى الوقت ذاته لغة للتأليف ولغة للبحث العلمى ولغة للتعامل اليومى؟ . . أى كيف نقضى على عقدة المصطلح العلمى؟ . . ذلك نموذج من نماذج الاشكاليات المطروحة وتلك إحدى الصيغ المرئية للتحدى المطروح فى المجال اللغوى على أمتنا العربية الاسلامية .

اعتقد صادقا أن الامة وهى تخوض معركة النماء بإشكالياتها المعروض جزء منها آنفا ـ ينبغى أن تصرف كافة جهودها لادراك الازدهار الاقتصادى والأمن الاجتماعى والنهوض الثقافى بأية وسيلة كانت ومتى أدركت الهدف المقصود اختارت وسيلة العمل وتكلمت اللغة التى تريد . . ولتقرر إذ ذاك استعمال اللسان الوطنى أداة عمل ووسيلة بحث وخطاب مادام الرخاء يستطيع أن يسهم إسهاما إيجابيا فى إيجاد الحلول المناسبة لكل المشاكل المستعصية بما فى ذلك مشكل اللسان .

لقد كثر الخبراء والمهتمون بشؤون اللسان العربى فى أيامنا هذه من الخارج إلى الداخل ومن الداخل إلى الخارج وكثر الاقبال على تعلم اللسان العربى من الخبراء والمحللين الاقتصاديين وبعض الوسطاء التجاريين والمتعاملين مع الانسان العربى المسلم وأقبل أهل اللسان أنفسهم على لسانهم من جديد إقبالا أيقنوا معه بأهميته وخطره .



■■ إنها ـ فيما يبدو ـ حركة مباركة تسجل بفخر فائدتها على اللسان العربي ومن بين مظاهرها ما نشهده في مطارات بعض عواصم المدن العالمية وشوارعها الرئيسية وجرائدها السيارة ومحلاتها التجارية الكبرى من كتابة بعض اللافتات والاعلانات باللغة العربية كما أن من بين مظاهرها إقبال الشباب الذى حصل على درجة عليا من الثقافة بألسنة أجنبية على تعلم اللسان العربي إقبالا له دلالته الحضارية ومغزاه الثقافي العميق في هذا المجال.

■■ ومن مظاهرها التي يرتاح لها المهتمون بهذه القضايا الحرص على استعمال اللسان العربي في كل ما يسهل استعماله من معاملات ومراسلات.. وإن بعض المؤسسات الخاصة الكبرى وبعض البنوك قد قطعت أشواطا بعيدة في هذا السبيل.. كما أن بعضها الآخر عازم على الاقتداء والتأسي. فنعم الاقتداء ونعمت الاسوة.

إننا نريد أن تتبوأ اللغة العربية المقام الرفيع المنشود لها بين اللغات: لسان حضارة وعمران.. لسان إنتماء وابتكار.. لسان مال وأعمال.. لسان تجارة وفلاحة وصناعة.. لسان إعلاميات وتكنلوجيات.. لسان فيزياء نووية وطب وعلوم تجريبية.. لسان عام ما بعد الألفين. لساناً لا يكتفى بالتعرف على أشكال التنمية وصورها ومناهجها ولكنه يعيش مضمون النماء ويحقق غايته.. لساناً له من الخصائص والملكات ما يجعله قادراً على الاسهام في الاختراعات الانمائية الحديثة إسهاما ماديا وفعليا يتجاوز الشكل إلى العمق ويسبق المبنى الى المعنى ليسمى الأشياء بمسمياتها مرة واحدة ثم لا يعود إلى تغيير الاسم إلا إذا تغير المسمى دون مراوحة في المكان نفسه ولا تردد بين الأسماء ومسمياتها وبين المصطلحات ودلالاتها.

إن هذا هو ما يجعل اللسان يسهم في النماء منذ بداية المسلسل الانمائي ولا يكتفي باللحاق بركب التنمية الذى لا يعرف الوقوف أو الانتظار.

نُقِل عن بعض الخبراء من المهتمين بقضايا المجتمعات الاسلامية المعاصرة أنه قال لبعض مرافقيه: أعطوني سنة واحدة أتعلم لغتكم موعدنا السنة القادمة في مثل هذه الايام.. حتى تأتى تلكم السنة القادمة (قد تأتى وربما لا) ينبغي أن نحدثه بلسانه ونستفيد من خبرته وننقل إلى لسانه بعض مفهوماتنا نقلا صادقا أمينا: وهذا يتطلب جهدا ثقافيا وفكريا مزدوجاً ويستلزم منا إتقان اللسانين: الناقل والمنقول إليه. وبحمد الله لن نقول له: انتظرنا سنه واحدة نتعلم لغتك بل إنه ينبغي ان يقال: إننا نتقن لغتك ونحافظ عليها حفاظنا على لساننا: فالألسن كالبشر ينبغي أن تتعايش وتتفاهم ويأخذ بعضها عن بعض.. ومعرفتنا بلسان غير لساننا ليست كفراً ولا مروقاً عن مبادىء الوطنية والتقدم، ذلك: أن «من تعلم

لسان قوم أمن مكرهم» ومن أتقن لغة متقدمة حصل على ما تدخره من حضارة وعلم وثقافة وعمران.

لقد قيل: إنما تنمو الآداب وتزدهر العلوم وتتقدم الفنون فى بيئة أدركت من النماء الاقتصادى والاجتماعى حظهـا وإن أداة العلوم والآداب والفنـون والاعلاميات والتكنولوجيا إنما هى اللسان وتزدهر اللغة العربية وتتقدم يوم تنمو وتزدهر ونأمل أن يكون الاقلاع نحو النماء قريبا باذن الله.

عنـدما تصل أمة من الأمم إلى غايتها من النمو تبحث عن الرخاء الموصوف والازدهار المنعوت فلا يكفيها الرخاء.. لابد من السعى وراء الرخاء المترف والازدهار الفخيم والنعيم المقيم.

إن هذه الحاجة الطبيعية الجديدة تنعكس على اللسان والاستعمالات اللغوية ـ ومن مظاهرها المعاصرة دعوتنا فاطمة بـ «فاتى» وسعاد بـ «سوسو» ولا ينبغى أن تفجأنا أو تفجعنـا هذه الاستعـمالات وإنـما ينبغى توجيههـا فى مسارها الصحيح وتهذيبها وتقعيدها وتأصيلها دون إفراط ولا تفريط عند الاقتفاء.

ومن غريب ما يمكن أن يذكر بهذه المناسبة أن اللسان العربى قد عرف هذا النوع من الترف اللفظى بنوعيه الحر والمقنن: وذلك ما يسمى عند البلاغيين بالترخيم الذى هو:

■ حذف آخر المنادى.. كيا سعا فيمن دعا سعادا.

«نقول إذن سعا لا سوسو ولا سوزى.

كما نقول فاطم لا فاتى على حد قول الشاعر:

أفـاطـم مهـلا بعض هذا الـتـدلـل
وإن كنـت قد أزمـعـت صرمـى فأجـلى

وفى اللسان القرآني: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾.

وقرىء: «ونادوا يامال» أى يا مالك وهو باب طريف فى اللسان العربى قد نحتاج إليه يوم نجتاز بنجاح مرحلة الاكتفاء اللسانى إلى مرحلة الرفاه اللغوى وقد نلجأ إليه يوم نجاوز القنطرة بنجاح ونعبر من جديد مرحلة النماء الاقتصادى والاجتماعى إلى مرحلة النماء الحضارى.

---

(١) انظر مقال السيد حامد صادق قنيبى فى مجلة المسلم المعاصر تحت عنوان «التطور الدلالى فى لغة الفقهاء ص٧٣-٨٩ العدد ٤٢ السنة ١١ (ربيع الثانى ـ جمادى الاولى وجمادى الاخيرة ١٤٠٤).

اللغـــة
الشكل والجوهر

دكتور المهدي بن عبود

● موضوع اللغة هو موضوع حياة الأمة . . إذن هو موضوع واسع فيه نقاط عديدة أهمها أربع : أولا لكل لغة جوهر ومظهر . . وثانيا : اللغة كائن حى يؤثر ويتأثر . . وثالثا : اللغة صورة أهلها . . ورابعا : اللغات كصورة أهلها معرضة للحرب النفسية كما أن أهلها معرضون للحرب النفسية .

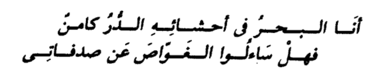
ان لكل كائن حى مظهراً وجوهراً . . ومظهر اللغة العربية خصائصها التى لا يمكن أن تنفصل عنها . . وهى الغزارة والعمق فمثلا (كلمة حصان ، جواد ، فرس) الى غير ذلك لا توجد فى لغات أخرى . . فكل مرادف من المترادفات بيان لخاصة ما فى نفس اللفظة .

ومن مظاهرها روح الملاحظة عند أهلها . . هذا شىء سيحتفظ به بحمد الله كما هو محفوظ فى لسان العرب وفى القاموس وفى المعاجم الأخرى .

● الجوهر هو حياة اللغة . . هو روحها . . وجوهر اللغة إما أرضى محض فتموت اللغة وتتفرع منها لغات . . وأما سماوى محض تبقى اللغة محفوظة حية وتكون فى ذلك الوقت لغة مقدسة . . فالجوهر هو حلة التقديس الضائعة فى هذا العصر ، وضياع التقديس فى هذا العصر وبال عليه ، لأنه مفصوم بينه وبين الله . . مقطوع . . الجوهر ، هو ما يسمى فى عرف الغربيين (عبقرية اللغة) .

● واللغة كائن حى ، تتأثر كما يؤثر فيها . . وهى عندها القسم الموروث . . وهو عبقريتها وعندها القسم المكتسب . . وهو ما تتعلمه من غيرها . . وهذا شىء طبيعى ومرحبا به على شرط أن لا يكـون مشـوها وألا يكون مدسوسا مثل هذه . . المعاصرة وهذه الأصالة وهذه التقدمية وهذه الألفاظ الفارغة الجوفاء . . ثم إن اللغة صورة أهلها . . وقع بحث فى الأمم المتحدة وأظنه فى اليونسكو بقلم باحث هندى حول اللغة فيقول : اللغة تدوم ما دام أهلها معتزين بها . . هذا هو أصل الأصول . . اللغة تدوم ما دام أهلها معتزين بها .

● أما النقطة الرابعة . . فهناك كتيب صغير فى مكتبة الجيل الفرنسية التى تسمى (ماذا أعرف) تحت عنوان (اللغات الدولية) مجمل الكتاب أن اللغات الدولية كلها فى صراع وحرب نفسية لا مثيل لها . . وفرنسا اليوم تصرف الأموال الطائلة لنشر لغتها لها . . وحتى تفتح الأسواق المادية لها . . إذا كان أهل اللغة يحترمون أنفسهم فسيحترمون لغتهم وإذا دخلتهم الحرب النفسية فتذبذبوا واتهموا أنفسهم واحتقروا انفسهم فسيحتقرون لغتهم .



●● لغتنا العربية خضم هائل ممتد . . كلما غاص الغواص فى أعماق أعماقه كلما خرج لنا بالدر الثمين والجوهر النفيس .

● تلك اللغة التى كرمنا الله بها وأنعم علينا بنعمته فكان القرآن الكريم الذى أنزل بلسان عربى مبين ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . كان وسيظل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها حافظاً للغتنا المقدسة مهما مر الزمن وتغيرت صروف الأيام ﴿ فالله خير حافظاً وهو أرحمُ الراحمين﴾ .

ومما يزخر به تراث العربية ـ الكُنى ومفردها كُنية .

وفى هذه العجالة سنعرض لبعض كُنى الآباء . . أى الكُنى المصدَّرة بلفظ أب .

■ الكنية فى اللغة واستعمالاتها :

■ الكنية ما يجعل علما على الشخص غير الاسم واللقب . .

وقد ورد فى معاجم اللغة أن الكنية على ثلاثة أوجه :

●● **أحدها** : أن يكنى عن الشىء الذى يستفحش ذكره .

●● **والثانى** : أن يكنى الرجل باسم توقيراً وتعظيماً .

●● **والثالث** : أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كأبى لهب . . اسمه عبد العُزّى عرف بكنيته فسماه الله بها .

ونص الجوهرى على أن الكُنية والكِنية أيضا واحدة الكنى واكتنى فلان بكذا .

من كنى الآباء فى العربية

نادر صلاح الدين مصطفى

أمثلة من كنى الآباء التى تختص بالإنسان :

■ (**فأبو الأنبياء**) كنية ابراهيم عليه السلام . . و(**أبو البشر**) كنية آدم . . قال ابن الأثير: الأدم جمع آدم والأدمة فى الناس السمرة الشديدة ـ وقيل هو من أدمة الأرض وهو لونها . . قال: وبه سمى آدم . . (**أبو البشر**) . .

و(**أبو عمرة**) كنية الاقلال والجوع .

إن أبا عَمْرة شرُّ جار

حلّ أبو عَمْرة وسط حجرتى



و(**أبو مالك**) كُنْيَة الكَبَر والسّن ـ وكُنّى به لأنه ملكه وغلبه . . ذكره ابن الأعرابى . . قال الشاعر:

أبـا مالـكِ إنَّ الـغـوانـى هَجَـرْنَـنـى
أبـا مالـك إنِّـى أظُـنُّـك دائـبـاً

و(**أبو مالك**) كنية الجوع أيضا ـ قال الشاعر:

أبـو مالـك يعـتـادنـا فى الظـهـائـر
يجىء فيـلقـى رَحْـلَهُ عنـد عامـر

و(**أبو الدغفاء**) كنية الأحمق . . والدَّغف فى اللغة: الأخذ الكثير.

دغف الشىء يدغفه دغفاً . . أخذه أخذاً كثيراً.

● قال الشاعر:

أبا الدَّغفاء ولدها فقاراً.

أمثلة من كنى الحيوان:

(**أبو الحُصَيْن**) وهى كنية الثعلب ـ وقال الجوهرى: وأبو الحُصَيْن كُنْيَة الثعلب وأنشد ابن برى:

لله درُّ أبـى الحُـصَـيْن لقـد بدت
منـه مكـايـدُ حُوَّلـىّ قُلّب

(**أبو جعدة**) كنية الذئب ـ ومن اللغة: بعيرٌ جَعْد: كثير الوبر جعده . . وقد كنى بأبى الجعد . . والذئب يُكنى أبا جَعْدَة وأبا جُعَادة وليس له بنت تسمى بذلك.

● قال عبيد بن الأبرص:

وقالوا هى الخمر تكنى الطلا
كما الذئب يكنى أبا جعدة

يقصد كنيته حسنة ولكن عمله منكر

والأسد يُكنى أبا الحارث ـ كما يكنى أبا لبدة ـ واللبدة فى اللغة الشعر المجتمع على زُبْرة الأسد.

وفى الصحاح: الشعر المتراكب بين كتفى الأسد.. وورد فى المثل: هو أمنع من لبدة الأسد ـ والأسد ذو لبدة.

كما يكنى الأسد أبا الزعفران ـ وفى اللغة المزعفر: الأسد الورد لأنه ورد اللون ـ وقيل لما عليه من أثر الدم.

أمثلة من كنى الطيور:

(**أبو دُخْنَة**) كنية لطائر يشبه لونه لون القُبَّرة ـ والقبرة ضرب من الطيور.

(**أبو صبرة**) كنية طائر أحمر البطن أسود الرأس والجناحين والذنب.

كما ذكر الأزهرى أن ذكر الجراد يكنى أبا عويف، وذكر أبو حاتم أن أبا عويف ضرب من الجعلان وهى دويبة غبراء تحفر بذنبها وبقرنيها ـ لا تظهر أبداً.

كنى أخرى:

(**أبو عجب**) كنية الدهر وجمع العجب اعجاب ـ قال الشاعر:

يا عجباً للدهر ذى الأعجاب

الأحدب البرغوث ذى الانياب

(**أبو قِتْرة**) كنية ابليس، وقترة بكسر القاف وسكون التاء اسم ابليس.

وفى الحديث: تعوذوا بالله من قِتْرَة وما ولد.

والكُنى التى شاعت على لسان العربى و صدّر ت (بأب) كثيرة

ومن الكُنى أيضا ما جرى على ألسنة الناس من أن يكنى الرجل والمرأة بأول مولود لهما تفاؤلا.. ولعل هذه الكُنية تعطينا معنى تحقيق الذات وامتدادها المستمر..

وبعد فهذا قليل من كثير على سبيل التمثيل ببعض من هذا التراث الواسع الذ[ى] قد حفظ لنا بين طياته ما يثرى الحياة.. ولا علينا الا أن نسترجعه ونتصفحه لنأ[خذ] منه ما يفيد ويزيد.







محمد عبد الله الحميد
رئيس نادي أبها الأدبي

١ ـ يسر نادى أبها الأدبى أن يعلن للمثقفين السعوديين من الجنسين عن مسابقته الثقافية الحادية عشرة على النحو الآتى :

المطلوب :

اعـداد دراسـة أدبيـة عن الحركة الأدبية فى المملكة خلال العشر السنوات الماضية ١٣٩٥ـ١٤٠٥هـ بما لا يقل عن ثلاثين ورقة فولسكاب فى أحد الفروع الآتية :

أ ـ الشـــعر :
ب ـ القصة والرواية .
ج ـ النقـــد .

٢ ـ الشـــروط :

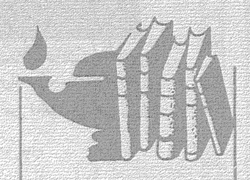
١ ـ يجب أن تكون النصوص بلغة عربية فصحى وتطبع على الآلة الكاتبة واذا لم يتيسر فتكتب بخط واضح ومرتب . ثم يرسل الأصل مع صورة للنادى .
٢ ـ يجب أن يتسم الموضوع بالجدة ولم يسبق نشره .
٣ ـ يكتب اسم المتسابق وعنوانه ورقم هاتفه فى ورقة منفصلة وترسل مع النص .
٤ ـ آخر موعد لاستلام النصوص نهاية شهر جمادى الثانى ١٤٠٦ هـ وذلك على عنوان النادى (أبها ـ ص . ب ـ ٤٧٨) .
٥ ـ النصوص التى ترد الى النادى تصبح حقا من حقوقه سواء فازت أم لم تفز .

٣ ـ الجوائز :

تخصص لكل فرع من المسابقة ثلاثة جوائز : الأولى : أربعة آلاف ريال (٤٠٠٠)
الثانية : ثلاثة آلاف ريال (٣٠٠٠)   الثالثة : ألفا ريـــال (٢٠٠٠)



هذا هو العدد الرابع والاربعون من المكتبة الكبرى التى سماها صديقنا العلامة الاستاذ (عبد العزيز احمد الرفاعى) تواضعا منه ـ المكتبة الصغيرة تلك المكتبة التى أغنت الثقافة وأثرت الادب .







مؤلف الكتاب

الدكتور (شوقى النجار) نال لقب الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى فى علم اللغات المقارن باللغات السامية . وفى أثناء دراسته بجامعة القاهرة حصل على (دبلوم تحسين الخطوط العربية) ودبلوم التخصص والتذهيب) فسجل طريقة جديدة فى تعليم الخط العربى . . الف كتاب (اللغة العربية للاجانب) بالانجليزية . . والف (مورد القراءة العربية) لـ (نيجرية وغربى افريقية) نشرته مؤسسة Long Man العالمية . . ونشرت له (تهامة) كتاب : «مشكلات لغوية» . . ويطبع له الآن (معجم المؤنثات السماعية) .

■■ يعشق الكهربا والميكانيك وقد استطاع ان يسجل عدة اختراعات فى مكتب (براءة الاختراعات) بالقاهرة منها (المصباح الكهربى الثلاثى) .

■■ وهو اليوم استاذ مساعد فى جامعة الامام (محمد بن سعود) فى (الرياض) .

الكتاب المبحوث عنه

يتناول الكتاب هذه البحوث :

(أ) صوت الهمزة .

(ب) رأى حول صوت الهمزة .

(ج) رسم الهمزة .

(د) بدء المشكلة .

(هـ) مظاهر اضطراب الهمزة .
(و) قواعد الهمزة ، الهمزة فى اول الكلمة والهمزة المتوسطة والهمزة المتطرفة .
(ز) العــــلاج .
(ح) الابجدية العربية .
(ط) الاقتــراح .
(ى) المراجع العربية فى ست صفحات والاجنبية فى صفحتين .

بدأ الكتاب المؤلف من مائة وثلاث عشرة صفحة من القطع الصغير ما عدا المراجع والدليل ، بقوله : «غنى عن البيان ، ولا يخفى على اى انسان ان الهمزة تمثل مشكلة المشكلات فى اللغة العـربية سواء فى نطقها أو فى رسمها الاملائى اما بالنسبة الى نطقها فى القرآن فقد تكفل به علم التجويد . » .

يناقش فى هذا الموضوع (هوية الهمزة) ويذكر أنَّ (سيبويه) خالف استاذه (الخليل بن احمد) مخالفة جوهرية لان الخليل جعل الهمزة فى ترتيبه لكتاب (العين) آخر الحروف اما سيبويه فجعلها اول الحروف .


أ . شوقى النجار أ . روكس العزيزى

ثـم انتقل الى خلاف العلماء المعاصرين على الصوت الذى تنشأ عنـه الهمزة ولما تكلم على رسم الهمزة خطَّأ (ابن فارس) الذى قال : «انفردت العرب بالهمزة فى عرض الكلام مثل (قرأ) ولا يكـون فى شىء من اللغـات الا ابتـداء فرد عليـه قائـلا : «والحقيقة ان هذا الصوت يشيع استعماله فى اللغات السامية فى مختلف المواضع من الكلمة» .

ولمـا اتيت صورة الكتاب المنسوب الى النبى الكريم ﴿ﷺ﴾ الـذى تواترت قصة الارسال به الى (المقوقس) عظيم الاقباط شنك المؤلف فى صحة هذا الكتاب قائلا : «هناك اسباب عديدة تدعو الى الشك فى صحة الخطاب المنسوب الى الرسول ﴿ﷺ﴾ والذى ارسله الى المقوقس عظيم الاقباط فى الاسكندرية والذى عثر عليه (بارشيليمة) فى كنيسة (اخميم) فى سنة ١٨٥٠ الصفحة

(٢٥) ولكنه لم يذكر شيئاً واحداً من الأسباب الداعية الى الشك فى صحة هذا الكتاب ـ الذى يسميه خطاباً ـ وتطرق الى بدء المشكلة فى كتابة الهمزة التى يسميها المؤلف وكتابنا (املاء الهمزة) فى حين أن الاملاء شيىء والهجاء ـ تهجئة الحروف ـ شيىء آخر. فيذكر ان (ابن درستويه) ينكر الصورة التى وضعها (الخليل بن احمد) للهمزة قائلا: «اعلم ان الهمزة حرف لا صورة له فى الخط وانما يكتب على صورة حروف اللين. لان فى النطق بالهمزة مشقة فهى تلين فى اللفظ فينحى بها نحو حرف اللين.. وتبدل وتحذف كما يفعل بحروف اللين فصارت كأنها منها وكتبت بصورها إذ لم تكن لها صورة» الصفحة ٤٠.

اما المؤلف الفاضل فقد خطّأ الاب (شيخو اليسوعى) ناشر كتاب الكتاب) لـ (ابن درستويه) لانه لم يدرك معنى التخفيف الذى يصيب الهمزة» الصفحة ٤٠ـ٤١.

ولما عرض لمظاهر اضطراب الهمزة قال: «ومنذ ان وضع الخليل بن احمد رأس العين رمزاً للهمزة فى القرن الثانى الهجرى ومنذ ذلك الحين والكتابة العربية لا تستقر على حال بالنسبة لهذا الحرف» الصفحة ٤٥ ـ وقد ذكر ان مجمع اللغة العربية فى القاهرة تصدى لمشكلة الهمزة مدة اربعين سنة من غير ان يوفق حتى الآن» الصفحة ٥٠ ـ ويعزو عدم البت فى هذه المشكلة بعد طول الزمن الى:

(١) ان المجامع باتت اجهزة كسائر اجهزة الدولة وقد اصابها ما يصيب المجتمع من اللامبالاة.

(٢) وان المجمع يرى ان مهمته ان يقترح ثم يسكت لهذا لم يشعر احد من الناس ان للمجمع رأياً حاسماً يجب ان ينفذ وان ما يقدمه هو تشريع لغوى مدروس يلزم تنفيذه والاخذ به.

(٣) وثالثة الاثافى ان كثيرا من قراراته يعوزها الدراسة المستفيضة لذا تصدر بعضها موؤودة او مرتجفة لا تقدر على حسم الامور والمشكلات الصفحة ٥٢.

ومن اقوال الاستاذ الدكتور: «القاعدة التى بها استثناء لا يسوغ ان يطلق عليها لقب (قاعدة) الا على سبيل المجاز وقد رأينا قبل اليوم العلامة الشيخ (عبد الله العلايلى) يقول: «لا يجوز ان نقول قواعد اللغة العربية بل نقول ضوابط لكثرة الاستثناءات فى تلك القواعد.. لان القاعدة لا لاستثناء فيها (الصياد) الصفحة ٧٥ العدد ذو الرقم ٢٠٦٣ السنة ٤٠ ١٦ـ٢٢ ايار ١٩٨٤.

ومما قاله الاستاذ الدكتور: «يجوز كتابة الاسم بالواو على الحكاية ـ المقنع فى رسم مصاحف الامصار (لابو عمرو الدانى) الصفحة ٧٥ ـ اقول جاء فى الجزء الاول من المساعد للاستيام الاب (انستاس مارى الكرملى) الصفحة ١٢٤و١٢٥ ما حرفه: (ابو) كان بعض الاقدمين يعتبرون الكنية متمما للعلم ان شئت فقل كانوا يعتبرونه جزءاً من اصل الكلمة لا ينفك عنه فهو فى نظرهم كلمة واحدة لا غير فيكون الجزءان جزءاً واحداً لا جزءين وهذا لان المسمى بلفظ يشبه الكنية هو ليس بكنية على الحقيقة بل علم رجل ومنه فى الحديث: «الى المهاجر بن ابو امية» لاشتهاره بالكنية اى باسم صورته صورة الكنية ولكنه ليس بها اذ لم يكن له اسم آخر معروف ولهذا لم يجر.

وكذلك القول: (على بن ابو طالب) راجع (تاج العروس) فى مستدرك مادة (ابو) والنهاية لابن الاثير) وعليه يكون قولنا: على بن ابو طالب افصح من قولهم: «على بن ابى طالب» لانها الرواية القدمى والفصحى. انتهى المراد نقله.

والاستاذ يرى ان المجامع اللغوية العربية لم يكتب لها التوفيق فى مشكلة تيسير الكتابة العربية الصفحة ٨٧.

اقتراح الاستاذ الدكتور:

يقترح الاستاذ ـ حلاً للمشكلة ـ ان تكتب الهمزة فى كل الاحوال بصورة الالف.. وهو اقتراح وجيه إن أُخذ به.. لان الاصطلاح الذى يعترف به يصبح مقبولا عند الجميع وحبذا لو تم لنا اصطلاح تتبناه المجامع اللغوية وتفرضه.

لقد اجاد الاستاذ كل الاجادة فى العرض لموضوعه واحسن فى رفضه تبديل الحروف العربية لان حروفنا العربية على كل ما فيها من صعوبة لسبب تشابهها وتعدد صورها هى مجال فخر لنا لجمالها.. ولان امما اخذتها عنا يوم خضعت لسلطاننا ودانت بالاسلام لتقرأ القرآن الحكيم بالحرف الذى كتب به.

بقى لى ان انبه الاستاذ الدكتور الى ان الذى امر بالتخلى عن الحرف العربى فى بلاد الترك العثمانيين فى نوفمبر سنة ١٩٢٨ هو (كمال أتاتورك) لا (جمال باشا) فجمال باشا هو جمال السفاح الذى علق احرار العرب على اعواد المشانق.

ختاما اهنىء الاستاذ الدكتور بكتابه النفيس متمنياً ان يكون فيه تنبيه لمجامعنا اللغوية لعلها تتمكن من ازالة بعض العثرات.



شريحة من الأنابيش الأدبية المنظومة ذات الأصالة والدلالة يرجع تاريخها إلى نصف قرن من الزمان حفيت بذكريات لطيفة طريفة . . من تركيا ارسلت إلينا هذه الانبوشة للمشاركة فى مدّنا الأدبى والذى تعودنا نشره بمشاركاتكم وهى تجلى أدب وبيان وأسلوب تلك الحقبة من الزمن تعبر عن مدى ارتباطنا بتراثنا . . والنظم الذى بين أيدينا فى بحث الضمائر المتصلة والمنفصله كتبه المرحوم عبد الحكيم بن إبراهيم الخليلى .

نظم البديع العبقرى . فى بحث الضمائر .

للوالد الجد : عبد الحكيم الخليلى

رحمة الله عليه ... آمين يارب العالمين .

كتبه : عبد الحكيم محمد بشير عبد الحكيم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

سعدك الله أبا - بشرى - ...	يا درة اليتيمة فى ضميرى
إعلم بأن للضمر قسمان	متصل منفصل الثانى
فالأول ثلاثة أقسام	امرتك بها على التمام
فالأول المرفوع قسمان استتر	وبارز مثل نجحت فاعتبر
فالأول المستور ضربان ولذ	فواجب وجائز كرد
فالأول فى افعل ونفعل	وشبهما مثال إفعل تفعل
وما سواها جائز فما استتر	من صيغ الأفعال طراً كنصر



أ. عبد الحكيم أتاج

واحكم على اتصاله بالفعل ... حتى يكون فاعلاً للفعل

والثاني للمنصوب بارز فقط ... ولو في أن تخففا ولا شطط

واحكم على هذا الذي اتصال ... بالفعل والشبه بالأفعال

كي يكون مفعولاً اثنان ... كأنك علمتني المعاني

والثالث المجرور أيضاً بارز ... حتى في نحو خبز زيد خابز

واحكم فتى بأن هذا يتصل ... جاءني حزنا وإنما يشتغل

ليكون مجرورا مضافا إليه ... مثل سبحي أمه بالتي إليه

فهاتها الضمائر المتصلة ... مرسوما باتصالها بالكلمة

والمنفصل لا يتصل كما ... وشذ ... إياك

وشر مرفوع ومنصوب ولم ... ترى مجرورا به بين الأمم

مثاله مرتبا أنت اللطيف ... إياك نعبد اهدنا النهج المنيف

فهالها هيهنا من أقسام ... ضمائر كنايات الكلام

وكلها متصل محررية ... في الكتب المبسوطة النحوية

رجزتك نظما بديعا عبقري ... حسانه مفتعل تكرري

والحمد لله على التيسير ... سلام على نبينا البشير

وآله وصحبه الكرام ... وناظم الحروف والكلام

فيه رد على من توهم أن ضمير الشأن في نحو: وأن المخففة ... وليس كذلك (منه)

فيه إشارة إلى جواز دخول الكاف على الضمير ولاسيما في الجواز الشعري (منه)

هكذا: بأن قلت: استحداما ... لدايا بشيء ... يا ذرة أل يتيمة في ... ضميري

مفتعلن ... مستفعلن مفعل ... مستفعلن مستعلن ... مفتعل

وزن النظم مزجية ... من بحر الرجز ... يقول الجد المرحوم عبد الحكيم بن ابراهيم الخليلي ... ١٣ ... هجرية ... أو لا أو آخرا.

فصل اللغة

فهرس

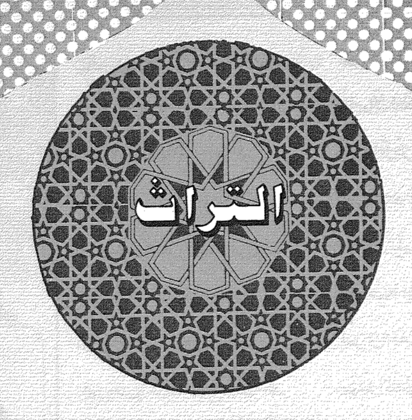
تنويه وايضاح

تشكر المجلة غيرة كتّابها على إبداعاتهم وتود أن يتلمسوا ما قد تبنّته (منذ مطلع عامها الواحد والخمسين) من منهج يجعل من المقالات في كل عدد من اعدادها بناءاً يضيء بعضه بعضاً. وتسرى فيه وحدة التوجه على تنوع المنطلق.

والمجلة ترجو كتّابها الا يعدّوا التأخر في النشر وارداً ـ على الدوام ـ لأن المنهج في حقيقته وموضوعيته يتجه الى انتاجهم مباشرة ويفرزه ليصل الى المتلقى في غير ما خلط أو تنافر. وسيعاد ما لايتفق ومسيرتها وأهدافها الى أصحابه ـ على غير عادة القاعدة الصحفية ـ مشفوعا بالشكر والتقدير.

ختاما نود أن يتفهم اصدقاؤنا هذا. وألا يكون التأخير مدعاة للتقصير في حمل رسالة الكلمة وهذا ما اوجبه التنويه.

[illegible]



مدخل

النجاح الأدبي «للمنهل» في عالم الصحافة الحديث ان دل على شيء فانما يدل أن المبدأ الذي التزمه «المنهل» حميد موفوح، وسديد مستحسن، كما يدل على ان الهدف الذي يتوخاه قيم. وطريقه اليه قويم وراشد..

ومبدأ المنهل قد فصله في افتتاحية أول عدد منه وقد التزمه حتى الآن وسيلتزمه ان شاء الله على الدوام.. وهو السعي وراء احياء التراث العربي الثقافي والأدبي المجيد لهذه البلاد، وتعريف العالم بنهضتنا الحديثة. وبأدبنا الحديث المرتكز على أعمدة عالية من أدبنا الإسلامي العربي المشرق الأنوار، البارز الصوى.

عبد القدوس الأنصاري

جمادى الثانية ١٣٧٢ هـ

شاقني (الرسمُ) شاخصاً و(الوقوف) ... تتهجّى (الأقلام) فيه (السيوف)

بين فخ (١) وبين وج (٢) وسلع (٣) ... والعوالي (٤) رفارف ورفوف!!

والروابي كأنها هي خزٌّ ... وبها الآسُ والأقاح شنوفُ

يسبح الطيرُ فوقها ويُغنّي ... بمثانيه عازفٌ وهَتُوف

• • •

ألفُ عامٍ خلَتْ، وبضعُ قرونٍ ... وعكاظ يلوي به التعريفُ

جهلوه وحاروا عنه حتى ... زاد فيه الخلاف والتكييف

هو في السيل (٥) تارةً ثم يوماً ... هو في العرج (٦) أو هو التحريفُ

هل سها عنه أهلُه وهو منهم ... منهل سَلْسَلٌ وظلٌّ وريف

ثم جاءت مع الضحى بيّنَاتٌ ... عنه كالشمس وانتهى التجديف

• • •

ما عزاني إلا الذي هو منه ... صنوه الرائعُ العريقُ العريفُ

«مربد» البصرة امّحى وتوارى ... وبه النحوُ كان والتصريفُ

كان للشعر في العراق مناراً ... وتميمٌ رواتُه وثقيفُ

مثل ما كان في الحجاز «عكاظٌ» ... وهما ما هما قِرىً وضيوف

• • •

عصف الدهرُ فيهما فاستسرا ... وطوى النشر ما جنى التحريفُ

وهما عندنا العروبةُ طُرّاً ... بل هما (ليدن) لنا و(جنيف)

زخرا أعصراً بكل (كميّ) ... عبقريٌّ هو (الحيا) والحتوف

وأحاطا بني معد بمجدٍ ... لم يزل سعيه علينا يطوف

ما هما للبيان إلَّا المآقي ... ما هما في الجلاد إلَّا الصفوفُ



● ● ●

إن يكن عَزّنا المكان غموضًا فهنا عِزُّنا ، التراثُ المنيفْ

غيرَ أنّ الآثارَ ليست جمادًا أو صخورًا أو انهنَّ الرصيفْ

بل هي المحصنات مِن كل خودٍ وكعابٍ، لها الجمال وصيفُ

شرّقتْ ثم غرّبتْ ، وأضاءتْ كُلّ أُفْقٍ له بها التشريفْ

باقياتٌ على الليالي تَهادى وبها المجدُ ، تالدٌ ، وطريفُ

● ● ●

أبكائي ؟ وما عداني التأسّي ساهمٌ واجمٌ حزينٌ أسيفُ؟!

لا أرى للشُّداةِ بالضادِ عُذْرًا إن هُمو فيهمو امترى التسويفُ

كلُّ شَعبٍ لهُ المآثرُ فخرٌ وبآثارهِ زها التثقيفُ

● ● ●

إنّما الناسُ في الحياةِ صداهم كلماتٌ تجلى بهم وحروفُ

ومعانٍ بها القلوبُ عوانٌ ما كما الصيفِ والشتاءِ الخريفُ

لا ولا البدرُ في السماءِ تمامًا مثله إنْ طغَى عليه الخسوفُ

لا ولا الألمع العييّ بكُفْءٍ إنْ تصدّى له البليغُ الحصيفُ

● ● ●

كم لنا في ربوعنا من مغانٍ طار فيها وحلّقَ التصنيفُ

درستْ بالربوعِ فهي طلولٌ وانطوتْ كالسِّجل فهي كهوفُ

أدبٌ خالدٌ لنا ، وبيانٌ هو منّا الهدى ودين حنيفُ

---

(١) فخ : واد بمكة يطلق عليه الأن (الزاهر) . . (٢) وج : اشهر واعظم اودية الطائف . . (٣) سلع : جبل معروف بالمدينة المنورة . . (٤) العوالي : احدى ضواحي المدينة المنورة . . (٥) السيل : احدى المحطات في طريق الطائف من (بطن نخلة) . . (٦) العرج : واد عظيم خصب في الجانب الشرقي من مدينة الطائف .

خرّ

فارسنا النبيل صريعاً حين أردته طلقة نارية من «بندقية نابليونية
أُسدِل بعدها الستار على أحداث القرن الثامن عشر الميلادى بعد أ
استيقظت على دويها مسامعنا وغلت بنيرانها مراجلنا وبدأنا نسأل لقر
كامل: أين نحن من الناس والتاريخ والحضارة؟

وكان الجواب أن دخلنا القرن العشرين ونحن نحمل ميراثا محتوما من التخلف
والضياع والغصة. وألقى بعضنا العبء والتبعة على «ما» و«مَنْ» يجد من أسباب.

أما البعض الآخر فقد بدأ يعبر للحضارة على جسرين: واحد غربا.. ع
المكان.. عبر البحر الأبيض المتوسط.. يأخذ من الغرب «خليطا» من «تقنية» ممزوج
ـ وغير ممزوجة ـ أحيانا ببعض الافكار ومظاهر التحضر المادى.

وكان الجسر الآخر شرقا ـ «ونحن الشرق» كان جسر الزمان الذى يصلنا بمج
غابر.. بحضارتنا العربية الاسلامية فى ازهى عصورها.. وعلى هذا الجسر صُفّ
مصابيح الأمل وبعث الثقة.. وكان اسمها وعنوانها: «التراث».

التراث

تلك الكلمة التى فعلت فعل السحر فى حياة كثير من العرب الأدبي
والفكرية.. بل والنفسية.. لقد احدثت على حد تعبير الدكتور اسح
موسى الحسينى «تعادلا فى عقولهم ونفوسهم فى وقت كانت فيه النفوس مهي
للانحراف مع التيار الغربى وذوبان الشخصية»(١)

وبدا «التراث» لفظه ومضموناً يحتوى على كثير من المصادر التى تم بعثها
بواطنه ـ مصدرا للاعتزاز بالقديم وإن لم يُمسح بعد الجرح الدامى الذى كان لا يز
ينزف على إثر طلقة بونابارت وأودى بقدر من النهضة والابداع والسمو الحضارى
مرحلة زمنية مضت فى تاريخ أمتنا ومعها ـ وبها ـ تُسْتَحْضَر عوامل الاعتزاز بالذات

على

أن مدلول الكلمة اللغوى لا يساعد على هذا القدر من الايحاء إذ تقف ها
المدلول عند مايلى: «التراث هو ما يرثه الانسان عن أسلافه من ماديات
ومنه قول الشاعر القديم سعد بن ناشب:

فإن تهدموا بالغدر دارى فإنها
تراث كريم لا يبالى العواقبا(٢)

ولكن متى كان «الحد اللغوى» فاصلا أو مانعا من امتداد معنى كلمة؟ لق
تضاءل ذلك المفهوم اللغوى القائم على «المخلفات المادية» للاشخاص
للحضارات أمام مفهوم الاعتداد بالماضى والثقة بالنفس ودفع المفهوم الجديد كل

يرة على هذه الأمة الى الاهتمام بالتراث والدفاع عنه ثم الاندماج فى حركة احيائه
ى ملك القدرة على ذلك.

إن التحقيق الدقيق لمفهوم كلمة التراث وتطور معناها وما يحتويه التراث نفسه باعتباره «كُلّ» تركه الاجداد للاحفاد.. وأهمية هذا التراث وإعادة تأثيره فى الحياة المعاصرة.. كلها قد تكون موضع اختلاف.. ولكنه يظل دائما اختلافا غير ذى ل لأن القصد - فى كل الاحوال - يتوجه الى المغزى المرتبط بوصل أبناء أمة ما فى ضارة ما بماضيهم التليد وبمعطيات ذلك الماضى للتاريخ والحضارة والانسان.. بذلك يقول تى. إس. اليوت - وإن لم يستخدم كلمة «التراث» ذاتها (Legacy) إنما يلجأ الى كلمة أخرى لا تنفصل عنها فى التصور وهى «التقاليد» بمعنى الموروثات» (Traditions).. إن الشاعر لابد ان يطوِّر حسا تاريخيا بالماضى.. هذا الحس التاريخى يتضمن ليس «مُضِىّ» الماضى بل «حضوره» فى الحاضر.

والشاعر الغربى الحق - عنده - يجب ان لا يعيش مع جيله وفى بيئته فقط بل يعيش حساس أن آداب أوروبا كلها - منذ هوميروس وشاملة لأدب قومه - يجب أن تكون تزامنة (Simulteneous) فى وجدانه. وان حضور الماضى فى الحاضر مما يجعل شاعر - والكاتب عامة - اكثر وعياً وإدراكا لوجوده الزمنى وأكثر قدرة على سبر أغوار ذا الوجود والاستجابة - دون فقد لذاته - للقاعدة التى تفرض «تأثير الموتى على أحياء»(٣).

ولقد تبع اليوت فى هذا عدد من النقاد منهم زعيم الشكليين فى روسيا بوريس أيكنباوم (1886-1959/ Boris Eichenbaum) وايدموند ويلسون (b.1895- / E-Wilson) ونورثروب فراى (b. 1912-/ N.Frye) يؤكدون بدرجات فاوتة ولأغراض مختلفة أهمية الحس التاريخى فى الأدب وأن القصيدة تتولد من قصائد العظيمة السابقة عليها كما أن القصة تتولد من التراث القصصى الذى

الدكتور/محمد حمدون
كلية التربية للبنات
جدة

الهوامش

٨) د. اسحق موسى الحسينى: المدخل الى الأدب العربى الحديث (معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩م) ص٣٢، وما بعدها.

) د. عبد الهادى الفضلى: تحقيق التراث (مكتبة العلم) جدة ١٤٠٢هـ) ص ٣٤-٣٥ استنادا الى محيط حيط، مادة (ورث).

) انظر: T.S.Eliot

(Tradition and the Individual Talent)in H. Adams' Critica Theory Sinee Plato HB Inc. New York, 1971, PP. 783-78

يسبقها. (٤) وظهر اتجاه مماثل لهذا فى النقد العربى الحديث فنادى بأن «الاديب الذى يفقد اتصاله بتاريخ قومه وتراث أمته لا يصلح بحال ما أن يعبر عن وجدانها المعاصر لأن فقدان وعيه لشخصيتها يجعله أجنبيا عنها غريبا عليها لا ينتمى إليها إلا الانتماء الرسمى الذى يشبه انتماء الطارئين عليها من المستوطنين والدخلاء. (٥).

● وأعود فأنبه قارئى العزيز الى أن ما ضربته هنا من أمثلة لضرورة ومغزى تواصل التراث الأدبى عند أمة ما لا يعنى أن التعامل مع التراث مقصور على الأدب. . فالتراث أشمل من الأدب بكثير أو بمعنى أصح لا يقف مفهوم التراث عند موضوع أو فن معين. . التراث يشمل اللغة والادب والتاريخ والجغرافيا والادارة والاقتصاد والفنون المرئية والشعبية والتصوف والفلسفة وعلم الكلام والشريعة والمجتمع والعلوم من كيمياء وأحياء والموسيقى والفلك والرياضيات. . تلك فى الواقع - وبهذا الترتيب - محتويات كتاب «تراث الاسلام»(٦).

إن التراث العربى الاسلامى الذى يعنينا هنا يشمل ذخيرة من الكتب والمخطوطات فى تلك المجالات المختلفة خلقها الابداع العربى والاسلامى فى عصور نهضته ضاع منها الكثير بفعل عوادى الزمن وبقى كثير تم إحياء بعضه وإعادة نشره. . وهو الذى بعث الثقة فى النفوس وأحدث التعادل الذى أشرنا إليه. . ففى حين استهوت الحضارة الغربية بعض من ثبتت خطاهم على «جسر المكان» فرأوا أن العالم العربى قد سار «فى طريق هذه الحضارة التى يسميها الناس الحضارة الغربية وما هى الا حضارة انسانية - (كما يقول مالك بنبى) - استمدت أسسها من حضارات إنسانية عديدة ومنها الحضارة العربية والاسلامية وساهم ويساهم فى إغنائها شرقيون وغربيون». . وقف آخرون يؤكدون ضرورة العودة إلى التراث وإحيائه وبعث الذات المعاصرة على هدى منه ووصلاً به. ولم يقف هؤلاء عند حد الدعوة لإحياء التراث بل راحوا فعلا يبذلون قصارى جهدهم فى استخراج مكنوناته فأعادوا الى التداول ما استطاعوا من تراث ثلاثة عشر قرنا من الكتابة والتأليف بعضه قد حُقق وشرح ليتناسب مع مدركات العصر الحديث وبعضه كما هو.

وكانت تلك المخطوطات التى أعيد نشرها تتصل باللغة والادب والتاريخ والعلوم الشرعية وعلم الكلام وغيرها. وبالرغم من أن المخطوطات كانت موزعة بين مدن العالم الاسلامى وبعض المدن الغربية التى تسرب إليها ذلك التراث بطريقة أو بأخرى إلا أن الحركة اعتمدت فى نشاطها على مراكز ثلاثة من أهم العواصم الاسلامية التى كانت تزخر بالمخطوطات خلال القرن التاسع عشر وهى: القاهرة واستانبول وحيدر أباد الدكن.

وقد حمل هذه المهمة علماء ومحققون أكفاء تسلحوابعلوم اللغة والمعارف العربية والاسـلامية. فضـلا عن حماسهم ودأبهم فى محاولـة إعلاء مجد العروبة والاسلام ومن أهم هؤلاء الأعلام: الشيخ أبو الوفا نصر الهورينى (ت ١٨٧٤م) وأحمد فارس الشدياق (ت١٨٨٨م) ومحمد محمود الشنقيطى (ت١٩٠٤م) وهو الذى اختاره السلطان عبد الحميد للذهاب إلى اسبانيا للبحث فى مكتباتها المختلفة عن المخطوطات والكتب العربية والاسلامية وإبراهيم المويلحى (ت١٩٠٥م) الذى كان من المؤسسين لجمعية المعارف ومطبعتها ذات الدور الكبير فى الإحياء. وكان يساند هؤلاء وأمثالهم من المحققين عدد من زعماء الفكر الذين بشروا بحركة الإحياء ودعوا إليها وناصروها بالجهد والمال وعلى رأسهم أحمد زكى وأحمد تيمور ومحمد كرد على وحسن حسنى عبد الوهاب وغيرهم.



متحف كلية الآداب بجامعة الملك سعود «من لا قديم له فلا جديد له». من هذا المنطلق حرصت جامعة الملك سعود بالرياض على تجسيد هذه الفكرة وقامت ممثلة فى قسم الآثار بها بانشاء متحف الآثار عام ١٣٨٧هـ. ولقد نجح المتحف فى تجميع بعض القطع الاثرية الهامة من داخل وخارج المملكة. وكذلك آثار قرية الفاو التاريخية. والصورة تمثل صنجة ميزان من النحاس على شكل جسم حيوانى وعليها نقوش عربية قديمة.

(٤) اتضحت هذه الفكرة الأخيرة بصفة خاصة عند فراى. انظر المرجع السابق ص ٨٣٧ و٨٤٣ و١١٣٢.

(٥، ١٧) بنت الشاطىء (عائشة عبد الرحمن): قيم جديدة للأدب العربى القديم والمعاصر (معهد البحوث والدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٧) ص١٨٤، وص١٨٥.

(٦) The Legacy of Islam جمع ترتيب سير توماس أرنولد Sir Thomas Arnold والفريد جونيوم Alfred Guillaume Oxford univ. Press, 1960.

(٧) مالك بنبى: شروط النهضة ترجمه من الفرنسية عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوى (مكتبة دار العروبة القاهرة ١٩٦١) ص ص ٦٠-٦١.

● ولم تقتصر حركة إحياء التراث العربى والاسلامى على الباحثين والمحققين العرب فوجدنا عددا من المستشرقين على رأسهم البارون دى ساسى و هـ. ر. هاتكر - ج. و. فراى تاج - جح ، د. همر - الفريدكريمر - ر. دوزى - وليام رايت - أ. ر. لين . . وغيرهم . (٨) يشتركون فيها ويبذلون قصارى جهدهم لاعادة نشر الابداع العربى الدفين .

وقد اندفع هؤلاء وأولئك بدافع الرغبة فى الكشف عن كنوز ذلك التراث على حين شط البعض فى الهرب منه ومن الماضى وظنوا ان حضارتهم قد أفلست بل اندثرت وأن لا سبيل لها إلى عودة أو بعث . [illegible] انحازت تركيا وايران وأفغانستان فى العقد الثالث من هذا القرن تجاه الحضارة الغربية كما انحاز كثير من مفكرى البلاد العربية والاسلامية نحو تلك الحضارة باعتبار أنها «حضارة اليوم» السائدة أو التى يجب أن تسود(٩) وفى نفس الوقت [illegible] - مستشرقين وعربا أيضا - يشككون فى جدوى هذا البعث [illegible] «استحالة» إحياء [illegible] ميت .

وللمستشرق الأمريكى ج. فون جرونباوم - على سبيل المثال - رأى يخالف ما قرره زميله هـ. ر. جب فى هذا الصدد من ان حركة إحياء التراث «كانت بعثا للثقة بالنفس» وأنها «إصلاح بالمقابل» - أى إصلاح من [illegible] العربى فى مقابلة الغرب - فيزعم أن هذا الاهتمام بإحياء التراث يمثل ظاهرة «خوف» العرب والمسلمين من أن «يبتلعهم الغرب» أوحتى «الخوف من أن يلفظهم» إن هم [illegible] التشبه به أو الذوبان فيه(١٠) وأن هذه الظاهرة سمة لكل مجتمع [illegible] فرأى أن يعيد نفسه من خلال التاريخ وهى «إعادة جزئية [illegible] رغبة العالم العربى فى أن «يعوض عما هو كائن بما ينبغى أن يكون»(١٢).

كما لقيت حركة إحياء التراث عنتاً من بعض المفكرين [illegible] داروا إما لعدم جدوى «الجسر الزمانى» - فى نظرهم - للعبور نحو التقدم [illegible] لأنهم يفضلون عليه المعبر المكانى تجاه الغرب ويعترف الدكتور زكى نجيب محمود [illegible] بأنه بدأ حياته الفكرية «بتعصب شديد» للرأى القائل «إنه لا أمل [illegible] حضارية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بتراً وعشنا مع من يعيشون فى عصرنا [illegible] .
ثم غيّر الدكتور زكى نجيب محمود رأيه(١٥) وغير غيرُه رأيه وانحاز للغرب من أراد، وسار مع التراث من أراد . . وعارضه من أراد ورقص على السلم من أراد(١٦).

وبدا فرسان الحركة الفكرية العربية فى القرن العشرين غرباء فى حليته يعوزهم التعاصر الثقافى والفكرى فى مراحل التلقى والتكوين والتأثر(١٧)

فالعقاد «يقبل التراث كله» «والغرب كله» ويحسب أن الجمع بينهما ممكن. ومن قبله يقبل الشيخ محمد عبده «كل التراث» «وبعض الغرب».. على حين تنعكس الآية عند طه حسين فيقبل «كل الغرب وبعض التراث» «ويجرى الحكيم تعديلا» فى كليهما. ويكاد يرفض غيرُه كليهما(١٨).

وباختصار شديد بدت «منظومة» الفكر العربى الحديث غير منظومة.. وكان السؤال الذى ألح ويلح رغم الحركة الدؤوب على الجسرين هو: أين الابداع؟.. أين الابداع العربى بعد أن غرّبْنا وشرّقنا لقرنين؟.

ربما أراح البعض أنفسهم واستراحوا بإجابة تقول إن مظاهر الابداع لا تخفى حسْبنا ـ مثلا ـ أن ننظر فى معارض الفنون بالقاهرة وفى ميادينها فنرى إبداعا فى النحت منذ أن بدأه المثال المصرى «مختار» وغيره من الفنون يضارع ما وصلت اليه أوروبا، أو أن ننظر فى شوارع جدة [illegible] «كورنيشها» فنجد خطوة أبعد فى الابداع تُطوّع هذا الفن لمنظور ومتطلبات الحضارة العربية الاسلامية.

■ أليس فى [illegible] ابداع..؟

حسبنا ـ قد يقول هؤلاء ـ أن ننظر فيما وصل اليه الشعر المعاصر فى موضوع القصيدة وبنائها و[illegible] فى التعبير والتصوير وتوظيف الرمز والأسطورة منذ «شعراء تموز» بالعراق.. منذ البياتى والسياب ونازك الملائكة بالعراق.. منذ صلاح عبد

---

(٩) د. محمد حسين هيكل: الشرق الجديد (دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م) ص١١٥، وذلك من مقال له فى الرد على [illegible] الأمير بعنوان: «حضارة الشرق الأوسط متى تبعث من جديد؟» وقد نشر لأول مرة فى «السياسة الأسبوعية» عام ١٩٢٨م.

([illegible]) G.E. Von Grunebaum: Modern Islam, The Study of cultural Identity ([illegible], Los Angeles, [illegible])

انظر على التوالى الصفحات: [illegible]، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٦٤.

(١٤ [illegible] ٢٧، ٣٠، ٣٣، ٣٦، ٣٧) د. زكى نجيب محمود: تجديد الفكر العربى (دار الشروق، بيروت [illegible] ص [illegible] ص٢٩٢، ص ص٢٨-٦١، وص ٨٣، ص٥٣، ص١٠١، ص٥٤، ص٥٥، ص٢٤.

(١٥) ومما نكبره للدكتور زكى نجيب محمود ليس فقط رجوعه عن فكرة «بتر التراث» بل اعترافه بأنه كثيرا ماوقع فى «أقوال متناقضة» نشرها «وفى لحظات متباعدة» وكان فى كل منها صادقا مع نفسه: المصدر السابق ص١٥.

(١٦) افضت فى هذه الاتجاهات فى دراستى للدكتوراه بعنوان:

Islamic Identity and the West in (Cont emporary) Arabic Literature (Temple University Phila. Pa. U.S.A. 1976) pp. 181-206.

الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى بمصر. . منذ محمد حسن عواد وحسن عبد الله القرشى بالمملكة العربية السعودية. . منذ محمد احمد محجوب بالسودان (ونظم العديد من الشعراء الشبان فى «كل» البلاد العربية الذين قد لا يقلون إبداعا على هؤلاء الذين ذكرناهم على سبيل المثال).

■ أليس هذا كله إبداعا؟

ألا يعد من الابداع قصص الطيب صالح بالسودان ومحمود المسعدى فى تونس، ناهيك عن رواد القصة وعمالقتها فى مصر مثل محمود تيمور ونجيب محفوظ وشبابها المبرزون فى «كل» البلاد العربية؟.

وبع الشعر والقصة مسرحيات ومسرحيون ومسرح ينتعش حينا ويخبو حينا. . ينكمش فى مكان ولكنه يبرعم فى آخر ويزدهر فى ثالث. .

■ ألا يعد هذا كله من الابداع؟

ثم ـ قد يقال أيضا ـ أليست لدينا العقول والمهارات التى تُنتج من «الصفيح» إلى «البلاستك» إلى معدات الحرب وأدواته الحديثة الثقيلة والخفيفة. . وحتى الكيماويات والمعادن. . ؟؟

وعندنا أيضا «سيارات» و«طيارات» و«مداخن مصانع» وعندنا «طرق» و«مستشفيات» و«جامعات» و«معامل». . وعندنا. . إبداع.

ولكن خيرا من هذا «كله» وإن صح «اكثره» ـ اجابة تقول: إن هناك حلقة مفقودة خاصة «بين التراث والابداع» هذا الابداع أو غيره ـ اذ ربما كانت المظاهر التى عددنا استجابات متناثرة أو «عفوية» لظروف «اتيحت» للمبدعين أو «فرضت» عليهم من الخارج.

إن الابداع (Creativity) متصل فى مفهومه بالخلق (Creation)[19] ومن ثم فهو يحتاج لقصد وجهد. وهو وإن كان بالنسبة للابداع الانسانى يعنى «تأسيس شىء من عناصر موجودة وليس ايجادا من العدم» إلا أنه يشترط فيه ليكون إبداعا حقا وليطابق مفهومه اللغوى أن يؤدى الى «إحداث شىء على غير مثال سابق»[20] وتكون صلة هذا الإحداث بالتراث مبنية على انه يجب أن لا ينفصل عن «المعطيات الايجابية» لهذا التراث بل ينسجم معها ويأمن لها دون أن يقلدها.

، وأبرز هذه المعطيات الايجابية للتراث أنه يمثل «طرائق العيش» عند الأجداد.. والذين قبلوا ضرورة الاتصال بالتراث وإحيائه والتفاعل معه أكدوا حقيقة أنه «كان» طرائق عيش لا يقصد نقلها ـ نظراً لأن ظروف ومشكلات حياة الأجداد ليست هى ظروفنا ومشكلاتنا ـ وإنما يُقصد «الابداع» فى مواجهة تلك الظروف والمشكلات، على هدى من «إبداعهم» لوسائل تقنية واجهوا بها ظروفهم ومشكلاتهم.

وهذا يقول هربرت ريد عبارته المشهورة: (٢١)

«إننى لعلى علم بأن هناك شيئا اسمه «التراث» ولكن قيمته عندى هى فى كونه مجموعة من وسائل تقنية يمكن أن نأخذها عن السلف لنستخدمها اليوم ونحن آمنون بالنسبة إلى ما استحدثناه من وسائل جديدة».

«ونحن آمنون بالنسبة لما استحدثناه».. هذا هو المفتاح أو الحلقة المفقودة فى وجداننا المعاصر.. الأمن لما نأخذ مع ضرورة الاستحداث..



أنا لا أفرق بين الأدب والتاريخ.. التاريخ عندى فن من فنون الأدب ومن لا يستطيع أن يفهم الأدب فعبثا يحاول الدخول إلى هيكل التاريخ.

د. شاكر مصطفى

«أمين عام تخطيط الثقافة العربية»



● إن هذا لا يحتاج الى التدليل على ضرورة استمرار التراث بقدر ما لا يحتاج الى التأكيد على ضرورة أن يستمر العربى عربيا والمسلم مسلما. غير أن «التراث» لا يجب أن يشكل لنا نوعا من القلق لذلك الذى ينعكس فى كتابات الدكتور زكى نجيب محمود حين يتحدث عن جوانب غير مرغوبة موجودة فيه شئنا أم أبينا، كاضطهاد احمد بن حنبل وأمثاله لمخالفتهم الحاكم فى الرأى وتعطيل القوانين الطبيعية بالكرامات عند بعض المتصوفة ـ أو بالأحرى «الدراويش» وهيمنة الماضى على الحاضر حتى يتحول قدر كبير من جهد المؤلفين فى تراثنا إلى شروح على الشروح وشروح الشروح(٢٢).

نعم إن التراث لا يصح أن يكون مصدر قلق بسبب تلك النواحى السلبية لأن النواحى الايجابية هى المقصودة مع ضرورة الاستحداث أولا وأخيرا ومن هنا تكون الحلقة المفقودة فى وجداننا هى عدم قدرتنا على افراز المادة المقصودة من

---

(١٩) هناك تفرقة بين: «الخلق» بمعنى الايجاد من العدم أو «بأسباب» exmihilo وهو خاص بالله سبحانه وتعالى ﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾ الزمر: ٦٢ ـ والخلق بمعنى التشكيل واعادة البناء Co nstruction- Reconstructi وهو الذى يجب ان يستعمل فى مثل هذا المجال.

(٢٠) انظر مثلا المعجم الفلسفى لجميل صليبا (دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢) ج١، ص٣١ (مادة ابداع).

(٢١) منقولة هنا عن الدكتور زكى نجيب محمود، المصدر السالف الذكر، ص١٧ وقد أكد المؤلف تفاعله مع هذه النظرة خلال كتابه كله.

(٢٣) انظر مثلا الدكتور الطاهر احمد مكى: دراسة فى مصادر الأدب (دار المعارف القاهرة، ١٩٨٠ ط٥، ص ص١٣ـ١٥.

التراث وتحديد المغزى من تعاملنا معه والاعتزاز به مما ادى الى فهمنا لهذا التراث ـ عند البعض ـ على أنه «كلٌّ» نقل ـ أو يجب أن يُنقل ـ بحذافيره الى حياتنا، وعند البعض الآخر على أنه كاف «دون استحداث» من جانبنا لتهيئة حياة عصرية وتقدّم لنا. ومن الغريب أنه لا تزال هناك أصوات تبكى حظنا من قلة ما أحيِىَ من تراث وأن ابواب الخير والبركة والنماء سوف تنفتح علينا بمزيد من التقدم والنهضة حين نحقق وننشر المزيد من المخطوطات وأن «أهواء الورّاقين» و«مطامع الأفراد» قد شوهت ما نشر من تراث وتركت «أفضل تراثنا العقلى مطمورا»(٢٣).

أنا لا أكره أن أرى أفضل تراثنا ـ ولا أدرى كيف حكم عليه بأنه الأفضل أو الأغث اذا كان لا يزال مطمورا؟ ـ وقد عاد كتبا فى متناول الأيدى تهتدى منها بالأفضل ونتعظ ونهرب من غثاء الغث.

ولا أنكر ما حدث ويحدث للتراث من أهواء الوراقين ومطامع الافراد. ولكن أن يقف تصورنا للتراث على أنه مادة مخطوطة متناثرة مبعثرة الأشلاء نريد أن نعيدها كتبا عصرية فخمة ترقد على الأرفف وفى المكتبات فهذا تصور خاطىء. لقد حُققت ونشرت ـ على سبيل المثال ـ مفردات ابن البيطار وكتب الشفاء والقانون لابن سينا وتذكرة ابن حمدون وغيرها.. فهل اصبح لنا بذلك طب عربى عصرى أو حتى لغة عربية تستوعب الطب منهجا وعلما وعملا؟؟

كتب النحو بين ايدينا: الشروح والحواشى وحواشى حواشيها: فهل تسود العربية ـ سليمة ـ حياتنا الفكرية ناهيك عن الحياة اليومية؟.

إننا حين نرجع الى الاشارة السابقة التى ذكرناها عن اليوت من ضرورة استجابة الشاعر للماضى «وسيطرة الأموات على الأحياء» نجدها تهدف إلى وصل العبقرية الفردية أو الموهبة أو الابداع إن شئنا (The individual talent) بالماضى لتنتج فى الحاضر تميُّزه وأصالته.

فمن التراث نستمد القدرة على استكناه الذات والاستجابة لكل مواقف الحياة بقدر من الابداع والأصالة.. وهذا ما نلاحظ له شبها فى كتابات كبار نقادنا. فالدكتور شكرى عياد يقول: والجزء الأول من عبارته يكاد يتطابق تماما مع عبارة اليوت ـ إن «الموهبة الفردية لا يمكن أن تزدهر بعيدا عن التراث فالموهبة الفردية تعبر عن نفسها من خلال اللغة واللغة هى نظام من العلاقات خلفته أجيال طويلة وتعاقب عليها مواهب شتى فأصبحت تحمل عطر هذه المواهب جميعا. وعنده أن الكاتب المعاصر «إنما يسمى أصيلا حين يضيف الى الذخيرة التى تلقاها عن سابقيه شيئا من عطره هو شيئا يختلف عن القديم ويتلاءم معه»(٢٤).

مرة أخرى. . إن هذا الابداع الذى يحقق الأصالة وإن مثلنا له فى الأدب لا يقف عند إبداع الأديب أو اللغوى أو الفنان فقط . . اننا نأمله ونتوقعه ابتداء من الموظف الذى يستطيع فى حدود امكاناته المتاحة ـ مهما ضاقت ـ وان يخترع من الوسائل ما يقلل من معاناة طابور طويل يقف أمامه لقضاء مصلحة(٢٥) إلى الفنان الذى يجمِّل أرجاء مدينة . .

ظلال



معهد للبحوث العلمية والتراث الاسلامى

فى حفل وضع حجر الأساس للمدينة الجامعية فى جامعة ام القرى أهدى جلالة الملك المفدى فهد بن عبد العزيز الجامعة قراره بانشاء معهد للبحوث العلمية والتراث الاسلامى . . وسينشأ المركز كهيئة علمية متكاملة به مكتبة متخصصة وقسم للمخطوطات وقسم للمصورات وآخر للرسائل الجامعية .

إن المؤلف وما يمثله من ضرورات معاشية أساسية و«الفنان» وما قد يفهم عن عمله على أنه رفاهية إنما يصوران طرفى مشكاة من النماذج البشرية المعاصرة المختلفة التى لا مناط أمامها من مواجهة قضايا العصر ومشكلاته على أساس من

---

(٢٤) انظر بحثه «مفهوم الأصالة والتجديد والثقافة العربية المعاصرة عرض لتحديد الدلالات» فى مؤتمر الاصالة والتجديد فى الثقافة العربية المعاصرة (المنطظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جامعة الدول العربية القاهرة، ١٩٧١م) ص

(٢٥) لا اعنى ولا اتوقع هنا مزيدا من الفعل أو الوقت ولكن مزيدا من الاحساس بالمشكلة والتفكير فيها وتعديل الكيفية والسلوك فى تناولها اما تبعا لنموذج من التراث ان كان هناك مثل هذا النموذج ـ أو إبداعا ـ أى خلقا وإنشاء لهذا النموذج ليصبح اساسا فى التراث .

(٢٨، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٤٢، ٤٣) محمد حسين هيكل، الشرق الجديد؛ ص٩١؛ ١٦٦؛ ص ص١١٦-١١٧؛ ص١١٩؛ ١١٥؛ ص ص١١٨-١٢١ .

(١) الأمن لجوانب التراث الايجابية.
(٢) «الاستحداث المستمر لوسائل وطرائق» تستجيب لقضايانا ومشكلاتنا.. فى اللغة.. فى الأدب.. فى الفن.. فى الاقتصاد.. فى الجغرافيا.. فى السياسة.. فى الحكم.. فى الادارة.. وفى كل الشؤون المعاشية.

■ الحلقة المفقودة إذن ذات طرفين:
«أمن .. واستحداث» ولابد لنا من وقفة قصيرة عند كل من هذين:

إن الأمن لا يمكن أن يتحقق بمجرد إحياء الكتب المحتوية على التراث وإن كان ذلك الاحياء فى حد ذاته واجبا قوميا يخضع للامكانات والظروف المتاحة للأمة وإنما يتحقق الأمن عن طريق «الوعى بالغاية» من احتكاكنا به وإعطائه حقه فى التأثير على حياتنا وتنميتها ولهذا «يجب أن يكون هذا الاحياء وسيلة انقاذ لما نحن فيه».. كما أكد الدكتور زكى نجيب محمود ـ إذ أن السؤال المطروح هو: «على أى نحو يكون التمسك بتراثنا.. ممسكا لنا من الانهيار والهزيمة والدمار؟»(٢٦)وإن النظر إلى التراث على أنه «وسيلة إنقاذ» سوف يعصمنا من الوقوع فى خطأ «تقديس الماضى» واعتقاد أنه معصوم من الخطأ(٢٧)كما أنه يقودنا إلى التعرف على هذا الماضى «للاعتبار به» لأن «من لم يعرف الماضى ليعتبر به لم يعرف كيف يصور طريقه للمستقبل كما يقول الدكتور هيكل(٢٨).

ذلك أول شرط لنأمن هذا التراث ونطمئن اليه أن نعتبر به وأن نعده وسيلة إنقاذ دون تقديس يقطع علينا فرصة النظر فيه نظرة نقدية لا تقف فقط عند حد الاعتزاز بجوانبه الايجابية بل تكون قادرة على استثمار هذه الجوانب فى تحقيق حياة أفضل فتكون العودة له لا لمجرد أن نثبت أنه لم يقبر الى غير عودة أو أنه صفحة ناصعة بلا أخطاء أو متناقضات ـ ردا على من يقول بهذا أو ذاك، وإنما وبالدرجة الأولى ـ لنثبت أصالتنا من خلاله ولنحمى أنفسنا معه من الدمار ولننطلق وإياه فى حضارة معاصرة أوسع نطاقا وأبعد اثرا فى حياة الانسانية كلها(٢٩).

وشرط آخر لنأمن هذا التراث ونطمئن إليه أن نأمن الداعين إليه ونطمئن الى قدرتهم على التمييز بين «جيد» التراث و«رديئه» واخلاصهم وصدقهم فى التعبير عما يجدون وتحركهم نحو الحاضر فى فعل خلاق مثير.

وفى تقديرى ان تردد عالم كالدكتور زكى نجيب محمود من التراث ووقوفه وقفته الأولى التى كانت تنادى ببتر هذا التراث من حياتنا ترجع إلى هذه الناحية.. فإذا

كان التـوحيدى قد رفض فى عصره مَنْ قولهم فى واد وفعلهم فى واد آخر ومن كان «علمهم كله حفظ وروايتهم كلها حفظ» فإن زكى نجيب محمود قد وجد من دعاة التراث فى عصرنا من هو مثل علماء عصر التوحيدى «مضروبا فى ألف»(٣٠) ولئن كان هو نفسه قد عاد فآمن بأن مثل هؤلاء الاشخاص لا يكونون حجة على التراث، ومن ثم راح يبحث - ليطمئن - فى جوانب هذا التراث فإننا تكملة لموقفه، ومع الدكتور إبراهيم أبو لغد حيث يقول: «إن الاشخاص رموز أنظمة»(٣١) وعليه فإن الذين يمثلون الذات ويدعون باسمه لا بد أن يكونوا هم أنفسهم مقنعين بقولهم وعلمهم وعملهم حتى يكونوا قوة للنظام الذى يمثلونه ودفعاً له لا عنصرا لتشويهه وقوة محطمة تنخر فيه دون وعى.

فإذا ما تحقق شرطـا الأمن بدأت عمليـة الفرز. . فرز التراث. . وربما اعتقد البعض أن هذه العملية بدأت بالفعل منذ «الجيل الماضى» بالبحث عن «النماذج والقيم الأصيلة. . وبالدراسات الكثيرة حول المعرى وابن الرومى وأمثالهما، وبالتراجم المتعددة المناهج والأساليب لأعلام الاسلام(٣٢) ولكن عملية الفرز أكبر من ذلـك بكثير ومسؤولية الادبـاء والمفكرين والعلماء العرب نحوها لا تقف عند حد استخـراج النـماذج وبثهـا - مدروسة أو غير مدروسة - فى حياتنا الأدبية والفكرية والعلمية. . وانما يجب أن تتعدى الى بيان قيمة هذة القيم وتهريمها (أقصد عرضها بشكل هرمى) فى حياتنا لان مثل هذا الشكل الهرمى يعصمنا من الخطأ فى تحديد أولويات الفعل وتقديم واجب على ما هو أوجب فى محاولة الوصول الى غاية التقدم والنهضة.

أنا أعرف مثلا أن «التوحيد» هو القيمة الأعلى فى حياتنا التى تسمق فوق قمة الهرم. . فماذا تحتها. . ؟. . وتحتها؟ وتحتها. . إلى القاعدة؟.

وأرجو أن لا يصدمنا هذا التساؤل فما أحسبه بالسهل الهينِّ. . إذ حين يتساءل الدكتور زكى نجيب محمود عن جدوى «الالاف من المجلدات التى لا تضيف حرفا واحدا» لتراثنا لأنها شروح وتعليقات مكرورة وروايات منقولة عن الآخرين حتى لكأنما «الطهاة الذين أعدوا الطعام قلّة لا تتجاوز العشرة أو العشرين».

---

(٣١) فى كتاب له طبع (بالانجليزية) بمطبعة جامعة برينتستون: العرب يكتشفون أوروبا من جديد، دراسة فى المواجهات الثقافية.

(٣٢) د. شكرى عياد: المرجع السالف الذكر ص٦٤.

نم تكاثرت حول المائدة ألوف تتسقط الفتات المتناثر»(٣٣)، نستطيع أن نستجيب معه فقط لتلك العشرة أو العشرين ونلفظ الباقين. وحين ينفر الدكتور هيكل من بعض علماء الكلام المسلمين الذين لم يقفوا عند الفكرة التى خضعت لها «ألوان التفكير والاحساس فى الامم المختلفة التى انتشر فيها الاسلام وهى «التوحيد» وفكرتى «العدل والقصاص» المتصلتين بها اتصالا وثيقا وراحو يضيفون - كما يقول - «إلى هذه الأسس من استنتاجاتهم ومنطقهم ما كدس حولها الشىء الكثير من نظم وعقائد»(٣٤) نستطيع ان نحذف معه تلك الاضافات.

ولكن ماذا بعد؟

لنفترض اننا مع هذا المفكر حددنا الأصيل من الفكر التراثى.. ومع ذلك المفكر حددنا الاصيل من مصادر التراث.. هل نكون بذلك قد فرزنا التراث وحددنا موقفنا منه فأمنا لأخذ ما نأخذ وترك ما نترك..؟

لا أظن.. إن تحديد أبعاد القيم المستمدة من التراث فى حياتنا كلها فى شكل هرمى - كما ذكرت - يبدو ضرورة حتمية «تنظيمية» لحياتنا الادبية والفكرية والعلمية كلها. وفى هذا التحديد لابد من مراعاة خطين متقابلين عند القمة: الخط المتدانى من الثابت الى المتغير والخط المتصاعد من المادى إلى الروحى. ولقد أبرز الدكتور هيكل لكثير من مفكرينا اهمية ما أطلق عليه هنا: «الخط المتصاعد» وعلى قمته التوحيد، تحته العدل والقصاص - وهذه نقطة أصالة فى تقييمه - مؤكدا أهمية الجانب الروحى فى الحضارة التى يجب أن نسعى اليها: «إنما الحضارة روح وإيمان»(٣٥) كما أكد هذا الخط الدكتور زكى نجيب محمود حين ذكر أهميته فى عملية الاحياء مشيرا الى أن حوافز العلم.. مستقلة من الدين»، ضاربا المثل بالاحياء الدينى عند الغزالى والذى قام على أمرين:

١ - العودة الى الاسلام
٢ - ضرورة تحول الفكر أو الايمان الى سلوك(٣٦).

إن الاهتمام بالجانب الروحى أو بمعنى أصح بالخط الذى يتسامى فى الاتجاه الروحى معطيا للنواحى المادية أهمية أقل فى استعادة التأثير الحضارى ظاهرة ملحوظة فى الفكر المعاصر حتى فى الغرب نفسه - وهو مصدر النزعة المادية - كما يحلو لنا كثيرا أن نقول.. ولكن الاهتمام بالخط من الثابت الى المتغير هو الذى يشكل صعوبة جمة من ناحية لأن جهد الباحثين فيه قليل ومن ناحية أخرى لأن الخطأ فيه جسيم وسأدلل على هاتين الناحيتين: «قلة الجهد» وخطورة الخطأ» من موقف للدكتور زكى نجيب محمود نفسه وفيه يفجؤنا بعبارة لا أظن إلا أنه نفسه من منطلق مراجعاته الأصيلة

والمستمرة لأفكاره سوف يقف عندها طويلا معيدا النظر فى مضمونها فبعد أن وجد مفتاحه الى «التراث» فى العبارة التى سبق أن نقلناها عن هربرت ريد وبصفة خاصة عند وصفه التراث أنه «طرائق عيش» بالنسبة لأسلافنا، وبذلك يشمل المحراث وطريقة الحرث والشادوف وطريقة الرى ـ ولعله بذلك يماثل «ريد» فى قوله مثلا: إن من طرائق عيش الأجداد «حزم الدريس» ـ أقول: انه بعد أن وجد هذا المفتاح ذكر أن أحدا قد يعترض عليه بأن المقصود بالتراث هو:

«شرح الدين ونظم الشعر وإرسال الحكمة والشجاعة فى القتال وإكرام الضيف.. وما إلى ذلك من حياة أسلافنا».. ثم يعلق على ذلك بعبارة أعتقد أنها ـ تصدمنا بعنف فى مجال «تهريم» الثابت والمتغير من قيم تراثنا وهى: «لكننى أقول للمعترض بأنه لا فرق فى الأساس والجوهر.. لا فرق بين أن يكون الذى أتعلمه من السابقين هو طريقة حرث الأرض أو طريقة نظم الشعر أو طريقة توزيع المواريث على مستحقيها أو طريقة التعاقد على زواج أو الاحتفال بمولود جديد أو إقامة الشعائر الملائمة للجنازات ودفن الموتى»(٣٧).

لا فـــرق..؟

كيـــف؟

هل تتساوى فى سلم الثبات والتغير كل القيم المذكورة هنا؟ إن الحرث وقرض الشعر وتوزيع المواريث طرق عيش ولكنها اكيد ليست فى مرتبة واحدة من حيث الثبات والتغير. وإن تحديد السلم الذى يرتبها ليس هينا.. وليس واقعا أو قريباً من الوقوع فيما نراه من دراسات ومؤتمرات عربية متعددة تهدف الى إدخال الانسان العربى المعاصر فى حضارة قوامها تراث أصيل واستجابة للحاضر.

ولعل السبب فى ذلك أن مثل هذا التحديد يحتاج لجهد أكثر مما يستطيعه فرد أو أفراد فى كل مجالات التراث وصلة قيمة بثوابت الدين أو اجتهادات المجتهدين فيه من قبل كما يحتاج لدراسات نظرية وعملية تجريبية فى آن واحد وهو يحتاج فوق هذا وذاك إلى نظرة أمينة وجريئة وصادقة.. وساعتها نأمن إن أخذنا ونأمن إن تركنا ما نشاء من التراث.

فماذا عن الاستحداث؟

الاستحداث بالتأكيد ليس فى الاعتماد على الغرب كما تصور بعض روادنا لفترة حتى أصبح الاستشهاد بالقول المنسوب لأحد الغربيين هو الحجة الفاصلة» ـ وكما ينعى عليهم الدكتور محمد حسين(٣٨) وليس «الاستحداث» فى الانبهار بالغرب

كلمات

ان التاريخ اليوم لا يكتب من الحاضر إلى الماضى بل من المستقبل المتطور إلى كل ما سبقه.. ومن هنا جاءت فكرة كتابة تاريخ العرب فى سيادة النظرة العالمية الشاملة إلى الحضارة والمنهج

د. عادل العوا

«عضو لجنة كتابة تاريخ العرب»

والاتباع الأعمى لما يمليه كما يروى لنا لطفى جمعة فى مذكراته من أنه وزملاءه كتبوا بخط يدهم وبإملاء استاذهم (واضح أنه غربى أو تابع) «أن العرب المسلمين متوحشون» وقد كتبنا هذا باملاء أستاذنا الذى مثل لنا أمة العرب التى أنجبت الألوف من رجال الفنون والآداب الذين علموا أوروبا وهذبوها فى وحشية وقسوة تعادل وحشية الوثنيين فصدقنا هذا وآمنا به»(٣٩) وفوق هذا وذاك ليس «الاستحداث» ـ وهو أصالة ـ أن يتحول البحث عن «الاصالة» (Originality) أو الذاتية (Personality) الى شعيرة (Cult) رومانسية(٤٠) تقدس الجديد لذاته وترى قيمة الاشياء فى عصريتها (اى انتسابها الى هذا العصر) فقط حتى لينادى خليل مطران ـ مثلا ـ فى مقدمة ديوانه: «فيا هؤلاء نعم. . هذا شعر عصرى. . وفخره انه عصرى وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر»(٤١).

ونحن نستطيع أن نهدم هذه الشعيرة بسؤال بسيط: وما هى مزية هذا الزمن على سالف الدهر؟ . .

ان الاستجابة لروح العصر أساسية فى مفهوم الاستحداث ولكن العصر نفسه لا يضفى على بنيه أو شعرهم أو فنهم أو اى مظهر من مظاهر حياتهم أية مزية إلا بقدر ما يحققون هم فيه ويضفون عليه من خلق وجهد وإبداع. . ومن هنا نرفض ـ كما رفض اليوت ـ هذا التغنى «الرومانتيكى» «بالذات» «وروح العصر» دون إدراك لفعل الماضى وأهميته فى توجيه المعاصرة. وبذلك نكون رفضنا الخطأ الثالث فى تصور الاستحداث.

ولقد رفض الدكتور هيكل الخطأين الاولين منذ ما يزيد على ثلاثين عاما فقد فند تلك النظرة التى تقول بمآل العرب إلى الحضارة الغربية رغم اعترافه بأن الشرق اليوم (والشرق عنده يشمل العرب) «يستعير حضارة الغرب» لأن حضارته قد اندثرت فى القرنين الماضيين ويقول ان من يفكر هذا التفكير السطحى (أى مآل العرب الى الحضارة الاوروبية) لا يلبث أن يغير رأيه فى زمن يسمح بتفكير أعمق. . وهيكل بهذا يرفض الاتباع الأعمى للغرب، كما يرفض فى مكان آخر الاعتماد على الغرب. . بل يتنبأ بأن الغرب سوف يعود فيعتمد على روحانية الشرق يوجه بها مساره ويعزز بها حضارته المادية(٤٢).

وحسبنا فى هذا المجال أن ننأى لفترة عن التنبؤ ونقف فقط عند تحديد ما نستطيع استحداثه وتقديمه للحضارة الانسانية. وقد استخدمت هنا ضمير المتكلم (الجمع) قصدا (نستطيع) حتى لا أقع فى وهم من يتحدثون بضمير الغائب مسندين الفعل الى «التراث» أو «الحضارة» ـ لا ادعاء منى بما لا طاقة لى به ـ إذ أن كل ما فى التراث أو الحضارة من عظمة يحتاج لفاعلية إنسانية تبرزه وتقف منه موقف الكائن المكلف

المسؤول.

الاستحداث يبدأ من بداية أساسية يظل كل عمل دونها تخبطا وعشوائية وهى «تشكيل وجهة نظر كونية» عامة تضرب فى أعماق التراث بجذورها وتظل بفروعها الحاضر بكل أبعاده ومتطلباته.

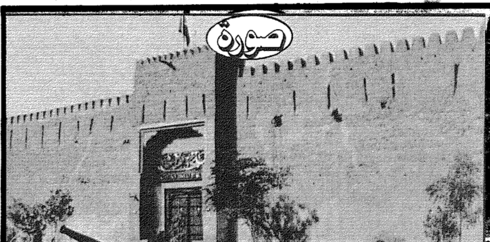
وأوجز فيما يلى التعريف بمحاولتين - على سبيل المثال لا الحصر - لمثل هذا التشكيل:

الاولى: للدكتور هيكل.

والثانية للدكتور زكى نجيب محمود.

أما الدكتور هيكل فيبدأ من البحث عن «كلمة جامعة» تظهر فى الشرق أو فى الغرب.. «كلمة جامعة تكون للسواد روحا وإيمانا وتكون بذلك قاعدة حضارية جديدة»..

ونحاول الاقتراب من صورة أكثر دقة فى تحديد تشكيله بعد أن نمضى مع تساؤلاته حول إمكان صدور «هذه الكلمة» عن حضارتنا رغم تخلفنا وتقدم الغرب



● مدينة دبى هى احدى مدن دولة الامارات العربية المتحدة وتقع على الساحل الجنوبى للخليج.. والصورة تمثل قلعة الفهيدى والتى يعود بناؤها الى عام ١٨٠٠م.. وفى عام ١٩٧١م افتتح متحف دبى فى مبانى القلعة ويهدف الى عرض صور للحياة التى كانت عليها دبى.. ويعد راصداً حياً لتراث هذه المنطقة التاريخية المهمة.

(٣٨) د. محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر (دار الارشاد بيروت، ١٩٧١) ص٢٨٣.

(٣٩) أنور الجندى: الاسلام والثقافة العربية (مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت.) ص١٠٣.

(٤٠) انظر: H.Adams ..criticalTheory

السالف الذكر وفيه يهاجم اليوت الرومانسية فيما أطلق عليه «شعيرة الأصالة» (Cult of Originality) ص٧٨٣.

(٤١) خليل مطران: ديوان الخليل (دار المعارف بالقاهرة ١٩٤٩) ج١، ص٩.

فى العلمين النظرى والتطبيقى فنجده يتحدث فى ثقة عن ضرورة «تمخض» الحركة العلمية الغربية بوجهها فى يوم قريب عن «صور فنية تبعث الى النفوس شعرا أكثر مما تبعث إليها علما وتدعو الناس للتفكير فى الوجود كله كمجموع وفى الفرد الانسانى محاطاً بكل أسباب الرخاء وعلاقته بهذا المجموع.

نريد أن نسترسل مع الدكتور هيكل فى علاقة هذه الصور الفنية وما سوف تدعو إليه بالكلمة الجامعة التى تظهر من الشرق ولكننا نقول إنه رتب على هذا التحول (المتوقع) فى موقف الغرب أى من العلمين النظرى والتطبيقى الى الفن الذى يهيم بالكلمة الجامعة أمرين:

(١) اندفاع بعض الحركات فى العالم العربى نحو الغرب، اندفاع تركيا وفارس والأفغان.

(٢) تخوف الحضارة القديمة المتدثرة بلثر الاوهام من هذا الاندفاع.

هنا يتولد التشكيل كما يراه هيكل حيث تقوى نزعات هذه الحضارة القديمة فى نفس امتلأت بآثار علم الغرب وحضارته ووهبت من لدن القدر شاعرية ذات قوة ليست فى متعارف الناس.. ومن هذا الاحتكاك بين القديم الموروث والحديث المستعار تكون شرارة إلهام تتجلى خلالها كلمة الحق التى تفسر لغز الوجود لأهل الجيل الذى تقال فيه»(٤٣).

«وهذا ما أداه الى القول بأن الكلمة الجامعة سوف تأتى من حضارتنا ويخضع لها الغرب».

كلمات

العرف من كتابة تاريخ العرب أن يكون لهذا التاريخ برقيا وأقلام عربية وأن يخرج للنور فى موسوعة كاملة واحدة تؤكد الوحدة العريقة للأمة العربية

الدكتور / محمد حرب

«عضو لجنة كتابة تاريخ العرب»

بالرغم مما غلف به هيكل تشكيله من شاعرية نستطيع أن نتبين معالمه فى كلمة حق لها قوة الشاعرية والالهام منبثقه عن تزاوج بين القديم الموروث (وهو الجانب الروحى) والحديث المستعار (وهو العلم).

وأظننا نخطىء قيمة هذه المحاولة إن نحن تصورناها كأكثر محاولات التوفيق - تقف بالاستحداث عند الجمع بين عطاء التراث الروحى وعطاء الغرب العلمى. إنها تركز بالدرجة الأولى على ما يتولد عن الاحتكاك.. كلمة الحق أو الكلمة الجامعة التى لها قوة الشاعرية والإلهام وتكون قاعدة حضارية جديدة.

تصورنا لتشكيل ينبثق عن محاولة الدكتور زكى نجيب محمود لن نعدم أبدا أن نجد هذا التزاوج بين «روح التراث» و«علم الغرب» على نحو ما وجدنا

عند هيكل.

فيقول: «إن نهوضنا بعد الكبوة الحضارية لن يتحقق إلا اذا جاءت الحوافز من الدين والوسائل من العلم». . «الحوافز فى صميمها قيم. . والقيم من الدين» وهى «ليست أشياء نعثر عليها. . بل هى صور تتمثل أمام الذهن نشعر بأننا مكلفون بتجسيدها فى شؤون الحياة الجارية»(٤٤)

وإذا كان الاستحداث - فى تشكيل هيكل - ينطلق من كلمة الحق التى لها قوة الاقناع والجذب فإنه فى تشكيل زكى نجيب محمود ينطلق من وجهة نظر حية تدفع صاحبها فى مسالك الحياة اليومية العملية(٤٥) ومن هنا يكون إحياء التراث عنده «هو ان نفتح له المنافذ ليسرى فى كياننا العضوى سريانا يكون لنا وجهة النظر التى نهتدى بها فى الحياة العملية(٤٦) على أننا يجب أن ندرك أن وجهة النظر هذه وان كانت تدخل فى مجال الأفكار إلا أنها ترتبط عنده بالفعل فهى حية دافعة لصاحبها فى مسالك الحياة. . أو كما يؤكد فى موضع اخر «أصبح المدار هو دينامية العمل. . ففى أصلاب العمل تسرى الفكرة ويسرى الشعور. . وإذا لم يكن عمل فلا فكرة هناك ولا شعور(٤٧) وهكذا يبدأ الاستحداث عنده من الفعل. . الفعل هو الأساس. . وهو مظهر الفكرة. .

من هاتين المحاولتين يتبين أن «الاستحداث» المنشود يجب أن ينبى لا على استيعاب التراث وهضمه واستلهام قيمه الروحية الدافعة وتفهم المنحى العلمى الغربى واستثماره فحسب. . بل - وبالدرجة الأولى - على منطلقات أصيلة ومتميزة تتولد عن هذين وتنتج عنها مشاعر ما تلبث أن تتحول إلى فعل لأن المنطلقات الفكرية فالمشاعر - سواء أكانت نحو التراث - أو نحو الغرب - لن تكون لها قيمة حقيقية إلا اذا تحولت إلى وجهة نظر عملية قادرة على إعطاء استجابات لكل متطلبات ومواقف حياتنا كلها. . استجابات تضرب بجذورها الواعية وغير الواعية فى الزمان والمكان وتقف على أرض صلبة من رؤى الحاضر واحتياجاته.

حينئذ يتواصل التراث والابداع. . ونعثر على الحلقة المفقودة لا أن ندور فيها.

(٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧) د. زكى نجيب محمود: هذا العصر وثقافته (دار الشروق، ١٤٠٢هـ) ص٢٣٩؛ وص٨٣؛ وص٨٥؛ وص٢٧٠.

حديثنا عن التراث ليس دعوة للعودة إلى الحياة فى الماضى القديم . . فليس كل قديم تراثا .

ولكن حديثنا عن التراث . . هو دعوة للبحث من أجل المعرفة . . ومن أجل استلهام تراث القيم العليا التى حواها . . فى الأثر العربى الاسلامى الخالد . . من الخلق الفاضل الذى هو عماد كل تقدم وازدهار . وهو أيضا السبيل الى الايمان القوى بالخالق الواحد الذى صنع الحقيقة الكبرى الكامنة فى الكون وفى الحياة . . وسبيلنا للوصول الى الحقيقة . . هى تضامن أجيال المفكرين المتعاقبة فتزداد المدارك اتساعا وتزداد المعرفة عمقا وأصالة فى اطار الشخصية الاسلامية المتميزة عن سائر الثقافات الانسانية الاخرى . . ومن خلال دراسة التراث تتوطد المعرفة به . . وبنواحى اشراقه فى شتى مناحى الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو العلمية .

■■ ولعل أهم ما ورثناه فى التراث . . لغتنا العربية . . وأقوى وأجمل ما استخدمناها فيه . . الشعر العربى . . الذى يجسد الجمال بالتصوير اللفظى وانطباق حركة الحروف مع حركة الموصوف أو سكونه . . ولتصبح الكلمة كأنها المعنى وكأنها التعبير السماعى المنطوق عن الحقائق والاشياء . . ولعل فى قول الشاعر القديم فى هذا البيت من الشعر الذى طالما استخدمناه للدلالة على أشياء كثيرة . منها الجاد ومنها المضحك . . هو فى حقيقته صورة رسمها فنان بالالوان مسجلا فيها الحركة والاصوات والمؤثرات الجانبية فى خلفية واقعية نكاد نشم منها رائحة الغبار الذى أثارته الحركة . . كل ذلك كأنه منظر يقوم باخراجه فنان عبقرى معاصر:

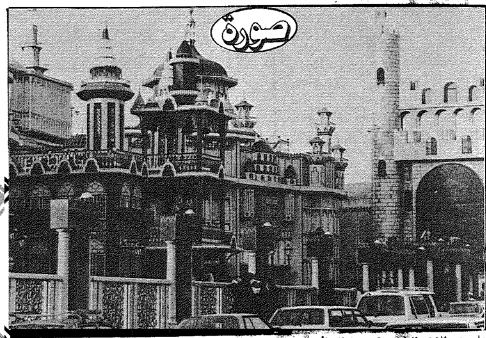
مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

●● هذا التراث الخالد من الصور والتشبيهات والدلالات اللفظية التى حوتها لغتنا الجميلة . . وعبر عنها شعرنا العربى . . كانت وسيلتنا فى استخدام الاساليب الدقيقة والتعريفات المحددة فى شتى المناحى والعلوم التى نبغ فيها أجدادنا الأوائل بالترجمة فى البداية ثم بالتأصيل والاجتهاد فالابتكار .

فى تراثنا اللغوى . . تراث علمى فى العلوم الرياضية على يد مبتكرى الصفر والارقام العربية . . ومنهم الخوارزمى واضع أصول علم الجبر وقواعده . . وزملائه من أمثال البيرونى وثابت بن قرة والحسن بن الهيثم وعمر الخيام (الشاعر) ونصر الدين الطوسى . . وغيرهم الكثير .

التراث . . حصاد الأجيال

وفى علوم الفيزياء التى كانت تدرس مكونات الكتلة وحركتها وسكونها . . والتى وضع فيها ابن سينا فى كتابه الشفاء تحديدا لعناصر الحركة فى المتحرك والمحرك وما فيه ما منه وما اليه والزمان . . سابقا بذلك نيوتن صاحب قصة التفاحة والجاذبية . . وابن الهيثم أول من تحقق من طبيعة الضوء وأثبت أن له سرعة حين ذكر فى كتابه «المناظر» اذا كان الثقب مستترا ثم رفع الساتر فوصول الضوء من الثقب الى الجسم المقابل ليس يكون الا فى زمان وان كان خفيا عن الحس . . والحركة ليست تكون الا فى زمان» .



- على مدى ثلاث وثلاثين سنة تقريبا ظل الأستاذ عبد الرؤوف حسين خليل يبحث ويجمع التحف الأثرية التى تحكى تاريخ الحضارة الأسلامية وتعكس تراث هذا الشعب السعودى العربي حتى توفر له ما يستطيع أن يفتتح به هذا المتحف فى مدينة جدة . . والصورة تمثل المتحف من الخارج .

مهندس
محمد سعيد فارسي
أمين مدينة جدة

كما عبر عن بعض معانى القانون الثانى والثالث أبو البركات هبة الله بن ملك فى كتاب المعتبر فى الحكمة . . وأبو بكر الرازى . . أما عن قانون الجاذبية فقد عبر البيرونى عن فهم علمى صحيح لها فقد جاء فى كتابه «**القانون المسعودى**» أن «الناس على الارض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة وعليها أيضا نزول الاثقال الى أسفل» كما عرف الخازن عجلة الجاذبية . . بزيادة سرعة الجسم الساقط الى الارض . .

ولنا فى التراث فى علوم الفلك والارصاد الكثير ومازالت الاسماء العربية للنجوم والكواكب معروفة ومشهورة . . وكانت أعمال البتانى أبو عبد الله بن سنان صحيحة ودقيقة بحيث كانت من أهم المصادر التى اعتمد عليها علم الفلك خلال العصور الوسطى . . وبدايات النهضة فى أوروبا . . وقد شملت أبحاثه قياس الزمن برصد ارتفاع الشمس وتعيين طول السنة

الشمسية ودراسة حركة الشمس وحركات القمر والكسوف والخسوف وبعد الشمس والقمر عن الارض . . وغير ذلك الكثير.

ولقد ترك المفكـرون المسلمون آثارا فى علوم الجغرافيا تعتمد على مؤلفات وأبحاث المسعودى والمقدسى وابن رستة وابن خلدون وأعمال ابن ماجد فى الجغرافيا الملاحية . . وعلوم المعادن والكيمياء لابن حيان . . وعلوم الطـب فى مؤلفات الرازى وابن سيناء وابن النفيس ومؤلفاتهم الاخرى فى علم الصيدلة وخواص النباتات العلاجية وغيرها من أسـاليب المـداواة والمعالجة . . ذلك كان التراث . . الذى نبذل اليوم جهودا ومحاولات لإحيـاء لغتنا فى العلم الحديث بالترجمة والتأليف والنشر . لتعود اليها صورتها الاولى . . وتحتل مكانتها اللائقة بها . . وبذلك نكون اكثر مقدرة على استيعاب وتحليل وتطوير علوم العصر الحاضر.

والتعبير الصادق والدقيق عن روح العربى المسلم تتجسد فى تراثنا من الاخلاق والقيم الفاضلة .

فليس أقرب الى قلب العربى من الشهامة . . فهى النجدة ومد يد العون لمن يطلبه ضعيفا كان أم قويا . . ظالما كان أم مظلوما . . والشهامة هى التضحية بالنفس من أجل المبدأ دفعا لعار المذلة أو المسكنة .

كلمات

ما أحوجنا فى الوقت الحاضر إلى العمل الذى يربط الماضى بالحاضر لأن الأمة الأصيلة لا يمكن أن تفصل ماضيها عن حاضرها .

«الأمير ماجد بن عبد العزيز»



وليس أحب الى قلب العربى من الكرم . . والكرم شهامة وتضحية بأغلى ما يملك وهو الماء والطعام من أجل قرى الضعيف وهو دين للمستقبل . . يكون المضيف فيه ضيفا .

وليس أعز على قلب العربى من العفة . . فهى التعبير عن النبل . . وهى ضمان النقاء والطهارة . . والسمو فوق الدنايا من القول . . أو الفعل . . كأنها الرضا بالعطش حتى لا تلمس الشفاه موردا ليس له به حق . . وكأنها الرضا بالجوع . . حتى لا تمتلىء البطن بحرام من حرام .

تلك لمحـات من تراثنا الاخلاقى ـ هذبها فينا الاسلام وأصلتها سنة الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ وسوف نبقى والحمد لله نتفيأ ظلالها ما شاء الله لنا أن نبقى وهناك لمحات فينا قديمة قد تكون تراثا وقد لا تكون لان لها وجهين . . وفيها رأيان .

■ أما تراثنا من الجمال فيما تراه العين . فذلك عطاء دائم التجدد . . كأننا نوقد شمعة من شمعة ليستمر النور متواصلا عبر الاجيال . . فى فنون البناء والعمارة والتزويق .

●● لا يخلو بيت الشعر القديم من جمال بل ان فيه من الجمال الكثير . . فيه الظل والراحة . على حافـة جدول . . رقرقة الماء فيه كصليل سلاسل الفضة تعكس النور وظلال سعف النخيل في واحة خضراء هادئة عتيقة ولا يخلو بيت الطين من جمال الضوء الخافت الرطب .

والهدوء الساكن.. والجلسة المريحة بين الاهل والاحباب من الرفقة والصحاب كما لا تخلو جلسة خلف مشربية خشبية منسوجة برقة وعذوبة ماء الشراب البارد الصافى ونسيم ما بعد العصر يتسلل عبر الستار المبلل بندى العطر من الورد والزهر.

■ من ذلك الجمال البدائى كانت تنويعات التجميل الاسلامى بزخارف تسمو بالجمال المجرد عن التجسيد أو التصوير الى التوريقات الخضراء المحلاة بالثمار والأزهار كأنها غصون أشجار تجرى من تحتها الانهار.. وبسعف النخيل يتضافر مع خيوط الفضة وتعشيقات الظلال والنور فى تشكيلات الخشب المخروط أو المحفور أو المنقور والتكفيت بالفضة وبالأصداف.. والتلوين بالرخام والاحجار على أرضيات الفسيفساء أو البسط الممدودة كأنها مفارش من ورد.. عندما يكون الورد عزيزا فى الصحراء بعيدا عن الزرع أو الماء.

●● تراث الجمال فيما تراه العين.. ممتد متواصل عبر الاجيال فى أباريق من بلور أو أطباق من خزف مزجج ملون بهيج.. أيام كانت الصنعة عربية.. والصياغة عربية.. والفكرة عربية.. ذلك هو التراث.

●● وجمال التراث فيما تسمعه الاذن فى النداء الاول للصلاة الآذان وفى التلاوة بالصوت الرخيم وفى القراءة الواعية المتدبرة تخشع لها النفس وتهدأ.

ذلك هو الميراث الحقيقى من التراث جمال اللغة والحرف والخط العربى.. والجمال الفاضل.. والجمال المريح للعين والأذن.

أين نحن من التراث وأين التراث منا؟ سؤال نحتاج للإجابة عليه أن نبدأ من جديد فى دراسة التراث واستيعابه من أجل المستقبل.

ممادل

بيت الحكمة اشبه بمجمع علمى فقد قسمت الدار الى اقسام مختلفة لكل قسم منها دور يختلف عن دور القسم الآخر. فهناك قسم النسخ وكان يعمل فى هذا القسم حذاق الخطاطين والرسامين وهناك قسم الترجمة وهذا القسم قد قسم بدوره بحسب تصنيف العلوم كالفلك والجغرافية والفلسفة.. الخ وبحسب اللغة.. فقد تولى حنا بن ماسويه ترجمة كتب الحكمة الفارسية وعمل سعيد بن هارون فى ترجمة كتب الفلسفة وتخصص الخوارزمى فى ترجمة كتب الحساب والهندسة.

اما أولاد شاكر فقد ترجموا كتب الرياضيات واشتغل حنين بن اسحاق بترجمة كتب الطب والفلسفة والفلك وغيرها وكان من حذاق المترجمين فى عصره واشتهر كذلك من مترجمى بيت الحكمة كل من ثابت بن قرة وقسطا بن لوقا.

«هشام الدجانى»

● الأمم العظيمة لم تقم من فراغ . . لم تتلاحق اجيالها من بدايات مفتعلة وإلا بقيت فى سفوح الزمن وعلى هامش الذكرى.
● والامة العربية سادت دون أن تبيد.
● الامة العربية اضاءت طريق العالم حملت رايات الحق والعدل والحرية والحضارة.
● الامة العربية ضعفت أو تشتت او تفرقت كلمتها او تناثر عقدها.
نعم شأنها فى هذا شأن امم عظيمة

لكنها تظل امة التاريخ العريق والتراث الخالد والمتأمل فى المسافات الزمنية لتواريخ تراثنا الباقى يجد أن هذه الأمة مآلها الى خير مهما تكالبت عليها الاحداث أو فرقتها المحن أو عصفت بها الحوادث.

والمتأمل ايضا لعمق العلاقة بين هذا التراث المترامى على مساحات زمنية متفاوتة يشعر انه كان وما يزال وليد وعى عقلى وفكرى وسلوك حضارى لم تُسبق الامة العربية اليه.

وتاج الحضارة ومصدر الهامها كتاب الله جلت قدرته ثم سنة رسوله الأمين سيد الاولين والآخرين وامام العلماء والمتقين.

لو كتب بعد هذا لمتأمل ان يقف لحظات يقلب فى بعض خزائن هذا التراث الباقى لشعر بروعة الجهد وصدق المسلك الحضارى فى اسلوب الافادة والاستفادة بتوسيع دائرة الاطلاع والصبر والجلد فى ظروف لم تكن وسائل الاتصال ميسورة ولا امكانيات الاطلاع والطبع متوفرة والمتأمل ايضا لو كتب له ان يسبر هذا الغور من ادب النقاش والحوار العلمى الذى تزخر به امهات «التراث» . . لأدرك ان نورانية المعرفة كانت شموعنا تضيىء للعارفين بالله المحترمين لقدر العلم والعلماء مسالك الطريق . . والامثلة على هذا كثيرة وكثيرة جداً.

تعالوامعنا فى رحلة قصيرة عبر مجموعة من الموسوعات والخزائن العلمية من تراثنا الباقى . . ليس منا من يجهل الامام ابن كثير صاحب التفسير وصاحب البداية والنهاية انه يضيىء شمعة النورانية فيقول فى مقدمة تفسيره:

«الحمد لله الذى افتتح بالحمد كتابه واختتمه بالحمد».

هـذه النورانية فى مستهل المقدمة يؤكدها قوله تعالى فى فاتحة القرآن الكريم «الحمد لله رب العالمين» ويؤكد المعنى ما فى قوله تعالى ***﴿وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ وقوله تعالى ﴿وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين﴾***.

هـذه الايـماءة السـريعة مقطع من نورانية المعرفة فى تراثنا الخالد . . الثقافة فيه التزام سلوكى وعبـادة وصفـاء يمنح هذه النورانية . . ولو كتب للمتأمل ايضا ان يواصل الصلة السريعة فى كتب التراث ومراجعه وموسوعاته لتوقف امام الكثير والكثير من صور النورانية والمعرفة.

فهذا النويري صاحب «نهاية الارب فى فنون الادب» وهو من علماء القرن السابع والثامن الهجرى - «نهاية الارب» يقع فى ثمانية عشر مجلداً أو جزء يقول فى مقدمته «الحمد لله رافع السماء وفاتق رقتها ومنشىء السحاب وموكف دمعها ومجرى الافلاك ومدبر امرها ومطلع النيرات ومكورها ومرسل الرياح ومسخرها» تشعر للوهلة الاولى انك امام عابد فى محراب التقرب الى الله بتعداد نعمه والاعتراف بقدرته.

وتشعر مره اخرى انك انما تقرأ موسوعة فى اللفظ حتى ولو كانت مسجوعة.. هذا المسلك الحضارى فى التأليف والالتفات واستعمال اللفظ لتقريب المعنى يستند الى خلفية ثقافية واسعة. كأنما الاهتمام بالمادة والتحقيق العلمى احد مظاهر عصور «التراث» الفكرى والادبى والعلمى للامة العربية.

هذا المسلك هو ما تحاول كل الجامعات فى العالم اليوم ان تصل اليه او ان تحققه فى اساليب اكاديمية كأمانة النص وتحقيقه علميا.. وتتضح هذه الصورة مثلا عندما تجد ديوان شعر لشاعر معروف هو ابو العلاء المعرى «سقط الزند».. الذين شرحوا «سقط الزند» لابى العلاء كثر ولكن اشهر الشروح واكثرها تحقيقا لثلاثة علماء وادباء هم:



(١) التبريزي المتوفى عام ٥٠٢هـ.
(٢) والبطليوسى المتوفى سنة ٥٢١هـ.
(٣) والخوارزمى المتوفى سنة ٦١٧هـ.

هذه الشروح اعتمدت عليها لجنة احياء تراث ابى العلاء المعرى فى مستهل الستينات الهجرية او بالتحديد ما بين ١٣٦٢هـ/١٣٦٣هـ وكان من بينها مصطفى السقا وطه حسين وعبد الرحيم محمود وابراهيم الابيارى.

هذه الشروح الثلاثة اهتمت بالجوانب الاتية:

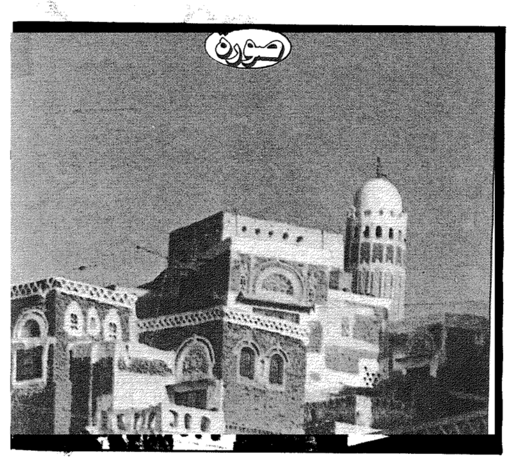
- المادة اللغوية اعرابا واشتقاقا.
- الجانب الجمالى والابداع كالمقابلة والاستعارة والمجاز.
- المعانى الموضعية فى المعنى كالترادف والقياس والاستنباط.. الجانب النقدى.

من المؤكد ان هذا الانجاز العلمى لم يتوفر لاى شاعر فى العصر الحديث بل لم يحدث لمدارس النقد الحديثة ان وفرت جهدا كهذا كما حدث لثلاثة من علماء قرن واحد او قرنين متلاحقين يضعون هذا الاهتمام فى مكانه للمادة العلمية.

الأستاذ عبد الله سليمان الحصين

لـو توقفنا لحظة اخرى عند كتب التراث فى الفقه او اللغة او الادب او التاريخ لاستوعبنا الجهد واستبدَّ بنا الاعجاب وبهذا الرصيد الهائل من التراث فالمثقف لم يكن مثقفا فى فن واحد ولا علم واحد انه عالم فى فنون اللغة ومداخل الاشتقاق عالم فى اصول اللغة وعلم الوضع وكان فقيها محدثا ومؤرخاً يحقق الحادثة يروى القصة يستطرد بالقياس والنظائر والامثال هناك ايضا «النورانية» التى تشف عن البركة يمنحها الله لبعض عباده يبارك لهم فى الوقت والجهد يفتح امامهم مغالق الفهم.

لـو توقفنا لحظة امام هذه الخزائن التى تفيض بالعطاء المتجدد والعلم والفقه والقصة والمثل والرواية والحادثة والتحليل الخبرى والاعراب والاشتقاق ومرد الاصل واصل الكلمة . . . إلى آخر ما يزخر به هذا السِّفر من العلوم.



● اليمن السعيد . . بلاد التاريخ والتراث وعاصمتها صنعاء عبقت فيها روائع تراثنا القديمة وهى تستقبلنا بابوابها السبعة وما تبقى منها وبمآذنها الممعنة فى التميز وبنائها الحجرى المنظم . . والصورة خير دليل.

فهذا ابو على القالى فى أماليه يرحل بك فى بحر هادىء فى زورق يبحر بك فى آماد اللغة واسرارها ومترادفاتها كما يتحدث عن الفن والنكتة والرسم والشعر والفكاهة والتاريخ .

■ السؤال الذى يطرح نفسه ما هى الامكانيات الفنية المتاحة لمؤلف او باحث فى القرن الرابع او الخامس اوالسابع او الثامن كالنميرى مثلا او كالقالى حتى ينيروا المكتبة العربية الاسلامية بكل هذا العطاء .

الاغانى لابى الفرج الاصفهانى الكتاب الذى قيل عنه مكتبة فى كتاب ، وقصة الصاحب بن عباد الذى يصحب كتبه معه اينما سار حتى ظهر كتاب الاغانى فاغناه عن الكتب .

هـذا الشعر الجليل يشكل سجلاً متجددا عن عمق الحضارة الثقافية وما يمكن ان يقال عن خزانة واحدة من خزائن التراث والفكر العربى يمكن ان يقال عن «صبح الاعشى» مثلا والشيخ ابو العباس أحمد القلقشندى صاحب «الصبح» هذا . . يصفه السخاوى فى الضوء اللامع فى اعيان القرن التاسع فيقول «كان اماماً فاضلاً برع فى الفقه والادب واهتم بفنون الانشاء» . وقال عنه صاحب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» «كان عالى الهمة كتب فى الانشاء وألّف فى فنونه» .

وعندما تتأمل اسلوب المؤلف تشعر بالحضور الذهنى واتساع الثقافة . . وهو يشير فى مقدمته الى ان الكتابة فن من ارفع الفنون فيقول «ولما كانت الكتابة من اشرف الصنائع وارفعها لا سيما كتابه «الانشاء» . . يعود المؤلف فليتفت التفاتة هامة الى أن صناعة الانشاء قضية سياسية عندما يقول : «لا يلتفت الملوك الا اليها ولا يعولون فى المهمات الا عليها . . ومن ثم فهم يعظمون اصحابها ويقربون كتابها» .

كان الانشاء فى رأى القلقشندى هو المنظر الاعلامى لحركة الدولة وهو شأن عرفته الحضارة العربية منذ بداية العهد العباسى .

أعترف للقارىء الكريم ان الحديث عن التراث من خلال تجسيد سريع لمجموعة من الخزائن والاسماء والاعلام للتراث لا يفى بالغرض كما اعترف ان عجالة كهذه انها تشكل اشارة عابرة نستذكر فيها هذا الانجاز الرائع لعهود الاضاءة العربية الباقية .

اتمنى ان يتأملها جيل الامة العربية ليرى صورة ماضيه العريق فى كل ملامح هذا التراث الباقي .

التراث وأثره في الأساليب الفكرية

قال ابو تراب هذا هو العنوان المقترح عليّ من «المنهل» الأغر وصاحبها العزيز الأثير المفضال الاستاذ نبيه الانصارى الذى رغب لحسن ثقته بى فى أن أكتب تحته فى اصداره الفنى الجديد.

والحق أن التراث على تنوع مناحيه وعدم اختصاص أمة به دون أخرى قد أثر فى الفكر تأثيراً بالغاً عبر القرون ومن ثم نشأت صور عديدة فى الأخيلة وأهداف سامرت الخواطر وغايات لم يزل المفتنون يتغيونها وأحدقت به أيضا من جراء ذلك الخضمّ المتلاطم وتطورات امواجه وأثباجه مخاطر عديدة أحدثت فى حامليه انقسامات أوجدت صفوفاً متناقضة فى مختلف الاعتناقات والتصورات. ومن الصعب أن نجمل كل ذلك فى مقالة واحدة مهما طال ذيلها إلا أن نأخذ من التراث جانب الفن ثم نلم من هذا الجانب بطرف الصناعة وما استحدثته فنقول: «نظم ابو العلاء المعرى المتوفى ٤٤٩هـ على نوع الالتزام ديوانه المشهور باللزوميات وقال فى مقدمته «وجمعت ذلك كله فى كتاب لقبته «لزوم ما لا يلزم ومعنى هذا اللقب ان القافية تلتزم لها لوازم لا يفتقر اليها حشو البيت ولها اسماء تعرف وسأذكر منها شيئاً مخافة ان يقع هذا الكتاب الى قليل المعرفة بتلك الاسماء».

قال أبو تراب:

ولعله اول من نبه على هذه الصناعة وهو لم يدعها لنفسه لأنه نهج مطروق وقد تكلف فى تأليفه ثلاث كلف كما قال، الاولى ان ينتظم حروف المعجم عن آخرها، والثانية ان يجيء روّيه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك، والثالثة انّه لزم مع كل رويّ فيه شيء لا يلزم من باء او تاء او غير ذلك من الحروف.

قال ابو تراب:

قال صلاح الصفدى فى ترجمة عبد العزيز ابن قاضى حماة من فوات الوفيات وقد توفى سنة ٦٦٢ ما نصه:

«لا أعرف فى شعراء الشام بعد الخمسمئة من نظم أحسن منه ولا أجزل ولا أفصح ولا أصنع ولا اكثر فإن له فى لزوم مالا يلزم مجلدا كبيرا».

قال ابو تراب:

وتكلف الوزير جمال الدين ابو الطاهر محمد بن يوسف التميمى السرقسطى المعروف بابن الاشتركوانى المتوفى سنة ٥٣٨هـ فى مقاماته التى عارض بها

الحريرى ان يلتزم فى نظمها ونثرها هذا النوع ولذلك تعرف بالمقامات اللزومية وقد اشتهر بأسلوبه هذا فى الاندلس حتى احتذاه من مشاهيرهم عبد الرحمن ابن محمد المعروف بالمكناسى المتوفى سنة ٥٩١هـ فقد كان رأساً فى الكتابة وكان ينشىء الرسائل اللزومية وبلغ فى اللزوم مبلغاً أعجز فيه غيره (انظر بغية الوعاة ص ٣٠٣).

قال أبو تراب:

والتزم ابن الرومى فى كثير من قصائده مالا يلزم وقد التزم حركة الفتح ما قبل الروىّ فى قصيدة على امتداد النفس فيها التى يقول فيها:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد

قال أبو تراب:

وذكر بعضهم ان العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد وأنه صنع أرجوزته:

قد جبر الدين الإلٓه فجبر

فيها نحو مئتى بيت وهى موقوفة مقيدة ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها الوزن لكانت منصوبة كلها (العمدة ص٦، ج١).

قال أبو تراب:

ولم ينبه على الالتزام لاقدامة ولا العسكرى ولا ابن المعتز.

قال أبو تراب:

وكان الحلى أنبغ المتأخرين بعد الحريرى.

قال أبو تراب:

وكان انتشار الصناعات من ابتداء القرن السادس وبدؤه من القرن الرابع إلى أواخر القرن التاسع ثم امتد الى القرن الثالث عشر فضعف.

قال أبو تراب:

وأول ما جاء من الجناس للخليل ثلاثة أبيات هى:

ياويح قلبى من دواعى الهوى
ان رحل الجيران عند الغروب

أتبعتهم طرفى وقد أزمعوا
ودمع عينى كفيض الغروب
بانوا وفيهم طفلة حرة
تفتر عن مثل أقاحى الغروب

■ الاول بمعنى غروب الشمس والثانى جمع غرب وهو الدلو والثالث جمع غرب وهو الوهاد.

قال أبو تراب:

والألفاظ التى تشترك فى معان هى الخال والعين والغرب والهلال والعجوز.

قال أبو تراب:

ونظم الحريرى فى احدى مقاماته خمسة ابيات أولها:

سل الزمان على عضبه
ليروعنى وأحد غربه

قال أبو تراب:

واشتهر النظم على هذا النوع فى القرن الحادى عشر.

قال أبو تراب:

قال الزبيدى فى تاج العروس وقد أورد ابيات الخليل: ثم انى وجدت فى شرح البديعية لبديع زمانه على بن تاج الدين القلعى المكى ما نصه فى سانحات دُمى القصر للعلامة درويش أفندى الطالوى رحمه الله كتب الى الأخ الفاضل داود بن عبيد خليفته نزيل دمشق عن بعض المدارسة فى لفظ مشترك الغرب طالباً منى أن أنسج على منوالها وأحذو على مثالها وهى أربعة ابيات قال: فكتبت اليه هذه الابيات التى هى لا شرقية ولا غربية ونقل الزبيدى ٢٧ بيتا اولها:

أمن رسم دار كاد يشجيك غربه
نزحت بكىَّ الدمع اذ فاض غربه

■ ولكن الشهاب الخفاجى اورد هذه القصيدة فى آخر ريحانته وهى هناك ٢٩ بيتاً وقال هناك: إن الطالبى عارض بها أبيات الحريرى.

قال أبو تراب:

وألف الحريرى رسالتين له تعرفان بالشينية والسينية كتب الأولى منها

كلمات

رُوِيَ أنَّ ليلى الأخيلية مدحت الحجاج بن يوسف الثقفي فقال: يا غلام إذهب إلى فلان فقل له يقطع لسانها. قال فطلب حجَّاماً، فقالت ثكلتك أمك إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة.

الى الشيخ الامام شمس الشعراء طلحة بن أحمد بن طلحة النعماني والثانية وهى السينية على لسان الأمير أمين الملك ابى الحسن بن فطير المرادى وكان يتولى ديوان الاستيفاء بالبصرة الى الأمير الأجل الحسام وكان قد دعاه الاسفهسالار الأجل النفيس سيد الرؤساء سيف السلاطين وذلك فى دار بالبصرة فى المحلة المعروفة ببنى حرام وهى ملحة الشيخ الحريرى وكان أمين الملك جاره وصديق الاسفهسالار النفيس فلم يدعه فكتبها اليه يداعبه على لسانه.

والاسفهسالار لفظ فارسى معناه رئيس الجيش والنفيس اسمه وقد التزم الحريرى ان لا يخلى كلمة من الشين فى الاولى ومن السين فى الثانية.

وأشار صاحب المثل السائر الى هاتين الرسالتين فى باب المعاظلة من كتابه ووصفها قائلا: فجاءتا كأنها رقى العقارب.



مدينة طنجة:

تقع فى أقصى شمال المغرب يرجع تاريخها الى عام ١٤٦ قبل الميلاد.. وبعد دخول المسلمين المغرب اهتم بها القائد العربى المسلم موسى بن نصير واتخذها قاعدة لانطلاق جيوشه عام ٧١١م بقيادة طارق بن زياد لفتح الأندلس..

قال أبو تراب:

ونقل الزبيدى فى شرح مادة عجز عن شيخه أن الادباء أكثروا فى جمع معانى العجوز فى قصائد كثيرة لم يحضره منها وقت تقييد كلماته الا قصيدة واحدة للشيخ يوسف بن عمران الحلبى وساقها هناك ومطلعها:

لحاظ دونها غول العجوز
وشكت ضعف أضعاف العجوز

الأولى «المنية» والثانية «الابرة» وهى ستون بيتا والشيخ يوسف هذا من المترجم عنهم فى الريحانة ولكن الشهاب لم يشر فى ترجمته لهذه القصيدة.

وقال الزبيدى بعد ان نقل القصيدة قال شيخنا وكنت رأيت اولا قصيدة أخرى كهذه للعلامة جمال الدين محمد بن عيسى بن أصبغ الأزدى اللغوى وهى طويلة وأعظم انسجاما واكثر فوائد من هذه.. وهناك قصائد اخرى غيرها لم تبلغ مبلغها.

قال أبو تراب:

وشغف ابو الفتح البيتى بالتجنيس فكانوا يقولون انها الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس وكانوا يستظرفونها ولا ينكرون عليه.

قال أبو تراب:

وذكر ابن الطقطقى فى كتاب الغزى ص١٥ ان عز الدين ابن عبد العزيز ابن جعفر النيسابورى لمجالسته أهل الفضل ولكثرة معاشرتهم له صار يتنبه على معان حسنة ويحل الألغاز المشكلة أسرع منهم ولم يكن له حظٌ من العلم.

وقال فى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل انه لمثل ذلك كان يستنبط المعانى الحسنة ويتنبه على النكت اللطيفة مع انه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ.



سُئل أعرابي: أي الأسباب أعون على تذكية العقل وأيها أعون على صلاح السيرة فقال: أعونها على تذكية العقل التعلم وأعونها على صلاح السيرة القناعة.

قال أبو تراب:

وكان صفى الدين الحلى لما دخل الى مصر فى سنة ٧٢٦ أنشده الصاحب شمس الدين ابن السندى أبيات سليم الهوى المصغرة ألفاظها التى أولها:

بريق بالأبيرق فى الفجير

وذكر له أن ناظمها نظمها لصاحب الديوان علاء الدين الجوشنى ولم يمكنه نظم بيت واحد مديحاً اذ شأن المديح التعظيم فنظم الصفى قصيدته التى اولها:

نقيط من مسيك فى وريد
خويلك أو وسيم فى خديد

■ واحتال للمديح احتيالاً لطيفاً فلم يذكر صفات الممدوح ولكنه ذكر عطفه عليه وصغر نفسه ووصف حساده وصغرهم فكان هذا التصغير مضمنا معنى التعظيم وخلص بذلك الى ما أراد.

قال أبو تراب:

وقد تابع الشعراء الحلى على القصيدة ونظموا قصائد وسموها بالمصغرة منها قصيدة ابن حجة ذكرها فى الخزانة ص١٩٧.

قال أبو تراب: وكان علاء الدين بن شمس الدين الفقازى من علماء الروم المتوفى سنة ٩٠٣ يقرىء تلامذته شرح المطول فى علوم البلاغة فلما انتهوا الى فن البديع صار يورد لكل صنعة عدة أبيات من الفارسية قالوا وكانوا يقرأون كل يوم من الضحوة الى العصر سطرا او سطرين فلما طال عليهم ذلك قال لهم هذه قراءة الكتاب فاقرأوا الفن وصار يقرئهم كل يوم ورقتين.

وقال الشهاب الخفاجى فى ترجمة السيد عبد الله الوقائى المصرى وقصيدته التى التزم فيها تجنيس قوافى الخال مشهورة وأولها:

يا سلسلة الصدغ من لواك على الخال (كذا)

■ ولم يذكر منها غير هذا الشطر فلعله اول من نظم فى الخاليات.

قال أبو تراب:

ونظم نفر من ادباء القرن الثالث عشر فى العينيات والهلاليات وتابعوا من قبلهم فى الخاليات والغربيات وأهملوا العجوزيات.

قال أبو تراب:

ونجم فى حضارة العرب شعراء كان لهم أثر بارز فى تطوير الشعر وتجديد أوزانه فأحدث المولدون أوزاناً استنبطوها من عكس دوائر البحور. ومن ذلك فعله ابو العتاهية ايضا فلما امتد سلطان العرب والفنون وانضوى تحت لوائه شعوب كثيرة تختلف ميولها ولغاتها فأفادت من أساليب تفكيرها فنونا شعرية أخرى وهذا ما سنتكلم عنه فى مقال ان سنحت فرصة وفى العمر فسحة وبالله التوفيق.

مداد

إحياء التراث هو فى الحقيقة صورة من صور تجسيد الفهم السلفى للتراث.. وهو يعنى أن معرفتنا بوجودنا التاريخى - الثقافى هى معرفة غير مكتملة.. وأن بعث وجوه التراث المختلفة من مخطوطات ووثائق ونصوص ومبدعات فنية أو صنعية أو أثرية أو أدبية أو علمية من شأنه أن يوضح ويجلو صورتنا التاريخية وأن يساعدنا على تجسيدها فى حياتنا الراهنة. وذلك يكون بـ«تثقف» هذا التراث وتتميم وجودنا به أى بتحويله الى جوهر ثقافتنا وبنيتها الصميمة. بيد أن عملية التثقف هذه على الرغم من جهود الإحياء العظيمة التى بذلت قد ظلت فقيرة للغاية. فالأكاديميون المحترفون من قراء النصوص ومحققيها ينكبون على إخراج النصوص والوثائق بلا كلل بيد أن الذين يمكن أن يفيدوا مما يخرج لا يدرون ماذا يختارون وماذا يدعون. لأن الأكاديميين لا يبينون لهم السبيل إلى ذلك.. فهم يتعاملون مع مادة التراث على المستوى التقنى الخالص.

د. فهمى جدعان

الفنون الاسـلامية مظهر من مظاهر حضارتنا . . ومرآة صافية تنعكس عليها صور تراثنا وماضينا وحاضرنا . . ولقد جاء الاسلام بعقيدته وآدابه فلم ينكـر من الفنـون الا ما كان يمثـل وثنية أو ينأى بالعقل عن التأمل والتفكير والابداع . . ولعل أروع الفنون الاسلامية جميعا فن المعمار . . فهو وان بدأ فى العصر الأموى بعد أن استقرت الخلافة فى الشام ثم ازدهر فى العصر العباسى بعد أن انتقلت الخلافة الى بغداد الا أنه اتسم بالأصالة منذ مولده واستمر فى التطوير والتجديد حتى أصبح له طابع خاص وسمة مميزة وملامح فريدة .

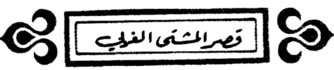
■ وهـذا المبحث يتنـاول خريطـة الفنـون الاسـلاميـة جميعـا فى مختلف أقطـارها وأطوارها . . وبما أن هذه الخريطة رحبة الأماء والأبعاد فاننا ـ جهد الطاقة ـ سنقدم أبرز خطوطها وأوضح علاماتها مستدلين بما كتبه المؤلفون العرب وما أزجاه المستشرقون المعنيون بفنوننا أو الجانب الحضارى لديننا فى هذا الشأن .

قبة الصخرة بالقدس

ولكى تكون صحبتنا للقارىء من أقرب الطرق وأيسرها فاننا سنبدأ بالعهد الأموى . . العهـد الـذى انتقـل بالعمارة من جدران اللِّبن وسقوف النخل الى انشاء قصور مزينة بالنقوش . وكان من أبرز إنشاءات الأمويين : قبة الصخرة بالقدس . . وقد استفاد المسلمون فى تشييـدهـا من الطـراز المعمـارى لكنيسة القيامة فى مدينة القدس والتى كان يحج اليها المسيحيون قبل بزوغ فجر الاسلام بأحقاب عديدة .

● وهذه القبة التى أنشأها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فى عام ٦٩١م منقوش على جدرانها أنها شيدت كأثر معمارى إسلامى يحيط بالصخرة المقدسة التى أسرى اليها الرسول ﴿ﷺ﴾ . . ولـوحـات الفسيفسـاء التى تزخرف المبنى من داخله تعكس ألوانا خلابة من الأشجار مثل الزيتون والليمون والرمان وأفانين من الزهور الآسرة فى أصصها .

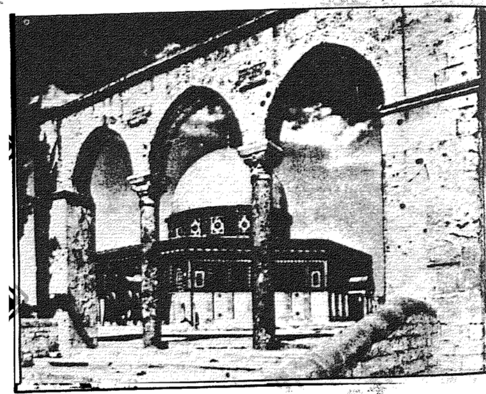
وبعد مرور ثمانية قرون وتسعة وعشرين عاما قام السلطان «سليمان القانونى» بإدخال تطـويـر على هذا المبنى اذ أمـر الصنّاع بتبليط واجهاته ببلاط مزجج باللونين الأبيض والأزرق . . أمـا الزخارف فيغلب عليها الطابع الساسانى على عكس الكرانيش وتيجان الأعمدة فانها متأثرة بالفن الاغريقى .



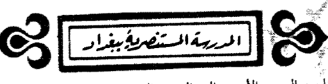
ومن أبرز انشاءات الأمويين أيضا قصر المشتى الغربى . . ويرجع مؤرخو الفن المعمارى

الاسلامي [illegible] تم تشييده في عهد الوليد بن يزيد عام ٧٤٠م . . وقد نقلت بقاياه ـ وهى أفاريز بديعة لواجهته ـ الى متحف برلين الشرقية بعد أن أهديت الى القيصر ولهلم الثانى خلال زيارته للشام فى سنة ١٨٧٣م . وواجهة القصر تضم زخارف بديعة تمتزج فيها الكلاسيكية بالطابع الشرقى وهناك نقوش محفورة تزينها عناقيد العنب وأشجار وحيوانات تشرب من كؤوس مزوقة . . ومن هذه الحيوانات : أسود ولبؤات ووحوش خرافية ـ وقد استعار الفنان العربى هذه الزخارف من الفن البيزنطى الذى كان سائدا فى العصر الأموى واستخدمه [illegible]ـاعة ومهارة ماهرة حتى جاء آية فى الفن المعمارى البديع .

الأستاذ
عبد المنعم قنديل
مدير تحرير مجلة اللواء
الإسلامي/القاهرة



● قصر المشتى الغربى.



المدرسة المستنصرية ببغداد

واذا انتقلنا من العصر الأموى الى العصر العباسى ممعنين النظر فيما تطور اليه فن المعمار [illegible]ـجد أن الخليفة المستنصر بالله أقام المدرسة المستنصرية ببغداد حيث انتهى بناؤها فى ١٢٣٤م، وقد راعى المهندسون أن يكون كل ما تشتمل عليه هذه المدرسة ـ كالحجرات القاعات والايوانات والأروقة ـ محاطاً بإطار من جهاته الأربع . . فى حين يتوسطها صحن

واسع طويل. والمدرسة من طابقين يضم كل منهما عددا من الغرف والقاعات والايوانات مرتفعة بمحازاة الطابقين وهذه المدرسة أقدم مدرسة إسلامية يتم فيها تدريس الفقه على المذاهب الأربعة.

■ *ولكى يتنسم الطلبة ورواد العلم الهواء فقد تم فتح فجوات فى السقف يتسلل منها الهواء رطبا عليلا منعشا.*

ومن *الأثار الاسلامية الرائعة فى بغداد «المشهد الكاظمى» وقد أولاه حكام العراق اهتماما خاصا لأنه مزار أشياع الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه. وهذا المشهد تعرض للفيضانات العديدة مما جعله يتصدع. وقد أقام المشهد الحالى اسماعيل الصفوى فى عام ١٥١٩م وتكرر تجديده مرات.. وأخيرا أضاف السلطان سليم العثمانى منارة جديدة الى منائره.*

■ *ومن مزايا هذا المشهد أن له صحناً واسعاً له عشرة أبواب ويستخدم استراحة للزوار بعد انتهاء الزيارة.. وتقوم حول البناء المخصص للمشهد أروقة ذات أعمدة من جهاته الأربع وهناك قُبَّتان مُذَهَّبتان تعلوان الضريح وأربع مآذن فى الأركان الأربعة.*

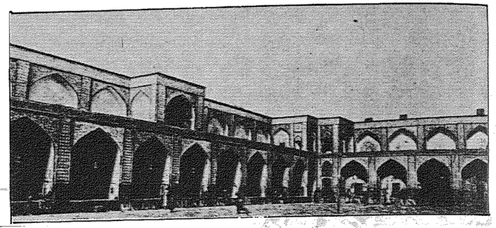
■ *وهناك سور مكون من عدد من الايوانات المزخرفة بالقيشانى يفصل المشهد والضريح عن صخب المدينة حتى يتهيأ الحس الروحى الخالص للزائر كما أن هناك غرفا داخل كل ايوان مخصصة للدرس والتحصيل أو السكنى. وأهم ما طرأ على هذا المبنى من تجديد تبليطه بالمرمر واضافة ثلاثة أبواب من الذهب مطعمة بالأحجار الكريمة.*

مسجد عمرو بن العاص

ومن المساجد التى تتجلى فيها روعة العمارة الاسلامية هذا المسجد الذى بناه القائد عمرو بن العاص بعد فتح مصر سنة ٢٠هـ. ومؤرخو العمارة الاسلامية ليست لديهم معلومات عن الأسلوب الذى بنى به هذا المسجد ويعدونه من المساجد التى أنشئت قبل ظهور حضارتنا الهندسية فى البناء ولكنه تطور بعد ذلك وأدخل عليه والى مصر عبد الله بن طاهر بتوجيه من الخليفة العباسى المأمون توسعات وتعديلات جعلت ظلاته تكاد تتساوى فى العمق ومسقطه أقرب الى شكل شبه المنحرف منه الى المستطيل.

■ ويختلف هذا المسجد عن غيره من المساجد التى يتوحد فيها اتجاه الأروقة وصفوف الأعمدة والبائكات فى الظلات الجانبية فى أن أروقة وبائكات الظلة الجنوبية الغربية - والتى كانت تضم أربع بائكات - تتعامد على اتجاه بقية الأروقة والبائكات فى الظلات الثلاث الأخرى وتحتوى كل من ظلة القبلة والظلة المقابلة لها على سبعة صفوف من البائكات يضم كل منها تسعة عشر عقدا تستند الى أعمدة رخامية مختلفة

الطرز وتتكون الظلة الرابعة من سبع باثكات تضم كل منها أربعة عقود.



● فناء مسجد عمرو بن العاصى بالقاهرة.

■ ومن بين العناصر المعمارية الاسلامية الواضحة فى بناء الجامع (العقود المدببة التى تتجلى فى عقود النوافذ بجدار القبلة وكذلك الحنيات الغائرة فى بعض الجدران من الخارج.

ولم تكن العمارة الاسلامية مقصورة على المساجد والمدارس والقصور وانما انتظمت جميع الأغراض التى يستخدمها المسلمون مثل المستشفيات والخوانق والأسبلة والكتاتيب وأحواض الشرب والحمامات ووكالات التجارة والقلاع والرباط.

■ وقامت الفنون الاسلامية فى العمارة على كاهل الفنون القديمة فى بادىء الأمر. الفنون التى كانت سائدة فى أقاليم سوريا وايران والعراق ومصر ثم انتشرت فى جميع البلدان الاسلامية وجمعتها وحدة فنية. وقد استفادت فنون العمارة الاسلامية من الفنون المسيحية الشرقية ومن الفن الساسانى فى ايران والعراق ومن الفن القبطى فى مصر ذلك لأن العربى كان يقيم فى خيمته فى الصحراء.. فلما فتح المسلمون البلدان واستقروا فيها أخذوا يقيمون حضاراتهم فاقتبسوا من الحضارات القديمة ولكنهم تفوقوا بعد ذلك وأصبح لهم فن إسلامى ذو طابع خاص متميز عن غيره من الفنون.

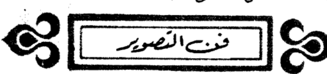
■ وأول ما يشد الانتباه هو أن العمارة الاسلامية فى عصور الاسلام الأولى كانت تتركز بشكل واضح على المبانى التى يقيمها الخليفة حتى غدت قلاعه أو منازله الريفية خارج المدن وقصره الرئيسى فى داخلها دائما المحاور التى تدور حولها مبانى الدولة كلها بل روعى فى اختيار موقع المسجد الكبير أن يكون قريبا من قصر السلطان.

■ وامتازت العمارة الاسلامية بانطلاقها فى سلسلة من حلقات التطور السريع الذى بلغ بها مرحلة التبلور فى وقت يبدو قصيرا جدا اذا قورن بأى طرز من طرز العمارة . . ومن يتأمل تطور العمارة العباسية وامتدادها يكشف فيها عن صورة لتطور المجتمع الاسلامى لا من ناحية تحوله من مجتمع بدوى متنقل الى مجتمع مستقر متحضر فحسب بل عن التطور الذى لحق الأفكار نفسها .

ومن المظاهر اللافتة فى هذا الصدد: عمارة المقابر والمدافن ـ فقد كان المسلمون الأوائل يتجنبون إقامة المقابر . . وما ان أدى واقع الحال الى ظهور المدافن والأضرحة حتى اتجه مشيدوها لتسويغ وجودها الى جعلها تتخذ صورة «مقام» يضم رفات الصالحين فتشيد على أنها مبان ملحقة بمنشآت ذات طابع خيرى للخدمة .

ولعل المملكة العربية السعودية هى البلد الاسلامى الوحيد الذى تخلص من هذه الظاهرة حتى لا تكون هناك وثنية جديدة فى صورة مشاهد أو أضرحة . . جريا على ما كان يتم فى عهد الرسول وعهود الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

■ وتهتم العمارة الاسلامية بالفراغات المحصورة بين الجدران وتستهدف العمارة الاسلامية فى جوهرها مصلحة الجماعة ويتضح هذا فى المنشآت التى أقيمت لخدمة الجماهير فى حين أن بناتها كانوا يقصدون بها فى الأصل كفارة أو تقربا الى الله . . ومن الملاحظ بصفة عامة أن شخصية البنائين فى المجتمع الاسلامى كانت تذوب فى الجماعة بدليل أن المنشآت الاسلامية لم يوقع عليها أحد . . لا المصمم ولا المهندس ولا البنّاء وتدل هندسة البناء على أن الصانع المسلم كان مجددا على الدوام وكان يطور ولا يتوقف عند شكل هندسى معين .



فن التصوير

واذا كنا قد أزجينا بعض نماذج من أسلوب البناء والعمارة فى عصور الاسلام الاولى فانه لجدير بنا أن نسوق فن التصوير الذى كانت تتحلى به الجدران فقد كانت هناك نقوش روسومات ذات رونق وبهاء . . ولعل أقدم هذه الرسومات قد اكتشف فى سوريا اذ عثر على استراحة فى الصحراء فيها حمام كان قد بناها الخليفة الوليد الأول حوالى سنة ٧١٢م . وسقف هذه الاستراحة والأجزاء العليا من جدرانها تزدان بكثير من الأشكال الزخرفية الرمزية والمناظر التى تمثل الحياة اليومية وصور الحيوان والنبات . . وهى جميعها مرسومة بأسلوب «هلنستى» . . بيد أن بها خليطا من التعبيرات الايرانية والهندية .

ولكن في العصر العباسي يبدو التأثير الايراني واضحا على الرسوم الحائطية في قصر بسامرا يرجع الى القرن التاسع . ومن أطرف هذه الرسوم ما وجد بجناح الحريم وتضم مناظر راقصات وموسيقيين وحيوانات وطيور ورسمت صور الأشخاص والنباتات فى هذه المناظر وفقا للتقاليد الفنية الساسانية . . غير أن الألواح الخشبية التى عثر عليها فى هذا القصر تحوي رسومات بحتة ذات أسلوب إسلامى خالص يشبه أسلوب زخارف سامرا الجصية .

ظلال



جائزة الملك فهد . . للعمارة الاسلامية

التراث الاسلامى فى كل مجالاته مكان اهتمام المسؤولين لما له من قوة دفع لحياتنا الحاضرة والمستقبلة وعلى هذه القاعدة تأتى توجيهات جلالة الملك فهد بتخصيص مبلغ (مائة ألف دولار أمريكى) جائزة لأفضل مشروع معمارى إسلامى . . وعليه قررت لجنة التراث الاسلامى اجراء مسابقة عامة بين الهيئات والجهات المتخصصة لاختيار افضل المشاريع .

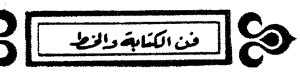
■ وهناك مدرسة للرسوم الحائطية الاسلامية ازدهرت فى مصر فى العصر الفاطمى ويرجع تاريخها الى القرن العاشر وهذه الرسوم محفوظة الآن بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة . . وتتكون زخارفها من حنيات ذات رسوم هندسية متشابكة وتفريعات نباتية من المراوح النخيلية والتوريق وأشكال طيور وصور أشخاص جالسين يحملون كؤوساً فى أيديهم . كما كانت هناك مدرسة لتزيين الكتب بالصور فى العصر الفاطمى اذ يروى أن مكتبة الخلفاء الفاطميين كانت تحتوى على عدد كبير من المخطوطات الزاخرة بالصور.

ولو انتقلنا جانبا ـ فى مجال فن التصوير ـ الى العراق لوجدنا أن هناك كتبا مصورة أغلبها ترجمات لقصص للشاعر الهندى «بَيْدَبا» ومؤلفات يونانية فى علوم النبات والحيوان والطبيعة والطب. ومن الكتب المشهورة التى أقبل مصورو المدرسة العراقية على تحليتها بالصور: كتاب «مقامات الحريرى» الذى يقص مغامرات الحارث ابن همام وأبى زيد السروجى.. وصور هذه المخطوطة بديعة رائعة وتحوى رسومات آدمية كبيرة تذكرنا بالنقوش الحائطية وتصور مناظر الحياة الاجتماعية تصويرا واقعيا فنرى فيها عرب القرن الثالث عشر وهم فى المسجد أو الحقل أو الصحراء أو الخان أو المكتبة كما نراهم يحتفلون بأعيادهم المختلفة ووجوه كثير من أشخاص تلك التصاوير غنية بالتعبير.

ومن بين المخطوطات المصورة التى ذاعت شهرتها فى القرن الثالث عشر كتاب «كليلة ودمنة» وقد احتذى المصور فى تلك المخطوطة الأساليب الساسانية فى تصوير الحيوانات.. وتؤلف رسوم الحيوانات المختلفة ورسوم النباتات والأشجار البحتة فى تلك المخطوطة مجموعات زخرفية رائعة.

■ ومن فنون التصوير الاسلامية ما خلفته لنا المدرسة المغولية فى إيران والعراق فقد كان اعجاب سلاطين المغول عظيما جدا بالثقافة الصينية والفن الصينى.. وقد تأثر رجال الفن من الايرانيين بطابع الواقعية فى المناظر الطبيعية الصينية كما تأثروا بالأساليب الصينية فى فن التصوير ذاته. وأقدم المخطوطات المصورة المعروفة من العصر المغولى نسخة ايرانية من كتاب «منافع الحيوان» لابن بختيشوع بها رسم نسرين فى منظر برى ـ وكتاب: «جامع التواريخ» للمؤرخ رشيد الدين وقد جمع فيه تاريخ المغول وسرد علاقتهم بسائر الأمم.. ويضم هذا الكتاب صورا لرجال طوال تبدو عليهم مسحة النساك وليس للون فيه الا دور ثانوى.. وهذا الأسلوب مأخوذ عن الفن الصينى.

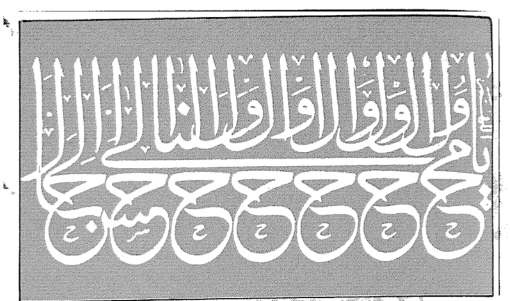
■ وهناك مدارس أخرى لفن التصوير الاسلامى مثل المدرسة التيمورية والمدرسة الصفوية ومدرسة بخارى والتصوير التركى والتصوير الهندى.. وكل هذه المدارس تدل على مدى براعة العبقرية الاسلامية فى التصوير.



فن الكتابة والخط

اهتم المسلمون منذ بداية تاريخهم بفن الكتابة والخط الجميل ونال من تقديرهم أكثر مما نال فن التصوير. وللخط العربى أسلوبان رئيسيان: الأسلوب الجاف وحروفه مستقيمة ذات زوايا حادة والأسلوب اللين وحروفه مقوسة.. أما الأسلوب الأول فيعرف بالخط الكوفى نسبة

الى مدينة الكوفة بالعراق والأسلوب الثانى هو خط النسخ . وقد ظل الخط الكوفى مستعملا



● كتابة زخرفية بخط ثلثي (اللهم يا محول الحول والاحوال حول حالنا الى أحسن حال)

فى شتى الأغراض الكتابية وفى كتابة القرآن الكريم مدة خمسة قرون . . وأقدم الأمثلة المعروفة من هذا الخط من القرآن نسخة وحيدة باقية من القرن الثامن الميلادى محفوظة فى دار الكتب المصرية . . ومعظم المصاحف الباقية من العصر العباسى ترجع الى القرن التاسع الميلادى وهى مكتوبة على الرق بلونه الطبيعى أو الملون بالأزرق أو البنفسجى أو الأحمر وبمداد أسود أو ذهبى وتظهر الحروف الكوفية فيها غليظة ومستديرة وذات مدات قصيرة وجرات طويلة .

■ كما عنى الخطاطون المسلمون بزخرفة عناوين السور زخرفة بديعة وحصر أسمائها داخل اطار مستطيل يتفرع منه شكل شجرة محورة . . وهذه الزخرفة من نوع الزخرفة العباسية التى تحتفظ بعناصر كثيرة من الفن الساسانى كالمراوح النخيلية المجنحة مثلا .

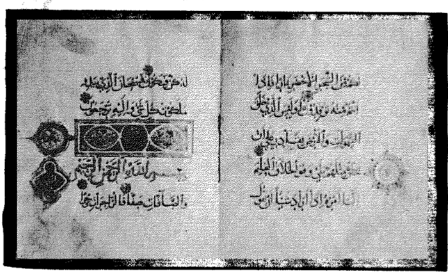
■ ومنذ القرن الحادى عشر قل استخدام الخط الكوفى فى كتابة القرآن الكريم وحل محله بالتدريج خط النسخ . . ونجد فى نسخ القرآن المكتوبة فى أسبانيا وشمال أفريقيا نوعا مغايرا من الخط يعرف بالخط المغربى ويسمى أحيانا بالخط الأندلسى أو القرطبى ويمتاز باستدارة حروفه استدارة كبيرة . . وتطور هذا النوع من الخط فى أسبانيا بعد أن انتقلت عاصمة بلاد المغرب من القيروان فى شمال افريقية الى الأندلس ثم قلت العناية بالخط المغربى فى المصاحف التى كتبت فى غرناطة وفاس فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر . . وقد أخذ المسلمون الايرانيون عن العرب طرق الخط والتذهيب ولكن الخطاطين الايرانيين ابتكروا نوعا من الخط مشتقا من الخط الكوفى العباسى تظهر المدات فيه أكثر من الجرات .

التذهيب

ويوجد فى بعض المتاحف عدد من المصاحف المغولية الجميلة وأشهرها مصحفان : أحدهما فى ليبزج وكتب فى بغداد سنة ٧٠٦هـ والثانى : فى دار الكتب المصرية ويحتوى على عدد من الصفحات كاملة التذهيب وهى تحفة رائعة من الزخارف البحتة . . ويلاحظ فيها أن فراغ الصفحة مقسم فى أغلب الأحيان ـ الى مناطق مزينة بزخارف نباتية أو بوريدات ملونة باللونين الذهبى والأزرق وباللون الأخضر فى بعض الأحيان . . وقد لونت الأرضية باللونين الذهبى والأزرق مما زاد هذه الزخرفة جمالاً .

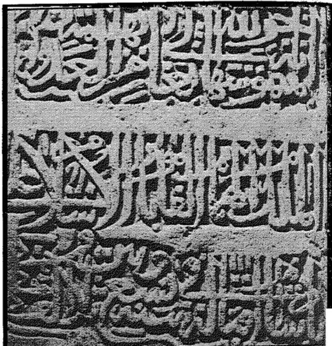
■ ولم يقتصر التذهيب فى القرن الرابع عشر على المصاحف بل انتقل بالتدريج الى المخطوطات المصورة فزينت به مطالع أو خواتيم الفصول أو اتخذ اطاراً يحيط بالصورة ذاتها . . وتطور فن التذهيب فى العصر التيمورى تطورا جعله ذا أسلوب جديد اذ لعبت فيه العناصر الزخرفية الطبيعية من النباتات والطيور والحيوانات الصينية الأصل دورا مهما . وقد تنوع الرقش فى العصر التيمورى . . من ذلك نوع لونت فيه الزخرفة باللون الذهبى وحددت بالأسود . . ونوع آخر اقتصر فيه الرسم على اللون الذهبى فوق أرضية زرقاء داكنة . وقد بلغ فن تذهيب المخطوطات فى العصر الصفوى فى القرن السادس عشر من الغنى والروعة قدر ما بلغه فى العصر التيمورى .

تذكر عنى المسلمون بالكتابة والخط الجميل وتذهيب بعض صفحات المخطوطات فقد عنوا أيضا بفن تجليد الكتب حفظا لها من التلف واستخدموا طرقا شتى فى زخرف جلود الكتب . . من ذلك أن يضغط الجلد أو يختم بالذهب أو بدونه . وأقدم جلود الكتب المعروفة فى العصور الاسلامية صنعت فى مصر فيما بين القرنين الثامن والحادى عشر .



● مخطوطة تمثل صفحات القرآن الكريم مرقومة بالخط النسخ فى عام ٨١٣هـ/ ١٤١٠م .

وقد تطور فن تجليد الكتب فظهر نوع منه فى ايران فى القرن السادس عشر يلاحظ فيه زخارف مضغوطة ومُذَهَّبة تمثل الطيور والحيوانات فى مناظر برية تذكرنا بالأسلوب الطبيعى الذى أتبع فى فن التصوير فى العصر الصفوى . . كما صنعت فى تركيا جلود بديعة إتبع الصناع فى عملها ـ الى حد بعيد ـ نفس الأساليب التى اتبعت فى ايران . .



● نموذج من الخط العربى القديم المنقوش فى الصخر .

فن النحت

وفن النحت يعود بنا مرة ثانية الى فن المعمار لأنه مواكب له وملتصق به . . وقد أبدع النحاتون المسلمون ابداعا لا مثيل له بل تجلت عبقريتهم فى هذا الفن الى حد بعيد . وفن النحت على الحجر والجص والخشب بدأ فى العصر الأموى واستمر بعد ذلك فى جميع الانشاءات الاسلامية عبر القرون مع ادخال تجديدات عليه . . وقد أشرنا فى بداية هذا البحث الى ما كانت تتحلى به العمارة الاسلامية من نقوش وزخارف مثل أوراق النبات ومراوح النخيل والطيور والحيوانات حيث لعب فن النحت دورا مهما فى الزخرفة الداخلية والخارجية . . وقد إستخدم الجص استخداما واسع النطاق فى العصر السلجوقى وكانت الزخارف متقنة الى حد كبير . . أما موضوعاتها فمناظر الصين وحفلات البلاط وصور الأمراء على عروشهم ومن حولهم الموسيقيون والندماء وأفراد الحاشية . .

---

١ ـ الفنون الاسلامية : تأليف م . س . دمانة ـ ترجمة أحمد عيسى .
ـ العمارة الاسلامية فى مصر : تأليف كمال الدين سامح .
ا ـ القيم الجمالية فى العمارة الاسلامية : تأليف . . ثروت عكاشة .

حين أمسكت القلم لأكتب تحت هذا العنوان تبادر الى ذهنى عدة معان لكلمة تراث أورد منها المعنى الضيق الذى يتبادر الى أذهان الناس والذى يصرف كلمة التراث إلى ما كان بالألسن العامية الدارجة لأن الناس فهموا من اضافة كلمة شعبى والتى تلازم كلمة تراث أنه ما عاد على سواد الناس من العامة وممن يقترب منهم من قريب أو بعيد.

بينما كلمة.. «**تراث شعبى**» تعنى بمعنى أوسع كل ما صدر من الشعب من أفكار وأعمال فى أزمنة متباعدة كثيرا ما يكون الواقع السائد قد تجاوزها ولكن قيمتها أنها تظل فى التداول بصورة مشتركة لعامة الشعب أى الطبقه الشعبية والمثقفة معاً.

ومعنى هذا أن للشعب نوعين من التراث:

■ **تراث منقول بالطرق الرئيسية وهى الكتابة والتدوين وفق مناهج البحث المتعددة.**

■ **تراث منقول بالتداول تتطلب الضرورة العناية به وتدوينه ودراسته لأن بعض ما فى التراث الشعبى يثرى الحاضر بنوع من البلاغة الدارجة عن طريق الأمثلة والرواية والحكاية والشعر.**

والأدب الشعبى يتجاوز التحديد الضيق لاشتماله على أفكار الناس وعاداتهم واسلوبهم فى الفهم.. هؤلاء الناس هم السواد الأعظم من الأمة.. وهو الأدب الذى عرفه اهله ممن لم تطبعهم الحضارة بسمة خاصة تجعل صاحبها غير منحاز إلى الجمهرة الواسعة.

إن تراث الآباء والأجداد يحتاج الى تقنين جيد وبحث دقيق وبذل الكثير للمحافظة عليه وابقائه فى أحسن صورة أمانة فى أعناق أفراد الشعب جميعاً.

ولا تنكر تلك الجهود التى تبذل فى سبيل ذلك وأقرب مثال تلك «القرية الشعبية» التى أقيمت فى الرياض والتى عرضت فيها نماذج مختلفة من تراثنا الشعبى منذ فترة وجيزة.

■ ولكننا مازلنا نقول ان تراثنا بشقيه اليدوى والفكرى بحاجة ماسة للحماية من زحف الحضارة القاسى عليه.. خاصة ونحن نرى السعى الحثيث وراء كل حديث وجديد من حولنا.

فإلى أين تراثنا يسير؟.

ومن هدى هذا الاستفسار.. ومن خلال هذه الاعتبارات.. وبمنظور مكانى مقيد.. ينطلق حديثنا الى الارض موطن الكائنات.

وحتى لا يتبادر الى الذهن (الارض) فى اطلاقها وبكل ابعادها.. اسبق لأحدد واحصر حديثى فى «**الارض من خلال التراث الشعبى**» (لفلسطين).. فالارض بالنسبة لشعب طريد مشرد تنعكس ظلالها على ابعاد رؤاه الادبية والشعرية فى منظوره التراثى مما حفظته لنا الاجيال.

■ وان كنا قد تساءلنا فى عنوان هذا المقال (**تراثنا الى أين..؟**) فإنَّا نجتزىء منه هذا الجزء العزيز لنقلب حوله صفحات التراث..

الأرض الفلسطينية: التربة حمراء كخليط الدم والعسل.. وسوداء لكن كلون فتاة سمراء هيفاء جميلة.. وحصماً أو جرول عند البحر.

■ الأرض تزرع غالبا بالحبوب والفواكه والخضار.. والحصما أو الجرول تزرع غالبا أيضا.. وحتى السوافى وهى كثبان الرمال البيضاء القريبة من شاطىء البحر تزرع بالعنب والتين والجميز والتوت ونخيل البلح والجوافة على سفوحها وليس على قممها.. ويتباهى الفلسطينيون بتسلق أعلى غصون الجميز «أي الطناطيش» (جمع طنطوشه).. وفى أمثالهم عن نضج عناقيد العنب «**فى آب اقطع القطف ولا تهاب**».

ويقولون فى فضيلة التأنى والصبر «**اصبر ع الحصرم بتاكله عنب**».. ويحترم الفلسطينى شجرة الزيتون ومن الأغانى الملتصقة بالزيتون قولهم:

هذا الزيت من الزيتون
اللى شرب من مية كانون

ومثل:

عريسنا يا زيتونة
والزيت ينقط منه
وعريسنا واحد
يارب كتر منه

الأستاذة فاطمة النجار

وفى فلسطين تعتمد الارض على المطر وتعطش وتتشقق إذا تأخر عنها وعندما يتأخر المطر اكثر . ويفشل موسم زراعة الحبوب يقولون **«إن السنه سنة محل»** أى أنها أمحلت . ومن الأمثال الشعبية المتعلقة بذلك قولهم **«إن أقبلت باض الحمام على الوتد وان أمحلت داس الكلب على الأسد»** .

■ *وقد اقترن اسم الفلاح باسم الارض فى فلسطين واقترنت بها أغاني العمل الكثيره من تراث الشعب ومنها أغانى المواسم الزراعية كأغانى الحراثة والحصاد وقطف الزيتون والبرتقال ومن هذه الأغانى:*

يا غزيل على الجسر
يمغط مغطة النسر
يا بنيه بالله نسرى
عالبراد قبل الشوبا

وهذه الأرض قد عبر التراث الشعبى الفلسطينى عنها اجمل تعبير متمثلا ذلك فى كلمة «ارض» و«وطن» و«تراب» . . وأحيانا عبر عنها بالمدن والقرى أو المواقع الفلسطينية . . كما عبر عنها فى احيان اخرى بذكر الجبال والأودية والديار والدار والشجر . . وفى كل تعبير تبدو الشعلة الوهاجة التى قادت الانسان الفلسطينى الى درب العمل والبناء والمعاناة والصمود والكفاح المستمر والنضال الطويل .

تقول الاغنية الشعبية :

والله لا زرعك بالدار
يا عود اللوز الأخضر
وأنا قلبى محرقنى
ع اللى قيد بالعسكر
والله لازرعك بالدار
يا عود البندوره
وانا قلبى محرقنى
ع اللى قيد بالدوله

ووردت عبارة «الارض» والتراب كثيرا فى الشعر الشعبى ومن ذلك :

● نادى المنادى فى الجليل أرض العرب للعرب . . يا حلالى يا مالى .

كلمات

وعظ «الحسنُ البصريّ» عمرَ بن عبدالعزيز قائلا : أما بعد فإنّ الدنيا دارُ ظَعْنٍ ليست بدار إقامة لها فى كل حين قتيل تذل من أعزّها وتُفقر من جمعها هى كالسم يأكله من لا يعرفه ، وفيه حتفه ، فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمى قليلاً مخافة ما يكره طويلاً .

● شاغورك مالك مثيل وترابك أغلى من الذهب. . يا حلالى يا مالى.

وقد يأتى التعبير عن الأرض بكلمة «بلاد» أو البلاد كما ورد فى الشعر الشعبى مثل:

وبـلادنـا المـشـرقـة واحـنـا الـشـبـاب فـيـهـا
وإن عجـعـج الحـرب بالـبـارود نحـمـيـهـا

■ ويقول المثل الشعبى اعتزازاً بتراب الوطن «**من طين بلادك حط ع خدادك**» ومن الأمثال أيضا «**زوان بلادنا ولا قمح الصليبى**». . وعن التعبير عن الارض بالديار أو الدار يقول الشعر الشعبى:

يا دار يا دار إن عدنـا كما كنـا
لأطـلـيـك يا دار بعـد الـشـيـد بالحـنـا

■ ويعبر الشعر الشعبى عن الأرض بالجبال أو الجبل مثل ذلك:

ومـسـجـل يا قرن الـعـشـريـن
ع الـلـى جـرى بفـلـسطـين
تلـت سنـين بالـلـيـالـى
ما تمنـا بالـعـلالـى
واحـنـا بـروس الجـبـال
للحـرب مسـتـعـديـن



جامعة الملك سعود لها دور فى ابراز ما كانت عليه الآثار العربية والإسلامية فى العصور القديمة وبالتأكيد فإن اهتمام الجامعة سيكون اكبر لأنها ترغب فى ابراز هذا الدور ونحن ندعم الاستمرار فى البحث والتنقيب.

د. منصور بن ابراهيم التركى



■ وربما جاء التعبير عن الأرض بشجرة الزيتون المباركة:

«**نموت واحنا واقفين واتعلموا من الزيتون**»

وقد ارتبط ذلك كله بشموخ الصمود والتضحية المتجذرة فى الشعب الفلسطينى. وفى الصمود وردت أمثال شعبية كثيرة مثل «يا ماخروف سبق امه على المسلخ» ومثل «شو بده يعمل هاالريح مع هالبلاط» ومثل «اللى بيدحرج التسعة والتسعين بيدحرج الميه» ومعناه ان المتعرض للأذى المستمر لا يكترث بالمتاعب اللاحقة. . ومثل «حط راسك بين الروس وقول ياقطاع الروس. . ويقولون «مافى دخان بلا نار».

نـــدوة المنهل

حول التراث و الحضارة

حول مستقبل اللغة والتراث.. والصيغة الحضارية لعالم الاسلام.. انتظم الحوار على مائدة «المنهل».. كان حوارا ثريا ثراء الفكر الاسلامى وسهلا سهولة المعطيات الاسلامية البعيدة عن التعقيد وفى وقت واحد امتزجت كل الأصوات محددة نقاط البدء.

بدأ الدكتور احمد الحفناوى حواره فى هذه الندوة مع علمين كبيرين قائلا:

«لا شك فى أن هناك يقظة اسلامية وأن هناك أملاً يتحرك على استحياء ويحرك الناس الى العمل:

■ هناك من يفهم روح الاسلام.. وهناك من يقف عند سطوره الظاهرة..

■ هناك عشرات الكتب الجادة التى تلقى الضوء على التحديات التى تواجه المسلمين.. وهناك عشرات الخرافات التى لم تزل تعوق حركة المسلمين.

■ هناك من يرى أن قضية المسلم أن يواجه تحديات الحضارة المعاصرة ويصنع حضارته هو لكيلا يعيش عالة على حضارة الغرب.

نحن اذن أمام اجتهادات تتحرك وتفيض بالتناقضات وربما بالصراعات الداخلية وربما الخارجية أحيانا.

وثمة إشارات واضحة الى بداية مخاض اليقظة الاسلامية وهى يقظة نخطىء اذا اعتقدنا أنها وليدة الاعوام الاخيرة وحدها فقد بدأت هذه اليقظة ـ فى الحقيقة ـ منذ خضعت بلادنا الاسلامية للاستعمار الأجنبى الذى لم يترك لها الخيار الا بين:

(١) أن تواجه السلاح بالسلاح.

(٢) أو أن تطبق النموذج الغربى بكل ما يحمله من متناقضات مع موروثاتها.

مع الاستاذين محمد عبد المنعم خفاجي عبد العزيز شرف

أعدها وشارك فيها دكتور أحمد الحفناوي

ومن هذه الفترة.. بدأ تيار اليقظة:

كانت بدايته بالحركة الوهابية فى نجد.. ثم السنوسية فى الشمال الافريقى.. ثم المهدية فى السودان.. ثم تيار الجامعة الاسلامية «الأفغانى ومحمد عبده.. فبعض التيارات الاسلامية فى مصر.. وتيار الجماعة الأسلامية (المودودى) وكانت النتيجة أن جاء «تيار الرفض الكامل للواقع».. الذى بدأنا نحس نفوذه فى بعض من شباب المسلمين.

وفى رأينا.. أنه قد حان الوقت للمفكرين والمثقفين والمستنيرين أن يزيدوا جهودهم من أجل التنوير فهناك من يبحث عن صيغة تصلح لنهضة اسلامية شاملة فى هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا الاسلامى المعاصر حتى يجيىء الميلاد بأقل قدر من الألم وقد كثر الحديث حول التراث وصلاحيته فى أن يكون جزء من هذه الصيغة.. وتعددت الرؤى والمواقف خاصة وأن تراثنا المجيد كان له دوره البناء فى صنع معالم الحضارة الانسانية فى جوانبها المختلفة.

ومن هنا كانت ندوة «**المنهل**» فى القاهرة وكان ضيوفنا علمين من أعلام الحركة الفكرية والثقافية هما:

■ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى: رئيس رابطة الأدب الحديث فى القاهرة وعميد كلية اللغة العربية الأسبق.

■ الدكتور عبد العزيز شرف: نائب رئيس القسم الأدبى فى صحيفة «الاهرام» القاهرية والأستاذ الجامعى المعروف.

اننى أرحب بهما كل الترحيب.. كما أرحب بالسادة والسيدات الذين حضروا وشرفونا فى هذه الليلة من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ من الزملاء ورواد الجمعيات الأدبية.

والواقع ان هذه الندوة تحفل بالعديد من الموضوعات التى نود طرحها على الأستاذين الفاضلين ولعل الموضوع الذى يفرض نفسه علينا ـ أولا ـ لطرحه هو:

● أى المعانى أولى بالمسلمين أن يتدبروها من أحداث الهجرة النبوية الشريفة؟.

* د. خفاجى:

بسم الله الرحمن الرحيم:

السلام عليكم جميعا.. فان أعظم الذكريات وأقوى الأحداث التى كانت سببا فى اشراق الحق هو الهجرة التى قام به الرسول ﴿ﷺ﴾ وصحبه رضوان الله عليهم جميعا من مكة مهبط الوحى الى المدينة رباط العزة.

لقد كانت الهجرة.. هجرة قلوب قبل أن تكون هجرة أبدان.. ولقد نوّه القرآن الكريم بالهجرة واعتبر مصير من تخلف عنها ـ مع قدرته ـ مصير من ترك الفروض الدينية **﴿إنَّ الذين توفَّاهُم الملائكةُ ظالمِى أنْفُسِهم قالوا فيمَ كُنْتُم قالوا كُنَّا مستَضْعَفين فى الأرضِ قالوا ألم تَكُنْ أرضُ الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءتْ مصيرا﴾**.

والهجرة ـ فى واقعها ـ ضم للعناصر المجاهدة بعضها الى بعض فهى تكتل تنجح به الأمم وتقوى وهذا من المعانى الحية التى يجب على المسلمين أن يفيدوه منها حتى يكونوا جميعا كتلة واحدة تقيم الحق على قواعد مستقرة.

لقد كان من نتائج الهجرة أن صدّ الناس عن الشر الى الخير ونبذوا عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن وهذا من المعانى التى يجب على المسلمين أن يفيدوه من تكتلهم لأن هذا التكتل سيساعد على نشر دين الله فى العالمين.

■ ولقد بنى الأجداد أمجادهم على اساس من الايمان بفكرتهم حرصاً على عقيدتهم وفهماً لضرورة الوحدة فيما بينهم.. وكانت الهجرة الى المدينة هى الانبثاق الذى انساح به الاسلام فى أقطار الدنيا يحقق للانسان أحلامه فى الأخوة التى يقوم عليها العدل والحرية التى تخصب الملكات.

* د. الحفناوى:

لا شك فى أن هذه المعانى التى تطرق اليها أستاذنا لهى معانٍ جليلة

أرساها الرسول ﴿ﷺ﴾ بمؤاخاته بين المهاجرين والأنصار فى المدينة . . ثم قواها بفتح مكة . . ثم أعلاها الخلفاء الراشدون فأصبحت السيادة للدين لا للنسب .

* دكتور شـــرف :

أعتقد أنه ليس من الحكمة فى شىء أن يظل المسلمون على اختلافهم دون عمل يوحد الصفوف ويجمع القلوب ولو أننا نجحنا فى استمرار دفع روح التقارب بين المسلمين لاستطعنا أن نحقق كل الآمال .

* دكتـور الحفناوى :

فى الساحة الاسلامية الآن وعلى امتدادها نسمع بعض اجتهادات حول صيغة تحقق النهضة لدول الاسلام ولهذه الاجتهادات مواقف مختلفة من التراث . . ولا شك فى أن كلمة تراث كلمة عامة فيها بعض الغموض وتحتاج الى جلاء . . نأمل توضيح هذا المعنى وتحديده .

● د. خفاجى فى ندوة المنهل



* دكتور خفاجى :

التراث فى أخص تحديد له هو كل موروثاتنا من مبادىء حضارية ونصوص ووثائق خطية وكتب ألفها الأقدمون ولوحات فنية . . الخ .

ولقد تعرض التراث لحملة مخططة من الاستعمار وأنصار التغريب باثارة الشبهات حوله ورميه بالانتقاص بهدف واضح هو قطع حاضر هذه الأمة عن ماضيها مدعين أن سبيل النهضة هو تجاهل هذا الماضى الذى ذهب ومات . .

* دكتور شـــرف

●● ومن الحق أن يقال ان تراثنا يتصل بواقعنا وأنه حى ومتحرك فى مجال الحياة والمجتمع لم ينفصل ولم يتوقف ثم هو فضلا عن ذلك أساسا من الأسس الرئيسية للحضارة العصرية والفكر البشرى فقد ساهم فى اعطائها المنهج التجريبى ومذاهب فى الاجتماع والسياسة وعلم النفس والتربية . . لقد وضع الغرب يده على تركتنا التى هى أثمن تركات الأمم وأصبحنا نحن وكأننا نستعير منه ونلتمس . .

* دكتور الحفناوى :

ان هذا الذى سمعناه يدعونا الى أن نسأل :

● لماذا يرى البعض أن الرجعة للتراث رجعة الى الوراء أو قفزة فى فراغ ؟ .

* دكتور خفاجى :

لأنهم لا يفهمون التراث فهما صحيحا . . ولأنهم لا يشعرون وهم يتحدثون بذلك أنهم يتعارضون مع أنفسهم ومع واقع التاريخ نفسه ومن منطلق النهضة الغربية الأوربية التى استمدت وجودها أساسا من الاتصال بالتراث الهيلينى والفكر الاغريقى واليونانى والرومانى القديم بعد ان انفصلت أكثر من ألف عام . .

* دكتور شـــرف :

●● والغريب أن هذا قد انتهى وتم الانفصال عنه هذه المدة التاريخية الطويلة فى لغة ميتة هى اللغة اللاتينية التى انبعثت عنها لغات جديدة عصرية .

* دكتور خفاجى :

والباحثون جميعا يجمعون على أنه لم تقم نهضة جادة فى أمة ما . . الا وسبقتها دعوة لاستحياء الماضى والانتفاع به والبناء عليه وخاصة اذا كان تراثا فى مستوى التراث الاسلامى المستمد من علوم الاسلام وقيمه .

ولكنهم يريدون هدم شخصيتهم والارتماء فى أحضان هويات «وايدولوجيات» وافدة خارجة عن دائرة وطنهم .

* دكتور الحفناوى :

المشكلة اذن مشكلتنا نحن التى يصنعها لنا بعض أبنائنا ـ أقول بعض أبنائنا ـ الذين تتاح لهم أو يلزمهم أو يتوجب عليهم الاقتراب من الغرب . . دارسين

أو عاملين أو سائحين. . يعودون الينا ويحكون لنا عن الغرب الأساطير. . ثم يفاجأ جماهيرنا بالوجه القبيح من بعض أبناء الغرب فى مثل مقالة خبير أو فيما كتبه عنا جان بول سارتر أو جان كوكتو. . اننى لا أعترض على أن يكتب كاتب أو يقول قائل ما يشاء فأنا مع حرية الفكر. . لكنى أعترض على هذا البعض من أبنائنا الذين يرون أن **«الاختلاف»** عن الغرب هو **«السقوط»** انهم يلهبون ظهورنا بسياط النموذج الغربى وينالون من بلادتنا وجهلنا وتخلفنا. . ثم تجىء الطامة الكبرى أن ينسبوا كل ذلك الى تراثنا. . ناسين أو متناسين أن النموذج الغربى هذا استفاد من هذا التراث وحصله قبل أن يتمكن من هذا الانطلاق المبهر.

* دكتور خفاجى :

ولكى لا تكون الرجعة للتراث رجعة الى الوراء وقفزة فى فراغ فانه واجب علينا أن نقف أمام نصوصه ونحاول تحقيقها وتحليلها وتفسيرها وألا ننزهها عن النقد والتمحيص. .

* الدكتور شرف :

هذا مع ملاحظة أن الثقافة تراكمية وهى تعنى الاستمرار والنظر الى القديم باعتباره لبنة من لبنات التراكم الثقافى.

فاذا قدمنا التراث فى ثوب معاصر وأسلوب معاصر للجيل أمكنه فهمه واكتشاف معدنه. .

* الدكتور خفاجى :

كما نفعل مع الماس حين نكتشفه ونأخذ فى تنقيته وصقله فى أشكال مناسبة للعصر يبدو لنا جوهره النفيس.

* الدكتور الحفناوى :

ان ذلك معناه باختصار هو: أن تحقيق التراث وتنقيته وتقديمه فى صورة مناسبة للعصر انما هو الفهم الحى له الذى يساعدنا على أن نحيا زماننا.

اما الوقوف عند نصوصه وتنزيهها عن النقد فانما هو الفهم الجامد له الذى يضعنا خارج العصر.

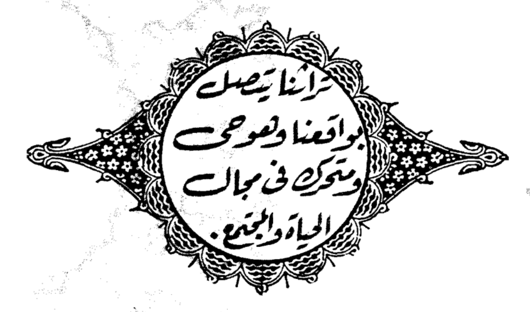
وهذا ينقلنا الى سؤال آخر. . هو:

■ لا شك ان لكل أمة من الأمم ركائز تستمد منها عناصر بقائها ومكونات وجودها وتقف بها

فى وجه الأعاصير وتجابه الأحداث الجسام فما هذه المرتكزات بالنسبة لأمتنا الاسلامية؟ .

* الدكتور خفاجـــى :

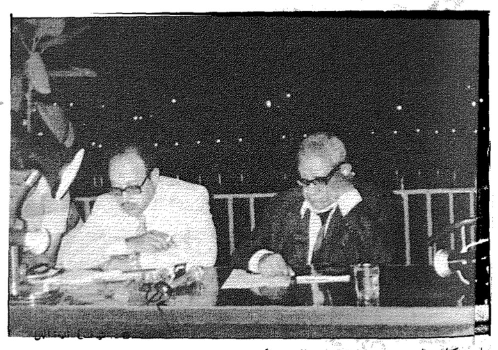
لا يختلف اثنان فى أن هذه المرتكزات هى : الدين واللغة والتراث والحضارة الشخصيـة المميزة . . ونحن أمة تتوفر فينا كل هذه المقومات وتلك المميزات فديننا أسمى الأديان جاءنا بتعاليم وأنظمة مثالية بزت كل الآراء الأفلاطونية والسقراطية كما فاقت كل النظم والشرائع والمبادىء والدساتير الوضعية . وبما أن الدين الاسلامى من مرتكزات أمتنا فان اللغة العربية هى أيضا احدى أسسه الفكرية والروحية ورابطته التاريخية والأدبية فهى لغة تراثنا الفكرى الخالد ومنبع الهامنا ومجدنا التالد بها سجل تاريخنا القومى والعلمى ذلك التاريخ الحافل بالبطولة والمجد المليىء بالعظمة والانتصار .



إن المعرفة بتاريخنا وتراثنا هى التى تغذى فى أبنائنا شعورهم بكيانهم وتقوى تمسكهم بقـوميتهم وتجعلهم يحافظـون على تماسـك الحلقـات التى تربـط ماضيهم بحاضرهم . . فالشعوب يمكن أن تموت اذا هى فقدت ذاكرتها وماذاكرتها الا تاريخها الحافل بأرقى الحضارات . . تلك الحضارة التى هى جزء من كياننا وبعض تراثنا الفعلى لا يمكننا التخلى عنه أو الانتقاص من قيمتـه لأنه يمثل ماضينا كأمة وعظمتنا كشعب وآثار هذه الحضارة لا تزال ماثلة للعيان تشهد بعبقريتنا وتنطق بمجدنا وتدل على ما كان لآبائنا من عقول مبتكرة وذوق رائع فى الفن والجمال والرقى والابداع . . فهذه الحضارة هى مرتكزاتنا القومية والتى تمثل بعض مظاهر شخصيتنا .

إن أى امة من الأمم تحتفظ بشخصيتها الذاتية لا تقبل أن تذوب فى شخصية أمة أخرى مهما كانت هذه الأمة . . تلكم فيما أعتقد . . هى المرتكزات التى تمكن الأمة من الحفاظ على هويتها . . ولهذا فمن الواجب علينا أن نعمل على تقويتها ولنحذر من اضمحلالها أو ضعفها فكل أمة تضمحل مقوماتها الذاتية تنهار قوتها المعنوية وتفقد حلقة الاتصال الملتحمة بين ماضيها أو حاضرها وبالتالى تفقد ذاكرتها .

لقد حرص الاستعمار فى كل بلاد الاسلام على أن يتجه بمعوله الى هذه المرتكزات الأساسية والمقدسات القومية لتحطيمها حتى يتسنى له قطع كل الصلات الروحية والروابط الأخوية والوشائج الدينية والأواصر اللغوية بين شعوب الاسلام وبين ماضيها وبينها وبين بعضها البعض ومن ثم لا يعود المسلم يستوحى العزم والايمان من تراثه القويم أو يجدد



بناء هيكله على ضوء تعاليم دينه الكريم أو يربط علاقاته العرقية والدموية مع اخوانه فى العروبة والاسلام . .

* الدكتور الحفناوى :

لقد كان ذلك ضمن خطة استعمارية مدروسة ولكن الاستعمار لم ينجح فيما دبر له لأن الذين غزاهم بثقافته أصلوه نارا حامية وكانت لهم مواقف وطنية مشرفة سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور . . وان كنا مازلنا نعانى ـ كما سبق أن قلت ـ من بعض الذين خُدِعوا بدعاياته وأعجبوا بسلوكياته الحياتية حتى أن بعضهم نادى : بأن

«لابد من ابعاد التراث عن دائرة العصر» .

. . . والآن ننتقل الى السؤال التالى :

■ *تعتبر اللغة العربية لغة التراث : فكيف يمكن النهوض بها فى وجه اللغات المحلية العامية التى تنتشر بدعم من أعداء الهوية القومية؟ .*

* الدكتور خفاجى :

يمكن النهوض باللغة العربية بتيسير قواعدها للناشئة . . وذلك بتأليف كتب جديدة تشتمل على هذه القواعد وتقريبها الى أذهانهم بالاهتمام بالجانب التطبيقى والتدريبات المستمرة . . على الالقاء والقراءة سواء فى الفصول الدراسية أو الاذاعة المدرسية . .

* الدكتور الحفناوى :

وأعتقد أنه فى هذا المجال يجب الاهتمام بأسلوب التدريس نفسه بحيث يستخدم «المسلمون» أسلوبا عربيا يمكن تسميته اللغة العربية السهلة والمشتركة . . بمعنى أن يبعدوا عن التدريس بالعامية أو اللغة المحلية . ويجب ألا ينطبق هذا على معلمى اللغة العربية فقط بل على معلمى كل المواد المدرسية . مع العناية الشديدة «بالقراءة العربية» بحيث تشتمل على شىء كثير من القرآن الكريم يتلوه التلميذ ليستنتج القاعدة اللغوية من تعامله مع النص القرآنى ولا يخفى أن القرآن الكريم سيفيده كثيرا فى النطق السليم . .

* الدكتور شرف :

ودور أجهزة الاعلام فى ذلك أساسى جدا : فالحرص منها على استخدام اللغة العربية المشتركة فى موادها المذاعة أيا كانت سيؤدى بالضرورة الى انتشار اللغة العربية السهلة وانحسار اللغات العامية والمحلية . . شيئا فشيئا . لقد كانت أغنية واحدة باللغة الفصحى لأم كلثوم تنتشر من المحيط الى الخليج بمجرد اذاعتها وترددها ألسن العديد من العرب . . وبدخول القمر الصناعى العربى الى ميدان الاعلام سيتحقق للغة العربية المشتركة الانتشار والانتصار . فلن يستطيع برنامج من المغرب الشقيق مثلا أن يذاع ويتلقاه عرب المشرق الا اذا كان باللغة العربية المشتركة هذه . . والعكس صحيح . . هذا ما أردت أن أضيفه .

* الدكتور الحفناوى :

فى الواقع أن الأستاذين الفاضلين قد أضافا الى معلوماتنا الشىء الكث

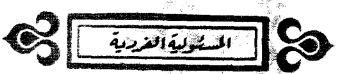
فزادانا علما وادراكا بماضينا التليد وأشاعا فى نفوسنا الأمل بمستقبل أمتنا المجاهدة ويسعدنا أن ننتقل الى السؤال الأخير فى هذه «**الندوة**» .

■ دعانا ديننا الاسلامى الحنيف الى العديد من القيم الانسانية الكبرى وقد تضمن التراث العديد من هذه القيم التى يمكن أن تكون فى صلب النموذج العربى الاسلامى الجديد الذى نبحث عنه ونود توليده .

نأمل من الأستاذين الكبيرين أن يلقيا الضوء على بعض هذه القيم .

* الدكتور خفاجى :

هناك العديد من القيم الانسانية التى تضمنها تراثنا الاسلامى العريق ودعانا إليها الدين الاسلامى الخالد وسنحاول فى هذه الندوة إلقاء الضوء على بعضها . . وأول هذه القيم الجديرة بالاعتبار هى :



فكل فرد مسئول مسئولية مباشرة عن أى شىء يعمله . . انه مسئول عن نفسه ومسئول أيضا عن نصح غيره . . وليس هناك فارق بين الالزام القانونى والواجب الخلقى ولا شك أن عدم وجود «كهنوت» فى الاسلام أى وسيط بين الحق والخلق عزز هذه المسئولية الفردية . . فاحترام الذات للذات هو الأصل وهو لو اقترف ذنبا وبرأه القضاء يظل متهما تجاه نفسه وضميره وفى هذا ما يميز أخلاق أبناء الثقافة العربية الاسلامية . .

التكامل الاجتماعى

* الدكتور شرف

وهو يعنى نبذ الأنانية : فالسلوك الأخلاقى للفرد ليس مجرد علاقة بين فرد وفرد . . الفرد لا يحمل عبئه وحده بل يحمل أعباء المجتمع كله ولا يقتصر هذا على تقديم العون للفقراء والمرضى بل يتجاوز ذلك الى العمل الاجتماعى المشترك لبناء مجتمع متكافل . . على أن أهم مافى هذا المبدأ معناه الانسانى قبل معناه الاقتصادى . . هذه الروح التى يخلقها فى المجتمع بين أبناء المجتمع من «**الدفء**

الاجتماعى» و«الرعاية المتبادلة» وهذا ما تفتقده المجتمعات الحديثة.. فهذه المجتمعات تعانى من «**الصقيع الانسانى**» الذى يغشى حياة الأفراد فلا تواصل ولا تراحم بل سعى فردى لارضاء الشهوات والمنافع الفردية..

* الدكتور الحفناوى :

ولعلنا يمكن أن نذكر والحديث عن التكافل الاجتماعى تلك الأوقاف التى كانت توقف للانفاق على اليتامى واللقطاء وتزويج العزاب.. حتى أن وقف المرج الأخضر فى دمشق كان وقفا على الحيوانات المريضة والعاجزة تظل ترعى فيه حتى تموت.. ولن ننسى وقف «**نقطة الحليب**» الذى وقفه صلاح الدين الأيوبى فى قلعة دمشق حيث كان فى أحد أبواب القلعة ميزانان: أحدهما يسيل منه اللبن والآخر يسيل منه ماء عذب فيه السكر لتغذية الأمهات المرضعات.. رعاية للطفولة.

هذه النماذج لا أقول أنها تصلح للتطبيق فى عصرنا هذا حرفيا ولكننى أذكرها لأدلل على أهمية المبدأ ذاته.. ذلك المبدأ الذى استمد من تراثنا العريق.

* الدكتور شرف :

وانطلاقا من هذا يمكن تصور الصيغ المختلفة لهذا التكافل على أن البعد الانسانى أهم من البعد الاقتصادى لهذا المبدأ. وينبغى أن يكون حاضرا فى الذهن عند توليد أى صيغة لهذا التكافل.. فالرسول الكريم يقول: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

* الدكتور خفاجى :

والآية الكريمة: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾.
والحديث الشريف: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. الخ».

والحرية

* دكتور شرف

بعيدا عن الجدل المصطنع أحيانا حول تغليب الحرية الفردية على حرية المجتمع أو العكس.. فالذى يعنينا توضيحه أن التراث فيه موازنة عادلة بين الحريتين.

الشورى

دكتور خفاجى

وبتقرير الشورى خطا التراث خطوات انسانية لم تكن معروفة من قبل . . وهى تعنى العمل بالرأى الذى ظهر رجحانه بعد دراسته دراسة كافية . . على أن ما يمكن الأخذ به اليوم من صيغ لابد وأن يكون مغايرا للصيغ التى انتقلت الينا عبر التراث والشىء الهام فى هذا المجال هو أن المبدأ واضح لا غموض فيه . . ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ . . ومن الملاحظ أن الشورى فى التراث الاسلامى لا تقتصر على الأمور المتعلقة بالتشريعات وشئون الحكم بل هى تشمل أيضا شورى الأفراد بعضهم مع بعض فى أمور حياتية خاصة بهم . . ولقد قالوا :

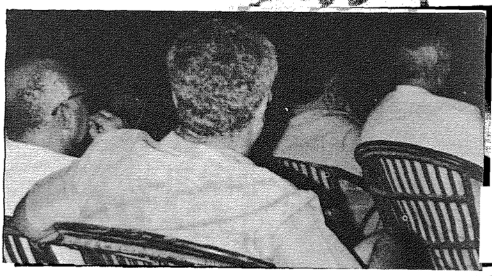
«يظل المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه علم فقد جهل»

تقدير العلم

* دكتور شــرف

فالشواهد التى تشهد على تقدير التراث للعلم والعلماء كثيرة . . **﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ . . ﴿يرفعُ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلمَ درجات﴾ .**

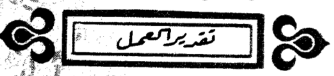
ومن الخطأ أن نقول : ان المقصود بالعلم فى التراث هو العلم الدينى فقط ذلك لأن العلم المقصود هو العلم المطلق . . ويتأكد ذلك اذا ما ربطنا بين ما جاء من نصوص حول التفكر فى خلق السموات والأرض والنظر فى الطبيعة والتدبر والتفكير فى النفس الانسانية .



● جانب من الحضور .

● **وهناك ملاحظة يجب أن نذكرها وهى :**

ان العلم التجريبى فى التراث يجب أن يكون مجرد حافز لنا على أن نعمل بالعلم ونسعى الى تحصيله والانتفاع به وتطبيقه فى مجالات حياتنا وأن تكون لنا تجربتنا الذاتية التى تستفيد من المنجزات العلمية فى كل العالم لو استطعنا . . أما أن نقف عند التغنى بما كان لنا فى الماضى من محصلة علمية فذلك هو الجمود بعينه . . وهنا نأتى الى القيمة الأخيرة التى تحدث عنها أستاذنا الدكتور خفاجى . . وهى



لم يعلمنا التراث الاسلامى الزهد والعزوف عن العمل وانما دفعنا الى السعى فى طلب الرزق . . ﴿**فاذا قُضِيَت الصلاة من يوم الجمعة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فَضْلِ الله**﴾ . . كذلك فقد زجر عمر بن الخطاب المتعبد الذى وجده فى المسجد وقت العمل . . وفى كتاب «**الموافقات**» للامام الشاطبى الأندلسى أن من فرض الكفاية عنده أن يكون فى كل بلد ما يسد حاجته من المآكل والمشرب والملبس والصناعات المختلفة . . ولا يكتفى التراث بأن يدعونا الى العمل ولكن يدعونا الى اتقان ما نعمل : «**إنّ الله يُحبُّ اذا عَمِل أحدُكم عملاً أن يتقنه**» ولا نشك لحظة فى أن هذه القيمة «**تقدير العمل**» من القيم التى تثبت الأيام أننا فى أشد الحاجة اليها لكى ننهض ونحقق ذاتيتنا وسط الأمم . . ان الاعمال التجريبية والتطبيقية والمهنية من الأعمال التى يجب أن يقدم عليها شبابنا المثقف . . «فالعمل» واجادته من القيم الكبرى التى دعانا التراث الى تقديرها.



* الدكتور الحفناوى :

فى ختام هذه الندوة نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين: «**الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى والدكتور عبد العزيز شرف**» على ما أمتعانا به فى هذه الأمسية الجميلة التى ستضاف الى ليالى «**المنهل**» العامرة بالفكر والثقافة.. ونشكر السادة والسيدات الذين شرفونا فى هذه الندوة.. ونسعد دائما بتشريفهم لنا فى ندوات ولقاءات مقبلة.. ان شاء الله.

هذا ويمكننا أن نلخص النتائج التى خرجنا بها من هذا اللقاء المثمر فيما يأتى :

إننا نعيش فى كثير من أوجه حياتنا بمفاهيم نابعة من حياة غيرنا فانفصلنا بذلك عن مصدر أصالتنا وروح تراثنا التى ما تزال حية فى شخصيتنا وهذا ما يسبب لنا القلق والتمزق والتخبط فى حياتنا العامة بين ما هو كائن ولا نرضى عنه وبين ما يجب أن يكون ولسنا قادرين على ادراكه.

لهثنا وراء المثل الغربى.. فماذا حصلنا وما وصلنا؟.. تكونت للنموذج الغربى على أرضنا صورة شائهة مضطربة لا هى هو ولا هى نحن.. ألا يحفزنا هذا إلى أن نجرب شيئا آخر؟

■ لقد أثار انصرافنا عن تراثنا هذه الحقب الطويلة فى نفوس كثير من الناس الفزع والقلق والنفور وحسبوا أن الرجعة اليه وهو على حالته هذه رجعة للوراء ان لم تكن قفزة فى فراغ لأن الرجعة الى الماضى وحده لا تحل قضايانا وطموحنا ولا تسهم فى بناء مستقبلنا.

ولكننا نقول: اننا اذا أردنا التقدم الحقيقى فلابد أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون بعد أن نستوعب ذلك الذى انتهوا اليه.. اننا نرجع الى طريقنا القديم لنواصل السير فى طريق الحضارة لا لنرجع القهقرى مستعينين بثمرات العلم والمعرفة من منطلق قيم حضارتنا حتى نحقق ما حققه الغربيون حين رجعوا لماضيهم بعد أن سلكوا سبيل الحضارة الاسلامية فترة من الزمن.. وبدلا من افتقاد المثل الغربى يكون اعتبار هذا المثل وتدبره وفهمه بلا انبهار ولا خوف.. وبدلا من الاحساس بالخجل من أنفسنا تكون محاولة معرفة حقيقتنا وواقع طموحاتنا.. وبدلا من بناء نموذج غربى على أرضنا يكون بناء وطن لنا يشبهنا ويفى بمطالبنا.

هذا العنوان يطالبنا أولا بأن نعرف التراث فما هو التراث؟ وهل هو محدد بزمن معين؟ .

كتبت

هذا وأنا كلى ثقة بأن معاجمنا اللغوية قد أوفت الموضوع بحثاً، ولكنى فوجئت بأن كلًا من لسان العرب والقاموس المحيط وصحاح الجوهرى لم تذكر مادة (تـرث) وبدأت المادة بكلمة «تفث» وكأن بعضها ينقل عن بعض دون أن يفطن احدهم إلى ضياع هذه المادة رغم ورودها فى شعر هذيل حين يقول قيس الهذلى :

أرى حُثُنــاً أمســى ذليــلًا كأنــه
تراثٌ وخــلَّاه الـصِّـحــاب الصَّــعــائِرُ

التراث هل تفيأنا ظلاله أم هجرنا جنانه

غريب أن تكون هذه الكلمة التى يكثر استعمالها اليوم حتى لتكاد تكون أشيع كلمة فى عالم الأدب فلا تجدهـا حتى فى المنجد وهو معجم حديث يحتوى على مفردات لم تذكرها المعاجم القديمة . على إنى ارتحت ـ ان لم أكن واهماً فيما ذكرت ـ إلى هذه النتيجة فقد عاتبنى احدهم مرة فى ذكر مفردات لا توجد فى معاجم اللغة فاستعملتها فى مؤلفاتى ثقة بلغة أهلى فقلت له : إن معاجمنا اللغوية لم تستوعب كل لغتنا . . وباديتنا لم تختلط بالأعاجم الا فى زمن قريب فما ورثناه عنها لا شك فى عروبته .

المهم : إن التراث هو الميراث الذى تستحقه ومن حقك أن تطالب به وتدافع عنه إلا أنه يختص بالقدم حتى يكون لكل الأمة وفى أقوال قبائلنا : (المقطة ترثة عتيبة» أى بقية جذمهم الأصلى . ويقولون لأحفاد الرجل : (ترثة فلان) أى بقاياه ونسله البعيد.

■ وتراثنا هو ما ورثناه عن آبائنا الأولين من أول ما وصل إلينا كأخبار جُرهم . . وطسم وجديس . . وبنى اسماعيل وغير ذلك . . وكأى موروث فان فيه المفيد وغير المفيد . . وعنوان المقال يقول : هل تفيأنا ظلاله؟ فالمفيد له ظلال وارفة وجنان زاهرة ذات فواكه يانعة أما غير المفيد فهو ما لا يحرص على رعايته وليس له ظلال ولا جنان . وأحسب ان كل امة أصيلة تحرص على المفيد من تراثها وتعض عليه بالنواجز.

فاما الاول فيمكن تقسيمه على النحو التالى ثم تأتى الاجابة بعد ذلكم :

(١) التراث الدينى : وهذا قوام الأمة وروحها وينبوع حياتها فلا روح ولا حياة لأمة بلا عقيدة . . ولا قيم أصيلة لأمة بلا منهج إلهى تعود إليه عند تمييز الجائز وغير الجائز.

وتراث الامة الاسلامية عامة والعربية خاصة الدينى هو كتاب الله وسنة رسوله وهما مرجع وثيق وركن مكين لا ظل لمن لا يستظل بهما وينهل من نبعيهما الصافيين.

(٢) التراث التاريخى: وهذا فيه أصالتنا ومعرفة جذورنا ومنه نستمد العبرة ونعرف ما مر على أسلافنا من افراح واتراح وبه يمكن أن نميز بين صديقنا وعدونا ومن قياس حوادثه يمكن أن نعرف ما نحن فيه وما هو مقبل علينا.. وكيف تعاملنا الأمم الأخرى وكيف نعاملها نحن فهو المرآة التى نرى ماضينا وحاضرنا فيها.. وفيه نرى أصولنا وفروعنا.. ومنه نعرف بلادنا حدودها وأخبارها وامكاناتها البشرية والاقتصادية.. أى أنه المرشد الذى نرجع إليه عند افتراق الطرق وبلبلة المفاهيم واشتداد التيارات المعاكسة.

(٣) التراث الأدبى: الأدب من أرقى ما فاضت به النفس البشرية ورقيه دليل على رقى الأمة ورهافة حسها وتجاربها الانسانية.. ومدى اتساع افقها وتنوع معارفها.



الأستاذ عاتق بن غيث البلادى

والأدب خلق ابداعى يجيش من داخل النفس الخلاقة ولا دخل للصنعة أو التصنع فيه.. فاذا دخلا فيه افسداه.. فهو تعابير وجدانية واخبار انسانية ذات تأثير روحى ونفسى.

والفرق بين الادب والعلم: ان الأدب يخاطب النفس البشرية ويثير كمائن شجونها عواطفها واحزانها وافراحها بينما مهمة العلم أن يظهر الحقائق مجردة بعيدة عن العواطف والرغبات.

من أجمل فنون الأدب:

أ ـ الشعر: والشعر ابداع تفيض به النفس فاذا كان جيدا اهتزت له النفس وهفا إليه القلب وحفظته الذاكرة ولذا يقول الرصافى:

إذا الشعر لم يهززك حين سماعه
فليس خليقاً أن يقال له شعر

وخير شعر العرب ما ورث عن الاسلاف فهو مقصدنا هنا وفيه «مربط الفرس».

أما ما نقرأه اليوم ونسمعه فى بعض الاحتفالات فأكثره هجين مقلّد أو مستورد.

ب ـ القصة: ويتفرع ـ اليوم ـ من القصة: المسرحية.. والتمثيلية.. والقصة القصيرة والقصة غالباً عمل خيالى كالشعر الا أنها لا تبدأ من فراغ فلابد أن يكون فى ذهن القاص حكاية أو اسطورة يستضىء بها ثم يحيك حولها قصته.. وما كان العرب فى القدم يعرفون

هذه القصص المطولة لعدم معرفتهم الكتابة انما كانت لهم قصص متناقلة يمكن حفظها مثل: قصة أبناء نزار.. وقصة دعيميص الرمل.. وزرقاء اليمامة وغيرها.

ج ـ المثل: والعرب تقول: المثل أجزل لفظاً وأوجز حديثاً.. وأصوب للمعنى.. وأسهل للحفظ. ولا نكاد نجد عربياً لا يحفظ فيضاً من الأمثال قديمها وحديثها.. ومن ميزات المثل أنه يكون مخزوناً بالذاكرة فلا يكاد يبرز الا وقت الحاجة وكأن له محركاً ذاتياً أو كما يقال اليوم بلغة الآلة: (أتوماتيك).

فقد تجد شخصا أراد أن يصحح عملاً فافسده فاذا أبسط العامة يقول: «جا يكحّلها عماها» أو يراجع شخص شخصاً فى أمر ملحٍّ بالنسبة الى الأول فيوعده ولا يفى بوعده فيقول له: «فت الشبعان على الجيعان فتّ ونى» والفت: تقطيع الحشيش للبعير أو البهيمة.

والأدب عموماً هو الغذاء الروحى للانسان وبهذا نستطيع أن نقول: علوم الدين غذاء النفس.. وعلوم الدنيا غذاء العقل.. والأدب غذاء الروح.

ولذا نجد أقرب الناس إلى الكمال هم العلماء والمثقفون الذين جمعوا من هذه الأغذية ما قوّم نفوسهم وعقولهم.

(٤) تراثنا من العادات والتقاليد:

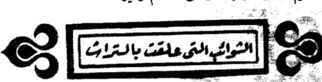
كأ أمة اصيلة عريقة الجذور تتكون لديها عادات وتقاليد تنظر إليها كقانون لا يمكن كسره وهى ليست مكتوبة إلا فيما ندر ولكن يتوارثها الاحفاد عن الاجداد فتكوّنَ لدى الأمة العربية ركام من التقاليد والعادات قد يختلف ـ قليلا ـ من اقليم الى اقليم ولكنه اختلاف بسيط.



● روح العمارة الاسلامية القديمة فى احد حصون سلطنة عمان.

● وهذه العادات والتقاليد منها ما هو نافع مفيد يجب التمسك به والاصرار عليه ومنها ما هو فاسد مرفوض. وتشمل التقاليد الجميلة: الضيافة.. وحسن الرفقة.. وحسن الجوار.. والتعاون بين القرية وافرادها.. والقبيلة فخوذها وخصلها.. والرفد والقرض بلا فائدة وأشياء لا حصر لها.

بينما هناك عادات يجب طرحها بل نبذها منها: التغالي في المهور طمعاً . وزواج الشغار المحرم.. والثأر والحمية في الظلم وغيرها.





إن أهمية التراث العربي ترجع لكونه يمثل ثروة ضخمة من العلوم والفنون والآداب قامت عليها في الماضي حضارة انسانية انتشرت وانتشر معها الاسلام واللغة العربية.

«ابراهيم الابياري»



إن تراثنا كالذهب وهو قطع نفيسة لا رديء فيها الا ما أدخل علينا أو املته نفوس ليست خيرة.

وباضطلاع العرب بالدعوة الاسلامية ودخول الأمم في الاسلام واختلاف الحاكمين وتباين مراميهم توغل من دس علينا ما ليس لنا. ومن أهم مَنْ أثر في تراثنا تخريباً الفئات التالية:

(١) أنصار الفرق السياسية:

فقد انقسم الناس في عهد علي ـ كرم الله وجهه ـ ومعاوية وكثرت أحاديث العداء من كل ناحية.. وروى شيعة علي عن أمراء بني أمية مالا يصدقه عقل ولا يستسيغه منطق.. وجاءت دولة بني العباس فكان العداء بينها وبين من انفصل عنها من امارات.. فكثرت الشائعات عن هذا وذاك وتلقفها الكاتبون فدونوها كتاريخ يقرأ فلصق بنا مادون لأن نفيه ـ علمياً ـ غير مقبول.

(٢) الشعوبيون:

هال الأعاجم الذين دخلوا في الاسلام ـ طوعاً أم كرها ـ ما صار للأمة العربية من رفعة شأن ومنزلة في الاسلام لا تداني فأخذوا يعيبونها بما فيها وما ليس فيها. وقديماً قيل: الخصم اذا لم يخف الله بهت.

وشاعت أو شيعوا أموراً عن العرب لم يحصل بعضها ولم يعرفها العرب الا أن تكون أموراً نادرة.. والنادر لا حكم له.

(٣) الواضعون والرواة:

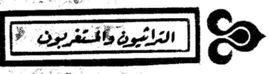
عندما انتشر تدوين الحديث والسير وبدىء بتدوين دواوين الشعراء العرب تعالم البعض

فوضعـوا ما وضعـوا من الأحاديث النبوية فتصدى لهم العلماء الصادقون ففندوا ما وضعوا ووضعوا مصطلح الحديث وهو ميزان صحيحه من موضوعه.

وتكسب الـرواة بروايـة التأريـخ والشعر فدسوا لهذا حادثة ولهذا قصيدة عرف بعضها وغمض بعضهـا وان كانت ليست ذات أثر ايجابى على تراثنا.. فالموضوعات الشعرية أو المشكوك فيها تعتبر قطعاً نادرة فان لم تكن للشاعر المنسوبة إليه فهى لشاعر عربى مجيد ولذا فقد اصبحت جزءاً من تراثنا.

(٤) الفرق الضالة:

خرج من المسلمـين عدد من الفـرق الدينية تنحو كل فرقة منحى خاصاً فادخلت عادات وشعوذات ما انزل الله بها من سلطان.. يجب التنبه لها واطراحها من التراث ولا أقول هذا بمعنى حذفها مما هو مكتوب فهذا أمر يسىء إلينا أكثر مما يحسن.. إنما بالتنبيه عليها ودعوة الناس الى اجتنابها وتفنيد مضمونها.



اذا كان السواد الأعظم من الامة العربية والاسلامية متمسكاً بالتراث ومنه يستمد الدفع إلى مساره الصحيح فهذا أمر طبيعى تتصف به كل الشعوب الأصيلة الضاربة بجذورها فى اعماق التاريخ. غير أن هذه الامم تواجه هجمة يقودها جيل من ابنائها مسلحون بعلوم الغرب التى ارادوا تطبيقها كاملة دون تبصر وترو.. ودون النظر فيما يصلح لهذه الأمة وما لايصلح.. انما بهرهم ما هنالك من تقدم علمى وحضارة راقية علماً بأن تراثنا لا ينافى التقدم ولا الحضارة بل هو نتاجهما معا عندما كانت لنا الريادة والقيادة.. وعندما كانت مدننا منارات علم وهدى. غير أن اولئك الأخوة تلقفوا من بعض المستشـرقين اقوالاً مدسوسة على التراث فقالوا ـ مثلا ـ إن اللغة العربية لا تستطيع استيعاب العلم الحديث.. وهذا قول مردود ومن ابسط البراهين عليه أن سورية طبقت التعليم باللغة العربية حتى فى الطب والهندسة.. وها هم اطباؤها يعملون فى أرقى المستشفيات الألمانية وقد يتفوقون. وادخلوا فى المناهج مالا يلائم جيلنا ديناً وعادات وأصالة وتزعموا فى كثير من المؤسسات وسائل النشر فهم ما هم باثون دون حسيب أو رقيب.. فخربوا فى الشعر.. وغيروا نهج العرب فى الأدلة بما لا يتقبله العربى فتجد ـ مثلا ـ هذلى ـ صالح محمد بينما تقول العرب: صالح بن محمد الهذلى وهى جملة تستسيغها الاذن وترغبها العين.

■ غير أن أمرين يخففان وطأة هذا المنحى

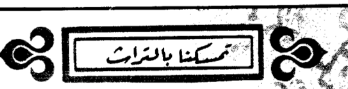
أولهما: ان الغالبية العظمى من الناس لا تساير هؤلاء وان تقبلت بعض أعمالهم كفرض مفروض يعوذه الدليل والاستدلال.

وثانيهما: إن هؤلاء المستغربين يعود كثير منهم الى الصواب بعد مضى سنوات بحكم اختيار عادات قومه وتقاليدهم ورجوعه إلى موروثهم يسمعه ويقرأه فاذا هو يحمد الله أن جعله من هذه الأمة رائدة الخير ﴿خير أمةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ﴾.

ظلال



مكتبة الحرم المكى الشريف احدى مصادر الاشعاع العلمى والفكرى.. تقدم خدماتها للعلماء وطلاب العلم وتيسر لهم ما من شأنه ان يسهل لهم مهمتهم العلمية.. هذه المكتبة بها ما يربو عن أربعين ألف كتاب وألف دورية وخمسة آلاف مخطوطة وألفى ميكروفيلم.. وفيها من المخطوطات ما يرجع تاريخها الى القرن الخامس الهجرى وما بعده.



من كل ما تقدم لا شك انك ـ أخى القارىء ـ علمت مدى تمسك أمتك بتراثها والعض عليه بنواجزها.. واننا والله نتفيأ ظلاله ونستمتع بجنانه ونقطف منها الفواكه اليانعة ونشم فيها الأزاهير الفواحة.. ونعب من انهارها ونهيم فى وديانها وغاباتها.

وهذا هو حال جل الأمة إن لم يكن كلها. وحماية التراث والذود عنه وتنقيته واجب من واجبات القادرين.. وبعثه فضيلة يؤجر المرء عليها ويبلغ بها أعلى الدرجات فى الدنيا والآخرة.

وإن الذين يأتون هذا التراث من خلفه أو يستخفون به أو يحاولون النيل منه يكفيهم جزاء نظرات الأمة إليهم وصدوف الناس عن فكرهم وآرائهم.. حتى ان شهرة بعضهم أصبحت تشهيراً.. ومكانته أصبحت سمة للنشاز فكفاه ذلك هواناً.

نتيجة تمسكنا بالتراث

حافظت الامة العربية والاسلامية على مر العصور على ما ورثته من قيم وعلوم وإن دخل عليها بعض ما يشوبها كما أشرنا سابقا فهذا ليس من صنع الامة.. فاذا كان لكل ساهر غفوة فقد غفت هذه الامة بعض الوقت بينما كانت يداها متشبثتين بتلك القيم وبقايا الأمجاد ونتيجة لذلك حصدنا:



التراث الخليجى فى اليابان

لكل شعب من الشعوب تراثه وميراثه الثقافى الذى يفخر ويعتز به.. وفى هذا الاطار كان المهرجان الثقافى والتراثى الذى اقامه شباب مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى اليابان.. وغصت معارضه بالفنون التشكيلية ورسوم الاطفال والصور الفوتوغرافية ومعرض التراث الشعبى.. واستطاع المهرجان ان يقدم التراث الخليجى فى ثوب رشيق ومتميز.



(١) هذه الصحوة الاسلامية التى انطلقت من بين الشباب فى جميع الأقطار الاسلامية والتى تحتضنها جاليات اسلامية.. ورغم تصدى بعض ابناء هذه الأمة لهذه الصحوة توهماً منهم ان خطرها عليهم عظيم.. فان الغيث منهمر.. والسيل جارف.. والأرض خصبة.. والأمة ولود.. فتصدوا كما تشاءون ﴿فان الله مُتمُّ نوره ولو كره الكافرون﴾ وليس من طبيعة الأشياء ـ اية اشياء ـ الرجوع الى الخلف.. والفجر مقود الشمس.. والشمس ليست لها أرض دون أرض ـ ولكن تغمر كل أرض.

(٢) هذا التعامل الممتاز الذى يتحلى به المسلمون عامة والعرب خاصة مما جعل لهم مكانة خاصة فهم أهل صدق ووفاء فى التعامل وان شذ عن ذلك شاذ فالشاذ لا حكم له.. ودليلنا على ما نقول: إن ما يجرى من نصب واحتيال فى العالم اليوم قل أن يضبط فيه مسلم أو عربى.. بل إن اغنياء الاسلام فى العالم الآخر يعدون دعائم تقدم فى العلم والاقتصاد.

وأخيرا نقول: أيها العرب.. أيها المسلمون.. أيها الشباب خاصة.. تمسكوا بتراثكم واضيفوا إليه تراثاً لاحفادكم واجعلوه قدوة يقتدون بها ونوراً يهتدون به فى ظلمات الحياة التى كثيراً ما تظلم فى وجوه من لا ضياء لهم.

ما ورثناه خلفه لنا أجدادنا فاصبح ملكاً لنا ندافع عنه ونتمسك به ونلتقط من أغواره ما يفيدنا.

فمن حق أجدادنا علينا أن نكون عصاميين بل زارعين منتجين نضيف على البناء لبنة ويضيف ابناؤنا بعدنا لبنة وبذلك يشمخ البناء وتدعم أركانه.. ولنناد بالمحافظة على التراث وترميم ما يحتاج منه إلى ترميمه وتنقيته من الشوائب.

تتنوع أفكار الناس وتختلف اتجاهاتهم فى فهم الواقع المحيط بهم ومدى تأثيره عليهم وتأثيرهم عليه.. فالانسان بطبيعته التى فطره الله عليها من الصفاء والنقاء بحيث نستطيع تمثيله بمرآة تعكس صورة الأشياء وليس لها منها شىء.. فاذا ما عدمت الطبقة العاكسة وأصبحت بلورا شفافا امتزجت بالصور المارة من خلالها.. فيتطبع الانسان تبعا للملابسات المحيطة به والأجواء المتفاعل معها بطابع معين اشتق من الأصول التى امتزج بها وتشربها.. فكما قال الحكماء: «العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» ولهذا دعينا الى مرافقة الأخيار ومجانبة الأشرار.. والتمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل، علما أننا لا ننسى بذلك ان لكل انسان فى هذه الحياة مسيرة ومنهجا عليه اتباعه ليصل فى النهاية الى ما يأمله ويبتغيه بعد عنائه وضنكه اذ لا مكان فى عالم الانسانية لانسان لا يعرف نتيجة عمله والغاية المبتغاة من ورائه ولكن الله بحكمته وفضله هيأ لكل انسان ما يتناسب مع شخصيته وميوله.. وأعطاه الدوافع القوية ليحصل على ما يصبو اليه.. محققا بذلك قوله عز من قائل: ﴿ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعض لهدِّمتْ صوامعُ وبيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكر فيها اسمُ اللهِ كثيراً ولينصرنَّ اللهُ من ينصره إنَّ اللهَ لقويٌ عزيز﴾.

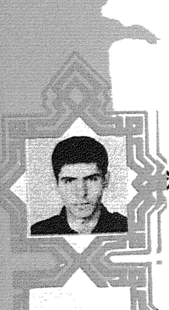
وكل ما نجده فى هذه الحياة من صور النشاطات المختلفة ما هى الا حلقة من الحلقات المتتالية لتحقيق معنى تلك الآية الكريمة وذلك على نطاق الأفكار والعقائد.. واذا ما عدنا الى النشاط اليومى من حدادة ونجارة وتجارة وزراعة وغير ذلك نجد نفس الشىء اذ كل مُيَسَّر لما خلق له راض بما قسمه الله له.. ونادرا ما نرى حدادا أو نجارا أو تاجرا أو مزارعا رأى من نفسه ميلا لأن يكون كاتبا او صحفيا أو محققا أو ما شابه.. واذا ما حاول فكأنه يحطم صخرا وهذا ما نلمسه فى حياتنا العملية حتى مع المثقفين والحائزين على الشهادات العالية.. فكثير منهم قصرت همته الى الركون الى المقررات التى درسها فى مدرسته وجامعته فحسب ولم يحاول ازعاج نفسه بمراجعة ما يندّ عن تلك الكتب المقررة. حتى ان الكثيرين يرون أن قراءة كتاب من غير الكتب المقررة من الأمور التى لا يقبلها فكرهم ولا يستسيغها عقلهم.

واذا ما سألنا أنفسنا لماذا هذا الخور والضعف؟؟ فنشعر به شعورا مرتبطا باحساساتنا الداخلية وما أودعه الله من سر فى نفوسنا لنكون مؤهلين له.. ولهذا علينا أن لا نستغرب عندما يقال ان فى المجتمع عباقرة موهوبين.. وفيه أذكياء مثقفين.. لأن العبقرية هبة من الله سبحانه وتعالى تعين الانسان على تفهم كل ما يحيط به وان لم يكن ناجحا متفوقا الا فى ناحية واحدة.

والذكاء مرتبط ارتباطا كليا بالآلة الطابعة التى لا تعطيك الا ما تنقشه عليها وهذا ما نعبر

عنه بمفهوم عصرنا الحالى «عصر الثقافة.. ورجال الثقافة المعروفين بالمثقفين».. ولم نصل بعد فى عالمنا العربى والاسلامى الحالى الى عصر العباقرة والمبدعين لأن أمامنا لكى نصل الى ذلك مراحل كثيرة من تحطيم القيود والخروج عن مفهومات عصرنا الذى ورث عن الاستعمار الكثير والكثير.. وقام بتجرد أعمى للوقوف بعصاه الغليظة مدافعا عما يراه بنظره القاصر علوما وحضارة وثقافة.. ولم يع ان العلم والحضارة والثقافة لا تورث لقوم أضاعوا ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم واستبدلوا به كفعل اليهود (الذى هو أدنى بالذى هو خير).

كما أنها لا تعطى لقوم وضعوا الستائر والحواجز على عقولهم باستيرادهم الغث دون الثمين من منتوجات بل نفايات الأمم التى يقال عنها أمم متحضرة.. وما أحرانا نحن أمة العلم فى ماضيها المشرق أن نعود اليه نستنير بنوره ما يعطينا بصيصا من الأمل لنتعرف على أسباب نهضة أمتنا الاسلامية التى لم تعرف فى يوم من الأيام عصبية اقليمية.. ولنلقى وراء ظهورنا بكل مخلفات الجهل والتجهيل التى استهدفت وتستهدف مسلم اليوم والغد المتعالى على طواغيتهم وما يحملونه من حقد على اسلامه الذى يبعث الروح والأمل فى نفوس الناس لحياة سعيدة مشرقة لا تعرف الذل والهوان وتنأى بأتباعها عن الوقوع فى براثن الجهلة والمتجاهلين الذين يقفون فى صفوف الاستعمار وأعوانه بكل أدواتهم «التغريبية» واعين تمام الوعى قول الله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾.. وما الشيطان الا صورة من الصور الكثيرة المتنوعة التى تعرض علينا فى الصباح والعشى تريد منا البقاء على ما نحن فيه من جهل وفساد وذل. ويأبى الله باذنه وفضله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون المجرمون اللابسون مسوح العلم والكهنوت ليخدعوا المؤمنين.. وما عرفوا أن الله نزع عنهم لباسهم.. وبدت لامتنا سوءاتهم.. وقد غدوا يخصفون عليهم من ألبسة خداعهم وتدجيلهم وكهنوتهم ليواروا سوءاتهم.



والذى أريد أن أقرره وأصل اليه أن كل انسان مسلم يحاول بعث تراثه.. تراث الاسلام.. تراث النهضة العالمية التى لا تعرف الحدود والأقطار ـ انسان قد تعرف على أعدائه واستطاع بقوة الله وقدرته أن يحارب أعداءه بالسلاح الذى نسيه المسلمون أو تناسوه نتيجة الحرب الخفية التى تدار لابعاده عن هذا السلاح.. وقد يقول قائل ولكن أعداءنا الذين تتحدث عنهم من أوائل من حقق التراث وكتب عنه ـ وهنا علينا أن لا ننسى ان عدونا ابليس وجنوده ليسوا من الغباء بحيث يقدمون لنا الجيد والنافع بل ينطبق عليهم القول المشهور: «السم فى الدسم» لاننا مع بدايات تحررنا الظاهرى لم نكن نميز بين سم ودسم ـ اذا لم أقل اننا كنا نعتبر نتيجة الغشاوة التى على أعيننا أن السم دسما والعكس كذلك لأن عمليات التجهيل التى قامت استهدفت الجذور ومن هذه الجذور كان عليهم أن ينطلقوا

والا فما تفسير أن يعمل عدد كبير من المستشرقين فى تراثنا الاسلامى على مدى الأيام والسنوات الطويلة ويبقى أحدهم أشد التعصب لدينه . . ومع ذلك يدعى التجرد والبحث العلمى اننى كانسان لا أستطيع أن أقبل بحال من الأحوال أن يكون هذا متجردا والا لكان من أوائل الدعاة الى دين الله ولكن الله حبب اليهم الكفر وزينه فى قلوبهم . . ولا أريد أن أظلم الجميع إن بعضهم عرف الحق فلزمه ، ولكنهم قلة والنادر لا قاعدة له كما هو معروف ولذلك علينا أن ندرس كل ما يقدمه الغرب لنا دراسة متأنية واعية لنعرف كيف يريدون تحطيمنا واجهاض حركاتنا التحررية بقيودهم . . وقد حدثنا المرحوم الدكتور شكرى فيصل عن ذلك فقال :

«ولقد التقى على الاهتمام بهذا التراث العرب والمستعربون الشرقيون والمستشرقون . . واجتمع عليه اعداؤه وأصدقاؤه . فأما أعداؤه فقد أدركوا منذ حين بعيد أنهم لا يستطيعون أن يقيّموا هذا الجيل من الناس اليوم ـ وهو فهم يهدف الى السيطرة والاستثمار والغلبة والاحتواء والالتهام ـ الا اذا فهموا جذوره الأولى وأدركوا بدايات هذه الجذور أو عرفوا تربتها ومسالكها الى النمو ليكون عملهم نقيضا لهذا النمو وتضادامعه ولذلك وضعوا أيديهم على كل مظاهر الفرقة فيه فأحيوا هذه الفرقة وأمسكوا بكل مظاهر الضعف فأفادوا بتأصيل هذا الضعف وفقهوا كل أسباب القوة والابداع فقطعوا هذه الأسباب الى كل مظاهر الابداع . . ولم يدعوا منفذا من منافذ الشك الا سلكوه اليه ولا صورة من صور التوهين الا أهالوها عليه .

وأما أصدقاؤه فقد رأوا فيه كذلك بداية التعرف الى الذات ولكن لا لطمسها كما فعل الأعداء بل للانطلاق بهذه الذات وايقنوا أنهم حين يريدون أن تخلص حياتهم فى الحاضر مما أصابها من عوج أو أمت فانهم لابد لهم أن يتبينوا مصادر هذا العوج وبدايات هذا الأمت وأن يكونوا من ذلك على بصيرة وأنهم حين يريدون الاسهام فى الحياة الحضارية المعاصرة فانهم لن يجدوا دوافعهم المحركة لذلك الا اذا استعملوا من هذا التراث ما يؤكد عندهم قدرتهم ويضع أمام أعينهم تجاربهم السابقة . . ان هذا التراث جواز دخولهم الى موكب الحضارة المعاصرة ومشاركتهم فيها» .

ولا ينكر أننا استفدنا من عمل هؤلاء من حيث لا يشعرون فعدنا الى ذخائرنا ناهلين منها محاولين قدر الامكان تصحيح مسيرتنا للحوق بمن سبقنا فى مضمار التقنية والعلوم الحديثة وان كان بعض منا قد سار على خطاهم ولكن الأيام كفيلة باعادة الجميع الى جادة الصواب لاسيما أن الحق أبلج . . ولا ينكر النور الا من أصابه العمى ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

كلمات

العجلة عند الأحنف

قيل للأحنف بن قيس (يا أبا بحر ، ما رأينا رجلاً أشد اناة منك) قال : قد عرفت منى عجلة فى أمور ثلاثة . قالوا : ماهى ، قال : (الصلاة اذا حضرت حتى أؤديها ، والأيم إذا خطبها كفؤها حتى أزوجها وجنازة إذا توفيت حتى ألحقها بحفرتها) .

تعريفات :

تجارب: لابد قبل الدخول فى الموضوع من التعرف على بعض النقاط الرئيسية من أمثال :

● جَرَّبَهُ تجريبا وتَجْرِبَةً: اى اختبره والتجربة من المصادر المجموعة ويجمع على التجارب والتجاريب قال الأعشى:

كم جرَّبُوه فما زادت تجاربُهُم
أبا قُدامةَ إلا المجدَ والفَنَعا

● ورجلٌ مُجرَّبٌ: قد بُلِىَ ما عنده أى بلاه غيْرُه فهو مُضَرَّسٌ قد جرّبتهُ الأمورُ وأحكمته فالمجرَّبُ الذى جُرِّبَ فى الأمور وعُرِفَ ما عنده.

● ورجلٌ مُجرِّبٌ: على صيغة الفاعل - قد عرفَ الأمورَ وجرَّبها.

● ودراهم مُجَرَّبةٌ: أى موزونة. قالت عجوز فى رجل كان بينها وبينه خصومةٌ فبلغها موته.

سأجعلُ للموتِ الذى التفَّ روحَهُ
وأصبحَ فى لحدٍ بجُدَّة ثاويا
ثلاثينَ دينارا وستين درهماً
مُجَرَّبةً نقداً ثِقالاً صوافيا

● وفى المثل: أنت على المُجَرَّبِ.. يقال عند جواب السائل عما أشفى على علمه.

وكأنى بهم قد أخذوا هذا المعنى من جُرِبانِ السيف وجُرُبَّانه أى قراب السيف الذى يكون فيه أداة الرجل وسوطه وما يحتاج اليه فيكون الرجل بتجاربه كقراب السيف يضع فيه كل ما خلفته له الأيام.. ومن هنا علينا أن نعلم أن التجارب جزء من حياة الانسان والشعوب بدونها لا يمكن التطلع الى مستقبل أفضل بمنهجية موزونة وفكر سليم.. وبذلك نعلم أن التجارب قطعة من القطع المكونة لحياة الأمم والشعوب والأفراد وكل من يحاول القاء تجاربه وراء ظهره متناسيا اياها فانه سيعيش فى حياة متوترة مليئة بالصعاب.. الا انها غير مفيدة أو انها لا تقدم شيئا للآخرين. ومن هذا التصور استطعنا أن نصل فى مجال التحقيق الى قواعد وأصول لن يكون أى عمل مفيدا اذا لم يستفد منها ويحاول اقتفاء أثرها.

ولا ننسى أن نقول ان لكل انسان تجاربه الخاصة وهى - أى التجارب - مرتبطة ارتباطا كليا أو جزئيا بسن هذا الانسان وتفاعله مع ما يقوم به.. الا أننا لا نستطيع أن نطلب من انسان يعتبر جديدا فى فن من الفنون اعطاء تجاربه لأنه هو يستفيد من تجارب الآخرين متلمسا - فى حلكات الظلام - الطريق القويم والمنهج السليم.. وان كان لا يخلو الأمر من وجود بعض الصعاب والعقبات التى مر وسيمر بها لكى يصل فى النهاية الى ما يصبو اليه من حياة مليئة بالعلم والعمل المتزن المتواصل.. وما تجاربه فى مستقبله الا مصابيح نور يهتدى بها من يأتى بعده تحقيقا لسنن الله سبحانه وتعالى فى استفادة اللاحق من السابق..

التحقيق :

التحقيق تفعيل من حقَّ بمعنى ثبت والتحقيق لغة : رجع الشيء الى حقيقته بحيث لا يشوبه شبهة . . وهو المبالغة فى اثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه .

والتحقيق مأخوذ من الحقيقة وهو كون المفهوم حقيقة مخصوصة بالخارج وكما قال الكفوى فى الكليات .

والتحقيق يستعمل فى المعنى . . والتهذيب فى اللفظ . . **والتدقيق** : اثبات دليل المسألة على وجه فيه دقة سواء كانت الدقة لاثبات دليل المسألة بدليل آخر أو غير ذلك مما فيه دقة فهو أخص بالمعنى الأول . وقد يفسر بأنه اثبات دليل المسألة بدليل آخر فيكون مباينا للتحقيق بالمعنى الثانى .

والتحقيق فى القراءة : يكون للرياضة والتعليم والتمرين . وأما الترتيل : فهو التدبر والفكر والاستنباط . . فكل تحقيق ترتيل ولا عكس .

والضبط فى اللغة عبارة عن الحزم فيقال : ملك ضابط لمملكته أى حازم ومحافظ عليها . وفى الاصطلاح : سماع الكلام كما يحق سماعه ثم فهم معناه الذى أريد به ثم حفظه ببذل مجهوده والثبات عليه بمذاكرته الى حين أدائه وكمال الوقوف على معانيه الشرعية .

واذا ما عدنا الى الأصل فنقول : حق الشيء : وجب وثبت وحققت الشيء : أثبته . . ومعنى قولـه تعـالى : ﴿لقد حقَّ القول﴾ . . ثبت الحكم وسبق العلم . . وتحققته : تيقنته وجعلته ثابتا لازما . . وكلام محقق : رصين . . وثوب محقق : محكم النسج .

والتحقيق كما قال الأستاذ مطاع الطرابيشى : هو العلم بالشيء ومعرفة حقيقته على وجه اليقين ومن هنا أشفق نفر من أفاضل المشتغلين بنشر التراث من التعبير بهذا اللفظ عن أعمالهم فى نقـد النصوص ونشرها فأشار بعضهم بكلمة «صححه» . . وآثر آخرون : «قرأه» أو «عارضه بأصوله» . . أو «اعتنى به» أو «ضبطه» . . أو «أشرف على طبعه» من أمثال هذه العبارات التى تتصف بروح العلم والاقتصاد فى الدعوى . على أن لفظ التحقيق قد شاع استعمـالـه اليوم حتى غدا مصطلحا لعمل العاملين فى هذا المجال من غير التزام بمدلوله الأصلى فى كثير من الأحيان .

ويحلو لى هنا أن ألقى بعض الضوء على موضوع المفاضلة بين التحقيق والتأليف لأن ذلك مما يثـير تسـاؤل كثير من الناس وربما كان سبب عزوف علمائنا الكبار عن الخوض فى هذا المضمار . . وممن يحدثنا عن ذلك الدكتور (محمد التونجى) فى المخطوطات بين يدى التحقيق قال : «الحق أن التحقيق جهد علمى مشكور اذا قصد صاحبه خدمة العلم والاخلاص له وقد يتطلب التحقيق وقتا أطول من التأليف . . كما ان خدمة الكتاب القديم والباسه اللبوس

العلمى الجديد أمر لا يقل بحال عن التأليف . . وما زالت أنظار العلماء تتلفت نحو المحققين وتوليهم الاحترام والتقدير الزائدين ولا سيما ممن أخلص فى علمه وأصاب فى نتاجه .

أما من حيث المردود : فالتأليف الجيد يعادل التحقيق الجيد . . ونقف أمام من يشتغلون بالمخطوطات وقفة اجلال وتقدير لانهم وقفوا أحلى ساعات حياتهم على العيش فى ردهات المكتبات وبين أروقتها ينبشون كنوز التراث ويقدمونها للأجيال تنهل منها ما طاب لها وكأنهم جنود صامتون صامدون متربصون خلف متاريسهم وداخل خنادقهم .

التراث :

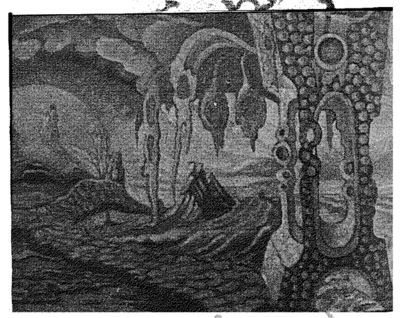
الميراث أصله موراث انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها . . والتُّراثُ : أصل التاء فيه واو . والورثُ والإرثُ والتراثُ والميراثُ ما ورثَ وقيل : الورْثُ والميراثُ فى المال . . والإرثُ فى الحسب . وفى الحديث : «اثبتُوا على مشاعركم هذه ؛ فإنكم على إرثٍ من إرث إبراهيم» فكأن معنى الحديث إنكم على بقية من ورْثِ إبراهيم الذى ترك الناس عليه بعد موته وهو الإرث .

● وفى المجاز قول الحطيئة :

فإن تكُ ذا عزٍّ حديثٍ فإنّهم
لهم إرثُ مجدٍ لم تَخُنْهُ زوافِرُه

● وقول بدر بن عامر الهذلي :

ولقد توارثنى الحوادثُ واحداً
ضَرَعاً صغيراً ثُمّ لا تعلونى



● محمد سيام . .
منبع التراث .

■ أراد أن الحوادث تتداوله كأنها ترثه هذه عن هذه.
ومن المجاز: «توارثوه كابراً عن كابر» و«المجد متوارَثٌ بينهم».
وأورثَه الشيء: أعقبه إيّاه..

والوارثُ: صفة من صفات الله تعالى - وهو الباقى الدائم بعد فناء الخلق. وهو يرث الأرض ومن عليها.. وهو خير الوارثين - أى يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له.

وفى التنزيل العزيز: ﴿يرثُنى ويرثُ مِن آل يعقوبَ﴾ «مريم» أى يبقى بعدى فيصير له ميراث النبوة.

وفى الحديث النبوى: «اللهم أمتعنى بسمعى وبصرى واجعله - وفى رواية واجعلهما - الوارث منى» فعلى رواية الافراد: أى أبقه معى حتى أموت.. وعلى رواية التثنية أى أبقهما معى صحيحين سالمين حتى أموت. وقال ابن سميل: أراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر وانحلال القوى النفسانية فيكون السمع والبصر وارثى سائر القوى والباقين بعدها. وتوريثُ النار: تحريكها لتشتعل.

أُفٍّ للبخل
قالت أم البنين أخت الخليفة عمر بن عبد العزيز: أُفٍّ للبخل، لو كان طريقاً ما سلكته ولو كان ثوباً ما لبسته، ولو كان سراجاً ما استضأتُ به

ش: هذه المنطلقات قال الأستاذ الصديق الصغير بشير: والتراث هو ميراث الشعوب مما خلفه أسلافهم من آثار علمية وفنية وأدبية ويعتبر هذا الميراث فى النفائس والنوادر التى لا يفرط فيها إلا الجاهل الذى لا يقدر حقها ولا يدرى عظيم نفعها فيفوت بتفريطه على نفسه وعلى غيره حق الانتفاع بتلك الكنوز الغالية. وإنه لمما تبتلى به الأمم والشعوب أن يرث آثارها أبناء جهله لا يقيمون وزناً لما ورثوا فتنقلب تلك الآثار من بين أيديهم إلى أيدى غيرهم وهم لا يعلمون عظم الجرم الذى يرتكبونه بسوء صنيعهم وفساد تدبيرهم وهذا من الأسباب التى تتدهور بها الحضارات وتنتقل من أمة إلى أخرى».

والتراث قنطرة تربط بين الماضى والحاضر.. وهو بقية الأزمنة الغابرة التى تحيا بيننا كهواجس تحفزنا نحو المجد والسمو. ومن يرى التراث جثثاً هامدة وبقايا بالية فإنما يسفه نفسه ويحقر آدميته ولا يفعل ذلك إلا جاحد مكابر - وإلّا لَعَلِمَ أن مستقبله سيتحول إلى حاضره لا محالة وأن حاضره سيصير ماضيه ولا عجب.

وإنه لمما تقاس به الشعوب اليوم مدى ارتباطها بتاريخها وعمق نظرتها إلى ماضيها. وقد أصبح هذا الأمر من سمات الرفعة والتقدم.. وإن شئت أن تحكم على شعب من الشعوب أو أمة من الأمم فانظر إلى صلتها بتاريخها فإن وجدتها مشدودة إليه بقوة فاعلم أنها

أمة تسعى الى مستقبل زاهر وغد مشرق . . وإن وجدت أسباب الاصالة بينها وبين تاريخها متقطعة فاعلم أنها أمة متدنية وسيؤول أمرها إلى الاضمحلال والفناء .

أوليات :

إذا ما أردنا الحديث عن التراث فلابد أن نتعرف على الطريق الذى اتبعه حتى وصل الينا فى عصورنا المتأخرة هذه . وطريقه يبدأ من الورق بمفهومنا الحالى ليمر بأدوار مختلفة من الحبر والاقلام والكاتب والخازن وهكذا حتى نصل الى الطرق الفنية الحديثة فى حفظ ما وصلنا من آبائنا وأجدادنا . . مع استعراض الظروف التى دعت الى الكتابة . .

الورق :

فى حديثنا عن الورق يجب الانتباه الى أن ما نعرفه الآن من أنواع الورق المصنع فى الآلات الحديثة لم يكن موجوداً فى العصور الأولى وإذا ما تتبعنا ما كان يستخدم كورق نجد :

* **العسب** : *جريدة النخل إذا يبست ونزع خوصها .*
* **الكرانين** : *أصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة .*
* **الاكتاف والاضلاع** : *المقصود بها عظام البهائم .*
* **اللخاف** : *الحجارة البيضاء الرقيقة .*
* **الرق** : *ما رقق من الجلد ليكتب فيه .*
* **الأديم** : *الجلد الأحمر أو المدبوغ .*
* **القضيم** : *الجلد الأبيض .*
* **المهارق** : *ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه .*
* **أوراق البردى المصرية** : *وكانت تسمى القرطاس .*
* **القباطى** : *نوع من النسيج .*

بقي الناس على هذه الحال الى أن ولى الرشيد الخلافة فكثر الورق وفشا بين الناس وذلك لانتصار زياد بن صالح الحارثى حاكم سمرقند على إخشيد فرغانة ، إذ عاد المسلمون إلى سمرقند بعشرين ألف أسير بينهم صينيون ممن يعرفون صناعة الورق وقد أمر الرشيد أن لا يكتب الناس إلا فى الكاغد (الورق) لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فإنه متى محى منه فسد وإن كشط ظهر كشطه .

ومضت الأيام واستطاع العرب ادخال تحسينات على هذه الصناعة حيث انتقلت من

صقلية وأسبانيا الى إيطاليا وفرنسا. . وكان دخول هذه الصناعة من أكبر العوامل التى ساعدت على ظهور الآلة الطابعة ذات الأحرف المتحركة. . ومن ثم انتشار الثقافة بشكل عام فى دول أوربا.

الاقلام :

من الاقدار الطبيعية أن يمر القلم بأطوار مختلفة مسايراً الورق فى تطوره ونضوجه. فالبداية الأساسية المتوقعة للقلم أن تكون أداة حادة استخدمت للحفر على الحجر أو المواد الصلبة. . ثم صُنِّع من السعف والغاب والقصب. . ثم وصلنا إلى مرحلة كان لبراية القلم أصول مدونة متعارف عليها ككتاب **«سبيل الدراية فى علوم الخط وفنون البراية»** ومن راجع منظومة. . **«العناية الربانية فى الطريقة الشعبانية»** لشعبان بن محمد الآثارى المتوفى سنة ٨٢٨هـ يستطيع معرفة مدى الاهتمام بالقلم. . امساكه. . ومقداره. . وفتحه. . وشقه. . وقطه. . وبرايته. .

الحبر ـ المداد :

سمى الحبر حبراً لتحسينه الخط فى قولهم: حبرت الشيىء تحبيراً وحبرته حبراً زينته وحسنته. وقيل الحبر مأخوذ من الحبار وهو أثر الشيىء كأنه أثر الكتابة. . والمداد كل شيىء يُحَدُّ به.

وقد صنع من العفص والزاج والصمغ والدخان ومن بذر الفجل والكتان. وبطبيعة الحال كل نوع من هذه الانواع يصلح لمادة ورقية من التى كانوا يستعملونها وربما استخدموا عملية المزج فسمى الحبر المركب.

المحبرة ـ الدواة :

والمحبرة تشمل: الجونة (الظرف) والليقة (القطن الموضوع فى الدواة). . والمداد. . والملواق (الذى تحرك به الليقة). . والمسقاة التى يصب منها الماء فى المحبرة. . وقد صنعت أول الأمر من الخشب ثم انتقلت إلى النحاس والحديد. وفضل الزجاج عند الخطاطين واستحسنوا عند الانتهاء من الكتابة إغلاقها خوف القذا والتراب لكى لا يظهر اذاه فى الكتاب. .

المطبعة ودار النشر :

لابد لنا بعد استعراض أدوات الكتابة من إلقاء نظرة عامة على آلات الطباعة المستخدمة فى ذلك الوقت وخصوصاً بعد صناعة الورق فى بغداد وتوفره بشكله الجيد فنشأ ما يسمى

بالوراقين وهم أناس اتخذوا النسخ صناعة لهم يستفيدون من دراهمها على شظف العيش، علما أن منهم من حققت له هذه الصناعة ثراء ومنزلة إذ قلما يخلو بيت كاتب أو عالم من وجود بعض الوراقين - يكثروا ويقلوا حسب الحاجة اليهم فهذا يعقوب بن شيبة السدوسى (ت٢٦٢هـ) كان فى منزله أربعون لحافاً أعدها لمن كان يبيت عنده من الوراقين لتبييض مسنده.

وكانت هذه الصنعة تأخذ فى كثير من الاحيان شكل دور النشر الحديثة لأن بعض الوراقين كان يأتى لمؤلف كتاب ما ويأخذ الاذن منه فى نسخه كما فعل البغوى عندما ذهب مع جده أحمد بن منيع الى سعيد بن يحيى الأموى ليأخذا الجزء الاول من «المغازى» عن أبيه عن ابن إسحاق فأخذه البغوى وطاف به على من يهمهم الأمر حتى حصّل من ذلك مائتى دينار..

وكان للنسخ أسعار معروفة فكل عشرة أوراق بدرهم.. ولما حاول النسّاخ رفع الأجر إلى كل خمس أوراق بدرهم حدث ما نسميه بالاضراب. وكان المشجع للناس على ذلك وقوف العلماء مؤلفى الكتب معهم كما فعل الفراء مع نساخ كتابه المعانى.. ثم ما لبثت الأسعار أن زادت حتى وصل سعر نسخ الورقة بدرهم.

وقد تشرفت هذه الصنعة بعلماء أفاضل من أمثال أبى حيان التوحيدى وابن دريد وابن النديم صاحب الفهرست.. ولم تخل هذه الصنعة من وجود بعض المتسللين الذين يزورون وينتحلون ويلفقون كابن دلّان وابن العطار وسندىّ بن على.. ولم نصل الى المطبعة بمفهومها الحالى فى الوطن العربى إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى حيث أسست أول مطبعة فى حلب.

الكتاب:

نستطيع القول إن الكتاب بصورته المخطوطة المعروفة الآن لم يأخذ شكله هذا إلا بعد جمع القرآن الكريم من العُسُب واللخاف والاكتاف.. فى جمعه الأول فى عهد أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - ثم تتابع ذلك حتى جمع فى المرة الثانية. وبعد ذلك نشأ ما يسمى بتدوين الحديث - رغم وجود بعض الكتابات الحديثية فى عهد الرسول ﴿ﷺ﴾ ولكنها قليلة نسبياً - ولم نصل إلى القرن الثانى الهجرى وإلا أصبح بأيدى الناس كتب حديثية متداولة غير القرآن الكريم وقد استعمل عند ذاك النقط والاعجام أمنا من اللبس فى القراءة.

وإذا ما توغلنا فى القرن الثانى للهجرة نجد الكتب قد قطعت شوطاً كبيراً بحيث أصبح كثير من العلماء له المؤلفات وبأعداد كبيرة مما يدعو إلى العجب والاستغراب..

وكان لهذه الكثرة الأثر البالغ فى انشاء المكتبات العامة وما إن قارب القرن على الانتهاء حتى وجدنا بيت الحكمة بنسّاخها ومترجميها وكتبها.

عنوان المخطوط :

لم يكن الاقدمون يتركون لعنوان كتابهم صفحة مستقلة بل غالباً ما كان يدرج مع مقدمة كتابهم وان تركت الصفحة الأولى فارغة فيلحق فيها المتأخر عنوان الكتاب أو يزخرفها أو يكتب فيها السماعات أو بوضع عنوان الكتاب فى نهايته..

بداية المخطوط :

تبدأ غالبية الكتب المخطوطة بالبسملة والصلاة على النبى «ﷺ» وفيها يعرض المؤلف منهجه فى كتابه مع استعراضه لأبواب الكتاب، وذكر الداعى إلى تسميته بالاسم الذى يرغبه.. ولم يكن اسم الكتاب فى المقدمة مميزاً بلون خاص ولكن مع الأيام أصبح للعنوان لون مغاير لمداد بقية الكتابة.

العناوين :

لم يفرد على الغالب للعناوين الداخلية للكتاب - إن وجدت - سطر خاص بها وكذلك لم تتميز بلون مدادها فى البدايات وإن كان بعضهم يجعلها فى وسط السطر بخط مغاير لخط الكتاب بحروفه الكبيرة ثم ميزت العناوين بلون المداد المغاير لمداد الكتابة وجعل العنوان فى سطر خاص.





● دار الآثار الاسلامية بمتحف الكويت الوطنى

تحتوى هذه الدار على آثار وتحف إسلامية من مختلف العصور الاسلامية.. وتضم اكثر من ١٥٠٠ قطعة اثرية وفنية من جلة الآثار الاسلامية التى جمعت حتى الآن. والتى تبلغ ٢٠ الف قطعة.

وفى هذه المجموعة اقدم اسطرلاب من العراق ومجموعة اقراط نادرة ترجع الى القرن الثانى عشر الميلادى وزمردة من الهند المنغولية وحامل من العاج يرجع للقرن الرابع عشر الميلادى.. وسجاجيد قديمة من مصر والهند وإيران.. ومصوغات من المغرب والأندلس.

الهوامش :

الصفة المميزة للمخطوط العربى وجود الهوامش المتساوية فى الصفحات المحيطة بالكتابة إحاطة الاطار بالصورة وتختلف سماكة هذا الاطار تبعاً لكبر الصفحة وصغرها . . وكانوا يحاولون قدر الامكان جعل نهايات السطور متساوية على نسق واحد ولذلك استخدموا المدّ أو المط وقيدوا ذلك بشروط مثل عدم تكرير ذلك فى سطرين متتاليين .

التسطير :

الشيء الملاحظ على المخطوطات أنها غالباً ما تكون ذات أسطر مستقيمة لا اعوجاج فيها وهذا ما يجعلنا نرجح أنهم يستخدمون نوعاً ما من التسطير لتسهيل عملية الكتابة ولكى لا تتداخل السطور وإن كان يرجح هذا فى المصاحف الكبيرة والذى يؤكد ذلك أنك إذا تصفحت مخطوطاً ما فستجد عدد أسطر الصفحات متساوياً إلا ماندر . . وكان يعاب الكاتب إذا اختلفت المسافات بين الأسطر . وذهب الدكتور عبد الستار الحلوجى إلى أن عدد الأسطر فى الصفحة الواحدة يخضع الى ثلاثة عوامل رئيسية هى : حجم الورقة وحجم الخط واتساع المسافة التى بين السطور ومع ذلك فنستطيع أن نقول على وجه التقريب إن عدد السطور فى صفحات مخطوطات القطع الصغير: كان يتراوح بين ١٢ـ١٥ سطراً وفى مخطوطات القطع المتوسط بين ٢٠ـ٢٥ سطراً . أما القطع الكبير: فكان عدد السطور فيه يتراوح بين ٢٥ـ٣٠ سطراً . . وفى القرون الأولى لم تكن أوراق المخطوطات متساوية فى الحجم بل كانت تتنوع تبعاً لتوفرها لدى الناسخ .

علامات الترقيم :

لم تكن إشارات الاستفهام والتعجب والفواصل وما شابه ذلك معروفة لدى نسّاخ الكتب المخطوطة وإن استخدم عندهم بدل النقطة الدائرة للفصل بين الفصول والجمل والآيات وكان المحدثون يستحبون الفصل بين الاحاديث بدوائر فارغة فإذا قابل أحدهم كتابه على أحد العلماء وضع نقطة فى داخل الدائرة . . واستخدم فى بعض الأحيان الخطوط المائلة بدل الدائرة .

الألفاظ المختزلة :

كثيرا ما نلاحظ الألفاظ المختصرة فى كتب الحديث لكثرة ورودها فكان يرمز لـ رحمه الله : «رحه» وتعالى : «تع» ورضى الله عنه «رضه» وإلى آخره «الخ» وانتهى «اهـ» وحدثنا : «ثنا» وأخبرنا : «أنا»، وأنبأنا: «أنبا» وإن كان هناك نوع من الاختلاف بين المحدثين فى طريقة الاختزال إلا أن الملاحظ أنه الى نهاية القرن الرابع الهجرى لم يكن النساخ يختصرون لفظ : «صلى الله عليه وسلم» .

التصويبات والاضافات:

لا يخلو الأمر من أن ينسى الانسان فيكتب سطراً بدل آخر أو يبدل كلمة بأخرى أو ينسى كلمـة أو كلمات ثم يتنبه بعد ذلك إلى الأمر فيصححه وكانت أفضل الطرق المتبعة عند الأقدمين «الضرب أو الشطب» ويفضل أن لا يطمس المضروب عليه بل يخط فوقه خطاً جيداً بيناً يدل على إبطاله ويقرأ من تحته ما خط عليه ويكره الحك لما فيه من تمزيق للورق أو تزوير للمعلومات ومن الطرق المتبعة فى ذلك أن يجعل أعلى المضروب عليه خط يعطف طرفاه على أوله وآخره، أو أن يجعل الخطأ بين قوسين كل منهما نصف دائرة، أو أن يجعل الخطأ بين دائرتين صغيرتين وفى حال كثرة المضروب توضع علامة فى أوله وآخره أو تكرر العلامة فى كل سطر أو أن يوضع الخطأ أو الزيادة بين كلمة «لا» أو «زائد» أو «من» فى أوله، وكلمه «إلى» فى آخره ويلحق السقـط إن كان قليلاً فى مكانه أو فى الهامش مع الاشارة الى مكانه وتوضع كلمة «صح» فى أوله وآخره. . وإن كان هناك تقديم وتأخير فيكتب «ق» قبل، و«ب» بعد توضع الثانية على المكان الذى نريد تقديمه والأولى على مكان التأخير.

نهاية المخطوط:

تخصص الصفحة الأخيرة فى المخطوط لتبين انتهاء الكتاب أو الجزء وتاريخ كتابته وناسخه واسم الكتاب ومؤلفه فى بعض الأحيان. . وتوضع أحياناً التمليكات والسماعات والاجازات والفوائد فى بداية المخطوط أو نهايته وهى ذات أهمية بالغة فى تبيين أهمية الكتاب من حيث صحة نسبته الى مؤلفه أو من سمعه من العلماء ومن أجازه من المحققين وكثيراً ما كانت تلحق فى أوراق مفرغة خاصة وكان فى بعض الأحيان يكتب العلماء ما يجدونه من طرائف وفوائد على الصفحات الأولى والأخيرة لسهولة مراجعتها وتوفرها.

ترقيم المخطوط:

لابـد فى أى كتاب من تسلسل معين يجعلنا نستطيع عن طريقه معرفة ارتباط السابق باللاحق ولاسيما أن أوراق المخطوطات من القرون الاولى لم تكن ذات قياس واحد ولذلك اتبعت طريقة كتابة الكلمة الاولى فى كل ورقة من التى تسبقها ثم كان ترقيم الصفحات أو ترقيم الاوراق.

التصوير والزخرفة والتذهيب والتجليد:

تعتـبر هذه الفنـون من المكمـلات فى صناعة الكتاب وقد حدثنا الدكتور عبد الستار الحلوجى عن ذلك فقال: لقد بدأت الصور التوضيحية تدخل الكتب العربية منذ منتصف

القرن الثانى بعد أن اتصل العرب بغيرهم من الأمم واطلعوا على الكتب المصورة والمحلاة بالألوان والذهب وخاصة كتب ما نويه الفرس وأقباط مصر. ونستطيع أن نؤرخ لبداية النهضة الفنية بعصر أبى جعفر المنصور الذى ترجم فيه كتاب «كليلة ودمنة» وبدأت فيه بواكير الاهتمام بالفنون التصويرية.

وكان طبيعياً أن يبدأ التصوير فى الكتب ساذجاً بسيطاً وأن يتطور مع الزمن فتدخله الألوان والظلال وقبل أن يبلغ القرن الرابع مداه كانت الكتب المصورة والموضحة بالخرائط والرسوم البيانية قد ظهرت فى دنيا العرب ووجد لها من يعجب بها ويحرص على اقتنائها وكانت طبقة المصورين قد بدأت تتميز فى المجتمع وتؤلف كتب التراجم لأصحابها.

كلمات

يا بنى لا تكن حلواً فتبلع، ولا مراً فتلفظ.
يا بنى شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه بالمجان

من وصايا لقمان لابنه

وأما الزخارف الجمالية فقد بدأت - هى الأخرى - بدايات متواضعة ولم تلبث أن استقرت فى الصفحة أو الصفحات الاخرى من المخطوط وفى اوائل الفصول ونهاياتها ثم فى آخر الكتاب. ولم تدخل الزخارف الى المصاحف إلا متأخرة نسبياً ابتداء من القرن الثالث على أقل تقدير، وأخذت مكانها فى الصفحتين الأولى والأخيرة وفى مواضع الفصل بين السور والآيات ومواضع علامات التعشير فكانت الفواصل بين السور أشرطة زاخرة بالزخارف الهندسية والنباتية الملونة والمذهبة تمتد بحلية جانبية فى الهامش الخارجى.. وبمرور الزمن بدأت أسماء السور وعدد آياتها تضاف فى وسط تلك الزخارف. وكانت فواصل الآيات حليات مستديرة فى الغالب أو على شكل دائرة واحدة أو بضع دوائر تتخذ بدورها شكلا دائرياً أو مثلثياً وقد تتحول الدائرة الى شكل كمثرى وقد توجد أشكال مربعة ولكنها قليلة.. ولم تختلف علامات التفسير عن الفواصل إلا فى الحجم ودرجة التعقيد وبدأت كزخارف محضة ثم أضيف اليها الأرقام.

وإذا كان العرب قد تأثروا فى زخارفهم بما وجدوه عند الفرس والرومان فإنهم لم يلبثوا أن طوروا هذا الفن فى كتبهم وطبعوه بطابعهم ووصلوا به الى درجة من الأصالة الفنية شهدت لهم بها الدنيا بأسرها ويكفى أن نشير هنا إلى أنهم أوجدوا أنماطاً زخرفية معينة نسبت إليهم وارتبطت بهم على مدى التاريخ مثل الأرابسك. كما انفردوا بنوع خاص من الزخارف أتقنوه وبرعوا فيه وهو الزخارف الخطية التى تطورت وزادت تعقيداً حتى وصلت إلى درجة من التعقيد يتعذر معها قراءة النص المكتوب.

ومن الفنون التى عرفها العرب «**التذهيب**» أخذوه عن الفرس ولم يلبث أن استعمله ملوكهم وأمراؤهم فى كتبهم ومراسلاتهم منذ أواخر القرن الثانى. وقد ارتبط هذا الفن بالمصاحف متخذاً صورة الكتابة بماء الذهب منذ عصر المأمون. ولم يكتف المذهبون العرب بممارسة فنهم فى زخارف المخطوطات وهوامش الصفحات وإنما تجاوزوه الى تذهيب ما على

الجلود من زخارف ولم يلبثوا أن اتقنوا هذا الفن إتقاناً رائعاً بهر الأوروبيين فمضوا يتعلمونه وينقلونه إلى مخطوطاتهم فى اواخر العصور الوسطى.

ومن الفنون الأخرى «**فن التجليد**» وقد أخذه العرب عن الاحباش وكانت أقدم صوره وضع المخطوط بين لوحين كالمصاحف التى بعث بها أمير المؤمنين عثمان - رضى الله عنه - الى الانصار. وحتى منتصف القرن الثانى كان المصحف هو المخطوط الـوحيد الذى يمكن أن يجلد لأنه بدأ فى شكل كتاب أو دفتر ولم يمرّ بمرحلة الدروج. وغلفت المصاحف الصغيرة بألواح من البردى المقوى لم تلبث أن استبدلت بالورق بعد ظهوره وكان الخشب هو المادة التى لا غنى عنها فى تجليد المصاحف الكبيرة بعد تحليتها بألوان مختلفة من الـزخارف وتطعيمها بالعاج. وفى أواخر القرن الثانى دخل الجلد فى صناعة التجليد العربية فاستعملت شرائط منه فى لصق الكعوب أول الأمر ثم تُوسّع فى استعماله بحيث أصبح يغطى كل مساحة الغلاف.. ولم تلبث هذه الصناعة أن انطلقت فى طريق التقدم تدفعها وتنفخ فى روحها صناعة الجلود التى كانت موجودة ومتقدمة فى بعض البلاد العربية وعلى رأسها اليمن ومصر والطائف.

وعلى مشارف القرن الرابع ننظر فنرى صوراً ممتازة للدقة والمهارة فى صناعة جلود الكتب فإلى جانب وجود اللسان وتحليته بشتى ألوان الزخارف كانت جلود الكتب تبطن من الداخل بالبردى أو الرق أو الورق وربما غلا بعض المجلدين فبطنها بالقماش أو الحرير وكثيراً ما كانت تلك البطانات تحلى بألوان من الزخارف لا تقل عن الزخارف الخارجية روعة وجمالاً. وهكذا كانت جلود المصاحف والكتب العربية الاسلامية التى عرفها الايطاليون وأهل الأندلس على وجه الخصوص نماذج رائدة احتذاها المجلدون الغربيون وساروا على منوالها. ولم يقف تأثرهم بها عند الخصائص الفنية للتجليد العربى وإنما إلى اقتباس الأشكال الزخرفية العربية ونقل ظاهرة اللسان وتذهيب ما على الجلود من الزخارف والحلى.

ولم نصل الى القرن الرابع الهجرى حتى رأينا اهتماماً بترميم الكتب التى يصيبها التمـزق والتـآكل.. وهو علم له الآن أصوله ومناهجه المستمدة من التجارب المخبرية وعلم الجراثيم.

التأليف وشروطه:

لم يكن العـالم يتجرأ على الكتابة فى أى موضوع قبل تمكنه منه تمكنا يمنع الناس من الخوض فى الرجل وعلمه ونستطيع تلمس ذلك فى القصة التالية:

«قال أبو المظفر محمد بن أحمد بن حامد البخارى: لما عزل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن زيد الهمذانى عن قضاء الرى ورد بخارى فحملنى

معلمى أبو إبراهيم الختّلى إليه وقال له : أسألك أن تحدث هذا الصبى بما سمعت من مشايخنا فقال: مالى سماع ، قال: فكيف وأنت فيه؟ قال: لأنى لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسى الى طلب الحديث فقصدت محمد بن اسماعيل البخارى وأعلمته مرادى: فقال لى : يا بنى لا تدخل فى أمر إلا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره واعلم أن الرجل لا يصير محدثاً كاملا فى حديثه إلا بعد أن يكتب أربعاً مع أربع كأربع مثل أربع فى أربع عند أربع بأربع على أربع عن أربع لأربع . وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربع فإذا تمت له كلها هان عليه أربع وابتلى بأربع فإذا صبر على ذلك أكرمه الله فى الدنيا بأربع وأثابه فى الآخرة بأربع» .

● **قلت له :** فسّر لى رحمك الله ما ذكرت فى أحوال هذه الرباعيات . قال نعم : أما الأربعة التى يحتاج الى كتبها هى : أخبار الرسول ﴿ﷺ﴾ وشرائعه . . والصحابة ومقاديرهم . . والتابعين وأحوالهم . . وسائر العلماء وتواريخهم . . مع أسماء رجالها وكناهم وأمكنتهم وأزمنتهم ـ كالتحميد مع الخطيب . . والدعاء مع الترسل . . والبسملة مع السورة . . والتكبير مع الصلوات . . مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطعات . . فى صغره وفى إدراكه وفى شبابه وفى كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه . . بالجبال والبحار والبلدان والبرارى على الأحجار والاصداف والجلود والأكتاف . . إلى الوقت الذى يمكنه نقلها الى الاوراق . . عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه . . وعن كتاب أبيه : يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالباً لمرضاته . . والعمل بما وافق كتاب الله تعالى منها ونشرها بين طالبيها والتأليف فى إحياء ذكره بعده . ثم لا تتم له هذه الأشياء إلا بأربع هى : من كسب العبد : معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو . . مع أربع هن من عطاء الله تعالى : الصحة والقدرة والحرص والحفظ . . فإذا صحت له هذه الأشياء هان عليه أربع : **الأهل والولد والمال والوطن** . . وابتلى بأربع : شماتة الأعداء . . وملامة الأصدقاء . . وطعن الجهلاء . . وحسد العلماء . . فإذا صبر على هذه المحن اكرمه الله تعالى فى الدنيا بأربع : بعز القناعة . . بهيبة اليقين . . وبلذة العلم . . وبحياة الأبد . وأثابه فى الآخرة بأربع : بالشفاعة لمن أراد من إخوانه . . وبظلٍّ حيث العرش لا ظل إلا ظله . . ويسقى من أراد من حوض محمد ﴿ﷺ﴾ وبجوار النبيين فى أعلى عليين فى الجنة . . فقد أعلمتك يا بنى بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخى متفرقاً فى هذا الباب . فأقبل الآن على ما قصدتنى له أو دع .

تعقيب: القصة تعطينا الصورة الاجمالية لما كانوا يأخذون به أنفسهم حتى يتمكنوا من علم ما لكل هذه الأمور مجتمعة وللطبيعة البشرية فى ضعفها وتقلب أفكارها يوماً بعد يوم كما نجد المؤلف يمر بمراحل متعددة حتى يصل الينا بصورته المتناسقة الجميلة فبعد أن

تتكـون الفكرة فى ذهن الكاتب وتتجمع لديه المعلومات يقوم بوضع مسودة الكتاب والتى يتخللها بعد ذلك الضرب والحك والالحاق ثم يأخذ فى تهذيبه وتحريره وتكرير النظر فيه حتى إذا اكتمل فى صورته النهائية المرتضاة من قبل المؤلف قام بتبييضه وأطلع العامة والخاصة عليه. ولا يخلو الأمر من أن يؤلف الرجل كتابه مرات متعددة فالبيان والتبيين للجاحظ له نسختان مختلفتان وكثيرا ما كان يموت العالم ولا يستطيع تبييض كتابه أو أنه يقوم بوضع تتمة لكتابه السابق كما فعل الثعالبى فى تتمة اليتيمة.

الاملاء:

وهناك نوع آخر من التأليف يدعى بالاملاء ولم يتصد له إلا الفطاحل من العلماء لاعتماده على الحفظ والذاكرة وهو مستحب عند المحدثين وإن استخدمه اللغويون إلى القرن الرابع الهجرى. وبقى إملاء الحديث إلى قرون متأخرة وقد اعتبر أعلى مراتب الرواية والسماع. وفيـه أحسن وجـوه التحمل وأقواها كما قال السيوطى فى التدريب.. وعادتهم أن يتخذوا مستمليـاً محصلاً متيقظاً يبلغ من المملى إذا كثر الجمع. فإن كثر الجمع بحيث لا يكفى مستمل اتخذ مستملين فأكثر. فقد أملى أبو مسلم الكجى فى رحبة غسان وكان فى مجلسه سبعـة مستملين يبلغ كل واحد صاحبه الذى يليه وحضر عنده نيف وأربعون محبرة سوى النظارة. وكان يحضر مجلس عاصم بن علىّ أكثر من مئة ألف انسان.. وكان يختم الاملاء بحكـايـات ونوادر وإنشادات بأسانيدها كعادة الأئمة فى ذلك.. وإذا ما قصّر المملى عن تخريج الاملاء لقصوره عن المعرفة بالحديث وعلله واختلاف وجوهه أو اشتغل عن تخريج الاملاء استعان ببعض الحفاظ على تخريج الأحاديث التى يريد املاءها قبل يوم مجلسه كفعل أبى الحسين ابن بشران وأبى القاسم السَّراج.

ولم يقفـوا عنـد هذا الحد بل إنهم عند الفراغ عن الاملاء يقومون بمقابلته وإتقانه لإصـلاح ما فسد منه بزيغ القلم وطغيانه. وقد جرت عادة المتأخرين بتخريج الاملاء وتحريره فى كراسة ثم يملونه حفظاً وإذا ما نجز قابله المملى معهم على الأصل الذى حرروه وذلك غاية الاتقان.

وكان من قواعدهم أن لا يملى فى الأسبوع إلا يوماً واحداً. ولم يعينوا يوماً ولا يوماً وإن غلب عليهم فى املاء الحديث النبوى أن يكون عقب صلاة الجمعة وبعضهم بعد عصر يوم الجمعة.

●متى بدأ المسلمون بتدوين الكتب واختلافهم فى ذلك؟.

تجدر الاشـارة هنا الى الظروف والملابسات التى أحاطت بالمسلمين فجعلتهم يؤلفون الكتب.. وقد تحدث الدكتور محمد عجاج الخطيب فى كتابه «**السنة قبل التدوين**» فأجا

كلمات!

تخلص طفيلي

نظر طفيلي الى قوم ذاهبين الى وليمة فقام وتبعهم، فاذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم، فلما أنشد كل واحد شعره وأخذ جائزته. فقال له السلطان أنشد شعرك. فقال: لست بشاعر، قيل: فمن انت؟ قال: من الغاوين.

ـ إلا أننى عثرت على نص لعالم من علماء القرن الثالث الهجرى وهو الحكيم الترمذى فى كتابه «**نوادر الأصول**» فآثرت إيراده لأهميته ولعدم اطلاع الدكتور عليه. وإليك النص بقليل من التهذيب:

■ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ) «**قَيِّدوا العلم بالكتاب**» وهو حديث صحيح.

● وفى المأثور: «إن الله تعالى لما خلق آدم خلق لقلبه غاشية تنطبق مرة وترتفع أخرى فما سمع والغاشية مرتفعة حفظه وما سمع والغاشية منطبقة نسيه».

■ وعن ابن عباس أنه قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين مم يذكر الرجل ومم ينسى؟ فقال: «إن على القلب طخاءة كطخاءة القمر فإذا تغشت القلب نسى ابن آدم ما كان يذكر وإذا تجلت ذكر ما كان نسى».

● وفى الأثر: «أن أول من خطَّ بالقلم بعد آدم إدريس عليهما السلام» وسمى بذلك لأنه كان يدرس الكتب.

■ وكتب نوح عليه السلام ديوان السفينة.. وكتب الله تعالى التوراة لعبده موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿**وكتبنا له فى الالواح من كل شيىء**﴾.. والزبور من زبر الرجل أى كتب.. وقال تعالى فى تنزيله: ﴿وكل شيىء فعلوه فى الزبر﴾ أى: فى اللوح.. وأول ما بدأ شأن الكتابة بدأ القلم واللوح فكتب ما هو كائن.

والكتاب حق وتدبير من الله تعالى لعباده. والكتب: الجمع بين الحروف ومنه سميت المكتبة لأنها جمعت فإذا قيدت المعانى بهذه الحروف المخطوطة التى هى دلائل على المعانى.. فإن كانت محفوظة فالكتاب مستغنى عنه.. وإن نسيت صار الكتاب نعم المستودع.. وإن دخل القلب ريب فى ذلك نفى الريب واطمأنت النفس. وقد أدب الله عز وجل العباد وحثهم على مصالحهم فقال عز من قائل فى شأن المداينة: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه**﴾ فاعلم أن الكتابة قسط عند الله تعالى وهو العدل يؤدى ماائتمن واستودع «وأقوم للشهادة» أى أحرى على أن يقوم بها وأبعد من الشك والريبة. ومن هنا أخذ طاووس قوله: «يسعه أن يشهد على خطه وهو لا يذكر» فإذا كان تجار الدنيا فى المداينة فيما بينهم يقيدون الأمانات المؤجلة لئلا تدرس ليؤدوها فى مواقيت حلها كما ندبهم الله تعالى إليه ودلهم عليه ولأن تجار الآخرة فى تقييد الأمانات التى أخذ الله تعالى الميثاق فيها أن يؤدوه ولا يكتموه أحرى أن يحافظوا عليها ويداوموا على إثباتها وتقييد رسومها لئلا تدرس ليؤدوها فى مواقيتها عند حاجة الخلق إليها فى نوازلهم فإن أمانة الدين أعظم شأناً من أمانة الدنيا. وقدائتمن الله تعالى أهل الأموال ليحرزوها ويحفظوها ويراقبوا أمر الله تعالى فيها من صرفها فى وجوهها وإخراج حقوقها وانفاقها فى السبل التى أذن الله تعالى فيها. ائتمن الله تعالى أهل العلم على ما أودعهم من نوره وبراهينه وحججه ليحرزوها ويحفظوها ويراقبوا أمر الله تعالى فيها.. من

صرفها فى وجوهها ووضع كل شىء منها مواضعها وإخراج حقوقها لأهل الحاجة إليها وإنفاقها فى السبل التى سبلها الله تعالى لهم ولهذا جاء فى الخبر: «إن الله تعالى يختص هذين الصنفين فى جميع الخلق للحساب فيقول للعلماء كنتم رعاة غنمى ولأهل الأموال كنتم خزان أرضى فعليكم اليوم طلبتى» فالمراعى بيد الخزان والرعى بيد الرعاة إذا رعى الخازن الغنم رعاه الراعى . . وذلك أن مرعى الغنم دنياهم والدنيا بأيدى الخزان . . والرعاية بأيدى الرعاة يسوقهم إليها فيرعيهم ويوردهم الماء حتى يعيشوا وهو العلم الذى بُين لهم منه . . وإن تردى مترد جبر كسيرته . . وإن عدى الذئب طردهم عنه بالكلاب . . وإن مال إلى منابت السوء من السموم القاتلة صرف وجوههم منها . فهؤلاء الرعاة قد قلدوا من أمور الخلق فوقعت شدة الحساب عليهم . وإذا منع الخازن هلكت الغنم وإذا ضيع الراعى هلكت . . ولذلك جاء فى الخبر أنه ينادى يوم القيامة : «يا راعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولبست الصوف ولم تأو لى الضالة ولم تجبر الكسيرة ولم ترعها فى مرعاها «اليوم انتقم منك» .

فأما قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ «من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار . . ويفتح القول ويخزن العمل . . ويقرأ بالقوم المثناة ليس فيهم أحد ينكرها قيل : وما المثناة؟ قال : ما اكتتب سوى كتاب الله عز وجل» رواه الطبرانى والحاكم فى المستدرك وصححه ووافقه الذهبى .

وقد سأل أبو عبيد رجلا من أهل العلم بالكتب الأولى قد عرفها وقرأها عن المثناة فقال : «إن الأحبار والرهبان من بنى إسرائيل بعد موسى وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله تبارك وتعالى فسموه المثناة كأنه يعنى أنهم أحلوا فيه ما شاؤوا وحرموا فيه ما شاؤوا على خلاف كتاب الله تعالى لهم» .

وقد وصف الله تعالى فى تنزيله الكريم فقال : ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ . وذلك أنه لما درس الأمر فيهم وساءت رغبة علمائهم أقبلوا على الدنيا حرصاً وجمعاً فطلبوا شيئاً يصرف وجوه الناس إليهم فأحدثوا فى شريعتهم وبدلوا وألحقوا ذلك بالتوراة وقالوا لسفهائهم : هذا من عند الله ليقبلوها عنهم فتأكد رياستهم وينالوا به حطام الدنيا .

فحذر الرسول ﴿ﷺ﴾ هذه الأمة لما قد علم ما يكون فى آخر الزمان . . حذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم معارضاً لكتاب الله تعالى فيضلوا به الناس . والمثناة ما ثنى من الكتاب ليصرف وجوه الناس عن كتاب الله تعالى . . فأما إثبات الكتاب وما سمعوا من الرسول ﴿ﷺ﴾ من تفسيره وبيانه وشرحه فمحمود لقوله ﴿ﷺ﴾ : «ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله فلا يتكئن أحدكم على أن يقول ما وجدنا فى كتاب الله عز وجل أخذنا به وما لم نجد تركنا . » بما معناه .

وكان الذين يأخذون عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أهل بصائر ويقين وتجلية قلوب يحفظون عنه فلما صاروا إلى القرن الذى يليه وظهرت الفتن احتيج الى اثباته فى الكتب فمنهم من هاب ذلك لأنه رآه حدثاً وأمراً لم يكن على عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ فهاب أن يكون بدعة.. ومنهم من تجاسر عليه لما رأى فيه من النفع كما تجاسر أبو بكر رضى الله عنه على جمع القرآن فهابه عمر رضى الله عنه وقال: (أتفعل ما لم يفعل رسول الله ﴿ﷺ﴾).

فكذلك هذه الكتب لم يزل الناس كلما مضى قرن أحوج إلى تقييده وبيانه وشرحه لأن العلم فى إدبار والجهل فى إقبال حتى غلب الجهل وأحاط بالخلق البلاء ونجمت قرون البدع. فأحوج ما كانوا الى شرحه وبيانه فى هذا الوقت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كما قال الحكيم الترمذى فى القرن الثالث فى كتابه «نوادر الأصول».

وقد أذن رسول الله ﴿ﷺ﴾ لغير واحد من أصحابه فى ذلك رضوان الله عليهم فعن ابن عباس: أن رجلا شكى الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ سوء الحفظ فقال: «استعن بيمينك».

- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أنه استأذن رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى صحيفة يكتب فيها ما سمع منه فأذن له.
- وعنه أيضاً أنه قال: يارسول الله أكتبُ ما اسمع منك؟ قال: نعم.. قال: عند الغضب الرضى؟ قال: نعم فإنه لا ينبغى أن أقول إلا حقاً.



تبرع سخى للتراث

عملاً بمبدأ دعم المملكة العربية السعودية للهيئات والأجهزة العلمية العربية والإسلامية والعالمية.. فقد تبرع جلالة الملك فهد بن عبد العزيز بمبلغ عشرة آلاف ريال لمساعدة الفرع الاقليمي العربي للوثائق ببغداد والمملكة من أوائل الدول التى شاركت فى تأسيس هذا الفرع وهو تابع للمجلس الدولي للوثائق

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ خطب حين فتح [illegible] من أهل اليمن يقال له: أبو شاه فقال: اكتب هذا لى يا رسول الله. فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «اكتبوا لأبى شاه يعنى تلك الخطبة».

● وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: «قيدوا العلم» قلنا: وما تقييده؟ قال: «علموا وتعلموا واستنسخوه.. فإنه يوشك أن يذهب العلماء ويبقى القراء لا تجاوز قراءة أحدهم تراقيه».

حياة المحقق مع المخطوطات :

لم أجد وصفاً أدق مما كتبه الباحث «كراتشكوفسكى» عن الحياة التى يعيشها الباحث المحقق مع كتبه ومخطوطاته فى كتابه «مع المخطوطات العربية».. قال: المخطوطات تحيطنى وفى ليالى السهاد ووقت المرض حين تصيب الحمى رأسى وحين لا يستطيع عقلى أن يتحكم فى أفكارى. فى كل هذه الاوقات تحتشد المخطوطات حولى بتواضع كأنها هى خائفة فتقترب منى على استحياء فأسمع فى رفرفتها أصواتاً هادئة تنادينى: ألم تنسنا؟ ألن تبتعد عنا؟ أتذكر كيف أعدتنا إلى الحياة.. وكيف أنك دققت النظر باهتمام فى سطورنا البالية المطموسة.. وكيف أنك فتحت معانى تلك السطور رويداً رويداً وكيف دققت النظر أيضاً فى تلك الخطوط التى كتبت بسرعة أو بصورة غير جذابة.. وكيف أنك عرفت منها قصة حياتنا فجأة فى الوقت الـذى كان يلفح ظهرك فيه برد خفيف يثيره الانفعال، وعندما كان يلمع أحد الاسماء فى عينيك فإن ذلك كان يعطينا مكاناً فى الحياة الماضية.. وها نحن من جديد قد استعدنا الحياة إلى الأبد وقد كنا من قبل مطروحين تحت الأرض أو فى الصناديق المنسية مئات الأعوام.

المخطوطات: تحتشد حولى فى كل طرف وجانب.. وبعضها أوراق رقية صفراء تحمل حروفاً كوفية واضحة.. وبعض نسخها فاخرة ذات صفحات لامعة من الورق الشمعى جلبت من مكتبات سلاطين المماليك ونسخ أخرى فقيرة.. متواضعة لكنها آثار علماء لا تقدر بثمن.. وبعض هذه المخطـوطـات تسجيـلات لتـلاميذ هؤلاء العلماء.. وبعضها الآخر صفحات مكتوبة بخطوط يد جميلة ولكنها باردة لا روح فيها. خطوط يد للنساخين المحترفين بعض أوراقها نظيفة كأنها هى قد خرجت لتوها من يد أول صاحب لها.. وأخريات أصابها لهيب الحريق والغرق فى الماء ـ دليل الكوارث والمصائب التى لم ترحم لا المخطوطات ولا البشر. ومن هذه المخطوطات ما ضاعت صفحاته الأولى وبعضها ما ضاعت صفحاته الأخيرة فهى أشبه بذوى العاهات تماماً. وكأنما هذه المخطوطات تنظر الى الناس تشكو كربها وتعرض آلامها لتشهد الناس على تلك الجرائم التى ارتكبها الناس فى حقها وإنه ليؤلمنى أن أنظر إلى جراحها الممزقة.

كلمات

كأنّ على رؤوسهم الطير: فلانٌ ساكن الطائر، أى حليم هادئ ووقور، ومعنى ذلك أن وقاره وهدوءه لو نزل على رأسه طائر لبقى ساكناً لم يطر.

المخطوطات حولى تحيطنى وتهمس بى: ألم تنسنا؟ هل ستأتى إلينا؟. انك حقاً قد أعدتنا للحياة ولكننا أعطيناك ثمن ذلك مضاعفاً مئة مرة. أتذكر كيف كنت تقبل علينا سواء فى ساعات القراءة أو ساعات همك وتعبك.. لقد لمست فى صفحاتنا الاصدقاء المخلصين الذين يتلقونك دائماً بسعادة وسرور أولئك الأصدقاء الذين لا يستطيع أحد أن ينزعهم منك. إن فصولاً بأكملها من التاريخ كانت مجهولة ثم انفتحت لك وإن كثيرا من الشخصيات قد خرجت من صفحاتنا وكأنها حية وتجسدت أمامك فرأيتها رؤية العين.

والمخطوطات تهمس وأنا أدقق النظر فيها باهتمام.. أتعرّف عليها.. فتعلو شفتى ابتسامة ويكتسى وجهى سروراً.. إن هذه الصفحات هى صفحات حياتى أنا وهى صفحات حياة الآخرين.. إنها صور واضحة للماضى ولن يخفيها بعد الآن ضباب العصور.

غاية التحقيق:

منذ مطلع هذا القرن والنقاش محتدم حول الغاية من تحقيق التراث؟.. وهل التحقيق هو إظهار لبراعة المحقق بتكثيره الحواشى والتعليقات بدون فائدة تذكر - أم أن الأمر بحاجة الى منهجية معينة يسير عليها ويصل إليها.. وقد تحدث الدكتور بشار عواد معروف فى رسالته «ضبط النص والتعليق عليه» حول الموضوع بشىء من التفصيل.. ووصل الى النتيجة التى ستراها الآن وأظنها مقنعة قال: منذ أن بدأ العرب يعنون بتحقيق المخطوطات العربية ونشرها ظهر رأيان متضاربان حول الطريقة التى ينبغى اتباعها عند نشر التراث العربى:

الأول: يرى الاقتصار على إخراج النص مصححاً مجرداً من كل تعليق.

الثانى: يرى أن الواجب يقضى توضيح النص بالهوامش والتعليقات وإثبات الاختلافات بين النسخ والتعريف بالأعلام وشرح ما يحتاج الى شرح وتوضيح.

وأقام الفريق الأول رأيه على أن الغاية من التحقيق هى إخراج ما يسمى بالنص الصحيح فلا حاجة بعد ذلك إلى إثقاله بالهوامش والتعليقات وقد أخذت به كثرة كاثرة من المستشرقين ومن سار على نهجهم من العرب.

وارتأى الفريق الثاني: أن طبع النص مجرداً هو تحريف لطبيعة البحث العلمى واستقامته باعتبار أن الأصل فى إخراج النص أن ينظر المحقق فيه وفيما حوله.. وأن يكشف إشاراته.. وأن يبين عن إشاراته.. وأن يدل على المغازى التى صدر عنها.. ومثل هذا الجهد الذى لابد منه فى التحقيق لابد منه بعد ذلك فى الدراسة.. فمن الخير إذاً أن يندمج هذان الجهدان معاً فيتولى محققو النصوص بالذات عمليات الشروح الأولى هذه لكى تصبح جاهزة للبحث الأدبى الصرف أو للبحث التأريخى الصرف أو لهما معاً.. فتجلى مضيئة من غير عتمة نيّرة من غير لبس.. مخدومة محررة تتيح للباحث أن ينطلق بعد ذلك عنها دون أن يضطر الى

معاودة الجهد الذى بذله المحققون.

وقد بالغ بعض المتفانين لهذا الفن فأثقلوا هوامش الكتب التى عنوا بنشرها بتعليقات وتعاريف لا مبرر لها ولا مسوغ لأنهم يريدون تَوْبلَة الكتاب بها تاركين خلفهم الصعب المبهم الذى هو بالتعليق خليق حتى بلغ الأمر ببعضهم أن عرّف بأعلام الناس كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومالك والشافعى ونحوهم.. وعرف بمشاهير المواضع والبلدان مثل دمشق وحلب وحمص وبغداد والموصل والبصرة والقاهرة والاسكندرية ونحوها. كما أن بعضهم كرر التعريف بالعلم المشهور فى أكثر من موضع فأخرجوا التحقيق الدقيق عن طريقه القويم.

ثـم بين لنا الأسباب الداعية للتعليق والشرح للمخطوطات مجملاً إياها بـ:

(١) ندرة النُسخ الخطية الصحيحة المتقنة السليمة الخالية من التصحيف والتحريف.

(٢) الغالبية العظمى من المخطوطات لم تصل إلينا بخطوط مؤلفيها بل بخطوط نساخ فيهم الجاهل والعالم فتعرض كثير منها إلى التغيير والتبديل والتحريف بحيث يؤدى نشرها على ما هى عليه الى أخطار علمية وتربوية لأن القراء ليسوا دائماً من المتخصصين المتعمقين فى العلم الذى يتناوله النص فضلاً عن أن إخراجها بهذا الشكل ينفى بطبيعة الحال مصطلح النص المحقق.

(٣) إن جمهرة المؤلفين والنساخ لم يعنوا بالإعجام ووضع الحركات الموضحة للنص بل ندر ذلك عندهم وكانوا يعتمدون على ما للقارىء من معرفة فى موضوع

الكتاب، لذلك يصبح نشر مثل هذه الكتب بحالتها التى هى عليها لا يتعدى فى أكثر الاحايين توفير نسخ خطية ـ قد تكون محرفة مصحفة مبهمة ـ من الكتاب وهو أمر ما أبعده عن التحقيق الدقيق.

(٤) افتقار المؤلفين والنساخ إلى وحدة كتابية مما يؤدى الى تباين كبير فى رسم بعض الكلم. واستخدام كثير من الصيغ الكتابية غير المعروفة عند أهل عصرنا.

وعلى ذلك فاخراج النص بشكله الصحيح أمر متعارف عليه ولكن كيف يتم ذلك إذا لم نتخذ من التدابير والاجراءات الأخرى ما يعين على إخراجه بشكله الصحيح الذى يريده المؤلف؟.

أسس وقواعد :

مسيرة وضع القواعد :

يحدثنا الدكتور شكرى فيصل فى بحثه «التراث العربى ـ خطة ومنهج» عن الظروف والملابسات التى اكتنفت بدايات العمل لتحقيق المخطوطات فيقول : «لقد بدأ الاهتمام بهذا التراث مع بدايات النهضة . . ولكن العناية به على مدى هذين القرنين التاسع عشر والعشرين كانت هذه العناية الممزقة إن صح التعبير . . لم يكن لهذه العناية منهج مرسم ولم يكن وراءها نظرية كلية سابقة على العمل ولم تنهض به قوة واحدة مؤتلفة .

كانت قوى الوطن العربى والبلاد الاسلامية مشتتة وقد جوبه الاهتمام بهذا التراث مشتتاً بدأكل من حيث استطاع أن يبدأ . . وعمل كل فى الاتجاه الذى استطاع أن يعمل فيه . . ونهضت الحكومات أحياناً بهذا العبء فى بعض البلاد . . واحتمل العبء مؤسسات أو أفراد أو جماعات فى بلاد أخرى . . وانعكست كل مظاهر التجزئة النفسية والفكرية والسياسية على العمل فى هذا التراث حين عملنا له وعلى اهماله حتى اهملناه . . واستبدت بالتوجه نحوه والعمل له اتجاهات مختلفة يمكن أن تكون موضع بحث دقيق خاص لعل هناك من ينهض به ويربط بينه وبين مظاهر الحيوات الاخرى . . وأصبحنا ندرك بوضوح ـ يوماً بعد يوم ـ أن هذا التراث ـ وهو بطبيعة الحال تراث مشترك ـ لابد فيه من عمل مشترك . . وأن ثقل الحمل يقتضى أول ما يقتضى التعاون على حمله . . وإن انتسابه إلى الوطن العربى والبلاد الاسلامية يحتم أن يكون العمل فيه نقطة التقاء بين أطراف الوطن العربى والبلاد الاسلامية . . وأن النظر الجزئى له انما هو استمرار لروح التجزئة . . والعمل المشتت فيه انما هو تغذية لهذا التشتت والفوضى واطالة لطريق الهدف وتعويق لحركتنا فى الوصول اليه .

ونستطيع القول ان أول من وضع نهجاً فى المؤسسات العلمية لتحقيق نص قديم هو المجمع العلمى العربى بدمشق . . فعندما أراد نشر «تاريخ مدينة دمشق» جمع لجنة من العلماء لوضع قواعد عامة تتبع فى تحقيق مجلدات التاريخ .

ومن اللجان الرسمية التى حاولت وضع نهج فمنها اللجنة التى كلفت بتحقيق كتاب الشفاء لابن سينا وجميع ذلك محاولات رسمية وأما المحاولات الفردية فنجملها بما يلى :

(١) الدكتور محمد مندور فى كتابه «فى الميزان الجديد» .

(٢) الدكتور عبد المنعم ماجد فى كتابه : «مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى» .

(٣) عبد السلام هارون فى كتابه «تحقيق النصوص ونشرها» .

(٤) الدكتور صلاح الدين المنجد فى كتابه : «قواعد تحقيق المخطوطات» .

(٥) الدكتور محمد حمدى البكرى فى نشره لمحاضرات براجستراسر بعنوان «أصول نقد النصوص ونشر الكتب» .
(٦) الدكتور على جواد الطاهر فى كتابه «منهج البحث الأدبى» .
(٧) الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابها «مقدمة فى المنهج» .
(٨) الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «البحث الأدبى» .
(٩) الدكتور نور الدين العتر فى كتابه «منهج النقد فى علوم الحديث» .
(١٠) محمد على الحسينى فى كتابه «دراسات وتحقيقات» ضمنها أمالى الدكتور مصطفى جواد فى أصول التحقيق .
(١١) الدكتوران نورى حمودى القيسى وسامى مكى العانى فى كتابيهما : «منهج تحقيق النصوص ونشرها» .
(١٢) الدكتور عبد الرحمن عميرة فى كتابه «أضواء على البحث والمصادر» .
(١٣) الدكتور محمد طه الحاجرى فى مقالته : «تحقيق التراث تاريخاً ومنهجاً» .
(١٤) أحمد الجندى فى مقالته : «تحقيق التراث» .
(١٥) الدكتور عبد الوهاب أبو النور فى مقالته : «قضية التراث» .
(١٦) الدكتور حسين نصار فى بحثه : «منهج تحقيق التراث العربى وقواعد نشره» .
(١٧) الدكتور شكرى فيصل فى بحثه : «التراث العربى خطة ومنهج» .
(١٨) الدكتور بشار عواد معروف فى كتابه : «ضبط النص والتعليق عليه» .
(١٩) الدكتور عبد الهادى الفضلى فى كتابه : «تحقيق التراث» .
(٢٠) بلاشير وسوفاجيه الفرنسيان فى كتابهما : «قواعد لنشر النصوص وترجمتها» .
(٢١) الدكتور جورج كرباج فى مقالته : «التراث العربى المخطوط بين ماضيه وحاضره» .
(٢٢) مطاع الطرابيشى فى كتابه : «فى منهج تحقيق المخطوطات» .
(٢٣) الدكتور عبد الستار الحلوجى فى كتابه : «المخطوط العربى منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجرى» .
(٢٤) الدكتور محمد التونجى فى مقالته : «المخطوطات العربية بين يدى التحقيق» .
(٢٥) محمد العروسى المطوى فى مقالته : «حول تحقيق التراث» .
(٢٦) الصديق الصغير بشير فى مقالته : «نحو فلسفة جديدة لنشر كتب التراث» .
(٢٧) الدكتور إحسان النعمى فى مقالته : «نموذج فى تحقيق المرويات الأدبية» .

أسس تحقيق التراث ومناهجه :

عقد تحت هذا العنوان فى بغداد من ٢٠ الى ٢٩/٥/١٩٨٠م لجنة من العلماء المشتغلين بالتحقيق بدعوة من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية . . بالتعاون مع وزارة الثقافة والاعلام العراقية . . وقد أقرت اللجنة الأسس والمناهج التى سأعرضها لاحقاً والتى تعتبر بحق أفضل خطة ومنهج على الباحث اتباعه فى تحقيق التراث لجمعه خبرات النخبة الممتازة من المحققين والعلماء فى تاريخنا المعاصر . ولذلك آثرت عرضها بدون إشارة الى الخطط والمناهج المتبعة من قبل السابقين لتضمنها تلك الخبرات وقد كانت تدور على ثمان نقاط هى :

١ ـ اختيار المخطوط :

لم يخضع تحقيق التراث فى جملته لقاعدة واضحة أو منهج مرسوم للاختيار فى السابق ولذلك اقترح :

●● تقديم الأهم على المهم . . وتقديم الأصول على الفروع والمختصرات . . وتقديم ما لم ينشر على اعادة ما نشر . . والتسامح بتجديد نشر المطبوعات التى لم تراع فى تحقيقها القواعد العلمية أو كشف التنقيب عن نسخ جديدة أصح وأوثق .

●● يولى التراث العلمى عناية خاصة ويحبذ أن ينشأ له مركز فى أحد الاقطار العربية وفروع لهذا المركز فى الاقطار الاخرى .

●● يناط بمعهد المخطوطات العربية اختيار طوائف من المخطوطات الأصول التى يرى المختصون ضرورة تحقيقها ونشرها فيجمع نسخها ويعرفها تيسيراً للمحققين .

٢ ـ معرفة النسخ وجمعها :

وهى مهمة أساسية بالنسبة للمحقق وقد اقترحت اللجنة أن يقوم معهد المخطوطات بصنع فهرس موحد لما دون فى فهارس المكتبات العامة والخاصة تيسيراً للباحثين .

٣ ـ دراسة النسخ وتعرف مراتبها فى الصحة :

تدرس النسخ فى المرحلة الأولية من التحقيق لتعرف النسخة «الأم» أو ما هو فى منزلتها لاعتمادها أصلاً فى التحقيق . . ويضاف الى ذلك تعرف النسخ الثانوية وتصنيفها وبيان مراتبها من الصحة والتوثيق وذلك وفق القواعد الآتية :

١ * الاصل أن تكون النسخة التى كتبها المؤلف هى النسخة . . «الأم» إن وجدت . ولكن المؤلف كثيراً ما يعاود كتابة النص فيزيد أو ينقص منه أو

يعدل فى ألفاظه وعباراته فيتعين على المحقق أن يتبين ذلك .

*** تلى نسخة المؤلف النسخة التى عليها خطه .**

*** النسخة التى كتبت عن نسخة المؤلف وعرضت بها .**

*** ثم النسخة التى كتبت عن نسخة وثقها المؤلف .**

*** ثم النسخة التى كتبها عالم متقن ضابط .**

*** على المحقق إن لم تتوفر له نسخة مما ذكر أن يستفيد من النسخ التى اجتمعت لديه .**

إن دراسة النسخ تهدف الى اثبات أمرين :

١ ـ تحقيق نسبة النص الى صاحبه .

٢ ـ إن النص الذى بين يدى المحقق هو نص المؤلف من غير زيادة ولا نقصان . ويتحقق ذلك فى درس الكتاب ونصوصه، ومما قاله فيه من تحدثوا عنه من المترجمين للمؤلف أو من الكتب التى نقلت عنه .

(٤) ضبط النص :

ويقسم الى :

أ ـ النسخ والرسم :

يبدأ التحقيق بنسخ المخطوط على أن يتولى المحقق نفسه ذلك إذ يتاح له التهدى إلى مشكلات النص وحلولها . . وعلى المحقق اتباع ما يأتى :

● أن يلتزم قواعد رسم الكتابة المتفق عليها قديماً إلا فى أشياء درج عليها المعاصرون مثل رسم «مئة» و«الحارث» و«اسحاق» ونقط الياء المتطرفة للتفريق بينها وبين المقصورة والفصل فى الأعداد المركبة مثل «ثلاث مئة» .

● أن يدون المحقق فى المقدمة ما درج عليه كاتب النسخة من رسم الكتابة وأن يوضح ذلك بأمثلة من جميع ما صنع ولا يشير الى ذلك فى التعليقات .

ب ـ توضيح معالم النص :

■ تتم كتابة النص بحسب معانيه وذلك بأن تقف الكتابة عند انتهاء المعنى أو النقل ثم يبدأ بسطر منفصل عنه الى آخر النص .

■ تستعمل الدوال وهى : النقط والفواصل والخطوط والشارحات وعلامة التعجب وعلامة الاستفهام والأقواس ونحو ذلك مما يوضح المعانى .

■ كتابة أرقام أوراق المخطوط المعتمد فى صلب النص مع خط مائل تيسيراً للمقابلات .

■ ترقيم الأسطر ترقيماً خماسياً تسهيلاً للمراجعة .

■ استعمال الأقواس المزهرة لآيات القرآن الكريم .

- وضع معكوفات لما يستدركه المحقق على النص [ ].
- استعمال قويسات للأحاديث النبوية وللنقول وأسماء الكتب ونحو ذلك.
- تمييز حروف الأسانيد عن حروف المتون بحروف متباينة صغرا وكبرا.

ج ـ الضبط:

يتعين على المحقق فى الضبط أن يشكل من الألفاظ ما أشكل وأن يقيد بالحركات لآيات القرآنية والاحاديث النبوية والأمثال والشواهد والمشتبه من الأعلام والغريب من لألفاظ وما قد يلتبس أو ينبهم من المصطلحات والتراكيب بالاستعانة على ذلك بالمصادر لموثوق بها والمراجع المتخصصة. وما تعددت فيه وجوه الضبط فيقيد الضبط كتابة.

٥ ـ التعليق على النص:

أ ـ اثبات فروق النسخ والتعليل عند الترجيح:

- تجنب الاغراق فى مالا يفيد ذكره من فروق النسخ.
- التنبيه على ما يحتمل من النصوص قراءتين أو أكثر وضرورة التعليل عند الترجيح موثقاً بالدليل.

ب ـ التعريفات:

- يعرف المحقق من الاعلام والمواضع وما فى حكمها ما يحتاج الى تعريف من غير استقصاء ولا إغراق.
- يدون فى الحاشية اسم الكتاب والجزء والصفحة فقط ويحال ما يتعلق بالمعاجم المترتبة على الحروف على المادة لا على الأجزاء والصفحات ما عدا معاجم المعانى وما شابهها.

ج ـ التخريج:

- الهدف من التخريج هو التوثيق والتصحيح ولذلك يقتصر فى التخريج على ما يحقق هذين الهدفين.
- توثق مواطن النقول فى النص ضبطاً أو تكملة واثباتاً للخلاف فى الرواية حيث يكون ذلك مفيداً. ويكون التخريج فى الآيات والاحاديث والشعر والنقول كافة.
- فى الآيات يذكر اسم السورة ورقم الآية.
- فى الاحاديث يكتفى بالتعليق عليها بما يفيد اظهار درجته وتحديد مرتبته استناداً إلى المصادر الموثوق بها.
- فى الشعر يرد الى مكانه من الديوان إن كان مطبوعاً وإلا تعين ذكر المصادر المشهورة التى أوردته وذلك حين يكون هذا الشعر يحتج به فى متن اللغة أو يستشهد به فى علوم العربية.
- أما النقول فيشار الى مواضعها ما أمكن.

د ـ التنبيه على الأوهام:

إن عمل أى من المؤلفين لا يخلو أن تخالطه بعض الأوهام ـ وعلى المحقق الذى يقع على هذه الأوهام التنبيه عليها على أن يتروى ويلتزم جانب الحذر والتحقق فلا يتعجل فى أمور لها ما يجوزها أو خالات لها ما يفسرها. . ويكون موضع هذا التنبيه فى الحاشية ويثبت المحقق فى المتن الوجه الصحيح الذى اطمأن إليه إلا أن يخالطه شيىء من تردد أو يغلبه جلال مكانة المؤلف عنده فإنه حينذاك يترك المتن على حاله ويقترح التنبيه فى الحاشية.

٦ ـ المقدمــة :

يضع المحقق مقدمة للكتاب المحقق يراعى فيها ما يأتى:

■ أن يعرف المؤلف المشهور تعريفاً موجزاً على أن تدون مصادر ترجمته لمن يريد التفصيل. ويستحسن تدوين تراجمَ تفصيلية لمن لم يعن بالكتابة عنهم.

■ وصف موضوع الكتاب وما كتب فى فنه ومكانته بين هذه الكتب.

■ منهج الكتاب.

■ وصف النسخ المعتمدة فى التحقيق وبيان مواضعها وما دوّن عليها من وقفيات وتملكات وسماعات ونحو ذلك.

■ يوضع للكتب العلمية تلخيص لمادة الكتاب فى آخره.

٧ ـ الفهــارس :

على المحقق أن يفهرس كل ما يمكن فهرسته من: الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأمثال والأعلام والكتب التى رجع إليها فى التحقيق والكتب التى ذكرها المؤلف أو أخذ عنها وإثبات ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية والفنية.

يراعى فى فهارس الأعلام ما يلى: يبدأ فهرس الأعلام بالأسماء المبدوءة بألفاظ: ابن، ثم ابنة، ثم أبو، ثم أم، ثم بنت. ولا تذكر هذا الصفحات إذا كانت الأسماء معروفة وإنما يحال على الاسم فى موضعه من تتالى الحروف الهجائية فالعلم: «أبو اليمن الكندى» يذكر فى «أبو اليمن» ويذكر اسمه الى جانبه: زيد بن الحسن، ويحال عليه وتذكر أرقام الصفحات فى حرف الزاى.

■■ ثم تبدأ فهرسة الأسماء على ترتيب حروف الهجاء بدءاً بالهمزة الممدودة مثل آدم ونحوه ثم ما يكون بعد ذلك: الهمزة والباء.

■■ والألفاظ التى تداخلها الهمزة يراعى فى موضعها الحرف الذى توضع عليه الهمزة.

■■ فى فهارس المصادر يذكر اسم الكتاب كاملاً واسم مؤلفه ومحققه أو مترجمه ثم موضع الطبع وتاريخه الهجرى أو الميلادى بحسب المدون على الكتاب . . أما المصادر الأجنبية فيصار فى تدوينها الى النظام الأجنبى .

■■ لا مكان لألقاب التكريم أو الألقاب العلمية فى الفهرسة .

٨ ـ الطباعة :

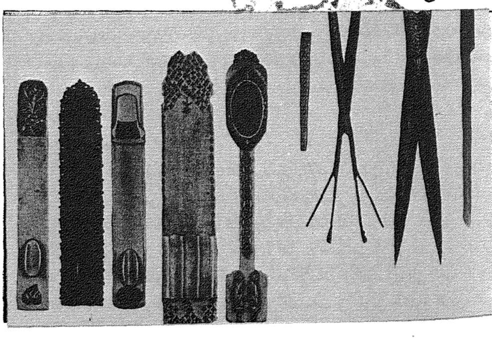
ينتفع بأساليب الطباعة الحديثة وتطويعها للحرف العربى بما يضمن المحافظة على أصالته وجماله وبما يحقق احتياله للشكل فى موضعه المناسب من الحروف دون ابهام أو ايهام .

■■ تستعمل الأرقام العربية المشرقية دون غيرها .

كيفية الاستفادة من التجارب :

السؤال الذى يراود ذهن القارىء الآن بشكل طبيعى واعتيادى ماذا تعنى بالاستفادة؟ وهل تتصور أن جميع القراء يعون أو يسعون لكى يكونوا محققين؟ .

وأنا لا ألومهم فى ذلك لأن طبيعة إنساننا العربى التسرع والعجلة . . فهو لا يعرف ـ على الغالب ـ كيفية الربط بين الماضى والحاضر وهو بهذا أشد جهلاً عندما تقول له استفد من تجارب العلماء فى الرياضيات والفيزياء والكيمياء التى تراها فى دراستك من خلال المناهج الموضوعة جافة جامدة لا حياة فيها ولا فائدة منها بنظرك ـ فى حياتك العملية



بحيث تقوم بربط كل شيء جامد جاف بشيء حيٍّ ملموس. . فبذلك نستطيع أن تصل الى ما تصبو إليه وبذلك تحس بالراحة والمتعة والاطمئنان لأنك لا تضيع وقتك سدى بل تستفيد منه بما يغني ويدفع عجلة التقدم والرقي.

وكذلك عندما يريدون الاستفادة من تجارب علماء التراث (المحققين) فإنهم سيستفيدون أموراً كثيرة من أهمها:

(١) التعرف على ماضي أمتهم وما حوته من عناصر العلم والحضارة والرقي وما قدمته للعالم من مآثر لا نزال نعيش بروحها مستمدين القوة والنشاط مما خلفته لنا وبالأخص صبر علمائها على شدائد العلم والتحصيل لكي يقدموا لنا في النهاية تراثاً أضعناه بجهلنا وكسلنا.

(٢) دراسة المناهج المتبعة في تحقيق النصوص ومقارنتها مع مناهج البحث العلمي في المخابر التجريبية ومحاولة اعتبار ذلك نقطة تحول في تاريخنا المعاصر وخطوة مبدئية للوصول الى المدرسة التجريبية العربية والاسلامية في مجالات العلوم التقنية الحديثة.

(٣) طبيعة الحياة المعاصرة ببهرجتها وتشعب علاقاتها تتطلب من كل إنسان أن يكون محققاً ومدققاً ومتحرياً للحقيقة في اختصاصه ومجال عمله. فالمدرس الذي عليه إعطاء تقرير عن تلامذته والتقرير ليس صف كلام فحسب بل جد وتعب سيقوم بعملية تقويم لكل طالب وإعداد بطاقة عنه ثم العكوف على البطاقات المتوفرة لديه وتصنيفها واستخلاص النتائج منها وبعد ذلك كتابة الصفحات القليلة فيما يسمى بالتقرير. وكذلك الطبيب الناجح الذي يقوم بعملية المتابعة الدقيقة لمريضه متابعاً كتابات السابقين واللاحقين عن الأعراض التي وجدها ومن ثم البحث عن أفضل طرق العلاج. وكذلك المحامي الذي يعكف على كتبه القانونية باحثاً عن الثغرات التي سيستفيد منها في إحقاق حق موكله وإبطال باطل خصمه. . ومما يؤكد ذلك ما قاله جاكزبازون وهنري جرافت في كتاب «الباحث العصري» في مزايا الباحث بصورة عامة: الدقة والقدرة على التحقق من صحة المعلومات والتقيد بنظام البحث منعاً للخطأ والفوضى. فهناك الكثير مما يجب قراءته وفهرسته وتسجيله ومقارنته وتنظيمه وتنسيقه وإعادة نسخه.

كيفية تحصيلها:

بعد أن يكون القارىء قد اقتنع ان على الجميع أن يكونوا محققين وأحب أن يكون محققاً للتراث العربي الاسلامي فما عليه بعد وجود الرغبة والتمكن من علوم الآلة ـ اللغة ـ إلا المثابرة والجد على المطالعة ومتابعة ما كتب وسيكتب هذا الفن مع قيامه بالتطبيق العملي المستمر والمتواصل ولا مانع أبداً من مشاورة أهل الاختصاص في كل ما يعرض له من مشكلات في قراءة المخطوط ملاحظاً أن الصبر هو الأساس في الوصول الى الغاية المرجوة لأن الانسان الصبور وحده القادر على تحمل الصعاب في طريق الكنوز المرتقبة التي يرجوها.

وعليه أن لا يأبه أبدا لتثبيط المثبطين بتوهين عزيمته وحمله على ترك ما يقوم به لأن طبيعة بعض المنتفعين المتنسبين إلى العلم جهلاً وزوراً تجعلهم يضيقون ذرعاً بكل من ينازعهم عروش الشرف التى يتربعون عليها ناسين أو متناسين أن عملهم هذا خيانة للعلم والأمانة التى حُمِّلوها.

فالصبر والجلد والمثابرة والسؤال يستطيع الانسان أن يكون علامة زمانه . . وما الكسائى إمام الكوفيين فى النحو واللغة إلا صورة من تلك الصور المشرقة التى تظهر حقيقة هذه الكلمات السحرية . . فقد تعلم النحو على كبر ومع ذلك أصبح إمام زمانه ومن أتى بعده الى عصرنا. وسبب ذلك أنه جاء الى قوم وقد أعيا فقال : لقد عييت فقالوا له : تجالسنا وأنت تلحن قال : وكيف لحنت؟ . قالوا : إن كنت أردت من انقطاع الحيلة فقل : عييت . . وإن أردت من التعب فقل : أعييت . فأنف من هذه الكلمة وقام من فوره . وسأل عمن يعلم النحو فأرشد إلى معاذ الهراء فلزمه حتى أنفد ما عنده ثم خرج الى البصرة فلقى الخليل . . وهكذا تتابعت رحلاته حتى عاد وصدر مكان الخليل بعد موته .

وما الكسائى إلا نموذج اقتفاه غيره كالعز ابن عبد السلام سلطان العلماء . . فعلى الطالب صغر أم كبر اقتفاء أثر هؤلاء فى جدهم ومثابرتهم وإلا فلن يفلح فى شىء مهما كان سهلاً .

الجـدّ يدرك مالا يدرك الطـلبُ	والجِـدُّ من غير جَدٍّ كلُّهُ تعـبُ
وكـل شىء فبالأقدار موقـعُـه	ما للأمـور سوى أقـدارهـا سـبـب

خاتمة

فى النهاية لابد لى من القول إن ما قدمته ليس إلا اشعاعات تنير الطريق أمام من لم يعرف غابات هذا العلم . . وهى ليست كافية لمن يريد أن يصبح محققاً بل كما قلت تنير له بعض الطريق . . علماً أننى استفدت كثيراً من تجارب الآخرين فى اعداد هذه الوريقات التى تعبر فى صورتها المقتضبة عن تجارب أمة فى مسيرتها عبر القرون . . وأرجو أن أكون قد قدمت شيئا طريفاً ومفيداً لمن يريد أن يستفيد . . فاتحاً بذلك الأعين النائمة والناعسة عن ذاك المخزون الحضارى لأمتنا أمة العلم والحضارة . . راجياً من الله العلى القدير أن يعيننى ويعين الجميع على نصرة دينه والذود عن شريعته . . إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير.

كلمات

حسن الخلق

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت حسن الخلق ؟ فقال : من قيس بن عاصم ، بينما هو ذات يوم جالس فى داره إذ جاءته خادم بسفود عليه شواء ، فنزعت السفود من اللحم ، وألقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته ، فارتاعت الجارية فقال : لا روع عليك ، أنت حرة لوجه الله تعالى .

مازلنا

نقدم لأطفالنا هذا الغث فيما نوفر لهم من كتب ومجلات وبرامج إذاعية وتلفازية حتى وقع فى ظن المراقب ان ليس لدينا بعدُ ما نقول. فيا كُتّاب أدب الاطفال أرأفوا بأطفالكم فإنهم خميرة المستقبل.. فإذا قدمتم إليهم التافه بُنِيَ فكرُهم ـ محرّك عجلات التاريخ ـ على كل باهت واهٍ غير ذى فعل.

■ فإذا كتبتم لهم لا تنسوا جوهرة جواهر الشعر الجاهلى «لاميّة الشّنفرى».. ضعوها ملء عيونكم وعيونهم.. وكحلوا بها بصيرتكم النقدية وبصيرتهم.. واصقلوا بجمالياتها اللامتناهية ذائقتكم وذائقتهم.. وانتشلوا انفسكم بها من وهدة المعاد المكرور إلى الجديد المسكون خلف كل لبنة بالدهشة ووراء كل نبضة بالدهشة.. وتحت كل غلالة لفظ وخيال بالدهشة.

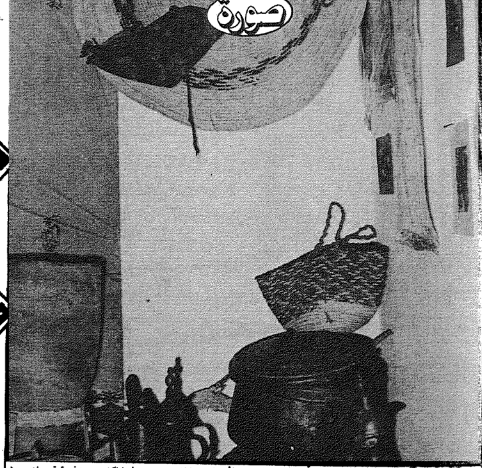
■ انتزعوا انفسكم عندما تكتبون للأطفال من فكرة أن الطفل لا يفهم وأن الطفل لا يتذوق.. وان الطفل لا يدرك إلا كل ما هو سهل مبتذل.. وعلموا أطفالكم النبهاء أدب أجدادكم الذى تتلمذ عليه عمالقة أدب أجدادكم علموهم المعلقات ودربوا مسامعهم على إيقاع الشعر الجاهلى.. اجعلوهم يفهمون الصحراء العربية وما أنجبت ليفهموا اللغة العربية وكيف بُنيتْ.. والانسان العربى وكيف صُنِعَ على عين العناية ليكون «فؤاده المشـع» مهداً لكلمة الحق التى أتى بها الاسلام و«أبيضه الإصليت» مشرعاً من أجل الحق و«صفراؤه العيطل» لا تنطلق إلا لتحقيق الحق.

خذوهم الى مجد الكلمة لا إلى حاضرها الباهت التافه.. ارتقوا بهم قمم التعبير وتصاعدوا معهم الى سموات الخيال الحقيقى.. ذلك الذى يظل يحمل فى اجنحته المشرعة الجدة والدهشة.

●● أرأفوا بهم من غثّ ما يقرأون.. وأشفقوا عليهم من سقيم ما يسمعون وحرروهم من زنزانات أحكامنا المطلقة واذواقنا التى أفسدها السهل والركيك والقريب المتناول والوضيع الشأن.. من الفكر والأدب والنقد المستهلك.

●● حفِّظُوا الاطفال عيون الشعر فتتفجر شاعرية كل صاحب استعداد وأدبوهم بأدب الجاهلية تمهيداً لتأديبهم بأدب القرآن الكريم.. فما من ايقاع مثل ما بهذين الأدبين.. وما من تصوير مثل ما فى اخيلتها.. وما من مراعاة لأحكام الطفولة ولغتها وقصر نفسها مثل ما فى سور القرآن القصيرة.

■ أتيحوا لهم أن يتتلمذوا على ما تتلمذ عليه كبار شعراء الجاهلية الذين «قرزموا» الشعر وهم أبناء سبع حتى نبغ منهم شعراء كبار ووفروا لهم أن يتأدبوا على اللغة التى رضعها وذاقها وشمها وتنفسها وأحبها وصانها محمد ﴿ﷺ﴾. وإذا صارت الصحراء غير الصحراء وما عاد ممكناً أن تأخذوهم إليها لينهلوا منها لغتهم فلم لا تأتون بها اليهم؟ . . وتعطونهم خيرها الذى صنع رجال هذه الامة منذ اسماعيل عليه السلام وحتى آخر رجل خرج منها وهو يحمل منها أغلى ثرواتها: اللغة.



● قطع أثرية رجع القرون خلت تمثل جانباً من الفن العربى الأصيل. . اغتربت عن وطنها اكثر من (خمسة قرون) حيث كانت معروضة فى احد متاحف (لندن) ورجعت اخيرا الى وطنها لتضم الى مثيلاتها الممثلة لتراثنا الشعبى والقومى.

إذا لم يكن ممكنا أن يذهبوا الى الصحراء فأحضروها اليهم ودعوهم يرون بعيونهم المبهورة جبالها وآكامها وكثبانها ووحشها ونبتها وهاجرتها وسَيّلها وآرامهـا. . ودعوهم يكتسبون صلابة امتدادها اللغوى وايقاع جرسها الموسيقى. . وقوة تعبيرها وخيالها التى جعلت الشنفرى شاعر شعراء الصعاليك يقول:

أديـمُ مطـالَ الجـوع حتـى أُميـتَـهُ
وأضـربُ عنـه الـذكـرَ صفـحـاً فأذهَـلُ
وأسـتـفُّ تربَ الأرض كي لا يرى له
علّيَ من الطَّـوْل امـرؤ مُتطـوِّلُ
ولـولا اجـتـنـابُ الـذَّأم لم يُلْفَ مشـرَبٌ
يُعـاشُ به إلّا لديَّ ومأكَـلُ
ولـكـنَّ نَفـسـاً مُرَّة لا تُقـيـمُ بى
على الـذَّأم إلا ريـثـما أتحـوَّلُ
وأطـوى على الخُـمْصِ الحـوايـا كما انطـوتْ
خيـوطـةُ مارى تُغـارُ وتُـفـتَـلُ
وأغـدو على الـقُـوتِ الـزهـيـدِ كما غدا
أزلُّ تهاداه الـتـنـائـفُ أطـحَـلُ(١)

فإنما فى مرحلة الهشاشة من كل شيىء ينبغى أن تبحث عن الصلب الباقى حتى لو كان خشنا صلدا تنزُّ له الاقدام دما من الصعود اليه . . والايدى من التمسك به .

■ ولا تظنوا أنكم بذلك تنكفئون عن عصر التكنولوجيا (الذى لا تساهمون فيه بصنع ابرة خيط) . . وأنكم تتراجعون عن التجربة الحضارية المعاصرة (فإن لديهم ـ فى الغرب ـ من العلماء من أفنى عمره فى درس الصحراء ولديهم من المؤسسات ما لا ينصرف الى درس شيىء غير الصحراء) .

■ اعيدوا ترتيب بيتكم وتعرفوا إلى موجوداته . . ودعوا اطفالكم يفعلون الشيىء نفسه قبل أن تنبهروا ببضائع الآخرين . . وتتحولوا نتيجة الشعور بالدونية عن الابداع فيما تعرفون إلى الانصياع الى مالا تعرفون .

■ وسلموا أطفالكم الأمانة من أجدادهم فإن فعلتم فإنى لا أراهم إلا حافظيها . . وربما شهدنا ونحن على قيد الحياة اشتغال اطفالنا بواحدة من أخص خصائص وجودنا . . أعنى اللغة . . وهذه غاية من أعز ما نصبو اليه فى أدب الاطفال .

---

(١) المطال : من المماطلة ، فأذهل فأنس ، الطول : المن ، الذأم : الذم ، مرة : أبية ، الخمص : الجوع ، الحوايا : جمع حوية وهى ما تحوى فى البطن إذا اجتمع واستدار ، المارى : الفاتل.تغار : يحكم فتلها ، أغدو : أذهب صباحاً ، أزل : الذئب الأرسح لا است له.تهاداه : كلما خرج من مفازة دخل فى أخرى ، التنائف : الأرض القفار ، أطحل : لونه كلون الطحال .

عددنا القادم

الاسلام مسئولية وعمل اجباري

م. عبدالكريم التواتي

الحب الثاني عند العرب

م. عبدالجبار محمود السامرائي

جسر الى الشاطىء الآخر «الوحشة»

د. حسن الشرقاوي

ثمرات وثغرات

ضمن ملف مسائل للشباب

م. سعيد مصلح السريحي

التخييل والحظ والعدل

م. محمد العربي الخطابي

من ذخائر المكتبة التراثية

«كتاب المقصور والممدود»

د. ابراهيم السامرائي

الأدب السعودي نقطة مضيئة في

تاريخ الأدب العربي

م. أحمد جبير

ذكريات اديب

م. أحمد محمد جمال

وجديد عطاء مجلاتنا الداخلية (الصالح

فلسطيننا.. المشتار.. نحن) والأبواب

المعتادة التي تحمل المفيد الجديد.

جديدنا للأعداد القادمة

●● **«تعتبر المناسبة طريقاً من طرق الاجتهاد فى كل ما لا نص فيه . . ووصفا من اهم الأوصاف التى تبحث فى مجال التعليل فى احكام النوازل المتجددة التى لم يرد فى حكمها نص من الشارع»**

والمناسب إما ان يكون أخروياً أو دنيوياً وفى كليهما هو (ما يجلب للانسان نفعاً أو يدفع عنه ضررا) والمناسب الدنيوى ثلاثة أقسام.

هذا ما نتابعه فى تفصيل دقيق مدروس خلال البحث الفقهى عن (حفظ الضروريات) للأستاذ الدكتور على عبد العزيز العميرينى.

وتنشره المنهل على حلقات متتالية.

●● *«المنهل السنوى» سيضيف إلى فرائده السابقة* ***(الفن - الأمن والأمان - التراث)*** *عدده السنوى لهذا لعام ١٤٠٦هـ والمخصص لموضوع ... وامتدادها واطلالاتها على المستقبل الثقافى القريب والبعيد . . وهذا الاصدار يضم بين دفتيه توجهات الثقافة العربية - فى شموليتها - فى كل الدول العربية . . باقلام نخبة من الكتاب العرب.*

●● *«التوأمان» أول قصة لكاتب سعودى . . هدية المنهل لقرائه بمناسبة الذكرى الثالثة لرحيل مؤلفها الاستاذ عبد القدوس الانصارى . . سينشرها المنهل بروسمها فى عدد جمادى الثانية ١٤٠٦هـ.*

كل هذا وفاء لما وعدنا به فى فترات سابقة واصبح التزاماً ادبيا وثقافيا ومعرفيا.

لا أحد يستطيع أن ينكر انه كان للمسلمين مآثر عظيمة وأياد بيضاء وبصمات بارزة على الطب بصفة عامة وطب العيون بصفة خاصة . . وفى الوقت الذى كانت فيه أمجاد المسلمين فى الطب تلوح فى الآفاق كانت أوروبا ترزح فى ظلام الجهل والتخبط والضلال وكان الطب يمارس فيها فى صورة شعوذة من قبل رجال الكنيسة . . ولم تقم قائمة للجامعات الاوربية إلا بعد ان تأثرت أوروبا بالحضارة الاسلامية وتفاعلت معها ونقلت العلوم التطبيقية إلى جامعاتها.

ومن المعروف أن تاريخ طب العيون عند العرب والمسلمين قد مر فى عدة مراحل حتى وصل إلى أرقى درجة وأرفع منزلة متمثلاً فى التطور الهائل والتقدم المذهل الذى أحرزه علماء المسلمين فى هذا المضمار العلمى الغنى، ويمكن أن نلخص هذه المراحل فيما يلى :

أولاً : نقل وترجمة الطب القديم

فى البداية قام علماء العرب المسلمون بترجمة التراث الطبى الذى خلفته الحضارات السابقة للحضارة الاسلامية مثل الفرعونية واليونانية والرومانية والفارسية والبابلية والآشورية والهندية . . وكانت هذه المرحلة التى تميزت بحركة ترجمة نشطة أدت إلى الاحتفاظ بالمعرفة الطبية القديمة التى امتلأت بها المكتبة العربية فى الجزء الأخير من القرن الثالث الهجرى والتى تمثلت فى المراجع الطبية القيمة التى تعتبر خلاصة ممتزجة للتجربة العلمية الممتدة للأمم جميعها وللحضارات القديمة كلها .

ومن الأمثلة البارزة لنتاج هذه المرحلة الهامة نجد أن حنين بن اسحاق العبادى فى القرن الثالث الهجرى قد قام بترجمة وتلخيص تراث طب العيون لجالينوس وقد دونها فى عشر مقالات هى عنوان كتابه الشهير.

وايضا نجد العلامة المسلم أبو بكر الرازى (فى القرن الرابع الهجرى) قد نقل فى كتابه «الحاوى فى الطب» الجزء الثانى الذى يختص بطب العيون بعض الآراء لجالينوس وابقراط وإقليدس.

■ والحقيقة التى يجب أن نعرفها جميعاً أن علماء المسلمين لم يكتفوا فى هذه المرحلة بالترجمة الحرفية لتراث طب العيون القديم القديم فحسب بل انهم قاموا بالشرح والتعليق على آراء ونظريات العلماء الذين سبقوهم فى هذا المجال وأيضا بالنقد لهذه الاراء والنظريات فى بعض الاحيان.

طب العيون بين التراث و الحضارة

فمثلا نجد أن الرازى (القرن الرابع الهجرى) وابن سينا (القرن الخامس الهجرى) قاما بنقد نظرية الابصار وآراء جالينوس وإقليدس فى هذا الصدد وقد رفضها ابن سينا من اساسها وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن علماء المسلمين قد فحصوا هذه الآراء والنظريات وأخضعوها للعقل والمنطق السليمين مما يؤيد الفهم السليم والاستيعاب العميق لهؤلاء العلماء.

وأدى ذلك فيما بعد إلى خلق روح الابداع والابتكار لديهم وما يدل على ذلك أن علماء العرب والمسلمين قد ألموا واستوعبوا جميع التركيبات الدوائية والوصفات التى ذكرت فى التراث القديم وأنهم زادوا عليها بأن اخضعوها للتجربة والمشاهدة والاستنتاج ودونوا الصحيح منها بعد اختباره وحذفوا الكثير بعد أن ثبت لهم عدم فائدته.

ثانيا: مرحلة التأليف والابتكار



بدأ علماء العرب المسلمون فى هذه المرحلة فى تدوين نتائج التجارب التى أجروها بأنفسهم فى المجال العلمى التطبيقى وأدى ذلك إلى اصدار كتب عديدة وقيمة برزت من خلالها شخصية المؤلف المسلم ودرجة إبداعه وفطنته.

وقد ظهرت مؤلفات كثيرة للأطباء العرب والمسلمين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الرازى وحنين بن اسحاق وعلى بن عيسى وابن سينا والحسن بن الهيثم وعمار بن على الموصلى وغيرهم، وحين وصلت هذه المؤلفات الى المستوى الراقى والدرجة العالية والمحتوى القيم فإن أوروبا وجدت نفسها فى حاجة ماسة الى ترجمة هذه المؤلفات القيمة من اللغة العربية الى اللاتينية، فقد نقل الى اللاتينية كتب ابن سينا والرازى وعلى بن عيسى.. الخ.. وقد ظلت اوروبا تعتمد على مثل هذه الكتب فى التدريس فى جامعاتها حتى بداية القرن الثامن عشر الميلادى (الثانى عشر الهجرى).

■ وجدير بالذكر أن المسلمين كان لهم فضل كبير وسبق عظيم فى ابتكار نظرية الابصار وفى مجال تشريح العين لمعرفة ماهيتها وتسمية أجزائها مع الالمام بالاساس الوظيفى لكل جزء ومعرفة الكثير عن أمراض العين المختلفة وبخاصة العلامات السريرية (الاكلينكية) المميزة لكل مرض.

ومن المعلوم أن علماء العرب قد أطلقوا علم الكحالة على العلم الذى يتعلق بطب العيون ophtha ℓmolog y وقد قاموا بتقسيم هذا العلم إلى فروع عديدة منها ما يتصل بتشريح وتركيب العين، ومنها ما يتصل بكيفية الابصار وعلم وظائف اعضاء العين ومنها ما يتعلق بامراض العيون مثل المسائل العلمية والقضايا التى يحتاجها الطبيب فى ممارسته اليومية ومنها ما يتعلق بالتركيبات الدوائية والعقاقير والكحل التى تعالج العين ومنها ما يتصل بالعمليات الجراحية للعين وما يحتاجه الجراح من أدوات والات جراحية ومنها ما يتضمن معلومات نظرية تلزم للتدريس . .

ومن الاشياء التى يحق لنا أن نفخر بها أن علماء العرب والمسلمين أول من أطلقوا اسم الشبكيه أو الردينه Retina على تلك الطبقة الرقيقة الشفافة (الطبقة الداخلية الحساسة) المسؤولة عن الابصار وكذلك المخطوطات الهامة التى توضح تركيب العين بشكل قريب جدا من تركيب العين فى طب العيون الحديث بخلاف الصور التشريحية الاخرى التى تبين بوضوح الطريق البصرى الذى يمتد بين العين والدماغ. وايضا الآلات الجراحية التى ابتكرها أطباء المسلمين للاستعانة بها فى اجراء عمليات العيون المختلفة.

ولقد وضحوا شكل ووظيفة كل آلة وقد برز فى هذا المجال الزهراوى الذى عرضها فى صور توضيحية رائعة فى كتابه «التعريف لمن عجز عن التأليف» . . وايضا لا ننسى الحسن بن الهيثم أبا علم البصريات الذى وضع نظرية الابصار والتى مازالت قائمة حتى الآن وتأكدت فى العصر الحديث على يد العالم الفسيولوجى الشهير هيلمهولتز.

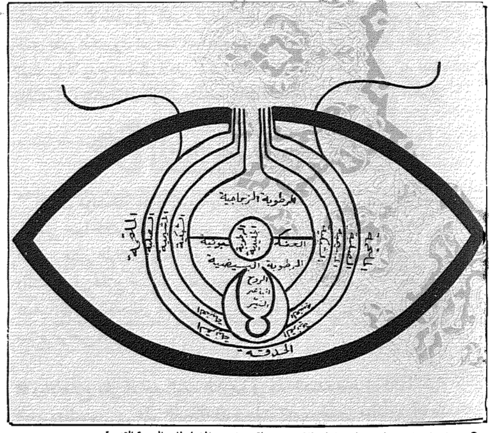
ثالثا: تدريس علم طب العيون المتطور

بعد مرحلة التأليف والابداع والابتكار وانتشار مؤلفات علماء المسلمين فى طب العيون وظهور الكتب التخصصية فى الكحالة والادوية والجراحة . . كل ذلك من عناصر النهضة ادى الى انشاء المدارس الملحقة بالمساجد فى أول الأمر ثم استقلت فيما بعد بالاضافة الى انشاء المكتبات وتزويدها بالمؤلفات العلمية والكتب التخصصية فى علم الكحالة (طب العيون فى ذلك الوقت) وتتلمذ طلاب العلم على أيدى العلماء البارزين فى علم الكحاله أمثال[1] حنين ابن سحاق[2] وابن ماسيويه[3] وأبو بكر الرازى[4] وابن النفيس[5] وغيرهم.

وكان الطلاب فى هذه المدارس يتلقون علومهم فى مختلف فروع الطب بصفة عامة وطب العيـون بصفـة خاصة. وعند تخرجهم كان عليهم اجتياز امتحان علمى بالاضافة إلى الممارسة العملية التطبيقية ليتسنى لهم الحصول على اجازة ممارسة المهنة. وكانت هذه الامتحانات تجرى تحت اشراف المحتسب.

رابعًا: طب العيون والمؤسسات الطبية

تمثلت هذه المرحلة فى انشـاء أجنحة خاصة لمرضى العيون كما كان مستشفى النورى بدمشق وبيمارستان بغداد الذى عين فيه الرازى كبيراً للاطباء ثم ظهرت بعد ذلك العيادات العينية التخصصية لمعالجة امراض العيون مثل العيادات التخصصية التى كان يشرف عليها ابن النفيس فى القاهرة ثم انتشرت بعد ذلك المستشفيات فى جميع البلاد الاسلامية. كل ذلك كان تحت اشراف ومراقبة الدولة من خلال نظام الحسبة الاسلامى.



● صورة توضح اجزاء العين وطبقاتها المختلفة وهى مستلة من احدى المخطوطات العربية القديمة.

خامساً: التطوير فى التشخيص والعلاج

تميزت هذه المرحلة باكتشافات عديدة لعلماء المسلمين فى مجال تشخيص وعلاج أمراض العيون فنجد على بن عيسى الكحال (القرن الرابع الهجرى) يصف تسعة وعشرين مرضا مختلفا من أمراض العين. . أما ابن الاكفانى (القرن الثامن الهجرى) فقد وصف الصورة السريرية (الاكلينيكية) لحوالى ثلاثة واربعين مرضا من امراض العيون.

وفى مجال تحديد الاستفادة من العملية الجراحية قبل اجرائها نجد ان أبا بكر الرازى (القرن الرابع الهجرى) قد وضع شرطاً هاما لاجراء عملية جراحية للماء الأبيض Cataract وهو أن تكون حدقة (بؤبؤ) العين المصابة متفاعلة للضوء والا فان نتيجة العملية سوف تكون غير مرضية على الاطلاق كما ان ابن عمار الموصلى قد قام بتطوير عملية الماء الابيض الرخو (السادر الرخو) وهو اول من عالج العين المصابة بالحول عند الاطفال (فى القرن الرابع الهجرى) وفى مجال طب العيون عند الاطفال الذى يظن الكثيرون ان هذا التخصص وليد العصر الحالى إلا أن الحقيقة التاريخية تثبت بما لا يدع المجال لأدنى شك ان هذا العلم قد ولد على يد علماء العرب والمسلمين ويؤكد ذلك الوثائق والمخطوطات الموجودة بمكتبات العالم الكبرى.

علماء المسلمين فى طب العيون

كانت مؤلفات علماء العرب والمسلمين فى طب العيون بمثابة مراجع هامة لا يستغنى عنها طلاب هذا الفرع من الطب فى أوروبا حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى وبخاصة كتاب (تذكرة الكحالين) لعلى بن عيسى وكتاب «المنتخب فى علاج أمراض العيون» لعمار بن على الموصلى. . وجدير بالذكر ان كتاب تذكرة الكحالين قد ترجم الى العبرية واللاتينية وكذلك كتاب المنتخب فى علاج امراض العيون.

■ وبالاطلاع على الاحصائيات التاريخية فى هذا الصدد نجد ان قائمة اسماء المؤلفين العرب والمسلمين فى علم الكحالة قد شملت اثنين وخمسين مؤلفاً. . أما عدد الذين تناولوا موضوع الكحالة ضمن المواضيع الطبية المختلفة التى عالجتها فلقد بلغ خمسة

علماء بالاضافة الى قائمة الكحالين الذين اشتهروا بممارسة الكحالة دون تأليف كتب قد بلغت حوالى ثلاثة وعشرين طبيبا .

العرض التالى سوف نتناول ـ بمشيئة الله ـ بعض علماء العرب والمسلمين فى طب العيون على سبيل المثال لا الحصر كما يلى :

* أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (٢٣٥-٣٢٠هـ) :

ولد الرازى فى مدينة الرى ونشأ بها وانتقل إلى بغداد وكان عمره نيفاً وثلاثين عاماً . .

وكان الرازى معاصرا لاسحاق بن حنين ودرس الطب فى العقد الرابع من عمره وكان معلمه على بن الطبرى صاحب كتاب «فردوس الحكمة» .

■ ويمكن ان نلخص جوانب حياة الرازى المتنوعة كالآتى :

● **الرازى العالم :** كان الرازى طلعاً يحب ان يعرف وحبّه للمعرفة حمله على ان يلتمسها من مصادرها أيا كانت تلك المصادر .

● **الرازى الاستاذ والفيلسوف :** من أكبر نواحى العظمة فى الرازى حرصه على تعليم طلبته وحرصه الشديد على علاج مرضاه .

■■ **ومن اقواله الحكيمة :** «الحقيقة فى الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تتضمنه الكتب دون اعتداد الماهر الحكيم برأيه خطأ» .

■■ **وايضا قوله المشهور «من تطبّب عند كثير من الاطباء يوشك ان يقع فى خطأ كل واحد منهم» .**

● **الرازى الطبيب :** كان الرازى من أمهر أطباء عصره وكانت له عنايته بالتشخيص ودقته فى شرح ما تقدمه المعرفة وحرصه على متابعة العلاج . كما كان الرازى ذكيا فطناً رءوفا بالمرضى مجتهداً فى علاجهم بكل وجه يستطيعه باحثا فى أسرار وخصائص صناعة الطب وقد استشاره عضد الدولة فى الموضع الذى يجب ان يبنى فيه البيمارستان فى بغداد وقد عين الرازى كبير أطباء البيمارستان .

● **الرازى المؤلف :** تناول الرازى جميع أنواع التأليف الطبى وبرز فى كل منها ويمكن حصر مؤلفات الرازى فى شتى فروع العلم

■ ٥٦ كتابا فى الطب. . ٣٣ كتابا فى العلوم الطبيعية. . ٨ فى المنطق. . ١٠ فى الرياضيات، ٧ فى الفلسفة، ٦ فى علوم ماوراء الطبيعة، ١٣ فى الكيمياء و١٠ فى مواضيع أخرى.

ومن اشهر كتبه الطبية «**كتاب الحاوى**» الذى يعتبر أحد ثلاث كتب عربية تعد من أكبر الكتب العلمية ـ العالمية وظلت اكبر مراجع الطب مدى سبعة قرون. وللرازى الحق ان يفخر بان كتابه لم يسبقه اليه احد فهو اول كتاب من نوع التعليم الاكلينيكى الذى يفيد الاطباء المعالجين واستغرق تأليف كتاب الحاوى حوالى ١٥ سنة ويقع فى ٣٠ مجلداً.

وقد تضمن فى مجلد مستقل موضوعات طب العيون وبعض الحالات النادرة فى طب العيون مثل الناصور الدمعى واحمرار العين وحالات العين فى الحميات والبرقان وأجهزة الجسم المختلفة.

* الشيخ الرئيس ابن سينا:

هو ابو على الحسين بن عبد الله بن على بن سينا (توفى عام ٤٢٨هـ). . كان ابن سينا من اعلام العرب والمسلمين فى الطب وكانت له مؤلفات كثيرة فى الطب ومن أهمها كتاب القانون فى الطب الذى أعتبر المرجع الطبى العام للدراسة الطبية فى جامعات فرنسا وإيطاليا مدة خمسة قرون وقد تضمن كتاب القانون على ما يلزم الاطباء من معلومات نظرية حول كليات الطب ومعلومات عملية فى مسائل الممارسة اليومية. . اما كتاب «الشافى» الفلسفى فقد تضمن شرح نظرية الابصار ولقد اعتبر ابن سينا مسألة كيفية الابصار من المسائل التى يعنى بها الفيلسوف او الحكيم وليس الطبيب الممارس العادى.

وكتاب القانون يقع فى ثلاثة مجلدات وقد احتوى على موضوعات هامة فى طب العيون فمثلا نجد فى المجلد الاول موضوعات تشريحية هامة عن تشريح عضلات مقلة العين وأيضا تشريح عضلات الجفن. . وقد بين حكمة الخالق عز وجل الذى جعل الجفن العلوى متحركا والجفن السفلى ساكنا. أما المجلد الثانى فيتضمن فصلا فى العلامات الكائنة فى العين مثل غور العينين واحمرار العين والحول وجفاف العين وجحوظ العين. . الخ. وأيضا احتوى المجلد الثالث على المقالة الثانية فى العين وما يتعلق بذلك من الأمراض ووصف بعض الادوية التى تعالج مثل هذه الأمراض. . وجدير بالذكر أن لابن سينا مؤلفات كثيرة ومتنوعة فى شتى فروع العلم والمعرفة خلاف الطب مثل الكيمياء والفلسفة وعلوم ما وراء الطبيعة. . الخ.

* على بن عيسى (توفى عام ٤٠٠هـ):

كما ذكرت آنفا ان كتاب «تذكرة الكحالين» لعلى بن عيسى كان يعتبر أحد المراجع

الهامة والاساسية فى جامعات أوروبا حتى النصف الاول من القرن ١٨ الميلادى وقد ترجم الى العبرية واللاتينية عام ١٨٤٥م.

وعلى بن عيسى من أطباء القرن الخامس الهجرى ببغداد وكان مشهورا بصناعة الكحل وبارعا فى ممارسة طب العيون (الكحالة).

وكتاب تذكرة الكحالين يحتوى على ثلاث مقالات فى طب العيون مقسمة كالاتى:

- المقالة الأولى: وتنقسم الى واحد وعشرين باباً وتتضمن معلومات تشريحية دقيقة وشيقة عن العين وتركيبها وعدد طبقاتها ورطوباتها وأعصابها وعضلاتها.

- المقالة الثانية: وتتضمن ثلاثة وسبعين باباً وفيها عدد امراض العين الظاهرة للحس وأسبابها وعلاماتها وعلاجاتها.

- المقالة الثالثة: وتحتوى على سبعة وعشرين باباً وفيها عدّد علل أمراض العين الخفية عن الحس وأسبابها وعلاجها مع وصف العقاقير المستخدمة فى علاج هذه الامراض.

ومن ناحية اخرى انه قام بتصنيف مراحل المرض إلى أربعة هى: ***«الابتداء والتزيد والانتهاء وأخيرا الانحطاط»***.



* الحسن بن الهيثم (توفى ٤٣٠هـ):

هو ابو على محمد بن الحسن بن الهيثم . . أصله من البصرة ثم انتقل الى مصر وعاش فيها حتى توفى فى القاهرة عام ٤٣٠هـ/١٠٣٩م .

وللحقيقة والتاريخ ان ابن الهيثم كان اول من أشار الى ان الابصار يكون بواسطة الشبكية وانه قال (المرئيات تنتقل الى الدماغ بواسطة عصب البصر وان وحدة النظر بين الباصرتين (العينين) عائد إلى تماثل الصور على الشبكيتين).

ولقد اوصل ابن الهيثم علم البصريات فى زمانه الى أعلى درجة من التقدم ويعتبر أول من كتب عن أقسام العين ورسمها بوضوح تام ووضع أسماء لبعض اقسامها وليس من المغالاة ان يقال انه أدرك الاوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية وانه من علماء البصريات المشهورين فى العالم كله إذ يكفيه مجداً أنه وضع نظرية الابصار والتى مازالت قائمة حتى الآن وأثبتها العالم الفسيولوجى الالمانى الفذ هيلمهولتز Helmholtz فى العصر الحديث ومن اعمال ابن الهيثم الأخرى انه قام بتلخيص كثير من كتب ارسطو وشرحها وكذلك لخص كثيرا من كتب جالينوس فى الطب . كما انه كتب مقالة هامة عن الضوء الذى كان مهتما بدراسته واجراء التجارب المتعلقة به .

* عمار بن على الموصلى :

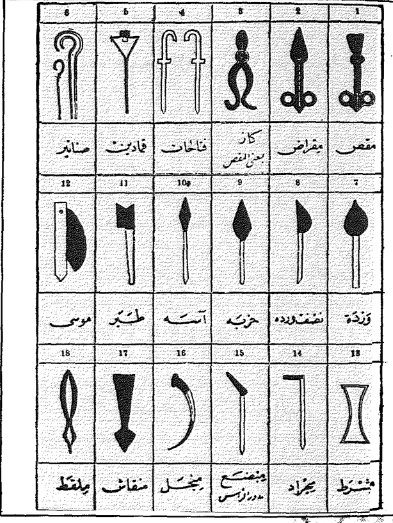
(عاش فى القرن الرابع الهجرى) . صاحب كتاب «المنتخب فى علاج امراض العيون» الذى يعد من أهم مراجع طب العيون على الاطلاق لطلاب الطب فى اوروبا حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر الميلادى.

وهذا الكتاب فى حد ذاته يعتبر كتاباً فذاً بل يعتبر من أحسن الكتب التى ألفها العرب والمسلمون فى الطب حيث جمع هذا الكتاب الوصفات الطبية التى جربها ابن الموصلى بنفسه وتأكد من فاعليتها ودوّن مشاهداته الشخصية الرائعة وخبراته الفنية الرائدة من خلال الممارسة العملية المجدية لمهنة الكحالة . . وجدير بالذكر ان هذا الكتاب قد تم نقله وترجمته فى العصور الوسطى الى العبرية واللاتينية .

ومــن المعروف ان عمار الموصلى كان له باع طويل وخبرة عريقة فى مجال جراحة العيون فإليه يرجع الفضل فى تطور عملية الماء الابيض الرخو (الساد الطرى) Soft

Cataract حيث استخدم إبرة معدنية مجوفة لامتصاص الماء الأبيض.

ومن جانب آخر نجد ان هذا الطبيب العلامة هو اول من عالج غمش (غطش) البصر التعطلى الراجع الى الاصابة بالحول عند الاطفال وذلك بتغطية لعين السليمة.



● صورة توضح بعض الأدوات التى كان يستخدمها العلماء المسلمون.

وللحقيقة وللتاريخ نستطيع القول بأن الموصلى كان المؤسس الاصلى طريقة معالجة غمش البصر الناتج عن الاصابة بالحول فى القرن الرابع الهجرى بينما يظن البعض خطأ ودون استناد على أى حقيقة تاريخية أن ذلك الابتكار من انجازات العصر الحديث.

* أبو قاسم خلف الزهراوى (القرن الرابع الهجرى):

لقد عاش الزهراوى فى الفترة ما بين ١٠٣٠-١١٠٦م . . يُعَدُّ ابو قاسم الزهراوى من أساطين الاطباء فى الاسلام ومن كبار الجراحين العرب ولقد ذاعت شهرته فى الشرق والغرب، لما اتصف به من براعة فى الجراحة وبما اتسم به من خبرة ومهارة فى الطب.

ولقد ألف الزهراوى كتاباً فى الطب أسماه «التصريف لمن عجز عن التأليف» ويقع هذا الكتاب فى ثلاثين جزءاً وخصص جزءاً من اجزائه لبحث هام ومميز عن العمليات الجراحية فى العين.

وبين مميزات كتاب الزهراوى أنه يصور بشكل بارع وواضح الآلات والأدوات الجراحية التى كان يستعملها وكان أكثرها من تصميمه ولذا اشتهر الزهراوى بأنه أبو الجراحة، وفى الحقيقة أن هذا اللقب لم يأتِ من فراغ بل جاء من مهارة بارعة وخبرة واسعة وفن رفيع فى ممارسة الجراحة.

أخى القارىء وبعد أن استعرضنا تاريخ طب العيون عند العرب والمسلمين بين التراث والحضارة ورأينا كيف نبغ العلماء المسلمون فى هذا العلم وأثروا به الحضارة كما تأثرت به أوروبا قرونا عديدة. فهل يا ترى يستطيع علماء العرب والمسلمين فى هذا العصر استرجاع امجاد الاسلام العظيمة والقدرة على إثراء الحضارة الحديثة بالعلم والمعرفة والسبق والابتكار؟ . . هذا ما ستكشف عنه وتجيب عليه الايام . .

مراجع ومصادر المقالة

(١) د. فرات فائق خطاب: كتاب الكحالة عند العرب.
(٢) د. محمد ظافر وفائى: مجلة الفيصل الطبية العدد التاسع.
(٣) د. محمد كامل، ود. محمد العقبى: شرح وتعليق على كتاب الحاوى للرازى.
(٤) على بن عيسى: تذكرة الكحالين.
(٥) ابن ابى أصيبعة: عيون الانباء فى طبقات الاطباء شرح وتحقيق د. نزار رضا.
(٦) الشيخ الرئيس ابن سينا: القانون فى الطب.
(٧) د. احمد شوكت الشطى: العرب والطب.
(٨) د. تشارلس إللف: كتاب أطلس جوتر وبكتر فى التشريح ترجمة د. حمدى ابراهيم العيشى.

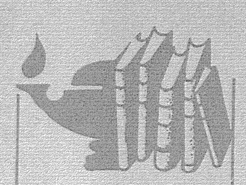
● تكملة بعض الادوات التى كان يستخدمها العلماء المسلمون.

19		21	22	23	24
مكواة اليافوخ	مكواة الصدغين	مكواة القرب	مكواة موضع الشعر	مخف	جفت
25	26	27	28	29	30
ذات الشعيرة	سكين تعرف بالشوكة	مهت مدور	مهت مجوف	انبوبة النمليه	جركات وابرة
31	32	33	34	35	36
دهق التشمير	مشعط وقرن	رصاص التثقيل	مخف دقيق	كلبتان نصولية	حلقة

المؤلف فى سطور

- ماجستير طب وجراحة العيون.
- محاضر وأخصائى طب وجراحة العيون جامعة الملك عبد العزيز بجدة.
- له مشاركات صحفية فى عدد من الصحف والمجلات.
- له بعض المؤلفات منها كتاب التدخين واضراره على الجسم بصفة عامة والعينين بصفة خاصة والكتاب تحت الطبع.
- يعد لكتاب امراض العيون بين الاسباب والتشخيص والعلاج.

التيار التراثي في الشعر العربي الحديث





هذا كتاب جديد حقا . . موضوعه التيار التراثى المتشدد فى الشعر العربى الحديث من منتصف القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الأولى. يتصدى له الشاعر الناقد الدكتور سعد دعبيس بهدف دراسة ما يسميه التيار التراثى فى الشعر العربى الحديث فى مصر والسودان والمملكة العربية السعودية والعراق. . وهو منهج جديد فى الدرس الأدبى كما يتضح من خطة المؤلف ابتداء ذلك أنه يندرج تحت ما ندعو اليه من زمن فى دراسة الأدب العربى فى اطار من «التنوع فى الوحدة» إن جاز التعبير.

■ والمؤلف يصرح لنا منذ الصفحات الاولى أن من أهم العوامل التى وجهته إلى اختيار هذا الموضوع إحساسه بأن شعراء ذلك التيار فى العالم العربى قد صنفوا أحيانا فى تصنيفات مذهبية ألقت حولهم ظلالا قائمة تجعل الدارس لشعرهم يزورّ عنهم أحيانا أو يدور فى فلك هذه التصنيفات أسيراً لمفاهيمها مشدودا إلى أحكامها ونتائجها فشعراء ذلك التيار فى كثير من الدراسات الأدبية يدرسون فى إطار التيار الكلاسيكى أو التيار التقليدى او الاتجاه المحافظ البيانى.

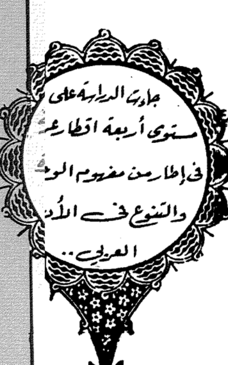
■ ويذهب المؤلف إلى أن بعض هذه الدراسات التى صنفت شعراء التيار التراثى فى إطار هذه المصطلحات لم تتبين التيارات العقائدية الروحية والجذور الفكرية والوطنية الكامنة وراء مضامين وصياغة شعراء ذلك التيار وأغفلت ربطهم بظروف المرحلة التاريخية التى عاشوا فيها وعانى معهم الشعب العربى أعنف هجمة استعمارية على الوطن العربى أرضا وفكرا. . ومعتقدا وجذورا وانتماء. . ومستقبلا ومصيرا.

وانني متفق مع الدكتور دعبيس فى أن موضوع كتابه يضفى على دراسته طابعا جديدا متميزا حينما يتصدى لدراسة القضايا الموضوعية والفنية للتيار التراثى فى الشعر العربى الحديث ومن منطلق رؤيا خاصة للتيارات الروحية والفكرية التى أثرت فى شعراء ذلك التيار. . ثم دراسته على مستوى أربعة أقطار عربية فى اطار من مفهوم الوحدة والتنوع فى الأدب العربى.

ويعنى المؤلف بالتيار التراثى المتشدد فى كتابه هذا ـ ذلك التيار الفنى الذى يضم مجموعة من الشعراء العرب المحدثين الذين تأثروا بالظروف السياسية والثقافية لحركة إحياء التراث التى نشطت فى العالم العربى منذ قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر، وقد تشدد هؤلاء الشعراء فى احتذاء التراث الشعرى فوقفوا

عند مرحلة معينة من مراحل الشعر العربى القديم . . ألا وهى مرحلة الشعر الجاهلى . . فَتيّموا بذلك الشعر . . وهاموا بنماذجه ونظروا إليه نظرة إجلال واكبار حتى اعتبرهم بعض النقاد لا يختلفون فى صياغتهم عن صياغة الشعر الجاهلى .

وهذا الموقف المتشدد من احتذاء التراث يختلف عن موقف الاعتدال الذى اتخذته مجموعة اخرى من الشعراء التراثيين كشوقى وحافظ وغيرهما من الشعراء التراثيين المعتدلين. فهؤلاء الشعراء قد عاصروا اشتداد حركة الترجمة من الأدب الغربى وازدهار التيارات والمذاهب الأدبية الاوربية . . وليس عجيبا كما يقول المؤلف ـ أن نرى بعد ذلك بعض أوجه الشبه بين بعض شعراء المدرسة التراثية المعتدلة والشعراء الرومانتيكيين. وقد لمح العقاد مثلا ـ تشابها بين اسماعيل صبرى باشا و«لامارتين» واعتبر «د. ماهر فهمى» الشاعر محمود غنيم شاعرا رومانتيكيا . . بل ان شوقى فى بعض مسرحياته كمصرع كليوباترة ومجنون ليلى يعبر عن الحب تعبيرا رومانتيكيا ويتناوله بمفهوم رومانتيكى . ولذلك آثر د. دعبيس مصطلح «التيار التراثى» عنوانا لدراسته ورفض المصطلحات الأخرى التى يطلقها بعض النقاد على شعراء ذلك التيار ومن أظهر هذه المصطلحات «التيار الكلاسيكى» .



وبناء على هذا الفهم تحدث المؤلف فى الفصل الاول عن العوامل المؤثرة فى موضوعات الشعر التراثى المتشدد وصياغته وأرجع هذه المؤثرات إلى عاملين أساسيين كان لهما أثرهما فى تشكيل الرؤيا الابداعية للشاعر العربى فى هذه المرحلة التى تمتد من منتصف القرن التاسع عشر الى قيام الحرب العالمية الأولى . . وهذان العاملان هما: الصراع بين التراث العربى وتيار الثقافة الغربية . . ومفهوم الوطن.

■ وقد استطاع هذان العاملان أن يمهدا مجرى الشعر العربى فى بداية هذه المرحلة لتدفق التيار التراثى وتهيئة نفسية الشاعر العربى لحركة إحياء مجد الماضى وبعث التراث العربى والانتماء إلى وطن مثالى تتراءى معالمه فى ماضى حضارتنا العربية الاسلامية وحاضر امتنا فى الوطن الاسلامى .

وفى الفصل الثانى تناول المؤلف مفهوم الشعر وموضوعاته عند التراثيين المتشددين فى محاولة لتوضيح الرؤيا التى صدر عنها هؤلاء الشعراء فى نظرتهم لمفهوم الشعر ورسالته فى الحياة والمجتمع وأدواته وصياغته . وقد أوضح ان

فهم الشاعر العربى فى مرحلة البعث والاحياء لحقيقة الشعر ورسالته قد أسهم الى حد كبير فى ارتباط ذلك الشاعر بالتراث وابتعاده كثيراً عن التيارات الحديثة فى الأدب الغربى مع تفاوت فى مستويات ذلك الارتباط وتراوحه بين الاعتدال والتطرف. كما قدم نماذج من مفهوم الشعر المتطرف فى الارتباط بالتراث عند مجموعة من الشعراء الذين تبدو لديهم ظاهرة التشدد فى أشعارهم التى نظموها أو آرائهم التى تناولوا فيها مفهوم الشعر فى مقدمات دواوينهم.

ومن هؤلاء الشعراء فى مصر: الشيخ محمد عبد المطلب والسيد محمد توفيق البكرى وعلى الجارم، ويلتقى معهم فى هذا المجال من شعراء العراق: حسن العذارى وصالح الحلى والكاظمى، وكثير من شعراء السودان: محمد سعيد العباسى، وعبد الله عبد الرحمن وعبد الله البنا واحمد محمد صالح والطيب السراج. ومن شعراء المملكة العربية السعودية: الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين.

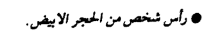


■ وحين تناول المؤلف موضوعات الشعر التراثى المتشدد اختار منها بعض التجارب التى لم تسلط عليها أضواء كافية فى الدراسات الأدبية الحديثة وهى تمثل أخطر مواقف الشاعر التراثى.

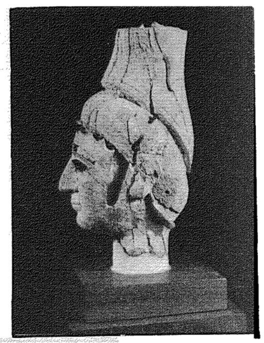
من اهم القضايا السياسية والاجتماعية التى كانت تشغل اهتمامات المجتمع العربى والشاعر التراثى فى العصر الحديث من تلك القضايا والموضوعات: تجربة الحب.. الاسلام والعروبة.. الاصلاح الاجتماعى.

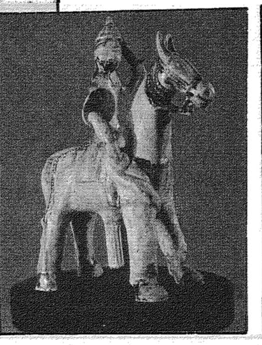
■ **ومصداقاً لما ذكره المؤلف عن تطرف شعراء ذلك الاتجاه فى احتذاء النموذج العربى القديم نراهم حين يتغزلون يقلدون مفهوم الحب العربى القديم تقليدا متطرفاً أدى فى بعض الأحيان إلى أن نسمع صوت الشاعر الجاهلى يتردد فى أبواق هؤلاء الشعراء وكأننا أمام نسخة مكررة من غزل الجاهليين وقلما نرى الملامح الذاتية فى مثل هذا الغزل.. «ومن أين للتراثى المتشدد مثل هذه الملامح الشخصية وهى لا تأتى إلا من التجربة التى يهتز لها القلب وتتلظى بنارها الوجدان».**

ويبقى هذا الكتاب جديدا فى موضوعه ومنهجه.. حينما اختار مصطلح التيار التراثى عنوانا له، وحينما أكد إمكانية دراسة التيارات الموضوعية والفنية



● رأس شخص من الحجر الابيض.





● فرس . . وفارس من المعروضات فى المتحف .

المتحف الوطنى فى دمشق

انشىء عام ١٩١٩ . . ويضم آثار ما قبل التاريخ والآثار القديمة والآثار السورية من العهود الكلاسيكية والآثار العربية الاسلامية وقسم الفن الحديث.

المشتركة بين شعراء العالم العربى وانه على الرغم من وجود بعض الخصائص الجغرافية والفوارق السياسية والثقافية التى تميز إقليما عن إقليم آخر على الرغم من وحدة الدم والتراث الروحى المشترك ووحدة اللغة والثقافة المشتركة والوجدان المشترك . . كل هذه الاواصر المشتركة جعلت الشعراء العرب فى مختلف الاقطار العربية يتبادلون التأثر والتأثير وينفعلون بقضايا مشتركة ويعانون أزمات متقاربة .

وان دل ذلك على شىء فإنما يدل على أن الوحدة الروحية بين أبناء البلاد العربية أقوى من مؤامرات التجزئة والتفرقة . . الأمر الذى يجعل دراسة عوامل الوحدة والتجمع ومظاهرها فى الشعر العربى الحديث من أقوى الدعائم لتكوين وحدة ثقافية قائمة على دراسة موضوعية .



التآليف الحجازية وندرتها

إن العقول المثقفة المتنورة والنفوس المتعلمة المهذبة تتطلع دوماً إلى الاستزادة من دراسة ما ينير لها سبل الحياة ويكشف أمامها أسرار الكون وتتشوق إلى الاطلاع على الابحاث الشائقة التى تجلو الحقائق فى صحائف مبلورة شفافة وتزيح عن الاباطيل ستائر الحيل والخداع وليس هناك مجال تتفاضل فيه العقول بمعارفها وابحاثها والافكار بفحوصها وأوابدها والنفوس بدقة شعورها وأحاسيسها ـ أوسع من الاسفار العلمية والادبية ولن يقوم بوضعها وتأليفها وترتيبها وتنميقها ـ كما يجب وينبغى ـ غير ذوى المواهب السليمة والقدرة الوافرة وذوى المعرفة الناضجة والجلد والمثابرة.

وإنا لنعجب العجب كله إذ تمر علينا هذه الفترة الطويلة فلا نرى فى بلادنا هذه التى كانت منبثق العلوم والمعارف ومهد الهداية والارشاد بل ولا نسمع فى خلال أعومها بمن أفادنا بسفر يدل على مبلغ جهده فى البحث عن الحقائق العلمية والتصدى لمناقشة مباحثها والتثبت عن مظانها أو أخرج لنا مؤلَّفاً قيماً يعتمد عليه حين يعوز الطالب أو الباحث المرجع الذى يشفى غليله ويشبع نهمه سواء فى العلوم أو الفنون أو الآداب إلا ما شذّ وندر.. أفهل جمدت الافكار وخمدت جذوة العقول فاصبحت لا تقوى على تحمل أعباء هذا العمل وخوض غماره أو جبنت النفوس فاستبدلت الخمول والركود بالجهاد والنضال العلمى؟.. وكلاهما نخشا على هذه الامة العربية فى مجدها العلمى والادبى ولا نرضى أن يكون نصيبها فى الحياة العلمية والادبية والفنية الآن نصيب الطاعم الكاسى فى بيت الحطيئة اذ يقول:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

أو أن يكون حظنا منها حظ المتوانى المتواكل الذى يأمل من غيره أن يحمل كله ويحضر له أكله.. وانه ليسوءنا ويسوء علماءنا وادباءنا ان يرموا باحدى السوءتين وفيهم من نعرفه بالمكانة الرفيعة والمنزلة الجليلة. وعلماً وذكاء ومقدرة ونشاطا وشجاعة ومضاء.. وعل اكبر الظن فى تراجع وتأخر هؤلاء وأمثالهم عن ولوج باب التأليف والتصنيف هو ما نراه من عدم إقبال شيوخ هذه البلاد وشبابها على السواء ـ على التهام ما تنتجه قرائح مواطنيهم وجهود زملائهم وعلى تشجيعهم باقتنائها.. وليس هناك ما يمنعنا من أن نشيد ببعض من عرفناهم من رجالنا وشبابنا الذين ساهموا بجهودهم وعلى قدر طاقتهم العلمية والمادية فى تزويد المكتبة العربية بما ثقفته عقولهم ونفوسهم من مباحث العلم والفن والادب والاخلاق والاجتماع فى ماضينا القريب وزمننا الحاضر كامثال الاستاذ ***الجليل السيد بكرى شطا والاستاذ الشيخ محمد حسين الخياط والاستاذ القدير الشيخ أحمد الخطيب والاستاذ العلامة الشيخ محمد على المالكى والاستاذ الباحث الشيخ حسين باسلامة والاستاذ محمد المغربى والاستاذ يحيى امان من شيوخنا ورجالنا.. وامثال الاساتذة السيد محمد شطا والسيد علوى المالكى والسيد حسن الكتبى وعبد القدوس الانصاري وحسين العواد [illegible] وعبد المقصود وفؤاد شاكر واحمد العطار ومحمد طاهر الكردى الخطاط.***

وقد يتساءل مواطنونا عن مؤلفات بعض من ذكرناهم حيث لم تظهر ولم يطلعوا عليها بعد وانا نؤكد لهم ان لكل من ذكرنا مؤلفات جليلة النفع.. ونأمل من الله ان يهيىء لهم اسباب اخراجها للناس.

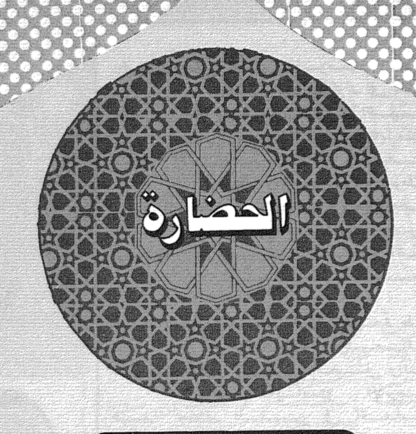
وإذا كان لنا فى بحثنا هذا ان نقرب المثل لما يتحمله المؤلفون من مشاق البحث والدراسة ومن بذل الجهود والتكاليف المادية لنفع سواهم فهذا كتاب حجازى حديث فى تاريخ الخط العربى وآدابه اتحفنا به الاستاذ محمد طاهر الكردى الخطاط ينطق بحثه وشكله عن مدى إخلاص مؤلفه لفنه وعلمه وعن عنايته الكبرى ومساعيه الجمة فى إفادة ابناء امته ولغته بما لم يسبقه الى ذلك مؤلف أو باحث.

وقبل ان نختم مقالنا هذا يجدر بنا ان ننوه عن شاب اديب ثقف جنح عن التأليف الذاتى الى احياء تراث علمائنا الأول ذلك هو **الاستاذ اسعد الطرابزونى المدنى** فان لمجهوده العظيم فيما توجه اليه قيمة كبرى فى عالم العلم والادب كما ان هناك فريقاً من الشباب واساتذة المدارس اوقفوا أنفسهم على وضع المؤلفات المدرسية فهؤلاء ايضا لا ننكر ما لعملهم من عظيم النفع والفائدة.

ورجاؤنا أخيراً أن يعنى مواطنونا الكرام بمؤلفات ابناء وطنهم ويولونها ما تستحقه من التشجيع والتقدير لنرى فى المستقبل القريب والبعيد خزانة علمية واسعة يضعها ابناء هذه البلاد فى مختلف العلوم والفنون.

فصل التراث

فهرس



مدخل

الحضارة البشرية ليست وليدة أمة بعينها وليست من صنع أمم الغرب كما يريدوننا ان نقتنع . . فنحن ندرك انها ذوب حضارات متعاقبة .

وندرك كذلك أن للحضارة العربية الاسلامية سنام الفضل وذروته فى خلق هذه الحضارة وتأثيل دوحتها .

ومن شواهد تقدم حضارتنا فى مجالات البحوث العلمية الدقيقة ما اطلعت عليه اخيرا فى رسالة صغيرة الحجم عظيمة القيمة كتبها الرئيس بن سينا الطبيب والعالم العربى الخالد يبحث فيها مسائل فى جوهر العلم وصميمه . . **كيف يحدث الرعد؟ كيف يحدث البرق؟ كيف نرى البرق قبل ان نسمع صوت الرعد . . كيف يحدث رعد بلا برق . . وبرق بلا رعد؟ .**

ونلمح من ثنايا رسالته انه قد عرف الكهرباء وان كان لم يدعها بهذا الاسم كما أدرك سر سبق الضوء للصوت فى السرعة . . وسر حدوث الاصوات من آثار الاحتكاك بين جسمين حتى ولو كانا شقيقين .

عبد القدوس الأنصاري
ربيع الأول ١٣٧٦هـ

ـفـتْ على ثَغْـر الـزمـان سَنَـاء
وشـذا تَضَـوَّعَ ـ فى الـوجـودِ ـ ثنـاءَ
تأمَّـلُ الأيـامَ فى إشـرَاقِـهَـا
نور (الحضـارة) ساطـعـاً وضَّـاءَ
ـأت الـنـجـوم تلألأ وتألّـقَـتْ
فوق (الجـزيـرة) موطـنـاً وفـضـاء
ـسـرت على أفق (العـروبـةِ) مصدراً
يُزجـى الشـعـاعَ ويـرسـلُ الأضـواء
ـمـنـار للانـسـان فى دنـيـا الهُدى
وسـلام أمـن يُسْـعِـدُ الأحـيـاء

ـد ترجمـتْ فيـهـا الـعـقـيـدةُ طاقـةً
خلّاقـةً وشـعـائـراً وقـضـاء
ـربتْ على الـوَهَـنِ المضـلّل وانْتَحتْ
فأبَـادتِ الأوْهَـامَ والأهـواء
ـدا جلالُ الـديـن فى أقـداسـه
شرعـاً أغـرّ ومـلّةً سمـحـاء

ـرُقِـىّ مملكـةٍ لها قدراتُـهـا
لتـغـيرات الـعـصـر مهـما جاء
ـنـضـوج أفـكـارٍ يؤجّـجُ وهجـهَـا
وعـىً لشـعـب يسـتـمـيـتُ ولاء
ـتَـفَـتُّـح نحـو انطـلاق للبـنـا
وتطـورٍ يسـتـسْـهـلُ الأجـراء
ـؤيـا صحـيـحـات التطلع والـرُّنـا
وتـفـهـم يذرُ الظـلامَ ضِـيـاء
ـرسـت قواعـدَ نهضـة بنَّـاءة
تدع الـتـخـلّفَ والجـمـودَ هبـاء
ـزَّت عُرى الـتـاريـخ من انجـازِهـا
وشـروخِ اجـهـزةِ الـزمـانِ نجـاء
ـنهـضـةُ الـشـمّاء فَجْـرُ تقـدمٍ
وصـبـاح عصـرنـةٍ تفـيضُ سنـاء
ـلعت على وطنِ العـروبـة شمسهـا
فَمَـحَـت بسـافـر صبحِـهـا الظلماء

بريشة الشاعر
محمد بن احمد العقيلي

النهضة الحضارية فى المملكة العربية السعودية



● الطريق السياحى بين الباحة ودوس . . واجهة حضارية .

● منظر لمدينة الرياض بين القديم والحديث .

وحضارةٌ طرأت تبدّلُ كلّ ما
قد كان يقعدُ بالحياةِ وراء
تجرى على سَنَنِ التّطوُّر فازدهى
فيها التّقدم والعلوم سواء

●●●

فَسَمَتْ الى أوج المعالى والعلا
فى سرعة الضوء المشعّ مَضَاء
وتسير شامخةً يواكبُ ركبُها
ثقة النجاح تطلعاً وبناء
خطَطٌ محكَمَةٌ توظّفُ للبنا
والازدهار حصافة وذكاء
فجرى بها العمران بحراً زاخراً
متسَربلاً - بُرْدَ الرخاء - رداء

●●●

فاذا المعالمُ فى (الجزيرة) غيرها
بالأمس ان عَرّفتهَا أسماء
لا (وجرة) مثوى (الظباء) كعهدها
أوفى (زرود) ترى (المها) والشاء
واذا الحظائر والطلول تبدّلتْ
قصراً أشمّ و«دَارة» زهراء
خفيت بها الأشباح لا غِيلانها
عزفت ولا ظلماؤها الظلماء
غسلتْ بضوء (الكهرباء) ظلامَها
وتدثّرتْ غُلْبَ الجنان كساء

●●●

مدنٌ على مَتْنِ الرمالِ تواجدتْ
في سرعة قد غطّت الصحراء
نبتت كسانحة الخيال تأنُّقاً
من شاعر هزَّ الوجودَ غناء
جمعت الى فنِّ العمائر روعةَ الابـ
ـداع والفن الجميل طلاء
من كل ناطحة السحاب تَغَلْغَلَتْ
في الأفق نافست النجومَ بهاء
أغفى الجمالُ على سنى غُرُفَاتِها
وتوسَّدَ الصالات والأبْهَاء

●●●

وإذا الفيافي الرُّبْد رجع مصانع
وهدير الات تصمّ نداء
كشفت بساطع نورِها سترَ الدُّجى
وأحالت الصبْحَ المبين مساء
وترى المصارفَ والسدودَ تخالها
شَمّ الصُّروح متانةً وبناء
بحر يمورُ وراءها وأمامها
بحرٌ تموَّجَ خضرة ونماء

●●●

وترى (الجوامعَ) والمعاهد شُيِّدَتْ
أنّى اتجَّهْتَ تخايَلَتْ شماء
ضمّت لأعلى الكليات وهيأت
للعبقرية والنبوغ رجاء
وترى الوسائط والوسائل غُيِّرتْ
بأجلِّ منها راحةً ورفاء
طرقٌ ممهَّدَة يَزَلّ النملُ في
أرجائهِنَّ ملاسة وصفاء
قد ذللت أعتى الذُّرى في شامخ
ورعان أصيد لا ينالُ سماء
سبل مُسفْلَتَة تخال متونها
وهج الزجاج يكسِّر الأضْوَاء

مقر مبنى وزارة الداخلية الجديد بالرياض

لوحة حضارية لمجسم جمالي في مدينة الكرينة



تنساب فى أجوازهنَّ وسائلّ
عصريةٌ جَرْىَ النسيم رخاء
ومئات آلاف من الأميال فى
شرقٍ وغربٍ تربط الأجزاء
نظمت مرافقها المدائن والقرى
نظم العقود فرائداً عصماء
وموانئاً فى كل ثغر رُصِّفَت
حجزت أتيَّ الموج والانواء
مُدَّتْ إلى عمق البحار فَسَهَّلَتْ
أعمالُها الإقلاعَ والإرساء
فتوافدتْ سفن التجارة نحوها
من كلِّ مملكة صباحَ مساء

●●●

ومؤسساتٌ للمشاريع التى
تولى الغنى وتجلب النَّعْماء
تهنا بها بين الشعوب سيادة
وصناعة وتجارة وغناء
ما بترومين ولا مصانع قد جرى
فيها الحديد صنائعا عذراء
ومؤسسات الجوِّ الابعضها
وكفى بها فخرا لمن قَدْ شَاء

●●●

خدماتُ صدقٍ فى مجالاتٍ سَمَتْ
للشعب فات عديدُها الإحصاء
وعنايةٌ طبيةٌ مجانةٌ
شملت شعوبَ الضَّادِ والغرباء
ورعايةٌ وضمانُ تأمينٍ لمن
لم يستطعْ او شارفَ الإعياء
ومؤسساتٌ للشباب تكلفت
علما وتمرينا - لهم - وغذاء
دنيا مؤهلة العطاء لكل ما
تسمو الشعوب رعاية ورخاء

● متنزه حضارى بمدينة الرياض

● احد المشاريع الزراعية



«الشرق شرق والغرب غرب . . ولن يلتقيا» .

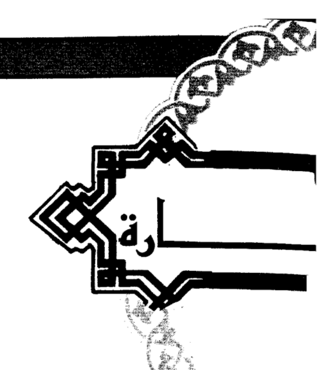
كلمة قالها شاعر الاستعمار منذ قرن تقريبا ومازال كثير من الناس يؤمنون بها مع ان كل تلميذ فى المدرسة الثانوية يعلم انها تنطوى على خلط مقصود بين الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية ولاسيما الجغرافيا الاقتصادية . . فأهل الشرق واهل الغرب يلتقون فى التجارة والزيارة . . وفى الحرب والسلم منذ كان الشرق والغرب . . هذه حقيقة مسلمة مثلما ان الجهات الأربعة الأصلية لا يمكن ان تختلط الا يوم القيامة .

ولكننا نشكر للشاعر الاستعماري انه عبر بصراحة عن موقف لا يختلف كثيرا عن موقف انصار «الايارتهيد» أو التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا اليوم . واذا كان قد استخدم فى عبارته نوعا من المجاز على عادة الشعراء فى حين ان هؤلاء لا يزعجون انفسهم بشرق ولا غرب . . ولا جنوب ولا شمال . . بل يدفعون السود الى المناطق المجدبة أينما كان اتجاهها الجغرافى فالفرق بينهما ليس كبيراً على كل حال إنما المشكلة حين يلتبس (الموقف) بـ(الحقيقة العلمية) .

وبيان ذلك ان فريقا كبيرا من علماء التاريخ والاجتماع ومن المستشرقين الذين يعدون ايضا علماء اجتماع . . مثل جاك بيرك . . او الذين يلمون بعلم الاجتماع وهم جل المستشرقين اليوم . . يتحدثون عن حضارة الغرب من جهة . . وعن الحضارة العربية أو الاسلامية . . أو حضارة الشرق الاوسط من جهة اخرى كما لو كانا شيئين منفصلين لا يمكن أن يلتقيا الا اذا التقى الشرق والغرب الجغرافيان .

هو إذن «موقف» شبيه بموقف «كيلنج» ولكنه لا يستتر بثوب المجاز الشعرى بل يتقدم الى محفل الحقائق العلمية حاملا بطاقة دعوة عليها اسم غريب مهيب الا وهو اسم «الحضارة» (وهو فى العربية ـ بفضل هذه الضاد ـ اعظم هيبة حتى من عديله الانجليزى او الفرنسى او الالمانى) .

وانا ادعو الى التحقق من صحة هذه البطاقة فحاملها يمكن ان يكون واحدا من ثلاثة . يمكن ان يكون هو «العمران» الذى تحدث عنه ابن خلدون . وهو سنة من سنن الله فى الكون . . اى انه امر ثابت من حيث حقيقته وجوهره وان اختلفت احواله واشكاله . ويمكن ان يكون هو «الانثروبولوجيا الثقافية» او ثقافات الشعوب . . وهو علم له وجاهته ابتكره الغربيون حين جابوا



اركان المعمورة وصادفوا اقواما قريبين من الفطرة فجمعوا كل ما استطاعوا جمعه عن احوالهم واساليب معيشتهم ثم اخذوا يفسرون هذه الاحوال والاساليب بقانون السببية (كما هو شأن الدراسات العلمية عموما) مبينين كيف يتوقف بعضها على بعض ويكمل بعضها بعضا ولكن مشكلة هذا العلم هى انه ينظر الى التغير الحضارى نظرة سلبية اى ان المسألة بالنسبة اليه ليست مسألة «تغير» بل «تغيير» فالتغير ينطوى على قدر ما من الفاعلية والابداع بينما «التغيير» له طرفان : الطرف الذى يحدث التغيير وهـو الحضارة المتغلبة والطرف الذى يتقبل التغيير وهو الحضارة المغلوبة. واذا تأملت هذه الفكرة وجدتها قاصرة علميا لأنها لا تفسر الا حالة واحدة وهى حالة الذوبان التام للحضارة الأضعف فى الحضارة الاقوى وهو ذوبان يحتاج غالبا الى «تصفية» دموية.. ولكنه قليلا ما ينجح. والذى يحدث فى معظم الحالات هو نوع من التفاعل بدرجاته المختلفة بحيث ان المغلوب يؤثر فى الغالب ولو الى حد ما كما انه يتأثر به سواء اكان هذا التأثير نحو الاحسن او الاسوأ. فمن اطرف ما قرأته عن تاريخ الاستعمار البريطانى فى الهند ان الموظفين البريطانيين فى اوائل عهد الاستعمار كانوا يتشددون فى تنفيذ النظام ولا يراعون عادات البلاد ولكن الاجيال التالية اصبحت اميل الى اللين والتفاهم ومراعاة الخواطر فى كثير من الاحيان ولو على حساب النظام.. اى انهم اصبحوا «انجليز هنودا» كما ان كثيرا من الهنود ـ بدون شك ـ اصبحوا «هنودا انجليز».

كلمة «الحضارة» إذن كمفهوم ثابت ومتميز ومتكامل لا تعبر عن حقيقة علمية بقدر ما تعبر ـ مرة اخرى ـ عن موقف: نفس الموقف الذى يقول ان الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا. وهذا هو موقف الفئة المتسلطة دائما لأنها الفئة التى ترغب فى بقاء كل شىء على ما هو عليه. والواقع ان لكلمـة الحضـارة علاقـات مشبـوهة ـ من هذه الناحية ـ بما يسمى علم الاجناس البشرية.. او الاثنـولـوجيـا.. بل ان «الانثـروبـولوجيا» الثقافية التى حددت المفهوم الحديث للحضارة وطرق بحثها.. تعد قسيما لعلم الاجناس البشرية هذا الذى يسمى ايضا **«الانثروبولوجيا الطبيعية»** وهذا العلم الأخير موضوعه تصنيف البشر من حيث الصفات الجسمية كالطول وشكل الجمجمة ولون الشعر والبشرة الخ.. ومع ان هذا العلم لا يتعرض بالضرورة للصفات النفسية او العقلية فانه ينطلق من فكرة «التمايز الاساسى» الذى لا يوجد فى الواقع الا نادرا وهو ايضا علم مزعزع الأركان..

فعلى الرغم من المقاييس الكثيرة التى ابتكرها فان هذه المقاييس كثيرا ما تؤدى الى نتائج متضاربة ومن ثم يختلف علماء الاجناس اختلافا شديدا حول تحديد ما هى هذه الاجناس حتى الاساسية منها.

ولكن كلمة «الحضارة» وقد رأتنا نقلب بطاقتها غير مقتنعين ونتأمل صفحة وجهها مرتابين تفزع الى التاريخ ليدل على حقيقة هويتها. فهى تدعى اننا ننسبها ظلما الى الشعوب البدائية.. وتتهمنا بأننا أخطانا فى الترجمة.. وتزعم انها مختصة بالدول التى كان لها شأن فى تاريخ العلم وتحيلنا الى مجلدات توينبى الضخمة الشهيرة عن «علم التاريخ» لقد لجأ توينبى الى فكرة «الحضارة» (لعلها تفضل ان نسميها «المدنية») ليصنف ذلك الحشد الهائل من الوقائع التاريخية المنتشرة فى الزمان والمكان فثمة حضارة يونانية وحضارة مصرية وحضارة صينية كما ان هناك حضارة اسلامية. والحضارات او المدنيات بعضها اصول وبعضها فروع ولها اعمار فقد تخلف حضارة جديدة حضارة سابقة فى نفس المنطقة. وقد حاول توينبى ان يتوصل الى بعض القوانين فى نشوء الحضارات واندثارها واهم هذه القوانين هو قانون «**التحدى والاستجابة**».. فالنجاح فى التغلب على التحديثات هو منشأ الحضارة. اما سقوط الحضارة فيرجع غالبا الى العجز عن مواجهة تحد داخلى بحيث تكون الحضارة مرشحة للانهيار قبل ان يقضى عليها عدو خارجي.. لا شك اننا هنا اقرب الى الروح العلمية فى جمع الوقائع وتفسيرها.. ولكن هناك نوعا من التحكم فى ابراز الفوارق بين الحضارات لا يصل الى حد التعصب الواضح للحضارة الغربية المسيحية كما هى الحال عند هيجل ولكنّ فيه قدرا كافيا من الغرور بحيث إن توينبى يقول بامكان استمرار الحضارة الغربية ـ بالذات ودون غيرها ـ الى مالا نهاية.

لا جرم اننا نرتاب فى كل هذه المفاهيم بكلمة «الحضارة» ونرى فيها بعثا لفكرة التمايز الاصيل الثابت كثبات الجهات الاربعة الاصلية. ولكن ليس معنى هذا اننا نرفضها جملة وتفصيلا. انما نرفض منها كل ما يدل على الثبات والتمايز المطلق.. فـ«الحضارة» فى حركة مستمرة اما الى الامام واما الى الوراء.. وفى تفاعل مستمر مع غيرها من الحضارات ليست هناك حضارة منفعلة على طول الخط ولا فاعلة على طول الخط مهما تكن قوة هذه او ضعف تلك ولكن هناك فى كل حضارة مهمة لحظات ابداع وامتداد ولحظات جمود وانكماش. وربما كانت فترة جمود طويلة ايذانا ببعث حضارة قديمة.. او انبثاق حضارة جديدة من حضارة قديمة.. سمه ما شئت ولعل لقانون «**التحدى والاستجابة**» دورا فى هذا بشرط ان يضاف اليه قانون التأثير المتبادل بين الحضارة القوية والحضارة الضعيفة.

ولذلك نرفض ايضا زعم برنارد لويس. «عندما تتصادم حضاراتان تسود احداهما وتتحطم الاخرى» بل نرى فيه افتئاتا على التاريخ ولعلنا نرى فى هذا القول ايضا سمة خاصة بالفكر اليهودى



نحن أصحاب هويَّة ثقافية حضارية عربيَّة إسلامية وكلّ ما ينطوي تحت هذا يُقبَل والذى لا يتخذ هذه الصفة يُرفَض!! لأنه أشبه ما يكون بالجسم الغريب الذى لا يمكن أن يتناسق أو يعيش إلا فى أجوائه..

«د. عبدالله الحامد»

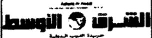
لأننا نراها عند غيره من المفكرين اليهود: اعنى اعتماد مبدأ التناقض او صراع الاضداد الذى لا يحل الا بتغلب احد الضدين دون مبدأ التكامل الذى ينتهى باتحادهما.

ونتمنى نحن العرب او نحن المسلمين الا ينظر الينا الغربيون على اننا جماعة مغلقة على نفسها لها طرقها فى الحياة التى لا يمكن ان تستفيد بمحض ارادتها من طرق الغرب.. اننا نستطيع ان نقول عنهم ايضا ـ اعنى عن علمائهم الذين يدرسون ثقافتنا ـ ان تفكيرهم يظل مع ذلك محصورا فى انفسهم فهم ينسون اننا نحن ايضا نفكر. هم يتصورون ان امامنا خيارين اثنين لا ثالث لهما اما ان نبقى على نظمنا الموروثة لا نمسها بأى تعديل كيلا نحطمها وقد فات اوان هذا الخيار منذ انهيار الدولة العثمانية.. واما ان نأخذ نظمهم كما هى وبدون تلكؤ. وينسون ان حركة البعث الاسلامى بجميع فروعها كانت ثورة على تلك النظم العثمانية وانها كانت واعية برسالة الاسلام العالمية الخالدة التى انتجت حضارة عظيمة عم البشرية نورها بقدر وعيها بتفوق الغرب وتأخر المسلمين فى الوقت الحاضر.

لعل الغربيين ـ حتى علمائهم المستشرقين ـ معذورون حين ينسون هذا كله لانهم يرون فكرنا حائرا متخبطا فى هذه الايام كحيرتنا وتخبطنا فى الكثير من امور حياتنا.



ولكن هل نعذر ـ مثلا ـ اخواننا العرب الذين يكتبون عن «الانسان العربى» كما لو كان صنفا مختلفا عن غيره من البشر؟ الا يخشون من هذه الصيغة الغربية ان تذكر الناس بانسان الغابة او انسان النيندرتال؟.





كما يحدث فى الحواديت . . أراد علماء أوربا أن يكشفوا عن تقدمهم وذكائهم لعلماء مصـر . . فدعوهم الى زيارة المجمع العلمى . . ثم أخذوا يعرضون عليهم فنوناً من إبداعهم . . صب أحدهم سائلًا أبيض ثم ألقى عليه ببعض السائل الأخضر فصار وياللعجب أحمر . . ثم أخذ هذا السائل فوضعه على النار فصار حجراً ودق هذا الحجر بمطرقة فى يده فسمعت له طرقعة هائلة ودوى عظيم . . وارتجف علماء مصر . . فلما استردوا وعيهم لم يملكوا الا أن يهرشوا ذقونهم ويستعيذوا بالله من شر السحر والسحرة» .

الزمان : ١٨٠٠م أثناء حملة بونابرت على مصر.
المكان : قصر فى حارة مونج بالسيدة زينب.
الراوى : الشيخ عبد الرحمن حسن الجبرتى مؤرخ مصر . .

ولعلنا نكمل الصورة عندما نتخيل هذه الابتسامة التى تتراوح بين المرارة والأسف والتى ترتسم على شفتىّ شيخنا الكبير جابر بن حيان وهو يرى بعد الف عام من رحيله كيف ان حيلة ساذجة كهذه يضحك بها الفرنجة الفرنساوية على أولاد المسلمين بل علمائهم وصفوة رجال الامة فى مصر المحروسة . . ونحن نقدر الموقف ونحاول ان نطيب خاطر العالم العربى الجليل فنقول له . . لقد حدث شرخ كبير وغاب عن أولاد المسلمين تجاربك المبهرة فى علم الكيميـاء . . واستخلاص العناصر ومزج وتركيب المواد . . غاب عنهم ان صناعة الصيـدلة وهى احدى صناعات الكيمياء كانت من مفاخر الذهن العربى . . نم قريراً يا شيخنا الجليل فنحن نعرف هذا واكثر ويشهد به خصومك أيضاً . . ولكنهم فى مفتتح القرن التـاسـع عشر كان يكفيهم لعبة ساذجة كهذه لكى تدير رؤوسهم وتستحضر فى مخيلاتهم الكامدة المنطفئة صورة السحر والسحرة.



إن المشهد محزن حقاً. . تطل عليه من شرفة التاريخ رجالات وقورة. . يمصمصون الشفاه فى اسى. . ويعضون على أناملهم ندماً وحنقاً. . فقد ضيع اولاد المسلمين ماقد حصلوه من علم وحكمة وآداب وفلسفة واكتشافات واختراعات ونظم وقوانين.

هل أعد هذه الوجوه التى تطل علينا من شرفة التاريخ؟. . هل نعد ابن خلدون والشيخ الرئيس ابن سينا ـ جابر بن حيان ـ ابو بكر الرازى ـ الخوارزمى ـ الخليل ابن أحمد ـ سيبويه ـ الفارابى ـ الغزالي ـ إن الوجوه كثيرة كثيرة حتى لتزدحم عليّ ويتحرج المرء من العد أو الترتيب. . إنهم صُناع هذه الحضارة الغاربة. . الحضارة العربية الرائعة ـ التى يقف ابناؤها الآن يتفرجون على (الحاوى) الجديد الذى يلبس القبعة ويحول السوائل من لون إلى لون. .

﴿إنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بقومٍ حتى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم﴾

شهدت حارة مونج بـ(السيدة زينب) هذه المواجهة بين حضارتين. . حضارة طالعة وحضارة غاربة ولكن ما هى الحضارة؟.

سنقول مع المتخصصين إنها «**المنظومة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاخلاقية التى تربط وتحكم ماضى الأمه بحاضرها وتظل مقوماتها تتفاعل فيما بينها وتتناسق**».

وإذا أردنا الالتفاف على المعنى يمكننا أن نقول: إن الحضارة هى كل انتاج مصدره العقل وهى الاجابة على اسئلة الانسان الكبرى. . من أين نأتى. . واين نذهب؟. . وهذا البرزخ ما بين الغيبين ما هو الهدف منه؟ وعلى أى الاشكال نصوغ حياتنا؟. . كل هذا من خلال تصور عقلى يجمع بين الانسان والطبيعة وما وراء الطبيعة.

والآن نضرب صفحاً عن هذه المجابهة التى تمت فى ١٨٠٠م ونحاول أن تكون المقارنة

بين النمـوذجـين فى تمام قوتها . . اى بين النموذج العربى الاسلامى فى أوج اكتماله وبين النموذج الغربى الآن فى أوج اكتماله .

وقبل ان ندخل فى هذه المقارنة لابد لنا أولا من وضع هذا التحفظ : **«إن حضارة امة من الأمم لا يمكن أن تكون اعادة أو تقليداً بحتاً للحضارات السابقة عليها . . بل هى بناء يتطور على الأسس التى سبقته أو فى ظل مجابهة نقدية لهذه الأسس»** . . وأنا ادخل هذا العنصر الى اللوحة مؤكداً على ان الحضارة العربية الاسلامية تم السطو عليها من قبل الغرب وذلك من خلال نقاط التماس بين حدود الامبراطورية الاسلامية وبين هذه الدويلات والممالك الاوربية المتناحرة . . عندما كان البحر الأبيض المتوسط بحراً عربياً . . نعم سطوا على انجـازات هذه الحضـارة من أسبـانيا وصقلية والمغرب وتونس والجزائر ومصر والشام وتـركيا . . أسروا ابن خلدون وابن رشد والخوارزمى وجابر ابن حيان والحسن ابن هانىء والحسن بن الهيثم وابن النفيس والرازى . . سأتوقف عن العد برغم ان الاستطراد مغر . . كان هؤلاء العباقرة العرب والمسلمون قد وضعوا اسس علوم عديدة وارهصوا بعلوم اخرى جديدة . . وتصَيَّد الغرب كل هذا وصارت منجزاتهم نواة لعلومه وابداعاته لا نقول حرفياً ولكن من خلال مجابهة نقدية لهذه العلوم العربية . . انتهى التحفظ . .



القيمة الحضارية التى تسعى الدولة إلى تأكيدها فى المجتمع سوف تتحول إلى قدرة ذاتية نحى بها الانجاز ونصون المكتسبات

«محمد رضا نصر الله»



وقد يكون من المفيد ان نثبت هنا بعض الشهادات التى تأتى من خصوم هذه الحضارة الغاربة .

«ان النهضة التى قامت فى اوربا فى كل ميادين العلوم والفنون والآداب والصناعات كانت بفضل ما ورثته عن المسلمين» جوان اندريس .

«ان العقل ليدهش عندما يرى ما عمله المسلمون العرب فى الجبر» **كابورى .**

«العلم هبه خطيره الشأن وهبتها الحضارة الاسلامية الى العالم الحاضر» **بريفولت .**

«ان الدين الذى فى عنق اوربا وسائر القارات الاخرى للمسلمين كبير جدا» **زيغريد هونكه .**

والآن *فلنفحص هذه الحضارة العربية الاسلامية ولنر معاً أين كانت الجذور والى اين تصل الفروع .*

بالاسـلام خرج الانسـان العـربى من اطـار قبيلته الضيقة الى رحاب الدولة والامة والانسانية فالتوحيد الذى تمثل فى **(لا إله الا الله محمد رسول الله)** *كان ثورة تحريرية كبرى ألَّفت بين الناس عندما رفعت عنهم اصر الطواغيت ﴿الله ولىّ الذين آمنوا يُخرجُهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النورِ إلى الظلمات﴾ .*

نعم لقد كان الإحياء بالإسلام السبيل الوحيد لصنع المعجزة . . ثم جاءت العقلانية الاسلامية التى وازنت بين (الحكمة) و(الشريعة) وآخت بين (الوحى) و(العقل) . جاءت هذه العقلانية لتصنع لهذه الامة فلسفتها المتميزة وطبعت بالوسطية الاسلامية حضارتها فميزتها عن غيرها من الحضارات وذلك عندما برئت بهذه الوسطية من النظرة الضيقة والوحيدة الجانب التى تقف عند أحد أقطاب الظاهرة مُغفِلة الشمولية التى تؤلف وتوازن وتؤاخى بين كل الجوانب والعوامل لتخرج بموقف ثالث هو الحق بين باطلين . . والعدل بين ظلمين . . والاعتدال البرىء من التطرف . فلا إفراط ولا تفريط . .

«ليست العربية بأحدكم من أب أو أم وانما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى»

هكذا أرسى الرسول الكريم المضمون الاسلامى للحضارة العربية وبهذا المضمون برئت الحضارة العربية الاسلامية من (**تعصب الشعوبية**) ومن (**العصبية القبلية**) كليهما فلم تكن فى يوم من الأيام مغلقة أو متقوقعة على نفسها بل شارك فى صنعها المسلمون جميعاً ومن جميع الفئات والشعوب. ولعل من المناسب ان نضع تحفظاً زمنيا على هذا الكلام ولنَقُل ان العصبيات والشعوبية قد اطلت بوجهها الكريه من خلال الصراع على الخلافة.

فماذا عن الحضارة الغربية؟ . فلنفتح قوساً ونضع هذا النص المر: «**خلال المائة عام المقبلة على الأقل لابد ان نظهر لأنفسنا ان العدل قبح والقبح عدل . . وان يصبح حب المال والربا والوقاية الاقتصادية آلهتنا لفترة من الزمن . . ان ذلك وحده هو الذى يقودنا من نفق الضرورة الاقتصادية الى ضوء النهار**» . . كينز . الامضاء لورد كينز وهو الاقتصادى الكبير . ولكن لمن وفى اى مناسبة يقول ذلك . ؟ انه يتوجه بالحديث الى اقتصادى امته اثناء الكساد الكبير عام ١٩٣٠ . . انها المكيافيلية فى عالم الاقتصاد اذن . . بعد ان بررت فى مجال السياسة قيام النظم الدكتاتورية وفصلت الاخلاق عن الحكم تعود على يد لورد كينز لتفصل الاخلاق أيضاً عن الاقتصاد.

ولكن اخلاقيات الحضارة الاسلامية الرفيعة ترى أنَّ الرِّبا شر . وان الانفاق فى سبيل الله خير من الاكتناز . وان المال مال الله والانسان مستخلف فيه . . وان الحرية الفردية قيدها الصالح الاجتماعى . . وان الناس (**سواسية كأسنان المشط**) . كما ترى ان التفاضل ليس فيما يمكن ان يكتنزه الانسان (لا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى) .

﴿يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقناكُم مِنْ ذَكَر وأنثى وجعلْنَاكُم شُعُوباً وقبائلَ لتعارَفُوا إن أكْرمَكُم عند الله أتقَاكُم﴾ هكذا يتوحد الميزان . . وهكذا تصبح الوحدة فى المحاسبة ارساء لقيم اخلاقية رفيعة تكرم الانسان وتجعله سيِّد مصيره .

يمكننا أن نصفّ فى طابور واحد اصنام الغرب الستة امامنا لنرى الى أى حد وصلت البشاعة فى هذه الحضارة الغربية المعاصرة.

(١) فكرة التطور فى كل شىء حتى فى القيم.
(٢) فكرة البقاء للأقوى.
(٣) فكرة ماركس فى صراع الطبقات.
(٤) فكرة فرويد فى الدافع الجنسى وراء حركة الانسان.
(٥) فكرة النسبية وانكار كل مطلق.
(٦) فكرة الوضعية وان المعرفة الحقة لا تقوم الا على المشاهدة وحدها.

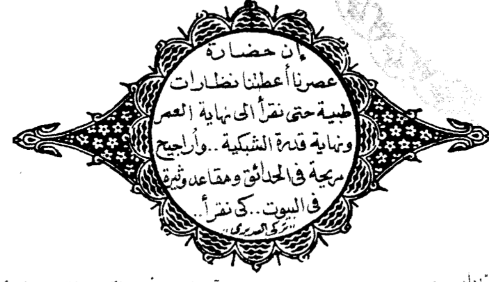
هذه هى اصنام العقل الغربى وهى التى صاغت وتصوغ حضارته وليس من الصعب رد سلوكيات هذه الحضارة الى هذه الاصنام الستة.

وقبل ان تندّ عنا صرخة من هذا المصير البشع الذى ينتظر الحضارة الغربية وينتظرنا معها للأسف.. اقول قبل ان نعى ونهم بالصراخ فان هناك من العقلاء فى هذه الحضارة نفسها من اكتشف الخلل وارتاع من بشاعة المصير. إن صرخات «**شوميتر**» فى كتابه: (**الصغير هو الأجمل**) وصرخات «**جيمى رفكن**» فى كتابه: (**الانتروبيا**) أو صرخات «**ليستر ثرو**» فى كتابه: (**مجتمع الجمع الصفرى**) تبدو مدوية ومذعورة فى آن واحد.. وهى تدعو الى ان تغير هذه الحضارة من قيمها والا فانها ستهلك وتهلك معها الانسانية.

وبعد **ما الحل؟**.. إننا لا نستطيع ان نتبنى الحضارة الغربية لأنها تسلبنا كل شىء.. ولا نستطيع ان نحطمها لأنها اقوى منا.. ولا نستطيع التخلى عنها لأن فيها جوانب ايجابية.. ومن شأن المسلم ان يستفيد من الايجابى والجيد فى الحضارات الاخرى. **فما العمل** لقد صرنا فعلا فى مأزق حضارى.. وربما يكون من المفيد ان نضع حاشية هنا تجيب على السؤال.. **لماذا وقفنا فى هذا المأزق؟!** فلم يعد كافيا ان نظل نردد افتخارنا بابن خلدون مؤسس علم الاجتماع.. وبابن رشد معلم اوربا الفلسفة والمنطق وباذر بذرة الديا للكتيك فى العقل الحديث.. أو ابن سينا وكتابه: **(القانون فى الطب)** الذى ظل يدرس فى اوربا لمدة ستة قرون كاملة وطبع خمس عشرة مرة فى القرن الخامس عشر.. أو نشعر بالرضا ونحن نقرأ اشعاراً بالألمانية تعلق على نظريات الخوارزمى الرياضية وتعجب به. لا لم يعد كافيا ان نردد ذلك وغيره الكثير الكثير.

لقد شاب تراثنا الكثير من عوامل الرداءة فى عصور الانحلال والضعف ولعله من المفيد أن نقرر ان الصراعات القائمة الآن فى داخل كياننا الاسلامى الكبير (كالشيعة وجماعات التطرف الدينى المتعددة) ما هى الا تحويرات سياسية لصراعات قديمة دارت حول الأحقية بالخلافة بين العلويين وأمية.. وبين أمية والعباسيين.. وبين القرشيين ببيوتهم وبطونهم وبين الخوارج المنشقين على قريش.. ثم بين هؤلاء جميعاً وبين العناصر الفارسية والتركية التى استعانت بالمانوية والغنوصية الشرقية على الفكر العربى الاسلامى لأسباب سياسية محضة. وتزداد البلوى عندما نرى على امتداد المسيرة التاريخية للفكر العربى من يكذب على رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيضع الأحاديث.. ووجدنا من

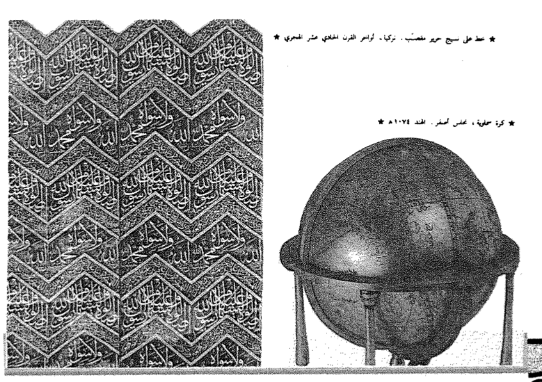
يكذب على الصحابة والتابعين فيضع التفاسير. يقول الدكتور الذهبى «*نجد اللون السياسى فى هذا العصر يترك له اثراً بيناً فى وضع التفسير. ويلاحظ ان المروى عن على وابن العباس رضى الله عنهما قد جاوز حد الكثرة مما يجعلنا نميل الى القول بانه قد وضع عليهما فى التفسير اكثر مما وضع على غيرهما والسبب فى ذلك ان عليًا وابن العباس رضى الله عنهما من بيت النبوة فالوضع عليهما يكسب الموضوع ثقة وقبولاً وتقديساً ورواجاً مما لا يكون لشىء مما ينسب الى غيرهما. وابن العباس كان من نسله الخلفاء العباسيون فوجد من الناس من تزلف اليهم وتقرب بكثرة ما يرويه لهم عن جدهم ابن عباس*».



وتزداد الجرأة الحمقاء فنجد من يحوس فى تفسير القرآن الكريم بشتى الألوان والاهواء فهذا تأويل سياسى.. وهذا تفسير باطنى.. وهذا شرح فلسفى.. وهذا اجتهاد اشارى.. وهذا قول بالصرفة.. وهذا فهم علمى الى آخر ما هنالك من متاهات زادتها الاسرائيليات سوءاً (**تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ابدا.. كتاب الله وسُنَّتى**).. بعد هذه الاشارات السريعة ألا يمكننا ان نرى من اين جاء الخرق وكيف اتسع.. سألجأ الى حكاية تاريخية لنرى خرقاً آخر زاد البلوى سوءاً على سوء ولكن قبل ذلك انقل لكم من مؤسس علم الاجتماع شيخنا الكبير ابن خلدون هذه الفقرة الدالة *وان فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا اخبار الأيام وجمعوها.. وسطروها فى صفحات الدفاتر واودعوها.. وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها.. وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها.. واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وادوها الينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها.. ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح فى الغالب قليل والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل.. والتقليد عريق فى الآدميين وسليل.. والتطفل على الفنون عريض وطويل.. ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل.. والحق لا يقاوم سلطانه والباطل يقذف بشهاب النظر سلطانه.. والناقل انما يملى وينقل*».

اقول لكم هذه الحكاية التاريخية . . اقدم الخليفة العباسى (المعتصم) (١٧٩-٢٢٧هـ/ ٧٩٥-٨٤١م) على الخطأ المحورى الثانى والقاتل فى التطور الحضارى لهذه الامة . . ظن ان السبيل الى مواجهة الصراعات بين اجناس الدولة وبين الشيع والعصبيات التى نشأت وترعرعت فى احضان الصراع على الخلافة . . اقول انه ظن ان السبيل لتأمين نفسه من كل هذا هو تكوين القوة العسكرية الضاربة من عنصر غريب وقدر ان هذا العنصر - **الترك المماليك** نظراً لغربته فى الجنس لن يكون طرفاً فى هذه الصراعات اذ لا مصلحة له . . وقدّر ان غربة هذا العنصر الحضارية لن تجعله طرفاً فى المنطلقات القومية التى تغذى هذه الصراعات . . وبالفعل بنى المعتصم (سامراء) وجعلها معسكراً لهذه المؤسسة العسكرية الجديدة والغريبة عن جسد الأمة عنصراً وحضارة - ولكن هؤلاء العسكر تضخمت مؤسستهم العسكرية فى (سامراء) ثم اصبحت هى العاصمة بدلا عن بغداد . . وتضخمت المؤسسة العسكرية حتى اصبحت الخلافة لعبة بيد قادة هؤلاء العسكر . واستنوا بقتل الخليفة العباسى (المتوكل) (٢٠٦-٢٤٧هـ/ ٨٢١-٨٦١م) سنّة سيئة طبعت العصر العباسى الثانى وغدّت قسمة من ابرز قسمات العصر المملوكى . وسأنقل تعليق الشيخ الامام محمد عبده فى هذا الشأن «صارت الدولة فى قبضتهم ولم يكن لهم ذلك العقل الذى راضه الاسلام والقلب الذى هذبه الدين بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم لبسوا الاسلام على أبدانهم ولم ينفذ منه شىء الى وجدانهم . . هناك استعجم الاسلام وانقلب أعجميا» .

نعم هذا هو الخطأ القاتل الذى اصاب هذه الامة وهو خير تعبير (استعجم الاسلام) سواء فى الشروح والتفاسير التى تصدت للقرآن والسنة . أو ادخال عناصر غريبة على الحضارة العربية



★ خط على نسيج حرير مقصّب . تركيا . أواخر القرن الحادي عشر الهجري ★

★ كرة سماوية ، نحاس أصفر . الهند ١٠٧٤هـ ★

الاسلامية - فضربت الفوضى فى كل مكان وسقط العقل العربى تحت هجمات هذه الترهات والخزعبلات والظلم والقهر الذى مورس عليه قرونا طويلة.

نعم ان الصورة قاتمة ومخجلة ولكن ﴿***قُل يَا عِبادىَ الذين أسرفوا على أَنفُسهِم لا تَقنطوُا من رحمة الله***﴾ ***ويقول جل جلاله*** ﴿***إِنَّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم***﴾.

ان حجم التحدى كبير بحجم الحياة.. ودعنا نستعيد مقولة (هاملت) الأمير الذى تردد كثيراً كثيراً ولكنه يرتعش فى مواجهة الاختيار صارخاً **(اما نكون أو لا نكون)**.

إن مواجهتنا للحضارة الغربية قائمة - ولعل لنا فى اسلافنا القدوة والمثل - فقد ترجم المسلمون فى اندفاعهم الحضارى عشرات الألوف من الكتب الطبية والكيميائية والفلكية والفلسفية عن اليونانية والسريانية فى القرن الثالث الهجرى ولم يسلبهم ذلك اسلامهم ولا اثر فى الطابع الخاص لحضارتهم.. القضية قضية موقع.. المسلمون الاوّل اقتبسوا اقتباس القوى المستغنى ونحن اليوم نقتبس اقتباس الضعيف المحتاج.. ان معارك المسلمين مع النموذج الغربى قد بدأت منذ القرن الثامن الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ولكن لم يكن بوسع الصليبيين والتتار المتخلفين ان يعرضوا على المسلم وراء قوتهم العسكرية اى نموذج حضارى يمكن ان يغريه بتقليدهم أو التأثر بهم.. ولكن الأمر يختلف الآن فما هو الحل؟..
البديهى ونحن نواجه ثقافات معاصرة ان نعى ان المواجهة تفاعل جوهره القدرة على العطاء والقدرة على الأخذ معاً.. ولابد لكى ننتصر فى هذه المواجهة للنموذج الاسلامى من الشروط الآتية.

(١) تنقية تراثنا مما شابه من عوامل الرداءة فى عصور الانحلال والضعف والانتصار للعقل فى هذه المراجعة الشاملة.

(٢) تصحيح العلاقة بين المسلمين والغرب على المستويات كافة.. سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وانسانياً.

(٣) التحول من موضع المتلقى الى موضع المشارك فعليا فى صنع الحضارة والإضافة اليها فى جدل يضفر بين أحسن ما فى تراثنا وبين هذه الحضارة.



اخيراً لم تكن هذه سوى هواجس ربما كانت مؤلمة للنفس المسلمة وهى تعانى من المواجهة اليومية مع حضارة بشعة الوجه ومغايرة لطبيعة حضارة الاسلام الخيرة المتفائلة المكرمة للانسان ولكن لابد مما ليس منه بد إما نكون أو لا نكون.



الحضارة ماذا أعطت أو أبقت لانسان هذا العصر؟ . .

سؤال يبحث عن اجابة . . ولكن هل تمنح الاجابة الراحة المتوقعة للعقل . . ؟

الحضارة بحق كانت هدف الانسانية ومبتغاها وطموحها وأحلامها . . ولكن هل كانت الحضارة واقعاً أم جاءت لتكون بريقاً أو «فلاشاً» ضوئياً يرتفع فى السماء وفجأة ينطفىء . . لو نظرنا فى خريطة العالم لوجدنا دولاً كثيرة أخذت على عاتقها ـ رغم امكاناتها الضعيفة ـ عبء التطور والاندماج فى نظريات جديدة حتى تنطلق فى ركب التطور . . وحتى تلقيها المجتمعات المتقدمة بانها تحاول أن تلحق بركب الحضارة . . ولكن يشق الموكب سؤال .

هل نحن فى ركب الحضارة حقا؟ .

أم نمضى ـ بدون عمل ـ فى ركب التخلف . ؟

هل نمضى الى الامام . . أم اننا نخطو بخطوات واثقة الى الوراء . . ؟

نتأمل واقعنا

نشهد الحضارة تسللت فى ملابسنا . . فى طعامنا ولكن هل تخللت فى نفوسنا . . أم تركت نفوسنا بلا تطور حضارى يلائم التطور الخارجى؟» .

أصبح العقل يناقش نظريات التطور وربما يعانى هو من تخلف فكرى شديد . . وربما وضع الانسان جسده تحت الميكرسكوب وفى أنابيب «طفل الأنابيب» . وأصبح يزرع الأعضاء يَزرع عيناً وقلباً بل واكثر من قلب فى الجسد الواحد . . ولكن هل قلبه حضارى . . ؟ بل المأساة اليوم ان أعضاء الانسان دخلت المزاد . .

ولو تأملنا حياة الانسان . . لوجدنا ان مائدة الطعام تحولت من الأرض الى غرفة خاصة بالطعام . . بدلا من التنقل . . وبدلا من تداخل الاصابع فى طبق واحد . . أصبح هناك اكثر من طبق ورغم ذلك . . كل يد تحاول ان تلتهم الطعام من طبق الآخر . . انه الجشع والنزعة الاستعمارية رغم الظواهر الشكلية التى تقول بأنهم حضاريون . .

وأصبح الناس يأكلون بالملعقة . . أما السكين فتحولت من المنضدة . . ليخبئها كل طرف ليطعن بها ظهر الآخر . . فجأة . .

نعم تطورت الأشكال . . ولكن افتقد الأصل جوهره الحقيقى .

أصبح الانسان يرتدى بدلة «سموكن» . . ولكن فى داخله إنسان من العصر الحجرى . . فى أى

المجاد
محمود رضا



لحظة أو مصادمة تكتشف ان بدلة (البيركاردان) تخبىء فى داخلها إنساناً متوحشاً . . وتكتشف انك فجأة لا تعيش مع الناس . . وإنما تعيش فى غابة رغم انه لا توجد لائحة واحدة تحذرك من الدخول .

أصبح الانسان يمضى فى طرق حديثة ممهدة مضيئة بأحدث الطرق التكنولوجية . . ولكن رغم الاضاءة التى تنير الطريق . . اصبح الانسان اعمى مع نفسه وضل طريقه الحقيقى . . فلم تفده الاضاءة ولا التكنولوجيا .

ويتساءل الانسان . .

ما فائدة الأبنية الحديثة . . والناس بالداخل فى حالة حرب . . الجار فى خلاف مع الجار . . والزوج فى خلاف مع زوجته . . والأطفال يضربون بعضهم بعضا فى الشارع .

ما فائدة نظريات التعليم الحديثة . . لنكتشف انه فى مواسم الامتحانات ترتفع نسبة الذين يتناولون الحبوب المنومة وحبوب الهلوسة ومع ظهور نتائج الامتحانات . . نشهد أرقاماً مخيفة فى اعداد الذين ينتحرون . .

ما فائدة السيارات الفارهة . . التى ما أنتجت إلا لتختصر مسافة الوقت لنحقق المصالح المعطلة لنكتشف ان المواصلات الحديثة اختصرت المسافة المكانية لتنقل الانسان من الحياة فى الأرض الى الحياة فى العالم الآخر .

بل تزداد المأساة . . عندما نعلم ان الانسان فى العالم يرفع لافتات السلام حتى لا يصافح الموت فى الوقت الذى يموت فيه ملايين الشباب فى سباق السرعة مع الزمن بسياراتهم الفارهة .

وفى حياتنا الاجتماعية . . نتذكر هابيل وقابيل فيتملكنا الخوف كيف يقتل الأخ أخاه . . ولكن اليوم عندما نتصفح الجرائد أصبحنا نقرأ فى اعتيادية خبر الزوج الذى قتل زوجته . . والزوجة التى اتفقت مع صديقها لقتل الزوج . . والابن الذى قتل أباه وأمه ولاذ بالفرار . . وغيرذلك من الحوادث المفجعة .

هل بعد ذلك نستغرب من قصة هابيل وقابيل . ؟

هل نقوى على القول باننا نعيش كأناسٍ حضاريين . ؟

هل هذه حقا الحضارة التى كنا نحلم بها . ؟

الحق إن الانسان لم يأخذ من الحضارة إلا القشور .
أما الجوهر فضاع وسط زحمة القشور .

السعودية





صمدت الطبيعة طويلا أمام موجات الغزو البشرى المحصنة خلف أسوار منيعة مجللة بالأسرار بحيث يستحيل الاقتراب منها أو محاولة التعرف على خباياها وأسرارها.

وفى هذه الفترة كان وصف إنسان بأنه قادر على تسخير قوى الطبيعة يقترن بمعانى النبوة والقدرة على الاتيان بالمعجزات.. وظل الحديث عن الغيبيات ـ انذاك ـ قاصرا على فئات من الكهان والسحرة.

وفجأة كشفت الطبيعة عن نفسها وأعلنت أسرارها.. بل وغالت فى هذا الكشف والاعلان.. فلان الحديد وسخرت الرياح وظهر العلماء فى مجالات لم تكن مطروقة.. وظهرت اختراعات لم تكن معروفة من قبل كسفن الفضاء والأقمار الصناعية والصواريخ عابرة القارات.. ولم تعد هناك حاجة لمردة وشياطين أو معجزين مبدعين.. ولم يعد الانسان قزما بين عمالقة الطبيعة أو ضائعا تائها يسعى الى حماية نفسه فقط ويبحث دائما عن مجرد مأوى ـ بل نضجت أهدافه وتطورت وتوسعت وتشعبت ينابيع الشر لتعلن عن نفسها فى كل مناسبة.. فابتكر أسلحة الدمار وآلات الحرب.. واستعمر وسرق ونهب محتمياً بأساليب جديدة فى الدفاع عن نفسه أو فى الاعتداء على جيرانه محاولا كسب المزيد والمزيد.

لقد حرر الانسان الطاقات الهائلة الملتهبة فى النواة والذرة ولم يعد يخيفه الرعد بل أصبح الانسان جبارا طويت له المسافات وذُلِّلت له العقبات ويسرت له سبل الحياة وتكشفت له الأنهار والأسرار.

وكان جديرا بكل هذه الانجازات أن تكون قادرة على تحقيق السعادة لبنى البشر.. وأن ترفل عليهم حلل السلام.. وأن يعيشوا الرخاء ويسعدوا برغد العيش وبمزيد من الأمن والأمان.



ولكن المستقرىء للأمور الحياتية لعالم اليوم يرى الانسان تعيسا شقيا.. وجهه ملبد بالغيوم وقدماه لا تحملاه رغم الآلات الحديثة التي يسرت له العمل. وأصبحت المرأة قادرة على ادارة شئون بيتها بواسطة أزرار لآلات وماكينات بدون أدني مجهود بشري.



الانسانية والحضارة المادية

كان من المنتظر أن يسعد الانسان بذلك وأن تملأه السعادة وهو يرى نفسه بعد ساعات قليلة فى دولة أخرى تبعد عنه مئات الأميال. . ولكنا نراه تعيسا شقيا مولعا بالبكاء عند أدنى مشكلة تصادفه. . يتلذذ العزلة التى أصبحت بعيدة المنال فى ظل هذا العالم المجنون السريع الايقاع المتلاحق الأحداث. . أصبح الانسان يفزعه الواقع يرهب المستقبل ولا يطمئن الا الى الماضى الذى يثق فى أنه لن يعود.

انهار الانسان من على قمم المبادىء والمثل الى القاع السحيق وأصبح يرفل فى ثياب ذئب جائع يطمع دائما فى المزيد. . أصبح متمردا ناقما على الحياة جشعا يائسا لا يذكر الله. . لا يؤمن بالغيبيات ولا بقدرة أحد على تحسين أحواله سوى قدرته المادية، أصبح الانسان لا يستجيب الا لصوت التجربة وذبذبات الآلات وأرقام الكمبيوتر ونداء العقل المجرد من الحس والمشاعر والايحاءات.

حقا. لقد انتصر الانسان على شواهد الطبيعة وفتح أبواب عصر المادة على مصراعيه ولكنه ارتد الى البدائية الأولى فتساقطت قدراته الفكرية وعاش فى أحلام خداعة بأنه سيكون وسيكون ونسى فى غمرة توقعاته أن يذكر القادر على تخييب ظنونه وآماله. أصبح انسان هذا العصر ملحدا رغم الكتب المقدسة التى تحملها يمناه. . جاحدا رغم ترديده لمقولات الانبياء المرسلين. . أصبح عجولا شهوانيا مخادعا. . حقا. . لقد سما علمه وهبط حسه. . ارتقى بفنه وتدهور بذوقه وأدبه. . أصبح يعيش فى صراع دائم بين البقية الباقية من قيمه الروحية التى يذكرها بين حين وآخر وكأنها أضغاث أحلام وبين علمه المادى الواقف أمامه معلنا عن نفسه فى جرأة وقحة معبرا عن إمكانياته اللانهائية متحديا الماضى الزاخر بالمثاليات والقيم يوم آمن الانسان بقدرة الله وأيقن أنه وحده صاحب المشيئة. لقد ضاع الانسان يوم أضاع قيمه ومثله وروحانياته.

لقد فقد الانسان أطرافه يوم فقد القدرة على الاسترشاد بالايمان فى طريق الحياة التى آثر أن يسيرها حتى نهايتها متخبطا بين آونة وأخرى فى جدران وأعتاب صلدة صنعها بمهارة من تسخيره لمعادن وأحجار عجزت عنها يداه أجيالاً وأجيالا حتى أراد لها الله تعالى أن تفشى بسرها للانسان.

لقد نسى الانسان فى غمرة الأحداث أن يعود الى الله . . أن يبتهل اليه . . أن يعبده . . بسيطا فى ثياب الطاعة . . وبيت خشبى أو حتى خيمة فى الصحراء مع بقاء صفاء الروح وطهر السريرة وعفة النفس واستقرار البال . . منعته المادة . . غلفت روحه برداء حديدى لا يستجيب للمؤثرات الخارجية أصبح لا يهدأ حتى يحصل على ما بيد غيره بقوة تفنن فى صناعتها عبر تجارب أفنى فيها أعمارا وأعمارا ليتأكد من قوتها التدميرية وقدرتها على تحطيم كل لون أخضر على ظهر الأرض .

فى غمرة الأحداث قد يجد الانسان لحظات يقف فيها مع نفسه ليعلن عن شقائه ولكن سرعان ما تستهويه اللعبة المدمرة ليستمر ويستمر حتى نهاية اللعبة التى ستقضى عليه لا محالة . . وأن الشيطان ليخول له بأن جبروته لا نهائى وأن قدرته مهيمنة . . وكلما ذكرته آثار الأقدمين وكتبهم وسيرهم بأمجاد قيمية وسير حياتية أثبتت صلاحيتها للمرور بأصحابها عبر سنوات الشقاء الى سعادة وهناء وأكدت قدرتها على تحقيق التكامل والاندماج الوجدانى وحققت استقرارا دينيا ودنيويا رغم بساطة أساليب الحياة وقتذاك ـ أقول كلما تذكر الانسان ذلك كلما أمعن فى الهروب من تلك الاماكن الخفية بعمالقة الانسانية وبأمجاد بشرية بعيدة عن طغيان المادة .

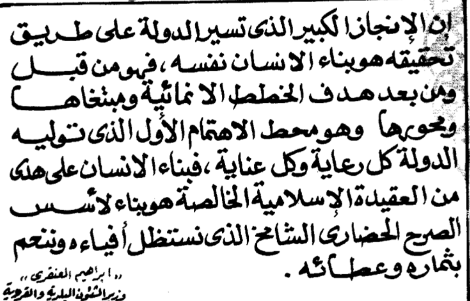
لقد امتلأ الانسان بالغرور . . وكلما حققت يداه شيئا كلما طلب المزيد وطمع فى الأحسن والأفضل من وجهة نظره . . ولكنه قد نمطى عقله بكثير من الايدلوجيات المسممة بالأفكار والمنتشرة فى عالم اليوم .

فالشيوعية ـ مثلا ـ من خلال الفكر الماركسى لا تؤمن الا بامكانات الانسان المادية المجسدة وترفض سيطرة وسيادة القيم والمثاليات وتخاطب الجانب الميكانيكى فى الانسان متجاهلة انسانيته معتبرة الدين ضعفاً وتدهوراً حتى اصبح شعارهم : «**الدين أفيون الشعوب**» وأن القيم معوقا للتقدم ودافعا للوراء .

والرأسمالية ـ مثلا ـ بما قد تبدو عليه من ايمان بحرية الانسان واستقلال ارادته نرى الانسان فى ظلها متكالبا على المادة . . فنراه تاجرا جشعا عاشقا للأموال ناسيا ذاته وأخلاقياته وقيمه فى زحام الأوراق المالية وسوق العملات .

وفى ظل المنافسة التى تقدمها الرأسمالية تنهار أبسط حقوق الانسان ولا يضمن رزق غده ولا يأمن مستقبله . وفى ظل نظام الاحتكارات وحريتها نجد الانسان مستعدا فى أية لحظة للقضاء على أخيه من أجل الحصول على الربح الوفير أو لمنع خسارة متوقعة .

مبادئ



أيها الانسان. . أهذه هى المدنية التى تسعى اليها؟.
أيها الانسان. . أهذه هى الحياة التى قدر لك أن تحياها؟.
أيها الانسان العربى المسلم أين أنت فى ظل هذا الصراع القيمى السائد فى عالم اليوم؟.

حقا. . مسكين انسان القرن الواحد والعشرين. . ضائع. . تائه. . شريد معوج المسيرة.

ولكن. . ألا من وقفة مع الذات؟. . ألا من عودة للبحث فى السير ـ عن مقومات السعادة والاستقرار التى افتقدناها فى عالم اليوم؟.

أيها الانسان. . عد الى أصولك. . عد الى قيمك. . عد الى دينك وايمانك. . عد الى ربك. . تمسك بالمبادىء الاسلامية التى هى قوام هذه الحياة.

ازحف عائدا. . بعيدا عن ضوضاء المدنية وصراخ الآلات وأنين الأمراض النفسية. . اهرب لحظات. . اقضها مع نفسك وخلف خيمة أو بجوار شجرة. . أسقط من علياء تقدمك الزائف وضع رأسك على التراب وصلِّ. . قل يارب. .

إنسان القرن الواحد والعشرين. . صدقنى. . لن تندم. .
ستعود الى مدنيتك وأنت راضٍ. . وفى رضاك هذا سر السعادة الأبدية. .



الحضارة الاسلامية كما تتراءى لنا اليوم فى تاريخنا العريق هى نتاج مدن. . فما أن نتلفظ باسمها حتى تقفز إلى أذهاننا أسماء حواضر مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد واصبهان وبخارى وسمرقند والقاهرة والقيروان وفاس ومراكش وقرطبة وأشبيلية وغرناطة الخ . . وإذا وقفنا مليّا عند كل اسم من تلك الاسماء نجد لكل مدينة تاريخا حافلا ومساهمة فعالة فى بناء صرح الحضارة الاسلامية . لكن الذى يجب أن نعترف به هو أن المؤرخين العرب مازالوا مقصرين فى البحث العلمى المدقق والمستفيض عن هذا الموضوع مع العلم بأن التعرف على الحضارة الاسلامية ـ على الوجه الصحيح ـ لا يمكن أن يتم إلا بجمع كل المعلومات الآثارية والتاريخية عن تلك الحواجز.

وهذا شيىء نابع من اتجاه تلك الحضارة وطبيعتها فالاسلام قام على طرح الرسالة الخالدة . . وتثبيت العقيدة النيرة . . وتحجيم البداوة المغرقة فى العصبية والقبلية وأحلاف الجاهلية . . ونجد إشارات عديدة لذلك فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف . . ومن المعلوم أن مشخصات الجاهلية لا على المستوى الروحى ولا على المستوى المادى ـ كانت أبرز فى مجتمع البادية منها فى مجتمع الحاضرة . . ولذلك فإن الرسول عليه السلام بدأ دعوته فى مكة . . وهاجر الى المدينة .

وهذا له تفسيره الواضح فى الدعوة الاسلامية وتعاليمها . . إنها دعوة أتت بشريعة ونظام ودولة فكان لابد لها من أن تتركز فى مجتمع يتميز بالاستقرار والتكاثف حيث يمكن تسطير نظام وقواعد وايجاد تعاون وتضامن فى سبيل تحقيق رسالة ربانية تستفيد منها الجماعة على كل المستويات . ومثل هذا المجتمع المستقر المتكاثف المتضامن ما كان ليوجد إلا فى المدن ولذلك اتخذ الرسول ﴿ﷺ﴾ من يثرب مركزاً للدعوة الاسلامية فى مرحلتها الثانية والحاسمة . وكان أول مَعْلَم يدل على الانطلاقة الأولى لبناء تلك الحضارة هو المسجد الذى كان فى آن واحد مكانا للعبادة ومكانا للتدبير والرأى والشورى . . ومنتدى يلتقى فيه المؤمنون . . ومدرسة يعلم النبى ﴿ﷺ﴾ فيها صحابته ويبلغهم بكل ما نزل عليه من الوحى وما يتراءى له فى وضع أسس السنة . ودور المسجد فى حياة المجتمع الاسلامى فى العصور الأولى من تاريخ الاسلام موضوع يستحق ـ هو أيضا ـ أن تخصص له جهود كبيرة فى البحث الدينى والعلمى الرصين .



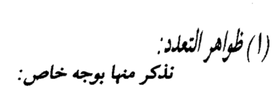
ولكن الذى يعنينا الآن هو أن نبين أن الاسلام بطبيعته اتجه نحو اختيار المدينة حتى يتمكن من نشر دعوته فى الحاضرة والبادية على السواء. فهو لم يهمل البادية ولم يستهن بالبدو الذين قال عنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه: انهم مادة الاسلام.

● معنى هذا أن الحضارة الاسلامية وجدت مستودعها الأساسى فى المدن وهذا ما يفسر لنا كون الفلاسفة والمؤرخين ـ للدلالة على هذا المفهوم ـ اختاروا كلمتين فى اللغة العربية تربطاننا بالمدينة وهما «حضارة» المشتقة من كلمة حضر التى هى نقيض بدو. . ومدنية المشتقة من كلمة مدينة . . وهذا لا ينفى بالطبع كون البادية ساهمت فى الحضارة الاسلامية بنصيب لا يستهان به.

لكن المصادر المتوفرة لدينا الآن تشح علينا ـ ويا للأسف ـ بكل المعلومات المفصلة عن حياة البادية وأطوارها التاريخية فى عهد الاسلام. . ثم إن البادية كما رأينا كان دورها يقتصر فى أغلب الأحوال على تقديم المواد الأولية للمدينة. والخلاصة التى نخرج بها من كل هذا التحليل هو أن المدينة تظل هى المشخص الأساسى للحضارة الاسلامية بحيث لا نكون مخطئين إذا ربطنا تلك الحضارة باسماء بعض المدن. وربما كان خير باب نلج منه للتعرف على بعض مميزاتها وابداعاتها هو الوقوف عند بعض الحواضر التى تألق نجمها فى سماء العالم الاسلامى أثناء عصور الازدهار. . وهو ما سنحاوله فى بحثنا هذا مقتصرين على بعض الأمثلة من جهة. . ومرتكزين على منهاجية تبرز أمامنا العلاقات التاريخية التى جعلت من تلك المدن كلا تاريخيا يرتبط بعضه ببعض.

وحدة الحضارة الاسلامية

إذا ألقينا نظرة على خريطة العالم الاسلامى نلاحظ امتداده الواسع فى قارتى آسيا وأفريقيا واحتواءه لأقطار متعددة وشعوب وأجناس كثيرة تتكلم بلغات مختلفة. الشىء الذى يوحى لأول وهلة بأن الحضارة الاسلامية متعددة وأنه من الصعب علينا أن نتحدث عن حضارة إسلامية واحدة بصيغة الافراد. لكن حينما نتعمق فى دراسة الموضوع ونميز بين الظواهر السطحية والبنيات الجوهرية ندرى أن وراء التعدد الظاهرى وحدة فى العمق والأساس. ولعل توضيح الفكرة يتطلب منا اجراء تحليل موجز.



(ا) ظواهر التعدد:

نذكر منها بوجه خاص:

الاختلاف الجغرافى بين الأقطار الاسلامية سواء من حيث التضاريس أو المناخ أو الموارد. فهنالك بلاد ذات طابع متوسط وأخرى ذات طابع قارى أو مدارى أو صحراوى.

اختلاف فى الإرث التاريخى والثقافى: وفى هذا الصدد لا نستطيع أن نقارن ـ مثلا ـ بين الهند والأندلس أو بين المغرب وما وراء النهر.

اختلاف الأجناس والسلالات: فهنالك الشعوب السامية والآرية من عرب وسريان وأنباط وإيرانيين وأتراك ومغول وهنود وأحباش وبربر وزنوج . . الخ .

وكل جنس يسعى ـ بالطبع ـ إلى تدعيم كيانه والدفاع عن وجوده.

الاختلافات اللغوية: إذا اعتبرنا اللهجات المستعملة محليا فى مجموع البلاد الاسلامية فإننا نجد منها المئات فى تعدادها . . وإذا اقتصرنا على اللغات الكبرى ذات الاشعاع الثقافى فنجد من بينها العربية والفارسية والهندية والسنسكريتية والبنغالية والأردية والتركية والصينية واليونانية . . مما يعنى التعدد على المستوى الثقافى والتمايز القومى عن طريق اللغة.

اختلاف الجوار والمحيط الجغرافى وماله من تأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . . فهنالك بلاد يطغى عليها الجوار البحرى مثل جزيرة العرب أو المغرب . . وهنالك بلاد أخرى لا منفذ لها إلى البحر مثل أفغانستان وما وراء النهر . وهنالك مناطق تطغى عليها الجبال وأخرى توجد بين المنخفضات والأراضى المطمئنة.

من الطبيعى أن يكون مجموع هذه الظواهر عامل تنويع وتلوين داخل العالم الاسلامى فتطبع كل قطر وكل منطقة بطابع خاص. لكن إلى أى حد ينجم عنه انفصام وتمايز جوهرى فيما بينها الى الحد الذى تنصدع معه الوحدة الأساسية؟.

للجواب على هذا السؤال يجب أن نلقى نظرة خاصة على ظواهر الوحدة.

(٢) ظواهر الوحدة:

هى أيضا متعددة ونذكر منها على سبيل الخصوص:

- الدور الأساسى الذى أنيط بالدين فى حياة المجتمع الاسلامى حيثما وجد . . إذ هو المرجع بالنسبة

لتكييف الحياة السياسية والحياة الثقافية والحياة الروحية فى كل الأقطار الاسلامية على اختلافها. ويكفى أن نظر إلى ما يجرى الآن فى تركيا وباكستان وإيران ـ مثلا ـ لنتأكد من أولوية المقياس الدينى بالنسبة لغيره.

● اللقاء الدائم بين ابناء الشعوب الاسلامية على أبسط مستوى وفى أصدق مناسبة أثناء الحج الذى يكون له موسم حافل كل سنة منذ أربعة عشر قرنا.. فهو يتيح فرصة لا مثيل لها للمؤمنين القادمين من مختلف الآفاق فى العالم الاسلامى للتواجد والتعاطف فى أقدس بقعة يتجهون إليها فيشعرون بأنهم أمة واحدة بالرغم من كل ما باعد بينهم.

● المفاهيم الأساسية التى ركزها الاسلام فى أذهان المؤمنين تتجه كلها فى سياق الوحدة. فنذكر من بينها ـ مثلا ـ مفهوم الأمة ـ ومفهوم دار الاسلام فى مقابلته مع دار الحرب.. ومفاهيم الخلافة والامامة التى تحولت إلى مؤسسات لها محدداتها ومشخصاتها والتى ظل صداها يتردد الى عصرنا هذا.

● الثقافة العربية الاسلامية مهما كانت اللغة التى تبلغ بها تحمل نفس المضامين وتنحو إلى نفس الاتجاهات الفكرية والروحية بحيث إن انتشارها فى كل بقاع العالم الاسلامى كان يعنى إشاعة تراث مشترك بين الشعوب الاسلامية. وغنى عن البيان ما يحمله تراث كهذا من طاقة للتوحيد والتمازج بين العقليات.

ومضات

إن الشخص المنصف لايملك إلا أن يتطلع بإعجاب إلى هذه المنجزات العظيمة التى حدثت فى وطننا الحبيب وفى هذه الفترة القصيرة، هذه المنجزات التى لم تكن لتتحقق لولا فضل الله سبحانه وتعالى ثم القيادة الحكيمة التى أمنت جميع متطلبات الانطلاقة الكبيرة التى عايشناها ونعيشها.

وقد كان للمهندس السعودى دور كبير فى هذا الانجاز وهو دور مشرف نعتز به ونفتخر بماضيه وحاضره ونطلب استمراريته وتكثيفه مستقبلا.

«الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز»



● الوعى بالوحدة والشعور بالتضامن ولو بصورة سلبية فى بعض الأحيان تجلى أيضا فى الأزمات والكوارث التى اجتاز منها العالم الاسلامى قديما وحديثا فنذكر على سبيل المثال الحروب الصليبية . . والغزو المغولى . . والهجمات الاستعمارية التى استهدف لها العالم الاسلامى فى القرون الأربعة الأخيرة.

من هذا التحليل نخرج بنتيجة أولى تمس المنهاج الصالح لدراسة الحضارة الاسلامية . . إذ يتجلى لنا أننا يمكن إما أن نتناولها فى نطاق قطر واحد وإما أن ننظر اليها ككل له هيكله الضخم وأسسه الراسخة التى تتفرع عنها فروع تمثل الدوحة الشامخة التى لها سيقان وأغصان ولكنها نابعة كلها من أصل واحد راسخ فى أعماق الأرض. فلنا الخيار ـ إذن ـ بين الدراسة المونوغرافية التى تتيح لنا الفرصة لتحليلات مفصلة وتوضيحات مدققة وملموسة وتسمح لنا فى الوقت ذاته أن نجعل مكاناً للخصوصيات المحلية وبين النظرة الشمولية التى تقودنا إلى الكشف عن فلسفة الحضارة الاسلامية وبنياتها الاساسية وعوامل تطورها وانتقالها من أحوال التماسك والصعود المطرد إلى عوارض الانحلال والتدهور.

وحدة وتنوع . . مظهران للحضارة الاسلامية لا يتناقضان وإنما يقعان فى مستويين مختلفين ويتكاملان . . وهذا نلمسه لمسا قويا حينما نحاول التعرف بالتفصيل على مراكز الاشعاع الحضارى التى برزت فى العالم الاسلامى فنحدد دور كل واحد منها . . ونصنفها حسب أهميتها الذاتية وحسب تأثيرها. وهاته المراكز لم تنطلق كلها فى عملها دفعة واحدة بل تلاحقت فى مدد زمنية تتحكم فى تحديد التطور التاريخى وما أحدثه من نضج داخل المجتمع الاسلامى . . فهى إذن تختلف من حيث تاريخ الانطلاق والوصول إلى أطوار الازدهار والفتور. . وهذا الاختلاف كان ذا صبغة ايجابية لانه حافظ على نمو الحضارة فى شكل متوازن ومطرد دون أزمات ولا اصطدامات . . ولأنه جعل تلك المراكز تباشر دورها باستمرارية تجمع بين المحافظة والتجدد. . وتواصل عملها فى نطاق تناوب فورى وطبيعى لم يترك مكانا لأى ثغرة ولا فراغ .

من ثم أصبحت دراسة تلك المراكز تقتضى ترتيبا وتصنيفا لا غنى عنهما إذ أردنا أن نلمس التطور على حقيقته . . ونميز بين خطى الانطلاق والوصول . . ونعرف دور كل مركز فى بناء الحضارة الاسلامية . . فلا يصح لنا ـ إذن ـ أن نقدم قائمة بتلك المراكز بطريقة عشوائية ودون ترتيب كما يحدث كثيرا **فكيف نصنفها يا ترى؟ . . هل نصنفها حسب تسلسلها التاريخى . . أم حسب طاقتها الاشعاعية؟ . . أم حسب طاقتها الابداعية؟ . أم حسب الموقع الجغرافى؟ .**

تصنيف المراكز الحضارية

كل هاته المقاييس تنسجم مع بعضها إذا وضعنا اليد على المقياس الأساسى الذى تنشأ عنه رؤيا صحيحة للواقع التاريخى وربطناها به فنحن حينما نلقى نظرة شاملة وفاحصة لأهم

تلك المراكز نكتشف أنها تتمايز عن بعضها بظاهرة جوهرية . . فهنالك مراكز برز دورها فى العطاء . . وهنالك مراكز اقتصر دورها على التلقى مع التصرف فيما أمكن أن تتلقاه. وهذا فارق لا تخفى أهميته بحيث نستطيع أن نعتبر المقياس الأساسى الذى نبحث عنه يكمن فى الطاقة الابداعية التى يتوفر عليها كل مركز.

فاذا أخذنا منطلقنا من هذا الأساس أمكننا أن نميز بين مراكز مؤسسة ومراكز ملتحقة والتأسيس الذى هو أقوى صورة للابداع يقتضى وضع الأسس الكبرى للحضارة الاسلامية . . وهذا يفترض - منطقيا - أن تكون المراكز المؤسسة سابقة لغيرها من حيث التسلسل الزمنى . . وأن تكون هى الأقوى من حيث الاشعاع الحضارى.

تحدثنا عن العطاء والتلقى . . وهذا الأخير يختلف حسب طبيعة المتلقى وظروفه التاريخية والجغرافية . . وهو أمر يتضح لنا حينما يعرض بإيجاز للمسار الذى انطلقت فيه الحضارة الاسلامية منذ نشوئها فى مختلف الجهات من مملكة الخلافة الاسلامية العظمى . . ولا حاجة بنا الى الالحاح على أن الدعوة الاسلامية انتشرت فى بلاد مختلفة من حيث المستوى الحضارى والتطور التاريخى فهنالك:

- **بلاد ترتكز على ماض لامع وتراث حضارى كبير مثل فارس . . واليونان . . والرومان . . وبيزنطة . . ومصر . . والشام . . والعراق . . والهند.**
- **بلاد مازالت فى منتصف الطريق لأنها احتكت بالحضارة دون أن تذهب فيها أشواطا بعيدة مثل: «افريقية . . والمغرب . . واسبانيا.**
- **بلاد مازالت بكرا فى معظم أجزائها مثل أفريقيا السوداء . . وبعض الجهات فى آسيا.**

فكانت النتيجة أن الحضارة استطاعت أن تنشط بسرعة وتقدم لقاحها بالنسبة للأولى فى أمد قصير ودون كبيرعناء . . بينما تطلب ذلك مدة أطول بالنسبة للثانية.

وأما الأخيرة: فبما أنها كانت تمثل نسبيا منطقة فراغ كان لابد لها من أن تجتاز عدة مراحل من التطور قبل أن تصل إلى الدرجة الضرورية من النضج والاختمار. الشيء الذى تطلّب عدة قرون.

ومهما يكن فإن عامل الابتكار والابداع يظل هو المقياس الأساسى الذى يوجهنا وسط هذا الواقع التاريخى المتشعب من أجل القيام بتصنيف وترتيب منسجم مع المنطق. وباعتبار ما تقدم من تحليل يتبين لنا أن المراكز المؤسسة كانت حسب تسلسلها التاريخى هى: المدينة المنورة . . دمشق . . بغداد. ثلاث حواضر لامعة ومجيدة خصصها التاريخ بنوع من السبق والامتياز فما هو وجه هذا التخصيص؟ . . وما هى أهميته؟ . . وما هو دور كل واحدة منها فى إنشاء الحضارة الاسلامية وتنميتها؟ . .

الجواب - حتما - يقتضى وقفة عند كل واحدة منها.



سجل التاريخ حضارات قديمة اشتهرت ثم سرعان ما اندثرت ولم يبق من أثرها سوى الشىء القليل يتمثل فى الأطلال والآثار أو ما تشير اليه الكتب من رقم وتكشف عنه الحفريات من ألواح(١) فقد كانت لحضارة الاغريق واليونان نظرات فى الكون وما وراءه فكانت فلسفية وليست لغوية.. ولحضارة الرومان نظرات فى الحياة والناس فكانت تشريعية وفروسية وليست لغوية ولا بلاغية.. ولحضارة الفراعنة والهنود نظرات فيما وراء الطبيعة كانت دينية لا هوتية وليست لغوية ولا بيانية.. ولحضارة الفرس نظرات فى الحكم والادارة فكانت سياسية مدنية وليست لغوية ولا بديعية.. ثم جاءت حضارة العرب والمسلمين فكانت جماع هذه المفاهيم وما أبدعه الفكر ودعا اليه الاسلام.. صيغ فى أساليب لغوية محكمة وتعابير فنية مثقفة ارتفع البيان فيها الى مرتبة الاعجاز الذى ورد فى القرآن الكريم حتى خلدت أمة العرب بخلوده.

وان الادلة الواردة لتعزيز ما سلف ذكره كثيرة فقد عقد فى شهر ابريل ١٩٧٤ مؤتمر دولى للغة الفرنسية تولى اعداده المجلس العالمى للغة الفرنسية وقد جاء فى أحد التقارير التى قدمت لهذا المؤتمر ما يلى:

«إن العلاقات السياسية والاقتصادية بين أوربا والعالم العربى ترجع الى مدى تاريخ بعيد حيث كان الاتصال وثيقا فى مختلف القطاعات وكان أن تمازجت الحضارة العربية بالحضارة الاوربية حيث وصلت الحضارة العربية منذ القرون الوسطى الى أوربا فتركت بصماتها الثقافية واللغوية فى هذه القارة الى درجة أن أوربا لا تفصل اليوم بين لغتها الاصلية وما يدخل عليها من ألفاظ عربية كما هو الشأن بالنسبة للاسبانية والفرنسية»(٢).

وهذه فقرة من تصريح أدلى به الرئيس الفرنسى «ديغول» لمراسل صحيفة باريسية كبرى حول سياسته الخارجية:

●● استفسر المراسل رئيس الجمهورية الفرنسية عن ميله الملحوظ الى التقرب أكثر فأكثر من العالم العربى والاسلامى وتوطيد علائق فرنسا معه فكان من جملة جوابه عن ذلك ما مفاده:



«إن فرنسا وكل البلدان الراقية المتقدمة تكنولوجيا فى حاجة الى ربط الصلة الوثيقة بالمجتمعات العربية والاسلامية منها الى الاحتكاك بالحضارة الغربية والامريكية الباهرة. . ذلك أن مجتمعاتنا الاوربية فقدت شيئا ثمينا جدا تحت وطأة تقدمها الضخم ألا وهو «الانسانية» وأعنى بالانسانية «القيم الروحية» البشرية العليا ـ فقد قطعت حضارتنا تلك الصلة الخفية التى تربط البشر بعضهم ببعض. . لقد جف شعورنا وتجمدت قيمنا الاخلاقية وانحلت. . ويزيد الرئيس ديغول:

«وأعتقد أن اتصالنا بالمجتمعات العربية والاسلامية التى حافظت على تلك الروح الانسانية سينقذنا من مغبات حضارتنا وسيفيدنا كثيرا. لهذا السبب أتمنى أن لا تقطع فرنسا صلتها بالعالم العربى والاسلامى بل أن تعمل على تنميتها وتوثيقها».

وما دمنا بصدد الحديث عن فضل الحضارة العربية على الحضارات الانسانية لا بأس من الاشارة الى السبق الحضارى الذى أحرز عليه العرب فى عالم الطب والجراحة منذ فجر الاسلام حتى سقوط الاندلس:

●● العرب اخترعوا أدوات طبية وأجروا عمليات جراحية فى فجر الاسلام.

●● العرب علموا الغرب علوم الكيميائيات والرياضيات والصيدلة والفلك والطب:

يقول السيد **(بيير جيرو)** الاستاذ فى كلية الآداب والعلوم الانسانية بمدينة نيس الفرنسية(٣) «إن العرب هم أول من اشتغل بالعلوم الحديثة وخاصة الطب، فقد ازدهر الطب والجراحة فى الشام ثم فى الاندلس فوصلت الجراحة الى قمتها وكان على رأس الجراحين الجراح الاندلسى المشهور أبو القاسم عباس الزهراوى الذى ألف موسوعته العلمية المسماة (التصريف لمن عجز عن التأليف) أفرد أجزاء خاصة منها للأدوات الطبية والجراحية التى نستعملها حتى الآن، كما أنه خصص أقساما لعلاج الكسور والمفاصل وأمراض النساء والولادة وللجراحة العامة وأمراض العيون وأفرد للكلى جزءاً كبيرا.

وبعد الفتوح العربية واختلاط العرب بالامم المجاورة من أهل الحضارات السابقة كالفارسية واليونانية حدث توسع فى نقل علم الامراض والجراحة وأول من اهتم بالجراحة الجراح محمد بن زكريا الرازى الذى كانت تؤخذ منه معلومات طبية لاجراء العمليات التى ينفذها بعض الاطباء الذين تتلمذوا على يده. والمجوسى الذى شرح عمليات الشق على الحصاة فى الكُلْيَة ثم ابن رشد وابن سينا الذى شرح كثيرا من العمليات الجراحية ولكنه لم يزاولها إلى أن جاء القرن العاشر الميلادى فازدهرت الجراحة فى الاندلس على يد أبى بكر بن مروان الذى جمع بين الطب والجراحة على أن أكبر من برع فى فن الجراحة هو أبو القاسم الزهراوى الذى له نظريات كثيرة لازالت صالحة حتى الآن فى عالم الطب ولا سيما طب الاسنان.

●● ولقد نبه إلى أن الجراحات فى الاورام الخبيثة للثدى لا تنفع إلا فى الحالات الاولى أما فى الحالات المتأخرة فإن فيها هلاك للمريض.

●● ووصف حقنا معدنية للمثانة وكذلك طرقا لتفتيت حصوة الكلية كما أنه وصف الطرق المختلفة لربط الشرايين وكذلك استعمال القطن كغيار وضماد لوقف النزيف أثناء العمليات الجراحية كما هو الشأن الآن، ويعتبر ابن النفيس أول من اكتشف وجود الدورة الدموية عند الانسان فكان اكتشافه هذا نواة لتوالى بحوث الغربيين حول الدورة الدموية الصغرى والكبرى.



● أول العلم الصمت والثانى الاستماع والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس نشره.

قيل: لا يكون الرجل عالما حتى يكون فيه ثلاث: لا يحقرن من دونه فى العلم ولا يحسد من فوقه ولا يأخذ على علمه ثمنا.

مصادر الفكر الجغرافى عند العرب:

من الملاحظ فى دراسة تاريخ الجغرافية عند العرب هو أن الحقبة الاموية لم تُعْنَ بالجغرافية أو الفلك أو الطالع أو النجوم وأن اهتمامهم بها بدأ مع الدولة العباسية ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن المنصور كان فى بلاطه منجمان هما «نوبخت» و«ما شاء الله» فقد كان وجود المنجمين فى بلاط الساسانيين أمرا مألوفا فقلدهم فى ذلك العباسيون كما قلدوهم فى أمور أخرى كثيرة.

وقد تأثر الفكر الجغرافى العربى الاسلامى فى أول أدوار نموه بمصادر ثلاثة هى: «الهندى والفارسى واليونانى». وكان السبق للمصدرين الاولين من حيث الزمن إذ تأثر العرب بهما فى النصف الثانى من القرن الثامن وأوائل القرن التاسع للميلاد ثم تعرفوا الى التراث اليونانى فى أوائل القرن التاسع.. ولم يكد هذا القرن ينتصف حتى كان التأثير اليونانى هو النافذ إلا أن هذا لم يعن أن الاثر الهندى الفارسى اندثر بل لقد ظل من جغرافيى العرب والمسلمين وفلكييهم من أخذ بمذهب هذا الاثر فى الفلك الى أزمان متأخرة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر.

ويروى أنه كان بين أعضاء السفارة الهندية فى بلاط المنصور عالم هندى حمل معه من الهند رسالة فى الفلك بجداولها وأن هذه الرسالة نقلها فيما بعد الى العربية «الفزارى» ويعقوب ابن طارق وسمياها «كتاب السند هند». . وقد تكون بعض أجزاء هذه الرواية معرضة للخطأ فى التفاصيل. . لكن المهم أن هذه الرسالة شاعت بين جغرافيي العرب وفلكييهم بهذا الاسم. . وكانت تحوى مقدمة وجيزة وعددا من الجداول الفلكية فى تحركات الأجرام السماوية وطلوع البروج ومغيبها وكانت هذه الحركات قد حسبت على أساس دورات زمانية طويلة الأمد أساسها أن الشمس والقمر والكواكب كانت فى بداية العالم مجتمعة على خط واحد وأنها سترجع الى الوضع نفسه فى نهاية العالم ويبدو واضحا أن النظريات والآراء الفلكية والجغرافية الهندية وجدت سبيلها الى العرب عن طريق الفرس وذلك على ضوء إقدامهم على استعمال الزيج والتأليف فى هذا الفن.

ونحن إذا حاولنا أن نلخص الاثر الهندى الفارسى فى الجغرافية العربية فى ذلك العصر لوجدنا أمورا كثيرة تستحق العناية. وأول هذه الامور هو قياس الاطوال من الشرق من «الارين» أى قبة الارض أو «قبة الارين» كما شاع الاسم فى مؤلفات العرب والاصل فى هذا الرأى هو أن علماء الهنود كانوا يبدأون تعداد خطوط الطول من خط منتصف النهار الذى يمر بوسط جزيرة «لانكا» التى سماها العرب «سرنديب» والتى نسميها اليوم «سيلان». . وقد حسب هؤلاء العلماء الهنود أن هذه الجزيرة تقع على خط الاستواء ويبدو أن الرواية الحاصلة من اختلاط العلم المنقول بالاسطورة المحلية نقلت «قبة الارين» من جزيرة سيلان إلى مكان بين الهند والحبشة. . بيد أن حساب الاطوال ظل يبدأ من الشرق.





عندما قام جلالة الملك الراحل عبد العزيز، طيب الله ثراه فوحد معظم اجزاء الجزيرة العربية فإنه حرص كل الحرص على أن تكون هذه الوحدة الماثلة فى مملكتكم وحدة اسلامية لا وحدة سياسية فقد أراد رحمه الله أن تكون المملكة العربية السعودية نواة لوحدة العرب، ومنطلقاً إلى وحدة المسلمين.

«عبدالله بن عبدالعزيز»

ومما جاء به العرب عن طريق الهند وفارس هو أن الجزء المعمور من الارض لا يتجاوز نصف الكرة أى ١٨٠ درجة ويمتد تسعين درجة فى كل جهة من جهتى «الارين» . وتكون الجزر الخالدات فى المحيط الاطلسى نهاية المعمور غربا . . لكن فى الشرق تذوب نهاية المعمور فى بر واسع شاسع ومن الاهتمام بالجزء المعمور وصلت الى العرب صفات الاقاليم السبعة على الطريقة الهندية الفارسية وهى أقاليم تبدأ من الشرق أيضا. وقد انتشر مُصَنَّفٌ فارسى واحد بين العرب أثَّر فى تفكيرهم الجغرافى تأثيرا كبيرا هو «زيج الشاه» وإن كان يعتمد فى واقع الحال على الارصاد والجداول الهندية. والزيج العربى الذى نال انتشاراً واسعاً هو «زيج أبى معشر الفلكى» والمعروف أن الزيج - أى زيج - يحتوى على جداول عددية تبين مواقع الاماكن ويقوم حسابه على الأدوار الزمنية.



اذا لم تكن الحضارة سموا بالانسان واذا كانت لا تعنى الا مزيدا من قدرة الانسان وجرأته على ان يهبط ويهبط وعلى ان يتخلى عن سموه فهل الخير إذن ان تكون حضارة ام لا تكون حضارة؟.

إذا لم تكن الحضارة للانسان فلمن إذن تكون؟.

إذا لم تكن سلوكاً فى حياته، فلماذا إذن يعانى فى ابداعها؟

هل الحضارة للحضارة أم للحياة؟

هل الحضارة للانسان، ام الانسان للحضارة؟

«مشعل السديرى»

وحرى بالذكر أن العدد الغالب من المصنفات التى ترجمت أو وضعت على أساس المذهبين الهندى والفارسى كانت ذات صبغة علمية خالصة. ولكن فكرة الاقاليم السبعة التى استقرت فى التراث العربى إنما هى الفكرة اليونانية وكانت الترجمة عن اليونان - فى الرياضيات والفلسفة والفلك والجغرافية - منتظمة منظمة ولم تكن فتاتاً على نحو ما كان الامر فيما سبق القرن التاسع الميلادى. لذلك كان من الطبيعى - فى أثناء ذلك - أن يلمع اسم «**بطلميوس**» فى ميدان الفلك والجغرافية وقد نقل العرب كتابه «**المجسطى**» الذى وضعه فى نظام الكون فى ثلاث ترجمات كانت الثالثة منها على يد «**حنين بن اسحق**» التى صححها فيما بعد «**ثابت ابن قرة**». ثم انصرف آخرون الى نقل كتابه «**الجغرافية**» **أو** «**الارشاد الى رسم الخرط**» وهذا الكتاب ترجم الى العربية ثلاث مرات. . عملت أولاها للكندى. . وثانيتها قام بها «**ثابت بن قرة**». . أما الثالثة فكانت من عمل محمد ابن موسى الخوارزمى.

ولعل أهم ما أخذه الجغرافيون العرب عن بطلميوس فى فترة تعلمهم الاولى هو فكرة كروية الارض وإن لم يقبل بها الجميع. . وأخذوا عنه أيضاً فكرة الاقاليم السبعة التى سبق ذكرها وطوروها فيما بعد. . كما أخذوا عنه رأيه فى طول البحر المتوسط ثم ضبطوا طوله بالدرجات. . وكان فى أيام المأمون مرصد فى بغداد وآخر على جبل قاسيون عند دمشق وانصرف مجهود هذين المرصدين الى تحقيق ما فى «**المجسطى**» من معطيات. ويمكن القول بالاجمال أن العرب أخذوا عن بطلميوس بالواسطة أكثر منه أخذاً مباشرا - فكرة ارتباط حياة الناس ومستقبلهم بحركات النجوم وهكذا ساعد بطلميوس على تشجيع التنجيم.

مساهمة العرب فى صنع الجغرافية

والواقع أن دخول التراث اليونانى فى الفلك والجغرافية الى المجال العربى كان إيذاناً باعتماد العقل والمنطق والتحليل فى هذين الميدانين ونحن عندما نستعرض الادب الجغرافى عند العرب من القرن التاسع الى القرن الرابع عشر نجد أنه ينقسم الى أربع حقب تتميز واحدتها عن الاخرى بأمور خاصة.

فالحقبة **الاولى** هى التى يصح أن نسميها «المدرسة اليونانية العربية» وهى نتاج القرن التاسع على العموم. وفيها كان القسم الاكبر مما ألف متأثرا باليونان وخاصة ببطلميوس. ويمثل هذه المدرسة ***«ابن خرداذبه» و«ابن رسته» و«الخوارزمى» و«ابن الفقيه» و«الكندى» و«قدامة بن جعفر»*** وقد أخذ هؤلاء معرفتهم الجغرافية إما عن اليونان رأساً وإما عن الترجمات أو الخلاصات السريانية.. وقبلوا جميعهم بالاطوال والعروض كما خلفها لهم بطلميوس.. كما قبلوا تقسيمه للأرض الى سبعة أقاليم وكان من أكثر ما عنى به هؤلاء الكتاب الطرق والمسافات والبريد إذ أنهم وضعوا فى الواقع كتباً كان المقصود منها إرشاد المشرفين على شؤون الدولة الى مناطق العالم التى كانوا يتولون إدارتها.

أما **الحقبة الثانية** فتتفق مع القرن العاشر على وجه التقريب ويبدو فيها الاستقلال عن بطلميوس والاهتمام بالجغرافية الوصفية اهتماما كبيرا مع العناية بالغلات والحاصلات والصناعات.. وكل من ألف فى هذه الحقبة إنما كتب عن البلاد التى زارها ومن ثم فقد كانت المشاهدة والرحلة عمادهم الاول فى الحصول على المعلومات وان كان لاحقهم ينقل عن سابقهم وقد يشير الى ذلك أولا يشير ومن أشهر جغرافيى هذه الحقبة «**البلخى**» - وكان أول من استقل عن بطلميوس - و«**الاصطخرى**» و«**ابن حوقل**» و«**الغرناطى**» و«**المقدسى**» وهذا الاخير هو شيخ الجغرافيين العرب على الاطلاق.

أما **الحقبة الثالثة** فقد جاءت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر وفيها انصرف الجغرافيون الى وضع المعاجم الجغرافية مثل «**البكرى**» و«**ياقوت**» و«**أبى الفداء**».

و**بعد** هذه الحقب الثلاث جاءت حقبة الموسوعات التى وضعت فى

القرن الرابع عشر. وهى موسوعات شملت الادب والتاريخ والانساب والجغرافية وعنيت عناية شديدة بالجغرافية السياسية أو الادارية مع الاهتمام بالرسوم.. فقد وضعت أصلا لارشاد كتاب الدواوين فى الدول المعاصرة.. ومن هنا كان هذا التشديد على الناحية الادارية فى الجغرافية.

وفى مقدمة أهل هذه الحقبة الزمنية كان **«النويرى»** و**«العمرى»** و**«القلقشندى»**.

ومن القرن العاشر فما بعد انصرف هؤلاء الجغرافيون بأجمعهم الى ديار الاسلام يفصلون أمورها ويعنون بشؤونها وقل منهم من تجاوزها الى غيرها. لكن ثمة تفاوتا فيما بينهم فى الرقعة التى شملوها.. فنحن نجد **«البلخى»** و**«المقدسى»** - مثلا - يتحدثان عن مشرق العالم الاسلامى بينما **«ابن حوقل»** يضيف المغرب والاندلس الى ذلك.

وقد بيّن أكثر هؤلاء المؤلفين أغراضهم من التأليف ووضحوا أساليبهم فى جمع المعلومات وتنسيقها.. وانتقد بعضهم سابقيه وبيّن أخطاءهم.. وكثيرون جمعوا بين الجغرافية والتاريخ بحيث يمكن القول ان مؤلفاتهم كانت فى الجغرافية التاريخية مثل **«اليعقوبى»**.. ونجد فى ثنايا كتابات البعض منهم ذكرا للعجائب والغرائب وقد ينقلها بعضهم وهو لا يقبل بها فمثلا نجد **«ياقوت»** يقول انه ذكر أشياء كثيرة تأباها العقول وتنفرُ عنها الطباع لكنه كتبها حرصاً على إحراز الفوائد فإن كانت حقا فبه وإن كانت باطلاً فلها فى القيد نصيب.

ويقول **«ابن حوقل»** ان ما أعانه على تأليف كتابه هو تواصل السفر والانزعاج عن الوطن حتى أنه سلك وجه الارض بأجمعه. ويدون البعض ملاحظات مهمة مثل قول **(الاصطخرى)** أن بحر الخليج له «مد وجزر فى اليوم والليلة مرتان.. وليس لبحر الروم ولا لسائر البحار مد ولا جزر» وهو يقصد طبعا البحار التى عرفها.

أما **«أبو الفداء»** فقد تناول فى مقدمة كتابه **«تقويم البلدان»** مَنْ تقدمه من الجغرافيين بالنقد فأظهر أن **«ابن خرداذبه»** و**«ابن حوقل»** و**«الادريسى»** لم يحققوا الاسماء وأن غيرهم لم يحقق الاطوال. أما هو فقد جمع بين التحقيق فى الاسماء والاطوال.

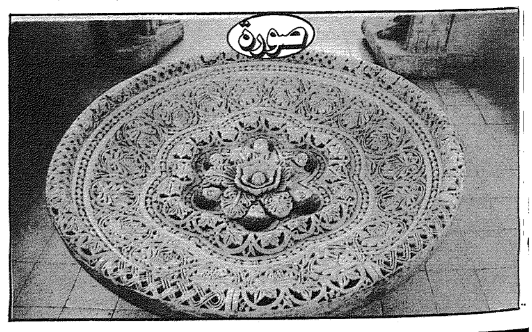
*وكثيرون من هؤلاء المؤلفين صرفوا سنوات طويلة فى وضع كتبهم بعد أن جمعوا المادة من مظانها - كتبا.. ومشافهة.. ورحلة.. ومحادثة. فقد صرف **«ياقوت»** تسع سنوات فى تأليف معجمه ثم أنفق سنتين فى تنقيحه وهذا فضل فى الصبر والبحث والتنقيب والعمل يؤتيه الله من يشاء.*

الخرط العربية

وكان من أكثر ما عنى به الجغرافيون العرب رسم الخرط للعالم وللمناطق المختلفة فى ديار الاسلام وينطبق هذا على الجغرافيين العرب الذين عاشوا من أوائل القرن العاشر الى أواخر القرن السادس عشر وإن كانت ثمة خرط ترجع الى أيام المأمون نفسه (٧٨٦-٨٣٣ ب. م.) أهمها خارطة العالم التى وضعت بأمره لكنها ضاعت ولا نعرف شيئاً عن نوعها. وأول الجغرافيين العرب الذين وضعوا خرطاً مفصلة هو «البلخى» صاحب «صور الاقاليم» غير أنه لم يصل إلينا من خرطه إلا ثلاث: هى صورة ديار العرب.. وصورة العراق.. وصورة الجزيرة (أى جزيرة ابن عمر).

والجدير بالذكر أن الخرط التى وضعت فى القرن العاشر كانت بسيطة إذ لم يلاحظ واضعوها خطوط الطول أو العرض واكتفوا بذكر الاقاليم السبعة بشكل عام ثم أخذوا أنفسهم بتقسيم العالم مناطق أو دياراً فصوروا كل جزء منها ووصفوه وذكروا مدنه ومسافاته. ومن الامور الاخرى الجديرة بالتنويه هو أن العرب رسموا خرطهم بحيث وضعوا الشمال فى أسفل الخارطة والجنوب فى أعلاها والغرب الى اليمين والشرق الى اليسار وهذا عكس ما اصطلح عليه فى الخرط الحديثة. كما أن الكثيرين من جغرافيى العرب تأثروا بالنهج الهندى الفارسى فجعلوا فارس أو الجزء الشرقى من ديار الاسلام نقطة الانطلاق فى خرطهم وبذلك خالفوا المصطلح اليونانى الذى كان يقسم العالم المعروف آنذاك إلى قارات ثلاث هى أوربة وآسية وافريقية.

وإذا أخذنا جغرافيى العرب الذين واكبوا القرن العاشر بصورة خاصة ابتداء من «البلخى» الى «الجيهانى» ـ مرورا بالاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ـ لوجدنا الفضل يعود لهم فى وضعهم مجموعة



خرط العالم الاسلامى التى أطلق عليها الباحثون المحدثون «أطلس الاسلام» وهو أطلس يعتبر نسيج وحده ويحتوى على إحدى وعشرين خارطة تتتابع بالصورة التالية : الأولى هى خارطة مستديرة للعالم تتبعها خرط لجزيرة العرب وبحر الخليج وما حوله والمغرب ومصر وديار الشام وبحر الروم (أى البحر المتوسط) ثم تأتى بعد ذلك أربع عشرة خارطة تمثل الاجزاء الوسطى والشرقية لدار الاسلام وتصور الخرط العربية فى هذه الحقبة السواحل والانهار تصويرا هندسيا . ويبدو البحر المتوسط عند (الاصطخرى) مثلا فى شكل كروى أو إهليجى تقريبا . وقد أخذ الجغرافيون أنفسهم بنظام دقيق فى وصفهم للمناطق أو الجهات . . فهم يبدأون بالكلام عن المدن والأنهار ثم ينتقلون الى الجبال والسكان وطرق المواصلات . . وأضاف «المقدسى» وصفاً مجملا لكل إقليم تحدث عنه ذكر فيه ما ينتج من المزروع وما يصنع فيه من البضائع وما يرتفع منه من التجارات . . كما أنه يمس معطيات الجغرافية الفلكية مسا رقيقاً .

وليس من اليسير التحدث عن الخرط جميعها فى هذا المجال ولكن لابد من التنويه بخارطة العالم التى رسمها «ابن حوقل» والتى سماها «صورة جميع الارض» ويطالعنا «الشريف الادريسى» فى منتصف القرن الثانى عشر بنظرة جديدة الى الخارطة العربية . . فهو يعود الى الربط بين الجغرافية الفلكية والجغرافية الوصفية أو البلدانية . . ففى خارطته للعالم تقسيم لخط نصف النهار وخط الاستواء . . وضبط لدرجات أطوال البلاد وعروضها على نحو ما نجده فى الخرط الحديثة . ويعتبر الباحثون المحدثون خارطة الادريسى نقطة تحول فى تطور علم الجغرافية ورسم الخرط .

وقد وضع الادريسى ـ الذى عاش فى صقلية فى بلاط ملكها (روجار الثانى) ـ كتابه المشهور «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» ورسم خرطه تلبية لطلب الملك ومن هنا سمى كتابه هذا أيضا «كتاب روجار» ويبدو أن الادريسى صنع أولا كرة من الفضة ضخمة الحجم تمثل الارض بما عليها ثم وضع كتابه المفصل فى وصف كرته الفضية هذه بحيث جاء مطابقا لما فيها مع زيادة تتعلق بالزرع والغلات والسكان وصناعاتهم والتجارات التى ترتفع من المناطق أو تجلب إليها . . والخرط التى رسمت كانت لتوضيح هذا الكتاب وهى ملونة . . وقد سلمت الخرط ووصلت إلينا أجزاء متفرقة من الكتاب . . أما الكرة الفضية فقد حطمت فى ثورة وقعت فى «بلرم» عاصمة صقلية . وأهم أقسام الكتاب هى تلك التى خص بها شمال افريقية واسبانية وصقلية ونواحى إيطالية وهى البلاد التى عرفها الادريسى معرفة شخصية وأطلس الادريسى هو أكبر أثر لعمل الخرط فى التراث العربى .

●● ويبدى الادريسى رأيه فى الارض بقوله : «إن الارض مدورة كتدوير الكرة . . وهى مقسومة بقسمين بينهما خط الاستواء . . وهذا هو طول الارض وهو أكبر خط فى الكرة . . وبين خط الاستواء وكلا القطبين تسعون درجة . . والارض فى ذاتها مستديرة لكنها غير صادقة الاستدارة» .

كلمات

ان الشباب هو مادة كل حضارة . . ومادة البناء لكل امة . . وفى سورة الكهف نجد هذا المعنى إذ يقول الحق عز وجل «فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى» لان الشباب عندما يؤمن يؤمن بقوة وينطلق بقوة والبناء الحضارى يحتاج إلى إيمان وقوة فى نفس الوقت وهذا فى الوقت الحاضر موجود

د. طه النور
مدير جهاز التعاون الدولى

●● والخرط التى جاءت بعد الادريسى مثل خرط «القزوينى» و«ابن الوردى» كانت تمثل ردة فى الصور الجغرافية إلا أننا نجد بينها أطلساً جميلا مفيداً يرجع تاريخه الى سنة ١٥٥١ وقد صور خرطه «على بن أحمد الصفاقسى التونسى». ويشتمل هذا الاطلس على خرط للبلاد الاسلامية بالنسبة إلى مكة المكرمة وشمال افريقية وسواحل البحر الاسود والبحر المتوسط وخارطة للعالم وفيه جداول للتقويم الزراعى ولأسماء الشهور الاوربية والسريانية إلى جانب أسمائها العربية. ومن المرجح أن هذا الاطلس وضع من أجل ملاح كان يشتغل فى الملاحة الساحلية فى البحرين المتوسط والاسود.

آثار العرب فى الرياضيات والفلك

إن الفتوحات الاسلامية ونشر الدعوة فى البلاد المجاورة للجزيرة العربية كان من شأنه أن يؤثر فى البلاد المفتوحة كما أثرت هى بدورها فى الفاتحين أنفسهم بما كان لها من حضارات مزدهرة وكان من نتيجة ذلك أن انتشرت اللغة العربية وهى لغة الدين ولسان الدولة وتقرب الموالى من الحكام العرب وأقبلوا يترجمون لهم علوم اليونان والهند والفرس.

وهكذا انسلخوا شيئا فشيئا عن لغتهم الاصلية فهجرت الفارسية بالفرس.. والسريانية واليونانية بالشام.. واللاتينية بمصر وافريقيا.. وقد قال البيرونى نتيجة ذلك: «لإن أهجى بالعربية أحب الى من أن أمدح بالفارسية».

إن استفادة اللغة العربية من الحضارات الاخرى كان عظيما سيما فى ميدان الرياضيات والفلك ولذلك أستسمحكم إذا فصلت كثيرا آثار العرب فى العلوم الفلكية والرياضية نظرا لاهمية هذا الموضوع.

●● فمن هذه الآثار قياس الدرجة الارضية من قِبَل بنى شاكر الذين كلفهم المأمون بقياس صحراء سنحار ثم ببطاح الكوفة.

●● ومن هذه الآثار إنشاء المراصد العديدة فى مختلف البلدان ومختلف الاطوال والعروض ومن أشهر هذه المراصد.. مرصد الشمالية ببغداد.. ومرصد جبل قاسيون بدمشق.. ومرصد جبل المقام بمصر.

وقد تفوق العرب فى صنع آلات الرصد وفى ذلك يقول البروفيسور (دورن DORN

الاستاذ بجامعة ستر سبورغ : «كل يعلم شغف العرب بالشؤون الفلكية يوم كان من عداهم من سائر الامم فى شغل شاغل عنها»(٥)

وقد وصف أبو على الحسن المراكشى (من علماء القرن السادس) فى كتابه «جامع المبادىء والغايات فى علم الميقات» أنواع الاسطرلابات وكيفية استعمالها كما ذكر اسطرلابا بنى على أساس تعاليم البيرونى القائل - قبل غليلي بقرون - بدوران الارض حول الشمس وثبات الاجرام السماوية ما عدا الكواكب السيارة السبعة. وقد أكد مثل هذه النظريات الشريف الادريسى الذى أضاف إليها أن الارض كروية وأنها تدور حول الشمس.

وفى ميدان التوقيت حسب العرب الشهر القمرى فوجدوه ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة وبالحساب الحديث يساوى ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٢ر٢٣ ثانية. . فيكون عدد الايام فى ٣٠ سنة ١٠٦٣١، أى ١١×٣٥٥ + ١٩×٣٥٤ ومعنى ذلك أنه يكون فى كل ٣٠ سنة إحدى عشر سنة كبيسة عدد أيامها ٣٥٥. . و١٩ سنة بسيطة ذات ٣٥٤ يوما. ولم ينس العرب السنة الشمسية لعلاقتها بالحياة الزراعية ولاحظ عمر الخيام فى منتصف القرن الخامس أن التقويم اليونانى يعتبر السنة ٣٦٥ يوما وربع يوم وأنه بذلك يتراكم يوما واحدا كل ١٣٢ سنة. . وقد اقترح طريقة لاصلاح هذا التقويم(٦).

ومن الذين برعوا فى علم الفلك جابر بن فلح الاشبيلى الذى ألف كتابا سماه: **«الهيئة أو إصلاح المجسطى»** انتقد فيه نظريات بطلميوس الرامية الى تصور النظام للكون. ونذكر أيضا **«ابن البناء المراكشى»** وتعديله للكواكب. . والحسن بن على الحائك الاندلسى الذى اشتهر بكتابه **«إكمال فتح المقيت فى شرح اليواقيت فى علم التوقيت»**. . وابن أبى الرحال الشيبانى القيروانى الذى ألف كتابا بعنوان **«البارع فى أحكام النجوم وارجوزة فى دليل الرعد»**.

هذا فيض من آثار العرب فى ميدان الفلك والتنجيم. أما الرياضيات. . فقد اهتم بها العرب أثناء اشتغالهم بالعلوم الفلكية فعالجوا علم الحساب والهندسة المستوية أو الفضائية. . ودرسوا على الخصوص هندسة الكرة وحساب المثلثات المستوية والكروية فنذكر من أشهر مشاهيرهم محمد بن موسى الخوارزمى ومحمد بن جابر التبانى وأبا الوفاء البوزجانى وأبا الريحان البيرونى وأبا جعفر الخازن وأبا سعيد السجزى وأبا بكر الكرخى وعمر الخيام وابن البناء المراكشى وابن هيدور والتادلى. وغيرهم وغيرهم. .

نقل العرب فى البداية كتب اليونان فترجموا أصول اقليدس أيام الرشيد وهذبوا ترجمتها فى عصر المامون.

ثم اتصل العرب بالهند فنقلوا كتبهم فى الحساب والفلك وخاصة منها كتاب «السند هند (Sinde ata) كان العرب يستخدمون أول الامر الحروف للدلالة على الارقام واستمروا حقبة طويلة مستعملين حساب ابجد (**حساب ايقش**).

ومن أهم ما نقل العرب عن الهند واستعملوه بانتظام صورة الصفر. ونقل الصفر أيضا إلى أوربا فى القرن الثالث عشر على يد العرب فدخل لغاتها جميعا.

وعرف العرب استخراج الجذر التربيعى واستطاعوا أن يجدوا القيمة التقريبية للجذر الاصم ويعتبر «غياث الدين» هو واضع الكسور العشرية(٧).

أما علم الجبر - واسمه عربى - فالعرب هم الذين وضعوا قواعده الاساسية وأصوله المعروفة.. وأول من عالج هذا العلم - كعلم مستقل - هو الخوارزمى فألف فيه كتابه «**الجبر والمقابلة**» فكان مرجع علماء الرياضيات بأوربا فى القرون الوسطى.. ويقول عنه الرياضى الفرنسى البروفيسور (شيسلى Chasles) الاستاذ بجامعة باريس: «**لنعلم ما نحن مدينون به للخوارزمى يجب أن نذكر أن كتابا حرره صاحبه قصد المبتدئين كان هو معلمنا الاول وعمدتنا الوثقى طيلة عديد من القرون**»(٨).

إنها لمحة خاطفة عن ما أنتجه علماء العرب من نظريات فلكية ورياضية تعتبر أساسا للنظريات الحديثة. لقد نقل العرب الكتب عن الاقدمين مهما كانت أجناسهم وأضافوا إليها نظريات كثيرة فى مختلف العلوم كما ابتكروا علوما لم تكن معروفة من قبل فازدهرت بفضلها الاختراعات وتقدم البحث العلمى وأشرقت الحضارة العربية فكانت إشعاعا لكل الحضارات الاخرى ولا سيما الحضارة الاوربية التى يتألق مجدها فى زمننا هذا. ولكن من الحكم الدائرة أن للشمس زوالا إذا ارتفعت وللثمرة سقوطا إذا زهت وأينعت فها نحن اليوم من جديد فى مفترق الطرق لا ندرى أى سبيل نسلك لنلتحق من جديد بركب الامم المتقدمة.. فقد سارت وتقدمت وبقينا نحن خامدين منتظرين. ولكن فالغد المشرق قريب.

---

(١) مزايا العربية فى تطور الحضارة الانسانية (بحث للدكتور عبد الهادى محبوبة - مجلة البيان - العدد ٨٤/ ١٩٧٢م.
(٢) العلم الثقافى - العدد ٢٤٠ - السنة الخامسة.
(٣) جريدة العلم - العدد ٨٨١٥.
(٤) راجع «الفكر الجغرافى عند العرب» للدكتور نقولا زيادة.
(٥) من بحث للدكتور محمد سوسى - نشر بمجلة جوهر الاسلام.
(٦) شرح نظام النيسابورى على تذكرة الطوسى - مخطوط بالمكتبة التونسية.
(٧) مفتاح الحساب - لغياث الدين الكاشى المتوفى سنة ١٤٣٦ - مخطوط يوجد فى المكتبة القومية التونسية تحت رقم ١٦٩.
(٨) آثار العرب فى الحساب والجبر - للدكتور محمد سويسى - مجلة جوهر الاسلام.





الحضارة الغـربيـة بشقيها الليبيرالى والماركسى تعانى من ازمة المجتمع الاستهلاكى واهتزاز القيم بل الازمات المفتعلة التى تقود الى حد الانتحار لاسباب تافهة او الى حالة الغياب المتعمد عن طريق تعاطى المخدرات. كما تعانى بشدة من جفـاف العـواطف وافتقاد العطاء البشرى المتبادل فى ظل مادية شقية. . وايضا من حالة اغتراب بين الاجيال وتنكر من الابناء للآباء يصل الى حد تمنى زوالهم للتفرد بآرائهم. . مما يعد من الخطر فعلا ان كثيرا من المجتمعات الغنية فيما يسمى بالعالم الثالث الذى يشغل الحجم الاكبر منه عالمنا العربى والاسلامى قد انتقلت اليه هذه الموجة من المعاناة النفسية لأن رد الفعل يكون اكثر ضراوة لان الحضارة الغربية اصبحت رغم اكتوائها من هذا الوباء محصنة الى حد ما بقوانينها وفنونها وتراثها المادى وثقافتها المتراكمة عبر مئات السنين. . اما انسان العالم النامى فهو انسان جسده هش وأقل هزة تصيبه قد تقوده الى المجهول.

لقد *برهنت الحضارة الغربية على حقيقة جديدة تؤكد ان مشكلة المشكلات للانسان الا تكون لديه مشكلة. . فانسان الغرب بعد ان حل كل مشكلاته نراه الآن فى غيبة الدين يفتعلها افتعالا بلا حدود فنجد انسانا ينتحر لانه بعد ان عاش اربعين عاما تساءل لقد شبعت وتلذذت وارتشفت من رحيق الاستمتاع بالحياة وطفت بدول العالم فماذا بعد ذلك لا شىء يمكن ان يضاف الى الحياة. . فينهى حياته بيديه.*

وقـد رأيت فى الغـرب كم من مشكلة تافهـة مثل لون الربطة التى لا تليق ببدلة من ينتحر. . نعم والى هذا الحد ولماذا؟. . لانه اصبح ضحية لآليات نفسية غير قادرة على ان تتكيف رغم انها تزعم التكيف. ان هذا الانسان ـ انسان الحجة والعقل يفهم ابسط امور التكيف لانـه قبـل ان يتكيف مع الجزئيات فيضع كل شىء فى مكانه يقول هذه يمكن الاستغناء عنها. . وهذه لا يمكن الاستغناء عنها. .

انه *يختلف عن الانسان الذى كنا نشاهده ونلاحظه ونتعامل معه فى التراث التاريخى. . افتقدنا هذه*



[illegible] والنبل والعطاء حيث كان يعانى الحرمان ثم يعطى لقمة الخبز لمن يسأله اياها ويظل هو جائعـا ليشبع غيره . . فانسان الغرب تسأله الآن وهو متخم بالاشباع والترف وعلى قمة معطيات الاستهلاك ـ يقول لك آسف ويبدو قاسياً شحيحاً إما لأنه هو نفسه راح ضحية لتمسكه بقيم الاشباع الاستهلاكى او . . وقد انتقل هذا الوباء بكل اسف الى المجتمعات الغنية وبدأت انعكاساته الآن تظهر من خلال تصرفات بعض الشباب المنحرف الذى يرتكب موبقات المخدرات والاغتصاب وقتل اقرب الاقربين لانه يعانى من تخلف عقلى او عقل متخلف او يعانى من اضطرابات وظيفية والأخطر من هذا فى اعتقادى انه راح ضحية عدم اكتشافه لاطار الاحالة لاى شىء بالحياة . . فحينما يريد ان يحيل الى الروحانية وقيمها العليا اذا به يتخذ طريق الماديات ليحيل اليها .

ولكن ثمـة معـاناة حميدة فى مجتمعاتنا تتعلق بمشكلات الحياة الاقتصادية والاجتماعية ومحاولة الارتقـاء الى عالم افضل . . نعم هناك معاناة موضوعية وهى معاناة الكادحين وتسلك طريق رفع المستـوى والتوعية والتعبئة والتنسيق والتنظيم . . ومحاولة استغلال القدرة العضلية والقدرة الذهنية وحسن استغلال الموارد والتوظيف والتوزيع . . وهذه المعاناة مطلوبة ولها حلول مهما تفاقمت . ولكن حضارة الغرب المادية التى شيدت على انقاض الدين ارتكزت على حضارة التكنولوجيا او الحضارة الألية . . كل شىء مبرمج . . كل شىء مختزل . وقد شخص فيلسوف المانيا الشهير ماركليزم مشكلتها فى انها حضارة البعد الواحد ـ وهو الاشباع الاستهلاكى وهو اشبه بالمثل العربى الشهير **«تمخض الجبل فولد فأرا»** .

فى ظل حضارة البعد الواحد الاستهلاكى نجد الرجل يأتيه الخبر المفجع بوفاة الوالد او الوالدة فبدلا من ان يكتسى بمسحة روحية تذكره بالموت والحساب وقصر حياة الدنيا . . بدلا من ان يتأمل ويخشع اذا به يداخله السرور وتتفتح شهيته المادية الاستهلاكية ليقول حسنا سأرث المال والعقار . . وسوف اغير السيارة واغير المكان . . بل واغير الاصدقاء . . وسأعيش فى مستوى ارفع . . ستتحول الى جيبى الاموال التى تركها هذا الذى كدح وعرق ورحل فى الوقت المناسب .

ممادل

لقد شاء الله تعالى ان يصلح هذه الأرض الطيبة المباركة، مهبط الرسالة، ومنبع الحضارة، ومنار الطريق، فى ظل من احاطته العناية الالهية لتجعل على يديه جمع شتات هذه الامة، وعصمة هذه الأرض لكي يستظل بها كل مسلم فكان شرف ذلك على يد المرحوم طيب الله ثراه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ومن تولى بعده من ابنائه البررة.

«سمو الأمير مقرن بن عبد العزيز»



ويطرح البروفيسور زيجلر السويسري - وهو احد العقول المفكرة الآن فى الغرب واستاذ الفسيولوجيا فى جامعة جنيف فى نظرياته عن الموت والاحياء مأساة كبار السن فى المجتمعات المتقدمة الذين اصبحوا غير مرغوب فيهم ويجب عليهم بالتالى ان يرحلوا لأن الآخرين يريدون ان يتمتعوا بالحياة. ويتحدث زيجلر عن مأساة الانسان فى الغرب حينما يتقدم به السن ويوضع فى دار للمسنين وهو عبارة عن قطعة مبتورة من المجتمع ويشعر انه لفظ من مجتمعه بعد ان اعطى كل شيء وحرم من انبل شيء وهو عواطف الأسرة.

إن مأساة هذا الانسان المستلب والمتنكر لانسانيته وباء غربى بدأت ارهاصاته تغزو بعض المدن الكبرى فى مجتمعاتنا.. فكما يقول ابن خلدون ان حضارة الغازى القوى المنتصر هى التى تسود ويحاكيها الآخرون.

نحن نقلد ونفقد مواقعنا على سلم الحياة فيصبح وضعنا مع الايام كالراقص على السلم.. والمفروض الا نرتدى زيا غريبا لا يناسبنا بل نتمسك بزينا ولا بأس ان ندخل عليه بعض عناصر المواءمة من خارجه.

لهذا افضل ان تتوسع الابحاث الآن على مستوى الدراسات النفسية والبيئية والدينية لتواجه امتنا العربية والاسلامية هذا الوباء الرهيب. وافضل ان يكون التعامل قائما دون ان يطعن فى مشروعيتها وحيثياتها ليرتفع المد الايمانى ويسد الطريق امام تيارات المادية الاستهلاكية التى تتسم بها حضارة البعد الواحد الزائلة لا محالة.. حضارة الغرب.

دكتور رشدى فكار
أستاذ بجامعة محمد الخامس



مؤتمر تاريخ الملك عبد العزيز

المؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز رحمه الله والذى تبنته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض يُعدُ وفاء وتقديراً لتلك الشخصية العظيمة الفذة فى التاريخ العربى المعاصر وتبلورت أهداف المؤتمر فى التعرف على شخصية الملك عبد العزيز وصفاته القيادية ودورها فى تأسيس المملكة العربية السعودية والقاء الضوء على حياته والأسس التى بنى عليها الدولة السعودية الثالثة . .

- ***القاء الضوء على الانجازات التى تحققت فى عهده فى شتى المجالات .***
- ***ابراز مظاهر التقدم الحضارى الذى واكب الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى البلاد .***
- ***الكشف عن مواقف الملك عبد العزيز - رحمه الله - تجاه القضايا العربية والاسلامية والعالمية .***

ومما هو جدير بالذكر أن الأمانة العامة للمؤتمر طرحت مجموعة من البحوث التى تناولت الموضوعات الرئيسية والفرعية المتعلقة بحياة الملك عبد العزيز . وكانت الأمانة العامة قد حددت للمشاركين ببحوثهم فى المؤتمر أربعة موضوعات رئيسية يندرج تحت كل منها عدد من المواضيع الفرعية المرتبطة بها وتتمثل تلك الموضوعات الرئيسية فى شخصية الملك عبد العزيز.

- ***ظروف عصر الملك عبد العزيز السياسية والاجتماعية والاقتصادية .***
- ***الانجازات والوسائل التى اتخذت فى المجالات الدينية - الثقافية - السياسية - العسكرية - الاجتماعية - الخدمات العامة - المجالات الاقتصادية - الشئون الادارية .***
- ***الوثائق عن المملكة فى عصر الملك عبد العزيز .***

فى القومي

المنتديات والندوات الفكرية والعلمية التى تقام على ساحة العالم العربى لا شك لها دلالاتها العميقة فى توثيق الصلات العقلية والفكرية فى اعماق هذه الأمة . ومن ذلك هذا المنتدى الفكرى الاردنى الذى استضافته الأمانة العامة لمجلس التعاون العربى . ولعلها من الموافقات الطيبة أن تثرى هذه الكلمة القيمة لصاحب السمو الملكى الامير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية ما نحن فيه الآن من حديث عن الحضارة .

من الدلالات المفرحة فى عالمنا العربى ان تنشأ الصلة وتتوثق بين المؤسسات المعنية بالفكر والمعرفة والهيئات والمنظمات السياسية المهتمة بالممارسة والتطبيق. وان يكون للفكر دور اساسى فى صياغة القرار. ومن اقرب الى ضمير امتنا من رجال الفكر الذين يتحملون مسئولية لا تقل وزنا ولا تنقص اهمية عن تلك التى يتحملها اصحاب القرار.

وإذا كان موضوع الاجتماع الحالي هو (دور مجلس التعاون في تحقيق الوحدة العربية) فإن استضافة الامانة العامة له تأتي تعبيرا عمليا للعلاقة العضوية والتكاملية التى تربط بين التعاون الاقليمي الخليجي الماثل امامنا والهدف القومي المتمثل في تحقيق الوحدة العربية. واذا كانت جامعة الدول العربية تشكل اشمل مظلة متوفرة للعمل العربي المشترك، فإن مجلس التعاون الخليجي يمثل انجح صيغة تعاونية اقدم عليها عرب الخليج تمشيا مع مانصت عليه المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية التى تتيح للدول الاعضاء امكانية الدخول في اتفاقات او اي ترتيبات من شأنها تحقيق اعلى درجة من التعاون والترابط فيما بينهم.

ان مسألة تحقيق التعاون الخليجي لم يكتنفها صعوبات اساسية سواء على الصعيد النظري او التطبيقي وذلك للتشابه الكبير بين انظمة دول مجلس التعاون سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ونتيجة للنهج الواقعي والمتزن الذي سلكه قادة هذا الجزء من العالم العربي اثناء سعيهم لتحقيق ماهو مطلوب. ولكن على الصعيد القومي، اصطدمت المسيرة العربية نحو الوحدة المنشودة بكثير من العقبات والحواجز ادت الى تعثر هذه المسيرة وبروز عوامل الفرقة والشقاق بين ابناء الامة الواحدة وبالتالي انحسار الشعور القومي الذي يشكل الدعامة الرئيسية لاي تحرك وحدوي. ومن هنا فإن احوج مانكون اليه في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخنا ان نقف وقفة تامل ودراسة في محاولة لفهم مايمكن ان تعنيه الوحدة بالنسبة للعرب والعقبات النظرية والعملية التى تعطل تحقيقها.

على الصعيد النظري قد يكون من المهم ان ابدأ حديثي معكم في هذا المجال بتوضيح مفهومي لمصطلحي (القومية العربية والوحدة العربية). فمع ان المصطلحين متلازمان اذ ان الحديث عن احدهما يجر الى الحديث عن الآخر الا ان التفريق بين مدلول كليهما من شأنه ازالة اي التباس محتمل ويجعلنا في موقع نظري افضل لدى تناولنا للعقبات التي تعترض مسيرة الوحدة.

ان اول مايتبادر الى الذهن عند استخدام مصطلح (القومية) هو شعور اي جماعة او شعب بالانتماء نتيجة لاشتراكهم في عوامل مرتبطة بوجودهم وحياتهم ويكاد يجمع معظم المفكرين على ان اللغة والتاريخ والعرق هي اهم مايميز امة عن اخرى ويضفي عليها شخصيتها المستقلة . وبالنسبة للعرب فان عاملي اللغة والتاريخ المشترك يشكلان اهم دعائم الشعور القومي وتميل الغالبية من المفكرين العرب الى التقليل من اهمية العنصر العرقي والتركيز على المضمون الحضاري والثقافي للقومية العربية. وحيث ان الدين الاسلامي لعب دورا تاريخيا وفريدا في ابراز وازدهار اللغة العربية والتراث العربي، فقد اصبح الاسلام -حتى في نظر العرب من غير المسلمين- يشكل الجزء الاكبر من الثقافة القومية لاي عربي، مسلما كان ام غير مسلم، وعليه فيمكن القول ان اللغة والتاريخ والثقافة الاسلامية هي المرتكزات الاساسية الثلاثة لما نسميه القومية العربية.



وبخلاف مصطلح القومية العربية الذي يشير الى حالة موجودية، للعرب بحكم الانتماء المشترك، فان مصطلح الوحدة العربية يمكن فهمه على انه اشارة الى حالة موجوبية، يتحتم على العرب جميعا بلوغها او احياءها اذا ما اريد لطاقاتهم وقدراتهم ان تنتقل من

العربية..والحضارة

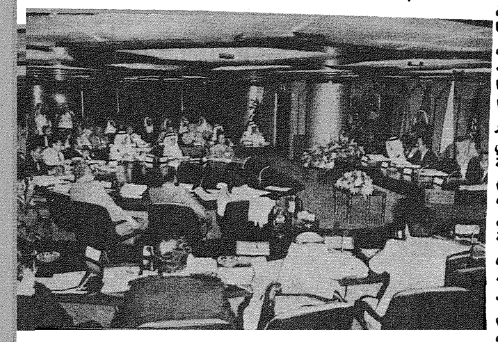
مستوى (الامكانية) او الاستعداد الى مستوى (الفعل) او التحقق ليفرضوا بذلك ذاتهم العربية ويؤدوا دورهم الكامل في الحضارة الانسانية.

ان المتتبع لتاريخ حضارات الشعوب لابد وان يلاحظ ان الانجازات الحضارية لاي امة تظل مرتبطة بمدى قدرة هذه الامة على توحيد صفوفها والتغلب على كل ما من شانه ان يفتت كيانها ويبعثر قدراتها وطاقاتها الكامنة. وكلنا يعلم ان الحضارة العربية الاسلامية بلغت اعلى درجات رقيها ورفعتها عندما استطاع العرب والمسلمون ان يوحدوا كلمتهم وان مرحلة الانحدار والركود الفكري والحضاري كانت رديفة لحالة التفكك والتشرذم وافتقادهم لذاتهم وهويتهم التاريخية. وقد استمرت هذه الحالة ردحا طويلا من الزمن الى ان بزغت شمس النهضة الفكرية العربية في اواخر القرن التاسع عشر لتتصدى لمحاولات طمس الهوية العربية، فظهرت فئة من المفكرين العرب شغلت نفسها بمهمة احياء الشعور القومي العربي وتعبئة الجماهير العربية من اجل مواجهة التحديات الخارجية والخلاص من حالة التخلف والتغرب التي عانى منها الانسان العربي طويلا. ورافقت عملية بعث الشعور القومي تصاعد الآمال في امكانية تحقيق الوحدة بين الاقطار العربية.

وبالفعل بدأت بعض هذه الاقطار تدخل في تجارب وممارسات جزئية لبلوغ مراحل مختلفة من التوحيد والتنسيق خصوصا في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية. غير ان هذه التجارب الوحدوية كانت تصطدم باكثر من عقبة وفشلت جميعها في تحقيق الغاية المرجوة. وكان من نتيجة التعثر المستمر لتجارب الوحدة او الاتحاد ان انتشر في بعض الاوساط العربية شعور عميق بالحيرة وخيبة الامل والتشكيك في جدوى اي محاولة ترمي الى توحيد العرب، واصبح البعض ينادي بوحدة الهدف بدلا من وحدة الصف متجاهلين استحالة بلوغ الغاية المشتركة في غياب التخطيط المشترك، بل بلغ الامر باحد الكتاب العرب ان يطمئن اعداء العرب بان «اسطورة الوحدة العربية قد قاربت من نهايتها» ونجم عن خيبة الامل المذكورة وماولدته من حملات تشكيكية ان اصبح التيار القومي العربي يمر اليوم بأزمة عميقة من شانها عرقلة

وفي تصوري انه يمكن تحديد هذه العوامل اذا افترضنا انها تنقسم الى ثلاث فئات: الاولى ترتبط بمفهوم خاطيء حول علاقة القومية العربية بالاسلام، والثانية تتعلق بالافتقار الى تقدير واقعي وصحيح لاهمية الوحدة كافضل سبيل لمواجهة التحديات الامنية والتنموية التي يواجهها العرب في تاريخهم المعاصر. اما الثالثة فتدور حول الحاجة الى ان يصاحب الشعور القومي والارادة الوحدوية منهجية عملية وواقعية ترسم الطريق الذي يجب سلوكه والخطوات التي يجب اتخاذها على طريق تحقيق الوحدة المنشودة.

ان الاسلام كحضارة وثقافة يشكل المحتوى او المضمون الذي من دونه تفقد القومية العربية اهم ركيزة ودعامة لها. ومن السهل ادراك ذلك اذا عرفنا ان عرب الجزيرة كانوا يعيشون حياة بدائية غلب عليها طابع التنافر والصراع القبلي. فاتى الاسلام ليخلق في نفوسهم عقيدة ترفض

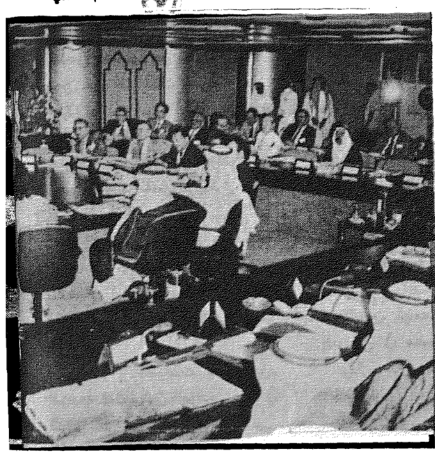


وتعطيل اي جهد وحدوي. ولا سبيل الى تجاوز هذه الازمة الا اذا تمكنا من التعرف على الاسباب او العوامل التي ادت الى ضعضعة الشعور القومي وفشل جهود الوحدة.

العصبية القبلية وتحل مكانها الطاقة اللازمة لقهر عوامل الفرقة التي ظلت تجهض الفاعلية العربية قرونا طويلة. كما صقل الاسلام نفوس العرب

وشحذ هممهم وزودهم بالتعاليم التي هذبت طباعهم واتمت مالديهم من مكارم الاخلاق. وعندما بدى في القرن الثامن عشر الميلادي ان عرب الجزيرة العربية قد عادوا الى اوضاع شبيهة باوضاعهم التى كانت سائدة قبل ظهور الاسلام نتيجة لبعدهم عن جوهر الاسلام وتعاليمه حيث عادوا الى نهجهم البدائي وسلوكهم القبلي، قيض الله لهذه الامة شخصية تاريخية هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب، اخذت على عاتقها مهمة تجديد الاسلام فكرا وعملا وذلك بالرجوع الى الينابيع الاولى لهذا الدين الحنيف. وكان طبيعيا ان يواكب هذه النهضة الاسلامية نقلة حضارية اخرى لعرب الجزيرة باتجاه وحدة سياسية بدأت جذورها في قيام الدولة السعودية الاولى بقيادة الامام محمد بن سعود وبلغت ذروتها في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن مؤسس المملكة العربية السعودية. وليس بغريب ان تنطلق الوحدة العربية والتى هي محط انظار الشعوب العربية من هذه المنطقة التى تمتاز بكونها مهد الاسلام ومنبع العروبة في آن واحد.

هذا ويجد المتتبع لتطور فكرة القومية العربية ان دعاتها من العرب المسلمين وغير المسلمين يتفقون على عدم امكانية الفصل بين القومية العربية وتراث الاسلام الحضاري، اذ بدون هذا التراث تتحول القومية العربية الى شكل بدون مضمون اللهم الا من احتوائها على مدلول عرقي صرف وتراث محصور في دائرة عنصرية ضيقة. غير انه ظهرت اصوات من كلا الطرفين بحكم وقوعها تحت تأثيرات مختلفة ارادت تشويه العلاقة الايجابية بين القومية العربية والاسلام. وقد بلغت هذه العلاقة حد التناقض عند اولئك الذين تأثروا بالمفهوم الغربي للاسلام الذي يحصره في النطاق الديني الروحاني كما هو الحال بالنسبة للديانات الاخرى وفي ذلك تجريد للاسلام من اهم خصائصه واعني بذلك الشمولية يضاف الى ذلك ايضا تأثر المحدثين من الدارسين في الغرب بالمفهوم الغربي للقومية كنزعة مادية المنطلق وعلمانية التوجه. ومن ناحية اخرى وقعت بعض الاوساط



العربية المسلمة تحت اعتقاد خاطىء يصور لها ان احياء الشعور القومي العربي يمكن ان يتعارض مع التضامن الاسلامي. ومع انتشار هذه المفاهيم والتصورات الخاطئة وجد بعض العرب انفسهم في حيرة وارتباك فالمسلم فيهم يشعر بعقدة ذنب اسلامية ان هو ايد الفكر القومي العربي والعرب من غير المسلمين تداهمهم عقدة ذنب عربية اذا ماربطوا بين قوميتهم والتراث الاسلامي. وكان حريا بالفريقين ان يكونا اكثر ادراكا لطبيعة العلاقة الوظيفية بين القومية العربية والاسلام من ناحية والتكامل البنيوي بين الوطن والتضامن الاسلامي من ناحية اخرى. فالقومي العربي لايمكن ان يعيش شخصيته العربية المتكاملة بمعزل عن التراث الاسلامي كما ان العربي المسلم عليه ان يتذكر كيف ان التلاحم العربي تاريخيا كان وراء ازدهار الحضارة الاسلامية وان وحدة العرب اذا ماتحققت فلابد ان تكون سندا للتضامن الاسلامي ومنطلقا لاحياء القيم والمثل التى قامت عليها الحضارة العربية الاسلامية.

ومما ساعد على تكريس التيار المعادي للقومية العربية ايضا هو انعدام الرؤية الصحيحة حول الفائدة العملية من وراء تحقيق الوحدة. فالحاجة مازالت قائمة لاقناع كثير من العرب بأن الوحدة ليست مجرد حلم جميل او امنية غالية ندغدغ بها مشاعرنا ونتسلى بالجدل حولها وانما

الرياض

هي تشكل الاطار التنظيمي [illegible]
لاطلاق الارادة العربية في [illegible]
تحديات الحاضر والمستقبل. ويـ[illegible]
مقدمة هذه التحديات ماكان متـ[illegible]
بالامن القومي العربي وضرورة [illegible]

انه لمفرح ان توثق الصلة بين مؤسسات الفكر والهيئات السياسية..

● ليس بغريب ان تنطلق الوحدة العربية من مهد الاسلام ومنبع العروبة

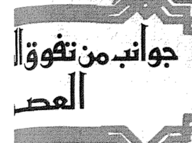
● لماذا يشعر المسلم العربي بعقدة ذنب اسلامية.. ولماذا تداهم العرب غير المسلمين عقدة ذنب عربية؟!

● الوحدة العربية هي الاطار التنظيمي اللازم في مواجهة

تحديات الأمن القومي العربي وضرورة تبني استراتيجية عربية واحدة

استراتيجية عربية واحدة لمواجهة التهديد السياسي والعسكري الذي تمثله اسرائيل وغيرها.. وهناك ايضا التحديات المتصلة بمعركة العرب ضد التخلف الاقتصادي والاجتماعي والتي لاسبيل الى كسبها الا من خلال استراتيجية عربية مشتركة.

واذا ما اتفقنا على طبيعة العلاقة بين القومية العربية والاسلام ومدى اهمية الوحدة في مواجهة التحديات تبقى امامنا مسألة مرتبطة بمنهجية التوحيد والتى برزت اهميتها بعد ان كشفت التجارب الوحدوية السابقة عن اخطاء بالغة على مستوى التنفيذ العملي لسياسة الوحدة. ذلك ان مجرد توفر الشعور القومي والرغبة في الاتحاد لايشكلان ضمانة اكيدة لنجاح المسعى الوحدوي. فلايكفي لقيام وحدة بين قطرين عربيين او اكثر الاعلان عن ذلك سياسيا عبر وسائل الاعلام المختلفة. وقد تكون تجربة مجلس التعاون لدول الخليج العربية التجسيد العملي لهذه النظرة الواقعية للامور حيث يشير ميثاق المجلس الى ان قيام هذا الاطار الاتحادي يأتي لتكريس حالة قائمة من التنسيق والتعاون بين الدول الست الاعضاء في المجلس ولاستكمال الجهود المشتركة الرامية الى تحقيق مستقبل افضل وصولا الى وحدة دولها، فاذا كان لمجلس التعاون دور في تحقيق الوحدة العربية فان هذا الدور يتلخص في اعطائه نموذجا يحتذى به في عملية الانتقال من مرحلة التمنى والرغبة تجاه فكرة الوحدة الى مرحلة العمل الجاد والدؤوب وانتهاج افضل السبل العملية لتحقيقها او على الاقل الاقتراب منها اكثر فاكثر ومن هنا فان اي تقارب او تعاون بين اي مجموعة من الدول العربية انما يشكل خطوة في الاتجاه الصحيح نحو مايصبو اليه العرب جميعا من الوحدة والارتقاء.



جوانب من تفوق ال... العصـ...

إن المتتبع لتاريخ مصر والشام يلاحظ بوضوح تفوّق الشام ـ وخاصة دمشق على مصر ـ فى أمور حضارية كثيرة. . من هذه الأمور التفوق فى الامور الزراعية ووجود أنواع من الفواكه والخضروات نُقلت من دمشق إلى القاهرة والاستعانة بخوَلة الشام وزرّاعيها على زرع الاشجار فى بساتين مصر وتطعيمها.

أقدم هذه الاخبار ما ذكره ابن سعيد فى كتابه « جنى المحل وجنى النحل» أن الملك العزيز الفاطمى ثانى الخلفاء الفاطميين بمصر ذكر لوزيره يعقوب بن كلس أنه ما رأى قط القراصيا البعلبكية وأنه يحب أن يراها. وكان بدمشق حَمَامٌ من مصر معد لحمل الرسائل. . وبمصر حَمَامٌ من دمشق لحمل ذلك. . فكتب الوزير بطاقة الى أمير دمشق يأمره بأن يعلق فى كل طائر من حمام مصر الموجود بدمشق حبات من القراصيا وترسل. ففعل الأمير ذلك ـ فلم يمض النهار إلا وعنده قدر كبير من القراصيا فحملها الى العزيز». (١)

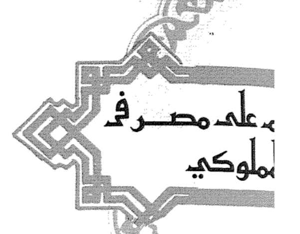
وفى أيام المماليك ظهرت براعة الدمشقيين بتطعيم الأشجار حتى ان عيسى بن عبد الرحمن المقدسى الصالحى الدمشقى (مطعّم الأشجار) سار الى بغداد وطعّم بستان الخليفة المستعصم العباسى(٢) **وذكر المقريزى «أن الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما هدم مناظر اللوق بالميدان الظاهرى بالقاهرة وعمله بستاناً أرسل الى دمشق فحملوا اليه منها أصناف الشجر وأحضروا معها خولة الشام والمطعمين فغرسوها فيه وطعموها.**

قال: ومازال بستانا عظيماً ومنه تعلم الناس بمصر تطعيم الأشجار فى بساتين جزيرة الفيل»(٣)

ويذكر المقريزى أن الكَرْم والسفرجل وسائر الفواكه أفلحت فى البستان(٤) وصار فيه عامة فواكه الشام(٥).

ويحدثنا صاحب **«النهج السديد»** أن هذا السلطان طلب سنة ٧٣٢هـ من دمشق مئه حمل من دوالى كرم العنب الداراني (نسبة الى داريّا. . قرية بغوطة دمشق) والعاصمى لتُغرس فى أماكن أنشأها بالديار المصرية فحضرت اليه وغرم على كلفتها جملة كبيرة(٦).

ومنها تفوق أهل الشام بالعمارة والبناء. . فكان البنّاؤن الدمشقيّون يُستدعون الى مصر لذلك. وقد ذكر المقريزى «أن ابن القاضى جلال الدين القزوينى عندما أراد أن يبنى داراً فى القاهرة استدعى لها الصُنّاع من الشام»(٧).



وعندما أراد الملك الناصر محمد بن قلاوون عمارة القصر الأبلق فى مصر سنة ٧١٢هـ . . وقصد أن يحاكى به قصر الملك الظاهر بيبرس بدمشق استدعى له صناع دمشق(٨).

ولما أراد الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون أن يعمر دُهَيْشة بمصر وبلغه أن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة عمر بحماة دهيشة لم يبْن مثلها . . أراد مضاهاته فبعث الأمـير أق جبا . . والمهندس أبجيج . . لينظرا دُهيشة حماة فى بنائها وتخطيطها. ولم يكتف بذلك بل أمر نائب حلب ونائب دمشق أن يرسلا اليه ألْفَى حجر أبيض وألفى حجر أحمر . فَنُقِلَتْ على ظهور الجمال . . **ويذكر المقريزى** أن كلفة نقل الحجر من حلب الى القاهرة كان اثنى عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم(٩).

والى جانب الزراعة وتطعيم الشجر والبناء ظهرت مهارة الدمشقيين فى مختلف الصناعات . . فعندما أراد الملك الأشرف خليل ختان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٢هـ أرسل مرسوماً الى نائب دمشق ليعمـل له مئة شمعدان مُطَعَّمة . . ومئة وخمسين مُسَقَّطة . . وتخت كبير مصفّح بالذهب والفضة . . وألف ثوب مروزى . . وغير ذلك من الأوانى والأقمشة بسبب الختان المذكور(١٠).

وكان السلاطين المماليك يرسلون كل عام قماشاً الى الحجاز والكعبة . . وكان جميع ما يُرسل من هذا القماش هو من صنع دمشق لتفوقها فى النسيج . ويذكر ابن تغرى بردى إن طقتمر الصلاحى قدم الى القاهرة سنة ٧٤٦هـ فى سلطنة الملك الكامل شعبان ومعه القماش المستعمل برسم الحجاز(١١).

وظهرت براعة الدمشقيين فى صنع الأدوات الحربية . فيذكر ابن كثير ان سلطان مصر احمد بن النـاصـر محمـد خرج سنـة ٧٤٢هـ الى الكرك فطلب من دمشق آلات من أخشاب ونحوها . . وطلب حدادين وصناعاً لاصلاح مهمات بالكرك . . وطلب أشياء كثيرة من دمشق فحملت اليه(١٢).



وكانت المجانيق الحربية من صنع الدمشقيين. ذكر المفضّل بن ابى الفضائل أن السلطان أمر فى سنة ٧١٣هـ أن يُعمل بدمشق أربعة مجانيق كبار . . واحد برسم قلعة دمشق . . وثلاثة

يُحملون الى الكرك فعُمِلوا(١٣).

ويصف لنا ابن كثير منجنيقاً صنع بدمشق فقال: «وفى سنة ٧٤٣ نُصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر.. وطول أكتافه ثمانية عشر ذراعاً.. وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعاً.. وخرج الناس للفُرجة عليه.. ورُمى به حجر زنته ستون رطلاً.. فبلغ الى مقابلة القصر من الميدان الكبير. وذكر معلم المجانيق أنه ليس مثله فى حصون الاسلام.. وأنه عمله الحاج محمد الصالحى (نسبة الى صالحية دمشق) ليكون بالكرك(١٤).

وإنك لتدهش وتُعجب إذا علمت أن دمشق كانت ترسل الى مصر أصغر الأشياء وأعظمها من كل نوع وصنف. وأنا انقل اليك خبراً ذكره المؤرخ ابن طولون فى هذا الشأن قال:

«دخل الأمير سيف الدين بيدمر دمشق من حلب فى شهر شوال سنة خمس وسبعين وسبعماية وفى هذه السنة كان ببلاد حلب غلاء زائد حتى أكلت الكلاب.. وحضر الى دمشق من بلاد الشمال خلق كثير وغلا الخبز.. وبيدمر بدمشق قد أهمل مصالح المسلمين.. مشغول بأخذ أموالهم. وقد طلب منه السلطان الملك الأشرف ـ يعنى شعبان ابن الملك الناصر حسن ـ ما تحتاج اليه العمارة التى أنشأها بالرُمَيْلَة تحت القلعة. مثل: شبابيك.. وأبواب.. وحلق.. وصفائح.. وغير ذلك. فشرع بيدمر فى اشتغال ذلك ـ والناس مع ذلك فى غلاء وشدة وفناء.. والعمل مع ذلك دائر بدار السعادة حتى انتهى. ثم إنهم جمعوا الآلات مثل مفاتيح وحلق ومسامير ورزّات وسواقط وأطواق وهلالات برسم القباب.. وقبنوا ذلك.. فكان اثنى عشر قنطاراً من الذهب والفضة.. وذلك خارجاً عن النحاس المطعم بالذهب والفضة. وحُمل جميع ذلك الى القاهرة على مئة وستين جملاً».

ويُتابع ابن طولون كلامه فيقول:

«ثم إنّ السلطان طلب بيدمر الى القاهرة وعظّمه وكرّمه وأعاده الى نيابته. ثم بعد أيام ورد عليه مرسوم السلطان يتضمّن عمل طُرُزوزوايا زركش برسم الحريم.. وبعمل كنابيش زَرْكَش للهجن.. وسلاسل فضة وذهب.. وأكوار مفرّقة برسم الحجاز الشريف.

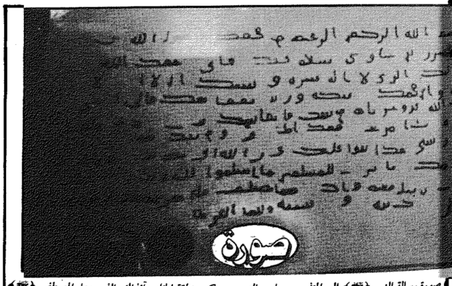
«فعندئذ طلب التجار بدمشق وطرح عليهم الأصناف. وطلب الصُيّاغ وأخرج لهم الذهب والفضة وأمرهم أن يعملوا ذلك. وكان من جملة الاستعمالات (أى ما طُلب عمله) سبعماية زاوية زركش ـ فى كل واحدة من الذهب من ثلاثماية الى خمسماية مثقال. وعمل أيضا إبر ذهب برؤوس لؤلؤ ألْفَىْ إبرة.. وإبر فضة برؤوس ذهب باسم الجوارى ثلاثة آلاف.. وطُرُز بلفعاوية الف ومائتى زوج ومثلها كنابيش.. وسلاسل وخاطم برسم الهجن والجمال شيىء كثير..»(١٥).

فهذا النص المهم يدل على أن مصر كانت تعتمد على الصناع الدماشقة فى مختلف الصناعات لصنع ما يحتاج اليه سلاطينها من المسمار والمفتاح حتى الابرة الذهب برأس من اللؤلؤ.

وجميع ما كان يقدّم فى الأعراس والأفراح كان يصنع فى دمشق. يذكر المقريزى انه لما تقرر عرس أنوك فى شعبان سنة ٧٣٢ على بنت الأمير بكتمر الساقى شرع الأمراء فى الاحتفال بالمهمّ ـ أى العرس ـ قال: وبعثوا الى دمشق لعمل التُحف»(١٦).

وفى هذا العرس قدّم الأمراء للسلطان ـ **وهو ابو أنوك** ـ هدايا كثيرة منها شموع نقشت نقشاً بديعاً وتنوع فى تحسينها. . **قال المقريزى: «فكان أبهجها وأحسنها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولى فإنه اعتنى بأمرها وبعث الى عملها بدمشق فجاءت أبدع شيىء»**(١٧)

فهذه النصوص التى قدمناها لا تدع شكاً فى تفوق دمشق فى كثير من الأمور الصناعية والزراعية والحضارية منذ أيام الفاطميين الى اواخر أيام المماليك. وثمة نصوص أخرى لم نذكرها خشية الاطالة.



صورة رسالة النبى ﴿ﷺ﴾ الى المنذر بن ساوى التميمى حاكم منطقة الخليج آنذاك والذى دعاه المصطفى ﴿ﷺ﴾ فيها للدخول فى الاسلام. . وكان ان اسلم.

(١) صبح الأعشى ٢/ ٧٩.
(٢) الدرر الكامنة ٣/ ٢٨٢.
(٣) خطط المقريزى ٢/ ١٨٩؛ النجوم الزاهرة ٩/ ٣٦-٣٧.
(٤) الخطط ٢/ ١٩٩.
(٥) المقريزى: السلوك ٢/ ٢/ ٥٣٩.
(٦) المفضل بن أبى الفضائل، النهج السديد والدر الفريد، (ورقة ٢١٨آ) مخطوطة باريز.
(٧) االمقريزى، السلوك ٢/ ٢/ ٤٤٠.
(٨) ابن تغرى بردى، النجوم ٩/ ٣٧.
(٩) خطط المقريزى ٢/ ٢١٢.
(١٠) ابن الجزرى، تاريخ، ص١٧٦ (مخطوطة باريز).
(١١) النجوم الزاهرة ١٠/ ١٣٣.
(١٢) ابن كثير البداية والنهاية ١٤/ ٢٠٠
(١٣) النهج السديد ورقة ١٧٧ آ؛ والبداية ١٤/ ٦٩.
(١٤) البداية والنهاية ١٤/ ٢٠٧.
(١٥) ابن طولون اعلام الورى بمن ولى نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. تحقيق الاستاذ محمد أحمد دهمان ص٢٧-٢٨
(١٦) المقريزى، السلوك ٢/ ١/ ٢٣٢.
(١٧) السلوك ٢/ ٣٤٦.

دكتور صلاح الدين المنجد «لبنان»

موقف الشريعة وا
العـ

لقد كثرت فى العصر الحديث الانجازات والتنبؤات العلمية الخارقة التى غالبا ما تشيع فى نفوس البشر مزيجاً من الاعجاب والمخاوف . . وأصبح من المألوف أن نسمع عن تجارب وبحوث علمية متقدمة فى مجالات عديدة . . كالطاقة والمواصلات . . وعلوم الطب والاحياء . . ولا يخلو بعضها من جرأة بل من مخاطر فى تصور كثير من الافراد كارتياد الفضاء الخارجى . . والاستخدامات المختلفة للذرة . . وزراعة الاعضاء البشرية السليمة مكان الاعضاء التالفة . . وتجارب بحث الذات البيولوجية للانسان والحيوان . وقد اعتادت المجتمعات التساؤل عند ظهور كل ابتكار علمى جديد عن أثر ذلك على المفاهيم الاخلاقية والعقائدية ومدى حدود التنظيم القانونى والاجتماعى لضمان مستقبل الجنس البشرى والكائنات الاخرى؟ .

من المعلوم ان العلماء فى كل مكان وزمان يتصفون بالطموح والشغف الشديد بالاكتشافات والمعرفة . . تدفعهم دائما وبحماس الرغبة فى التجديد والكشف عن أسرار الطبيعة وفى المقابل فان المجتمعات الانسانية تحارب بشدة التيارات التى تهدد استقرارها ومعتقداتها ولا يمكن للرأى العام ان يتحمس الا للافكار التى يعتقد ـ فى اطار مبادئه ومعارفه الثقافية ـ بصلاحيتها وبان أهدافها تنسجم ذهنيا مع مستقبل وسعادة البشرية .

وقد شهد الانسان فى تاريخه خاصة فى الفترة المعاصرة تطورات سريعة فى العلوم . . وفى كل مرة يخرج فيها العلماء بافكار وتطبيقات جديدة يجد الناس فيها غرابة وأحيانا صدمة لا يتقبلها كثير منهم قبولا حسناً بالسرعة التى يطمح لها اصحاب الافكار الذين لديهم ـ بالعكس ـ تصور واسع وإلمام دقيق بها . . بل ان المجتمع قد يقف ضدها أو يضطهد ويدين من يسعى لبثها وتطبيقها والعلة فى ذلك تكمن فى أنماط تفكير الاجيال : فلكل جيل ومجتمع افكاره وتقاليده ترعاها تشريعات وسلطات قضائية . وإن الانسان دائما يحذر من المجهول لانه غالبا ما يحمل فى ذهنه تصورات سيئة عن ذلك الذى هو بعيد عن خياله ومعرفته فيعتقد ان هذا المجهول يهدد المجتمع أو يضعه فى مآزق فكرية لا يحسد عليها وهو فى غنى عنها . . وليس هناك شك فى ان النظام والتشريع يتبنى عادة ما هو مألوف لدى الرأى العام ولا يتعامل مع الخيال .

الفجوة بين الرأى العام والأفكار الجديدة

ليس من الضرورى على الرأى العام ان يعرف تفاصيل ما يدور وراء جدران مراكز الابحاث او فى اذهان العلماء ولكن الشىء الجدير بالمعرفة هو ان يكون لدى الرأى العام تصور بالأهداف التى يسعى اليها الباحثون والعلماء فى المستقبل وذلك لاجل تحقيق غرضين اساسيّين:

الغرض الاول: هو تسهيل انطلاق العلماء للكشف عن اسرار الطبيعة والحياة.. وتحقيق إنجازات أعظم غير متوقعة تفيد البشرية.. وإزالة القيود وتبديد المخاوف والشكوك التى لا مبرر لها.. وبالتالى فتح الطريق واسعا امام المعرفة والبحث العلمى.

أما الغرض الثانى: فهو ضمان ايجاد تنظيم اجتماعى يؤكد ان الاهداف التى تتركز عليها التجارب هى فتح الباب لمزيد من الاكتشافات التى تسعد البشرية ولا تشقيها ـ خاصة وان ثروة المجتمع هى التى تحول الابحاث والتجارب.. ولابد من أن يُطْمَأن الرأى العام على فائدة مثل هذه البحوث والتأكد من انها تحمل بذور الخير للجنس البشرى.

إنَّ من حق العلماء الابداع والكشف عن خفايا العالم واجراء الابحاث والتجارب ومحاولة تطبيقها وما يتمخض عن ذلك فى أغلب الاحيان من تطورات مهمة لاحلال الجديد محل القديم.. وليس فى التجديد من عيب بل هو سنة من سنن الكون والحياة لان التغير تطور.. والتطور تجدد.. والتجدد حياة.. ولولا ذلك لاصبح كل شىء راكداً ولا حياة مع ركود.. ومقابل ذلك ليس من حق العلماء ان يفعلوا ذلك على هواهم دون ان تتدخل السلطات والهيئات العامة لضمان مستقبل المجتمع البشرى وأخلاقه وسلوكه والتأكد من أن التجارب التى يجريها العلماء تستحق فعلا الاهتمام.. وما يترتب على ذلك من ضياع جهد ووقت وتحمل تكاليف مالية.

ولكن العيب يكمن فى الفجوة بين الرأى العام وبين الاهداف التى تشغل اهتمام علماء المستقبل المتخصصين لان عدم استساغة الافكار المتطورة السابقة لاوانها عن جهل بالرغم من طرحها من قبل علماء أكْفَاء ـ يترتب عليه نتائج سلبية ولا يغير من هذه الحقيقة كثيرا ان تكون بذرات هذه الافكار موجودة وتبشر بالخير فان عدم تفهم الرأى العام بشكل صحيح للاهداف التى حققها وسيحققها

العلماء من شأنه ان يثنى الباحثين عن طموحهم ويحد من حريتهم بدون مبرر بل قد يعرضهم الى متاعب ومعاناة ويصدر عليهم احكاماً قاسية معتبراً افكارهم إفكاً وشذوذاً عن العرف السائد وتهديداً للاهداف الاجتماعية .

علماء يُعانون الاضطهاد والمحاكمة

إنَّ البشرية مازالت تذكر بأسى معاناة كثير من اصحاب الابتكار العقلى والتنبؤات العلمية فى العصور والمجتمعات الماضية مما لا قوه من اضطهاد لمجرد أن عقول الناس حينئذ لم تستوعب إكتشافاتهم فى البداية وان التاريخ العلمى زاخر باحداث كثيرة تعرض لها العلماء وقوبلت افكارهم بالتهكم والسخرية وتعرضوا للاضطهاد والمحاكمة . ،

فمازالت مثلا صور القسوة لمشاهير العلماء ترتسم فى اذهاننا حينما نتذكر محاكم التفتيش فى أوروبا فى العصور الوسطى (١).

وكانت قد ظهرت فى تلك الفترة وما بعدها نظريات علمية تعتبر حاليا من البديهيات الا ان القدماء ادانوا اصحابها . . فحينما ظهر القول بكروية الارض (ذلك الامر الذى كان قد عرف فى أول خلافة العباسيين ولم تتحرك له شعرة فى بدن مسلم) أحدث اضطرابا شديدا فى أوربا . . وكان قد نفذ حكم الحرق حيا على «جيو ردانو برونو» بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ عقابا له على افكاره المنحرفة لأنه نادى بدوران الارض حول الشمس(٢) وقال: إن هذا العالم يحتوى على عوالم كثيرة . . ولعل القارىء يعجب ان ما يقصده كريستوف كولمبس من السفر الى المحيط الاطلنطى لعله يكتشف ارضا جديدة ولقد لقى معارضة شديدة وحكم مجمع سلاماتك بانه مخالف للاصول العقائدية ولكن ساعده على ما قصده بعض الملوك كما هو معلوم .

وكانت قد لقيت معارضة شديدة ايضا فى اوربا طريقة الحقن تحت الجلد بمادة المرض التى كانت قد اكتشفت عند المسلمين فى الاستانة ثم نقلتها الى اوربا امرأة تدعى «مارى مونتاجو» سنة ١٧٢١ . . وكان قد احتيج فى تعضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا . . وعادت هذه الشدة فى المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدرى. والاغرب من كل ذلك المقاومة الشديدة التى لاقاها فى البداية اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بالم مطلق حيث رأى بعض المتعصبين فى هذا الاكتشاف الامريكى إنه يخلص المرأة من العقوبة المكتوبة عليها.



إن رسالة الكاتب مهمة خطيرة ولذلك فإن على كل من يتصدى للكتابة أن يتجرد من دوافع الهوى وأن يؤدى رسالته كما يفرضها عليه دينه وعقيدته دون خوف فالحق أحق أن يتبع.

" سمو الامير تركى بن عبد العزيز "



ولعل ابرز صور الاضطهاد والمحاكمة والادانة التى مازلنا نتذكرها هى تلك التى تعرض لها «غاليلو» عن محاولاته فى ايجاد اجوبة علمية على بعض المسائل فى حقل علم الكون وحقل فلسفة ما دون الطبيعة التى استحوذت على اهل الفكر فى زمن محاكم التفتيش وكان جزاؤه على هذا المجهود العظيم السجن والتعذيب.

ولكن مما يدعو للارتياح هو انه الان وبعد مرور ثلاثة قرون ونصف على إدانة «غاليلو» فان الاجراءات قائمة لتصحيح الخطأ الذى ارتكب بحق امثاله من اهل المعرفة والعلم فى الماضى. ففى حفل خاص أقيم فى حاضرة الفاتيكان فى شهر مايو ١٩٨٣ أعلن قداسة البابا «إن تجربة الكنيسة أثناء محاكمة غاليلو وبعدها قد قادتها الى موقف يتسم بنمو فى النضج فى تعاملها مع العلم . . » وقد كان بامكانه ان يشير ايضا الى تطور مقابل بين العلماء أنفسهم الذين اصبحوا يعرفون مدى محدودية العلم وان المفاهيم العلمية المحققة نفسها يمكن ان تخضع للتعديل حينما يتم اكتشاف حقائق علمية جديدة.

ولـم تخلُ المحاكم العصرية حتى فى هذا القرن من قضايا تنطوى ايضا على المخاوف والشكوى من أهل الابتكار العقلى ومقابلة بعض الاختراعات او الاكتشافات الجديدة التى لا تتمشى مع الافكار التقليدية بالتهكم وادانة اصحابها احيانا. وعلى سبيل المثال يذكر لنا الدكتور عبد المحسن صالح فى كتابه **«التنبؤ العلمى ومستقبل الانسان»** قضية انبوبة الاوديون التى اوشكت ان تزج فى عام ١٩١٣ بمخترعها **«دى فورست»** فى السجن - حيث كانت قضية اختراعه ومحاولته استثمار ذلك الاختراع قد عرضت على إحدى المحاكم الاتحادية بمدينة **«نيويورك»** واعتبر ممثل الاتهام اختراعه (خداعا ونصبا لابتزاز الاموال فى مشروع وهمى لا يصدقه الا كل عقل ضعيف. فقد كان ذلك الانتفاخ الزجاجى الصغير الحجم الذى تبرز فى داخله الى خارجه بعض الاسلاك لا يعنى شيئا فى عقول الناس آنذاك لأنها لم تكن مهيأة لتقبل فكرة إمكان نجاح هذا الجهاز دون الاستعانة باسلاك الهاتف التقليدية واعتبروا فكرة فورست خبلا وغباء. فى حين لم يكن ذلك الانتفاخ الزجاجى الا انبوبة «الاوديون» التى ثبت بعد ذلك انها من أعظم الاختراعات فى القرن العشرين بل وواحدة من الابتكارات المذهلة التى انتجها عقل الانسان - حيث كانت هذه الانبوبة المتواضعة التى تعرض صاحبها لمحاكمة ظالمة بمثابة النواة أو الاساس الذى قامت عليه التكنولوجيا الالكترونية باسرها وأدت الى اختراع مكبرات الصوت والاتصالات الهاتفية عبر المحطات ونقل الصور بالموجات وغير ذلك من ابتكارات اليكترونية عديدة.

الإسلام والدليل العقلي

إن تعاليم الدين الاسلامى قد جاءت بمبادىء من شأنها تخليص البشر من مظاهر التخلف الـروحى والفكـرى وتحـريـر الفرد عن طريق فتح المجال للتفكير والتأمل وزيادة المعارف والعلوم . وكانت اول كلمة نزلت على الرسول الكريم هى «إقرأ» . ومن الطبيعى ان العلماء وهم يقرأون فى أسرار الكون والحياة كما نقرأ نحن فى مختلف الثقافة والعلوم قد ادركوا بعض اسرار الكون التى ولا شك قد أذهلهم عمقها وغزارتها مما يعكس وجود نظم رائعة ومذهلة تدل على خالق ومدبر عظيم (أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) .

لقد منح الله سبحانه وتعالى الانسان فكراً ناضجاً وعقلا راجحا وعن طريق العقل علمه ما لم يكن يعلم ﴿**الرحمنُ علَّمَ القُرآنَ خَلَقَ الإنسانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ**﴾ . واطلق الاسلام للعقل البشرى ان يجرى فى سبيل الخالق الذى سنته له الفطرة ليستفيد بالأسرار التى وضعها الله فى خلقه ولتبدو له كآيات دالة على عظمة الخالق ﴿**وخَلَقَ كُلَّ شىء فَقَدَّرهُ تَقْدِيراً**﴾ .

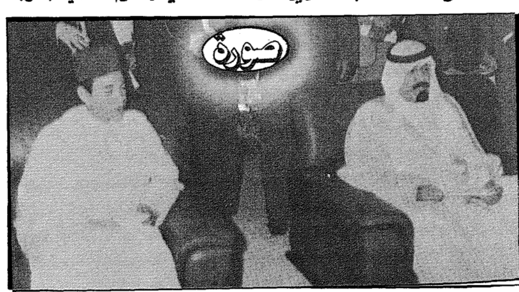
وقد وردت فى القرآن الكريم ما يقارب ثمانمائة آية تحث المؤمنين على التفكير واستغلال العقل على افضل وجه مثل قوله تعالى ﴿**أفلا ينظرونَ الى الابل كَيْفَ خُلِقَتْ وإلى السَّماء كَيْفَ رُفِعَتْ وإلى الجبالِ كيفَ نُصِبتْ وإلى الارضِ كيفَ سُطِحَت**﴾ او فيها عبر للناس تفتح عقولهم وتمهد الطريق لاجل ان تتقبل ما يتمخض عنه المستقبل من اكتشافات واحداث ضخمة مثل قصة اهل الكهف التى وردت فى القرآن الكريم ﴿**ولبثُوا فى كَهْفِهِمْ ثلاثَ مائة سنين وازدادوا تِسْعا**﴾ . كما ان الرسول ﴿ﷺ﴾ قد اكد على ان طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة .

ان أول أسـاس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلى وهو وسيلة الايمان الصحيح يقول شيخ الاسلام ابن تيمية «ان القطعيين من العقل والشرع لا يتعارضان . . وان صح المنقول فى الاسلام مواقف دائما لصريح المعقول ففرض التعارض بينهما باطل» . فالاسلام فى دعوته والمطالبة بالايمان بالله ووحـدانيتـه لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلى والفكر الانسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى . كما يؤكد العلامة الاستاذ عبد السلام (هو عضو فى الاكاديمية الملكية المغربية) فى محاضرة حول الاسلام والغرب القاها فى باريس « ليس هناك بين الايات القرآنية الواصفة لظواهر الطبيعة آية واحدة تتعارض مع ما نعرفه بصورة مؤكدة من اكتشافاتنا العلمية» .

وما استطاعت الحضارة الاسلامية ان تقدم العديد من العلماء النابغين الا لانها فتحت صدرها لبحوثهم وتنبؤاتهم العلمية دون حجر على حرياتهم الفكرية فظهر العديد من العلماء فى مجالات شتى من العلوم الوضعية . . منهم الخوارزمى وابن هيثم فى الرياضيات والفلك . . والرازى وابن سينا فى الطب . . والماردينى فى الصيدلة . . وجابر بن حيان والرازى فى الكمياء . ولا نغالى اذا قلنا بان اوروبا فى العصور الوسطى لو كان قد قُدِّرَ لها بان تنتشر فيها الحضارة الاسلامية المزدهرة لكانت البشرية قد وفرت وقتا مهما وقطعت اشواطا كبيرة فى طريق التقدم العلمى .

لقد حبب الله تعالى العلم فى نظر المسلمين الذين يعتبرونه دائما شيئا جميلا ومرغوبا للعقول الواعية . . وان المعرفة والاستفادة من العلوم لا تساوى الجهل به ﴿قُلْ هَلْ يستَوِى الذينَ يَعْلَمُونَ والذينَ لا يَعْلَمونَ﴾ . ان التنبؤ العلمى كما يقول الدكتور عبد المحسن صالح ليس بشىء نابع من فراغ . . وهو يختلف اختلافا جذريا عن التنبؤات التى يدعيها المشعوذون والدجالون اذ ليس لتنبؤاتهم سند أو أساس غير الخرافات التى يعارضها الدين والعلم بينما التنبؤ العلمى يرتكز على ما بين ايدينا من معلومات هى حصيلة بحوث علمية عميقة تشير الى إمكان احداث تغيرات جذرية . . وهو لا يتعارض مع نواميس الكون وأحكامه .

مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الاسلامية والعلوم الانسانية بالمغرب



● امتداداً للجسور الثقافية والعلمية انشئت هذه المؤسسة العلمية فى المغرب الشقيق بتوجيه ومساهمة كريمة من صاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز.

والمؤسسة تستخدم احدث الوسائل التقنية فى حفظ الوثائق والمراجع التراثية وتنظيم المكتبة وطبيعة الادارة فيها . . وتمتد خدماتها العلمية الى الاتصال مع مختلف بنوك المعلومات الوطنية والدولية للافادة من الوسائل التى توفرها شبكات الاعلام الموجودة فى العالم.

وعلى سبيل المثال: إن من حق الانسان ان يبحث فى علاج المرض لان المرض ليس هو جزءا اساسياً من نواميس الطبيعة التى يستطيع الانسان التدخل فيها ـ وهذا ما يقره الدين والعقل والمنطق. ففى حديث للرسول الكريم ما معناه «عباد الله تداووا فان لكل داء دواء الا الهرم».

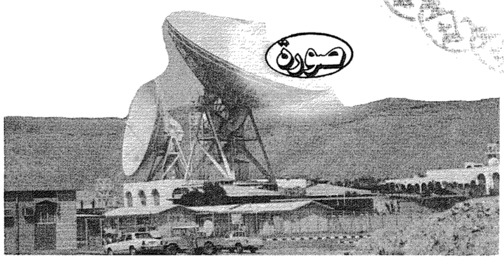
وهكذا فان الانسان يسعى لطلب العلاج حتى ولو كان علاجه يلتزم زراعة قلب سليم مكان قلبه المعطوب ما دام فى ذلك فائدة للانسان وعدم الاضرار بالآخرين. وحديثا وفى مقابلة أجرتها احدى الصحف (الشرق الاوسط فى ١٢ يناير ١٩٨٤) مع احد الفقهاء المسلمين (الدكتور عبد الرحمن النجار) اكد مشروعية نقل الكلى من شخص لآخر للعلاج على اساس القاعدة الفقهية «الضرورات تبيح المحظورات». . وان تكون هذه العملية وفق شروط معينة منها ان يكون ذلك عن طريق التطوع وليس بدل أجر. . وعدم احتمال تدهور صحة المتطوع أو أن يلحق به ضرر قد يؤدى بحياته. وهذا المثال البسيط يؤكد لنا أنه ليس أمرا مفاجئا على المسلمين ان يدعم الفقهاء مستجدات العلم ذات الفائدة للبشرية.

وقد استقبل العالم الاسلامى بارتياح بالغ «ندوة الانجاب فى ضوء الاسلام» التى كانت قد نظمتها وزارة الصحة بالكويت مع المنظمة العالمية للطب الاسلامى فى اواخر مايو ١٩٨٣ والتى وصفها الدكتور حسان حتحوت (مجلة العربى، ابريل ١٩٨٤) بانها: حوار بنّاء بين علماء الطب وعلماء الشريعة وتعتبر على الاقل فاتحة للقاء العلماء والفقهاء وكانت الندوة قد ضمت نخبة طيبة من علماء الشريعة والدراسات الاسلامية ومن علماء الطب والعلوم الحياتية المسلمين دعوا من ادنى الارض ومن أقصاها. . واستأنست الندوة بمعطيات الحقائق العلمية الطبية المعاصرة واستعرضت آراء الفقهاء السابقين للتوصل الى نتائج حول المحدثات الجديدة. . كالاجهاض العمد. . وأطفال أنابيب الاختبار (والرحم الظئر). . ونظر الجنس لعورة الجنس الآخر لدواعى المعالجة والتعليم الطبى. . وموضوع التعقيم الجراحى. . وبنوك الحليب البشرى المختلط. . وغيرها من المسائل الاخرى كالتحكم فى جنس الجنين. . ونظرا للفائدة الكبيرة التى حققتها الندوة رأى المشتركون فيها ضرورة عقد ندوات لاحقة لمناقشة المزيد من القضايا التى يتطلب البت فيها خبرات فنية ووجهات نظر شرعية.

العلم سلاح ذو حدين

يقول الدكتور زكريا ابراهيم **«صحيح اننا كثيرا ما نلقى اهل الابتكار العقلى بالرفض والتمرد لاننا حريصون دائما على الوقوف فى وجه اى تجديد قد ينطوى على معانى قلب**

القيم او تحطيم المعايير - ولكن من المؤكد انه لن يكون فى وسعنا يوما الخروج من حالة السبات العقلى الذى نرزح تحته الا اذا اخذنا على عاتقنا ان ندع لعقول الناس حق القيام بمخاطرات عقلية بكل ما تحتمله أمثال هذه المخاطرات من نجاح او فشل . . من صواب او خطأ» واننا إذ نتفق مع هذا الرأى لكن بالمقابل يجب ان لا يغيب عن بالنا ان التقدم فى مجال العلوم قد يكون سلاحا ذا حدين : فان المدنية ذاتها قد قدمت لنا تسهيلات واسعة فى حياتنا لا يمكن ان تنكر لكنها فى الوقت ذاته وكما ينبه الى ذلك الدكتور عبد المحسن صالح : قد أخلّت بنظم البيئة وادخلت فيها عنصر التلوث الذى ندق له نواقيس الخطر . . وكذلك الحال مع الطاقة النووية ففيها يكمن التعمير وفيها يكمن التخريب .



● بلغت شبكة الاتصالات فى المملكة العربية السعودية فى غضون السنوات القليلة الماضية شأواً بعيداً فى طريق التقدم والرقى . وقد تعززت قدراتها المحلية بالمساهمة فى العديد من مشاريع الاتصالات الدولية وبصورة خاصة مع الأقطار العربية والاسلامية .

لذلك لا ينبغى للعالم ان يقف عند اكتشاف القوانين الكونية لأن من واجب العالم ادبيا ان يستخدم هذه القوانين بما فيه مصلحة البشر فقد نعرف كل ما يتعلق بالذرة كخطوة أولى ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الثانية التى ترسم لنا طريق استغلال هذه الاداة العلمية فنوجهها نحو التعمير ولا نستخدمها فى العدوان والتدمير **﴿ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين﴾** . وتترتب على الفصل بين العلم وتطبيق العلم مخاطر لا حدود لها كما يؤكد ذلك الكاتب الانجليزى اللورد «سنو» فى كتابه المرسوم «**الثقافتان**» .

كما ان الدراسات والابحاث العلمية ينبغى ان تتبع فى اسلوبها منهجا انسانيا يتضمن وضع النتائج موضع الاختبار قبل تطبيقها على البشر وبعد التأكد من دقتها وصحتها وعدم استخدامها فى مجالات تضر بصورة مباشرة او غير مباشرة الجنس البشرى وبدون تمييز.

خلق الوظيفة التخيلية

ان الوظيفة الاساسية للمشرِّع هى وضع قواعد قانونية لتنظيم سلوك الافراد وعلاقاتهم داخل المجتمع ووضع الحلول للمشاكل المتوقعة وذلك على ضوء الرأى العام السائد فى البلاد. اما وظيفة القاضى فانها تدور حول محور تفسير النصوص وتسوية المنازعات التى تثار من تطبيق تلك القواعد واصدار الاحكام اللازمة وفقها او وفق القواعد المنطقية المألوفة لدى المجتمع. ولا شك ان المسؤولين فى مجال التشريع والقضاء يمثلون نخبة ذات فكر واختصاص ولكنهم فى الاساس امتداد لمجتمعهم وانعكاس واقعى لانماط تفكيره.

وبناء على ما تقدم فان تنظيم مسالة التنبؤات العلمية بصورة تضمن من جهة انطلاق أصحاب العلم والابتكار نحو المبادرة والابداع وتضمن من جهة اخرى توجيه البحوث والانجازات العلمية نحو ما يسعد البشر ولا يضرهم لن يتحقق الا إذا توفرت لدى المجتمع ظروف التكييف العقلى وخلق الوظيفة التخيلية لدى الافراد خاصة لدى ابناء جيل المستقبل.. فلابد لكل جيل ان يعتاد المبادرة والتفكير المرن حتى يستطيع يوما ان يواجه اكتشافات وخفايا المستقبل بدون رفض الا عند وجود مبرر لدرء المخاطر الحقيقية. وتكاد هذه الفكرة تنطبق مع ما كان يقصده الفيلسوف الفرنسى الكبير Leon Brunschwing (١٨٦٩-١٩٤٤) حين كتب يقول: «انه لابد لابنائنا - بالروح والحق - من ان يكونوا معاصرين للبشرية التى سيحيون يوما فى كنفها وعليه فان بيت القصيد هو ان نغرس فى نفوسهم القدرة على التكيف ذاتيا.. وان ننمى فى شخصيتهم كل اسباب الثراء العقلى والطاقة الخلقية بحيث تتوفر لهم مرونة التصور والقدرة على تغيير ذواتهم» وهكذا فان البيئة لا تكف عن التغيير وبالتالى فإنها تفرض باستمرار حالات جديدة ومعايير متغيرة.. وإننا نخطىء - كما يؤكد بوضوح الدكتور زكريا - فى حق الاجيال المقبلة لو اننا اقتصرنا فى تربيتنا لهم على مراعاة ضرورات التكيف مع البيئة الحاضرة فقط دون النظر الى المستقبل.

ان الأمم المتقدمة ما استطاعت التخلص من حالة «**السبات العقلى**» والمساهمة الواسعة فى الحضارة الا لانها تمكنت من أن تقدم اجيالا جديدة نمت فيهم كل اسباب التكيف والمرونة لمواجهة المستقبل بخيال واسع وتفكير عميق.

ولا شك ان توسيع آفاق المعرفة فى المجتمع ودعم محاولات التنبؤ العلمى من العوامل الاساسية التى تساعد على تقليص حدود الصدمة فى الانجازات والابتكارات المتطورة.. كما انها تفتح الآفاق للعديد من التشريعات والتنظيمات الجديدة.

ولا شك ان توسيع آفاق المعرفة فى المجتمع ودعم محاولات التنبؤ العلمى من العوامل

كلمات

مقوماتنا التى نرتكز عليها هى العقيدة السمحاء ومنها ينطلق الانماء والاستقرار وهو أحد الاسس التى يسعى كل شعب وكل قيادة لها. وبدنا وبما انعم الله به عليه من الاستقرار إنطلقت فيه عجلة البناء والتقدم.

سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز



الاساسية التى تساعد على تقليص حدود الصدمة فى الانجازات والابتكارات المتطورة . . كما انها تفتح الآفاق للعديد من التشريعات والتنظيمات الجديدة بما يضمن استيعاب وتوجيه طموحات علماء المستقبل. ويمكننا أخذ فكرة عن القوانين والاحكام المتطورة من خلال تجارب بعض الدول فى العصر الحديث. . ففى كاليفورنيا مثلا أعدت السلطات لائحة مكونة من مائة واربع صفحات عن الاصول والمشاكل القانونية المتعلقة بحق العلماء فى إجراء «التكاثر الحضرى» او «النسخ البيولجى»(٣) وتحديد أسلم الطرق التى تقوم عليها هذه التجارب.

وكذلك استطاعت المحكمة العليا للولايات المتحدة حسم النزاع المتعلق بمدى حق الهيئات القضائية فى ان تقرر للطرازات الجديدة من الحياة (تقليد أو تخليق البرنامج الوراثى) وإعطاء براءات اختراع

ان المسلك ـ آنف الذكر ـ للمشرع والقضاة يعطى مدلولات واسعة وينسجم مع الاتجاه الذى يؤكد ان رجال القانون بحكم ثقافتهم وتأهيلهم المهنى وانتمائهم الى مجتمعاتهم يمكنهم ادراك التغييرات التى تطرأ على انماط تفكير المجتمع ويغيروا من آرائهم للتكيف معها(٤).

وهكذا يتضح لنا مدى أهمية تمهيد الطريق أمام الاجيال الحالية والمقبلة لتقبل ما يتمخض عنه المستقبل من ابتكارات وانجازات علمية هائلة لا تتعارض مع ديننا وعقيدتنا وشرائعنا السماوية. . وبالرغم من اننا لا نستطيع التنبؤ بماهية المستقبل الا ان هناك بعض الحقائق التى تزداد وضوحاً. . وإحدى هذه الحقائق هى ان تستند وسائلنا القانونية والتنظيمية على صور أكثر امتداداً للمستقبل واكثر دعماً لمحاولات الابتكار والتنبؤ العلمى. . واننا يجب ان ندعم جهود المسؤولين فى جعل وسائلنا التربوية والاعلامية أدوات تدفع الصغار والشباب لمواكبة الانجازات العلمية المتطورة وتفتح عقولهم على اسرار الكون والحياة فى عصر يتطور كل شىء فيه بسرعة.

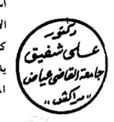
---

(١) من المعلوم ان هذه المحاكم الغربية كانت قد أنشئت بطلب من الراهب توركماندا منذ عام ١٤٨١ وقد اوقعت الرعب فى قلوب الاوربيين خاصة فى جنوب فرنسا وايطاليا وكانت قد حكمت على الالوف منهم بما فيهم العديد من اصحاب الابتكار العقلى بالحرق وهم أحياء او بالشنق بعد التشهير أو بعقوبات اخرى مختلفة.

(٢) وليس دوران الشمس حول الارض إذ اعتبر القدماء ان الارض هى مركز الكون وان كل شىء يدور حولها.

(٣) اى تحويل الخلايا الجسدية الى نسخ بشرية كالاصل الذى عزلت عنه.

(٤) تجدر الاشارة الى ان البعض يرى ان القضاء اقرب الى الواقع وتقديرا للظروف الاجتماعية من الفقيه وذلك على اساس ان طبيعة عمله تجعله اكثر التصاقاً بالوقائع الاجتماعية ولكن هذا لا يعنى ابتعاد الفقهاء عن واقع الظروف الاجتماعية الى حد وجود ظاهرة الفجوة او الفاصل بين أفكار الفقهاء وارائهم وبين ما هو واقع فى المجتمع فى لحظة معينة كما يذهب الى ذلك بعض فلاسفة القانون كالاستاذ ميشيل فيليه (الاستاذ بجامعة باريس) فان الفقهاء بحكم تتبعهم لما يدور فى مجتمعاتهم ليس من الضرورى ان تمر عليهم فترة زمنية حتى يدركوا التغيرات التى طرأت فى الرأى العام وتفكير المجتمع.





الحلقة المفقودة

من القضايا الأساسية التى تشغل بال المفكرين والمصلحين فى كل أمة قضية تراثها والمحافظة على تقويمه وتعريفه للأجيال وابرازه فى موضوعية لربط الاجيال بجذورها.

وقضية التعريف ببلادنا التى أخذت «دار المريخ» على عاتقها الاهتمام بها طريقة نحمدها لها ونستزيدها منها خاصة حرصها على أن يكتب عن كل بلد واحد من أبنائها وبيئتها. فإن البيئة ألصق به وهو أعرف بدقائقها التى تخفى على غيره. وبعد فإن التطور الحضارى السريع قضى على المزيد من المعالم التاريخية والأثرية فى بلادنا وهو يمتد اليوم للقضاء على عادات المجتمع كله.

وفى تاريخ بلادنا حلقات مفقودة لم تدون ولم تعرف بعد لعدم وصولها إلى القراء والباحثين والمؤرخين حيث ران على الجزيرة العربية عهود من التخلف والتأخر فى كثير من البلدان. لذلك ضعفت فيها حركة العلم والأدب والفكر وكادت تتلاشى وتندثر. ولم يكن لها كيان سياسى أو وحدة متماسكة. وقد أهملت هذه المنطقة بالذات «نجد» بعد أن نزح علماؤها وأدباؤها وشعراؤها مع حملات الفتوحات الاسلامية وتوزعوا بين أطراف الدولة الاسلامية المترامية الأطراف.

فقد تمزقت نجد بالذات الى أوصال شتى وتفرقت أجزاؤها وواجهت أحداثا وفتناً وبقيت فى مهب الرياح تواجه الأزمات وتصد العاديات. وكانت نجد مقسمة إلى عدة إمارات كل امارة يحكمها أمير وكثيرا ما تشتعل الحروب وتثور الفِتَن بين أمراء هذه الامارات كما كانت مرتعا للخرافات والبدع.

ومع ذلك كان يبرز فى الأفق الفكرى والعلمى بعض العلماء والشعراء أعطوا لأمتهم تاريخاً وان لم يكونوا على درجة من التحقيق والتدقيق والضبط والعناية. فوقع بعضهم فى أخطاء كثيرة. ومما ينبغى الاشارة إليه ان المستشرقين سبقونا فى كتابة تاريخ بلادنا





فوقع الكثير منهم فى الخطأ وكثرت غلطاتهم كغيرهم من المستشرقين القدامى ممن كتبوا عن تاريخنا الاسلامى.

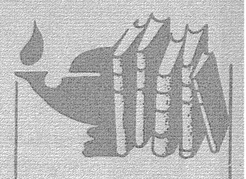


حرارة العلاقات القائمة بين الاقطار العربية ثقافيا لها ارتباط مباشر بحرارة العلاقات السياسية وهذا يظهر الى أى حد نحن لانزال متخلفين أنا اعتقد كما هو الحال فى الغرب، يجب أن يبقى المفكرون والمثقفون جسور التواصل وهذا هو هدفنا. وهوان نخلق مكانا نلتقى به مهما اختلفنا فالمثقفون لهم قضايا يلتقون حولها. قضايا ابداعية تتعلق بتطور القيم الحضارية فى المجتمع العربى، وبالتالى نعرف كيف نتناول هذه القضايا من مختلف الزوايا والقطاعات الابداعية.

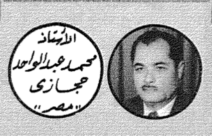
للأسف وضعنا الثقافى العربى غير سليم وله اسقاطات سلبية، وهذا الشئ مقلق جدًا. انا لا أرى كيف يمكن ان يكون هناك تكامل ثقافى اوتعاون ثقافى فى ضوء قطيعة قائمة. وهذا ما يجعلنا خاسرين باستمرار نحن عندنا (ازمة ذهن) بمعنى الكلمة. أ. محمد بن عيسى - وزير الثقافة المغربى

وسار كثير من باحثينا على غرارهم مما سبب لهم الوقوع فى أخطاء كثيرة. والآن نحن فى حاجة الى قراءة المزيد من الكتب والوثائق والمخطوطات والمصادر التاريخية التى تتصل بتاريخ بلادنا.

وبعد فلعل فى هذا الرأى العابر ما يحقق الآمال.



الإسلام وحضارة المستقبل





الفكـر الاسـلامى بكتاب جديد هو كتاب: «الاسلام وحضارة المستقبـل» ألفـه ثلاثـة هم: أستـاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى والسيدة الكاتبة الفاضلة أمينة الصاوى. . والناقد الكبير الدكتور عبد العزيز شرف.

واشتراك الثلاثة فى تأليفه قد حقق له المبادىء الثلاثة الرئيسية لكل فكر فلسفى رصـين وهى الشمـول والعمق والتكـامل. . وقد جاءت مقدمة الكتاب وكأنها البشارة العلمية لتلك المبادىء. . ولا تعبر البشارة العلمية إلا عن حقائق علمية موضونة الأسس منطقية التعليل تجريبية النظر والاستخلاص. فالاسلام الحنيف الذى ورث شوامخ الحضارات العالمية القديمة ونقل من تراثها الفكرى مالا يتنافى مع مبادئه استطاع أن ينشىء حضارة من أسمى الحضارات التى عرفتها الانسانية مما أذهل أوربا وجعلها توفض إلى حضارة العرب لتنهل من ثقافتها وعلومها حتى استطاعت أن تنهض على أقدامها. واذا كان للحضارة الغربية اليوم أصداء من الغلبـة والتفـوق فلا يرجع ذلك إلى الاسلام فى ذاته وإنما يرجع إلى: ضعف المسلمـين وتـركهم لمقـومـات مجتمعهم الاسـلامى وذوبانهم فى الغرب وأفكاره ومثله. . ولكن هل قدر للحضارة الغربية أن تظل على تفوقها على المسلمين أبد الأبيد؟.

لقـد تنبأ الكثيـرون من المؤرخـين الأوربيـين بقـرب انهيار «حضارة الغرب المعـاصـرة» مثلما انهارت الحضارة الرومانية من قبل. . وأيضا هل ضرب على الحضارة الاسلامية الضعف والتخلف أبد الأبيد؟. . إن الكثيرين من المفكرين الغـربيـين يؤكـدون أن الغد للاسلام وهذا هو ما توجبه التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى يشهدها العالم اليوم.

وإذا كان إنسان القرن العشرين يتشوف فى إلحاح محزون إلى أن تتحقق وحدة إنسانية بين أمم العالم وإلى عقيدة واضحة بسيطة تؤكد حريته ولا تناصر التفرقة العنصرية ولا تمنعه من حقه فى العلم والمعرفة فكأنه يتشوف فعلاً إلى الاسلام لأنه العقيـدة التى تحقق له كل ما يرجوه ولأنه عقيدة الحياة ـ والحياة صمود وتحقيق لامكانات الوجود.

لقـد تغلب الاسـلام الحنيف على الـروم والفرس وصمد للغزو التترى ثم الهجمات الصليبية ثم الغزو الحضارى الأوربى. . ويرجع صموده وحيويته وقدرته على المغـالبـة الى طبيعتـه الـذاتيه. . الى صحة مبادئه وقوة شرائعه واستقامة أحكامه. . وإلى أنه الدين الوسط الذى يجمع كل ما فى الأديان من فضائل. ومن هنا كان للاسلام مثالية ينفرد بها فالتوحيد الذى بنى عليه مبادئه الكبرى وأصوله وتشـريعـاتـه العامة من صلاة وصيام وحج وزكاة. . وكذلك فى تكريمه لحرية الانسان وفكره وشعوره ورفضه لكل تمييز عنصرى بين الناس والشعوب. . تلك

هى الخصائص التى تحقق للاسلام المثالية التى ليس لها نظير.

وإذا كان الاسلام هو عقيدة الصمود.. واذا كانت للاسلام هذه المثالية فهو بلا شك عقيدة الحق لا عقيدة القوة الباطشة.. ولا تنشأ الحياة إلا بالحق ولا يهدد وجودها سوى البطش والطغيان..

ولقد تناول الكتاب موضوع: الأصالة والمعاصرة، فعالجه المؤلفون معالجة تدل على وعى تاريخى عميق وعلى بصيرة قادرة على استخلاص النتائج من بين مشتجر الاحداث ومنعطفاتها المتقاطعة فمن المفكرين لمن يدعو إلى الأصالة حيث: ترجع الأمة الى شخصيتها وذاتيتها التى كونتها الأحداث والأجيال الطويلة والمؤثرات الأصيلة فى حياتها.. ومن المفكرين لمن يدعو إلى الأصالة حيث تلوذ الأمة بحاضرها أكثر مما تلوذ بماضيها وتتأثر بالمؤثرات المعاصرة المختلفة.. والرأى القويم هو أن نحسب حساب الأصالة بما ينميها ويزكيها ولا نغفل أو نتغافل عن المعاصرة حتى لا نتخلف عن الركب الحضارى العالمى فبذلك نكون أنداداً له فى الابداع العلمى والانشاء الحضارى.

وفق هذا الموقف الوسط فهل يمكن أن يكون للاسلام غد أفضل من حاضره هذا؟.. هنا يرجع المؤلفون الى التجربة الحضارية للاسلام فيرون أنه إذا كان الاسلام فى تاريخه الطويل قد استطاع أن يحول: «الهزائم الى نصر مبين، فإنه قادر بفضل طبيعته الذاتية أن يتغلب على كل ما يدبره له أعداؤه من: «صليبيين وصهيونيين وعلمانيين وشيوعيين ووثنيين» وما يزيفون عليه من شعارات وأفكار زائفة وقع فى حبالة إغرائها من يُحْسَبُون على الاسلام فاقتنعوا بها وظاهروا العدو على أمتهم وملتهم.

وللتغلب على هذه الفتنة الكبرى المعاصرة والتى يتعرض لها الاسلام من أعدائه. ولكى يكون الغد للاسلام.. فإنه لابد من إعداد رجال الغد أو الشباب ليتحمل مسئولية الجهاد بل ليتحمل مسئولية التحقيق الحضارى للإسلام. ولذلك فإن الاسلام الحنيف: ينظر الى الشباب من خلال المجتمع كله نظرة رعاية وعطف وتوجيه فهو يدعو الى شموله بالرفق والحنان وحسن التربية والتقويم والى تعويده على تحمل المسئولية والاضطلاع بالواجب وأداء الحقوق والالتزام بالقيم والمبادىء والمثل الشريفة.

وإذا كان الشباب هم عدة الغد والدعامة الرئيسية لبناء الحضارة وتحقيق إمكانات الانسان فان للاقتصاد خطره فى بناء الأمة وتحقيق قوتها ورخائها وأمنها..

وفرق كبير بين تقدير الاسلام لدور الاقتصاد وتقدير الغرب لدور الاقتصاد: فغاية الاسلام من الاقتصاد نشر الرخاء بين الناس وافشاء الخير والسلام الاجتماعى

كلمات

لقد كان الغرب، يسرق ثرواتنا الاقتصادية فى الماضى لضعفنا وجهلنا وهو اليوم يستدرج ثرواتنا البشرية لسرقتها وامتلاكها لضيق صدرنا بالحرية وتنكرنا للابداع.. واغلاق نوافذنا وابوابنا فى وجه الحداثة، وعدم اتاحة الفرصة للعلم.

«شاكر النابلسى»



وتحقيق المصلحة العامة للناس أجمعين . . على حين : «أن هدف الاقتصاد الغربى هو تحقيق الربح أياً كانت الوسائل وأياً كانت النتائج التى تخلفها» ثم يقدم الكتاب صفحات عن المجهول من تاريخ السيرة النبوية الشريفة ومنها نعلم أن الرسول «ﷺ» كان أحرص الناس على تحقيق الاخاء الذى هو الضمان الرئيسى لوحدة المسلمين وقوتهم فآخى بين المسلمين فى مكة وهى المؤاخاة الأولى . . ثم آخى بين المهاجرين والأنصار فى المدينة المنورة وهى المؤاخاة الثانية .

وعقيدة هذه مبادئها وأسسها لهى عقيدة الحضارة بغير مراء . . وانه لبهتان شديد أن يتقول المؤرخون الغربيون على الاسلام بقولهم إنه يعادى المدنية ولا يؤمن بها متجاهلين كيف كان حال أوربا وقت ازدهار الحضارة العربية الاسلامية أو غافلين عن مصدر الحضارة الأوربية الحديثة وسبب ازدهارها . . فلولا الاسلام ولولا الحضارة الاسلامية لما تمكن الأوربيون من أن يسيروا خطوة واحدة على طريق البحث العلمى ولما تمكنت عقولهم من اختراع جهاز واحد من الأجهزة العلمية ولهذا فإن الايمان بالاسلام ضرورة إنسانية وضرورة حضارية فى آن واحد .

وهنا يحدد المؤلفون الأسباب التى جعلتهم يؤمنون بالاسلام لا بالمادية ومن هذه الأسباب أن الشيوعية : «تنكر العواطف البشرية والمثل العليا والقيم الأخلاقية والجوانب الانسانية» . . وهذا راجع أصلا الى ايمان الشيوعيين بأن المادة هى أصل كل تطور حضارى وما العقل إلا نافلة . . ومن هنا كان إنكارهم لوجود



ماضينا يعمق احساسنا بحاضرنا



ان الشخصية الفردية والشخصية الجماعية لا تستمدان مقوماتهما الا من التاريخ . . ولا تدرك أهمية المنجزات الحضارية العظيمة الا اذا قورنت بما كانت عليه بلادنا من تخلف ووحشية فى الماضى القريب لان قرناً او قرنين فى عمر الزمن ليس كبيراً . ولا يمكننا تجسيد عملية التحول التاريخى فى فترة التكوين الثقافى الا اذا قورن الماضى بالحاضر فى الحركة الزمنية التى تبدو للأجيال المتأخرة ثابتة .

ان مرحلة المخاض الزاخرة بعمليات التحول التى لم يعرف لها بلادنا مثيلا . . بمقارنتها مع مرحلة السقوط امام الرغبات الشرهة فيما مضى من تاريخنا ستكشف لنا حقيقة واحدة وهى اننا نعيش اليوم مشهداً من مشاهد تفوق ارادى على النفس والذات . . وعلى كل المطامع الفردية والشخصية فى ظل طموح ايجابى هدفه ان ينعم الكبير والصغير والقاصى والدانى عمراً مزدحماً بالرخاء والازدهار والأمن والاستقرار .

وفى تاريخنا الماضى الكثير والكثير مما يعمق احساسنا فيما نحن نعيشه اليوم من رخاء وازدهار وامن واستقرار .

«محمد عبدالله مليبارى»

الله سبحانه. . وهذا على حين أن الاسلام: «يدعو الى الدين والى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والثقة بالمثل العليا وبالقيم الروحية». . والشيوعية تؤمن بأن أساس البناء الاجتماعى ومحرك أطواره هو صراع الطبقات والاسلام على النقيض من هذا تماماً: «إن فكرة السلام الاجتماعى فى الاسلام فرض واجب وهى جزء من العقيدة الاسلامية. . وأساسها أن المجتمع مهما كبر أسرة واحدة وأن على كل إنسان فيه أن يؤدى الواجب عليه للآخرين بنفس الشعور الذى يشعر به نحو أسرته» ولذلك فإن فكرة السلام العالمى عند الشيوعية تعنى الصراعات والحروب والثروات التى تنهك قوى المجتمع وتقضى على وحدته لتتمكن الشيوعية من السيطرة عليه. . ولكن الاسلام يدعو إلى السلام العالمى والى أن تقوم العلاقات بين الأمم والشعوب على التعاون والإخاء والتعارف. . ولو أننا سألنا عن السر فى تفشى الشيوعية على تلك الصورة الوبائية لوجدنا أنه يكمن فى: «هذا الخداع الغريب الماكر الذى تتراءى فيه الشيوعية للفقراء والمحرومين والطبقات المظلومة فى مظهر المنقذ المختار لنشر الغنى والسعادة بين الناس.



«عيون الأدباء فى بلدنا قادرة على تجسيد واقع حياتنا ليراها العالم



«دكتور/ بكر باقادر»

أما السر فى قيام الاسلام فيرجع:

أولا: الى أنه «رسالة آلهية للاصلاح. . هى رسالة الحرية والاخاء والمساواة.

ثانيا: الى ان حروب سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ لم تكن إلا دفاعاً عن حرية العقيدة التى كان الشرك يريد القضاء عليها.

ثالثا: الى أن الاسلام حارب الضعف بجميع صوره وألوانه. . كما يرجع أيضا الى أنه دعا الناس الى تكوين الأخوة الاسلامية القوية التى هى فى لبابها أخوة إنسانية عامة وشاملة.

ومن بواعث الايمان بالاسلام لا بالمادية: «أن العدالة الاجتماعية فى الاسلام هى العدل والتعاطف والتكافل الاجتماعى وهى الايثار والتضحية لخير الجماعة. . وهى من الناحية المعنوية تدعم الحرية وتؤمن بالضمير الانسانى ومن الجانب الاقتصادى تهدف الى مقاومة الاستغلال. . ومن الناحية السياسية تدعو إلى الديموقراطية فتجعل الغنى وظيفة اجتماعية تناط بها حقوق يجب أن تؤدى ويجب على الدولة أن تراقب أداءها.

إذن فالديموقراطية أصل من أصول الاسلام أما الشيوعية: «فالحريات مصادرة والمساواة معدومة».

بعد هذا ينتقل بنا الكتاب الى البحث فى إعجاز القرآن الكريم فيقدم آراء كبار المفكرين المسلمين الذين تناولوا هذه القضية الاسلامية الرئيسية وذلك فى إيجاز قوى محكم لا يشتت ذهن القارىء ولا يدخله فى تفاصيل قد لا يكون مستعداً لاستيعابها. . ثم يعطى الكتاب نماذج حية من الشخصيات الاسلامية

التى كان لها دور مشهود فى الفكر الاسلامى والمجتمع الاسلامى بل والحضارة الاسلامية بعامة ومن هذه الشخصيات الفاضلة عبد الله بن مسعود. . وعاصم بن ثابت. . والعز بن عبد السلام. . وابن قيم الجوزية رضوان الله عليهم أجمعين.

وإذا كان الاسلام الحنيف بفضل القرآن الكريم قد هيمن على مواطن الحضارة العالمية القديمة: فدخلت فيه الأمم من الشرق والغرب وحملت كل أمة معها زادها من ثقافتها وعلومها ونقلت إليه أشياء من فكرها وثقافتها ومعارفها وفنونها. فقد حمل الاسلام فيما حمل ثقافة اليونان وفلسفتهم. . وقد وقف المفكرون المسلمون من الفكر اليونانى موقفين متباينين فمن المفكرين من رأى ضرورة التمسك بمنهج الدعاة من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين وهو المنهج القريب الى العقل. . الى الحياة. . الى طبيعة النفس الانسانية. . الى لغة الاقناع والاثارة والتأثير. . ومن المفكرين من رأى ضرورة الأخذ بالفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو فى صياغة البراهين والأدلة على وجود الله. . وهنا قامت حركة فكرية نقدية انتهزها المستشرقون فنفذوا منها إلى الفكر الاسلامى لينفثوا أراجيفهم وأضاليلهم لاضعاف المسلمين وهدم كيانهم الحضارى حتى لا تقوم لهم فى المستقبل قائمة تذكر. . ولكن هل يتحقق لهم وللأوربيين بعامة ما يشتهون؟.

إن ماضى الاسلام الحنيف يسجل انتصار المسلمين فى كل معركة فرضت عليهم أو باغتتهم. . وأياً كان المستقبل وما يحمل فى طياته وأيا كان الواقع الذى تحياه الأمة الاسلامية اليوم حيث تواجه تحديات التآمر والهدم والإبادة فإنها ستخرج منها ظافرة منتصرة قوية لأن الاسلام هو دين الحياة. . دين الانسانية. . وما أعمق تفاؤل الكتاب بمستقبل الحضارة الاسلامية وذلك حيث يقول:

«إنه لو قدر لهذا الكون أن يشهد قيام أمة إنسانية على الأرض فلن تكون هذه الأمة إلا مسلمة ولن يكون قائدها إلا القرآن الكريم».

نعم «لن يكون الاسلام القوة الثالثة من قوتى الشرق والغرب لأنه لن يكون هناك شرق وغرب ولا قوة للشرق ولا للغرب بل سيكون الاسلام فى الغد القوة الوحيدة فى العالم».

بهذه المعانى العظيمة جاء الكتاب القيم: **«الاسلام وحضارة المستقبل»**. . وإنه لجدير بالمسلم أن يقرأه ليدرك أن حياته ووجوده بل حياة الإنسانية ووجودها بالاسلام وفي الاسلام وصدق الحق سبحانه حيث يقول: ***﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المنكرِ وتُؤمِنُونَ باللهِ﴾*** (١١٠ سورة آل عمران). .

كلمات

«ان انتاج ونشر الكتاب العربي فى العالم العربي لايتعدى نسبة ١٪ من الانتاج العالمى» «ولابد من تشجيع انتاج الكتاب العلمى الذى اصبح فى مقدمة مطالب القارئ العربي..»

«عبدالمجيد مزيان»
وزير الثقافة والسياحة الجزائرى



تقدم الثقافة فى البلاد العربية السعودية

كانت هذه البلاد مثابة للناس فى العلوم الاسلامية التى نبتت دوحتها الفينانة فى ربوعها المقدسة فأثمرت للعالم أجمع حضارة زاهرة وثقافة ناضرة وكانت المدينة المنورة ومكة المكرمة مركز هذه الحضارة وقطب رحى هذه الثقافة . فكان الطلاب فى القرن الثانى الهجرى والثالث يفدون اليهما من كل صوب وحدب للارتواء من مناهلهما العذبة والاستضاءة بنور عرفانهما الساطع فى الخافقين . ثم تدهور العلم فى هذه البلاد بحكم انتقال أقطابه الى العواصم الاسلامية فى أيام الدولة العباسية . ثم ازداد تدهوراً فى أواخر القرون الوسطى وما جاء العصر الحديث إلا والعلم يكاد يختنق فى هذه الجهات بسبب عدم العناية بأهليه من القائمين بالامر . ولما سرى روح التجديد فى العالم الاسلامى قبل خمسين عاما كانت هذه البلاد تغط فى نوم عميق ثم ما كادت الحرب الماضية تنتهى حتى هب اهلوها يطالبون بالاحياء والاصلاح فأسس المرحوم المبرور السيد احمد الفيض آبادى مدرسة احياء العلوم الشرعية بالمدينة المنورة فخرج عشرات المثقفين المجددين وعشرات حفاظ كلام الله المجيد وعشرات المتعلمين من الصناع الماهرين من ابناء طيبة الطيبة وابناء الاسلام . . كما أسس المحسن الكبير الحاج محمد على زينل بمكة المكرمة وجُدة مدرستى الفلاح وآتتا أكلهما طيباً واخرجتا ثمارهما عاطرة فواحة . وتخرج منهما عشرات المثقفين والمتنورين ولا تزال للآن تؤديان مهمتهما على الوجه المنشود وتوج مفرق هذه النهضة الثقافية جهود الحكومة العربية السعودية اذ إنها قد اشادت فى مكة مدرستى تحضير البعثات والمعهد العلمى السعودى عدا عشرات المدارس الابتدائية والتحضيرية التى انشئت فى شتى المدن والقرى والهجر من نواحى المملكة . وعلاوة على ذلك فقد ساعدت الحكومة على تأسيس مدارس ليلية للأميين الكبار الذين لا تمكنهم ظروفهم العملية من متابعة الدروس فى المدارس النهارية .

وهكذا نشاهد اليوم تقدم الثقافة بالبلاد العربية السعودية تقدماً يذكر فيشكر .

عبدالقدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل - المدينة المنورة

فصل الحضارة

فهرس


خدمة مصرفية متميزة
خدمة مصرفية متميزة
خدمة مصرفية متميزة
خدمة مصرفية متميزة
خدمة مصرفية متميزة
بنك الرياض
RIYAD BANK
جدة - الادارة العامة ص ب ١٠٤٧ ت ٦٤٧٤٧٧٧ - تلكس ٤٠١٢٣٢ ريادكس اس جي



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة



هذه الصحافة قوة ..

أصبحت الصحافة فى عالم اليوم قوة هائلة من قوى الأمم والدول فيحسب حسابها فى الداخل كما يحسب حسابها فى الخارج . . هذا اذا كانت الصحافة قوية رائعة فى مظهرها وفى مخبرها . فى اخراجها وفى تحريرها وفى سعة مدى انتشارها . . هى قوة فى داخل الامة والدولة وهى سياج لهما مكين يدفع عنهما غوائل الكيد الدولى ويحيطهما علماً بمجريات الأمور ، وبما يحاك فى الخفاء وبما ينسج فى الجلاء ، كما ينقل اليهما الوان التقدم العالمى فى شتى اشكالها .

تقوم الصحافة ـ بالنسبةس لداخل الدولة والامة ـ بمهمة المكيف والموجه والخبير الأمين ، بما تنشره من قويم الآراء والمبادىء والاصلاحات بين قرائها فى مختلف الانحاء صباح مساء وأسبوعاً بعد اسبوع وشهراً بعد شهر . . باساليب مشوقة باهرة وبطرق قيمة جذابة هى لسان الأستاذ ودماغ المفكر وعقل الرائد وواحة الأديب وجنة الشاعر وسمع الموظف والعامل ، ودعاية التاجر والصانع والزارع وموئل البائس والمحروم وكهف المضطهد وملجأ المظلوم ثم الى هى ـ الى ذلك ـ المنجل الذى يحصد الآراء الهدافة ويجتث الاخلاق الفاسدة ويقضى على الجمود الوبيل .

عبدالقدوس الأنصاري
ربيع الاول ١٣٧١هـ

بطاقة تقديم

أعوام تنفلت من بين فروج
الأصابع .. وأعوام تتوالى قادمة من بين الركام
وفي تلك وهذه يظل الإنسان يأمل ويود .. يود حياته
غداً آمناً .. ولكن .. ولكن إنسان هذا العصر من حيث يدري أو لا
يدري جعلها جحيماً مستعراً ولهيباً يصلي الوجوه ويحرق الأبدان ..
هذا فيما نراه يومياً فلا ندري ما يكون عليه غدنا .. شعب يفقد وطنه
ويعيش في التيه والضياع .. أمة ذات بنيها أصبح أشلاءً ممزقة ..
مسلمان يتحاربان ويتقاتلان .. العالم كله أصبح قنبلة موقوتة
فإلى أين؟ ولا ندري!! فقد أعشى العيون ما نراه. فهل
نتفاءل!!.. نعم نتفاءل..!

جمادى الأولى ١٤٠٦هـ/يناير ٨٦م

المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة
خمسون عاماً فى خدمة الفكر والمعرفة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ
عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري
ت: ٦٤٢٧٨٣١

مدير الادارة والتحرير
زهير الأنصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا فى الخارج
● القاهرة: د. أحمد الحفناوى أديب وباحث
● عمان: روكس بن زائد العزيزى محقق وباحث موسوعي
● الرباط: عبد الرحيم بن عبد السلام أديب وباحث
● تونس:

المخرج الفني
فريد أبو سعدة

معلومات ادارية

المجلة: ٢ش رأس تنورة. عرفات سابقاً الشرفية
برقياً: المنهل جدة ص.ب ٢٩٢٥
جدة (٢١٤٦١)
الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
تلفون ٦٤٣٦١٢٤/٦٤٤٧٧٩٤

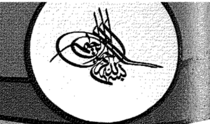
قيمة الاشتراك السنوى
فى المملكة العربية السعودية
٢٠٠ ريالاً
وللافراد ١٥٠ ريالاً سعوديا
أو ما يعادلها.. ويرسل للإدارة

سعر النسخة
السعودية ٨ ريالات
المغرب ٥ دراهم
تونس ٣٠٠ مليم
مصر ٥٠ قرشاً
البحرين ٧٠٠ فلس
قطر ٧ ريالات
السودان ٨٠ قرشاً
الأردن ٤٠٠ فلس
الإمارات ٨ دراهم

المجلة السعودية الأم



دار الأصفهاني للطباعة بجدة



من كتاب هذا العدد

د. علي العميريني — أ. محمد عبد الواحد حجازي

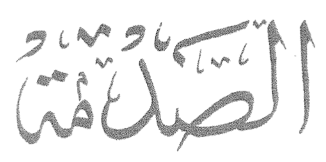
أ. حسن منصور — د. احمد المهندس

مجلاتنا الداخلية

● البحث فى اطلال المابيات
● فن الزخرفة في الاردن
● مدينة فاس الأدريسيه







كان الاسلام ولا زال فكانت الأمة . . التقت شراع قلوبها سابحة فى ينـابيعه فاينعت القلوب وأثمرت وطاب الثمار والقطاف . . وامتد شراعها ليضم العالم أجمع . . امتلأت ايمانا بالله ورسوله .

المسلمـون فتحـوا العـالم شرقه وغربه وارتفعت رايات الحق خفاقة فى انحاء الوجود . . نشروا العدل والحق والخير . . فكانوا نصرة للمظلوم وردعا للظالم من غير تجاوز ولا انتقام . . حتى الحروب والغزوات عندهم لم تكن ابدا لمآرب ذاتى او غرض شخصى أو دافع قومى أو عرقى . . بل كان الدافع والمحرك نشر العقيدة وكلمة الله سبحانه لأنها البلسم الشافى من أدواء البشر وغلواء الحياة وعنت الايام .

تعمق الايمان فى قلوب محبى الحق فانجب مجاهدين لا يخشون الا الله ولا يرجون غير رضاه . . عُذِّبوا فى سبيل الحق وذاقوا الأمرّين من اجل دينهم ولكنهم ما هانـوا ولا استكانوا ولا انكسر الايمان فى قلوبهم . . تسـابقـوا الى الجهـاد وتقـاطروا فى ميادينه لا شىء يبتغـونـه غير ان تسود العالم مبادىء الخير والمعروف والاحسان . فكان لهم ما أرادوا بعون الله . . والتاريخ الاسلامى صفحات ناصعة وضاءة تحكى حياة أمجاد وتاريخ أسلاف أقاموا الحق فى نفوسهم وجاهدوا فى سبيله . . فأسلمونا الراية خفاقة .

نعم تسلمنا الراية بعد مصارعة شرسة من سدنة الباطل . . وأنصـار الضلال . . مرت بهم عواصف هوجاء لم ينحنوا أمامها . . ولكنا انحنينا . . عضوا على الحق بالنواجز . . ولكنا تكسرت نواجزنا .

دخلوا الشرقَ والغربَ . . دعوه الى الحق فقبله وهنىء به . . ولكنَّا اقتحمنا الشرقُ والغربُ وجال ساحاتنا بخيله وخيـلائـه ولازلنـا حتى يومنـا تحت تأثير (**الصـدمـة الحضارية**) لم نفق بعد . جاءنا الشرق والغرب فسادونا وسـاسـونـا واقـامـوا حصـارا منيعـا حول عقـولنـا . . اغتصبوها . . فكل ما يأتى من وراء البحار فهو الحضارة كل الحضـارة والتقدم كل التقدم . . أما نتاجنا فهباء . . تفـرقت الدول العربية والاسلامية بين شرقية وغربية . . وتشتت الصحب بين عديد من المذاهب بعد ان كان لا يعـرف غير مذهب واحـد هو «الاسلام» يدين به عقيدة

لحضاريتنا

وبمجتمعا وسياسة . . ولا أحسبنى متشائما ولا احسب التشاؤم يذهب بى مذهبا ولكنه تقرير الواقع وتسجيل الأمر المعاش.

ويزيد الأمر سوءا ان الولاء لما وراء البحار ـ عند بعضنا ـ قد ألغى ذاتيتنا وشخصيتنا وتفردنا بما نمتلكه من نظم واقتدار . فابناء الدولة الواحدة ينقسمون على أنفسهم شيعا وأحزابا . . ويضرب بعضهم بعضا لا لشىء الا لنصرة ما أفرغ فى روعهم من انه الحق وهل يبغى **الشرق أو الغرب غير ذلك؟ . . هل يهدف ابدا الى غير هذا التناحر والخصام؟** . . أما وقد اعتصرنا الشك فى مقدرتنا الذاتية ومنهجنا القويم فبهرنا بهرج القوم وسرنا فى مهرجانهم المعدّ على وقع أصوات الطبول . . ولا ندرى الى أين نحن سائرون وماذا يراد بنا . . ؟

ويأتى المخلصون ليدقوا ناقوس الخطر . . فالعرب فى خطر . . تحدق بهم المحن وتحيط بهم المؤامرات والدسائس . . فيجتمعون وينفضّون اثر خلاف أو خلافات . . وتجمّد قضاياهم حتى حين . . وينادى المنادى بهم مرات ومرات . . وحتما سيفيقون . . نعم سيفيقون . .

وللمرة الثانية نقول: ان كان فى القول جِدّة ففى النفوس جُرْحٌ غائر وددنا ان يلتئم ويبرأ ونعود لسالف امرنا **﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**.

فالصفاء كل الصفاء فى الوفاء لشرع الله . ان كنا اوفياء لشرع الله تتوحد قلوبنا ويتوحد ما بيننا ونقف ظاهرين على عدونا . . فان كنا نبتغى النصر فان النصر من عند الله **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾** . . وان كنا نبتغى العزة **﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾** .

وكل ما ذكرناه لا يتأتى بغير تأصيل الذات القائم على معطيات تحصيلنا وثقافتنا فى كل جوانبها وعطائها التربوى والفكرى فى اطار ديننا ومعتقداتنا وتراثنا وحضارتنا . . اذ لا يمكن لامة ان تنطلق من فراغ أو أن تبنى نفسها على قاعدة هشة . . والفكر **(الفطير)** مآله للسقوط فى الهاوية . . ونحن بحمد الله أمة لها من أمجادها **والدينية والفكرية والعلمية والدنيوية»** ما قد أقامت عليه نظم حياتها ومسيرة معاشها

وعليه فلا أقل لهذا التفرد من الالتفاف الجاد حول الفرد ونشأته . . والذاتية وبنائها . . والموضوعية ومقوماتها . . وأمتنا اليوم قادرة على هذا التوجه فهى حاملة هذا المشعل الوضيىء . . وما ثمة شىء أدعى للتوحد والتلاقى من توحد الفكر والمنهج فى أطره الثابتة . . واصوله الواضحة . . وهذا حسبنا وهذا عشمنا فى أمة مسيرتها الخير كله.

نبيه الأنصارى



كل عام وانتم بخير

إذا كان من الصعب على الانسان أن يودع عاما من عمره (١٩٨٥م) لما يعنيه من تساقط أوراق العمر فإنه أشد صعوبة وقسوة على نفسه أن يعلم أن عامه المنسلخ ذاك قد تلطخ بالدم واحتوته الكوارث والمصائب.. (حروب ـ انفجارات ـ زلازل ـ براكين ـ قرصنة ـ اختطاف ـ انهيار سدود ـ حوادث طائرات) وهذه الأخيرة وحدها بلغت احصائياتها (٢ر٠٠٠) قتيل ووسط هذا الركام من البلايا يطل برأسه عام جديد (١٩٨٦م) وعلى شفتيه ابتسامة فأل حسن.. كل عام وانتم بخير

المؤتمر العالمى الرابع للسنة والسيرة النبوية

عقد المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة فى الفترة من أول نوفمبر حتى السابع منه ـ وشارك فى المؤتمر أكثر من مائتى عالم مسلم من شتى بلاد العـالم.. وقـد جرت خلال جلسـات المؤتمـر منـاقشـات مستفيضة لجهود علماء المسلمين فى جمع وحفظ السنة النبوية الشريفة.

ومن البحوث التى قدمت ونوقشت فى المؤتمر.. بحث للدكتور «رجاء ياقوت» بعنوان «**سُنَّة الله ومحمد خاتم الانبياء**» ـ وبحث للدكتور محمد عبده يمانى بعنـوان «**القـرآن الكـريـم ونظـريـة الإعـلام الاسلامى**».. وكذا بحث للشيخ جاد الحق على جاد الحق بعنوان «اجتهاد الرسول ﴿ﷺ﴾ وقضاؤه وفتواه» كما قدم الاستاذ عبد المنعم حسن صالح بحثاً بعنوان «الرسول المعلم الأعظم والطفولة صانعة المستقبل».

وأشار المؤتمر الى تنقية السيرة النبوية الشريفة مما علق بها باعتبارها سجلا تاريخيا وهدى يُسلك طريقه ـ ويُقتفى أثره.

جائزة الملك فيصل العالمية

فى الخـامس من شهـر ربيـع الثانى ١٤٠٦هـ أعلن صاحب السمـو الملكى الأمير خالـد الفيصل مدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة الجائزة عن نتائج الجائزة فى فروعها الخمسة وهى:

«خدمة الاسلام.. الدراسات الاسلامية.. الأدب العربى.. الطب.. العلوم».

■ **وقد كانت جائزة (خدمة الاسلام) مناصفة بين:**

(١) الأستاذ رجاء جارودى من فرنسا وهو صاحب فكر نير دافع به عن الاسلام ومنهجه فى وجه اعداء الاسلام مبيناً المنهج القويم له وله فى هذا الشأن عديد من المؤلفات منها (الاسـلام يسكن مستقبلنا) و(الدور التاريخى للحضارة العربية) و(وعود الاسلام).

(٢) الأستـاذ احمـد حسـين ديدات (من جنوب أفريقيا) قضى خمسة وثلاثين عاما فى خدمة الاسلام والدعوة الاسلاميـة فى كثير من المحافل الاقليمية والدولية انشأ «معهد السلام الاسلامى» لتخريج الدعاة.. له جملة من المؤلفات.

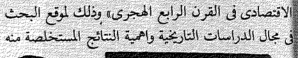
■ (الدراسـات الاسلامية) فاز بجائزتها الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى من العراق ـ عن كتابه وتاريخ العراق

اكاديمية الملك فهد فى لندن

المسلمون فى البلدان التى يمثلون فيها أقلية أحوج ما يكونون الى منشآت ومؤسسات اسلامية تعلمهم دينهم وتربطهم به . . واستجابة لهذا الوازع الدينى المتصاعد أبدا أنشىء فى تلك الدول عدد من المعاهد الاسلامية والمراكز.

وعلى طريق توسيع دائرة المد الاسلامى تأتى أكاديمية الملك فهد فى لندن وهى وقف تربوى. اسست بأمر من جلالته وبتمويل من مصادر المملكة العربية السعودية وهى مفتوحة لأبناء المسلمين ولجميع الاعمار حتى مرحلة الالتحاق بالجامعة توفر لهم أعلى مستوى من التعليم
- تستخدم فيها أحدث المعدات والاجهزة الدراسية.





الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى» وذلك لموقع البحث فى مجال الدراسات التاريخية واهمية النتائج المستخلصة منه





رجاء جارودى



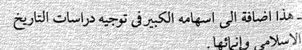




د. عبد العزيز الدورى — احمد حسين ديدات — محمد بهجة الاثرى



د. البرت رينولد — د. مايكل — د. جيان فرانكو



- هذا اضافة الى اسهامه الكبير فى توجيه دراسات التاريخ الاسلامى وإنمائها.

■ جائزة الادب العربى كانت من نصيب الاستاذ محمد بهجت الأثرى (عراقى الجنسية) وذلك لما حققه من كتاب (خريدة القصر وفريدة العصر) لمؤلفه العماد الأصبهانى وحقق منه اربعة مجلدات عن شعراء العراق. وقد كان عمله صورة جيدة للتحقيق . . وللأستاذ بهجت الاثرى اسهامات عديدة فى مجال اللغة العربية والأدب.

■ **جائزة الدراسات الطبية فاز بها مناصفة كل من:**

(١) الدكتور جيان فرانكو بوتاترو الايطالى الجنسية فى بحوثه عن المناعة الذاتية فى مرض السكرى من النوع الاول الناتج عن تسببها فى نقص افراز الأنسولين ومجموعة دراساته الأخرى عن السكرى.

(٢) الدكتور البرت رينولا مؤسس مركز السكرى بجامعة جنيف . . له اسهامات عدة فى فهم داء السكرى وآليته ومعالجته منذ أواخر الاربعينيات . . وكانت اسهاماته العلمية فى مركز السكرى انطلاقة . . لبحوث دقيقة ومركزة عن هذا المرض.

(٣) ليليوأورش . . فكانت لعمله الرائد على تركيب جزيرات لانغرهانس وآليتها الحيوية . . وقد ادى عمله هذا إلى معرفة تركيبها وبالتالى وظيفتها الفسيولوجية مما أغنى المعرفة العلمية بالنسبة لهرمونات البنكرياس.

■ وقد فاز بجائزة العلوم عن (الكيمياء الحيوية) الدكتور مايكل جون بيردج (بريطانى الجنسية) وذلك عن انجازه الممتاز فى حقل (بيولوجيا الخلية) الذى يتمثل اكتشافه مراسلا ثانيا يتحكم فى ضبط انشطة الخلايا ويقع عليه مسؤولية تنظيم نشاط الخلية وهو فتح علمى جديد يشكل مبدأ اساسيا لتعميق معرفتنا بكيفية نمو الخلايا.

الاجتماع الأول لوزراء الأعلام بدون مجلس التعاون

فى نهاية الشهر الماضى عقد وزراء الاعلام والثقافة بدول مجلس التعاون اجتماعهم الأول فى مقر الأمانة العامة لدول المجلس فى الرياض.. وتناول الاجتماع تقريرا شاملاً أعدته الأمانة العامة عن مسيرة التعاون الاعلامى بين دول المجلس فى جميع المجالات والوسائل الاعلامية.. تنسيق التعاون فى مجال الاعلام الخارجى خاصة فى التصدى للافتراءات والأكاذيب التى تواجهها دول المجلس من الاجهزة الأجنبية.. وناقش الاجتماع كذلك توصيات الاجتماع الثانى لوكلاء وزارات الاعلام بمجلس التعاون.. وتوصيات الاجتماع الاول لمديرى تلفزيونات واذاعات المجلس.. وغيرها من الأوراق المقدمة فى مجالات الاذاعة والتلفزيون والوكالات والصحف والمطبوعات والتعاون الفنى وتبادل الخبرات وتخطيط احتياجات القوى العاملة من الكوادر الوطنية..

محكمة العدل الاسلامية

مؤتمر القمة الاسلامى الثالث الذى عقد فى مكة المكرمة والطائف عام ١٩٨١م أوصى باقامة محكمة عدل اسلامية لحل النزاعات بين الدول الاسلامية الاعضاء بالمنظمة.. كما اوصى بضرورة اصدار وثيقة تتضمن (حقوق الانسان فى الاسلام).. وبدءاً فى مشروع هذه (المحكمة) عُقدت عدة اجتماعات فى مقر منظمة المؤتمر الاسلامى للجنة الخبراء لدراسة مشروع ميثاق المحكمة.

برنامج «السعودية» التدريبية

على طريق سَعْوَدة العمل الوظيفى وتهيئة الشباب للعمل المنتج الخلاق تزامن التحاق ٢٤٠٠ طالب بهذا البرنامج العصرى المتطور الذى تنظمه الخطوط العربية السعودية مع التطلعات الكبيرة والآفاق الرحبة التى تشهدها «السعودية» بين حين وحين مما اهَّلَها لان تكون ذات القيادة وصاحبة الريادة فى عالم الطيران المكثف.



أ. على الشاعر — أ. أحمد مطر

٦ر١ مليار سكان العالم عام ٢٠٠٠؟

اوضحت الدراسات التى قامت بها الامم المتحدة ان عدد سكان العالم سيبلغ مع نهاية القرن الحالى ٦ر١ مليار نسمة وان اعلى نسبة ستسجل فى دول العالم الثالث حيث تمثل هذه الدول وحدها نسبة ٨٠ فى المائة من التقديرات المحتملة لنهاية القرن.

وفى تقرير للمجلس الاقتصادى والاجتماعى للامم المتحدة اشار الامين العام للمنظمة انه على الرغم من انخفاض نسبة النمو الديموغرافى فان عدد سكان العالم فى ارتفاع كبير ويحتمل ان تعرف الفترة ما بين ١٩٩٥ و٢٠٠٠ ميلاد ٨٩ مليون نسمة.. واشار التقرير الى ان النسبة الحالية للنمو الديموغرافى تقدر بـ ١٦٥ر١ فى المائة سنويا مما يبين ان هناك انخفاضا محسوسا قد سجل بالمقارنة مع النسب المسجلة فى الستينات

وأضاف التقرير بأن السنوات الخمس الاخيرة عرفت ارتفاعا نسبيا قدر بـ ٣ بالمائة فى افريقيا و٩ر٢ فى اسيا الغربية و١ر٢ فى اسيا الجنوبية و٤ر٢ فى امريكا اللاتنية.

المجلس العالمي للمساجد



والمسجد، هذا المكان المقدس له رسالته وأداؤه في الحياة الاسلامية. واستمراراً وتعميقاً لهذه الرسالة الخالدة انشيء المجلس الأعلى العالمي للمساجد برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وعضوية (٦٠) عضوا من عديد من دول العالم الاسلامي.

هذا المجلس عقد دورته الحادية عشرة في بداية الشهر الماضي في مقر دار الضيافة التابعة لرابطة العالم الاسلامي.

وافتتح اعمال هذه الدورة صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز امير منطقة مكة المكرمة نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.

مؤسسة الملك عبدالعزيز الاسلامية

في اطار المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز الذي عقد في نهاية شهر ربيع الثاني اعلن جلالة الملك فهد بن عبد العزيز عن انشاء (مؤسسة الملك عبد العزيز الاسلامية) وهي اضافة جديدة تؤدي دورها المتميز في توسيع دائرة الثقافة الاسلامية ومعطياتها وفي خدمة الثقافة والمثقفين في هذا الاطار الاسلامي الخالد.

● الأمير تركي يتبرع بشراء مسجد في كندا

إن من أخلد الاعمال وأبقاها عملا ما جاء لخدمة المسلمين ونفعهم واعلاء كلمة الحق سبحانه.. ومن هذا المنطلق جاء تبرع صاحب السموالملكي الأمير تركي بن عبد العزيز بشراء مسجد في كندا بالقرب من ولاية (امستردام) حيث كان مقر هذا المسجد معروضاً للبيع في المزاد ليكون مركزاً اسلامياً ومصدر اشعاع للاسلام وملتقى للمسلمين لتلاوة كتاب الله والتفقه في الدين.. وهذا المركز يستفيد منه اكثر من ثلاثة آلاف مسلم في الولاية.. وينظم المركز حلقات دراسية في الدين الاسلامي واللغة العربية.. وسيساهم سمو الأمير في دعم برامج هذا المركز ونشاطاته.

الامير تركي بن عبد العزيز



الكلية الزيتونية وملتقى الشيخ عاشور

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أحد الرواد والأعلام فى الدراسات الاسلامية واللغوية وله من الجهود العلمية والفكرية ما اثرى المكتبة الاسلامية بفيض من انتاجه العميق والغزير وتوجها بموسوعته الضخمة فى تفسير القرآن الكريم التى تعد من روائع الاعمال الاكاديمية المعاصرة.. وفى (الجامعة التونسية) نظمت الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين فى الشهر الماضى ملتقى فكريا كبيرا بحضور عدد من العلماء من العديد من الدول العربية وكان الملتقى مهرجاناً فكريا عقدت فيه الندوات والقيت المحاضرات.

مواليد الفضاء.. مستديرون

الاطفال الذين سيولدون على سطح القمر او فى احد المراكب الفضائية او فى المحطة المدارية الفضائية سيختلفون عن الاطفال الذين سيولدون على الارض.

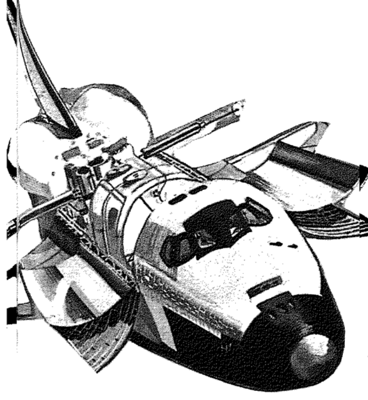
هذا ما يبحثه حاليا فريق من العلماء الذين يعملون فى وكالة الفضاء الامريكية «ناسا».

وقد ارسلوا مجموعة من الفئران فى احدى المراكب الفضائية فى ابريل الماضى وبعد عودتها الى الارض باسبوع تبين ان نمو هذه الفئران يختلف عما كانت عليه فقد ظهر ضمور عظمة الذراع بنسبة ١٤٪ كما ان نسبة ليونة حركة مفاصل الزراعين انخفضت الى ٢٨٪ مما يشير الى ان مواليد الفضاء سوف يأخذون شكلا دائريا فى عظامهم ويكونون اقل حجما من امثالهم على الارض.

العلامة الشيخ محمد بن عاشور

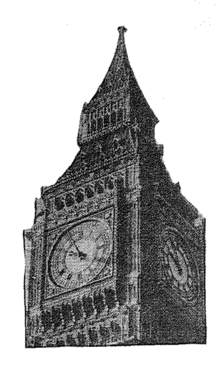
مجالس البحث العلمى العربية

فى بغداد انعقد الاجتماع التاسع لاتحاد مجالس البحث العلمى العربية ودارت اعمال الاجتماع حول تعريب المصطلحات العلمية والفنية.. وحول بنود خطة التنسيق والتعاون بين مجالس البحث العلمى العربية ونظيراتها فى العالم.

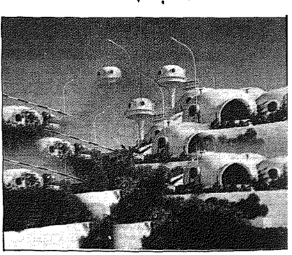


العجوز المتصابية

عمرها (قرن ونصف القرن) ١٣٨٤م - ١٩٨٦م وان اردت الدقة فزد عامين - تسمع دقات قلبها بوضوح وأنت متكىء على أريكتك على بعد (عشرة أميال وأنت تحتسى كوب قهوة. . علتها تجاعيد (قرن من الزمن) فاجريت لها عملية تجميلية ١٩٣٤م أبانت صفحة خدها فتعاود المسير متباهية ويمضى نصف قرن فتجرى لها عملية تجميلية ثانية ١٩٨٥م وزينت أطرها وخطوطها وأرقامها بمساحيق ذهبية الألوان ولا تسل عن كلفتها (فمن خطب الحسناء لم يغله المهر) فقد حرر لها صك مالى بمبلغ (مليونا جنيه استرلينى) لتستقر هامتها فوق الـ ١٢٠ مترا. . ونسمع مذيع النشرة (اللندنية) يقول أعلنت ساعة (بج بن).



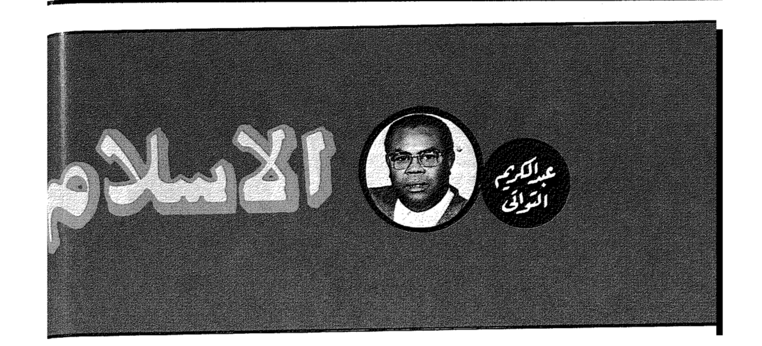
قباب الباحة



على قمة جبل مهران المطل على تهامة الذى يتميز بجوه المعتدل وموقعه الرائع وهوائه النقى أقيمت هذه القباب آية من الفن والروعة والجمال لتمثل احد المشاريع السياحية الجذابة فى امارة الباحة. . فيها السعة لزوارها من حيث الاقامة وفيها سحر الطبيعة وجمال المنتجع.

ترميم القلاع والحصون العمانية

التراث ومتعلقاته أصبح اليوم ذاكرة الماضى يختزن بين طياته تاريخا وأمجادا وحضارات تحتم الحفاظ عليه. . والقلاع والحصون فى سلطنة عمان لها تاريخها الحافل. . وفى هذا المجال يوضح الأستاذ فيصل بن على آل سعيد وزير التراث القومى والثقافة العمانى أن الوزارة انتهت من ترميم بعض القلاع العمانية منها: **حصن بدير - قلعة الراوية - قلعة مطرح - بيت السيدة مزنه - قلعة الرستاف - حصن بركا - حصن شناص**. . وتعمل الجهات المسؤولة على تأثيث هذه القلاع بالصناعات الحرفية والتحف الاثرية والمطبوعات النادرة. . واقامت الوزارة متحفا للتاريخ الطبيعى يضم حيوانات وطيورا وحشرات مختلفة.



تؤكد خلاصة الفلسفة الانسانية لدعوة الاسلام وفى عمومها وشمولها ـ أن الانسان اخو الانسان لا يظلمه ولا يخذله.. وأن أفراد الامة الاسلامية جسد واحد ما يصاب منه عضو حتى تتداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ـ كما هو تعبير سيدنا محمد نبى الاسلام عليه السلام، وكما هو الواقع.

ثم اذا كانت بعض الفلسفات غير الاسلامية تقف فى ابحاثها عند حدود الايديولوجيات والنظريات الطوباوية والافكار الاتيوبية فان الفلسفة الاسلامية ـ على العكس من ذلك ـ تصر على أن لا يقتصر مجالها على شحن الافكار بالعقائد والمذاهب والنظريات وانما يجب ان تتعدى ذلك الى العمل على ابراز تلك العقائد والافكار الى الحياة الواقعية المعاشة مع اعطائها الوسائل العلمية لابراز مضامينها الى المرئى المحسوس.. وبالاضافة الى ذلك تعتبر تطبيق تلك العقائد والنظريات اوامر اجبارية لا يمكن التهاون فيها.. بل لا يمكن التخلى عنها لمن يريد صلاح دنياه ويرجو تلك الدار الآخرة المجعولة للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا..

وبتقصينا لابعاد ومجالات تلك الفلسفة ننتهى الى انها تتلخص فى ركيزتين اثنتين: **الاولى** عمومية المسؤولية **والثانية** اجبارية العمل.

عمومية المسئولية

اما الركيزة الاولى فيعالجها الاسلام من زاوية التأكيد على ضرورة قيام اخوة اسلامية حقيقية بين جميع افراد وخلايا المجتمع.. ذلك لأن رسول الاسلام قد خبر النزعات البشرية قبل أن يكون نبيا ورسولا بما شاهده وعايشه فى مجتمع قريش التجارى.. ومن رحلاته مع عمه ابى طالب.. وفى تجارة خديجة.. وتيقن أن خير البشرية فى تآخيها وتآلفها ولذلك فإن الخطر كل الخطر هو انعدام الشعور بالمسؤولية أمام الآخرين وهذا يوجب ان تقوم فى المجتمع كفالة بمسؤولية الفرد امام الجماعة



ومسؤولية هذه امام ذاك.

لهذا فالاسلام ـ حين اراد ان يبنى مجتمعه ـ كانت اللبنة الاولى التى وضعها فى أساس هذا البناء وكان الحجر الاساسى لتماسك هذا المجتمع هو (**الدعوة الى الاخوة**) فى اقوى وامتن صورها.

والانسان حين يؤمن بهذه الاخوة يجد معها وفيها الايمان بالمحاسبة الحتمية بانه عضو فى جسد كبير. وبان الآخرين هم أيضا اعضاء فى جسده ثم هو بهذا الايمان لن يتحمل او يتصور ـ بالضرورة ـ لانفسه ولا أحدا سواه ان يُدخل عمدا وعن سبق اصرار ـ ضرراً على هذا الجسد الذى هو أنت فى صورك المتعددة شكلا ولونا وربما حجما. المتحدة مضمونا وحقيقة.. ثم بالضرورة كذلك ستسعى بكل ما أوتيته من قوة وارادة لتقدم لهذا الجسد كل الحيويات والفيتامينات وكل الطاقات المفيدة للحفاظ عليه لانه يكّون الكيان الاساسى لوجودك على هذه الارض.

ثم انك حين تصل الى الايمان بانك عضو أساسى وفعال فى هذا الجسد الكبير ـ الذى اخوانك من بنى الانسان ـ فانك ـ ولا شك ـ ستتخلى عن التفكير فى اتيان شىء قد يضر أحد أعضائك الاخرى مهما كان هذا الشىء بسيطاً وتافها.. ومهما كان مغريا.. او بدا ـ فى ظاهره ـ انه يحقق اغراضك الشخصية.

ومن هنا أراد الاسلام ان يفرض وراء الشعور بهذه الاخوة وفى حرية ويقظة ضمير حساسية مرهفة موجبة لا سالبة.. ان يفرض على الانسان رقابة من نفسه على نفسه ثم على كل تصرفاته واعماله.

ثم عن طريق الايمان بهذه الرقابة يسعى الاسلام لحمل الانسان على اتخاذ القرار الحاسم الذى بدون التقيد به ـ مع مراعاة كل التزاماته ـ فلن يكون للعلاقات البشرية وجود حقيقى.. ولن يكون بالتالى لرخائه وسعادته مكان على هذه الارض.

وهذا القرار هو التنصيص ـ فى حزم وصرامة ـ

على ان المسؤولية عن الحياة من ادق خصائصها الى اعظم جلائلها يجب ان يتحملها جميع الافراد الذين يتكــون منهم المجتمــع كل فى دائـرة اختصــاصــه ومسؤوليــاتــه وطـاقتـه دون ابعـاد لأية خلية فى هذا المجتمع من تحملها الكامل لنصيبها من هذه المسؤولية العامة الشاملة.

ومـوقف الاسـلام من هذه القضيـة كان ـ منذ البداية ـ واضحا وصريحا ـ فلنسمع لرسوله ونبيه عليه السلام وهو يوضح الابعاد العامة والخطوط العريضة لهذه المسؤوليـة. . قال عليـه السـلام: (كلكم راع فمسؤول عن رعيته. . فالامير الذى على الناس راع وهو مسؤول عنهم. . والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤول عنهم. . والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسؤولة عنهم. . والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه. . فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

فجميع قطـاعـات المجتمع الذى يدعو سيدنا محمد الى تشييده وبنائه مسؤولة بعضها تجاه البعض الآخر من أعلى قطاع فيها الى ادنـاه الشىء الـذى يوضح ـ وبصورة لا تقبل جدلاً أو مناقشة ـ ان الاسلام يقرر: (**مبدأ عمومية المسؤوليـة**) مع تأكيده بان هذا المبدأ احد القوانين الاساسية لقيام حياة بشرية نظيفة العلاقات. . نقية الاهداف واضحة المعانى والغايات.

وهذا القانون يعنى اضافة الى كل ما تقدم ـ وفى دائرة فكرة ان المجتمع كالجسد الواحد ـ ان كل فرد يأخـذ من هذا الجسـد ما هو فى حاجة اليه ويكفيه لديمومية واستمرار الحياة فيه لاستمرار اداء رسالتها الملقاة عليها وفى دائرة طاقتها. . فى نفس الوقت الذى يعطى فيه ذلك الجسم الآخذ ـ من جهة أخرى ـ ما يقدر على أدائه من الخدمات اللازمة للحفاظ على الـدورة الـدمـوية القائمة على مبدأ الأخذ والعطاء واستبدال المواقع والمسؤوليات.

ولا شك ان هذا هو شأن الخلية الحقيقية فى جسم الفـرد الانسـانى كما يقرر ذلك علم الطب الحياتى والعضـوى. . فهى تأخـذ حيـاتهـا منـه عن طريق تفكيكها وتعطيه عن طريق هذا التفكيك نفسه ما هو فى حاجة اليه من خلايا جديدة.

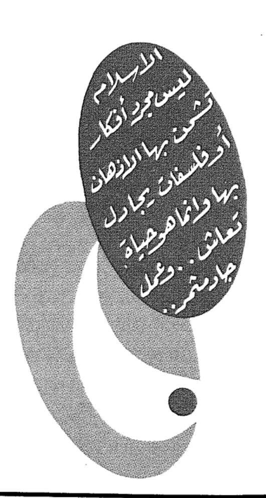
ومعنى هذا القـانون الاسلامى ـ بالنظر الى الواقع الانسانى المجرد ـ هو ان أولئك الـذين يرفضـون ان يتحملوا قسطهم الكامل من هذه المسؤولية لسبب من الاسباب بمثابة الشحم الـزائـد فى الجسم ويجب التخلص منـه اذا اريدت استقامة الحياة فى هذا الجسم وله.

ومن هذا المنطلق ايضـا أقـام الاسـلام مقاييس المصلحة والمفسدة فى مجتمعه وبناء على مبدأ الطاعة والعصيان للأوامر والنواهى. فكل شىء فيه صلاح الجسد العام ويعمل على حفظ خلية الحياة فيه يجب ان يعتـبر طاعة يستحق صاحبها الرضى والرضوان والتقدير والاحترام وكل شىء فيه فساد ذلك الجسد ويأتيه الفرد عن طواعية ومعرفة واختيار يجب ان يعتبر معصية وبعدا عن السداد ومن ثمة يستحق مرتكبه

.. رد والحرمان ويتحمل وحده نتائج عمله والجزاء من جنس العمل.

ويفضل هذه الحساسية والرقابة من الانسان على نفسه اراد الاسلام ان يبنى ويقيم العلاقات البشرية على تمازج الروح والمادة متصلتين متوازيتين مع الاصرار على عدم اقامة تلك العلاقات على خصوص المادية المجردة عن الروح.. اذ هما معا ـ فى نظر الاسلام اساسان للوجود ذاته وعلى فكرة ان احداهما مكملة للاخرى.

وبفضل هذه الحساسية والرقابة من الانسان على نفسه أراد الاسلام قيام مجتمع متكامل متكافل وهكذا فالاسلام ـ بهذا الاعتبار ـ لا ينظر الى عمل الفرد من حيث مقدار انتاجه فحسب ولكن يريد منه قبل ان ينتج القليل او الكثير ان يكون مطيعا لأوامر الله ونواهيه.. فاضلا فى تقديراته واعماله الخاصة والعامة.. شريفا فى اهدافه ووسائله.



فاذا كانت الرأسمالية الغربية لا تفكر فى الفرد الا من حيث ما يدفعه لينتج أكثر.. ثم لا عليها اذا كان هذا الفرد من جهة اخرى احد العناصر الفاسدة وحتى المخربة التى تنخر جسم المجموع.

واذا كانت الاشتراكية الاوروبية وربيبتها الشيوعية لا تهتمان ـ هما الاخريان ـ بالفرد ولا تنظران اليه الا من جهة المحافظة له على وجوده المادى ضمن قانون المادية التاريخية الصرفة.. ثم لا على هذا الفرد من حرج ـ فى نظرهما ـ ان يؤمن بالقيم الانسانية العليا أو أن يكفر بها.. اذا كان ذلك كذلك فان الاسلام من جهته يوجب ان ينظر الى الفرد ـ وهو يطأ عتبة الحياة على انه كل شيء واليه يتوجه الاهتمام ضمن المجموع وان الحياة نفسها بما فيها من متع ولذات لم تخلق الا لسعادته وهنائه.

ثم اذا كان كل من الرأسمالى والشيوعى (يهمه ـ مثلا ـ ان ينتج العامل الاجير الخمر ـ وان كان هو المستهلك لها ـ ما دام الانتاج يضمن لهما اكبر الارباح فان الاسلام يرى ـ خلافا لذلك ـ ان أى عمل قد يؤدى بطريق مباشر او غير مباشر الى خراب أية خلية من خلايا المجتمع يجب ان لا يكون له وجود فى محيط الاسلام ومجتمعه.

ثم اذا كان الاقتصاد الاوروبى بنوعيه: الرأسمالى والشيوعى.. يريان ان اهم مجالا تها واعظم اهدافهما انما هو فيما تعنيه هذه الكلمة: (الارباح بأبسط التكاليف) فان الاسلام يرى ويقرر - فى صدق واخلاص - ان المصلحة الانسانية هى كل شىء دون مراعاة شىء سواها.. ثم هو يعدُ - ووعده الحق - ان كل عمل هو ربح اذا روعيت تلك المصالح الانسانية فى حدود الوجهة الاسلامية بل ويضمن الربح المزدوج **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فَلَنُحْيِيَنَّه حياةً طيبةً ولنجزينَّهم أجْرهُمْ بأحسنَ ما كانوا يعملون﴾** النحل الآية: ٩٧.

ثم عن طريق الشعور بهذه المسؤولية يعالج الاسلام اعظم خطر يهدد المجتمعات بالانهيار.. ويشل فيها حركة العمل والانتاج.. وتتعطل بسببه الحياة الاقتصادية كلية وتعجز عن اداء مهمتها الحقيقية وهذا الخطر الذى نعنيه هو خطر البطالة فكل من الرأسماليين والشيوعيين يعترفون بان البطالة هى الخطر الاشد فتكا بكل نظام اقتصادى لا يعمل بحزم وتصميم على تلافيها والقضاء عليها فى المهد. والاسلام - كعادته دائما - لا يعالج هذا المشكل الاقتصادى اقتصاديا فحسب فيقرر - كما تفعل الانظمة الاقتصادية الوضعية الحديثة - الزيادة فى الانتاج.. او تحسين وسائل الانتاج.. او بفرض الضرائب التصاعدية ثم ينتهى عمله.. ولكن الاسلام - الذى قد يعمد الى تلك الوسائل كلا او بعضا حسب الظروف والاحوال يعالج المشكل فى نفس الوقت عن طريق اشعار الفرد المسلم بمسؤولياته امام نفسه وتجاه الآخرين. فاذا كان من بين مسؤولياته ازاء نفسه ان يعمل ليشعر بالسعادة والاستقرار البيتى وليتلذذ بمختلف مباهج الحياة التى اخرج الله لعباده والطيبات من الرزق فان من بين مسؤولياته تجاه الآخرين - من الوجهة الاسلامية - ان يعمل.. وعمله هذا واجب لتوفير ما يجب ان يوفره لنفسه وأسرته الضيقة. ولهذا فالاسلام لم يترك داء البطالة بدون علاج ولم يتغافل عن مضاعفاته ومخلفاته السيئة.. لقد عالجه عن طريق امر المسلمين جميعا بالاحسان الى الآخرين والتصدق عليهم.

و الاسلام من جهة أخرى ينبه هذا الفرد المأمور بالتصدق والاحسان فى نفس الوقت الى ما فيه من طاقات بناءة انسانية اذا استجاب لنداء الله.. ومن هنا رأى الاسلام ان لا يترك هذا الفرد سدى دون توجيه وارشاد فى حالة عدم وجود عمل ما.. هذا العمل الذى هو احد الشروط الاساسية لوجود ما يضمن لكل فرد حاجياته. اعنى قيام الدولة الاسلامية.

ولتحقيق هذا الشعور بالطاقة يدعو الاسلام: الفرد المسلم الى القيام بأى عمل فيه شعور بالمسؤولية وشعور بوجوب الانصهار فى بوتقة المجموع.. حتى اذا تعطلت كل المنافذ للحصول على هذا العمل كان على هذا الفرد العاطل أن يبث الايمان والمعروف.. وأن يدعو الى الخير والاحسان.. وأن يبتعد عن الزور والآثام.. وأن يتجنب مواطن الضعف النفسى والزلل القلبى بأن يفوض أمره الى الله واهب الحياة وضامن الارزاق فيما يخص معتقده واما فيما يخص

..لاقاتـه بالآخـرين . . فعليه ان يبتعد من عناصر ..سوء وان يتجنب معاشرتهم .

● وفى هذا المضمـون يقول سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ : *«على كل مسلم صدقة . . قالوا : فان لم يجد؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا : فان لم يجد؟ قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانه له صدقة»* .

وقال : «كل سلامى عليه صدقة . . الى ان يقول :



الكلمة الطيبة صدقة . . واماطة الاذى عن الطريق صدقــة . . ودل الطــريق صدقـة . . ورد الســلام صدقة . . ويعين احدكم اخاه على ركوب دابته صدقة» .

حين يؤمن الانسـان بمسؤولياته امام الجماعة وتؤمن هذه بمسؤولياتها القانونية والادبية تجاه خلاياها التى تتكون منها اى الافراد ـ فان الجميع يحسون ان عليهم ان يسعوا ـ فى شبه ارادة جماعية مصممة هادفة ـ الى ما يخلق التنـاسق والانسجام اللازمين لوجود مجتمع تتحقق فيه رسالات كل اعضائه ويسود بينهم التكافل والتكامل .

اجبارية العمل

أما الركيزة الثانية : أى العمل الاجبارى فالاسلام

واذا كان من المحقق ان قانون الحياة العام ينبثق عن القاعدة التى تؤكد ان الجمود معناه الموت . . وان الحياة هى حركة دائمة دائبة فى مختلف الاتجاهات فان الافراد الذين يكونون المجتمع الاسلامى لن يسمحوا لا لأنفسهم ولا لبقية اخوانهم بالتعطل عن العمل او بالوقوف على الجوانب اللينة منه بينها يتحمل اخوانهم

الآخرون للمشاق.

ومن هذه الحتمية المنبثقة عن ايمانه بقوانين الحياة ينطلق الاسلام فى ايجابه العمل على كل الافراد.

ولكن قبل ان نمضى فى الحديث عن الفلسفة التشغيلية فى الاسلام نرى ان نلقى نظرة عابرة ولكنها دقيقة على فكرة العمل والشغل.. وعلى الحركة العمالية بصفة عامة فى المجتمعات الحديثة وفى موقف المذاهب الاقتصادية غير الاسلامية ـ ونتعرف فى نفس الوقت على الخطوات التى انتهجتها تلك الحركات وهى تسعى دؤوبة لاثبات وجودها.

والملاحظة الاولى فى هذا المضمار تؤكد ان الحركة العمالية فى المجتمعات غير الاسلامية انما انبثقت كرد فعل على المظالم الاجتماعية وما حملته هذه المظالم فى طياتها من تمايز طبقى.. ذلك لان طاحون المادة التى اجتاحت تلك المجتمعات واخفت فى هديرها كل صوت غير رنين المال الذى كان ـ وما يزال فى تلك المجتمعات ـ مقياس قيام هذه الطبقات.. قد اضاع كل صوت لغير المادة.

ورجال الكنيسة لم يتقيدوا بشعارات المسيح المقدسة تلك التى تتعلق بالمساواة بين جميع الناس وبحرية العقيدة وحرية الرأى والتعبير فكان ذلك مع ما صاحبه من المظالم الاجتماعية التى كانت تسود اوروبا ان اصبحت جميع الطبقات الشعبية فى المجتمعات المسيحية ترى فى الكنيسة عرقلة لتقدمها ونموها وبالتالى حجر عثرة فى سبيل انطلاقها نحو الرخاء والازدهار والشعور بالعزة والكرامة.

والكنيسة كان موقفها التقليدى مؤيداً على الدوام للطبقات الحاكمة تلك التى كانت تضطهد الطبقات الشغيلة بل كانت الكنيسة تدعو ـ وفى الحاح ـ الى ان الخروج عن طاعة الحكام يسخط الرب ولا يرضيه.

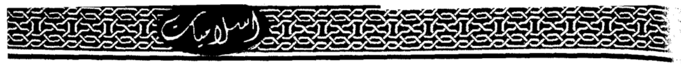
فقد جاء فى الرسالة الاولى الموجهة الى **(تيموتيوس)** يجب على الارقاء ان يعتبروا اسيادهم جديرين بكل تبجيل.. وعليهم ان يخضعوا لاسيادهم فى كل شىء.)

وجاء فى الرسالة الى الكولوسيين: (ايها الارقاء اطيعوا اولئك الذين يعتبرون سادتكم من حيث الجسد.)

وفى الرسالة الموجهة الى الايفرسيين: (ايها العبيد اطيعوا سادتكم من حيث الجسد فى خوف ورعدة.)

وجاء على لسان احد بطارنة (رانس): (ايها التبع الزموا الخضوع فى كل حين لاسيادكم.. ولا تنتحلوا الاعذار من قسوتهم او بخلهم.. الزموا الخضوع لا للخيرين ولا للمعتدلين من الاسياد فحسب بل وأولئك الذين ليسوا كذلك. ان قوانين الكنيسة لتصب اللعنة على اولئك الذين يعلمونهم المقاومة السافرة.

فكانت هذه المواقف من الكنيسة مما اضاع دعوات بعض رجالها الذين كانوا يحاولون إصلاح اوضاع العمال.. وكانت هذه المتناقضات منها مما اثار عليها الطبقات الواعية من الشعب تلك التى رأت نفسها ـ وقد حققت تقدما محسوسا فى ميدان الفكر والثقافة جديرا بالاعتبار والتقدير.



وقد أدى هذا الوضع غير المقبول ولا المشروع بهذه الطبقات للعمل على بث وزرع الافكار المناوئة لرجال الكنيسة ولتعديلها وبصورة لم تدع امام كل الطبقات الشعبية ـ مجالا للاختيار. فكان أن اندفعت تلك الطبقات الشعبية مجتمعة وفى اصرار لمناهضة الكنيسة.

واذا نظرنا نظرة وجيزة عن الحركات العمالية فى اوروبا بشقيها: الشرق والغرب وفى امريكا وما انتهت اليه من تنظيمات فانه من الضرورى ان نعرف



موقف الاسلام من مبدأ الشغل والعمل؟.

للرد على هذه الاسئلة واشباهها نبادر الى القول والاحداث والوقائع التى سنذكرها فيها بعد تؤيدنا ـ بان الاسلام قرر منذ البداية ان لا طبقات ولا تمايز ولا أفضلية ذاتية لعمل او مسؤولية على أخرى الا بقدرة القائم عليهما على التفانى فى ادائهما وعلى الوجه الاكمل والافضل والاحسن مع مراعاة المصلحة العامة وما فيه فائدة للمجتمع العام.

ونبادر كذلك الى القول بان الاسلام يقرر بان العمل فى حد ذاته شريف بل هو احسن من كل شيء سواه ولكن ما لنا ولهذا الكلام.. فلنلق نظرات على موقف الاسلام من الشغل والشغالين لنقف على مدى ما سنه من نظم ووضعه من تشريعات لنتأكد بأن عمله فى هذا الباب كغيره لم يخرج عن الاهداف والمقاصد العليا التى تخدم الانسان فى هذه الارض وتضمن له سعادته فى الآخرة وتشريعات الاسلام ـ فى هذا المجال ـ هى فى اساسها واصلها انسانية اولا وأخيرا وهى تهدف الى قيام مجتمع تتمتع فيه كل الخلايا بما تتطلبه لقيام وجودها ضمن المجموع ويتمتع فيه ذلك المجموع بما لا يجعله يطغى على الخلايا او يغرقها فى بحرين من الانانية واللا مسؤولية.

ثم الاسلام يقرر اولا وقبل كل شيء ـ وكما قلنا ـ ان العمل فى حد ذاته قيم وشريف ويوجب كل تقدير واكبار واحترام.. تقديرا يتخذ فى الاسلام أوامر إلهية ذلك لأن محمدا نبي الاسلام عليه السلام والذى يقرر حين يصف يد العامل بأنها يد يحبها الله ويسن لذلك تقبيلها وذلك فى القصة التالية: روى انه عليه السلام لقي يوما احد اصحابه فلما صافحه ووجد خشونة فى يده سأله: يا سعد وهذا هو اسم الرجل ـ ما بال كفيك قد (امجلتا) بالحاء او الجيم فقال سعد: من اثر العمل يا رسول الله.. فرفع الرسول الى فمه كفى سعد وقبلهما وقال كفان يحبهما الله ورسوله.



من هذه الزاوية وقضاء على كل خلاف يمكن ان ينشب بين العمال وارباب العمل يُحرِّم الاسلام تحريما باتا وقاطعا

استغلال العمال او العبث بعرقهم سواء من حيث المراكز الاجتماعية او منح الأجراء الاجر السماوى للجهد المبذول ودون تباطؤ او تماطل ومن كلمات سيدنا رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى هذا الموضوع: «**من استحل عرق الناس وبغى عليهم فلستم منه وليس منكم إنّه فتنة فى الارض وفساد كبير**» وفى التذييل الذى انتهت به كلمة خاتم المرسلين هذه ما يفسر كل الاخطار التى تهدد المجتمعات الانسانية والتى لا تعبر قضايا العمل والعمال ما تستحقه من الاهتمام ومن تقدير لعرقهم.. فالاضرابات الثورية التى تشل عملية الانتاج وتوقف حركة التجارة وتعطل الحياة الاقتصادية.. وما تؤدى اليه هذه الاضرابات من فساد واخطار يجملها الحديث النبوى فى قوله: «**انه فتنة وفساد كبير**».

وحيث انه من القواعد المقررة اصوليا ان القرآن والحديث يفسر بعضه بعضا فان القرآن يقول: «والفتنة اشد من القتل» ومن هنا ندرك خطورة استغلال عرق الانسان.. ثم التعبير بعرق الانسان فيه اكثر من معنى وابسط ما يحمله من عمومية مطلقة لأن المبادىء الانسانية ثابتة وحق لجميع الاناسى مسلمين كانوا او غير مسلمين.

والاسلام بعد ان اشاد بالعمل والعمال وبالصورة التى ذكرنا - يتحاشى أن ينهمك الناس على اعمال يبدو عليها العبث وغير جديرة بما علق عليها من آمال فمما يروى عن سيدنا (محمد) انه مر برجل يتعبد بالحصى وهو يردد: اللهم زوجنى الحور العين.. فقال صلى الله عليه وسلم للرجل: «**بئس الخاطب أنت اتخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى**».

أرأيتم كيف يقرر خاتم المرسلين ان النتائج تاتى ابدا حسب المقدمات؟. وان هذه يجب ان تكون فى جلالها وجسامتها بقدر جسامة ما ينتظر منها من نتائج؟ أرأيتم كيف يقرر ان لا عبث فى هذا المجتمع الذى يجب ان يكون هادفا لا عابثا.

والاسلام حين يقرر ان لا بطالة فى مجتمعه وان العمل يجب ان يكون طابعه وخاصيته لا يكتفى بالدعوة الى ذلك او يقتصر على ترديد الافكار الايتوبية الخيالية وانما يقدم فى نفس الوقت الحلول والاقتراحات المناسبة.

فهذا رجل يأتى محمدا ﴿ﷺ﴾ شاكيا التعطل عن العمل وانعدام وسائله راجيا اياه ايجاد حل لمشكله فيسأله رسول الله ﴿ﷺ﴾ عما اذا كان يملك شيئا من حطام الدنيا مهما كان هذا الشىء تافها أو بسيطا ويتردد الرجل فى الافصاح عما يملك فى بيته ويتهرب من كشف حقيقته اذ كان لا يملك غير قعب وحصير، ولكن نظرات سيدنا محمد المشجعة وما عهده فيه اصحابه من صراحة وواقعية دفعت الرجل للافضاء بحاجياته التافهة. قال الرسول للرجل فاحضر هذا القعب وحين فعل تولى محمد ﴿ﷺ﴾ بيعه فى المزاد العلنى بدرهمين.

وقال وهو يعطى الرجل الدرهمين يوصيه - (اصرف احدهما فى حاجات بيتك اما الآخر فاذهب واشتر به ادوات احتطاب ثم اذهب واحتطب.

فلم يشر على الرجل بمجرد افكار لحل مشكله ولكن لقنه درسا عمليا عن الكيفية التى يجب ان يفكر بها الانسان عندما تحل به نازلة او تحيق به كارثة.

وجاء فى الحديث: «والذى نفسى بيده ليأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره.. خير له من ان يأتى رجلا يسأله اعطاه او منعه».

وهكذا يقرر محمد ﴿ﷺ﴾ بهذا الدرس البليغ ان مبدأ العمل فى الاسلام ومبدأ قيام اقتصادياته على اسهام الجميع فى رفع مستواها لا يهدف فقط لنفع العامل وحده ولكنه يحقق ذلك وشيئا آخر أعظم وهو درء أخطار التسول والبطالة فى المجتمع الاسلامى لان التسول يوشك ان يفقد المتسول كرامته متى تَعَوَّدَ التسول ويصبح بذلك ذليلا مهينا والمسلم يجب ان يكون عزيزا (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) . . ثم اليد العليا خير من اليد السفلى الى يوم القيامة . ومن كلمات رسول الهدى فى ذم التسول قوله : **«ما زال الرجل يسأل حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم» وقوله : «المسألة كلوح فى وجه صاحبها يوم القيامة اياك والمسألة فانها هى رضف من النار ملهبة»** .

ولأجل ان يركز فى عقلية المسلمين مبدأ التفاضل بالعمل الشريف وانه هو وحده المقياس الجيد لتقدير الناس كان لا ينفك يذكرهم بمبدأ المساواة بين الناس مهما تكن مراكزهم الاجتماعية فلا سيادة بالانساب ولا بالترف الزائف ولكن بالعمل والجهاد فى سبيل مصلحة المجموع . ومن ابرز مواقفه فى ذلك هذه المشاهد الواقعية من حياته مع اصحابه رضوان الله عليهم .

فعندما ناداه بعض اصحابه بكلمة (انت سيدنا) اجاب عليه السلام غاضبا : «لا يستهوينكم الشيطان ولا تقولوا عنى سيدا انما انا عبد الله ورسوله» .

وعندما عرض عليه بعض اصحابه ان يجعلوا له ما للأباطرة والملوك فزع وقال : «لست كأحدهم انما انا رحمة مهداة» .

وعندما دخل عليه عمر رضى الله عنه ووجد الحصير قد أثر فى جنبه عليه السلام قال عمر : أفلا اتخذت لك فراشا وطيئا لينا يا رسول الله؟ قال : «مهلا يا عمر او تظنها كسروية؟ انها نبوة لا ملك» .

وبما ان من البدهيات ان العمل يقوم على عامل ورب عمل كان من الآكد اللازم - فى كل تشريع عمالى ان يضع اولا وقبل كل شىء تصميما ويؤسس قاعدة للعلاقات التى لابد ستقوم بين الطرفين وتربط احدهما بالآخر . والعلاقات التى يوجب الاسلام ان تقوم بين كل الناس لا بوصفهم عمالا وارباب عمل فحسب ولكن بوصفهم قبل ذلك وبعده أناساً وبشرا هى فى نظر الاسلام علاقة الاخ بأخيه لا علاقة عبد بسيد ولا علاقة مأمور بآمر .

ثم العلاقة الاخوية التى ينادى بها الاسلام هى تلك التى يجب ان تهدف الى المصلحة العامة والمقاصد العليا الانسانية لكل الاطراف المعنية واليكم للاستئناس نص التشريع الآتى : وراويه هو ابو ذر الغفارى قال المعرور لقيت ابا ذر بالربذة - مكان قرب المدينة كان يقطنه ابو ذر بعد عودته من الشام - وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك اى عن هذه المساواة فى الحلتين فقال ابو ذر : انى سببت رجلا وهو بلال مؤذن الرسول فيما قيل فعيرته بأمه فقال النبى ؛ «يا ابا ذر اعيرته بامه؟ انك امرؤ فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم وان كلفتموهم فاعينوهم» .

ومن وصايا الرسول فى ذلك **«لا يقولن احدكم عبدى وامتى وليقل فتاى وفتاتى هم اخوانكم فاطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون** .

ورسول الله ﴿ﷺ﴾ بعد هذا يذكر اصحاب العمل واربابه بان اولئك العمال الذين وضعتهم الاقدار فى وضعية عمال وبذلك اصبحوا واقعيا تحت رحمتهم وبين ايديهم بان هذه الوضعية لم يكن لهم

فيها يد ولو الى حد ما وانما هى اقدار وظروف وعوامل كونية وطبعية وهى التى قضت بان يكون هذا عاملا وذاك رب عمل وان يكون هذا موسرا والآخر معسرا وهذا التذكير من محمد بهذه الحقيقة يهدف الواقع الى حمل ارباب العمل على الشعور بان هذا موسرا والآخر معسرا . . وهذا التذكير بهذه الحقيقة يهدف فى الواقع الى حمل ارباب العمل على الشعور بان هذه الرحمة التى قضت بان يكونوا هناك وان يكون غيرهم فى غير مكانهم هى ابدا قادرة على تغيير الاوضاع وقلب الآيات فيجب لذلك ان لا ينسوا هذه الحقيقة حين يفكرون فى قيام علاقاتهم باولئك العمال الأجراء وان عليهم ان يحذروا تقلبات الايام وحوادث الزمان.

والتشريع الاسلامى قبل ان يطالب بهذه المساواة الانسانية يذكر الانسان باصولها ودواعيها اى ان هؤلاء الاخوان ارباب العمل والاجراء هم - فى الحقيقة والواقع - ينحدرون من حيث المنبت والمبدأ من اصل واحد هو آدم وآدم من تراب. ثم هم فى مجال العمل والشغل القيمون العمليون والمحافظون حقا على هذه الاموال وكل مظاهر المادة والاقتصاد ولهذا يرى ان يكون لهم فى تلك المواد والاموال نصيب مضمون ومضبوط ومدقق معلوم يحفظ لهم لا الاقل الحيوى فحسب ولكن المساواة مع اولئك الذين يحاولون - يدفعهم الزيف والبهتان - ان يوقعوا فى افهام الناس انهم فوق سواهم.

ويعلل محمد ﴿ﷺ﴾ هذا الالحاح فى جعل الاجراء متساوين مع ارباب العمل بان اشعارهم بهذه المساواة وابرازها لهم عمليا سيدفعهم الى زيادة الانتاج ومضاعفته حين يعلمون ان الارباح المتوخاة وراء انتاجهم ان لم يكن لهم منها حظ الاسد فهم على كل حال مشاركون فيها ثم منها سيصرف على شؤونهم اما بطريق مباشر وذلك فيما يتقاضونه من رواتب واجور او غير مباشر فيما تصرفه الدولة على عموم مرافق الأمة التى هم منها.

ويؤكد بان هاته العلاقة يجب ان تراعى ابدا الطاقة البشرية ومعدلها الوسطى ومن ثمة فلا مكان فى هذا التشريع للتكليف بما لا يطاق ولتعدى الطاقة الممكنة فيجب ان يذكر ان عليه وحده ان يتحمل نتائج هذا التعدى.

والاسلام بعد كل هذا يلح على التقيد بالنقطتين التاليتين فى كل علاقة تقوم بين الاجراء وارباب العمل.

النقطة الاولى اجور العمال:

يلح التشريع الاسلامى على ان تدفع هذه الاجور بمجرد الانتهاء من العمل يقول صلى الله عليه وسلم: «**اعطوا الاجير أجره قبل ان يجف عرقه**» وعلى ان تكون هذه الاجور مساوية لقيمة العمل على الاقل والا فدستور الاسلام - اى القرآن - ينادى بان: ﴿**لا تنسوا الفضل بينكم**﴾ على انه فى هذا الباب اى مساواة الأجور للاتعاب يمكن الاستدلال بآية البقرة التى جاء فيها ﴿**ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل**﴾ فعن ابن عباس: ان من الباطل ان تؤجر أجيرا فتعطيه خمسة وانت تعلم انه يستحق عشرة . . فالخمسة الباقية اكل لاموال الناس بالباطل . . قالوا وان رضى؟ قال: وان رضى.

النقطة الثانية تحديد السن القانونية للعمل:

والتشريع الاسلامى فى هذه القضية سبق التشريعات الحديثة اذ مبدئيا يمنع تشغيل النساء والاطفال . . ولا يقرر ذلك بدون قيد ولا شرط ولكن اذا ما شغلوا للضرورة. والحاجة يجب ان تراعى طاقاتهم وامكانياتهم الجسدية الصحية والفكرية ايضا.

وهكـذا: فاذا كان استخـدام الصبيان قد يراه بعض الناس ـ وفى بعض الحالات ضروريا او لازما لسداد بعض الخصاص فان الاسلام يحذر من مغبة النتـائج السيئـة التى قد تصيب المجتمع من جراء تشغيـل الاطفـال.. وهكـذا لم يغفـل الاشارة الى بعض تلك النتـائـج السيئـة والتى قد تسفـر عن تشغيلهم.. فمن ابرز تحذيراته صلى الله عليه وسلم فى الموضوع قوله: «**لا تكلفوا الصبيان الكسب فانكم متى كلفتموهم الكسب سرقوا**».

فقد ابان عليه السلام فى كلمته هذه ان تكليفهم الكسب قد يعلمهم السـرقـة على الاقل فى الوقت الـذى يعجـزون عن تقـديم وتلبيـة ما يطلب منهم لضعفهم الصحى وقـدرتهم غير النـاضجـة.. وفى التعبير بكلمة (تكليف) يشعر بان اساس تشغيلهم عن طواعية واختيار وبدون تكليف وفى حدود الطاقة والقـدرة لا بأس به.. وهكـذا يحتـاط ـ وهو الخبير بخبـايا النفوس إلهاماً من رب العالمين ـ من ارسال الكلام والاحكام والتشريعات جزافا.

ومحمد عليـه السلام فى معالجته قضية تحديد السن هذه لا يعـالجها من زاوية طاقة الاطفال وقدرتهم مباشرة ولكن يعالجها من حيث الكشف عما قد يكون فيها من اضرار او مصالح مما له علاقة بالمجتمع.. وليس معنى هذا انه لا يعير صحة الاطفال والمحافظة عليها ما تستحقه من عناية واهتمام.. لا.. ولا.. ولكن ياخذ الامور دائما من جانبها الانسانى العام اولا اذ متى تحقق الناس الاضـرار العـامة التى قد تلحقهم من قضية عينية فلابد انهم سيقلعون عنها وينزجرون.

وفلسفـة العمـل فى الاسـلام تهدف الى ان يصبح التشغيل والعمل اساسيا وعاما يشمل كل افراد المجتمع الانساني.. كل فى دائرة امكانه وطاقته واختصاصاته.

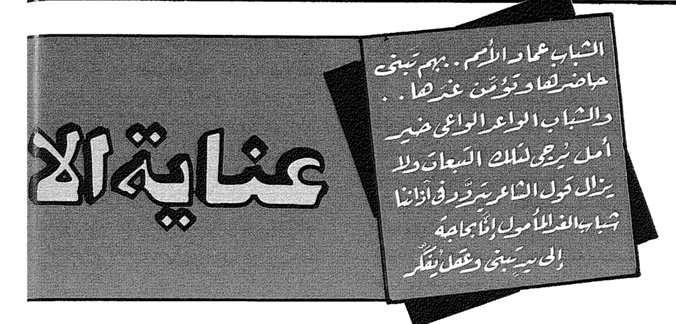
ثم ترى تلك الفلسفة ان يكون العمل اجباريا ـ ان صح التعبير ـ ولكن لا على اساس **(من لا يعمل لا يأكل)** كما ترى الشيوعية.. وانما العمل فى نظر الاسلام معناه التشبث بالحياة وتقدير قيمتها.. مع العلم بان الحياة فى نظر الاسلام تستحق كل عناء فى سبيل الحفاظ عليها وتوجيهها الوجهة الصالحة. وكانت مشاركة خاتم المرسلين اصحابه فى حفر الخندق حتى ان التراب يغطى صدره مع اشـارة القرآن لاحتراف النبى داوود عليه السلام صناعة الـدروع يتكسب منها رزقه وما يقيم به أوده مع انه كان ملكا عظيما مطاعا فى قومه كان ذلك المثالان المضروبان من هذين الرسولين العظيمين تشريعا لهذا المجتمع الاسلامى المدعو بكامل افراده الى التعبئة العامة من اجل العمل:

أولا: لنفس العمل وذاتيته بوصفه احد علائم الايمان بالحياة وجدوى الحياة.

ثانيا: لأن التعطـل عن العمـل يؤدى لنتائج سيئة وعـواقب وخيمـة من حيث انه يعطل أداء الانسان لرسالته فى هذه الأرض التى يقضى قانونها العام أن لا مكان فيها لعاطل.

وانطلاقا من هذه الزاوية يقرر الاسلام ويوجب أن لا يعفى أى أحد من أفراد المجتمع من العمل.. فالعظيم يجب أن يعمل حتى ولو لم يكن محتاجا لأن الفراغ ـ كما يقول الشاعر العربى (أبو الطيب المتنبى) مفسدة للمرء أى مفسدة.

ونبـه فى الأخير الى أن لفظة العمل تشمـل كل عمل يأتيه ابن آدم ـ وضمنه أوفى مقدمته التجارة وكلمة محمد ﴿ﷺ﴾ الحكيم: «اذهب بارك الله لك فى صفقـة يديك» كافية لاعتبار ذلك.



لقد اعتبر المنتظم الدولى هذه السنة خاصة بالشبـاب وأطلق عليهـا السنة الدولية للشباب ونحن نبين فى هذا البحث أن الاسـلام هو السبـاق دائما لكل مكرمة ومنها عنايته بالشباب وتربيته.

قال ﴿ﷺ﴾ : سبعة يظلهم الله بظل عرشه يوم لا ظل الا ظله :***امام عادل . . وشاب نشأ فى عبادة الله . . ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . . ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليـه وتفـرقـا عليـه . . ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقته يمينه . . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»*** .

من المسلَّم به أن الحياة المعاصرة تتطلب تكوين مجتمع متكامل متضامن تسوده روح الاخوة والتعاون والنصح لله ولـرسوله ولكافة المسلمين وعامتهم . . ويكون من خلال هذا ومن باب الاوليات اصلاح المجتمع بجميع طبقاته وتـوجيهـه الـوجهـة الصـالحة ليكون مجتمعا مثاليا تطبع علاقاته طوابع الدين الراسخ والمحبة الصادقة ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

وغير خاف ان الشباب عمدة من أعمدة المجتمع يتقـوى بها ان كانت راسخـة متينة وينهار ان كانت نخـرة متـلاشية . . ولذلك وجبت العناية به ليكون للأمة دواما واصالة وحسن تدبير.

والاسلام عنى بالشباب عناية خاصة تتجلى فى الإشـادة بكـل شاب طبـع حيـاته بطابع الاستقامة وروح الامتثـال والتقـوى وخـاف الله فى جميـع حركاته . . ومن خلال ذلك يخلق التوجيهات الصالحة لبناء النفس والجسم والعقل على نمط متكامل يعطى للحياة الدنيا حظها وللاخرة مطالبها ويُنَشَّأ نشأة دينية واخلاقية تبشر بالخير وتفتح طريق السعادة فى الدنيا والدين.

القرآن الكريم ينوه بالشباب

وهكذا نجد القرآن الكريم وقد خص الشباب بالتوجيه من خلال القصص التى ساقهـا تكريما للشباب الذى سبق ظهـور الاسـلام واستحق الفضـل بما جناه من كريم الصفـات وجـلائل الاعمال. يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الكهف : **﴿نحنُ نقصُّ عليكَ نبأهُم بالحقِّ انهُم فتيةٌ آمنوا بربِّهِمْ وزدنَاهُمْ هُدى وربطنا عَلى قُلُوبِهِمْ إذ قاموا**



فقالوا رَبّنَا ربُّ السمواتِ والأرض لن نَدْعُوا مِنَ دونه إلهاً لقد قُلنا اذن شَطَطَا﴾. ويقول فى آية سابقة من نفس السورة: ﴿إذ أوى الفِتْيَةُ إلى الكهْف فَقَالُوا ربَّنَا آتِنَا من لَدُنكَ رحمةً وهَيِّىء لنا مِنَ أَمْرِنا رَشَداً﴾.

فبهذه الآيات ومثلها أشار القرآن الكريم الى أن الشباب قد خلد فى الصالحات ذكره بما اوتى من عقل وتبصر فى وقت طبعت الاهواء جميع المعاملات.. وانشغل الناس بمشاغل الدنيا.. وابتعدوا عن التفكير فى الوحدانية والربوبية والاخلاص لله ربّاً.. والتأمل فى الكون وخلقه.. فخرج الشباب ليتقصى الحقيقة من خلال تدبره ومطالعته واستقرائه لأسرار الكون وما وراءها.



عبد القادر رشدي العلوي

وضرب الله المثل فى القرآن عن الشباب الطاهر النفس القوى الارادة الذى يراقب الله فى جميع تصرفاته وهو يتطلع الى الثواب والجزاء الحسن فيقول تعالى حكاية عن سيدنا يوسف وهو فى فتوته وشبابه وجماله: ﴿وراوَدَتْهُ التى هُوَ فى بيتها عن نفسِه وغَلَّقَت الأبوابَ وقالتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ معاذَ الله انّه ربِّى أحْسَنَ مَثْوَاى إنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالمونَ﴾.

والقرآن الكريم يسوق لنا القصص للاستفادة والتثبت مصداقا لقوله تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾.. ومنها نلاحظ الغاية المقصودة فى اظهار العناية بالشباب وحثه على اقتباس السنن الحسنة من ماضى الامم السابقة.

يقول تبارك وتعالى فى سورة الانبياء: ﴿*قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بآلهتِنا إنَّهُ لَمِنَ الظالمينَ قالُوا سَمِعْنَا فتى يذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إبراهِيمُ*﴾. ثم نجد لقمان وهو يعظ ابنه ويربيه ويضع أمامه علامات منيرة لكى يسترشد بها فى طريقه: ﴿*يَا بُنَىَّ أقِمِ الصلاة وأْمُرْ بالمعروفِ وانْهَ عن المنكر واصبرْ على ما أصَابَكَ إنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأمور ولا تُصَعِّرْ خدَّكَ للناسِ ولا تمش فى الأرض مرحاً إنَّ الله لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ فخورٍ واقصِدْ فى مَشْيِكَ واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ*﴾.

هكذا اهتم الاسلام بالشباب اهتماما كبيرا لا يقل عن اهتمامه بجميع أركان الدعوة الاسلامية ان لم يكن أكثر منها وليس ذلك من دواعى الاستغراب اذا سلمنا بان الاسلام جاء لتكوين مجتمع نافع اذ المجتمع كما أسلفنا لا يقوى الا بشبابه فهم دعائم اليوم وبناة الغد وآباء المستقبل. . ففى توجيههم والعناية بهم كل الضمانات الاجتماعية والحضارية. .

فقياس الامم عادة يقاس بعدد شبابها - والتعرف على خريطتهم الاقتصادية فى المهارة والاختراع والابتكار والانتاج. فمثل الشاب فى بلده قلبها النابض وحركتها المعطاءة وعقلها الموجه. . وهو الاداة المنفذة والطاقة العاملة بقوتها وتجربتها وكان عليه الصلاة والسلام يقول **«استوصوا بالشباب خيرا فانهم أرق افئدة وألين قلوبا وانى لما بعثت آمن بى الشباب وكفر بى الشيوخ».**

اهتمام الرسول «صلى الله عليه وسلم» بالشباب

فلا عجب كما قلنا ان يهتم الاسلام بتوجيه اهتمامه للشباب فكان الرسول ﴿ﷺ﴾ فى أول تحمله الرسالة يتصل بالشباب ويثق فيهم.

وكان له فيهم تطلع خاص يرى فيه المستقبل الصارخ والقيادة الراسخة والقلب المتفتح للايمان الذى لا تراجع فيه ولا خذلان. فقد روى جندب البجلى رضى الله عنه قوله: **«كنا مع النبى ﴿ﷺ﴾ ونحن فتيان حراورة (فترة الشباب القوى) فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازداد ايماننا»**. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «الزموا اولادكم واحسنوا أدبهم». . فيكون الخطاب هنا على سبيل الالزام والوجوب لان الاخلال به يكون اخلالا بما هو وارد فى القرآن الكريم: **﴿يا ايها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾. «التحريم»**

فتتحمل الاسرة بما فيها الاب والام أمانة الاحسان الى الولد وتربيته تربية اسلامية صحيحة لان المولود يولد على طبيعته فيأخذ اتجاهه وعقيدته من الوسط الذى يفتح عينيه فيه يقول عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه».

وكان **الرسول الأكرم** يقرب اليه الشباب ويجالسه ويستمع الى آرائه وأقواله. . بل ذهب الى أبعد من ذلك فلقد ولّى أسامه بن زيد وهو فى أول شبابه قيادة الجيش ليحارب قضاعة وكان الجيش بطبيعة الحال يضم العديد من الصحابة الأخيار يكبرونه سنا ويفوقونه تجربة ولم يعترض أحدهم على الرسول لانهم وجدوا فى عمله درسا من الدروس النافعة لأبنائهم من الشباب يتعلمون من خلاله تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس فى توجيه الأحداث المحيطة حتى يخبروا أهليتهم وكفاءتهم. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: (علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم أن يثبوا على الخيل وثبا) وهذا التوجيه منه رضى الله عنه مبنى على تعاليم الاسلام التى تريد أن يكون المسلم قويا فى كل شىء وهو مقتبس من قول الرسول ﴿ﷺ﴾ «المؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير».

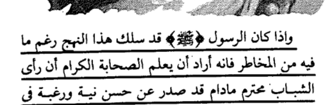
ويقدر **الاسلام** العلم والعلماء ولذلك فهو يهيب بشبابه أن يكون فى طليعتهم من يتسابق لنيل درجاته العليا. . وكان من خصائص المجتمع الاسلامى أن يتطلع الى المزيد من التعميق فى أسرار القرآن والسنة فيأخذ عن الشباب الذى طبع الله قلبه للاسلام وأنار بصيرته لادراك أسرار الآيات والاحاديث. من ذلك ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يفضل الاستماع الى شروح ابن عباس رضى الله عنه عن غيره من كبار الصحابة وشيوخهم كلما حدث ان وقع اجتماع او تدارس آية. . وكان يريد من وراء ذلك أن يفهم الصحابة أن ابن عباس رغم شبابه فانه عالم قوى الادراك. . وهكذا

... يوم ضمهم مجلس كالعادة سأل عمر رضى الله عنه ...لسين عن قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ...ى نهاية السورة فشرحها الشيوخ.. على أن الله أراد أن يبلغ رسوله أنه بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجا بعد فتح مكة وجب عليه التسبيح والاستغفار.. ثم سأل بعد ذلك ابن عباس بقوله: «وما تقول يا ابن عباس فقال: ذلك أجل رسول الله ﴿ﷺ﴾ ان الله يقول لرسوله اذا فتحت مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا فقد تمت رسالتك ودنا أجلك فاستعد للاخرة بالاستغفار والتسبيح فقال عمر ما أرى إلا رأيك».

الرسول يحترم رأى الشباب

وكان من مبادىء الاسلام اعتماده على الشورى امتثالا لقول الله تعالى: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ فأخذ الرسول الكريم بهذا الاتجاه وأعطى للشباب حظه من الرأى بل ذهب الى أبعد من ذلك ونزل عند رأيهم أحيانا لعلمه أن رأيهم يكون منبثقا من الايمان القوى والرغبة فى تحقيق الطموح المتدفق وطوى المراحل للوصول الى إحقاق الحق ونشر ردائه. من ذلك ما وقع فى غزوة أحد: فقد علم الرسول الكريم بوصول جيش المشركين الى جبل أحد زاحفا على المدينة لأخذ الثأر عن ما وقع لهم فى غزوة بدر التى فتح الله بها باب انتشار الاسلام والتعرف على شوكته التى لا تكسر فاخذ المشركون عدتهم التى بلغت ثلاثة آلاف مقاتل ومعها مائتى فارس بقيادة خالد بن الوليد ـ قبل اسلامه ـ فى وقت لم يكن للمسلمين عتاد من هذا النوع ـ فادرك الرسول مخاطر هذه المعركة وعواقبها فرأى ان يبقى فى المدينة تاركا للمشركين الهجوم عليها لتضمحل قوة الفرسان بين الأزقة ويستطيع أهل المدينة المشاركة فى الحرب ولو من فوق السطوح بالرمى بالحجارة وغيرها. غير أن الشباب المتحمسين من الأنصار أصروا على الخروج لقتال المشركين خارج المدينة فنزل الرسول ﴿ﷺ﴾ عند رأيهم ودخل بيته ليلبس درعه فعاب من وافق رأى الرسول على الشباب وعلى اصرارهم فرجع الرسول ليجد المتحمسين قد غيروا رأيهم لكنه عليه السلام قال «ما كان لرسول الله وقد لبس درعه لينزعها».

ارشاد الاسلام لكل شاب طبع حياته بطابع الاستقامة وروح التقوى وخاف الله فى جميع حركاته ..


واذا كان الرسول ﴿ﷺ﴾ قد سلك هذا النهج رغم ما فيه من المخاطر فانه أراد أن يعلم الصحابة الكرام أن رأى الشباب محترم مادام قد صدر عن حسن نية ورغبة فى

الانتصار لله ولرسالة نبيه فمجال التربية واسع يتوجب أن يكون من بين عناصره اعطاء المتربي فرصة التعبير والتجربة لان التجربة درس من دروس الحياة التي تعلم وتربي وتكون وان صح التعبير فهي معمل لاخراج أفراد المجتمع وصناعة شبابه. وقد يرسخ في ذهن الشباب تلك الاغلاط التي ارتكبها في فترة تدبيره فيستفيد منها ويتعظ بها فلا يعود الى أسبابها.

الشباب والتربية الدينية

ولاعطاء رسالتنا حقها من العناية نرى أن نلفت النظر الى أن حياة الشباب محفوفة بالمصاعب تذكيها نفحات المراهقة وأطوار البلوغ وتخلق فيها نزوات جبارة تتصارع مع الدوافع الاخلاقية الكامنة في نفس الشباب.. فاذا وجدت سبيلا للتأثير عليها كانت كارثة في حياة الشباب وسببا من أسباب خروجه عن الطريق السوى.. لذا يجب الادراك أن أخطر مرحلة في حياة الانسان خاصة هي تلك التي تلتقي فيها فترة انسحابه من الطفولة ودخوله حلبة الشباب وعليه فان التحسب لهذه الفترة الدقيقة يجب أن يكون قبل وصولها بالذات ولا يتأتى ذلك الا بتلقين الطفل مبادىء الدين وارشاده الى عواقب الخروج عنه.

فإذا تعلم الشباب وأخذ من أسرار الآيات البينات وهو في مطلع شبابه استطاع أن يحجب عن نفسه أسباب الزلل والزيغ فبقوله تعالى: **﴿فأما مَنْ طَغَى وآثرَ الحياة الدنيا فإنَّ الجحيمَ هىَ المأوى وأمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّه ونَهى النَّفسَ عَنِ الهَوى فإنَّ الجَنَّةَ هِىَ المأوَى﴾**.. يدرك الصلة بين عمله ومآله فيحجم عن ولوج ميادين الفساد والخراب - وهذا بطبيعة الحال عندما يدرك من قبل ان هذا القرآن نزل ليكون صلة بين الخلائق والخالق فهو كلامه اليهم على لسان رسوله: **﴿إنْ هُوَ إلا ذكْرٌ وقرءانٌ مُبينٌ ليُنذِر من كان حيًّا﴾**.. وليس على الرسول أكثر من التبليغ والتبيان وعلى المرء أن يختار ألى أى الطرق يسير وفى كلها جزاء ينتظره مادام السير فى الطريق يؤدى حتما الى نهايتها وصدق الله العظيم **﴿يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾**.

ومتى رسخت فى قلب الشباب وعقله أهداف الاسلام ورسالته الصادقة تشبث بطبيعة الحال - بأهدابه واهتدى بهديه وتخلق بأخلاقه وقدم نفسه فداء لدينه وعقيدته ونصرته.

فالتربية الاسلامية تحلى الشباب حال الرحمة والايثار وتنهاه عن المناكر وتأمره بالمعروف وتشرح له المضار الموجودة فى الأمور المنهى عنها والمنافع التى تتضمنها الاشياء المأمور بها وتعطيه حرية التفكير فى الاصلح وهو يتدبر قول الله تعالى: **﴿إنَّ هذا القرآنَ يَهدِى للتى هىَ أقْومُ ويُبَشِّرُ المؤمنينَ الذينَ يَعْمَلُونَ الصالحاتِ أنَّ لَهُمْ أجرا كبيرا وأنَّ الذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخرة أعتَدنَا لَهُمْ عذَاباً أليماً﴾**.

تعليم الشباب كيف يدافع عن اسلامه

فاذا نشأ شبابنا على تقوى من الله ورضوان أصبح درعنا الواقى.. وسلاحنا البتار.. وقوتنا التى لا تغلب.. فانطلق يدافع عن دينه غيرة وحماية ودعا الى التمسك به والاهتداء بأحكامه فانتشرت بفضله كلمة الله وعاد للاسلام دوره الطلائعى فى تسيير الحياة الدنيوية.. ومتى كان لنا شبابا طبع على حب ملته وادراك مكامن الدين الحنيف تعبدت الطريق أمامنا وزالت كل المسالك الوعرة لانه - بوجوده فى كل مكان - سيعبر عن حقيقة الاسلام كما أمن بها وكما تعلمها من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويدافع عن الدين فى مواجهة من يتقولون على الرسول والقرآن مصداقا لقوله تعالى:

﴿وكذلك أوْحَيْنا اليكَ رُوحاً من أمرنا ما كنت تَدرى ما الكتابُ ولا الايمانُ ولكن جَعَلْناهُ نُوراً نَهدى به مَن نشاء من عَبادنَا وإنَّكَ لتَهدى إلى صِرَاطٍ مُسْتقيم﴾ وَوردَ على الدين القويم الذى بَشرت به الكتب السابقة فى قوله تعالى: ﴿وإذْ أخذَ الله ميثاقَ النبيِّين لَمَا آتيتُكُمْ من كتاب وحكمة ثُمَّ جاءكُمْ رسولٌ مُصدقٌ لِمَا معَكَمُ لتَؤمننَّ به ولتنصُرنهُ قال أقررتُمْ وأخَذْتُمْ عَلَى ذلكُم إصْرى قالوا أقْرَرْنَا قال فاشْهدُوا وأنا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدينَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمُبَشِّراً برسَوُل يأتِى من بَعْدى اسمُهُ أحْمَدُ﴾ وأفهم أهل الكتاب ان دين الاسلام جاء بواسطة رسوله سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ ليتم ما سبق أن جاء به الرسل السابقون: ﴿إنَّا أوْحَينَا إليكَ كَمَا أوْحَينَا إلى نُوح والنَّبيين مِن بَعْده وأوحينا إلى إبْراهيم وإسْمَاعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسْباطَ وَعيسَى وأيوبَ ويُونُسَ وهارون وسُليمانَ واتَينا دَاوودَ زبُوراً﴾. ويقول تعالى: ﴿شَرَعَ لكُم منَ الدِّين ما وصَّى بِه نُوحا والذى أوْحَيْنَا إليكَ ومَا وصَّيْنَا بِهِ إبراهَيمَ ومُوسَى وعيسَى أن أقيموا الدِّينَ ولا تتفرقُوا فيه كبُرَ على المشركينَ ما تدْعُوهُمْ إليه الله يجتبى إليه مَنَ يشاء ويهدِى إليهِ مَن يُنِيبُ﴾.

ولا يمكن أن نحصر مهمة تربية الشباب وتكوينه فى المجالين المنزلى والمدرسى بل ان التطور الحالى والحياة المعاصرة والتقدم التكنولوجى جعل الامكانيات متعددة ومتنوعة فاصبح الاعتماد على تكوين الشباب دينيا مطلوبا من وسائل الاعلام مثلا، اذ بامكانها أن تضع برامج خاصة بالشباب المسلم من خلال ما يعرض من مواضيع ومحاضرات وندوات وانتاج أفلام اسلامية صرفة عن الدعوة ودور الشباب فى مطلع الدعوة الاسلامية ثم تقدم اليه توجيهات عن المحرمات والممنوعات بوسائل علمية وعملية.. ويدخل فى دور الاعلام اقامة مناظرات بين الشباب نفسه بحضور رجال العلم الاسلامى فينظم مثلا لقاء بين شابين او ثلاثة يتحدثون فيه عن دور الصلاة فى تربية النفس على الامتثال وضبط الغريزة.. ويتحدثون كذلك عن الصوم وفضائله على الجسم والعقل والروح.. ويتناقشون عن الزواج فى الاسلام واثر التنظيمات العصرية عليه.. ويتكلمون عن مضار الطلاق وآثاره ولا يهمنا أن تكون المناقشة فى المستوى العالى اذ ان الغاية ليست الثقافة كميدان ولكن تكوين ملكة البحث عن مكامن الاسلام.. وتبعا لذلك فلا معنى أن يشترط فى الشباب مستوى ثقافى عال بل يمكن أن نفسح المجال حتى الى تلاميذ الاقسام الثانوية وهم أبناء ١٥ أو ١٦ سنة.

■ ثم انه من الواجب أن نترك للشباب فرصة الاستفسار وان نعطيه جوابا مقنعا من خلال الكتاب والسنة والواقع الاسلامى وسيرة الرسول ﴿ﷺ﴾.

ويجب أن يكون اهتمامنا ونحن نؤلف قصصا أن نجعل للتراث الاسلامى قصب السبق فيها ومن خلاله نقتبس للقارىء فصولا مشرفة ومشرقة من الملاحم البطولية عند الشباب المسلم.. ولنا فى على بن ابى طالب وابن عباس وابى ذر الغفارى وخالد بن الوليد وابن عمر وغيرهم كثير المثل الاعلى للشباب المسلم فى مطلع الدعوة وبرفقة الرسول الاكرم، واذا أسرعنا الخطى وانتقلنا الى عصر ازدهار

الحضارة الاسلامية تطالعنا اسماء نعيش على طعمها ورحيقها الى اليوم فى مختلف المجالات العلمية وميدان الاختراع . . ولسنا فى حاجة الى القول بأن الخوارزمى وابن الهيثم وابن سيناء وابن رشد وغيرهم كانوا نواة من جذور الاسلام الصحيح والتعاليم الصادقة لهذا الدين .

الشباب والعلوم المعاصرة

وغير خاف مادام الحديث قد ساقنا الى ميدان العلم والمعرفة ان نذكر ان دين الاسلام حمل راية الانطلاق فى التسابق الى العلم والارتواء من فيضه الدافق فى أى ميدان كان لا يهمنا منه الا الادراك والاستنباط والاستقراء فيكون من الواجب ان نبلغ شبابنا أن دعوة الاسلام ابتدأت بالاشارة الى العلم والتعليم ليفهم المسلم أن العلم نور يهدى به الله . . وبواسطته يتقوى ايمانه ويقترب من ربه وخالقه ويزداد يقينا بان عظمة الكون دليل على عظمة الخالق ـ ولا حد لعظمته ـ يقول الله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربِّكَ الذى خَلَقَ خَلَقَ الانسانَ مِن عَلق اقرأ وَرَبُّكَ الاكرمُ الذى علَّم بالقلم علَّمَ الانسانَ مالم يعلمْ﴾ . . ويقول : ﴿انما يخشى الله من عباده العُلماء﴾ . . وللدعوة الى العلم والحرص عليه قال ﴿ﷺ﴾ : «فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد» .

فالشباب المسلم وهو يتعلق بتعاليم دينه اولى الناس بان يكون مطلعاً على ما وصل اليه العقل من اختراعات وصناعات ومعطيات متنوعة وكلها من صنع العقل الانسانى الذى هو من صنع الله سبحانه وان التعرف عليها امر وجوبى لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿أفَلَمْ يسيروا فى الارض فتكُونَ لَهُمْ قُلوبٌ يَعْقِلُونَ بها﴾ ويقول : ﴿قل انظُروا ماذا فى السموات والأرض﴾ ويقول : ﴿وانزلْنا الحديدَ فيه بَأسٌ شَديدٌ ومنافعُ للنَّاسِ﴾ .

وبصفة عامة فان الشباب المسلم مطالب بالمشاركة فى كل الميادين الاجتماعية المعاصرة مع حرصه التام على أن يتبع الاصلح فيها لان شباك الاعداء وحبال المخادعين منصوبة لشبابنا فى كل مكان وشيطان الشر يترقب خطاهم كما أكد ذلك الخالق سبحانه فقال : ﴿فبما أغْويتَنى لاقعُدَنَّ لَهُمْ صراطَكَ المستَقيم ثم لاتيَنَّهُم مِن بينِ أيديهمْ وَمِنْ خَلفهمْ وَعَنْ أيْمانِهِمْ وعَن شَمائِلهِمْ﴾ .

فالمشاركة فى الرياضة والندوات والرحلات والنشاط الثقافى والفنى كالرسم والتمثيل كلها ميادين من حق الشباب أن يندمج فيها وليكون رسول اخوانه المسلمين عند بقية الشباب ويبين لهم بطريق الممارسة والتنفيذ تعاليم الاسلام وتربيته .

وذلك أن التيارات الموجودة فى الحياة اليومية والتقلبات المتوالية تتسلل الى ساحة الشباب فيتأثر باحداثها فالواجب أن نفسرها له بحسب المفهوم الاسلامى وما يراه الاسلام لها من أسباب وما يقترحه من علاج فلا يكون من المنطق أن نسد أمامه طريق التفكير فى تطوراتها لان ساحة الاسلام لا تخاف من الأهواء ولا تنخدع بالايديولوجيات .

وعليه فلا نرى بأسا أن يتعرف الشباب المسلم ـ وهو قوى الايمان بدينه ـ على مختلف الاتجاهات ويدرس أبعادها ومضمونها ليتبين خبثها وسوء طويتها ، فاذا عرف الشاب المسلم أن نظرية الشيوعية هى سلب الانسان شخصيته التى تكرم الله عليه بها وميزه عن باقى المخلوقات فقال : ﴿ولَقَدْ كرَّمنا بنى آدَم وَحمَلْنَاهُم فى البَرّ والبَحْر وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيّباتِ وَفَضَّلناهُم عَلَى كَثير مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلا﴾ . . يدرك بالبديهة أن هذا المذهب خروج عن الحقيقة الانسانية وتعطيل لدور الانسان فى الحياة . . على أنه مخلوق رزق العقل يتدبر به والقوة ليسخر بها باقى الكائنات ولم يخلق ليكون هو نفسه آلة مسخرة فى يد القوى .

حضارتنا وحضارتهم

ومن باب الارشاد أن تعطى لشبابنا نظرة توجيهية عن الحضارة فى مفهوم العالم النصرانى واليهودى واللادينى على أنها ضرب من الانحلال والتعفن وتخدير العقول وطمس الاخلاق. . وان انسانها أصبح يتطلع الى حياته الحيوانية على انها نوع من التقدم والرقى فضرب عرض الحائط بالمقومات الروحية. . ووصل الاستهتار ببعض الدول التى ترتب عندهم فى رأس القائمة وعلى سلم الحضارة والمدنية الى سن تشريعات تبيح الشذوذ الجنسى وتدافع عنه. . وبعضها يبيح الزنا ولا يعاقب عليه. . والبعض الآخر أباح الاجهاض وقتل النفس التى حرم الله. . وغير ذلك من أنواع الاستهتار بأبسط مبادىء الحياة الاجتماعية المثالية.

وكثيرة هى الأبواب التى يمكن أن نوجه منها الى الكفار طعنات تدل على خساستهم وانحطاط مجتمعاتهم ويدرك من ورائها الشباب المسلم أن الحق أحق أن يتبع وأن ديننا الحنيف هو المعيار عند اختلاط الهواجس والتيارات وان **﴿ومن يبتغ غيرَ الإسلام دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ وَهُوَ فى الآخرةِ مِنَ الخَاسِرينَ﴾**.

واشارة بسيطة وهامة يجب أن يتنبه لها الشباب ويتمسك بها وهى ما قاله عليه السلام: **«ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه» وبذلك فلا محل فيه للتطرف والتعقيد والتشدد والتضييق حتى نخرج عن مفهوم الدين الاسلامى والذى أسس على اليسر منذ أن أمر الله رسوله بالتبليغ بل بشره بانه تحمل رسالة أيسر الاديان فقال تعالى: ﴿ونيسِّرُكَ لليُسْرَى﴾**.

ومن باب تحصيل الحاصل ان نقول ان الاختلاف فى تفسير بعض الاحاديث أو بعض الآيات لا يجب أن يكون سببا فى وقوع شقاق بين المسلمين او تضارب فى أقوالهم يدفع الى نزعات وخلق الطائفية.

ولا يجب أن يكون الاجتهاد فى تفسير بعض الأقوال وحياً يجبر صاحبه الناس على اتباعه لان ذلك يعتبر تطرفا وتعنتا والواجب يفرض أن يحترم كل ذى رأى صاحب الرأى الاخر وان يكون النقاش بالموعظة الحسنة بعيدا عن الجدال العقيم والذى يجعل عامة الناس فى خلط واضطراب وينبت أسباب العداوة بين المذاهب والاجتهادات لقد علق بعض الاصوليين بقوله على قوله تعالى: **﴿وداوودَ وسُلَيمانَ إذ يحكُمانِ فى الحرْث إذ نَفَشَتْ فيه غَنَمُ القوم وكنَّا لحكمِهم شَاهِدينَ فَفَهَّمنَاهـا سُلَيْمَانَ وكُلّاً اتينا حُكْماً وَعِلْماً﴾** فقال: لولا هذه الاية لهلك كل المجتهدين ويجب أن يكون الحكم على الشىء فرع عن تصوره فلا يراد من الحكم العناد والتعصب وفرض الرأى بدون مناقشة او اقناع.

وكلمة أخيرة يجب أن يعلمها شبابنا ويؤمن بها وينشرها وهى أن الاسلام يوصى بالمحبة الانسانية ولا يضمر حقدا او عداوة لاحد مهما كان اتجاهه او دينه مادام هناك نوع من الاحترام المتبادل والتعاون الصادق والمعاملة الخالية من الدس والمكر: **﴿لا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الذينَ لم يُقَاتِلُوكُمْ فى الدِّين ولم يُخْرِجُوكُم مِن دِيَارِكُمْ أن تَبَرُّوهُم وتُقْسِطُوا إلَيْهِم إنَّ الله يُحِبُّ المقْسِطِينَ﴾**.

فاذا ظهر منهم اعداء للإسلام واتجهت نيتهم نحو النيل من تعاليمه والمس بكرامته وجب آنذاك معاملتهم بما هو مناسب لتصرفهم. . ولم يبق وقتئذ مناسبة تسمح بالتعاون معهم لان التعاون معهم يسىء الى نخوة الاسلام وكرامته. . وكل تعاون مع أعداء الاسلام ضد الاسلام وضد أمه يضع المتعاون فى صف المنافقين ويجعل مصيره مرتبطا بمصيرهم.

وذلك مصداق لقوله تعالى: **﴿بَشِّر المُنَافِقينَ بأنَّ لَهُمْ عَذاباً أليماً الذينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرين أولياء من دُونِ المؤمنينَ أيبتغُون عندهم العِزَّة فإنَّ العِزَّة للهِ جَمِيعا﴾**.

تلك اخوانى الشباب هى تعاليم الاسلام وتربيته وتلك هى الاخلاق التى جاء الرسول الكريم **﴿ﷺ﴾** ليتممها

«المغرب»

بناء الشخصية

الحقيقة الاسلامية نسيج متكامل يوائم الانسانية بكل تعقيدها فيشبع فيها جوانبها النفسية والروحية والفكرية على نحو متكامل.. ونحن الآن بحاجة إلى إنسان يرفع عنه ضغوط الفلسفات المادية واستبداد التصورات الجزئية للاسلام فيتلقى تعاليم الاسلام كما تلقاها جيل الصحابة رضوان الله عليهم ولكن كيف يمكن للمسلم أن يعدل هذا المحيط السائد أو «روح العصر» وهو مثقل بأوزار هذا المحيط منهزم تحت ضغط روحه ومناخه؟ إننا ندعوه الى قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ الأنفال: ٢٤» ونقول:

ان الفكر الاسلامى فكر متميز فى نظرته إلى الحياة وتقويمه لها ومتميز أيضا فى بنائه للشخصية الاسلامية المتكاملة.. فالاسلام يقرر وجود حقيقة مادية وحقيقة روحية فى كيان الوجود وفى كيان الانسان ومن ثم ينظم حياة الانسان على أساس واقعه المادى وواقعه الروحى لانه يريد أن يعيش الانسان حياة أطول من حياته المادية على الأرض - اى حياة لا نهائية - وهى الحياة الآخرة وهكذا يتسع نطاق الحياة ويمتد امدها.

جاء الاسلام ليعد الانسان ليكون أهلا لتلك الحياة التى خُلق لها وخُلقت له على أساس من المعرفة العقلية والمعرفة الايمانية التى تعلو فوق العقل لأنها ترتفع عن مجاله المحسوس المشاهد.. فعلى العقل أن يفكر بحرية فإذا انتهى الى غايته تولاه الايمان فيما لا مجال للعقل فيه وحينئذ يصل المسلم الى السلامة بالعقل والايمان الذى يحتفظ للعقل بقيمته الحقيقية.. فالايمان لا يلغى العقل بل يكرمه ويعلى من شأنه.. بيد أنه يلزم العقل بالوقوف عند حده فليس من حقه التطاول بغير علم ولا البحث فيما لا يدركه أما فى مجاله فعليه ان ينطق ويبحث عن الحكمة ويرقى ويرتقى قال تعالى: **﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ آل عمران:** ١٩١.

واختلاف المناهج والمعايير وطرق الوصول للحقائق يجعلنا فى حاجة ماسة إلى نظام تربوى مرتبط بالفكر الاسلامى فمثلا التربية الاخلاقية تربية مستقلة وتشمل التربية الايمانية وهى مرتبطة بأنواع التربية الأخرى عن طريق ارتباط الحقائق وازدواجها فهى تطهر النفس من الرذائل وتنمى فيها روح الخير وترتبط أيضا بالتعليم الذى يزود العقل بالمعلومات التى

الاســـــلامية

تجعله يتفاعل مع المبادىء ويؤثر فى الوجدان ومن ثم يتأثر المرء بها يتعلم نظـريـاً وعمليا فيتميز عن غير المتعلم فى مظهـره وجميـع تصـرفاته ولهذا ارسل الله الـرسول مربيا ومعلما المبادىء والحكمة معا لا مبلغا فقط . .

قال تعالى **﴿كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آيـاتنـا ويـزكيكم ويعلمكم الكتـاب والحكمــة ويعلمكم ما لم تكـونــوا تعلمــون﴾** «البقرة: ١٥١» من هذه الآية نعلم أن فساد التعليم يفسد ضمائر المتعلمين فى تصرفاتهم ولا يصلح شيئا من الفساد الاخلاقى والسلوكي . . وفساد المتعلمين يرجع فى الأساس إلى فساد المعلِّمين وغياب ضمائرهم وتلك مسؤولية يقع العبء فيها على الانسانية جمعاء ويجدر بنـا تعريف المسؤولية هنا بأنها تعنى المساءله



وهى المحـاسبة والمراقبة التى يرصدها جهاز المراقبة على أعمال الفرد الذى تسند اليه أعمال الجماعة وهذا المعنى شبه «الضمير» بالكمبيوتر الحاسب والمسجل أو رقيب الحسنات وعتيد السيئات وعليه فنحن بحاجة الى كمبيـوتـر صادق أمين يحسب ويسجل ويرصد أعـمالنـا بأمـانـة وصـدق ثم يكـون الجـرد اليـومى والاسبوعى والشهرى لاظهار نتيجة لا زيف فيها ولا ميل ولا التواء .

والتربية الاسلامية هى تنشئة الطفل وتكوينه مسلما متكـاملا من جميع نواحيه المختلفة صحية كانت أو عقلية أو اعتقادية أو روحية أو اخلاقية أو إدارية أو ابداعية . . ومفهوم التربية ورسالتها فى وقتنا الحاضر تختلف تماما عن مفهومها القديم الذى كان عبارة عن عملية اكتساب الجسم والروح أقصى ما يستطيعان بلوغــه من الكــمال أو تحقيق السعــادة عن طريق الفضيلة . . ولكنها اليوم أصبحت مجموع الجهود التى يمكن بواسطتها تحقيق الذات بقصد ضمان استمرار وجودها وتحقيق نموها .

ومن هنـا أصبحت التربية ضرورية لتوجيه تلك الأجيـال التـوجيه السليم لخدمة التنميـة الشـاملة ولابـد ان يشترك فى عملية التوجيه كل من الاسرة والمجتمع والمدرسة فى

ضوء المبادىء والتعاليم التى جاء بها الاسلام ونادى بها رسوله فلا فائدة من التقدم العلمى فى ميدان الكشف عن الحقائق إذا لم نلتزم بما نتعلم فى الحياة وما الفائدة من أن نتعلم المبادىء الأخلاقية ثم لا نلتزم بها ولهذا قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ***«تعلموا العلم فإذا علمتم فاعملوا» وقال «تعلموا العلم وانتفعوا به ولا تتعلموا لتتجملوا به» ولسوف يسأل الانسان عن علمه وعمله يوم القيامة. . قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾ «الصف: ٢»***.

وما اكثر الشرور التى تأتى اليوم - الى المجتمع الانسانى من جراء عدم الالتزام بالعلم إنها لأكثر من الشرور التى تأتيه بسبب الجهل ويرجع ذلك إلى عدم الالتزام الاخلاقى بالعلم.

والعقل هو النور الكاشف للانسان يعرف عن طريقه ما هو خير وما هو شر ما هو حسن وما هو أحسن ما هو حق وما هو باطل وبدونه لا تكون هناك حياة انسانية فنجده يوجه الانسان أولا لدراسة الحقائق من حيث كونها حقائق ثم من حيث دلالتها على الصنعة والابداع والابتكار ثم من حيث مدلول ذلك على وجود صانع مدبر خالق. . قال تعالى: **﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ «يس٣٣-٣٦»**.

ومعلوم أن الأرض كانت هامدة جرداء من الحياة فكيف ظهرت فيها كل هذه الألوان والأشكال للحياة بالنسبة لما كانت عليه وبالنسبة لغيرها من المجرات أو الكواكب الأخرى الهامدة ألا يدل ذلك على وجود الله واثبات حقائق مازالت تتكشف حتى الآن وقال تعالى: **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون﴾ «يس٣٧-٤٠»**. . وقال تعالى: **﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء﴾ «النمل: ٨٨»**.



ولعل أبرز ميدان يمكن أن يبرز فيه العقل هو ميدان الاجتهاد لأن الاسلام لا يعرقل سير هذا التطور كما يدعى خصومه ولكنه يساير التطور المتمشى مع أحكامه الى ما يصلح حال المسلمين اليوم ويسير بهم خطوات الى الامام فقد سهلت أساليب الاجتهاد ووجدت اسباب عديدة للتغلب على الصعاب التى كانت تعترض الأسلاف. . حيث ضبطت قواعد اللغة وتم تدوين الحديث وشرحت احكامه ونصوصه وفسر القرآن وبذلت جهود وتبذل فى فهمه ونشرت الكتب بكثرة فأصبح فقيه اليوم أقدر على الاجتهاد من سابقه إذا صلحت النية وصدق العزم.

واهتمام الاسلام بالتربية من الناحية الاعتقادية واضح لأن العقيدة الراسخة هى التى تدفع إلى السلوك بموجب الايمان. . واهتم بتربية الناحية الروحية التى تطهر نفس

الانسان مما يشوه جوهرها من الآثام والرذائل ومن حيث تنميتها ليستطيع الانسان الاتصال بالخالق ليستمد منه العون والاشراق والطمأنينة التى تضفى عليه البهجة فى الدنيا وتعطيه الأمل فى الحياة الابدية الآخرة ولهذا نجد الاسلام يشبه التربية الاعتقادية بالزرع قال تعالى : **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾** «الفتح : ٢٩».

وأخيراً نجد الاهتمام بالتربية الادارية والتى تفضى بتكوين الانسان القوى الارادة التى بها يحقق واجباته ويقهر نزواته وشهواته ويصبح إنساناً مثالياً خيراً يستخدم علمه وحياته فى الخير فقال رسول الله (ﷺ) **لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتباروا به السفهاء ولا تحدثوا به فى المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار» وقال تعالى :** ﴿كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ «آل عمران» : ٧٩.

إننا معشر الشباب عندما نتسلح بهذه الروح سنجد انفسنا فى الحالة نفسها التى كان عليها صحابة رسول الله لان إبداع الخالق فى جمال دينه جعله هاديا للتى هى أقوم وجعله صالحا لكل زمان ومكان ويستطيع المسلم الشاب وغيره أن يعى ما فى هذه التربية الاسلامية وفى ذلك الدين القويم من إعجاز فى العقيدة والتشريع

والأخلاق وفى دقة تقدر الله حق قدره وتقدر الانسان حق قدره بلا افراط فى حق الله أو تفريط فى الواجبات التى نحملها كمسلمين لبناء أنفسنا ضد هذه الفلسفات الغربية المبتدعة ولتتكامل وتمتزج جوانبنا العقدية والتشريعية والأخلاقية بلا فواصل ولا تقسيم بل تتفاعل تفاعلاً كاملا والاسلام أيها الشباب يوافق البدوى الساذج والمفكر الكبير وما بينهما من الطبقات ويستوعب عصر الجمل وعصر المركبة الفضائية وما بينهما وما بعدهما. ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.

وخلاصة القول أن الاسلام أعطى الانسان عطاء مناسباً لوجوده كمخلوق فلم يرفعه عن مستواه الى التقديس والعبادة ولم يخفضه عن مكانته إلى وصفه بالحيوانية أو الخضوع فى تصرفاته لمطالب العيش فقط بل اعترف باشواقه الروحية والنفسية والفكرية وجعل جانبيه المادى والروحى متكاملين ومتوازنين وهو بذلك يفتح أمام الانسان آفاقا واسعة كى يكون مطمئن القلب ساكن النفس ولن يأتى ذلك الا بالايمان بالله.

والايمان ليس مضاداً للمعرفة كما اسلفنا بل هو ظهيرها وسندها مصداقاً لقوله تعالى : **﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾**. (سبأ٤٦)

والله سبحانه يعتبر الغفلة ذنباً وعدم التفكير معصية يندم فاعلها قال تعالى : **﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير﴾**. (الملك : ١٠)

عكاظ

ثمرات و ثغرات

● ان النشاط الشبابى يتحفز للخروج من حيزه الضيق المعروف وهو التركيز على البدنية والمسابقات الرياضية الى مجال اوسع في ميادين الثقافة والرياضة وخدمة البيئة ودعم العلاقات الانسانية بين المجتمعات بغية الوصول الى مستوى طيب من الاندماج بين شعوب العالم مما يحقق التنمية والسلم .

● يجب الا تكون هذه الاسابيع مرتجلة وغير مكتملة المضمون والمحتوى بل ينبغى ان تكون متكاملة الجوانب كأن تشترك المؤسسات بدول المجلس ذات الاهتمام الخاص بالثقافة والفنون والتراث بجهودها وان تقام المعارض والمتاحف والاحتفالات الشعبية والمطاعم الشعبية بحيث يكون هذا المعسكر مهرجانا ثقافيا .

● ان الهدف من تخصيص سنة دولية للشباب انما ينبع من الشعور بالاهمية التى توليها الامم لشبابها والامال التى تعقدها عليهم

صانعو السياسة العالمية وارادة الموت :

وتحسّ الانسانية بالمأزق الذى انتهت اليه .. تحس انها تسعى نحو الهاوية بخطى عجلة .. كأنما هى تشرف على الانتحار .. تتلمس حبل المشنقة يطوق العنق واشباح شياطين الحرب تمارس ادوارها المقرعة على المسرح العالمى .. تحيل الارض مسرحا للعبث والفوضى والدمار ..

وتتفتق في ذروة الازمة العقول عن « عام دولى للشباب » سبقه « عام دولى للطفل » كأنما الانسانية تتشبث جاهدة بالحياة .. تتلمّس ما يعيد لها حيوية شبابها وبراءة اطفالها .. وتعلن من خلال ذلك كله ان ثمة سرا خطيرا يكمن وراء هذا الضياع الذى يحياه العالم .

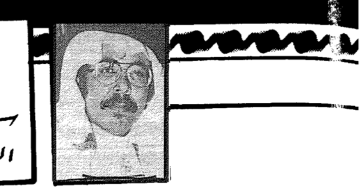
فالشباب في جوهره ايمان بالحياة وتمسك بها وحرص على كل ما يحافظ على سلامتها وتماسكها وهو من هذا المنطلق قوة ايجابية فاعلة مؤثرة غير ان الذى يحدث على مسرح السياسة ان هذا الشباب استحال الى مجرد اداة لتنفيذ ارادات قوم اغلقوا ابواب العمر وراءهم واستدبروا الحياة ولم تعد تسيرهم غير « ارادة الموت » تنخر اجسادهم نخرا فيعز عليهم – واعين ا غير واعين – ان يظل للبشرية وجود بعدهم .. لكانما الانسانية كنوزهم الخاصة يصرون على ان يصطحبوها معهم الى القبر .. ولسنا بحاجة الى ان نذكر بمدى الترابط بين عبثية الوقائع المتأخرة على مسرح السياسة العالمية وما نكابده في عالمنا العربى من « سريالية احداثها » وذلك العجوز الذى ينخر السرطان انفه وامعاءه .

ان حكمة الشيوخ في مثل هذه المواقف تتزحزح عن مكانها وتصبح فكرة شاعرية بحتة لا تقوم الا في اذهان صغار الشعراء والفلاسفة وتتمركز في مكانها « ارادة الموت » والسعى الحثيث نحوه ..

وفي هذا المأزق تقفز « فكرة الشباب » .. تأخرت كثيرا ولكنها جاءت .. جاءت تحملها فئتان من الناس

فئة تسعى الى اعداد الشباب للمشاركة في خلق الحب والوئام والسلام بين الشعوب فتصلح من امر هذه الانسانية ما فسد وتؤجل الى ما النهاية الفاجعة التى تترامى الانسانية باتجاهها ..

وفئة اخرى تحاول « تدجين » الشباب واجهاض طاقاته الكامنة عن طريق وعود صورية بالامن والخير ، تحاول ان تتلافى عن طريق هذه « الاسهامات » احداثا كتلك التى قادها الشباب ضد الحرب الفيتنامية في الستينات في امريكا او ضد المجتمعات الاستهلاكية في فرنسا في نفس تلك الفترة لانها اصبحت تدرك ان الشباب – وهو طاقة الحياة – لا يمكن ان يظل طويلا عبدا مسخرا لارادة الموت ..



* الاتجاه الى الشباب محاولة للتمسك بالحياة..

* ما الذى يعنيه اخذنا بالمفهوم التكاملى للثقافة

* هل نكتفى بتبنى الاتجاهات العالمية لعام الشباب؟

١٩٨٥ عام الشباب :

ومن هنا ـ من خلال هاتين الفئتين ـ جاءت المباركة العالمية لجعل عام ١٩٨٥ عاما للشباب وكان التركيز واضحا على جملة من الاتجاهات تكشف عما يتوخى من وراء هذه السنة من اهداف وغايات فقد كانت الاتجاهات تتحدد في المسائل التالية :

١ ـ المشاركة
٢ ـ التنمية
٣ ـ السلم

بحيث تتحرك في مجالها الانشطة ، وتدور في محورها الجهود التى تثمر عما تتطلع اليه المجتمعات الانسانية على وجه الارض .. فكاننا في « المشاركة » نوع من كسرالتقوقع الاقليمى الذى فرضته السياسات العالمية على حرية حركة الانسان وشمولية الخير الكامن في نفسه فأصبح لا يهمه على وجه هذه الارض الا بقعة واحدة يرجو لها الخير والصلاح وليلتهم الارض اجمعها بعد ذلك الطوفان ثم ما لبث هذا الاهتمام ان تجاوز الرغبة في دعم منطقة محددة ليصبح رغبة جامحة في اسقاط كل ماعدا هذه المنطقة ، وبهذا استحال الموقف السلبى تجاه الآخرين الى موقف عدائى وتمزقت الكرة الارضية الى دويلات واحزاب متصارعة متقاتلة حتى اصبح مفهوم « البشرية » و« الانسانية » مجرد قيمة تاريخية معزولة لا يتحقق لها وجود في ضوء السياسات العالمية المعاصرة ومن هنا كان مفهوم المشاركة محاولة ذكية تكسر هذه العزلة وتجاوز هذه الاشكالية .

ويأتى مفهوم « التنمية » ليعطى المشاركة بعدها الحضارى حينما تصبح سعيا حثيثا للرقى بالامم ودفعها في عجلة التقدم والخير بحيث لا تصبح المشاركة عاملا يجهض فكرة التحدى التى تنبثق منها الحضارات ، فمع قيام المشاركة تظل الرغبة في التجاوز وتحقيق الافاق العليا رغبة عميقة قوية مهيمنة ..

اما الاتجاه الثالث فانه يأتى كى يحتل مركز الثقل ويمتد ليشكل الخلفية الاساسية التى ترتكز عليها المشاركة ، وتستند اليها التنمية هذا الاتجاه الثالث هو « السلم » الذى يتجاوز كونه مجرد احد الاتجاهات او حتى الخلفية التى يستند عليها الاتجاهان السابقان عليه ليصبح الغاية التى يسعى كلا الاتجاهين الى تحقيقها بحيث تكون المشاركة والتنمية خطوتين نحو تحقيق السلم العالمى الذى تسعى اليه كل الخطوات التى تحاول أن تنقذ بها الانسانية نفسها من حبل المشنقة

وماذا عن العدل والقوة ؟

غير ان من الملاحظ ان الاحتفاء بهذه الاسس او الاتجاهات ادى الى زحزحة قيم اخرى لا تقل اهمية وضرورة عن القيم التى تم النص عليها وعلى رأس تلك القيم « القوة والعدل » وهما قيمتان مترابطتان لا سبيل الى الفصل بينهما بأى حال من الاحوال ولا مراء في اهمينها غير ان ما افضى الى « تهميشهما » هو الرغبة في تحييدهما ـ ولو مؤقتا ـ حلا لصراعات يحتاج العالم

الى التروّى قليلا قبل الاقدام على وضع حلول شاملة لها ، ومن هنا بدأ وكأن هذين الاساسين يؤديان الى تأجيل فكرة السلم التى يرى واضعو اسس هذا العام الشبابى يؤديان انها اشد ضرورة من سواها ..

وللمسألة سر أخر يتمثل ان الامم التى تمتلك صنع القرارات ووضع الخطط ورسم الاهداف امم لا تفتقر الى هذه الاسس فهى امم قوية بطبعها وهذه القوة وفرت لها حقوقها كاملة بحيث لا يصبح طلب العدالة غاية من غاياتها ، بل لعل مثل هذه الغاية تفقدها غير قليل من امتيازاتها التى تضطهد بهاكثيرا من شعوب الارض المستضعفة ..

ومن هنا فان بوسعنا ان نقول ان علينا ان نعى واقعنا السياسى والاجتماعى في عالمنا العربى على نحو من شأنه ان يدفعنا بحذر شديد الى النظر في الاقتصار على هذه القيم ذلك ان لنا وضعا تاريخيا خاصا يجعلنا اكثر حرصا على بث قيم المطالبة بالعدالة العالمية وبالقوة في انفس شبابنا وذلك احقاقا للحق الذى هو غاية من غاياتنا وعن طريق الظفر به نستطيع ان نكتسب احترام العالم وان نصبح اهلا للدخول في مجالات المشاركةوالتنمية والسلم ، ذلك ان السلم لا ينبنى الا على العدل ولا ينهض الا على القوة وان المشاركة لا تتحقق الا بين الاكفاء والنظراء والا كانت نوعا من الهيمنة والاستعمار المتخفى وكذلك التنمية لا تصبح غاية ان لم تكن مبنية على القوة مؤسسة على العدالة العالمية ، بل ان السعى نحو تقوية الامة هو نوع اساسى من انواع الامة والا اصبحت كل مشاريعها التنموية الرائعة اغراء بتكالب الامم عليها وهيمنتهم على اقدارها ومصائرها ..

الخليج والسنة الدولية للشباب :

ومن خلال الايمان التام بالدور الخليجى في التأثير على نحو او أخر في توجه السياسة العالمية ، وكذلك من خلال الاطمئنان ان لنا دورنا او ينبغى ان يكون لنا دورنا المتميز في حركة التاريخ الحاضرة ـ من خلال ذلك كله جاءت المشاركة الخليجية في هذا العام مستجيبة مع الحس العالمى بضرورة الاهتمام بالشباب واضعة في البال ما ينبغى ان تتسم به هذه المشاركة من خصوصية تتكشف عنها الفعاليات التى ينبغى ان تشارك بها وكذلك الاطر التى تحدد هذه النشاطات .

ذلك ما كشفت عنه الاوراق التى تلقتها الامانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج والتى جاءت مرفقة مع خطاب سعادة وكيل الرئيس العام لرعاية الشباب بالمملكة العربية السعودية وسكرتير اللجنة العليا للسنة الدولية للشباب بالنيابة برقم ٨٢٥ وتاريخ ٢٤ محرم ١٤٠٣ هـ حيث اتضح ان ثلاثا من دول المجلس تؤيد صراحة الاتجاهات التى يدور حولها موضوع السنة الدولية للشباب وهذه الدول هى : المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين .. فقد اكدت المملكة على **مسألة الادراك المتزايد للحاجة الى انشاء هياكل وآليات لتخطيط وتنسيق الانشطة المتعلقة بالشباب** . وذهبت الكويت الى ان مواضيع السنة الدولية للشباب وهى **المشاركة والتنمية والسلم** ـ توفر الاساس السليم لعمل متكامل لاغراض التنمية لاسيما ، على الصعيد الوطنى ، ولعل هذا التأكيد الاخير يأتى في ضوء الايمان باننا في حاجة الى قيم اخرى على الصعيد العالمى الذى لا سبيل الى التعامل معه الا من منطلق العدالة والقوة .

وكشفت البحرين عن الدلائل التى تشير لديها الى الادراك المتزايد باستصواب تقدير حالة الشباب واحتياجاتهم وتطلعاتهم على الاصعدة الوطنية ، ودون الاقليمية والمحلية بغية تقوية عمليات التخطيط واستحداث المشاريع المفيدة المتعلقة بالشباب .

وانبثاقا من الايمان بمبدأ المشاركة جاءت الخطوة الرائعة وهى تبنى مجلس التعاون للاهتمام بهذه الاسس وهذا العام الشبابى ، وكأنما يريد ان يؤكد للعالم ان جيل الشباب في الخليج جيل تجاوز « التاطر » باقليميات ضيقة ، جيل يؤمن بوحدة قوية ترتكز على اسس ثابتة من تراث دينى ، ولغوى ، وقومى عريق ، وتنبثق من احساس مشترك بوحدة المصير ووحدة الغايات والاهداف ..

ومن هذا المنطلق جاءت ورقة العمل التى قدمتها الادارة الاجتماعية في قطاع البيئة والانسان بمجلس التعاون لدول الخليج تحت عنوان « **السنة الدولية للشباب ١٩٨٥** » والذى اكدت فيه اهتمام دول المجلس بالشباب ومشاركتها في العام العالمى المخصص له حيث نصت تلك الورقة على : « **تاييدا للقيام وتخصيص سنة دولية للشباب شكلت في دول المجلس لجان تنسيق تضطلع وتهتم بشئون السنة الدولية للشباب ايمانا بما للشباب وعليهم من ادوار وواجبات وحقوق تجاه مجتمعاتهم واحتياجاتهم والمساهمة في تنمية تلك المجتمعات** » .

وحددت تلك الورقة الهدف من تخصيص سنة دولية للشباب بأنه « **ينبع من الشعور بالاهمية التى توليها الامم لشبابها والامال التى تعقدها عليهم في الاضطلاع بواجبهم تجاه المجتمعات الانسانية**

جمعاء والمساهمة في اشاعة السلم في المجتمع الانسانى واحداث التنمية الشاملة في تلك المجتمعات وستكون هذه السنة بمثابة سباق دولى بين شباب العالم للتوسع في انشطتهم القائمة وتنميتها وايجاد انشطة جديدة وتوجيه كل ذلك نحو المشاركة في تنمية المجتمعات على المستوى المحلى والدولى .

ومن خلال ذلك نلاحظ ان ورقة العمل هذه قد اكتفت بصياغة الاهداف العالمية لهذه السنة الدولية للشباب وتبنيها لها كاطار يحدد الانشطة التى تتحقق من خلالها هذه المشاركة وربما كان هذا هو الوجه المشارك للعالم في احتفاله بهذه السنة دون ان يلغى ذلك الوجه الاخر والذى ينطبع على سحنته ضرورة المطالبة بالعدالة

العالم في توزيع الحقوق والواجبات بين الامم المختلفة ، وكذلك الاصرار على مبدأ القوة التى تمكننا من تحقيق هذه العدالة ، وبث روح هذه القيم في الشباب ، فمع مشاركة دول الخليج للعالم في اتجاهات المشاركة والتنمية والسلم تظل لنا اتجاهاتنا الخاصة التى تفرضها اللحظة التاريخية التى نحياها والتى لاشك ان القائمين على الامور في دول المجلس يعونها حق الوعى ويعملون جاهدين على تحقيقها بوسائل مختلفة وان لم تتخذ طابع تسجيل موقف على الاسس العالمية لعام الشباب حفاظا على شيء من التماسك في البنية العالمية لهذه الاسس .

ولما كان الاهتمام بالشباب امرا ليس طارئا على دول المجلس فان السنة الدولية كانت فرصة جميلة ورائعة لمراجعة الصيغة العامة التى يتبلور بها هذا الاهتمام ، ومن هنا كانت الغاية التى سعى لها المهتمون بالشباب في هذا العام هى الاهتمام : **« بالنشاط الشبابى الذى يتحفز للخروج من حيزه الضيق المعروف وهو التركيز على التربية البدنية والمسابقات الرياضية الى مجال اوسع في ميادين الثقافة والرياضة وخدمة البيئة ودعم العلاقات الانسانية بين المجتمعات بغية الوصول الى مستوى طيب من الاندماج بين شعوب العالم مما يحقق المشاركة والتنمية والسلم كما نصت ورقة العمل المقدمة من قطاع البيئة والانسان بامانة المجلس » .**



وسعيا نحو تحقيق هذه الغايه فقد قدمت الورقة المذكورة جملة من المقترحات هى :

- **اولا : المعسكرات في الدول الصديقة**
- **ثانيا : الاسابيع الخليجية الدولية**
- **ثالثا : الشباب المغتربون بدول المجلس** ضرورة الاعتناء بهم والاستفادة مما يمكن الاستفادة منه مما يحملونه من قيم انسانية عامة .
- **رابعا : انشاء جمعية الصداقة الخليجية ..**

الاسابيع الثقافية :

ومن النقطة الثانية وهى الاسابيع الخليجية تنامت الفكرة التى ما لبثت ان تبلورت في ما عشناه من ايام في **« تجربة الاسبوع الثقافي الخليجى في طوكيو »** .

وقد تحددت في ورقة العمل هذه الغايات والاهداف من وراء هذه الاسابيع فكان على راسها :

١ - التعريف بدول المجلس وتراثها وابراز جهود شبابها ومؤسساتها في سبيل تطوير انشطة الشباب .

٢ - تصحيح الافكار الخاطئة التى يبثها المغرضون عن دول المجلس واتهامها بالبدائية ، والانعزالية .

٣ - ابراز الشخصية الخليجية المتميزة بحضارتها وتاريخها بحيث تاخذ من خلال هذه المعسكرات مسارا مشرفا تتميز به بين شباب العالم .

ولكى تأخذ الاشياء وضعها الصحيح وتتبلور من خلالها الغايات المرسومة نصت ورقة العمل على :

« يجب الا تكون هذه الاسابيع مرتجلة وغير مكتملة المضمون والمحتوى بل ينبغى ان تكون متكاملة الجوانب كان تشترك المؤسسات بدول المجلس ذات الاهتمام الخاص بالثقافة والفنون والتراث بجهودها وان تقام المعارض والمتاحف والاحتفالات الشعبية والمطاعم الشعبية بحيث يكون هذا المعسكر مهرجانا ثقافيا يتفرغ المسئولون فيه الى خدمة اهدافه ويكون هدفهم الاساسى من هذا النشاط هدفا ثقافيا اكثر منه اعلاميا » .

ومن هنا نلاحظ ان هناك اساسين رئيسيين يجب ان ينهض عليهما المهرجان لان التفريط في اى منهما يؤدى بصورة حتمية الى انتكاسة سيئة تضر اضرارا تاما بالغايات التى يستهدفها مثل هذا العمل .

الاساس الاول : هو الاعداد الواعى والسليم الذى يمنع ما يمكن ان يؤدى اليه الارتجال من تجاوزات واخطاء لا يمكن ان تغتفرها المجتمعات التى نمثلها ولا يمكن ان تتسامح معنا فيها المجتمعات التى نود نقل صورة طيبة لنا اليها ..

والاساس الثانى : الاخذ بالمفهوم التكاملى للثقافة وهو ما يعرف بالمعنى **« الانثروبولوجى »** لها والانعتاق من المفهوم الحرفى الذى لا يتجاوز الحدود المعرفية فالثقافة من هذا المفهوم تقابل الحضارة وتصبح هى البناء الذهنى والروحى لاى امة من الامم بحيث تشتمل على كل عاداته وتقاليده واساليبه في ممارسة الحياة والتعامل مع سلبياتها وايجابياتها ومن شأن الاخذ بهذا المفهوم ان يجعل المهرجان اكثر مصداقية في تعبيره عن الامة عقلا وقلبا وجسدا ..

غير ان الاخذ بهذا المفهوم من شانه ان يفضى الى شيء غير قليل من الاضطراب ان لم يتم تناوله بحذر شديد ذلك ان الوقوع في سوء الموازنة بين العناصر

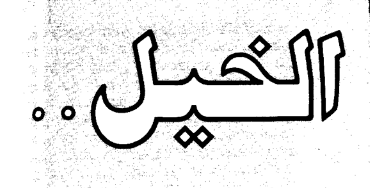
المكونة للثقافة امر وارد بل شديد الاحتمال نظرا لان هذه الجوانب تتمايز فيما بينها في الهيمنة على الاذهان والعقول كما تتمايز فيما بينها في سهولة النقل الى الآخرين وصعوبته بينما تظل كل العناصر متساوية تماما في ضرورة تكاملها لخلق بناء متوازن متكامل للمفهوم الشمولي « الانثروبولوجي » للثقافة وربما افضى تغليب جانب على جانب الى الكشف عن شيء من وقوع الامة في اطار حقيقة تاريخية محددة تم تجاوزها او كشف عن هيمنة مفهوم سائد للثقافة عند فئة او قطاع محدد من الناس على بقية المفاهيم التي تبلورت عند القطاعات الاخرى .

ومن هنا فان الاخذ بالمفهوم « الانثروبولوجي » للثقافة ضرورة لا مناص منها ولكنها ضرورة تفرض الحذر والحيطة والتروي كما انها ضرورة تفرض القيام بانتقائه متعقلة متروية انه من المستحيل ان يتم الكشف عن كل جوانب الثقافة وكل العناصر التي تكوّن هذه الجوانب فلا بد من الانتقاء ولابد لهذا الانتقاء من اساس علمي وفلسفي عميق ينبني عليه لعل من اول مبادئه تحقيق نوع من الترابط بيننا وبين الشعوب التي نود الانفتاح عليها او تقديم انفسنا لها .

والجدير بالذكر ان الورقة قد نصت على ان تقام هذه المعسكرات في الدول المتقدمة كي تكون قناة من قنوات الاتصال بها وعقد صداقات مع ابنائها وشعوبها نظرا لما لمثل هذه المعسكرات من اثر فعال في تنمية العلاقات الدولية بين المجلس ودول العالم الاخرى ..

ومن هنا ـ من خلال اقامة هذه المهرجانات في دول متقدمة ـ نضع انفسنا في اطار تحد حضاري ، ليس بالسهل ، لما يفرضه ذلك علينا من انماط سلوكية ومعرفية او انماط ثقافية حضارية عامة تكشف عما يكمن تحت جذورنا من انسان متحضر نود تعريف العالم به .. ومن هنا كذلك نفرض على انفسنا نوعا شديدا من الحذر والحيطة لان مثل هذه الصورة التي ننقلها الى العالم المتقدم من شأنها ان تؤثر تأثيرا قويا على العلاقات الدولية وهذا ما يربطها ربطا وثيقا بقضية المصير الذي ترسمه مثل هذه العلاقات ..

ومن هنا يبدأ الموضوع في اخذ حجم جديد له يتجاوز مجرد كونه فرصة للشباب للتعبير عن انفسهم ليصبح فرصة للشباب للمشاركة في رسم الصورة العامة لامتهم والمشاركة كذلك في صنع العلاقات التي تربط هذه الامة بالامم الاخرى وهذا مؤشر من مؤشرات الوعي السليم يخرج بهذه المهرجانات من مجرد التسلية واللعب البريء ليؤكد على ان المسألة اعمق من هذه الظواهر السطحية وذلك لتعلقها الكامل باللحظة التاريخية التي تحياها الامة العربية عامة وشعب الخليج خاصة مما يجعل كل خطوة من خطوات اتصالنا بالعالم الخارجي خطوة مسئولة محسوبة علينا اولا وهذا من شأنه ان يفرض علينا المزيد من الحيطة والحذر شبابا مشاركين او قيادات منظمة .



استهل محمد بن آجرُّوم الصنهاجي مختصره الشهير في النحو بقوله: «**الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع وأقسامه ثلاثة: (اسم.. وفعل.. وحرف)**.

وكان ينبغي له أن يبدأ بالحرف لأنه قوام اللفظ ثم يثني بالفعل لأنه منشأ الحركة التي يبقى الاسم بدونها جامداً. فالاسم لا ينطبق على مسماه إلا بالتصور الذهني والمعاناة الفكرية ونشاط الحواس من سمع وبصر ولمس.. وهذا كله فعل.

إلا أن ابن آجروم ـ رحمه الله ـ تجاوز مسألة الترتيب من حيث إنه قيد الافادة بـ «الوضع» الذي يراد به أن يكون اللفظ مطابقا لمعناه فيوضع الأول بإزاء الثاني وذلك ليصبح الكلام أداة للتواصل المعقول بين آحاد الناس.

قد يقول قائل: «**الكرمة تفيض رحيقا**» وهو يقصد أن الكرمة تثمر عنباً حلواً.. فالتركيب الأول مفيد بالايحاء لا بالوضع وفيه استعارة ليست من مألوف كل الناس.. أما التركيب الثاني فهو مفيد بالوضع فحسب.

وقضية الكلام المفيد لا تقف عند حد «المواضعة» بل إنها تتجاوزها إلى آفاق تستشرف قيما جمالية تنبثق من أصالة الفكر وقوة الخيال وصفاء الحس وشفوف البيان فهذا هو الابداع.

شتان ما بين أن يقول لك قائل «لقد شاب شعر رأسي» وأن يتلو عليك آخر: «واشتعل رأسي شيباً». فالفرق هو هذا الاشتعال الساكن الذي يخلف رماداً بارداً أبيض فوق هامات الشيوخ.





وحينما يقول أبو العلاء:

وقــد أغتــدى والليــلُ يبكى تأسُّفاً
على نفســه والنَّجمُ فى الغــرب مائــل
بريــح أُعــيرتْ حافــراً من زَبَـرْجَـدٍ
لها التِّــبر جسمٌ واللُّجَــيْنُ خَلاخِــل

فهــو إنما يعطيـك من نفسه صورة تتناسق فيها الألوان والظلال وتتعانق الرؤى والأحاسيس ولو قال: «وقد أغتدى ممتطيا صهوة جواد أشقر محجل خفيف» لما استحق كلامه هذا أن يُلتفت اليه ولا أن يُحفظ.

فالكـلام إذن لا يكون بالوضع فقط بل بالايحاء أيضـا.. والايحاء لغة الحكماء ومطلب الشعراء ووسيلة المبدعين.

الحكيم الفرنسى لارشوفوكو: «الحظ يبيع ما يظن الناس أنه يهبُهُ» فإذا نحن طبقنا هنا هذا الكلام على السعـادة ايضـاً فإننا قد نفهم منه أن الحياة لا تعطينا من الخير إلا بقدر ما نعطى من أنفسنا.. وقد يواتينا السعد فتقبل علينا الدنيا بمال كثير.. لكن هذا لا يعنى حصولنا على السعادة وطمأنينة النفس.

● قال بعض مفكرى الغرب: «لا يسكن العدل نفوسـا يغلب عليها الطمع» وهذا القول لا يعطى للعدل تعريفاً.. وهو إنما يشير إلى بعض ما ينطوى عليه العدل من قيمة معنوية وخلقية كقول القائل نفسه: «العدل حق الأضعف».. وقد يقال فى باب التعـريف: «العدل هو التوسط بين طرفى الافراط والتفـريـط». هذا ما قاله الراغب الأصفهانى وهو حاصل الكلام.. وكل أمر مفيد لابد أن يكون له حاصـل فالغيث حاصله الخضرة والنماء.. والريح حاصلها التنقيـة وحمـل اللقـاح.. والنار حاصلها الاسخان والانضاج. وكل ما خرج عن حده تحول إلى ضده كزارع الـريـح يحصد العاصفة.. وقالع الشجر فى الربيع يحرقه القيظ فى المصيف.. وكالماء يغمر البسيط من الأرض والمنحدر فيتحول إلى سيل جارف.

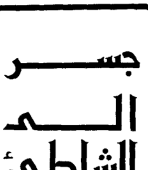
قال أحـدهم: «العدل بدون قوة كالقوة بدون عدل.. كلاهما شر مستطير» ومعنى هذا أن العدل ميزان والقوة مادته التى تمسكه.. وهى بدون هذا الميزان همجية هوجاء تأكل الحجر وتبتلع النار وترمى بالشرر فتحرق الخضرة وتتلف الثمار.

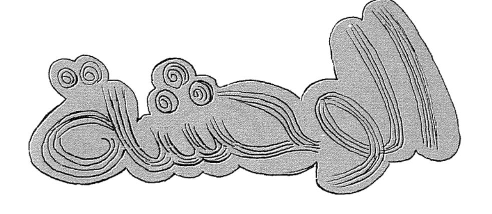
قد يقول أهل اللغة: «الظلم نقيض العدل» وهو قول لا يستقيم إلا من جهـة الـربـط أما من حيث الموضـوع فإن الظلم لا نقيض له.. وليس للعدل أيضاً نقيض.. وقد يقال ـ وهو الصحيح عندى ـ «إن الظلم نتيجة غياب العدل.. والعدل آية انتفاء الظلم» من اجـل هذا كان العـدل قيمة مطلقة.. وكـان ارتبـاطـه بالحق وثيقاً.. ودلالته على حسن التمييز العقلى بيّنة وهو البرهان القائم على تكريم الله لخلقه.

« المغرب»

لماذا أشعر دائما بالوحشة يا شيخنا . . هل أنا الشاذ أم الآخرون هم الشواذ . . لقد تملكنى شعور بالغربة وكأنى فى عالم لا أعرفه . . كل شىء حولى كأنى اراه أول مرة وكأنى يا شيخنا سأعود وشيكا من حيث أتيت . . هل لك أن تفسر لى هذا الشعور يا شيخنا . . ؟







وسكت الشيخ عارف كعادته واتجه ببصره الى السماء كأنه يستلهم الفتح . . ومضت لحظات كأنها الدهر وصاحبه عالم على مضض ينتظر جوابا . . ثم التفت الشيخ اخيرا الى صاحبه وقال له :

- «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» كما جاء فى الحديث الصحيح . .

- *وما علاقة وحشتى وشعورى بغربتى . . بهذا الحديث يا شيخنا . . ؟*

- **عندما تستوحش الناس يا صاحبى . . فمعناه أن روحك لا تتآلف مع أرواحهم . . وانك تشعر بالغربة برغم أنك بين الاهل والصاحب والولد .**

- *وهل يدل ذلك على عيب فى سلوكى ونقص فى اخلاقى . . ؟*

- **العبرة يا صاحبى هنا بما يشغلك عن الناس . . فاذا كنت تستوحشهم لانك مشغول بالحق فهذا خير وكمال فى خلقك . . اما اذا كنت تشعر انك غريب ولا تحبهم وتتمنى زوال النعمة عنهم والأذى لهم وتترصد بهم وتعاديهم وتعتبرهم اعداء فهذا يدل على فساد فى طبعك ونقص فى خلقك . . الأمر الذى يحتاج الى علاج سريع حتى لا تتفاقم أسقامك ويصعب وصف الدواء .**

- *لكنى لا اكره الناس يا شيخنا . . ولا أتمنى زوال النعمة عنهم . . ولا احاربهم ولا اعاديهم . . لكنى اريد أن ابتعد عنهم لأحيا فى هدوء وأمن .*

- **مادام الأمر كذلك . . فلابد أن يكون هناك يا صاحبى ما يشغلك عنهم . . فالمستوحش للخلق محجوب عنهم . . والمحجوب عن شىء مشغول بشىء آخر .**

- *لا أستطيع أن أقول لك يا شيخنا اننى مشغول بالله تماما . . واننى عندما استوحش الخلق فاننى احيا فى انس مع الله . .*

- **ومع من اذن تحيا يا صاحبى مادمت تستوحش الناس؟ .**

- *أتأمل حياتى وافكر فى مماتى واحاسب نفسى على سقطاتى وألومها على عثراتى . . واطلب منه تعالى ان يغفر لى سيئاتى .*

ـ اذن انت يا صاحبي في حال التفكر . . والتفكر ذكر وتذكر قمة العبادة . . وأفضل ما يشغل الانسان التفكر في الموت والاستغفار والدعاء لله . . إن ما تفعله يا صاحبي هو لب العبادة وان محاسبة النفس هو الطريق الصحيح المؤدي الى الاستقامة . . ولوم النفس على تقصيرها دليل الورع والتقوى.

ـ انك تعطيني يا شيخنا اكثر مما استحق . . فانا مشغول بعلاج نفسي . . وكلما اعالج عطبا فيها أفاجأ بعطب آخر . . وكلما اصلح عيبا فيها تُظهِرُ لي عيوبا كثيرة . . فهل هذا يدل على استقامة او قوامة يا شيخنا . . ؟





ـ لا تَخَفْ يا صاحبي فما من انسان إلا وله نقائص وعيوب . . لكن هناك من يضع ضمادات على عيوبه المتقيحة ويحاول أن يظهر نفسه في صورة الكمال . . واما القليل مثلك: فهم الذين يتهمون انفسهم بالتقصير ويحاولون أن يستعينوا بالله ويلجأوا اليه ليساعدهم ويمد يد العون لهم وهؤلاء هم الانقياء الاتقياء . .

ـ ان استيحاشي للناس يا شيخنا . . لاني اشعر أن مجالسهم تزيد من عثراتي واحاديثهم تضاعف من سيئاتي . . فاني رجل شديد الحياء لذلك اجاملهم فيما يخوضون فيه من تفاهات وأقع فيما يقعون فيه من اخطاء . . فاذا انصرفت الى نفسي عاتبتها وتألمت لما بدر مني . . وعاهدت نفسي ألا ارجع لهذه المجالس التي اشعر بالغربة فيها .

ـ أكاد اعرف الآن السبب الرئيسي لوحشتك للناس . . وطلبك البعد عنهم . . وعزوفك عن مجالسهم واحاديثهم . .

ـ وما هو السبب يا شيخنا في رأيك؟ . .

ـ لقد انقلبت المجالس الى مجالس للغيبة والنميمة وفحش القول . . يحف بها الشياطين بدلا من أن تكون مجالس علم وذكر لله تحف بها الملائكة.

ـ لقد وصلت يا شيخنا الى الحقيقة . . فما أن أختلط بالناس الا ويخوضون في احاديث تجرني الى الوقوع في الإثم . . لذلك فأنا أهرب من تلكم المجالس واشعر بالراحة والأمن عندما أبتعد عنهم .

ـ اذكر حديثا لرسول الله ﴿ﷺ﴾ معناه أنه يأتي زمان يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر .

ـ وهل أتى هذا الزمان يا شيخنا .

ـ اننا نعيشه الآن يا صاحبي . . لقد قل الوفاء وازداد الرياء وانخلع الاخلاص من قلوب كثير من العباد . . واختفى الحياء عند النساء والرجال . . وتفشى الزنا والربا والاستغلال . . والطمع والجشع والرشوة . . وشاعت انواع من الجرائم لم تكن موجودة كقتل الابناء للآباء والفتك بالابرياء بالجملة وبدون سبب ظاهر أو معروف .

الا يدل ذلك على أننا في آخر الزمان وأن الدنيا قد بدأت تدق اجراس نهايتها . . وان عالمنا على حافة الهاوية . .

ـ وماذا ترى أن يفعل الانسان المؤمن في هذا الزمان؟

ـ ان يفعل ما تفعله انت يا صاحبي . . أن يغلق عليه بابه ولا يجالس الا من عرف عنه انه من الأخيار . . والا يفعل الا ما أمر به الشارع . . وبذلك يأمن مفاسد الدنيا .

ـ أتظن ان فعلت نجوت بنفسي يا شيخنا؟

ـ أنا لست بالضامن ياصاحبي . . لكن عليك أن تطيع الله . . فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . . وعندما تغلق عليك بابك حتى لا تشترك مع الخائضين في احاديث الفسق والضلال فإنك بذلك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . .

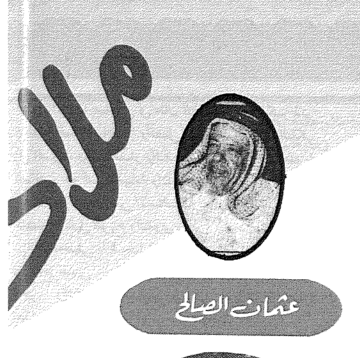
ـ إنني افعل ذلك هذه الايام واشعر بغربتي عن الناس فانا في وحشة دائمة .

ـ الحمد لله الذي هداك الى هذا .

ـ لقد اطمأن قلبي الآن بعد حديثك هذا . . لقد اتهموني بالعزلة والتكبر على الخلق لاني اغلق على بابي .

ـ لا تسمع الا قول الله فمن اصدق من الله حديثا . . ولا تأنس الا بالله فمن افضل منه تعالى جليسا .

ـ صـدقت .



عثمان الصالح

كلمات مختارة

● *مجرد التغاضى عن الأمن والاستقرار هو حكم على العقل بأن ينزوى ويتعطل فيصبح خادماً للغريزة بدلا من ان يكون رقيباً عليها.*

● ليس انسانا من لم يقرأ وإذا قرأ لا يستوعب وإذا استوعب لا يتعظ ولا يستفيد.

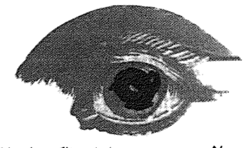
يارب لا تبقنى الى زمن
أكون فيه كلا على أحد
خذ بيدى قبل أن أقول لمن
ألقاه عند القيام: خذ بيدى

الذى نريده فى حياتنا كثير والذى نستطيعه قليل لأن طاقة الانسان محدوده ولكن الاستمرار والعمل سوف يكون كثيراً.

● صحيح أنه من الضرورى أن نقلب الأرض قبل أن نلقى فيها ـ بالبذور ولكن الذى نعمله قبل ان نلقى البذور ان نغرقها بالماء.

قال يلوى الجبل منذ ثلاثين عامًا

شعرى وحسنك اعلى الله سحرهما
كلاهما صيغ اطيابا وانوارا
جاران فوق جبين الشمس قد نزلا
لا ينبل الجار حتى يكرم الجارا



لا تعجبى من صبابات الكهول ولا
تروعى الشيب اجفالا وانكارا
نحن المحبين اغرار وقد زحمت
غرارة الحب اقدارا واعمارا
أكرمت حسنك بالاشعار مترفة
هل يكرم الحسن احزانا واشعارا
ان شطت الدار عن عينى فما رضيت
بغير لبنان احبابا ولا دارا.

ان الامير صقر بن سلطان القاسمى احد امراء دولة الخليج كان شاعراً وله وقفات كنا نقرؤها فى صحف مصر.. وفى المصور بالذات فاين هو الآن.. ولا سيما ومما حفظت له هذه القصاصة التى فيها هذه الابيات عن (دمشق).

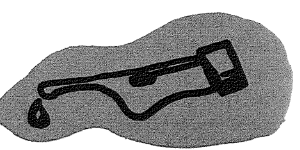
علمّ يرف على الجفون ويخفقُ
ومتى يتيه بها النعيمُ المورقُ



المخلصـون السعىَ حولـك حققوا
مجدَ الـبـلاد وأثَّـلوا ما حققـوا
وعـلى هدى الـرحمن أعلوا رايـةً
فى خفقهـا قلبُ العـروبـة يخفقُ

● *وهذه القصاصة لها عندى عشرات السنين. . وللأمير صقر دواوين اين هى ولماذا لا تكون فى متناول القارىء؟ .*

«يـردى» بغـوطتـه الـوريفةِ ساربٌ
بجـلالـه سر الـعـلا يتـدفـقُ
واذا سألـت عن المكـارم والـنهى
مَن أمهـا؟ فخـرت بذلـك «جلقُ»
حطمت أمـانى الغـاصبِينَ بوثبة
دان الـزمـانُ لها. . وعـزَّ المشـرقُ
وجَلَتْ من المـاضى السعيد صحائفا
وجـهُ الـزمـانِ بنـورهـا يتألـقُ
فَسَـلِ الـذين تخلفـوا عن ركبهـا
أبـغـيـر خزى ضلالِهم قد طوقـوا
قسـا شعـار الكـادحـين الى العلا
ما يومكـم الا الجـهـادُ المشـرقُ



مرحى «أبـا حسـان» كل حميـدة
مهـا علت لجلال حمدك تطـرقُ

طرائف وأعاجيب

يعيش (لويجى استرابا سون) البالغ من العمر تسعين عاما فى قرية (كاستيل فرانكو - فنيتو) التى تقع فى ضواحى (تره فيزو). وكان قد سقط شعره وفقد اسنانه، لكبر سنه ولكنه وجد بعد فترة من الزمن ان خصلة من الشعر بدأت تنمو فى مقدمة رأسه وبعد بضعه اشهر احس الما فى فكه الاعلى وأدرك ان ستظهر له أسنان جديدة ففرح كثيرا واخبر افراد عائلته بالامر الا ان واحدا منهم لم يصدقه. وكان فى ذلك الحين زوج ابنته قد حل ضيفا عليه وكان رجلا ثريا فلما سمع الخبر قال له: ان ظهرت لك اسنان جديدة فانا على استعداد لدفع مبلغ يعادل خمسين الف تومان، وان خسرت الرهان فلابد من ان تدفع لى الف تومان. . وقبل الرجل المسن بهذا الرهان. ومضت الايام واذا بـ (لويجى) يطلب من ابنته وزوجها المجىء الى داره - وحينما دخلا عليه طالب زوج ابنته بدفع مبلغ الرهان واشار الى فمه ليريا كيف ظهرت قواطع فى اعلى فكه. . فدهش جميع افراد العائلة وفرحوا فرحا شديدا. . وخرج صهره فى الحال ليسحب من احد المصارف المبلغ الذى يجب ان يدفعه بعد ان خسر الرهان، ولما عاد الى البيت قدم المبلغ الى (لويجى) الذى طغى الفرح على نفسه واخذ قلبه الضعيف يخفق بشدة حتى توقف عن الخفقان ومات. . فتحولت الافراح الى اتراح وسبحان مغير الاحوال.





٣٠) يحمد الله

الامام احمد بن يحيى حميد الدين كان من العلماء الأذكيـاء الدهاة. . وأهل اليمن كانوا يلقبونه «احمد جُنّيه» ولهم حوله حكايات عجيبة وله قصص تشبه المعجـزات وكان الامام يتهم الكثيرين من خصومه بأنهم بلهاء سذج. . فأراد أن يدغدغهم بدعابة يثبت بها اتهامه.

فصار يوقع ـ لعله أحيانا ـ هكذا «أحمد الله».

فلم يلبث اولئك المغرضـون بسذاجة أو بخبث ـ أن يتناقلوا هذه القولة مؤكدين ان احمد قد كفر وتأله. . فلما تأكدوا من اشاعتها بين الناس عمد أحدهم إلى صياغتها فى لغـز يقصـد منـه الاساءة الى الامام. . ولكنه أتعب الناس زمناً ولم يصل الى ما أراد.

وما دمنا بصدد الحديث عن الامام أحمد فلا بأس من ذكر بعض الحكايات والأساطير التى كان يحكيها حوله عامة أهل اليمن. . كان بعضها من نسج خيالهم. . وبعضها اتخدها الامام احمد من مصادر الشريعة الاسلامية ولكنهم يجهلونها واليك بعضها:

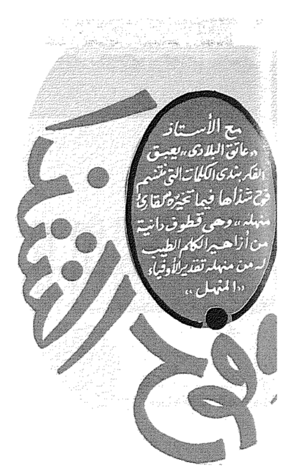
(أ) كانوا يدعون أن أحمد ربته الجن. . وأنه مكتوب على أحـد كتفيـه «أحمـد جُنّيـه». . وانه لهذا السبب يسير فى الاسواق ويدخل الدوائر الحكومية دون أن يراه أحد وهذه من السذاجة التى كان يتهم احمد خصومه بها لأنه لا شك كان يعتمد على عيون له فيخبرونه بما يجرى فيظن أولئك السذج أنه دخل عليهم مكاتبهم دون أن يروه.

(ب) يقولون انه يقرأفى كف الغيب ولذا فهو يلغى بعض الامـور بعـد ابرامها فيكون التوفيق حليفه. . وكان مرة مسافراً على متن الطائرة فأمر الطيار أن يعود من الطريق ولم يستطع أحد ان يعلم السبب. . فلم يلبثوا أن سمعوا بحدوث كارثة فى ذلك المطار متزامنة وهبوط طائرة الامام لو استمرت فى الطيران.

وعالم الغيب لا يطلع على علمه أحد ولكن الامام كان ـ والله أعلم ـ يستعمل الاستخارة وهو أمر مشروع أوصى به رسـول الله ﴿ﷺ﴾ وكان يعلمه اصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن.

(ج) وكان يفسد خطط خصومه بحذق وذكاء. . وأحيانا تأتى معـه مثـل المعجـزات فقـد جاء فى كتاب الاعلام للزركلى. . ان عبد الله سيف الاسلام أخا «أحمد» هذا قام بثـورة ضده وحـاصره فى قصره فى تعز فطلب الامام ارسال النساء إلى قصر آخر لتجنيبهن القتال. . غير أن عبد الله طلب من انصاره تفتيش النساء بعد خروجهن فما كان من أحمد وهو محصور ويعانى من آلام الروماتزم ـ إلا أن صاح ووثب وهو يحمل مدفعاً رشاشا قائلاً أين حاشد أين بكيل؟ نساء بيت النبوة لا يفتشن وأنا حى(١).

واطلق النار على من حول القصر فتبعه كثير من انصار



أخيه عبد الله مما أشعر عبد الله بضعف موقفه فقبض عليه.. وقامت قبائل حاشد وبكيل بالقبض على قائد حرس أحمد لتآمره مع عبد الله ثم أعدم هو وعبد الله وابن آخر ليحيى اسمه: سيف الاسلام العباسى.

(٣١) سرحة الدويفن

السرحة: شجرة معروفة فى البادية ومن السرح ما يكبر حتى يمكن أن يستظل فيه عشرات من الناس.. وفى «ركبة» سرحة تسمى «سرحة الدويفن» وهى أطول ما حولها من اشجار.. وكان الصيادون يأتون إليها فيصعدون إلى رأسها ليروا الظباء وهى رواتع أو مستظلة فروع الشجر ـ فجاء أحدهم وهو يظن أنه بكر بكوراً لم يبكره أحد بينما قد سبقه الى رأسها شخص آخر ولما أقبل صاحبنا مدار الحديث أراد أن يداعب السرحة العزيزة إلى نفسه فقال: سرحة الدويفن فقال الذى سبقه إلى رأسها: هاه.

فكع المنادى ونكص على عقبيه ولكنه شك فيما سمع.. وهل يمكن لسرحة أن تتكلم؟ فوقف ونادى: سرحة الدويفن ثم أصاخ السمع جيداً فاذا الذى فوق السرحة يقول: هاه.. ففر الرجل مذعوراً وهو يخبر كل من لاقاه بأن سرحة الدويفن تتكلم وأنه سمعها بأذنه.

(٣٢) وهل سعد الا صخرة؟

كان لبعض كنانة فى جاهليتهم صنم يدعى سعداً فجاءه رجل من «مِلْكان بن كنانة»(٢) بإبِلٍ له يريد بركته فلما رأت الابل الصخرة نفرت وتفرقت فاخذ الملكانى حصاة فضربه بها وقال: لا بارك الله فيك نفرت علىَّ إبلى ثم قال:

أتينا الى سعد ليجمع شَمْلَنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة
من الأرض لا تدعو لغىٍّ ولا رشد(٣)

ويشرف على غرفة ـ اليوم ـ جبل أسمر شامخ يدعى «جبل سعد» ولم تكن ديار بنى ملكان بعيدة من هنا.. ويغلب الظن أن ذلك الصنم كان صخرة من جبل سعد هذا.

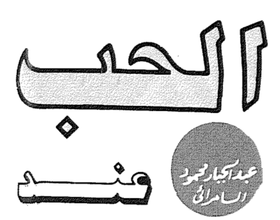
غير أن العرب لم يعودوا يذكرون من هذه الطواغيت شيئاً بعد أن أبدلهم الله بها سراطا مستقيماً.

---

(١) حاشد وبكيل: قبيلا همدان.. وتعتبران جيش كل إمام زيدى انظر كتابى «بين مكة وحضرموت» ففيه انساب همدان والكثير من وقائعها.

(٢) انظر عن كنانة: انسابها وفروعها وديارها كتابى «بين مكة واليمن».

(٣) عن معجم البلدان.. «سعد»



نسب الحب العذرى الى قبيلة (عذرة).. وهى قبيلة قحطانية او عدنانية على اختلاف النسّابين.. عرفت بين قبائل العرب بكثرة عشاقها الذين اشتهروا بعفة الصبابة وبالصباحة.. بحيث بلغ من حالهم أنهم اذا أحبوا ماتوا حبا.. فصاروا رمزاً لهذا الحب العنيف العفيف.. فنسب اليهم كل عاشق مثلهم.

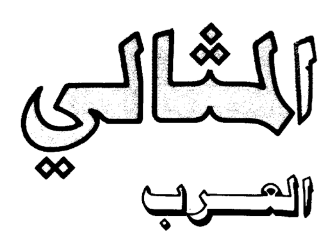
اما لماذا نسب هذا الحب الى قبيلة بنى عذرة وحدها بالذات دون قبائل العرب قاطبة؟.. فيحدثنا الاستاذ الدكتور يوسف خليف فيقول: ان ذلك يرجع الى كثرة ظهور نماذج هذا الحب المثالى فى قبيلة عذرة.. وكثرة ظهور العشاق المثاليين فى هذه القبيلة ترجع الى ما كانت تنعم به من استقرار وخصب.. حيث كانت تنزل البادية العربية شمالى الحجاز الى العقبة على البحر الأحمر فى منطقة تسمى بـ **(وادى القرى)**.. وسميت بذلك لكثرة قراها.. وكثرت قُراها لخصبها ولوقوعها على طريق القوافل بين الحجاز والشام ومصر. ثم ان الرواة رأوا فى متيمى عذرة ـ على كثرتهم ـ المثل الكاملة الى مثل التقاليد العربية التى تسيطر على الحياة الاجتماعية فى البادية..

فتخلق هذا اللون المتميز من الوان الحب الروحى. وبالاضافة الى المزاج الخاص بأولئك العشاق الذين يدفعهم الى التوحيد والعفة والاخلاص دون اللهو والمجون. وربما يرجع السبب ايضاً الى أن أقدم من عرفه الرواة من اصحاب هذا الحب فى العصر الاموى هو **(عروة بن حزام)** وكان عذرياً من قبيلة عذرة.

ولا شك فى أن التقاليد والبيئة التى خلقت هذا اللون من الحب المثالى فى وادى القرى ـ هى نفس تلك التقاليد التى خلقته فى **(الحيرة) و(اليمامة)** وغيرهما.. ولا شك ان هؤلاء العشاق جميعاً قد أحبوا أصدق الحب وعبروا عن حبهم اروع تعبير.

والذى نود أن نذكره بالاضافة الى ما ذكره الدكتور يوسف خليف هو أن الرواة هم الذين نسبوه الى عذرة بالذات.. فقد كان جلّهم من المدينة..

وكانت المدينة مركزالرواية والتدوين فى أوائل القرن الاسلامى الأول الذى اشتهرت فيه نسبة هذا





الحب الى عشاق عذرة. ولا شك ان هؤلاء الرواة هم الذين عنوا بأخبار العشاق فكانوا اكثر معرفة بقصص عشاق عذرة.. من عشاق القبائل الاخرى والتى كانت أقرب مدن الحجاز الى وادى القرى الذى تنزله عذرة.

أما عشاق القبائل الأخرى التى كانت تسكن اطراف الحجاز ونَجْد كعشاق بنى عامر فقد كاثروا عشاق بنى عذرة ولكن الرواة كاثروا فى أخبارهم.. مما يدل بعدهم عنهم بالنسبة لقربهم من عشاق بنى عذرة.

أما الدكتور عبد الستار الجوارى فقد عزا نشأة الحب المثالى الى قبيلة عذرة التى كانت تسكن بوادى الحجاز.. وزعم انه ظهر فى أواسط القرن الهجرى الاول بالدرجة الاولى نتيجة للحصانة التى ضربها الاسلام على علاقة الرجل بالمرأة.. وبالدرجة الثانية نتيجة لعفة التقاليد العربية فى البادية.. ولم يميز بين هذا الحب المثالى عن ذلك الغزل اللاهى الذى كان الشاعر الجاهلى يستهل به قصيدته فقال: (ظهرت صورة هذا الحب فى الأدب العربى فى اواسط القرن الهجرى الأول فى عذرة وحدها ولم تكن قد عرفته لا هى ولا غيرها من القبائل من قبل. واذا اردنا ان نكشف عن تاريخه وجدناه وليد التطور الاجتماعى الجديد الذى احدثه الاسلام فى الحياة العربية.)

غير اننا اذا نظرنا فى الأدب الجاهلى لوجدنا فى بعض ثناياه بذوراً لعاطفة الحب وصورة بسيطة من صوره.. فيها سذاجة وليس فيها السعة التى ننشدها فى الحب العذرى.. ولا الاغوار البعيدة التى ينفذ اليها فى النفس.. ولا الآفاق الواسعة التى ينبسط فيها. وآية ذلك ان عاطفة الحب فى الشعر الجاهلى ينقصها الاستمرار والثبات فلا يكاد الشاعر يلم بها حتى يستطرد منها الى وصف الناقة التى توصله الى الحبيبة او المفازة التى يقطعها من أجل لقائها.

أما الغزل الذى كان شعراء الجاهلية يستهلون به قصائدهم ثم يأتون الى وصف الناقة والمفازة وغيرها

من اغراض القصيدة فلا نراه بذوراً ساذجة لعاطفة الحب العذرى فأين السذاجة والعذرية فى معلقة امرىء القيس؟.

إذا ما بكى من حولها انصرفت له
بشقٍّ وتحتى شقها لم يُحَوَّلِ
وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجَّلِ

● ثم أين السذاجة والعذرية فى معلقة (طرفة بن العبد) التى يقول فيها:

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنه تحت الخباء المعمد

المسألة عند الدكتور طه حسين ليست مسألة عفة الحب العذرى ومثاليته وفى أية قبيلة أو فى أى عصر.. ولا فى أية بقعة نبت.. ولا عن تأثير الاسلام فى تطويره.. ولا الكشف عن عواطف العذريين وصدق حبهم. فهذا - عند الدكتور طه حسين - لا يستحق الجهد فلا طائل وراءه لأن قصصهم من اساسها اختراع فى اختراع

غير ان الدكتور يوسف خليف الذى كان أول من اشار الى البداية التاريخية الصحيحة للحب العذرى متمثلة فى حب المتيمين الجاهليين.. ويرى ان العذريين امتداد طبيعى وحتمى للمتيمين.. وان مثل التقاليد العربية فى البادية والقرى والمدن هى التى خلقت هذا الحب.. وهو بذلك لم يكن ظاهرة جديدة على العرب ولم ينشأ بعد الاسلام ولم يختص بقبيلة عذرة أو غيرها. انما هو نبات عربى غرسته ورعتهُ مُثُل التقاليد العربية فى الصحارى والقرى والمدن.

اما الامتداد الثانى لحب المتيمين فقد تمثل فى العشاق الزهاد كعبد الرحمن الذى لقب بـ **(القس)** لشدة تقواه.. وكان أحب جارية مغنية تدعى **(سلامة)** وكذلك **(بشر)** الذى لقب بالعابد لشدة عبادته وسواهما كثير من الشباب الذين تبتلوا لله تعالى وعكفوا فى المساجد يقرأون القرآن الكريم ويحفظون الحديث الشريف فى الحرمين الشريفين والكوفتين وغيرهما من المراكز الاسلامية الكبرى ولكن قلوبهم التى ارهفتها العبادة والتقوى لم تسلم من ملاك الحب بل لعلها كانت اكثر القلوب تعرضاً لسهامه واشدها تأثرا بها وقد امتزجت فى تلك القلوب الزكية العفة بالتقوى فكان حبهم روحياً خالصاً بلغ اسمى معارج الطهر والصفاء وكاد يلغى الجسد الغاء كلياً.

●●

هؤلاء العشاق أحبوا أصدق حب وعبروا عنه أروع تعبير

●●

وبهذا يمثل العشاق الزُّهاد غاية الحب المثالى ونهايته التى فتحت أول باب للتصوف حتى غدت اسماء معشوقات العذريين كليلى ولبنى وهند وبثينة وعزة.. رموزاً عند الصوفيين الى محبوبتهم العظمى وهى (الذات الإلهية) لما أصبحت تلك الاسماء تدل على معانى العفاف والصفاء المطلق.

غير ان هناك العديد من الباحثين قد تعرضوا لهذا الحب ونفوا عنه مثاليته وجعلوا فيه من الغريزة والعفة بمقدار ما فى العاشقين من الجسد والروح.. وانه لم يرتفع عن مادية البشر الى روحية الملائكة.. وصوَّره حباً فيه وصال ونوال بين الحبيبين.. وصبوا همهم على نفى مثاليته واثبات ماديته.



تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



- أطلال المابيات — ضيف الله مضيف الطلحي
- مدينة فاس الادريسية — د. أحمد الحضناوي
- فن الزخرفة في الأردن — روكس العزيزي

البحث في

أطلال المابيات

مدينة اسلامية و...

السائح .. هذا الذي لا يضع عصا الترحال عن كاهله إن كان قد طوَّف بنا قبلاً في الحاضر والحواضر فإنه قد اختار الآن أن ينبش الأطلال .. ويسافر عبر التاريخ إلى القديم القديم .. ولما أن شوقنا لرحلته هذه فإننا نحمل زادنا (من الأقلام والقرطاس) لنذوق (أطلال المابيات) في المملكة العربية السعودية .. ونذهب إلى مغربنا الحبيب لنتجول في آثار مدينة (فاس) مدينة التاريخ والعلوم .. ثم نعرج ثانية إلى شرقنا لنمتع عيوننا بروعة فن (الزخرفة) في مدينة (مادبا) في الأردن الشقيق .. فنملأ (القرطاس والذاكرة) بمدونات التاريخ والعلوم والفنون .. وإلى اللقاء. (السائح)

تقع المابيات جنوب غرب مدينة العلا الحالية بنحو ٢٠ كم وعلى الضفة الشرقية لوادى القرى الذى يعرف حاليا بوادى العلا، وبالتحديد على بعد ٢ كم جنوب غرب محطة سكة حديد المعروفة بالبدائع، وتعتبر مزارع قرية مغيرة الحالية امتدادا طبيعيا لها وقد عثر على الموقع خلال أعمال المسح الأثرى التى قامت بها الادارة العامة للآثار والمتاحف فى شمال المملكة العربية السعودية خلال عامى ١٣٨٥هـ/١٣٨٦هـ وسجل برقم ٢٠٤/٤٣ ويشمل بقايا معمارية لمدينة كاملة مسورة تنحصر آثارها فى مساحة مربعة الشكل تقريبا ٨٠٠×٨٠٠م تتخللها عدد من التلال الأثرية مختلفة الأشكال والارتفاعات تمثل أنماط الوحدات المعمارية المتعددة التى تتكون منها المدينة الأثرية ويتخلل هذه التلال عدد من الآبار الضيقة والمطوية بالآجر ويحيط بهذه البقايا سور مبنى باللّبن كثير التعاريج يخلو من الأبراج، ترتبط نهايته بقلعة صغيرة على جبل متوسط الارتفاع استخدمت كبرج للمراقبة، ويلحق بهذه الأطلال مجموعات معمارية أخرى خارج نطاق السور من أبرزها بقايا مسجد ومنطقة البركة الى الشرق من الموقع الرئيسى وفى



لى وادي القــــرى

اعداد
ضيف الله مضيف الطلحي
السعودية

الشمال الغـربى توجـد مقبرة المدينة، وقد سبق أن عثرت الادارة العامة للآثار والمتاحف على شاهد قبر بها يرجع الى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وهو محفوظ بها حاليا تحت رقم ٨٦/٣/٥، عليه كتابة بالخط الكوفى تقرأ على النحو التالى:

«بسم الله الرحمن الرحيم
هذا قبر أبى حازم عبد الله
ابن ابـراهيم ابن الفضـل ابن ابى حازم
رحمه الـ (اله) وز (كاه).»

انظر المخطط رقم (١)

المابيات فى رأى المؤرخين والجغرافيين العـــرب

يشير وصف الجغرافيين المسلمين فى الفترة من القرن الثالث الى أواخر القرن السادس الهجرى (٩-١٢م) الى ن المابيات هى قرح قاعدة وادى القرى اذ اهتم الحسن الأصفهانى المعروف، بلغده وهو من جغرافى القرن الرابع الهجرى/ العـاشـر الميلادى بتحديد موقع وادى القرى بالنسبة الى المدن والقرى الأخرى وذلك فى معرض حديثه عن طريق الحج فيذكر من مراحل الطريق وادى القرى ثم العوالى (العلا حاليا) ثم الحجر وينطبق هذا الوصف على موقع المابيات.

ومن ثم فان المخلفات الأثرية من عمارة وتحف منقولة اسلامية هى بقايا مدينة قرح عاصمة وادى القرى والتى كانت قائمة أيضا فى الفترة السابقة على الاسلام، ويبدو أنها قامت وازدهرت فى هذا المكان للاستفادة من الطريق التجارى الرئيسى والذى يعرف عند أهالى العلا بدرب الحاج، وكان بها سوق من أسواق العرب الموسمية هذا الى جانب انتعـاش الـزراعـة فى هذه المنطقـة بفضل شبكة القنوات المائية التى تم إحياؤها فى المناطق الزراعية المزدهرة فى شمال الجزيرة العربية.

ولقد غزاها الرسول ﴿ﷺ﴾ بعد فتح خيبر عام ٧ للهجرة وفتحت عنوة وقد غنم المسلمون منها أموالا وأثاثا كثيرة، كما تشير المصادر الى أن الخليفة عمر بن الخطاب أجلى اليهود عنها.

كما يستشف من المصـادر التـاريخية أن وادى القرى (قرح) قد فقد أهميته واضمحل دوره وتقلص خلال القرن الأول الهجـرى وذلـك لانـدثار كثير من العيون الجارية وإهمال الزراعة لذا نرى الخليفة الأموى معاوية يسأل أين

الجنات والعيون عندما مر بوادى القرى ويرد مرافقة باظهار ثمانين من العيون المندثرة وكذلك يبرر عبد الملك بن مروان طلبه من يزيد ضيعته بوادى القرى بأنها مهملة وغلتها قليلة ويؤكد هذه الحقيقة قلة المخلفات الاثرية التى تعود الى هذه الفترة.

ولكن سرعان ما ازدهرت منطقة وادى القرى بعد ذلك التاريخ ووصلت الى قمة أرجها حتى أصبحت المنطقة الثالثة بعد مكة المكرمة واليمامة على حد قول الاصطخرى بل اعتبرها المقدسى (عام ٣٧٥هـ) المدينة الثانية فى الحجاز بعد مكة المكرمة وهذا ما تؤكده المخلفات الأثرية والحضارية المشاهدة فى الموقع حاليا.

ويبدو أن المابيات أخذت فى النمو مع بداية القرن الثانى الهجرى (٨م) وبلغت أوجها فى القرنين الثالث والرابع الهجريين (٩-١٠م) وهذا راجع فى اعتقادنا الى تزايد الحجاج المارين بالمنطقة الأمر الذى أنعش الحياة الاقتصادية لهذه المدينة باعتبارها محطة من محطات الطريق الى مكة المكرمة ويؤكد ذلك أيضا ما توصلت اليه بعثة معهد الآثار بجامعة لندن (١٩٦٨) من نتائج بعد دراسة مقتضبة وتحليل القطع الفخارية التى عثر عليها بموقع المابيات والتى يرجع بعضها الى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين والبعض الآخر الى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين أى أن الموقع كان مأهولا حتى نهاية القرن السادس الهجرى (١٢م) وهذا يتفق مع كتابات الجغرافيين والرحالة المتقدمين. ولقد أكد تقرير البعثة المنشور فى مجلة المعهد رقم ٩،٨ لعام ١٩٧٠ أن المابيات موقع أموى وعباسى هام.

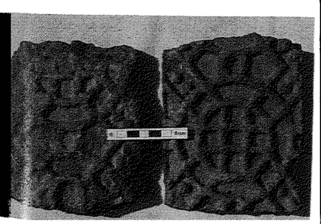
ومع بداية القرن السادس الهجرى (١٢م) بدأت مرحلة أخرى من الاضمحلال تلوح على المنطقة الى أن جاء القرن السابع الهجرى (١٣م) فأفل نجم المابيات وحلت العلا محلها ولا نرى أحدا من المؤرخين والرحالة المتأخرين بعد هذا التاريخ يذكرها ويؤكد ذلك أيضا اختفاء المخلفات الأثرية بعد هذه الفترة (القرن السابع الهجرى/ ١٣ميلادى) واذا كانت المصادر التاريخية لا تذكر شيئا عن أسباب اندثار مدينة المابيات.. أما الحفائر التى بدأت بها الادارة العامة للآثار والمتاحف فى موقع المابيات فلا تزال فى مواسمها الأولية ومن ثم لا يمكن اعطاء سبب مؤكد لزوال هذه المدينة الأثرية الهامة.. الا أنه يمكننا القول لعل الاسم ينبىء عن حال المسمى وأن سبب الاندثار هو انتشار الأوبئة مما حدا بالسكان الى هجرها والارتحال عنها الى مدينة العلا، ومن ثم سميت بالمابيات.

أعمال الحفر

لقد حظى الموقع باهتمام الادارة العامة للآثار والمتاحف وذلك لأهميته التاريخية والأثرية شأنه شأن المواقع الأثرية الأخرى المتناثرة فى مختلف أرجاء المملكة فبد



جزء من إناء من الخزف ذو البريق المعدنى



أقطعتان من الآجر عليها زخارف بارزه

بتسويره لحمايته والمحافظة عليه ووضعت خطة للبدء فى أعمال التنقيبات الأثرية استهلت الموسم الأول فى شهر ربيع الثانى ١٤٠٤هـ يناير ١٩٨٤م ثم تلاه موسم ثان فى عام ١٤٠٥هـ وذلك لالقاء مزيد من الضوء على تاريخ المدينة ومكوناتها الحضارية وآثارها الثابتة والمنقولة.

وقد أسفرت التنقيبات فى هذين الموسمين عن:

أولا: الوحدة السكنية

تقع فى الجهة الشرقية من الموقع فى مساحة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق الى الغرب بطول (١٥٫٤٨م) ومن الشمال الى الجنوب بعرض (١٢٫٥٣م) وهو ذات واجهة واحدة بالجهة الجنوبية تشتمل على بابين أغلق أحدهما الموجود بالركن الغربى واستخدم الآخر الذى يؤدى الى دهليز ننزل منه بدرج الى الفناء المكشوف الذى تطل عليه الغرف وأولها تلى المدخل مباشرة وعن يمينه مستطيلة الشكل أرضيتها أنيقة مبلطة ببلاط من الآجر مستطيل الشكل ٢٢×٢٠ سم نعتقد أنها الغرفة المخصصة للجلوس والأستقبال وذلك لقربها من المدخل وللعناية الجيدة ببنائها ويطل على الصحن من جهته الغربية ثلاث غرف متجاورة، اثنتان منها مبلطة بنفس الأسلوب المتبع فى سائر أجزاء الوحدة والثالثة التى تقع فى الجهة الشمالية الغربية من الوحدة لم تبلط أرضيتها ونعتقد أنها كانت تستعمل كحمام ويؤيد ذلك المخلفات التى وجدت بها وقد استقطعت مساحة صغيرة مستطيلة الشكل فى الجزء الشمالى فى الفناء استعملت كموقد للطهى ويفتح على الفناء فى هذه الجهة غرفة صغيرة تبرز للخارج عن الضلع



الفناء المكشوف للوحدة السكنية التى تم الكشف عنها بمدينة المابيات الاسلامية.

الشمالى هذه الوحدة من المرجح أنها كانت تستعمل للتخزين أو لغرض يتعلق بالموقد نظرا لقربها منه ويتوسط الفناء بالوعة لتصريف المياه مستديرة الشكل ومبنيه من الأحجار الرملية والجص.

وفى الجهة الشرقية من الفناء توجد بقايا مجموعتين من الدرج يصعد بها الى أعلى. . احداها تتجه للناحية الشمالية والأخرى للجنوبية.

وقد تميزت الوحدة بجدرانها المبنية باللِّبن والتى غطيت بلياسة طينية يعلوها لياسة أخرى من الجَص فى أغلب الجدران.

اما الأرضيات فقد غطيت جميعها عدا أرضية الغرفة الشمالية الغربية ببلاط من الآجر مربع الشكل ٢٠×٢٠ سم وسمك ٣-٤ سم ويعلو البلاطات طبقة من الجص لملء الفواصل ولتقوية الأرضية وتماسكها.

والأعتاب توجد فى مدخل الوحدة ومداخل الحجرات وهى من الحجر ومشذبة بعناية.

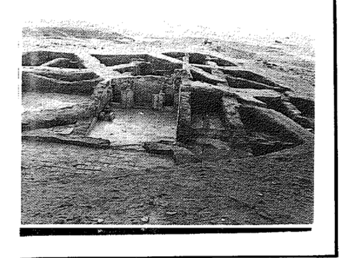
ثانيًا: مصلّى العيد

يقع المصلى فى الجهة الجنوبية الشرقية من الموقع ويبلغ طول جدار القبلة حوالى ٢١ر٦٥م ويوجد به المدخل المؤدى الى المسجد والمخصص لدخول الامام مبنى بحجارة رملية غير مهذبة متوسطة الحجم ومختلفة الألوان ملئت الفراغات بينها بمونة طينية وبعض الأحجار الصغيرة.

اما المحراب فهو من الداخل على شكل حدوة فرس غطيت أرضيته بطبقة رقيقة من الجص ومن الخارج يأخذ شكل مستطيل طوله الموازى لجدار القبلة ٢٥٠ سم وعرضه البارز عن جدار القبلة ١م وقد أطلق عليه مسمى مصلى العيد وذلك لبساطة بنائه وخلوه من الأعمدة ولوقوعه خارج المدينة وهذا تقليد متبع فى مصليات العيد حيث انها تكون عادة خارجة عن المدن وربما أقيمت الصلاة أحيانا فى الصحراء المكشوفة.

هذا والمشاهد للعناصر المعمارية المتنوعة وللتحف المنقولة

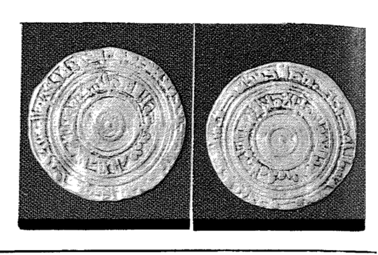
التنقيبات الاثرية بالجهة الشرقية من مدينة المابيات الاسلامية

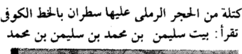


من الحواضر الاسلامية

كانت موقعة «فَخّ» التى وقعت فى عهد الخليفة العباسى «الهادى» سنة ١٦٩هـ بعيدة الأثر فى تاريخ العلويين فقد هرب بعدها رجلان كانا كالشَّجا فى حلق العباسيين. أولهما: «**يحيى بن عبد الله بن الحسن بن على**» الذى ثار فى بلاد الدَّيلم فى عهد «هارون الرشيد». . وثانيهما: أخوه إدريس بن عبد الله الذى نجح فى إثارة أهالى المغرب الأقصى على العباسيين. .

دينار من الذهب عليه كتابة كوفية في دائرتين متداخلتين (من الواجهتين).



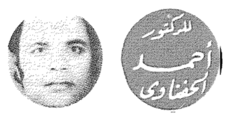


كتلة من الحجر الرملى عليها سطران بالخط الكوفى تقرأ: بيت سليمن بن محمد بن سليمن بن محمد



المتعددة التى تم الكشف عنها والعثور عليها خلال أعمال التنقيبات فى موقع المابيات الأثرى يشعر بحق أنه أمام مدينة أسلامية غنية بمكوناتها الأثرية والحضارية.

وينتظر أن تكشف المواسم المتتالية من التنقيب عن المزيد من كنوزها ومعالمها.



للدكتور أحمد الحفناوى

مدينة فاس الادريسية

وفى سنة ١٧٢هـ قامت دولة الأدارسة على يد المولى «إدريس بن عبد الله العلوى» الذى سار إلى بلاد المغرب الأقصى مع مولاه «راشد بن مرشد الزبيدى»، بعد أن بطش العباسيون بأهل البيت العلوى فى موقعة «فخ» وقد ساعدهما على الوصول إلى المغرب «الواضح» صاحب بريد مصر الذى كان يبطن العقيدة الشيعية.

تمكن إدريس من الاستقرار فى مدينة «وليلى» حيث أكرمه أميرها: اسحاق ابن زعيم قبيلة «أوربه» البربرية، وما لبث أن تنازل له عن الإمارة وساعده فى الحصول على مبايعة القبائل الأخرى حيث وفدت على إدريس قبائل زناتة وزواغة ومكناسة وغيرها ودخلوا فى طاعته مما قوى من شوكته ومد فى رقعة بلاده حتى شملت الأراضى التى تقيم فيها قبائل زناتة وغيرها من القبائل المنتشرة من القيروان وتمتد الى

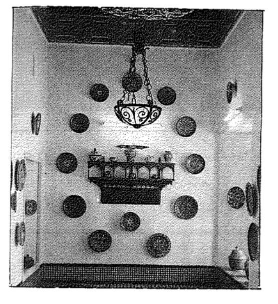
المحيط الأطلسى .

والواقع أن اسحاق، أراد بمساعدته ادريس أن يكسب لقومه أكثر مما خسر، فهو يأمل أن تقام هناك دولة فى المغرب يكون له فيها ولأتباعه من البربر نفوذ كبير بعد أن يئسوا من إنصاف العرب لهم .

هذا ويمكن تعليل النجاح الذى صادف «إدريس» بأنه راجع إلى اصطحابه مولاه راشد وهو على ما يذكر: «**بربرى الأصل**» أسر أبوه فى إحدى غزوات موسى ابن نصير(١)، هذا إلى جانب ما كان عليه إدريس من ذكاء خارق وحسن سياسة، فنراه يشغل أتباعه حتى يضمن ولاءهم له بالخروج غازياً، ناشراً الدين الإسلامى فى البقاع المجاورة التى لم ينتشر فيها بعد .

وقد خشى «هارون الرشيد» تفاقم خطر «إدريس» ومحبة الناس له حيث وصل إلى علمه أنه عازم على غزو إفريقية فعمل على التخلص منه وفكر فى أن ينفذ إليه جيشاً كثيفا للقضاء عليه ولكنه عدل عن ذلك لوعورة الطريق ولبعد الشقة بين بغداد والمغرب فأشار عليه «**يحيى البرمكى**» بأن يبعث إليه برجل معروف بالدهاء يحتال لاغتياله، فبعث الرشيد «سليمان بن جرير» المعروف «**بالشَّمَّاخ**» وكان من موالى «المهدى» وزوده بكتاب إلى واليه على إفريقية فأذن له هذا الوالى باجتياز حدود ولايته والمسير إلى المغرب الأقصى حيث التقى «**بإدريس**» وذكر له أنه متشيع لآل البيت فأكرمه وقربه إليه، ثم تحين الشماخ الفرصة لقتل إدريس وقد قيل إنه دس له السم فى قارورة ملأى بالطيب .

ولما تحقق الشماخ من الغرض الذى أتى من أجله هرب وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما فعل وجاءته الأخبار بعد مقدمه بموت إدريس، فكتب الأغلب إلى الرشيد بذلك، فولَّى الشماخ بريد مصر . .



متحف البطحاء بمدينة فاس

ترك إدريس أمةً بربرية حاملاً منه تدعى «كنزة» وكانت فى شهرها السابع فانتظر أشياعه حتى وضعت بعد موته بشهرين ذكراً أسموه «إدريس» وهو إدريس الثانى مؤسس مدينة «فاس» ومدينة فاس تعتبر مركز الحركة العلمية والأدبية والاقتصادية منذ نشأتها إلى اليوم، كما كانت مركزا للحركة السياسية إلى وقت قريب وقد برز أهلها فى ميادين: العلم والصناعة والتجارة والتقت فيها جميع العناصر المتساكنة فى المغرب: من بدو وحضر وسكان التخوم السودانية. وقد أسسها إدريس الثانى رحمه الله ليسكنها وخاصته ووجوه دولته. وربما كان مدفوعا بما اعتدنا ملاحظته

عند قيام أى خلافة أو دولة إسلامية جديدة، أن تقدم على بناء عاصمة جديدة حتى يكون التجديد عاماً وشاملاً.

خرج إدريس باحثا عن مكان مناسب لإقامة عاصمته، فوقع بصره على جبل فأعجبه ارتفاعه



منبر جامع الأندلسيين بفاس

وطيب تربته واعتدال هوائه فأمر ببناء العاصمة فى سفحه، وبدأ العمل بسورها ولكن مالبث أن انحدر سيل من أعلى الجبل فهدم ما كان قد بناه من السور فاضطر أن يرحل من هذا المكان وانتقل إلى وادى سبو، فأعجبه المكان ولكنه خاف كثرة مياهه حتى لا تتكرر الحوادث وأخيراً ترك أمر اختيار عاصمته الجديدة إلى وزيره عمير بن مصعب الذى وُفِّقَ كل التوفيق.

استمر عمير يختبر البقاع حتى انتهى إلى العيون التى ينبع منها نهر فاس فلفت نظره كثرة عددها وقد سالت مياهها فسار مع سيل الوادى حتى وصل إلى موضع مدينة فاس، فأعجبه المكان إذ هو فى وسط منبسط يفصل تلال الساحل عن جبال الأطلس الكبرى وعلى الطريق الرئيسى الذى يعبر هضاب الأطلسى، وحيث تلتقى أهم طرق مراكش البربرية وحيث يبدأ المخرج النهرى لهذه الناحية وأعنى بها نهر سبو الذى يصب فى المحيط الأطلسى والذى يعتبر أكبر أنهار مراكش.

نظر عمير إلى ما بين الجبلين، فإذا غيضة ملتفة الأشجار بها خيام من شعر لقبائل من زناته يعرفون بزواغة وبنى بزغة فرجع الى مولاه وأخبره بنتيجة بحثه فتفاءل إدريس باسم مالك هذه الجهة عندما علم أنها ملك لقوم من زواغة يعرفون ببنى الخير فاشتراها منهم.

ذكر ابن أبى زرع: «أن الامام ادريس رضى الله عنه لما اعتزم على بنائها ووقف فى موضعها يختطها مر به شيخ كبير راهب من رهبان النصارى وقد نيّف على مائة وخمسين سنة كان مترهبا فى صومعة قريبة من تلك الجهة، فوقف إدريس وسلم عليه ثم قال له: أيها الأمير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين؟ فقال: أريد أن أختط بينهما مدينة لسكناى وسكنى أولادى من بعدى يُعْبَد الله تعالى بها ويتلى بها كتابه وتقام بها حدوده، قال: أيها الأمير إن لك عندى بشرى، قال وما هى أيها الراهب؟ قال: أخبرنى راهب كان قبلى فى هذا الدير توفى منذ مائة سنة أنه وجد فى كتاب علمه أنه كان فى هذا الموضع مدينة خربت منذ ألف سنة وسبعمائة، وأنه يجددها ويحيى داثرها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوة يسمى إدريس يكون له شأن عظيم.. لا يزال دين الاسلام

قائما بها إلى يوم القيامة فقال ادريس: الحمد لله أنا إدريس وأنا من آل بيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأنا بانيها إن شاء الله.. فكان ذلك مما قوى من عزم إدريس على بنائها فشرع فى حفر أساسها»(٢)

ولما تم البناء قيل له: كيف نسميها قال نسميها باسم المدينة التى كانت قبلها فى موضعها وخربت قبل الإسلام بألف وسبعمائة سنة، وكان اسمها (سالف) كما أخبرنا بذلك الراهب، ولكن اقلبوا اسمها الأول وسموها فقلبوه فأتى منه «فاس» فسميت مدينة «فاس».

ويرى صاحب الدرر السنية ويشاركه فى هذا الجزنائى أن هذا هو أحسن ما يمكن أن نعلل به هذه التسمية.

ولكنا نرى أن هذه الرواية ضعيفة لتعارضها ـ بتفاصيلها ـ مع بعض الحقائق المتفق عليها. ولكن الرواية التى يمكن أن تكون أقرب إلى الصحة هى ما ذكره ابن أبى زرع فى أول حديثه عن هذا الموضوع حيث قال: «لما شرع إدريس فى بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصنّاع والفَعَلة والبنّائين تواضعا منه لله تعالى رجاء الأجر والثواب فصنع له بعض خدمه «فأساً» من ذهب وفضة فكان إدريس يمسكه بيده ويبتدىء به الحفر ويختط به الأساسات للفعلة فكثر عند ذلك ذكر الفأس على ألسنتهم طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون: هاتوا الفأس، خذوا الفأس، أحفروا بالفأس فسميت مدينة «فاس» لأجل ذلك(٣).

وقد ذكر ابن أبى زرع روايات أخرى فى هذا المجال كلها بعيدة عن التصديق.. وكان تأسيس الإمام إدريس لمدينة فاس فى يوم الخميس غرة ربيع الأول (١٩٢هـ/ ٨٠٨م).. أسس عدوة الأندلس منها ثم أدار بها السور وبعد سنة أسس عدوة القرويين وانتقل إليها من عدوة الأندلس وأخذ فى بناء جامع الشرفاء وأقام فيه الخطبة، وكان سكان عدوة الأندلس ينتحلون ـ فى معظمهم ـ الحراثة والفلاحة، بينما سكان عدوة القرويين كانوا ينتحلون ـ فى معظمهم ـ الصناعة والتجارة..

وقد اجتمع فى مدينة «فاس» علم «**القيروان**» وعلم «**قرطبة**» إذ كانت حاضرة الأندلس كما كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر القيروان بعبث العرب واضطرب أمر قرطبة باختلاف بنى أمية رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فراراً من الفتنة فنزل أكثرهم مدينة «فاس».

ولعل اتخاذ «فاس» شكل المدينة الاسلامية يرجع لهؤلاء القوم لقد سميت احدى العدوتين لنزول العرب الوافدين من القيروان بها (وهى نسبة صحتها القيروانيين، ولكن رُئىَ التخفيف من الياء فأصبحت القرويين) وكانوا ثلاثمائة أهل بيت.. وسميت الأخرى عدوة الأندلس لنزول العرب الوافدين من الأندلس بها، وكانوا أربعة آلاف أهل بيت وقيل انهم كانوا ثمانمائة ألف أهل بيت.

ولما تم بناء المدينة وحضرت الجمعة، صعد إدريس المنبر وخطب الناس ثم رفع يده فى آخر خطبته وقال: اللهم انك تعلم أنى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وانما أردت ببنائها أن تُعبد فيها ويتلى فيها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك ﴿ﷺ﴾ ما أبقيت الدنيا.. اللهم وفق سكانها للخير وأعنهم عليه واكفهم مؤنة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة

وال‍ ‍‍ـاق والنفاق إنك على كل شيء قدير، فأمن الن‍ ـ على دعائه فكثرت الخيرات بالمدينة وظهرت البركات فكان الزرع فيها فى أيام إدريس وذريته لا يباع ولا يشترى لكثرته دام ذلك خمسين سنة.

وكان إدريس قد اتبع خطة حكيمة لتعمير عاصمته الجديدة حيث نادى بأن كل من بنى موضعاً أو اغترسه قبل بناء السور فهو له هبة الله فتبارى الناس فى ذلك، وأكثروا من العمارة.. ونوَّعوا فى الغرس حتى أصبحت المحاصيل وفيرة، رخيصة الأسعار مما ساعد على ازدياد عمرانها.

ولقد بنى فيها الكثير من الحمامات والفنادق وزيدت مساجد كثيرة ونقلت الخطبة من جامع الشرفاء الذى بناه ادريس لصغره، وأقيمت بجامع القرويين لسعته وبلغت مدينة فاس فى أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من العمارة والرفاهية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب حيث شيدت فيها القصور والمدارس التى تؤوى الطلاب الذين كانوا يؤمون جامعة القرويين، واستمرت فاس فى اتساع وازدهار لا سيما وقد أصبحت عاصمة شمال افريقيا الثقافية والروحية وجوهرة عقد الحضارة الإسلامية بفضل القرويين وقد وصلت فاس إلى أوج عزها فى عصر بنى مرين وبلغ سكانها ألف نسمة(٤).

وتتجلى فى مدينة فاس روعة الفن المغربى الأندلسى فى هندسة القصور والحدائق والمتنزهات كما تتجلى فى الفنون والصنائع التى اشتهر بها الكثير من سكانها وقد عرف المغرب لهذه المدينة دورها الفذ فى حماية الشخصية القومية واستبسالها فى النضال عن مقومات الوجود المعنوى للأمة والحفاظ على تراثها الحضارى والفكرى.

وفاس تعرف لجامعة القرويين تاريخها المجيد الذى جعل منها إحدى حواضر الاسلام الكبرى واليها كانت رحلة العلماء والطلاب من مشرق ومغرب خاصة بعد سقوط بغداد فقد انتقل إليها علمهم ليجد فيها البيئة الصالحة والمقام الكريم حتى أتى خير أكله فكان يقال: «**إن العلم قمحٌ نَبَتَ بالمدينة وصُفِّى ببغداد وطُحِنَ بالقيروان وغُرْبِلَ بقرطبة وأُكل بفاس**» وفى مرحلة الاثمار هذه لم يكن طالب علم ليستغنى عن عطاء فاس وهو يسمع الكلمة الذائعة: «**إن جُبْتَ أفقاً أفقاً وطوّفت شرقاً وغرباً ولم تر فاس فلم تر الأرض حقاً**».

ثم كانت محنة الشام ومصر بالصليبيين والتتر ومحنة الأندلس بالضياع هى التى ندبت فاس لتلقى هجرة الإسلام اليها، ديناً ودولة حضارة وتراثاً فبقى المنار مضيئا لا ينطفىء فى القرن الثامن الهجرى. على أن رسالة فاس الكبرى لم تقتصر على استقبال وفود العلماء والطلاب من شتى الأقطار وعلى مر الأجيال، وانما ظلت لمدى قرون تزود بلدان افريقية والمشرق بالعلماء من مشايخ القرويين ومن رحل إليهم وتلقى عنهم ثم فى وقوفها فى مهب الاعصار الاستعمارى صامدة تتحدى ذرائع المسخ والتشويه والاهدار وحصناً منيعاً للشخصية المغربية الاسلامية.

---

١ - السيد محمد السنوسى الادريسى: الدرر السنية فى أخبار السلالة الادريسية.
٢ - ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: القرطاس: ج١ ص٤٨، ٤٩.
٣ - نفس المصدر: ج١ ص٦١.
٤ - المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب: ص٢٦٠-٢٦١. ط لندن سنة ١٨٨١.

فن الزخرفة

أ ـ اقدم ما عثر عليه منه .
١ ـ نشأته ، ضروورياته ، صعوبته .
٢ ـ مدرسته الكبرى (في مادبا) .
٣ ـ اعظم تحفة فنية منه . كيف عثر عليها .
٤ ـ ساين هي اليوم .
٥ ـ قيمة هذه التحفة في رأى علماء الآثار .
٦ ـ صانعها .

فن الزخرفة (الفسيفساء) اسلوب من التصوير عرفه العالم قديما، ولا سيما العالم الرومانى والعالم اليونانى ، فُرِشَت به ارض البيوت والمعابد وجدرانها والقاعات الكبرى بدلاً من البلاط ، وكانت فى الغالب القيمة الحقيقة لما صفحت به الجدران من زخارف غير ان ما ثبت على الجدران ابادته الزلازل وعبثت به الايدى ولم يبق عندنا ـ الا نادراً ـ الا ما نراه فى ارض المعابد والقاعات ودور الحكم التى حوَّلها الزمن اطلالاً بالية .

● واقدم ما عثر عليه من هذا الفن هو ما وجد فى (انطاكية)(١) سنة ١١٥ قبل الميلاد .

واقدم ما اكتشف من هذا الفن فى الديار الاردنية عثر عليه فى (جرش)(٢) لا يتعدى القرن الثالث للميلاد .

● ولم يصبح فن الزخرفة ـ الفسيفساء ـ شائعاً الا فى القرن الخامس والسادس والسابع للميلاد ، اذ امسى ـ فى هذه القرون الثلاثة ـ شائعاً فى زخرفة المبانى فى المدن وامتد الى القرى الصغيرة . . واضحت الكتابة ترافق هذه الزخارف الامر الذى يضع بين ايدينا تاريخاً ثابتاً صادقاً لا يعتمد على التخمين ولا على الروايات الشفهية المعرضة للزيادة والنقصان . ومما يؤسف له ان اسماء ذوى الفن الذين ابقوا لنا تلك الروائع قد اغفلت الا خمسة ذكروا اتفاقاً فى اعمال ابقوها فى (مادبا) و (المخيط) ـ آثار غربى مادبا ـ ويهمنا من تلك الاسماء اسم لصاحب اعظم اثر فنى زخرفى، نفى به (خارطة الاردن وفلسطين) التى سنفردها بالحديث ونخصها بالوصف اعنى به ـ سلمان المادبى ـ الذى سماه اليونان ـ سلمانوس ـ اذ زادوا على اسمه (اوس) المألوفة عندهم .

ماذا يتطلب عمل هذه الزخارف

يحتاج عمل هذه الزخارف الى عمال كثيرين لتهيئة المكان بشكل مستو اذ يفرش بالكلس والرمال الذى كان يقوم مقام الاسمنت . واحيانا يفرش بفرشتين تمتاز الفرشة الثانية بالمتانة وبالدقة والاتقان .

وبعد جفاف هذه الفرشة ، يرسم صاحب الفن

فى الأردن

روكس بن زائد العزيزي

الخطوط الرئيسة للصورة التى يريد ان يرسمها داخل
طار من الزخرفة. ويتولى هو نفسه تخطيط اهم قسم
ى الصورة كالوجه الانسانى ونحوه. ولا يكل ذلك
لى تلاميذه فالتلاميذ والمعاونون يقومون بالاعمال
لثانوية كغرس المكعبات الملونة بالفرشة الكلسية
لرمادية. وكانت هذه المكعبات تختار لها حجارة
خاصة يشرف على تقطيعها جماعة من اهل الفن
لبارزين. هذا فيما يتعلق بفرشة الارض أما فرشة
لجدران فكانت تصنع من عجينة زجاجية.

وبعد الفراغ من اخراج الصورة بالوجه الاكمل كانوا ينثرون عليها مسحوقاً من اللون الاحمر او اللون الازرق يطمئنوا الى ان التباين الحاصل بين الصورة والفرشة ـ القاعدة ـ البيضاء قد سوي أو زال.

وكان هذا العمل يحتاج الى :-

أ ـ مقدرة لا حدود لها.

ب ـ صبر عجيب لا ينفد.

ج ـ ووقت طويل.

فقد يكون العمل فى مكان ضيق جداً خالٍ من النور وعليه ان ينتصر على كل هذه الصعوبات الخانقة.

مدرسة هذا الفن الكبرى

لقد اثبت البحث والتقصى ان مدرسة هذا الفن الكبرى كانت فى مدينة (مادبا)(٣)

تقع (مادبا) فى سهول فسيحة الى الجنوب الغربى من (عمان) وتبعد عن عمان نحو ثلاثين كيلاً(٤).. وقد ظهر اسم (مادبا) فى التاريخ المدون سنة ١١٨٠ ق.م. وكان اول ذكر لها فى سفر العدد فى نشيد حربى.. وكانت مدينة معروفة فخضعت

لـ:

أ ـ الانباط .

ب ـ الرمانيين .

ج وعلى انقاض مادبا الرومانية بنيت مادبا البزنطية وكان في مادبا قلعة طولها ١٥٠ متراً وعرضها ١٠٠ متر وكانت محصنة جدا وكان فيها دار لضرب النقود. وقد رأى قلعة مادبا البحاثه (فنسان) في شبابه، وكان فيها اكثر من مائة بئر غير البرك، لان يشع كان قد فرض على كل من بنى داراً في مادبـا ان يحفر بئراً او هو اوصى ـ احتياطاً ـ وكان لمادبا في العهد الوثني الهة هي (عشـتروت) يكرمونها ببناء هياكل لها ترصع ارضها وجدرانها ـ بالزخارف ـ الفسيفساء .

وكانت هذه الالهة عندهم مساوية ل (ايزيس) عند المصريين وقد وجدت زخرفة تمثل (باخوص) اله الخمر وهو يرقص وزخرفة ثانية تمثل امرأة في رجلها خلخالان وفي يديهـا صنوج تضربها والى جانبها شاب يمثل احد الاله الصغار رفاق (باخوص) .

وكـان هؤلاء الالهـة الصغـار يصورون بشعر جعد وبقرني تيس وقوائم تيس وبيد كل منهم ناي .

فن البناء في مادبا قديمًا

فن البناء في (مادبا) كان خليطاً من الفن الروماني والفن البزنطي . ولا سيما في المعابد الكثيرة التي بنيت على غرار (الباسيليكا) الرومانية اليونانية مثل الكثير من مباني العالم البزنطي :

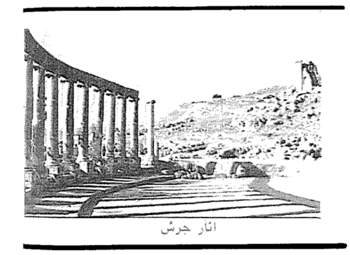
أ ـ البناء مستطيل .

ب ـ تنفسح امامه فسحة واسعة .

ج ـ يتوازى فيه صفان من الاعمدة تعلوها تيجان من الطـراز الكـورنتي الجميـل، وكان كل هذا ينتهي بحنيـة على شكل نصف دائرة، اما السقف فكان يقوم على اقواس تجمع ما بين تيجان الاعمدة وكان هذا السقف من الخشب والآجـر. وكانت الحجارة المستعملة في البناء يؤتى بها من الكهوف المجاورة او من امـاكن بعيـدة. وكـانت تنحت بمنتهى الدقة والاتقـان امـا الاسـوار فكـانت تبنى بحجـارة غير منحـوتـة. وكـان رخـام الاردن الابيض والاسود يستخدم في المباني المهمة وخاصة المعابد وقد يؤتى به من جزر اليونان .

اقدم ما انتجت مادبا من الفسيفساء

يرجع تاريخ ما صنعت مادبا من الفن الزخرفي الى ما قبل القرن الرابع للميلاد، وآخر ما صنعت كان في القرن الثامن للميلاد في (ماعين) في الجنوب الغربي من مادبا على بعد ثمانية عشر كيلاً .



اثار جرش

وكانت مدرسة (مادبا) الفنية تتميز بثلاثة مذاهب :ـ

١ـ المـذهب الطبيعي الوثني، وتغلب عليه المفاهيم الطبيعية الهلينية الوثنية .

٢ـ المـذهب (المؤتَم) ـ الكـلاسيكي ـ وهـو رقيق التنظيم يبدو اثره في (سْياغة) مكان مشهور بآثاره. قرب جبل (نبو)(٦) الذي يسميه الارادنة (جبل نبا) وهـو الجبـل الـذي وقف عليه (موسى النبي) عليه الصلاة والسلام وقد شاع في القرن الخامس للميلاد ـ الفن المؤتم ـ.

٣- ...ذهب المخضـرم الذى يجمع ما بين المذهبين المتقد. ذكرهما وقد ازدهر هذا الفن فى القسم الثانى من القرن السادس للميلاد، الى نهايته.

متى عادت مادبا إلى الحياة؟

نكاد لا نسمع لمادبا ذكراً بعد القرن الثامن الى ان اسكنت فيها الدولة العثمانية ثلاث عشائر عربية اردنية هى :

أ- عشيرة العزيزات - نسبة الى (العزّى) الهة العشق عنـد العـرب، وتنتمى الى (بنى شيبـان) سدنـة العزى. وكان من حظ هده العشيرة ان تساعد (خالد بن الوليد) فى واقعة (مؤتة) فتمتعت بامتيازات مازال البدو يعرفونها لها فيقولون : «كسيك يا اعزيز طيب، وكسيك يا أعزيز امبارك».

ب - عشيرة الكرادشة.

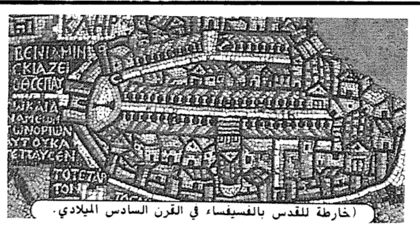
ج - وعشـيرة المعـاعيـة، وقـد اخذ شبانهم يحرفون الاسم ويقولون (معايعة).

وقد جرى هذا الاسكان سنة ١٨٨٠.

وقـد اقـامت هذه العشـائـر فى اول امـرها فى الكهوف والمغاور.

كيف عثر على تحفة مادبا الخالدة

● لما ارتحلت العشائر الثلاث من المغاور الى مادبا نفسهـا اقـامت عشيرة الكرادشة وعشيرة المعاعية فى الجزء الشمالى من مادبا سنة ١٨٨٤ فارادت بطريركية الروم الشرقيين ان تبنى كنيسة فى الجزء الشمالى من (مـادبـا) فلاحـظ احد الرهبان ان فى الارض التى اختيرت لاقامة الكنيسة عليها قطعة من الفسيفساء تمثـل خارطة للاردن ولفلسطين فكتب الى بطريرك الروم فى القدس يخبره بذلك فاهمل البطريرك الرسالة بلا جواب. وفى سنة ١٨٩٠ توفى البطريرك فحل محله بطريرك جديد اسمه (جراسيموس) فوقعت فى يده الرسالة فأنفذ الى (مادبا) مهندساً - فى الحال - وامره ان يدخل تلك الخارطة فى بلاط الكنيسة التى تُبْنَى لكن المهندس الاسود الحظ - لما عاد الى القدس - اخبر البطريرك ان الخارطة لا قيمة علمية لها. وكان اهمالـه داعيـاً لتـدمـير جانب منها مع ان اربعة من الـرهبان قالوا انهم رأوا الخارطة كاملة قبل ان يدمر العمال والاطفال الذين استعملوا مكعباتها العاباً لهم - جانباً كبيرا منها -.


(خارطة للقدس بالفسيفساء في القرن السادس الميلادي.

ولحسن حظ التـاريخ ان يمر احد رجال الآثار فيصف القسم الذى رآه من هذه الخارطة. وفى سنة ١٨٩٦ زار مادبا (كليوفاس كويكيلوس) مدير مكتبة دير الروم فى القدس، وكان شديد الولع بالآثار فادرك القيمة العظمى والأهمية البالغة لهذه التحفة ونقل ما

عليهـا من الكتابات ورسم لها رسماً اولياً نشره سنة ١٨٩٧ فكـان ما كتبـه سبباً فى المحافظة على هذه التحفة الخالدة وفى توجيه انظار علماء الآثار فى العالم اليها . فاخذوا يتهافتون على مادبا، ومنهم :

(قنسان) و (لاغرانج) وهما امامان من ائمة علماء الآثـار فى (الـدومينكـان) هبطا (مادبا) سنة ١٨٩٧ وقضيا هناك اربعة ايام يدرسان هذه الخارطة . ثم نشر (الاغرانج) نتيجة ما وصل اليه فى مقال مازال حتى الآن مرجعاً رئيسياً لعلماء الآثار عن هذه التحفة النادرة .

وفى شهـر اذار من تلك السنة اى ١٨٩٧ طبع مقال (الاغرانج) على حده ووزع فى (باريس) بإيعاز من اكاديمية المخطوطات .

وممن كانوا فى طليعة الذين رسموا هذه الخارطة :

(فنســان) المــذكــور، و (جــرميـه ديـران) و (ستفنســون) وسـائـح روسى مجهـول وقد استخدم رسومهم مؤرخو الخارطة المتعاقبون .

ثم رسم الخارطة ملونة كل من (بلمر) و (غوته) سنة ١٩٠٢ . ونشر الرسم فى عشر صور سنة ١٩٠٦ ورسمهـما اقرب الرسوم الى الخارطة شبها وقد عاد العالم (فكتور غولد) وحقق ـ موضوعياً ـ فى صحة ما توصل اليه الذين سبقوه فى تشرين الاول سنة ١٩٥١ .

وكـان اهم الابحاث التى تناولت هذه الخارطة مقالة ضافية نشرت فى معجم الآثار سنة ١٩٣١ وفى ملحق معجم الوزارة سنة ١٩٥٣ واهم من ذلك كله كتاب جعل وقفاً على هذه الخارطة سنة ١٩٥٤م .

ترجمان للخارطة

جرى ترميم الخارطة بعد خلافة الخليفة الاموى (عمر بن عبد العزيز) اى بعد سنة ٧٢٠ للميلاد.

والـترميم الثـانى حصل بعد اكتشافها وهو ترميم لم يتناول جوهر الخارطة لكنه اجرى ملأً للفراغ وتلافياً للتشـويـه بعد ان اكتشفت الخارطة وعلمت قيمتها ومنزلتها لدى علماء الآثار فى العالم .

وكـان محور هذه الخـارطـة هو مدينة (القدس) وكانت تنتهى جنوباً بـ (دلتا) النيل .

ويرى علماء الآثار الأثبات، ان الخارطة لم تكن تتغد مدينة (الكرك) فى جنوبى الاردن و(صرفند) فى فلسطين و(صيدا) فى لبنان وقسماً من البحر المتوسط (بحر الروم) .

مزايا هذه الخارطة

من مزايـا هذه الخـارطـة ان واصفها كان عالماً بالتاريخ وبالجغرافية فكان يضع اسم المدينة القديم واسمهـا الجـديـد وان كانت تشتمـل على الارض المقدسة، نقول هذا وان كانت اقساما كثيرة من هذه الخارطة قد اتلفت وقد اختيرت الاماكن المذكورة فى هذه الخارطة او بالاصح المدن لأحد سببين :

أ ـ اما لكونها واقعة على الطرق الرئيسية .

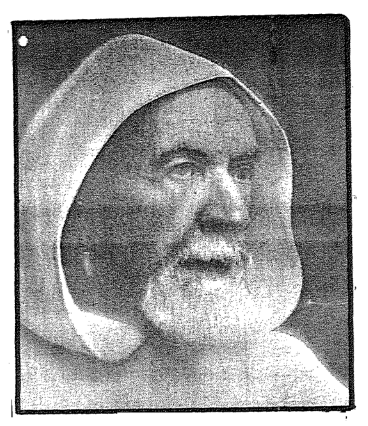
ب ـ واما لكونها مشهورة بحوادث مهمة وقعت فيها .

ج ـ واما للسببين معاً .

وفوق هذا فانها مثلت طبيعة البلاد سهلها وجبلها وانهارها، الامر الذى يشير الى تمكن ذاك الفنان(*) ومسـاعـديـه من المعرفة الدقيقة للبلاد . وقد وسع المـدينة فى الخارطة على نسبة شهرتها . وكان يضع رسوما لحيوانات او لأسماك لكى يملأ الفراغ احيانا لان هذا هو الاسلوب الذى درج عليه قدما اهل الفن .

الزمن الذى صنعت فيه الخارطة

كل الدراسات تشير الى ان الخارطة وضعت نحو ٥٦٥ للميلاد، او بُعَيْد ذلك بقليل، وان (سلمان) - سلمانـوس ـ واضعها كان عالماً ولم يكتف بمعلوماته



لاغرانج الدومنيكي اول من درس خريطة الفسيفساء في مادبا.

الخاصة بل استند الى مؤلفات سبقته اهمها: (الانوماستكون) لمؤلفه (اسابيوس القيسرى) و(اوسايوس) - الذى ذكرنا، عاش فى (فلسطين) من ٢٦٠ الى ٣٤٠ للميلاد. وكان متضلعا فى علوم التاريخ.

ومن المزايا التى تفردت بها هذه الخارطة ان الجهات الاصلية فيها قد رسمت على الوجه الطبيعى لا الاصطلاحى.

تشابه أعمال الزخرفة الموجودة فى البلاد المجاورة

ان تشابه اعمال الزخرفة - الفسيفساء الموجودة فى مادبا، والبلاد المجاورة يشير الى امرين مهمين:

الاول: ان (مادبا) كانت هى مدرسة الفن الكبرى لهذا الفن.

والثانى: ان الصلة التى كانت بين رجال الفن كانت صلة اخوة ورابطة محبة قد برئت من عنصر التحاسد الذى تولّده الحرفة الواحدة بين اصحابها.

وحيثما طوفنا فى الديار الاردنية او الفلسطينية نجد سمات الفن المادبى بارزة واضحة.

وكلها تشير الى شيوع هذا الفن شيوعاً غريباً..

وقد اظهرت الحفريات فى مادبا وجود طبقات من الزخارف - الفسيفساء بعضها فوق بعض، مما يشير الى ان (مادبا) كانت عرضة لزلازل مدمرة طمرت بعض روائع هذا الفن فحجبتها عن ابناء ذلك الزمن الى ان جاء ابناء القرن العشرين ينقبون عنها ليروا ما خلف الذين سبقوهم الى الاقامة فى هذه الديار.

مراجع الموضوع

(١) مدينة فى تركية، بناها (سلوفوس) سنة ٣٠٠ ف.م. واصبحت ثالثة مدن الامبراطورية الرومانية بعد (رومية) والاسكندرية) دمرها الفرس سنة ٥٤٠ للميلاد واجهزت عليها الزلازل المتعاقبة فى القرن السادس للميلاد، احتلها العرب سنة ٦٣٨ ب.م. وفتحها الفرنجة سنة ١٠٩٨ وصارت عاصمة امارة فرنجية. دخلها السلطان (بيبرس) سنة ١٢٦٨ ب.م. ثم تولاها الترك العثمانيون.

(٢) مدينة رومانية، ولعلها افضل مثال - فى الشرق الاوسط - لمدينة رومانية احتفظت بطابعها اكتشف آثارها الرحالة الالمانى (شترن) سنة ١٨٠٦ فاتجهت اليها انظار السياح منذ ذلك الحين من اهم الاثار فيها هيكل (زفس) كبير الهة اليونان الذى يسميه الرومان (جوبتر).

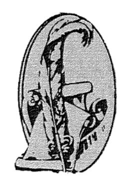
(٣) هى احدى مدن الآثار الاردنية المشهورة احتفظت باسمها من اقدم العصور.. واسمها يعنى - المكان الطيب والمياه الهادئة ورد ذكرها بهذا الاسم فى الآثار المسيحية عند ذكر مجمع (نيقية).. وذكرتها كتب التاريخ العربية عند ذكر اميرها (ابن الهيولة) من الضجاعمة.

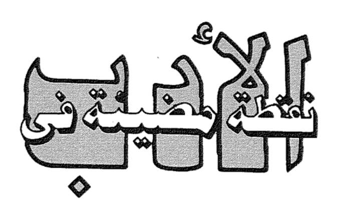
(٤) اختصار ليكيلومتر وقد اعجبنا.. واول ما رأيناه فى كتابات الشيخ (حمد الجاسر) صاحب مجلة العرب الشهيرة.

(٥) سياغة: تحريف لكلمة سياج - وقد وهمت دائرة الاراضى الاردنية ومجلس مادبا البلدى وحرّفا هذا الاسم الى (صياغة) وهو وهم كبير.

(٦) نبو اسم لاله التجارة عند الاقدمين.

(★) آثرنا كلمة فنان على كلمة (ربيز) لان الاولى اخف وارشق.





* من الأمور التاريخية الخالدة الهجرات السامية السبع من قلب الجزيرة العربية والتى - بمرور آلاف السنين - أصبحت رمزاً حيوياً يوحى بأن جزيرة العرب خزان بشرى هائل يفيض بالناس وعنه تنبثق حضارات الأمم والشعوب على مدار الحقب ومدى الأزمان.

* هذا ما تقول به كتب التاريخ القديم ولا أظن أن كتب الأدب تستطيع أن تقول شيئاً يبعد فى مضمونه عن مثل هذه المقولة ولا سيما إذا واكب الباحثون - واقع الجزيرة - وساروا به سيراً إستقرائياً فكشفوا عن المنطق وهُدوا إلى الصواب.

* ولعل - هذه الأرض المباركة المقدسة - التى تتوسَّط العالم (قديمه وحديثه) ذات معنى إعجازى.. ومبنى سام.. ورعاية من جانب الله سبحانه لقاطنيها إنه على كل شيىء قدير.

* ولو لم يكن الأمر كذلك فكيف يسود رعاة الشاء ربوع العالم ويقوضون ملك كسرى وقيصر فى سنوات معدودات.. إن هذا لشيىء عجاب.. إنها عناية الله التى جعلت أبناء هذه البقعة يغزون بالاسلام وينشرونه فى شتى بقاع الأرض.

* بيد أننا ونحن نطوى هذه الصفحة المشرقة من تاريخ الجزيرة العربية لنفتح صفحة أخرى من صفحات الأدب والفكر الذى درج على أرض الجزيرة فى عهوده الأخيرة.. مروراً سريعاً خاطفاً ليكون توطئة لما يليه وهو العصر الراهن.

وإليك - ياقارئى العزيز - خلاصة ذلك

عندما نزل كتاب الله المعجز المكنون من لدن عليم حكيم على أمة (الضاد) ذات الفصاحة والصفاء الفكرى.. نزل متحديا أن يقدر هؤلاء البلغاء على مضاهاته بمعنى أن الجزيرة العربية - منذ ذلك الوقت - وهى تعيش عصراً لغوياً ذهبيا.. ولا غرو فى ذلك فقد كان شعراء تلك الفترة أصحاب معلقات وكذلك خطباؤها وحكماؤها الذين بلغوا - على صعيد اللغة - شأواً عالياً ومكانة مرموقة وكان لهم شأن عظيم.

ومع ذلك فقد تحدى القرآن الكريم هذه (القدرات الهائلة) ذات الملكات الصافية أن يأتوا بمثله أو بجزء



أحمد جبر

من مثله فلم يستطع أحد أن يفعل ذلك.

وشاءت ارادة البارىء أن تعزز قدرة اللغة العربية بهذا المدد السماوى الهائل الاعجاز (القرآن الكريم) فزادت منعة على منعة وعزا على عز ونورا على نور.

هذا فى عصر صدر الاسلام.. أما فى العصرين الأموى والعباسى حين ترسخت لغة القرآن ونمت فى نفوس الناس آياته البينات وبلغ من كلفهم به أن إحدى المسلمات لم تكن تتحدث بغير آياته سؤالاً وجوابا على كل الأصعدة مما عزز أثره فى النفوس وقواها بذكره.. فكانت لغة العرب ثقاف الألسنة ومطمح القلوب والعقول.. ومنهل الأرواح والأفئدة وحصنها الحصين إلى أن دهى بنى العباس شعوبيو الأرض فاستولوا على زمام الخلافة تسلطاً واستعلاء حتى صار الخليفة كما يقول الشاعر (فى قفص).

وخليفة فى قفصٍ
بين وصيفٍ وبغا
يقول ما قالا لهُ
كما تقول الببَّغا

حينئذ وبعد هذه اللحظة بدأت اللغة العربية طوراً تراجعياً عجيباً تبدلت اللغة ديباجة ومضموناً.. فالسجع البليد المتكلف حل مكان العفوية.. والمحسنات اللفظية أصبحت هدفاً يسعى له الكتاب والشعراء والجناس والطباق والمقابلة والتورية والتصريع والترصيع غدت المراد مدحاً ورثاء وتهنئة وغزلاً وهجاء ووصفا وفخرا وحكمة تحتاج الى (الحكمة) فابتذلت المعانى وضاعت المبانى وتدهورت المقاصد وماتت الأهداف السامية الشريفة.

في هذه الفترة من التزويق والزخرفة اللغوية كان على لغتنا الجميلة أن تغط في نوم عميق يزيد مداه على أربعة قرون إبان (حكم غير العرب للعالم العربي).

لكن الجواد الأصيل لا ينسى صاحبه..

وهكذا بدأت مع بدايات هذا القرن وفي أواخر القرن الذي سبقه زفرات حرّى على صدر التاريخ تُصَعِّدها أنفاس عربية مدرسية في مصر كجماعة الديوان.. وأبوللو.. وغيرها.. فكانت هذه النهضة الحديثة تشكل انبعاثا للادب الغافي فكانت الرسالة والمقتطف والاهرام والمنار ثم درجت المطابع والصحف والمجلات والكتب ودواوين الشعر، فكان منها - بحمد الله - الشيء الكثير الذي كان طريقاً ممهداً لما بعده.

وكانت مصر حفيّة بنهضتها.. وكان عشرات الأدباء والشعراء والكتاب.. وكان لها إمارة الشعر وعمادة الأدب.. وفيها كرمه ابن هانيء وعلى أرضها مسارح البلاغة وفيض الأدب.

امتد هذا الحال الى خمسينات هذا القرن فكانت سوريا ولبنان قد بدأتا بالاضطلاع بمشاركة مصر لهذا الدور الريادي كنوع من الصدى الذي امتد وانتشر. فبدأت هجرة الأدب إليهما.. وإقامته بين ظهرانيهما تبدو واضحة جلية.

ولم يظل العهد بذلك حتى توجه الأدب شرقا ليستقر في مهده الأول على ساح الجزيرة العربية في المملكة العربية السعودية والخليج والعراق فظهرت في هذه البقاع المجلات الأدبية والثقافية على اختلاف أنواعها وإن كانت أسبقها (**منهل العلامة عبد القدوس الانصاري**) وكذلك المؤسسات الصحفية والمطابع والجامعات ودور العلم وكليات الشريعة.. وبدأت المؤلفات تصدر بالمئات في شتى حقول المعرفة والأدب.. وافتتحت النوادي الادبية والثقافية في المدن الرئيسية بدعم وتشجيع من الحكومات وفي مقدمتها السعودية التي تضاهي مجلاتها وصحفها أرقى مجلات وصحف العالم تبويباً واخراجا ومضامين نظيفة نقية بعيدة عن المهاترات وفجور القول.

وبمعنى أدق فقد شهد قطاع الفكر والأدب والثقافة مواكبة نهضة الدولة الشاملة في كافة الميادين الدينية والاجتماعية والعمرانية والاقتصادية والعسكرية والسياسية.. وازدهر الأدب وأينع بنشره على نطاق واسع في شتى بقاع الأرض ولا عجب في ذلك فقد امتد عمل الأقمار الصناعية لطباعة إحدى الصحف لتطبع يوميا في اكثر من تسع دول بذات الشكل والمضمون (في ذات الوقت) وهذا ما لم تحرزه كبريات صحف العالم.

إذن لا عجب أن نقول ان الأدب السعودي - بما يلقاه من دعم وتشجيع واهتمام رسمي وشعبي بلغ شأواً بعيداً وقطع بوناً شاسعاً حتى استقطب قسماً لا بأس به من الكفاءات العربية لدراسته ولمشاركته نموه وتقدمه وازدهاره وسعى ان يكون جسراً موصلاً إلى كل بيت عربي ما يستطيع إيصاله من وعي وإدراك رشيد ومما يتسم به من عفوية وبيان.

وكما تتمايز ألوان الطيف (Rainbow) ويختلف شفق المساء الضاحك المضيء عن غسق الليل الداجي كذلك تختلف طفرة الأدب السعودي عما يحيط بها وتمتاز بميزات تتسم بطابع معين.

أما أبرز هذه السمات فهي:

١) ***أن هذه الطفرة نظيفة جوهراً وواعية يقيناً وذلك لأنها نبعت من مهاد الدين لذلك كانت مبنية على أسس متينة راسخة واستندت إلى فطرة سليمة (عربية قُحّة) فصيحة فصاحة عفوية لا تكلف فيها ولا ابتذال.***

٢) ***تبتني الخط الصحيح في نهجها والمستقيم في نشرها***

للفـ... وهي بيا هيىء لها من موارد تستطيع بها أن تعيش عز... ولا تمتهن أو تضعف أمام الاغراءات المادية التي تأ... بلب سواها وتحولها عن الطريق الصحيح الى دروب الانحراف وفقدان الهيبة ثم الضياع والاندثار.

٣) *بعيدة بحكم هذا الحرز (توفّر الامكانيات) ووجودها في الجزيرة المنطلق عن تيارات الفكر الهدامة التي تنتشر في أنحاء متفرقة من العالم.*

٤) *وكدليل على سلامتها ونظافتها نداء أدبائها ومفكريها بأن تكون (اللغة العربية الشريفة ـ لغة القرآن الكريم) لغة عالمية تحتل مكانتها اللائقة بها كلغة أولى ولا يكتفى هؤلاء المخلصـون بالنـداء بل يعربون عن استعدادهم لدعم هذا المطلب والتضحية في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل.*

ومما يؤكد ذلك (المدينة الطباعية) التي أفتتح مشروع إقامتها مع بداية عام ١٤٠٥هـ والخاصة بالقرآن الكريم دستور هذه اللغة ومعينها الذي لا ينضب، وبتكلفة ألف مليون ريال.. وهذا ما لم تقدم على مثله أية دولة في العالم.

وللدلالة على أن طفرة هذا الأدب (عجيبة.. سريعة جداً.. حصيفة.. موفّقة.. واعية) نجد كتاب الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) لمؤلفه الدكتور بكرى شيـخ أمـين الـصـادر عن دار صادر ببـيروت (١٣٩٢-١٩٧٢). أي قبـل ثلاثـة عشر عاماً يشكو فيه المؤلف من الصعـوبات التي صادفها بتأليفه.. إحداها «المصـادر لأن كثـيراً من الانتاج الفكرى والأدبي ضائع مفقود ويقول: «ولا تجد كتاباً واحداً يهديك في موضوعك هذا».

أما الآن فنجد المكتبات عامرة بشتى ألوان المعرفة التي تنير الطريق للباحث وتسهل عليه مسعاه. وقد تخرّج من الجامعات السعودية العديد من حملة رسائل المـاجستـير والـدكتـوراة اعتمـدوا في إعـداد هذه الأطروحات على ما تحتويه هذه المكتبات من مصادر ومراجع نفيسة في شتى فنون العلم والأدب والمعرفة.

اما ما نعنيه بعصر الطفرة في الأدب السعودي فهو ما يسميـه كتـاب (الحـركـة الأدبية في المملكة العربية السعودية) بالدور الثالث.. ويعطونه اسم (**النهضة والاستقـرار**) فقـد تم خلالـه توحيد الجزيرة لتنعم بالسعادة والأمن والاستقرار في وضع إجتماعي ممتاز.

في ضوء هذا الواقع الأدبي الرصين يلمح المرء أن انبثاق الأدب من مهده الأول (**الجزيرة العربية**) مجدداً وعلى هذه الصورة الجميلة الفاعلة والملتزمة بالصدق والعفوية إن هي إلا نهضة مباركة ينظر العالم العربي إلـيهـا بشيء مِن البهجـة والحبـور والتقـديـر والاجلال.. ويَبَش حين يستقبلها بل هو ينظر نحوها بحب يشبه حب العاشق لوردة تتفتح أمام ناظريه بلا غاية ولا هدف سوى أن تنشر عطرها ورائحتها الذكية ليستنشق الناس عبيرها الفواح وينعموا بشذاها العطر وينتشـوا بعبقهـا.. وكلهم شكر للباري منبت هذه الزهرة ومبدعها على أحسن صورة.

ولا عجب أن تكـون (الجـزيرة العربية) هي نبعة هذا الفكـر حيث كانت على امتـداد تاريخهـا منـاراً للعقول والازدهـار للأذهـان وضياء وألقاً متجدداً كلما أظلم جو الفكر واكفهر.

فهنيئـاً للجـزيرة التي كتب لها أن تكون مهبط وحى ومبعث رسالة.. ومهوى قلوب وأفئدة الناس كونها مصدر خير وعطاء فكرى في المدى القريب وفي المستقبل المنظور خلال فترة قصـيرة إذا قيست بعمـر الـزمن بهمة الرجال العاملين فيها.

ولهم من كل شعوب الأرض التحية والاكبار على هذا الجهد المتفوق النبيل.

«الأردن»





يعتبر تدوين الشعراء للتاريخ الذى نظموا فيه قصائدهم من أهم العوامل التى يستطيع الباحث أو الناقد أن يقف من خلالها على مراحل النضج والتطور الفنى والابداعى للشاعر. . فلا شك فى أهمية معرفة التاريخ الذى أنشأ فيه الشاعر كل قصيدة من قصائده للوقوف على تطور شخصيته نفسياً وفكرياً وثقافياً وتطور إبداعه الفنى والشعرى من حيث النضج والاكتمال أو الفجاجة والضحالة. . بل إن تاريخ الانتاج الفنى للشاعر يعيننا على معرفة التطورات السياسية والاجتماعية والحضارية للمجتمع الذى عاش فيه الشاعر استناداً إلى ما هو معروف من وجود علاقة وثيقة بين المجتمع والأدب تعكس ظلالها على موقف الأديب من تيارات هذا المجتمع وقضاياه.

فيكتور هيجو وتأريخ القصائد:

وقد فطن شعراء الغرب الى أهمية تأريخ إنتاجهم الفنى فحرص **(فيكتور هيجو)** مثلا على تأريخ قصائده. . بل أكثر من ذلك حرص على ذكر المكان الذى نظمت فيه بعض هذه القصائد. . فلا تكاد قصيدة من قصائد الدواوين التى نظمها شاعر فرنسا العظيم فى مختلف مراحل حياته الحافلة بالأحداث والمفاجآت تخلو من بيان الشهر والسنة وأحياناً تاريخ اليوم الذى نظمت فيه القصيدة. . كذلك لا تخلو كثير من قصائده من ذكر مكان نظمها مثل جرسى. . وباريس. . وبروكسل. . وغيرها. ولا شك فى أن بيان مكان نظم القصيدة مع تاريخ نظمها مما يساعد على الوقوف على الجو والمحيط الذى نظمت فيه ومؤثرات هذا المحيط وموحياته المختلفة فى نفسية الشاعر ومخيلته. . ذلك أن معرفة الزمان والمكان اللذين أنشأ فيهما الأديب إنتاجه الفنى يعتبر من عناصر المعايير النقدية المتعارف عليها فى مدارس النقد الحديث.

الشعراء العرب وتأريخ القصائد:

أما شعراؤنا العرب فمن العسير جداً أن نحدد تحديداً دقيقاً الزمن الذى نظم فيه الشعراء الأقدمون أشعارهم كالمتنبى أو المعرى أو البحترى أو ابن الرومى أو أبى تمام. . ناهيك عن امرىء القيس وعنترة العبسى وعمرو بن كلثوم وأعشى قيس والنابغة الذبيانى وأصحاب المعلقات من شعراء العصر الجاهلى. . بل إن الترتيب الزمنى لنظم الشاعر قصائده بالنسبة للشعر العربى القديم أمر يكاد يكون متعذراً لولا بعض الاشارات العابرة التى ترد فى مقدمة بعض القصائد فى بعض دواوين الشعراء الأقدمين كقول جامع ديوان المتنبى عن بعض قصائده ***«إنها من نظمه وهو صبى»*** *أو من نظمه وهو معتقل بحمص أو قصائده فى مدح سيف الدولة الحمدانى*



أو كافور الأخشيدى أو ابن العميد ، فبعض هذه القصائد لحسن الحظ مذكور فيها شهر وسنة نظمها أو مناسبة نظمها كانتصار فى معركة أو مفاوضة بين العرب والروم . . ومن هنا يمكن أن يستدل على تاريخ نظم الشاعر لبعض قصائده بالوقوف على الحدث أو الموقف أو المناسبة التى نظم فيها القصيدة . . ومن هذه المواقف والمناسبات ما هو عام كالانتصار فى معركة أو تولى حاكم أو وفاة عظيم ومنها ما هو خاص بالشاعر كالأزمات العاطفية والنفسية التى مر بها .

تأريخ القصائد فى العصر الحديث:

وهذه الوسيلة تكاد تكون هى الوحيدة المتاحة الآن بين أيدينا لمعرفة معظم ما نظمه شعراؤنا فى العصر الحديث من أمثال البارودى واسماعيل صبرى وشوقى وحافظ ابراهيم وغيرهم . . فقد خلت دواوين هؤلاء الشعراء من تاريخ نظم قصائدهم إلا فى النادر . . ومن ثم تعين على الباحث



أو الدارس الرجوع الى الصحف والمجلات لمعرفة تاريخ نظمها على وجه التقريب إن كانت قد نشرت أو الرجوع إلى الأحداث والمناسبات والمواقف والشخصيات التى تتحدث عنها هذه القصائد لمعرفة تاريخ نظمها كما فعل محمد صبرى السربونى فى «**الشوقيات المجهولة**» .

فقصيدة شوقى عن كبار حوادث وادي النيل يقول أمير الشعراء عنها فى تقديمها إنها من أعماله فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر سنة ١٨٩٤ وكان مندوب الحكومة المصرية فى هذا المؤتمر. ومع ذلك يقول شوقى فى مقدمة ديوانه المطبوع سنة ١٩١١ إن هذا المؤتمر انعقد سنة ١٨٩٦ للميلاد وأن الخديو ندبه لينوب عن الحكومة فيه . . فأى التاريخين أصح؟ . . إن الأمر يقتضى الرجوع إذن الى تاريخ انعقاد هذا المؤتمر لمعرفة تاريخ نظم هذه الملحمة الشعرية الرائعة .

كذلك تضمن هذا الديوان بعض القصائد ذكر عنها أنها من نظم الشاعر «فى أول زمن القول؟ أو أنها «مما نظم فى الصبا»؟ . وكعادة بعض الشعراء عمد شوقى فى بعض مدائحه لأمير البلاد الى تأريخ بعض قصائده بحساب الجمل وهو لون سقيم من تأريخ القصائد انحدر إلينا من العصر المملوكى .

وعندما أعيد طبع الشوقيات سنة ١٩٢٦ خلت معظم قصائد هذا الديوان من تاريخ نظمها ولولا معرفتنا بمناسبات نظمها سياسياً واجتماعياً لما استطعنا الوقوف على تاريخ نظم كثير من قصائد هذا الديوان وبالتالى الوقوف على التطور الابداعى لأمير الشعراء وتحوله من شاعر السراى الى شاعر الشعب والانتقال بشعره الى صف الرعية .

ولكننا مع ذلك نتساءل متى نظم شوقى همزيته فى مدح الرسول ومتى نظم نهج البردة ومتى نظم قصيدته فى النيل وعشرات من القصائد الأخرى؟ .

أما خليل مطران فقد حرص منذ نشر ديوان شعره سنة ١٩٠٨ على أن يؤرخ لكثير من القصائد . . ولعل السبب فى ذلك أن يكون راجعاً الى ثقافته الفرنسية ومجاراته لشعراء الافرنج نتيجة اطلاعه على أشعارهم . . ومن هنا يستطيع الدارس والناقد أن يتعرف على مراحل النضج والتطور فى شعر شاعر القطرين .

اما فى العصر الحديث فقلما يعمد الشاعر الى تأريخ قصائده فلا يكون أمام الدارس أو الناقد إلا الرجوع الى تاريخ إصدار كل مجموعة من مجموعات الشاعر الشعرية وترتيبها ترتيباً زمنياً . . وقد تخلو بعض الطبعات من تاريخ إصدارها ومع ذلك قد لا يخلو هذا المعيار من زلل وخداع فى بعض الأحيان فقد يحدث أن يضمن الشاعر إحدى مجموعاته الشعرية بعض القصائد التى نظمها فى مرحلة سابقة من مراحل تطوره الفنى ويجعلها ضمن القصائد التى نظمها فى مرحلة زمنية لاحقة وهكذا تضم هذه وتلك مجموعة شعرية واحدة .

الشعراء السعوديون وتاريخ القصائد :

وقد فطن بعض الشعراء السعوديين المعاصرين الى أهمية تأريخ قصائدهم ويأتى فى مقدمة هؤلاء الشعراء **الدكتور غازى عبد الرحمن القصيبى** الذى حرص على ذكر تاريخ نظم معظم قصائد دواوينه الشعرية .

بل إن القصيبى يحدثنا فى كتابه الممتع الشيق «سيرة شعرية» عن مراحل العمر المختلفة التى نظم فيها كل مجموعة من مجموعاته الشعرية فديوان «**أشعار من جزائر اللؤلؤ**» يضم قصائد كتبها الشاعر بين سن السابعة عشر والعشرين . . أما ديوان «**قطرات من ظمأ**» فقد كتبت سبع قصائد منه فى فترة سابقة فى حين كتب الباقى بين سن الواحدة والعشرين والخامسة والعشرين . . فى حين أن ديوان «**معركة بلا راية**» يضم القصائد التى نظمها الشاعر وعمره بين السادسة والعشرين والثلاثين . . أما قصائد «**أنت الرياض**» فقد كتبت فيها بين سن الواحدة والثلاثين والسادسة والثلاثين باستثناء ثلاث قصائد نظمها القصيبى فى مرحلة سابقة . . وتشذ مجموعة «**أبيات غزل**» عن هذا الترتيب الزمنى حيث تضم مقطوعات مجتزأة من قصائد كاملة كان الشاعر قد نظمها فى فترات مختلفة بعضها فى السابعة عشر من عمره وبعضها الآخر فى



الشعر العربى ـ مذ كان ـ يعبر عن عواطف الشعراء وينم على أحاسيسهم . . والشاعر العربى كان يتغنى بعواطفه وما يحسه داخل نفسه نحو الحياة والأحياء من فرح وحب . أو غضب وضغن . . أو رثاء وثكل . . فهو شعر غنائى من حيث وظيفته تلك ـ وأيضا من حيث إن الناس كانوا يجتمعون له وآذانهم مرهفة وقلوبهم مستجيبة لما فيه من طرب وإيقاع .

وذكر ابن رشيق أن القبيلة من العرب كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر .

ومن ذلك قول أم السليك :

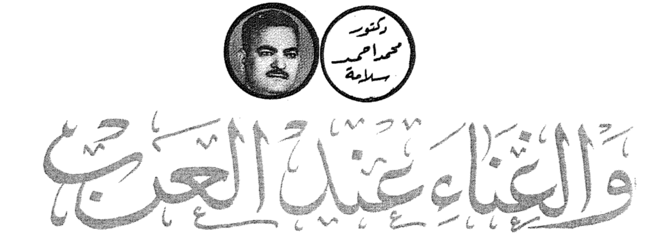
طاف يبغى نجوة
من هلاك فهلك

الثلاثين والثلاثين.

وقد ساعدنا هذا الترتيب الزمني لنظم هذه المجموعات الشعرية فضلا عن تأريخ القصائد ذاتها - في الوقوف على التطور الفني والابداعي والنفسي للشاعر السعودي الكبير وذلك في الدراسة التي نعدها عنه.

ولا يسعنا ونحن نختتم هذا المقال إلا أن نتمنى - مع الدكتور جابر قميحة الاستاذ بكلية الألسن بجامعة عين شمس أن يدرك شعراؤنا المعاصرون أبعاد قضية تأريخ القصائد فيذيلوا قصائدهم بتاريخ نظمها حتى يوفروا على الباحث كثيراً من المشاق.

دكتور محمد أحمد سلامة



ليت شعري ضلة
أي شيء قتلك؟
أمريض لم تعد
أم عدو ختلك

● وقول المنخل اليشكري في قصيدته التي مطلعها:
إن كنتِ عاذلتي فسيري
نحو العراق ولا تحوري

● وهو خطاب للناقة ثم يقول فيها:
ولقد دخلتُ على الفتاة
الخِدْرَ في اليوم المطير
الكاعب الحسناء تَرْ
فلُ في الدمقس وفي الحرير

فدفعتها فتدافعت
مشى القطاة الى الغدير
ولثمتها فتنفست
كتنفس الظبي الغرير

● ويقول:
يا هندُ مَنْ لمتيَّم
يا هندُ للعاني الأسير؟

وكان معاوية يعيب من ابن جعفر سماع الغناء فأقبل معاوية عاما من ذلك حاجا فنزل بالمدينة فمر بدار عبد الله بن جعفر فسمع عنده غناء على أوتار فوقف ساعة يستمع ثم مضى وهو يقول: أستغفر الله: فلما انصرف من آخر الليل مرّ بداره أيضا فإذا عبد الله قائم يصلى فوقف ليستمع قراءته فقال: الحمد لله.

ثم نهض وهو يقول: خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم. . فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعد له طعاما ودعاه الى منزله وأحضر ابن صياد المغنى ثم تقدم اليه يقول: إذا رأيت معاوية واضعا يده فى الطعام فحرك أوتارك وغنِّ. . فلما وضع معاوية يده فى الطعام حرّك ابن صياد أوتاره وغنى بشعر عدى بن زيد وكان معاوية يعجب به:

يا لُبَيْنَى أقدِى النَّارا
إن مِن تَهوَينَ قد جارا
رُبَّ نارٍ بتُّ أرمُقُهَا
تقضُم الهنديَّ والغارا
ولها ظَبْىٌ يؤجِّجُهَا
عاقدٌ فى الخصرِ زنَّارا

قال: فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام وجعل يضرب برجله الأرض طربا. . فقال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين إنما هو مختار الشعر يركب عليه مختار الألحان فهل ترى به بأسا؟ قال: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان.

وقدم الفرزدق المدينة فنزل على الأحوص محمد بن عبد الله بن عاصم، فقال الأحوص: ألا أسمعك غناء، فقبل ذلك فغناه:

بنفسى من تجنّبه عزيز
علىّ ومن زيارته لمامُ
ومن أمسى وأصبح لا أراه
ويطرقنى إذا هجع النيَامُ

فقال الفرزدق: لمن هذا الشعر؟ قال لجرير، ثم غناه:

إن الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيَّضنَ من عَبراتِهنَّ وقُلنَ لى
ماذا لقيتَ من الهوى ولقِينَا

فقال: لمن هذا الشعر؟ فقال: لجرير، ثم غناه:

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى
شيئاً ألذ من الخيال الطارقِ
إن البليّة من يمل حديثه
فانقع فؤادك من حديث الوامقِ

فقال: لمن هذا الشعر؟ فقال: لجرير، فقال: ما أحوجه مع عفافه الى خشونة شعرى وما أحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره؟

●● وأول من غنى فى الاسلام طُويْس. . وعلّم ابن سريج والدلال ونئومة الضحى ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام:

قد برانِى الشوقُ حتى
كِدتُ من شوقى أذوبُ

■ ولما ولى أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية قعد فى بَهوٍ له عظيم واصطف له الناس فجاء طويس المغنى وقد خضب يديه واشتمل على دفٍّ له وعليه ملاءة مصقولة فسلم ثم قال:

«بأبى وأمى ياأبان: الحمد لله الذى أرانيك واليا على المدينة إنى نذرت لله نذرا إن رأيتك أن أخضِّب يدى وأشتمل على دُفِّى وآتى مجلس إمارتك وأغنّيك صوتا. . قال: يا طويس ليس هذا موضع ذاك. قال بأبى أنت وأمى يا بن الطيب أبحنى قال: هات يا طويس فحسر عن ذراعيه وألقى رداءه ومشى بين السماطين وقال:

ما بال أهلك يا ربابُ
خزرا كأنهمُ غِضَابُ

فصفق أبان بيديه ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبّله بين عينيه.

■ وكان طويس، والدلال وطبقة من المغنين اشتهرت باسم «المخنثين» لتشبههم بالنساء فى غنائهم وحركاتهم، أو يكون هذا اللقب لهم من إطلاق الفقهاء.

■ واستخدم سائب خاسر فن العود تأثرا بالفرس وغنى عليه قول الشاعر:

لمن ديارُ رسومُها قفر
لعبت بها الأرواح والقطرُ
وخلالها من بعد ساكنها
حجج مضين ثمان أو عشرُ
والزعفران على ترائبها
شرق به اللبَّاتُ والنحرُ

وكان معبد بن مسجح - مولى بنى جمح - أول من نقل الموسيقى الفارسية وأخذ ألحان الروم وصفاها وأبقى منها ما يلائم الذوق العربى وأصبح له فى الغناء مذهب عرف به. ومن تلاميذه ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض وقد غنى ابن مسجح قول الرقاع العاملى بلحن فارسى:

ألمُ على طَلَل تقادَمَ عهدُهُ
بين الذؤيب وبين غيبِ الناعمِ
لولا الحياء وأن رأسى قد عثا
فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسمِ

الشاعر العربي كان يتغنى بعواطفه نحو الحياة والأحياء من فرح وحبٍّ أو غضب وضغن.. أو رثاء وثكل..

وكان هذا الفن العربى علما أخذ عن مصر فى شخص «سيرين» مولاة حسان بن ثابت وأخت مارية القبطية.. وعن الفرس والروم.. ثم استقل بعد ذلك وأصبح علما من علوم العرب توضع له القوانين وتؤصل له الأصول.

قال مالك بن أبى السمح: سألت ابن سريج عن المحسن المصيب من المغنين قال:

هو الذى يشبع الألحان.. ويملأ الأنفاس.. ويعدل الاوزان.. ويفخم الألفاظ.. ويعرف الصواب.. ويقيم الإعراب.. ويستوفى النغم الطوال.. ويحسن مقاطع النغم القصار.. ويصيب أجناس الايقاع.. ويختلس مواضع النبرات.. ويستوفى ما يشاكلها من النظرات..

قال مالك: فعرضت ذلك على معبد فاستحسنه وقال: ما يقال فيه أكثر من هذا.

ثم كان العصر العباسى عصر الترف والنعيم.. ووجد الخلفاء هدأة بعد حروب طويلة مع الأعداء.. وكان عندهم فسحة من الوقت لشىء من اللهو والنعيم فالخليفة المهدى يحب الفنون الجميلة وتابعه الناس وأنفقوا الأموال على الفنانين فرقى الفن.. وكان يسمع المغنين.. وكان يرى أن اللذة فى مشاهدة السرور لا فى سماعه فقط.. وكان - كما روى ابن عبد ربه - لهارون الرشيد جماعة من المغنين منهم إبراهيم الموصلى وابن جامع ومخارق وإسحاق بن إبراهيم الموصلى كانت صنعته فى الغناء لينة رقيقة وقد غنى أمام الرشيد بعد وفاة أبيه ابراهيم وهو شعر كعب بن زهير:

ألم تسأل فتخبرك المغانى
وكيف وهُنَّ مذ حجج ثمانى
برئتُ من المنازل غير شوق
إلى الدار التى بلوى أبان
ديار التى لجلجت فيها
ولو أغريت لج بها لسانى
فكاد يظل للعينين غرب
بربعى دمنة لا ينطقان

ومن أعلام هذا الفن فى العصر العباسى: يحيى المكى وقد عمر طويلا.. وزلزل الذى تسنم غارب الموسيقى العربية.. وبذل وكانت من الجوارى الساحرات.. وابن جامع وكان فنانا فى يقظته ومنامه.. وكان مما غناه فى حبيبته السوداء:

أشبَهَكِ المسكُ وأشبَهْتِه
قائمة فى لونه قاعدة
لا شك إذ لونكما واحد
إنكما من طينة واحدة

الو

فى الش

الرسام حينما يريد ان يعبر عن شيىء يتناول الريشة ويبدأ بتخطيط الشكل ومن ثم يكمل الصورة بوضع الرتوش عليها حتى تصبح صورة معبرة عن شيء ما. . والفنان حينما يريد ان يقدم لحنا او نتاجا فنيا يبدأ بدراسة القواعد والأسس التى تحتاج اليه اركان موهبته. . اما الشاعر فيصوغ ما يفيض فى خواطره من عواطف ومؤثرات خارجية او ما يشاهد ويلاحظ من اشياء تعجبه او لا تعجبه فيصوغها بقالب شعرى ـ وهو لا يكتفى بمجرد الحديث عن حالته كما لو كان مخبرا ينقل الى الناس المعلومات فقط وما وراءها من عواطف وتأثيرات فى الحب والكره. وانما يقدم قطعا من حديثه كما لو كان رساما يعرض على الناس لوحاته وصوره واكثر ما يكون ذلك عند التعبير على مظاهر الطبيعة بما فيها من اشكال والوان.

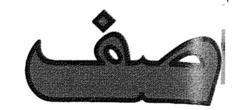
ولقد كان شعراء العصر الجاهلى الذين يعيشون فى بيوت من الشَّعر لا يصفون الا ما تقع اعينهم عليه حيث الابل والخيل والاطلال. . والليل والنجوم والقمر. . وترى من خلال شعرهم الوصفى اعجاب الشاعر واشمئزازه.

ومن خلال ذلك نستدل على ان بيئة الشاعر هى التى توحى اليه القول ومنها يستمد افكاره ومشاعره وخواطره ليصوغها بقوالب من الشعر.

ويعتبر البحترى من اعظم شعراء الوصف. . وقصائده فى قصور الخلفاء ولا سيما قصور المتوكل فى **(سرّ من رأى)** تعد اروع ما خلف شعر الحضارة فى العصر العباسى الاول.

قال ابو عبادة البحترى يصف قصرين للمتوكل فى (سرّ من رأى) يقال لهما (الصبيح) و(المليح):

قد صفا جانبُ الهواء ولـذَّتْ
رِقَّةُ الماء فى مزاج الْمُدام
واستتمَّ الصبيحُ فى خيرِ وقتٍ
فهو مغنىِ انسٍ ودارُ مقام
ناظر وجهه المليح فلو يسـ
ـطيع حياة معلنا بالسلام
كالْمحبَّيْن لو أطاقا الْتِقَاء
أفرطا فى العناق والالْتِزَام
مستمد بجدول من عباب الماء
كالابيض الصقيل الحسـ ـاء



عر العربي

عبد الجبار محمود السامرائي
"العراق"

■ وتجاه بركة المتوكل الحسناء.. تلك الآية الهندسية الرائعة.. انها فى قصر سليمان الذى كشف ساقها خوف الليل وما من ماء او لجة.. فيخدعك ماء المطر وتشعر كأنه ماء بحر وتلمع الحلل فى الظلام الاسود.

وإذا ما توسَّط البركة الحسـ
ـناء ألقت عليه صبغ الرخام
فتراه كأنَّه ماء بحر
يخدع العين وهو ماء غمام
حلل فى منازل الملك كالانجم
يلمعن فى سواد الظلام
شوقتنا الى الجنان فزدنا
فى اجتناب الذنوب والآثام

■ اما ابو الطيب المتنبى فله فى وصف جواد يبين ان الخيل كالاصدقاء فالعتاق منها قليلة مثل الاوفياء وان كانت تظهر كثيرة عند من يجربها يقول:

ويومٍ كلون المُذنِفين كمنتُهُ
اراقب فيه الشمسَ أبان تَغْرُبُ
وعينى إلى أُذنَىْ أغَرَّ كأنَّه
من الليل باقٍ بين عينيه كوكَبُ
له فضله من جسمه فى اهابه
تجىء على صدر رحيب وتذهب
شققتُ به الظلماء أُدْنى عِنَانَهُ
فيطغى وأرْخيْهِ مراراً فيلْعَبُ
وأصرع أىَّ الوحش قفَّيْتُهُ به
وأنزل عنه مثلُهُ حين أرْكَبُ
وما الخيلُ إلَّا كالصديق قليلة
وان كثرت فى عين من لا يجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها
واعضائها فالحسن عنك مُغَيَّبُ

■ واذا كان ابو الطيب قد وصف الخيل فان شاعرنا (ابو تمام الطائى) قد وصف الطبيعة وما فيها من جمال

فهو شاعر الربيع يقول:

يا صاحبَىَّ تقصَّيا نظريكما
تريا وجوه الارض كيف تُصَوَّرُ
تريا نهاراً مُشْمِساً قد شابه
زهرُ الرُّبَى فكأنَّما هو مقمر

دنيا معاش للورى حتى اذا
حلَّ الرَّبيعُ فإنما هى مَنْظَرُ
أضحتْ تصوغُ بطونها لظهورها
نورا تكاد له القلوب تنوَّرُ
من كل زاهرة ترقرق بالندى
فكأنها عينَّ اليك تحدَّر
تبدو ويحجُبُها الجميم كأنَّها
عذراء تبدو تارة وتخفَّر

■ ولابى نواس فى وصف النرجس واتخاذه دليلا على التوحيد قوله:

تأملْ فى نباتِ الأرضِ وانظر
الى آثار ما صنع المليكُ
عيونٌ من لجَيْنٍ شاخصات
بابصار هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

■ اما شاعر الروضيات.. شاعر الطبيعة «ابو بكر الصنوبرى» فيرد على ابى نواس واصفا هو الآخر النرجس فيقول:

دررٌ تَشَقَّقُ عن يواقيتٍ على
قُضُب الزَّمرد فوقَ بُسْطِ السندس
أجفانُ كافورٍ حَفَفْن بأعْيُنٍ
من زعفرانٍ ناعماتِ الملْمَس
فكأنَّها أقمار ليلٍ أحدقت
بشموس أُفقٍ فوقَ غُصْنٍ أملس

■ أما البنفسج.. هذا الورد الجميل فيصفه ابن العتاهية حيث يصور هذا الزهر باحسن تصوير فيقول:

ولا زودية تزهو بزرقتها
بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنَّها فوق قامات ضعفن بها
اوائل النار فى اطراف كبريت

■ وقال (كشاجم) واصفا البرتقال الاصفر فوق غصونه الخضر:

يا حبذا يومنا ونحن على
رؤوسنا نعقد الاكاليلا
فى جنة ذللت لقطافها
قطوفها الدانيات تذليلا
كأنَّ أتْرُجُّها تميلُ بها
أغصانها حاملا ومحمولا
سِلالٌ من زَبَرْجدٍ حملتْ
من ذهب أصفر قناديلا

■ ويصف ابن المعتز اشجار النارنج وكأنها العقيق بين الغصون ويشبه هذا العقيق بخدود العذارى فيقول:

وأشجارُ نارنج كأنَّ ثمارَهَا
حقاق عقيقٍ قد مُلئنَ من الدُّرِ
مطالعُهَا بين الغصون كأنَّها
خدودُ عذارى فى ملاحتها الخضر

■ وله فى وصف البرق قوله:

مَنْ رأى برقاً يُضىء التِمَاحَا
ثَقَبَ الليل سناه فلاحا
فكأنَّ البرقَ مِصْحَفُ قَارٍ
فانطباقاً تارة وانفتاحا

●● وهذا وصف فلسفى لليل للشاعر الفيلسوف ابى العلاء المعرى يقول:

ربِّ ليلٍ كأنَّه الصبحُ فى الحسن
وان كان أسود الطَّيْلَسَانِ
قد ركَضْنَا فيه الى اللهو لما
وقف النجمُ وقفةَ الحيران
كم أردنا ذاك الزمان بمدح
فشغلنا بذم هذا الزمان
فكأنى ما قلت والبدر طفل
وشباب الظلماء فى عنفوان
ليلتى هذه عروسٌ من الزِّنْج
عليها قلائدٌ من جُمَانِ
هربَ النومُ عن جفونى فيها
هَرَبَ الأمْنِ عن فؤادِ الجبان

■ ومن وحى المناظر الطبيعية البديعة التى تزخر بها ربوع الاندلس الخضراء انطلقت قريحة الشاعر عبد الله بن خفاجة الاندلسى فوصف شجرة (الآراكة) فقال:

وأراكة ضربتْ سماءا فوقنا
تندى وافلاك الكؤوس تُدَارُ
حَفَّتْ بدوحتها مجرة جدولٍ
نثرتْ عليه نجومَها الأزهار
فكأنَّها وكأنَّ جدول مائها
حسناء شُدّ بخِصْرِهَا زِنَّار
زفَّ الزجاج بها عروس مدامة
تجلى وانوار الغصون نَثَار
فى روضة جُنْح الدُّجَى ظل بها
وتجسَّمَتْ نورا بها الأنوار
قام الغناء بها وقد نَضَح الندى
وجهَ الثرى واستيقظَ النّوار
والماء من حُلى الحباب مُقلَّدٌ
زَرَتْ عليه جيوبها الاشجارُ

وفى الشعر العربى اوصاف للمعارك الحربية وتصوير لحوادثها.. كما وفيه ايضا وصف للمبارزات وهذا ما اجاد فيه (البحترى) وله قصيدة مشهورة فى وصف معركة حربية مصورة عن ايوان كسرى التى وقعت بين الروم والفرس فى مدينة انطاكية قال فيها:

فاذا ما رأيتَ صورة انطا
كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وانو شروان
يزجى الصفوفَ تحت الدِّرَفْسِ
فى اخضرارٍ من اللباس على أصْ
فرَ يختالُ فى صبيغة ورس
وعِرَاكُ الرِّجالِ بين يديه
فى خُفُوتٍ منهم وإغماض جَرْسِ

من مشيـح يهوى بعـامـل رُمْحٍ
ومـليـحٍ من السـنـان بترس
يغـتـلى فيهـم ارتيـابى حتى
تتـقـرّاهـم يداى بلمس

وهذا «**عمرُ بن العاص**» الذى كان من دهاة العرب واشتهـر بفتحـه لمصر وطرابلس الغرب وحروبه مع الامراء بالشام قال واصفا مصر: لما تم له فتحها وقد كتب لـ (عمر بن الخطاب) شاكرا اياه.. وكان عمر قد طلب منه ان يصفها له فكتب ابن العاص يقول:

«ورد اليَّ كتابُ أمير المؤمنين ـ اطال الله بقاءه ـ يسألنى عن مصر.. اعلم ـ يا امير المؤمنين ـ ان مصر تربـة غَبْراء وشجـرة خضـراء طولها شهر وعرضها عشـر.. يكتنفهـا جبـلٌ أغبرُ ورملٌ أعْفَرُ.. يخط وسْطَها نهرٌ مباركُ الغدواتِ ميمون الرَّوحاتِ تجرى فيه الزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر.. له أوانٌ يَدُرُّ به حِلابـهُ ويكثـر عِجَـابه وتَعْظُمُ أمواجه فيفيض على الجانبين فلا يمكن التخلص من القرى بعضهـا الى بعض الا فى صغـارِ المـراكب وخِفَافِ القوارب.. فاذا تكامل فى زيادته نَكَصَ على عقِبه كأوَّل ما بدأ فى جَرْيتِهِ.. وطما فى حِدَّتِه.. فعند ذلك تخرج ملَّة محقورة وذمة مخفورة يحرثون بطون الأرض ويبذرون بها الحب يرجون بذلك النَّماء من الرَّبِّ.. حتى اذا اشرق واشرف سقاه من فوقه الندى وغداه من تحته الثرى فبينما مصر ـ يا امير المؤمنين ـ لؤلؤة بيضاء فاذا هى عنبرة سوداء فاذا هى زمردة خضراء فاذا هى ديباجة زرقاء فتبارك الخالق ما يشاء.

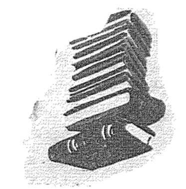
●● **اما الجـاحـظ فقـد اعجب بمدينة بغداد** ايما اعجـاب فقـال يصفهـا: «قـد رأيت المـدن العظام والمـذكـورة بالاتقـان والاحكام.. بالشامات وبلاد الـروم وفى غيرهـا من البلـدان ـ فلم ار مدينة ارفع سمكا ولا أجود استدارة ولا انبل نبلا ولا اوسع ابوابا ولا اجـود تفصيـلا من الـزوراء.. وهى مدينة ابى جعفر المنصور وسمى المنصور قصره (**الخلد**) تشبيها له بجنـة الخلد لما يحويه من كل منظر رائق ومطلب فائق وعـرض غريب ومراد عجيب. وكان فى قصره نفق يخرج منه خارجا الى فرسخين.»

■ امـا (**ابن ابى عيينة**) فقد اعجبته البصرة فقال واصفا اياها:

بغـرسٍ كأبكـار الجـوارى وتُـرْبَةٍ
كأنَّ ثراهـا ماء وردٍ على مِسْـك
يذكـرنى الفـردوس طورا فارْعَوى
وطورا يواتينى إلى القصف والهتك
وسـرب من الغـزلان يرفعن حولـه
كما استـل منظوم من الدر من سلك
وورقـاء تحكى المـوصلى اذا غدت
بتغـريدها احبب بها وبمن تحكى
فيـا طيب ذاك القصر قصرا ونزهة
بأفيـح سهـل غير وعـر ولا ضنك

■ ومن قصيدة لابى فراس الحمدانى يصف ايقاعه ببنى كعب وكان مع سيف الدولة وقد بلى بلاء حسنا ولمـا هاج سيف الـدولـة وهبَّ لمقـاتلة الاعداء هاج الجيش مثلما تهيج الاسود المغضبة حتى صاح سيف الدولة والرماح ممتدة فلبيت صيحته يقول:

ولما أنْ طغتْ سُفَهاء كَعب
فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنَّا
اذا جارتْ منحناها الحِرَابا
ولما ثار سيفُ الدين ثُرْنَا
كما هيَّجْتَ آسادا غِضَابا
أسنَّته إذا لاقَى طِعَانَاً
صوارمه إذا لاقَى ضِرَابا
دعانا والأسنة مشرعات
فكنَّا عند دعوته الجوابا
صنائعُ صانَعَهَا ففاقتْ
وغرسٌ طابَ غارسُه فَطَابَا
وكنَّا كالسِّهام إذا أصابتْ
مراميها فراميها أصابا



لقد كان سيف الدولة الحمدانى حامى الثغور الاسلامية فى شمالىِّ سوريا.. وكان جهاده وحروبه مع الروم عنيفا مستمرا.. ومن قصيدة ميمية لابى الطيب المتنبى شاعر الهيجاء حينما اشتد القتال بين المسلمين والروم البيزنطيين.. ولقد اجاد وابدع المتنبى فى وصف المعارك لأنه حضرها مع سيف الدولة.. وقد حدث فى احدى الغزوات ان دارت الدائرة على سيف الدولة وتشتت اتباعه وهلكوا ولم ينج منهم الا سيف الدولة بنفسه وستة انفار من بينهم المتنبى حيث اخذ الطرق عليهم الروم الا انهم اخترقوهم ونجوا.. وفى هذه القصيدة التى تعد من امهات الشعر الوصفى للمعارك يقول المتنبى واصفا بطولة سيف الدولة ومادحاً اياه ايضا فى معركته مع الروم:

أتوك يجرون الحَديدَ كأنَّهم
سروا بجياد ما لهن قوائم
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم
ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفى اذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وامة
فما تفهم الحداث الا التراجم
فلله وقت ذوب الغش ناره
فلم يبق الا صارم او ضبارم
تقطع ما لا يقطع الدرع والقنا
وفر من الابطال من لا يصادم
وقفتَ وما فى الموت شكٌّ لواقف
كأنَّك فى جَفْنِ الرَّدَى وهو نائمُ
تمرُّ بك الابطالُ كَلْمَى هزيمة
ووجْهُكَ وضَّاحٌ وثغرُكَ باسِمُ
ضممتَ جناحَيْهم على القلب ضمَّة
تموتُ الخوافى تحتها والقوادم
بضربٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبٌ
وصار إلى اللبَّات والنصرُ قادمُ
ومن طَلبَ الفَتْحَ الجليلَ فإنَّما
مفاتيحه البيْضُ الخِفَافُ الصوارمُ





فن الاعتذار من الفنون الشعرية التى عرفها الشعر العربى منذ العصر الجاهلى ولقد أصبح قريبا من المسلمات أن رأس هذا الفن ـ وربما مبتكره فى الشعر العربى ـ نابغة بنى ذبيان أبو أمامة زياد بن معاوية . . لكن الدراسة المتأنية والبحث الموضوعى والتعرف على أعلام الشعر العربى فى بيئاتهم المختلفة تفرض على مؤرخ الأدب أن يعيد النظر فيما شاع واشتهر وقارب المسلمات فى هذا الصدد اذ يبرز من بين شعراء الجاهلية عدىّ بن زيد العبادى التميمى فى وقوفه أمام النعمان بن المنذر معتذرا فى قصائد طوال يطلب فيها عفوه والنظر اليه بعين الرحمة والانصات الى صوته الشاكى .

وعدىّ بن زيد صحب النعمان بن المنذر منذ صباه الباكر ذلك لأن المنذر والد النعمان أسند الى عدى أمر تنشئة ابنه النعمان وتربيته وإعداده ليخلفه فى حكم البلاد لما رأى فى عدى من صلاحيات لذلك منذ نشأته الأولى فى الحيرة مع أبيه زيد بن حماد وجده حماد اللذين توليا الكتابة للنعمان الأكبر. وقد وقف عدى الى جوار النعمان حتى ولاء ملك الحيرة بعد أبيه(١) .

وهذا يعنى أن عدى بن زيد كان فى صحبة النعمان قبل أن يلتقى به النابغة الذى لم يلتق به الا وهو على ملك الحيرة يقف الشعراء ببابه يمدحونه لينالوا عطاياه وهذا ما أعقله الكثيرون من الباحثين.

كما يعنى أن عديًّا كان يصحب النعمان بشعور المربى ذى الفضل فى حين كان يصحبه النابغة بشعور المنتفع المتطلع الى تعطف سيده فقد كان وسيلة قومه لدى النعمان ليمكن لهم

دوافع الاعتذار

والذى اوقف عدى بن زيد موقف المعتذر المستعطف يختلف عن الذى دفع النابغة الى الموقف ذاته.

فقد انطلق عدى بالاعتذار للنعمان لما ألقى به فى السجن حين دس له منافسوه وأثاروا عليه حقد النعمان فكان الألم على نفسه أقسى مما يحتمل من فى مثل مكانته. . وأحس بالمذلة والضياع ينهشان فى كيانه فتفجرت بين حناياه أنات الألم وتردد فى نفسه أصداء الشكوى فانطلق لسانه شاكيا فى حيرة مما ألم به متحسرا.

أما نابغة بنى ذبيان فكان اتصاله بالنعمان بن المنذر مظهرا من مظاهر دخول ذبيان فى ولاء المناذرة مع قبائل نجد التى كانت تدين به لهم منذ قضوا على دولة كندة. ولقد رحب النعمان بالنابغة وأفسح له فى بلاطه فظل يلهج بمدحه ومدح آبائه الى أن أوقع الغساسنة بذبيان وأحلافهم من بنى أسد. . ولماعرف النابغة بما أصاب قومه لم يجد بدا من السعى لدى الغساسنة ليفكوا اسار من أسروا ويرفعوا أيديهم عن قومه فنزل بعمرو بن الحارث الأعرج وأخيه النعمان فأكرماه واستجابا لشفاعته وعفوا عن الأسرى فانطلق لسان النابغة بمدحهما وظل فى جوارهما



الى أن ماتا . . فرأى أن يعود الى النعمان بن المنذر الذى كان قد أغضبه ما صنعه النابغة اذ كان النعمان يرى فيه داعيه له فى قومه فكان ذنبه ـ لذلك ـ عظيما جعل النعمان يرفض عودته اليه فانطلق النابغة يتزلف إليه باعتذاراته المتوالية .

منهج عدي بن زيد

يذكر الأصبهانى أن أول ما قاله عدى وهو محبوس لاميته التى منها : (٢)

ليت شعرى عن الهمام ويأتيك بخير الأيام عطف السؤال
أين عنا اخطارنا المال والأنفس اذ ناهدوا اليوم المحال



وهى قصيدة طويلة يتضح من مطلعها أن الشاعر مازال على شيء من تماسك النفس ورباطة الجأش فى مواجهة ما نزل به اذ يبدأ بتمنيات وتساؤلات متحسرة متألمة تذكر بما كان منه من عون بالنفس والنفيس حتى حقق للنعمان ما أراد من غير خداع ولا غش . . وينتهى من ذلك المقطع بتمنيه أن لو كان قتل نفسه بيده حتى لا يلقى من صديقه الذى ضحى فى سبيله ما لقى فيموت فى السجن كما يموت العدو:

ليت أنى أخذت حتفى بكفى
ولم ألق ميتة الاقتال

ويبرز ما دبر خصومهما من كيد فى صورة بارعة تكشف عن مدى ضيقه وألمه لنجاحهم فى الوقيعة بهما معا مشيرا بذلك الى أن الايقاع به هو فى الحقيقة ايقاع بالنعمان كذلك لأن فى غيبة عدى يسهل عليهم افتراس النعمان والقضاء عليه .

محلوا محلهم لصرعتنا العام
فقد أوقعوا الرحا بالثقال

وليست الروعة فى كتابته البدوية عن الوقيعة فحسب بل فى الايحاء بتقاربه مع النعمان ومساواته اياه حيث جعل الوقيعة بينه وبين النعمان ايقاعا بين الرحا وثقالها .

ويستمر عدى على شرحه فى اعتذاراته وبنائها على ما قدم من مساعدات للنعمان حتى أقامه على ملك أبيه فينشىء ميميته التى يستهلها بتصوير ما يعانى من قلق وما أصابه من هموم وأهوال أقضت مضجعه وأذهبت النوم عنه:

قد نام صحبى وبتُّ الليلَ لم أَنَم
من غير عشق تعناني ولا سَقَمِ
الا تأوب هم قبل أدفعه
والهم يأمر حين الكرب بالألم

وفيها يتجه الى النعمان ملتاعا مكروبا مما ألم به.. يتودده ويستعطفه.. مذكرا اياه بريب الزمان وتقلبات الأيام.. مشيرا الى أنها سنة تصيب كل انسان وليس انسانا بعينه ـ وأنها قد أصابت من قبلنا من الآباء والأمم.. محاولا بذلك أن يبعث فيه نبض الرحمة والاشفاق الذى حرص ـ ابان صحبته ـ على أن يغرسه فى قلبه بمواعظه التى طالما رددها على سمعه. وذلك قوله:

أبا شريح فلا تحزنك عشرتنا
فالمرء رهن لريب الدهر والحمم
ان الأسى قبلنا جم ونعلمه
فيما أزيل من الأجداد والأمم
منهم رأيت عيانا أو تحدثه
وما تنبأ عن عاد وعن إرم
وقبل ذلك من ملك ومغبطة
بادروا فكانوا كفيىء الظل والحلم

التفات الى الأواصر والعلاقات:

ولا يكتفى عدىّ بتلك الايقاعات النفسية التى ينبه بها الغافل من عواطف النعمان تجاهه فيواصل السير على المنهج نفسه ويومىء الى ما بينهما من أواصر تكاد تعادل الأخوة حتى لكأنهما ابناء أم واحدة:

انَّ ابنَ أمِّك لم تنظر قفيته
لما توارى ورامى الناس بالكلم

فاذا قرّ لديه أن النعمان هُيىء نفسيا للسماع منه أخذ بعدد ما تحمل فى سبيل توليه الملك دون اخوته فى اخلاص يعلم الله وحده مداه.. مرتكزا على تعداد خلاله وصفاته التى تأبى عليه أن يخون من اصطفى.. معززا ذلك كله.. مشهدا الله على ذلك.. مقسما برب الحل والحرم على صدقه وبره فيما يقول:

فاللهُ يعلمُ فى رسل وفى أزف
والله أعلم بالآلاء والنعم
بل رُبَّ عبء ثقيل قد نهضتُ به
فما نزل اذا عديته قدمى
واربه قد علا كيدى معاقمها
ليست بفورة مأفون ولا بَرِمِ
وما بدأت خليلا أو أخا ثقة
بخنعة لا ورب الحل والحرم
يأبى لى الله خون الأصفياء وان
خانوا ودادى لانى حاجزى كرمى

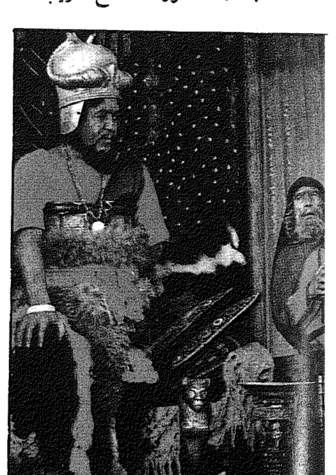
انه ـ كما ترى ـ يعتذر فى عزة.. ويأسف لأخ قبل أن يكون ملكا.. ويحرص على ود، لا على عطاء ويأمل ألا ينال خصومه منه ويشمتوا به. فاذا وجد من النعمان اصرارا على سجنه وانصرافا عن النظر فى أمره فأصم أذنيه عن صرخاته المتوالية الملتاعة.. ولم تحدث قرعاته النفسية أثرا.. كرر المحاولة.. حريصا على تبرئة نفسه مما ألصق بها فى «بائيته» التى يبتدئها بقوله:

أرِقْتُ لمكْفَهِرٍ بات فيه
بوارقَ يرتقين رُءوس شيب

فاذا أعلن عن أرقه ومعاناته النفسية اتجه مباشرا الى

الحـ... عن أعدائه ومساعيهم للايقاع به حتى يتخلصوا منه و...تقموا لهزيمتهم بتتويج النعمان دون من يناصرون من إخوته:

سعـى الأعـداء لا يألـون شرا
علىّ ورب مكـة والـصـليـب
أرادوا كى تمهـل عن عدى
ليسـجـن أو يدهـده فى الـقليب
وكـنـت لزاز خصـمـك لم أعــرد
وقـد سلكـوك فى يوم عصـيـب
أعـالـنهـم وأبطـن كل سر
كما بين اللحـاء إلى العسيـب
ففـزت عليـهـم لما الـتـقـينـا
بتـاجـك فوزة الـقـدح الأريب



ويخلص من ذلك فيتمنى أن يصادف من يبلغ النعمان شكواه وتحذيره ممن يكيدون لها مستنكرا أن تكون مكافأته - بعد تضحياته - سلسلة وقيدا وغلا وأمراضا تحوج الى طبيب.. ثم اهمالا لاعتذاراته التى تتوالى وشكاواه التى لم تنقطع.

ألا من مبـلغ الـنـعـمان عنى
وقـد تهدى الـنـصـيحـة بالمغيب
أحظِّـى كان سلسـلة وقـيـدا
وغـلا والـبـيـان لدى الطـبـيـب
أتـلـك بأنـنـى قد طال حبسى
ولم تسأم بمـسـجـون حريـب

ثم يعود الى تحريك نفسه فيصف - فى انكسار - ما آل اليه بيته وآله بعد غيبته تلك:

وبـيـتـى مقـفـر إلا نسـاء
أرامـل قد هلكـن من الـنحيب
يبـادرن الـدمـوع على عدىٍّ
كشـن خانـه خرز الـربـيـب

فإذا رجا أن يقبل عليه النعمان ويستمع إلى شكواه.. هدأ صوتـه بعض الشىء وسلك طريق المناقشة الجادة المتأنية فى منطقية ترجو الصفح عما قد يكون أخذ عليه وتعلن عن تنازله عما قد يكون أصابه من ظلم وشر:

فان أخطأت أو أوهمت أمـرا
فقـد يهم المـصـافى بالحـبـيـب
وان أظـلـم فقـد عاقبـتـمـونى
وان أظـلـم فذلـك من نصـيـبى
وان أهـلـك تجد فقـدى وتخـذل
اذا الـتقت الغـوالى فى الحـروب
فهـل لك أن تدارك ما لديـنـا
ولا تغلب على الـرأى المصيب

وعلى هذا المنهج سار «عـدىّ» فى اعتذاراته إلى النعمان بن المنذر فذكره بما كان له من أيادٍ . . وشكا مرارة ما يقاسى فى السجن . . وصـور قلق النفس على أهله ونسائه النائحات . . ونبهه الى ما يكيده المحيطون به له وللنعمان . . وأقسم له ايمانا بعد ايمان على براءته مما ألصق به واخلاصه له . . فتلوّن أسلوبه بذلك ـ وبدا تارة هادئا حين يستسلم ويستكين ويستعطف وتارة أخرى يبدو جزلا فخـما حين يذكر مكانته وما قدم من تضحيات فى سبيل توليه ملك الحيرة وحين يتحدث عن نفسه وخلاله التى كان يعتز بها وبذلك نرى عديا فى اعتذاراته ـ كما نراه فى مواعظه ودينيـاتـه وخمـريـاته ـ الشاعر المصور البارع فى التصوير الصادق البين الصدق . . الأصيل الذى يمتح من نفس شاعرة .

عودة الى النابغة

■ النـاظر فى اعتذارات النابغة يجد أنه ارتكز فيها على تصـوير جزعه وخوفه من غضب النعمان عليه . . وضيق الحياة ـ على اتساعها ـ به . . مادام مبعدا عن النعمان . . ممنوعا من المثول بين يديه :

■ ومن هذا المنطلق يأخذ فى تبرئة نفسه مما ألصقه به الوشاة تارة . . وتعليل ذهابه الى الغساسنة تارة أخرى وكان من أشهـر اعتـذاراتـه تلك معلقتـه وفيها يقول بعد التمهيد للوصول اليه والوقوف بين يديه :

فلا العمـر الـذى مسحت كعبتـه
ومـا هريق على الانصاب من جسد
ما قلت من سيىء مما أتـيـت به
اذن فلا رفـعـت سوطى الى يدى
الا مقـالـة أقـوام شقـيـت بها
كانت مقـالتهم قرعـا على الكبـد
أُنـبئت أن أبـا قابـوس أوعـدنى
ولا قرار على زأر من الأسـد

ويظـل على هذا المنهـج الفائر الجذع . . ثم يتحول من ذلك الى مدحه بمدائح ممزوجة بالاستسلام والاستعطاف إذ يقول :

فما الفـرات اذا هب الـريـاح له
ترمى أواذيـه العـبرين بالـزبـد
يمـده كل واد مترع لجب
فيه ركـام من الينبـوت والخضد
يظـل من خوفـه المـلاح معتـصـما
بالخـيـرزانـة بعـد الأين والنجـد
يومـا بأجـود منـه سيـب نافـله
ولا يحول عطـاء اليـوم دون غد

■ فهو لا يمدح طمعا فى عطاء ، ولكنه رجاء رضاه وعفوه وقبول اعتذاره فان لم يتحقق له مارجا فانه سيعيش فى هم ونكد كأنه محالف لهما لا يستطيع الفكاك عنهما .

ومن اعتذاراته التى قدمها الى النعمان **«بائيّته»** التى صور فيها جزعه وخوفه حين بلغه لوم النعمان اياه . . ثم ألحف فى تنصُّله مما اتهم به ليخلص من ذلك الى تفسير ما حدث . . وتعليل خروجه الى الغساسنة منعطفا إلى مدح النعـمان رجـاء التقرب منه واسترضائه واستغلال سخطه وغضبه مشيرا إلى أنه لا يرجو إلا رضاه . . وأما ما أصابه فى هذه القطيعة من ظلم ـ ان كان ثمة ظلم ـ فليس أكثر من ظلم سيد عبده . . فلا لوم ولا عتاب :

حلَفتُ فلم أتـرك لنفسـك ريبـة
ولـيس وراء الله للمـرء مذهـب
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنى وشـايـةٍ
لمبـلِغُـكَ الـواشى أغشُّ وأكـذبُ
ولـكـنـنى كنت امـرأ لى جانبٌ
من الأرض فيـه مُسْتَرادٌ ومـذهبُ
ملوكٌ واخـوان اذا ما أتـيـتُـهُم
أحَـكَّـمُ فى أمـوالهـم وأقـرَّبُ

كفـ ـلك فى قوم أراك اصطـنعْتَهُم
فلم ترهم فى شكـــر ذلــك أذنبــوا
ولســتَ بمســتبقٍ أخــاً لا تلمُّــهُ
على شعثٍ أىُّ الــرجـال المهـذبُ
فإن أكُ مظـلومــاً فعـبــدٌ ظلمتــه
وإن تكُ ذا عُتبـى فمثـلك يعتبُ



موازنة بين الشاعرين

الشاعران ـ كما ترى ـ يختلفان فى المنهج الاعتدارى بقدر اختلافهما فى الدافع الى الاعتذار. . فالنابغة يقيم اعتذاراته على التهويل. . والصوت العالى. . والرنين المتصاعد. . ليغطى ما يستشعره من فراغ داخلى وجمود عاطفى ـ فهو فى اعتذاراته يفتعل المخاوف ويتصنع الرعب والجزع لعلمه بأن ذلك يخدع من فى مثل حال النعمان. . بخلاف عدى بن زيد الذى عانى جحود الفضل ونكران الجميل. . ثم ويلات السجن وآلامه فهو انما يشكو واقعا ويصور حقيقة ويصف صادقا.

وفى أثناء نظراتنا تلك نسمع قول النابغة:
فان أك مظـلومــا فعـبــد ظلمتــه
وان تك ذا عتبـى فمثـلك يعتب
فيذكرنا بقول عدى السابق:
فان اخطأت أو همت أمــرا
فقــد يهم المــصــافى بالحــبـيـب
وان أُظْـلِمْ فقــد عاقـبـتـمـونى
وان أُظْــلَم فذلــك من نصـيـبـى
ولا نستطيع إزاء ذلك إلا أن نقرر:

أولا: أن عدىّ بن زيد سبق النابغة الذبيانى إلى فن الاعتذار. . وأنه ـ وليس النابغة ـ صاحب هذا الفن الى أن يظهر من سبقه اليه. . اذ لا جدال فى أن عديا سبق النابغة الى صحبة النعمان. . وأنه إلى ذلك ـ مربيه وصاحب اليد الطولى فى تتويجه خلفاً لأبيه. أما النابغة فوافد من ذبيان على ما تقدم فى السن فهو متأخر عنه لاحق به.

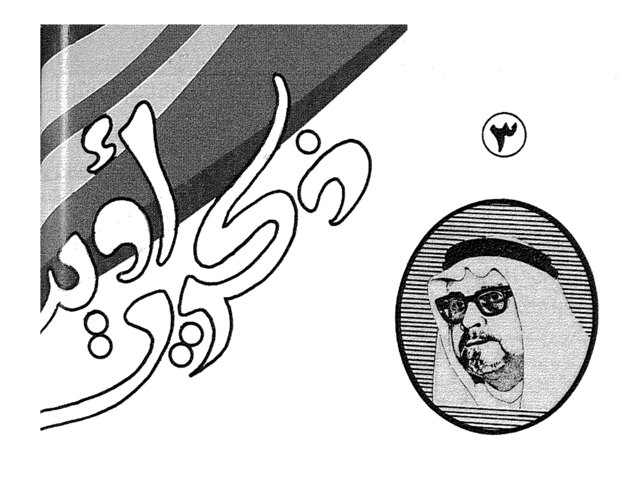
ثانيا: أن ما قدمه عدىّ فى هذا الصدد وتفوق فيه على النابغة بما ينبض به من صدق وبما احتواه من صور حية كشفت المعاناة الحقة للشاعر أما ما قدمه النابغة فقد استبدل ـ بذلك ـ الصوت العالى والصراخ المتلاحق والشكوى الخائفة الجزعة والأمل الطامح.

ثالثا: أن ما قدمه عدىّ تسرى فيه نغمة الاعتداد بالنفس والاعتزاز بالسجايا الحميدة والتذكير بالماضى المشرف والمواقف النبيلة والأفضال التى قدمها ـ عن طيب خاطر ـ إلى النعمان.

فنابغة بنى ذبيان لم يلحق فى اعتذاراته بعدىّ بن زيد ـ على الرغم من تقدم عدىّ وسبقه إلى هذا الفن ـ وذلك لاختلاف ظروف كليهما. . فالنابغة لم يكن صاحب يد وفضل على النعمان كما كان عدى بل كان النعمان هو صاحب الفضل عليه وعلى قومه. ولم يلق بالنابغة فى السجن كما ألقى بعدىٍّ فيه. . وكل ما أصاب النابغة أن النعمان تهدده ولم يقبل أن يعود ثانية الى بلاطه. . ثم أن النابغة يدرك ما صدر منه فى حق النعمان من أخطاء. . أما عدىّ فلا يدرى سر الانقلاب عليه.

---

(١) الأغانى: ٢/١٠١، ١٠٢، تجارب الأمم لابن مسكويه: ١٣٧.
(٢) الأغانى: ٢/١١٠.
(٣) النبوت: شجر والخضد: المحطم من الأشجار.
(٤) الخيرزانة: سكان السفينة، والابن التعب، والنجد: الكرب.



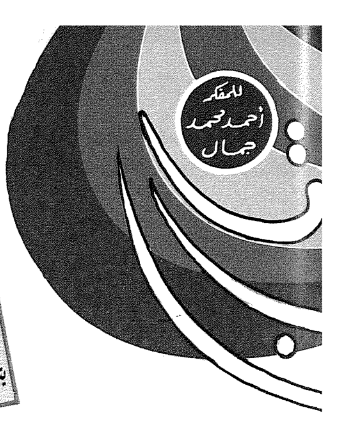
خلال (نعيم) التلمذة عشت مع رفاق أحباء من زملاء الدراسة . . كان من زملائى فى المرحلة التحضيرية ـ فى مدرسة المسعى ـ الاستاذ عبد الله دمنهورى والاستاذ عمر علاء الدين . . وكنتُ فى فُسَحِ الدراسة نخرج الى فناء المدرسة لنشترى خبزا وشايا يعمله «القهوجى» الذى كان قريبا من المدرسة لنفطر به أو لنزداد شبعاً . . فقد كنا نخرج من بيوتنا صباحاً مسرعين الى المدرسة دون ان نستكمل افطارنا .

وخلال المرحلة الابتدائية كان من رفاقى الاساتذة :

عبد العزيز الرفاعى . . وسراج مفتى . . وعبد الله مرزا . . ويحيى العظمة . . عبد القادر جان . . وزين العابدين دباغ . . وسراج عطار وعبد المجيد عبيد . . وخلال دراستى بالمعهد العلمى كانت هناك صحبة ـ دون زمالة فى الدراسة ـ مع الاساتذة على غسان وسراج خراز وعبد العزيز الربيع . . وغير هؤلاء من اصدقاء الصبا الاحباء . . الذين كانت صحبتهم فى ذلك العهد نعيماً . ولكنه لم يكن نعيماً مقيماً فقد مضى مع الصبا نفسه ومع العهد ذاته وتفرقت بنا سبل الحياة بعده فاشتغل كل واحد منا بعمل او تجارة او وظيفة حكومية . . بحيث لم يلتق احدنا بأخيه الا نادراً فى احتفال عام او وليمة خاصة .

فى هذه الفترة كان من اساتذتنا : **محمود مرزا وكان مديراً للمدرسة العزيزية الابتدائية ـ بالشامية ـ وعبد الله الشاشى وعبد الرحمن الصباغ . . ومحمد على الشالى . . ومحمد بخش . . وابراهيم الهويش . . ومحمد حلمى الخطاط** وغيرهم ممن لم تحضرنى اسماؤهم الآن .

كانت الدراسة ـ على عهدنا ـ يوما كاملا اربع حصص فى فترة الصباح وحصتان بعد الظهر . .



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

وكانت العناية بتدريس الخط العربى والنحو واللغة وقراءة القرآن شديدة وكذلك قواعد الاملاء.

وقد لاحظت الآن ـ خلال تدريسى بجامعتى ام القرى والملك عبد العزيز لمادة الثقافة الاسلامية ـ ان كثيرا من الطلاب وقد فرغوا من دراستهم الثانوية بعد المتوسطة والابتدائية ـ يخطئون فى الاعراب بل فى الامـلاء فينصبـون اسم (كان) ويرفعون اسم (ان) ويكتبون التاء المربوطة مفتوحة والمفتوحة مربوطة.

وذلك بسبب قلة الساعات التى يدرسون فيها قواعد الاملاء والنحو وعدم الاهتمام ـ من قبلهم ـ بعلوم العـربيـة والقـرآن والحـديث النبـوى واشتغـالهم بعلوم الـريـاضيـات والطبيعـة والكيميـاء التى لا يحتـاج إليهـا من يتـوجـه للدراسة الجامعية فى علوم الشريعة واللغة العربية.

ولا شك عنـدى ان الاتجاه الأخير فى وزارة المعارف الى انشاء ما سمته بالمدرسة الثانوية الشاملة كان حكيماً لأن الطالب فى مثل هذه المدرسة يتخصص فى العلوم التى يريد ان يتمها فى المرحلة الجامعية.

اما اتجاهنا الادبى ـ نحن زملاء المرحلة الابتدائية ـ فقد كنا نقرأ المجلات الادبية التى تصدر فى مصر.. هذا من ناحية التزود او الاستعداد وأما من ناحية النشاط والانتاج فقد نشترك فى اصدار بعض المجلات التى نكتبها بأيدينا ونعرض خلال صفحاتها خواطرنا وأفكارنا وبعض قصائدنا الشعرية البدائية.

واذكـر أننـا أصـدرنـا صحيفـة باسم «الأمل» واستمـرت بضعـة اسـابيع فى سلام وأمان.. ثم فوجئنا بالسيد طلعت وفا ـ غفر الله له ـ وكان رئيسا لأحد اقسام الشرطة بمكة المكرمة وكانت تسمى «**مديرية الأمن العام**» ومازال حتى الآن هذا اسمها ولكنها انتقلت الى الرياض العاصمة الجديدة بعد أن كانت مكة المكرمة هى العاصمة على عهـد المرحـوم الملك عبـد العـزيز ثم تحولت الى

الرياض سنة ١٣٧٢هـ عندما تولى الملك سعود رحمه الله الحكم فى المملكة.

استدعانا طلعت وفا واحدا واحدا ليبلغنا ان اصدار الصحف أو المجلات بهذه الصورة ممنوع نظاماً.. وانه يجب علينا ان نتوقف عن إصدار مجلة (الأمل) وأخذ منا تعهداً بذلك وقعنا عليه بأيدينا المرتعشة الخائفة.

وعدنا الى قواعدنا سالمين نواصل دراستنا واستمرت صحبتنا فى المدرسة وخارجها حيث كنا نجتمع فى المسجد الحرام لأداء صلاة المغرب وصلاة العشاء بعدها ثم نعود الى بيوتنا.. وبعد العشاء نواصل قراءتنا الخاصة فى الكتب والصحف والمجلات الأدبية والعلمية على ضوء (الفوانيس) حيث لم تكن هناك كهرباء ولا مصابيح كهربائية.

وعندما يهجم عليَّ البعوض بقرصاته المزعجة كنت ادخل (الناموسية) وأُدْخِلُ هذا المصباح البلدى معى لاتابع القراءة فى المجلة أو الكتاب.. وكان الحر يشتد بسبب حرارة المصباح.. ولم نجد - على ايامنا - مروحة كهربائية ولا مكيفا كهربائيا يخففان من حرارة الجو وحرارة المصباح.

ومع ذلك كنا سعداء بدراستنا فى المدرسة.. وسعداء بدراستنا الخاصة فى منازلنا.. وسعداء بصداقتنا وصحبتنا.. ولذلك سميت عهد التلمذة (بالنعيم) نعيم الكتاب ونعيم الاصحاب.

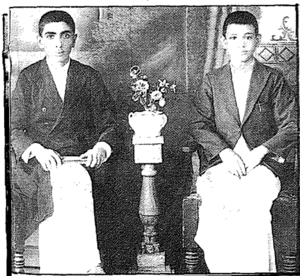
أما الأصحاب.. فقد تفرقت بهم السبل - كما اسلفت - ليس فى مكة فحسب بل ذهب بعضهم الى خارجها..

فالاستاذ عبد العزيز الرفاعى استطاب الاقامة فى الرياض وهو الان يدير مكتبة الرفاعى ذات النشاط الأدبى الكبير فى اصدار المؤلفات الأدبية والعلمية.

■ والأخ سراج عبد السلام عطار يدير متجراً كبيراً فى جدة.. والاستاذان الغسان والربيع توفاهما الله عليهما الرحمة - والاستاذان الخراز والمفتى قليلا ما التقى بهما على الرغم من بقائهما فى مكة المكرمة.

ماذا بعد النعيم

●● وجاءت سنة ١٣٥٩هـ سنة الفراق الأليم لذلك النعيم.. نعيم التلمذة سنة البداية العملية.. سنة مواجهة الحياة.. والاهتمام بالكسب للمعيشة..



أحمد محمد جمال إلى اليمن وسراج مفتى صورة عام ١٣٥٨هـ

■ لم أتم دراستى الثانوية بالمعهد العلمى السعودى فاكتفيت بالسنة الاولى منه ووظفت ناسخ آلة برئاسة القضاة التى كان يتولاها الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، وكان يرئس ديوانها صهرى - زوج اختى - السيد بكر حمدى - رحمهما الله.

■ وكان معى ـ فى الوظيفة نفسها ـ ابناء الشيخ عبد الله: محمد وعبد العزيز وحسن وكان من اعضاء هيئة الرئاسة: الشيخ محمد على سراج والشيخ احمد قارى والشيخ محمد نور فطانى والشيخ سليمان الحمدان وكان السيد بكر حمدى نفسه رئيسا للديوان وعضوا فى الهيئة وهو الذى يقرأ للهيئة الصكوك الصادرة من المحاكم الشرعية ويأخذ آراءهم ويكتب القرارات التى تصدر عن الهيئة بالموافقة أو النقض.

■■ اما زملائى فى المكتب فانى أذكر من يحضرنى الآن.. وهم الشيخ ياسين فطانى وكان يمثل دور الرئيس للكتّاب والشيخ فريد شافعى والاستاذ محمد على شالى والشيخ محمد نور.. (نسيت لقبه الآن) وهو الذى كان يدربنى على تلخيص أوراق القضايا فيما يسمى «دفتر الوارد».

تحضير البعثات معاً إذ كانا فى بناية واحدة فى جبل القلعة بمحلة الشامية.. وكان يقوم بتدريس مادة الأدب العربى لطلاب المعهد العلمى.. وكان له فضل كبير ـ ايضا ـ على فى توجيهى أدبياً وفكرياً وقد ازدادت سعادتى وشرفى به عندما زاملته فى عضوية مجلس الشورى منذ عام ١٣٧٥هـ حتى الآن.

لم يطل بقائى فى ديوان رئاسة القضاة.. فقد انتقلت بعد بضع سنين الى دائرة كاتب العدل بمكة المكرمة وكان يرئسها الشيخ عرابى سجينى وهو من العلماء الشرعيين المتمرسين بالادارة ـ فقد كان قبل ذلك أحد قضاة مكة وكان يعاونه ـ فى كتابة المعدل ـ السيد مكى المرزوقى وهو ايضا خبير فى هذا المجال.



أحمد الغزاوى - بكر حمدى - حمزه شحاته - عبد الله عريف - محمد حسن عواد

ضياء الدين رجب - سراج خراز - محمد سعيد العامودى - صالح جمال - عبد العزيز الربيع

■ والاستاذ محمد على شالى كان استاذى خلال المرحلة الابتدائية وكان له فضل تشجيعى على نظم الشعر وتصحيحه وتقويم أوزانه.. وكان هذا ايضا دور الاستاذ عبد الكريم جهيمان أما الاستاذ احمد العربى فقد كان مديراً للمعهد العلمى ولمدرسة

ونقلت بعد ذلك أيضا الى المحكمة الشرعية الكبرى بمكة فى وظيفة (كاتب ضبط) لدى احد اعضاء المحكمة السيد محضار عقيل ـ رحمه الله ـ وقد استفدت من الناحية الادارية والشرعية كثيراً خلال عملى برئاسة القضاة أولا.. ودائرة كاتب العدل

ثانياً . . وبالمحكمة الشرعية ثالثا .

وعاصرت ـ فى هذه الفترة ـ عدداً من القضاة الأجلاء كان منهم رئيس المحكمة السيد زكى البرزنجى . . والشيخ محمد أمين فودة . . والشيخ سالم شفى . . والشيخ جعفر الكثيرى . . وشهدت كثيرا من مواقف اصحاب القضايا من آباء وامهات وازواج وزوجات واخوة وابناء عمومة .

وتبعنى ذات مرة أحد اصحاب القضايا ـ عند خروجى من المحكمة الى دارى ليضع فى يدى ساعة هدية لى . . فألقيت بها على الأرض وأسرعت إلى بيتى وقد كان مقر المحكمة فى أحد الأبنية المحيطة بالمسجد الحرام وكان بيتى قريباً من المسجد ايضا . . فكانت المسافة بين المحكمة وبيتى قريبة جدا اقطعها ذهابا وإيابا على قدمى . .

وخلال عملى بالمحكمة كتبت باسلوب قصصى بعض القضايا التى شهدتها بين أب وابنه أو زوج وزوجته ونشرتها بمجلة الرابطة الاسلامية التى كانت تصدر فى القاهرة . . وكان صاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ حمزة شاهين .

وهذه المجلة نشرت بها ـ أيضا ـ بعض القصص القصيرة تحت عنوان (صور من المستشفى) فكانت سببا فى سجنى سبعة أيام فى السجن الاحتياطى بأجياد . . لأنها كانت انتقاداً لأوضاع المستشفى من اهمال الاطباء ومعاناة المرضى .

ومن ذكريات السجن ـ وقد حدث ذلك سنة



١٣٦٨هـ ـ أن كبار القوم من علماء ووجهاء شرفونى بزياراتهم أمثال السيد محمد امين كتبى . . والشيخ سليمان الصنيع . . والسيد بكر حمدى وغيرهم ومن ذكرياته ايضا : أنى عشت سبعة ايام رفيقا كمأذون شرعى ولسائق سيارة ولقاتل محكوم عليه بالاعدام .

ومن حسن حظى أن أمى كانت موجودة وكانت تدعو لى وقد استشفعت بالشيخ عمر بن حسن آل الشيخ الذى كان رئيساً عاماً لهيئات الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ لدى الملك عبد العزيز رحمه الله فأمر بإطلاق سراحى .

والشيخ عمر بن حسن ـ رحمه الله وأجزل له المثوبة ـ كان يعطف علىَّ كثيراً . . وتدور بينى وبينه مراسلات عديدة . . ولا يضنّ علىَّ بحثّه لى على الاستمرار فى طريقى نحو العمل الاسلامى .

●● وبمناسبة ذكرى العمل الاسلامى . . أذكر أنى منذ صباى وخلال دراستى الابتدائية كنت أدعو الله

بعد طوافى بالبيت الحرام: ان يجعلنى أديبا إسلاميا كالاستاذ مصطفى صادق الرافعى الأديب المصرى المعروف.

■ كنت ـ فى هذه الفترة ـ أقرأ مجلة (الرسالة) المصرية التى كان يصدرها الاستاذ احمد حسن الزيات وهو اديب مصرى معروف باهتماماته الفكرية الاسلامية وبأسلوبه البلاغى الرائع.

■ وكانت مجلة الرسالة ومجلة الثقافة ومجلة الهلال وما يصدر فى مصر من كتب ومنشورات ادبية هى الزاد الوحيد أو الزاد الأكثر طلبا من أدباء الحجاز والمتأدبين الشباب.

■ وعلى ذكر أدباء الحجاز كنت اجتمع ـ خلال هذه الفترة بالاساتذة حمزة شحاته وعبد الله عريف رحمهما الله وحسين عرب وحسين خازندار فى بعض الامسيات باحدى مقاهى حى المسفله مصطحباً أخى الاكبر الأستاذ صالح محمد جمال بوصفه صديقا لهم وكنت اقرأ فى جريدة (صوت الحجاز) ومجلة (المنهل) للاساتذة محمد حسن عواد ومحمد سعيد العامودى ومحمود عارف وهاشم زواوى وضياء الدين



كانت المذكرات فى مكتبه بوزارة الداخلية وبجواره إسماعيل حافظ وعبد الله جفرى وعبد الهادى عبد الغنى

رجب وعبد القدوس الأنصارى.

■ اما الاستاذ احمد سباعى وهو من أنداد من ذكرت من الادباء يومذاك فقد كان ـ قبل نظرتى اليه كأديب. . مدرساً بالمدرسة التحضيرية فى مكة وكنت احد طلابها وكان يدرسنا مادة المطالعة فى كتابه «سلم القراءة» واذن فمعرفتى به وعلاقتى معه سبقت إجلالى له كأديب كبير بالنسبة لى يومذاك.

وعرفت فى تلك الفترة ايضا ـ من الأدباء الصحافيين السيدين على وعثمان حافظ صاحبى جريدة المدينة. . وكانا يتفضلان بنشر كتاباتى الأولية فى جريدتهما بتوقيع (ابن محمد) او (الفتى المعهدى).

وكذلك الاستاذ عبد القدوس الانصارى رحمه الله كان ينشر مقالاتى وكلماتى بمجلته «**المنهل**» تارة بتوقيعى الصريح وتارة بالرمز (**الفتى المعهدى**).

لقد لقيت ـ حقا ـ من هؤلاء الأدباء الكبار فى بداية حياتى الأدبية تشجيعا وعطفا وتكريما وساعدنى ذلك على الاستمرار فى طلب المزيد من العلم. . والمزيد من دراسة الافكار والآراء والمذاهب الأدبية وقراءة الكتب والمجلات.

اما الشيخ **احمد ابراهيم الغزاوى** عليه رحمة الله وهو من فحول ادبائنا وشعرائنا فقد شملنى بعطفه وتشجيعه خلال عملى معه فى مجلس الشورى. . فقد كان كثير المودة لى بادى المحبة صريح التأييد والتعضيد.


نعم
• كبرى دور الطباعة بالمملكة العربية السعودية .
• مجهزة بأحدث آلات طباعة الأوفست الملون والتجليد الأتوماتيكي .
• تساهم في النشاط الثقافي بالمملكة بما تقدمه من مختلف المطبوعات .
دار الأصفهاني
دار الأصفهاني للطباعة
طريق المدينة بجوار الاستاد الرياضي - تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦/٦٦٧٤١٥٨



فلسطيننا
• محمد عزة دروزة
• قصائد فلسطينية
• كنوز القدس
• مكتبة الابحاث الفلسطينية
• فكرة التقسيم تاريخ واحداث
• بطل وثورة
العدد العاشر
جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ
المشرف
«شكيب الأموي»



ان ما اصاب الامة الاسلامية من تشتت فى المواقف واختلاف فى الآراء ادى الى ضعفها ووهنها ومكن عدوها من اختراق صفوفها وتصديع حصونها فهاهى القدس الشريف لا تزال ترزح تحت براثن العدو الغاشم وهاهم اخواننا ابناء الارض المباركة فى كل واد يهيمون بعد ان تمكنت قوى البغى من احتلال اوطانهم وهاهو الانسان العربى يدور حول نفسه بعد ان ضاع او كاد يضيع من قدمه الطريق السوى. . فلنعد الى الينبوع الصافى الى نهج الله المستقيم الى تعاليم الاسلام الحنيف لتستعيد الامة الاسلامية قوتها ومنعتها وتكون الجديرة بحمل الامانة تحت راية الايمان لحماية الحق والعدل ونصرة المستغيثين فى الارض. .

«فهد بن عبد العزيز»



لـم يلق التعليم الحكومى فى فلسطين من العناية ما لقيه فى الأقاليم العربية الأخرى. . فمنذ انفصلت فلسطين عن جسم الخلافة التركية ودخلت فى ظلام وظلم الانتداب البريطانى لم تكن فيها حكومة وطنية تدير شؤونها المدنية على غرار ما كان موجودا فى الأقطار الأخرى. . وانما وجدت فيها ادارات هزيلة يديرها الانجليز. . وتوجهها لخدمة الغرض اليهودى الذى جاء الاستعمار من أجله فكان فى فلسطين (دائرة معارف) ليس عندها ما يستحق الادارة. . ولم يكن التعليم فى العهد البريطانى أحسن حالا مما كان فى العهد التركى بل ربما كان فى العهد التركى ينتشر على مساحة أفقية أوسع حيث أقفلت عشرات من المدارس الابتدائية التى فتحها الأتراك. . وما بقى منها. . كانت كل مدرسة مشتركة بين عدد من القرى يساهم الأهلون فى دفع رواتب المعلمين فيها. . وحتى نهاية العهد البريطانى الغادر لم يكن فى فلسطين كلها إلا ثلاث مدارس ثانوية كاملة: الكلية العربية. . والمدرسة الرشيدية فى القدس. . والمدرسة العامرية فى يافا. وهناك عدد من المدارس الثانوية التى لا تمنح الشهادة الثانوية (المترك) ولم يكن يسمح بدخول المدارس الثانوية الكاملة إلا لقلة قليلة. .

أما التعليم العالى فقد كان الوطن محروماً منه ومن كانت عنده القدرة المالية فعليه ان ينتقل الى بيروت أو القاهرة أو الى بلد أجنبى. . ورغم هذه الظروف

محمد عـزة دروزة

المجاهد العالم المؤرخ

القاسية فقد شاركت فلسطين فى النهضة الأدبية الحديثة فى العالم العربى ولمعت أسماء شخصيات فى كافة الميادين وكانت لها الريادة مع غيرها فى الفنون التى طرقتها . . فى الأدب والنقد والشعر والعلوم والترجمة والتاريخ . . والعلوم الشرعية . . وشهرت عائلات فلسطينيه بأسماء النابغين من رجالاتها:



منها: عائلات الحسينى والخالدى والدباغ والكرمى والنشاشيبى وبيدس والسكاكينى وطوقان وزعيتر ودروزة والنبهانى . . وغيرها كثير.

وقارئ تاريخ الحركة العلمية والأدبية فى العصر الحديث لابد أن يعرف محمد اسعاف النشاشيبى . . وأحمد شاكر الكرمى . . واسحق موسى الحسينى . . وعبد الكريم الكرمى . . وعادل . . وأكرم زعيتر . . ومحمد العدنانى . . وغيرهم من العلماء والأدباء الاعلام وفى هذا المقال أخص واحدا منهم بالدراسة الموجزة وهو العالم الأديب المؤرخ **محمد عزة دروزة**: وسيكون حديثى عنه مقسماً الى قسمين: **الأول**: ما يتعلق بنشأته ونضاله فى سبيل أمته، **والثانى** فى انتاجه الفكرى.

المولد والنشأة

ولد محمد عزة دروزة فى مدينة نابلس الفلسطينية سنة ١٣٠٥هـ الموافق لسنة ١٨٨٧م . . واسرة دروزة فرع لعشيرة عربية تسمى «الفريحات» لا تزال معروفة فى وطنها «**كفر نجة**» فى لواء عجلون شرقى الأردن. أما لقب «**دروزة**» فمأخوذ من قولهم: درز الثوب إذا خاطه خياطة متلززة فى الغاية حيث شهرت أسرته بالدرازة بمعنى الخياطة . . وكان أحد أجداده يعمل بتجارة الأقمشة سنة ١١٧٠هـ وكان يلقب بفخر التجار دروزة.





تلقى محمد عزة دروزة تعليمه الأوّلى فى مدارس الحكومة الابتدائية والرشيدية وتخرج من المدرسة الاعدادية سنة ١٩٠٣م وعمل حتى سنة ١٩١٨ فى دائرة البرق والبريد العثمانية فوصل الى مرتبة مأمور متجول على مديريات مراكز بريد طبريا والنبك وخان يونس وأربد ومأدبا.. ثم تولى سكرتيرية ديوان المديرية العام فى بيروت الى نهاية الدولة العثمانية.. ثم عمل حتى سنة ١٩٢٢م كاتبا فى ديوان الأمير عبد الله بن الحسين.. ثم تولى ادارة مدرسة النجاح الوطنية حتى سنة ١٩٢٧م.. وعمل مديراً عاماً للأوقاف الاسلامية فى فلسطين حتى سنة ١٩٣٧م حيث وضع الانجليز يدهم على الأوقاف الاسلامية والمجلس الاسلامى الأعلى الذى أشرف على هذه الأوقاف بسبب الثورة العربية الفلسطينية التى اندلعت سنة ١٩٣٦م حيث فصل من عمله ولم يعد بعد ذلك موظفاً.

النشاط الوطنى

أما نشاطه الوطنى: فقد، بدأه بالانتساب الى نادى جمعية الاتحاد والترقى.. وبعد انكشاف خطط جماعة الاتحاد والترقى الطورانية العرقية فى غمط حقوق العرب ولغتهم وبلادهم انفصل عن جماعة الاتحاد وأقام مع بعض رجالات نابلس فرعاً لحزب «**الائتلاف والحرية**» الذى تأسس فى الأستانة ليكون معارضاً لأفكار الاتحاد والترقى.. وتسلم دروزة أمانة سر الفرع العربى الذى تنبه لخطورة النشاط اليهودى لحيازة الأراضى الفلسطينية تنفيذاً للمخطط الصهيونية التى وجدت فرصتها لتحقيق أول خطواتها الاستيطانية عن طريق بعض أركان جمعية الاتحاد من طائفة الدونمة ذات الأصول اليهودية.. وقد دفعوا شخصاً لبنانياً يدعى «**نجيب الأصفر**» ليحصل لهم على امتياز باستثمار غور نابلس لمدة طويلة لأن القانون العثمانى يمنع الأجانب من التملك. واحباطاً لهذا المخطط عقد دروزة اجتماعا مع بعض رجالات نابلس طيرت بعده البرقيات الى الآستانة فأحبط المشروع فى مهده.

وعندما دخل الأمير فيصل دمشق سنة ١٩١٨م وقام الحكم العربى فى انحاء سورية ورفعت أعلام الثورة العربية فى انحاء بلاد الشام أرسل الأمير فيصل حاكما عربيا على لبنان كان من مساعديه محمد عزة دروزة.. ثم تغير الموقف فى بيروت حيث قدمت الكتائب الافرنسية فاحتلتْ بيروت والسواحل اللبنانية وأمرت فيصلا بطىّ الأعلام العربية عن بيروت وساحلها وعودة الحاكم الذى أرسله فعاد دروزة الى نابلس وحالما وصل الى موطنه أسس مع رجال نابلس جمعية لمقاومة تنفيذ وعد بلفور ووضعت ميثاقاً وطنياً يدعو الى وحدة سورية بما فيها فلسطين.. ترفض الوجود الانجليزى وذهب الى سورية للمشاركة فى المؤتمر السورى العام الذى يرفض الحكم الفرنسى ولكن فرنسا غزت سورية وأسقطت الحكم الفيصلى وحكم على عدد من رجالات العهد الفيصلى بالاعدام كان من جملتهم دروزة فرجع الى فلسطين وبقى مع رفاقه فى نضال مستمر ضد الحكم البريطانى والخطط الصهيونية..

وبينما كان سنة ١٩٣٧م فى بغداد لانشاء لجنة للدفاع عن فلسطين انفجرت الثورة فى فلسطين فسنت حكومة الانتداب قانوناً منعت بموجبه من لم يكن فى فلسطين من المناضلين من العودة إليها.. وظل هذا القانون نافذ المفعول الى آخر أيام الانتداب فى حق

دروزة وبعض رفاقه . . فجعل مقره فى دمشق بعد عفو السلطات الفرنسية عنه فتسلم ادارة وتموين وتمويل حركة الثورة من دمشق . . ولما اشتدت الثورة ضغط الانجليز على الفرنسيين لاعتقال محمد عزة دروزة وغيره من الرجال فاعتقل وحكم عليه بالسجن خمس سنوات أمضى جزءاً منها فى قلعة دمشق وجزءاً فى قلعة المزة . . ثم أفرج عنه سنة ١٩٤٠ على إثر هزيمة فرنسية فى الحرب العالمية الثانية .



ولم يكد دروزة يخرج من السجن حتى غزا الانجليز والديغوليون سورية فخرج لاجئاً إلى تركية سنة ١٩٤١م حيث قضى فيها نحو خمسين شهراً .

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فى اواخر سنة ١٩٤٥م وكانت سورية قد نالت استقلالها عاد دروزة اليها . . وبعد انشاء الجامعة العربية صارت قضية فلسطين محور نشاطها . . وتكونت الهيئة العربية العليا برئاسة المفتى واعترفت بها الجامعة فمثل دروزة الهيئة العربية فى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ثم استقال منها فى أواسط سنة ١٩٤٧م .

النشاط الفكري

يروى محمد دروزة أن عدم استطاعة والده المادية لاتمام دراسته العالية فى بيروت أو الآستانة دفعته الى مطالعة الكتب الأدبية والاجتماعية والعلمية والدينية باللغتين العربية والتركية . . وقرأ ترجمات كتب غوستاف لوبون ومقالات الشيخ محمد عبده ورشيد رضا وشكيب أرسلان والرافعى . . وأشعار أحمد شوقى وخليل مطران . . واستمر فى مطالعة كتب الأدب العربى والتاريخ الاسلامى مستوعباً موضوعاتها وكان يكتب ملاحظاته وهوامشه على متون الكتب التى يقرأها . **ويمكن تقسيم انتاجه الفكرى الى قسمين : القسم الأول قبل سجنه ونفيه والثانى بعد السجن والنفى .**

القسم الأول : الذى كتبه قبل سجنه فى قلعة دمشق وقلعة المزة وقبل رحيله الى تركية فقد كان يتسم بالسمة المدرسية : ففى هذه الفترة بدأت كتاباته مبكرة عقب إعلان الدستور العثمانى حيث كتب مقالات فى جريدة الحقيقة البيروتية تناول فيها شؤونا متنوعة فى الأخلاق والاجتماع والسياسة وألف فى هذه الفترة رواية «**وفود النعمان على كسرى**» وكان يهدف من ورائها غرس الوعى العربى والدعوة الى النهضة لتتبوأ الأمة العربية مكانتها اللائق بها وتسترجع أمجادها العريقة فى تاريخ العرب والاسلام . وألف رواية «**السمسار وصاحب الأرض**» سنة ١٩١٣ بأسلوب مسرحى نتيجة لما بدا من مطامع اليهود فى حيازة الأراضى العربية وشرائها من العرب بكل وسيلة . وهدف من الرواية شرح أساليب اليهود والتنبيه على خطر السماسرة الذين كانوا يساعدونهم على تحقيق مآربهم .



وفى سنة ١٩٢٥م اختصر تاريخ العرب والاسلام فى ثلاثة اجزاء ليكون كتاباً مدرسياً وقد كتبه بأسلوب عربى أبرز فيه النواحى الحضارية والاجتماعية والثقافية والعربية والاسلامية بالاضافة الى ابراز الوجود السياسى العربى فى صورة مشرقة.

المرحلة الثانية: انتاجه بعد مرحلة الاعتقال وسنوات الغربة فى تركية حيث أدت الى نقلة طويلة وغنية فيها العمق والجدة فقد تمكن فى سجن المزة من حفظ ثلثى القرآن. وفى تركية خصص وقته كله للقراءة وبخاصة دراسة القرآن الكريم.. وقد بلغت كتبه المطبوعة حوالى أربعين كتاباً وكان جلها فى الفترة الأخيرة من حياته.. ومما يحمد له فى دراساته التى قدمها اعتماده اعتماداً أساسياً على القرآن والسنة مصدرين وحيدين وبخاصة فى الدراسات الاسلامية. ويمكن تقسيم كتبه الى ثلاثة أقسام: **القسم الاول**: فى التاريخ العربى فى شتى عصوره.. **القسم الثانى**: فى الدراسات المستنبطة من القرآن والسنة.. **والقسم الثالث**: فى قضايا الامة العربية الحديثة وبخاصة قضية فلسطين. وتعتبر مؤلفاته حول القضية الفلسطينية من أوثق ما كتب فى هذا الموضوع لأنه عاصر القضية وامتزج معها منذ بداية القرن العشرين الميلادى حتى آخر نكساتها.. ويدعم ما يقرره بالشواهد والأدلة والوثائق المخطوطة والمطبوعة. وله كتاب بعنوان «**القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها**» يعتبر حجة فى بابه. ولا يتسع المجال للحديث عن كتبه كلها ولكننى سأتحدث عن كتابين كان له السبق فى المنهج الذى اتبعه فى تأليفهما.

الكتاب الأول: التفسير الحديث.. ويقع فى اثنى عشر جزءاً وهو تفسير القرآن الكريم. والجديد فى هذا العمل انه عرض تفسير القرآن حسب أسباب النزول وزمانها.. وقدم السور المكية على السور المدنية حتى يكون القارىء فى جو نزوله مرتبطا بالسيرة النبوية وأحوال المسلمين.. ومع اعتقاده أن ذلك لا يخل بقدسية ترتيب المصحف لأن التفسير عمل علمى وليس مصحفا للتلاوة فقد استفتى بعض أفاضل العلماء وأفتوه بصحة ذلك.. يقول فى مقدمته شارحاً منهجه: «ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة بحيث تكون أولى السور المفسرة سورة (العلق) ثم (القلم).. الى أن تنتهى السور المكية.. ثم سورة البقرة فسورة الانفال الى أن تنتهى السور المدنية.. لاننا رأينا أن هذا يتسق مع المنهج الذى اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمناً بعد زمن.. كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق.. وبهذا وذاك ينـدمج القارىء فى جو نزول القرآن وجو ظروفه ومناسباته ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل.. وقد قلبنا وجوه الرأى حول هذه الطريقة وتساءلنا عما إذا كان فيها مساس بقدسية المصحف المتداول فانتهى بنا الرأى الى القرار عليها لأن التفسير ليس مصحفا للتلاوة من جهة وهو عمل فنى أو علمى من جهة ثانية ولأن تفسير كل سورة يصح أن يكون عملاً مستقلاً بذاته.. لا صلة له بترتيب

طالع محمد عزة دروزة
الكتب الأدبية والاجتماعية
والعلمية والدينية باللغتين
العربية والتركية..



المصحف . . وليس من شأنه أن يمس قدسية ترتيبه من جهة ثالثة .

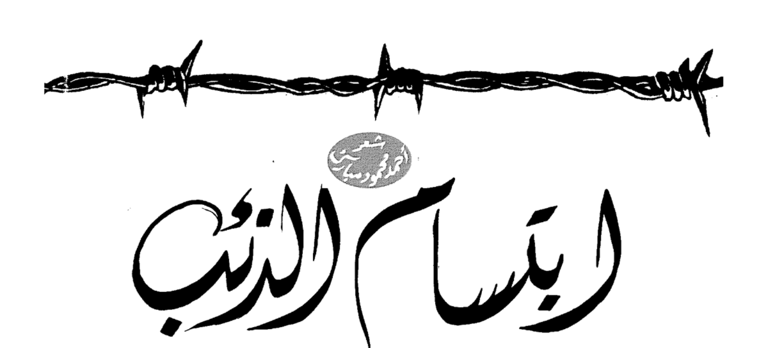
ولقد أثر عن علماء أعلام ـ قدماء ومحدثين ـ تفسيرات لوحدات وسور قرآنية ولم نر نقداً لهذا أو ذاك مما جعلنا نرى السير على هذه الطريقة سائغا ـ لا سيما والقصد منه خدمة القرآن الكريم بطريقة تكون أكثر نفعاً . . وليس هو الانحراف والشذوذ . . والله أعلم بالنيات» .

وقد ذكره الاستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب من مصادر تفسير القرآن فى كتابه الذى وضعه لطلاب كلية الشريعة بالرياض . وتلقى الاستاذ دروزة من مشيخة الأزهر كتاباً تذكر فيه أنه رفع اليها رسائل فيها ملاحظات على التفسير وتطلب نسخة منه للنظر فيها والرد على أصحاب تلك الرسائل . . والظاهر ان ذلك متصل بمسألة ترتيب السور فى التفسير لأن بعضهم كتب مقالات ينتقد ذلك ـ ولكن مشيخة الأزهر لم تر بأساً فى ذلك .

وللاستاذ **دروزة** كتب أخرى حول القرآن منها «**اليهود فى القرآن**» وكتاب «**القرآن والمبشرون**» يرد فيه على بعض المفهومات المنحرفة لبعض المبشرين ويوضح الحق بالقرآن . وله كتاب «**القرآن والملحدون**» يفند فيه بعض شبهات الملحدين تفنيدا علميا ويبرر وجه الحق لا شبة فيه .

الكتاب الثانى: «**سيرة الرسول**» ﴿ﷺ﴾ مستخلصة من القرآن الكريم . . وقد جعل كتابه مؤلفاً من موضوعات مستقلة ولكنها تدور فى إطار السيرة النبوية مخالفاً فى ذلك الكتب المألوفة فى السيرة . . لأن السيرة النبوية ليست غزوات فقط وإنما هى سيرة فى الحرب والسلم . . وقد غفل مؤلفو السيرة عن الحديث عن حياة الرسول وسيرته الاجتماعية فجاء هذا الكتاب فتحاً جديداً فى معنى «السيرة النبوية» لأن ما تتحدث عنه الكتب الأخرى إنما هو سيرة الرسول فى الجهاد . . والجديد فيه أيضاً أنه اعتمد على القرآن الكريم وحده فى استخلاص هذه الصور من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام لأن القرآن الكريم هو أول المصادر التى يرجع اليها فى معرفة حياة النبى وسيرته وفى ثنايا القرآن كثير من الآيات التى عرضت لحياته قبل البعثة وبعدها . . كحديثه عن يتمه . . وحديثه عن الوحى وتلقيه . . وحديثه عن عداوة الاعداء وخصومة الكافرين له . . واتهامه بشتى أنواع المعايب . . ولكن الذى يؤخذ على محمد دروزة أنه أضرب عن النصوص الصحيحة الواردة فى الكتب الستة وهى مع القرآن الكريم تقدم الصورة الصادقة التى لا يتطرق اليها الشك . . ولعله استدرك الأمر فيما بعد . . ولذلك فإننا نجده يخرج كتاباً بعنوان «**الجهاد فى سبيل الله فى القرآن والسنة**» عرض فيه سيرة الرسول الحربية وغزواته مستنبطة من كتاب الله والكتب الصحيحة . .

وبعد فهذا قليل من كثير يمكن ان يقال عن شخصية محمد عزة دروزة ولن يفيه حقه من الدراسة الاكتاب ذو أجزاء . . فالعطاء الغزير الذى قدمه جدير بأن تعرف عنه الأجيال الكثير ليكون علماً من أعلام أمتنا العربية يقتدى بسلوكها . وتشتد حاجتنا بخاصة الى كتبه التى وضعها فى تاريخ العرب الحديث وفى تاريخ القضية الفلسطينية بوجه أخص لأن هذه القضية ميزان تاريخ العرب الحديث . . وقد ضاع الكثير من حقائق هذا التاريخ ودفن بعضها . . وطُلِيَ بعضها بطلاء الزيف . . والحقيقة الناصعة فيه موجودة فى صدور الرجال الذين شهدوا هذا التاريخ وعانوا من حوادثه . ومحمد عزة دروزة من الرجال القلائل الذين وعوا هذا التاريخ وسجلوا الكثير من حقائقه وقد نال التقدير من المجالس والمجامع العلمية فانتخب سنة ١٩٦٠م عضوا أساسيا فى المجلس الأعلى للفنون والآداب فى القاهرة ومقرراً للجنة التاريخية فيه .



ابتسام الذئب

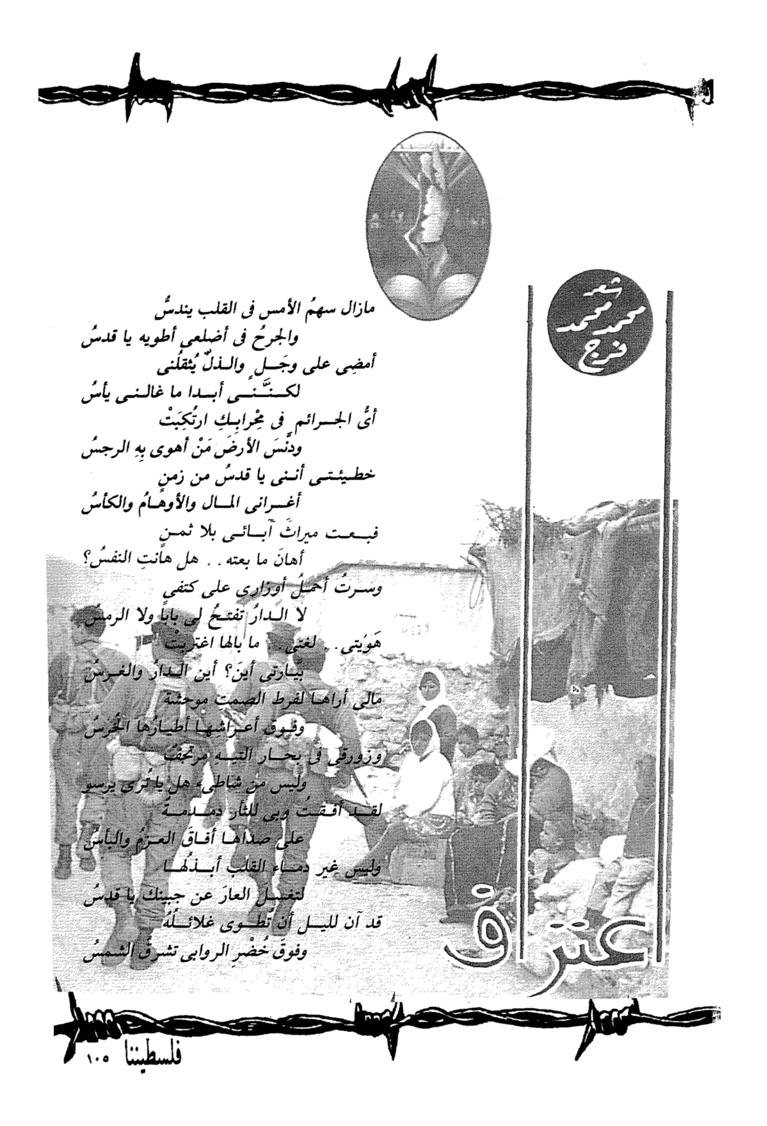
هجرَ الحمامُ القدسَ وانسالتْ على الأقصى دماه
وبكت مآذنُهُ الحزينةُ وَهَىَ تدعو للصَّلاه
إذ لم تزل فى طُهْره أوحال أقدامِ الغُزاه

* * *

والغاصبُ المحتلُّ يدعو للسلامِ وللحياه
وهو الذى سفك الدما وبها مُلطَّخةٌ يداه
وهو الذى لمّا يزل يُلقى على الدنيا أذاه
يا من خُدعْتُم بالنداء وغشَّكُمْ خبثُ الدُهاه
عندى سؤالٌ واضحٌ . (لمن السلامُ؟ . أللطغاه؟)
ألمن بغيْهَب بطشِهِمْ طَمَسُوا ابتساماتِ الشفَاه
فى وجه طفلٍ يَتَّمُوه وصار كهلاً فى صباه
من أثكلوا قلبَ النساء وأظلموا عُرْسَ الفتاه
من جرَّعوا لحنَ الربابِ بأرضنا مليونَ آه

* * *

كيف السلامُ وشعبُنا المطرودُ ملقىً فى الفلاه
الريحُ تنهشُ عظمَهُ والقيظُ يلفحُهُ لظاه
وديارُهُ صارتْ متاعاً للصهاينةِ الجُناه
هذا هوانٌ - لا سلامٌ - وانحناء للحياه
هذا ادِّعاء بالهدى تجترُّه شَفَةُ العُصاه
هذا قناع زائف وجه البشاعة محتواه
هذا ابتسامُ الذئبِ حين تلوحُ فى الأرجاء شاه



إشراق

شعر محمد محمد فرج

مازال سهمُ الأمس فى القلب يندسُّ
والجرحُ فى أضلعى أطويه يا قدسُ
أمضِى على وجَلٍ والذلّ يُثقلُنى
لكنَّنى أبدا ما غالنى يأسُ
أىُّ الجرائمِ فى مِحرابِكِ ارتُكِبَتْ
ودنَّسَ الأرضَ مَنْ أهوى بِهِ الرجسُ
خطيئتى أننى يا قدسُ من زمنٍ
أغرانى المال والأوهامُ والكأسُ
فبعت ميراثَ آبائى بلا ثمنٍ
أهانَ ما بعته . . هل هانتِ النفسُ؟
وسرتُ أحملُ أوزارى على كتفى
لا الدارُ تفتحُ لى باباً ولا الرمسُ
هَوُيتى . . لغتى . . ما بالها اغتربتْ
بيّارتى أينَ؟ أين الدارُ والغرسُ
مالى أراها لفرط الصمتِ موحشة
وفوق أعراشِها أطيارُها الخُرسُ
وزورقى فى بحار التيهِ مرتجفٌ
وليس من شاطىء هل يا تُرى يرسو
لقد أفقتُ وبى للثأر دمدمةٌ
على صداها أفاقَ العزمُ والبأسُ
وليس غير دماء القلب أبذُلُها
لتغسلَ العارَ عن جبينك يا قدسُ
قد آن لليل أنْ تُطوى غلائلُهُ
وفوقَ خُضْرِ الروابى تشرقُ الشمسُ

لن تموتوا

لا تحزنوا .. ان جئتكم يوما بوجه مستعار ..
اخفي به اطلال عمر شوهته يد الدمار ..
لاتغضبوا مني اذا اخفيت اخفاقي ويأسي ..
كي ابشركم بصيحات النهار ..
اني اراه هناك طوفانا ..
يعربد في جوانحنا .. ويعصف في دمانا ..
لن يطول الانتظار ..
قد لايطول العمر بي ..
حتى اراه جزيرة خضراء تعلو ..
فوق امواج البحار ..
قد لايطول العمر بي ..
حتى اراه كبسمة بيضاء ..
في عين الصغار ..
لكنني سأكون اغنية ..
تطير على قباب القدس ..
تزهو بالأمل ..
سأكون ناراً تحرق الكهان ..
والزمن المعوق .. والدجل ..

★ ★ ★

القدس سوف تحاصر الموتى ..
ستهدم كل جدران المقابر ..
ستطوف فوق شواهد الاحياء ..
تصرخ في بيوت السوء ..
سوف تصيح من فوق المنابر ..
يتدفق الصوت العتيق ..
فيغرق الجثث القديمة .. ثم يبعثها
وتنبت من بقاياها الحناجر ..
يانوح .. لاتعبأ بمن خانوا ..
فلن ينجو من الطوفان غادر ..
القدس تحتضن الرجال الراحلين بحملهم
والجرح في الاعماق غائر ..
القدس مازالت تحلق في القلوب ..
وان بدت في الافق احزانا تكابر ..
القدس تصرخ في مآذننا ..
حرام ان يضيع الحق ..
يازمن الصغائر ..

★ ★ ★

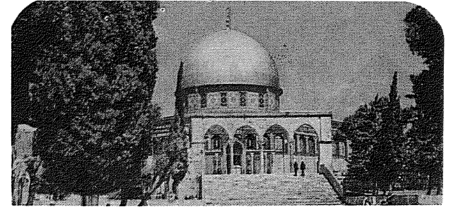
مرتين !!

شعر
فاروق جويدة

القدس سوف تعود كالبركان ..
تكتسح الزمان الراكد الموبوء ..
تشرق في دجى الليل البصائر ..
ستداعب الاطفال بالحلوى ..
وبالقصص القديمة .. والحكايا ..
سوف تحمل في يد زيتونة خضراء ..
وتحمل في اليد الاخرى .. خناجر ..
ستعلم الاطفال نطق الحرف ..
قتل الظلم .. وأد الخوف ..
كيف يكون صوت الحق ..
نوراً في الضمائر ..
وسيسقط الكهان كالحشرات ..
في صمت المقابر ..
وسيزحف الموتى جموعا بالبشائر ..
والقدس تصرخ خلفهم ..
وتصيح فيهم ..
لن تموتوا ..
لن تموتوا مرتين ..







فلسطين

شعر
أحمد عبد الهادى

فلسطينُ آليتُ أن ترجعِى
بعزمى بروحى وبالمدفعِ
تمادَى العداةُ فلم يُقلعوا
يعيشونَ فى أطهرِ الموضعِ
سنرجعُ للدار مثل المنونِ
وكالسيلِ أو كاللظى المسرعِ
سنخرجُ للحربِ مثلَ الأسود
ونضربُهُم ضربةَ المبدِعِ
سنثأرُ ممن أقضُّوا النيامَ
ونؤمن مَن باتَ لم يهجعِ
غداً سأسيرُ مع العائدينَ
وآخذُ كُلَّ شجاعٍ معى
سأجمعُ للثأرِ كُلَّ شهابٍ
وكلَّ كعابٍ ورا البرقُعِ
إلى ساحةِ الحرب إني شغوفٌ
متى أضغطُ الزندَ بالاصبعِ

وجدتُ الحياةَ كفاحاً مريراً
ومن غير ذلك لم تنفعِ
ولذَّاتها بعد جهدٍ جهيدٍ
وأحداثها نكبة الخضَّعِ
فلا أرتقى عيشةَ الخانعينَ
ولا أرهبُ الموتَ أو مصرعى
أبيت ليالىَّ فى يقظةٍ
وكفَّاىَ دوماً على أضلعى
وأرنو بعينىَّ عَبرَ الحدودِ
وأرقبُ نَجْمَ الفضا الأوسع
وأُمتع نفسى بعيش الكفاح
وأزحفُ فوق الثرى البلقعِ
وأسألُ أيَّانَ وقعُ السلاح
وحتَّامَ يبدو سنا المطلعِ
فإنِّى أحنُّ ليوم القتالِ
حنين شجاعٍ به مولعِ





محمود درويش لازال يغرد فى سماء الوطن يبحث عن فراشات الحلم يعطيها قوة الاحساس .. وعشق الارض ..

فى شهر اذار فى سنة الانتفاضة قالت لنا الارض اسرارها الدموية فى شهر اذار مرت امام البنفسج والبندقية خمس بنات وقفن على باب مدرسة ابتدائية واشتعلن مع الورد والزعتر البلدى افتتحن نشيد التراب دخلن العناق النهائى ، اذار يأتى الى الارض من باطن الارض ياتى ومن رقصة الفتيات البنفسج مال قليلا ليعبر صوت البنات ، العصافير مدت مناقيرها فى اتجاه النشيد وقلبى
انا الارض
والارض انت
خديجة ! لا تغلقى الباب
لا تدخلى فى الغياب
سنطردهم من اناء الزهور وحبل الغسيل
سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل
سنطردهم من هواء الجليل
وفى شهر اذار مرت امام البنفسج والبندقية خمس بنات سقطن على باب مدرسة ابتدائية للطباشير فوق الاصابع لون العصافير فى شهر اذار
قالت لنا الارض اسرارها

- ١ -

أسمِّى التراب امتدادا لروحى
اسمى يدى رصيف الجروح
اسمى الحصى اجنحه
اسمى العصافير لوزا وتين
اسمى ضلوعى شجر
واستل من تينة الصدر غصنا
واقذفه كالحجر
وانسف دبابة الفاتحين

أخى لاح فى الأفق يوم الرجوع
ينادى الى المقصد الأرفع
أخى فى العروبةِ آنَ الأوانُ
فهيّا حثيثاً ولا تقبع
دعوتُ فأسرعْ ولبِّ النداء
وَهَيِّىءْ صغارَكَ أو ودِّع
فلسطينُ آن رجوع الأباة
فلسطين جئناكِ لا تجزعى
أتاك بنوكِ بأعلامهم
بأقواسِ نصرهِمُ الألمعى

من شعر
عبد السلام
هاشم حافظ

يا حريتي

حرِّيَّتي.. حُبِّي الكبيرُ بعالمي
ورجاء أجدادي لأرضي الباقيه
أنتِ المباهجُ والحياةُ لموطني
والحبُّ يبقى ثائراً بدمائيه
للدارِ.. للأوطانِ.. أنتِ سمائيه

* * *

إجتزتُ أعواماً وأخرى آملاً
تتذكَّريني.. بل وقلبُك يخفقُ
قلباً كبيراً مؤمناً في حبِّه
لك يا رجايَ.. وفي ظلالكِ يورقُ
أنتِ الحياةُ لنا وأنتِ المشرقُ

* * *

لِمَ لَمْ تُجيبى ثائراً متعلقاً
بكِ يا صباحى.. يا شبابى المتْعَبُ
أوَّاهُ يا حريتى يا غبطتى
مما نُلاقى فى السجون ونَنصَبُ
لم لا تجيبينا وأنت المطلبُ؟

* * *

فمتى أُحَرَّرُ من قيودى مرَّة؟
فى جنَّةِ الوطن المكرَّم نمرحُ
تسقينَنِى من خمرة النَّصر التى
تُنْشى.. وتجعلُ مهجتى لكِ تشرحُ
أسرارَ أشواقى التى لا تبرح

* * *

أشواقَ أجيالٍ مضتْ فى حسرةٍ
والشعبُ يأملُ صامداً لا يسأمُ
أملى العظيمُ.. حقيقةٌ سنعيشُها
هذى الحياة بجهدِنا نترنَّمُ
بالعزِّ والمجدِ العريقِ.. ونحلُمُ

* * *

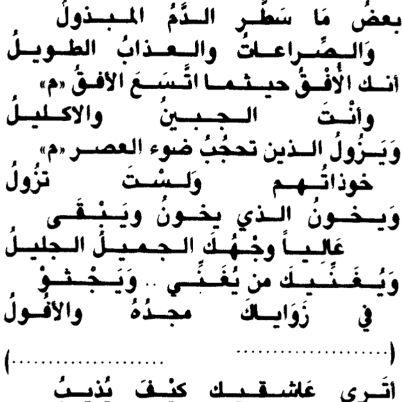
ونرى السلامَ يعيشُ بين ديارنا
فمتى أرى حرِّيتى تدنو لنا؟
والأمةُ العُظمى تُشيدُ بحبِّها
ورؤاكِ كلُّ رجائِهَا.. كلُّ المُنى
يا حبىَ الأسمى وأحلامى هُنا

* * *

فتذكَّرى قلباً يرتلُ عمرَهُ
آياتِ غِبْطتِهِ بعَوْدِ النَّائيَه
شَعْباً يُهلِّلُ صامتاً فى زحفِهِ
يحيا لأجلكِ يا حياتى الآتية
حتى يُظَلِّلَنا التحررُ ثانيه

صلوات لوج





بعضُ مَا سَطَّرِ الدَّمُ المبـذولُ
وَالصِّراعـاتُ والعـذابُ الطـويـلُ
أنـك الأفْـقُ حيـثمـا اتَّسَـعَ الأفـقُ «م»
وأنْـتَ الـجـبـينُ والاكـلـيـلُ
وَيَـزُولُ الـذين تحجُبُ ضوء العصـر «م»
خوذاتُـهـم وَلَـسْـتَ تزُولُ
وَيـخـونُ الـذي يخـونُ ويَـبْـقَـى
عَالـيـاً وجْـهُـكَ الـجـمـيـلُ الجليـلُ
وَيُـغَـنِّـيـكَ من يُغَـنِّـي .. وَيَـجْـثـو
في زَوَايـاكَ مجـدُهُ والأفُـولُ

(..................... ....)

أتَـرى عَاشـقـيـك كيْـفَ يُذيـبُ
الـوجْـدُ أجـسَـادَهُـمْ.. وكـيـفَ تحـولُ
كيـف يَسْـتَـيـقـظُ الـشَّـهـيـد من المـوت
«م» كأن لم يمُـتْ ويَـحـيَـا الـقَـتِـيـلُ
كيْـفَ تَنْـدى أرضٌ.. وتـيـبس أرضٌ
ويـضَـحِّـي جيـلٌ.. ويُـولـدُ جيـلُ
هُو ذَا أنْـت.. أنـتَ هذا الـذي
يَجْـتـرح الـصَّـمْـتَ سَيْـفُـهُ المسلولُ
انـتَ هذا الـذي يجـيءُ من الـصـحـراء
ضوءٌ.. حِينَ الظـلامُ الـبـديـلُ
عَرَبـيَّ الـيـقـينِ.. أكـفـانـه فَوق كِتْفَيْـه
شهـود على الـيـقـينِ عُدوُلُ



قصيدة جديدة للشاعر:
محمد الفيتوري

الوطن

داخـلًا في علاقـة المـوتِ بالمـوتِ «م»
كمـا تَدْخُـل الـفُصُـولَ الـفصـولُ
غَاضبـاً تَسْطَـعُ الـرُؤى مِلء عينَـيـه «م»
فَفِـي كُلِ نَظْـرةٍ قِنْـديـلُ
وَيَمـوج السُّكُـونُ عَصْفـاً ويَسْـري
في الـعـيُـونِ الـزَّرْقـاء حُلْمٌ ثَقِـيـلُ
لم يكُـنْ غَيْرُ ظلّه وهـو يَرْتـجـلُ الأسـوار
«م» .. يَعْـوَجُّ عَامِـداً وَيَـمـيـلُ
لِمَ أبْطأتَ ؟ قالـت الأرض.. أكْـمـلْ
كُنْ لم تكُـنْ.. فأنْـتَ الـرسُـولُ

★ ★ ★

ثُمَّ مَادتْ دعـائـمُ كُنَّ منـذ قَليـلٍ
هُنَّ الـوُجُـودُ الـذلـيـلُ.!
يَوْمـهـا ارْدَانَـت الأمـيرةُ بيروت «م»
بَصَـمْـتٍ.. وانْـسَـابَ دمـعُ نبيـلُ
وتـمَـنَّـى لبـنـانُ لو لم يُبَـدِّدْ
إرْثَـهُ الطـائِـفـيُّ وَالمـخـبـولُ

(..............
...............)

(..............
...............)

★ ★ ★

يَوْمـهـا قَال قـائـلٌ: يافـلسْطـينُ
قُتـلنـا.. وَالـصَّـامِـدُونَ قليـلُ
غَيْر أَنَّ الاطـفـالَ تُولـد في كُلِّ صبـاحٍ..
«م» وقَـهْـرُنَـا مُسْـتَـحِـيلُ.!





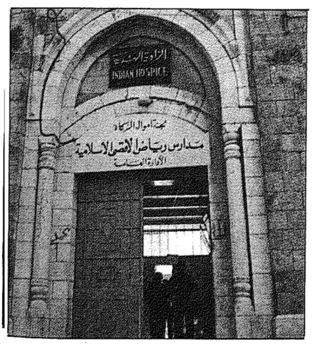


زاوية الهنود - الزاوية الرفاعية

موقعها قديم ولا يعرف تاريخ إنشائها على وجه التحديد. وكانت للفقراء الرفاعية قبل أن تنسب لطائفة الهنود. وذكر أنه فى القرن العاشر الهجرى - السادس عشر الميلادى وفد الى القدس بابا فريد شكر كنك وهو من مسلمى الهند وقد وفد للتعبد والاقامة وقام بتجديدها وإعادة بنائها. وفى سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩-١٨٧٠م جدد بناؤها ثانية.

وتتكون هذه الزاوية من مجمع معمارى ضخم يضم عدة بنايات تهدَّم أكثرها فقد تعرض أجزاء منها للخراب من جراء حرب ١٩٦٧م وأما الأجزاء التى بقيت منها فيكوِّن بعضها جزءاً من مكاتب وكالة الغوث. ويكوِّن بعضها الآخر مدرسة لرياض الأقصى الاسلامية ويضم مسجداً وساحة مكشوفة. وفيها تسكن عائلة الشيخ ناظر حسين الأنصارى الهندى.

توقفت هذه الزاوية عن تأدية مهمتها منذ مدة ولها أوقاف متعددة ومنها وقف يقع فى باب حطة.



الباب الرئيسى لزاوية الهنود

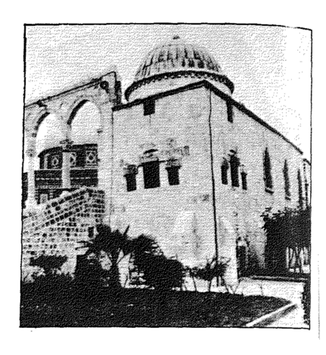
(القبة النحوية).

أنشأها الملك المعظم عيسى فى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م ووقف عليها أوقافا حسنة وخصصها للاشتغال بالعربية. وقد دُرِّست فيها علوم العربية ونال النحو تركيزا فى تدريسه ودرس العلماء فيها كتاب سيبويه وكتاب الايضاح لأبى على الفارسى وكتاب إصلاح المنطق لابن السِّكيِّت وغيرها. وكانت تسمى المدرسة النحوية وقد رتب لها الملك المعظم عيسى إماما وشيخاً وخمسة وعشرين

في الحركة الفكرية في بيت المقدس واستمرت تقوم بدورها حتى القرن الثاني عشر الهجرى.

وأصبحت هذه المدرسة مكتبة للمجلس الشرعى الاسلامى الأعلى فى العهد الأخير ثم أصبحت مقرا للمكتب المعمارى الهندسى لإصلاح قبة الصخرة المشرفة وإعمارها فى سنة ١٩٥٦م. وهى الآن أحد مكاتب لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك.

وتتكون هذه القبة من غرفتين وصالة فى الوسط. وتعلو الغرفة الغربية قبة لطيفة ويغطى الغرفة الشرقية والصالة سقف أفقى ويقع مدخل البناء فى الجهة الشمالية يؤدى الى الصالة ويحف به عمودان من الرخام يشتهران باسم (عاق والديه).



منظر خارجى للقبة النحوية

(صهريج الملك المعظم عيسى)

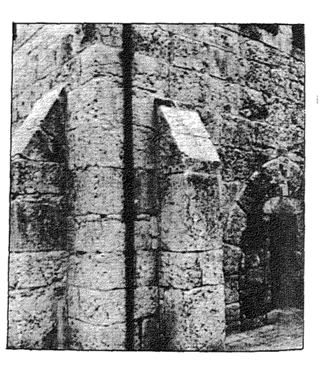
بناه الملك المعظم عيسى فى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م. ويمكن أن نفترض أن الأروقة المكونة للصهريج أقيمت فى السنة التى أقيمت فيها القبة النحوية أى فى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م ثم سُدّ ما بينها لتكون صهريجا فى سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م.

ويتكون هذا الصهريج من ثلاثة أروقة سُدّ بينها بقواطع بنائية وهى مغطاة بأقبية متقاطعة وله ثلاثة مداخل فى الجهة الجنوبية وهى معقودة بعقود مدببة وفوق المدخل الأوسط منها نقش كتابى يبين اسم البانى وسنة البناء.

وفى العصر المملوكى فى عهد المنصور قلاوون حُوِّل جزء منه مستودعا لحاصلات الحرم وحُوِّل الجزء الآخر مُصَلًّى للحنابلة.

ثم تعرض هذا الصهريج للإهمال. وقد اتخذ حديثا مقرا لقسم البستنة فى الحرم الشريف.

«التحرير»



الواجهة الخارجية للصهريج

طالباً من طلبة النحو. وقد اهتم بعمارتها فأنشأ لها قبة فى سنة ٦٠٨هـ وقد قامت هذه المدرسة بدور ملموس



مركز الأبحاث الفلسطينية

تأسس مركز الابحاث فى بيروت فى شباط ١٩٦٥ بقرار من اللجنة التنفيذية الأولى لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد وقت قصير من إعلان قيام المنظمة فى أيار ١٩٦٤ وتطبق فى المركز الأنظمة والاجراءات المالية والادارية النافذة فى المنظمة. ويشرف الصندوق القومى الفلسطينى على حساباته ويتمتع المركز منذ تأسيسه باستقلال كبير فيما يتصل بنشاطه فى المجالات التى أنشىء من أجلها.

أهداف المركز :

غاية المركز تغطية الصراع العربى - الصهيونى بالدراسات العلمية وتوفير المعلومات الصحيحة حول القضية الفلسطينية وقد تحددت أهدافه فى هذا المجال بما يلى:

(١) تغذية أجهزة منظمة التحرير ومؤسساتها المختلفة بالآراء والمعلومات التى تفيدها فى مختلف أنواع نشاطها السياسى والاعلامى وتساعد فى تحليل المواقف ووضع الخطط والبرامج واستكمال المعلومات وتدقيقها واستخدام المعلومات.

(٢) جمع الوثائق القديمة والمعاصرة المتصلة بالصراع العربى - الصهيونى ومتابعة جمع ما يستجد منها وتنظيم سبل الاستفادة من هذه الوثائق.

(٣) جمع الكتب والدراسات التى تقع فى دائرة اهتمامات المركز وإنشاء مكتبة متخصصة لهذا الغرض.

(٤) إعداد الدراسات والابحاث الميدانية حول القضية الفلسطينية وجوانب الصراع العربى - الصهيونى كلها ونشرها لتكون مراجع يستفيد منها القراء والدارسون والمختصون.

(٥) متابعة وقائع الأحداث والدراسات المتصلة بالقضية الفلسطينية وتنظيم الاستفادة منها.

(٦) نشر المعرفة بالعدو الاسرائيلى فى الأوساط الفلسطينية والعربية وتوفير المعلومات الدقيقة عن الشؤون الاسرائيلية.

ويلتزم المركز فى عمله لتحقيق أهدافه بالسياسة العامة لمنظمة التحرير ويسترشد بالخطط والبرامج التى تقررها مؤسسات المنظمة. وفيما عدا هذا يضع المركز نفسه خطط عمله وإنتاجه ونظمه الداخلية.. ويتبع المركز فى هذا كله

مناهج البحث العلمى المعتمدة ولا يخضع نفسه لأية عوامل سياسية أو إعلامية قد تتعارض مع هذا كله.

تطور العمل البحثي والتنظيم الإداري

عينت اللجنة التنفيذية الدكتور فايز صايغ ليتولى مسؤولية تأسيس المركز، والاشراف على عمله. وظل يحمل هذه المسؤولية الى أن خلفه فى آب ١٩٦٦ الدكتور أنيس صايغ الذى عين فى هذا التاريخ مديراً عاماً للمركز وخلال وجوده فى هذا المنصب تولى أيضا مسؤولية رئاسة تحرير مجلة «**شؤون فلسطينية**» منذ إصدارها فى شباط ١٩٧١. وبعد استقالة الدكتور أنيس صايغ فى نيسان ١٩٧٧ عين الشاعر محمود درويش مديراً عاماً حتى تموز ١٩٧٨، ثم خلفه صبرى جريس منذ هذا التاريخ.

يعتمد المركز فى تغطية نفقاته على مصدر أساسى هو الميزانية السنوية التى تخصصها له اللجنة التنفيذية للمنظمة ويصادق عليها المجلس الوطنى الفلسطينى. ويعتمد أيضاً على المساعدات التى أقرها اللجنة فى الحالات الاستثنائية. وقد بقيت منظمة التحرير المصدر الوحيد لتمويل المركز حتى عام ١٩٧٢ حين قرر مجلس جامعة الدول العربية تقديم معونة سنوية تضاف الى ميزانية المركز السنوية.

يعتمد المركز فى بحوثه ونشاطه الفكرى أسلوب العرض الموضوعى الموثق للقضايا التى تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية ويعتمد مناهج البحث العلمى المتبعة فى العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد قضى التوجه العام للمركز منذ تأسيسه أن يعرف القارىء العربى بمختلف جوانب الحياة فى (إسرائيل) فى وقت كانت المكتبة العربية تفتقر فيه الى الدراسات الرصينة فى هذا المجال. وفى مرحلة لاحقة أولى المركز عناية أكبر لدراسة أحوال الشعب الفلسطينى ومؤسساته الى جانب متابعة الشؤون الاسرائيلية. ومنذ عام ١٩٦٧ بالاضافة إلى عنايته بشؤون العرب الذين يعيشون فى ظل السلطة الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ ومتابعته مشكلاتهم الاجتماعية ونضالهم القومى. واتجه المركز ولا سيما بعد عام ١٩٦٧، إلى تغطية المواقف الدولية والنشاط العلمى المتصل بقضية فلسطين وواكبت دراساته وبحوثه وتقاريره وندواته تطور العمل الفلسطينى ودور منظمة التحرير الفلسطينية الذى شهد انطلاقته الكبيرة بعد ١٩٦٧.

أقسام المركز:

تأسست فى المركز وتطورت الأقسام والشعب التالية:

● **المكتبة**: أنشأ المركز منذ تأسيسه مكتبة متخصصة. وتوالت الجهود بمضى السنين لتوسيعها وتحسين مستوى مقتنياتها باتجاه مزيد من التخصص. وهو يقوم باقتناء الكتب التى تتناول الشؤون



الفلسطينية والشؤون الاسرائيلية وشؤون الصراع العربى - الصهيونى وقضايا الشرق الأوسط وأية قضايا أخرى هامة والتى تصدر باللغات العربية والعبرية والانكليزية والفرنسية. وتقتنى المكتبة الموسوعات والمعاجم والأطالس والدراسات والبحوث والمراجع الأخرى التى تصدر باللغات الأربع فى المجالات الرئيسة وتضم فى الوقت الراهن أكثر من عشرين ألف مجلد منها خمسة آلاف باللغة العربية وثلاثة آلاف بالعبرية وأحد عشر ألفاً بالانكليزية بالاضافة الى المجلات الشهرية والفصلية التى تصدر باللغات الأربع المعتمدة ويوزع المركز على الجهات المعنية فهرساً دوريا بمقتنيات مكتبته وتشترك مكتبة المركز فى نحو ١٦٠ دورية باللغة العربية و٤٩ بالعبرية و٢٥٠ بالانكليزية و٦٣ بالفرنسية. وفى مكتبة المركز الدوريات التى تصدرها الجهات الفلسطينية كافة.

● **قسم الأرشيف**: يضم جميع الوثائق المنشورة عن القضية ويسعى باستمرار لاقتناء الوثائق غير المنشورة ويصنفها ويتابع هذا القسم ما تنشره ٨٠ صحيفة ودورية بمختلف اللغات ويصنف موادها الواقعة فى مجال اختصاصه ويقوم بتصوير مقتنيات ارشيفه بالميكروفيلم ويعمل على اقتناء الوثائق التاريخية التى يتم نشرها بعد مضى عدد من السنين ومنها الوثائق الانكليزية والعبرية ويصدر القسم مجلداً شهرياً يتضمن ملخصاً للأحداث الجارية فى كل شهر مبوبا حسب الموضوعات بحيث تسهل العودة إليه واستخدامه كمصدر للمعلومات فى أى وقت. ويوزع هذا المجلد على الجهات المعنية.

ويضع المركز مقتنيات مكتبته ووثائقه فى خدمة باحثيه وزواره من الدارسين والباحثين الذين يمكنهم أن يستفيدوا من هذه المقتنيات أثناء أوقات عمل المركز أو أن يحصلوا على نسخ مصورة للمراجع التى يحتاجون إليها وذلك تقريبا دون مقابل. كذلك يقدم المركز خدمات مماثلة لمن يطلبون معونته بالمراسلة فيمدهم بالمشورة بشأن الدراسات ويساعدهم على معرفة ما هو متيسر من مراجع تعوزهم فى دراساتهم.

● **قسم اليوميات الفلسطينية**: **يسجل هذا القسم الوقائع اليومية المتصلة بالقضية الفلسطينية ويستقى هذه الوقائع من جميع المصادر التى يتلقاها سواء باللغة العربية أو باللغات الثلاث الأخرى فضلا عن المصادر المباشرة ويصدر المركز حصيلة عمل هذا القسم فى مجلدات يتضمن كل منها وقائع نصف عام وتزود هذه المجلدات نصف السنوية بالجداول والفهارس المختلفة لتسهيل الاستفادة منها. وقد صدر حتى نهاية عام ١٩٨١ ثلاثة وعشرون مجلداً تضمنت الوقائع الفلسطينية من بداية عام ١٩٦٥ إلى منتصف عام ١٩٧٦.**

● **نشرة رصد إذاعة (إسرائيل)**: يتولى قسم خاص رصد وتسجيل ما تبثه إذاعة البرنامج العبرى العام وإذاعة الجيش والتلفزيون فى (إسرائيل) من مواد لها صلة بالصراع العربى الصهيونى أو بالقضايا الاسرائيلية الداخلية الهامة. ويقوم مترجمون مختصون بنقل هذه المواد الى اللغة العربية وتصدر فى نشرة يومية اسمها نشرة «رصد اذاعة اسرائيل - ر. إ. إ» وتصل المادة الى القراء قبل مضى أربع وعشرين ساعة على إذاعتها وتوزع هذه النشرة توزيعا محدودا يشمل الهيئات المعنية والمختصين فقط وقد ظهرت هذه النشرة منذ عام ١٩٧١ وصدر منها ٢٫٥٢٣ عددا حتى نهاية ١٩٨١.

والى هذا يقوم المركز فى أحوال خاصة بتقديم نشرات

المالى وقسم شعبة الشئون الادارية .

● **الاقسام البحثية**: وهى أهم الاقسام العاملة فى المركز فهى التى تنتج المواد الخاصة بالمركز أو تشرف على إنتاج المواد التى يقدمها كتاب من خارجه .

التنظيم البحثى :

تعددت الأقسام البحثية فى المركز وتنوعت بين فترة وأخرى وفق الحاجات والظروف المتفاوتة ثم استقر الأمر على ثلاثة أقسام :

١) قسم الدراسات الفلسطينية .
٢) قسم الدراسات الاسرائيلية .
٣) قسم الدراسات الدولية .

ويتولى الباحثون فى هذه الأقسام - كل وفق اختصاصه - إعداد الدراسات والأبحاث الميدانية والتقارير المتنوعة التى تنشرها مجلة «شؤون فلسطينية» أو التى ينشرها المركز فى كتب مستقلة أو التى تستخدم لأغراض أخرى ولا سيما لتغطية حاجات مؤسسات منظمة التحرير كذلك تتولى هذه الأقسام تقديم الاقتراحات بشأن الكتب الأخرى التى يتفق المركز بشأنها مع الكتاب والبت بنشر أو بعدم نشر المخطوطات التى يعرضها كتاب آخرون على المركز.

اصدارات المركز: أصدر المركز حتى عام ١٩٨١ - ٣٤٠ كتابا منها ٢١٧ كتابا باللغة العربية بينها ٢٦ كتابا وزعت توزيعا محدوداً على الهيئات المعنية والباحثين المختصين. ومنها أيضا ٨٧ بالانكليزية و٢١ بالفرنسية فضلا عن كتب كثيرة بلغات أخرى وقد عالج نحو ١٣٠ كتابا الشؤون الفلسطينية و١٤٠ كتابا الشؤون الاسرائيلية فى حين بحثت الكتب

المركز يضم فى داخله عدة أجهزة علمية وإدارية تؤدى فى مجموعها وظيفتها فى خدمة القضية الفلسطينية

غير دورية تتضمن ترجمات كاملة لمواد هامة فى الصحف الاسرائيلية .

● **مجلة شؤون فلسطينية**: وهى مجلة شهرية تعد الأولى من نوعها باللغة العربية وتختص بنشر المقالات والدراسات والأبحاث والتقارير الشهرية والطارئة التى تشمل المجالات المختلفة المتصلة بالشؤون الفلسطينية والاسرائيلية وغيرها من الشؤون الهامة ويعد مواد هذه المجلة باحثو المركز والكتاب الآخرون الفلسطينيون والعرب والأجانب الذين يتفق معهم لهذا الغرض أو الذين يؤثرون نشر إنتاجهم فيها. وقد انتظم صدور مجلة شؤون فلسطينية منذ آذار ١٩٧١ حتى اليوم وفى السنة الأولى من عمر المجلة صدرت الأعداد الستة الاولى بمعدل عدد كل شهرين ثم أصبحت المجلة شهرية .

ويضم المركز القسم الفنى ويشمل شعبة للمحررين المختصين الذين يقومون بتحرير مختلف المواد التى ينشرها المركز. . وقسم التوزيع والاشتراكات والقسم

الأخرى فى موضوعات وقضايا مختلفة تتصل بأغراض المركز.

وقد صدرت معظم هذه الكتب فى سلاسل.. فضمت سلسلة «كتب فلسطينية» ٨١ كتابا وسلسلة «دراسات فلسطينية» ١٠٤ كتاب وسلسلة «حقائق وأرقام» ٥٣ كتابا وسلسلة «أبحاث فلسطينية» ٤٨ كتابا وسلسلة «خرائط وصور فلسطينية» ١٨ كتابا.

وقد توقف المركز مؤخراً عن إصدار كتبه فى سلاسل مرقمة.

جوانب النشاط الأخرى: يقوم المركز بألوان نشاط أخرى متعددة ضمن إمكاناته فينظم بين وقت وآخر دورات لتعليم اللغة العبرية يدرس فيها عاملون فى المركز أو آخرون ممن ترشحهم المؤسسات الفلسطينية وينظم المركز ومجلته الشهرية ندوات يسهم فيها قادة ومختصون وتعقد بعض هذه الندوات بغرض التحاور مع العاملين فى المركز ومناقشة شؤون النشر. من ناحية أخرى يسهم المختصون فى المركز فى نشاط عدد من المؤسسات وفى اللقاءات الثقافية والعلمية الفلسطينية والعربية والدولية ويلبون الدعوة للكثير من الندوات التى تنعقد لمناقشة الموضوعات الواقعة ضمن دائرة اهتمام المركز ويعدون الدراسات والمداخلات لتلك الندوات والمركز عضو دائم فى المجلس الفلسطينى الأعلى للتربية والثقافة والعلوم وعضو دائم فى اجتماع «الاتحادات المهنية والمؤسسات العربية الممارسة لمهام إعلامية» الذى ينعقد دوريا بإشراف الأمانة العامة لجامعة الدول العربية - إدارة الاعلام وعضو مراقب فى اللجنة الدائمة للاعلام العربى واجتماعات مجلس وزراء الاعلام العرب وهو عضو أيضا فى عدد من الهيئات والاجتماعات الدولية العالمية ذات الطبيعة العلمية.. ويقيم المركز علاقات منتظمة أو شبه منتظمة مع عدد من المكتبات الكبرى فى العالم.

فكرة التقسيم

شعر الفلسطينيون بازدياد التدفق اليهودى على فلسطين وميل الانجليز الحاكمين إليهم وبالتالى ايقاع الظلم على الساكنين - عرب فلسطين - فثاروا عام ١٩٣٦ فى وجه الظلم.. وكانت بداية فكرة التقسيم.

- أوفدت بريطانيا لجنة برئاسة (بل) إلى فلسطين لدراسة الموقف.. واقترحت اللجنة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود.. فتكون (غزة وبئر السبع والنقب والجليل ونابلس والقسم الشرقى من مناطق جنين وطولكرم ويافا وبيسان) للعرب.

ولليهود (الجليل وصفر وعطاء وجميع السهل الساحلى من أسدود الى الشمال)

اما (الناصرة وشواطىء طبريا والقدس الى جنوب بيت لحم وممر من القدس إلى يافا يشمل مدينتى اللد والرملة فى قلب فلسطين) فتبقى منطقة خاضعة لبريطانيا.

- اوفدت بريطانيا لجنة أخرى برئاسة (وودهيد) قدمت تعديلات لمشروع (بل) واعترض العرب على فكرة التقسيم ذاتها..
- فى ١٩٣٨/١١/٩ أصدرت بريطانيا بلاغاً رسميا تضمن عدولها عن التقسيم باعتباره (حلا غير عملى).
- فى ١٩٤٦ قدمت بريطانيا مشروعاً جديداً لتقسيم

...ايخ وأحداث

فيلم وثائقى عن القدس

تقوم منظمة اتحاد الاذاعات الاسلامية ومقرها مدينة جدة بالإعداد لانتاج اول فيلم وثائقى عن «القدس» على نحو يجعله قادراً على ابلاغ الرسالة المطلوبة داخل العالم الاسلامى وخارجه الى جانب ان هذا الانتاج موجه بصورة رئيسية الى الرأى العام الدولى والعالمى للتعريف بالوحشية التى يقوم بها العدو الصهيونى تجاه فلسطين وقد تم إعداد المادة العلمية بأكثر ما يمكن من الدقة والتحرى بالتعاون مع مركز التخطيط الفلسطينى التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية فى تونس وقد اصبحت المادة العلمية جاهزة تماماً لانتاج هذا الفيلم.

...لسطين عرف باسم مشروع (موريسون) وتضمن ...قسيمها الى قسم عربى والآخر يهودى يكون لكل ...نهما حكم ذاتى فى إطار دولة اتحادية . . ورفض ...لعرب هذا المشروع لاجحافه بحقوقهم.

● فى ٢ أبريل ١٩٤٧ طلبت بريطانيا إلى السكرتير ...لعام للامم المتحدة إدراج طلبها لعرض القضية على ...لجمعية العامة للأمم المتحدة . . وتقدمت كل من ...مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وسوريا ...لبنان بطلبات لبحث انهاء الانتداب البريطانى ...واعلان استقلال فلسطين.

● فى سبتمبر ١٩٤٧ شكلت الجمعية العامة لجنة من ...ممثلى احدى عشرة دولة لزيارة فلسطين . . وانقسم ...رأى اللجنة الى :

(١) تقسيم فلسطين الى دولة عربية واخرى يهودية . . وانشاء منطقة دولية فى القدس.

(٢) انشاء دولة (فيدرالية مكونة من دولتين احداهما عربية والثانية يهودية وتتمتع كل منهما بالإستقلال الذاتى فى الشئون الاقتصادية.

● فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧ عرض الموضوع لاقتراح الأعضاء عليه فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ولم ...يحرز ثلثى الاصوات اللازمة لاصدار قرار بشأنه.

● فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ أعيد الموضوع للتصويت فوافقت على مشروع التقسيم (ثلاث وثلاثين دولة) ورفضت مشروع التقسيم (ثلاث عشرة دولة) وامتنعت عن التصويت (عشر دول).

● فى ١٤ مايو ١٩٤٨ أصدر (ديفيد بن غوريون) رئيس الجهاز التنفيذى للوكالة اليهودية ورئيس الحكومة المؤقتة اعلانا بقيام دولة يهودية اطلق عليها اسم (دولة اسرائيل).

ويتضمن مشروع التقسيم الذى وافقت عليه الامم المتحدة ثلاث نقاط رئيسية :

■ اقامة دولة يهودية تتكون من الجليل الشرقى ومرج بن عامر والقسم الاكبر من الساحل ومنطقة بئر السبع والنقب.

■ اقامة دولة عربية تتكون من الجليل الغربى ونابلس الجبلية والسهل الممتد من «اسدود» من الجنوب الى الحدود المصرية . . وتشمل منطقة الجليل وجبل القدس وغور الاردن.

■ اقامة منطقة دولية تضم القدس وبيت لحم . . تحت سلطة مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة.

«التحرير»

من الوثائق الفلسطينية الجديدة

عبد الرحيم الحاج محمد

إذا كانت الحرب العالمية الأولى والثانية تمثلان أعظم الأحداث الجسام بالنسبة للبشرية فى هذا القرن فإن **«وعد بلفور»** وما ترتب عليه من أحداث على أرض فلسطين هو وصمة عار على جبين الانسانية والمدنية المعاصرة.. إضافة الى كونه شرخاً فى صرح العدالة الإنسانية.

ففى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى حتى بداية الحرب العالمية الثانية حدثت عدة كوارث حلت بالشعب الفلسطينى ولعل أشهر تلك الكوارث ما جرته بريطانيا من ويلات بسبب انتدابها على فلسطين كى تتمكن اليد الاستعمارية من طعن الأمة العربية والاسلامية فى قلبها فلسطين.

وحتى تتمكن القوى الاستعمارية من تمزيق وحدة الشعب العربى واستغلال ثرواته وموقعه الاستراتيجى لمصالحها الذاتية.

على ضوء ذلك يمكن لنا القول أن جريرة بريطانيا تلك لن يغفر لها التاريخ بل ستبقى مثاراً للحقد والضغينة فى نفس كل عربى على الاستعمار البريطانى.

إزاء ذلك الوضع الشاذ وقف الشعب الفلسطينى بكل ما يملك لمجابهة تلك المخططات الاستعمارية والاستيطانية.. وتمثلت تلك المجابهات على شكل إضرابات عنيفة خلال سنوات معدودة منذ سنة ١٩٢٠ وحتى عام **١٩٣٣**م.. واخيرا الإضراب الشهير عام **١٩٣٦** الذى يعتبر أعظم اضراب فى التاريخ حيث قاربت مدته الشهور الستة.. وسقط فى تلك الاضرابات كثير من الابرياء والشهداء ضحايا الغزو الاستيطانى والأطماع الاستعمارية.. ومازال الشعب الفلسطينى يواصل كفاحه ضد الغزاة الدخلاء ولن يتوقف ذلك الكفاح حتى يتم النصر والتحرير.

إن تلك الوقفات البطولية ستبقى صفحات مضيئة فى تاريخ هذه الأمة.. ومن اجل الحفاظ على تلك البطولات وجب تسجيلها بأحرف من نور.. فمنها من طواه النسيان او كاد.. وبعضها سجلته أيدى الكتاب والباحثين.

من خلال تلك البطولات برز عدد من القادة الذين خاضوا المعارك ضد الغزاة وفعلا كان ذلك.. وإكراماً لهم تناولهم الباحثون وسجلوا بطولاتهم فى كتب ووثائق حتى تبقى معيناً للثوار لا ينضب على مرّ الأيام.

وعلى الرغم من كثرة الباحثين والكتاب الذين تناولوا القضية الفلسطينية وتحدثوا عن ابطال خاضوا اشرس

بطل وثورة

المعارك على أرض فلسطين فإن بعضهم لم ينل حظاً وافياً من الذكر إلا لماما.

ومن هؤلاء الابطال الذين كاد التاريخ ان يغمطهم حقهم القائد البطل والشهيد **«عبد الرحيم الحاج محمد»** **«ابو كمال»** ذلك البطل الذى يشار إليه بلا منازع على أنه بطل فترة ما بين ١٩٣٦-١٩٣٩.. خاصة بعد رحيل القائد **فوزى القاوقجى** إلى دمشق بعد إعلان وقف اطلاق النار.

ومن الكتب الوثائقية الحديثة التى تناولت هذه الشخصية كتاب جديد بعنوان **«عبد الرحيم الحاج محمد - بطل وثورة»** لمؤلفه الاستاذ زياد عودة عضو رابطة الكتاب الأردنيين وأحد المهتمين بالكتابة عن التاريخ الفلسطينى.



دوافع تأليف الكتاب:

وقبل ان يثار سؤال لماذا هذا الكتاب؟.. نقول: إن الأحداث البشرية تحتاج الى تسجيل - سلبها وايجابها - على حد سواء فكيف إذا كانت الناحية الايجابية هى الطابع الغالب على دوافع تأليف الكتاب.

وكما أسلفت بالقول عن ورود أحاديث مقتضبة عن بعض القادة الفلسطينيين وبشكل موجز فإن تلك الحالة كانت دافعاً من دوافع تأليف الكتاب يضاف إلى ذلك كون المؤلف من بلد القائد مما يساعد على اعطاء معلومات وافية وصادقة خصوصاً أن المؤلف كان قد قام بزيارة إلى بلد الشهيد قبل حرب ١٩٦٧ وحصل على مذكرات ووثائق لدى ابن الشهيد الذى مازال على قيد الحياة فى مدينة طولكرم التى ترزح تحت نير الاحتلال.. وحرصاً من الكاتب على تلك الوثائق حتى لا تصل اليها اليد الصهيونية فقد قام بتصويرها واحتفظ بنسخ من تلك الصور.

ولما لهذه الوثائق من أهمية حرص الكاتب أن يضعها ضمن كتاب يتناول شخصية ذلك البطل وليوفيه حقه فى الذكر والخلود لبطولاته الرائعة التى شهدتها فترة عام ١٩٣٦-١٩٣٩ من تاريخ النضال الفلسطينى.





منهجية المؤلف فى تأليف كتابه :

وأعنى بالمنهجية تلك الطريقة التى اتبعها الكاتب فى تأليف كتابه حيث تشمل تلك العملية ـ فيما أرى ـ عدة أمور قبل عرض الكاتب مؤلفه الجديد على دار الطباعة والنشر. . وهذه الأمور تنحصر فيما يلى :

أولا : جمع المواد التى تتعلق بموضوع الكتاب من مظانها الحقيقية.

ثانيا : التمحيص والتدقيق فى محتويات تلك المواد حتى يتأكد من صحتها.

ثالثا : التسلسل فى ترتيب تلك المواد حسب الأقدمية تاريخياً.

رابعا : الترتيب والتصنيف للمواد حسب كل موضوع.

خامسا : الخاتمة والتعليق الذى من خلاله يمكن لنا الحكم على شخصية الكاتب وموقفه من كل قضية تطرح.

هذه الأمور التى اعتبرها ضرورية فى إظهار أى كتاب جديد قبل أن يرى النور. وسوف أتناول كل نقطة من هذه النقاط لنرى جهد الكاتب والمؤلف من خلالها.

النقطة الأولى :

من الملاحظ ـ بدءا ـ أن الكاتب قد بذل جهدا فى جمع المواد والحصول عليها حيث رجع إلى اكثر من مرجع بلغت فى مقدارها سبعة عشر ذيّل بها كتابه المذكور وهى مراجع جاءت على أشكال مختلفة : منها الكتب والمذكرات. . والبيانات العسكرية بخط يد أصحابها ولغتهم. . والمجلات والصحف المتفرقة زيادة على ذلك عملية التصوير لبعض البلاغات العسكرية التى كانت تصدرها الثورة آنذاك. . وفوق ذلك كله الوثائق التى حصل عليها من ابن الشهيد وذلك قبل حرب حزيران عام ١٩٦٧ ويتضمن كتابه كذلك صورة للبطل الشهيد وصورة لضريحه.

النقطة الثانية :

لا تقل أهمية عن سابقتها لأن جمع المادة يحتاج إلى أناة وصبر ونوع من التدقيق. . وتسليط الاضواء عليها من حيث صحتها وصحة نسبتها إلى قائلها او كاتبها. . وهذا ما يطلق عليه **«التوثيق» و«التقييم»** للمصادر او المراجع للروايات المختلفة التى قد تدور حول اصحاب تلك المواد.

■ كل ذلك يشكل اللبنة الأساسية فى عملية البناء فإذا كان الأساس متيناً كان البناء قوياً يحمل معانى الديمومة والاستمرار.

تلك أمور ضرورية قبل الشروع فى إظهار أى مؤلف جديد واعتقد جازماً أن المؤلف ـ بما عرف عنه من حرص وتحرٍ دقيقين ـ قد اطلع عليها وتأكد من صحتها وصحة نسبتها إلى اصحابها. ولكن كان من الأفضل الاشارة الى مثل ذلك حتى يحظى ببعض الصفحات من هذا الكتاب وبذلك يتسنى للقارىء أن يقرأ وهو واثق ومطمئن لما يقرأ سواء أكان ذلك متعلقاً بالمراجع وصحتها ام بالثقة باصحابها.

النقطة الثالثة :

واعنى بها ظاهرة التسلسل فى الكتاب وهذا ما نلاحظه فعلا. . فقد جاءت مواده مرتبة حسب أقدميتها تاريخياً وحَدَثيّا.

يد باف على ذلك التصنيف أننا نرى الكاتب قد وضـع بيـانـات القـائـد فوزى القاوقجي موحدة حتى انتهى دوره فى فلسطين وثورتها مفسحاً المجال أمام المجاهد «عبد الرحيم الحـاج محمـد» ليقوم بنفس الدور فجاءت بيـانـاتـه العسكـريـة مرتبـة متـلاحقـة فى التواريخ والأحـداث العسكـرية الصغيرة والكبيرة. . واستمر الحال حتى استشهد ذلك البطل العظيم فاتبع المؤلف دور الصحافة التى أخذت تشيد بمناقب الشهيد. . ثم اردف ذلـك ببيانات النعى للشهيد سواء أكانت نثرية ام شعرية ويختم كتابه ببلاغات مصورة وصورة للبطل وصورة لضريحه فى مسقط رأسه.



النقطة الرابعة:

وهـذه النقطـة نراهـا واضحة فى ضم كل مادة بالموضوع الذى تنتمى إليه وبشكل مرتب ودقيق فلا يوجد اى دمج لنقطة أخرى بل افرد لكل نقطة موضعاً من الكتاب يتحدث عنها.

النقطة الخامسة:

قسم الكاتب مؤلَّفهُ ذاك إلى خمسة فصول تسبقها مقدمة ومدخل للموضوع ـ حيث تعرض الكاتب فى مقدمته لفترة نضالية من فترات النضال الفلسطينى ألا وهى فترة عام ١٩٣٦-١٩٣٩ وبهذا يكون قد حدد التصور عند القارىء ووضعه فى إطار واضح من التفكير.

كذلـك نجـد إشارة من الكاتب إلى جولته فى بعض المناطق التى جرت فيها الأحداث ليضفى نوعاً من الجدية والمصداقية على عمله ويشير إلى ما تركته تلك الجـولـه فى المناطق من إلهام وعزم وقدرة على الكتابة لإخراج هذا المؤلف.

■ بعد ذلك ينتقل المؤلِّف الى المدخل او المفتاح الذى يستطيـع به الولوج الى عام ١٩٣٦ وثورته ليتعرف على دوافعها الأولية وكيف ازدادت واشتعلت على أرض فلسطين. ثم ينتقل المؤلف الى فصول الكتاب التى حصرها فى خمسة فصول.

● ففى **الفصـل الاول** يحدثنـا الكـاتب عن مولد البطـل ومسقـط رأسه ولمحة عن أسرته المجاهدة فى السنين الماضية فيقول:



«فى قريـة (ذنـابـة) الصغيرة القريبة من مدينة طولكرم ـ ولد القائد «عبد الرحيم الحاج محمد» عام ١٣١٢هـ الموافق ١٨٩٢م(١)

وهو من عائلة «سيف» المعروفة فى فلسطين. . وهى أسرة عريقة ذات جذور تاريخية ممتدة فى أعمق أعماق الأرض الفلسطينية. . عرفت بجهادها الوطنى منذ أجيال طوال فأحد جدوده كان مع صلاح الدين الايوبى فى حروبه ضد الصليبيين وواحد آخر اعدمه نابليون بعد أن لقى منه ومن جماعته مقاومة طويلة عنيفة فى حملته على فلسطين(٢).

■ اما عمله فقـد عمل القائد «عبد الرحيم الحاج محمد» مزارعاً فى بلده ولما شب عن الطوق (كما يقال) وكـان ذلـك فى فترة الحكم العثمانى طلب للجندية فخدم فى مدن مثل بيروت وطرابلس. . وبعد انتهاء الحكم العثمانى قفل راجعاً إلى قريته يعمل فى حقل التجارة (٣).

وضمن هذا الفصل يشير الكاتب كذلك إلى مشاركة القائد عبد الرحيم الحاج محمد فى الاعداد للثورة حيث تزامن ذلك مع دور الشيخ **«عز الدين القسام»** فى ذلك الاعداد فى منطقـة حيفـا فأخـذ فى توعية المواطنين نحو وطنهم وبلدهم. وقـد لقى الشهيـدان فى دعوتهما تلك كل حفـاوة وتقـديـر وتأييد ودعم. . وتبرع بالاموال من المواطنين. . وان دل ذلك على شىء فإنما يدل على العـلاقـة الودية بين البطل عبد الرحيم الحاج محمد وبـين شعبه فى منطقة طولكرم. . نابلس. . جنين وذلك بحكم اشتغاله بالتجارة والفلاحة زيادة على ما كان يتحلى به من اخلاق دمثة عالية وشدة فى الورع والتدين هذا الوصف الذى شهد له الكثير من الناس.

■ بعـد ذلك الاعداد والتأهب قامت الدعوة للاضراب حيث شارك فيهـا قائـدنا الشهيد مشاركة فعلية فى شتى المجـالات. . وخـاض مع زمـلائـه الثـوار معركة (نور شمس) **ثم معركة (بلعا)** مما دفع بالثورة إلى التصاعد والقوة ضد الانجليز واليهود فى آن واحد.

■ وقـد برز دوره جليـاً فى فترة وجـود القـائـد (فـوزى **القاوقجى) الذى قدم إلى فلسطين على رأس مجموعة من المتطـوعين من العراق فنظم ورتب. . وقسم الثوار إلى فصـائـل وقـادة فصـائـل. . وعمل الجميع ضمن خطة واحـدة. . وكـان عبـد الرحيم الحاج محمد قائدا لأحد الفصـائـل المذكورة كغيره من القادة أمثال (فخرى عبد الهادى) والشيخ توفيق رئيس مجاهدى (علام).**

●● **من أجل ذلك التخطيط خصص المؤلف فصلاً خاصاً يتعلق بالمجـاهد الكبير عبر مذكرات (القاوقجى)** حيث قاتل وناضل جنباً إلى جنب مع القاوقجى وتحت إمرته إلى ان تم رحيله الى سورية فى شهر اكتوبر ١٩٣٧ وكان ذلك الرحيل ـ بناء على نداء ملوك وامراء الدول العربية لوقف إطلاق النار كى يتم ايجاد حل سلمى كما تراءى لهم ذلك كوعـد من بريطـانيـا ونسـوا حنث الـوعـود والعهود عند الاستعمار. . وصدق الشاعر معروف الرصافى حين قال:

والعـهـد بين الانجليـز وبيننـا
كالعـهـد بين الشـاة والـرئبـال

من ذا رأى ذئب الـذئاب مصافحاً
بتـودد حملًا من الأحمـال

أما قائدنا فقد فطن لنفسه من وعود بريطانيا فقرر الرحيل مع القاوقجى إلى دمشق خوفا من غدر بريطانيا وخداعها . . وبعد مرور فترة من الوقت رجع الى فلسطين من جديد ليشعل نار الثورة ضد الانجليز واليهود.

● اما **الفصل الثالث**: *ففى تصورى أنه يتناول خطر مرحلة تمر بها الثورة وتثير لدى القارىء عدة أسئلة وعلامات استفهام حولها. لذا رأى الكاتب - ربما اعتقد أنه فى غنى عن الاجابة عن بعض مثل هذه الاستفهامات ليأخذ بمبدأ التقية. وهذه التساؤلات تنضوى تحت ما يلى:*

لماذا تمت الموافقة من قبل الثورة على وقف اطلاق النار؟ لماذا رحل القائد فوزى القاوقجى؟ كذلك لماذا فضل عبد الرحيم الحاج محمد ان يلتجىء إلى سورية لفترة من الوقت؟ . كلها اسئلة تحتاج الى اجابات شافية ومقنعة للمواطن العربى.

■ *هذه الحالة من التفريغ للثورة من أعظم قادتها أتاحت الفرصة أمام الأنجليز واليهود أن يتنفسوا الصعداء بل وليصولوا ويجولوا فى البلاد احساساً منهم أن البلاد قد أصبحت بلا قيادة. . وهذا أمر أشبه بحالة الاجهاض للثورة ولو مؤقتا حيث اصبحت الثورة فى حالة من التراخى والترنح. ذلك الوضع الذى لم يدم طويلاً بفضل قرار القائد عبد الرحيم الحاج محمد بالعودة إلى فلسطين.*

■ *وما إن عاد حتى دبت الحياة فى الثورة من جديد وأخذت فى الاشتعال والاضطرام فالتهبت واشتد أوارها واستقطبت العدد الكبير من المتطوعين والمجاهدين الجدد من ابناء هذا الشعب المعطاء.*

■ *إزاء تلك الحالة - كذلك - كنا نطمح آملين أن نجد بعض التعليق على مثل تلك الأحداث من قبل المؤلف وذلك ما لم تقع عليه عيوننا وربما يكون للمؤلف عذره من نفس المبدأ الذى طرحنا سابقاً (مبدأ التقية).*

●● ثمة موقف آخر يتمثل ولو بطريقة لماحة هو اشارة الكاتب الى موقف المجاهد وعلاقته (بالمفتى) «**الحاج امين الحسينى**» الذى كان مقره لبنان آنذاك. . ذلك الموقف الذى يدل على وجود اختلاف فى الرأى بينهما ولكن المجاهد الذى أحب وطنه وشعبه رفع ذلك الحب فوق الخلافات الجانبية مما جعله لا يسمح لذلك الخلاف ان يشتد ويتصاعد بعدها تتفرق الكلمة. . فقد قال عبارته المشهوره «**أنا لا أقاتل من أجل الحسينى بل أقاتل من أجل فلسطين**»(٤).

■ وهذا موقف كنا نطمح باشارة من المؤلف نحوه او تعليق عليه حتى تتضح المواقف المتباينة ويصبح الشعب على بينة من أمره. . ويعرف من مع الثورة ومن ضدها؟.

● اما **الفصل الرابع**: فقد اقتصر على ذكر للمعارك وللبيانات التى تصور عنفوان الثورة وأوجها وما تركته من آثار على الاستعمار والصهيونية فى فلسطين آنذاك. وكان خاتمة المطاف لهذا المؤلف تتمثل بالفصل الخامس.

■ ***ففى هذا الفصل نرى إشارات لبداية النهاية لهذا المجاهد الكبير الذى استشهد فى قرية (صانور) وهو يناضل فى سبيل الله والوطن دونما خوف او وجل. . ومات والسلاح فى يده وعلى ظهر جواده وبصحبة بعض من رفاقه مات معه بعضهم وجرح بعضهم الآخر.***

هكذا قضى شهيدنا - وأكرم بها من ميتة - حتى أن الاعداء شهدوا له وأدوا له التحية ويثبت ذلك العبارة التالية «ومما هو جدير بالذكر أن قائد الجيش البريطانى وكان برتبة كولونيل حين تأكد من استشهاد (ابى كمال) وقف امام جثمانه الطاهر مع قسم من جنوده وأدوا له التحية العسكرية»(٥) وصدق من قال: «وخير شهادة ما شهدت به الاعداء».

■ فتوالت البيانات والصحافة الناعية النادبة للبطل.. ورسائل النعى تنهال على الصحافة وعلى ذوى الشهيد من كل حدب وصوب - كلها تنعى هذا القائد المجاهد.

●● ولعل رفقاءه فى النضال اكثر الناس احساساً بهذا «المصاب الجلل» فأدوا دورهم فى النعى فقد نعاه كل من (عارف عبد الرازق) والمجاهد (عبد الرحيم المرداوى) والشاعر الشهيد (عبد الرحيم محمود) بطل معركة الشجرة الذى رثاه بقصيدة طويلة بعنوان البطل الشهيد نقتطف منها هذه الأبيات: (٦)

ألإذا أنشدتُ يوفيك نشيدى
حقَّك الواجب ياخيرَ شهيد

أى لفظ يسع المعنى الذى
منك استوحيه يا وحى قصيدى

لا يُحيط الشعرُ فيما فيك من
خُلُق زاكٍ ومن عزمٍ شديد

كَمُلَتْ فيك المروءات فلم
يبق منها زائد للمستزيد

●● كذلك رثاه الشاعر الوطنى «برهان الدين العبوشى» بقصيدة عنوانها (فيم التجمل).

«فيم التجملُ يازمانُ قتلتنى
وسلبتنى يا دهرُ ما ملكتْ يدى

وخطفتَ مَنْ لو نستطيعُ فداءه
لفداه بالدم كل اروع مفتدى

عبد الرحيم أما علمتَ مكانه
يا دهرُ فهو بنا كصحب محمد(٧)

●● كذلك لا ننسى علاقته بالمغفور له (الملك غازى) ملك العراق.. حيث كان على اتصال به باستمرار حتى يتم للقائد التأييد والمناصرة من الملوك والزعماء العرب عبر تشجيع وتأييد الملك غازى رحمه الله(٨).

●● وقد ضمن المؤلف مرثية للبطل الشهيد (من تأليفه) نجتزىء منها ما يلى(٩).

من قال ان عبد الرحيم مات..؟
من قال إن الوعد الكبير انتهى..
وتلاشى من ذاكرة الابناء والاحفاد؟
ففى كل يوم يسقط شهداء..
يروون ثرى وطنهم بالطيب والعنبر
يؤكدون للدنيا كلها معنى الوفاء
والفداء عن طيب خاطر(٩)

النقطة السادسة

بعد هذا الطرح الذى قدمنا عن هذه الوثيقة الفلسطينية الجديدةنقول إن قوافل الشهداء ما تزال تترى وما علينا إلا أن نسجل بكل فخر واعتزاز تلك البطولات التى يشهد لها التاريخ ويسجلها بحروف من نور.



وما هذا الكتاب إلا واحد من الوثائق النضالية الجديدة التى يحق لنا أن نضمها الى مجمل الوثائق الفلسطينية عبر النضال الفلسطينى على مدى اكثر من نصف قرن من الزمان . . ومازال حتى يتم النصر والتحرير بإذن المولى القدير.

وفى الختام انهى هذه الكلمات ببيتين للشهيد عبد الرحيم محمود بطل معركة الشجرة ليكونا نبراساً يضيء الطريق امام المناضلين المشرئبين الى شموع الحرية على ارض فلسطين الحبيبة .

بذل اليهود والانجليز جهدهم فى تفريغ حركة ثورة الردادف فلسطين من محتواها حتى يسهل القضاء عليها.

سأحمل روحى على راحتى
وألقى بها فى مهاوى الردى

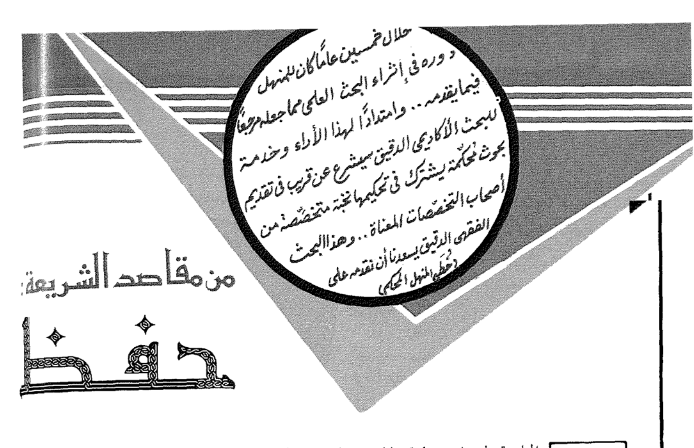
فإما حياة تسر الصديق
وإما مماث يغيظ العدا

«الاردن»

(١، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨) عبد الرحيم الحاج محمد ـ بطل وثورة . . زياد عودة

(٢) بطولات عربية عيسى الناعورى وابراهيم القطان

(٤) مجلة فلسطين ـ الهيئة العربية ٢٥/ تموز/ ١٩٦١ .



تعتبر المناسبة طريقا من طرق الاجتهاد فى كل مالا نص فيه ووصفا من أهم الأوصاف التى تبحث فى مجال التعليل فى أحكام النوازل المتجددة التى لم يرد فى حكمها نص من الشارع.

والوصف المناسب ـ هذا ـ هو: وصف ظاهر منضبط يحصل من ترتيب الحكم عليه ما يصلح أن يكون مقصودا من شرع ذلك الحكم.. من جلب مصلحة أو دفع مفسدة.. وهذه أبسط عبارة قيلت فى بيان حقيقة المناسبة والوصف المناسب.

● وينقسم هذا الوصف باعتبار المقصود الى قسمين:

المناسب الأخروى: وهو ما يجلب للانسان نفعا أو يدفع عنه ضررا بحيث يكون كل واحد منهما متعلقا بالآخرة مثل: تزكية النفس وطهارتها والخضوع للمعبود.. فان ذلك مناسب لشرع العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج.. والعبادات منافعها أخروية وهى: الثواب ومنع العقاب فتزكو النفس، وتسعد فى الدار الآخرة بجنات النعيم.

والمناسب الدنيوى: هو ما يجلب للانسان نفعا أو يدفع عنه ضرراً بحيث يكون كل منهما متعلقا بالدنيا مثل: المنفعة المترتبة على وجوب القصاص فى القتل العمد العدوان وهى: حفظ النفس وكذلك المنفعة المترتبة على اقامة حد السرقة وهى: حفظ الأموال.

● **وينقسم المناسب الدنيوى الى ثلاثة أقسام:**

الأول: الضرورى: وهو ما كان واقعاً فى محل الضرورة ولا يُستغنى عنه بحال بحيث تكون حاجة الخلق فيما شرع من الأحكام قد بلغت حد الضرورة وهى لابد منها لاستقامة المصالح الدنيوية ولابد منها فى قيام مصالح الدين كوجوب الجهاد حفظاً للدين وشرعية القصاص حفظا للنفس.



الضروريات «الحلقة الاولى»

الثاني: **الحاجي**: وهو ما كان الباعث لم يصل الى حد الضرورة لكنه محتاج اليه من حيث التوسعة على العباد ورفع الضيق عن المكلَّف المؤدى فى الغالب الى المشقة والحرج ولكنه لا يبلغ الفساد فى المصالح العامة وذلك مثل: تمكين ولى الصغيرة من تزويجها لخوف فوات الكفء وخيار البيع ونحو ذلك.

الثالث: **التحسيني**: وهو مالا تدعو اليه ضرورة ولا حاجة ولكن فيه تحسين وتزيين وحمل الناس على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم مثل: تحريم القاذورات.

وهذا التقسيم هو المشهور وهو الذى عليه جمهور الأصوليين حيث قسموا المناسب باعتبار المقصود ـ أى ـ باعتبار جلب المنافع ودفع المضار ـ الى ثلاثة أقسام: كما تقدم.. ووجه الحصر فى هذه الأنواع الثلاثة ـ عند هؤلاء ـ أن الشارع الحكيم انما أراد من وضع الشرائع مصالح العباد فى العاجل والآجل معاً ومصلحة الخلق فيما كلفهم به الشارع من أحكام شرعية ترجع فى الواقع الى حفظ مقاصد الشريعة فى الخلق.. وهذه المقاصد لا تعدو الأنواع الثلاثة المذكورة.

وسأتناول الضروريات بالحديث فى الصفحات التالية مرجئا الحديث عن الحاجيات والتحسينيات لمناسبة أخرى قادمة ان شاء الله تعالى.

المبحث الأول: معنى الضرورى

الضرورى فى اللغة: نسبة الى الضرورة وهى الحاجة والاضطرار: الاحتياج الى الشيىء.. واضطر الى الشيء: أى ألجىء اليه. ويقال رجل ذو ضارورة وضرورة أى ذو حاجة(١)

والضروريات على ما سيأتي هي حفظ الدين والنفس والنسب والعقل والمال.. وانما سميت هذه بالضروريات نسبة الى الضرورة وهي الحاجة والحاجة لا تندفع الا بحصول هذه الأمور الخمسة.

الضرورة فى اصطلاح الاصوليين :

عرف الامام الشاطبى(٢) الضروريات فى كتابه الموافقات ـ عند الحديث عن المقاصد الضرورية بأنها: (لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا بحيث اذا فُقِدَ لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت الحياة. . وفى الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين(٣).

وقوله: (انها. .) يقصد بذلك المقاصد التى تحدث عنها فى بيان قصد الشارع فى وضع الشريعة ومقصود الشارع هنا: جنس يشمل المقاصد الضرورية والحاجية والتحسينية.

وقوله: (لابد منها فى قيام مصالح الدين والدنيا) يُخَرِّج به الحاجى والتحسينى لأنه لا يتوقف عليهما قيام مصالح الدارين وان توقف عليهما كمال سياسة العالم وانتظام أحواله وبقائه.

والمراد بالضرورى: ما بلغ حد الضرورة لا نهايتها وغايتها والدليل على ذلك: تفاوت أقسام الضروريات من حفظ الدين والنفس والنسب والعقل والمال مع اشتراكها فى البلوغ الى حد الضرورة اذ لو كان المراد نهاية الضرورة وغايتها لم يصدق بغير أعلاها وهو حفظ الدين(٤).

ومعنى كونه ضرورياً: أنه لا يمكن الاستغناء عنه فى أى وقت من الأوقات فهو ضرورى للحياة وانتظام أحوال الناس وسير معاشهم فى الدنيا ومصلحة معادهم فى الآخرة.

وعرفه غير الامام الشاطبى بتعريفات متقاربة منها: تعريف الجلال المحلى فى شرحه لجمع الجوامع بأنه (ما تصل الحاجة اليه الى حد الضرورة)(٥).

ومنها: قولهم فى حد الضروريات: **(بأنها: ما انتهت الحاجة اليها الى حد الضرورة**(٦) **وقولهم: (ما كانت مصلحته فى محل الضرورة)**(٧).

ويلاحظ فى جميع هذه التعاريف: انها تتفق مع المعنى اللغوى للضرورى وهو: الحاجة. . فالضرورة التى وردت جزءا فى التعريف هى بمعنى الحاجة غير أن معناها هنا أخص من المعنى اللغوى السابق فالمراد بها فى المعنى الاصطلاحى مالا يستقيم حال النوع الانسانى الا بها.

أما فى اللغة: فهى أعم من ذلك فكما أنها تشمل هذا المعنى تشمل أيضا المشقة التى يمكن احتمالها ولا تؤدى الى عدم الاستقامة. . فالضرورة هنا: مقصود بلغت حاجة العباد اليه حد الضرورة بحيث لا يستقيم الحال الا به.

ويستفاد من هذا ان الحاجة أعم من الضرورة لصدقها على ما هو فى محل الضرورة وعلى ما هو دون ذلك اذ قول الجلال المحلى (ما تصل الحاجة اليه الى حد الضرورة) أو (ما انتهت الحاجة اليها.) يفيد أن ما قبل حد الضرورة فيه

حاجي ومصلحة . . وما هو داخل فى حد الضرورى ذو مراتب فأعلاها حفظ الدين ثم النفس ثم العقل فالنسل فالمال كما سوف يأتى مفصلا .

وكذلك **المصلحة** : فهى محتاج اليها اذ الصلاح ضد الفساد فوجود ما يُحتاج اليه صلاح وضرورى وزواله فساد وعدم استقامة لحال الناس الابه .

وبالمقارنة بين تعريف «**الشاطبى**» وتعريف غيره نجد أن المعنى فى تعريف الشاطبى وتعريف «**الجلال المحلى**» وما ورد بمعناهما واحد أو متقارب فقول الامام الشاطبى (انه لابد منه فى قيام مصالح الدارين . . الخ) يصدق عليه (ما تصل الحاجة اليه الى حد الضرورة أو ما انتهت الحاجة اليه الى حد الضرورة) .

لكن تعريف الامام الشاطبى أسلم من تعريف الجلال المحلى وما ورد بمعناه . . وذلك لأن تعريف الجلال المحلى وما ورد بمعناه يمكن أن يتوجه اليه الاعتراض التالى :

* انه من المعلوم أن هناك تفاوتا بين الضروريات اذ هناك حد أقصى وهو ضرورة حفظ الدين وأدنى وهو ضرورة حفظ المال وبين هذين الحدين مراتب متفاوتة كحفظ النفس والعقل والنسل . . وتعريف الجلال المحلى ومافى معناه جاء فيه بلفظ حد الضرورة وحد الضرورة مشترك بين الحد الأقصى والحد الأدنى من الضروريات فلو فسرناه بالحد الأقصى لخرجت باقى الضروريات من : حفظ النفس والنسل والعقل والمال فيكون التعريف قاصراً على ضرورة حفظ الدين فيكون التعريف غير جامع فهو غير صحيح .

ويمكن أن يجاب عنه : بأن المراد حدها الأول لا غايتها ونهايتها فينبغى أن يفسر الحد بالحد الأدنى حتى يكون التعريف شاملا لأنواع الضروريات لأن ما هو فى أقصى الضرورة متضمن لمادونه من مراتبه وزائد عليه .

وجلال الدين المحلى يشرح كلام ابن السبكى حيث ذكر ابن السبكى الضرورى وفسره الجلال المحلى بالتعريف السابق ثم أردفه ببيان أنواع الضروريات فيحمل كلام الجلال المحلى على أن المراد بتفسيره انما هو الضرورى باعتبار الحد الأدنى الذى يكون فيه شاملا لجميع أنواع الضروريات وبذلك يسلم التعريف من الاحتمال(٨)

المبحث الثانى أنواع الضروريات

● تقدم أن الضرورى هو: ما تصل الحاجة اليه الى حد الضرورة وينقسم قسمين :

* **القسم الأول** : ما هو ضرورى فى أصله وهو المتضمن حفظ مقصود من الكليات الخمس التى اتفقت الأمم على حفظها .

* **القسم الثانى**: وهو مالم يكن أصلا وهو كالتتمة والتكملة للضرورى الأصلى ومعناه مالا يستقل بالضرورة بنفسه بل بطريق الانضمام الى الضرورى فى أصله فله تأثير فى نفس الضرورى الاصلى، فيكون فى حكمه.. مبالغة فى مراعاته.

الضرورى الأصلى: وأنواعه خمسة وهى: حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال. وزاد بعض المتأخرين كابن السبكى فى جمع الجوامع والطوفى فى شرح مختصر الروضة نوعا «سادسا» وهو حفظ العرض(٩).

وهو موضع المدح والذم.

ووجه الحصر فى كون الضروريات لا تخرج عن هذه الأنواع الخمسة هو بوجهين:

الأول: أن العلماء الذين حصروا الضروريات فى الأنواع الخمسة تتبعوا المصالح فلم يجدوا فيها ضروريا غير ما تقدم.

قال الآمدى: (والحصر فى هذه الخمسة الأنواع: انما كان نظرا الى الواقع والعلم بانتفاء مقصد ضرورى خارج عنها فى العادة)(١٠).

وقال ابن أمير الحاج(١١) فى شرح التحرر وحصر المقاصد فى هذه ثابت بالنظر الى الواقع وعادات الملل والشرائع بالاستقراء(١٢).

الثانى: أن هذه الضروريات من الأمور المهمة التى يرتبط بها نظام الكون ولذا لم تهدر فى ملة من الملل ولم تخل شريعة من الشرائع من رعايتها والمحافظة عليها لكونها من المهمات التى نظام العالم مرتبط بها ولا يبقى النوع مستقيم الأحوال بدونها.

وهذا القول مقبول الى حد ما ذلك أن حفظ الدين معروف لدى الامم السابقة وقد حل بالأمم الماضية لما خالفوا رسلهم العذاب الأليم ذلك أن القصد من وضع الشرائع هو: معرفة الخالق سبحانه ودرك أحكامه التى ينتظم بواسطتها المجتمع اذ القصد من وضع الشريعة ابتداء انما هو لمصالح العباد فى العاجل والآجل معا.

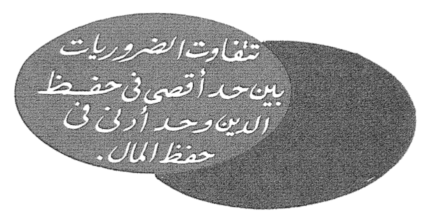
وكذلك حفظ النفس كان معروفا لدى الشرائع السابقة فكان قتل النفس المعصومة محرما كما أخبر عن ذلك تعالى فى كتابه العزيز: **﴿وكتبنا عليهم فيها أنَّ النَّفْسَ بالنفسِ والعينَ بالعَيْنِ والأنْفَ بالأنْفِ والأذُن بالأُذُنِ والسنَّ بالسنِّ والجروحَ قصاصٌ فمَنْ تصدَّق به فهو كفارة له ومَنْ لم يحكُم بما أنزلَ الله فأولئك هم الظالمون﴾**. (المائدة: ٤٥)

أما حفظ النسب: فكان معروفا لدى تلك الأمم وكان النكاح مشروعا عندهم وقد أطبقت جميع الشرائع على تحريم جريمة الزنا فلم يكن مباحا فى شريعة قط.

أما حفظ الأموال فان القرآن الكريم يخبرنا أنه كان مرعيا فى الأمم السابقة قال تعالى: **﴿والى مَدْيَنَ أخَاهُم شُعَيْبا قال يا قومِ اعْبُدوا الله مالكم من إلَهٍ غيره ولا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ والمِيْزانَ إنِّى أراكم بخيرٍ وانِّى أخافُ عليكم**

عذابَ يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيالَ والميزانَ بالقِسْطِ ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم ولا تعْثَوا فى الأرض مفسدين﴾. (هود: ٨٤-٨٥)

أما **حفظ العقل** بتحريم المسكرات فهو يختلف عن غيره حيث وقع خلاف بين الكاتبين والباحثين.. فمنهم من قال: ان الخمر وغيرها من المسكرات كانت محرمة فى الشرائع السابقة كالزنا والقتل.. بينما ذهب آخرون الى أنها كانت مباحة فى الشريعة الموسوية والعيسوية بل كانت مباحة فى صدر الاسلام وسنفصل ذلك عند تفصيل أنواع الضروريات.



ويمكن أن يقال هنا: ان الشرائع متفقة على تحريم الخمر جملة ولم يكن على وجه التفصيل والدليل على أن هذه الضروريات الخمسة كانت محرمة فى الشرائع السابقة كالزنا والقتل: هو ما انعقد عليه اجماع الأمة المحمدية واستقرت عليه الشريعة الاسلامية من أن تحريم هذه الأمور الخمسة ووجوب رعايتها وحفظها كان مشتركا بين جميع رسالات الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

المبحث الثالث ترتيب الضروريات

أختلف العلماء والكاتبون حول عدد الضروريات وترتيبها:

* **يقول ابن السبكى** - فى جمع الجوامع - (والضرورى: كحفظ الدين فالنفس فالعقل فالنسب فالمال والعرض(١٣).

* **ويقول الامام الشاطبى**: (ومجموع الضروريات خمسة وهى حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل وقد قالوا انها مراعاة فى كل ملة(١٤).

فقد عدها الشاطبى خمسا بينما زاد عليها ابن السبكى حفظ العرض. وقد ذكر الامام الزركشى فى (البحر المحيط) أنواع الضروريات ورتبها بأن جعل الأول: حفظ النفس والثانى حفظ المال والثالث: حفظ النسل والرابع حفظ العمل أى الدين بشرعية القتل والقتال فى الردة وجهاد أهل الحرب والخامس: حفظ العقل(١٥).

فقدم الزركشى حفظ النفس والمال والنسل على حفظ الدين.. وبعض الأصوليين يقدم حفظ العقل على حفظ النفس فيقول: حفظ الدين والعقل والنفس والنسب والعرض والمال(١٦).

بينما ذهب آخرون: ومنهم البيضاوى الى تقديم النفس على الدين. (١٧)

وأقول ان بذل النفس فى سبيل حفظ الدين فى الجهاد لأكبر دليل على تقدمه على حفظ النفس مكانه.. غاية ما هنالك أن النفس متقدمة على الدين فى الوجود وهو متوقف عليها لقيامه بها لا لكون مصلحتها أرقى من مصلحة الدين.

أما تقديم العقل على النفس فلأن فى الحفاظ على العقل حفاظا على النفس اذ العقول تشير الى جهة المصالح والمفاسد وتحذر النفوس من المهالك وترغبها فى جلب المنافع بل كل مقصود يقع فى رتبة يشير العقل الى حفظه ومنه حفظ النفس ولا يستغنى عنه وهو من ضرورةالخلق(١٨).

ويقرر القرافى أن الضروريات مع اختلاف العلماء فى عددها متفق على تحريمها.. فما أباح الله الكفر بالأديان وانتهاك حرم المحرمات وكذلك لم يبح العرض بالقذف والسباب ولا الأموال بالسرقة والغصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس بالقتل(١٩).

وبعض العلماء يذكر الأديان عوض الأعراض وبعضهم يذكر الأعراض ولا يذكر الأديان فكيف يجعل المال والعرض من الضروريات ولا يجعل الدين منها؟

وجوابا على ذلك أقول:

إن العلماء قسموا المقصود قسمين:

المقصود الدنيوى: وذكروا فيه: حفظ النفس والعقل والنسل والمال والعرض.

والمقصود الدينى: وذكروا فيه ضرورة حفظ الدين وتحريم الكفر وانتهاك المحرمات.

ويجاب عن ذلك أيضا بأن من أهمل حفظ الدين فلم يذكره مع الضروريات الخمس مراده ما اتفق عليه أهل الملل وغيرهم من الحكماء ورجال القانون.. فالاتفاق على مراعاة الضروريات من غير أن يكون معها حفظ الدين أوسع من الاتفاق عليها ومعهاالدين.. يقول العز بن عبد السلام(٢٠) بعد ذكره أن معظم المصالح معروفة للعقلاء (واتفق

الحكماء على ذلك وكذلك الشرائع على تحريم الدماء والابضاع والاموال والأعراض وعلى تحصيل الأفضل فالأفضل من الأقوال والأعمال)(٢١) .

ويلاحظ ان حفظ هذه الضروريات فى ظل التشريعات السماوية أتم من حفظها وفق التشريعات الوضعية لتوفر دواعى الحفظ فى الشرائع السماوية وانعدام الثقة بالقوانين الوضعية وانعدام وازع الهيبة والاحترام .

«البحث موصول»

نظر: لسان العرب (٦/ ١٥٢، ١٥٣) والقاموس المحيط (٢/ ٧٧) ومختار الصحاح (ص٤٠٣) مادة: صرر.
هو: أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى المالكى الشهير بالشاطبى الفقيه الأصولى كان من المجددين فى التأليف له نفيسة منها: (الموافقات فى أصول الشريعة) وكتاب (عنوان التعريف بأسرار التكليف) فى الأصول. و(الاعتصام) توفى سنة (٧٩٠هـ).
نظر فى ترجمته: الابتهاج بتطريز الديباج (ص: ٤٦-٤٨)، ومعجم المؤلفين (١/ ١١٨).
الموافقات فى أصول الشريعة ـ للشاطبى (٢/ ٨).
٨) انظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلى (٢/ ٣٢٢).
شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع (٢/ ٢٨٠).
التقرير والتحبير (٣/ ١٤٣) وتيسير التحرير (٣/ ٣٠٦) فواتح الرحموت ـ شرح مسلم الثبوت (٢/ ٢٦٢).
شرح الكوكب المنير (٣١٣) الترياق النافع بايضاح وتكميل مسائل جمع الجوامع (٢/ ٩٨).
انظر: مختصر الروضة للطوفى (٢/ ٤٤٢) مخطوطة مكتبة الحرم المكى رقم ٤٦ أصول فقه. وجمع الجوامع مع شرحه مع حاشية البنانى ٢٨٠).
١) الاحكام ـ للآمدى (٢/ ٢٧٤).
١) هو: محمد بن محمد الحلبى الحنفى المعروف بابن أمير الحاج ولد سنة (٨٢٥هـ) بحلب ونشأ بها له مصنفات منها: شرح تحرير شيخه ابن ام المسمى: (التقرير والتحبير شرح التحرير) وشرح كتاب (المختار فى فروع الحنفية) لعبد بن محمود الموصلى. مات سنة (٨٧٩هـ).
انظر ترجمته فى: الضوء اللامع ـ للسخاوى (٩/ ٢١٠-٢١١).
١) التقرير والتحبير شرح التحرير (٣/ ١٤٤).
١) جمع الجوامع مع شرحه وحاشية البنانى (٢/ ٢٨٠) وانظر الاحكام للامدى (٢/ ٢٧٤).
١) الموافقات (٢/ ١٠).
١) انظر: البحر المحيط (٣/ ورقة ٩٣ب) مخطوط.
١) انظر: المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل ص١٣٨.
١) انظر: منهاج البيضاوى ص٨٥ وشرحه نهاية السؤل ٣/ ٥٣ والابهاج للسبكى ٣/ ٣٨.
١) شفاء الغليل ص ١٦٢، ١٦٣.
١) انظر: تنقيح الفصول ـ للقرافى ص٣٩٢.
٢٠) هو: أبو محمد، عبد العزيز بن عبد السلام السلمى، عز الدين، شيخ الاسلام، قال فيه ابن عرفة: (لا ينعقد الاجماع دونه) أى فى وقته ان ـ رحمه الله ـ آمرا بالمعروف نهاءاً عن المنكر أزال كثيرا من البدع له تآليف منها: (قواعد الاحكام فى مصالح الأنام)، «الفتاوى» وغيرها توفى سنة ٦٦٠هـ).
انظر ترجمته فى: فوات الوفيات والذيل عليها ٢/ ٣٥٠-٣٥٢)، (البداية والنهاية)١٣/ ٢٣٥-٢٣٦)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨)، شذرات الذهب (٥/ ٣٠١، ٣٠٢)، الفكر السامى (٢/ ٣٣٩).
٢١) انظر: قواعد الأحكام (١/ ٥).

كتاب المقصور والممدود

لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء

كنت قد درجت على قراءة الكتب القديمة والوقوف على فوائدها وما كان فيها من خصوصيات اتصف بها مؤلفوها وكنت أفيد مما قدمه المحققون لتلك الكتب فى مقدماتهم وما كان من جهدهم فى التحقيق وبيان النصوص وما عدمت الاشارة الى التصحيفات والخطأ اللذين عرضا للنصوص.

ولنبدأ هذا السفر فنقول: انه مادة لغوية تدخل فى حيِّز التصنيف المعجمى الذى كان من الأصول التى سبقت تأليف المعجم أو عاصرت هذه الحقبة أو كانت بعدها بقليل كثيرة انصرمت الى أبواب من هذه اللغة الواسعة ومنها كتب الأصمعى وأبى زيد وغيرهما من السابقين واللاحقين.

قال السيد ماجد الذهبى محقق الكتاب فى «الاهداء» الذى توجه به الى الاستاذ الدكتور شاكر الفحام:

(١) . . . . وهى الحيرة فى بعض الأسماء أهى مقصورة أو ممدودة . . ثم الحيرة فى بعض الأفعال أهى ثلاثية أو رباعية.

أقول ليس فى هذا تجاوز على أساليب العربية غير أن العربية فيها الخطأ والفصيح ثم الأفصح والتماس «الأفصح» يفرض علينا أن نقول:

أمقصورة هى أم ممدودة . . ؟ وكذلك: أثلاثية هى أم رباعية . . ؟

(٢) وجاء فى الصفحة (١٢م) فى الكلام على نشأته ورحلاته: (. . . . أو انه التقى به فى أخريات حياته . .)

أقول: لم يرد فى معجمات العربية فى وجوه استعمال الفعل (التقى) إلا التعدية أى أنه يصل الى مفعوله من غير الباء فيقال «التقاه» وليس فيها «التقى به» وهذا الوجه الأخير هو الشائع فى العربية المعاصرة وكأن المعاصرين أفادوه من العامية الدارجة.

(٣) وجاء فى الصفحة (١٤م) فى الكلام على منزلته العلمية: وحدث محمد بن الجهم قال: حدثنى ابن



المستنير قطرب قال: دخل الفراء على هارون الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه مرات فقال جعفر بن خالد وزير الرشيد: إنه قد لحن يا امير المؤمنين، فقال الرشيد للفراء: أتلحن؟ قال: يا أمير المؤمنين إن طباع أهل البدو الاعراب. وطباع أهل الحضر اللحن فاذا تحفظت لم ألحن واذا رجعت الى الطبع لحنت..

أقول: هذا الخبر مفيد غاية الافادة وذلك لأنه يشير الى قدم اللحن من جهة وشيوعه من جهة اخرى بحيث لم ينج منه عالم فى العربية مثل الفراء وهو الذى قال فيه أبو العباس ثعلب: كتب الفراء لا يوازى بها كتاب.

ثم ان قوله: «تحفظت» يعنى احترزت واستعمال «التحفظ» بهذا المعنى معروف فى الألسن الدارجة فى عصرنا فى حين أنه ينصرف الى خصوصية من «الاحتراز» فى الفصيحة المعاصرة.

(٤) وجاء فى الصفحة نفسها قول المحقق:

والفراء حمل العربية على الألفاظ والمعانى فبرع واستحق التقدمية..

أقول: ولو قال: واستحق التقدم لكان كلامه وافياً أيضاً وليس من ضرورة الى استعمال هذا المصدر الصناعى.

(٥) وجاء فى الصفحة (٢٠م) فى الكلام على كتبه:

كتاب «ملازم».

أقول: ورد هذا الكتاب فى جميع المظان التى وردت فيها ترجمة للفراء ولا ندرى أجمع هى أم صيغة اسم الفاعل؟

(٦) وجاء فى الصفحة (٢٣م) فى الكلام على وصف نسخ المخطوطة.

أقول: أراء «النسخ المخطوطة».

رهى: نسخة الهند وجاء فيها فى العنوان:

«المنقوص والممدود»

وهذا هو الأصل الذى اعتمده المغفور له عبد العزيز الميمنى الراجكوتى (دار المعارف). ولم يشأ أن يشير الى المنقوص الذى هو فى ظنى من عمل الناسخ الجاهل. والمراد الصحيح هو (المقصور) ان كلمتى

«المنقوص والمقصور» من المصطلحات اللغوية المعروفة فى تلك الحقبة وفى الحقبة التى سبقتها ففى كتاب «سيبويه جاء هذان المصطلحان: وسيبويه من علماء القرن الثانى الهجرى وليس من العلم ان نعزو هذا الخطأ للفراء وهو اللغوى النحوى الكبير وقد استقرت فى عصره المصطلحات.

ومما يدل على أن هذا قد عرض للناسخ ولم يكن من صنيع المؤلف ما ورد فى عنوان المخطوطة الأخرى من الكتاب وهى النسخة المحفوظة فى «بروستر فى تركيا» وهو:

«رسالة المنقوص المقصور والممدود» (كذا).

وسنجد ان هاتين المخطوطتين شيىء صنعه غير المؤلف آخذا مادتها مما سمع من المؤلف وقد يكون فى هذه الطريقة من التلقى ما يمكن ان يكون محمولا على غير ما أراد المؤلف ذلك لانه لا يمكن ان نحمل خطأ على عالم بالعربية كالفراء.

أقول: وقد جاء عنوان الكتاب صحيحاً فى النسخة المخطوطة الثالثة وهى نسخة خزانة الظاهرية وهو: «المقصور والممدود» للفراء.

(٧) وجاء فى الصفحة (٥) قول المؤلف فى أول الكتاب:

قال يحيى بن زياد الفراء ـ رحمه الله تعالى ـ فمن المنقوص ما يعرف نقصه بحد وعلامة ومنه ما يأتى مختلفاً كما تختلف المصادر فيكون منها (فِعَل نحو ثِقَل) و(فَعَل نحو عَمَل وعَمَد) فمثال ثِقَل وعَمَل من الواو والياء من دَعَوتُ وقَضَيتُ منقوصان.

أقول: هذه عبارة الفراء الموجزة الملبسة هى التى أوهمت النساخ ان يثبتوا كلمة «المنقوص» فى عنوان الكتاب.. إنها موجزة لأنه لم يذكر ما كان على (فِعَل وفَعَل) من الناقص الواوى والياء وكأنها «دِعَى ودَعَا» و«قِضِىً وقَضَى» وكأن النقص ذهاب الواو والياء.. يدل على هذا ما ذكره بعد عبارته هذه التى أثبتناها وهو قوله:

ومنه ما تزاد فيه الألف مثل القتال والذهاب فمثال هذين من الياء والواو ممدودان مثل الدعاء من دَعَوتُ والقضاء من قَضَيتُ.

فاذا أتاك مصدر فاعمل فيه كما عملت فى هذين الوجهين من النقص والمد.. وما كان من «المنقوص» فكتابته على أصله إن كان من الياء كتبته بالياء وجاز كتابته بالألف مثل قَضَى يكتب بالياء والألف، وما كان من الواو كتب بالألف لا غير مثل خَلا ودَعا.

أقول: من هنا أخطأ النساخ فأثبتوا فى عنوان الكتاب «المنقوص والممدود» ان كلمة المنقوص فى الكتاب لا تعنى ما كان على «فاعل» من الناقص نحو «الداعى» و«القاضى» بل انها كل كلمة يعرض لها النقص.. ولما كان المقصور من «دعا» و«قضى» شيئاً من هذا عُبر عنه بالنقص.

(٨) وجاء فى الصفحة (٩) قول المؤلف:

وما كان من اسم مؤنث من الواو مثل إسوة وأُسىً ورِشْوة ورُشىً فانك تجمعه منقوصاً وترده فى الجمع الى ضم أوله فنقول: رِشْوة ورُشىً وكِسْوة وكُسىَ يكتب بالياء مقصوراً وأصله الواو للضمة التى فى أوله وربما كُسر أوله فى الجمع فيقال كِسىً ورِشىً فبنى جمعه على واحدته ويكتب بالياء.

أقول: وليس من سبب ان يُكتب بالياء وليس الجمع سبباً فى الرسم واذا كان هذا بسبب ضم أوله من أجل المخالفة جازأن يرسم ألفا قائمة ما كان واحده مكسورا نحو حِلية ولِحية وليس الأمر كذلك فنحن نقول: حلى ولِحى وكلاهما بالياء رسماً.

أقول: ونحن نجد أن الكتبة الاوائل فى مخطوطاتهم كانوا كثيراً ما يرسمون هذه الألف المقصورة ألفاً قائمة فى نحو. موسا وعيسا ودَعَا ورَمَا وإلا وعلا.. لا يفرقون بين اسم وفعل وحرف ولا بين ما كان من ذوات الواو وبين ما كان من ذوات الياء.

وقد رأينا الفراء قد سمى هذا الضرب من الكلم المنقوص بسبب نقصه فى الجمع أى حذف الواو فيه مقصوراً.
ومن هنا ليس لنا أن نقول: إنه أخطأ فى الاسم ومعنى هذا ان ناسخ الكتاب قد أخطأ حين رأى تردد «المنقوص» فى أول الكتاب فجعل عنوانه «المنقوص والممدود».

(٩) **وجاء فى الصفحة** (١١) قول المؤلف:
قال سلمة: تكتب الأربَى والأدمَى وشُعَبَى بالياء لأن الأصل فيهن المد وليفرق بين كتبهن فى المد والقصر(١).

أقول: ان ما جاء فى آخره الف مضموماً أوله نحو (الصُعداء) فهو ممدود إلا تسع أحرف جئن نوادر منها: الأربى للداهية والأدمى اسم موضع وشعبى اسم بلدة فهن مقصورات.. هكذا جاء فى خزانة الأدب للبغدادى ص ٣٠١١.
أقول: اذا كان هذا هو المأثور فكيف نتأتى الى فهم قول سلمة فيها؟

كل هذا يعنى ان الكلمة القديمة سمعت على القصر وليس من موجب الى تقريبها مما كان أوله مضموماً ليقال: ان الأصل فيها المد وما معنى ان يفرق فى الرسم بين ما هو مقصور وبين ما هو ممدود؟. ولا أدرى كيف أدرك سلمة ذلك «الأصل» الذى لم يرد فى شاهد.

(١٠) **وجاء فى الصفحة** (١٦) قول للمؤلف:
«الرجاء» على وجهين: الواحد من قول الله عز وجل (والملك على أرجائها) مقصور يكتب بالألف لأنه من الواو وهو الناحية (للبئر).
أقول: ولا نعرف «للرجا» هذاشاهداً فى حال إفراده وليس لنا منه إلا الجمع كما فى الآية التى أشير اليها.. كما ورد مثنى فى شاهد قديم جرى مجرى المثل (اللسان رجو):

فلا يُرمَى بى الرَّجَوان إنى
أقَلّ القوم من يُغنى مكانى

(١١) **وجاء في الصفحة (٣١)** قول المؤلف:

وقال أبو علي اسماعيل القالي في كتابه (الزيادة والذيل)

الأسفَى: الخفيف الناصية والاسم منه السَّفا مقصور. .

أقول: وقد ورد هذا في الصفحة ٢٠٩ من كتاب النوادر للقالي.

ولكني أعجب من محقق الكتاب ألم يعلم ان أبا علي القالي كانت ولادته سنة ٢٨٨هـ ووفاته في سنة ٣٥٦هـ؟ وعلى هذا فقد ولد وعاش ومات بعد وفاة الفراء فكيف يمكن ان يكون في كتاب ألفه الفراء؟.

وهذا مثل آخر للعبث الذي عرض لهذا الكتاب مما لم يتنبه له المحقق انظر الحاشية .

ثم اننا لا نعرف كتاب «**الريادة والذيل**» للقالي وليس من شك ان «الريادة» هذه صوابها «الزيادة» ويراد بها «ذيل الأمالي» ولابد ان يكون الصواب أيضاً «الزيادة أو الذيل» لان «الزيادة» هي «الذيل».

(١٢) **وجاء في الصفحة (٣٢)** في الكلام على «السَّفا» الذي أشرنا اليه:

والفعل منه سَفِيَ يسفا (كذا) مثل عَمِيَ يَعمَى عَمىً.

أقول: لا أدري لِمَ رُسِمَ ألف (يسفى) ألفاً قائمة خلافاً للمتعارف المتعالم مع أن المحقق أثبت «يعمى».

وربما بدا لي ان الكتاب ليس من صنع الفراء ذلك أني استبعد أن يشير الفراء الى هذه الزوائد المعروفة فقوله: والفعل منه سَفي و«يَسْفا» مثل عِمَيَ يَعْمَى عَمىً. . وكل هذا معروف في عصر الفراء وفي الأحقاب التي اعقبت الفراء.

(١٣) **وجاء في الصفحة (٤٣)** قوله:

والدُّهنا والهيجا يمدان ويقصران وفحوى كلامه لحن كلامه يُمَدّ ويُقْصَر. .

أقول: وكان على المحقق ان يثبت المد في «الدهناء والهيجاء» لان المد في هذين الاسمين هو المشهور وأما قصرهما فقليل ويكثر في الشعر بسبب الوزن غير ان المحقق وجدهما في المخطوطة غير مهموزين بسبب ان النساخ القدماء يتساهلون في الهمزة فلا يرسمونها أينما وجدت.

وأما «فحوى» فالكثير فيها القصر، وربما كان الأصل في النص: «يُقصَر ويُمَد» فالقصر هو المشهور الكثير وينبغي ان نقدم الاشارة اليه وأما ممدود فحوى فنادر وربما وقع في الشعر.

(١٤) **وجاء أيضاً في الصفحة نفسها قوله**:

وزكريَّاء يُمدّ ويُقْصَر

أقول: ربما كان المدود مثل المقصور في التوارد غير أنه ورد مقصوراً في أشهر القراءات القرآنية ولم يرد الممدود إلا في قراءات أخرى لم تنل شهرة الأولى.

(١٥) وجاء فيها أيضاً قوله:
والنَّجا النجا (كذا) يُمدَّان ويُقْصَران..

أقول: لابد أن تكون «النجا» الثانية هي «النَّحا» بالحاء المهملة وهي النِّحْي بمعنى الزق لأنه لا يمكن ان يكرر المؤلف الكلمة نفسهاوقوله: «يُمدَّان ويُقْصَران» يدل على هذا وكان على المحقق ان يفطن له.

(١٦) وجاء فيها أيضاً قوله:
والوحا والوحا (كذا) يُمدَّان ويُقصَران..

أقول: لابد ان يكون الصواب الوجا والوحا.. الأولى بالجيم ومعناه الحفا وألفه من الياء لأنه يقال: هو (وَجٍ) وهي (وجَياء) وعلى هذا كان حقه ان يرسم بالياء «الوَجَى» وأما الثانية فهي (الوَحَا) بالحاء المهملة بمعنى العجلة وهي كذلك كان ينبغي ان ترسم بالياء لأنها الأصل ولم يلتفت المحقق الى كل هذا.

(١٧) وجاء فيها ايضا قوله:
وخِصِّيصا (كذا) قومٍ..
أقول: والصواب: وخِصِّيصى قومٍ

(١٨) وجاء في الصفحة (٥١) قوله:
و«السلا» (كذا) الذي يكون فيه الولد.
أقول: وقد جاء «السلا» هذا في كلام المؤلف على المهموز وهذا يعني أنه اراد «السلأ» وهو لغة في «السلى مقصوراً أورده المؤلف في الصفحة (٥٥).

(١٩) وجاء في الصفحة (٥٦) قوله:
و«الدَّقى» يكتب بالياء ويقال: قد دَقَى (كذا) الفصيلفهو يدقَى دَقى»
اقول: والصواب قد دَقِيَ (بالياء المعجمة) ويدل عليه المصدر «دقىً» على «فَعَل» بفتحتين وهو من المصادر الدالة على الأدواء والعاهات كالقرع والجَرَب والصَلَع والعَوَرَ وغيرها.

(٢٠) وجاء في الصفحة (٦٧) قوله:
والخَتَى حشافة التمر..

اقول والصواب «حُسافة» بالسين والحُسافة فى التمر خاصة وهو ما سقط من اقماعه وقشوره وكِسَره . . ولا يوجد حشافة» بالشين والذى فى العربية «الحَشَف» بفتحتين وهو ما لم يُنوِ من التمر واليابس الفاسد .

(٢١) **وجاء فى الصفحة** (٧٠) قوله فى الكلام على «فُقا» فى البيت :

ونبلى وفقاها كـ ـعراقيب قطاً طحل

يريد فوقاً (كذا) فُوقُ نبله يكتب بالألف . .

أقول : والأصل «فُوق» وفُوق السهم موضع الوتر، وفيه لغة وهى «فُقا» على القلب . وعلى هذا لا يكون صواباً أن يثبت المحقق : فُوقاً فوق نبله . . ولابد أن يكون الأصل وهو الصحيح : يريد فُقا (وهو) فوق نبله . .

(٢٢) **وجاء فى الصفحة** (٧٢) قوله فى الكلام على (جذى) بكسر الجيم :

فهو مقصور يكتب بالياء لكسرة أوله . .

أقول : كأنهم جعلوا كسرة الحرف الأول مسوغة لهم ان يرسموا الكلمة بالياء وهذا يعنى ان رسم المقصور بالألف أو الياء يجرى على اعتبارات واسعة تبعد عن أن تكون قواعد جيدة .

(٢٣) **وجاء فى الصفحة** (٧٧) قول المؤلف فى الكلام على «جَبا» وهو ما حول البئر: التى وردت فى مصراع من الرجز:

حتى اذا اشرف فى جوف جبا .

قال المؤلف : وهو مأخوذ من الحوض وكأنه فى هذا الموضع الحوض بعينه لأنه من جَبَيت وجَبَوتُ

أقول : وقد جاء بعد قول المؤلف الذى اثبتناه كلام حصره المحقق بين معقوفتين [ ] وهو:

[قال أحمد بن يحيى : هذا غلط . . . .]

أقول أيضا : كأن المحقق وجد كلام احمد بن يحيى فى حاشية المخطوط فضمه الى الكتاب واكتفى بحصره بين المعقوفتين ولم يشر الى هذا فى تعليقاته فى اسفل الصفحة وكان عليه الا يصنع ذلك لان كلام احمد بن يحيى وهو ابو العباس ثعلب لا يمكن أن يرد فى كتاب للفراء وذلك لان أحمد بن يحيى هذا توفى سنة ٢٩١هـ ومعنى هذا انه ولد وتوفى بعد وفاة المؤلف الفراء .

وبعـد فهذه جملة وقفات أفدتها من قراءة لكتاب «المقصور والممدود» لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء .

---

(١) لقد ترجم المحقق لسلمة هذا فأشار الى أنه سلمة بن عاصم أبو محمد: عالم بالعربية، من أهل الكوفة . . له كتب منها «معانى القرآن» و«غريب الحديث» . وأفاد هذه الترجمة الموجزة من «الاعلام للزركلى . وأغفل أن يشير الى سنة وفاته وهى ٣١٠هـ ولو أنه فعل هذا لظهر له : ان وجود «سلمة» فى هذا الكتاب يدل دلالة قاطعة على ان «الكتاب» شيىء ملفق صنعه متأخر أو قل جمع مادته من كلام للفراء وشيىء آخر من كلام متأخرين ولدوا وعاشوا وماتوا بعد موت الفراء وسنرى شيئا آخر من هذا .

المنتار

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر



العدد الرابع والعشرون جمادى الأولى ١٤٠٦هـ

للشرف

محمود عارف

(مهداة الى الأمير سلطان بن سلمان أول رائد فضاء عربي..)

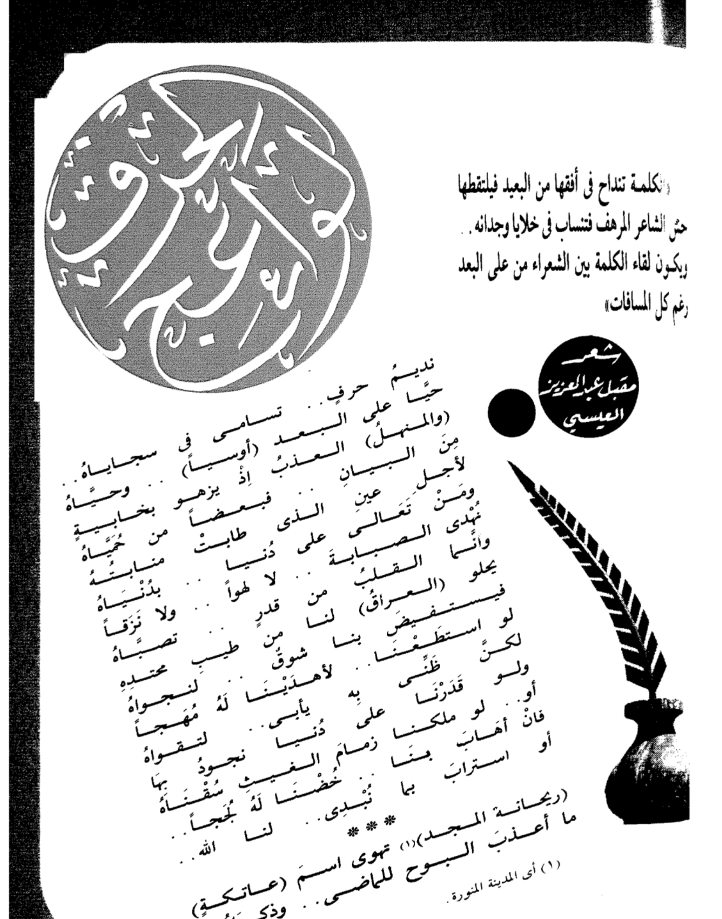
رائد الفضاء

شعر
عدنان أسعد

أبْشِرْ أخِي حَيِّ الوَلاء
حَيِّ البطولةَ والفداء
حيِّ الأميرَ اليَعْرُبيَّ
وحيِّ رُوَّادَ الفضاء
ركبَ الأميرُ جوادَهُ
فوقَ السِّماكِ على السَّوَاء
في الأرض.. في جَوِّ السما
ء وكلِّ ناحيةٍ وطِاء

رادَ الفضاء بعلمِهِ
والعِلْمُ ينبوعُ الثَّرَاء
طافَ الفضاء مُشَاركاً
أهلَ العزيمةِ والمَضاء
لم يُثْنِهِ رَيْبُ الظُّنو
نِ عن المضيِّ إلى الجواء
لم يُثْنِهِ خوفُ الحتو
فِ ولا المكارهُ والعَناء
أعطى الشبيبة قُدْوةً
يحدوهُ إيمانُ القضاء
أكْرِم بهِ مِنْ رَائدٍ
حاز المحامِدَ والثَّناء





«الكلمة تنداح فى أفقها من البعيد فيلتقطها حسُّ الشاعر المرهف فتنساب فى خلايا وجدانه.. ويكون لقاء الكلمة بين الشعراء من على البعد رغم كل المسافات»

شعر
مقبل عبدالعزيز العيسي

نديمُ حرفٍ.. تسامى فى سجاياهُ..
حيًّا على البعد (أوسياً).. وحيَّاهُ
(والمنهلُ) العذبُ إذْ يزهو بخابيةٍ
مِنَ البيانِ.. فبعضاً من حُمَيَّاهُ
لأجلِ عينٍ.. الذى طابتْ منابتُهُ
ومَنْ تَعالى على دُنيا.. بدُنْيَاهُ
نُهْدى الصبابةَ.. لا لهواً.. ولا نَزَقاً
وإنَّما القلبُ من قدرٍ.. تصبَّاهُ
يحلو (العراقُ) لنا من طيبِ محتدِهِ
فيستفيضَ بنا شوقٌ.. لنجواهُ
لو استطَعْنَا.. لأهدَيْنَا لَهُ مُهَجاً
لكنَّ ظَنِّى بِهِ يأبى.. لتقواهُ
ولو قَدَرْنَا على دُنيا نجودُ بهَا
أو.. لو ملكنا زمامَ الغيثِ سُقْنَاهُ
فانْ أهَابَ بنَا.. خُضْنَا لَهُ لُجَجاً
أو استرابَ بما نُبْدِى.. لنا الله..

* * *

(ريحانةُ المجد)[1] تهوى اسمَ (عاتكةٍ)
ما أعذبَ البوحَ للماضى.. وذكراهُ..

(١) أى المدينة المنورة.



شعر
عبد الحسيب الخناني

الـصـمـتُ فى عيـنـيـك يسألُ
كيـفَ جئـتَ إلـى هنـا
ومـتــى أتـيــتَ الـى فؤا
دى واهـتــديـتَ لـبـابِـنَـا
من أنـت يا قَدَراً أتـا
نـى دون وعـدٍ بيـنـنـا
أتَـراكَ حلماً راحَ يُسْـ
ـكـرُنـى بأطـيـافِ المـنـى
أم أنــتَ فى عمـرى طريـقٌ
يسـتـحـلُّ بِىَ الـضَّـنَـى

* * *

وطـنــى هنـا.. زمـنِـى هنـا
لا تسألـيـنـى مَنْ أنـا
أنـا صرخـةٌ فَجْـريّـةُ الـ
ـمـيلادَ تحمـلُ وجـهَـنَـا

جاءتْ تحِنُّ إلـى الحـيـا
ةِ على ضيـاء عيـونـنـ
من قبـلِ أن يأتـىِ الـزمـا
نُ عرفـتُ فيـك طريـقـنـ
فحـمـلـتُ طيـفَـك فى عيـو
نى وانطـلقـتُ إلـى هنـ

* * *

لا تسألـيـنـى مَنْ أنـا
فالـدربُ يجمـعُ بيـنَـنـا
أنـا عاشـقٌ للنـور يسـ
ـبـحُ فوقَ أجـنـحـةِ الـسَّـنـا
وجـهـى ووجـهُـك.. ثائـرا
نِ على الظـلامِ حِيَالَـ
قلبـى وقـلـبُـك.. عاشـقـا
نِ مسـافـرانِ بدربـ

هنا

عينى وعينُكَ . . شعلتا
نِ تصارعان ضياعنا
فجعلتُ من عينيك ثو
رتَنَا وصيحةَ مهدِنا

* * *

فلْتحْمليني صوت حبٍّ
ثائرٍ بينَ الدُّنَا
ولتحتويني فى ضمي
رِكِ صرخةً لوجودِنَا
لنعانقَ الآمالَ فجـ
ـراً لا يغيبُ بأرضِنَا
كونى خلوداً للضيا
ء وجدِّدِى ميلادَنَا

* * *

يا كُلَّ ماضينَا . . وحا
ضِرنَا . . وآتى يَومِنَا

عيناكِ فى عمَرى خلو
دٌ يحتوى أيّامَنَا

عيناكِ لى وطنٌ رأيـ
ـتُ النورَ فيه يضمُّنَا

فزففتُ فجرى فى درو
بك واحتضنتُ ضياءَنَا

يا سرَّ هذا النور يحـ
ـمِلُنا ويروى عُمْرَنَا

لا تذكُرى عمرَ الزَّمَا
نِ . . فقد نسيتُ زمانَنَا

تار

منطق العقل

الشاعر في سطور
- استاذ جيولوجيا - جامعة الملك سعود.
- عضو في عدد من الجمعيات العلمية العالمية والمحلية.
- نشر عدداً من الأبحاث العلمية.
- له كتابان مطبوعان: (تأملات في الأدب والحياة) و(مبادىء الجيولوجيا العامة).

فِي مَهَبِّ الرِّيحِ .. أُطْلَقْ فِي غُيُوبِ الْمَوْجِ .. أَغْرَقْ

أَيَّ بَابٍ .. رُحْتُ أَطْرُقْ لَسْتُ أَدْرِي .. مَا طَرِيقِي

بَابُ ذَاكَ السِّرِّ مُغْلَقْ حَيْرَةٌ .. أَمْ ضِلَّةٌ .. أَمْ

وَرُؤَى لَكِنْ .. تُحَقَّقْ إِنَّ فِي .. الْعِلْمِ .. رُمُوزًا

أَمْلأُ الأُفْقَ وَأُشْرِقْ وَبِهِ أَسْمُو ... إِلَيْهَا ،

بَلْ إِلَى الْمَجْدِ .. مُشَوَّقْ يَاحَبِيبِي .. لَسْتُ أَهْوَى

لَمْ يُضَيَّعْ .. فِيهِ مَنْطِقْ إِنَّمَا الْعَقْلُ .. طَرِيقٌ

دكتور
أحمد عبد القادر
المهندس

دعوة يتعذب

قالوا أحب فقلنا ما بأيدينا — قالوا تعذب قلنا قد يجازينا

قالوا بكى قلنا إن الدمع ملحمة — فالدمع يقتلنا والدمع يحيينا

قالوا حرام وفي أضلاعه ألم — قلنا دعوه فهذا بعض ماضينا

هل حبه . ولو في الحب ألوية — كالأغنيّ . سوى عدوى فتعدينا

فكلنا دنف صب يفارقنا — صفو الحياة وإن كنا الطواسينا

لهذا الغرام وقد نولى به قدرا — سيان بالخير أو بالشر يأتينا

وربما قيل يوما كان يخدعنا — بالوهم إن خداع الوهم يرضينا



قالتْ: إلى أينَ تشُدُّ الرِّحال
فقالَ: مشتاقٌ لأمِّ العِيالْ؟
قالتْ: ألم تشعرْ بدفءِ المُنى
قربي وأشهى مُغرياتِ الجَمالْ؟
ألم أكُنْ.. قالَ: ولكنَّني
راعٍ ومسئولٌ فقالتْ: تعالْ
وانفجرتْ تصرخُ في وجهِهِ
راعٍ لمنْ غيري كفاكَ احتيالْ؟
فقالَ: لا ليسَ احتيالاً ولا
ظلماً.. ولكن قسمةٌ يا «نوالْ»
أبعدَ أسبوعٍ مضى عشتُهُ
لديكِ في ظلِّ الصَّفا، والوِصالْ
تدفعُكِ الغيْرةُ من «زينبٍ»
لأنْ تقولي لي بأقسى مَقالْ
راعٍ لِمَنْ..؟ هل كُنتَ عنها وعنْ
أطفالِها في عالَمٍ من خيالْ؟
فاقتربتْ منهُ وشدَّتْ على
ذِراعِهِ.. واستوفزَتْ للنِّزال
فراغَ عنها.. وانتحى قائلاً
الحمدُ للهِ علَى كُلِّ حال
وغادرَ الدَّارَ وخلَّى لها
ثائرةً غُرْتَهُ والعِقَال
وقالَ: إنْ هزَّكِ لي مَضْجَعُ
واشتقتِ للهمس اشتياقَ الرِّمَال
فلا تلومِيني ولومي التي
قالتْ إلى أينَ تَشُدُّ الرِّحَال؟
ولا تَثُوري أو تَنُوحي عَلى
أن لم أعُدْ.. قالتْ أهذا اعتِزال؟
قال نَعَمْ حتَّى تثُوبي إلى
رُشْدِكِ.. حتى لا تثيري الجِدَالَ
إنِّي امرؤٌ يَسْعَى على أهْلِهِ
بكَسْبِهِ.. في حِكْمَةٍ واعتِدَال
كلتا كُما يا.. في الحقوقِ التي
تُلزمُ - شرْعاً للنِّساء - الرِّجَال
فانتظري قَسْمَكِ.. لا تعْجَلي
مَنْ يَحْرُثُ السَّقْفَ يَغِلُّ المُحَال

* * *



واختلجتْ في صَدْرِهـا زَفْرةٌ
ما خَطَرَت يوماً عليها ببَال
بينَ ظُنُونٍ بَلْبلتْ فِكْرَها
مِنَ احتمال تارةً لاحتمالْ
«نوالُ» جَنَّ الليلُ دَبَّ الأسَى
وانتظري قَسْمَكِ تُرْخِي الظِّلَال

ماذا جَرى يا قلبُ هل كانَ لي
مِنْ غَيْرَتِي أمْضَى وأقْسَى النِّصَال؟
هذي انا وَحْدِي أُناجِي الدُّجَى
وهَمُّ المُنَى يَقْتَادُنِي للهُزَال
أسألُ أُمِّي عَنهُ أعدُو إلى
أخِي وفي حَلْقِي يموتُ السُّؤَال

* * *

مَللتُ هذا الصَّمْتَ حتى لقدْ
فَكرْتُ أنْ أقْطع حَبْلَ الوِصَال
أنْ أركبَ الصَّعْبَ . فإمَّا الذِي
أهْوَى وإمَّا فَتْحُ بابِ الوَبَال
لأنَّ أُمِّي أشْعرتْ إخْوتي
أنِّي بطَيْشِي لم أقَدِّرْ «كَمَال»
كزوجةٍ فضْلَى ولَمْ أحْتَفِل
بِهِمْ كأخْتٍ عِزُّها بالرِّجَال
فانْتابَنِي . . لكنَّهُمْ أدْرَكُوا
ضَعْفِي فَقالُوا هَزَّها الانفعَال
فأحدَثَتْ ما أحدَثَتْ دُونَما
وَعْيٍ بما جَاءَتْ . . ولا ما يُقَال
وأسْرَعُوا لَيْلاً إليهِ لكي
يَصْفَحَ عن أُنْثَى بها الحُبُّ مَالْ
قالُوا لَهُ : يا مَنْ خَبَرْتَ النِّسَا
رِفْقاً بها . وارقُبْ نُمُوَّ الهِلَال
فكانَ شَهْماً . كانَ ذا مَوْقِفٍ
حُرٍّ . خبيراً بذَواتِ الحِجَال
وقالَ : يا أهْلاً وسَهْلاً بكُمْ
بعدَ الهُدَى ماذا . . فقالُوا الضَّلَال؟
قال : انتَهَى الأمرُ فهيَّا بنَا
واعتَبِرُوا أنَّ الذِي صارَ زَال
«نوالُ» لي قالُوا : ولكنَّها . .
قالَ : وهل ينفرُ إلَّا الغَزَال؟

* * *

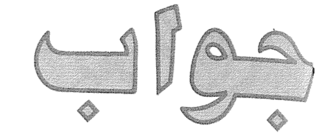
كَمْ قَيَّدَتْ «حَوَّا» خُطَى «آدمٍ»
وَكَمْ تَلَقَّى في هَوَاها النَّكَال؟
مِنْ ضِلْعِهِ جاءَتْ وفي ضِلْعِهِ
كَمْ أغْمَدَتْ ـ بالدَّلِّ ـ حُمْرَ النِّبَال؟
ولا تَلُومُوها على ما جَنَتْ
فهكذا حالُ النِّسا . . والرِّجَال
يا سائِلَ الإلهِ مُوجِبٌ
ولا وَقَفْتُ يُمْنَى بِغَيْرِ الشِّمَال
ولا حلى صَفْوٌ بلا جَفْوةٍ
ومَنْ أجاجِ البَحْرِ يأتي الزُّلَال

سؤال و

وتسألُنِي: أتهوانِي أحقاً أنتَ تهوانِي؟
وماذا كانَ جمَّلني وأغرى قلبَك الحاني
بأن يمشي على دَرْبِي ويشقَى مُذ تمنَّاني
يبيتُ الليلَ في سُهْدٍ يفكِّرُ كيف يلقانِي
لك الأيامُ قد عبستْ وأبدتْ وجهَهَا الثاني
أخافُ بأن تَرَى حُبِّي ثقيلا ثُمّ تَشْنَاني
وتَقْرنَنِي بما تَلْقَى أنا والدهرُ عِبْئانِ
أحبّكَ يا رفيقَ العمرِ حُبًّا دونَ سُلوانِ
وتسْكُنُ في حَنايا القلب في أعماقِ وَجْدَانِي
أشاهدُ فيك أيامِي وعمرى الغابرَ الفاني
وأحلامِي التي أرجُو إذا ما الدهرُ صافاني
فأنت الحاضرُ الماضي وأنت المُقْبِلُ الدَّاني
ولكنْ، في انتقالِ الدهرِ من شأنٍ إلى شانِ
أخافُ فؤادَكَ المحزونَ أن يَسلوُ وينسانِي

❊ ❊ ❊

فقلتُ لها: يجيء الليلُ مُسوَدًّا ويغشاني
وتقسو فيهِ آلامي وتكثُرُ فِيه أشجَاني
ولكنْ دونَ إذعاني ولا تبديد إيماني





المدرسة الخالدية خميس مشيط

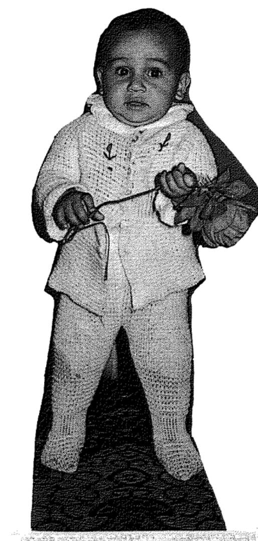
وتسطو فيه ذؤبانٌ وأسمعُ صوتَ غِربانِ
فلا أخشى أذىً منها ولا مِن شَرِّ عُدوانِ
لأنَّ الفجرَ فى صدرى وَلِى لُبٌّ وعينانِ
ولِى فى العَيْشِ آصِرَة تَشُدُّ خُطَاىَ تَرْعَانِى
نعم أهواكِ من قلب مُحبٍّ غيرِ خَوَّانِ
أنا أهواكِ زَنبَقَةً كَلونِ الفجرِ تَلْقَانِى
بِهَا حُسْنٌ وإخلاصٌ وفيها طُهْرُ أرْدانِ
نعم أهواكِ نرجسةً غَذَاها عِطرُ نِيسَانِ
نعم أهوكِ سُنبُلَةً نمتْهَا أرضُ أوطانِى
أنا أهواكِ أغْنِيَةً تُلوِّنُ كُلَّ ألحانى
تُذَكِّرُنِى بأيَّامى بأفرَاحِى وأحزانى
فكيفَ يكونُ سُلْوانِى وكيفَ يكونُ نِسْيَانِى
وكيفَ أفرُّ مِن قَدرِى وكيفَ أُعيدُ بُنيَانِى
وكيفَ أعيشُ فى همِّى وحيداً دونَ أقرانِ
مَعِى كونِى على الدُّنيا وكونِى خيرَ معْوَانِ
لنجتازَ الطريقَ معاً برحْلَة عُمْرِنَا الهانِى
ونحملَ عبئَنا فيها بعزمٍ ليسَ بالوانِى
كَنَسْرٍ فى السَّما يعلو وتحمِلُهُ جناحانِ
ولا يبغى سوى العَلْيَا ولا يرضى بخذلانِ

مخاطبة الطفولة

شعر
مصطفى أحمد النجار

ما أشْقَى أن يَصْدأ قلبُ
ويموت بموتِ السنواتِ
ولدى يا آية رحمنٍ
نَوِّرْ لى قِنْديل حياتى
فصغارُ النَّحل بها ولعٌ
أن تحيا صنو الزَّهرات
فى صدْرى يا ولدى روضٌ
يَزْهو من سعى النَّحْلاتِ
أُدْرُجْ . . فالعُمْرُ الفانى
عطشانٌ لعبير الصلواتِ
ادرج . . واحْمِلْ لى كلماتى
علِّمْنى التَّحْليق الذاتى

أدْرُجْ وَاحْمِلْ لى كلماتى
يا أحلى أحلى الكلماتِ
أدْرُجْ فالعمرُ الفانى
عطشان لأريج الخطوات
مثلُ الأشجارِ بها عطشٌ
نفسى لندَى الْبَسَماتِ
ما أشقى أن تلدَ الدنيا
يأْساً من يأسٍ عات



أغنية زوجة ملاح

دكتور نور الدين صمود



مِنديلى الأبيضُ فى كفّى
تذرُوهُ الريحُ الشرقيهْ
والشفقُ المخضوبُ تراءى
كمعارضِ لوحاتٍ زيتيّهْ
والأفقُ الأحمرُ لوحاتْ
ترسُمُهَا الشمسُ الذهبيّهْ
وترفُّ سفينَتُكَ البَيْضا
فى البحر بأجنحةٍ فِضّيّهْ
كحمامةِ غابٍ بريّهْ

* * *

تَتَغَلْغَلُ فى البحرِ الصافى
كتغلغُلِ طرفِكَ فى طَرْفى
وتشُقُّ البحرَ بإيمانٍ
ماضٍ أمضى من طَعْنَةِ سيفِ
وتلوُحُ شباكُكَ يا حُبّى
كتشابُكِ كفِّكَ فِى كَفّى
وتغيبُ مع الشمسِ الحَمْرَا
وتُصارِعُ موجَ البحرِ بعُنف
فى أروع معركَةٍ بَحْريهْ

وتعودُ تعودُ مع الفجرِ
وشراعُكَ مثلُ حمامٍ يَسْرِى
وتَهِلُّ كصُبْحٍ لَمّاع
وجبينُكَ يطفَحُ بالبِشْرِ
بسمَتُكَ الحُلوَةُ إذ شعّتْ
فَعلَتْ فى قلبى فِعْلَ السِّحْرِ
وعيونُكَ بحرٌ فى بحرِ
ما أحلَى البحرَ على البحرِ
ما اشهى العينَ العسليةْ

* * *

ما أجملَ عُمّالَ بلادى
فى رقصتِهِمْ فوق اليَمِّ
بسمتُهُمْ فى الثغرِ مَعِينٌ
للفَرْحَةِ والحُبِّ وللحُلْمِ
وسواعِدُهُمْ وقلوبُهُمُو
تنطِقُ بالقُوّةِ والعَزْمِ
وبلادِى بهمو صارَتْ
تَتهادَى فوقَ جَبينِ النَّجمِ
وتُغَنّى أعْذَبَ أغْنِيَّهْ

شعر
أحمد عبد السلام البقالي

ما أجمل حبك

ما أجملَ حبّك لى والله
ما ألطَفَهُ بل ما أحلاه
ما كنتُ أرى الدنيا لولاه
أو أحلم يوماً أنْ ألقاه
فى نومى العامرِ بالاحلام
فوجدتك كالأمل البسّام
قد كنتُ أعيشُ وراء حجاب
أمشى وكأنى فوق سَحَاب
وجهى مدفونٌ «وَسْطَ كتاب»
وحضورى بين الناس غياب
وكأنهمو حولى أرقام
لا أعرفُ معنىً للآلام
وأسير ووجهى بين الناس
مكشوفٌ عارٍ دون نِقاب

لكنَّ عفافى لى نِبْراس
وحياتى سِتْرٌ لى وحجاب
ما أطهر أخلاق الاسلام
لا تُبلى جدَّته الأيام
أنا لم أفتحْ قلبى ابداً
لغريبٍ قَبْلَك أو بعدك
أنا لم أمنح حبى احداً
حتى أحسستُ به عندك
ووجدتُ رحالَ الدنيا فيك
واشدهمو حبا ووفاء

فكأنَّك آدم دونَ شريك
وانا فى جنَّته حواء
لَّما لمستْ كفَّاك يَدَىَّ
احسستُ بنارك فى جسدى
فحمدتُ الله بلا عدد
حمدا يبقى أبد الأبد



نفس ضعيفة

طافتْ تدُقُّ على الأحلام تسألُها
بعضَ العطاء وتشكو فيضَ بَلْواها

جُنَّتْ من الشوقِ والأوهام تدفعها
دفعاً.. الى غمراتٍ عشتُ أأباها

ما ضمَّنا الليلُ إلا زادنا أسفاً
أنْ لستُ أقنعها أو لستُ أرضاها

ضدَّان ما اجتمعا إلا على إحَنٍ
نفسٌ ترومُ وعقلٌ يطلبُ الله

أغنية

لا ! تسلْ عن مدنفٍ يوماً خلى
أو تسائل فى الهوى قلباً عَصِى

لا ! تذيعُ العطرَ إلا زهرة
أو يجوزُ الرمْىُ إلا للقِسِىّ

يا لَقَلْبى من غرامى أيْنما
باحَ لم يسمع سوى صمتٍ وعِى

أو مَلامٍ من حسودٍ كاشِح
راحَ يرمى جاهدا قلبى النَّدِىّ

من رأى صبّاً سلى.. أو عاشقاً
رام أنْ ينسى ولو حبّاً شقىّ؟

ليس لى فى الأمر إلا أننى
فى هواها عشتُ ظمآناً.. روىّ

نظرةٌ منها تُرينى جنَّةً
بسمة منها بدنيا من رُقى

صورةٌ للسحر فى أعْطافها
تيَّمَتْنى.. يا المأسور.. هَنِىّ

تَيَّمتْ قلبى وصارتْ مُهْجَتى
واستباحتْ كلّ ما يجرى علىّ

سائلوها ما الذى قد رابها
فانثنت تقسو على قلبى الفَتِىّ؟

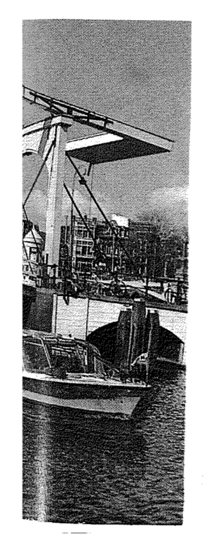


حلٌّ وترحال

وعُدتُ بحمد الله .. في خير حالةٍ
وللشوقِ في نفسي .. حديثٌ مطوّلُ
إلى مأرز الايمانِ .. مَثْوى محمَّدٍ
إلى سُدَّةِ البيتِ العتيق .. أقبِّلُ
أعانقُه بالرُّوح .. حبًّا وغبطةً
حواليه سبْعًا . طائفًا أتبتَّلُ
أُناجي إلٰهي .. في خشوعٍ وذلَّةٍ
وقلبيَ يهفو .. للمقام ويُقْبِلُ
ومن فرحِ اللُّقْيا .. تهامَتْ مَدامِعي
لسانيَ .. للذكْرِ الحكيمِ يرتِّلُ

* * *

فحمدًا لربِّ العرش .. أوْبة غائبٍ
إلى حيثُ يلقىٰ .. مايريدُ ويأمْلُ
إلى موطن المجْد الأثيل .. وصُحْبَةٍ
كرامٍ .. لهم بين الجوانح مَنْزلُ
إلى التُّرْب خصْبًا .. والرياضُ نوافحٌ
بعطْر الخُزامىٰ .. حائمًا أتجوّلُ
الى زهرةٍ خَجْلىٰ .. يضوعُ عبيرُها
مسافةَ ميلٍ .. والنسيمُ يقبِّلُ
إلى الأهْل مابين الرياضِ وجدَّةٍ
حديثيَ موصولٌ .. به الشوقُ ينقلُ

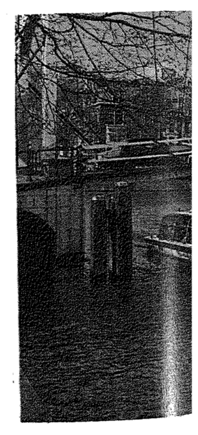


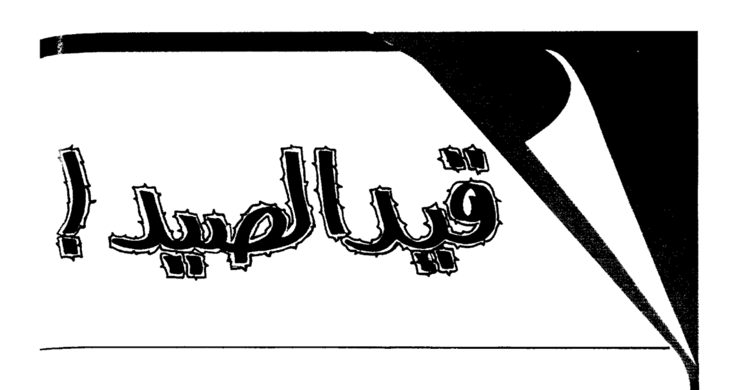


إلى الأفْق ممتَدًّا .. على طُول شاطئٍ
يداعبُه موْجٌ من البحر .. يخْجلُ
أحاط به « الكُرْنيشُ » من كلِّ جانبٍ
كعِقْدٍ على جيدٍ .. به العينُ تكحلُ
الى الناس .. في حشْدٍ اليه تَوافَدُوا
وأطفالُهُمْ .. من حولهم تَتَنَقَّلُ
كأنَّهمو في يوم عيدٍ .. تدافعوا
وأعينهم جَذْلىٰ .. على اللهو اقبلوا
إلى نسمة عذرىٰ .. تهبُّ عشيَّةً
فتُنْعِشُ مَنْ ـ للشطِّ ـ جاء يُهَرْولُ

* * *

وكنتُ على الذكرىٰ أعيشُ بغُرْبَتي
وقد آدَنِي .. بعْضُ السُّرىٰ والتنقُّلُ
فلمْ تَكُ تُغْرِينِي من الأرض بقعةٌ
سوىٰ وَطَني .. مُذْ كنْتُ بالصَّحْبِ أحْفلُ
« بلادى .. وإنْ جارَتْ عليَّ عزيزةٌ »
وأهلى وإن لم يُنْصِفُوني ـ أفْضَلُ
ولم أكُ عنهم لاهيًا .. غير أنَّني
ذهبْتُ.وماأشْكُو من الدَّاء مُعْضِلُ
طوَيْتُ شِراعي .. واستقَرَّتْ سفينتي
وها أنا ذا قد عُدْت .. والعَوْدُ أجْمَلُ
إلى الثغر مشتاقًا .. ففِي جَنَباته
مناظرُ .. عنها العينُ .. لا تَتَحوَّلُ !!





قال أبو تراب: ذكر ابن فارس فى المقاييس: انَّ الهمزة والجيم واللام يدل على خمس كلمات متباينة لا يكاد يمكن حمل واحدة على واحدة من جهة القياس فكل واحدة أصلٌ فى نفسها.

ثم ذكر تلك المعانى فقال: الأجَلُ غاية الوقت.. والاسم الآجل نقيض العاجل.. والإجْلُ القطيع من بقر الوحش. وأجَلْ فى الجواب كأنه يريد انتهى وبلغ الغاية. والإجلُ وَجَعٌ فى العُنُق. والمأجلُ شبه حوض يُؤَجَّلُ فيه الماء.. الى آخر ما قال.

قال أبو تراب: وربط الرُّمَّانِيُّ بين هذه المعانى فى كلام له نقله القُرطبى فى تفسيره. فهو يقول: إن معانى هذه المادة ترجع كلها الى الجَرِّ فالاجل الوقت يجرُّ اليه العَقْد الأول، والآجل يُجَرُّ اليه أمر مُتَقدِّمٌ والإجْلُ القطيع من البقر ينجَرُّ بعضه الى بعض وأجل بمعنى نَعَمْ انقيادٌ الى ما جُرَّ اليه المجيب المصدِّق.

قال أبو تراب: وهذا من أعظم الفوائد اللغوية وأضيف الى كلامه أن الإجْلَ الوجع فى العنق يَجُرُّ سائر الجسم الى الاحساس بالاشتكاء والمأجَلُ الحوض الذى يُجْمَعُ فيه الماء يَجُرُّ مياهاً كثيرة لتفجَّرَ فى الزروع بعد التجمُّع وكذلك الأجْلُ مصدر أجَلَ عليهم شرًّا أى جَنَاه وجَرَّهُ.

قال ابو تراب: أورد ابن فارس فى مادة (الأجل) قول الشاعر:

وأهْـلِ خباء صالحٍ ذاتُ بينهم
قد احتربوا فى عاجِلٍ أنا آجِلُهْ

ونَسَبَه الى خوَّات بن جُبير:

قال أبو تراب: وفى اللسان أنه يُرْوَى ايضا للخِنَّوتِ ولزهير

قال ابو تراب: الخِنَّوت اسمه توبة بن مُضَرِّس وهو فى شعر اللصوص ونسبه القُرطبى له. وقال ابو حيَّان



فى البحر المحيط: نَسَبَه ابن عطية لِخَوَّات. وهذا لم يذكره عبد السلام هارون فى تعليقه على المقاييس ولا فى تنبيهاته على اللسان.

قال أبو تراب: ذكر ابن فارس فى المقاييس قولهم: «أَجَلُوا مالهم» يأجلونَه أَجْلاً أى حَبَسُوه قال: والأصلُ فى ذلك الزَّاء: «أَزَلُوه» ويمكن أن يكون اشتقاق هذا ومأجَل الماء واحداً، لأن الماء يُحْبَسُ فيه.

قال أبو تراب: هذا الإبدال فى هذا الحرف لم يذكره ابو الطيب الحلبى فى كتابه ولا تعقَّبه التنوخى محقّق كتاب الابدال ولا ذكره الزجّاجى.

قال أبو تراب: وفائدة أخرى وهى صحة تسمية (بركة ماجد) بالمسفلة فهى (مَأْجَل) لتجمُّع الماء فيه (لا ماجن ولا ماجد) وقديما أثير جدل حولها بين الشيخين الجليلين الأنصارى والسباعى رحمهما الله ولا أدرى بما قطع به الشيخ الجاسر.

قال أبو تراب: جاء فى تاج العروس للزبيدى: آجَلَه مؤاجَلَةً اذا داواه من الإِجْلِ وهو مرض فى العنق - كما يقال: طيَّنْتهُ أى عالجته من الطين.

قال أبو تراب: وهذا خطأ والصواب طَنَّيْتُهُ من الطَّنَى وهو مرض لزوق الطِّحال والرئة بالأضلاع من الجانب الأيسر وأمَّا الإجْلُ فهو وجع العنق من تعادى الوساد اذا نام على عنقه فاشتكاها.

قال أبو تراب: جاء فى اللسان عن ابن الأعرابى: الإِجْلُ والإِدْلُ وجع العنق وقال الأصمعى هو البَدَلُ ايضا.

قال أبو تراب: يقصد إبدال الجيم من الدال وبالعكس يؤيد ذلك ذكر ابى الطيب الحلبى الابدال فى الجيم والدال فى كتابه نقلا عن الفراء (انظر الابدال ج١ ص٢١٦).



تحقيقات عرضية

● اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين: تأليف أمين سعيد - بيروت - دار الكاتب العربى - ٣٩٥+٥ص، د. ت.

(١) جاء فى مقدمة المؤلف: يسعدنى أن اقدم الجزء الاول من كتاب «**الثورة العربية الكبرى**» الذى أصدرته فى القاهرة سنة ١٩٣٥م.. ولقد أضفت الى هذه الطبعة إضافات ثمينة.

وتفضلت دار الكاتب العربى العامرة فى بيروت لمؤسسها الأديب الناهض الاستاذ قدرى قلعجى فتولت اصداره فى حلته الجديدة الأنيقة.

لقد كان المؤلف (**امين سعيد**) على الغاية من حسن الظن إذ كتب مقدمته هذه لأن الأديب الناهض لم يصدر كتابه فى حلقة أنيقة ولا شبه أنيقة وانى لأذكر جيداً طبعة القاهرة سنة ١٩٣٥.. لقد كانت هى الأنيقة ورقاً وحرفا وإخراجا..

(٢) ص٣٢٥: اقتسم الانكليز «بالاتفاق مع الفرنسيين بلاد العرب فنفذوا اتفاق سايكس - بيكو. لقد اختص الانكليز بالاقطار الآتية (العراق - فلسطين - الأردن.. واختصوا فرنسا بـ: ١- سورية الداخلية ٢- سورية الساحلية (لبنان) ٣- كيليكية ٤- الأراضى التركية الواقعة شمالى حلب».

لم «كيليكية»؟ لعله من فعل الترجمة وإلا فهى فى الرسم العربى: قليقية.

● عباس محمود العقاد - عيد القلم ومقالات أخرى. تحرير الحسانى حسن عبد الله - منشورات المكتبة العصرية صيدا - بيروت - د. ت - ٣٠٤ص+٢.

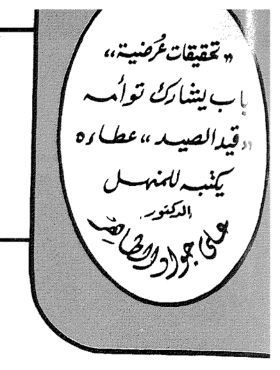
(١) تحرير - هنا - تعنى: جمع واختيار وإعداد.

(٢) اكثر المقالات مما كتب سنة ١٩٦٠ أو ما بعدها.. نشر فى الهلال.. ومجلة الازهر.. مجلة منبر الاسلام.

ومنها ما هو قبل ذلك فى مجلة الكتاب.. الدستور.. مجلة الاثنين والدنيا.. وتراث الانسانية.. اقدمها فى الدستور ١٩٣٩، ومنها ما لم يذيل بتاريخ أو مكان نشر.

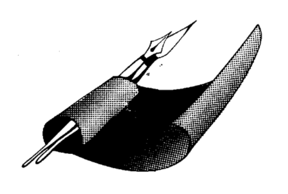
(٣) من المقالات ما تصبح مصدراً لدراسة شعراء عاصرهم العقاد: شوقى.. حافظ.. مطران وموضوع «**الشخصية الحافظية**» مهم فى بابه.

(٤) فى مقال «**وجوه اختفت**» يدفع العقاد عن نفسه ما قيل عن تعلمه الجديد من كلام الخليل.. فبعد أن أثنى على الخليل - خليل مطران - قال: «منزلة الخليل المتفق عليها فى الأدب العربى الحديث صحيحة لا يكثر فيها الخطأ ولا تجوز فيها المغالطة إلا موضعا واحداً يلزمنا نحن أن نصححه لأنه يمسنا ويخصنا ونحن أعلم به من سوانا.. ذلك اننا نعرف



ين زمرة الناقدين أو المتقدين أناسا لا يبالون أن يغدقوا الثناء مدرارا على كائن من كان مادامـوا يغدقونه على حساب العقاد وزملائه فى دعوتهم الأدبية.. وهؤلاء يحبون أن يزعموا أن العقاد وزملاءه تعلموا التجديد من كلام الخليل.. ولا معابة فى هذا الزعم لو صح ولكنه باطل من أسخف الأباطيل.

فى العهد الذى ظهر فيه مطران كنا نقرأ البحترى وابن الرومى والمتنبى والمعرى والشريف الرضى وغيرهم من أعلام الأدب العربى.. وكنا نقرأ فحول الشعراء وفطاحل النقاد من الغربيين باللغة الانجليزية أو مترجمين اليها.. فلم تكن طرق التجديد مقفلة أمامنا حتى نلجأ اليها من طريق



المطران.. وربما صح أن المطران قرأ ما كتبناه فاتخذ منه معيارا جديداً لما يختاره وتحول من ثمة الى شكسبير.

والمنزلة الصحيحة التى تبوأها المطران لا تفتقر الى هذه الدعوى الباطلة.. فحسبه أنه فتح الجديد فى الوصف وتصوير الخوالج النفسية ونظم الشعر على وحدة القصيدة وحسن التصرف فى الأوزان».. نشر مقال «وجوه اختفت» فى اخبار اليوم ١٣/ ١١/ ١٩٥٤م.

(٥) حاول العقاد فى حديث مع هرون الرشيد ـ المنشور فى مجلة الهلال اكتوبر ١٩٤٧ ـ أن يخرج عن عبارته التعليمية فى المقالة الى الفن والخيال.. فما رق ولا لان وكأن الحال غريبة عليه.. وانها لكذلك.. الذين قرءوا له كتاب «رجعة أبى العلاء» يدركون ذلك.. فما هو برجل خيال وعاطفة وإحيائية.

(٦) ص٢٩٩ «الحكيم الاندلسى ابن حزم الملقب بإمام النقاد».

لم يتهيأ لى الالمام بشخصية ابن حزم كما يجب ولذا أسأل عن مدى صحة تلقيبه بإمام النقاد؟.

(٧) ص٣٦ عنوان مقالة «الأدب العربى المعقول» وتحته بالحرف نفسه «اللذين لا يعقلون» وردت الذين ـ جمع الذى ـ بلا مين وهو غير المقرر ولكنها وردت فى المتن بلام واحدة.

نظرات

«فى زورق»




يقول الشاعر الأستاذ «عبد الله ادريس» فى مقدمة ديوانه الجديدة إن الشعر هو الكلام الموزون المعبر عن خلجات النفس والمصور لدقائق الشعور وصدق المعاناة.. وأحسب أنه قد اعتبر الجمال فى التعبير شرطاً للتجارب الشعرية والاعجاب بها من قِبل القارىء.. لأن ضحالة الأسلوب لأى انتاج شعرى مهما كان موضوعه ـ وافتقاره للمعانى الجميلة سوف لن يكون له تأثير فى نفس المتلقى.

وإذا كان رواد النقد الادبى يقسمون الشعر العربى المعاصر الى تقليدى كما عند البارودى وشوقى ومطران.. والى حديث كما هو انتاج شعراء مدرسة (أبوللو) وشعراء المهجر.. وهم محقون فى هذا المفهوم.. فالحداثة التى يعنونها هى التجديد فى مضمون الأداء الشعرى وفى شكله.. مع الاحتفاظ بالقواعد المعروفة للشعر العربى المتعارف عليها.. وهى الالتزام بالوزن أو التفعيلة الشعرية.. وبأنه كلام موزون جميل يعبر عن معاناة ذاتية او انسانية تؤثر فى نفس المتلقى.

أمـا مفهوم الحداثة التى يقررها بعض النقاد فى الوقت الحاضر لتبرير أو (تسويغ) انتاج شعراء الحداثة الذين لا يلتزمون بالوزن.. أو بالتفعيلة العروضية.. فهو مفهوم مرفوض لدى القارىء الواعى لأنه يؤدى الى تشويه خِلْقى للبناء الشعرى.. هذا اذا أحسنا الظن بنوايا شعراء الحداثة وبنوايا النقاد المؤيدين لهذا الاتجاه..

فاذا *قبلنا تقسيم رواد النقد الأدبى للشعر المعاصر الى تقليدى وجديد.. وقبلنا النزعة التجديدية المعتمدة على شعر التفعيلة التى ابتدعها شعراء معروفون فى المملكة والعالم العربى ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ فان ما تنشره مجلة (شعر) البيروتية.. وهى منبر لحركة أدبية (باطنية) الهدف منها مسخ الشعر العربى وتقويض أركانه.. ان ما تنشره لا يجوز تسميته شعراً عربياً.. فالانتاج الشعرى له مفاهيم ومقاييس معروفة.*

واذا *كان هناك من يريد فرض هذا اللون على القارىء فى المملكة بحسن نية فهو دليل أو ظاهرة*


عبد الله بن ادريس — مقبل العيسى

افلاس أدبى . . وسذاجة لأننى لا أعتقد بخبث نوايا من يدعو لهذه (الحركة) فى المملكة . . وانما هو ناتج عن تقليد أعمى . . ومؤيد هذا الاتجاه لا يدرك أبعاد خطورته على الاجيال العربية القادمة والحياة الأدبية فى العالم العربى .

هذه مقدمة أردت منها أن تكون مدخلا للحديث عن ديوان الشاعر السعودى الأستاذ (عبد الله بن ادريس) الذى صدر مؤخراً بعنوان «**فى زورقى**» . . وقد قرأت هذا الديوان بحفاوة . . واعجبت به ولكن اين موقع انتاجه الشعرى من التقسيم الذى قرره رواد النقد الأدبى المعاصر كالاستاذ مندور والسحرتى وعبد الله عبد الجبار . . ؟

مقبل عبد العزيز العيسى

اعتقد أن شعره تقليدى لأن شعراء التجديد فى الشكل الشعرى وفى الاداء قليلون فى المملكة . . فهو كأغلب شعرائنا من جيل الأستاذ ابن ادريس يمكن ان يوصف انتاجهم الشعرى (بالتقليد) . . فهم لا يميلون الى التجديد الذى ساد بعد الحرب العالمية الثانية . . وهذه ظاهرة توحى للناقد بافكار وآراء تحتاج لدراسة عميقة متأنية ودراسة اكاديمية لا تتوفر ألا لأساتذة الأدب فى الجامعات السعودية كالدكتور الضبيب . . والحازمى . . والغذامى . . كما ان الاستاذ عزيز ضياء مؤهل لأن يتناول هذا الموضوع لثقافته الموسوعية ومعايشته للاتجاهات الشعرية الحديثة . . واطلاعه على الأدب الانجليزى .

فاذا كان هناك بعض المقالات والأبحاث النقدية المتفرقة التى تتناول انتاجاً شعرياً لأحد الشعراء فى المملكة . . فهذا فى رأيى لا يعتبر دراسة نقدية تتناول الانتاج الشعرى على ضوء النقد الأدبى الحديث .

وديوان «فى زورقى» للشاعر ابن ادريس يضم قصائد

نظمها فى ريعان شبابه وفى شيخوخته.. يمتزج فيها التجديد بالتقليد فأسلوبه فى أثره الشعرى لا يخلو من التجديد.. ولكنه تجديد محافظ - ان صح التعبير - متأثر بثقافة موسوعية تراثية وميل واخلاص لمفهوم الشعر العربى فى عصره الذهبى.. وهو بذلك لا يشذ عن أغلب شعراء المملكة من جيله.. وقصيدته التى بعنوان «**تحية العام الهجرى**» تمثل هذا الاتجاه التقليدى فى الاسلوب والمعانى.. كما أن أغلب قصائده التى نظمها فى المناسبات وشعره فى المراثى وبعض القصائد الوطنية مقلدة وليست مجددة.. وهذا لا يعنى التقليل من أهمية شعره.. ولكن نظرة الناقد المنصف وتقييمه لاثره الأدبى يقتضى هذا التمييز.. ومع ذلك فأن للشاعر قصيدة جميلة توحى للقارىء بأنه يتمتع بشاعرية أصيلة لأن معطياتها مؤثرة.. كما أن أسلوبها قوى الأداء رشيق العبارة وهى التى فى مطلع الديوان بعنوان «هى أمتى».. يقول فيها متغنياً بأمجاد أمته :

رسمتُ على وجه الزمان سماتَها
مجدولة الأضواء فى هالاتها
شماء لم تحنِ الجبينَ لغاصبٍ
أو طامَنَتْ أحداثَها هاماتُها
شاخ الزمانُ.. ومازالُ.. فَتِيَّةً
والدهرُ يُحْشُدها على قَسَماتِها

● ويقول فيها :

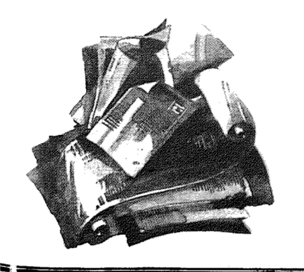
واذا النفوس تجردت غاياتُها
للخير لم تحفل بقول عِداتها
هى أُمتى.. والمجدُ بعض خصالها
وسنا الخلود يشعٌ من رَبَواتها

ومن أجمل قصائده الوجدانية قصيدة بعنوان (**سارق الأحلام**) وهى تجربة شعرية يتمثل فيها التجديد.. وتبرز فيها روح وشخصية الشاعر المميزة أسلوباً وفكراً وجمال أداء.. يقول فيها :

يا سارقَ الأحلام
من بين جفنيًّا
وزارعَ الأسقام
من نبعِ عينيّا
طُفْ بى على الأنسامِ
فى الروضِ والزهْر
لعلَّنى أسلو

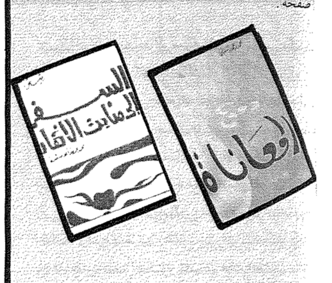
رجِّعْ أغانِينا
فى سَكْرَةِ الروحِ
واندُبْ أمانِينا
بلحنِ مجروح
واذكر مغانِيَنا
فى هَدْأة الفَجْر
آه متى أسلو

يا وردة عَذْرَا
لم يجنِهَا جانى



● صدر عن دار العلم للطباعة والنشر ـ جدة (دموع المعاناة) ديوان شعر للأستاذ المهندس محمد أحمد الشنقيطى ـ والديوان يشتمل على ثلاثة فصول ـ الفصل الأول قصائد غزلية ـ والثانى تأملات والثالث: قوميات ثم أشتات تتضمن قصائد للشاعر وقصيدة للأستاذ محمد بن على السنوسى.. والديوان مصدر بإهداء ثم تحية للشعر والشاعر من الشاعر محمد بن على السنوسى.

الديوان يبلغ عدد صفحاته مع الفهرس حوالى ٨٧ صفحة.



● وعن دار الرافعى بمصر صدر للزميل الشاعر محمد فريد أبو سعدة ديوانه الاول «**السفر الى منابت الانهار**».. وهو يضم أربعة عشرة قصيدة.. والشاعر من شعراء الحداثة الذين يعتمدون على التفعيلة.. وله ديوان آخر تحت الطبع بعنوان «**وردة للطواسين**».

ومن ديوانه المطبوع اخترنا هذه الأبيات من قصيدة الأحصنة:

للذينَ يموتونَ وجهى
تغيِّرُ أسماءُ مَنْ يرحلون
ولكنَّ بعضى
يغيبُ مع الآخرين
وأصْلَى وحيداً ببعضى

شَمَمْتُـــــكِ عطْـــــرا
فـــــزدتِ أشجانِـــــى
أعــــدتِ لـــــى ذكـــرَى
مـــاضٍ مـــن العمـــر
فالآن لـــــن أســــلو

فهذه القصيدة أسلوبها حديث.. وايقاع جرسها جميل يتمثل فيها التجديد الحقيقى.. كما أن المعاناة العاطفية فيها تؤثر فى نفس المتلقى وتتعاطف معها.

واذا كان أغلب الشعراء فى البلاد العربية قد تأثروا بالأحداث التى مرت على العالم العربى فى مطلع الخمسينيات.. فان شاعرنا قد تأثر أيضا بهذه الأحداث وتفاعل معها فرحاً وترحاً.. فقد تغنّى وأشاد بثورة الجزائر.. وانتفاضة المغرب الاقصى لنيل استقلاله وبحوادث القتال وثورة عُمان.. وهذه القصائد تشف عن روح عربية أصيلة متجذرة فى الموئل والمحتد.. كما تشف عن عقيدة اسلامية صادقة.. وأجملها قصيدة (**هى أمتى**) بلا منازع.. فقد أبدع فيها الشاعر أسلوباً ومعنى.. ولكن بقية القصائد القومية لا تخرج عن الاطار التقليدى الذى تحدثت عنه فى السابق.. وان كان صدق المعاناة واضحة فى قومياته ووجدانياته تثير فى نفس القارىء الاعجاب فهى مشوبة بنزعة غير مجددة ولكنها معبرة عن صدق المعاناة ـ كما يقول فى مقدمة ديوانه لانها متأثرة بهموم أمته العربية الاسلامية ومحنتها وآلامها..

للصديق الشاعر منى ـ كقارىء ـ أجمل تحية.. وأرجو أن نقرأ له فى المستقبل شعراً جميلاً يثرى الحياة الأدبية فى المملكة.. وهذه كلمة موجزة رأيت من حق الشاعر علىَّ أن أنوِّه بها كاعتراف بشاعريته ونشاطه الأدبى.





أمراء دمشق

الكتاب يتضمن ذكر من ولى إمرة دمشق فى الاسلام أو دخلها من الخلفاء مرتبين على حروف المعجم، وأرجوزة «تحفة ذوى الألباب فى من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب».

صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٥م وهو من إصدارات المجمع العلمى بدمشق والمحقق كما يذكر فى مقدمة تلك الطبعة الثانية التى صدرت عن دار الكتاب الجديد - بيروت - لبنان فى ٢٢٨ صفحة من القطع المتوسط.. أنه أعاد النظر فى الطبعة الاولى - وأضاف فى التعليقات ما تيسر له - كما أضاف ملحقاً ثالثا فيه أسماء ولاة دمشق الذين تولوا بعد سنة ٧٦٠هـ.

● **يعرض الدكتور المنجد فى مقدمة الطبعة الاولى من ألف فى اسماء أمراء دمشق بدءا من أبى الحسين الرازى (٣٤٧) حتى الصلاح الصفدى فى القرن الثامن.. ويترجم له.**

والمحقق اعتمد فى نشر الرسالة والأرجوزة على تذكرة الصلاح الصفدى المسجلة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٠ أدب.

وصف الرسالة:

يذكر الدكتور المنجد أن العنوان الذى كتب على أول ورقة منها «**هذه الرسالة تشتمل على ذكر من ولى دمشق من أيام الخلفاء العباسيين**» جمع الصلاح الصفدى - رحمه الله - ويليها منظومة له ايضا فى هذا المعنى - ليس صحيحاً - لأن الرسالة اشتملت على ولاة دمشق قبل العباسيين أيضاً - كما كتب على الورقة الثانية من الرسالة بعد البسملة.. ذكر من ولى إمرة دمشق المحروسة فى الاسلام أو «دخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم» وتحقيقاً للدقة فقد أثبت الدكتور المنجد هذا العنوان واعتبره اسم الرسالة.

أما عدد ورقاتها فتتألف من ٢٤ ورقة بقياس ١٤×٢٠ عشيراً - وعدد سطور كل صفحة أربعة عشرة سطراً وقد تبلغ ١٨ - طول السطر عشر عشيرات.

والهوامش ثلاثة - هامش جانبى - وآخر سفلى يبلغ كل منهما ٢،٥ عشيراً وثالث علوى يبلغ ٣ عشيرات.

والخط: نسخى جميل مشكول أحياناً ومهمل من النقط فى أحايين كثيرة.

تاريخ النسخ: كما يذكر الدكتور المنجد - التذكرة ليس عليها ما يدل على تاريخ أو اسم ناسخها بيد أن الخط يدل على أن الناسخ كان فى أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع.

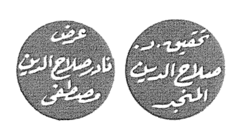


المداد: استعمل المداد الاسود للنص والأحمر لأسماء بعض الـولاة وحـروف المعجم التى رتبت حسبهـا الاسماء وعلامات انتهاء الترجمات (ن) ـ والناسخ قد يثبت اسم بعض الولاة بالأسود مع وجود خط أحمر فوقه.

أما عن الرسم فى الكلمات فهو الرسم المعروف فى القرن الثامن وما قبله كما يذكر المحقق.

أما نهج التحقيق فى الرسالة: فقد اعتمد د. المنجد على نسخة الرسالة ونسخة الأرجوزة اللتين وردتا فى تذكـرة الصـلاح (الجزء الثامن والاربعون أو الثانى والخمسون) كما قابل نصوص الرسالة على ما ورد فى تاريخ دمشق لابن عساكر لأن أكثر الرسالة منقول عنه.

كما **رد كل اسم** الى موضعه حينما لاحظ ان بعض الاســماء ليس فى موضعــه على ترتيب المعجم. .



فـ(ابراهيم بن جعفر أبو محمود الكتامى القائد) سبق (ابـراهيم بن الـوليـد بن عبـد الملك بن مروان بن الحكم) وكان مرتباً بعده فى الرسالة (ص ص٢٣-٢٤).

كذا [يونس بن] ممدود كان مدرجاً بعد (مفلح أبو صالح اللحيانى) فدرجه حسب الترتيب (ص١١٧)

● كما أن المحقق اضاف اسماء الولاة التى غفل عنها الصفـدى ـ من الأرجـوزة ومن شرحهـا أو من ابن عساكر ـ وقد نبه د. المنجد الى ذلك.
مثل إضافة [(أزْدمُر (٦٨٠) ناب فيها للملك الكامل سنقر الاشقر] ص٢٨.

■ وقد اتبع الدكتور المنجد الرسم المعروف فى أيامنا فكتب ابـراهيم ـ ابـراهيم. . وكـذا فصل الأعداد المتصلة فكتب (ثلاثة مئة) لا (ثلاثمئة) وأثبت شكل (مئة) لا (مايه).

وصف الارجوزة:

أثبت الدكتور المنجد عنوان الأرجوزة كما وجده فى الشـرح. . فعنوانها «تحفة ذوى الالباب ومن حكم

بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب» صحح فيه المحقق كلمة (ومن) الى (فى من) حتى يستقيم العنوان وبما يتفق مع شرحها.

عدد ورقات الأرجوزة ٢١ ورقة - وتتفق مع الرسالة فى عدد السطور والهوامش والخط والمداد وطول سطرها تسعة عشيرات - قد جعل بين الصدر والعجز فى كل بيت فاصلة بالأحمر ووضع فوق اسماء الولاة خط أحمر.

ويذكر الدكتور المنجد أن ناسخ الأرجوزة هو ناسخ المعجم الذى فى الرسالة نفسه وأن فى بعض الهوامش تصحيحاً بخط حديث لبعض ألفاظ الأرجوزة. وقد أشار المحقق فى الحاشية الى الأبيات التى وجدها فى الأرجوزة ولم يجدها فى الشرح أو وجدها فى الشرح ولم يجدها فى الأرجوزة مثبتاً إياها فى النسخة المحققة.

فمن أمثلة ما أضافه من الشرح:

وعندها تغلّب ابنُ امِّ الحكم:

يدعو لمروان وكان ذا وتمّ (ص١٢٧)

ثم تولى أمرها أرْتاشُ:

ولم يطِبْ فيها له معاشُ

وخاف بطش طُغْتِكِينَ فهربْ:

فلم يجد فراره إلا العطب (ص١٥٦)

● كما أعاد الدكتور المنجد ترتيب بعض الابيات فقد ورد فى الشرح: **كذا بُدَيْرٌ مرّةً وليها:**

ومرة أخرى تولّى فيها

قبل البيت:

ثم تولى الحسنُ بن طُغْجِ:

فى مرتين لا تَحِدْ عن نهجى

فرتبه فى الأرجوزة ونوه الى ذلك فى الحاشية (ص١٤٦) وورد فى الأصل (الأرجوزة)

وابن المقدم الذى بها ولى:

بعد نيابة عنه فصدق مقولى

وناب تُوران شاه عن أخيه:

بها وكان فى العُلى يليه (ص١٦٠)

هذا.. وقد نبه الدكتور المنجد فى الحواشى على ما أضيف أو عدل مع ذكر مصادره.

ختم الدكتور المنجد الكتاب بثلاثة ملاحق:



● من مطبوعات تهامة صدرت الطبعة الأولى من كتاب **«سعودية الغد الممكن»** استشراف تنموى مستقبلى للأستاذ شاكر النابلسى.

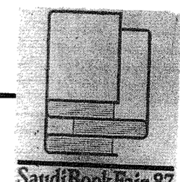
الكتاب يشتمل على ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة - يعرض المؤلف فى الفصل الأول للمستقبل وأشكاله ونماذجه - وفى الفصل الثانى للتنمية ومسارات المستقبل أما الثالث فقد نصصه للمستقبل من حولنا من عرض للعالم والعالم الثالث والعالم العربى.. وفى الخاتمة يعرض للدور الحضارى الذى ينتظرنا مستقبلا من خلال تساؤل يطرحه عدد صفحات الكتاب حوالى ٢٤٢.

الأول: فى ضبط بعض أسماء الأمراء مستعينا باللغات - التركية والفارسية والمغولية مثل: ارتاش (تركية) افريدون (فارسية) (بهادُر) (مغولية - تركية). مشيرا الى التركية بالحرف (ت) والفارسية بالحرف (ف) والمغولية بالحرف (م).

الثانى: اشتمل على اسماء الولاة مرتبة حسب تواريخ قدومهم دمشق وخروجهم عنها بدءا بالخلفاء الراشدين وانتهاء بالمماليك.

وقد قُسِّمَ الى الخليفة - الامير - سنة توليه - سنة عزله.

الثالث: فهرس يشمل اسماء الامراء والاعلام مرتبة ترتيبا هجائيا مع تاريخ الميلاد والوفاة وأرقام الصفحات التى وردت فيها.



(معرض الكتاب السعودى ٨٧)

المملكة العربية السعودية.. شهدت وتشهد تطوراً كبيراً كماً وكيفا فى حقل التعليم والتربية وفى المجال الثقافى العام وفى صناعة الكتاب ونشره.. يشهد لذلك عدد المدارس والمعاهد والكليات والجامعات التى انشئت فى المملكة.. مضافاً الى ذلك انشطة الاندية الثقافية والجمعيات الفنية والشبابية وتؤكد الاحصائيات ان المملكة استوردت من الكتب العلمية والتقنية من الدول الاوربية فى عام ١٩٨٣ ما ثمنه (٢١ مليون دولار امريكى) واستمر هذا المعدل فى ازدياد سنوى بنسبة ١٠ الى ١٥٪ اضافة الى ما يتم طباعته ونشره فى المؤسسات المهتمة بصناعة الكتاب فى المملكة.

ولا شك ان مثل هذا التقدم الهائل الرفيع فى مختلف مساراته قد أدى الى تبلور فكرة اقامة معرض **(الكتاب السعودى)** وهذا المعرض الذى سيقام فى يناير **١٩٨٧م** باذن الله والذى تجرى له الاستعدادات من الآن يعد اكبر معرض عالمى من نوعه للكتاب فى الشرق الاوسط.. وسوف يقام المعرض فى مركز المعارض الرئيسى فى مدينة الرياض. ويتزامن مع معرض **(التربية والتعليم السعودى.. وتدريب القوى العاملة)** الرابع.



مهرجان جامعات الخليج

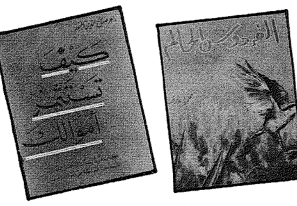
«.. معارض للفنون التشكيلية والشعبية والتصوير.. الشعر والمسرح.. مسابقات فى البحوث الثقافية.. ندوات ولقاءات فكرية وأدبية.. معرض للكتاب.. مسابقات فى الالعاب الرياضية.. الخ..»

هذا ما يتم تنسيقه حالياً بين وزارات التعليم والجامعات فى دول مجلس التعاون الخليجى استعداداً للمهرجان الذى سيقام فى شهر شعبان القادم فى الامارات العربية المتحدة.

● وعن دار العلم للطباعة والنشر صدر للأستاذ الشاعر محمود عارف ديوان (**الفردوس الحالم**) يشتمل على ٥٩ قصيدة ومقدمة للشاعر ويقع فى نحو ١٣٦ صفحة.

كما صدر للأستاذ الشاعر عن دار العلم كتاب (**أكثر من فكرة**) يشتمل على عدد كبير من الموضوعات فى مجالات مختلفة: فلسفة الاساليب ـ المرأة المسلمة ـ أهلا بشهر الصوم ـ احياء عكاظ ـ

الكتاب يقع فى نحو ٢٢٥ صفحة.



كيف تستثمر أموالك؟

كتاب للأستاذ زاهر صلاح الدين المنجد ـ صدرت الطبعة الاولى منه عن دار الكتاب الجديد ـ والكتاب يشمل تسعة فصول صُدِّر كل منها بتمهيد وذلك بعد أن أوضح المؤلف مفهوم الاستثمار فى المدخل ثم أسس الاختيار الاستثماري فى تمهيد بعد المدخل.

اما الفصل الأول فيدور حول الاستثمار العقارى وكل ما يتصل به والفصل الثانى عن الاستثمار فى الأسهم والثالث فى السندات والرابع عن الادخار والودائع وصناديق الاستثمار والفصل الخامس عن المضاربة فى الاسواق والسادس يشمل الاستثمار فى الذهب والفضة والسابع دار حول عالم الجواهر والاحجار الكريمة والثامن عن عالم التحف الفنية القديمة ـ وأما الفصل التاسع والأخير فيشتمل على معجم للألفاظ الاصطلاحية ـ الفنية عن الاستثمار ـ بالعربية والانكليزية ثم جاء فى ختام الكتاب الفهرس العام.

الكتاب يقع فى حوالى ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط.

مهرجان المربد

هناك فى مدينة (البصرة) وفى (مربد) الشعر والأدب منذ القدم اقيم المهرجان السادس للشعر العربى.. التقى فيه الشعراء والأدباء والمثقفون يحملون ابداعاتهم كما يحملون قضاياهم ورؤى غدهم.. كما حفل المهرجان بحضور عدد من المهتمين بالادب من الدول الاوربية.. وكان المهرجان حافلاً باللقاءات الثقافية والادبية وحافلاً بالمعارض.. وكان ضمنها معرض المخطوطات العربية الذى قدمت فيه ألف قطعة نادرة..



وزير الثقافة والاعلام العراقى



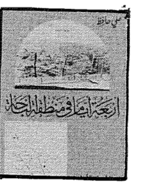
.. عبد الله الغذامى

د. الغذامى.. والعلوم الانسانية

فى الفترة من ١٢-١٦ يناير ١٩٨٦م يقيم مكتب التربية العربى لدول الخليج حفل جائزته السنوى فى مجال العلوم الانسانية.. وقد فاز بها الدكتور عبد الله الغذامى الأستاذ المشارك بجامعة الملك عبد العزيز بجدة عن كتابه «الخطيئة والتكفير» ويشير الدكتور محمد الاحمد الرشيد مدير عام مكتب التربية العربى لدول الخليج الى ان الحفل سيحضره وكلاء وزارات التربية والتعليم والمعارف فى الدول السبع الاعضاء فى المكتب وعدد من المسؤولين فى قطاعات التربية ورجال الأدب والثقافة بدول الخليج.



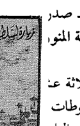
● وعن شركة المدينة للطباعة والنشر ـ جدة ـ صدر
الطبعة الثانية من كتاب (**فصول من تاريخ المدينة المنو**
للأستاذ على حافظ .
يشتمل الكتاب على اهداء ثم مقدمة وثلاثة عـ
فصلاً ثم ملحق وفهرس للصور وآخر للمخطوطات
يعرض المؤلف فى الفصل الأول للمدينة المنورة عبر التار
وفى الثانى للمسجد النبوى خلال اربعة عشر
والثالث (**لبيت النبى ﴿ﷺ﴾ مع** (**الحجرة المطهرة**) والر
المساجد المأثورة والخامس لبقيع الغرقد، شهداء أحد
والسادس للآبار المأثورة ـ والسابع : لسقيفة بنى ساعدة
والثامن لمعركة أُحُد وميادينها الخمسة والتاسع لمعركة
الاحزاب والعاشر للعلم والتعليم فى المدينة ـ والحادى عشر
للمدينة المنورة فى العصر الحديث والثانى عشر لمشاريع
المدينة من ١٣٧٠هـ ـ اما الفصل الثالث عشر فيعرض فيه
المؤلف للمصالح الحكومية والخدمات العامة وقد ختم
الكتاب بدليل المدينة المنورة الاثرى التاريخى الجغرافى . .
وخريطة للمدينة المنورة تُمثلها فى عهد الاتراك .
الكتاب يقع فى نحو ٥٢٣ صفحة .



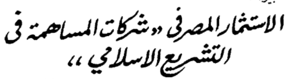


وصدر للأستاذ على حافظ أيضاً عن نفس الشركة
الطبعة الاولى من كتاب اربعة أيام فى منطقة الباحة .
وعن تهامة صدرت الطبعة الاولى من كتاب نفحات
من طيبة .

● من مطبوعات المطابع الأهلية للأوفست بالرياض
صدرت الطبعة الأولى من كتاب (**زيارة لسلطنة بروناى الاسلامية**) لمؤلفه الأستاذ محمد بن ناصر العبودى يتضمن
الكتاب مقدمة ثم معلومات عن بروناى ومشاهدات
المؤلف ثم عودة الى بروناى مرة ثانية . . الكتاب يعد من
أدب الرحلات يقع فى حوالى ١٩٥ صفحة .



● نسيب الشريف الرضى ـ الحجازيات وقصائد أُخر.
كتاب جمعت فيه الدكتورة عاتكة الخزرجى نسيب
الشريف الرضى ـ والحجازيات ـ وقصائد أخر من خلال
دراسة تحقيقية شرحية بخط يد المؤلِّفة . . وقد استهلت
الدكتورة عاتكة الكتاب بتمهيد ترجمت فيه للشريف
الرضى . . علمه وفقهه ـ مشايخه ـ خُلُقه ـ ألقابه ومناصبه
ـ حياته وموته ـ آثاره ـ شعره وقيمته لدى النقاد العرب
القدامى ـ ديوانه ـ الحجازيات ونماذج منها . . وختمت
التمهيد بعرض لابداع الشريف .
يشتمل الكتاب على أشعار الشريف مرتبة حسب
القافية ترتيباً هجائياً كما يتضمن بعض صور مخطوطات
الأشعار . . وهو يقع فى نحو ١٦٥ صفحة من القطع
الكبير . .

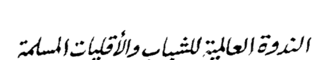


صدرت الطبعة الثالثة لهذا الكتاب الاقتصادى
الاسلامى الهام لمؤلفه المرحوم الاستاذ امين مدنى . . ويعد
هذا الكتاب مرجعاً هاماً فى تقنين ماجد من تعامل
وتعاملات فى عصرنا الحديث مع عرض للقوانين السابقة
والتى أقرها ديننا الاسلامى الحنيف على مر الازمنة .

ترجمات دينية

بعثت ادارة شؤون القرآن الكريم وترجمة معانيه بالامانة العامة لرابطة العالم الاسلامى بترجمات لمعانى القرآن الكريم باللغات الاندونيسية والصينية والتايلاندية لجزء عم والبنغالية والتركية والفارسية والفلبينية والهوساوية واليورما واليابانية والتاملية والصومالية الى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة التابع لوزارة الحج والاوقاف لطبعها وتوزيعها مجانا على المسلمين فى العالم.

هذا ومن جهة أخرى تبحث الآن الامانة عن ترجمة للقرآن الكريم معتمدة باللغة الاسبانية لطباعتها وتوزيعها.



فى هذا الشهر وفى مدينة الرياض وتحت رعاية صاحب السمو الملكى الأمير سلمان بن عبد العزيز يعقد المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب المسلم . . موضوع الندوة لهذا العام يدور حول (الاقليات المسلمة آلامها وآمالها) . . ويحضر المؤتمر عدد من المفكرين والعلماء من داخل المملكة وخارجها منهم د. المهدى بن عبود والاستاذ رجاء جارودى كما يحضره مسؤولون وأخصائيون من رعاية الشباب وجامعات المملكة ودول الخليج العربى وبعض الدول الاسلامية وخلال ايام المؤتمر سيقام معرض للكتاب .



الأمير سلمان بن عبد العزيز



أ. مسفر المسفر

مؤشرات ثقافية

من خلال الاحصائية التى أعدتها ادارة المطبوعات بوزارة الاعلام يتبين ان الكتب التى فسحت عن طريق مديرية الكتب وما تشمله من الانتاج الفكرى السعودى خلال الفترة من عام ١٤٠١هـ حتى عام ١٤٠٥هـ فى ازدياد مطرد على النحو التالى :

١ ـ زادت الكتب المفسوحة فى عام (١٤٠٥هـ عن سنة الاساس (١٤٠١) بنسبة ٩١٪ (١٩٤٧:٣٧١٥) ـ وزادت عن عام ١٤٠٤ بنسبة ٦٠٪ وهذا يوضح الجهد المتميز للمديرية خلال عام ١٤٠٥هـ

٢ ـ زاد الانتاج الفكرى السعودى فى عام ١٤٠٥هـ عن سنة الاساس (١٤٠١هـ) بنسبة ١٠٣٪ (٤٦٨ـ٢٣٠) وزاد عن عام ١٤٠٤ بنسبة ٢٣٪ (٤٦٨ـ٣٧٣) .

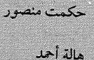
ويعلق الأستاذ مسفر المسفر مدير عام المطبوعات بان هذا يدل على زيادة نشاط حركة التأليف بالمملكة من جهة وجهد المديرية الكبير فى الاذن بالطباعة والفسح النهائى واعداد البطاقات وترتيبها واعداد الاحصائيات وسرعة الرد على ما يطلب من بيانات .





النساء.. شقائق الرجال

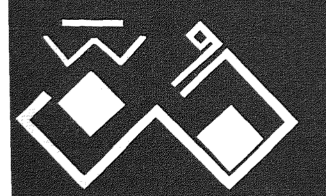




الاشراف

.. ابتسام صادق — الرياض

.. حياة عبدالحميد عنبر — جدة



سمرائى

ميرفت صادق

سمـراء النفس والـوجـه . . شدَّنى اليكِ حزنى المغـروس فى أعـماقى المتلهفة كخيوط صوف تلتقى على مغزل لتخرج ممتزجة فى لوحة خارقة . . تمنيت ان نمتزج . . تزيحين عن قلبى حزنه السرمدى وانتشل عينيك من شرودهما الحالم .

وينبثق الشك من خاطرى المهاجرِ دائما الى علامات الاستفهـام ـ كثيرة هى ومتشعبة . . وجميعها يضخم طنين الافكار داخل رأسى المجوفة الفارغة من كل ما عداك . .

هل يزيـل الشـك مثيله . . او يعـوض الحـرمـان حرمـانـا؟ . . الثقـة فى الجواب ترسم امامى صورة للشمس تصافح وجه الكون المظلم الذى ينفض عنه آثار الليلة السابقة بكسل ممتع . . واهرب من ضجة الافكـار فأصطدم بكوننا بشراً نربط تعبيرات معينة بالماديـات ويصبح التلازم بينها حتمياً . . او لست معى سمرائى اننا بشر مخلوقين من طين مادى؟ . . ولكن فى كل كتلة من هذا الطين يوجد سر نورانى يشع ضياء يحيط قالب الطين باضواء نُحِسُّها . . فى الشعـور . . فى التصـرف . . هذا ببسـاطة قليل من المادية وقليل من النورانية . . فلم لا يكون لامتزاجنا معنى روحانى خالص بعيد عن تعقيدات المادية ومتاهاتها؟ .

عندما أفقد فى لحظة ما اى اهتمام بما حولى . . او بمن حولى . . عندما انسلخ عن أحباء سبقوك واتهيأ روحـا وفكرا لاستقبالك . . أأكون خائنة؟ . . عندما اتصـرف بصـدق مشاعرى واعيش لحظتى الخاطفة القصيرة بفرحتها المضيئة بسرعة . . وبقوة اشعاع برق أأكون لاهية؟ . . عندما امارس هوايتى فى رسم الحب دخل عينيك . . أأكون عابثة؟ .

هذه قمـة الصـدق . . اللحظة التى تتجمع فيها برغم قصـرهـا الخيوط المغزولة الممتزجة فى تعبير هو الجواب لمئات من علامات الاستفهام التى نبتت فى ضمـيرى عنـدما اقتربت منك . . وأضع يدى على رأسى . . أحـاول ايقـاف الضجيـج فى الداخل . . وافيق من اغـراقى فيهـا عليها . . لا كفكرة . . بل كوجـود . . وتقهقه ذاتى على افكارى . . فلم أكن لأطلب ولم تكن لتعطى .

الكلمة أد أبعا



وقفة تأمل

العطاء

اذا كانت الدنيا طريقا نقطعه لنصل الى طريق مقرر ابتداء.. فلا أقل من ان نترك فى هذه الدروب بصمات خير.

الفلسفة

مَنْ منا ليس فيلسوفا.. ان صبرك على مصيبة حتى تقنع بقضاء الله وتشكره فيها فلسفة للنفس.

ان اشراقك وتفاؤلك حتى لو لم يكن هناك مبعث لذلك فيه فلسفة ترويض النفس على الرضا بالقليل حتى لو انعدم.

النسيان

بين أحداث الحياة تذوب الهموم صغيرها وكبيرها.. كما تذوب الموجة عند انتقالها من شاطىء الى آخر فى عرض البحر.

التحرر

ان تذكر ماضيك جيدا.. بكل ما فيه من سيىء وحسن.. وان تعيش حاضرك ببهجته وحزنه.. وان تسمو الى مستقبل افضل لا يحمل سوء الماضى ولا حزن الحاضر.

الجنون

ان تفلسف احداثا تمر بك لكى تستمر حياتك فهذا أمر مقبول.. لكن ان تدمن الفلسفة حتى تنسى الواقع هذا هو الجنون.

الأمل

مع كل خطوة فى طريق الحياة تولد قطرة.. ومع كل يوم تصبح القطرات بحيرة.. ومع مرور الشهور تصير البحيرة بحرا.. ومع السنين يصير البحر محيطا.. فالامل محيط يبدأ بقطرة.

القلق

ضيف ثقيل علينا من ثنايا الفرح يفرض نفسه بالحاح اكثر كلما كبرت الفرحة.. وزادت السعادة.



الرثاء فى شعر

نعمت عامر "مصر"

لقد بلغت المرأة فى شعر الرثاء درجة ممتازة لأنها قوية العاطفة مشبوبة الوجدان تنقل عن عواطفها وخواطرها أصدق اللواعج وأحر الأحاسيس ولكن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد يذهب الى أن المرأة قد قصرت فى نظم الشعر بعامة وفى الرثاء بخاصة.

يقول الأستاذ العقاد فى كتابه (بين الكتب والناس) ص٣٨ «ولم يحجر أحد على المرأة أن ترثى موتاها» ولكننا لا نجد فى الآداب العامية كلها مرثية من نظم شاعرة تضارع مراثى الشعراء من الرجال.

ثم يستشهد بعدة قصائد من شعر المرأة فى الرثاء ليقول ص٨٢ وهذه نماذج من شعر المرأة فى رثاء الآباء والاخوة وكل زيادة عليها من كلام الشاعرات هى زيادة فى العدد لا فى النوع ولا الصفة لأن الرثاء كله فى شعر النساء العربيات لا يخرج عن هذا المعنى المألوف بين جميع الراثيات والباكيات وقوامه النواح على الميت وتعداد مناقبه المأثورة عن الرجال وتكرار التفجع بصيغة واحدة يتغير فيها بعض الكلمات ولا يتغير فحوى الكلام».

وهذا القول من العقاد الكبير يخالف الواقع تماما لأن الناقد الكبير قد جزم بأن الرثاء فى شعر جميع الشاعرات يأتى بصيغة واحدة تتغير فيها الكلمات ولا يتغير فيها فحوى الكلام. ومعنى ذلك أن المعانى تتفق فى الرثاء عند المرأة سواء كانت ترثى ابا أو اما أو اخا أو ابنا أو زوجا فهى فى كل ذلك تنوح فقط بعبارات مكررة لا جديد فيها.

والعجيب أن النماذج التى اختارها الأستاذ العقاد لا تؤيد دعواه فقد اختار مثلا رثاء الشاعرة (جليلة) لزوجها كليب الذى تقول فيه:

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا
تعجلى باللوم حتى تسألى
فإذا أنت تبينت الذى
يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان تكن أخت امرىء ليمت على
شفق منها عليه فافعلى
جلّ عندى فعل جساس فيا
حسرتى عما انجلت أو تنجلى
فعل جسّاس على وجدى به
قاصم ظهرى ومدنٍ أجلى



...ر المرأة

يا قتيلا قوّض الدهر به
سقف بيتى جميعاً من عل
هدم البيت الذى استحدثته
وانثنى فى هدم بيتى الأول
خصنى قتل كليب بلظى
من ورائى ولظى مستقبل
ليس من يبكى ليوميه كمن
انما يبكى ليوم مقبل
يشتفى المدرك بالثأر وفى
درك ثأرى ثكل للمثكل
اننى قاتلة مقتولة
ولعل الله أن يرتاح لى

فهل هذه المرثية من باب النوح العام الذى تقوله كل الشاعرات بحيث لا تختلف عن غيرها كما يقول الأستاذ العقاد؟ لننظر.

ان الشاعرة جليلة قد وقفت موقفا حائرا مدهشا فأخوها قد قتل زوجها وقد غضب منها أهل الزوج وطردوها من المنزل لأنها شقيقة مع أن المقتول زوجها ... هنا صرخت الشاعرة فى مأساتها الحارة تقرر ما يلى :

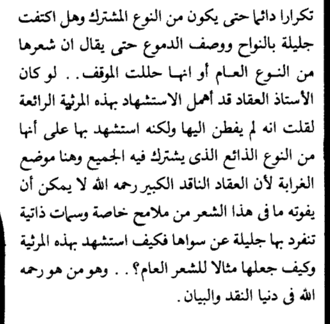
انها تخاطب من يلومها فتدعو الى أن تتبين الموقف فلا تعجل باللوم حتى تحيط بأبعاده فالأخت لا تلام اذا جزعت على أخيها مع أن فعله الشنيع بزوجها الحبيب قد قصم ظهرها وأدنى أجلها وأن هذا المقتول الراحل قد هدم لها بيتين لا بيتا واحدا لأنه قد هدم بيت الزوجية وسيهدم بيت الأبوة حين يثأر أهل الميت له من القاتل وأهله وهم أبوها وأخوها وأقاربها.

هدم البيت الذى استحدثته
وانثنى فى هدم بيتى الأول

أما النسوة اللائمات فعليهن أن يبتعدن لأنهن لا يشعرن بلوعتها فقد خصها الدهر بمصيبتين لا بمصيبة خصها بلظى من ورائها حين مات زوجها وبلظى مستقبلاً حين يؤخذ بالثأر من أخيها وهى لا تبكى ليوم واحد بل ليومين جاء أولهما وسيأتى الثانى لا محالة بل ان كل قتيل يشتفى بادراك ثأره أما جليلة ففى ادراك ثأرها مصيبة أخرى تنتظرها فهى قاتلة مقتولة وتسأل الله أن ترتاح من مصائبها الكبيرة بالموت؟.

فماذا كان يرى الأستاذ العقاد، فى هذه المرثية التى حللت الموقف تحليلا دقيقا بلغ من الدقة مبلغ العجب أكان هذا الرثاء نوعا عاما تشترك فيه الشاعرات جميعا وتقوله كل شاعرة ترثى؟ أو هو نوع منفرد فى موقف خاص لشاعرة خاصة يتعذر أن يتكرر





تكرارا دائما حتى يكون من النوع المشترك وهل اكتفت جليلة بالنواح ووصف الدموع حتى يقال ان شعرها من النـوع العـام أو انهـا حللت الموقف.. لو كان الأستاذ العقاد قد أهمل الاستشهاد بهذه المرثية الرائعة لقلت انه لم يفطن اليها ولكنه استشهد بها على أنها من النوع الذائع الذى يشترك فيه الجميع وهنا موضع الغرابة لأن العقاد الناقد الكبير رحمه الله لا يمكن أن يفوته ما فى هذا الشعر من ملامح خاصة وسمات ذاتية تنفرد بها جليلة عن سواها فكيف استشهد بهذه المرثية وكيف جعلها مثالا للشعر العام؟.. وهو من هو رحمه الله فى دنيا النقد والبيان.

واذا أراد القارىء الكريم أن يعرف المناسبة التى قالت فيها جليلة هذه النفثة الحارة كما رواها الأقدمون فى كتب الأدب فانى أنقـل له ما رواه أبـو الفـرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى خاصا بموقف الشاعرة الحزينة جليلة بنت مرة حيث قال:

«لمـا قتـل كليب اجتمعت نسـاء الحى للمأتم» فقـالت أخت كليب: ترحـل جليلة عن مأتمنا فان قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب ثم قالت لها: يا هذه أخرجى عن مأتمنا أخت واترنا وشقيقة قاتلنا.. فخرجت وهى تجر أعطـافهـا فلقيها أبوها مُرَّة فقال لها: ما وراءك يا جليلة؟ فقالت: ثكل العدد وحزن الأبد وفقد جليل وقتل أخ عن قليل.. وبين هذين غرس الأحقاد وتفتت الأكباد فقال لها أبـوهـا: أو يمنـع ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت: أمنية مخدوع ورب الكعبة.. أبا لبدية تدع لك تغلب دم سيدها قالوا: ولما رحـلت جليـلة قالـت أخت كليب: رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غدا لآل مُرَّة من بعـد الكـرة.. فبلغ قولهـا جليلة فقـالت متعجبـة: وكيف تشمت الحرة بهتيك سيرها

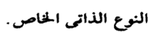


حاولت: زهرة

أو لستُ انسانة من لحم ودم أو ليس يحوى جسدى آلافـاً مؤلفـة من الخـلايـا العصبيـة والحسيـة تتأثر بالفـرح.. بالـترح.. بالجـو ان كان معبقـا بأريج الزهور أو مكفهراً ملبدا بالغيوم.

بربِّـك ماذا تُريدُنى.. أن أكون؟. هل تنشُدُنى صفحةً بيضاء لم يحفر عليها الزمن حرفا.

ليس ذنبى ان كانت حيـاتى ليست سهلة.. لست مخطئة ان لم اولد وفى فمى ملعقة من ذهب.. ولم تشأ لى الايام انُ احيـاهـا سعيدة.. لا انكر أننى حاولتُ قطف زهرة الفرح من رياض المستحيل.. وشق ابتسـامتى من بين انهار الدموع. نعم حاولتُ لاننى اريد اسعادك.. بأى





وترقب وترها ثم قالت قصيدتها السابقة نرجع الى الأستاذ العقاد رحمه الله لنقرر أنه هضم شعر المرأة حين ذكر أنه من النوع العام لا النوع الذاتى الخاص.

وسأضرب الأمثلة الأخرى لتفوق المرأة الشاعرة فى مقال مقبل وفى غير باب الرثاء لأثبت أن حواء قد برزت فى شتى الميادين الشعرية كما برز النوابغ من الرجال.



وسيلة.. بتناسى همومى ومع هذا كله تعاتبنى على لمحة الأسى التى تتلالأ فى مقلتىّ.. اتُريدُنى خاوية من كل شىء الا ان افكر بك وبسعادتك ضاربة عرض الحائط بحاجتى الى رجل يمسح دموعى ويهدهد إختلاجات الالم التى تعتمل فى اعماقى.. يحاورنى وأحاوره.. يغوص فى أعماقى ويأتى بالكلمة قبل أن تنطق بها شفتى.. ان الحياة اخذ وعطاء.. تفاهم متبادل.. مشاعر واحاسيس نقية يهديها كل طرف للآخر.

إنَّكَ لم تع ذلك كله.. أنت لا تنشد الا سعادتك وانا لست فى عرفك سوى امرأة خُلِقَتْ لكى تكون «فقط» معدة طعام ومنجبة أطفال.. اهذا كل طموحك ومطلبك فى زواجنا؟.

وفى غمرة صراعاتى مع المستحيل لتغييرك كنتَ انتَ ذلك الناقم الذى دائماً ما يصفنى بالبؤس والشقاء وكان الأجدر بك ان تنتشلنى من عالم الحزن الذى غارت نصول سيوفه فى اعماقى.. وتكون بلسماً لقروح تجتاح فؤادى.. آه لو تعلم كم احتجت الى ذلك ولكنك لم تفعل بل اغرقتنى فى بحار الحزن باللامبالاة وعدم الاحساس بانسانيتى.. ولاننى اريد الحياة.. واسعى الى الدفء والحنان اللذين لم اتذوق رحيقهما حتى الان.. وجدتنى أقرر اقتلاعك من ارض حياتى تلك الأرض التى تلفظ بذور الانانية وتقذف بها فى الفضاء البعيد.. البعيد.

كيف ؟!

شعر د. غازي القصيبي

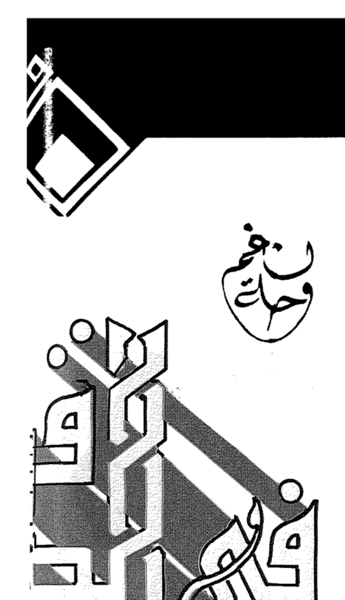
حبيبةُ! كيف دخلتِ الدماءَ
عَليّ ؟ وكيفَ ملأتِ الدنا؟

حبيبةُ! كيفَ منحتِ السنينَ
جناحًا فطارت عِجالاً بنَا ؟

وكيفَ صبغتِ سَوادَ الليالى
بأبيض من سَاطعاتِ المُنى ؟

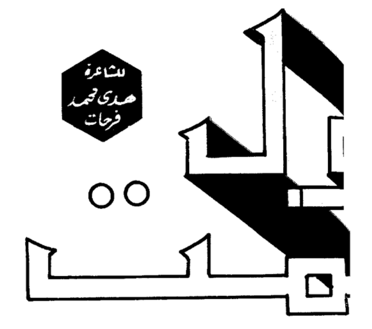
وَكيفَ سَحرتِ ضَميرَ القفار
فبلّلَ بالعشبِ أقدَامنَا ؟

وكيفَ هَمستِ بأذنِ الشقَاء
فمرَّ علينَا .. ومَا مسّنَا ؟



حديثى إليكَ طويلٌ طويل
وانْ لم أقُل
فصمتى رسالةُ ودّ جميل
عساها تصل
وهمسة نفسٍ إلى نفسها
وكلمةُ صدقٍ أناجى بها
وخفقةُ قلبٍ أصيلٍ يميلْ
ولا يفتَعِلْ
ولا يدعى
سكوتى نداء إلى سامعى
إلى من تملّك قلبى معى
لعلّك يا سامعى تستبين
فعندى من الحب كَنْزٌ ثمين
شعورٌ متين





ـه أنتمـى
وزّع مختلطاً فى دمى
روجّه كلّ كيانى إليك
راك فتملكنى رهبةٌ
رتلتفّ ساقاى فى سَيْرها



وتجمُد رغمى على وضعها
ويأبى لسانى فلا يُفصح
وأشعُر أنى أمام القَدر
فأصمُتُ راجية أن أبين
نعم أن أبين
ففى الصمت قولٌ
وفى الصمت همسٌ
وفى الصمت آمالٌ تنتظر
وفى الصمت نظرةُ عين تبوح
وتروى حكايةَ ليلٍ طويل
وتسهِب فى وصف وجه صبوح
عَلِىّ المقام
أتى فى منام
وقال بعينيه لا بالكلام
أنا يا فتاتى الذى تأملين
ومَنْ فى مناجاته تصمتين
لم تصمتين؟
أتعلمُ يا سائلى أننى
مشاعرُ تحتويها لغة
وبى لهفةٌ جمّة بالغة
أكادُ أحدّث فى شأنها
وأنبىء عن مكنوناتِها
فتكبر عما يطيق البيان
وتسمو عليه
ويقصُرُ عنها جميع الكلام
جميعُ الكلام





رسالة الى الفتاة المسلمة

صونى الجمالَ وكرِّميهِ عن التبذُّلِ والمجونْ
فالدُّرُّ محجوبٌ وفى الأصدافِ أغلى ما يكونْ
والحسنُ يا للحسنِ أبرَزَهُ التحضُّرُ من عرينْ
وجلاهُ مكشوفاً قريباً من فضول الناظرينْ
الصدرُ ينضحُ رقَّةً والقَدُّ يرقصُ فى فُتونْ
والشَّعْرُ ينشرُ ليَلَهُ والبدرُ يشرِقُ فى الجبينْ
هذى المظاهرُ للتقدم يا لهول الفاتنينْ
قد ساءنى التقليدُ فيها يا فتاة الفاتحين
حواءُ يا أختاهُ ما هذا بنهج الصالحين
لا يخدعَنْكِ سفورُهُم أملاه كَيْدُ العابثين
أَدْنِى الخِمارَ على الجيوبِ يصدُّعنكِ الطامعينْ
والبيتُ حقلُكِ فازرعيهِ الحبَّ فى عطفٍ ولين
والطفلُ رهنُ أمانةٍ أنتِ لها نعمَ الأمين
ربِّيهِ فى مَهْدِ الفضيلةِ فى بيوتَ المسلمين
أنتِ الأساسُ لأمةٍ يُرجى لها نصرٌ مبين
الدينُ أعطاها القِيادَ فكَرِّميها فى البنِين



أميمة خوجة

لِمَ نلتقي

لقياك تاريخ نساه القلب..
تاه وفى يديه غفى الألم..
لم نلتقى..؟
كل الذى كان انتهى..
لم يبق منه سوى الندم..
اليوم يسكننى انتصار. ليس يشبهه انتصار..
اليوم تحملنى إلى الأحلام آفاق كبار..
كل الذى كان.. انتهى
الدمع.. والتجرع.. والآلام ما حن فى رفات
لم نلتقى..
ما عاد يا عاصى الهوى فى القلب إلا الذكريات..
أحببت بعدك عزتى.. وإباء قلب لن يعود..
وصلبت أشواقى على باب أسميه الخلود..
والحب خلف القلب يبكى فى الضلوع
والأمس يصرخ لوعة..
فيذيب خفقات الخضوع
لا تنتهى.. هذا الطريق أمام خطوك ينتظر
هيا احلى.. وتذوقى
خفقات قلب منتصر
وطويت تاريخاً نساه القلب.. تاه.. وفى يديه غفى الألم
لم نلتقى..؟
كل الذى كان انتهى
لم يبق منه سوى الندم



همسة

احملونــــى
فوق اكف الرحمـــة.
ابعـــدونى..
الى الارض البعيدة
واتركونى هائمة فى غفوتى
غفوتى السعيدة
انشق حريتى
بعيداً عن ذلى..
وعبوديـــتى..

م.م

تدعو (جنة الأطفال) اصدقاءها الذين يرسلون لها أفكاراً وطرائف ان يقرنوا ما يرسلونه بالصور الملونة

جنة الأطفال

اشراف بابا فريد

كلمة أولى



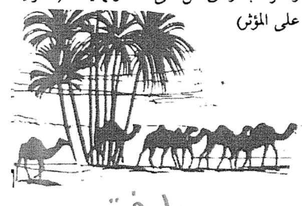
الطفل العربى هو كنزنا للمستقبل.. هو اثمن ما نملك.. فهو نحن فى صورة اخرى.. انه امتدادنا وحامل فكرنا وذاتنا العربية الى عالم قد لا نعيشه.. لهذا كله اصبح حتما علينا ان نحسن فهمه وان نحسن افهامه وان نتعهده بالرعاية والتعليم وبذر بذور عقيدتنا السمحة فيه حتى يشب منسجما مع نفسه ومع تراثه ومع الحياة من حوله فلا تذهب به اعاصير الشك أو يتآكله الصراع النفسى.. نحن امة وسط وسنظل طالما اودعنا هذه الوسطية ابناءنا فلا إفراط ولا تفريط.

فريد أبو سعده

حكاية صغيرة

قال الابن لأبيه: حدثتنى كثيرا عن الله فأين هو اريد أن اراه.؟. واحتار الأب كيف يجيب وبينما هو يتفكر فى الاجابة رأى الابن آثار جَمَل فقال لأبيه لقد مَرَّ جَمَلٌ من هنا.. قال الأب: وكيف عرفت ذلك؟ فقال هذه آثار أرجله فى الرمال.

قال الأب وقد اهتدى الى الاجابة: ايقنت ان جملاً قد مرّ من هنا مع انك لم تره؟. قال الابن: نعم.. قال الأب: الله يا بنى موجود فى كل مكان وزمان ونعرفه بآثاره فى كل شىء.. وكما يقال (الأثر يدل على المؤثر)



طرفة

التقى صيادان مصابان بالصمم وكانا يحملان بنادق الصيد..

فقال الاول للثانى: هل انت ذاهب للصيد؟

الثانى: لا.. أنا ذاهب للصيد

الاول: ظننتك ذاهباً للصيد

أحبابنا الحلوين



رنا رفتردار



شاهنده فريد — محمود فكرى



آيه سلامة — أنس السمانى — فيصل الحبشى

اختبر ذكاءك



البيض والسلة

بيض في السلة يتضاعف كل دقيقة وفي نهاية ساعة واحدة كانت السلة قد امتلأت ففي أي دقيقة كانت السلة نصف ممتلئة ؟

من ابداعاتهم

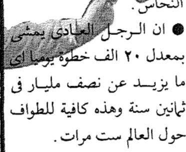
ارسل لنا الصديق ماجد سليمان الغامدى هذه المعلومات

● ان الدم يكتسب لونه الأحمر من مادة ملونة تسمى (هيموجلوبين) تحتوى على ايون الحديد وان دم الثعابين لونه ازرق لأن المادة الملونة للد. عندها تحتوى على ايون النحاس.

● ان الرجل العادى يمشى بمعدل ٢٠ الف خطوة يوميا اى ما يزيد عن نصف مليار فى ثمانين سنة وهذه كافية للطواف حول العالم ست مرات.

● ان خرطوم الفيل يحتوى على ٤٠ الف عضلة مما يجعل الفيل من اقوى الحيوانات جميعاً.

رأى الأسرة



جاء رجل يشكو عقوق ابنه فأحضره أبوه الى عمر بن الخطاب فقال الابن: أليس للولد حقوق على ابيه يا أمير المؤمنين؟

قال: بلى

قال: فما هى

قال: ان ينتقى امه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب (القرآن)

فقال: يا أمير المؤمنين:

انه لم يفعل ذلك، أما أمى فانها زنجية كانت لمجوسى وقد سمانى جعلا (جعران) ولم يعلمنى من الكتاب حرفاً واحداً. فالتفت عمر الى الرجل وقال له:

اجئت الى تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل ان يعقك واسأت اليه قبل ان يسيء اليك.



* «الزواج» : ليس شركة ولا مؤسسة كما نعته الماديون . . الزواج يا حبيبتي سكن . . يفترض أن يجد فيه الـزوج الاطمئنان والأمن والراحة التي يفترض ان يجدها فى مسكنه . . فالمسألة اذن ليست مسألة كم اسهمت انا أوكم أسهمت انت فى هذه الشركة التى اسموها شركة . .



* فى فترة من الفترات يتملكنى شعور بحب ـ الوحدة ـ وتثور علىَّ رياح ـ موسمية ـ من مهب الأمس . . أيـام كنت وحدى بلا وليف . . فاذا رأيتينى مستغـرقـاً فى وحـدتى . . فلا تقتحمى عزلتى . . واعطنى الفـرصـة لأسـارع وحـدى بالمجيىء اليك .



* أرجوك . . لا تذكرينى فى نعيمى بشقائى . . ولا فى نجـاحى بفشلى . . ولا فى شيخـوختى بشبـابى . . واتركينى اعيش لغدى . فماذا سيجد تذكيرك غير مزيد من الأسى . . وانا لدىَّ ما يكفينى .



* أنصحك بالابتعاد عنى . . اذا لزم الأمر حتى اتطلع للقـرب منك . . وأجدد فى البعد شوقى اليك . . فالشوق مهما عانى منه الأحبة فانه يعمق المودة ويضاعف المحبة .

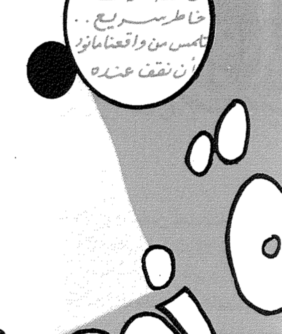
أبو عواد

الورقة ٨٥

* فلانـة قريبتى . . وفلانة صديقتى . . وفلانة زميلتى وعند كل واحدة . . «ينشر غسيلنا» .

الورقة ٨٦

* حتى نصبح كتابا مفتوحا لأهل القرية والسـ[illegible]



لأننا ببساطة ساذجون لا نفرّق بين ما هو للنشر والتداول وما هو للحفظ والتحفظ.

الورقة ٨٧

* صارحينى بالحقيقة.. حتى ولو مرّة واعترفى بأخطائك.. وسارعى بابداء الأسف والتوبة.. آه لو تدرين مدى خطورة الأمر على الرجل.. حين يكتشف أن زوجته تكذب عليه.. أو تخدعه..

الورقة ٨٨

* حتى اذا كنا كبرنا.. وبدأ فتيل الشيب يشتعل فى رؤوسنا هل يعنى ذلك أن تكون العلاقة بينى وبينك يحكمها الوقار.. حتى نقول تصرفات شباب.. ونبدأ فى تفصيل اكفاننا.؟.

الورقة ٨٩

* أحيانا أتمناك فى عقل الرجال وتفهمهم.. لمصارحتك بحقيقة يثنينى عن الافضاء بها ردود فعلك كـ ـ امرأه ـ لا تحب الا من يمدح.. ويكيل المديح حتى لو شكّت فى صدقه.. المهم هى حسناء.. وهو ثناء..

الورقة ٩٠

* قولى لبنات جنسك اننا نحن الرجال كالاسطوانة الكبيرة.. لا يمكن فهم ظاهرها.. إلا بالدوران حولها.. وان طعاما قد نلح عليه عند الافطار قد نعرض عنه عند العشاء.. لسنا متقلبون.. ولا معقدون فالأمر ببساطة.. فى وقت تكون فيه نظرة حواء ـ جزئية ـ تكون نظرة الرجل غالبا ـ كليّة ـ ألم أقل لك اننا كالاسطوانة؟؟.

الورقة الاخيرة:

* مشاكلنا نحن الذين أوقدنا فتيلها وضرّينا نارها.. حتى ارتفعت ألسنة لهبها.. وسحب دخانها ونحن وحدنا.. مطلوب منا أن نخمدها..



رسالة من عمر بن أبي



حبيبتي الثريا . .

يسعدني ان أرسل اليك برسالتي هذه مع صديقي وأمين أسراري ابن أبي عتيق . . وانني إذ أرسلها معه لأتمنى ألا تعجلي في الحكم عليّ بل وأتمنى ألا تأسي على الأيام التي قضيناها معا نرعى حبنا ويرعانا حبنا . .

أبعث برسالتي إليك بعد أن بلغني النبأ المحزن المحزون وهو أنك تزوجت من سهل بن عبد العزيز وأنك تتجهزين الآن للسفر معه إلى الشام . . فلم يكد هذا النبأ يتناهى الى مسامعي حتى أيقنت أنه لم يعد هناك ثمة أمل في اجتماعي بك ومحادثتك وحتى أدركت أن في غيابك أفولا لنجم حياتي وأشواقي . . نعم لقد صارت أيام حبنا التي هي أصفى أيام عمري ذكريات بل أغلى الذكريات وأجدرها عندي بالحب والتكريم . .

حبيبتي الثريا :

ألا إن رسالتي إليك كلمات من الذكريات . . لا . . لا . . بل هي أمنيات وأشواق وآهات . . إنها بضعة مني . . إنها وجودي كله فعساها تكون شيئا من وجودك ولست أطمع منك فيما هو أكثر من هذا . .

لقد صارحتك في أول لقاء لنا وكان ذلك في «منى» أني

امرؤ مغرم بالحسن أتبعه
لاحظَّ لي فيه إلا لذة النظر

فتوهمت آنئذ أنك فطنت إلى ما أقصده وأرمز اليه توهمت أنك تترفعين عن محاسبتي على كل صغيرة وكبيرة بل وتترفعين عن الميل إلى أعدائي ومن يسعون بالوقيعة بيني وبين أحبائي وأودّائي . . صارحتك بأنني «مغرم بالحسن أتبعه» فرضيتِ وقتها بصراحتي وعن صراحتي فما الذي كان يثير حفيظتك عليّ آنئذ؟ . . التقيت بفاطمة بنت محمد بن الأشعث وأعترف لك بأن لقائي بها كان من تدبيري وكان رسولي إليها بدُيح المغني . . فلما أن التقينا سحرني جمالها وحسن حديثها ورقة شمائلها فعرضت عليها الزواج فترددت وجلة فقالت لها أمها : «قتلك الوجد فتزوجيه فردت عليها قائلة : لا والله لا يتحدث أهل العراق عني أني جئت ابن أبي ربيعة أخطبه ولكن إن أتاني العراق تزوجته» .

حبيبتي الثريا .

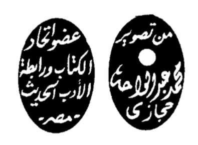
أعلم من تجاربي مع الحياة والناس أن من الذكريات ما يستطيب المرء تكراره وسماعه ولو ألف مرة . . وأن من الذكريات أشجاناً قاسية تجدد الألم وربما أعقبت



ربيعة إلى السيدة الجميلة

الندم المشوب بالحسرة والقنوط فيحاول المرء أن يكفيء عليها غطاء التناسى أو النسيان إن استطاع . كنت أعلم أن بينك وبين زينب بنت موسى الجمحى شيئا من المودة ولكن عندما ذكرتها أمامك رأيتك وقد تغير لونك ونفر قلبك منى بضعة أيام . . وأقسم لك بطهارة الحب الذى بيننا أننى ما كنت السبب فى هذا ولا تمنيته ولكن صديقى ابن أبى عتيق هو الذى ذكرها عندى فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلبى وأماله إليها . . ومن الطريف أننى عندما قلت فيها :

يا خليلىّ من ملام دعانى
وألما الغداة بالأظعان
لا تلوما فى آل زينب إن الـ
ـقلب رهن بآل زينب عانى



لم تدع للنساء عندى حظا
غير ما قلت مازحاً بلسانى
هى أصل الصفاء والود منى
واليها الهوى فلا تعذلانى

من الطريف أن ابن أبى عتيق غضب منى عندما قلت فيها الشعر ونسبت بها فلامنى وقال : أتنطق الشعر فى ابنة عمى؟ فقلت له :

لا تلمنى عتيق حسبى الذى بى
إن بى يا عتيق ما قد كفانى
لا تلمنى وأنت زينتها لى
أنت مثل الشيطان للانسان

ها قد أطلعتك على الحقيقة فهل يداخلك شك فى روايتى هذه؟ لعلك بعد هذا تطمئنين الى أننى كنت مخلصا فى حبى لك أميناً فى كلمتى إليك .

حبيبتى الثريا :

لقد كنت أدهش حقيقة عندما كنا نلتقى وأراك تسألينني وتستفسرين منى عما فعلته فى



الليالى التى امتنع فيها لقاؤنا . . كنت تسألين وتلحفين فى السؤال عمن قابلت بمضربى ومن زارنى فيه . . وهل قضيت اليوم مع صديق وما الذى أحدثت من الشعر؟ . . وهكذا وهكذا أسئلة متداخلة لا أول لها ولا آخر.

وعندما كنت أقول لك مثلا إننى كنت ليلة كذا أو فى يوم كذا فى زيارة جميل العذرى بالأبطح نتناشد الأشعار أو أننى كنت عند ابن عباس أعرض عليه بعض أشعارى . . أو أن جرير أو الفرزدق زارنى فأنشدنى وأنشدته . . أو أننى كنت فى زيارة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك . . أو أن بعض أخوالى اليمنيين جاء لزيارتى والاطمئنان على صحتى . . كل هذه المعاذير وأمثالها كانت موضع شكك وارتيابك . .

حبيبتى الثريا:

نعم كنت تشكين فى كلامى عندما أقول لك ان فلانا زارنى أو أننى زرت فلانا . . وكنت تشفعين الشك بسؤال استنكارى كان يشككنى حتى فى نفسى . . فإذا قلت لك زارنى جرير أو الفرزدق كنت تقولين فى تهكم مرير: جرير؟ الفرزدق؟ . . أو لم تكن عند حُميدة جارية بن تفاحة . . وأنك قلت فيها :

حُمل القلب من حميدة ثقْلا
إن فى ذاك للفؤاد لشغلا
إن فعلت الذى سألت فقولى
حَمْدُ خيرا واتبعى القول فعلا
وصلينى وأشهد الله أنى
لست أصفى سواك ما عشت وصلا

وكنت تقولين ساخرة : وتدعى أنك كنت تقرض شعرك على ابن عباس؟ أو لم تكن عند عائشة بنت طلحة؟ عائشة التى قلت فيها ما تأباه الكرامة . . ألست القائل :

نظرت عينى إليها نظرة
تركت قلبى لديها مُرتهن





ليس حب فوق ما أحـــبـــتـــهـــا
غير أن أقـــتـــل نفـــســى أو أجــن

وكنت تقولين ساخرة: وتدعى أنك كنت عند جميل بن معمـر العذرى؟ ألا ما أجراك على الحق.. ألم تكن عند فاطمة بنت عبد الله بن مروان؟ فاطمة التى كانت جاريتها تقودك وأنت معصوب العينين كما يقاد البعير الـذليـل حتى توصلك إلى مجلسها فيسبيك جمالها فإذا أنت هائم بأشعارك فيها وأنت لا تعرف من هى وحتى عنـدمـا عرفت كنت تخشى أن تصـرح باسمها خوفاً من عبد الملك بن مروان لأنه كتب إليك يتوعدك إن أنت ذكرتها أو عرضت باسمها.

وكنت تقولين ساخرة: وكيف تدّعى أنك كنت فى المدينـة لبعض شأنك على حين أنك كنت تطوف وأنك فى طوافك قابلت امرأة شريفة عفيفة فلم تتق الله وأنت فى مقام لا يجمل فيه هجر القول ففضحتها بشعرك الذى قلت فيه:

أحـــب لحبـــك من لم يكـــن
صفـــيـــا لنـــفـــسى ولا صاحـــبـــا
وأبـــذل مالـــى لمرضـــاتـــكـــم
وأعـــتـــب من جاءكـــم عاتـــبـــا
وأرغـــب فى ود من لم أكـــن
إلـــى وده قبـــلكـــم راغـــبـــا

حبيبتي الثريا:

كان لك يا حبيبتى الحق فى أن تشكّى فىّ وتثورى علىّ وترتابى فى معاذيرى فَلَكَمْ أحببت وعشقت وسرت حيث سار عطر الحسان فطوفت فى الآفـاق بين مكـة والمدينـة والعـراق.. حتى ظن الكثيرون من الناس أنه لا ذمة لى ولا عهد ولا حياء وحتى قال ابن المقـوم الأنصـارى: «مـا عُصِىَ الله بشىء كما عُصِى بشعر ابن أبى ربيعة».. ولو عقل هؤلاء اللائمون لعلموا أن أشعارى تحييهم: تحيى فيهم جميل الاحساس وجميل التذوق وجميل الفعل.

حبيبتي الثريا:

ها أناذا قد بلغت السن التى لا يجمل بالمرء أن يبددها فى اللهو والعبث والمجون.. وأقسم وإن كان هذا لا يعنيك الآن فى شىء أننى ما قلت لامرأة قط شيئا لم تقله لى وما كشفت ثوباً عن حرام قط فهل تنكرين هذا ياحبيبتى؟ لا أحسبك..

نعم يا حبيبتي..

بلغت السن التى لا يجمـل بالمرأ أن يصـرف بعـدهـا عمره فى اللهـو والعبث والمجـون فالنسـك له أليق والخشوع له أخلق.. وهذا ما أنا مقدم عليه الآن ولكنه النسك الذى يجعل من حب الحياة واجبا والتغنى بها فريضة.

وذو الشـــوق القـــديم وان تعـزى
مشـــوق حين يلقـى الـعـــاشقـــين

فإلى اللقاء يا لحن الجمال والحب.. إن قدر لنا ثمة لقاء.

من.. يؤرقـــه لهـــيب الـــشـــو
ق بـــين الـــســـحـــر والـــكـــبـــد

عمر بن أبى ربيعة
(أبو الخطاب)



الشيب

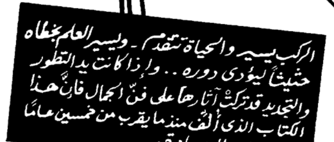
يحدث شيب الشعر للرجل والمرأة على السواء إذ ليس للجنس دخل فى حدوثه ويظهر أن الوراثة من أهم العوامل فى ظهور الشيب، كما أن هناك عوامل كثيرة غير الشيخوخة قد تسبب التبكير فى ظهور الشعر الأبيض ـ منها الامراض الحادة كالحميات أو أمراض فروة الرأس نفسها كالقشرة والسيبورية. هذا غير الشيب المفاجىء الذى يحدث بسبب الصدمات المفاجئة التى تؤثر مباشرة على الجهاز العصبى كالفزع أو الحزن أو الخوف.

ولعلاج شيب الشعر يلزم الالتفات التام الى صحة البدن عامة فتعالج كل الأسباب الخارجية المؤثرة ـ وبعدها يتبع نظام التدليك اليومى للشعر بواسطة المحاليل المقوية كما يلتفت الى حالة الأمعاء وانتظام حالة الهضم.

ويكون العلاج السابق ناجحا جداً فى حالات الشيب المبكر أما شيب الشيخوخة فاذا لم يرتد الى لونه فمعنى ذلك أنه لا يوجد سبيل إلا صباغته.

صباغة الشعر والصبغات

صباغة الشعر عملية فنية محضة تستغلها الأوربيات والأمريكيات ليس فى صبغ الشعر الأشيب فقط بل وفى تلوين الشعر بألوان أخرى مختلفة ـ وتغمر السوق أنواع من الصبغات المعدنية التى لا تخلو من اضرار بالنسبة لما بها من مواد كيميائية ولكن أحسن الأنواع وأقلها ضررا وأكثرها انتشاراً عالمياً هى الحناء المصرية والراوند وقد أدخلت على الحناء بعض التحسينات وأصبحت تخلط ببعض مواد أخرى وتستعمل سواء للشعر الأسود الداكن أو الأصفر الذهبى ـ وتباع على عدة ألوان أعتقد أنها كفيلة بتلوين الشعر من اللون الأصفر الذهبى الى الأسود الداكن ومن ميزة الحناء أنه بجانب صباغتها للشعر فانها تكسبه بريقا وقوة فضلا عما بها من خواص طبية نافعة فى شفاء بعض الأمراض الجلدية وفى ترطيب الجلد والتقليل من افراز العرق تجعلها شائعة الاستعمال مفضلة عن غيرها.







★ المواد اللازمة	أسمر فاتح	أسمر متوسط	كستنائى	اسود قاتم
مسحوق الحناء Henna Poud.	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
بيروجالول Pyrogallol	٥	٥	١٠	١٥
كبريتات نحاس CopperSulphate	٥	٧	٨	١٠
سينا Sienna	٥	٥	١٠	١٠
هباب المصباح Lamp Black	٠	١	٥	٢٠
المدة الزمنية اللازمة لبقاء الصبغة على الشعر	٣٠ دقيقة	٣٥ دقيقة	٤٥ دقيقة	٦٠ دقيقة

ألوان الشعر

وألوان الشعر الشائعة فى الشرق هى : الأشقر - الكستنائى الفاتح - الكستنائى الداكن - الأسود، هذا غير الألوان المعروفة عن الغربيات - كالأحمر والذهبى والأبيض وألوان شتى كثيرة لا مجال لذكرها هنا وأمر اختيار لون الشعر وصبغته يتوقف تماما على احتياج السيدة نفسها التى يجب عليها أن تدقق كل التدقيق فى اختيار أحسن أنواع الصبغات المضمونة بدلاً من استعمال احدى الصبغات العادية التى تغمر الأسواق ولا تخلو من ضرر.

ولما كانت الحناء - كما ذكرت - هى الصبغة الوحيدة التى يمكن الاعتماد عليها فى صباغة الشعر لعدة ألوان مختلفة فسنجعلها فى بحثنا هذا كأساس ثابت لصباغة الشعر.

مركبات الحناء

تضاف بعض العناصر الكيميائية الى الحناء فينتج منها صبغة مختلفة الألوان والجدول التالى يوضح هذه العناصر والمقادير اللازم اضافتها لكل ١٠٠ جرام من الحناء ومقدار المدة الزمنية التى تبقى فيها الصبغة على الرأس فى كل حالة من الحالات ★



كيفية تحضير المعجون اللازم لصباغة الشعر مرة واحدة:

بعد أن ينتخب المركب اللازم لصباغة الشعر من المركبات السابقة وتمزج عناصره مزجاً تاماً يؤخذ منه مقدار ٢٠٠ جرام للشعر الطويل أو ١٢٠ جراماً للشعر القصير وتوضع الكمية المأخوذة داخل وعاء خزفى أبيض (كسرولة صينى أو صاج) ويوضع هذا الوعاء داخل إناء آخر أكبر منه وليكن من المعدن ويملأ الانــاء الخــارجى بالماء ويغلى على النار ويستحضر ماء ساخن يضاف تدريجيا الى مسحوق الصبغة الموجود فى الوعاء الداخلى ويقلب بملعقة خشبية تقليبا جيداً حتى يصبح المزيج رخواً فى قوام الكريم فيترك جانبا حتى يجهز الشعر للصباغة.

تجهيز الشعر للصباغة

يجب أن يكون الشعر المراد صباغته نظيفا خاليا من جميع آثار الصبغات السابقة فبعد أن تحضر مواد الصبغة - كما ذكرت - تعمل للشعر عملية تدليك كاملة باستعمال إحدى مركبات الشامبو والمركب لتالى أنسبها للشعر قبل استعمال صبغات الحناء يتركب من زيت خروع زيت زيتون بنسبة واحدة من ل منهما مع اضافة بضع نقط من احدى الزيوت نباتية ثم يسخن ويشبع به الشعر وتتبع نفس طريقة ت البلسم فى علاج الشعر الجاف حتى تنتهى ملية الشامبو ويجفف الشعر فيفرق الى أربعة أقسام نكل٢١) من الجبهة الى خلف العنق ثم عرضا من ـدى الأذنين الى الأخرى وتثبت هذه الأجزاء بالبنسات أو بالأمشاط ثم تمسك كل خصلة على حدة وبواسطة • برشاة مناسبة توضع الحناء على الشعر من الجذور الى الأطراف وهى ساخنة الى أقصى حد يمكن تحمله (شكل٢٢) وتجرى هذه العملية بكل سرعة وخفة بحيث تغطى الحناء كل شعرة من شعر الرأس حتى تتم الى النهاية فيجمع الشعر كله وتلف حوله عمامة منالورق تصنع على النظام التالى:

● استحضرى فرخاً من ورق الجرائد وأثنى طرفه بمقدار عشر سنتيمترات ثم أحيطيه برأسك جيدا حتى يدخل تحته كل الشعر (شكل٢٣) ثم تطبق أطرافه العلوية على الرأس بحيث لا يبقى للهواء منفذاً به وذلك ليظل الرأس حافظا لدرجة حرارته ويترك الشعر على هذا الشكل للمدة اللازمة لصباغته حسب اللون المرغوب.

● وبعد انتهاء هذه المدة يفك الورق ويشطف الرأس والشعر بكثير من الماء الدافىء واذا بقى الشعر حافظا لصلابته فيضاف قليل من الخل الى ماء الشطف ليفكك الشعر.

هذا ويلاحظ أن لون الحناء لا يظهر واضحا على الشعر إلا بعد مضى ٢٤ ساعة على الأقل من وقت صباغته.

وبالرغم من أنى أعطيت للحناء حظا وافراً من صحائف كتابى لكنى لا أقصر الفائدة عليها دون غيرها من الصبغات فأذكر فيما يلى بعض وصفات سهلة مفيدة مختلفة الألوان من صبغات أخرى.



صبغة شقراء اللون

ماء أكسجين أكسترا ٤ دراهم
ماء مقطر ٢ أوقية

Hydrogen	Peroxide	4	dr.
Distilled	Water	2	oz.

(شكل ٢١)

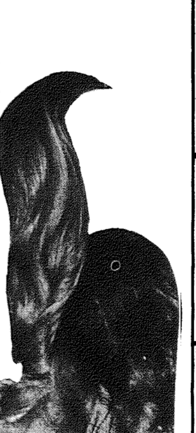
(شكل ٢٢)

(شكل ٢٣)

طريقة الاستعمال: يغسل الرأس جيدا.. ثم يوضع المحلول السابق على الشعر فيلونه بلون ذهبى جميل بعد جفافه.

صبغة عامة

والصبغة التالية نافعة لكل ألوان الشعر من الاصفر إلى الاسمر لأنها تجمل لونه الطبيعى وهى رخيصة التكاليف جدا تتركب من «محلول برمنجنات البوتاسيوم» Potassium Permanganate وهو المحلول البنفسجى اللون المستعمل فى التطهير - بواقع نصف أوقية منه إلى ٦ أوقيات من الماء المقطر وهذه النسبة تستعمل للألوان الداكنة ويمكن تخفيفها بالماء كلما كان لون الشعر زاهيا. وتقدر كثافة الملون بوضع نقطة من المحلول على قطعة من القطن. وتستعمل هذه الصبغة بوضعها على الشعر بواسطة فرشاة مناسبة مع الاحتراس من عدم سقوطها على الجلد لأنها تبقع لونه.



والمحلول التالى نافع لازالة بقع البرمنجانات:

صودبوم هيبوسلفيت درهمان
ماء ٦ أوقيات

Sodium	Hyposulphite	2dr.
Water		6oz.

وهناك أنواع كثيرة من الصبغات نقصر ذكرها عند هذا الحد لأن أبحاثها واسعة للغاية.



قصة قصيرة

عندما يدق

كتبت اليه تقول: «رسالتى روحيه ترجو المثول بين يديك وحط الرحال عندك.. رسالتى طائر مجروح لا يستطيع الصعود الى عالمك الطاهر.. كتبت رسالتى بحبر هو دمى.. وورق هو عمرى وأنا أعلم أنها لن تصل اليك أبدا ولن تعانق عينيك حروفها.. ولكنى اكتب حين يفيض بى الوجد ويعصف بى الشوق وترمينى الأحلام.. فى مهامه سحيقة.. فيشرد منى البصر الى حيث لا أرى شيئا سواك.. أراك وأنت أبعد الناس عنى موضعاً.. أرى روحك مجردة عن الجسد فلست أعرف لوجهك ملامح واضحة ولكنى أعرف روحك جيداً.. وأعشقها.. فهى مثل روحى مسجونة فى جسد مكبل بقيود العقل وسلاسل الضمير لكن الحب زلزل نفسى والشوق أدمى قلبى فراح يرسل اناته قوية أشعر بها وهى تؤجج صدرى وتحرق كبدى فتسيل لها عبراتى.

إن مشاعرى اليتيمة ما تزال تعانى مرارة الحرمان والغربة فهى لم تعرف يوما الانتماء.. فلما اختارتك وسارت فى طريقك الشائك صفعها ذلك العقل القاسى ثم ألقاها كبصقة فى زاوية من زوايا نفسى سحقتها بقدم القسوة ولكنها عادت مرة أخرى تلملم أشلاءها وتقف فى مواجهة العقل تسأله بقوة وعنف: من أنا.. أين أنا.. أين الحبيب..؟ انها تعذبنى وتؤرقنى حين تستيقظ.. لقد اعتدت أن أنكر على نفسى عواطفها.. وعلى عواطفى ثورتها.. اعتدت أن أخفى مشاعرى فى حطام يأسى وخوفى.. أخاف أن أصدم فى مشاعرى فتعود شريدة بعد أن كانت غريبة.

فمثلى وان قضى نحبه فى عذاب الحرمان فهو لا يخضع للشكوى ولا يستجدى الحب.. ومثلك وإن أكرم وعذر فهو لا يبرأ من عذاب الشك ونظرة الاتهام.. أنت نفسى ضائعة فيها نفسى».

وطوت الرسالة ودستها بين بقية احلامها وآمالها الورقية وهربت من تلك الأحلام والآمال الى الواقع.. الى الناس.. الى الحياة تلك الطاحونة العتيقة التى تطحن الانسان بقوتها وغطرستها وغرورها فتسحق مشاعره وتشنق آماله بحبل الواقع فتتركه جسدا بلا روح وقلباً بلا نبض ونبضاً بلا حياة.

لا.. ليست هذه الحياة التى ترضاها نفسها النزاعة الى نفسه وروحها المعلقة بروحه.. فكتبت اليه مرة أخرى تقول:

«لم أعد أقوى على الكتمان فاعذرنى.. لقد تخلى الصبر عنى بعد أن فقدت الحياة معناها عندى



الأمل

هالة
أحمد عزب
«السعودية»

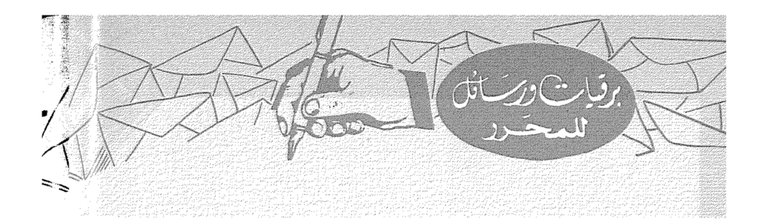
واصبحت لا شيء الا أنت.. لقد ضعت بالأمس بين نبرات صوتك وطوانى الحنين فى بساطه حيث لم أشعر بشيء سوى دفء ذلك الصوت ونبرته فذهبت معه فى غيبوبة عن الوجود.. فلم أسمع سوى نبض قلبى وفرحته ولم أشعر بسوى نبع حب وحنان لا اقوى على احتمالهما.

اليوم صحا العقل على الحقائق المزيفة والواقع المر.. الامس كان حلماً والحلم يتوارى كما تتوارى كل الأشياء الجميلة من حياتنا ويبقى الواقع بمرارته وقسوته يصفعنا بأقداره ويخدرنا بدوامته.

لقد ظللت أحبك لسنوات طوال وأنت لا تدرى بسر قلبى الذى لم يتجاوز اثنين: أنا وأوراقى فالآن وقد تغيرت كل الأشياء الا حبى لك الذى مازال أعمق واكبر مما كان.. آن لى أن أغير هذا الحب قسراً أو طوعاً.. آن لى أن أضيع نفسك وأشرع فى البحث عن نفسى وذاتى كما كانت قبل أن القاك.. قررت أن أبدأ من جديد وأن اكون شخصاً آخر غير هذا الذى لم تعرف سوى اسمه.. قررت الآن أن تنسى حتى اسمه.. ولكن ما أصعب أن أدفنك فى فؤادى وأنت حب حى ينبض بالحيـاة فى كل جارحة من جوارحى وفى كل خلية من نفسى.. آه.. لقد ذهبت بنفسى وقطفت كل أزهار الأمل التى اشتريتها بعمرى ودفعت ثمنها حبى وحرمانى وصبرى.

لقد خلقت انسانا شقياً بعقله فدمرت كل شيء جميل فى حياتى.. حياتى وخوفى وكبريائى.. كل أولئك حكموا على حبى بالاعدام شنقاً وقرروا أن يدفن فى مساحة عزيزة داخل فؤادى ما دام لا أمل فى بناء ذلك العزيز فلا أقل من أن يدفن داخلك يا فؤادى..».

وختمت الرسالة وطوتها.. ثم عادت تقرأ الرسـالتين من جديد وأخرجت بقية أوراقها التى تحمل آمالها وأحلامها وآلامها تنظر اليها وتبكى نفسها المسحوقة فيها وآمالها المدفونة بين سطورها ثم سلطت عليها النار تفنى كل ورقة فيها وكل سطر وكل حرف وتحوله الى حطام والى ذرات متنـاثـرة متهـالكة كذرات نفسها الضائعة العاجزة.



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد: فقد تأسس المركز الإسلامي للثقافة والتعليم بمدينة أوبسالا في ٢٠/١١/٨٢ وهو الآن كالهيكل العظمي، لا ميزانية له، ولا مساعدات ولا اشتراكات من الأعضاء حسب قرار الهيئة الإدارية، وذلكم للتشجيع على الحضور إلى المركز للتفقه في الدين، وتعلم لغة القرآن، والمحافظة على الهوية الإسلامية في المغترب.

وتلكم هي العلة الغائية للتأسيس.

فالمرجو من المسلمين المساهمة في مساعدة إخوانهم المسلمين المهاجرين، مساعدة مالية، وثقافية.

والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ألا هل بلغنا؟ اللهم فاشهد!

المنهل: ———

نداء خير مرسل للموسرين الخيرين وجمعيات البر في المملكة العربية السعودية ودول الخليج والعالم العربي عامة فهل لهم ان يقدموا لانفسهم ما يُسجّل لهم في صحف آخرتهم ويثابون عليه.. نرجوهم ذلك ونطلبه لهذا المركز وامثاله «ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» والله ولي التوفيق.

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
مكتب الوزير

الاستاذ نبيه عبدالقدوس الانصاري
صاحب مجلة المنهل ورئيسها المحترم
جده ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه .. وبعد :-

وصلني مع خطابكم رقم ٥٤٢٩ وتاريخ ١٤٠٦/٢/١٣هـ نسخة من مجلة المنهل عن شهر صفر ١٤٠٦هـ والتي حوت فيما حوت بعض الدراسات حول التربيه والنشاط التعليمي.

واني اذ اشكركم على ارسال المجله، لاقدر ماتقوم به "المنهل" من جهود ثقافيه وتربويه بجهودكم لها بلاشك اهميتها في مسيرة النهضه التي نعيشهـا سائلا الله ان يوفق المنهل في سيرها الحميد.

ولكم تحياتي وتقديري.،،،

وزير المعارف
د. الدبيرة [توقيع]
عبدالعزيز الخويطر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

لقد كان لهديتكم القيمه والتى وصلتنى والتى هى عبارة عن الكتابين العذبين " مكه المكرمه فى شذرات الذهب " لاستاذنا المرحوم احمد بن ابراهيم الغزاوى و " مجلة المنهل واثرها فى النهضه السعوديه " للدكتور سيد تقى الدين اثرها الكبير فى نفسى . لان الكتاب فى نظرى يمثل اغلى هديه او منحه يمكن ان يحصل عليها الانسان المثقف فى عصرنا الحاضر لاسيما اذا كان هذا الكتاب او هذه الكتب تحتوى بين دفتيها على مواضيع شيقه وثقافيه عن بلادنا الحبيبه .

ولا يسعنى ازاء هديتكم القيمه الا ان اشكركم غاية الشكر مقدرا لكم عنايتكم بنا وافتكاركم لنا فى كل جديد من عالم الكتب . كما لا يفوتنى هنا ان انوه الى ان العدد الاخير من مجلتنا الحبيبه " المنهل " العذب كان كسابقه أو كسوابقه من الاعداد حافلا بكل جديد وبالمواضيع الممتعه لاسيما المواضيع التربويـــــة واخص بالذكر تلخيص التقرير الامريكى " امة فى خطر " وهو التقرير الذى يجب ان يطلع عليه كل مسؤول وكل انسان يهتم بتربية الأجيال فى بلادنا الحبيبه . ولقد سن والدكم العظيم رحمه الله سنة حسنة فى امثال هذه الاصدارات والهدايا منذ اربعين عاما وجئتم انتم - ولله الحمد - وسرتم على النهج - الكريم بل وجئتم عليه لا كما قال الشاعر .

نبنى كما كانت أوائلنا تبنى

ونصنع فوق ماصنعوا " لا مثل "

اكرر تهانى وشكرى لكم للاخوه معكم خاصة سيادة مدير التحرير الأبن الأديب زهير نبيه الانصارى .

والى الامام

والله معكم .

من محبكم

مصطفى حسين عطار

المنهل : ——

. . هذا وفـاء المحبـين وتقـديـر المخلصـين . . وما نقـدمـه نرجـوا أن يكـون أداء واجـب وإبلاغ رسالة . .



الأخ الأستاذ نبيـه عبدالقدوس الأنصـاري - المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

لقد كان لرسالتكم التي تضمنت تلك العبارات الأنيقة والمشاعر الفياضـــة أطيب الأثر والوقع في نفسي ، وجعلني مضمونها النابع من اهتمام حقيقي بالفـــكر والمعرفة ، وحرص أصيل على أن تقدم للقارئ قمة الابداع ، وأجمل الأثواب ،على قناعة بأن " المنهل " ستظل دائما في مقدمة ركب الريادة بين وسائل نشر الآداب والعلـوم والثقافة والمعرفة .

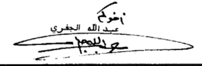
ومن هذا المنطلق أقول أيضا ان مشاعري معكم في كل خطوة تخطونـها الى الأمام ، لأن عبء الثقة الكبيرة التي تضمنتها دعوتكم لي للكتابة في " المنهل " أسعدني تحمله ، ويجب أن يقابله وعد بأن أكتب لكم ، وسيتم هذا في القريب ان شاء الله ، بعد أن أتخفف قليلا من زحام المشاغل والأعمال ، وأملك من فائض الوقت مايسمـــح بتنفيذ هذا الوعد .

أمنيـاتي لكم بالتوفيق والنجاح الدائم ..

ودمتم لأخيكم .

أخوكم

عبد الله الجفري



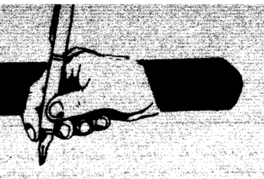
Asharq Al-Awsat

الشرق الأوسط

جريدة العرب الدولية

المنهل : ——

. . وان كنّا نطمع - ولا نزال - فى ان يجد القـارىء بعض ابـداعـات الأستاذ الجفرى تجد مكانها فى منهله فإنَّا نشكر له هذه الرسالة الرقيقة . . ونطمع فى العطاء المبدع ايضا .



مقبل عبد العزيز العيسى — MOGBEL ABDUL AZIZ ALISSA

الأخ نبيه عبد القدوس الأنصاري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أرجو أن تكونوا بخير وعافية
وبعد أهنئكم باستلامي الأعداد التي تكرمت بإرسالها إلي
من مجلة (المنهل) الراقية .. ولقد أعجبت بها مادة وإخراجاً .. وإنني
أتمنى مع لطفكم ومبادرتكم الجميلة .. وقد سعدت بقراءتها .. وقد
لمست تنامي في الواقع تطور المنهل مادة وإخراجاً .. وهذا يدل
على طموحات وتطلعات لمستقبل ثقافي مشرق في بلدنا المبارك
وجهودكم امتداد لجهود (عبد القدوس الأنصاري) الذي أسس هذه المجلة
والدكم رحمه الله .. وهو مجهود مشرف تستحقون عليه الإشادة والتقدير
أشكرك مرة أخرى على عنايتك .. وأرجو الله أن يمتعك
بالصحة والعافية لتجعل لمجلة المنهل عمراً مديداً زاخراً
بالعطاء الفكري والثقافي .. وأبدي لكم بأنني أعجبت باشتراك
أقلام مرموقة في العالم العربي في أعداد المنهل السابقة .. وهي
ذكرة أعرف بأن والدكم أول من أتاح الإنتاج للصحافة السعودية
فقد كانت المنهل منبراً للأدباء المتميزين من تونس والمغرب
ومصر والأردن .. ولا شك بأن استمرار هذه المجلة
في عطائها هو أجمل ما يشار في الحياة الأدبية العربية ..!
وفقكم الله لما يحقق أجمل التطور الصحافي والأدبي
في مملكتنا .. ولك مني أجمل أطيب الدعوات

أخوكم
مقبل العيسى

المنهل:

نشكر لسيادتكم هذا التواصل الأدبي المميز . وننتظر دائماً جديد انتاجكم ليتصدر مكانه مع روائعه ، انتاج ادباء وشعراء مملكتنا الفتية .

المنهل:

سعادتنا بصداقتكم ومصداقيتكم تفوق حدودنا ومنهلك مشرع ابوابه لاستضافة فكركم ومعارفكم ومعارف طلائعنا الثقاة .

الى سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل   حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . . . وبعد ، ،

فيطيب لي أن أبعث اليكم هذه الرسالة داعياً العلي القدير أن يمنحكم الصحة وتمام العافية ، انه القادر على ذلك .

كما يطيب لي أن أبارك لكم ولأنفسنا وللمسلمين ماتحويه مجلتكم الغراء من بحوث في التشريع والآداب والثقافة .

وانه ليسعدني أن أساهم معكم في المقالات العلمية في المجلة ، ليتوثق رحم العلم فيما بيننا ، ونستنير برفيع ماينشر في مجلتكم من مقالات وآراء موجهة فينفع الله بها المسلمين ، ويثقل بها ـ عند الله ـ ميزان أعمالنا وأعمالكم .



المملكة العربية السعودية
الجمعية الخيرية بالرس
مسجلة بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية
برقم (٣٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تقدير

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد

فان ادارة الجمعية الخيرية بالرس يسرها ان تشكر كل من ساهم معها في تحقيق اهدافها الخيره ووقف معها منذ تأسيسها وعرفاناً منها بهذا الجميل تقدم هذه الشهادة التقديرية .

للمكرم / سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل

الذي بذل جهوداً طيبة في تعاونه معها وبذلك استحق التقدير .

والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

رئيس مجلس ادارة الجمعية

أمير الرس / منصور العساف

المحترم

المكرم رئيس تحرير مجلة المنهل نبيه عبد القدوس الانصاري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

بكل سرور نقدم لكم هذه الشهادة التقديرية تعبيراً عن جهودكم الخيرة المثلة في أهداء المكتبة الخيرية التابعة للجمعية الخيرية بالرس نسخة دورية من مجلتكم الغراء بصفة مستمرة خلال عامها المالي ١٤٠٤/١٤٠٥هـ .

تقبلوا تحيات أعضاء مجلس الادارة وتحياتي شخصيا ...

رئيس الجمعية الخيرية بالرس

أمير الرس / منصور العساف

الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصاري
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انا من القراء الذين جذبتهم مجلة المنهل بموضوعاتها القيمة الجادة واخراجها القشيب . لكم ولمدير التحرير وكل العاملين بها ازكى تحية . . أدعو الله أن يظل منهلنا قدماً فى سبيل نشر العلم والثقافة والآداب . . وأهدى اليكم بعضاً مما جاشت به نفسى .

أول كل شهـر ومـن القـاهـرة
أنـزل الـى مكـاتـب الحـى العـامـرة
أبـحـث عن منهـلى إن كان
وصـل من جُدة فى كل مكـان
فأقـرأ من آدابـه الـكـثـير
وأشـرب المـاء الـسلـسل النـمير
وأنهـل من الـثـقـافـة الـعـمـيق
ومـا ينـير لعـقـلى الطـريـق
فالـشكـر والـتـحـيـة أسوقـهـا
لكـل من فيـهـا مذ قرأتهـا
ولكم جزيل الشكر

صلاح الدين مصطفى على
القاهرة

أخى الأستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى

بعد التحية

إنها لفرصة سعيدة أن أكتب إليكم مهنئاً بالزمالة الفخرية التى منحتها اياكم رابطة الادب الحديث بالقاهرة برئاسة الصديق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .

لا شك أنتم جديرون بهذا التقدير لكفاحكم الأدبى ومواكبة السير على خطى والدكم العظيم المرحوم الشيخ عبد القدوس فى المنهل الأغر . .

وبهذه المناسبة كم كنت أود لو أن الدولة قررت تقدير الأدباء الكبار الراحلين أمثال الأديب الكبير عبد القدوس الانصارى فمنحتهم جائزة الأدب التقديرية لما قدموه من عطاء ثر لخدمة الأدب والفكر والثقافة . . وعسى ان تستجيب الدولة لمثل هذه الفكرة .

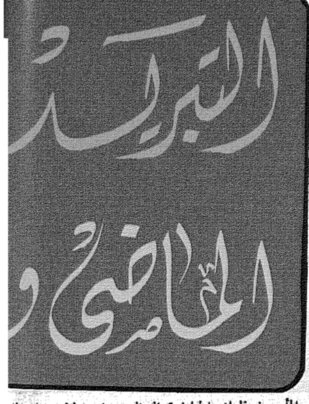
زادكم الله توفيقا فى خدمة البلاد عن طريق التنمية الثقافية والأدبية بالمنهل العذب . . والسلام

عبد الله عبد الجبار

المنهل :

مما يسعدنا أن نكون حملة أمانه الكلمة . . وأن يفيد القارىء مما يجده بين السطور فشكراً بشكر وأدام الله لقاء الكلمة بيننا .





كثير من الأمور الحضارية المستحدثة التى نراها اليوم نظن أن الغرب هو الذى اخترعهافنسارع لاقتباسها مدهوشين معجبين. . ثم نعتادها وتدخل فى حياتنا اليومية فلا نستطيع فراقاً لها ـ دون أن ندرى ـ لجهلنا بتاريخنا وتراثنا أنها كانت فى الأصل من مخترعات المسلمين.

من هذه الأمور: أدوات التبريد:

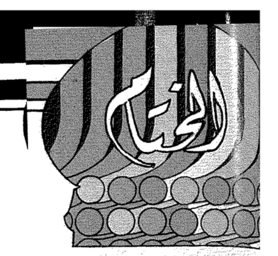
فالبّراد الذى قد لا يخلو منه دار فى أيامنا عرف منذ أيام العباسيين. ففى خبر ذكره الخطيب البغدادى. . المؤرخ الكبير. . صاحب تاريخ بغداد. . ورد فيه أن يحيى بن أكثم القاضى قال: بت ليلة عند الخليفة المأمون فعطشت فى جوف الليل فقمت لأشرب ماء فرآنى المأمون فقال: مالك ليس تنام يا يحيى؟. . قلتُ: يا أمير المؤمنين أنا والله عطشان. . فقال لى: ارجع الى موضعك. فقام هو والله الى «البّرادة» فجاءنى بكوز ماء.

فانظر الى هذه اللفظة «البُرادة» التى تدل على وجود البّرادات يومئذ لتبريد الماء وغيره. . وكانت وسيلتهم للتبريد إحاطة البرادة من الخارج بالثلج ليبرد ما فيها. . ونحن اليوم نبرد بواسطة الكهرباء وان كان التبريد بواسطة الثلج ما يزال مستعملا.

والذى يثير الانتباه فى حديث يحيى بن أكثم هو قيام المأمون ذلك الخليفة العظيم بنفسه لإحضار الماء ليحيى تعظيماً وتبجيلاً لعلمه. وأعتقد أن هذا التكريم للعلماء من قبل الملوك والأمراء والرؤساء كان من أسباب انطلاقهم ونبوغهم وازدهار العلم.

وثمة أمر آخر يدخل فى ميدان التبريد هو ما نسميه اليوم «بتكييف الهواء». . أو «المكيفات». وكلا المصطلحين فى رأيى خطأ والأفضل استعمال «تعديل الهواء». . و«آلات التعديل». لأننا فى الواقع نعدل درجة حرارة الهواء وبرودته ـ ونجعلها معتدلة.

والعباسيون أوجدوا وسائل لتعديل الهواء قبل



د. صلاح الدين المنجد

الغرب.. بطرقهم.. وأول من ساعد على اختراع ذلك هي عُلَيَّة بنت المهدى الشاعرة الرقيقة أخت هارون الرشيد. فقد زارها يوماً أخوها الرشيد ـ فى قيظ شديد ـ فألفاها قد صبغت ثياباً من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف.. فجلس هارون قريباً من الثياب المنشورة فجعلت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحاً بليلة عطرة.. فوجد لذلك راحة من الحرّ واستطابه.. فأمر أن يُصنع له فى مجلسه مثله. فصنعوا له.. «مروحة الخيش».. وهى شبيهة بشراع السفينة.. تعلق بالسقف وترش بالماء أو بماء الورد.. وتعلق بحبل تحركه به.. فإذا جذبها الرجل ذهبت بطول البيت وعادت.. فيهب على الانسان منها نسيم بليل.رطب طيب الرائحة.. فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب النوم وهى ذاهبة جائية.. ذكر ذلك صاحب مطالع البدور وصاحب أنوار الربيع.

ثم انتشرت هذه المراوح فى دور الناس وحسَّنوها. وقد أورد ابن أبى أصيبعة صاحب طبقات الأطباء أن بختيشوع بن جبريل الطبيب جعل فى داره هذه الخيوش وصبغها وغمسها بماء الورد والكافور والصندل.. وجعل للمجلس الذى يجلس فيه طاقات يدخل منها الهواء فيمر على مواضع مكبوسة بالثلج فيدخل بارداً ويصادف الخيش فينتشر فى المجلس الهواء الرطب المعطر.. وجعل فى كل غرفة فى داره مثل ذلك.

هذا فى الصيف.. أما فى الشتاء فكان يأمر بوضع كوانين فيها فحم الغضا مكان ما يكون فيها الثلج ويأتى بغلمان ينفخون ذلك الفحم بالزقاق كما يفعل الحدادون فيخرج هواء ساخن يدخل المجلس ويصادف الخيش فيفوح هواء فاتر معطر.

وقد ثبت أن معدلات الهواء الحديثة لها أضرار على جسم الانسان ولم أجد فى النصوص القديمة أن طرق التبريد المذكورة كان لها أضرار.



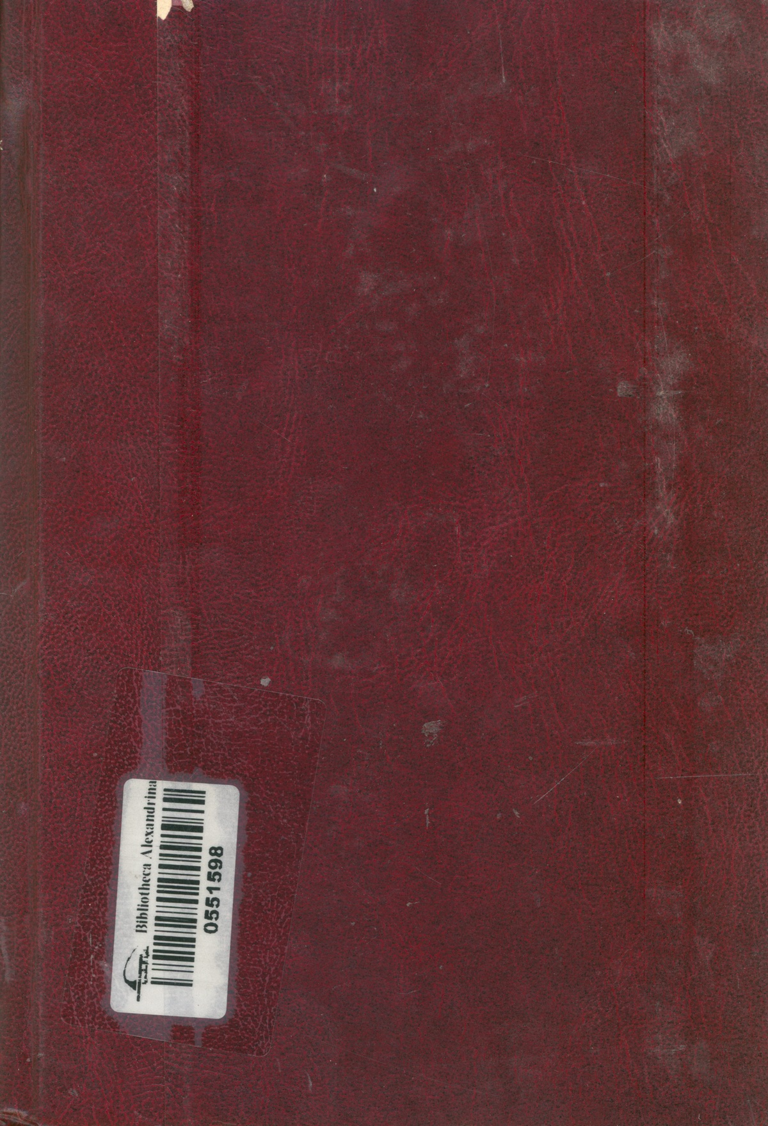
تقرؤه الصفوة

تكمن من خصائصها

اننا نعد الأقل سعرًا والأوسع انتشارًا
والأجود اخراجًا



وكلاء الاعلان
ب ٥٤٥٥١ ت: ٦٤٤٤٤٤٤
٦٧١٢١٠٠
العلاقات بالمجلة
ب ٥٠٢٩٢ ت: ٦٤٢٢١٢٤


Bibliotheca Alexandrina
0551598